هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٦٩ ○ محرم ١٣٩٩ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٨ م



عـدد الهجرة الممتاز

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مدينة القاهرة ذات الألف مئذنة كما تبدو من ساحة القلعة حيث يرى من يلقي نظره عليها ، أنها تمتاز بمساجدها الضخمة التي تعتبر آية في الروعة والجمال .. تمثل عصور الاسلام المختلفة ولكنها تلتقي جميعها حول إعلان التوحيد ، والدعوة إلى عبادة الله .

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٦٩ ○ محرم ١٣٩٩ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٨ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

على العهد

في مطلع العام الهجري الجديد ، نضع بين يدي القارىء الكريم ، العدد التاسع والستين بعد المائة ، من مجلة (الوعي الاسلامي) في عامها السابع عشر . ونحن على العهد ، نخدم الاسلام عن طريق هذه المجلة الواعية ، ونمد في صوتها الحر ، ليبلغ آفاق الدنيا ، ونتابع المسيرة على طريق الدعوة الى الله ، بعرض مبادىء ديننا الحنيف نستقيها من منبعها الصافي ، خالية من الشوائب ، بعيدة عن الخلافات المذهبية والسياسية .

ولقد رسمت الوزارة للمجلة ، من يومها الأول ، منهاجها الذي تسير عليه ، فهي للعقيدة ، والعلم ، والحياة .

ومن واقع التجربة الحية ، التي عاشتها المجلة ، على امتداد تاريخها في عالم الصحافة المسلمة ، يحس القارىء ، أنها قدمت له زادا كريما ، مختلفا ألوانه ، فيه شفاء للناس من زيغ العقيدة ، واختلال العبادة ، وانحراف السلوك ..

وحين يجول النظر على صفحاتها ، يقع على أنماط عديدة ، من الثقافة والمعرفة ، فهو بين نظرات في آيات القرآن الكريم ، أو مع الهدى المحمدي ، من أحاديث المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، أو مع تأملات في الدين والحياة ، في إطار علم شامل ، يغذي العقيدة ، ويحتضن كل نواحي التطور ، ويفتح صدره لعناصر الكون ، يأخذ منها ويعطيها ، أومع الفتوى الصحيحة ، التي تحل مشاكل الناس ، وتفصل في قضاياهم .

ولا ندعي أننا بلغنا القمة ، أو حققنا الكمال ، فالكمال لله وحده ، ومن هنا فنحن نرحب بكل نقد بناء ، أو توجيه مخلص يهدي إلينا عيوبنا ، فمعرفة الخطأ ، أولى الخطوات على طريق الصواب .

وإننا نوجه عناية خاصة للشباب ، فهم رجال الغد ، وأهل الاسلام ، ورصيد الأمة الغالي ، وعدتها لمستقبلها ، وإننا لنفزع أشد الفزع ، حين نرى موجات الالحاد ، تطغى على قطاعات النشاط في محيط الشباب ، ولا يفتأ الخبثاء من أعداء الاسلام ، يوحون إلى

أبنائنا زخرف القول ، بالحكم على الدين بأنه عقبة في سبيل الحياة ! وأن الانسان المتدين ، رجعي متخلف ، وربما تساهلوا في حكمهم ، فاعتبروا الأديان ميولا فردية ، أو اتجاهات أدبية ، وهم بذلك يعملون جاهدين على عزل الدين عن الحياة .

وهذا ما حدا بنا الى توجيه دعوة للشباب ، نلفت بها نظرهم إلى أننا قد فتحنا لهم في هذه المجلة ، وابتداء من هذا العدد ، صفحة تحت عنوان (مع الشباب) ليسجل فيها الشباب المسلم خواطره وأفكاره ، ونحن معه ، نقوم برحلة في داخل نفسه ، لنرى ما يعتمل فيها ، فان وجدنا خيرا حمدنا الله ، وإن وجدنا غير ذلك ، قدمنا له العلاج من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، حتى ينعم بالحياة الكريمة في ظلال الاسلام .

ورغم أننا نشعر بعبء الرسالة ، وضخامة المسؤولية ، الا أننا نستمد القوة من الله ، على متابعة السير في طريق الدعوة الى الاسلام ، بعزم أكيد .

كما أننا نعتز بقرائنا في العالم الاسلامي والعربي ، ونجد في رسائلهم إلينا ، قوة دافعة للسير بالمجلة نحو الغاية المرجوة .

ومن الحوافز التي تذكر فتشكر توجيهات ، السيد « يوسف جاسم الحجي » وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الذي تلقى منه المجلة كل عون وتشجيع ، نابعين من غيرته على الاسلام ، وحرصه على ان تأخذ مبادئه مكانها في دنيا الناس ، وبذلك تستقيم الحياة ، ويعتدل ميزانها ، وتعيش الانسانية أزهى عصورها ، حين يفتح الله لها في ظلال الايمان والتقوى ، بركات من السماء والأرض .

(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا) .
والله تعالى يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

رئيس التحرير

أحمد البسيوني

مَا معنى

للدكتور احمد الحوفي

جاءت كلمة التغابن في قول الله عز وجل : **(يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن)** التغابـن/ ٩ ، وبهذه الكلمة سميت السورة ، فما معنى يوم التغابن ؟

لابد لمعرفة المعنى من أن أعرض ما قاله بعض المفسرين ، لأنه يمثل رأيهم جميعا ، ثم أعقب على ما قالوه ، ثم ألجأ الى اللغة نفسها عسى أن أهتدي الى رأي جديد .

(١) أقوال المفسرين

ذكر الطبرى أن اليوم سمى يوم التغابن ، لأن أهل الجنة يغبنون فيه أهل النار ، وعزز رأيه بروايتين عن مجاهد وعن قتادة .

ولكنه لم يوضح سبب هذا الغبن وطريقته .

ولسنا نستطيع أن نتصـور أن الناس يغبن بعضهم بعضا وهم في هول القيامة ورهبة الحساب .

ثم إن غبن أهل الجنة لأصحاب النار لا يسمى تغابنا ، لأنه من طرف واحد ، والتغابن إذا فسرناه بما فسره به الطبرى وهو الظلم لابد أن يكون تفاعلا من طرفين .

وذهب الزمخشرى الى أن التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضا ، لأن

يوم التغابن

السعداء نزلوا منازل الأشقياء ، وقال إن في هذا تهكما بالأشقياء ، لأن نزولهم ليس بغبن ، وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم ، ولكن التغابن في ذلك اليوم هو التغابن في الحقيقة ، لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت .

وهذا تقسيم عجيب ، لأنه من غير المعقول ولا المقبول أن يغبن السعداء الأشقياء على وهم لا حقيقة له ، وهو أنهم نزلوا في منازل الأشقياء التى كان الأشقياء يستحقونها لو كانوا سعداء ، وأن الأشقياء نزلوا في منازل السعداء التى كان السعداء يستحقونها لو كانوا أشقياء .

على أن هذا لا يتفق وقوله تعالى في وصف اهل الجنة : **(ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)** الحجر/٤٧ ، فكيف يغبن أهل السعادة أهل الشقاوة ؟

ولقد عقب النيسابورى على رأى الزمخشرى بقوله : في تسمية القسم الأخير تغابنا نظر ، الا أن يفرض أن نزول الشقى في ذلك المنزل يزيد عذابه ، وزيادة العذاب سبب تضييق المكان عليه .

ثم قال النيسابورى : ويجوز أن يفسر التغابن بأنه أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وحمل الظالم خطايا المظلوم ، وإن صح مجئ التغابن

بمعنى الغبن فذلك اوضح في حق كل مقصر صرف شيئا من استعـداده الفطرى في غير ما أعطى لأجله .

وهذا رأى مردود ، لأن أخذ المظلوم حسنات الظالم ، وتحمـل الظالـم خطايا المظلوم يتنافى والعدل الالهى المطلق الذى نطقت به آيات كثيرة ، مثل قوله سبحانه وتعالى : **(إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفهـا)** النســاء/ ٤٠ وقولــه تعالى : **(ونضع الموازين القسـط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا)** الأنبياء/ ٤٧ وقوله تعالى : **(ولا تزر وازرة وزر أخــرى)** الاسراء/ ١٥ وقوله عز وجل : **(كل نفس بمـا كسبت رهينة)** المدثر/ ٣٨ .

أما ابن كثير فانه ذكر رواية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أن يوم القيامة سمى يوم التغابن ، لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، وذكر رواية عن مقاتل بن حبان أنه لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الجنة ، ويذهب الآخرون الى النار .

وقد سبق تفنيـد هذا الــرأى ، وإبطال دعوى الغبن ، لأن أهل الجنة استحقوا الجنة بايمانهم وعملهم ، ولأن اهل النــار استحقــوا النــار بكفرهم ، فلا غبن ولا عدوان .

وثمة رأى آخر قاله أبو حاتم احمد ابن حمدان الرازى وهو أن اليوم سمى يوم التغابن ، لأن المغبون هو الذى انكشفت سرائره في ذلك اليوم ، فيظهر ما اكتسب في الدنيا من عبادة غير الله بعد أن قدر أنه اهتدى وأنه ينجو ، فيكون أمره كما قال الله عز وجل : **(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلنــاه هبــاء منثــورا)** الفرقان/ ٢٣ .

فهذا هو المغبون مثل المغبون في الدنيا الذى يشترى سلعة أو يبيعها فيقدر أنه ربح ، فاذا انكشف امره ظهر أنه خسر ، فيقال له مغبون .

ولكن هذا التعليل غير مقبول ، لأن الذى عبد غير الله تعالى يستحـق العقاب ، فلا يسمى مغبونا ، ولأن التغابن تفاعل ، وشتان ما بين الغبن والتغابن .

وفي العصر الحديث قال عبدالكريم الخطيب في تفســيره : سمــى يوم القيامة بيوم التغابن لأنه اليوم الذى يرى فيه الناس أنهم غبنوا من جهة أنفسهم ، وأن غبنــا أصابهــم في الدنيا ، فلم يأخذوا حقهم كامــلا فيها ، ولم يستوفوا المطلوب منهــم للحياة الأخرى ، فكل إنسان يبدو له يوم القيامة أنه غبن في حياته الدنيا ، سواء أكان في المحسنــين أم في المسيئين ، اما المحسن فلأنه لم يزدد إحسانا ليزداد ثوابا ، وأما المسئ فلأنه يرى أنه ظلم نفسه ظلما مبينا ، إذ اطلق العنان لشهواته وأهوائه .

والرد على هذا أن اليوم بهذا المعنى يوم حزن وندم وحسرة وتأنيب شديد للنفس ، وليس يوم غبن أو تغابن .

كذلك شرح مجمع اللغة العربية التغابن بأنه تفاعل ، لنزول السعداء فيه منازل الأشقياء ونزول الأشقياء فيه منازل السعداء ، إذ تبدو الأشياء

لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا .
وهذا الرأى لا يختلف ورأى الزمخشرى وابن كثير ، وقد سبق تفنيده .
وأزيد على ما سبق أن اليوم جدير به أن يسمى في هذه الحالة يوم الانصاف أو يوم التبادل وما شاكل هذا ، وليس من الحتم أن يصير سعداء الدنيا الى شقاء في الآخرة ، ولا أن يصير أشقياء الدنيا إلى سعادة وليس من الصواب أن نعلل لتسمية اليوم بتقديرهم وظنهم وهم في الحياة الدنيا .

(٢) رأى جديد

لنرجع الى اللغة عسى أن نهتدى الى المعنى المراد من كلمة تغابن في الآية الكريمة .
جاء في لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس مادة غبن : غبن الرجل الرجل في البيع يغبنه من باب ضرب أى خدعه وظلمه ، والتغابن أن يغبن القوم بعضهم بعضا .
وغبن الرجل رأيه ، وغبن الرجل في رأيه غبنا مثل فرح يفرح فرحا ، وفهم يفهم فهما ، أى نسيه وأغفله وجهله وضيعه وغلط فيه .
وغبن فلان فلانا يغبنه غبنا من باب ضرب أى مر به وهو ماثل فلم يره ، ولم يفطن له .
وفي هذا مثل ما في سابقه من غفلة ونسيان واشتغال . ولقد أخذ المفسرون معنى التغابن من الغبن بمعنى الظلم ، وعجيب ان ابن منظور ذهب مذهبهم ، ولم يتنبه الى المعنيين الآخرين للغبن .
ثم تكلفوا للغبن تفاعلا بين اثنين كل منهما يغبن الآخر ، أو تفاعلا بين الانسان ونفسه ، فهو في نظرهم مثل التنازع والتشارك والتقاتل والتنادى .
لكننى أرجح ان التغابن :
(١) إما ان يكون تفاعلا بين اثنين ، من الغبن على وزن الضرب ، وقد نصت المعجمات على أن معناه النسيان والاغفال والذهول ، حيث إن الذهول الشديد والاغفال الصارف والاشتغال الطاغى يعم الناس جميعا ، فينحصر كل منهم في نفسه ، ويذهل عن غيره ، وينصرف عن احب احبائه ، فهو اذن ذاهل ومذهول عنه ، ومن هنا يتحقق التفاعل وتبادل الذهول .
وليس من المستطاع ان نتصور ذهولا أشد مما صوره القرآن الكريم في قوله تعالى : **(ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)** الحج / ١و٢
وفي قوله عز وجل : **(يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه.لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)** عبس / ٣٤ ــ ٣٧ .
(٢) وإما ان يكون التغابن من

الغبن على وزن ضرب او على وزن سبب بمعنى النسيان والجهل والغفلة والانصراف ، لأن الناس يوم القيامة يصابون بأهوال تفزعهم وتذهلهــم وتنسيهم وتشغلهم ، فيصير كل منهم في ذهول شديد ونسيان تام ، ولكن الصيغــة جاءت على وزن تفاعــل للمبالغة ، لا للدلالة على مشاركة ، ولها نظائر كثيرة في اللغة منها : تبارك الله اى تقدس ، وتعالى الله أى علا ، ونقادم العهد أى قدم ، وتطاول الزمن أي طال ، وتفاقم الأمر أي اشتد ، وتناثر الحب اي انتثر ، وتحامــى الرجــل كذا أي احتمــى منــــه ، وتصاغرت نفس فلان أي صغرت ، وتضاءل الشئ أي صغر ، وتعاطى الدواء أي شربه ، وتماثل للشفاء أي قاربه ، وتكاثر الناس أي كثروا ، وتوافدوا أي وفدوا .

وليس في صيغة من هذه الصيغ تفاعل او مفاعلة بين اثنين او طرفين .

وسواء ذهبنا الى أن التغابن تفاعل من الغبن بمعنى الذهول ، أو الى أنه مبالغة من الغبن بهذا المعنى ، فان هذا او ذاك اولى بالقبول من القول بأنه بمعنى الظلم والخداع ، وأسلم مما يجره هذا الــرأى من تكلــف وافتراض ، وأقرب الى المعنى اللغوى لكلمة غبن ، وهو الى هذا كله أشد مناسبة لأهوال يوم القيامة التــى وصفها القرآن الكريم .

الوعي الاسلامي :

ما نطقت به الآيات التى استدل بها الكاتب على العدل المطلق الذى يتصف به الله تبارك وتعالى مثل آية : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) وآية : (ونضع الموازين القســط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وآيـــة : (ولا تزر وازرة وزر اخرى) تدل على أن الله تعالى لا يظلم أحدا بأن يترك حسنات فعلها من غير أن يثيبه عليها ، أو يحمله وزرا لم يقترفه . اما اخذ المظلوم حسنات الظالم وتحمــل الظالــم خطايا المظلوم ، فهذا لا يتنافى مع العدل الالهى كما ذكر الكاتب ، بل هو عين العدل الالهى وذلك حين يعجز المظلوم عن أخذ حقــه من الظالم في الدنيا ، فان الله بعدله يأخذ له حقه يوم القيامة حسنات ، أو يحمل الظالم من خطايا المظلوم حين لا يكون هناك درهم ولا دينار فقد روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتــدرون من المفلس من أمتى يوم القيامة ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع : فقال : « إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتــم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفــك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليــه ، أخـــذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار ».

الهجرة الخالصة

روى الامام البخاري قال : (حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، قال : سمعت أبا وائل يقول : عدنا خبابا ، فقال : هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى لم ياخذ من اجره شيئا ، منهم مصعب ابن عمير ، قتل يوم أحد ، وترك نمرة ، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ، فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئا من إذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها .)

لم يشأ القدر أن ندرك عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو نعيش مع صحابته الكرام أيامهم الحافلة بالخير المضيئة بالمثل العليا .
فقد جاء دورنا في سلسلة الوجود الانساني بعد العصر النبوي بقرون متطاولة ولم يكن امر ذلك في ايدينا !! فكم كنا نود ان يواتينا الحظ فنعيش في الجوار الطيب ، ويضمنا المجلس الخاشع ، وتختلط انفسنا بأريجه العبق !!
كم كنا نود ان نفتح عيوننا حين نفتحها على اكرم ذات سعد بها الوجود فتمتلىء منها العين هيبة وروعة وجلالا !!
وكم كنا نود ان نوجه أسماعنا الى الكلمات القدسية ، فينساب اليها الوحي الأعلى غضا طريا كما انزله الله ، ولكن ... ما كل ما يتمنى المرء يدركه !!
لئن حجبنا عن شهود ذلك بحواسنا واشباحنا ، فلم نحجب عنه بأرواحنا ووجداننا ، فلم يزل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعيش في ضمير كل مؤمن ، بما ترك من هدى ، وبما بث من سنة ، وبما ارسل من قول وعمل .
ان العين حين تقع على اثر من آثار هذا الرسول العظيم ، او تظفر بشيء من سنته حديثا او تقريرا او سيرة ، لترى عليه من انوار النبوة ما يضيء جوانب النفس والعقل ، وما يفتح امام البصيرة نافذة تطل منها على أزهى عصور الانسانية ، وأنضر فترات حياتها ... هناك حيث كان يعيش النبي صلوات الله وسلامه عليه مثلا اعلى للفضائل الانسانية ، ونموذجا فريدا للذوق الرفيع ، والجمال الباهر ، كان اذا تكلم كأنما النور يخرج من بين ثناياه ، يقول عنه علي كرم الله وجهه: « من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه » كان انسانا بكل ما تحمل الكلمة من معان ، رأته امرأة فأخذها الخوف من مهابته فقال لها : « يا مسكينة ... عليك السكينة » ! كان يؤثر القادم عليه بالوسادة التي يجلس عليها ، ويفسح له في المجلس ، وينزل الناس منازلهم ، وصفه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه ، لايجابه أحدا بما يكره ، ولا ينادي اصحابه الا بأحب الاسماء اليهم ، وكان اذا بلغه ما يكره عن احد لم يقل : ما بال فلان ، بل يقول ما بال أقوام » ووصفه ابن ابي هالة فقال : « كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ، ولا مداح » وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ، ويلاعب صبيانهم ، ويجلسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ومعه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ كان يعيش اصحابه ملائكة من البشر ، يمشون على الارض هونا ، لا باعث لهم الا الخير ، ولا رائد الا التقوى ، ولا شعار الا السلام ، ولا غاية الا الله .
واننا من خلال هذه الاحاديث نستطيع ان نستشف خلال القوم ، وان نرصد اخلاقهم كما ترصد الاجهزة الارضية النجوم في مسالكها .

يقول الصحابي الجليل أبو وائل ، وقد ذهب مع بعض الصحابة لعيادة خباب بن الأرت في مرض نزل به : (عدنا خبابا) وهم حين فعلوا ذلك ، انما قاموا بحق اكيد من حقوق المسلم على اخيه المسلم ، فقد علمهم الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حين قال لهم : « حق المسلم على المسلم ست : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه » رواه البخاري ومسلم .

وقد كان صلى الله عليه وسلم ، يعود المرضى من اصحابه ومن غير اصحابه ، فقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب ، وعاد عمه ابا طالب وهو مشرك ، واكد هذا الحق الانساني ، ووعد فاعله الثواب الجزيل في ظلال الجنة ونعيمها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع » رواه مسلم . (والمخرفة : سكة بين صفين من النخيل ، جمعها مخارف : يقال : خرجوا الى المخارف اي البساتين) .

ولما استقر المجلس بهؤلاء العواد عند خباب ، شرع يحدثهم عن ذكريات إسلامية مرت به ، ويعرض عليهم صورا من امجاد الاسلام التي نفخ بها الحياة ، وامد بها الانسانية لتكون غذاءها النافع ، وشعاعها الهادي ، الذي يضيء لها طريقها الطويل ، فكان فيما قال خباب : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الى المدينة ، والمراد بالمعية هنا الاشتراك في حكم الهجرة واجرها ، لا في وقتها وزمانها ، وإلا فان خبابا لم يرافق النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، فلم يكن معه حين هاجر سوى ابي بكر وعامر ابن فهيرة ، وايا ما كان الامر ، فمن هاجر مع الرسول الكريم ، او سبقه ، او لحق به ، فقد كان الباعث لهم جميعا على الهجرة ابتغاء وجه الله ، لم يهاجروا خوفا على انفسهم او فرارا من الاذى الذي لحق بهم بمكة ، فقد خاضوا بعد الهجرة حروبا طاحنة ، وصب عليهم من البلاء ما تنوء به الجبال . ولم يهاجروا لدنيا يصيبونها ، او مغانم يتطلعون اليها ، فقد اخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من اموالهم بغير رحمة وعاشوا في المدينة غرباء ، اما ضيوفا على الانصار ، او نزلاء في صفة المسجد (**تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا**) . **٢٧٣/ البقرة .**

وما اروع ما يقول خباب : (هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله) يا لها من غاية تتضاءل دونها كل غاية ، ويعجز عن اللحاق بها كل قصد !! « نريد وجه الله » فهو ـ سبحانه ـ مثلهم الأعلى ، وهدفهم الأسمى ، ومطمح أنظارهم ، ومعقد رجائهم . وبهذا القصد النبيل تتميز هجرة النبي واصحابه ، فلم تكن هجرتهم لغرض او عرض ، فقد علمهم الاسلام ان المؤمن اذا قدم عملا لله ، حرص على ان يكون عمله في الذروة من الاخلاص ، والبعد عن مخالفة الشهوات والرغبات . لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ، وهو يريد وجه الله وحده ، وهاجر حريصا

على ان يبذل من ذات نفسه ، وخالص ماله ابتغاء وجه الله .
فقد روى ان ابا بكر قد جهز عند الهجرة راحتلين ، قدم احداهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي افضلهما ، فقال له الرسول الكريم : (اني لا اركب بعيرا ليس لي) فقال ابو بكر : هو لك يا رسول الله . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (بالثمن) فقال أبو بكر : بالثمن يا رسول الله ، عندئذ قبلها رسول الله ثم ركبها ..
وقد سئل بعض اهل العلم ، لم لم يقبلها الرسول الا بالثمن ، وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقبل ، حتى قال الرسول الكريم : (ليس من احد امن على في اهل ومال من ابي بكر) فقال المسئول : انما فعل الرسول ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله ، رغبة في استكمال فضل الهجرة وان تكون الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما ، واكمل صورهما ، وعلى شعاع من هذه النية الطيبة والقصد الحسن ، مضت الهجرة الى غايتها ناجحة ظافرة ، فكانت فتحا جديدا في تاريخ الانسانية ، وتحولا خطيرا في مسيرة الجماعة البشرية .
يقول الكاتب الاسلامي الرافعي رحمه الله : (حتى اذا كانت الهجرة من بعد ، فانتقل الرسول الى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها ، وكانت خطواته في هجرته تخط في الارض ، ومعانيها تخط في التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب) .
وما دامت هجرتهم لله ، فقد وقع أجرهم على الله ، اوجب ذلك على نفسه بوعده الصادق تفضلا منه ، لا وجوبا عليه ، فلا يجب عليه ـ سبحانه ـ شيء ...
ثم يمضي خباب في حديثه فيقول : فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا ، كناية عن الغنائم التي تناولها من ادرك زمن الفتوح ، والاجر ليس مقصورا على اجر الآخرة ، بل يتناول ايضا ما يناله المرء من متاع الدنيا وحظوظها الطيبة ، وان كان اطلاق الاجر على المال في الدنيا بطريق المجاز بالنسبة لثواب الآخرة ، فمن الصحابة من ظفر بالأجرين ، فضمن باخلاصه مكانته عند الله في الدار الآخرة ، وأينعت له ثمرته في الدنيا ، أي أدركت ونضجت واستحقت القطف فهو يهدبها (يهدبها بفتح اوله وسكون ثانية وكسر المهملة ويجوز ضمها بعدها هاء اي يقطفها ويجنيها) . اي يجمعها ويقطعها بما فتح الله على المجاهدين من أقطار الأرض . فتهاوت تحت ضرباتهم العروش ، وقد خرت تحت اقدامهم التيجان ، ووضعت في ايديهم مفاتيح خزائن الارض ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل عظيم ، وكان ممن مضوا ولم يأخذوا من اجر الدنيا شيئا ، مصعب بن عمير ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي ، وكان يكني ابا عبدالله ، من السابقين الى الاسلام والهجرة ، كان في

الذروة من قومه جاها ومالا ، كانت أمه « خناس بنت مالك » مليئة كثيرة المال ، ترعى اولادها احسن رعاية ، وتكسوهم احسن الثياب ، وارقها ، فنشأ مصعب بين شباب مكة ، أجملهم وأعطرهم ، يفيض تيها ودلالا ، كان يحيا حياة ناعمة مترفة ، ولا يرى الا ضاحكا مقبلا على الدنيا يأخذ من متاعها بأوفى نصيب .. ثم تمضي الايام ، ويدخل الفتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم ، فيسمع كلامه ، ويعرف حقيقة دعوته ، فيدخل الايمان قلبه . ثم يدعو الرسول اصحابه الى الهجرة الى الحبشة فيهاجر اليها مصعب فيمن هاجر ، مفارقا اهله وعشيرته الى الله ورسوله ... حتى اذا كانت بيعة العقبة الاولى التي التقى فيها اثنا عشر رجلا من اهل يثرب ، بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه على السمع والطاعة ، انفذ معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويفقههم في دين الله فكان اول مبعوث للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأول داعية الى الله ، وقد اسلم على يديه خلق كثير ، فقد كان قوي الحجة ، ذرب اللسان ، جلس مرة في المدينة يدعو الى الاسلام فالتف حوله جمع كبير فبلغ امره سعد بن معاذ واسيد ابن حضير ، وكانا يومئذ سيدي قومهما .

فقال سعد لأسيد : انطلق الى هذا الرجل الذي أتى دارنا ليفتن الناس فازجره حتى ينتهي ، فذهب أسيد يكلم مصعبا .

فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته تركته ؟ فقام من مجلسه مسلما وعاد الى سعد بوجه غير الذي تركه به ، فغاظ ذلك سعدا فقام هو الى مصعب فكان أمره كأمر صاحبه ، وكان من اثر ذلك ان ذهب سعد الى قومه فقال لهم : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا وإيمانا ونقيبة قال: فان كلام نسائكم ورجالكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فأسلم بنوعبد الاشهل جميعا رجالا ونساء !

واننا لنعجب حين نعلم ان مصعبا هذا الذي نشأ في الترف ، وشب في الدعة والدلال ، صار بعد الهجرة في قلة ، وعاش وهو صاحب الثروة العريضة في شظف من العيش وخشونة من الحياة .

روى الترمذي عن علي كرم الله وجهه قال : بينما نحن في المسجد اذ دخل علينا مصعب بن عمير وما عليه الا بردة مرقوعة بفروة ! فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه للذي كان فيه من النعم ، والذي هو فيه اليوم ! وعاش مصعب بن عمير تلك السنين العجاف التي مرت بالمسلمين راضيا بما يلقي في ذات الله ، حتى اشتعلت نار الحرب بين قريش والمسلمين في بدر فكان مصعب من أبطالها المجاهدين .

ولما كانت غزوة أحد ، كان مصعب حامل لواء رسول الله يومئذ ، فثبت به ثبوت الرواسي حتى اقبل عليه عبدالله بن قمئة فضرب يده اليمنى فقطعها

ومصعب يقول : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) آل عمران / ١٤٤ وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ابن قمئة فقطع يده اليسرى ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه على صدره وهو يقول : **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)** ثم حمل عليه بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء ، ثم وقف الرسول الكريم على الشهداء وهو يقرأ قول الله تعالى : **(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)** الاحزاب/٢٣ . ثم حمل اليه مصعب بن عمير ، فنظر اليه الرسول الكريم وقد تذكر أيامه الماضيات في مكة فقال : (لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ، ولا أحسن لمة منك ثم أنت مشعث الرأس في بردة !!! ثم أمر به أن يقبر ـ واللمة بكسر اللام المشددة ، الشعر يلم بالمنكب أي يقرب منه ويتدلى .

ولم يترك مصعب من دنيا الناس إلا نمرة (النمرة ـ بفتح النون وكسر الميم ـ إزار من صوف مخطط أو بردة) ـ كفن بها فكان الصحابة اذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه ، واذا غطوا رجليه بدا رأسه ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغطوا رأسه وان يجعلوا على رجليه شيئا من انخر (الانخر بكسر الهمزة والخاء ـ نبات طيب الرائحة) وهكذا فارق الدنيا اكبر مجاهد ، واخلص داعية ، واكرم مهاجر .. ثم يكرمه الله فلا ينال من الدنيا حتى الكفن السابغ الذي يلف بدنه ، فيلقي ربه وقد غطى رأسه بنمرة بالية ، ورجليه ببعض حشائش ، وذلك لهوان الدنيا على الله فلو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ، ما طواها عن رجاله ، وما سقى الكافر منها جرعة ماء !

ومن أحكام هذا الحديث أن الشهيد الذي قتل بأيدي الكفار وهو يقاتل دفاعا عن الاسلام لا يغسل ـ حتى وان كان جنبا ـ ويكفن في ثيابه الصالحة للكفن ، ولا يصلي عليه ، لأن الصلاة شفاعة والشهداء في غنى عنها لأنهم يشفعون لغيرهم كما ان الشهداء يدفنون في دمائهم فلا يغسل منها شيء ففي الحديث الذي رواه أحمد رضى الله عنه : (لا تغسلوهم ، فان كل جرح او كل دم يفوح مسكا يوم القيامة) .

والكفن لغير المحرم أقله ثوب يستر كل البدن إذ الميت كله عورة ، وان كفن من تركته ولا دين عليه ، استحب في ثلاثة أثواب بيض ، فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة .

اما المرأة فيستحب ان تكفن في خمسة اثواب . واما المحرم فيكفن في ثياب إحرامه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما رجل واقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، إذ وقع عن راحلته فوقصته (أي دقت عنقه فمات سريعا) فقال صلى الله عليه وسلم : (اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا) .

هذا وينبغي ان يكون الكفن حسنا دون مغالاة في ثمنه ، وقد ينساق بعض الجهلة وراء التظاهر حتى في مجال الموت ، فيكفنون موتاهم في أفخر الثياب وأغلاها ، يتباهون بعرضها أمام الناس لحظات ، ثم يغيبونها في باطن الأرض ، فتصير نهبا للتراب والصديد .

إن من السفه أن يتكلف المرء في ذلك ما مصيره الفناء والهلاك . يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود : : (لا تغالوا في الكفن فانه يسلب سلبا سريعا) .

ورحم الله أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقد أوصى عند موته أن يكفن في ثيابه فقال : « اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيها » فقالت له عائشة : إن هذا خلق (غير جديد) فقال : (إن الحي أولى بالجديد من الميت إنما هو للمهملة) بضم الميم وكسرها ـ القيح والصديد الـذي يذوب فيسيـل من الجسد ـ .

اللهم أرنا الحق حقا وأرزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا إجتنابه ونسألك حسن الاتباع ونعوذ بك من شر الابتداع .

مرحبا بالضياء

تلقينا العدد الأول من مجلة « الضياء » التي تصدرها الأوقاف والشئون الاسلامية « حكومة دبي » في غرة كل شهر عربي . ومع مطلع هلال الشهر الأول للمجلة صافح القراء في أنحاء العالم الاسلامي والعربي العدد الأول وهو باكورة عمل جاد مخلص وأولى ثمرات عزم أكيد لمتابعة السير على طريق الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والكلمة الهادية التي تعرض وجه الاسلام المشرق في بيان رائع ، وأسلوب يتفهمه ابناء هذا العصر والعدد حافل بالموضوعات القيمة التي فاضت بها أقلام كتاب غيورين على الاسلام ، حريصين على نشر مبادئه في آفاق الدنيا ، لتأخذ في ظلها سيرها الآمن وقرارها المطمئن .

ومجلة « الوعي الاسلامي » اذ ترحب بالزميلة « الضياء » تدعو الله لها وللقائمين عليها بالتوفيق والسداد والى الامام نحو مستقبل مشرق في خدمة الاسلام والمسلمين .

الوجود الضائع للأمة الإسلامية

للدكتور محمد البهي

* يسود الوجود القائم للأمة الاسلامية اتجاهان ينتميان الى مصدرين من مصادر التراث البشري في الفكر ، والتوجيه :

أ – احد هذين المصدرين وافد من الغرب والشرق الأوروبي . وهو مصدر العلم في عديد من المجالات .. والتطبيق الصناعي له في الأجهزة والآلات ، وفي السلع المصنوعة .. كما هو مصدر القيم المضطربة في سلوك الانسان ، وفي العلاقة في الأسرة والمجتمع .

ب – وثاني هذين المصدرين يمثل تراث الأمة الاسلامية في سلوك المسلم في أمته الاسلامية ، وفي علاقة الانسان بالانسان في الأسرة والمجتمع .

* * *

* والشرق الاسلامي أو الوجود القائم للأمة الاسلامية يستقبل في اكبار وتقدير ما يصدره الغرب من علم ومعرفة تجريبية ، وما ينشأ عن تطبيق ذلك من أجهزة وآلات ، وسلع مصنوعة . ليس لأن له حاجة اليها فقط في حياته القائمة ، ولكن لأنه يسعى كذلك مستقبلا لأن يساوق الغرب في علمه التجريبي ، وتطبيقه الصناعي ، كي يزيد في رفع مستوى معيشته ، وكي يتمكن يوما ما من استغلال ثروته الخاصة : ما على سطح الأرض وما في باطنها .

والاكبار في استقبال الشرق الاسلامي لما يصدره الغرب من علم تجريبي ، وأجهزة وآلات : يصور مفترق الطريق بين الكتاب والمفكرين في الشرق الاسلامي :

بعض من هؤلاء الكتاب والمفكرين يرى أن هذا الذي يصدره الغرب من علم وصناعة هو المدخل لحضارة انسانية عربية متكاملة . فكما يستقبل العلم ، وتستقبل الصناعة الغربية هنا في الوجود القائم للأمة الاسلامية في اكبار واعجاب ، وكما لهذا وذاك من النفع ما يعد ضرورة في حياة الانسان ، أي انسان : كذلك يجب أن تطلب الجوانب الأخرى من الحضارة الغربية حتى تمكن الاستفادة من معرفة الغرب وتطبيقه لهذه المعرفة في مجال الصناعة . والحضارة الغربية عدا جانب العلم

والصناعة ، لها جوانب أخرى :
أ ـ لها جانب السياسة ، ونظـام الحكم .
ب ـ وجانب السلـوك الفـردي في الحياة الخاصة والعامة .
جـ ـ وجانـب الأسرة والأحـوال الشخصية .

* ففي جانب السياسة في الحضارة الغربيـة تعلن هذه السياسـة عن « الفصل » بين الدين والدولة . أي تبعد الدين عن سياسـة الدولـة . والواقع هي لا تبعد الدين . ولكن تبعد الكنيسة وحكومتها عن أن تكون هي المحرك لسياسة الدولة . فسياسـة الحضارة الغربية لا تبعد المسيحية كدين عن أن تكون ذات تأثير على توجيه الدولة في سياستها ، والفصل في الواقع في سياستها هو فصل بين سلطتين أو بين حكومتين : حكومة الهية هي حكومة الكنيسة ، وحكومة بشرية وهي حكومة الدولة ، ولو أن سياسة الحضارة الغربية كانت تبعد المسيحية في سياسة الدولة لما رخصت للكنيسة بتعليم خاص تشرف عليه ، ولما رخصت بقيام حزب مسيحـي ديمقراطي يمارس سياسة الحكم ، ولما باشرت تحصيل الضرائب التي تفرضهـا الكنيسـة على المواطنـين والتابعين لها .

نعم : في الكتلة الشيوعية تبعد سياسة الحضارة الغربية : الدين .. وحكومة الكنيسة معـا ، وتحـارب وجود أي منهما في موقع من مواقع الدولة .

ونظام الحكم في الحضارة الغربية هو أحد نظامين : النظام الرأسمالي .. والنظام الماركسي اللينيني . فالنظام الرأسمالي يقوم على أساس الحرية الفرديـة في ملكيـة المال وطريـق استثمـاره . والنظـام الماركسي اللينيني يدعو الى حظر الملكية الفردية للمال . واحلال ملكية الدولة محل الأفراد . فالأفراد عمال وأجراء فيما تملكه الدولة . والدولة يمثلها الحزب الشيوعي وحده .

* وجانب الأصل في السلوك الفردي في الحياة الخاصـة والعامـة ، في الحضارة الغربية : يختلف من نظام للحكم فيها الى آخر . نعم يتميز كل منهما باتجاه خاص في النظرة الى ملكية المال . وعلى هذا الأساس يمكن أن يقـال ان الاختـلاف بينهمـا اقتصادي . ولكن هذه النظرة واقعها ذات صلـة وثيقـة بـ « الحريـة الفردية » ومضمونها ، وحدودها .

ففي ظل النظام الرأسمالي يتمتع الفـرد بحريـة شخصيـة واسعـة النطاق . ليست فقط في تملك المال ، ومباشرة استثماره . ولكن أيضا في السلـوك الخـاص ، وفي الحيـاة العامة . فالفرد هو حجر الزاوية . وهو الهدف في هذا النظام . بينما النظـام الماركسي اللينينـي يلغـى استقلال الفرد ووجوده الخـاص ، وينظر اليه على أنه « جزء من كل » . أي أنه يتحرك بحركة « الكل » فقط . و « الكل » انن هو حجر الزاوية ، وهو الهدف في هذا النظام . وارادة الفرد هي ضمن ارادة الكل . وحرية الفرد في اطار حرية الكل أو ما يسمى

بالمجتمع . وحرية المجتمع يتلقاها من رياسة الحزب الشيوعي .

وتطبيقا لهذا الاختلاف بين النظامين نجده يبرز فقط في اعلان الرأي ، وحق التدين ، واختيار العمل . فنظام الحكم الرأسمالي يتيح الفرص العديدة ، وبمختلف الوسائل ، لاعلان الرأي في سياسة الدولة وصلاحية الحكم أو عدم صلاحيته ، وتأليف الأحزاب السياسية ، وحق الانتماء الى أي دين واقامة دور العبادة ، والجمعيات الدينية ، والنوادي المختلفة ، واختيار أية مهنة . لكن الحزب الشيوعي في نظام الحكم الماركسي اللينيني يمنع الأفراد منعا لا هوادة فيه من ابداء الرأي في سياسة الدولة ، وحق ممارسة الشعائر الخاصة بأية عبادة من العبادات الدينية ، وحق اقامة الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية ، وحق اختيار العمل .

وما عدا مجال الرأي وحق الانتماء الى الأديان واختيار العمل فانه لا تبدو مفارقة مميزة بين نوعي السلوك الشخصي في كلا النظامين . ذلك لأنه اذا كان النظام الرأسمالي من قاعدته العريضة في النظرة الى الحرية الفردية : يترك للفرد الحرية الشخصية في علاقة الرجل بالمرأة ، وبسلوك كل منهما في حياته الخاصة ، وبموقف كل منهما مما يستمتع به ، فان قيادة الحزب الشيوعي لحساب الكبت في جانب الرأي ، والتدين ، ونطاق العمل ، ولأسباب أخرى تحمل الانسان على أن يتنازل عن استقلاله وتطلعاته كانسان : تطلق له العنان في علاقة الرجل بالمرأة ، وبالاستمتاع بما يتاح له من امكانيات مادية حسبما يهوى الانسان ويشاء .

فالسلوك الشخصي — وبالأخص السلوك الجنسي — يدخل دائرة الحرية الشخصية في نطاقها الواسع . وليس هناك في أي مجتمع في النظامين ، كنتيجة للعلاقات الجنسية : طفل شرعي وآخر غير شرعي . فالأطفال سواء في نظر القانون ، والرعاية الاجتماعية قائمة ومباحة لكل طفل .

والاجهاض ، رغم معارضة الكنيسة له ، في النظام الرأسمالي ، يكاد يكون اليوم ظاهرة اجتماعية عامة في الحضارة الغربية .

* والفصل بين الزوجين في النظام الماركسي اللينيني إن مال الى اليسر ، فانه في النظام الرأسمالي يتجه الى التشدد . نظرا الى أن الأحوال الشخصية تكاد تكون دائرة مغلقة للكنيسة .فهي مجال التبعية لها وممارسة السلطة الالهية فيها . بينما الزواج الديني أو الزواج الكنسي أمر ممنوع في نظام الدولة الماركسية اللينينية .

* * *

ويقول هذا البعض من الكتاب والمفكرين في المجتمعات الاسلامية الحاضرة ، اذا كان من الضروري أن نستفيد من علم الغرب وتجاربه في الصناعات التطبيقية فمن الضروري

أيضا أن نقلده :
في السياسة ونظام الحكم .
وفي جانب السلوك الفردي في الحياة الخاصة والعامة .
وفي جانـب الأسرة والأحـوال الشخصية .

وأخذا بهذا التقليد : يجب ــ في نظره ــ أن نأخذ بمبدأ « العلمانية » أو بمبدأ الفصل بين الدين والدولة ، في سياسة الدولة في الوجود القائم للأمة الاسلامية . وبما ان الاسلام ليست له سلطة الهية كسلطـة الكنيسـة وحكومتها ، فان تطبيق العلمانية أو مبدأ الفصل بين الدين والدولـة في المجتمعات الاسلامية معناه :ابعـاد الاسلام عن سياسة الدولة . وعندئذ يصير الفصل بين الدين والدولة في هذه المجتمعات أقرب الى الظاهرة الموجودة في المجتمعات الماركسية اللينينية أو المجتمعـات الشيوعيـة . ومجـال الاسـلام اذن في هذه المجتمعـات الاسلامية يجب أن يكون في المساجد وحدها ، ولكن بحيث لا يتصل بشأن من شؤون الدولة .فهو يجب أن يعيد اهتمامه فقط بالعلاقـة بـين اللـه والانسان المؤمن به .

وتطبيـق العلمانيـة ، أو مبـدأ الفصل بين الدين والدولة على هذا النحـو : قائـم الآن في كثـير من المجتمعـات الاسلاميـة . فأمـر المسلمين في المجتمعات الاسلامية ، فيما يتعلق بممارستهم الايمان بالله يخضع خضوعا كامـلا لسياسـة الدولة . والدولة هي التي تشرف على معاهد التعليم الديني . والدولة هي التـي تتـولى ادارة الأوقـاف الاسلامية . والدولة هي التي تتصرف في شأن مشيخة الاسلام أو منصب امام الأئمة . والدولة هي التي ترسم الطريق لجعل الاسـلام في خدمـة السياسة . والدولة هي التي توجه الاسلام في وسائل الاعلام . والدولة هي التي تراقب ما يكتـب باسـم الاسلام . والقرآن اذا كان كله هو كتاب الله فالدولة قد تبيـح تلاوة بعضه ، وتحرم تلاوة البعض الآخر منه . والأحزاب التي تمثل سياسة الدولة تبعد الاسلام عن أن يمارس أحد باسمه توجيها في سياسة الدولة بينمـا يوجـد فيهـا ما يسمـى « باليسار » . واليسار هو الاتجاه الذي يؤيد « الالحاد العلمي » وينشر الفوضى الخلقية في سلوك الشبان وفي علاقة الرجل بالمرأة .

والاسـلام لا يعـرف الحكومـة الالهية لأن عصمة الانسان غير قائمة في نظره . فالانسان اذا تولى الحكم بالقرآن فهو مجتهد في تطبيق مبادئه : يخطئ ويصيب . وعصمة القرآن لا تمتد الى الانسان المؤمن به . وعصمة الرسول عليه السلام كانت فيما يبلغه من الوحـي : (**ومـا ينطـق عن الهوى . ان هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى**) النجم ٣ ــ ٥ .

أما في نظام الكنيسة فرئيسها له العصمة . منذ أن يصبح رئيسا لها . وما ينطق به يلتزم به المؤمنون بها ، فهو لا يقبل المراجعة . ومن هنا كانت حكومة الكنيسة حكومة الهية . أي معصومة عن الخطأ . ومن يتصور

من الكتاب في المجتمعات الاسلامية : ان الحكم بالاسلام حكم الهى فقد تصور خطأ . اذ هناك فرق واضح بين الحاكم بالقرآن .. والقرآن ذاته . فالحاكم انسان غير معصوم ، والقرآن كتاب الله معصوم . ولا يعرف الاسلام : « حلول الله » في الانسان ، حتى يكون هذا الانسان يوما ما مستحيلا عليه الخطأ ، بحلول الله فيه .

* وفي نظام الحكم تأخذ الآن المجتمعات الاسلامية فعلا في وجودها القائم اما بالنظام الرأسمالي .. أو بالنظام الماركسي الاشتراكي . وهي كلها موزعة على هذين النظامين . وفي تبعيتها لهذين النظامين لا تسد فراغا فيها لا يستطيع ان يشغله الاسلام . وانما تأخذ بأحد هذين النظامين لأنها أكرهت على الأخذ به . ومصدر الاكراه لها هو ضعف صلة الطبقة الحاكمة بالمبادئ الاسلامية من جهة ، وخشيتها من أن ينالها حكم الاسلام بعدم الصلاحية للحكم من جهة أخرى .

فالاسلام له نظرة خاصة الى المال . ليست هي نظرة الرأسمالية .. وليست هي نظرة الاشتراكية الماركسية . فالملكية للمال في الاسلام ملكية خاصة ، ومنفعة المال الخاص فيه منفعة عامة . وتقوم هذه النظرة على مبدأين :

المبدأ الأول : استخلاف الانسان في الحياة الدنيا على المال ، وتفويضه من المالك الحقيقي ، وهو الله ، في جمعه ، وتنميته ، واستثماره ، وانفاقه : **(آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير)** الحديد / ٧ . وعلى هذا المبدأ تتأصل الملكية الخاصة للمال . أي تكون هي الأصل ، ولا يخرج عن هذا الأصل الا للضرورة . كضرورة الحفاظ على وحدة الأمة ، على نحو ما صنع عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ حبس سواد العراق على خير الأمة كلها ، بدلا من توزيعه على المشتركين في القتال كما هو القاعدة في قسمة الغنائم ، بعد أن رأى أن التوزيع سوف يكون مثار حقد ، ومصدر فرقة بين المسلمين .

والمبدأ الثاني : أن منفعة هذا المال الخاص هي منفعة عامة للمالك ولغيره من أصحاب الحاجة في الأمة . أي لا تستتبع الملكية الخاصة للمال : المنفعة الخاصة به لمالكه : **(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون)** النحل / ٧١

فالآية تقرر ثلاث حقائق :

الحقيقة الاولى : أن الناس متفاوتون في الرزق أو في المال . ولهم مستويات مختلفة في ملكية المال : فيهم الثرى .. وفيهم من يملك الكفاية منه .. وفيهم من لا يملك وصاحب حاجة اليه . وهي حقيقة تمثل الواقع ، كما تمثل خصيصة الطبيعة البشرية في التملك .

الحقيقة الثانية : أن الذين يعطون من

منفعة أموالهم لآخريـن معهـم في المجتمع لا يحق لهم التملك للمال ، وهم الأرقاء ، لا يعطونهم في واقع الأمر من نصيبهم هم في المنفعة الذي لهم في الأموال . وانما يعطونهم من المنفعـة بصفـة عامـة التـي هي للأموال .

الحقيقة الثالثـة : ان من يملك المال ، ومن لايملك المال : سواء في وجوب المشاركة في منفعة المال الذي هو بيد البعض دون البعض والذي استخلفـه اللـه عليـه في انمائـه واستثماره وانفاقـه . ومـن ينـكر المساواة في منفعة المال بين صاحبه وصاحب الحاجة اليه ، فهو ينـكر نعمة الله عليه . ولذا مانع الزكاة يقاتل حتى يخرجها ... والسفيـه تنزع امواله من تحت يده على ان يعطى حصة من منفعتها او يعمل فيها ليرتزق من عمله فيها : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)** النساء / ٥ فنسبت الاية اموال السفهاء الى المسلمين جميعـا لعمـوم منفعتهـا ولتبرير انتزاعها من ايدي اصحابها بسبب السفه .

ونظـرة الاسـلام هذه الى المال لاتجعل لاصحاب الاموال حرية مطلقة في التصرف لا في المال ولا في منفعته بل تصرفهم في المال وفي منفعته مرهون بحدود التفويض الصادر من اللـه المالك الحقيقي والى المستخلف عليه . وتفويضه في التصرف هو ما جاء في القرآن . وما جاء في القرآن : منه ما هو خاص بانفاق المالك على نفسه وهو حد الاعتدال : **(ولا تجعـل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسـورا)** الاسراء / ٢٩ ومنه ما هو خاص باصحاب الحاجة : وهو عدم الارجاء في توصيل حقوقهم في منفعة المال اليهم : **(وآت ذا القربـى حقـه والمسكين وابن السبيـل ولاتبـذر تبذيرا)** الاسراء / ٢٦ اي لا تكن سفيها في المال فتنفقه في غير نفع لك او للمسلمين . **(إن المبذرين كانـوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهـم قولا ميسـورا)** الاسراء / ٢٧ و٢٨ .. **(وهو الـذي انشـأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والـزرع مختلفـا أكلـه والزيتون والرمان متشابها وغـير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمـر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الانعام / ١٤١ ومنه ما هو خاص بانماء المال فلا تكون وسيلة انمائه غير مشروعة كالتعامل بالربا ولو بادنى درجاته لان الربا وهو يقوم على انتهاز حاجة الغير يؤدي الى اضراره . والاضرار بالمال ضد وظيفته الاجتماعية التي تتمثل في منفعة العامة للمالك ولغير المالك على السواء وحرمة الربا لاتقوم فقط على تفويت المال لوظيفتـه الاجتماعيـة بسبب الحرمان من منفعته بل لانه

كذلك يوصل الضرر الى الاخرين .
واذن حدود هذا التصرف المأذون فيه في المال هو :
* الاعتدال في الانفاق الخاص .
* توصيل منفعته لاصحاب الحقوق فيها في غير ارجاء .
* عدم الاسراف او عدم السفه في انفاق جزء منه ولو قليلا والاسراف او السفه في المال هو انفاقه في محرم ولو كان قليلا كانفاقه في مسكر او في منكر كالقمار وفيما هو ضد مصلحة المسلمين كمساعدة اعدائهم او التآمر معهم عليهم ...
* عدم استخدام الربا في انمائه .
ولان الملكية الخاصة هي اذن الاصل الثابت في الاسلام كان التدخل في هذه الملكية بالحجر على بعض المال أو الحجر على منفعة بعضه فضلا عن الحجر عليه كله او الحمل على تركه او ترك بعضه للدولة : امرا لايقره الاسلام : **(قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم)** الانعام / ١٤٥ .

فالقرآن يرد بهذا التبليغ الالهي على ما كان شائعا ومعروفا في سياسة الكهنة . وسياسة الكهنة تمثل ما يسمى بسياسة الحكومة الدينية في الماضي . وكانت هذه الحكومة في العهد الجاهلي او العهد الوثني المادي تتدخل في الملكيات الخاصة . ويحكى القرآن هذا التدخل في عدة صور :

* التدخل باخذ نصيب من المحاصيل الزراعية او من الثروة الحيوانية باسم البر او الخير يعطي للكهان ولكن يحتفظون به لانفسهم لانهم القائمون بالسياسة : **(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون)** الانعام / ١٣٦ .
* منع التصرف في بعض انواع معينة من الثروة الحيوانية ومن المحاصيل الزراعية ، الا باذن من الكهان : **(وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون)** الانعام / ١٣٨ .
* التدخل فيما يباح وما لايباح في الاكل للنساء دون الرجال أو النساء والرجال معا : **(وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم)** الانعام / ١٣٩ .
* التدخل فيما يستخدم من الحيوان في فترة معينة في الحمل والركوب وما لا يستخدم مما هو مملوك للناس : **(ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون)** المائدة / ١٠٣ .
فالقران ينقل عن الله هنا : ان ما

يملكه الناس من ثروة ومال ، ممثلا في الزراعة أو الحيـوان ـ والزراعـة والحيوان يمثلان اساس الاقتصاد العام في كل مجتمع ـ لايجوز التدخل فيه بوجه من الوجوه وينبغـي ان لايكون هناك تدخل بالحل والحرمة في صورة ما يأذن به الله .

نعم يتدخل القرآن بالحل والحرمة فيما يمس كرامة الناس او علاقة بعضهم ببعض على نحو ما يقـول القرآن ـ في سورة الانعام ـ تعقيبا على صنيع الكهـان في الحكومـات الالهية السابقة في قول الله تعالى : **(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالديـن إحسانـا ولا تقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نرزقـكم وإياهـم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلـون . ولاتقربـوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيمـا فاتبعـوه ولا تتبعـوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** الانعام / ١٥١ ـ ١٥٣ .

* وفي جانب السلوك الفردي في الحياة الخاصة والعامة ينصح بعض هؤلاء الكتـاب والمفكريـن المجتمعـات الاسلامية في وجودها القائم : بان تأخذ ما هو شائع في هذا السلوك لدى الغرب او الشرق الاوروبـي وتغض النظر عما يحكيه الماضي الاسلامي من قيم عليا في الحياة السلوكية ، ورغم ان شعوب العالم الاسلامي تبدأ نهضة جديدة تحتاج فيها الى جدية وقوة في الترابط على اساس من المعاني الانسانية التي يوحي بها الاسلام في العلاقات بين المؤمنين به .

ولكن نصح هؤلاء الكتاب والمفكرين بما ينصحون به هذه المجتمعات قائم على الترابط الوثيـق بـين جوانـب الحضارة الغربية ككل لا يتجزأ .

ولا يتصور هذا البعض من الكتاب والمفكرين انه يمكن تقليد الغربي في علمه وتطبيقه الصناعي ، مع احتفاظ المجتمعـات الاسلاميـة بقيمهـا وعلاقاتها بين الافراد القائمة على هذه القيم بل يرون ذلك معادلة صعبـة لايمكن تحقيقها .

وهم فيما يتصورون يصدرون عن الخلافات الطويلة بين الكنيسـة في اوروبا ورجال العلم والمعرفة منـذ القرون الوسطى فيها . وهي خلافات شحنت بالمهاترات وتبادل الاتهامات وسيطرت عليها الرغبـة في التفـرد بالسلطة من جانب الكنيسة او من جانـب الدولـة في المجتمعـات الاوروبية .

ومن الاسـف قصـور المعرفـة بالاسلام عند هذا البعض من الكتاب والمفكرين في وجودنا القائم يجعلـه يقيس الاسـلام على الكنيسـة وتصرفاتها في الغرب بينما الاسلام لا يدعو الا الى ان يكون هناك جانب

انساني يسود العلاقة بين الافـراد ويجعل « الاحسان » في هذه العلاقة هدفا يجب ان يسعى اليه الانسان المسلم كما يسعى الى العدل سواء ، فالاحسان يساوق العدل في الامر به من جانب الله : (**إن الله يامـر بالعدل والاحسان**) النحل / ٩٠ .
وليس الاحسان هو بذل العطاء من المال فقط وانما الاحسان يعم :
* الاحسان في القـول والحديـث : (**وقولوا للناس حسنا**) البقرة / ٨٣ .
* الاحسان في معاملة الوالديـن : (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا**) النساء / ٣٦
* الاحسان في الفرقـة والطـلاق : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحســان**) البقـرة / ٢٢٩ .
* الاحسان في الخصومة : (**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**) المؤمنون / ٩٦
* الاحسان في الجدل : (**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**) العنكبوت / ٤٦
* الاحسان في الدعوة الى الاسلام : (**وجادلهم بالتي هي أحســن**) النحل / ١٢٥
* الاحسان في دفع المغارم والديون : (**فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان**) البقرة / ١٧٨ .
* الاحسان في مباشرة مال القاصر والضعيف : (**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ اشده**) الاسراء / ٣٤ .
فالاحسان هو تعبير عن المستـوى الانساني في كل ما يصدره الانسان المحسن في علاقتـه بغـيره ... هو التهذيب .. هو تجنب ما يسيء ولو بالاشارة ولايمكن ان يكون هنـاك مستوى انساني مع الفوضى والتحلل من الاعتبارات الاخلاقية في المعاملة والعلاقات .
ولا ادري كيف لايمكن الاخذ بعلم الغرب ـ وليس بفلسفته ـ وتطبيقه في مجال الصناعة مع ما ينصح به الاســلام من اداء الواجـب ، والاحسان في القـول ، والعمـل ، والمعاملة ؟
ايستقيـم ذلك فقـط مع شرب الخمر ... ولعب القمار ... وقـول الزور .. واستغـلال الضعيـف .. واللهـو بالنسـاء ... واستباحـة الحرمات الشخصية : حرمـة المال والعرض والنفس والمسكن ؟

* * * *

* ويأتي الان الجانب الاخير الذي ينصح به بعض الكتاب والمفكرين في هذه المجتمعات الاسلامية القائمـة بوجود التقليد فيه لحضارة الغرب مع علمه وصناعته وهو جانب الاسرة او الاحوال الشخصية او جانب الطلاق والزواج وعمل المرأة خارج المنزل .
والغرب ليس له اتجاه واحد في شؤون الاسرة وانما له اتجاهان : اتجـاه الكنيسـة الكاثوليكيـة .. واتجاه اخر وهو الاتجاه الجديد او

الاتجاه الحر الذي يرتبط بعمل المرأة في الخارج او الذي يتأثر بالعامــل الاقتصادي في الحياة الاوروبية .

فاتجاه الكنيسة الكاثوليكية يبارك « الابدية » في الزواج لانه عقد الهي اي يرفض الطلاق وان كان يأخذ لاسباب تشوب صحة عقد الزواج في القليل من الحــالات ، بالغائـــه او بفسخه . ويتيح الفرصة عند اشتداد الخلاف بين الزوجــين لما يسمــى بالانفصــال « البدنــــي » وهـــذا الانفصال البدني يمنــع من زواج الرجل بامرأة اخرى كما يمنع زواج المرأة المنفصلة من رجل اخر وان كان يبيح معاشرة كل منهما لشـــخص اجنبي عنهما معاشرة جنسيــة قد تسفر عن طفل غير شرعي يتبنــاه المجتمع او الدولة .

والزوجة في العقد الكاثوليكي تلحق بالزوج اي ان كيانها يفقد استقلاله في جوانب عديدة وبالاخص فيما يتعلق بالملكية والتصرفات المالية .

واما الاتجاه الجديد الحر فيسعى لان يتخلص من القضــاء في شأن الطلاق . على معنى ان تكون ارادة الزوجين أو رغبتهما في الطلاق ، هي وحدها العامل الحاسم فيــه ، كي يساوق الأمر عندئذ تسجيل الزواج الذي يتم بارادة الطرفين . وفعــلا يحرز هذا الاتجاه تقدما في بعض دول شمال أوروبا ، كالسويد . إذ اعتبرت الدولــة هنــاك ان الطــلاق بارادة الزوجين المشتركة يتم في السجــل المدني دون حاجة الى عرض الامر على القضــاء وينظــر القضــاء فقــط : الحالات التي يتنازع فيها الزوجان حول الطلاق . فالطلاق في الاتجاه الجديد اذن بيد الزوجين .

وهذا الاتجاه منطلق الان نحو إلغاء الزواج كعقد ملزم للرجل والمرأة في الترابط على نحو معين تضمن الدولة تنفيذه واحلال المعــاشرة الجنسيــة الحرة محل عقد الزواج طالما ان المرأة قد تساوت مع الرجل في الخروج إلى الحياة العامة والعمل فيها ، وطالما أن النفقة امر مشترك والعمل في المنزل امر مشترك كذلك الا اذا عمل اي من الرجل او المرأة في المنزل عندئذ يدفع الطرف الاخر نفقة المعيشة للاثنين رجلا او امرأة على السواء .

وبهذا الانطلاق الجديد للاتجــاه الحر في شؤون الاسرة يعفي الرجل وتعفى المرأة نفسها من تدخل الدولة في المعاشرة بينهما . ويبقى للدولة فقط رعاية الاطفــال الناشئــة عن هذه المعاشرة ولا يعني الدولــة في هذه الرعاية ان كان الطفل شرعيا او غير شرعي .

وفي كلا الاتجاهين : تعدد الزوجة لرجل واحد ممنوع . ولكن الزواج « الجماعي » غير ممنــوع وتبــادل الزوجات غير ممنوع واللواط غــير ممنوع والزنا لم يعد سببا للفرقة بين الزوجين كما لم يعد جريمة خلقية على الاطلاق وعلاقة « الصداقة » بــين امرأة متزوجة ورجل اجنبي عنهــا ورجل متزوج وامرأة اجنبية عنه لا تنكرها الحياة الاوروبيــة العامــة وبالاخص في الدول الصناعية بينها .

والمهم ان تكون هناك زوجة واحدة في

عقد زواج لرجل واحد . والتعدد خارج العقد على اي نحو امر غير منكر على الاقل .

ونصيحة بعض الكاتبين والمفكرين في المجتمعات الاسلامية في وجودها القائم هي تقييد الطلاق والغاء الترخيص بتعدد الزوجات .. هي تدخل القضاء في امر الطلاق ، وتدخل التشريع بقصر الزواج في عقد الزوجية على امرأة واحدة .

وفاتت هذه النصيحة : ان الطلاق في الاسلام حل لمشكلة التضرر في المعاشرة الزوجية وهو بيد الرجل والمرأة لها مقابل الطلاق ان تضررت : ان تخلع نفسها والخلع امره معروف وهو في نظر بعض الفقهاء فسخ لعقد الزوجية ، لا يحتاج الى ايقاع الطلاق من الزوج ، بل للقاضي ان يفصل بينهما فصلا غير قابل للرجعة .

.. اي ان الطلاق والخلع كلاهما طريق طبيعي لرفع الضرر في الحياة الزوجية وتقييده او منعه عن غير طريق التهذيب والتربية الاسلامية يخل بهدفه ويصعب امر الزوجية ويشيع اسرارها ويلحق بها اضرارا كثيرة وفاتها ايضا ان تعدد الزوجات رخصة اذن بها الاسلام للضرورة ، اذن بها للحيلولة دون الوقوع في الزنا في صورة ما . وامر الاسرة في الحضارة الغربية لم يمنع تعدد معاشرة الرجل للمرأة معاشرة جنسية في واقع الحياة ، وان منع تعدد الزوجات في الشكل والرسميات . والزنا في هذه الحضارة يكاد يكون وباء عاما كما يكاد تكون النظرة اليه شأنا عاديا .

والان : الم يزل يستوجب الاخذ بالعلم الغربي والصناعة الغربية .. احتضان :

* العلمانية في سياسة الغرب ؟
* واتباع النظام الرأسمالي او الماركسي الاشتراكي في الحكم ؟
* وشرعية الفوضى ، والتحلل ، والاستهتار بالقيم العليا في السلوك الفردي ومباشرة المنكرات من شرب الخمور والقمار وغيرها في الحياة العامة ؟
* ومنع الطلاق وتعدد الزوجات في الاحوال الشخصية واحلال الانفصال البدني محل الطلاق وما يترتب على هذا الانفصال من شيوع الطفل غير الشرعي واحلال الزنا في صوره العديدة محل تعدد الزوجات ؟

ام ان ما يدعو اليه هذا البعض من الكتاب والمفكرين في مجتمعاتنا الاسلامية القائمة من اخذ الوان الحضارة الغربية الاخرى بجانب ما للغرب من علم تجريبي وصناعة تطبيقية : يصور حملة ضد الاسلام مساوقة للحملات الاخرى التي توجه الى الشباب المسلم كي يعف عن الاسلام ويتركه في الماضي البعيد عنه وحده ؟ ام انه يصور جهلا بمباديء الاسلام وعجزا عن فهم مبادئه وتغطية لهذا الجهل والعجز يطلب الاخذ بالوان الحضارة الغربية طالما للعلم الغربي التجريبي وللصناعة الغربية المتقدمة ضرورة في حياة الناس ، كل الناس على وجه هذه الارض ؟

عظمة الهجرة

للاستاذ احمد عبدالمحسن المنشاوي

في هذا الشهر العظيم المحرم الذي يظل المسلمين بهلاله الكريم ـ يحلو لنا أن نتحدث عن الحدث الكبير ـ الذي غير وجه التاريخ وحول مجراه ، وألبسه حللا من المجد والفخار ، وجعل أسطره مقيمة مقدرة ، بعد ان كانت لا شيء يذكر ، خالية تماما من كل تقييم وتقدير ..
إنه حادث الهجرة الكريمة الذي ما زال يملي على الناس في كل مكان وزمان مفاهيم جديدة ، تكشف امام العقل البشري عن شخصية رسولنا الكريم ، وكيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام ـ الانسان والرسول ـ الانسان بما فيه من صفات كاملة فطره الله عليها ، والتي كانت المنبع والمنهل للانسانية الحقة التي أنس لها الوجود ، واطمأنت لها الحياة واستظل في وارف ظلالها الناس جميعا آمنين على اقدس ما يملكون ، واعظم ما يحتفظون وهي إنسانيتهم وبشريتهم ، ، تلك التي ضاعت وضلت الطريق ، حتى في أرقى الأمم حضارة وفي أزهى العصور علما ومعرفة فلم تستطع تلك الحضارات ان تحتفظ لها بأنسانيتها ، وأن تقيم لها بشريتها مثل ما حفظها محمد صلى الله عليه وسلم في كلماته وأحاديثه ، ومثل ما يقيمها الرسول في منهجه وخلقه وشريعته ، والتي حملها إلى الناس من رب العالمين .

إن فلاسفة اليونان وحكماء الاغريق قد اجهدوا انفسهم ليحددوا معنى الانسانية ، ويقيموا معنى البشرية حتى يضعوا في إطار هذا التحديد ، وعلى نمط هذا التقييم قانون الآخلاق ، وضوابط السلوك ، ليكون الانسان مقدسا ، لكنهم غلبوا على امرهم بمادية الحياة وفتنة الملك ـ ففرقوا بين الانسانية واعترفوا في منهجهم الفلسفي والاخلاقي بالطبقية ، والفوارق الاجتماعية والجنسية ، وماكادوا يصلون إلى ما كانوا ينشدونه حتى نكسوا على رءوسهم ...

لكن محمدا صلى الله عليه وسلم اقام صرح الانسانية على خلق وسلوك

ومنهج تطبيقي ، كان الانسان فيه هو خليفة الله في ارض الله ، وكان الانسان فيه هو السيد في هذا الكون ، لا مادية تحكمه ، ولا جاه يستعبده ، ولا بغى ولا ظلم يقهره ويستبد به .

كل هذا واكثر سنتبينه حين نتحدث عن الهجرة بل عن الهجرات التي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

معنى كلمة الهجرة وما توحي به

إن للغة العربية دخلا كبيرا في تحديد الاطار المعنوي للكلمة ، وهذا أمر لا بد من ادراكه خصوصا في كلمة الهجرة تلك الكلمة التي هي من جوامع الكلم وإن تجاوزنا في التفسير نستطيع ان نقول : إنها كلمة واحدة تتسع لأكثر من معنى .

فهناك كلمة هجر وكلمة هاجر وكلا الفعلين يجتمعان في مصدر واحد هو كلمة هجرة وتصريف الكلمة الأولى هجر يهجر والمصدر هجرة وأيضا كلمة هاجر يهاجر والمصدر هجرة : ولكن ما يوحي به الفعل الأول غير ما يوحي به الفعل الثاني . فان الفعل الأول هجر معناه يدل على الانتقال الروحي ، كما يدل على الاحتجاب والتجنب للشيء الذي يراد هجره ، مع البقاء في البيئة ـ فهو لا يقتضي في معناه الانتقال الجسمي ولا الانتقال بالحركة ولا الترك للمكان ـ وأما الفعل الثاني هاجر فانه يقتضي معنى واحدا هو الانتقال الجسمي والانتقال بالحركة والبعد عن الوطن والمكان والبيئة ، ولقد اجتمع كل من المعنيين للفعلين في المصدر الذي اتحدت فيه التصريفات الفعلية .

وبهذه المراجعة البسيطة لهذه المفاهيم نرى ان الهجرة ما هي الا ـ قوة وعزم واعداد ـ قوة في شخصية المهاجر ، وعزم على المضي منه في السير على الطريق الذي يدعو اليه وينشده ، واعداد لنصرة دعوته او رأيه أو عقيدته ، ، وعلى ذلك لا يمكن ان يوصف المهاجرون الذين هاجروا مرات في الاسلام قبل الهجرة الى المدينة بالضعف ولا بالهوان ولا بالفراغ امام قوة كانت تخيفهم وترهبهم ، ذلك لأن هذه الصفات لا يمكن ان تكون إلا في المتخاذلين ، وهم ليسوا بمتخاذلين .. لانهم بدلوا دين آبائهم بدين الحق ، وجهروا به في زحمة الطغيان والشرك ، وصولجان الملك وقوة المادة ، ولم يتخاذلوا ولم يستسلموا ، بل كانوا قوة في نظر المشركين تؤرق مضاجعهم وتقلق راحتهم ، وتنغص حياتهم ولقد شهدوا لهم بذلك : ولو كانوا في نظر المشركين غير ذلك ما سهرت عيونهم على مراقبتهم ، وما عقدت نواديهم على محاربتهم ، ولكان الامر عليهم سهلا ميسورا ، خصوصا إذا علمنا ان من بين صفوف المهاجرين من كانوا عبيدا للمشركين ، لا يزالون يملكون رقابهم ولم تتحرر بعد .

وكذلك المهاجر قوة إرادية قد عجز التاريخ عن الترجمة لها ـ وألقى بأقلامه بعد ان تجمدت في ايدي اصحابها .. والدليل على ذلك اننا لو نظرنا إلى الحياة التي انتقلوا إليها

بعد إسلامهم ، والحياة التي كانوا فيها وهم على دين الشرك ، لوجدنا ان الحياة الثانية لهم ـ كانت حياة شظف وحرب وتعذيب وترصد لهم : واي نفس بشرية ترضى بذلك إن لم تكن نفسا قد هاجرت بدافع من قوة ارادية نابعة من نفس راضية ، مؤمنة بأفضلية ما انتقلت اليه ـ وحسبك شاهد انه كان من بين صفوفهم العبيد الذين ذاقوا رغد العيش ، وطيب المقام في كنف اسيادهم ـ قد رضوا بالحياة الثانية واستصغروا كل متاع كانوا فيه بما ادركوه من قوة إرادية ، ، وإرادة قوية في ظل الدين الجديد ، وفي ظل التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم .

الهجرة الاولى والثانية وما حققتهما من نتائج للاسلام

يحدثنا التاريخ الاسلامي ان الرسول الكريم حين بدأ بالدعوة آمن بها نفر قليل من الناس ، وقد خرج هؤلاء النفر من بين صفوف المشركين ليكونوا الصف الاول للدين الجديد ، ولما كانت الدعوة مدركة من المشركين على انها حدث مفاجىء وحدث جديد ـ يذيب ما كان لهم من كبرياء وسلطان انبرى هؤلاء المشركون من اللحظة الأولى لفتنة هذا النفر الذي آمن بالله وبالدعوة واشتد إيذاء المشركين لهم ، واشتد مع الايذاء التنكيل بهم ، حتى استشهد اول شهيد في الاسلام وهو عائلة ياسر تلك العائلة التي ضربت بسهم وافر في الايمان والتضحية والاستشهاد وما كان يملك لهم المسلمون في تلك الآونة ولا رسول الله شيئا إلا تلك الكلمات التي خلدها التاريخ وقالها الرسول لهم وهم يلقون الموت واحدا بعد الاخر : (صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة) .

واضطر المسلمون إلى الهجرة ، واذن لهم الرسول الكريم بالهجرة إلى الحبشة ، فهاجر منهم نفر ، وبقى في مكة منهم نفر .

وهنا يجب ان نرجع بأمانة التاريخ والعلم إلى الوقوف لحظة مع هؤلاء المهاجرين ، فلسنا في هذه المحاضرة نريد سرد قصة الهجرة سردا تاريخيا فقط ـ ولكن نريد ان ننفذ بالتعميق إلى شخصية المهاجر ـ وإلى تقييم العمل الذي وكل إليه خصوصا إذا علمنا ان الهجرة قد اتجهت إلى الحبشة ـ وهي ليست دار إسلام ولا دار رحم ، واذا علمنا ان المهاجر سينفذ ألى هذا البلد بعد ان يمر على بلاد اخرى ودول أخرى ، قد تعددت فيها المعتقدات وتعددت فيها اللهجات واللغات ، واكبر من ذلك قد تعددت فيها المناهج الدينية والاخلاقية ـ فأول بلد هي اليمن المسيحية والتي تتبع الفرس في الادارة والتنظيم ، ثم السودان الجنوبي ، ثم الصومال ، وهما على دين الوثنية بل وعلى أديان اخرى لم تتصل بالرسالات السماوية ، ثم إلى الحبشة المسيحية وفيها الامبراطور النجاشي وهو

الوكيل الأول للمسيحيين . كل هذا يحملنا على الوقوف بالدرس قدر ما في طاقتنا العلمية أمام شخصية المهاجر خصوصا إذا علمنا انه ممثل للرسول في هذه الهجرة ـ وأنه صاحب دين يتعارض مع أصحاب هذه البلاد التي يسير عليها .

لقد جرت العادة بأن الأمم ترسل سفراء لها يمثلونها في الدول الاخرى ويكونون حلقة الاتصال والتعارف والترابط بينها وبين تلك الدول ـ وفوق ذلك إن استطاع سفراء ان ينقلوا شيئا من الانظمة السياسية او المذاهب السياسية التي تدين بها اممهم إلى تلك الدول تكون مهمة السفير لدى دولته قد اصبحت ناجحة كل النجاح .

وليس كل انسان يستطيع ان يقوم بهذا التمثيل ، وان يؤدي السفارة حق الاداء ، لذلك تجهد الامم نفسها في انتقاء رجال من بين صفوف رعيتها يكونون اهلا لتحمل هذه المسئولية ، وتكون قد توافرت فيهم صفات اقلها تلك الصفات التي تعارف عليها الناس باسم الصفات الدبلوماسية ـ وهي السياسة وحسن التخاطب والتصرف ـ .

والمهاجرون إلى الحبشة هم في الواقع سفراء للدعوة الاسلامية وممثلون للدين ولشخصية الرسول الكريم ـ إذن فلا بد من ان تتوافر في المهاجرين تلك الصفات التي هي للسفراء ـ والتي ابرزها دبلوماسية الشخصية .. او الشخصية الدبلوماسية .

وقد تكون مهمة السفراء سهلة ميسورة ذلك لانهم لا يمكن لهم ان يدخلوا بلدا الا باذن من حكومتها ، اما المهاجر فهو سفير عليه ان يخلق لنفسه على طريق الهجرة صفة القبول لدى الدولة المهاجر إليها وعليه ان يخلق لنفسه قوة الشخصية وقوة التأثير ليستطيع اجتياز البلاد التي سيمر عليها إذن فليس هو انسان عادي قد تعارف على دين فاعتنقه ، بل هو شخصية دبلوماسية ، وقد امن له الرسول صاحب الرسالة على ان يكون ممثلا له تمثيلا شخصيا وتمثيلا سياسيا ، وإذا كانت الشروط في التمثيل الشخصي للملك او رئيس تقتضي ابراز اهم الصفات التي تحدد الاطار الصادق لهذا الرئيس او ذاك الملك فمن الصعب جدا ان يكون هناك من يمثل اطار الرسول الكريم الا ما اطمأن اليه الرسول في هذا التمثيل وهم المهاجرون .

تقييم العمل المنوط بهم « بالمهاجرين »

قد تكون النظرة البسيطة والضوء البسيط الذي يلقيه الانسان العادي على العمل المنوط به هؤلاء المهاجرون هو مجرد طلبهم لأرض بعيدة يكون بها امان اكثر ، وحسن جوار اكثر ـ ولكن النظرة من العلماء تختلف تماما مع هذه النظرة البسيطة لهذا العمل الجليل ، فالمهاجرون قد التقوا على

الهجرة اولا بأهل اليمن ، وهم متصلون بهم عن طريق الأرحام ، وفي مقدورهم آنذاك استضافتهم وحسن جوارهم ومنعتهم ، لكن ما كانت اليمن محط رحالهم إنما كانت الحبشة .

إذن فطول الطريق الذي كلفوا ان يقطعوه ، وبعد البلد الذي حدد لهم ، يظهر لنا طبيعة العمل الذي نيط بهم (إنه التبشير بالدين الاسلامي) في هذه البلاد التي يمرون عليها ، والتي يستقرون بها ، ولكنه من نوع لم يسبق للانسانية التعرف عليه .

فالمبشرون يزودون بأموال كثيرة وخبرات متعددة من دولهم كالزراعة والصناعة والطب فوق القدرات الدينية التي لهم ـ حتى يستطيعوا اداء مهمة التبشير . ولم يكن هذا مع المهاجرين ولن يتيسر لهم ذلك ـ وهم مسئولون امام الله والضمير عن اظهار دينهم لهذه البلاد وهنا تظهر ايضا قوة الدبلوماسية الشخصية للمهاجر وسياسته ، فانها تعلو فوق كل تمثيل سياسي تعارف عليه الناس .

وإذا وضعنا في حسباننا ان القوانين التي تؤمن الطرق لم تكن متوفرة ، ولا العلاقات الدولية قائمة وفوق ذلك فان مصادرة الحريات كان سهلا ميسورا امام النخاسين ، تجار الرقيق واهل الغارة على القوافل منه نتبين كيف استطاع المهاجرون أن ينفذوا إلى الحبشة في مثل هذا الطريق ، وكيف هيأوا الاذهان في الدول التي مروا بها لاستقبال دين جديد ، أو على الاقل لاخبار العالم هذا بظهور بعثة جديدة قد لا يلتفت اليها الكثير من الناس ، إنما على الاقل ستعلق ببعض الأذهان وتكون لها تأثيراتها في المستقبل .

ولقد أتت هذه الهجرات إلى الحبشة بما كان يريده الرسول صلى الله عليه وسلم من ابلاغ الدعوة إلى أقصى الجنوب ، وكان من ثمرة هذه الهجرات ان اسلمت أمة في الجنوب للدين الجديد قبل أن يغزو الاسلام مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ وهذه الأمة هي (مروتانيا) التي لا يوجد من بين أبنائها من هو علي غير دين الاسلام ، وكذلك خلف الاسلام في الصومال اثاره حيث اعتنق بعض ابناء الصومال الدين الاسلامي على يد المهاجرين الأوائل .

الهجرة سنة الله التي سار على دربها كثير من الأنبياء

والهجرة ليست حدثا جديدا ولا سنة مستحدثة : فنحن لو تصفحنا آيات من القرآن الكريم لوجدنا انها طريق سار على دربه كثير من الانبياء والمرسلين . ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تسير على فطرة من الرسل كان لا بد من ان يهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتوافق مع اخوانه الانبياء والمرسلين . وان الهجرة قد يختلف طابعها من رسالة الى اخرى . ولكن هي في جوهرها هجرة مسنونة وفطرة

من الله تعالى .. ونحن حين ننظر الى آية من سورة الاسراء وهي الآية التي تقول :

(وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا . سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) الاسراء ٧٦, ٧٧نجد من هذه الآية انه لا بد من وقوع الهجرة وهي قدر من الله تعالى ، الغرض منها : تحويل وقع الرسالة وقوتها إلى ميدان ايجابي تؤتى فيه بثمرتها وتمكن رسولها من الابلاغ المنوط ، والمكلف به من الله تعالى . وهؤلاء هم الانبياء والرسل الذين ساروا من قبل رسولنا على طريق الهجرة ، فهذا رسول الله تعالى موسى عليه السلام قد هاجر بقومه من مصر إلى أرض سيناء ، بعد ان تسلط عليهم فرعون وقومه ، وهذا رسول الله عيسى عليه السلام هاجر إلى فلسطين من مصر ومن قبلهم خليل الله تعالى إبراهيم الذي تعددت منه الهجرات . فالهجرة سنة الله تعالى على درب الرسالات .

ولقد اراد اهل مكة بعد الفتح ان يظفروا بها مثل اخوانهم السابقين إلى الاسلام ، لانهم ادركوا عظمة هذا العمل وهذه العبادة : ولكن نظرا لان فاعلية الهجرة بعد الفتح لا اثر لها اغلق الرسول الكريم هذا الباب خصوصا وان مكة اصبحت دار إسلام فقال صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح وإنما جهاد ونية » .

هجرة الرسول الى الطائف وآثارها في الدعوة

يحدثنا التاريخ الاسلامي انه في السنة السادسة او السابعة من الدعوة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بأول هجراته وكان مقصده الطائف لعله يجد من يقبل الدعوة من اهلها وينضموا الى صفوف المسلمين ويكثر بهم الاسلام .. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كاد يتمثل بين يدي اهل الطائف حتى ردوه وسلطوا عليه الصبيان والعبيد . ولم يجد من بينهم من يتقبل الدعوة او يقبلها .

وهنا نسأل انفسنا ما الذي جاءت به هذه الهجرة من فائدة للاسلام ؟ وما الذي اظهرته هذه الهجرة من شخصية الرسول كانسان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

والجواب عن ذلك : هو ان النظرة البسيطة قد تدرك من هذه وقد لا تدرك ولكن مثل هذا الامر لا يمكن ان يقف عنده النظر العلمي وخصوصا النظر الذي ينفذ إلى عمق الامور ويدرك منها الثمار البعيدة ، والحقائق الثابتة الغير مدركة من كثير من الناس .

وان اهم ما يدركه النظر العلمي من هذه الهجرة هو تهيئة الاذهان لاهل الطائف إلى الدين الجديد والدعوة الجديدة : خصوصا إذا علمنا ان مثل هذا الامر لا يمكن يمر عابرا دون ان يخلف وراءه اثارا قد

تكون بعيدة مهملة في اول امرها ولكنها لا تلبث ان تتأصل فيه ويشغل جانبا من جوانب التفكير فيه : خصوصا إذا علمنا ان اليهود كانوا يتخذون من الطائف مقرا لهم كما كانوا يتخذون من يثرب مقرا لهم ، وعندهم من اخبار الرسول في كتبهم ما يجعلهم يفكرون بعد في هذا الامر .
فان كان اهل الطائف العرب لم يأبهوا بهذه الدعوة ، فان اليهود في الطائف قد اهتموا بها ، ولكن لم يحملهم هذا الاهتمام على ان يحيكوا مؤامراتهم حول هذه الرسالة لعلمهم كما هو موجود في كتبهم ان الطائف لم تذكر في توارة موسى ولا انجيل عيسى انها بلد رسالة او بلد هجرة لرسالة .
وعلى ذلك تكون الهجرة الاولى الى الطائف قد شغلت اذهان اليهود وهم يمثلون على اقل ثلث اهل الطائف يومها .
واذا نظرنا من جانب اخر للدعوة وهل تحقق منها شيء في هذه الهجرة ؟ نرى ان الدعوة بهذه الهجرة قد بلغت اقصى الشمال وقد استجاب لها ممثل من هذه القرية ، والقرية هذه هي بلد يونس بن متى الذي شهد له الرسول الكريم بالصلاح ، فان التاريخ يحدثنا انه لما لجأ الرسول الكريم الى البستان ليختفي فيه من عبيد الطائف ومن صبيان القوم التقى بغلام وقدم له الغلام العنب وراقبه فاذا بالرسول يبدأ الاكل بـ بسم الله الرحمن الرحيم ثم يختتم الاكل بالحمد لله رب العالمين . ويسأله الغلام ما سمعت مثل هذا في هذه البلاد فمن هو الرحمن الرحيم ؟ فشرح له الرسول صفة الرحمة وأرشده إلى صاحبها ، فأسلم الغلام وسأله الرسول من أي البلاد أنت ؟ قال : من قرية كذا . فقال الرسول : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال الغلام : أتعرفه . قال : هو أخي .

اما من ناحية اظهار ما للرسول الكريم صلوات الله تعالى عليه من صفات تجلت فيها عظمته الانسانية في خلق محمد صلى الله عليه وسلم .
فاننا ندرك ذلك من هبوط جبريل على الرسول الكريم وهو في البستان ومع جبريل الامين ملك الجبال وقول جبريل له : إن ربك قد سمع مقالة قومك لك وإنه سبحانه وتعالى قد أرسل ملك الجبال فمره فليصنع بقومك ما شئت . فاذا بالرسول الجريح الذي لا زالت دماؤه الشريفة تنساب منه على الأرض من تلك الاصابات والذي أصبح في نظر العقل البشري كأنه مغلوب على امره بصد الناس له في مكة والطائف بقوله : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » وهنا نجد أن الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام يعجب من الانسان الرسول الذي فطر على أعلى صفات الانسانية والرسالة ، ويقول له : صدق من سماك الرءوف الرحيم . وكانت آية في خاتمة سورة التوبة تقول : **(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .**

١٢٨/التوبة .

لقد اظهرت هذه الهجرة بعض صفات الرسول الا وهي الرأفة والرحمة والحرص على الامة من ان تصاب بمثل ما أصيبت به الأمم السابقة التي كذبت رسلها .

إن نوحا عليه السلام لما ضاق ذرعا بقومه ، ورأى وعد الله له بالنصر ، ووضع الله في يده قوة ــ ألا وهي إجابة دعوته في قومه ــ لم يقل مثل ما قال محمد صلى الله عليه وسلم ــ حين وضعت القوة السماوية في يده (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) . بل قال نوح : **(رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)** . ٢٦، ٢٧/ نوح .

إن محمدا لو لم يكن رسولا بالوحي لكان بانسانيته رسولا وهاديا وسراجا منيرا .

الهجرة الى المدينة وتكوين الدولة الاسلامية .

وننتقل بعد ذلك بالحديث عن الهجرة إلى المدينة : وفي الهجرة إلى المدينة مواقف تحتاج إلى الدرس والتحليل لنتبين شخصية الرسول اولا ، ونتبين قيمة الهجرة إلى المدينة في الدعوة وفي بناء الامة .

يحدثنا التاريخ الاسلامي ان الرسول الكريم منذ ان صده المشركون ، واخذوا يترصدون له ويفتنون اتباعه ، سار عليه الصلاة والسلام إلى اتخاذ طريقة أخرى في الدعوة ــ وهي أنه كان يعرض نفسه على الحجيج في موسم الحج يبلغهم الدعوة ، ويدعوهم إلى الله وحده لا شريك له ، وفي السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة جاءت اولى ثمار تلك الخطة بما يستبشر به الرسول الكريم من ان جوانب من الارض تتفتح ابوابها للدعوة وتتقبلها ، بل وتؤمن بها ، مما جعل الرسول الكريم يسير فيها حسب تخطيط بلغ غاية الحكمة والتحفظ ، ولم يكن تلقائيا ولا هو مرهون بالمصادفة ، ذلك لان من وراء الرسول اعداء قد اشتد الحذر منهم وتضاعفت اهتماماتهم وسهرهم ومراقبتهم لمحمد وتحركاته ــ ومن كان في هذا الموقف لا يمكن ان يصدر عن تلقائية او مصادفة بل لا بد من الحذر والحيطة والتخطيط والاحكام لأمور اهمها تعمية القوم عن أن يكشفوا لقاءاته ــ وأكبر منه ألا يبعث عند المشركين زيادة الاهتمام : لان زيادة الاهتمام به قد تعوق من سير الدعوة والجهاد فيها .

ويحدثنا التاريخ عن اول لقاء تم فيه إسلام ومبايعة ، وهو ذلك الذي حدث في العام الثاني عشرة للدعوة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفر من يثرب في موسم الحج ، فلقد عرض الرسول عليهم الدعوة فأسلموا عن اقتناع منهم وفهم ، وفوق هذا عن إرادة سابقة من الله لهم بالتوفيق والهداية ، وهنا وفي هذا اللقاء لا

يفوتنا ان نتبين في رسولنا مباشرته للتخطيط والحرص وعمق الفهم لواقع الحياة . تراه عليه الصلاة والسلام يضع من التعليمات ما يكفل سلامة هذا النفر من الفتنة والاهانــة من قريش ثانيا ، وحتى لا تدرك قريش ان خطة العرض قد جاءت بنتيجــة في صلاح الاسلام والدعــوة ، فدعــا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النفر إلى كتمان إسلامهــم وعــدم إظهاره حتى يعودوا الى يثرب وهناك فليظهروه متى شاءوا ــ ومن ناحية اخرى فلقد وقف الرسول الكريم على احوال يثرب كلها وكان عليه الصلاة والسلام يقوم بتقييم كل ناحية ويضع لها تقديراتها ، ومن هذا أنه عليه الصلاة والسلام قيم الناحية الدينية هناك فوجد أن يثرب تضــم بــين جوانبها ملك مختلف ، فمن وثنيــة يدين بهــا الأوس والخــزرج ، الى يهودية يدين بها بنو النضير وبنــو قينقاع وغيرهم ، ولم يكن هناك اية حرب قائمة بين الفريقين ، ولا صد من فريق لاخر من ان يباشر عبادته وأن يدعو إلى دينه ، وإلا لو كانت الحال في يثرب مثلمــا هي في مكة لامرهــم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتمان الاسلام وألا يخرجوا به من بيوتهم .

وفي السنة الثالثة عشرة من الدعوة وفي موسم الحج خطط الرسول صلى الله عليه وسلم للقاء وفد يثرب وقد يكون التخطيط في نظرنا لا يحتاج إلى مبالغة وإحكام خصوصا . وأننا قد علمنا من التاريخ ان اللقاء الأول فيه إسلام ومبايعة .

ولكن الواقع ان هذا اللقاء احتاج إلى تعميق أكثر في التخطيط والتحفظ والكتمان والسرية ، فما كان احــد يعرف به حتى من اتباع الرسول ولا من أقرب التابعين له ، وأخذ الرسول الكريم قبل لقائه بالوفد اليثربي يعمل النظر والبحث فيمن يكون معه من اهل مكة في هذا اللقاء حتى تم له بعد طول الفحص والدرس والتقييم فركن إلى العباس بن عبد المطلــب وكان العباس يومها على دين الشرك ، لكنه كان الرجل اللائق بهذا الأمر في نظر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولقد صدق فيه نظر الرسول فكان الأمين حقا على سر هذا اللقاء ، وإذا تركنا هذا إلى اختيار وقت اللقاء ومكانه نجد أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد حدد الوقت بحساب وتقييم ، وهو طرف من الليل لا يقع في حسبان وتقدير المشركين ومكان من البطحاء ايضا لم يقع في حســاب وتقديــر المشركين . وهنا نجد أن الأمر قد صار لصالح الدعوة وأن اللقاء تم ، وتم فيه كل ما يكون من شروط اخذ فيها الرسول واعطى ، وحتى تكلم العباس بما يوحي للقوم ان الرسول ليس بالهين عند قومه ، ولا هو بالذي لا يجد منعة ومؤازرة من أهله ، مما جعل الرسول في نظر أهل يثرب هو أغلى هدية سارت إليهم ، وأكبر فضل من الله أصابهم .

وإذا نظرنا إلى البيعة الأولى نجد أن عدد المتبايعين مع الرسول كان لا

يزيد عن ثلاثة عشر رجلا وفي الثانية بلغ السبعين ، أي أنه في سنة واحدة كانت النتيجة في صالح الاسلام أكبر من ثلاث سنوات للدعوة في مكة ، مما جعل الرسول يستبشر بالعهد الجديد الذي انتقلت إليه الدعوة الكريمة .

وفي هذه السنة كان الحال عند المشركين على أشده من التفكير في الخلاص من الداعي إلى الاسلام ، خصوصا وأن أقصى ما وصلوا اليه من الفتنة لم يأت بما كانوا يريدون - فالمهادنة التي عرضوها على الرسول - لم تأت بما كانوا يريدون - والمقاطعة لبني هاشم ومعهم محمد والمسلمون ثلاث سنوات لم تأت بما كانوا يريدون ، والصد والتعذيب والترصد للدعوة لم يأت بما كانوا يريدون ، وتألب الناس على رسول الله وعلى أتباعه لم يأت بما كانوا يريدون . اتفق ناديهم المنكر على الخلاص من الرسول وهداهم شيطانهم إلى قتل الرسول بالصورة المعروضة في كتب التاريخ .

ومما استقرأه الرسول الكريم في قريش واهل مكة هذا واطلعه الله تعالى عليه ، كان التخطيط للهجرة والخروج منها وخصوصا وقد عرف المشركون أن الدار الثانية للاسلام قد تهيأت وأصبحت في انتظار انتقال الرسول إليها ، ولو ان خبر هذا الأمر كان بين الشك واليقين من أهل مكة لأنهم لم يطلعوا على هجرة لواحد من اتباع الرسول حتى جاء يوم هجرة عمر بن الخطاب الذي تحدى القوم وهاجر على مرأى ومسمع منهم جميعا .

وفي ليلة المؤامرة والترصد بباب الرسول من القتلة الآثمين وهذه الليلة كانت في حساب المشركين هي اول خطوة في التخطيط للهجرة من محمد ولكنها كانت هي اللمسات الاخيرة عند الرسول لهذه الهجرة ، فالتخطيط تم من حيث اختيار الظرف المناسب والساعة التي يخرج فيها الرسول ، والخلافة قد تم تخطيطها عند الرسول فاختار لها الرسول الكريم عليا والدار الأولى التي هي على طريق الهجرة قد وضع لها التخطيط ، وعمل كل من في هذه الدار قد وضع له خط السير الذي يلتزم به صغيرا كان ام كبيرا والسرية التامة من كل من جندهم الرسول في هذا - قد كان على اعلى درجة حتى ولو تعرض الواحد منهم إلى العذاب الشديد او الموت .

أما من جهة الساعة والظرف الذي يخرج فيه الرسول من بيته فهو في الثلث الأول من الليل والساعة الوسطى من هذا الظرف ، حتى يكون النوم قد سرى إلى عيون المتربصين ، ومما يساعد على ذلك تركيز انتباههم على النائم داخل البيت ونحن نعلم انه مما يساعد على جلب النوم تركيز الانتباه وعدم التنقل به . هذا إذا اضيف اليه عمل الله تعالى لحماية رسوله الكريم والعناية به - وأما الدار فهي دار الصديق مما اختارها الرسول لأن تكون المحط الأول ،

وهذه ايضا في التخطيط لها شأن كبير ، ذلك لأن خروج الرسول الكريم إلى تلك الدار لو حدث وقد رآه إنسان فلا يظن أن هناك هجرة ، لأنه كثيرا ما كان الرسول الكريم يتردد عليها ـ وهي دار أول رجل في الاســلام ـ وأما التخطيط داخل الدار فهناك عمل (لأسماء بنت ابي بكر) وهناك عمل (لمحمد بن أبي بكر) وهناك عمل (لخادم أبي بكر) .

وكل قد التزم بما رسمه له الرسول الكريم ـ فأسماء التزمت بالتحفـظ على أمر الهجرة داخل البيت وتعمية المشركين ـ وقد قامت به خير قيام حتى ذهبت بهذا اللقب الذي لازمها فخرا وإعجابا (وهو ذات النطاقين ـ ومحمد بن أبي بكر التزم بايصال الزاد إلى الرسول الكريم وصحبه في الغار ، ورصد تحـركات المشركين ونقل كل حركة وخبر اولا بأول إلى الرسول في الغار .

والخادم التزم بتغطية الآثار لسـير محمد بن ابي بكر .

وكان من نتيجة هذا التخطيـط والاحكام ان كان القوم على رأس الغار بسيوفهم يلتمسون الرســول والرسول وصحبه يرون القــوم من داخل الغار ولكن القوم لم يدركوا شيئا يدل على الرســول وصحبــه ـ حتى أن أبا بكر من شدة ما وقف عليه من هذا الأمر ومن إعجابه بما خططه الرسول قال : يا رسول الله لو نظر احدهم تحت قدمه لرآنا فقال له الرسول الكريم : « ما تقول في اثنين الله ثالثهما » ورجع المشركون ولــم يدركوا شيئا .

ووصل الرسول وصحبه الى دار الهجرة الى يثرب حيث كان الأوس والخزرج جميعا في استقبالهما وهنا يبدأ البناء والتأليف ووضع قواعد البناء الأصيل للأمة الجديدة ، التي اتسعت قاعدتها بكثرة اتباعها من الأوس والخزرج ـ ولو أن اليهود قد انحازوا بعيدا في حصونهــم ولــم يستجيبوا للدعوة .

وننتقل إلى أول عمل وأول قاعدة وضعها الرسول الكريم في بناء الأمة الجديدة ، كانت هذه القاعدة هو أن الرسول الكريم كان يدرك ما للعصبية والمناصرة في ظلال الجاهلية من أثر سيء ، فأذاب ما بين الأوس والخزرج بواسطة ذلك الشعار الذي اطلق عليه فتوحدت به جبهة اليثربيين وضاعت تلك النعرات القديمة وهــي (أوسى وخزرجي) وصار الكل تحـت هذا الشعار الجديد وهو (أنصاري) .

وبهذا استطاع الرسول الكريم ان يقضي على الماضي البغيض وان يذيب كل الجاهلية في نفوسهم فكان الواحد منهم لا يذكر لنفسه من فخر الا كلمة انصاري ولا يسأل هل هو خزرجي أم اوسي . وكان هذا في نظر اليهود هو اكبر عمل وأكبر حصن ادخل الرسول فيه الاوس والخزرج ـ فـلا تذكر للماضي ولا تذكر للعداوات ولا فاعلية للنعرات و العصبيات القديمة ، حتى انه في يوم قام رجل من اليهود في السوق والانصار مجتمعون وذكر يوم بعاث وهــو يوم حرب كان لأحـد الفريقين الانتصار على الآخر وركن

الناس إلى شيطانهم واستلوا سيوفهم ، وما كاد الخبر يصل إلى الرسول الكريم حتى حضر إلى السوق على جواد غير مسرج ، وقال : يا أتباع محمد ـ أهذا يكون وأنا بين يديكم ، فبكى كل من الفريقين وألقوا بسيوفهم وفاءوا إلى الصواب ، ورجع اليهودي بالخزي والعار ، ولم يدرك شيئا من الوقيعة .

وهذا العمل الجليل الذي قام به الرسول الكريم في توحيد جبهة الأوسيين وإذابة الفوارق والنعرات القديمة ـ قيم أيضا من الله تعالى ونزل قول الله : يذكر فضله على الناس ، وفضل رسوله صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الله سبحانه وتعالى إلى المحافظة على هذا الاتحاد والمناصرة له حيث يقول تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**) آل عمران/١٠٣ . والمعنى فألف بين قلوبكم بهجرة محمد صلى الله عليه وسلم إليكم وتسميته لكن بالانصار تلك التسمية التي ضاعت في ظلالها الوارفة كل عداوة وبغضاء ـ وحل فيها كل حب وتقدير وألفة واتحاد ـ .

واما القاعدة الثانية التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الامة فهي المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، وفي ظلال المؤاخاة ضاعت كل ادراكات ومفارقات بين صاحب البلد وبين المهاجر وفي ظلال المؤاخاة ايضا ضعفت كل دسيسة وفتنة قام بها اليهود للتفرقة بين الصف الواحد .

اما الدعامة الثالثة فهي بناء المسجد ـ واذا كانت الوحدة بين الأوس والخزرج وإذا كانت المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين لهما فاعليتهما في توحيد الصف الاسلامي فان المسجد له أكبر الأثر ايضا في بناء الأمة ، ففي المسجد تقام شعائر الدين ، وهو مركز الاشعاع للدعوة ، ومركز تجميع المسلمين وهو عامل هام من بين عوامل اتحاد الصف الاسلامي واظهار قوته وكيانه ، خصوصا ، إذا وضعنا في حسباننا ان الصلوات كانت مقامة في حصون اليهود ـ وإن وضعنا في تقديرنا ان الاذان قد سن بعد بناء المسجد مباشرة . ندرك اهمية بناء المسجد في تلك الآونة ومدى فاعليته في بناء الأمة .

اما الدعامة الرابعة التي جعلت للصف الاسلامي صفة الدولة والاجتماعية حتى باشرت بواسطته تخطيطها السياسي والتعرف على مدى ما يكون من ارتباطات دولية في ذلك ما قام به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من معاهدات في الجبهة الداخلية لتأمين التحرك الاسلامي وانطلاقه الى آفاق بعيدة جاءت ثمرتها التي بهرت العالم كله .

سبحان الذي خلق الأزواج كلها

ومن الأمشاج أزواجاً أزواجاً

محمد مؤذن

٤

نكرنا في ثلاث دراسات علمية سابقة بعض ما يمكن أن تنطوي عليه آية ، أو جزء من آية من عطاء علمي غير محدود ، ولقد رأينا في هذه الدراسات كيف كانت بدايات الخلق أزواجا أزواجا ، أو بتعبير القرآن الكريم : **(ومن كل شىء خلقنا زوجين)** الذاريات/ ٤٩ .. فجاءت الجسيمات أزواجا أزواجا ، والأكوان أزواجا أزواجا ، والخلايا أزواجا أزواجا ، ولازالت الآيات العظيمة التى وردت في هذا الكتاب المجيد تؤيد كل الاكتشافات العلمية الحديثة ، تلك الاكتشافات التى توضح لنا أن الخلق قد قام على فكرة الزوجين .. ما نعلم منه ، وما لا نعلم ، وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة : **(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)** يس/ ٣٦ .

ولقد تساءلنا في آخر مقال لنا على صفحات هذه المجلة الغراء ، تساءلنا وقلنا : اذا كانت الخلايا الجنسية في

للدكتور عبدالمحسن صالح

النطفة التى هى من (منى يمنى) قد جاءت ازواجا أزواجا ، وأن منهـا إناثا ونكرانا ، اذا كانت هى كذلك حقا ، وكما أيدتها العلوم الحديثة ، وكما أشار اليها القـرآن الكريـم تلميحا منذ حوالي ١٤ قرنا ، فهل هى بدورها ـ أى الخلايا ـ قد حوت في مكوناتها أزواجا من داخل أزواج ؟.. وما هى طبيعة تلك الأزواج ؟

إنها ـ أى الأزواج ـ مما لا يعلم الناس ، لأن مجالها الحقيقى يبرز ويتجلى في معامل العلماء ، ومع أن العلماء قد اكتشفوا هذه الأزواج التى من داخل الأزواج منذ حوالي مائة عام ، أو يزيد ، مع نلك ، فانهم لا يزالون ينهلون من بحورها العميقة ، ورغم نلك لم يحصلوا من أسرارها الا على القليل وبقى الكثير ... « مما لا يعلمون » .. لكن ، كلمـا بحثنـا وعلمنا وجمعنا ، تجلت لنا قدرة الله العظيمة بغير حدود ، وعندئذ نردد عن علم وخشوع :(**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/٤٩ .

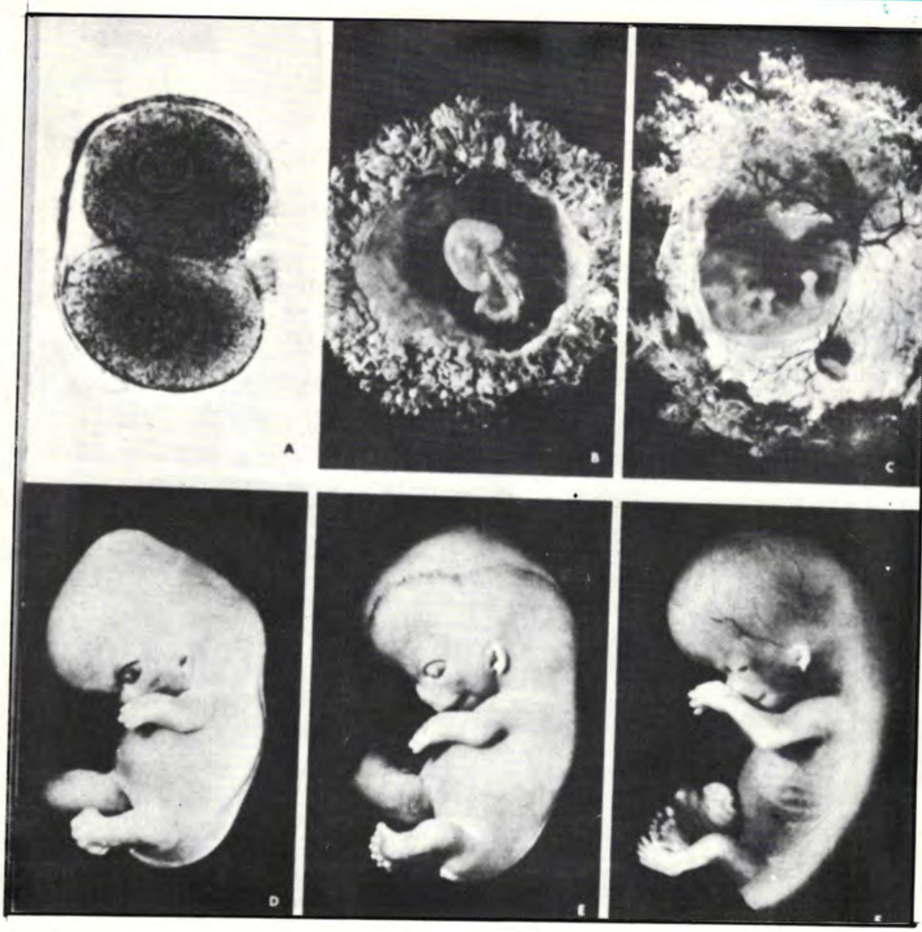
دعنا إنن نعود الى الأزواج على مستوى مكونات الخلايا ، لنعلم منها كيف أوحى الله في كل خلية أمرها ، كما أوحى في كل سماء أمرها .

في سورة الانسان ، تجيء الآية الثانية بقول جميل يحتوى على أصول علمية لا تدرك الا من خلال التعمق في أصول الأشياء .. يقول الله تبارك وتعالى في تلك الآية الكريمة : (**إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**) الانسان/٢ .

والنطفة هنا هى ماء الرجل أو منيه ، والأمشاج ـ كما جاءت في كتب التفاسير تعنى الأخلاط ، أو ما خلط بين الرجل والمرأة .. يقـال : مشج يمشجه مشجا ، أى خلطـه خلطا .

وهذا صحيح تماما ، لكن الخلط فيه ظاهر وباطن ، ولن يتجلى لنا الباطن الا تحت عدسات المجاهر ، وعندئذ نرى الأمشاج وهـى تمـر بمراحل ، كل مرحلة منها قد قدرت تقديرا ، وكأنما نحن نشهد تمثيلية الحياة في أدق وأروع صورها ، فهى بعد قليل ستعبر عن نفسها ، والتعبير سوف يتجسد في مخلوق قادم ، وهو أعظم حدث يتم في هذا الكوكب ، أو ربما في هذا الركن من الكون العظيم الذي نعيش فيه ، ثم لا نعرف عنه الا نزرا يسيرا ، هذا رغم أن ما جمعناه يبدو أمام عيوننا كبيرا ، وفي عقولنا عظيما !

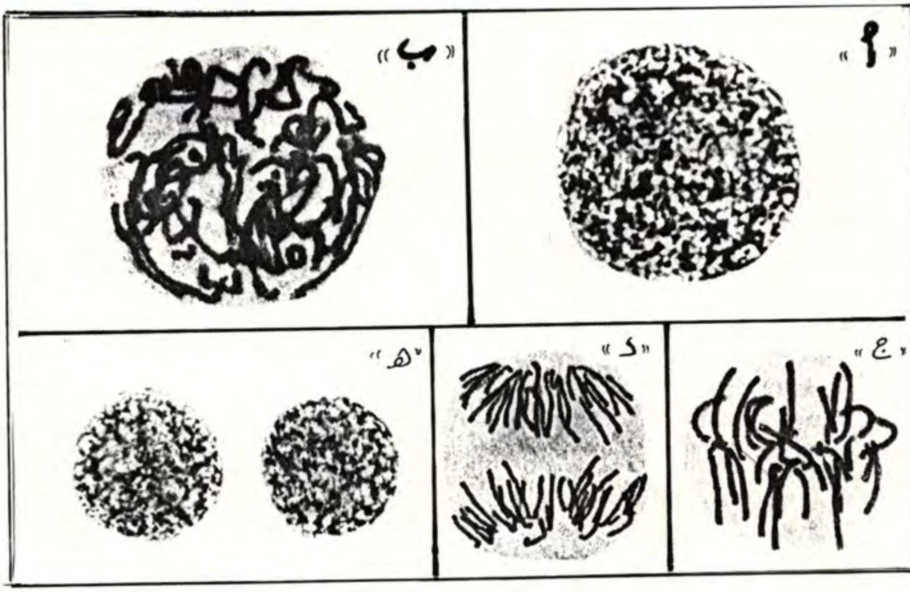
ان خلق الأزواج في النطفة على هيئة حيوانات منوية نكرية وأخرى



« هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا » والصورة تبين مراحل تطور الجنين بداية من الخلية التي تراها وقد اصبحت اثنتين (الى اليسار فوق) .

أنثوية ، وبنسبة متساوية تماما ، ثم التحام أو خلط المكونات الوراثية لحيوان منوى مع المكونات الوراثية لبويضة ليس أمرا عشوائيا ، ولا عملية سهلة كهذا الكلام ، بل إن دراسة هذه الظاهرة المثيرة قد استنفدت من عمر العلماء أعواما تلو أعوام ، ولقد تجلت لهم وحدة الفكرة في المخلوقات جميعا ، بداية من الميكروب حتى النبات والحيوان والانسان ، وفيها تنفصل الأزواج لتكون فرادى ، ثم يحدث الخلط في الأمشاج (وهى هنا الوحدات التي تختلط والتي نعرفها علميا باسم الكروموسومات أو الصبغيات) لتصبح أزواجا أزواجا .

ولكى نوضح ، دعنا نتعرض



شكل (١)

الوحدة في الخلق قائمة بين نبات وحيوان وانسان .. وفي الصور المنشورة هنا تظهر عملية الانقسام او التكاثر في خلية نباتية ، لاحظ ان الامشاج في البداية غير واضحة في النواة(أ) ، ثم انه عند بداية الانقسام تبدأ في الافصاح عن نفسها (ب) ، ثم تتحدد شخصياتها ، ويعطي كل زوج من نفسه زوجا (اي يتضاعف عدد الامشاج (جـ) ، ثم يرحل كل نصف الى قطبي الخلية (د) ، فتأتي كل خلية جديدة بنفس عدد الامشاج التي كانت تحتويها الخلية الام ، وفي النهاية تختفي الامشاج (هـ) في نواتين جديدتين ، وعلى مثل هذا الطريق تسير الخلايا في كل الكائنات ومن كل شيء فيها زوجان !

لجوهر الأزواج في الانسان ، وما يجرى على الانسان ، يجرى على الميكروب والنبات والحيوان ، فالكل من عند الله ، **(ولن تجد لسنة الله تبديلا)** الأحزاب/٦٢ ، بل هى وحدة في الخلق واحدة !

في الانسان ملايين الملايين من الخلايا الجسدية (حوالي ٦٠ مليون مليون خلية) ، ونشأتها جميعا جاءت من خلية وحيدة ملقحة ، هى البويضة في رحم أنثى ، ولقد اختلطت أو تلقحت أو امتزجت بحيوان منوى واحد ، فيصير منها الذكر أو الأنثى ، مصداقا لقوله تعالى : **(وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى)** النجم/٤٥ ــ ٤٦ ، ولقد ترك لنا القرآن هنا حرية الاختيار ، كل على قدر ما علم ، فان كان القصد من الآية الكريمة هو الزوجين اللذين

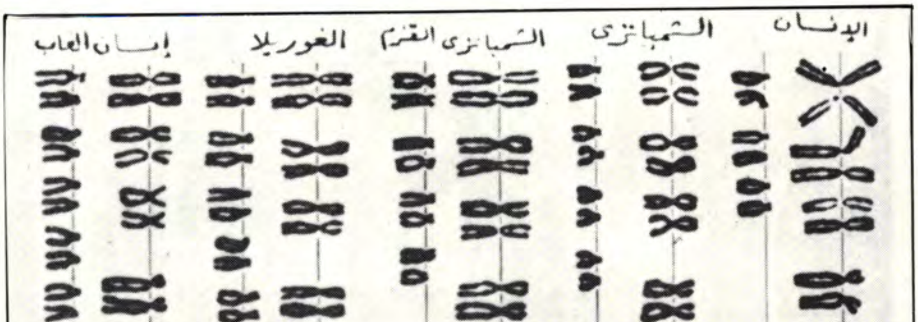
نراهما رؤيــة العــين : أى الــذكر والأنثى ، أو الرجل والمرأة ، فان من رأى ذلك ، ليس بخارج على أحكام القرآن ، وان كان القصد من الآية هو الزوجين الكائنين في النطفة على هيئة حيوان منوى ذكرى ، وآخر أنثوى ، فان له ما أدرك ، لأن الآية مناسبة وصحيحة أيضا في هذا المجال ، وإن نظر نظرة شاملة جامعــة ، وأخــذ المعنيين ، لكان أيضا على صواب ، وهذا عطاء سخى جدا للقرآن ، لأنك تنهل منه على قدر ما تعلــم .. أن ظاهرا فظاهرا ، وان باطنا فباطنا !

اذا عدنا للجسد ، وأخذنا منــه خلية واحدة .. أية خلية تشاء ، من أى عضو أو نسيج تشاء « عدا كرات الدم الحمراء » فانك لا شك واجد لها قيادة أو هيئة حاكمة حكيمة ــ هى النواة ، أو « كتاب » الخلية المكتوب بعناصر هذه الأرض ، والتي عبر عنها القرآن الكريم أوجز تعبير بقولــه : **(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا)** فاطر/١١ .. وقوله : **(هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا)** غافر/٦٧ .

لكن لا الخلية ولا النواة بظاهرة للبصر ، لأنهمــا فيمــا وراء حدود عيوننا ، ولكى نراهما ، فلابــد أن نستعين بعين أخرى تتمثل في « عين » المجهر الذى يكبر الأشيــاء مئــات وآلاف المرات ، وبهذا المجهر نستطيع أن نكتشف أمورا مثيرة وعظيمة ، وكثيرا ما تضن مكونات الخلية على الألباب ، وتغم على الأفهام ، لكن بمزيد من الصبر والبحث والتعمق توصلنا الى أمور ما كانت لتطرأ لنا على بال ، ومع ذلك فقد أشار اليها القرآن الكريم اشارة عابرة يعيها أهل هذا الزمان .. هذه الاشارة تلمح بأن الخلق جاء زوجين زوجين **(ومن كل شئ خلقنا زوجين)** الذاريات/ ٤٩ ، حتى ولو كان هذا الشئ مكونات في داخل نواة خلية في عالــم النبــات والحيوان والانسان .

هذه المكونات قد أشرنا اليها قبل ذلك على أنها الأمشاج أو الأخلاط أو « الكرموسومات » أو الصبغيــات ، وهذان الاسمان الاخيران جاءا من كون مكونات النواة تصطبغ أكثر من غيرها بالاصباغ ، فتتجلى لنا بعض تفاصيلها الدقيقة .

على انك لو اطلعت على الصور المنشورة هنا لوجدت أن الخلية ما بين انقسام ونمو ، أو نشــاط وتوقــف (توقف نسبي) ، انما تمر بأطــوار عدة ، وطبيعى أننا لن نتعرض هنا لتفاصيل الفكرة التى أودعها الله في « مخ » الخلية أو نواتها ، لكن يكفي أن نشير فقط الى أن الأمشاج أو الكروموسومات تنتشر في النواة دون تحديد « لشخصياتها » ، أو كأنما هى تختلط وتمتزج دون أن تنم عن وجــود « أزواج » يمــكن التعــرف عليها ، لكن الأزواج تظهر فقط في حالة توالد الخلية ، وانتاج أجيال أو نسخ منها ، وهو ما نطلق عليه اسم عملية الانقسام والتكاثر (شكل ١) .

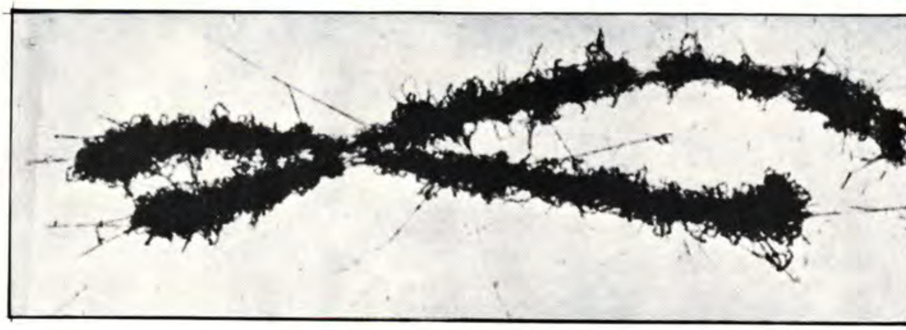


شكل (٢)

وحدة الخلق تتجلى في الامشاج او الكروموسومات التي اصبحت القاسم المشترك الاعظم بين جميع الكائنات .. انها هنا ازواج متشابهة ، عدا الزوج الاخير فأحدهما اكبر من صاحبه ، انهما مشيج الانثى ومشيج الذكر (× ، y) .
لاحظ ان للانسان ٢٣ زوجا بما في ذلك زوج الذكورة والانوثة .

فبداية الخلية الملقحة في الانسان توضح لنا فكرة الزوجين التي أشار اليها الله في القرآن ، ففيها أو في أية خلية تنشأ منها ، يوجد اثنان وعشرون زوجا من الكروموسومات أو الأمشاج ، هذا بالاضافة الى زوج آخر له في تحديد جنس المخلوق شأن يذكر .

أى أن ما تحتويه نواة خلية الانسان هو بالضبط ٤٦ كروموسوما أو مشيجا .. ولقد جاءت أزواجا أزواجا .. كل زوجين متشابهان تماما ، أو قل إن احدهما نسخة طبق

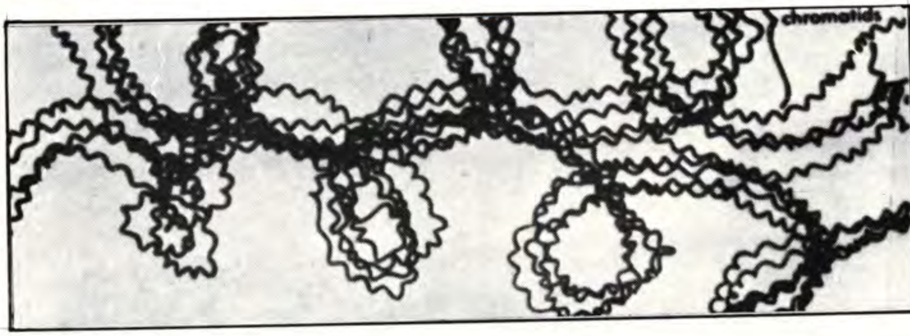


شكل (٣)
امشاج من داخل امشاج ، ولقد جاءت بدورها ازواجا ، لكن الامشاج الاصغر التي في داخل الامشاج الاكبر قد تحولت الى ظاهر ، ولكي نطلع على باطنها ، او على هذه الاشرطة المبعثرة حولها ، فلا بد من تكبير اكبر (الصورة لاحد الامشاج في الانسان) .

الأصل من « أخيه » ، عدا الزوجين اللذين يحددان جنس الانسان ، اذ كان لاختلافهما أن جاء الذكر مختلفا عن الأنثى ، ودعك انن من المنادين بالمساواة بين هذا وتلك في كل أمر من أمور الحياة ، لأن هذا يخالف شريعة الله ــ يخالفه في أسس الخلق ظاهرا وباطنا ، فالاختلاف حقا بين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) شكل ٢) .

لكن اشارة القرآن الكريم:(**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) ، لا تقتصر فقط على ان الامشاج قد جاءت زوجين زوجين ، بل إن كل مشيج أو كروموسوم من الستة والاربعين الموجودة في نواة كل خلية من خلايا الانسان ، قد جاء بدوره ــ اي الكروموسوم ــ على هيئة زوج مترابط قرب منتصفه ، وكأنما ينطبق عليه ما جاء في جزء من الآية الكريمة:(**وجعل منها زوجها ليسكن إليها**) الاعراف/ ١٨٩ صحيح أن هذه الآية تقصدنا ، لكن المعنى الكبير نراه صالحا على ما في داخلنا من ازواج ظلت خافية على عيوننا كل هذا الزمان ! (شكل ٣) .

والحكمة في خلق الزوجين على مستوى الأمشاج لا تخفى على لبيب ، نلك أنها في طور من أطوار انقسام الخلية ، تتقارب الأزواج المتشابهة أو المتناظرة بحيث يحتضن كل زوج « قرينه »، ليأخذ منه ، ويعطي له ، وكأنما صور الأزواج ــ في عالمنا المنظور ــ تتكرر هنا بصورة اكثر اثارة على مستوى الأمشاج .. صحيح أن تقابل الذكر والأنثى في حالة الجماع هي عملية أخذ وعطاء ، وفيها تتقابل الخلايا الجنسية وتختلط ، ويذوب « الزوجان » ــ اي الخلية الذكرية والأنثوية ــ في كيان واحد ، وبحيث تصبح الخليتان



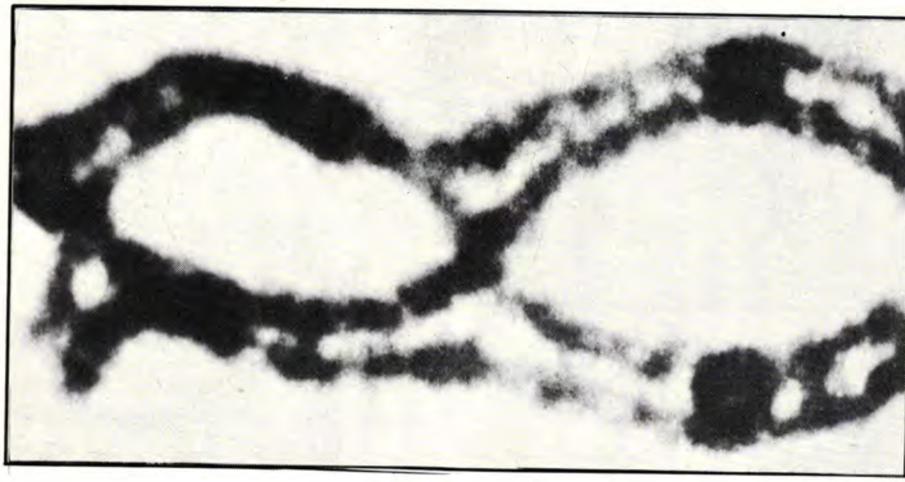
الشرائط كثيرة وطويلة وتتور وتلف ازواجا ازواجا ، لكن باطنها لايبين ، وعليك ان تتأمل في الصورة التالية (شكل٥) لترى ازواجا من داخل ازواج .

الجنسيتان خلية جسدية واحدة ، ومن هذه الخلية تنشأ كل خلايا المخلوق بعد ذلك .

وكذلك نرى تمثيلية الحياة الرائعة تتكرر على مستوى الأمشاج ، اذ يلتحم الزوجان منهما بعد الخلط والاخصاب ، فيبدوان وكأن الكيانين قد أصبحا كيانا واحدا ، او من كل زوجين زوجا واحدا ، فاذا نظرت الى الأمشاج التي تكون خلية الانسان في هذا الطور ، لرأيت ان الستة والأربعين زوجا قد أصبحت ثلاثة وعشرين زوجا ، اذ عندما عرف كل زوج زوجه ، وتقابل معه ، وسكن اليه ، والتحم به ، وتبادل معه المعلومات الوراثية ، انفصل عنه ، ليستعد لأمر جليل يتوقف عليه طوفان الحياة في كل المخلوقات (شكل ٤) .

لن نطيل عليك في هذه التفصيلات ، فليس هنا مجالها ، رغم أنها توضح لنا أن الله قدر فخلق فسوى ، وأنه اشار الى ذلك باقتضاب في آيات بينات: **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)** القمر/٤٩ ، **(وخلق كل شيء فقدره تقديرا)** الفرقان/٢ وليس هناك ابداع أو اتقان واقتدار ونظام أروع مما نراه في بدايات خلق الكائنات ، وهو يحضنا على ذلك حضا ، ويشير الى ذلك في آية كريمة : **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** العنكبوت/ ٢٠ .

على أنه توجد عمليتان هامتان جدا في فصل هذه الأزواج ثم اختلاطها على مستوى الأمشاج ، ولا بد أن تسير كل عملية سيرا منظما ودقيقا غاية الدقة ، لأن الخلل هنا لا يغتفر ، فأي خطأ ، يؤدي إلى مرض ، والمرض لا يمكن اصلاحه ، لأنه نشأ من خطأ الأمشاج ، فيؤدي الى عاهة أو عاهات وراثية يقف العلم أمامها حائرا ، لأننا لا نعلم الا القليل جدا من أسرار هذه الكروموسومات ، اذ أنها تحتوي على طوفان هائل من المعلومات ، ويكفي أن تعلم أن آلاف الصفات الوراثية التي تظهر في الكائنات ، انما هي تعبير لما تحويه



شكل (٤)
مشيجان او كروموسومان يتقابلان ويحتضن احدهما الاخر من مواقع حددت تحديدا ، وكأنما هذا لباس لذاك ، وهذا يحدث الاخذ والعطاء على مستوى الامشاج .

الأمشاج من مخطوطات ..

ذكرنا أن هناك عمليتين في فصل الأزواج أو جمعها ، فاما العمليــة الأولى فتبدأ في الغدد الجنسية ، وفيها تتم مسرحية الحياة في فصول أربعة متتالية ، وهذه لن نتعرض لها هنا ، انما يكفي ان نشير فقــط الى أن الحيوان المنوي يحمل نصف الأزواج من الأمشـــاج (أي ٢٣ كروموسوما) ، وأن البويضة تحمل أيضا نصف هذه الأزواج ، وعنــد التلقيح يذوب هذان الكيانان ، أو تتحد الخليتان ، لتصبحا خلية واحدة ملقحة ، وفيها تظهــر الأزواج مرة أخرى مكتملة (٢٣ زوجا ، أو ٤٦ كروموسوما ، نصفها من الحيوان المنــوي ، ونصفهــا الآخــــر من البويضة) ، وهنا تكون اشارة البدء لظهور مخلوق جديد قد حلت ، فيأتي ــ من البداية ــ حاملا صفات أبيه ، وصفات أمه ، ويخرج الى الحياة خلقا جديدا ، ليس كمثله شبيه (عدا التوائم المتماثلة) .

وأنت اذا تأملت وجوه النـــاس وألوانهــم وأصواتهــم وبصماتهــم وطبائعهم ، فانك لن تجد واحدا يشبه الآخر شبها مطلقا ، حتى ولو استمر ورود بلايــــين البشر ، لبلايـــين السنين .. فكل واحد ملكوت قائــم بذاته حقا .

والحكمة في اختلاف الناس تكمن أساسا في اختلاط الزوجين أو الأزواج ــ ليس ذلك على مستــوى الــذكر والأنثى ، ولا على مستوى الحيوان المنوي والبويضة ، ولكن على مستوى الأزواج من الأمشـــاج ، فالخلــط



شكل (٥)
بداية خلية ملقحة لمخلوق نكر ، لاحظ ان مشيجي النكورة (y) والانوثة (×) يتقابلان لتبادل المعلومات الوراثية ، الا اننا لانستطيع ان نرى باطن المشيج ولابد من تكبير اعظم . (الصورة لقطاع في خلية تحت الميكروسكوب) .

الحقيقي والأساسي يحدث بينها ، وهي التي أشرنا اليها قبل ذلك ، وقلنا ان كل كروموسوم من خلية الذكر يعرف نظيره من خلية الأنثى ، فيسعى اليه ، وبجواره يسكن (شكل ٥) . ويحدث تبادل آلاف وملايين المعلومات الوراثية في آلاف وملايين المواقع ، ومن أجل هذا تحمل الأجيال القادمة ، صفات الأجيال الراحلة ، ولكن دون أن تتكرر كل الصفات الوراثية بين بلايين البلايين من البشر ولو مرة واحدة .. فكل قد جاء بصفات جديدة ومبتكرة ، واساس كل نلك ورد في آية مقتضبة **(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج)** .. وفي هذه الأمشاج ـ وما يحدث بينها من اخلاط وتبادل معلومات ـ كتبت مجلدات فوق مجلدات ، لكن لا مجال لها هنا ، بل إن قصدنا فقط أن نبرز روعة خلق الأزواج كلها ـ بداية من أصغر كون الى أكبر كون ، ثم نترك الباقي لفلاسفة المسلمين وعلمائهم ، فربما أفادونا شيئا من علمهم .

والعملية الثانية تبدأ بانقسام الخلية الاولى الملقحة الى اثنتين فأربعة فثمانية ، فستة عشر ،



نموذج توضيحي يبين كيف ان الامشاج تحتوي في داخلها امشاجا ، وايضا على هيئة زوجين ، ونحن نرى هنا مشيجا اوكروموسوما واحدا ، فماذا يعني هذا المشيج الحلزوني الذي من داخل المشيج .

فعشرات ، فمئات ، فآلاف ، فملايين وبلايين فوق بلايين ، وفي كل انقسام لا تنتصف الأزواج ، بحيث يذهب كل نصف إلى خلية جديدة ، ولو تكرر ذلك لما قامت للكائنات قائمة ، لأنه بعد عدة انقسامات ستختفي الأمشاج أو الكروموسومات ، وتصبح أثرا بعد عين ، ، لكن ذلك لم يحدث حقا ، ولن نحمل له هما ، لأن الله أوحى في كل خلية أمرها ، وأعطاها نظامها ، ورسم لها خططها ، فشقت في الحياة طريقها ، واستمرت الأنواع قوية هادرة لمئات الملايين من السنين ، وستبقى كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فالدارسون للخلية ــ أية خلية ــ

يلاحظون أن تكاثر الخلايا الجسدية يتـم عن طريـق هذه الأزواج من الأمشاج أو الكروموسومـات ، اذ يحدث قبيل الانقسام ، ثم هجـرة « الأزواج » الى قطبـي الخليـة استعدادا للانقسام ـ يحدث ان تهب الأزواج من نفسها ازواجا ، وكأنما كل زوج قد ملك الوسيلة لتكون له من ذاته ذرية طبق الأصل من تكوينه ، فترى الثلاثة والعشرين زوجا (اي ٤٦ كروموسومـا) ، قد اصبحـت بقدرة قادر ستة واربعين زوجا ، وكل زوج منها نسخة متقنة من نظيره أو نفسه (انظر شكل ١) ، وكأنمـا الآية الكريمة التي تقـول **(فاطـر السماوات والأرض جعل لكم من انفسكم أزواجـا)** الشـوري/١١ ـ كأنما هذه الآية التي تخاطبنا ، لهـا أيضـا صلاحيتهـا على أدق مستويات الخلق الكامن في داخلنا على هيئة أزواج من الأمشاج في كل خلية من خلايانـا ، أو خلايـا كل المخلوقات ، فقد جعل الله لها من نفسها أزواجـا ، ليسـير كل شيء بحساب ، ويسري بمقدار .

اذا .. فالـذي يحـدد صفـات المخلوقـات من البدايـة هي هذه الأزواج من الأمشـاج أو الكروموسومات ، فنراها في الخلايا الجسديـة أزواجـا أزواجـا ، وفي الخلايا الجنسية فرادي ، وباجتماع الفرادي تصير أزواجا ، ويحكم كل هذا عمليـات المناصفـة حينـا ، والمضاعفة حينا ، آخر ـ كل ذلك يتوقف على كون الخلايـا ستأتـي أجسادا ، أو نطفا أمشاجا .

وفكرة الخلق في كل الكائنـات واحدة ، فالذي يحدد صفات الانسان ـ كما سبق أن ذكرنا ـ هو ٢٣ زوجا من الأمشاج ، والذي يحدد صفات القرد من نوع الريسوس ٢١ زوجا ، والأبقار ٣٠ زوجا ، والفئران ٢١ زوجا ، والزنابق ١٢ زوجا ، ونبابة الفاكهـة أربعـة أزواج .. الخ .. الخ .. (انظر شكل ٢) .

صحيح أن الكروموسومـات في الكائنات قد تختلف طولا وسمـكا وعددا وحجمـا ، أو قد تتسـاوى عددا ، كما هو الحال مثلا في القرد والفئران (لـكل ٢١ زوجـا كمـا ذكرنا) ، الا أن العدد وحده لا يكفي لتحديد النوع ، بل تتحدد الصفات الحقيقية من المعلومـات الوراثيـة الكامنة في أزواج أصغـر من هذه الأزواج ، أو بمعنى أبسط تتحدد بأمشاج من داخل أمشاج .

هل يعني هذا وجود بناء داخل بناء ، أو أمشاج أكبر تنطـوي أمشـاج أصغر ؟

نعم .. فلقد جاءت أيضا أزواجا أزواجا ، لينطبق عليها القول الفصل (ومن كل شيء خلقنا زوجين) .. وللأمشـاج الأصغـر ، من داخـل الأمشاج الأكبر ، دراسـة أخـرى قادمة ، لنعلم من بديع صنع الله ما لم نكن نعلم ، ومن إعجاز آيات القرآن ما لم نكن ندرك .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن بريدة ان النجاشي أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما .

رواه ابو داود واحمد والترمذي

أهدى النجاشي ملك الحبشة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ليس فيهما لون آخر يغاير السواد أو هما غير منقوشين ، ولا شعر عليهما ، فلبسهما النبي اي على طهارة ثم توضأ ومسح عليهما .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ودخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرني ، وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم !؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا ».

رواه البخارى

بعاث : بالعين المهملة ـ كغراب ـ موضع بقرب المدينة وقيل : اسم حصن وقعت عنده حرب وقتال مرير بين الأوس والخزرج في الجاهلية ومن هذا نأخذ أن الغناء من الجاريتين كان غناء جادا ، يدعو الى الشجاعة والاقدام وقد اجازه الرسول الكريم اعلانا عن سماحة الاسلام حتى تعلم يهود ان في ديننا فسحة كما جاء في رواية اخرى .

ليس من الحديث النبوي

تسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« اذا ذكر ابراهيم الخليل وذكرت انا فصلوا عليه ثم صلوا علي واذا ذكرت انا والأنبياء غيره فصلوا علي ثم صلوا عليهم »

موضوع :

قال ابن تيمية : هذا لا يعرف في شئ من كتب الحديث .
ومع ان هذا القول لا يقره علماء الحديث ، فهو ايضا لا يلتقى مع شريعتنا ، فان ترتيب الدعاء في الصلاة الابراهيمية يرتب الصلاة مخالفا هذا الحديث ، ولا مجال لتكذيب ذلك أو انكاره بعد ان روته كتب السنة الصحاح وسار عليه المسلمون وايقن بصدقه العلماء .
وايضا الشطر الثاني من الحديث ليس صحيحا لأن النبي صلى الله عليه وسلم مقدم على كل الانبياء دون استثناء .
فعموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، ودوام معجزته العظمى وهي القرآن الكريم ، واقرار الأنبياء له بالرسالة يستفاد ذلك من قول الله سبحانه :
(وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .
وقول عيسى لقومه الذي حكاه القرآن الكريم : **(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .**
فهذه البشارة وغيرها تؤكد ان الرسول صلى الله عليه وسلم افضل الأنبياء على الاطلاق وتنفي صحة هذا القول .

المسلمون الأوائل أساتذة التصنيع في العالم

للاستاذ/محمد إبراهيم الصيحى

نشطت الصناعة العربية وازدهرت في الدولة العربية وخاصة في القرن الرابع الهجري الذي اتسم بطابع النهضة الصناعية ، وساعد وجود الثروة المعدنية بأنواعها من جهة واستقرار الأمور في البلاد من جهة أخرى ، على خلق هذه النهضة .

ويمكن أن نقسم الصناعة العربية الى أربعة أقسام هي : الصناعات المعدنية ، وصناعة المنسوجات بأنواعها ، والصناعات الغذائية ، وعدد من الصناعات المختلفة الأخرى .

فأما الصناعات المعدنية ، فقد تعددت

لتعدد الثروة المعدنية في الدولة الاسلامية التي عرف العباسيون - بوجه خاص - كيف يستثمرونها ويصنعون ما يمكن تصنيعه منها ، فكان لصناعة الحلى والجواهر الكريمة شأنها الرفيع بين الصناعات العربية ، إذ كان اللؤلؤ والياقوت والزمرد من الجواهر المفضلة لدى الطبقة الثرية ، وكانت قصور الخلفاء في بغداد والقاهرة وقرطبة تغص بالمصنوعات الدقيقة المرصعة بالحلى والجواهر بمختلف أنواعها وأحجامها .

ويمكن أن نتصور عظمة الصناعات الثمينة الماثلة في بغداد وفي عهد هارون الرشيد ، اذا عرفنا أن الدولة العباسية عاشت في عهده عصرها الذهبي حيث نبغ العباسيون في التوسع في صناعة زخرفة المعادن وتذهيبها وتفضيضها وفي الصياغة والتكفيت ، وكان الخلفاء يعشقون ويقتنون كل ما هو ثمين وطريف ، فقد ذكر أن الرشيد اشترى ياقوتة حمراء اسمه منقوش عليها بمبلغ ٤٠,٠٠٠ دينار .

والى جانب ذلك كله نجحت الصناعات الحديدية والنحاسية وتميزت الى جانب دقتها بسلامة الذوق والجمال الفني .

أما عن صناعة المنسوجات فقد برع فيها العرب ابان العصر العباسي بوجه خاص اذ اتسع نطاقها وتخصصت بعض المدن في صناعة أنواع من الأقمشة بذاتها حريرية أو صوفية أو قطنية أو كتانية ، فبينما اشتهرت دمشق بنوع من الأقمشة عرف باسم (داماسك) عرفت الموصل بصناعة نوع آخر هو الموصلين ، والكوفة بنوع ثالث هو الكوفيات وهي مناديل حريرية تتخذ أغطية للرأس تتفاوت أحجامها ، وأشتهر حي عتاب في بغداد بنوع من النسيج المخطط يسمى العتابي . وهكذا اشتهرت كل بلدة بنوع معين من القماش عرف باسمها ، وفي مصر عرفت دمياط بنوع من القماش الحريري سمي (الدمياطي) ، وتنيس بنوع اسمه التنيسي الذي ذاعت شهرته في أوربا وأستوردته بكميات كبيرة لجودته ومتانته ونعومته فضلا عن جمال شكله وكان يباع بأسعار مرتفعة وكثيرا ما كان يباع بقدر وزنه فضة . وأنتجت مصانع تنيس والاسكندرية أيضا نوعا من القماش الممتاز صنع خصيصا للخلفاء وبناء على طلبهم كان يحلى بنقوش ورموز خاصة ، وكان الخلفاء يقدمونه كخلع لكبار رجال الدولة في المناسبات بعد أن تنقش عليه أسماؤهم .

وقد تخصصت مصر أيضا في صناعة أنواع من الأقمشة الكتانية نظرا لكثرة زراعة الكتان بها ، كما اشتهرت العراق وخراسان بصناعة الأقمشة القطنية وكان يزرع بهما القطن أيضا ، أما فارس فبرعت في صناعة الأقمشة الصوفية والسجاجيد والبسط والمطرزات وأنتج مسلمو الأندلس الأقمشة الحريرية

بعد أن جلب العرب معهم دودة القز لأول مرة الى هذه الجهات .
هذا الى جانب كسوة الكعبة الشريفة التي كانت مصانع مصر تقوم بعملها وفق اشتراطات خاصة وما يزال هذا التقليد معمولا به حتى وقتنا الحاضر .
أما الصناعات الغذائية فقد كان للعرب فيها نشاط ظاهر ، من ذلك أنهم كانوا يعمدون الى صيد السمك من البحار والأنهار المجاورة لهم ، وكانت حصيلتهم دائما كبيرة وعادة من الاسماك الصغيرة الحجم ، فكانوا يجففونها ويملحونها ثم يصدرون الفائض عن حاجتهم .
وعرف العرب صناعة السكر والعسل المستخرج من الجزر والخوخ والقرع وقصب السكر . وكانت طريقتهم في ذلك عصر الفاكهة ووضعها في أوان كبيرة خاصة عدة أيام ثم تختم أفواهها ، وتصدر فاذا اريد وضع العسل على مائدة الطعام ضربت القصبة التي تسد فوهة الآنية ، فيسيل العسل منها ، وكانت لمصر والشام شهرة خاصة في صناعة السكر .
وفي الشام نجحت صناعة الزيوت والشراب ، وازدهرت صناعة المواد العطرية التي أفرد لها العرب في دمشق وشيراز مزارع خاصة لزراعة الورد والبنفسج وصنعوا منها المواد العطرية التي عبئت في زجاجات متفاوتة الأحجام كان يصدر للخليفة العباسي سنويا منها اكثر من ٣٠,٠٠٠ زجاجة من فارس وحدها .
أما بقية الصناعات فقد تنوعت وتعددت وسنبدأ بالكلام عن صناعة الورق التي كانت مصر تحتكرها زمنا طويلا منذ القدم فكانت تصنعه من أوراق البردى ثم تصدر الفائض منه للخارج ، ولكن عندما دخلت صناعة الورق الى العالم العربي بطريقتها الجديدة عن طريق الصين في عهد هارون الرشيد ، تعددت مراكز صناعة الورق في الوطن العربي وكان أشهرها مصانع سمرقند وبغداد وطرابلس الشام وبلنسيه بالأندلس ، الى جانب مصانع مصر .
وكان الورق المصنوع في الصين والذي دخلت صناعته العالم كله يصنع من شرانق الحرير ، وقد نقله العرب عنهم ثم ابتكروا نوعا من الورق مصنوعا من القطن كما اخترعوا نوعا آخر من الورق – أقل جودة – مصنوعا من الأسمال البالية ، وقد عرفته أوربا عن العرب بعد ذلك بنحو قرنين .
وكان لهذه الصناعة آثارها الخطيرة في الفكر الانساني وحفظ التراث العالمي إذ أن صناعة الورق حفظته من الضياع ، وفي هذا يقول العالم الفرنسي جوستاف لوبون : « لولا العرب لضاع أكثر الكتب الثمينة القديمة اذ كانت كلها مكتوبة في أول الأمر على رقوق من الجلد وكان غلاء أسعارها مانعا من توافرها ، ونشأ عن ندرتها أن تعود الرهبان – قديما – حك كتب كبار المؤلفين من اليونان والرومان ليسجلوا عليها

مواعظهم الدينية » .
ولكن الذي حدث أن العرب جاءوا بورقهم المصنوع ، فنقلوا عليه كل الكتب الثمينة وحفظوها من الضياع ، وكان ورقهم يتميز باعتدال سعره وحجمه ووزنه ، بعكس الجلود التي تشغل حيزا كبيرا ، وتستنفد مالا كثيرا ، هذا الى جانب ثقل وزنها مما يصعب معه تداولها .
وتطورت صناعة الورق العربية الى أحسن بعد أن عرف العرب استخدام القنب والكتان في صنع الورق وتعددت تبعا لذلك مصانع الورق ، فزادت لذلك الكتب والمكتبات العامة والخاصة في الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تعرف الا رقائق جلد الحيوان الغليظة الخشنة .
أما عن صناعة البارود والأسلحة النارية فقد كان للعرب السبق في التوصل الى نسبة الذخيرة التي يزود بها المدفع فقالوا : « تؤخذ عشرة دراهم من ملح البارود ودرهم من الفحم ودرهم ونصف درهم من الكبريت وتسحق كلها حتى تصبح كالغبار ويملأ بها ثلث المدفع فقط ، وتولج قطعة من الخشب في فوهة المدفع تتناسب وحجمها ، ثم تشعل بعد إضافة ما يلهب نارها » .
وننقل هنا فقرة عن أحد المؤرخين الأوربيين في هذا الصدد يقول فيها :
« لقد عزى الى روجر بيكون اختراع البارود ، مع أنه لم يفعل أكثر من اقتباس المركبات القديمة ، وأثبتت مباحث مسيو رينو ومسيو فافيه وغيرهما أن العرب هم الذين اخترعوا بارود المدافع السهل الانفجار الدافع للقذائف . وقال المؤلفان : إن الصينيين هم أول من اكتشفوا ملح البارود واستعملوه في النار الصناعية ، ولكن العرب هم الذين استخرجوا قوة البارود الدافعة ، أى أن العرب هم الذين اخترعوا الأسلحة النارية » .
وقد تفنن العرب في استخدام النار الاغريقية وأصبحت لهم عامل هجوم مهم ، وألقوا بها الرعب في قلوب أعدائهم ، ومكنتهم من إحراز عديد من الانتصارات عليهم .
والى جانب ذلك كله صنع العرب البوصلة البحرية . مع أنها من اختراع الصينيين ، ولكن نظرا لتوثق الصلة التجارية بين العرب والصينيين ، فقد نقلوا عنهم البوصلة واستخدموها في الملاحة ، ثم نقلوها بدورهم الى أوربا بعد ذلك مما كان له أثره البعيد المدى على الملاحة في أوربا ، وبالتالي على الكشوف الجغرافية وتطور العالم كله نتيجة لها .
وقد تميزت الصناعات العربية بتفوقها العظيم بفضل معارف العرب العالية ، إذ أن العرب طبقوا الكيمياء التي برعوا فيها ، بل والتي اخترعوها ، على الصناعة ، واستغلوا المناجم المتناثرة في أرجاء الدولة في الصناعة ، مما جعل لهم شهرة عالمية لم يسبقهم إليها أحد في عصرهم ، هذا الى جانب ما أضفوه عليها من ذوقهم وإحساسهم المتأصل بالجمال .

مائدة القارئ

لا مهادنة مع الأعداء

قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين**). الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●

فكيف صوت عذابه ؟

كان عمر بن عبدالعزيز واقفا مع سليمان بن عبدالملك أيام خلافته ، فسمع صوت رعد ، ففزع سليمان منه فزعا شديدا .

فقال له عمر : هذا صوت رحمته ، فكيف صوت عذابه ؟

* *

يا سارق الجمل

يحكى أن رجلا رفع دعوى ضد آخر متهما إياه بسرقة بعيره ، وليست لديه بينة يدين بها السارق ، وقد حاول القاضي بشتى الوسائل اكتشاف الجريمة فلم يفلح ، وأخيرا أجل الدعوى ، وأمر المتهم بالانصراف ، وعند انصراف المتهم خطرت للقاضى فكرة فنادى بأعلى صوته : (ياسارق الجمل) فالتفت المتهم الى القاضى ، عندئذ عرف القاضى أنه السارق فأصدر عليه حكم الادانة .

فضل الجهاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انتدب الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه الا إيمان بى وتصديق برسلى ، أن أرجعه ، بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل).

جانب الذل

قال الشاعر :

قوض خيامك عن أرض تضام بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة ... فالمنزل الرطب في أوطانه عطب

منطق المناضل

حاول رفاق عمر المختار ــ زعيم النضال الوطنى في ليبيا سنة ١٩٢٢ ــ حاولوا أن يثنوه عن النضال وحذروه من قوة المستعمر الغاشم ، فقال لهم : (إننى أؤمن بحقى في الحرية ، وحق بلادى في الحياة ، وهذا الايمان أقوى من كل سلاح ، عندما يقاتل المرء ، لكى يغتصب وينهب ، قد يتوقف عن القتال إذا امتلأت جعبته أو أنهكت قواه ، ولكنه حين يحارب من أجل وطنه يمضى فى حربه الى النهاية ، ان الظلم يجعل من المظلوم بطلا ، وأما الجريمة فلابد من أن ترجف قلب صاحبها مهما يحاول التظاهر بالكبرياء).

وقال : (إنى أفضل أن أموت شريفا وسيفى في يدى على أن أموت في فراش الدعة الممزوجة بالذل والعار).

الهجرة قمّة الانتصار

بَعدَ تحدّيات المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الاسلام ليوجه الانسانية الى طريقها الراشد ، ويقود زمام البشرية إلى ما فيه خيرها في هذه الحياة الدنيا . وما فيه سعادتها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولأن دعوات الاصلاح تخالف مألوف القوم ، وتوجههم إلى طريق جديد يغاير الطريق الذي يسيرون فيه ، فقد وجدت هذه الدعوة من أعدائها أشد الوان المعارضة ، ولقى صاحبها صلى الله عليه وسلم أقسى الوان المكايد ، وتعرض أصحابه والمؤمنون برسالته إلى أعنف مظاهر الايذاءات لقد كان الواحد منهم يضرب بالسيف في سبيل الله فتقع ضربات السيوف على جسده فتمزقه ، فما يحسها إلا وكأنها تحيات اصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه ، وكان الواحد يبتلى في نفسه وأهله وماله فلا يحس بأنه المرزأ المبتلى الذي يعرف فيه الحزن والانكسار ، ولكن كانت تظهر فيه الانسانية المنتصرة .. واستمرت هذه المكايد تلاحق الرسول واصحابه بل كانت تتصاعد مع تصاعد عدد الذين يؤمنون بهذا الدين الجديد ، ويصل التصاعد الى الحد الذي يدعو سيدنا خباب بن الأرت رضى الله عنه وهو المؤمن الصابر — إلى أن يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول حسب روايته . « أتيت النبي عليه

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

السلام وهو متوسد ببرد وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة فقلت . الا تدعو الله . فقعد وهو محمر الوجه فقال : قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

وتمضي الأيام تتبعها الأيام والسنوات تتلوها السنوات ، ودعوة الاسلام تشق طريقها كما يشق النور حجب الظلام ، وفي كل يوم تطلع فيه شمس يشاهد تاريخ الاسلام صفوة من الرجال ، رفضوا الباطل واختاروا الحق ثم رفضوا الصمت وآثروا المقاومة ، ثم رفضوا الضعف وصمدوا في يقين وبسالة أمام تحديات الاعداء ... إلى أن وقع في حياة الرسول حادثان أثرا تأثيرا عميقا في حياته النفسية ، ووقع الحادثان في عام واحد . أطلق عليه عام الحزن أما أولهما فهو فقده صديقة النساء التي حنت على زوجها ساعة قلق وكانت نسمة سلام وبر رطبت جبينه المتصبب عرقا من آثار الوحي ، وهي التي احترمت قبل بعثته خلواته وتأملاته ، وتحملت معه بعد بعثته أذى أعدائه . إنها خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وقد ماتت بعد عشر سنوات من بدء الرسالة ، وأثرت وفاتها في نفسه تأثيرا عميقا فقد هيأت له بيتا سعيدا ، يجد فيه السكن والراحة والأمن وهو البيت الذي حدد القرآن معالمه في قوله تعالى : **(ومن اياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** الروم/٢١ .

والحادث الثاني . هو وفاة عمه أبى طالب ، وقد حزن الرسول لفقده حزنا عميقا ألم يكن الحصن الذي تحتمي به الدعوة من هجمات الأعداء . ألم يكن هو الرجل الذي سخر جاهه وسلطانه في الدفاع عن ابن أخيه وكان القوم يحسبون له ألف حساب . وبعد فقده أصبحت قريش لا تهاب في محمد أحدا بعده .

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينتقل بالدعوة من موطن الى موطن آخر ، فالى أين يتجه . إن الطائف طيبة الهواء ، معتدلة الجو ، فيها الكثير من ينابيع المياه العذبة وحيث توجد المياه توجد الخضرة ويكثر الخير وطيب الجو يضفي على الناس رقة قلب ، وصفاء نفس ، لهذا قصد الرسول الطائف ، حيث تقطن ثقيف وقصد إلى قادتها وأولى الرأي فيها ، لكنهم صنعوا معه أشبه بما

صنع قوم نوح مع نبيهم نوح ـ جعلوا أصابعهم في آذانهم وإستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا لقد مكث بينهم عشرة أيام ولم يكسب للاسلام واحدا منهم بل إنهم حرضوا عليه غلمانهم وسفاءهم وقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماه وزيد بن حارثة رفيقه في الرحلة يدفعهم عنه ، حتى شج رأسه وترك الطائف وفي قلبه ألم ، وفي نفسه حسرة على هؤلاء الذين قابلوه بهذا الايذاء وهو الذي جاء اليهم بسعادة الدنيا والآخرة ، ولجأ الى بستان خارج الطائف يملكه أخوان هما عتبة وشيبة ابنا ربيعة حيث جلس في ظل كرمة يلتمس الراحة والأمن . وجلس الرسول يفكر في حاضر الرسالة المرير وكيف يكون مستقبلها . وتذكر ما عاناه مع أهل مكة ، فوجه ناظريه إلى السماء وهتف لربه بقوله : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني . إلى بعيد يتجهمني . أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي . غير ان عافيتك هي أوسع لي ـ أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو أن ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك » .

هذا الاتجاه إلى السماء جاء بالنصر . وجاءت بشرياته من تحرك عاطفة القرابة في قلبي ابني ربيعة فدعوا غلاما لهما نصرانيا يدعى « عداسا » وقالا له : خذ قطفا من هذا العنب ، واذهب به الى هذا الرجل ، فلما وضعه بين يدي رسول الله مد يده إليه قائلا : باسم الله ثم أكل ، فقال عداس . ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له النبي . من أي البلاد أنت . قال أنا من نينوى فقال رسول الله . أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال وما يدريك ما يونس ؟ قال رسول الله « ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي » فأكب عداس على يدي رسول الله ورجليه يقبلهما . وآمن بدعوة الاسلام وهذا هو أول كسب يكسبه الرسول بعد رحلة الطائف الشاقة » .

وعاد إلى مكة ويروي ابن إسحاق هذا الحادث المثير على أنه حدث بعد رحلة الطائف وعند انصراف الرسول منها ، في مكان يسمى نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى . وهم سبعة نفر من جن أهل نصيبين . فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : **(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا**

أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) الأحقاف/ ٢٩ ـ ٣٢ . وقال تبارك وتعالى : **(قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)** الجن/ ١ و٢ .

وهذا هو الكسب الثاني للاسلام لقد آمن الجن بهذا الدين في الوقت الذي لا يزال فيه كثير من الانس يعارضونه ، بل ويؤذون الداعي إليه ، وكان الرسول بذلك نبي الثقلين ، ولم يمض على هذا الكسب زمن طويل حتى جاءت دعوة من السماء لرسول الله ليترك الأرض التي تحجرت فيها قلوب أكثر أبنائها إلى السماء في صفائها ، وطهارة أهلها من الملائكة الأخيار ، الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وكانت رحلة الاسراء والمعراج . هذه الرحلة التي صورت للرسول المجتمع الجديد الذي بشرت السماء بتكوينه قبل أن يتكون في المدينة بينما كان كل ما حول النبي لا تبدو فيه بوارق أمل كانت رحلة الاسراء تخفيفا من الألم الثقيل الذي يحمله ، ويدا حانية تمسح عن قلبه بعض ما فيه من ألم ، ونرى أقدامه المتعثرة على طريق الطائف تخترق الآفاق دون أن تمس الأرض والأرجل الدامية تعرف طريقها إلى السماء إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين . إلى فريضة الصلاة التي تربط المؤمنين بمدد لا ينقطع من الايمان بالله إيمانا يدعوهم إلى مواصلة النضال وإلى الصبر على تحمل المشاق . ابتغاء ما عند الله من خير وما عند الله خير وأبقى للانسان : **(ما عندكم ينفد وما عند الله باق)** النحل/ ٩٦ .

وتأتى ذروة الانتصارات بالهجرة لاقامة المجتمع الجديد مجتمع الحب والايمان والتعاون والتآخى ـ مجتمع المدينة . الذى توج انتصارات رسول الله على أعدائه . وكان الله معه كما كان معه دائما لقد دبر المشركون أمرا . ودبر الله لنبيه أمرا ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . لقد عقدوا العزم على اغتياله ليوقفوا زحف النور المشرق . وليحدوا من المد التحررى الذى يدعو اليه هذا الدين والذى يجعل الولاء خالصا للقوة الخالقة القادرة التى تملك كل شئ ولا يملك الانسان معها أي شئ : **(ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل).** الأنعام/ ١٠٢ .

وأطلعه الله على تدبير قومه ، وأذن له بالهجرة من مكة الى يثرب واعد الرسول للأمر عدته وخطط لنجاحه مع صاحبه أبى بكر تخطيطا دقيقا ولم يترك امر نجاحها للمصادفات وحدها ، لقد بذل كل ما يستطيع بشر أن يبذله ، وترك بعد ذلك الامر كله

لله ، لقد اختار طريق سير الرحلة مكانا غير مألوف لهم ، بحيث تسير في اتجاه الجنوب الشرقي من مكة ، مع أن يثرب في شمالى مكة ، ليضـلل الأعداء وأخفـى الخبـر حتـى لا يستفيدوا من عامل الزمن واختار من يعد الزاد لهم طوال الرحلة والدليل الذى يدلهم على الطريق كل ذلك في سرية وكتمان ووصـل الصاحبـان محمد وأبو بكر الى الغار والتجأ فيه نهارا ليختفيا عن أعين الاعداء . انه لا يحميهما الا اللـه وحـده ، ولا ترعاهما الا عين الله وحدها ، ولهذا لما وصل الأعداء امام الغار ، وقال أحدهم : ها هنا قد انقطع الأثـر أشفق أبو بكر على صاحبه من ان يناله أذى فتعلق بالرسـول وقـال يارسول الله والله لو نظر احدهم تحت قدميه لأبصرنا فذكره الرسول بعناية الله ورعايته التى لا يتخلى بها عن أحبابه ، والداعين اليـه المتحملـين للمشاق في سبيل نشر دينه قال له . يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . لا تحزن إن الله معنا . وقد ذكر القرآن نبأ هذا المشهد في قوله تعالى : **(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليـا واللـه عزيـز حكيـم)** التوبة/ ٤٠ وسلـم الصاحبـان من بطش الأعداء ونصرهما على كيدهم وتآمرهم وتحقق بذلك كسب رائـع لدعوة الاسلام . بعد شدة الأذى وبعد عنف التحديات .

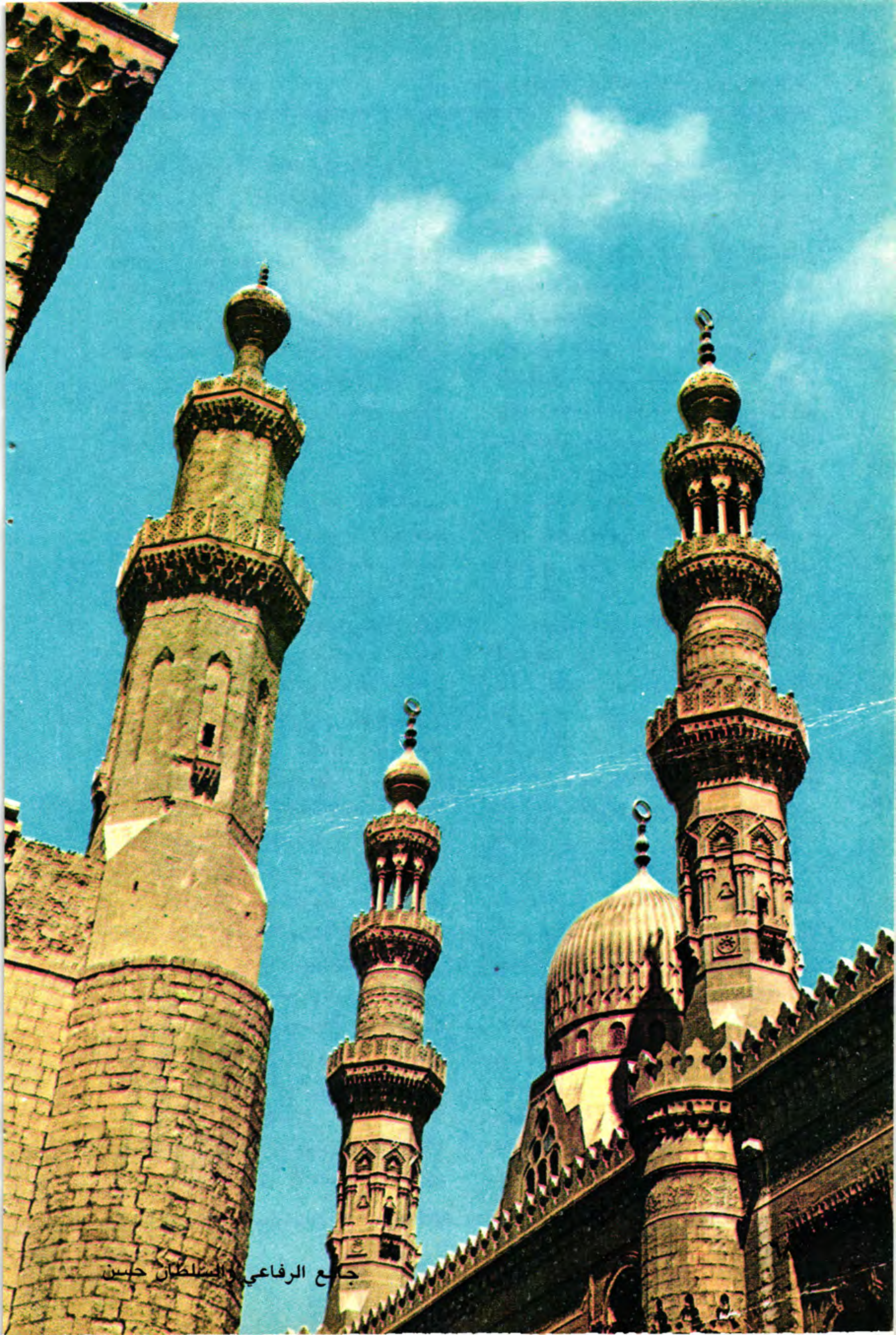
وكان من آثار هذا الانتصار اقامة المجتمـع الجديـد فبعـد ان كان المسلمون في مكة فرادى يتجمعون وكأنهـم غربـاء وهـم في وطنهـم ويستخفون من الناس وهم دعـاة الخير ، وأصحاب الحق أصبحت لهم قوة ، وأقاموا مجتمعهم المؤمن على دعائم قوية من الايمان بالله الواحد ، ومن الاخوة التى يحس الواحد منهم فيها احساس اخيه المسلم فيحيا بهم ويحيا لهم وكأنهم أغصان انبثقت من شجرة واحدة أو روح واحد حل في أجساد متعددة وأصبح كل فرد منهم لا يقول . أنا وحدى ومـن بعـدى الطوفان ، ولكن كان يقول . انا مع غيرى نتشـارك الحيـاة نعماءهـا وبأساها ، سعادتهـا وشقاءهـا ، سعتها وضيقها ، ومدح الله تعالى اهـل المدينـة الأصليـين لحسـن استقبالهم لاخوانهم المهاجريـن في قوله تعالى : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسـه فأولئـك هم المفلحـون)** الحشر/ ٩ . إن الهجرة لم تكن يسيرة على نفوس أهل مكة ، فمكة حبيبة الى قلوبهم وتغنوا بحبها وحنوا اليها وهم في المدينة ، ولنستمـع الى حديـث السيدة عائشة رضى اللـه عنهـا :

« لولا الهجرة لسكنت مكة فانى لم أر السماء بمكان أقرب الى الارض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة » .

وإزاء هذا الحنين كان رسول الله يدعو ربه بقوله : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد ». وكان للمسجد النبوى الذى بناه رسول الله أول وصوله الى المدينة . وعاونه أصحابه في بنائه الاثر الاكبر في تأصيل عقيدة التوحيد في القلوب وفي جمع كلمة المؤمنين ووحدة صفوفهم وائتلاف مشاعرهم ، لقد كان مدرسة خرج رهبان الليل وفرسان النهار لقد بناه الرسول بناء متواضعا ولكن كان يضم تحت سقفه رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه . ولم تأت السنة الثانية من الهجرة وفي السابع عشر من رمضان على وجه التحديد تأكدت شخصية الجماعة الاسلامية بانتصارها العظيم في غزوة بدر الكبرى انتصار القوة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وسمى الله يوم النصر في بدر بيوم الفرقان ، لأنه فرق بين عهدين في تاريخ الاسلام عهد القوة المستضعفة المستخفية وعهد القوة القوية المنتصرة التى سمع بانتصارها العرب جميعا ، قال تعالى في شأن هذا اليوم : (**وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان**) الأنفال/٤١ . وبهذا كانت الهجرة نتيجة وسعيا ، نتيجةلسلسلة من التحديات التى صمد امامها المسلمون . واكدوا بنضالهم ان الحق وحده هو المقدس وان الولاء المطلق للحق والتضحية في سبيله هما اللذان يعطيان للانسان قيمته وللحياة مضاها ، وكانت سببا في الانتصارات التى حققها المسلمون بعد ذلك والتى اكدت شخصية الأمة المسلمة ، والتى جعلت الواحد منهم يقف أمام يزدجرد ملك الفرس في عنفوانه وجبروته ويقول في عزة المؤمن : « إن الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الأصنام الى عبادة الله . ومن ضيق الدنيا الى سعتها ــ ومن جور الاديان الى عدل الاسلام » .

وطريقنا الى الانتصار في جميع معاركنا هو ان نتخذ الهجرة طريقا لنا . هجرة القلوب قبل هجرة الأجساد ، نهاجر من حياة الضعف الى حياة القوة نهاجر من البعد عن الله الى القرب منه ، نهاجر من حياة الدعة والكسل والخوف الى حياة الجد والعمل والنضال من اجل إثراء الحياة بكل ما هو خير . وحينئذ نستطيع أن نحقق النصر الذى وعده الله عباده المؤمنين في قوله : (**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**) غافر/٥١ .

هذه هي الهجرة الآن . والتى أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » البخارى .



جامع الرفاعي والسلطان حسن

القاهرة ذات الألف مئذنة

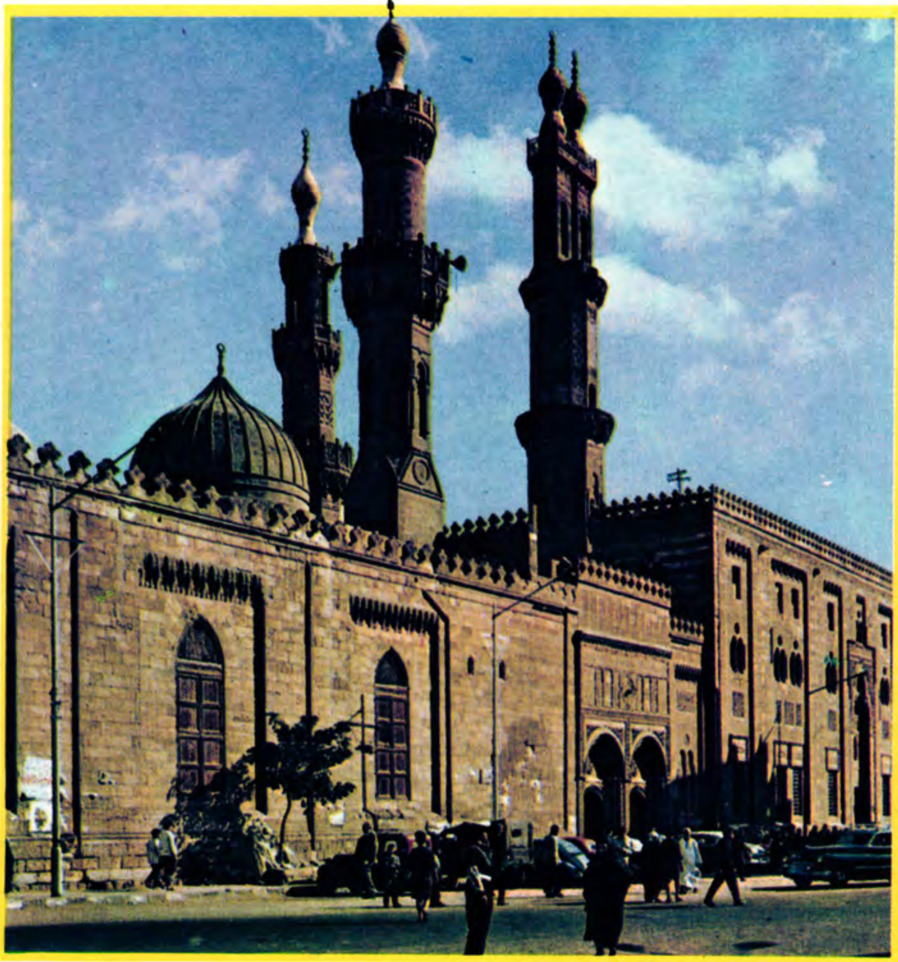
للاستاذ : عبد الغني محمد عبد الله

قاهرة المعز ـ مصر المحروسة ـ المنصورية ـ العاصمة الرابعة لمصر الاسلامية . أو كما سماها ابن خلدون ـ مدينة المدن ـ هي التاريخ نفسه حيث تم رسم الكثير من الأحداث فيها ـ فصارت تاريخا . ومنها خرجت الجيوش فاتحة أو غازية مجاهدة في سبيل الله . وهي نفسها التي أغلقت أبواب حاراتها ليالي طويلة حزنا وكمدا بسبب غزو أو قهر .. أو لفقدان عزيز .

أحداثا كثيرة عاصرتها . أو خرجت منها . وكم من أحداث بقيت في الخارج تنتظر كلمة القاهرة لتكتمل . وكم سهرت هي تنتظر كلمة من الخارج ليكتمل عندها حدث .

من فوق قلعتها انظر اليها .. سترى نصف دائرة من العمران والحركة والحياة ... كم رغب الأعداء فيها .. وكم تمنعت عليهم .. وكم من عدو فقد عرشه وحياته في الطريق إليها .. وكم داست هي في النهاية فوق جثثهم وشهدت نهايتهم بعد أن وطئتها أقدامهم ولكن بعد طول صبر .. وكفاح .

الرحالة والمؤرخون والكتاب . المصادر والمراجع والمصورات . من الشرق ومن الغرب .. كثيرون أكثر من



الجامع الازهر

أن يتم حصرهم .

ترابها .. إذا حفرت فيه ستتشم رائحة التاريخ .. ستجد أثرا فيه .. وفوقه أيضا ستجد آثارا كثيرة .. فهي حديقة رائعة للآثار الاسلامية .

تاريخ المدينة

وضع جوهر الصقلى أساس مدينة القاهرة يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ـ وبرغم ذلك فان هذا اليوم ليس هو البداية الحقيقية لتاريخ هذه المدينة ، حيث أن اتساعها اليوم يجعل من القاهرة بحدودها القديمة حيا واحدا من أحياء عاصمة مصر الاسلامية .

وإذا نظرنا الى القاهرة دون النظر إلى ما سبقها من عواصم إسلامية لمصر ، أو ما تلا إنشاءها فان الناظر يكون قد وضع بصره على فقرة واحدة من تاريخ هذه المدينة .



باب زويلة

وعواصم مصر الاسلامية أربعة هي على التوالي : الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ، ثم القاهرة . ولكن بقيام صلاح الدين الأيوبي على ضم هذه العواصم الأربعة داخل سور واحد .. صارت كل عاصمة حيا من أحياء العاصمة الجديدة داخل هذا السور .

الفسطاط

كانت الاسكندرية هي عاصمة مصر خلال تبعيتها للامبراطورية الرومانية ، وما أن فتح العرب مصر وبعد صلح الاسكندرية . قام عمرو ابن العاص باختيار المنطقة شمال حصن بابليون على رأس دلتا النيل ، واتخذ هذا المكان قاعدة يدير منها البلاد حيث أن الخليفة عمر بن الخطاب أشار عليه باتخاذ عاصمة جديدة لا يفصلها عن مقر الخلافة بحر أو نهر .

وتظهر العبقرية العسكرية الفذة لعمرو بن العاص في اختيار المكان ، إذ أن هذا المكان متكامل عسكريا واقتصاديا فهو من ناحية الجنوب مفتـوح على صعيـد مصر لتمويـن المدينة ، ويحميه جبل المقطـم من الشرق عسكريا ، ويتكفل نهر النيل بالحماية من الغرب ، أما الشمال فهو مفتوح لاتسـاع المدينة مستقبـلا ، وللتموين من الدلتا .. ويسهل الدفاع عن المدينة من هذا الاتجاه الوحيد المفتوح .

وتاريخ إنشاء الفسطاط مختلف فيه فالبلاذرى ذكر أن عمرو قد بنى المدينة بعد فتـح حصـن بابليـون مباشرة ، في حين أن أغلب روايات المؤرخين رجحت بناء المدينة بعد فتح الاسكندرية . وعلى هذا يعتقـد أن الفسطاط بنيت عام ٢١ هـ .

وقد كانت الفسطاط معسكرا في أول الأمر . وقد أخذ المسلمون أولا ببناء المدن المدورة . وكانت الفسطاط على هذا النحو وتعتبر هي أول المدن الاسلامية التـي بنيـت في شمـال افريقيا . الجامع في الوسط ومن حوله جاءت القبائل العربية المشتركة في الفتح تتساوى جميعا في قربها من الجامع تجنبـا للحساسيـات بـين القبائل .

وولى عمرو بن العاص على خطط المدينـة ـ المعسـكر ـ أربعـة من المسلمين هم معاويـة بن حديـج ، وشريك بن سمى ، وعمرو بن قحزم وجبريل بن ناشرة . وذكر المؤرخون أن الزبير بن العوام هو الذي خطط المدينة وأقام بها دارا خاصة به .

وعن الفسطاط تحدث كثـير من المؤرخين مثل أبو المحاسن وابن عبد الحكم والمقريزى والبلاذرى وابـن دقماق وتحدثوا عن جامع عمرو بن العاص وذكروا أنه أطلق عليه أسماء كثيرة متتالية منها (أهل الراية ، ومسجد النصر ، وتـاج الجوامـع والمسجد العتيق) وهو بحـق أول مساجد مصر الاسلاميـة ، ونـواة العمارة الاسلامية فيها . ومن أقوال هؤلاء المؤرخين وغيرهم توافرت لدينا التفاصيـل الكثـيرة عن مدينـة معسكر ـ الفسطاط .

العسكر

هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية الى مصر سنة ٧٥٠ م وقتل في قرية بصعيد مصر ـ أبو صـير ـ وأصبحت مصر تابعة للدولة العباسية ولم يرغب العباسيون في الاستمرار بالفسطاط عاصمة للبـلاد . فبنـوا عاصمة جديـدة (هـي العاصمـة الثانية) إلى الشمال من الفسطاط وأطلقوا عليها اسم العسكر ـ وأغلب الظن أنها كانت فيما يعـرف الآن بمنطقـة (أبـى السعـود) بمصر القديمة ، وربما كان مركزها محل مسجد « أبو السعود الجارحـي » الآن . بناها صالح بن علي وأنشأ بها دارا للامارة وثكنات للجند وأنشأ ابنه الفضل « مسجد العسكر » بالمدينة .

وظلت العسكر حاضرة لمصر الا أن



جامع القلعة من الداخل

الفاصل القليل بين العسكر والفسطاط امتلأ بالدور حتى تلاصقت المدينتان فيما يجعلهما مدينة واحدة .

القطائع

وظلت العسكر حاضرة لمصر فترة تربو على ١١٨ عاما . حتى جاء احمد ابن طولون حاكما لمصر نائبا عن الوالي التركي « باكباك » ولكن النائب كانت طموحاته أكبر مما هو قادم من أجله ، فاستقل بمصر عن الدولة العباسية . اذ أن هذه الفترة من العصر العباسي الثاني تميزت بظهور شخصية الأمصار الاسلامية واستقلالها عن الدولة ـ استقلالا اسميا في أغلب الحالات ـ.

بنى أحمد بن طولون عاصمة جديدة ـ هي القطائع ـ في المنطقة الواقعة بين العسكر وجبل المقطم « أغسطس سنة ٨٧٠ م » ـ « شعبان سنة ٢٥٦ هـ » واتصلت الدور في هذه العاصمة الجديدة بمدينة



القاهرة القديمة

العسكر والفسطاط . وبنى في وسط المدينة مسجده « مسجد الميدان الكبير » المعروف بابن طولون سنة ٢٦٣ هـ ويعتبر من أروع المساجد الاسلامية الأثرية في مصر بمبانيه الرائعة وزخارفه الفريدة خاصة الأشرطة الكتابية . وتعتبر مئذنته الشبيهة بمئذنة جامع سامرا الكبير ، أثرا هاما من الآثار الفريدة للعمارة العباسية في مصر .

انتقلت قاعدة الحكم الى القطائع .. واستمرت حاضرة ثالثة لمصر حتى حرقها القائد العباسي محمد بن سليمان عندما جاء للقضاء على الأسرة الطولونية وحلمها في الاستقلال بمصر .

وفي عام ٩٠٤ هـ عادت الفسطاط عاصمة مرة أخرى ولم يبق من القطائع سوى أطلالها تحكي مع الزمن مجدها الغابر . وبقى مسجد ابن طولون أثرا شامخا ، يحكي لنا قصة القطائع كاملة مع كتابات المؤرخين كشاهد إثبات وكيف أن هذه المدينة كانت شديدة التأثر بمدينة



جامع ابن طولون

« سامرا » في العراق تتشابه الاثنتان في كونهما مقسمتان الى خطط « قطائع » وكل خطة بها مجموعة من السكان تجمعها رابطة العرق أو العمل . وتتشابه فيها طرز العمارة والزخرفة إلى حد كبير . وخاصة بعد أن أكثر « خمارويه » في تزويق المدينة « القطائع » وتزويدها بالحدائق التي امتلأت بالورود والرياحين والأشجار التي كسيت جذوعها بالنحاس المطلي بالذهب أو الفضة . ومن الطريف أن خمارويه قد استخدم أسدا أزرق العينين لحراسته ـ تكلم عنه غالبية المؤرخين ـ واليوم يمكن لزائر القاهرة ان يحدد موقع القطائع بوضوح تام من فوق القلعة حيث يظهر مسجد ابن طولون . شامخا على ربوته العالية .

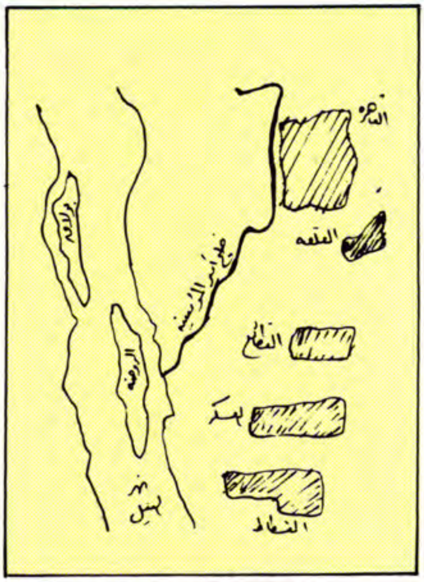
القاهرة

وجاء الفواطم لمصر .. فكانت القاهرة رابعة العواصم الاسلامية لمصر . وسبب تسميتها القاهرة حسب أقوال المقريزي في خططه أن

جوهر الصقلي ـ القائد الفاطمي كان قد أحضر المنجمين لاختيار الموعد المناسب عند مرور طالع سعيد للبدء في بناء المدينة . ووضعت الأجراس لتنبيه العمال بالبدء في العمل عند رنينها في الموعد الذي يحدده المنجمون ولكن تصادف أن وقف طائر على أحد الحبال فدقت الأجراس فبدأ العمل وهنا صاح المنجمون أن « القاهر في الطالع » أي كوكب المريخ ـ فسميت بالقاهرة .

والقاهرة تختلف عن باقي عواصم مصر السابقة في أنها مدينة مربعة وليست مدورة كسابقاتها . قسمت المدينة الى أربعة أقسام حيث اخترقها شارعان متقاطعان ـ انظر الشكل ـ أحد الشارعين هو شارع بين القصرين ـ المعز الآن ـ والثاني هو شارع الأزهر ـ وما زال يحمل نفس الاسم ـ ونتج عن ذلك تقسيم المدينة إلى أربعة أقسام كان القصر الشرقي في أحد هذه الأقسام ، بينما احتل القصر الغربي قسما ثانيا وجاء الجامع الأزهر في قسم ثالث . بينما ترك القسم الرابع للحرفيين والصناع وسمى « الربع » على أن يغادره هؤلاء العمال في نهاية اليوم الى مساكنهم في الفسطاط .

وعلى ذلك كانت القاهرة أول الأمر مدينة خاصة بالخليفة وحاشيته فقط . وتتحدث المراجع عن أن المدينة كانت تغلق أبوابها ليلا حيث بنى الخليفة حول المدينة سورا من الطوب اللبن على شكل مربع طول ضلعه ١٢٠٠ ياردة ويضم بداخله قرابة

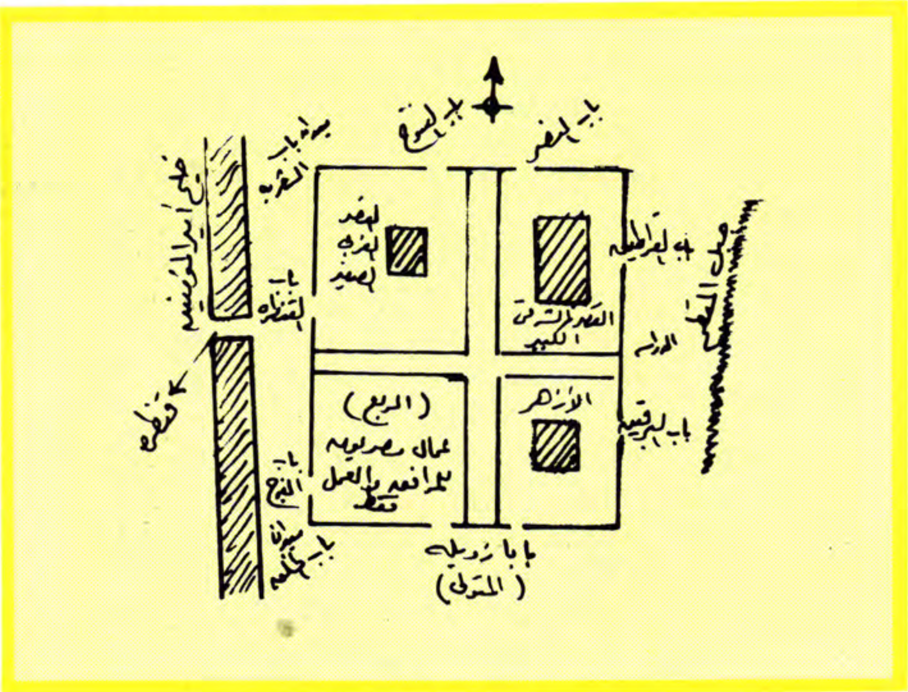


القاهرة اول بنائها

٣٤٠ فدانا . وفتح هذا السور بثمانية أبواب . أي قلعة حصينة ولذا سميت مصر المحروسة تمييزا لها عن مصر الفسطاط .

ويروي لنا الدكتور عبد الرحمن زكي أن جوهر الصقلي تلقى تعليمات الخليفة الفاطمي بانشاء مدينة تكون للفسطاط بمثابة المنصورية للقيروان . أو بمثابة فرساي لباريس أو وندسور للندن . وعلى ذلك لم يكن القصد من انشاء المدينة أن تكون سكنا للخليفة وحرمه وخواصه بل إلى جانب ذلك تكون معقل قتال للتحصن فيه والالتجاء إليه . ومن هنا لم يكن يسمح للمواطنين بدخول المدينة الا بتصريح .

والسور الأول أضاف إليه أمير الجيوش بدر الجمالي « وزير الخليفة المستنصر » سورا جديدا من



عواصم مصر الاسلامية الاربعة

الناحيتين القبلية والبحرية . ويصف لنا المقريزي سوري القاهرة الأول والثاني وأنهما كانا من اللبن . عدا أبواب النصر والفتوح وبابي زويلة فمن الحجر .

ثمانية أبواب هي مداخل المدينة الجديدة : « باب زويلة (وكان بابين متجاورين) بنته قبيلة زويلة من قبائل البربر ــ باب القنطرة ــ باب الفرج عند ضريح سيدي فرج ، وباب سعادة عند المكان الذي دخل منه سعاد بن حيان غلام الخليفة المعز وباب النصر ، والفتوح يقعان في الشمال . أما باب البرقية وباب القراطين « الباب المحروق » فيقعان في الشرق » .

وقد انشىء الجامع الأزهر بداخل أسوار القاهرة المعزية وقد ذكر المقريزي أن العمل بدأ في بناء هذا الجامع سنة ٣٥٩ هـ وتمت عمارته بعد نلك بعامين تقريبا وهو واحد من أعظم العمائر الدينية في العالم الاسلامي . وبعون الله سوف نجد الفرصة المناسبة للحديث عنه مستقبلا .

وحوارى القاهرة القديمة نسبت كل منها إلى القبيلة التي نزلت فيها مثل حواري « الروم ــ برجوان ــ زويلة ــ الجدرية ــ الأمراء ــ الديلم ــ الباطلية ــ الكافورى ــ الوزيرية ــ المحمودية ــ العطوف ــ قائد القواد ــ وما زال كثير من هذه الحواري تحمل نفس أسمائها للآن » .

الكثير من القصور العظيمة والدور الفخمة مثل دار الحكمة والدار الأفضلية « نسبة الى الأفضل بن بدر الجمالي » الكثير منها أقيم في قاهرة المعز إلى جانب المساجد والجوامع الفخمة كالحاكم ـ والأقمر والصالح طلائع .. كلها تقريبا تحمل أسماء منشئيها .

القاهرة الأيوبية :

وقد أحاطها صلاح الدين الأيوبي مع العواصم السابقة بسور واحد ـ فاتسعت المدينة وأصبحت هذه العواصم الأربعة تبدو وكأنها أربعة أحياء ضخمة تؤلف عاصمة واحدة .. وقد جدد الأسوار لتصبح من الحجر .. وفوق الربوة المنفصلة عن جبل المقطم ـ بني صلاح الدين واحدة من أفخم العمائر الحربية من تاريخ المسلمين ـ قلعة الجبل ، وظهرت في إنشائها العبقرية العسكرية للعرب والمسلمين .

قاهرة المماليك :

وزادت المدينة واتسعت ومرت بكثير من العظمة والأبهة ـ صفحات تحمل في طياتها الكثير من المجد والفخار ، وتحتوي أيضا على مشاهد متعددة من الظلم والقهر ، وبنى فيها الكثير من الدور والمساجد والجوامع والأسبلة والحمامات والوكالات والخانات والمدارس .. وانتشرت هذه الأبنية بشكل يجعل المدينة اليوم كحديقة للآثار الاسلامية بواجهاتها المرتفعة المزركشة ومآذنها الرائعة وزخارفها الفنية .. عمائر خالدة . يقل نظيرها في العالم الاسلامي .

قاهرة العثمانيين :

وظلت القاهرة مع المماليك بحرية وجراكسة ، وظل دورها يسير مع التاريخ تصنعه ويصنعها إلى أن وطئها عسكر آل عثمان ليطفئوا بريقها ويسحبوا منها دور الصدارة في العالم الاسلامي ويعودوا بها إلى دور التابع لأول مرة في تاريخها .. دور عثماني طويل .. ليل طويل استكانت فيه المدينة صبرا مع طول الظلام إلا من هبات قليلة الأثر بفعل النوم الطويل والجهل والخرفات حتى بدأ يطل عليها عصر جديد في أواخر القرن الثامن عشر . ورغم أنه كان في شكل غزوة أوروبية الا أنه كان اتصالا بالنهضة الحديثة .. جاء نابليون بجحافله يسرق ويقتل ويحاول أن يثبت قدميه ليبدأ في تأسيس امبراطورية شرقية وفشل ولكن كان الاحتكاك الحضاري .

قاهرة العثمانيين مليئة بالآثار العثمانية مميزة بطرزها وتطل عليك المآذن المشوقة مثل القلم الرصاص والمساجد الضخمة في عمارتها وإن كانت أقل زخرفة والأسبلة والدور كلها في طراز عثماني بديع .

لذلك فاننا نقول بكل ارتياح إنه بمرورك في مدينة القاهرة سوف تشاهد متحفا على الطبيعة يحمل سمات المدارس الفنية كلها من العصر الاسلامي المبكر .. إلى العصر العثماني .. وإلى اليوم .

همزة الوصل في كلمة « ابن »

العرب يحذفون همزة الوصل من كلمة ابن إذا وقعت صفة بين عَلَمَيْنْ فيقولون : سافر خالدُ بنُ محمد .. وأسباب الحذف كثيرة منها الاختصار في الكتابة ، ومنها اهتمامهم الشديد بالأنساب واضطرارهم إلى ذكر كلمة ابن مرات عديدة عندما يذكرون نسب عربي ..

أما إذا لم تكن كلمة « ابن » صفة فالمطلوب إثبات همزة الوصل وتنوين الاسم الذي قبلها نحو : إن محمداً ابنُ عبدالله . فقد ثبتت همزة الوصل في كلمة **ابن** لأنها وقعت خبرا لإن وليست صفة ، كما تثبت همزة الوصل أيضا في كلمة ابن إذا أضيفت إلى الجَدِّ أو إلى الأم مثل : محمد ابن عبد المطلب ، وعيسى ابن مريم ، وكذا إذا سبقتها أداة استفهام مثل : هل خالد ابنُ عثمان ؟؟ أو إذا وقعت في أول السطر .

الدعوة إلى الله

بعض سماتها المطلوبة في هذا العصر

للشيخ / ابي الحسن علي الحسني الندوي

سأتناول في هذه الكلمة ، بعض السمات البارزة التي يجب ان تتسم بها الدعوة والدعاة في هذا العصر ، حتى يستطيعوا ان يقوموا بدور الدعوة في اتم وجه ، ويبلغوا رسالة الرسل عليهم السلام ، ويؤثروا التأثير المطلوب .

اما الدعوة الاسلامية ، فيجب ان تكون هذه الدعوة ، جامعة بين تحريك الايمان في نفوس المخاطبين والمجتمع الاسلامي ، واثارة الشعور الديني ، وبين اكمال الوعي وتنميته وتربيته ، فان المتتبع لاحوال العالم الاسلامي اليوم ، وواقع الاقطار الاسلامية وحكوماتها وشعوبها ، يعرف ان تمسك هذه الشعوب والجماهير بالاسلام ، وحبها له ، هو الحاجز السميك ، والسد المنيع ، لكثير من القيادات التي خضعت للحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها ، وفلسفاتها ونظمها ، وآمنت بها ايمانا كايمان المتدينين بالديانات ، والمؤمنين بالشرائع السماوية ، وفقدت الثقة بصلاحية الاسلام لمسايرة العصر الحديث وتطوراته واحداثه ، وكرسالة خالدة عالمية ، فاسلام هذه الشعوب والمجتمعات ، وكونها لا تفهم الا لغة الايمان والقرآن ، ولا تندفع الا لما يجيء عن طريقهما ، ولما يمس قلبها ويخاطب ضميرها ، يعوق كثيرا من هذه القيادات عن نبذ الاسلام نبذا كليا واعلان الحرب عليه .

وقد لجأ بعض هذه القيادات في ساعات عصيبة ، الى اثارة هذا الايمان والحماس الديني ، واستخدامهما لكسب المعركة او الانتصار على العدو حين رأت ان لا ملجأ من الله الا اليه ، والى ايمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة ، فرفعت هتاف التكبير « الجهاد » و « الشهادة » في سبيل الله ، ومحاربة العدو الكافر المهاجم كما فعلت الجزائر في حربها مع الفرنسيين وباكستان في حرب ١٩٦٥م ، وجربت فائدة هذا الايمان وقوة هذه العاطفة .

فاصبح ايمان هذه الشعوب وتمسكها بالاسلام وتحمسها له ، هو السور القوي العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد ، وكثير من القيادات والحكومات الاسلامية في حظيرة الاسلام ، فاذا تهدم هذا السور – لا سمح الله بذلك – او تسوره دعاة

الكفر واللادينية ، او تيــار الــردة الفكرية والحضارية ، فالخطــر كل الخطر على الاسلام في هذه البلاد ، ولا يمنع هؤلاء القــادة المحاربــين للاسلام ، والمضمريــن له العــداء والحقد شيء من ان يخلعوا العذار ويطرحــوا الحشمــة والتكلــف ، ويجردوا هذه الاقطــار والشعــوب العريقة في الاسلام من كل ما يمت الى الاسلام بصلة ، فان الشيء الوحيد الذي يخافون معرته ، ويحسبون له حسابا ، هو ثورة هذه الشعوب على هذه القيــادات بدافــع الايمـــان والحماس الاسلامي ، فيفقدهم ذلك ما يتمتعون به من كراسي الحكــم ومركز القيادة ، فاذا زال الحاجز لم يقف في وجههم شيء !

اذن فيجــب على دعـــاة الاسلام والعاملـــين في مجـــال الدعـــوة الاسلامية ، الاحتفاظ بهذه البقيــة الباقية من الايمان في نفوس الشعوب والجماهير ، والمحافظة على الجمرة الايمانية من ان لا تنطفيء .

ولا يصح الاقتصار على تحريــك الايمان ، واثارة العاطفة الدينية في نفوس الشعوب والجماهير ، بل يجب ان تضم اليه تنمية الوعي الصحيح وتربيته ، والفهم للحقائق والقضايا ، والتمييز بين الصديق والعدو ، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر ، فقد رأينا ان الشعوب التي يضعف فيها هذا الوعــي او تحرمــه ، يتسلــط عليها ــ رغــم تمسكهــا بالاسلام وحبها له ــ قائد منافق ، او زعيم ماكر او عدو جبــار ، فيصفــق له الشعب بكل حرارة ويسير في ركابه ، فيسوقهــا بالعصا سوق الراعـــي لقطعان من الغنم ، لا تعقل ولا تملك من امرها شيئا ، ولا يمنعها تمسكها بالاسلام وحبها له ، من ان تكون فريسة سهلــة ، او لقمــة سائغــة للقيادات اللادينية ، او المؤامرات ضد الاسلام .

وقــد كان ما يمتــاز به المجتمــع الاسلامي الاول ، الصحابة رضي الله عنهم بفضل التربية النبوية الدقيقة الشاملة وبالجمع بين الدين المتــين الذي لا مغمز فيه ، والايمان القوي الذي لا يعتريه وهن ، وبين الوعي الناضج الكامل ، فكانوا لا يخدعون ولا ينخدعون ، ولا يسيغون شيئــا ينافي الاسلام وينافي العقل ، والذي يضرهم ويجني عليهم ، او يوقعهم في خطر او تهلكة ، انهم قد بلغوا من الــرشد ، واستكملــوا الحصافـــة والنضــج ، فلا يؤخذون على غرة ، ولا يقعون في شرك ينصبه العدو الماكر ، يخطئون ولكن لا يصرون ، ولا تتكرر منهم غلطات وتورطات ، وقد جاء في حديث صحيح « لا يلدغ المؤمن من جحــر مرتــين » رواه البخــاري ، بخلاف الشعوب الفاقدة الوعي فهي تلدغ مرة بعد مرة ، وذلك لان رسول الله عليه وآله وسلم اخذ صحابته الكرام بتربية وتعاليم امنوا بها عن الوقوع في الشباك ، وامتنعوا بها عن قبول ما لا يتفق مع تعاليم الاسلام ، وادابه والفطــر السليمــة والعقــول المستقيمة ، فكان مجتمعا نموذجيا مثاليا في كل شيء .

واعرض – على سبيل المثال – مثالين من هذا العقل الحصيف والوعي الكامل :

الاول : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة « انصر اخاك ظالما او مظلوما » وهو مثل جاهلي قديم ، وعرف من اعراف العرب الاولين ، تمسك به العرب في جاهليتهم كما قال العلامة الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث في كتابه الجليل فتح الباري ، فكان المتوقع المعقول ان يتلقاه الصحابة – وقد نشأوا في الجاهلية وعاشوا في الجزيرة – إما بالقبول ، وإما بالسكوت .

وقد صدر هذا الكلام من النبي المعصوم الذي زكى الله قوله فقال في حقه : **(وما ينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى)** النجم / ٣ و ٤ وقد عرف حبهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم وفداؤهم له بالنفس ، والنفيس ، وكان حبا لا نظير له في تاريخ الديانات والرسالات ، وفي تاريخ الحب والطاعة العالمي ، وكان تفسيرا للحديث المشهور « لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين » – متفق عليه – وجاء في بعض الروايات « من نفسه » ولكن كل ذلك لم يمنعهم عن التساؤل او الاستيضاح ، فان ظاهر الكلام كان ينفي ما فهموه من تعاليم الاسلام ، وما شاهدوه من تربية الرسول واخلاقه ، وما امنوا به من مبدأ الانصاف والمساواة وقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والأقربين)** النساء / ١٣٥ وقوله تعالى : **(ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة / ٨ – قيل يا رسول الله ،كيف انصره ظالما ؟

هنالك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيرا يتفق مع تعاليمه السابقة الدائمة فقال « تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره » والحديث رواه احمد والبخاري والترمذي . هنالك اقتنع الصحابة رضي الله عنهم ، وشفيت صدورهم ، فازدادوا ايمانا على ايمان ، وهو مثال بليغ رائع من امثلة الوعي الايماني العقلي الذي كان شعارا لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والصدر الاول .

والمثال الثاني : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل سرية ، وامر الصحابة بطاعة الامير ، وقد كان في هذه السرية ما لم يرض الامير ، وشك في انقيادهم له ، فامر بالحطب ، فجمع ، وامر بالنار فاشعلت ، ثم قال : خوضوها ، فامتنع الصحابة رضي الله عنهم عن طاعته في ذلك لانه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » – حديث رواه احمد والحاكم واسناده صحيح – وقالوا : انما فررنا من النار ، ولما رجع الى المدينة شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصوب فعلهم ، وقال : « لو دخلوا فيها ، لم يزالوا فيها ، وقال : لا طاعة في معصية الله ، انما الطاعة في المعروف [ذكرت القصة بطولها في سنن ابي داود ، كتاب الجهاد] .

وكانت نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية في إيمانها، الغنية في مظاهرها الايمانية، ومراكزها الدينية، وثروتها العلمية، انها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية، والنعرات القومية، او العصبيات اللغوية والثقافية، ولعبة القيادات المداهنة والمؤامرات الاجنبية، وذهبت ضحية سذاجتها وضعفها في الوعي الديني، والعقل الايماني، كما وقع في باكستان الشرقية في (١٩٧٠م)، فقد قامت فيها مجزرة انسانية هائلة وما ذلك الا بسحر دعوات العصبية اللغوية والعصبية الوطنية على هذا الشعب المسلم المؤمن الذي كان له تاريخ مجيد في البطولات الاسلامية وخدمة الاسلام والعلم ونهض فيه علماء كبار ودعاة الى الله، وغصت بلادها بالمساجد والمدارس وكانت عاصفة هوجاء، هبت ثم ركدت، ونار حامية التهبت ثم انطفأت، ولكنها زلزلت اركان الاسلام في هذه المنطقة، واضعفت الكيان الإسلامي، وكانت حجة لاعداء الاسلام الذي يقولون ان الاسلام لا يستطيع ان يقاوم العصبيات القومية ولا يقتلع جذورها من نفوس اتباعه.

وواجب ثالث مقدس من واجبات العاملين في مجال الدعوة الاسلامية، هو صيانة الحقائق الدينية، والمفاهيم الاسلامية من التحريف، واخضاعها للتصورات العصرية الغربية، او المصطلحات السياسية والاقتصادية، التي نشأت في اجواء خاصة، وبيئات مختلفة، ولها خلفيات وعوامل وتاريخ، وهي خاضعة دائما للتطور والتغيير، فيجب ان نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات وعلى الاعراض والكرامات، بل اكثر منها واشد، لانها حصون الاسلام المنيعة، وحماه وشعائره، واخضاعها للتصورات الحديثة او تفسيرها بالمصطلحات الاجنبية، اساءة اليها لا احسان، واضعاف لها لا تقوية، وتعريض للخطر لا حصانة، ونزول بها الى المستوى الهابط لا رفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس، فاذا قلنا الحج مؤتمر اسلامي عالمي، لم ننصف للحج، ولم ننصف لمن نخاطبه، ونريد ان نفهمه حقيقة الحج وروحه ولما شرع له ولم ننصح لكليهما، وان روح الحج وسر تشريعه، غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء، ولو كان الحج مؤتمرا اسلاميا عالميا لكان له شأن ونظام غير هذا النظام، وجو غير هذا الجو، ولكان النداء له مقصورا على طبقات مثقفة واعية فقط وعلى قادة الرأي وزعماء المسلمين.

كذلك حقيقة العبادة وحقيقة الصلاة، وحقيقة الزكاة والصوم، فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات والتجني عليها، واخضاعها للفلسفات الجديدة، وتفسيرها بالشيء الذي لا ثقة به ولا قرار له، وقد استخدمت هذه « الاستراتيجية الدعائية » الباطنية في القرن الخامس

الهجـــري فمـــا بعـــده ففسروا المصطلحات الدينية بما شاؤا وشاعت أهواؤهم ومصالحهم وتفننوا فيه ، واتوا بالعجب العجاب ، وحققوا به غرضهم من ازالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التي هي اسوار الشريعـة الاسلامية وحصونها ، وشعائرها ، ونشر الفوضى في المجتمع الاسلامي ، والجماهير المسلمة ، واذا فقدت هذه الكلمات التي توارثت فهمها الاجيال المسلمة وتواتر في المسلمين ، واصبح فيهـا مساغ لكل داع الى نحلـة جديدة ، وراي شاذ ، وقول طريف ، فقد اصبحت قلعة الاسلام مفتوحة لكل مهاجم ولكل منافق ، وزالت الثقة بالقرآن والحديث واللغة العربيـة ، وجاز لكل قائل ان يقول ما شاء ويدعو الى ما شاء ، وهذه فتنة لا تساويها فتنة وخطر لا يكافئه خطر .

ان مفاهيم هذه الكلمات معينة ـ على اتساعها وبلاغتها وعمقها وكثرة معانيها ـ وان الامة توارثـت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت اشكال الصلاة والصوم والحـج ونظمهـا الظاهرة ، وتناقلتها وحافظت عليها من غير اقل انقطاع او اقصر فترة ، وانه معنى قوله تعالى : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** و **(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** وهو معنى الحديث المشهور الذي صح معناه لا تجتمع امتى على الضلالة وقد اثبت شيخ الاسلام ابن تيمية ان سنة واحدة من السنـن الكثيرة لم ترتفع من هذه الامة بشكل كلي ، وانها لا تزال طائفة من امتي ظاهرة على الحق .

والكلمات هي الوسيلة الوحيـدة لنقل المعاني والحقائق من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر ، ومـن انسان الى انسان ، فاذا وقع الشك في مدلول هذه الكلمات ومصداقها ، او صار التلاعب بها هينا اضطربـت دعائم الدين وتزلزلت اركانه ، وهذا يعم التاريخ والشعر والادب ، لذلك كانت الفوضى اللغوية Linguistic Anarchy اشد خطرا واكثر ضررا من الفـوضى السياسيـة . Political Anarchy ومـن امثلة هذا التلاعـب بالمصطلحـات الدينيـة ، ان استـاذا في احـدى جامعات الهند الكبرى ، وهو يدرس اللغة العربية وادابها ، القى محاضرة في دورة مؤتمر الدراسات الاسلامية الاخيرة قال فيها ان المراد بكلمـة « الصلاة » حيثما وردت في القرآن مطلقـة « الحكومـة المحليـة » او « الاقليميـة » والمـراد « بـالصلاة الوسطى » الحكومـة المركزيـة او « الخلافة العامة » وكان المقال باللغة العربية ، وقد رددت عليه في حينه وقلت في تعليقي عليه انه تلاعـب بالقرآن وبالعقل وتمهيد لفوضى لغوية فكرية ، وفتح الباب للالحـاد على مصراعيه .

وليست قضية الاسماء والمصطلحات من البساطة بالمكان الذي يتصوره كثير من الناس ، فانها تؤثر في النفس تأثيرا خاصا وتثير معاني واحاسيس ذات الصلة بالماضي ، وذات الصلة

بالعقائد والاعراف احيانا ولذلك كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال « العتمة » مكان العشاء « ويوم العروبة » بدل الجمعة ، واستبدال كلمة يثــرب بمدينــة الــرسول او بالمدينة ، ولها امثلة اخرى في الشريعة الاسلامية .

وكذلك أحذر المسلمين مما لوحظ من بعض الكتاب من الضغط على ان هذه الاركان الدينية ، وفرائض الاسلام ، كالصلاة والزكـــاة والصيـــام ، والحج ، وسائل لا غايات ، انمــا شرعت لاقامــة الحكــم الاسلامــي وتنظيم المجتمع المسلم ، وتقويته ، وأحذر من كل ما يحط من شأن روح العبادة والصلة بــين العبــد وربــه وامتثال الامر ، ومن التوسع في بيان فوائدهــا الخلقيــة والاجتماعيــة والسياسيــة والاقتصاديــة احيانــا توسعا يخيل للمخاطب او القارىء انها اساليب تربوية او عسكرية او تنظيمية ، قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوة ونظام ، او صحة بدنية وفوائد طبية ، فان اول اضرار هذا الاسلوب من التفكير او التفسير ، انه يفقد هذه العبادات قيمتها وقوتها وهو امتثال امر الله وطلــب رضاه بذلك ، والايمان والاحتساب والقرب عند الله تعالى وهي خسارة عظيمة لا تعوض باية فائدة ، وفراغ لا يملأ باي شيء في الدنيا .

والضرر الثاني انه لو توصل احد المشرعين او الحكمــاء المربــين الى اساليب اخرى قد تكون انفع ، او يخيل انهــا انفــع ، لتحقيــق هذه الاغراض الاجتماعية او التنظيمية او الطبية لاستغنى كثير من الذين امنوا بهذه الفوائد عن الاركان والعبادات ، الشرعية ، وتمسكوا بهذه الاساليب او التجارب الجديدة ، وبذلك يكون الدين دائما معرضا للخطر ولعبــة للعابثين والمحرفين .

وهذا لا ينافي الغوص في اعماق هذه الاركان والاحكــام والحقائــق الدينية ، والــكشف عن اسرارهــا وفوائدها الاجتماعية ، وقد افــاض علماء الاسلام قديما وحديثا في بيان مقاصد الشريعة الاسلامية ، واسرار العبــادات والفــرائض والاحكـــام الشرعية ، والفوا كتبا مستقلة وكتبوا بحوثا جليلة ، كالغزالي والخطابي ، وعز الدين بن عبد السلام وابن القيم الجوزية ، واحمد بن عبد الرحيــم الدهلوي ، ولكن كل ذلك من غــير تحريــف لحقيقــة هذه العبـــادات والاحكـــام ، والغايــة الاولى التــي شرعت لها ، وهي امتثــال الامــر الالهــي ، والتقــرب اليـــه بذلك ، والايمان والاحتساب فيها ومن غير اخضاع لها للفلسفات العجمية او الاجنبية في عصرهم ، ومــن غــير خضوع بسحرها وبريقها .

واحذركم ثانية ايها الشباب من كل ما يقلل من شناعــة الوثنيــة العقائدية والشرك الجلي من عبادة غير الله والسجــود له وتقديــم النــذور والقرابين واشراكه في صفات الله من قدرة وعلــم ، وتصرف ، واماتـــة واحياء ، واسعاد واشقاء ، واحذركم من الاكتفاء بالتركيز على شناعــة

الخضوع للحكومات والنظم الانسانية والتشريعات البشرية ، وتحويل حق التشريع للانسان ، وان نلك هو وحده عبادة الطاغوت والشرك ، وان الوثنية الاولى وعبادة غير الله ، قد فقدت اهميتها ، وانما كانت لها الاهمية في العصر القديم ، العصر البدائي ، وانه لا يقبل عليها الان الا الرجل الجاهل ، الذي لا ثقافة له ، ففضلا عن ان هذه الوثنية والشرك الجلي ، لا يزال له شيوع وانتشار ودولة وصولة يجربه كل انسان في كل زمان ومكان ، فانها الغاية الاولى التي بعث لها الانبياء وانزلت لها الكتب السماوية ، وقامت لها سوق الجنة والنار . وكانت دعوة جميع الانبياء تنطلق من هذه النقطة ، وكانت جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية ، والقرآن مملوء بذلك بحيث لا يقبل تأويلا . ويكفي ان تقرأ على سبيل المثال ، سورة « الاعراف » وسورة « هود » وسورة « الشعراء » والحديث عن كل نبي ودعوته ...

اما ما يتصل بصفات العاملين في مجال الدعوة الاسلامية وجنود الدعوة الى الله فانني اركز في هذا الحديث الموجز على نقطة واحدة ، وهو انه يجب ان يكون الدعاة يمتازون عن الدهماء والجماهير ، ودعاة النظم الجديدة والفلسفات الجديدة ، والفلسفات السياسية والاقتصادية بقوة ايمانهم وحرارة قلوبهم ، وزهدهم في زخارف الدنيا ، وفضول العيش ونهامة للمادة ، ومرض التكاثر ، فانهم لا يستطيعون ان يؤثروا فيمن يخاطبونهم ، ويحملوهم على ايثار الدين على الدنيا والآجلة على العاجلة ، وتلبية نداء الضمير والايمان على نداء المعدة والنفس والشهوات ، واشعال مجامر قلوبهم التي انطفأت او كادت تنطفيء ، الا اذا شعر الناس فيهم بشيء لا يجدونه في قلوبهم وحياتهم فان الناس ما زالوا ولا يزالون مفطورين على الاجلال لشيء لا يجدونه عندهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوي ، والفقير مفطور على احترام الغني ، والامي مفطور على احترام العالم ، حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، اما اذا رأى الناس علماء ودعاة لا يقلون عنهم في حب المادة والجري وراءها والتنافس في الوظائف والمناصب والاكثار من الثراء والتوسع في المطاعم والمشارب ، وخفض العيش ولين الحياة ، فانهم لا يرون لهم فضلا عليهم ، وحقا في الدعوة الى الله وايثار الاخرة على الدنيا ، والتمرد على الشهوات ، والتماسك امام المغريات ، وقد قيل : « إن فاقد الشيء لا يعطيه » وكذلك القلب الخاوي لا يملأ قلبا اخر بالايمان والحنان ، وان الموت لا ينشيء الحياة . وان البرودة لا تعطي الحرارة وان الرماد الذي لا تكمن فيه جمرة لا يلهب القلوب الخامدة ، ولا يحيى النفوس الميتة ، والكشاف لاينير الطريق اذا كانت قد نفدت شحنته ، فلا بد ان تشحن القلوب لشحنة جديدة ، واذا كانت

« بطارية » من غير شحنة كانت اقل عنـاء وقيمـة من عصا يحملهـا الانسان ، فقيمـة « البطاريـة » الشحنة وقيمة الشحنة النور ، فاذا لم تكن شحنة او كانت شحنة ولا نور فالعصا خير منه .

ثم اني اتساءل :

اليس هذا العصر هو العصر الذي انتشر فيه العلم وكثرت فيه وسائل الاعلام والتربية ، وازدهـرت فيـه الخطابة والكتابة ، وبلغت حد الشعر والسحر ، وعمت الجامعات في كل مكان ، وتدفق السيل من المطبوعات والمنشورات من المطابع ودور النشر ، ونبغ فيها علماء وباحثون ووعـاظ ومرشدون . فلمـاذا فقـد العلمـاء والموجهون التأثير في النفوس والقلوب في صد تيار المادية والاستغـلال والجشع والنهامة للمال ؟ هذه البلاد العربية بما فيها البلاد المقـدسة ـ اصبحت مصداقا لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في احدى خطبه قبل وفاته « ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخاف ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطـت على من كان قبلكـم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم » .

واخوف ما نخاف ان تكتسح هذه البلاد الموجة العارية من التكاثر في الاموال ، واستغلال حاجة النـاس وضعفهم والانتهازية ، وهي الموجة التي لا تعرف الرحمة والهـوادة ، ومكارم الاخلاق التي عرف بها العرب في العصر الجاهلي ، وربما يعود ذلك خطرا كبيرا على الحـج ومركـزه ، ويمكن ان يشكل محنـة للوافديـن اليه ، فيضطر الدعاة في صد هذه الموجة الى مكافحة خلقية ، وحملة دعوية تربوية تنظم لاصلاح الحال ، وايقاظ الضمـير ، واثـارة الغـيرة الاسلامية والشعور النبيل ، وتنطلق من المنابـر والصحـف والاذاعـة ووسائل الاعلام ، وتجند لها الطاقات والالسن والاقلام .

وسمة الدعوات الحية المخلصة التي تقتبس النور من مشكاة النبـوة ، وتسير على نهجها ، انها تجس نبض المجتمـع جسا صحيحـا أمينـا ، وتهتدى الى الداء الحقيقي ومواضع الضعف في جسم هذا المجتمـع ، وتضع اصبعها عليها ، وتضرب على الوتر الحساس ، من غير محاباة او مداهنة ، ولا تكترث بألم هذا المجتمع أو ملامه ، كما فعل شعيب في دعوته ، فوجه دعوتـه ـ بعـد الدعـوة الى التوحيد ـ الى ايفاء الكيل ، والوزن بالقسطاس المستقيم ، وشنـع على التطفيف ، اذ كان ذلك عيب المجتمع الذي بعث فيه ، وسمته البـارزة ، وكذلك فعل غيره من الأنبياء .

وهذه كانت سنة الدعاة الى الله من المخلصين الربانيـين في تاريـخ الاسلام ، فكانوا ينتقدون المجتمع في الصميم ، ويصيبون المحز ، ولذلك كان وقع كلامهم في النفوس عظيما وعميقا ، وما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم ، او يمـر بهـم مرا سريعا ، أو يسلى نفسه بانهم انما يعنون غيره من المجتمعـات التـي

سبقت ، أو المجتمعات التي لم تخلق بعد ، وهذا كان شأن الحسن البصري في مواعظه اذ كان دائما يشير الى النفاق الذي كان داء المجتمع الاسلامي ، وهو في أوج مجده ورخائه ، ويذم حب الدنيا وطول الأمل ، وهذا كان شأن الشيخ عبد القادر الكيلاني ، فيدعو الى التوحيد الخالص وقطع الرجاء ، والخوف من غير الله وأنه لا يضر ولا ينفع سواه . لأن الناس كانوا قد ربطوا مصيرهم بالخلفاء والأمراء وأصحاب الحول والطول والأمر والنهي في العاصمة ، وهذا كان شأن ابن الجوزي في مواعظه الساحرة ، ومجالسه المزحومة ، فانه كان يشنع على الحياة اللاهية الماجنة التي كان يحياها كثير من الناس في بغداد ، وعلى الذنوب والمعاصي التي كانت تقترف جهارا ، والمنكرات التي شاعت ، فكان مئات وآلاف من الناس يتوبون ويقلعون عن الذنوب ، وكان نشيج يعلو وقلوب ترق ، وعيون تدمع ، وموجة من الانابة والرقة تكتسح الجموح الحاشدة لأنه كان يمس القلوب ويصور الواقع ، ولا يكتفي بالكلام العام والوعظ التقليدي . ولك أن تقرأ تفاصيل مجالس ابن الجوزي وتأثيرها في كتاب « صيد الخاطر » و « رحلة ابن جبير » .

وهنا أنقل اليكم قطعة من كتابنا « رجال الفكر والدعوة في الاسلام » والمؤلف يتحدث عن الامام احمد بن حنبل وزهده .

« وقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الاسلام ، فلا نعرف احدا ممن قلب التيار وغير مجرى التاريخ ، ونفخ روحا جديدة في المجتمع الاسلامي او فتح عهدا جديدا في تاريخ الاسلام ، وخلف تراثا خالدا في العلم والفكر والدين ، وظل قرونا يؤثر في الأفكار والآراء ، ويسيطر على العلم والأدب ، الا وله نزعة في الزهد ، وتغلب على الشهوات ، وسيطرة على المادة ورجالها ، ولعل السر في ذلك ، ان الزهد يكسب الانسان قوة المقاومة ، والاعتداد بالشخصية والعقيدة ، والاستهانة برجال المادة ، وبصرعى الشهوات ، واسرى المعدة . ولذلك ترى كثيرا من العبقريين والنوابغ في الامم ، كانوا زهادا في الحياة ، متمردين على الشهوات ، وبعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء في زمانهم ، ولأن الزهد يثير في النفس كوامن القوة ، يشعل المواهب ، ويلهب الروح ، وبالعكس ان الدعة والرخاوة تبلد الحس وتنيم النفس وتميت القلب .

وهناك تعليلات اخرى يوافق عليها علم النفس وعلم الأخلاق ، ولا أطيل بذكرها ، وأقتصر على هذه الملاحظة التاريخية ، والح على ان منصب التجديد والبعث الجديد يتطلب لا محالة زهدا وترفعا عن المطامع وسفساف الامور ويأبى الاندفاع الى التيارات ، ويتنافى مع الحياة الوادعة الرخية والعيشة الباذخة الثرية ، انما هو خلافة للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل له : **(ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم**

زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) طه / ١٣١ « وامر بأن يقول لأزواجه **(ان كنتن تردن الحيـاة الدنيـا وزينتهـا فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا)** الاحزاب / ٢٨ وهذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم ، ومن يرشح نفسه ويمنيهـا بهـذا المنصب الخطير ، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

ومن أبرز سمات الدعوة التي يقوم بها الأنبياء وخلفاؤهم ، انها تقوم على الايمان بالآخـرة ، والتحذيـر من عقابها ، والترغيب في نعمائها وثوابها ويكون مناط العمل فيهـا الايمـان والاحتساب والأجر والثواب ، لا على الاغراء بالفوائد الدنيويـة والجـاه والمنصب والمال والملك ، فانه اساس ضعيف منهار ، ولا يتفق مع طبيعة دعوات الانبياء ، والمساومـة فيـه سهلة ، وقد يملك اعداؤهم وخصومهم والقادة السياسيون مثله او اكثـر منه ، ومن رضع بلبان هذه المطامع لم يمـكن فطامـه عنهـا ، ولا يصح الاعتماد عليه ، وانما يبنون دعوتهم على رضى الله وثوابه ، وما اعده الله لعباده المؤمنين ، وما وعدهم به على لسان انبيائه ، من نعيم لا يزول ولا يحول ، والصحف السماوية ـ غير صحف العهـد القديـم التـوراة ـ مملوءة بالحديث عن الآخرة والاهتمام بها والبناء عليها وقد جعل لاسلام الايمان بها عقيدة أساسية وشرطا لصحة الايمان والنجاة ، وقد جاء في القرآن صريحا : **(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبـة للمتقين)** القصص / ٨٣ .

وهنا استعير لنفسي من نفسي ما قلته في احدى محاضراتي تحت عنـوان « النبوة والانبياء في ضوء القرآن » واختم به هذا الحديث مؤملا في ان تكون هذه السمات التي تحدثت عنها شعار الدعوة التي يقوم بها الدعاة المتخرجون في كل مكان ، او القائمون باعباء الدعوة في كل ناحية من نواحي العالم الاسلامي ، قلت وأنا اتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية وبين الدعوات الاصلاحية .

« ولم تكن دعوة الأنبياء الى الايمان بالآخرة ، او الاشادة بها كضرورة خلقية او كحاجة اصلاحية لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة فضلا عن المجتمع الاسلامي . وهذا وان كان يستحق التقدير والاعجاب ، ولكنه يختلف عن منهـج الانبيـاء وسيرتهم ومنهج خلفائهم اختلافـا واضحا . والفرق بينهما ان الاول منهج الأنبيـاء ايمـان ووجـدان ، وشعور وعاطفة وعقيـدة تملك على الانسان مشاعـره ، وتفكـيره وتصرفاته ، والثاني اعتراف وتقدير وقانون مرسوم وان الاولين يتكلمون عن الآخرة باندفاع والتذاذ ويدعون اليها بحماسة وقوة وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية والحاجة الاجتماعيـة وبدافـع من الاصلاح والتنظيم الخلقي ، وشتان ما بـين الوجدان والعاطفة وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية .

قالوا في الأمثال

لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا :

مثل يضرب للحرص على ما في اليد ، فالرجل الحريص الحازم ، يعرف من أين تؤكل الكتف ، ويتوقى مواطن الشر ، ويتحسس مواطن المنفعة ، ولا يفرط فيما في يده اغترارا بما قد ينال ، بل لا يتحول حتى يتأكد من جدوى التحول ، وفي هذا وأمثاله يقال « **لا يترك الساق الا ممسكا ساقا** » ! أي لا يفرط فيما في يده حتى يجد غيره .

إن الشفيق بسوء الظن مولع :

مثل يضرب للحفاظ على من يحبه المرء ، فاذا اشتد حب الانسان لأخيه أو لابنه ، أو صديقه ، اشتدت رعايته له ، وعنايته به ، وكثرت مخاوفه من أن ينزل به السوء ، فيرقب كل ما يحدث له ، ويصبح في لهفة على معرفة أمره ، لا يطمئن عليه حتى يرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه .

يعلم من أين تؤكل الكتف :

يقولون إن لحم الكتف إذا نزع من إحدى جهتيه ، انتزع جملة ، واذا نزع من غير هذه الجهة تفرق ولم يخرج جملة والبصير بالموضع الذي ينتزع منه لحم الكتف جملة ، هو من يستطيع الانتفاع به على خير وجه ، وكل عالم بالأمور ، بصير بمداخلها ومخارجها ، مثله كمثل الرجل الذي يعرف الجهة التي ينتزع منها لحم الكتف بجملة وهنا يقال له : « **يعلم من أين تؤكل الكتف** » .

التفسير

للدكتور/محمد رواس قلعه جى

مقدمتان

١) إن المتأمل في أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصرفاته في معالجة الأوضاع السياسية ، والتخطيطات العسكرية ، وبناء المجتمع ، وتربية الفرد ، و ... يرى أنها قد بلغت القمة في السداد والاحكام ، حتى أن الناقد لو أنفق الزمن الطويل مفتشا عن ثغرة ينفذ منها إلى النيل من هذه التصرفات لم يحصد إلا الفشل .

ومن هنا فقد حاول بعض كتاب السيرة النبوية الشريفة أن يردوا ذلك كله إلى الوحي ، وبذلك أظهروا رسول الله بمظهر الانسان المسير ، الذي لا يتحرك حركة ، ولا يقوم بأي تصرف إلا بأمر من الوحي ، فهو الذي يخبره بأن قبيلة كذا تجمع الجموع لحربك ، وأن قوم كذا يتآمرون عليك .

ونحن لا ننكر ما للوحي من أثر في تسديد خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكننا ننكر ذلك الاسراف في رد كل تصرف من تصرفات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الوحي ، لأن

السياسي للهجرة

الأصل في تصرفات رسـول الله أن تكون وليدة تفكيره وتقديره إلا ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أتاه عن طريق الوحي ، ولـم يكن رسول الله يتأخر في إخبار الصحابة أن امر كذا هو أمر من الله قد أتاه الوحي به ، ولو ظهر لهم أنه من عند رسول الله . ولعـل حديـث أركان الايمان عندما جاء جبريل رسول الله وسألـه عن الايمـان والاحسـان والساعة ، وإجابة رسول الله عن ذلك كله ، أكبر دليل على ذلك ، فما أن انتهى رسول الله من حديثه مع جبريل حتى أخبر الصحابة أن المتحدث هو جبريل ، أتاهم ليعلمهم أمر دينهم .

وعندما أنزل رسول الله جيشه في موقع لم يره بعض الصحابة مناسبا لم يفسروا تصرف رسول الله هذا أنه تصرف قد جاءه عن طريق الوحي ، بل تقدم إليه احدهم وقال : يا رسول الله ، أهو منزل أنزلك الله إياه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الرأي والحـرب والمكيـدة ، فقـال ذلك الصحابي : فاني أرى يا رسول الله أن تنزل غير هذا المنزل ..

واكبر دليل على صدق ما نقول : أن الوحي ذاته قد عاتب الرسول في بعض اياته على تركه صلوات الله وسلامه عليه الأصلح وأخذه بالصالح .

ومن هذا المنطلق يحق لنا أن نبحث عن التفسير السياسي للهجرة النبوية الشريفة ، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

٢) إن الدارس للفكر السياسي لأية حركة من الحركات ، او شخصية من الشخصيات لا يعتمد في دراسته على ما يصرح به السياسيون ، لأنهـم كثيرا ما يصرحون بغير ما يقررون ، وقراراتهم الحقيقية تكون ـ عادة ـ محاطة بكثير من السرية ، بل يعتمد على التحليل والاستنتاج وقراءة ما خلف السطور ، وسماع ما خلـف الألفاظ ، وبقدر ما يكون دقيقا في تحليلاته وقراءته ما خلف السطور واستنتاجه ، بقدر ما يكون موفقا في بحثه ، مصادفا كبد الحقيقة .

ونحن في دراستنا هذه لن نقرأ ما سجله كتاب السـيرة الشريفـة في السطور إلا نادرا ، ولكننا سنعتمد

اعتمـادا كليـا على قراءة ما وراء السطور ، لاعتقادنا أن رسول الله كان يمتنع عن التصريـح وكشـف مخططاته حتى لأقرب المقربين إليه ، لأن هذه المخططات لو كشفت ـ شأن كل المخططـات السريـــة ـ لكان مصيرها الفشل ، وكان رسول الله عندما يرى اشتداد موجة الاستغراب حول بعض تصرفاتـه السياسيـــة يطمئن النفوس بقوله : « انا رسول الله ولن يضيعني » كما حدث يوم الحديبية .

البحث عن أرض للدعوة :

لما لقي رسول الله من عنت قريش وصلفهم وإعراضهم عن دين الله ما لقي ، كان عليه أن يبحث عن أرض تكون منطلقا صالحا للدعوة ، وموطنا ملائما لتأسيس السلطة التي تحمي الدعوة ، ففكر عليه الصلاة والسلام بالانطلاق نحو الطائف ـ وفي الطائف أخوال رسول الله ـ فسافر رسول الله الى الطائف ـ وأمر الطائف مؤتلف آنذاك غير مختلف ـ ولكنه لم يلق منهم استجابة ولا تأييدا ، لأن الأمر عندهم لم يكن مجرد دين يقبلونه أو يرفضونه ، ولكنه تهديد لكيان قائم ، ونفوذ مستحكم ، ولذلك كان منهم الرفض القاطع الذي لا يقبل نقاشا .

هذا الرد الذي لقيه رسول الله في الطائف جعله يفكر تفكيرا مركزا حول الأرض التي عليه أن يختارها لتنطلق منها الدعوة ، وتقام عليها الدولة التي تحمي هذه الدعوة .

ويظهـر أن رســـول الله قد خرج بقرارين :

الأول : عدم الخـــروج إلى أرض اجتمعت كلمة أهلها على الشرك .

الثاني : عدم الخروج إلى أرض قبل تكوين جماعة حماية في تلك الأرض تكون مستعدة للدفاع عن الدعـوة والسلطة المقامة لحماية هذه الدعوة .

وقد انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن أنسب أرض لذلك هي مدينة يثرب التي سميت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو المدينة المنورة ، لتوفر تلك الشروط فيها .

ففي المدينة المنورة العرب واليهود ، كل فريق منهما يتـربص بالآخـر الدوائر ، وقد أطلق كل فريق تهديده بالافناء للفريق الآخر إذا ما توفر له النصير والمعين .

والعرب أنفسهم كانوا فيما بينهم على أشد ما تكون العداوة ، فالكتلتان العربيتـان الكبيرتـان في المدينـــة المنـورة ـ الأوس والخـزرج ـ قد استحكمـت بينهمـــا العـــداوة ، وطحنتهما الحرب ، ومـع ذلك كل منهما يشحذ سلاحه ليقطع به أشلاء الآخر .

ولا بد وأن يكون رسول الله قد فكر بأن هذا الوضع سيجعل كل فريق من هؤلاء الفرقاء الثلاثة ، يسعى جاهدا إلى اجتذاب القوة الجديدة القادمة إلى جانبه ، لعله يحقق بذلك الغلبة على خصمه .

وفكر رسول الله بأنه إن استطاع رأب

الصدع بين الأطراف المتخاصمة ، وإظلالها بظل الاسلام سيكون له المكان الأعلى بينها .
ولذلك اتجهت أنظار رسول الله إلى المدينة المنورة لتكون الأرض التي تنطلق منها الدعوة وتقام عليها دولة الاسلام .
وما عليه الآن إلا أن يبدأ بالسير بالخطوات العملية الدقيقة المحكمة التي تحقق له ما يريد .

الاتصال بأهل المدينة المنورة

وتنفيذا لذلك فقد اتصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في موسم الحج بالوافدين إلى مكة من أهل المدينة المنورة ، فآمن به وبدعوته طائفة من الخزرج ، ولما عادوا إلى المدينة حدثوا الناس بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام الذي يدعو إليه ، فقدم على رسول الله في مكة جماعة من أهل المدينة ، وبايعوه : « على ألا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه من بين أيديهم وارجلهم (**ولا يعصون رسول الله في معروف**) .
ونلاحظ في هذه البيعة أنه لا ذكر فيها للدفاع عن الدعوة صراحة ، ولكن فيها عبارة : « ولا نعصيه في معروف » تحمل كثيرا من التهيئة النفسية لقبول البيعة على حماية الدعوة والدولة التي تحمي الدعوة ، على اعتبار ذلك من المعروف .

جمع المعلومات عن المدينة المنورة :

وطالما قد اتجهت أنظار رسول الله إلى المدينة المنورة لتكون أرض الدعوة والدولة التي أوكل الله تعالى إليه إقامتها ، كان لا بد من أن يجمع رسول الله المعلومات الكافية والدقيقة عن هذه الأرض وعن أهلها ، وتنفيذا لذلك فقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة رجلا حصيفا ذكيا هو : مصعب بن عمير رضي الله عنه . وزوده رسول الله بالمهمة التي هو ذاهب من اجلها وأرسله مع النفر المبايعين – من اهل المدينة – على أنه المعلم الذي سيعلمهم امر دينهم الجديد .
والحق ان مصعبا كان يحمل مهمة مزدوجة . الأولى دينية ، وهي شرح عقيدة الاسلام والثانية سياسية ، وهي جمع المعلومات عن المجتمع المدني الذي ستقام بين ظهرانيه الدولة الاسلامية . وسافر مصعب مع النفر المدنيين ، وأقام في المدينة سنة كاملة يجمع المعلومات ويدرس الأوضاع ويدعو للاسلام ، ثم عاد إلى رسول الله في موسم الحج من العام التالي مع من قدم مكة من أهل المدينة مظهرا العزم على أداء الحج . وفي اعتقادي أنه ما عاد لذلك فحسب ، بل عاد أيضا ليضع بين يدي رسول الله ما اجتمع لديه من معلومات عن أرض الدعوة والدولة الاسلامية المرتقبة ، ليخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقدير

صحيح للموقف ، ثم بقرار سديد .
وما أن وضع مصعب هذه المعلومات بين يدي رسول الله حتى عاد إلى المدينة مع العائدين .

تقدير الموقف

من المعلومات التي وضعها مصعب بين يدي رسول الله ، ومن المعلومات التي حصل عليها الرسول من مصادر اخرى متعددة خرج رسول الله بتقدير صحيح للموقف الذي سيواجهه في المدينة المنورة إذا ما انتقل إليها ويتلخص هذا الموقف فيما يلي :

١) وجود فئة تناوىء الدعوة والدولة التي سيقيمها الرسول في المدينة ، ولا أمل في اجتذاب هذه الفئة إلى الايمان بالدعوة او الولاء للدولة ، لاعتقاد أفرادها أنهم هم الناس ، وأن الله قد اختارهم من بين الشعوب لقيادة الركب الانساني ، وهذه الفئة لها أساليبها التي تمرست عليها في الخداع والتلوي ، تلك هي فئة اليهود .

٢) فئة مزقتها الخلافات القبلية ، فأكلت الكثير من شبابها ، وتلك الفئة هم العرب ، بأوسها وخزرجها ، وهذه فئة قد أظهر العديد من أفرادها الايمان بالاسلام ، فبوادر الخير قد ظهرت فيها ، ولم يبق إلا التأكد من مدى الاعتماد عليها لحماية السلطة الحامية للدعوة ، والدفاع عنها .

٣) وستكون في المدينة أيضا فئة ثالثة هي اشد ما تكون ولاء للاسلام عقيدة ونظاما وسلطة ، ولكن الفقر قد خيم عليها ، لانها تركت جل ما تملك في مكة ، وتجمعت في المدينة المنورة لتساهم في بناء صرح الدولة الاسلامية على أرض المدينة المنورة .

٤) ولن ترضى قريش بقيام الدولة الاسلامية بجوارها ، ولذلك ستقف منها موقف العداء ، وخاصة أنها اظهرت هذا العداء في أبشع صوره في موقفها من الذين آمنوا بالاسلام عقيدة في مكة فكيف بها إذا علمت أنهم آمنوا بالاسلام عقيدة ونظاما ، وسيؤيد قريشا كافة الوثنيين في جزيرة العرب لأن قريشا حامية أصنامهم ومقدساتهم .

٥) واذا ما قدر للدولة الاسلامية في المدينة المنورة أن تقوم ــ وهذا لا بد حادث ــ فان هذه الدولة ستواجه ولا بد عدوين لدودين هما دولة الروم ، حامية الصليب ، ودولة الفرس ، حامية الوثنية ، لأن كل دولة من هاتين الدولتين لا ترضى أن تقوم بجانبها دولة قوية تهدد حدودها ، كما أنها لا ترضى أن يقوم بجانب دينها دين يهدد بمنطقيته باطلها الذي تحميه .

وقد قدر رسول الله أن الصدام المسلح بين الدولة الاسلامية وهاتين الدولتين لا بد واقع ، وقد اكد رسول الله هذا وهو يحفر الخندق للدفاع عن المدينة المنورة ضد هجمة الوثنية عليها ، يوم جمعت الوثنية الأحزاب للانقضاض على المدينة المنورة واستئصال شأفتها ، نعم أكد رسول الله هذا

الصدام بقوله عندما تطاير الشرر من فأسه لما هوى به على صخرة صلدة فقال عليه الصلاة والسلام : « فتحت عليكم بلاد الروم » رواه احمد ، ثم هوى به ثانية فتطاير الشرر منه فقال « فتحت عليكم بلاد فارس » رواه احمد .

فالفأس هو الدولة الاسلامية والحجر الصلد هو دولة الفرس في مرة ، ودولة الروم في مرة أخرى ، وتفتت الصخرة ، وانتصر الفأس .

وقد سبق ان بشر رسول الله سراقة بن مالك بأنه سيلبس سواري كسرى ، ولا يتأتى له ان يلبسها الا بفوز المسلمين على دولة الفرس .

وقد قدر رسول الله ان هاتين الدولتين لن تنتبها إلى شأن الدولة الاسلامية وخطرها عليها إلا في وقت متأخر لسببين :

الأول : البعد بين الدولة الاسلامية في المدينة المنورة وحدود فارس والروم .

الثاني : أن كلا من الدولتين الرومانية والفارسية ستنظر الى الصراع القائم بين الدولة الاسلامية وخصومها من المشركين على أنه صراع داخلي سيؤدي إلى إضعاف العرب ، وإلهائهم عن القيام باغاراتهم المعهودة على حدودهما ؛ ومن شأن كل من الدولتين ان تغذى مثل هذه الصراعات الداخلية التي تنشب بين القبائل .

هذا هو التقدير السليم للموقف الذي خرج به رسول الله ، وهو عليه الصلاة والسلام إن كان لم يصرح به ، إلا أنه دل على وجوده بعبارات لم يقدر المؤرخون أبعادها السياسية .

القرار

تجاه هذا الموقف فقد اتخذ رسول الله قرارا على درجة من الخطورة والسرية ، وهذا القرار وان كان قد ألمح إليه إلا انه لم يفصح عنه في يوم من الايام ، ولكن المتتبع لأحداث السيرة النبوية ، والممعن فيها ، يستطيع ان يقطع باتخاذ رسول الله له ، ويتلخص هذا القرار فيما يلي :

١) تكوين جماعة الحماية في المدينة المنورة قبل خروجه عليه الصلاة والسلام اليها لضرب كل حركة معادية لقيام الدولة الاسلامية ، او معارضة للوجود الاسلامي في المدينة .

٢) معالجة الوضع الداخلي معالجة مجدية .

٣) الاستعداد للصدام المسلح مع أعداء الدولة الاسلامية .

٤) تصفية اوضاع اليهود ، وإبعادهم عن جسم الدولة الاسلامية لفقدان الأمل في إخلاصهم للدعوة والدولة ، وتقديم تصفيتهم على تصفية من عداهم لاعتبارهم ذوي تأثير مباشر في الاوضاع الداخلية .

٥) ثم تصفية نفوذ العرب المناوئ للدولة الاسلامية عقيدة ونظاما في الجزيرة العربية .

٦) ثم بدء الصراع بين الدولة الاسلامية والدولتين الفارسية والرومانية .

تنفيذ هذا القرار

قد لا يكون من العسير على المرء ان يتخذ قرارا في امر ما ، ولكن العسير تنفيذ هذا القرار تنفيذا يكفل عدم وجود خلفيات له يمكن ان تقلب الاوضاع رأسا على عقب ، وخاصة إذا كان هذا القرار هو إقامة دولة لتضع حربتها في نحر دولتين من أعظم دول الأرض آنذاك ـ فارس والروم ـ وتغسل الأدمغة من أدران الجاهلية ، وتبدل القلوب العفنة المظلمة بقلوب أشرق فيها نور الله ، وخاصة أيضا إذا كان هذا القرار من رجل ليس حوله إلا بضع مئات من الناس بما فيهم الأطفال والنساء ، وليس لديه من الامكانيات المادية الحاضرة ما يبقى رمق أصحابه .

إن تنفيذ هذا القرار يعتبر في عداد المستحيلات ، ولكنه مع ذلك أمكن لرسول الله تنفيذه بفضل تأييد الله لرسوله ، والخطوات المدروسة التي كان يخطوها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسنرى كيف تم ذلك كله :

١) **تشكيل جماعة الحماية** : لما عاد مصعب ـ سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة المنورة الى مكة مع جماعة من أهلها اجتمع إلى رسول الله ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من أهل المدينة ، وطلبوا من رسول الله القدوم إليهم ، والاقامة بين ظهرانيهم ، ولا يبعد ان يكون ذلك قد تم بايحاء من مصعب ، فوافقهم رسول الله على طلبهم ، واشترط عليهم ان يحموه وينصروه بالسلاح كما يحمون نساءهم واولادهم ، فقبلوا شرطه وبايعوه على ذلك .

وبذلك يكون رسول الله قد شكل من هؤلاء ، ومن المهاجرين الذين أمرهم ان يسبقوه الى المدينة المنورة جماعة الحماية التي تحمل السلاح في وجه كل من يعارض بالقوة الخطوات التي يخطوها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء الدولة الاسلامية .

٢) **معالجة الوضع الداخلي** : لا يمكن لدولة ان تنهض على قدميها وترسم مستقبلها المشرق والخلافات الداخلية تنهش في جسدها ، ولذلك رأينا رسول الله اتجه اول ما اتجه منذ ان حل أرض المدينة المنورة الى إصلاح الاوضاع الداخلية بما يلي :

أ ـ تجميد أوضاع اليهود وفرض الرقابة عليهم : بدأ عليه الصلاة والسلام اول ما بدأ بتجميد اليهود في المدينة بفرض معاهدة عليهم ، وقد وضع رسول الله في هذه المعاهدة من الشروط ما رأى أنه يضمن القدر الكافي من الامن اللازم لاقامة الدولة الاسلامية وتتلخص هذه الشروط فيما يلي :

أولا : السيادة في البلاد للشريعة الاسلامية وحل جميع الخلافات بما تقتضيه أنظمتها .

ثانيا : على اليهود الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن البلاد عند تعرضها لأي اعتداء .

ثالثا : عدم مغادرة البلاد إلا باذن من

رسول الله .

رابعا : على اليهود النصح والنصيحة للدولة الاسلامية .

وبهذه المعاهدة استطاع الرسول تجميد اليهود ليتفرغ تفرغا كاملا لبناء الدولة الاسلامية ، وصد الهجمات التي يشنها عليه أعداء الدولة الاسلامية ، والخروج لفرض هيبة وسيطرة الدولة الاسلامية على مناطق من الجزيرة العربية ، دون ان يستطيع اليهود القيام بقلاقل داخلية ذات تأثير يذكر على كيان الدولة الاسلامية .

ب ـ الاصلاح بين الأوس والخزرج : واستطاع عليه الصلاة والسلام أن يصلح بين الأوس والخزرج ، وأن يجمع كلمتهم تحت لواء الاسلام ، ليحمل كل فريق منهم مسؤوليته كاملة في بناء الدولة الاسلامية ، ونظمهم في مجموعات متكافلة متضامنة ، تؤدي دورها في البناء الجديد .

ج ـ حل مشكلة المهاجرين الاقتصادية : أما مشكلة المهاجرين الذين تركوا أموالهم في مكة وقدموا إلى المدينة لا يملكون شيئا فقد حلها عليه الصلاة والسلام حلا على غاية من الاحكام ، وذلك بفرض المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، فكان المهاجر يرث من اخيه الانصاري وكان الانصاري يتنازل عن جزء من ماله لأخيه المهاجر ، وبقي الأمر كذلك ، الى ان تحسنت الأوضاع المادية للمهاجرين ، فنسخ التوارث بينهم .

٣) بناء الدولة الاسلامية : أخذ رسول الله ببناء الدولة الاسلامية بعد ان تم له ما أراد من إصلاح الأوضاع الداخلية ، والدولة بحاجة الى أمرين اثنين لا يستغنى عن واحد منهما :

الأول : المال ، ولذلك كان على الجميع أن يعمل لتوفير المال الذي يتطلبه بناء الدولة الجديدة .

الثاني : الدفاع عن الدعوة والدولة ، ولذلك كان على الجميع أن يحارب .

ولما كان عدد المسلمين لا يمكن رسول الله من قسمهم الى فئتين ، فئة تقف نفسها للعمل ، وفئة تقف نفسها للجهاد ، فقد اتبع رسول الله نظام عدم التفرغ ، يعني ان اليد التي تبني اقتصاد الدولة هي اليد التي تدافع عن الدعوة والدولة ، وبذلك جعل الشعب هو الجيش ، يمتشق الحسام عندما يدعو الداعي الى الجهاد ، ويبني الاقتصاد والبلاد عندما لم يكن في مواجهة عدو . والحديث عن بناء الدولة الاسلامية حديث يطول ، ولنا فيه جولة غير هذا المقال .

٤) تصفية خصوم الدولة الاسلامية :

ان المتتبع للتاريخ يجد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصفي في كل سنة جماعة من خصوم الدولة الاسلامية ، ولا أشك بأن ذلك لم يكن ارتجالا من رسول الله ، ولكنه كان ضمن برنامج دقيق وضعه عليه الصلاة والسلام ولم يفصح عنه لئلا

يفقد فعاليته .
وقد بدأ عليه الصلاة والسلام بتصفية اليهود لأن تصفيتهم تعتبر جزءا من الاصلاح الداخلي ، ولأنهم أخطر اعداء الدولة الاسلامية ، ولأنهم عرفوا بتخطيطهم السري وسلوكهم الملتوي .
ففي السنة الثالثة من الهجرة صفى رسول الله بني قينقاع . وفي السنة الرابعة صفى بني النضير ، وفي السنة الخامسة صفى بني قريظة ، وفي السنة السادسة شن هجوما صاعقا على بني المصطلق ، وفي السنة السابعة صفى خيبر . وبذلك انتهى من امر اليهود . والتفت في السنة التي تليها الى تصفية نفوذ العرب المشركين في الجزيرة العربية فصفى في السنة الثامنة قريشا وهوازن ومن أيدهما من قبائل العرب ، وبذلك انتهى من أمر العرب واصبحت وفود قبائلهم تأتيه معلنة إسلامها وانضواءها تحت راية الدولة الاسلامية .
وفي السنة التاسعة بدأ بمناوشة الروم والتحرش بحدودهم في غزوة تبوك .
وفي السنة العاشرة جهز جيشا قويا فيه كبار الصحابة يقوده اسامة بن زيد ، وأمره ان يطأ ارض الروم .
أما غزوة مؤتة التي حدثت مع الروم في السنة الثامنة ، فان قتال الروم فيها لم يكن مقصودا ، لأن رسول الله جهز هذا الجيش ليؤدب به بعض الأمراء العرب الذي انتهك حرمة الدولة الاسلامية فانتصر الروم لهذا الأمير لأنه كان من صنائعهم ، فاضطر الجيش الاسلامي آنذاك ان يقاتل الروم .
وكان رسول الله بين كل عمليتين تصفويتين مما ذكرناهما يقوم بنشاط عسكري وسياسي واسع حسبما تتطلبه الحركة التصفوية المقبلة ، الغاية منه تثبيت بعض أطراف العداء بعقد معاهدات معهم ، مع أنهم ما زالوا على شركهم ، وارهاب بعض القبائل الأخرى لئلا تتحرك ضد الدولة الاسلامية ، وجمع المعلومات التي تفيده في الحركة التصفوية .
وبذلك نستطيع أن نفسر ذلك التحرك العسكري المكثف النشيط قبل فتح مكة ، وقبل غزوة تبوك .

والخلاصة :

إنني أريد ان اقول : إن السيرة النبوية قد درست ومحصت تاريخيا بشكل لا مزيد عليه ، ولكنها لم تعط ما تستحق من الدراسة التحليلية ، وخاصة من الناحية السياسية ، علما بأن رسول الله كان رجل السياسة الأول ، ولولا ان يكون كذلك لما قدر له إقامة دولة كانت غرة في جبين الدهر ، في ظروف لا تسمح مطلقا بقيام مثل هذه الدولة .
ولعل حادثة الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة كانت من أهم التحركات السياسية التي قام بها عليه الصلاة والسلام لقيام دولة الاسلام في المدينة المنورة .

الهجرة وحركة الأيام

للأستاذ محمد لبيب البوهى

حول التاريخ الهجرى

إن الانسان ليأخذه عجب كبير حين يحاول أن يتصور الاسباب التي من أجلها اتخذ حادث الهجرة أساسا للتاريخ الاسلامى ، ذلك ان امور الناس قد جرت على تاريخ أيامهم بربطها بحادث مرتبط بشيء ما يحمل اليهم في طياته ذكريات ذات بهجة ، كأعياد الميلاد ، والانتصار في حرب ، ولكن حادث الهجرة يبدو في ظاهره وكأنه امر سلبى ، كما تصوره الكفار ، وكما لا يزال يتصوره بعض الناس والمستشرقون من الافرنج خاصة بأنه نوع من الفرار . وما نظن أن هذه الأمور كانت خافية على الرعيل الأول من بناة مجد الاسلام الذين اجتمعوا مع عمر رضى الله عنه لدراسة واختيار هذا التاريخ ولا نشك أنهم قد استعرضوا الأمجاد الكثيرة التى مازلنا مع مرور القرون الكثيرة نتنسم عطرها ، ونذكرها بمنتهى الحب والتقدير والتكريم ، فهناك قبل الهجرة وبعدها احداث كثيرة يحمل شذاها الى النفس عطر الفرح بفضل الله ونصره ، فهناك على سبيل المثال لا الحصر مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهناك اليوم الذى اعلن الله تعالى فيه عباده انه قد اكمل لهم دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، وهناك اليوم الذى بدأ فيه سيد الخلق نشر دعوة الله ، وهناك بيعة العقبة ، وبيعة الرضوان ، وهناك .. وهناك ، الى غير ذلك من أمور واحداث لابد أنها كانت ماثلة امام اولئك الامجاد من بناة عظمة الاسلام ومجده وهم يبحثون امر اليوم الذى يتخذ بداية للتاريخ ، وما نظن الا أنهم قد درسوا أمورا كثيرة قد تكون خافية على كثير منا حين أجمعوا أمرهم على اختيار حادث الهجرة بالذات لذلك رغم ما يبدو في ظاهر الأمر من انه حادث سلبى يحمل في طياته آلاما كثيرة وأحزانا عاناها النبى العظيم وأصحابه .

نظرية الخير والشر

وفي الواقع فان حادث الهجرة كان يحوى في ظاهره صورا أسيفة لنضال طالت معاركه واشتدت بين دعوة الحق ودعوة الطاغوت .

ولعل العظة الأولى التى قد ينبغى ان نستخلصها من الهجرة ان اشياء كثيرة قد تكون مؤلمة في ظاهرها داعية الى الأسى والحسرة ثم يتضح فيما بعد انه قد جاء في اعقابها خير كثير . مصداقا لقـول الحـق سبحانـه : **(فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء/ ١٩ ولعل اكثرنا لو رجع الى ما مضى من تاريخ حياته لوجد ان كثيرا ممـا اصابه مـن خير انما جاء في اعقاب امور حملت اليه كثيرا من اسباب المعاناة كما تعانى الأم آلام المخاض لتسعد بعد ذلك بوليد عزيز .

من سنن الله في الكون

لقد كان حادث الهجرة بعد ان لقى المسلمون امورا شديدة ، وتعرضت الدعوة لريح عاصف ، وذاق كثير من المؤمنين من العذاب ما كان خليقا أن يزلزل النفوس ، وان كتب السـيرة لتفيض بألوان الصراع المرير بين كلمة الله وكلمة الكفر ، بما يؤكد سنن الله في الكون من وجوب الجهاد واحتمال كل شدة في سبيل تحقيق النصر في أمر ما ، فان النصر لا يأتى هينا أبدا ولتكون هذه الحقائق نبراسا لنـا وللعالمين الى آخـر الدهـر دون أن تفارقنا في أهوال الجهاد حقيقة اليقين المرجو في نصر الله .

وإن من يتعمق الأمور ، ويربط الأسبـاب بمسبباتهـا ، ويحلل كل ظرف ، ويستقصى ما كان في اعقاب الشدائد الجسام التى كانت قبـل الهجرة سوف يتبين أن المؤمنين لم يفارقهم الاحساس بأن الله معهم ، وان النصر بانتظارهم في نهاية طريق الأشواك وتأمل هذا المعنى في قوله سبحانه : **(إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)** التوبة/ ٤٠ فاحساس المرء بأن الله معه ، وانه على طريق الحق المبين ، يؤكد في نفسه اليقين الذى يبدد أسباب الحزن ، وسوف يدرك من يتأمل ذلك أن حادث الهجرة كان بداية لطريق النصر ، الذى بدأت رياح التوفيـق تهب عليهم نسماته من ذلك اليوم ، وانه منذ ذلك اليوم أخذت الدعـوة طريقها الصاعد : **(فأنـزل اللـه سكينته عليه وأيـده بجنـود لم تروها وجعل كلمة الذين كفـروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم)** التوبة/ ٤٠

من عظات التاريخ

لم تكن الهجرة إذن على مافيها من شدائد وآلام الا بداية حق لفجـر الاسلام وعظة باقية الى آخر الدهر ليقول كل مؤمن يدافع عن كلمة الله مرحبا بكل شدة وأهلا بكل عناء فانه لا طريق غير ذلك كى تتفجر ينابيع البركات ، فاذا استيأس المسلمون ، وظنوا في وقت من الأوقات أنه قد أحيط بهم فعليهم أن يلتمسوا العبرة من

أحداث الهجرة ليعلموا ان للحق ربا يرعاه ، وان علينا ان نتعرض لنفحاته ، ونأخذ بأسباب طاعته موقنين عندئذ بالنصر ، على شريطة أن نتحمل في سبيله البذل والعطاء والبلاء : (**وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين**) آل عمران/ ١٢٦و١٢٧ .

للهجرة معان متجددة

على أن الهجرة قد لا تمثل مجرد الانتقال من مكان الى مكان فقط بل إنها قد تمثل حركة الحياة عبر الأيام على أن الهجرة المكانية ليست قاصرة على بنى الانسان فهى بصورها المختلفة من سنن الحياة ، ونحن نشهد في مواسم خاصة هجرة الطيور من أقصى الشمال لتلتمس الدفء في بلاد الجنوب بدافع غريزى التماسا بغريزتها لأسلوب افضل في معيشتها أو بدافع السنن الكونية لاداء مهمة ما كهجرة ثعابين البحار في موسم التوالد لتتجمع في أماكن قاصية في أقصى الارض ، بل ان الفيلة في الغابات تدفعها الغريزة حين إحساسها دنو الأجل الى اختراق الغابة الى مكان تهديها اليه فطرتها لتنام نومتها الأبدية فيما يعرف بمقابر الفيلة .

هجرة الافكار

واذا كان هذا يصور بشكل ما هجرة الأحياء فان هناك هجرة معنوية ستظل باقية الى آخر الدهر وهى هجرة الافكار ، وما العلوم والمعارف التى تلقفتها اوروبا فأقامت عليها وبها حضارتها الا افكار من بلادنا احسنوا استغلالها وان كانوا قد غفلوا عن كثير من جوهرها والذى يحتاجه المسلمون الان هو اصلاح خط مسارهم وجمع الكلمة ونبذ أى مصدر من مصادر الفرقة والخلاف واتباع أسلوب حياة جماعى قائم على العلم والعمل ، العلم النافع بكل صوره والعمل الدقيق المبدع الخلاق المطعم بهذا العلم والمشفوع بارادة التغيير الدائم الى الافضل يوما بعد يوم بل ساعة بعد ساعة بغير مواناة تحول دون ملاحقة قطار الزمن الذى لا يرحم من يتخلف عن مواجهة تبعات الحياة المتجددة ومسئولية الاسلام الأبدية الكونية في قيادة سفينة الوجود كأمانة عاهدنا عليها الله موقنين انه لا سبيل لأى اصلاح حق بغير الاسلوب الدينى الذى هو ضرورة حتمية .

الاسلوب الوحيد لانقاذ البشرية

وإذا كنا نرى أن الاسلوب الدينى السليم هو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية وتقدمها فليس ذلك مجرد حدس أو امل بل لقد أثبتت ذلك التجربة الدينية في أول عصور الاسلام حيث لم يحدث الرقى والانتشار والازدهار إلا بالأخذ بالأسباب الدينية قبل ان يتسرب الى الناس أى سبب من اسباب الوهن او الضعف أو التواكل او الجهالة فالدين استطاع ان ينهض بالافراد ويبدل الجماعات ، وينقلها من حال الى

حال ، وتحققت للانسان سعادتـه الكاملة في طريق المادة والروح .

اعادة بناء التفكير الدينى

والذى يجب ان يكون نصب الأعين في طريق حركة الاصلاح ما تسرب الى نفوس المسلمين من ان الدين الخالص انما يكون بترك شئون المادة والتباعد عنها عند بعض الاخوان او التكالب عليها كلية عند قوم آخرين ، ولذلك فان الأمر يتطلب اعادة بناء التفكير الدينى ، ومن الخطأ الأخذ بالرأى الذى يشاع باستعمال تعبير تطوير الاسـلام لمواجهـة احـداث العصر ومتطلباته ، فالدين شامل منذ جاء لكل عصر وكل زمان وكل مكان وليس على اهل كل عصر الا الاجتهاد في الأخذ من ينابيعه الاصلية ، ولذلك فليس صحيحـا أن نقـول تطويـر الاسلام وانما الحق هو تطوير الفكر واسلوب التناول السليم من المنبع الأصيل مع مداومة حركة الاجتهاد الصحيح القائم على ركائز الايمان وهذا ما يمكن أن يعبر عنه بحركة الحياة الفكرية بدراسة متطلبات ما ينبغى تعديله أو تغييره من الأوضاع الفردية أو الجماعية .

افكار معوقة ولا أصل لها

وإذا كان أقوام يبثون في تفكيرنا ان الاسلام ينهى عن الـركون الى الدنيا فانه يجب تصحيح هذا الفهم بأنه يعنى عدم الركون الى شهواتها وملذاتها واتخاذها هدفـا وغايـة ، وهناك فارق كبير بين الـركون الى شهواتها ، وبين امتلاكها وتسخـير ناصيتها للخـير الخـاص والعـام واكتشاف آيات الله في كل امر من أمورها وان ندرك تماما انه ـ اذا كانت الحضارة الغربية قد أقامـت بنيانها على مجرد تسخير المادة الى ابعد غايات ذلك لمجرد الاستمتاع الى غير حد بثمارها فان الاسلام قائم على تسخير المادة بالأسلوب الدينى وروحه وأوامره لأن حياة الآخرة عند المسلم موصولة بحياة الدنيا فهو يزرع هنا ليحصد هنا وهناك والحصيد لا يكون سليما على هذه الموازين بغير عمل دينى وحركة اخلاقية فالدنيـا هى المزرعة ويجب ان تزرع بالاصـول والمواصفات التى وضعها صاحبها سبحانه وتعالى .

أهمية التخطيط الجماعى

كل حركة إصلاحية اسلامية لا يصح أبدا أن تقوم على مجرد اندفاع حماسي غير مدروس وانما بتخطيط جماعى على المستوى الاسلامى كله ، مع ضرورة أن يتضمن هذا التخطيط دراسة كل الاساليب والأفكار التى يعمل اعداء الاسلام على دسها بذكاء في تفكيرنا وفي بعض نظم حياتنا ، علما أن العداء للاسلام سوف يستمر الى قيام الساعة وما ينبغى أن نغفل عن مواجهته أبدا ، والا يكون ذلك العداء المستمر مثبطا لنا وعلينا ان نتقدم باسم الله لقهر كل العوائق التي تزرع في طريق تقدمنا وايقاظ الوعى العام حتى لا ينساق شبابنا خاصة لاغرائهم واحتوائهم تحت تأثير انهم

تقدميون وأنه من الخير لهم أن يثبتوا ذلك بالأخذ بما يساق اليهم وابتلاع هذه الأقراص المسمومة المغلفة بغلاف عسلي .

المنبع الأصيل لكل اصلاح

ان لدينا ولا ريب دعاة للاصلاح ولكنهم كثيرا ما ينسون أن اصلاح المسلمين لا يكون بغير الاسلام نفسه ، وأول ذلك اعادة نشر تعاليمه بأسلوب العصر وتحت مظلة فهم صحيح ، ويجب ان يستقر في وجداننا أن اصلاح أمورنا لن ينبع الا من ديننا ، وأوروبا تعانى الآن امراضا اجتماعية تعمل عمل السوس في نخر بنيانها ومن البلاهة ان نبتلع جراثيم أمراضها على أنها نوع من الدواء .

واذا كنا نكرر أنه أصبح لزاما على المسلمين إعادة بناء حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والانسانية فليس ذلك معاداة لروح العصر وانما تنظيم وتعديل ، يلائمنا وقد نستطيع ان نقول آسفين اننا لم نخط في هذا السبيل كثيرا ، واننا لم نجتهد بعد في استنباط الأهداف والوسائل استنباطا كاملا .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نقول ان الفكر الاوروبى حين يتحدث عن الديموقراطية ويعنى بذلك الكفاية والعدل اى تكون هناك كفاية في الانتاج وعدالة في التوزيع فان القوم هناك لاستغراق الفكر المادى بهم استطاعوا تحقيق الشطر الاول وهو كفاية الانتاج وفشلوا في عدالة التوزيع ، ونحن بخلاف ذلك نملك توجيهات ديننا الحنيف ان نهدى العالم الى ديموقراطية اخلاقية روحية اذا كان لابد من استعمال هذا التعبير الشائع .

وجوب التسلح بالارادة

وليس هذا تعصبا من الاسلام أو نبذا لكل ما هو غربى وانما هو تقويم لخط المسار الانسانى بأصالة فكرنا الاسلامى .

نحن في حاجة بداية لتركيز العمل على إيقاظ الوعى احساسا بمسئولية الحياة ثم اعادة الدراسة للأوضاع بالروح المعاصرة ووضع التخطيط للاصلاح العام باجتهاد سليم ثم قبل هذا كله وبعد هذا كله روح الارادة .. وتسليح كل فرد بهذه الارادة ونعنى بها ارادة العودة الى الاسلام الصحيح بروح الجد والمثابرة والصبر والبذل والتضحية لأنه بغير الارادة المسلحة بالعزيمة التى لا تلين حتى بلوغ الغاية فانه هيهات ان يتم شئ .

وعلى كل مسلم أن يدرك تماما أنه لا سبيل الى غير ذلك لاثبات ذاته ، ولن يكون إثبات الذات إلا بالاستغلال الكامل للطاقات التى استودعها الله فينا يوم خلقنا واعدنا لنكون خلفاء في الارض فخلق في طبيعتنا مقومات تنفيذ هذا الاستخلاف .. ان الله سبحانه قد خلق الكون في حركة مستمرة نحو التنظيم والابداع ونحن خلفاء الله في الارض وعلينا أن نحس هذا الشرف ونعمل له وبه ونتخلق بأخلاق الله وهو سبحانه المستعان .

مرحباً.. خيرَ مهاجرٍ

للأستاذ/ابراهيم عبد الفتاح مجاهد

بِسنا الهدى ذكرى « محمد » تشرق
فتضوّعُ الدنيا شذا وتُعَبّقُ
وتكلل الدهرَ المشوق بما وَعَتْ
من معجزات بالهدى تتألق
ستظل نبراسا تضئ بنورها
كل الوجود مدى الحياة وتُشْرِقُ
وتظل هجرةُ خيرِ هاد بَلْسَما
شافٍ لأفئدة بها تتعلق
لما تآمر بالرسول عصابة
أعمى بصيرتها الضلالُ المحدِقُ
جمعت على قتل النبي شبابَها
ليلا وقد عهدت بهم أن يأْرَقوا
لكنهم باءوا بخيبةِ سعيهم
فالله أغشاهم هناك فأخفقوا
وحثا رسولُ الله فوقَ رءوسهم
بعض التراب وسار لا يَتَعَوَّق
وغدت قريش تستحث رجالَها
في كل واد وهي لا تترفق
فتتبعت آثار خيرِ مهاجر
لكنها بالخزى عادت تَحْنِق

عادت يكاد الغيظ يقتل أنفسا
يئست فلم تظفر به أو تلحق
رجعت ولم تعلم بأن المصطفى
في الغار يصحبه الصِّديقُ المشفق
في « غار ثور » كان أكرمُ مرسَلٍ
ورفيقه يريانِ من يَتَسلَّق
لكن وكيف يرى العدوُّ « محمدا »
والغار تحرسه السماءُ وتغلق
هل كان باب الغار يحجب ما به
الا لمعجزة بدت تتألق
ومضى رسول الله تكلأ ركبَه
عينٌ العناية للهدى وتُوفِّق
سل « أم مَعبد » عن كراماتٍ بدت
من خير ضيف قد أتاها يَطْرُق
عجفاؤها أضحت حَلوبا بعدما
جفت وكادت من هُزالٍ تَنْفُق
واسأل « سُراقةَ » كيف كان جوادُه
يكبو به ويغوص ثَمَّ ويُطلَقُ
قد جاء يقتل أو يرد « محمدا »
فاذا به قد آب عنه يُعَوِّق
أغرته جائزةُ الضلال فمذ رأى
منه الخوارقَ عاد وهو يُصَدِّق
واستأنف الركبُ الكريمُ مسيرَه
فاذا مشارق أرضِ يثربَ تُشْرِق
وافى « ثَنِيَّاتِ الوَداع » مكللاً
بأجل ماعنه المشاعر تنطق
من معجزات لم تزل أنشودة
يزهو بها التاريخ وهو الشَّيِّقُ
بك مرحباً يا خيرَ داعٍ جئتنا
بالحق يحدوك الجلالُ المُشْرِقُ
شرَّفْتَ « يثربَ » يا أجلَّ مهاجرٍ
بالنور جئتَ وبالهدى تتألق
فأقمْتَ للاسلام صرحَ شريعة
ستظل طَوْدًا شامخا يَتَفَوَّقُ

مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادهـا ، ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية،ولا غرو ، فهم مستقبلهـا السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة نبيه .

وكان أن أوصى المسئولون – زيادة في رعاية الشباب وتثقيفهم – بانشاء باب في مجلتنا (الوعي الاسلامى) يهتم بشئونهم ، ويبسط لهم تعاليم دينهم في يسر ، حتى يكونوا على النهج ، ويتجنبوا المزالق والهوى ، ويتحصنوا في وجه كل دخيل ، ففي الاسلام الدواء لكل داء .

ونحن نحس بموجة من السرور تطغى على نفوسنا ، حين نرى استجابة شبابنا للنداء الذى وجهناه اليهم ، فلم نكد نعلن على صفحات المجلة أننا على موعد مع الشباب ، نأخذ منه ونعطيه ، ونفتح صدورنا لفكره ، ورأيه ، حتى انهالت علينا الرسائل من أنحاء العالم الاسلامى والعربى ، وبدأنا من خلال تلك الرسائل ، نستشف ما يعتمل في صدور أبنائنا ، وما يجول في خواطرهم ، ثم شرعنا نسجل ذلك في مقتطفات من كلماتهم ، ليتكون منها معرض فكرى ، حافل بشتى المعارف والثقافات ، وسنبذل قصارى جهدنا بعون الله تعالى ، في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه ، الاسلام الحنيف ، وان نقيم بناء العقيدة في نفسه على أساس صحيح ، فان أحدا لا يستطيع إنكار ما للعقيدة من أثر باهر في صنع الحياة ، وازدهارها بالخير . والجيوش الباسلة ، إنما تستمد شجاعتها وصلابة مقاومتها من رسـوخ العقيدة ، وقوة الصبر ، أكثر مما تستمده من قوة السلاح ، وكثرة العتاد . وذخيرة الخلق الفاضل ، والسلوك الراشد ، أجدى على المجتمع من وفرة الانتاج ، وتكدس الأموال ، مع حياة تكتنفها الرذائل ، وتمسك بزمامها أيد غير نظيفة ...

ونحن نستطيع أن نصنع من شبابنا مثلا رائعة ، إذا أردنا وأرادوا ، والله من وراء القصد وهو ولى التوفيق .

الدعوة الى الله

ومن الأخ جابر محمد حسن خليل ، آداب الاسكندرية قسم اللغة العربية ، السنة الثانية جاءتنا هذه الكلمة نقتطف منها ما يلي :

آثرت أن يكون أول ما يخط قلمى الى إخوانى الشباب ، هو الدعوة الى الله لما لهذا الموضوع من أهمية قصوى ، ولا سيما في عصرنا هذا الذى طغت عليه المادة ، وأقبل الناس على الدنيا ولم يلبوا داعي الله الا قليلا .

ويشغل موضوع الدعوة الى الله حيزا كبيرا في الساحة الاسلامية ، إذ عليه المعول في بناء مجتمع اسلامى مستنير الفكر راسخ الايمان ينتشر بين جنباته العلم والايمان ، مع صدى كل كلمة حق تخرج من انسان يدعو الى الله على بصيرة يقول الحق تبارك وتعالى : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)** ١٢٥ النحل ويقول سبحانه **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** ١٠٤ آل عمران .

وعن مكانة الداعى الى الله والتعريف به يقول :

الداعى ، هو مبلغ كلام الله إلى خلق الله ، لذا فله مكانة مرموقة في الدارين يقول الحق تبارك وتعالى : **(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين)** ٣٣ فصلت .

وكفى الداعى ثوابا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت). رواه الطبراني .

هذا ويلزم الداعى الى الله ، أن يتحلى بالحكمة : **(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)** ٢٦٩ البقرة .

وقد ذكر القرآن الكريم دعاء سيدنا موسى عليه السلام مشيرا الى صفات الداعى الى الله : **(قال رب اشرح لي صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى. يفقهوا قولى).** ٢٥ ـ ٢٨ طه .

ويجب أن يتحلى الداعى الى الله بصفات ، منها العلم ، يقول الله سبحانه : **(علم الانسان ما لم يعلم)** ٥ العلق ويقول سبحانه : **(وقل رب زدنى علما)** ١١٤ طه .

وعلى هذا يجب أن يتحلى الداعى بعلوم العربية والدين ولا يتوانى عن طلب هذه العلوم من أهلها يقول الله سبحانه : **(وفوق كل ذى علم عليم)** ٧٦ يوسف معتقدا أنه مهما بلغت درجة علمه فهو الى العلم أحوج **(وما أوتيتم من العلم الا قليلا).** ٨٥ الاسراء .

وليس هناك أعلى قدرا من العلماء أنظر الى قول الله سبحانه : **(شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)** ١٨ آل عمران ولقد

بثه الله في الانسان حتى يكون جديرا بتحمل الامانة يقول الله سبحانــه **(وعلــم آدم الأسمــاء كلهـــا)** ٣١ / البقرة ولم يكتف بأن علمه فقط بل أمره أن يعلمها غيره وهذا دور الداعى الى الله **(قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم)** ٣٣ البقرة .

وحتى يكون قدوة لابد أن يطابق عمله قوله حتى لا يدخل مع من يقول الله فيهم :

(أتأمــرون النـــاس بالبـــر وتنسون أنفسكم وأنتــم تتلــون الكتاب أفلا تعقلون) ٤٤ البقرة ومنها الصبر .

وللداعى ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، حيث صبر على قريش وإيذاء كفارها له ، طيلة ثلاثة عشر عاما تحت لواء قول الله سبحانه **(ان الله يأمر بالعدل والاحســـان وايتـــاء ذى القربـــى وينهـى عن الفحشـــاء والمنـــكر والبغى يعظكم لعلــكم تذكرون)** ٩٠ النحل .

وبعد أن اشتد الأذى منهم وأسرفوا في التعرض له صلى الله عليه وسلم ، لم تهن عزيمته ، بل خرج الى الطائف لعله يجد قلوبا تتطلع الى الهدى ولكنه وجدهم أشد مايكونون حمقا ، وأكثر سفها وجهلا فصبر قائلا : « **اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون** ».

ومنها الشجاعة :

ولقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في وجه الطغاة وأمام كل إغراء فقد حاولت قريش إثناءه عن عزمه على الدعوة الى الله فلم تفلح فسلكت طريق الاغراء بالمال والجاه والسلطان فقال بتصميم وعزم وثقة : (ياعم واللــه لو وضعــوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته). وليعلم الداعى الى الله أن قتله شهادة وسجنه خلوة ونفيه سياحة وتعذيبه جهاد في سبيل الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا : (أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطــع فبلسانـــه فان لم يستطــع فبقلبـــه وذلك أضعـــف الايمان).

والجهر بالقول الحق يحتاج الى شجاعة وحسم حتى نعود الى حظيرة الايمان .

ومنها الذكاء :

اذ لابد للداعى أن تكون له مهارة وقدرة في مخاطبة النـــاس على قدر عقولهم مبينا الخطأ دون المســـاس بالأشخاص ولكن الغرض هو بيان عظمة الاســـلام ومنهجــه القويــم وايصال تعاليمه الى الناس كل حسب مستواه العلمى مصحوبا بالعمل ، والرسول صلى الله عليه وسلم ترك لنا خير زاد ، انظروا اليه اذا أراد النهى عن منكر فقد كان يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ». ويــذكر الفعل ويبين الصواب فقط .

ومن صفات الداعى ، المرونة في

الدعوة الى الله ، فان الله سبحانه لا يكلف نفسا الا وسعها وقد أمر الدعاة أن ييسروا ولا يعسروا وأن يحببوا ولا ينفروا . وليعلم الناس أن رسالتهم الرئيسية في الحياة عبادة الله **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** ٥٦ الذاريات . وبعد هذا أقول للشباب تحلوا بهذه الصفات أو بعضها لتكونوا دعاة الى الله والقدوة أمثل طريق للدعوة الى الله .

وقد أختتم كلمته بعدة اقتراحات قدمها الى المجلة وهى :

تخصيص جزء من صفحات هذا الباب لتقييم كلماتنا ومدى جودتها .

وأن يتسع الباب فيشمل « قصة إسلامية قصيرة ، أو قصيدة » بأقلام الشباب ، وأيضا يشمل الباب ردودا على استفساراتهم وأسئلتهم .

ونحن اذ نشكر السيد/جابر محمد حسن خليل ، نأخذ بيده ليتابع معنا السير على الطريق ، ونعده ببحث مقترحاته لتأخذ طريقها الى التنفيذ بعون الله تعالى ..

رسالة وحوار ...

ومن الشاب أحمد المغنتن ـ مراكش ـ وردت هذه الأسئلة :

١ ـ قرأت في كتاب (نور اليقين) في سيرة سيد المرسلين لمؤلفه (محمد الخضرى) أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة المكرمة خطب خطبة بين فيها كثيرا من الاحكام الاسلامية ومما جاء في تلك الخطبة : (ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذى محرم) فما المقصود بالمسير ثلاثة أيام ؟ هل مشيا على الأقدام ، أو بواسطة وسيلة من وسائل النقل ؟ علما بأن الوسائل الحديثة تختلف سرعة وبطئا وتبعا لذلك فان المسافة تختلف .

ثم يستطرد معلقا ، ان البلاد الاسلامية تسافر الفتيات والنساء فيها وحدهن من مدينة الى أخرى دون مرافقة محرم .

فما حكم الاسلام في هؤلاء وأوليائهن الذين يبيحون لهن ذلك ؟

وسؤال آخر :

٢ ـ ذهب قوم من المسلمين دون ارغام للقتال في صفوف الجيش الفرنسى في المستعمرات الفرنسية في الهند الصينية وأيضا في الحرب الأهلية الاسبانية .

ومن المعروف أن هذه الحرب بالنسبة لهم لم تكن دفاعا عن حق ولا إعلاء لكلمة الله ، ولا نشرا للاسلام .

وقد أعانوا ـ ربما دولا ظالمة ـ فهم قد أعانوا على الظلم أو نشروا مبادىء مخالفة للاسلام ، وأيضا من المؤكد أنهم سيقتلون ويقتلون فما حكم الاسلام في هؤلاء وفي الأموال التى استلبوها أو التى مازالوا يأخذونها للآن ، وفي موقفهم إذا قتلوا أو قتلوا ؟

وقد توجهنا بهذه الأسئلة الى فضيلة الشيخ بدر المتولى عبدالباسط الأمين العام للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت .

فقال فضيلته : ان المراد بالسير ثلاثة ، السير المعتاد على الأقدام أو على الابل مع وجود فترات راحة خلال السير والمسافة تقــدر (تقريبــا) بخمسة وعشرين كيلومترا في اليوم حتى يمكنه أن يتابع السير وهذا ما ذهب اليه الحنفية في تقدير مسافة السفر التى تتغير به الأحكام .

ويرى الحنفية أيضا أنه يحرم على المرأة السفر لأى غرض من الأغراض حتى الحج الا مع زوج أو محرم .

وأجاز بعض العلمــاء سفرهــا للأغراض الصحيحة مثل طلب العلم أو الحج اذا كانت مع رفقة صالحة ، وذلك صيانة عن المهانة والمتاعب التى يتعرض لها المسافر عادة .

وبهذا نكون قد أجبنا عن الشق الأخير من السؤال :

وعن السؤال الثانى يقول فضيلته :

يجــب على هؤلاء المقاتلــين اذا استطاعــوا ألا يشتــركوا في هذه الحروب .

أما اذا اشتركوا مكرهــين فان واجبهم أن يمتنعوا امتناعا كاملا عن قتل المسلم حتى ولو أكرهوا على ذلك .

ويجب عليهم أن يمتنعوا عن تأييد أى اتجاه مضاد للاسلام .

أما الأموال التى استلبوها فان كانت من أمم غير مسلمة ، فلا أرى في ذلك بأسا بخلاف ما اذا كانت من أمة مسلمة فانها محرمة عليهم .

ولا يحل لهم الانتفاع بها فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وعن الجزء الأخير من السؤال يقول فضيلته :

اذا قتلوا فلا أعتقد أنهم يستحقون وصف الشهادة حتى ولــو كانــوا مكرهين .

واذا قتلوا فان كان المقتول مسلما فانهم آثمــون . بل أوجــب بعض الفقهاء القصاص منهم ، لأن المكره عند الشافعية على قتل نفس معصومة يجب أن يقتص منه . لأنه باشر قتل نفس معصومة .

ويرى الحنفية أن الاكراه شبهة مسقطة للقصاص ، ولكنهم قالوا إنه آثم لأنه آثر نفسه على نفس أخيه المسلم مع عصمته .

وأما اذا كان اشتراكه في الحرب عن طواعية فانه مستحق للقصاص قطعا .

قالوا فى الزهد

● قال الحسن بن آدم : انت اسير الدنيا ، رضيت من لذاتها بما ينقضى ، ومن نعيمها بما يمضى ، ومن ملكها بما ينفد ، تجمع لنفسك الاوزار ، ولاهلك الامــوال ، فاذا مت ، حملت اوزارك الى قبـــرك وتركت اموالك لاهلك .

الفتوة

معناها نشأتها مفهومها في الجاهلية والاسلام

للاستاذ / سليمان التهامي

الفتوة في اللغة من الفتاء ، وهو الشباب . والفتى فى الاصل الشاب، ولما كان الشباب مصدر القوة ، كانت الفتوة هي القوة ، وقد سموا الليل والنهار فتيان لقوتهما ، فهما يبليان كل جديد ، ويغيران كل طارف وتليد .

واذا كانت الفتوة بمعنى القوة ، فالمقصود بها القوة الجسمية التي تتوفر للشباب عادة من الضرب بالسيف والطعن بالرمح ، والمهارة في نزال الاقران ومقارعة الشجعان. وكما تطلق الفتوة على القوة حقيقة تطلق مجازا على معان متعددة

ويــراد بها القــوة المعنوية . قال صاحب القاموس : الفتى الشـــاب والسخي الكريم ، والفتوة السخاء والكرم . وقال صاحب الاساس : الفتوة هي الحرية والكرم ، والحرية تعني الشجاعة والقــوة والعــزة والاباء .

فالفتوة اذن تطلق على مجموعة مــن الفضائل الانسانيــة تكسب صاحبها صفات الرجولة الكاملة ، فانكار الذات ، وقضاء الحوائج ، وصنائــع المعــروف ، والايثار ، والتحرر من قيود العادات واغلال التقاليد وتطويع النفس لخدمة بني الانسان في غير من ولا اذى هي من صفات الرجولة الكاملــة .. قال القتيبى في لسان العرب : ــ « ليس الفتى بمعنــى الشاب والحدث ، وانما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال قال الشاعر :

ان الفتــى حمــال كــل ملمــة
ليس الفتى بمنعم الصبيان

والفتى يطلق على معان متعددة كذلك . فهو السيد الذي نـــال السؤدد والشرف بخلاله الحميدة ، وافعاله المجيدة ، ومواقفه الخالدة، وهــو الكريم والفارس الشجاع ، وذو المروءة قال الشاعر : ــ

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة
يواســـيك او يسليك او يتوجع

والعرب قرنوا المروءة بالفتوة في كلامهم . وقد فرق ابــو الريحان البيروني بينهما حين قال : «المروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وحاله ، والفتوة تتعداه الى غيره » فهي في رايه عامة فــلا يحتاج الفتى الى النسب العريق كي يصل الــى السيادة والشرف قال الشاعر :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه
خلق وجيب قميصه مرقوع

وكان من فتيان العرب الفقراء من بلغ هذه المنزلة كحاتم الطائي حين وهب الرمح لخصمه ، سماحة منه وكرما ، وككعب الأيادي حين فدي قرينه بحقه من الماء المقسوم ، وآثره على نفسه حتى هلك هــو عطشا ، ومثل هذاينطبق عليه قول الشاعر :

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها
والجود بالنفس اقصى غايةالجود

وقد جمع علي بن الجهم الفتوة والمروءة فى بيت واحد حين قال : ــ

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة
ولكــن عارا أن يــزول التجمل

فقد قصد بالشطــر الاول الفتوة وبالثاني المروءة ومعناه انــه ليس عارا على الفتى أن يفتقر اذا بذل ماله في سبيل المحاويج أو الغارمين، ولكن العار انه اذا افتقر الا يستعفف وتلك هي المروءة ، ويشر فـــارس في كتابه « مباحث عربية » : فالفتى عند العرب هو من كملت فيه صفات السيادة ، واهله خلقه لأن يقــود قومه ، ويكون غياثهم عند الكروب، وملجأهم عند الخطوب ، وهو بين الفتوة شيخا كان أم شابا .

كان لطبيعة الصحــراء اثر في تنشئة العربي على الفتوة . فالحياة الخشنة التي يحياها اورثته الجلد والقوة والصبر والاحتمال ، والبذل والايثار ، والشجاعة والنجــدة ، والخطر المتجدد الذي يواجهه رجل يأويه بيت من الشعر والوبر ــ كلما أشرق نهار واظلم ليل ــ تهزه الريح

كلما هبت ، ويجرفه السيل كلما تدفق ، ويدهمه الوحش كلما اشتد به الجوع ، وتطمره الرمال السافيات كلما عصفت بمضاربه العواصف وهذا الخطر على ما يحمله من تهديد لحياة العربي يمده بصفات قلما تتوفر لغير سكان البوادي . فانه يوقظ حواسه وينبه مشاعره الى ما يجري حوله ، ويزكي عقله بحيث لا تفوته شاردة ولا واردة ، ويزوده بطاقات من الجرأة والثبات والاقدام ، والعربي أمام هذا الخطر وهذه الطبيعة القاسية يعايش هذه الحياة ، حارسه عدته وسلاحه ، وحاميه شدة حماسه وشجاعة قلبه ، قد أكسبه التمرس بركوب الابل وعلى صهوات الجياد ، والضرب في اكناف البيداء حدة في البصر وقوة في السمع ، وقدرة على الشم حتى ليشتم الخطر قبل نزوله به ومداهمته اه .

ان حياة الصحراء فرضت على العربي أخلاقا خاصة ، وطبعته على عادات وتقاليد خاصة ، كذلك صارت له على الزمن طبيعة وجبلة قال ابن خلدون في مقدمته : « ان أهل البدو أقرب الى الشجاعة من الحضر ، فالانسان ابن عوائده ومألوفه ، فالذي الفه حتى صار خلقا وعادة ينزل منه بمنزلة الطبيعة والجبلة » وكذلك كان للبيئة أثر اي أثر في تنمية عقله حتى صار يتقبل الحقائق ، وينظر الى الامور نظرة واقعية ، وينفر من الاوهام والخرافات ، وحيث تنمو العقول فى بيئة تنمو الحرية فالرجل الحر يكره أن يتقيد عقله بأي قيد قال الشاعر:

لا خير في حسن الجسوم وطولها
اذا لم يزن حسن الجسوم عقول

وقد يقال اذا كانت البيئة وحياة الصحراء قد زودت العربي بهذه الخصائص الجسمية والعقلية فكيف نوفق بين ذلك وبين عبادتهم للأصنام ؟

ان عبادة الأصنام أقحمت على حياة العربي خاصة أهل مكة حيث بيت الله الحرام وفيه الكعبة قبلة التوحيد من عهد ابرهيم عليه السلام ، وفرضت عليه في ظل سلطان القبيلة فألفها الفه لعادة مهيمنة حتى صارت جبلة له وطبيعة، ولم تكن له معرفة سابقة تدله على حقيقة التوحيد ، ولا كتاب بين يديه يهديه الى الايمان ، ومع ذلك كان يعرف في قرارة نفسه ان لهذا الوجود خالقا ، واذا سئل عن الوهية الأصنام أنكر الوهيتها ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : **(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)** الزمر/٣ بل وجد من أصحاب العقول السليمة من عرف أن قومه على ضلال ، وجاهر بهذه الحقيقة (كورقة بن نوفل) وغيره ، وكان بعضهم يسخر منها ، فقد سخر امرؤ القيس من صنمه (ذو الخلعية) وحطمه بعد أن استقسم لديه بالازلام وخرج السهم ينهاه عن ذلك ، ولما راى عمرو بن الجموح ـ وكان مشركا ـ أن صنمه لا يذود عن نفسه حين يلقيه غلمان الانصار وسط الاقذار حطمه وأسلم ، وقال عربي آخر وقد راى صنمه تبول عليه الثعالب : لقد هان من بالت عليه الثعالب » .

وجاء الاسلام وهو دين الفطرة قال تعالى : **(ان الدين عند الله الاسلام)** آل عمران / ١٩ وقال

عز وجل : **(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطـر الناس عليها)** الـــروم / ٣٠ فــوجـــد للعرب تقاليد كريمة واخلاقا قويمة، وفضائل نفيسة ، ومواقف انسانيــة بجانب ما لهم من صفات ذميمة وعلى رأسها عبادة الاصنام ، وهذا ما يوحي بأنهم كانوا على جانب كبير مــن الفطرة السليمة . والفطـــرة هــي الخير الخالص اذا لم يعــرض لهــا مما يحوطها ما يصرفها عن السداد في حكمها ، وحينئذ يرى الانسان الخير شرا ، والشر خيرا ، وهو ما يستفاد من قول النبي عليه السلام : « كل مولود يولد على الفطــرة ، وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» رواه الشيخان فالفطرة صافية في ذاتها ، ولهذا اختارهم الله لحمل رسالـــة الاســـلام قـــال تعالى : **« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجــتبـــاكــم)** الحـــج / ٧٨ وكان من عداهم من الامم قد فسدت فطرهم لما كانوا عليه مــن فساد وانحلال . وقـــد اثنـــى الله عليهم بقوله : **(كنتم خير امــة اخرجت للنـــاس)** آل عمـــران /١١٠

عمد الاسلام الى هذه الاصـــول الاخلاقية فبني عليهـــا ما جاء بـــه ودعا اليه مـــن أســـس العقيدة ، وقواعد العبادة والمعاملـــة ومكارم الاخلاق ، فامتزجت الفتوة العربية بالقيم الدينية في اهاب الاسلام ، وتغير الرشد العقلي لـــدى الفتى المسلم ، وسما على الرشد العقلي عند العربي فى الجاهلية ، فكل خلة من خلال الخـــير صبغهـــا الاسلام بصبغته ، واضفـــى عليها معاني موصولـــة بالحق والهدى . قال تعالى : **(صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحـــن لـــه عابدون)** البقرة / ١٣٨ وجاء الرسول عليـــه السلام ليتمها ويكمل بناءها ، قال عليه الصلاة والسلام : « **انما بعثت** لأتمم مكارم الاخلاق » البخاري .

ان القرآن الكريم استعمل مادة الفتوة في بعض سوره . فقال تعالى: **(وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحـــالهـــم)** يـــوسف / ٦٢ وقال في قصة اصحاب الكهـــف : **(انهم فتية آمنوا بربهـــم وزدناهم هدى)** الكهف / ١٣ وقال : **(واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى ابلـــغ مجمع البحريـــن او امضي حقبا)** الكهف / ٦٠ وقال على لسان قوم ابراهيم عليه السلام : **(قالوا سمعنا فتـــى يذكرهـــم يقال له ابراهيم)** الانبياء / ٦٠ ، واستعملـــت مادة الفتـــوة في السنة كذلـــك ، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي عليه السلام : « لا يقل احدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي » والســـر في هذه التسمية النهي عن التعاظم ، ولفظ الفتى والغلام ليس دالا على محض الملك كدلالة العبد ، فقد كثر استعمال الفتـــى في الحـــر وكذلك الغلام والجارية .

هذه النصوص من القرآن والسنة تهدف من وراء التعبير بالفتوة الى بيان شرفها وانها في الاسلام جماع مكارم الاخـــلاق ، ولئـــن تشابهت اسماؤها مع نظائرها فى الجاهلية فان مسمياتها في الاسلام قد اكتسبت معاني جديدة لم تكن لها من قبل .

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس الاربعين وهي

ذروة الشباب ، ولما دعا قومه الى الله حالفه الشباب وخالفه الشيوخ، والمستقرىء لسيرته العطرة يرى أنه في مستهل شبابه قبل البعثة ، كانت أخلاقه تمثل أخلاق الفتيان ، فقد عزف عما عكف عليه قومه من اللهو واللعب وعبادة الاصنام ، وعرف بالصدق والامانة والعفاف والصلة ، وشارك أعمامه فى حلف الفضول وكان لنصرة المظلوم حتى يؤدي اليه حقه ـ وآزر قومه في بناء الكعبة ، وبعد البعثة كانت سيرته في حربه وسلمه ، ومعاملته مع أهله وعشيرته صورة مشرقة من الفتوة التي صقلها الاسلام فبدت وثيقة العرى شامخة الذرى ، فشباب الاسلام ورث الفتوة عنه فهو سيد الفتيان بلا منازع . رباهم بين يديه وصنعهم على عينه ، ونفخ فيهم من روحه ، وتعلموا من القرآن والسنة ، فنشأ منهم جيل من الفتيان ضم القائد والداعية والعالم والفدائي والحاكم، وكان أسامة بن زيد أول قائد على جيش ضم كبار المهاجرين والانصار، ومصعب بن عمير اول داعية بعثه الرسول مع أصحاب العقبة ، وعلي ابن أبي طالب اول حاكم على المدينة حين خرج الى تبوك ، وسالم بن عمير وعمرو بن عوف وابو نائلة ندبهم للمهام الخاصة بأعداء الاسلام كأبي عفك الشاعر وكعب بن الأشرف زعيم يهود ، وغيرهما ممن كاد للاسلام واعتدى على المسلمين، وأذن لأبي لبابة (رفاعة بن المنذر) في الذهاب الى بني قريظة كطلبهم وقد نصحهم بالنزول على حكم الله ورسوله ، وتتابعت أجيال وأجيال استقاموا على الطريقة ، والتزموا سلوك الفتيان ، وقد كان ذلك دأب من اخذوا انفسهم بشرائع الاسلام.

أما اهل الحقيقة فقد ذاعت فتوتهم، وتعطرت العصور بعبير اقوالهم وأفعالهم قال الجرجاني في التعريفات : « الفتوة في اصطلاح أهل الحقيقة هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة » وذهب ابن عربي في الفتوحات ، والقشيري فى الرسالة ، وغيرهما من المتصوفة هذا المذهب في معنى الفتوة قائلين بأن الفتى هو من يستخدم قوته في خدمة الله ونصرة الضعيف .

وبعد : فان الفتوة صار لها في الاسلام مفهوم أوسع ومضمون اشمل عما كانت عليه في الجاهلية فهي في كلمة واحدة لمن اتصف بمكارم الاخلاق وقد كان النبي عليه السلام يحمد هذه السجايا ، ويستوفى هذه المكارم ، حتى استحق ثناء ربه في قوله تعالى : **(وانك لعلى خلق عظيم)** القلم / ٤ وموقفه من (سفانة) بنت حاتم طيء دليل على ذلك قال علي رضي الله عنه : لما وقعت سفانة بنت حاتم طيء في أسر المسلمين قالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رايت ان تخلى عني فلا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي. كان ابى يفك العاني ، ويحمي الذمار ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ويفشي السلام،ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طيء .فقال النبي عليه السلام يا جارية هذه صفات المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه . خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق) .

سيرة ابن هشام .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

صلاة الجماعة

السؤال ــ هل صحيح ان صلاة الجماعة واجبة وانه لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد ؟

محمود صالح مختار ــ بالشامية ــ الكويت .

الجواب ــ وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة احاديث صحيحة في صلاة الجماعة تحث عليها وتبين فضلها وتحذر من تركها والتهاون فيها .

وللعلماء إزاء هذه الأحاديث آراء ألخصها فيما يلي :

الرأي الاول : قال احمد بن حنبل : انها فرض عين على كل قادر عليها ، وذهب الى ذلك عطاء والاوزاعي وابو ثور ، ومن اهل الحديث ابن خزيمة ، وابن حبان ، كما ذهب اليه الظاهرية الذين يأخذون بظاهر النصوص .

ومع قول هؤلاء بفرضية الجماعة اختلفوا ، هل الفرضية شرط في صحة الصلاة فتبطل بدونها ، أو ليست شرطا فتصح بدون جماعة مع الاثم ؟ والمجال لا يتسع لتفصيل ذلك .

ومن ادلة الموجبين وجوبا عينيا للجماعة في الصلاة ما ياتي : ــ

١ ــ حديث مسلم والنسائي وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل اعمى ، فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني الى المسجد ، فسأله ان يرخص له ليصلي في بيته ، فرخص له ، فلما ولى الرجل دعاه فقال « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم . قال « فأجب » . وجاء مثل هذا في رواية احمد وابن حبان والطبراني ، وفيها ان الاعمى هو عبد الله ابن ام مكتوم .

ووجه الاستدلال في هذا الحديث ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرخص في تركها للاعمى ــ وله عذره ــ فكيف بالصحيح الذي لا عذر له ؟

٢ ــ حديث مسلم وغيره عن ابي الشعثاء المحاربي قال : كنا قعودا في المسجد

فاذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي ، فاتبعه ابو هريرة بصره حتى خرج من المسجد ، فقال ابو هريرة : اماهذا فقد عصى ابا القاسم . ووجه الاستدلال ان تارك الصلاة مع الجماعة عاص ، وهذا يدل على وجوب الجماعة .

٣ ـ حديث مسلم وغيره عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لقد هممت ان آمر فتيتي فيجمعوا لي حزما من الحطب ، ثم آتي قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فاحرقها عليهم » فقيل ليزيد بن الاصم : الجمعة عنى او غيرها ؟ قال : صمت اذناي ان لم اكن سمعت ابا هريرة يأثره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر جمعة ولا غيرها .

ووجه الاستدلال ان هم النبي صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة يدل على معصيتهم وهذا يدل على وجوبها ،

الرأي الثاني :قال مالك وابو حنيفة وكثير من الشافعية : ان صلاة الجماعة سنة مؤكدة ، ومما استدلوا به ما ياتي : ـ

١ ـ حديث (اذا صليتما في رحالكما ثم اتيتما مسجد جماعة فصليا معهم ، فانها لكما نافلة) رواه الخمسة عن يزيد بن الاسود الا ابن ماجة . ووجه الاستدلال انه حكم على الصلاة جماعة بانها نافلة ، ويلزمه ان الصلاة الاولى وقعت صحيحة واجزأت عن الفريضة .

٢ ـ حديث (والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام في جماعة اعظم اجرا من الذي يصليها ثم ينام) رواه البخاري ومسلم . ووجه الاستدلال ان التفضيل في الاجر يدل علي ان الصلاة مع غير الامام لها اجر ، ويقتضى ذلك ان تكون صحيحة ، غير ان اجر الجماعة اعظم . ذلك ان افعل التفضيل يقتضي المشاركة وزيادة ، كما هو معروف .

وهناك احاديث اخرى ترغب في صلاة الجماعة بما يفيد ان ثوابها اعظم من الصلاة المنفردة وان صحت وقد اجاب هؤلاء على ادلة الموجبين للجماعة فقالوا :

أ ـ ان عدم ترخيص النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم بالتخلف عن الجماعة ليس دليلا على وجوبها حتى على ذوي الأعذار ، وانما ذلك لما يعلمه من حرص عبد الله على الخير مهما كلفه من جهد ، ولما يعلمه ايضا من ذكائه وفطنته واستطاعته حضور الجماعة بغير قائد ، ويدل على هذا ان الرسول عليه الصلاة والسلام رخص لغيره ممن له عذر ان يصلي في بيته ولا يذهب للجماعة في المسجد ، فقد روى البخاري ومسلم ان عتبان بن مالك ـ وهو ممن شهد بدرا ـ قال : يارسول الله قد انكرت بصري ـ اي ضعف نظري ـ وانا اصلي لقومي ، فاذا كانت الامطار سال الوادي بيني وبينهم ، لم استطع ان آتي مسجدهم فاصلي بهم ، وودت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى .

فاستجاب له وصلى فيه ركعتين . ولا يقال إن الترخيص لعتبان ـ وهو لعذر ـ دليل على ان الجماعة واجبة على غير المعذورين ، لانها لوكانت واجبة لقال له :

انظر من يصلي معك في بيتك ، فعدم امره بذلك دليل على ان الجماعة سنة .
ب ــ ان حديث الهم بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة لا يدل على وجوبها ، بل يدل على عدم الوجوب لامرين ، الاول : ان همه بترك الصلاة وانابة واحد يصلي بالناس دليل على عدم وجوبها ، والا فكيف يترك واجبا ؟ ولا يقال انه لو عاد من تحريق البيوت لامكنه ان يجد جماعة يصلي بهم ،،لان وجود جماعة غير مضمون ، والثاني ان الجماعة لو كانت واجبة تستحق تحريق بيوت المتخلفين ما تاخر عن تحريقها معاقبة لهم على المعصية ، لكنه لم يفعل فدل ذلك على عدم وجوبها وغايته انها هامة .
٣ ــ ان احاديث الهم بالتحريق وردت في شأن المنافقين لتخلفهم كثيرا عن الفجروالعشاء ، وذلك في رواية ابي هريرة نفسه التي اتفق عليها البخاري ومسلم ، فقد جاء في آخرها (والذي نفسي بيده لو يعلم احدهم انه يجد عرقا سمينا او مر ماتين حسنتين لشهد العشاء) والعرق بقية لحم او عظم عليه لحم ، والمرماتان ما بين ظلف الشاة من اللحم . فالحديث منصب على من يكثرون التخلف وبخاصة عن الفجر والعشاء ، وهذا دأب الذين فيهم نفاق جاء في بعض روايات الشيخين (ان اثقل صلاة على المنافقين هي الفجر والعشاء) .
٤ ــ ان الوعيد بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة يراد به الزجزلا حقيقته لان الاحراق لا يكون الا للكفار والاجماع على منع احراق المسلمين .
٥ ــ ان فرضية الجماعة يراد بها صلاة الجمعة كما جاء عن ابن مسعود في صحيح مسلم ، لكن رد هذا بان التهديد يجوز ان يكون للتخلف عن الجمعة وعن الصلوات الاخرى وبخاصة الفجر والعشاء .
٦ ــ ان فرضية الجماعة كانت في اول الامر لحرص النبي صلى الله عليه وسلم على حضور الناس جميعا معه لتبليغ الوحي وارشادهم ثم نسخ الوجوب . قال الحافظ ابن حجر : ويدل على النسخ الاحاديث الواردة في تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفذ ، اي المنفرد لان الافضلية تقتضي الاشتراك في اصل التفضيل ، ومن لازمه الجواز . هذا بعض ما قيل في مناقشة أدلة الموجبين ، الى جانب ان الوجوب فيه حرج ، والارض كلها مسجد .

الرأي الثالث : قال الشافعي في احد قوليه وجمهور المتقدمين من اصحابه وكثير من المالكية والحنفية :
ان صلاة الجماعة فرض كفاية ، يجب على اهل كل محلة ان يقيموها ، واذا اقامها بعضهم سقط الطلب عن الباقين ، وكانت في حقهم سنة ــ وذلك لاظهار شعيرة الاسلام باجابة المؤذن واقامة الصلاة ، وسند هذا القول ما ورد من الاحاديث المؤكدة لفضلها والمحذرة من تركها ، ويوضحه او يبين حكمته ما قاله ابن مسعود ــ كما رواه مسلم ــ : ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا

المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وفي رواية ابي داود لكفرتم . والمراد بسنة النبي دينه وطريقته لا السنة بمعنى المندوب ، فان ترك المندوب لا يؤدي الى الكفر والضلال .

وهذا الرأي الثالث له وجاهته وهو كون الجماعة فرض كفاية على المجموع يسقط باداء بعضهم ، وسنة مؤكدة في حق الجميع اي في حق كل واحد على حدة . واداء الجماعة في المسجد افضل من ادائها في البيت او السوق بنص حديث البخاري ومسلم « صلاة الرجل في جماعة تفضل صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين درجة ، وذلك انه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه ، وماتزال الملائكة تصلي عليه مادام في مجلسه الذي صلى فيه ، اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يحدث فيه » .

وقد رأى جماعة ان من له زوجة او اولاد يصلي بهم في بيته ولو تركهم وصلى في المسجد مع الناس لتركوا الصلاة فان صلاته جماعة بهم افضل من تركهم وصلاته في المسجد ، مادام هناك من يقيم صلاة الجماعة فيه غيره ، واما حديث « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » فليس بصحيح ، ولو صح لكان المراد به نفي الكمال لا نفي صحة الصلاة ـ ذكره المناوي في « فتح القدير » على « الجامع الصغير » للسيوطي .

وكان المسلمون الاولون حريصين على صلاة الجماعة واقامتها في المسجد لمضاعفة الثواب ، حتى ان الرجل منهم كان يؤتى به يهادي بين الرجلين ـ اي يسندانه ـ حتى يقام في الصف كما رواه مسلم عن ابن مسعود .

وقد اخترنا الرأي الثالث جمعا بين الاحاديث التي يشعر ظاهرها بالوجوب وبين الاحاديث التي تدل على الندب لما فيها من الفضل ، والجمع بين الاحاديث افضل من اهدار بعضها .

وهذا كله في حق الرجال اما صلاة الجماعة للنساء في المسجد فليست واجبة ولا مندوبة ، لان صلاة المرأة في بيتها افضل ، كما نصت على ذلك الاحاديث المقبولة ، ولو صلت في بيتها جماعة كان افضل على الا تكون اماما لرجل .

اجابات قصيرة

الأخ / ع٠ع الجمهورية التونسية : نشكر لك شعورك ، ونحـــن جميعا مؤمنون أن الدين ليس أفيون الشعب ، ولكننا ندعو الى التنظيم والتخطيط الدقيق لتغيير المنكر ، والفتوى شاملة وواضحة ، وفيها عرض للاراء أكثر من اختيار رأي معين ، هدانا الله جميعا سواء السبيل .

بأقلام القراء

تعقيب على موضوع
« إفريقيا في ظل الاسلام »

جاءنا من الاستاذ عبد الله آدم هذا التعقيب على ما نشر تحت عنوان (إفريقيا في ظل الاسلام)
جاء في مجلة الوعي الاسلامي العدد (١٦٤) شعبان ١٣٩٨هـ يوليو ١٩٧٨م الموضوع أعلاه للشيخ عبد الرحمن النجار الذي عرض مشكورا الجوانب المضيئة دون التعرض للمشاكل والمعوقات التي لم تصبح فقط حجر عثرة في انتشار الاسلام بالقارة ولكن صارت حائلا دون تفهم المسلمين لدينهم ومانعة لهم من اداء شعائرهم .

ان المشكلة التي تواجه المسلمين بافريقيا ـ فيما ارى ـ ليس انتشار الاسلام او عدمه ولكن تكمن المشكلة وخاصة عند المسلمين الذين لا يتحدثون اللغة العربية كلغة اساسية ، في صعوبة فهم دينهم بسبب عدم إلمامهم الكافي باللغة العربية ثم ضعف الامكانات المادية الضرورية لتوفير الوسائل المطلوبة لاداء الشعائر الدينية .

بينما نرى ان الدول الغربية تبذل الكثير لنشر لغاتها بافتتاح مراكز تعليم لهذه اللغات في جميع الاقطار الافريقية نجد ان الدول الاسلامية وخاصة العربية لم تهتم بنشر اللغة العربية بين الاقطار الافريقية المسلمة باستثناء محاولات فردية لم تتمكن لضعف امكانياتها لاداء رسالتها كاملة ، ولعل قيام معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالسودان قبل فترة قصيرة بمجهود جماعي هو بداية للنظرة الصحيحة لهذا الامر .

ان افريقيا تعتبر غنية بمواردها ولكنها فقيرة في واقعها الحالي لعدم او ضعف استثمار هذه الموارد وعليه فان معظم المسلمين وخاصة عندما يكونون اقلية في قطر ما نجدهم في حاجة ماسة لمساعدات تعينهم لاداء شعائر دينهم : (كالمساجد ـ الخلاوي ـ التعليم ـ التدريب المهني ـ المشاريع الاعاشية . الخ)
ولقد تنبه مجلس الكنائس الافريقي ـ الذي هو فرع من مجلس الكنائس العالمي وبواسطته ومساعدته ـ في أهمية مساعدة المسيحيين في الامور المذكورة أعلاه ، بينما لم تهتم المنظمات الاسلامية العالمية بهذه الجوانب العملية مكتفية بعقد المؤتمرات واصدار التوصيات التي لا ترى التنفيذ الا نادرا .

إن الاحصائية التي استشهد بها الكاتب لأحد « القسسة » وذلك في قوله « ان دخول الافريقي في المسيحية

يقابله دخول ٨٧ من زملائه في الاسلام » !! امر لا يؤيده الواقع المعاش حاليا وفي رأيي ان القسيس اراد بقوله هذا ان يجد اذنا صاغية لتوصيته التي أوردها الشيخ عبد الرحمن النجار وهي قوله « ... ان علينا ان نتخذ قرارا حاسما وعمليا » ! ولا بد ان هذا القرار قد اتخذ ونفذ ! فقد ذكرت إحصائية لمجلس الكنائس الافريقي قبل أعوام إن إفريقيا سجلت أعلى مبيوعات للانجيل على مستوى القارات .

واذا كان لا بد من خطوات عملية لمساعدة المسلمين غير الناطقين باللغة العربية بافريقيا اقترح :

(١) قيام مجلس متخصص في شؤون المسلمين بافريقيا له من الامكانيات ما يلبي حاجاتهم العاجلة لفهم دينهم واداء شعائرهم واجراء البحوث المتعلقة بشؤونهم بدلا من الاعتماد على غير المسلمين في معرفة هذه الحقائق .

(٢) هنالك جمعيات خيرية اسلامية مبعثرة في كثير من مناطق المسلمين بافريقيا فهي ايضا في حاجة لجمعها في اتحاد واحد على مستوى القارة للاستفادة من تجاربها والتنسيق بين أعمالها ولتبادل الخبرات بينها ولتحديد أولويات احتياجاتها .

(٣) إصدار مجلة شهرية باللغة العربية تعنى بأحوال المسلمين بافريقيا اسوة بالمجلتين اللتين تصدران باللغتين الانجليزية والفرنسية .

حقيقة الايمان

جاءتنا هذه الأبيات معبرة عن حقيقة الايمان وعمقه في نفس الشاعر المؤمن الاستاذ محمد عبد الله قولي :

حب الحقيقة قد سرى بكياني ... متألقا في الروح والوجدان

أهوى الحياة وما يلذ وإنما ... لا أنتحي عن شرعة القرآن

أغدو مع الفجر الضحوك مقبلا ... نسم الصباح بفرحة النشوان

أرنو الى الرحمن أن يهدى الخطى ... ويقيلني من زلة تلقاني

أنا مؤمن بك يا قضاء وموقن ... أني عبيد الواحد الديان

رزقي هدية خالقي ، وعطاؤه ... أسعى إليه بهمة وتفان

لا أشتكي من قلة او ضائق ... كيف الشكاة أبث للانسان ؟

كم من بلايا أحدقت لتروعني ... قد عذت منها بالحمى الرباني

نحن العبيد لذا الاله ، وعدله ... شمل الوجود وزاد في إحسان

هو ربنا وهو الرحيم على المدى ... وهو القدير وما له من ثان

بريد الوعي الاسلامي

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

وفي رسالة للأخ حسن محمد حلمي يسأل فيها عن صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكفي أن نقول عليه السلام وهل تلزم المؤمنين صيغة بعينها ؟

نقول للأخ حسن إن المجلة قد دأبت على الالتزام بالنصوص الصحيحة ، وفي هذا المقام يجيب القرآن الكريم ، يقول الله سبحانه : **(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)** .

من هذا النص الكريم نفهم أن الله أمر عباده بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ويقول القرطبى :

لا خلاف في ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في العمر مرة . وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع المؤمن تركها ، ولا يغفلها الا من لا خير فيه .

وقال الزمخشري :

الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة .

وقد اختلف في وجوبها :

فقيل : إنها واجبة كلما جرى ذكره عليه الصلاة والسلام .

ويرى آخرون أنها تجب في كل مجلس مرة ، وإن تكرر ذكره .

وقيل إنها واجبة في العمر مرة .

والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر .

ويقول الفخر الرازي :

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليس لحاجته اليها ، والا فلا حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه ، وانما المراد اظهار تعظيمه وليثيبنا الله عليها .

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشرا »

وفي الحث على الصلاة على النبي صلى

الله عليه وسلم ما رواه الترمذي من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » .

وقد أراد الله سبحانه تكريم البشر بهذه النعمة ، وتشريفهم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقرونة بصلاة الله عليه وتسليمه ، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم .

والقرآن الكريم كما ورد في صدر الاجابة يقرر هذه الحقيقة بوضوح وجلاء دون لبس أو غموض فقول الله سبحانه : **(صلوا عليه وسلموا)** أى قولوا الصلاة على الرسول والسلام .

وقد وضح أن المطلوب من المسلمين الالتزام بما ذكر حول هذا الموضوع من النصوص ، والتي تنص كلها على الصلاة والسلام على الرسول .

وليس هناك أى نص خرج عن هذا ، ولم يرد بالسنة عند الصلاة والسلام على النبي الاكتفاء : « بالسلام عليه » كما يحلو لبعض الناس في كتاباتهم .

وأيضا لا تجوز الاشارة بحرف « الصاد » او « صلعم » عند الصلاة والسلام عليه فان ذلك أيضا لا يتفق مع النص الصريح الذي يحث على الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

ايضاح حول تقدير نصاب الزكاة

جاءنا الايضاح التالي من **الدكتور نور الدين عتر** – دمشق – كلية الشريعة – يقول : وقع في مقالي « فتح الجثة » الذي نشر بالعدد (١٦٤) شعبان ١٣٩٨ هـ – سهو في رقم تقدير نصاب الزكاة بالليرات السورية يحتاج الى ايضاح وهو :

الأصل في النصاب الذي تجب الزكاة على ملكه وحال عليه الحول عنده – أنه عشرون مثقالا من الذهب ، أو مائتا درهم من الفضة .

ويقدر النصاب من العملة الورقية بما يقابل ذلك . وهذا يختلف قدره من بلد الى بلد ومن زمان ، الى زمان فعلى كل مسلم أن يعتمد على أسعار بلده للذهب ، والفضة ، حين نظره في وجوب الزكاة عليه ، من بدء ملك النصاب بالشروط المقررة ، والتوصل لذلك ميسور جدا بسؤال صائغ مسلم صادق . ثم يراعى الأنفع للفقراء في التقدير ، فان كان الأنفع لهم تقويم النقود بالفضة لكونها أرخص اعتمد على حساب قيمة النصاب بالفضة وإن كان الأنفع لهم تقويم النصاب بالذهب اعتمد على حساب قيمة النصاب بالذهب . والله ولي التوفيق .

مع صحافة العالم

الصحـــافـــة الاســـلامية ومـــا يجب أن يكـــون عليـــه

نشرت مجلة « منار الاســـلام » في عددها الصادر في اول ذي العقدة الماضي مقالا حول وضع الصحافة الاسلامية وما يجب ان تكون عليه بقلم السيد سعيد عبـد الله حارب ويحدد المقال تصور المجلة للأسس التي يجب ان تقوم عليها الصحافة الاسلامية في العصر الحديث من اجل تحقيق الدور المأمول منها في ترسيخ القيم الاسلامية في نفوس المسلمين وقد جاء في المقال .

في خضـــم البحـــر المتلاطـــم من احتياجـــات المجتمـــع الاسلامـــي المختلفة ، تبرز الصحافـــة كعامـــل ضروري من عوامل النهوض بهـــذا المجتمع والسير به نحو التكامل ملتقيا مع بقية الاحتياجات ، إما في اول الطريق او آخره ، فالمجتمع الاسلامي كما يحتاج للجانـــب الاقتصـــادي ومؤسساته التي تقوم على دعائم من الاسلام يحتـــاج كذلك الى النظـــام الاجتماعـــي التربـــوي والعبـــادي الاسلامي وما الاعلام الا جزء من ذلك .

ولقد تشعبت في السنوات المتأخـــرة احتياجات الاسلام من اذاعة مرئية ومسموعة ومقروءة الى غير ذلك من الوسائل الاعلامية وبنظرة سريعة الى الصحافة عموما نجد انها تقدمـــت خطوات واسعة في جميع المجـــالات الفنية منها والموضوعية ، واصبـــح الخبر يبرز على صفحات الجرائد ، بعد ساعات من صدوره تتسابـــق اجهزة الصحافة على نشره وتوصيله الى القاريء في اقرب وقت ممكن .

ولكن ، في هذا الميدان الواسع ، اين تقف الصحافة الاسلامية ؟

لا شك انه من العسير جدا الاجابة على هذا السؤال ، فموقـــف الصحافـــة

● وجهـــت صحيفـــة « جـــويش كرونيكل » لســـان حال اليهـــود في بريطانيا نداء الى الحكومة الاسرائيلية كي تعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحقهم في اقامة وطـــن قومي لهم .

واضافت الصحيفة انه يجـــب على اسرائيل ان تنسحـــب من الاراضي العربية المحتلة واعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير وذلك اذا ما ارادت السلام مع العرب .

الاسلامية قد لا يبدو واضحا جليا بين الجمع الزاخر من الصحف والمجلات ، بل ان الامر قد يقتصر على صحافة اسلامية فردية تقوم بجهود ذاتية ضعيفة او حكومية محدودة . وما هذا التخلف الاسلامي في ميدان الصحافة الا انعكاس عن التخلف العام الذي يلف الحياة الاسلامية عموما . واننا نقترح اسسا سليمة تنهض عليها الصحافة الاسلامية نذكرها فيما يلي :

١ ـ إيجاد العناصر الاسلامية الفنية المخلصة المدركة لابعاد الدور الذي تقوم به حتى لا تنحرف بما تقوم به او تتخذه وسيلة للوصول الى اهداف اخرى ، ٢ ـ ان تعدد وسائل الصحافة وانواعها يفرض على الصحافة الاسلامية ان تكون مواكبة لذلك التعدد ، فلا يكفي ان تكون هناك مجلات اسلامية شهرية او نشرات دورية تصدر جامعة لمقالات مطولة وابحاث علمية لها دورها الاساسي في الصحافة ، بل لا بد ان تكون هناك صحافة سريعة يومية او اسبوعية تتابع الخبر والتحقيق والاستطلاع في اقرب فرصة ، وتشكل بالتالي تكاملا موضوعيا مع الابحاث التي تنتشر شهريا او دوريا وحتى يعيش القارىء في ربط متواصل خلال يومه واسبوعه وشهره بصحافة يكمل بعضها بعضا .

٣ ـ العالم الذي نعيش فيه الان ، لا يعترف بالعموميات والشمول في ميادين العمل فلا بد من التخصص وبالتالي فلم تعد هناك صحافة عامة تجمع شتى علوم الحياة ، ولذلك تخصصت الصحف والمجلات ، فهذه علمية وتلك طبية واخرى نسائية ورابعة فنية .. وهذا التخصص يفرض على الصحافة الاسلامية متابعته واحتواءه فليس شرطا في الصحافة الاسلامية ان تعالج جوانب العبادة او الاحكام الشرعية فقط ، بل لا بد ان تكون هناك الصحيفة العلمية ولكن بمنظار اسلامي ، والمجلة النسائية بنظرة اسلامية والجريدة

بدء تطبيق الشريعة الاسلامية في الباكستان

● صرح الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق بأنه يجري الان وضع الترتيبات اللازمة لتطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان واعرب الرئيس ضياء الحق عن امله بأن تطبيق قوانين الشريعة الاسلامية سيساعد على تقليل معدلات الجريمة ويؤدي الى تحسين حالة النظام واستتباب الامن في باكستان وكان قد اعلن مسبقا عن الغاء العمل بنظام الفوائد في كافة المعاملات الاقتصادية هناك .

ومما يذكر ان الدستور الاسلامي قد عدل منذ فترة وجيزة بحيث يعطي المحاكم العليا في الباكستان الحق في تعديل او الغاء اي قانون لا يتمشى مع احكام القرآن والسنة النبوية الشريفة .

الفنية بواقعية اسلامية ثم بجانب هذه وتلك تكون المجلـــة الاسلاميـــة المتخصصة في علوم الشريعة .

٤ ــ تبني قضايا المجتمع وتحليلها ، واحتواؤهـــا ثم دراستهـــا وايجـــاد الحلول المناسبة لها .

٥ ــ الالتـــزام بسياســة منهجيـة واضحة وصريحـــة ، حتـــى تعـــرف الصحيفـــة هويتهـــا لدى القـــاريء فيتمكن بذلك من تقييمها والحـــكم عليها ، .

٦ ــ الموضوعيـــة .. فيمـــا تكتـــب وتنقل ، وعدم الاعتماد على الاثارة الكاذبة او المكسب الوقتي او النقد الذي لا يستهدف من ورائه خير ، فان كسب الناس يحتاج الى جهد ووقت طويل اما خسارتهم فما أسرعها بنشر خبر كاذب او تهجم ظالم .

هذه بعض الاسس التي تلوح امام السالكين الى بناء صرح من صروح الاسلام على طريق التكامـــل نحـــو مجتمع إسلامي ..

وتحت عنوان (الدم الاسلامي) .. أرخص الدماء في الأرض كتبت مجلة (الدعوة) القاهرية مقالا للدكتور عبد الحليم عويس :

لو أن عقلا ألكترونيا من تلك العقول التي صنعتها امريكا ، أو وصيفتها على الطرف الآخر من محور القوة روسيا .

لو أن عقلا من عقول هؤلاء أو أولئك توافر على اجراء احصاء دقيق لتلك الملايين من الرؤوس البشرية التي انفصلت عن أجسادها في غير حرب وبلا ثمن .. ولتلك الدماء التي سالت وأهدرت باسم شعارات (التقدمية) و (الثوريـــة) و (الاشتراكية) و (القومية) وغيرها من الشعارات ..

لو أن ذلك الاحصاء قد تم فعلا لأثبت ــ بما لا يدع مجالا للشك في رأينا ــ أن (الدم الاسلامي) ــ هو أرخص الدماء في الأرض ، خلال هذا القرن العشرين للميلاد الرابع عشر للهجرة .

(حول الاستشراق والمستشرقين)

كتبت مجلة (الهداية) التـــي تصدرها وزارة العدل والشـــؤون الاسلامية بدولة (البحرين) مقالا تحـــت هذا العنـــوان للدكتـــور مصطفى الشكعة جاء فيه :

في اوروبا القرون الوسطى كان الحديث باللغة العربية دلالة التمدن وسط الطبقة العليا من الشباب ، وفي الطب والشعر ، والفلسفة ، والنبات والحيوان والفلك والعمارة أبدع العقل الاسلامي ودرس وبحث ، وسجـــل ، وعلى مائدة علماء المسلمين عاشت أجيـــال من المستشرقـــين ، تتعلـــم وتدرس ، وتنقل للعالـــم الاوروبـــي خلاصة أفكار العلماء المسلمين لتكون

أساس الحضارة الحديثة اليوم ، وبدأ المستشرقون تلاميذ صغارا في جامعة الاسلام العملاقة ، وانتهوا بالدس على الاسلام والمسلمين .

ويبدو واضحا أن الاستشراق الحديث وراء تزييف الحقائق في عقول الباحثين العرب . وقد حاول بعض المستشرقين الحديثيين ـ وبشكل مخجل من التضليل والكذب ـ أن يعزو تخلف العالم الاسلامي الى الاسلام نفسه ، وهم أول من يعلم أنهم يفترون على الاسلام كذبا .. وهم بدون أي ظل من الشك يعلمون أن الأسباب الحقيقية لتقهقر الاسلام ، تكمن في الاستعمار البشع ، الذي جاء على هيئة موجات شرسة متتابعة من أوطانهم ومن خلال أنظمتهم التي تحكم بلدانهم ، فالاسلام لم يكن في يوم من الأيام سبب تخلف أو جهل .. والحقيقة هي التي وردت في أول آية في القرآن تحث الانسان على تحصيل المعرفة من أي مكان .. وأن يحافظ على كرامته تحت كل الظروف .

ولا نعدم أن نجد بين الباحثين المستشرقين مخلصين شرفاء منهم على سبيل المثال رينود ، كان صديقا نبيلا وشريفا لحضارتنا الاسلامية ، وقد تحمل عبء الترجمة الى الفرنسية ، لكتاب الجغرافيا الذي ألفه السلطان المسلم المثقف أبو الفداء ..

ومنهم أيضا البروفسور ماسجنون الذي حاول خلال حياته أن يغنى الدراسات الاسلامية خلال أعماله العلمية الضخمة ، وقد كرس الكثير من حياته لدراسة وخدمة النصوص الاسلامية .. وقد ربط نفسه مدة طويلة بالمتصوف المشهور « الحلاج » .

والباحث الثالث السير توماس ارنولد ينبغي أن يحتل مكانا مرموقا في رأس قائمة العظماء .. وهو كزملائه المذكورين سابقا ، خدم الحقائق

تكثيف البرامج الدينية في تلفزيون الكويت

● في سبيل صيانة العقيدة وتدعيم الدعوة الاسلامية ونشرها على أوسع نطاق قررت وزارة الاعلام بالتعاون مع وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية تكثيف البرامج الدينية المذاعة بالتلفزيون حيث قررت اضافة خمسة برامج دينية جديدة منها برنامج « رأي الاسلام » و « في نور الاسلام » بالاضافة الى برنامج باللغة الانجليزية يتولى شرح كل ما يتعلق بالاسلام الى الجنسيات غير العربية بالكويت .

وستقوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتوفير المعدين والمتخصصين في هذا المجال ليقوموا بالاعداد والاشراف على هذه البرامج .

ومن المعروف ان التعاون بين وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ووزارة الاعلام قد بدأ بانشاء إذاعة القرآن الكريم منذ شهرين والتي يغطي ارسالها منطقة الخليج وحتى الهند .

العلميــة في حقــل الاسلاميــات .. وكتابه « الدعوة الى الاسلام » من أكثر الكتب أمانة وموضوعية وفي كل موضـــوع في كتابـــه كان عادلا ومنصفا .. وقد خدم الفن الاسلامي بكتابـــه الاخـــاذ « الرســـم في الاسلام » .

أما الاثنـــان اللـــذان ما يزالان يواصلان أعمالهما المثمرة العظيمة في حقل الاسلاميات فهما الفرنسيـــان بلاشير ، وجاكس بيرك .. وبلاشير قد قدم في الحقلـــين الأدب العربـــي والدراسات القرآنية ، وكتابـــه عن المتنبي ما يزال أحسن دراسة علمية انجزت حتـــى هذه اللحظـــة بلغـــة أجنبية .. وبالنسبة لجاكس بيرك .. فأجد نفسي محرجا عندمـــا أطريـــه واحمد له قدرته الفريدة في الأعمال العلميـــة . وأمانتـــه الخالصـــة . والطريقة العادلة التي يعالج بهـــا موضوعاته ..

تدريس القوانـــين الاسلاميـــة في جامعة هارفارد الامريكية

● تبدأ كلية الحقوق بجامعة هارفارد – وهي من اكبر الجامعات الامريكية بتدريس برنامج كامل عن القوانين الاسلاميـــة كمنهـــج اســـاسي بـــين دراستها القانونية المقارنـــة تهـــدف الدراسة الى تعريف الطلاب بمصادر القوانين العالمية الهامة وتطبيقاتهـــا خاصة وان الدين الاسلامي منتشر في بقاع واسعة من العالم ومن المقرر ان تستعين الجامعة بعدد من الاساتذة الزائرين العرب المتخصصين لالقاء المحاضرات حول هذا الموضوع . وقد تبرعت المملكة العربيـــة السعوديـــة بمبلغ ٣٠٠ الف دولار ، لتمويل هذا البرنامج . صرح بذلك الدكتور ليفيد سميث مساعد عميد كلية الحقـــوق بالجامعة .

ومضات

تحـــت عنـــوان ومضـــات قالـــت (النـــور) المغربيـــة الاسلامية :

إن تاريخنا المتمثل في العقيدة التي جاءت تدعو للحق ، والثقافة التي قدست الحق ورفعته شعارا ضد الجهل والخرافة والشعوذة ، والتاريخ الذي كان بروحه الفدائية يحتم الجهاد من أجل الحق ، والرفض لكل أشكال القهر والاستعباد .. هذا التاريخ قادر ولا شك على أن يطرح الحلول لما في حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من خبث وانحراف وزيغ .

لكن مع هذا وذاك فان ثمة فئتين من الناس ترفض هذا التاريخ وتسد في وجهه السبل والمنافذ !! فئة تدرك قيمته ولكنها لا ترغب فيه ، لأنها تخشى الشمس وتخشى الهواء النقي . وفئة أخرى لا ترغب فيه ولا تدرك قيمته .. لأنها تجهله ..

ولكن هذا لا يمنعها من أن تصفق في سذاجة للذين يعادون هذا التراث « بسذاجة » .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار العروبة .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	محرم	ديسمبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
جمعة	١	١	١٢ ١٢	١ ٣٦	٦ ٤٨	٩ ٤١	١ ٢٢	٥ ١	٦ ٢٥	١١ ٣٧	٢ ٣٠	٤ ٤٩	٦ ١١
سبت	٢	٢	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢	٢٦	٣٧	٣٠	٤٩	١١
احد	٣	٣	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢	٢٦	٣٨	٣٠	٤٩	١١
اثنين	٤	٤	١٤	٣٨	٤٩	٤١	٢٢	٣	٢٧	٣٨	٣٠	٤٩	١١
ثلاثاء	٥	٥	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٢	٤	٢٨	٣٨	٣١	٤٩	١١
اربعاء	٦	٦	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٢	٤	٢٩	٣٩	٣١	٤٩	١١
خميس	٧	٧	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٢	٥	٢٩	٣٩	٣١	٥٠	١١
جمعة	٨	٨	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٢	٦	٣٠	٤٠	٣١	٥٠	١٢
سبت	٩	٩	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٢	٦	٣١	٤٠	٣١	٥٠	١٢
احد	١٠	١٠	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٢	٧	٣٢	٤١	٣١	٥٠	١٢
اثنين	١١	١١	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٢	٨	٣٢	٤١	٣٢	٥٠	١٢
ثلاثاء	١٢	١٢	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	٨	٣٣	٤٢	٣٢	٥١	١٣
اربعاء	١٣	١٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	٩	٣٤	٤٢	٣٢	٥١	١٣
خميس	١٤	١٤	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	٩	٣٤	٤٢	٣٣	٥١	١٤
جمعة	١٥	١٥	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٠	٣٥	٤٣	٣٣	٥٢	١٤
سبت	١٦	١٦	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١١	٣٥	٤٣	٣٣	٥٢	١٤
احد	١٧	١٧	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١١	٣٦	٤٤	٣٤	٥٢	١٥
اثنين	١٨	١٨	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٢	٣٧	٤٤	٣٤	٥٣	١٥
ثلاثاء	١٩	١٩	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٢	٣٧	٤٥	٣٥	٥٣	١٦
اربعاء	٢٠	٢٠	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٣	٣٨	٤٥	٣٥	٥٤	١٦
خميس	٢١	٢١	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٣	٣٨	٤٦	٣٦	٥٤	١٧
جمعة	٢٢	٢٢	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٤	٣٩	٤٦	٣٦	٥٥	١٧
سبت	٢٣	٢٣	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٤	٣٩	٤٧	٣٧	٥٥	١٧
احد	٢٤	٢٤	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٥	٤٠	٤٧	٣٧	٥٦	١٨
اثنين	٢٥	٢٥	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٥	٤٠	٤٨	٣٨	٥٦	١٩
ثلاثاء	٢٦	٢٦	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤٠	٤٨	٣٨	٥٧	١٩
اربعاء	٢٧	٢٧	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤١	٤٩	٣٩	٥٧	٢٠
خميس	٢٨	٢٨	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤١	٤٩	٣٩	٥٨	٢٠
جمعة	٢٩	٢٩	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٧	٤٢	٥٠	٤٠	٥٩	٢١
سبت	٣٠	٣٠	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٧	٤٢	٥٠	٤١	٥٩	٢١

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٠ ○ صفر ١٣٩٩ هـ ○ يناير ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

القاهرة ذات التاريخ الحافل بالامجاد والمواقف الاسلامية الخالدة تمتاز بآثارها الرائعة ومساجدها الكبرى التي تنتشر في جميع انحائها القديمة والحديثة وترتفع مآذنها الساحقة في سمائها الطيبة .

انظر صفحة ٧٠ .

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٠ ○ صفر ١٣٩٩ هـ ○ يناير ١٩٧٩ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية في مسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم بذكرى الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وقد بدأ الحفل بالقرآن الكريم ، ثم كلمة السيد يوسف الحجي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية ، ثم تتابع الخطباء والعلماء فالقوا الكلمات المناسبة وجلال الذكرى .

وقد تولت اذاعة الكويت والتلفزيون نقل وقائع الاحتفال في حينه .. والوعي الاسلامي : يطيب لها أن تهنىء المسلمين جميعا بهذه الذكرى الكريمة راجية أن تكون دافعة لهم إلى الوقوف صفا واحدا في وجه أعداء الأمة الاسلامية .. وفيما يلي تسجيل لكلمة السيد الوزير ننقلها لقراء : « الوعي الاسلامي » لما فيها من دروس ومواقف إسلامية تفيدنا في عصرنا الحاضر .

الهجـــرَة

قال السيد الوزير بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والتسليم على رسوله الأمين مخاطبا الحضور الكرام :

أيها الأخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ..

ففي مطلع هلال شهر المحرم ، من كل عام هجري ، يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، بذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، وفي هذه المناسبة الكريمة ، يستعيد المسلمون ماضيهم المشرق ، ويقفون عند معالم واضحة في تاريخهم الحافل بالأمجاد ، وبما أسهمت به أمة القرآن في بناء الحضارة الانسانية وازدهار الحياة بالأمن والسلام .

وحادث الهجرة ليس في ذاته مجرد انتقال من جهة إلى جهة ، وإلا لما تجاوز شأن رحلة إقليمية ، لغرض محدود يختص بصاحبه ، كما أن الحديث عن الهجرة ليس مجرد قصص لما كان ، وإنما هو استذكار نستمد منه العبرة ، التي توحى إلينا بأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

فالهجرة في حقيقتها إعداد للنفوس ، وتجميع للقوى ، وإفساح المجال أمام الدعوة الاسلامية ، لتأخذ طريقها الطبيعي في دنيا الناس .

نعم .. الهجرة إعداد للنفوس ، بتربية الرجال ، وبناء الفرد ، خلال الفترة المكية التي سبقت الهجرة ، وذلك ليتكون جيل يحمل الأمانة ، ويرفع الراية ، وينساح في طول البلاد وعرضها ، ينشر الضياء في آفاق الدنيا ، فتشرق الأرض بنور ربها . وهذا يعطينا المثل في تربية شبابنا على مبادئ الاسلام ، ليشبوا

عليه ، ويكونوا في غدهم من أنصاره وحماته .

والهجرة تجميع للقوى ، لتكون خط دفاع عن الاسلام ، وإعداد العدة للجهاد في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ..

ومن هنا يتضح لنا أن الهجرة لم تكن رحلة تجارية ، أو سعيا وراء منافع مادية فقد جرد بها المسلمون من أموالهم وأخرجوا من ديارهم ، كما لم تكن فرارا من الأذى الذي تعرض له المسلمون بمكة ، فقد خاضوا بعد الهجرة حروبا قاسية ، حققوا بها انتصارات حاسمة .. ومن هنا يفرض علينا الاسلام إعداد العدة للجهاد ، وأن نعيش في رباط دائم توقعا لمفاجآت الأعداء الذين يعملون جاهدين على تنفيذ مخططاتهم لمحاربة الاسلام ، والسيطرة على ديار المسلمين ومقدساتهم ، والقرآن الكريم يحذرنا كيدهم ومكرهم ، ويضع في يد المسلمين مفاتيح الدراسة النفسية لهؤلاء الأعداء ، كما عرى طبيعتهم من زيفها ، فبدت سافرة تعلن عن نفسها ، فمنطقهم يقوم على المادية الطاغية التي يستبيحون في سبيلها ظلم غيرهم ، وتدمير مقوماتهم ، فقد حكى القرآن الكريم عنهم قولهم : « ليس علينا في الأميين سبيل » وإن دعواهم تقوم على الغرور والبطر الذي يكشف عنه قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، وإن طبيعتهم لتنطوي على المراوغة والخداع فلا يؤثر فيهم منطق ، ولا يذعنون لحجة ، وليس ينفع معهم الا القوة والقهر (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة) .

وإننا حين نستعرض مواقف الهجرة المجيدة ، نستلهم ، منها حوافز تدفعنا إلى الجد النافع ، والعمل المثمر ، وإننا لنلمح للشباب فيها دورا عظيما ، يتمثل في الشاب المؤمن مصعب بن عمير ، رضى الله عنه أول مبعوث في الاسلام ، سبق إلى المدينة ، ومهد للهجرة ، بدعوة الناس إلى دين الله ، فلم يبق بيت في المدينة إلا امتد إليه شعاع من نور الاسلام . ونوم علي كرم الله وجهه ورضى الله عنه على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وهو يعلم أن السيوف من حوله مشرعة توشك أن تنقض عليه من كل جانب ، وهذا يعطي المثل عاليا للشباب ليهجر الترف والدعة ، ويقتحم الأخطار ، ويعانق الأهوال ، مضحيا في سبيل دينه وعقيدته بكل غال وبهيج .

وللفتاة المسلمة دورها البارز في الهجرة ، فهذه عائشة الصديقة بنت الصديق ، تشترك مع أختها أسماء ذات النطاقين رضى الله عنهم ، في الاعداد للهجرة ، وتقديم العون للمهاجرين العظيمين وتعتيم المسالك أمام الكفار الباحثين المطاردين لموكب النور ، وحمل الزاد والأخبار إلى الغار ، وقد تم ذلك في تخطيط دقيق ، وسرية تامة ، وعلى المرأة المسلمة أن تتخذ لها عبرة وأسوة من هذا الموقف البطولي لأسماء وعائشة رضى الله عنهما ، وللمجاهدات الصابرات في ساحات

المعارك الاسلامية ، فتجند نفسها لخدمة دينها ، وتنشئة أبنائها وبناتها على منهج الاسلام وهداه .

وبتمام الهجرة ، بدأت دولة الشرك تنهار ، وبدأ المسلمون في تنظيم دولتهم ، انطلاقا من المسجد الذي كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في أول عهده بالمدينة ، وعلى ضوء آيات القرآن الكريم ، التي بدأت تتنزل بالتشريع ، ونظم الحكم ، وقواعد المعاملات والسلوك ، واستطاع المسلمون بعد الهجرة ، أن يجمعوا شملهم في إطار جماعي واحد ، فلا أوس ولا خزرج ، وإنما أنصار ومهاجرون ، وكلهم جنود الاسلام ، وأتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه . وبذلك استطاعوا أن يكونوا قوة تزعج قريشا ، وتلقى الهيبة في قلوب الأعداء في سائر الأنحاء ، وبالهجرة انتعش الاسلام ، وامتد سلطانه ، ووجد البيئة الصالحة التي يتنفس فيها عبير الحرية والعزة ، وجاءت بعدها البشرى من الله لعباده : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) .

وإن ذكرى الهجرة تطالعنا اليوم ، ونحن بين يدي جهود تبذل لجمع الشمل ، ورأب الصدع ، لمواجهة قوى الشر والبغى ، فالعبرة الواضحة من الهجرة أنها عمل بناء يشد أركان الأمة الاسلامية ، يجمع ولا يفرق ، ويصون ولا يبدد ، وإن يكن حادث الهجرة في أوله صراعا بين الحق والباطل ، ثم مواجهة جريئة بجهود موحدة لقوى الضلال والبغى ، فقد كان في نهايته نصرا مؤزرا لكتائب الحق ، التي اكتسحت ركام الجاهلية ، ومكنت لدين الله في الأرض وصدق الله العظيم إذ يقول : (وإن جندنا لهم الغالبون) .

وختاما أغتنم هذه المناسبة لأذكر شبابنا المسلم في الكويت بأن المجال مفتوح للانتساب إلى الجامعات الاسلامية والوزارة في حاجة إلى كافة التخصصات في الميدان الاسلامي للالتحاق بالدراسات الاسلامية وإنها بالتعاون مع وزارة التربية قد مهدت الطريق بجميع الوسائل التي تكفل تسهيل مهمة الطالب . لكي ينهل من العلوم الاسلامية المتنوعة .

وفي الختام يطيب لي أن أقدم تهنئة خالصة صادقة إلى صاحب السمو أمير البلاد ، وإلى ولي عهده الأمين ، وإلى الشعب الكويتي ، وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ضارعين إلى الله تعالى أن يعيد علينا هذه الأيام المباركة بالقوة والعزة والايمان الكامل ، والتطبيق الشامل لشريعة الاسلام ، وبذلك نتلاقى مع وعد الله الكريم : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

والله ولي التوفيق ، وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنَّ للهِ ملائكةً يطوفون في الطُّرقِ ، يلتَمِسون أهلَ الذِّكرِ ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون اللهَ ، تَنَادَوْا : هلُمُّوا إلى حاجتِكم ، قال فيحُفُّونهم بأجنحتِهم إلى السماءِ الدنيا ، قال : فيسألُهم ربُّهم وهو أعلمُ منهم : ما يقولُ عبادي ؟ قال : يقولون ، يُسَبِّحونك ، ويكبِّرونك ، ويَحمَدونَك ، ويمَجِّدونك قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون ، لا واللهِ ما رأوْك ، قال : فيقولُ ، وكيفَ لو رأوني ؟ قال : فيقولون : لو رأوك كانُوا أشدَّ عبادةً ، وأشدَّ لك تمجيدا ، وأكثرَ لك تسبيحًا ، قال : فيقول : فما يسألوني ؟ قالوا : يسألونَكَ الجنةَ ، قال : يقولُ : وهل رأوْها ؟ فيقولونَ : لا واللهِ يا ربِّ ما رأوها ! قال : فيقول : فكيفَ لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنَّهم رأوها ، كانوا أشدَّ عليها حِرْصًا ، وأشدَّ لها طَلَبًا ، وأعظمَ فيها رغبةً ، قال : فمِمَّ يتعوّذون ؟ قال : يقولونَ : مِنَ النارِ ، قال : يقول : فهل رأوْها ؟ قال : يقولون : لا واللهِ يا ربِّ ما رأوْها ، قال : يقولُ : فكيفَ لو رأوها ؟ ، قال : يقولونَ لو رأوها كانوا أشدَّ منها فِرارًا ، وأشدَّ لها مخافةً ، قال : فيقول : فأشهدُكم أني قد غفرتُ لهم قالَ : يقول مَلَكٌ من الملائكةِ : فيهم فلانٌ ليس منهم ، إنما جاءَ لحاجَةٍ ، قالَ : همُ الجُلَساءُ لا يَشقَى جَليسُهم) .

رواه البخاري ومسلم .

مجالس الذكر

للشيخ : عبد الجليل عيسى

(إن لله ملائكة) أي زيادة على الحفظة لا وظيفة لهم إلا البحث عن حلقات الذكر (يلتمسون أهل الذكر) وفي رواية مسلم (يتتبعون مجالس الذكر) .

وقبل السير في شرح الحديث ينبغي الوقوف على حقيقة معنى مجالس الذكر المرادة في الحديث ، حتى يكون المطلع عليها على بينة من الأمر ، فلا يقع فيما وقع فيه غيره من كثير ممن جهلوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ذلك ، فنقول وبالله التوفيق : قال الشاطبي في كتابه الاعتصام جزء ٣ صفحة ٨١ : وقع سؤال عن قوم يتسمون بالفقراء بزعمهم أنهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر الجهوري ، على صوت واحد ثم في الغناء والرقص إلى آخر الليل : هل هذا العمل صحيح في الشرع أو لا ؟ فوقع الجواب بأن ذلك كله من البدع المستحدثات ، المخالفة لطريقة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة أصحابه والتابعين لهم باحسان ، ثم قال : إن مجالس الذكر الصحيح هي ما كانت على ما اجتمع عليه السلف الصالح فانهم كانوا يجتمعون لتدريس القرآن فيما بينهم كما جاء في حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم . هذا هو الاجتماع للذكر وليس على صوت واحد ، واذا إجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم إن كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس إليه متعلمون ، أو اجتمعوا ، يذكر بعضهم بعضا بالعمل بطاعة الله ، والبعد عن معصيته ، وما أشبه ذلك ، مما كان يعمل به الرسول صلى الله عليه وسلم في أصحابه وعمل به الصحابة والتابعون ، فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهي التي جاء فيها من الأجر ما جاء ثم قال : وكان الذي نراه معمولا به في المساجد أن تجتمع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن ، أو يعلمهم علما من العلوم الشرعية ، أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمور دينهم ، ويذكرهم بأس ربهم ، كما قال تعالى : **(وذكرهم بأيام الله)** إبراهيم/٥ ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروها ، فهذه مجالس الذكر على الحقيقة ، وهي التي حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف ، وقل أن تجد فيهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة فضلا عن غيرها ، ولا يعرف كيف يستنجي أو يتوضأ ، وكيف يعلمون ذلك ، وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة ، وتنزل فيها السكينة ، وتحف بها الملائكة ؟ فبانطماس هذا النور عنهم ، ضلوا ، فاقتدوا بجهال أمثالهم ، وأخذوا يقرأون الأحاديث والآيات ، فينزلونها على آرائهم ، لا على ما قال أهل الحق فيها ، فيخرجون عن الصراط المستقيم ، ويقرأ أحدهم شيئا من القرآن يكون حسن الصوت جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المذموم ثم يقولون تعالوا نذكر الله فيرفعون أصواتهم مداولة : طائفة في جهة ، وطائفة في أخرى ، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها ، وكذبوا ، فانه لو كان حقا لكان السلف أولى بادراكه والعمل به ، وإلا فأين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرا عاليا ؟ وقد قال تعالى : **(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول)** آية ٢٠٥ من سورة الأعراف ، وقال تعالى : **(ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين)** آية ٥٥ من سورة الأعراف ، وقد فسر العلماء المعتدين بالرافعين أصواتهم بالدعاء ، فعن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه

قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم » رواه الشيخان . انتهى ما قاله الشاطبي . ومعنى أربعوا على أنفسكم : ارفقوا بها .

وروى الشيخان أيضا عن أبى هريرة ، في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » قال شراح الحديث : رجل ذكر الله بلسانه ، أو بقلبه خاليا من الخلق ، أي في خلوته لأنه أقرب إلى الاخلاص ، وأبعد من الرياء ، ففاضت عيناه من الدمع لرقة قلبه وشدة خوفه .

وقال الغزالي في الاحياء في (بيان ما يدل من الفاظ العلوم) ص ٢٨ :

ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب) رواه أبو داود . التفت إلى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال : لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه ، يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا ، إنما كنا نقعد فنذكر الايمان ، ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ، ونعد نعم الله علينا تفقها ـ . ثم قال : وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ، فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه ، وهو القصص والأشعار والشطح والطامات : أما القصص فهي بدعة ، وقد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص ، وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن العمرين بعده . ثم فسر الشطح بصنفين من الكلام ، أحدثهما بعض المتصوفة : أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله عز وجل ، والآخر كلمات غير مفهومة ، وكثيرا ما تصور من تخبط في العقل ، وحيرة في النفس ، ثم قال : وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح ، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة ، كدأب الباطنية في التأويل وهذا من البدع الشائعة العظيمة الضرر . (انتهى ما قاله الغزالي ملخصا) .

وقوله في الحديث : (هلموا) أي تعالوا ، وهو على لغة أهل نجد ، وأما في لغة أهل الحجاز ، فهو بلفظ الافراد مطلقا للواحد والأثنين والجمع . (فيحفونهم بأجنحتهم) يقال حفه بالشيء إذا لفه به كما يحف الهودج بالثياب ، والباء للتعدية أي جعلوا أجنحتهم حافة ودائرة حولهم ، وقوله (إلى السماء) متعلق بيحفونهم على تضمينها معنى الارتفاع ، أي يحفونهم مرتفعين إلى السماء ، وفي رواية سهيل عند مسلم : (قعدوا

معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا) .

(وهو أعلم منهم) أي من الملائكة بحال الذاكرين ، وفي رواية (بهم) أي بالذاكرين ، وعلى كل فالجملـة حالية أو معترضة أتى بها دفعا لتوهم أن السؤال لاستفادة السائـل جل وعلا ، ففائدة السؤال هنا مع العلم بالمسؤول ـ التعـريض بالملائـكة . وبقولهم في بني آدم : **(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمـاء)** البقرة/٣ (قالـوا) أي الملائـكة (ويمجدونك) بالجيم أو يعظمونك ، وفي حديـث أنس عنـــد البـــزار (ويعظمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلـون على نبيـك ، ويسألونـك لآخرتهم ودنياهم) .

(وأشد لك تمجيدا) زاد أبو ذر (وتحميـــدا) (يقـــول فمـــا يسألوني ؟) بحذف إحدى النونين تخفيفا ، ولأبى ذر (فيقـول فمـا يسألونني ؟) بزيادة الفاء وإثبـات النون .

وقوله : (فأشهدكم أني قد غفرت لهم) وفي رواية سهيل عند مسلم زيادة (وأعطيتهـم ما سألـوا) .

(إنما جاء لحاجة) وفي رواية سهيل (يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء انما مر فجلس معهم ، قال : وله قد غفرت) أي غفرت له كما غفرت لهم .

(هم الجلساء) وفي رواية سهيل (هم القوم) وفي (أل) إشعـار بالكمال ، أي هم القوم كل القوم ، الكاملون فيما هم فيه من السعادة باجتماعهم على ذكر الله .

وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتمـاع على ذلك ، وإن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله به عليهـم ، إكراما لهم ، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر ، وفيه محبة الملائكة للذاكرين من بني آدم ، وإعتناؤهم بهم ، وفيه جواز القسم على الأمر المحقق تأكيدا له وتنويها به ، وفيه الاشارة إلى أن تسبيح الآدميـين وتحميدهـم أعلى وأشرف من تسبيـــح الملائـــكة وتحميدهم ، والسر في ذلك حصوله مع عدم المشاهدة ووجود الصوارف مما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان .

هذا وقد قال الامام النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : وذكر الله تعالى ضربان : ذكر بالقلـب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان : أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها ، الفكر في عظمـة الله وجلالـه ، وجبروتـــه وملكوته ، وآياته في سمواته وأرضه ومنه الحديث (خير الذكر الخفي) رواه أحمد في مسنده وابن حبـان باسناد صحيح . والمراد به هذا . والثاني ذكره بالقلب عنـد الأمـر والنهي ، فيتمثل ما أمر به ، ويترك ما نهى عنه ، ويقف عما أشكل عليه . وأما ذكر اللسان مجـردا ، فهـو أضعف الأذكار ولكن فيـه فضـل عظيم ، كما جاءت به الأحاديث والله أعلم .

شخصيَّتان متقَابلتان في القُرآن

للشيخ : عبد اللطيف مشتهري

(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام .واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد) البقرة / ٢٠٤ — ٢٠٧

فريقان من الناس ، ليسوا سواء في موازين الرجال ، ولا التأثير في الحياة ، لا تخلو منهما أمة ، ولا يفتقدهما زمان ، وعلى قدر يقظة

الافراد ، في التمييز بين الفريقين ، وتقديـــر النوعين ، تجني الامة ثمار الخير وتنتفع بمزايـــا البطولـــة ، في الوقت الذي تتحاشى فيه الانخداع بصور النذالة وتمويه الخسة ، ولا قيام لباطل الا في غفلة اهل الحق ، ولا رواج لدجل الا على حساب مغفلين.

أحد الفريقين لئيم ماكـــر ، يخدع البسطاء السذج بالقـــول المعسول المنمق المرصوص: **(وان يقولوا تسمع لقولهم)** المنافقون/٤ ويتخذ من الحلف بالله ، واشهاده زورا على مطابقة قلبه للسانه ، جنة يموه بهـــا على ضعفاء التفكير ، حتى ينخدعوا بحلو كلامه ، وغليظ ايمانـــه ، ويحسبوا انه على شيء : **(واللـــه يشهـــد أن المنافقين لكاذبـــون)** المنافقون / ١ وهم عند الله وفي واقـــع سلوكهـــم الد الخصام منحرفون معوجـــون ، فاحشون متفحشون ، كملت فيهـــم آيات النفاق : (اذا حدثوا كذبوا،واذا عاهدوا غدروا، واذا خاصموا فجروا) كما ثبت في صحيح الأحاديث . هذا قولـــه البراق ، أما اعتقاده فهـــو فاسد ، وضميره سيىء ، ونيتـــه خبيثة ، وقلبه من ناحية محبة الخير للناس اسود من الفحم ، وينضح هذا على سلوكه وتصرفاته وعلاقاته ، فترى أعماله مضادة لأقواله ـ كلها فساد وافساد ، وظلم وعناد، وبغى والحاد ، والقرآن الكريم يعبر عـــن هذا اللئيم بأنه بمجرد انتهائـــه مـــن كلامه وخطبه وتمويهاته ، التى خدع بها الجماهير ، يعود الى سجيته في السر ساعيا ومسرعـــا في الأرض بالتدمير والتخريب لما عليها ولمن عليها فهو مفسد فيها مهلك لخيراتها معتد على أناسيها ، .

قال ابن كثير ، : والصحيح أن الآيات هذه عامة في كل المنافقين . ونقل عن محمـــد بن كعب القرظى أن الآية من القرآن قد تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد : (العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب) كما نقل عن نوف البكالى (وكان ممن يقرأ الكتب) قال : انى لأجد صفة ناس من هذه الأمة فى كتاب الله المنزل ، قوم يحتالون على الدنيا بالدين ، السنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر مـــن الصبر ، يلبسون للناس مسوك الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول اللـــه تعالى : فعلـــى يجتـــرئون ، وبى يفترون ، حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران ، قال القرظى : تدبرتها في القرآن ، فاذا هم المنافقون ،فوجدتها: **(ومن الناس من يعجبك قولـــه فى الحيـــاة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه)**الآية ، وقد قرأ ابن محيض **(ويشهـــد الله على مافي قلبـــه)** بفتـــح الياء وضم الجلالة ، ومعناها على هذا : أن هذا المنافق وان أظهر لكم الحيل ،لكـــن الله يعلم من قلبـــه القبيح كقولـــه سبحانه : **(اذاجاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله واللـــه يعلم انـــك لرسوله والله يشهـــــد ان المنافقين لكـــاذبون)** المنافقون /١ والجمهور على ضـــم اليـــاء ونصب الجلالة ، فهم : **(يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القـــول)** النساء / ١٠٨ .

وزاد الطين بلة ، انه جمع مـــع فساد اعتقاده وقوله وسلوكـــه كبرا وغرورا ، وصلفا وتعاليـــا ، فهـــو

معتد بذاته يعطيها فوق قدرها ، ويتعامى عن نقصها فلا يسعى في تكميلها أو تزكيتها واذا ما نبهه مؤمن الى خطورة أمره وتدهور حاله ، ولفت نظره الى وجوب تدارك مافات، والعودة الى الحق فيما هو آت ، ركبه شيطان الغضب ، واندفع في حمقه لآخر الشوط ، وأخذت بمجامعه العزة الآثمة ، والكبرياء المقيت ، لأنه يتوهم أنه اكبر من أن يخطىء ، وبالتالى أعظم من أن يوعظ ، كما قال تعالى في أمثاله : ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ الحج /٧٢ فهو بدل أن يشكر الناصح له ،ويثنى عليه خيرا ، أو على أخف بلاء يسكت عليه ويدعه وشأنه ، يرد عليه بأقبح الكلمات، معنفا وموبخا ، وكثيرا ما يدبر خطة التخلص منه ، أو انزال أقسى العقوبات به : ﴿ لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ الأعراف / ٧٩ .

قال في المنار : ان هذا النوع من المنافقين ، لا يعجزه أن يختلب الناس ويغشهم بما يظهر من الميل اليهم واسعادهم في شئونهم ومصالحهم فالأوصاف التى يعتمد عليها ثلاثة : حسن القول بحيث يعجب السامع واشهاد الله على صدقه وحسن قصده بضروب التاكيد الذي يقبله خالي الذهن، وقوة العارضة في الجدل التي يحاج بها المنكر أو المعارض ، وأما بيان سوء حاله وفساد أعماله فهو فى الآيتين التاليتين ، ثم قال : وهذا الفريق من الناس يوجد في كل أمة ، وتختلف الخلابة اللسانية في الأمم باختلاف الأعصار ، ففي بعض الأزمنة لا يتيسر للواحد أن يغش بزخرف القول الا الفرد أو الأفراد المعدودين ، وفي بعضها يتيسر له أن يغش الأمة في مجموعها حتى ينكل بها تنكيلا ، قال : وان الصحف في عصرنا هذا قد تكون طريقا للغش العام،كما تكون طريقا للنصح العام، وانما يكون تلبيسها سهلا على من يعجب العامة قولهم فى الأمم التى يغلب فيها الجهل ، لاسيما في طور الانتقال من حال الى حال ، اذ تختلف ضروب الدعوة وطرق الارشاد ، ثم ضرب أمثلة من الغاشين لأمتهم ،ومن الناصحين لها ، وكيف يروج غش الأولين ، وكيف يضطهد الآخرون ، وأطال النفس في البيان والشرح ، وقال والقول الاخرفيمعنى:﴿واذاتولى ...﴾ أي اذا صار واليا له حكمينفذ، وعمل يستبد به ، وافساده حينئذ يكون بالظلم مخرب العمران وآفة البلاد والعباد ، واهلاكه الحرث والنسل يكون اما بسفك الدماء والمصادرة في الأموال واما بقطع آمال العاملين من ثمرات أعمالهم وفوائد مكاسبهم ، ومن انقطع أمله انقطع عمله الا الضروري الذى به حفظ الدماء ولاحرث ولانسل الا بالعمل ، وقد شرحت لنا حوادث الزمان وسير الظالمين هذه الآية ، فقرأنا وشاهدنا أن البلاد التى يفشو فيها الظلم تهلك زراعتها ، وتتبعها ماشيتها ، وتقل ذريتها ، وهذا هو الفساد والهلاك الصوريان ، ويفشو فيها الجهل وتفسد الأخلاق ، وتسوء الأعمال، حتى لايثق الأخ بأخيه ، ولايثق الابن بأبيه ، فيكون بأس الأمة بينها شديدا،

ولكنها تذل وتخنع للمستعبدين لها ، وهذا هو الفساد والهلاك المعنويان وفي التاريـــخ الغابر والحاضر مـــن الايات والعبر مافيهذكري ومزدجر .. الى آخر ما سطره الامام محمد عبده فى تفسير الآيات في المنار من ص ٢٤٤ الى ص ٢٥٥ جـ ٢ ، ولهذا استحق هذا النوع الضال المضـــل أن يصلى نارا تلظى :(**فحسبـــه جهنـــم ولبئس المهاد**) .

أما فريق الأبطال ، الرجـــال ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليـــه، فهم نوع كريم :(**يشرىنفسه ابتغاء مرضاة الله**) ، أى يبيع نفسه لله ، لايبغى ثمنالها غير مرضاته ، لايتحري الا العمل الصالح ، وقول الحق ،مع الاخلاص في القلب ،فلا يتكلم بلسانين، ولا يقابل الناس بوجهين ، ولايؤثر على ما عند الله عرض هذه الحيـــاة الدنيا ، وما عند كبرائها ومترفيها من القصور ،ومتاع الزينةوالغرور،وهذا هو المؤمن الذييعتد القرآن بايمانه، قال ابن عباس وغيره : نزلتهـــذه الآية في صهيب بـــن سنان الرومى لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعـــه الكفار أن يهاجر بماله الا متجرداً منه ففعل ، واستغنى عن ماله ـــ ليبقى على عقيدته ودعوته ،وليلحق بركب الايمان ، فتلقاهعمر بن الخطـــاب وجماعة الى طرف الحرة فقالوا لـــه ربح البيع،فقال :وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم ، فماذاك ؟ فأخبروه بنزول الآية ،وقال له صلى الله عليه وسلم « ربح البيع» وانظر رعاك الله الى المقابلة بين الطائفتين،طائفة مجرمة تبيع للناس اقوالا جوفاء، وتخدعها بجميل الأماني،ومغلظات القسمبالله، حتى اذا ولت أو تولت،عتت وأفسدت وأهلكت ،وطائفةأخريعلت وسمت، وباعت لله اغلى ماتملك : (الـــروح والمال) (**ان الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـــة يقاتلون في سبيل اللـــه فيقتلـــون ويقتلون**) التوبة /١١١ وهذه الطائفة هـــي النمـــاذج ،التي تحيـــابهـــا الأمم ، في حياتهم وبعد مماتهـــم ،في حياتهم مثلا وقدوة ، وبعد مماتهـــم ذكرى وسيرة عطرة تدفع بـــالناس الى ميادين البذل والتضحية ، وهذه الطائفة أسست أمرها من أول يوم على الايمان بالله وبماشرع ، فهانت لديها الدنيا بحطامها ، فعزفت نفسها عن السفساف ، وعزت لديها الآخرة، فشدت اليها الرحال،قال الامام محمد عبده : وأما الايمان القولي الـــذي يظهر على الألسنـــة ولايمس سواد القلوب، ولا تظهر آثاره في الأعمال، ولا يحمل صاحبه شيئا من الحقوق لدينه وملته ، ولا لقومه وأمته ، فلا قيمة له فى كتاب الله ،ولايقام لصاحبه وزن في يوم الله ، بل يخشى أن يقال لذويـــه يومئذ : (**أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزونعذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغـــير الحـــق وبما كنتم تفسقون**) الأحقاف / ٢٠ والآيـــة لاتنافي طلب الدنيا من الوجوه الحسنة ونيل زينتها التى أخرجها الله لعباده والطيبات من الرزق ، ولكن الذي ينافي مرضاة الله فهـــو أن يسترسل المرء في سبيل حظوظه وشهواتـــه خارج الحدود المشروعة فيفسد في الأرض ، ولا يبالي بأن يهلك بافساده الحرث والنسل .

قال : ثم ان هذا البيع لايتحقق الااذا كان المؤمن يجود بنفسه وبماله

في سبيل الله،اذا مست الحاجة الى ذلك ، فكيف اذا ألجأت اليه الضرورة كجهاد أعداء الملة والأمــة ، عنــد الاعتداء عليهما ، أو الاستيلاء على شيء من دار الاسلام ، وحينئذ يكون فرضا عينيا على جميع الأفراد ، فمن قدر على الجهاد بنفسه وجب عليه، أو بماله وجب بذله ، أو عليهما معا وجبا ، وسبيل الله ، هي الطريق الموصلة الى مرضاتــه ، وهي التي يحفظ بها دينه ويصلح بها حال عباده ومعني هذا أنه لايكتفي مــن المؤمن أن يكتسب الحلال ويتمتع به ، وينفع نفسه ولا يضر غيره ، وأن يصلــي ويصوم « ويكتفي بهذا » فكل هذا يعمله لنفسه خاصة ولكن يجب أن يكون وجوده أوسع ، وعمله أشمل وأنفع ، فيساعد على نفع النــاس ودرء الضرر عنهم ، بحفظ الشريعــة وتعزيز الأمة بالمــال والأعمــال ، والدعوة الى الخير ، ومقاومة الشر ولو أفضى ذلك الــى بذل روحه ، فان قصر في واجب يتعلق بحفظ الملة واعزاز الأمة « بغير غدر شرعي » فقد آثر نفسه على مرضاة اللهتعالي، وخرج من زمرة كملة المؤمنين، الذين باعوا أنفسهم لله تعالي ، وكان أكبر اجراما ممن قصر في واجب يعــود التقصير فيه على نفسه وحدهــا ،

قال : وكثير ممن تعجبك أقوالهم من صف المسلمين ، لا يصلــون ولا يصومون ، ولا يزكون ولا يحجــون: **(ويقولون على الله الكذب وهــم يعلمون)** آل عمران/٧٥ ويــأتون كثيرا من الكبائر جهارا ، ويصرون عليها اصرارا ... اهـ

وخلاصة القول أيها العربي المؤمن أن أمامك في هذه الآيات البينات ، صنفينمن الناس ، صنفا ، مخادعا كاذبا منافقا حلافا مهينا ،معتديــا أثيما ، وصنفا فدائيا ، بطلا فتيا ، نقيا تقيا ، وفي دين الله قويا ، فكن أخي هذا الصنف الذي نوه الله بــه في كتابه ، تسعد فى عاجلك وآجلك وتسعــد بــك أمتك فــي حاضرها ومستقبلها ، ولاتكن الصنف الأول، فتهلك فيمن هلك ،بل أوصيك واياي، اذا لقينــاه ، أو سمعنــــاه ، أو علمنــاه أن نحقــــره ونخذله ، وندمــره ونصغــره ، ونكشــــف للناس عيوبه وخداعه ، وبهـــذا يقذف الله بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ويحق اللـــه الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ،وبهذا نقلل من فساد المفسدين ، ونكثر من سواد المؤمنين « ومــن كثر ســواد قوم فهو منهم » ولوتضافر أهل الحق المتوكلون على اللــه ، الأقوياء في دينهم على تسفيه الأنــذال ، وتكريم الأبطال ، لاختفت الجراثيم من صفوف الأمة ، ولمنحت قوتهــا وعافيتهــا ، فوصلت لشاطىء الأمن بســلام ،



الإسلام والتربية العسكرية

تمهيد :

يقصد بالتربية العسكـــرية تدريب الجسم وصقل العقل وتهذيب النفس بهدف خلق رجال على استعداد لأداء واجبهـــم القتالي بكفاءة عالية حتى الاستشهاد في سبيل الرسالة التي أعدوا لها .

والقتال ضروري في هذه الحياة لأن فيها الحق والباطل وفيهــا صاحب الايمان بالقيم الانسانية وصاحب الكفر فيها وبغير القتال لا يستقيم الحال بل ينتشر الفساد وتعـــم البلوى : **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)** البقرة/ ٢٥١ . ومن هنا كان القتال ضرورة بل نعمة من نعم الله على العالم الانساني .

للاستاذ/ على القاضي

والاسلام ارتقى بفكــرة الحرب وسما بأسبابها فلا مكان في الاسلام للقتال بهدف العدوان أو الرغبة في السيطرة او السعي الى فرض نفوذ او امتداد حدود ــ وقد دعا الناس جميعا الى أن يدخلوا في السلم كافة:(**يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) البقرة/٢٠٨ . ذلك لأن الاسلام دين الفطرة ولذلك فقد هذب فكــرة الحرب في النفوس وحصرها في أضيق الحدود فجعلها محصورة في انقاذ الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ذلك ما جاء على لسان ربعى بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة في حديثهم الى رستم قائد جيش الفرس في موقعة القادسية حينما سألهم واحدا بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية: ما الذي جاء بكم ؟ (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام) كما جعلها للدفاع : (**أذن للــذين يقاتلــون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير**) الحج/٣٩ . أو لتأديب ناكثى العهد:(**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**) التوبة/١٢ .. فان رغبوا في السلام فان الاسلام يرغب فيه (**فان انتهــوا فلا عدوان إلا على الظالمين**) البقرة / ١٩٣ .

ولعــل المجتمع الاسلامي هو المجتمع الــوحيد الــذي يعيش بين أفراده على مدى التاريخ أناس من غير المنتمين اليه دينا ومع ذلك فهــم يحسون في ظلاله بالأمن والاطمئنان والعدالة والمساواة الى درجة أدهشت الناس في جميع الاماكن والأوقات وفي ذلك كتب المستشرق الفرنسي جوتينيه في كتابه (أخلاق المسلمين وعوائدهــم) يقول:(مما تشاهــده داخل بلاد الاسلام قديما وحديثا حين يمتص الاسلام دائما بين جناحيه من المحيط الهادي الى المحيط الاطلنطي طوائف من غير المسلمين ولم يفكر العرب ولا المسلمون يوما حتى في أشد اوقات حميتهم الدينية أن يضعفوا بالدم دينا منافسا لدينهم ولم يفكر الخليفة يوما في أن يضطهد مسيحيا يعقوبيا أو مجوسيا مانويا إنهــا فضيلــة تستحق كل الاعجاب والتقدير) .

إعداد الفرد :

والاسلام يعــد الفرد إعــدادا متكاملا فالمسلم حر وليس عبدا إلا لله

وصلته بربه قوية ودائمة ولذلك فهو يعيش في أمن وسلام واطمئنان:(**فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة/٣٨ . وقد عمل الاسلام على تكوين الضمير الـذي يجعل المسلم يرضـى الله في كل خطوة من خطواته فهو يجاهد نفسه ضد العادات السيئة والأخلاق المعـوقة داخل النفس كالحقد والحسد والبغض وخارجهـــا كالاعتداء على الناس . ثم ان المسلم يندفع الى أداء واجبه على اكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية داخل نفسه سواء أكان هذا الواجب لنفسه أم لمجتمعه . في أعلى درجة من الـــكفاءة والفاعلية ، و الاسلام لا يكتفي بأداء الواجب بل يطلب من المسلم الاحسان في أدائه ويفسر الرسول الكريم الاحسان بقوله (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) رواه البخارى .

كما أن الاسلام يربى الفرد المسلم على الطاعة لله ولرسوله وأولى الأمر ما داموا سائرين على منهج الله (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الـرسول وأولى الأمر منكـم فان تنازعتم في شيء فردوه الى اللـه والرسول**) النساء/٥٩ . وبعد ذلك يقوم المسلـم بالتدريب على السلاح وأداء واجبه ، والاسلام يطلـب أن يكون تدريب المسلـم مستمرا حتى تكون كفاءته القتالية عالية .

وفي صحيح مسلم عن عقبة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وقال انس ما نكرت القوس عند النبي عليه السلام الا قال : ما سبقها سلاح إلى خير قط) وروى البخاري عن ابي سعيد الخدري انه قال : قيل يا رسول أي الناس أفضل ؟ قال : مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)

إعداد المجتمع :

الاسلام يعـد المجتمع الاسلامي ليتسلـم قيادة البشرية ويربيه على أساس واقعه بكل ما فيه من قوة وضعف حتى تكـون قيادته قيادة راشدة فيها صلابة الحق اذ أن أية عقيدة انما تحيا وتعمل وتؤثر بمقدار ما تحمل من قوة كامنة وسلطان وذلك يتوقف على مقدار ما فيها من الحق ومن توافق مع القاعدة التي أقام الله عليها الكون ومع مشيئة الله التي تعمل في هذا الكون وعندئذ يمنحها الله القوة والسلطان المؤثرين في هذا الـوجود والا فهـي زائفة باطلـــة ضعيفة .

فالاسلام يعد المجتمع بالعلم إذ أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، والعلم أساس القوة سواء أكان من ناحية المعدات والأسلحة المبتكرة أم من ناحية التدريب ودعاء المسلمين دائما :(**وقل رب زدني علما**) طه/١١٤ ثم انه يربي المجتمع على الحرية والكـــرامة الانسانية فالمسلمون في رعاية الله ما داموا أولياءه:(**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهـــم ولا هم يحزنون**) يونس/٦٢ . ثم بين له حدود الكرامة

الانسانية (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) كما يربي المسلمين على الطاعة للقيادة ما دام القائد سائرا على منهج الله – (لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له واطيعوا) رواه مسلم .

ويربي الاسلام المجتمع على التعاون على الخير: **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** المائدة/٢ . كما يطلب منهم عدم التنازع اذ أنه مدعاة للفشل **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)** الانفال/٤٦ . ذلك لأن المؤمنين أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . ثم ان المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

ومن الاشياء التي اهتم بها في تربية المجتمع الانضباط الذاتي الذي يكون السلوك فيه نابعا من الضمير ولذلك يقول الرسول الكريم : (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى) رواه البخاري وفي هذا المعنى يقول نابليون (ان المجتمع الذي لا يعتمد على قوة ذاتية ويتوقف العمل الجماعي فيه على قوة السلطة لا شك أنه يعتبر عبئا على المجتمع ومضيعة لقواه) .

والاسلام يربي المجتمع على حب الجهاد فالله سبحانه وتعالى هو الذي اختار هذه الأمة لتلك المهمة **(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/٧٨ كما أنه يغير مفهوم الموت بالنسبة للشهداء فهم ليسوا أمواتا بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذا يعطي للمجاهدين قوة دافعة يزيدها معرفتهم بأن الشهداء فرحون بما أتاهم الله من فضله: **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** آل عمران/ ١٦٩ و ١٧٠ . فالقتال في الاسلام عبادة لأنه في سبيل الله **(الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله)** النساء/٧٦ والمسلم اذ يملأ نفسه بالرغبة في التقرب عن طريقه إلى الله سيقوم به وهو غير كاره له بل سيقوم به وهو متطلع الى يوم الالتقاء بالله عز وجل وبذلك لا يخشى على فوات شيء مما يرغب فيه الانسان في الدنيا كما لا يرهب الموت لأنه سيجد البديل عن ذلك عند الله ما هو خير وأعظم قدرا .

ويطلب الاسلام من المسلمين أن يبتعدوا عن الرفاهية لأنها ستقلل من كفاءتهم القتالية وتجعلهم غير حريصين على أداء واجبهم في الجهاد ، وقد كتب عمر بن الخطاب الى أحد عماله ببلاد العجم (اياكم والتنعم وزي العجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وتمعددوا (تمعدد الغلام اذا شب وغلظ) واخشوشنوا

(تخشنوا في المطعـــم والملبس) واخشوشبوا (اخشوشب : صار صلبا كالخشب في أحواله وصبره على الجهاد) .

الاعداد المعنوي :

يقول فلاد زيفتر (ان القوة المعنوية من أهم المواضع في الحرب فهي بمثابة الروح الذي يسيطر على مجموعة عمليات الحرب) .

والاسلام يعد المسلمين الاعـداد المعنوي الكامل عن طريق الصلـة الدائمة بالله والتمسك بقيم الاسلام وبوضوح الهـدف من القتال وبيان اعداء الاسلام وتأكيد أن النصر ليس غاية في ذاته ثم التحريض على القتال واختيار القائد الكفء للمعركة .

الصلة بالله :

ويبدأ الاعداد المعنوي بالاهتمام بأن تكون الصلة بالله قوية والايمان راسخا في النفوس ذلك لأن قوى الشر تعمل في هذه الأرض وهي مسلحة تبطش غير متحرجة فالمعارك الحربية في الاسلام ليست معـارك أسلحة ورجال وعتاد وتدبير حربي فحسب بل انها معارك متكاملة ليست منعزلة عن المعركة الكبرى في عالم الضمير وفي عالم التنظيم الاجتماعي للجماعـة المسلمة وهـي ذات ارتباط وثيق بصفاء ذلك الضمير وخلوصه وتحريره من القيود التي تطمس شفافيته وتقعد به دون الفرار الى الله ثم هي ذات ارتباط بالأوضاع التنظيمية التي تقوم عليها حياة الجماعة المسلمة وفق منهج الله القويم الأمر الذي يقوم على الشورى في الحياة كلها وعلى التعاون والأمانة والعدالـة وجعـل الاسلام التطهـــر من الخطيئة بالاستغفار والتوبة وعدم الاصرار على الـذنب وجعلها كلها مناط الرضوان فبهذا كله يتم اعـداد الجماعـة المسلمة للمعركة في نطاقها الـواسع الـذي يتضمن المعركة الحربية في اطار لا يقتصر عليهـــا وبذلك يقرر القيم السليمة لحياة الجماعة الشاملة .

وضوح الهدف :

ولا بد من وضوح الهدف في ذهن المقاتل المسلم حتى يكون قادرا على الوقوف في المعركة بصلابة وشجاعة وبخاصة وان المعركة بين الخير والشر مستمرة ولا بد للايمان من قوة تحميه وإلا فان القوة المادية التي يملكها الباطل قد تزلـزل القلـــوب وتفتن النفوس وللصبر حدود وللـــطاقة البشرية مدى تنتهي اليه والله أعلم بقلوب الناس ولذلك فقد أذن للمسلمين في القتال لرد العدوان وأعلمهم بأنه سيتولى الدفاع عنهـم ما داموا في طاعته ... وقد حكـم لهـم بأحقية دفاعهم عن أنفسهم وعن دينهم فهم مظلومون غير معتدين : (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير**) الحج/٣٩ وما دام الأمر كذلك فعلى المؤمنين أن يطمئنوا إلى نتائج المعركة فهم مندوبون لمهمة انسانية يعم خيرها الجميع وفيهـا ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة للمسلمين ولغـير المسلمين ، والمهمة

منوطة بالمسلمين وحدهم:(**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا**) الحج ٤٠ والمقاتلـون يحسون بأنهـم مسئولـون عن حماية دور العبادة لجميع الاديان لما لهم من القوامة على المجتمعات كلهـا بحكـم وضعهـم الاسلامي . اذ أن مقتضى الايمان الاستعداد للجهاد تحقيقا لمهمة المسلم في هذه الحياة ، والله سبحانه وتعالى هو الذي اختار المسلمين لهذه المهمة الانسانية السامية فهـم خير أمة أخرجت للناس وهم الأمة الوسط التي اجتباها الله لتكون شهيدة على الناس ويكون الرسول شهيدا عليهـا لذلك أمرهم الله بالجهاد:(**يأيها الذين آمنوا اركعـوا واسجدوا واعبدوا ربكـم وافعلـوا الخير لعلكـم تفلحون . وجاهدوا في اللـه حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الـدين من حرج**) الحج/٧٧ و ٧٨ وفي نظير ذلك كله وعدهم الله الجنة:(**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) التوبة/١١١ .

أعداء الاسلام :

والاسلام يبين للمسلمين أعداءهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم فمن الاعداء اليهود والنصارى فهـم لن يرضوا عن المسلمين الا اذا ترك المسلمون دينهم يقول الله تعـالى (**ولن ترضى عنك اليهـود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**) البقرة ١٢٠ . فهـي معركـة العقيدة في صميمهـا وان كنا نلاحظ أن المعسكـرين العـريقين في العـداوة للاسلام يلونان المعركة بألوان شتى ذلك لأنهم جربوا حماسة المسلمين لدينهـم حين واجهوهـم تحت راية العقيدة ولذلك فقد غيروا أعلام المعركة وأعلنوها بأسماء أخرى كالسياسة والاقتصاد والارض والمراكـز العسكـرية وأفهموا المسلمين أن مسألة العقيدة لا يجوز رفع رايتها لأنها سمة المتخلفين بينما هم في قرارة أنفسهم يخططون لمعركة تحطم هذه الصخرة العاتية ويظهر ذلك في أقوال قوادهم عقب كل معركـة ينتصرون فيهـا ... ويدخل في عداد أعـداء المسلمين اليوم أصحاب الاتجاه الوجودي أو الانتهـازي او الحسى فالمادية كلها تنكر وجود الله وفلسفة المـادية التاريخية تقوم على أساس تحدي الـدين والـذين يقيمون مجتمعاتهم عليها يقاتلون المـؤمنين حتى يردوهـم عن دين اللـه ان استطاعوا واللـه سبحانه وتعـالى يقول : (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب**) التوبة/ ٢٩ . والذين لا يدينون دين الحق هم الذين يعملون تحت راية العلمانية ومنهم الذين ينكرون قيمة الدين عمليا بأن يحددوا للدين منطقة ولفلسفة الحياة منطقها فهم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولكنهم لا يقولون ذلك وهم لا يحرمون منكرا

ولا فاحشة فالماديون الملحدون أو المشركون يقفون من المسلمين موقفا فيه تحرش وتحد فهم يواصلون القتال ضد المسلمين : (**ولا يزالــون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**) البقرة/٢١٧ . وهم ان ظهروا على المسلمين أباحوا ما يرونه لصالح أنفسهم ولو كان ضارا بغيرهم ، ومن ذلك انتهاك الأعراض والاموال والانفس والاذلال والارهاب والتحكم في الآخرين طالما كان في ذلك صيانة لمصالحهم الشخصية (**كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة**) التوبة٨ . وفي حالة السلم ميولهم عدوانية وان ظهر من أفواههم ما يرضى المؤمنين فهو نفاق ، وهــم يصدون عن سبيل اللــه ، ويمنعون بكل وسيلــة أن يؤمن به احد ، فغايتهــم اضعــاف الاسلام وابعاده عن مجال التأثير في حياة الناس ان لم يكن الغاؤه من الوجود الانساني .

النصر ليس غاية في ذاته :

المسلم مطالب بأن يبذل أقصى ما في وسعــه وأجره على اللــه سواء استشهــد أم انتصر : (**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما**) النساء/٧٤ . فالاسلام يربى المسلمين على التحكم في درجة التذبذب العــاطفي إذ أن النصر والهزيمة ليست لهما الأهمية الكبرى ما دام المسلمون قد أدوا ما عليهم من واجب . وللمعارك ميزة فهي تميز الخبيث من الطيب وتبين الصادقين في إيمانهم من الكاذبين (**أحسب الناس أن يتركـوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) العنكبوت/٢و٣ والنصر الاسلامي يتسم بالتوازن المطلــق بين تقرير الفاعلية المطلقة لقدر اللــه سبحانه وتعالى وتحقيق هذا القدر في الحياة الانسانية من خلال نشاط الانسان وفاعليته وعمله ، ذلك لأن مشيئة الله سبحانه وتعالى تجري بترتيب النتائج على الأسباب ولكن الأسباب ليست هي التي تنشيء النتائج فالفاعل المؤثر هو الله والانسان مع ذلك مطالب بأن يبذل أقصى جهده وأن يفى بالتزاماته وبعد ذلك يرتب الله النتائج ويحققها ولعــل هذا هو معنى قولــه تعالى : (**يأيهــا الـذين آمنوا إن تنصروا اللــه ينصركــم ويثبت أقدامكم**) محمد/٧ . وبذلك يخلص تصور المؤمن من التماس شيء عند غير اللــه ويتصل قلبه مباشرة بالقوة الفاعلية في هذا الوجود ... ومن هنا فان الاسلام يقرر للجماعة المسلمة أنه ليس لها من الأمر شيء في النصر اذ أنه يتم بتدبير الله لتنفيذ قدره . وهذا يتم من خلال جهاد الامة الاسلامية والاجر على الله ، أما ثمار النصر فهو لحساب العقيدة التي يدافعون عنها والأهداف التي يحاولون تحقيقها ـ وكذلك الهزيمة التي إذا وقعت لسبب أو لآخر وفق ما يقع من الجماعة

المسلمة انما يقع ذلك كله لتحقيق غايات يقدرها الله بحكمته لتمحيص النفوس وتميز الصفوف وتجلية الحقائق واقرار القيم واقامة الموازين

والهزيمة الوقتية قد يأخذ المسلمون منها درسا لمعركة مقبلة بعد ابعاد عناصر الضعف التي سببت الهزيمة وهي عادة عناصر الرغبة في المتع المادية والأسباب الشخصية. وعلامة الايمان الحقيقي ألا يضعف المسلم ولا يهن ولا يحزن:(**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين**) آل عمران/ ١٣٩ وبذلك يتم نضج المسلمين أثناء المعركة، والنصر السريع الذي لا يكلف عناء قد يعطل طاقات المؤمنين عن الظهور لأنه لا يحفزها ، وهو رخيص الثمن سرعان ما يضيع لأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ... والقتال مجال تدريب على التضحية بالنفس في سبيل الله وبمقدار ما يخلص فيه المؤمن لله بمقدار ما يهون عليه أن يضحى بذاته في سبيلها (**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض**) محمد/ ٤ . والنصر قد يبطئ حتى تبذل القوة المؤمنة آخر ما في طوقها فتدرك أن هذه القوة وحدها بدون سند لا تكفل النصر . وقد يبطئ لتزيد الجبهة المؤمنة صلتها بالله ، وهي تقابل الصعوبات بدون أن تجد لها سندا الا الله فتسير على النهج أثناء المعركة وبعد النصر وقد يبطئ لأن المسلمين لم يتجردوا بعد في كفاحهم وتضحياتهم لله فهم يقاتلون لمغنم مادي أو أدبي أو يقاتلون حمية او شجاعة أو لأن أعداءهم لا زال فيهم بقية من خير يريد الله سبحانه وتعالى أن يجرد الشر منها أو لأن الباطل لم ينكشف زيفه تماما فلو غلب المؤمنون حينئذ فقد يجد الشر له أنصارا من المخدوعين يؤمنون به ويدافعون عنه أو لأن البيئة لم تصلح بعد لاستقبال الاسلام بما فيه من قيم ومثل وأخلاق .

التحريض على القتال :

من الأسلحة المعنوية التحريض على القتال وهو يجعل المقاتلين يفهمون أسباب المعركة والدوافع اليها والنتائج المترتبة على النصر او الهزيمة ــ وبيان ان العدد لا اهمية له ما دامت الوجهة مستقيمة ذلك لأن الله يتولى نصر المؤمنين ما داموا قد أدوا واجبهم كاملا يقول الله تعالى : (**يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون**) الانفال/ ٦٥ . وفي معركة مؤتة قال عبد الله بن رواحة لجنوده : (يا قوم والله ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانما هي إحدى الحسنيين إما ظهور واما شهادة . وبهذا يكون الاسلام قد استبدل نظرية الكم بنظرية الكيف التي تقوم أساسا على الرجال المقاتلين المؤمنين بمبادئهم وقد شخص مونتجمري قائد قوات الحلفاء

في الحرب العالمية الثانية أثر انعدام الناحية المعنوية في هزيمة الجيش الثامن فقال : (لقد جئت لأتولى قيادة الجيش الثامن فراعني ما وجدت ـ وجدت جيشا مهزوما ممزقا يلعق جراحه فوق رمال الصحراء الساحقة . كان العتاد لا يكفينا وكانت كميات الطعام التي تصل الينا لا تفي بحاجة الجنود ولكني لم آبه كثيرا بهذا النقص الذي نعانيه ـ كنت أدرك حقيقة واحدة وهي أن الغذاء الوحيد الذي يحتاج اليه جنودي هو الغذاء الروحي كانت مشكلتي الاولى هي : كيف أرفع من روحهم المعنوية فبدون هذه الروح لا يمكن لأي جيش أن يحقق انتصارا مهما كانت الخطط العسكرية ناجحة وموفقة) .

والروح المعنوية العالية تعطي صاحبها مناعة ضد الحرب النفسية فلا تؤثر فيها أحرج المواقف ففي غزوة الاحزاب مثلا يعطينا القرآن الكريم صورا لأصحاب المعنويات العالية الذين لا يتأثرون بالحرب النفسية فقد أشيع أن الاحزاب قد أتوا من كل جانب بقوات لا يقدر أحد على مقاومتها فما زادهم ذلك الا ايمانا **(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)** آل عمران/١٧٣ . وحين رأى المسلمون بأعينهم الأحزاب الذين جاءوا لسحق المسلمين نهائيا لم يتأثروا ولم يهنوا ولم يضعفوا بل قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ولم يزدهم ذلك إلا إيمانا :**(ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما)** الأحزاب/٢٢ .

إختيار القائد :

واختيار القائد له أهمية عظمى في سير المعركة ، والقائد لا يختار في الاسلام إلا على أساس الكفاءة وحدها ، ومن هنا فقد اختار النبي الكريم اسامة بن زيد الشاب الصغير قائدا لجيش فيه بعض كبار الصحابة فاساس روح القيادة نجدها في شخصية قائدها وثقته الاكيدة بنفسه وحبه للنظام وهو ما يسمى بلغة العصر بالضبط والربط ـ والثقة التي يضعها الجنود في قادتهم وفي اسلحتهم لها تأثير كبير في نصرهم ـ وللقيادة تأثير على نفوس الافراد فما زالت الجنود تتفاءل بالقائد المنتصر وتتطير من القائد سيئ الحظ ولقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لمن طلب منه إقصاء خالد بن الوليد لأسباب ذكرها : (والله لا أغمد سيفا سله الله على الكافرين) والقائد الناجح يختار ميدان المعركة ويأخذ زمام المبادرة في يده ويستخدم كل أنواع الأسلحة التي تصلح لميدان المعركة والنبي الكريم حارب قريشا في منطقة صحراوية مكشوفة ـ وحارب اليهود في حصونهم وحارب هوازن في وادي حنين ـ وتحرك الجيش الاسلامي من المدينة الى تبوك في أعظم مسيرة شهدها تاريخ الحرب فوق

رمال ساخنة وتحت شمس حارقة في بيئة صحراوية لا ماء فيها ولا ظل – واستخدم كل أسلحة الحروب التي كانت معروفة في ذلك الوقت كما أدخل في تنظيماته أسلحة جديدة كان يستخدمها أعداؤه كالمنجنيق القاذف للنفط والسهام – والدبابة وهي آلة من الخشب المغلف بالجلود أو اللبد تركب على عجلات ويحتمي بها المشاة من نبال العدو وتستخدم في هدم الأسوار والحصون ...

ورسم الاسلام خطة للقائد في عمله فطلب أن يقاتل الجيش الاسلامي قيادة الكفار ورءوسهم المدبرة للعدوان فيهم وعندئذ يضعف شأن الباقين منهم مهما كثر عددهم وهذا تكتيك ليسر القضاء عليهم (**فقاتلوا أئمة الكفر انهم لاأيمان لهم لعلهم ينتهون**) التوبة/١٢ .

الخاتمة :

القتال في الاسلام له هدفه السامي الذي يحدده القرآن ليرفع من مستوى الانسانية وليقيم العدالة في هذه الأرض – وكان النبي صلوات الله عليه يعاقب في حروبه بمثل ما عوقب به ولا يجاوزه الى اللدد في الخصومة ، فاذا انتهت الحرب على عهد من العهود وفي به وطلب من أتباعه أن يفوا به في غير إغلال ولا مراوغة وثابر على الوفاء في جميع عهوده .

ولقد شهد للاسلام كثيرون من غير المسلمين يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : « ان القوة لم تكن عاملا في نشر القرآن وان العرب تركوا المغلوبين أحرارا في أديانهم فاذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد – والحق ان الغرب لم يعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب) والكونت هنري دى كاسيرى يقول : « ان المسلمين امتازوا بالمسالمة وحرية الافكار وفي المعاملات ومحاسنة المخالفين » .

وقد اشتهر المسلمون بأنهم يحررون الشعوب من عبودية الحكام وظلمهم فكانت الشعوب تفتح لهم صدرها وتتعاون معهم تعاونا كاملا يقول مونتجمري : « المسلمون كانوا يستقبلون في كل مكان يصلون اليه باعتبارهم محررين للشعوب من العبودية وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة فزاد إيمان الشعوب بهم وقد ظلت جميع المناطق التي فتحها المسلمون في القرن السابع حتى يومنا هذا – ما عدا أسبانيا – تحتفظ بالدين الاسلامي وكذلك بالعادات والتقاليد والزي الاسلامي » .

وهكذا ينال الاسلام شهادة أعدائه قبل أصدقائه في تحقيق رسالته الكبرى في هذا العالم في جميع الأماكن وفي جميع الأزمان . وهكذا يربى الاسلام أبناءه التربية العسكرية التي تجعلهم يحققون الهدف منها في إحقاق الحق وإبطال الباطل ونشر الامن والعدالة والطمأنينة .

ومن الصفات أزواجاً أزواجاً

٥

لا شك أن كل من يتعمق بالبحث والدراسة في نظم الله ، وعلى الأخص فيما يتعلق بمكونات الحياة ، لا شك انه سيرى فيها من آيات الله ، مالا يستطيع غيره أن يراه !

واذا تسلح الانسان بالعلم والايمان ، ثم اقبل على قراءة القرآن ، قراءة من يغوص الى الأعماق ، بحثا عن لآلىء « أو » « جواهر » الحقيقة ، لكان ذلك فتحا في عقله ولنفسه مبينا ، اذ سيكتشف أن العلم لا يتعارض مع القرآن ، حتى ولو قال المتقولون غير ذلك .

ولقد أعطتنا بعض آيات القرآن التشجيع الفكري لكي نبرهن على ذلك ، خاصة وأن بعض المفسرين كانوا يتعرضون لشرح بعض هذه الآيات شرحا لا يتسم بالعمق والأصالة ، لان هذا العمق يستلزم تطور المفاهيم والادراك بما يجري الآن في عصرنا من منجزات علمية هائلة ، تحتاج الى متخصصين لهم اطلاعات واسعة ، ذلك أن العلم الآن ينطلق كبحر هادر ، حتى ليكاد يكتسح العقول اكتساحا ، فلا تدري أيها تختار منه ، وأيها تقرأ وتستوعب .

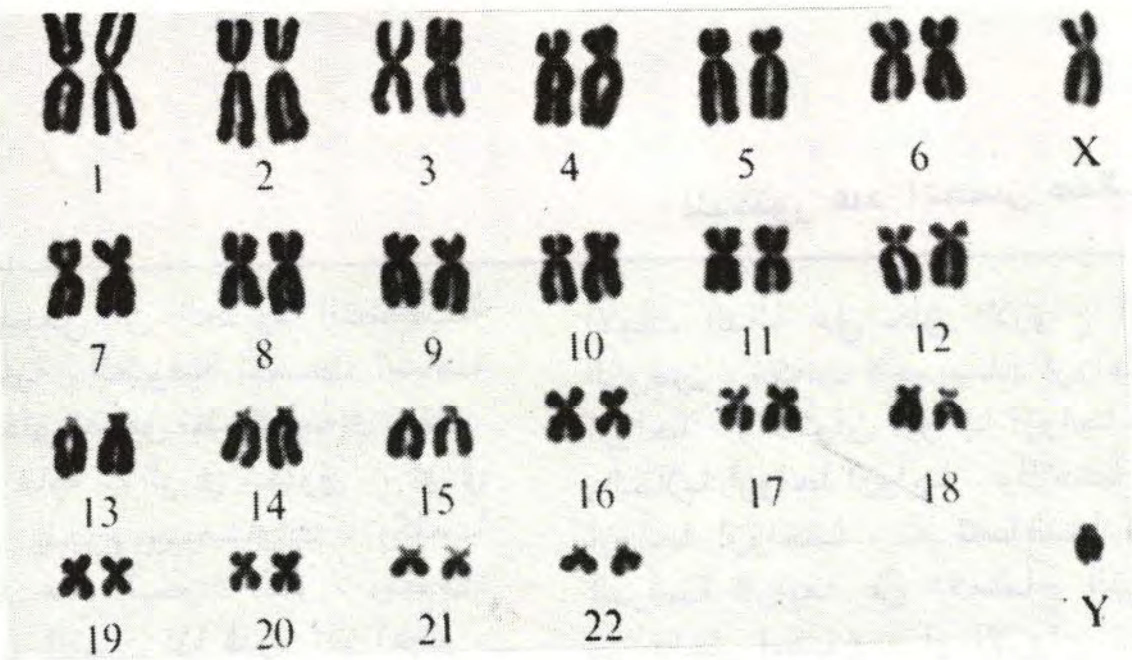
للدكتور عبد المحسن صالح

وطبيعي أن العلــوم التطبيقيــة والنظرية والطبيعية تبحـث أساسا فيما خلق الله من نظم كامنة في نرة .. أو في خلية .. أو في مخلوق .. أو في أرض ونجوم وسمــاوات ، وكلمــا تقدمت هذه البحوث أكثر ، وتعمقت أكبر ، أظهرت لنا قدرة الله أعظم ، وعندئذ يحق القول الكريم بكل كلمة وحرف فيه : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحــق**) فصلــت/٥٣ (**أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلــق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق**) . الروم/٨ .

على أننا لن نتعرض هنا لشرح هذه النظم والآيات التي أودعها فينا الله ، فلهذه حديث آخر طويــل ومتفــرع ومثير ، لكننا سنعود الى موضوعنا الاساسي الأعمق ، وهو الذي تعرضنا فيه قبل نلك ، ومــن خلال أربــع دراسات متصلة لمعنى خلق الزوجين أو الازواج التي أشار اليها القرآن من قديم الزمان ، وبهذا يكون قد سبق العلوم الحديثة التي جاءت مصدقة لما فيه من اشارات وتلميحات يمر عليها المفسرون مر الكرام .

ولقد تناولنا في الدراسات السابقة على صفحات هذه المجلة الغراء بعض الآيات الدالة على خلق الازواج أو الزوجين ، فكانت الجسيمات أزواجا أزواجا ، والاكوان أزواجا أزواجا ، والخلايا أزواجا أزواجا ، والامشاج أزواجا أزواجـا ، ثم تساءلنـا في الدراسة الرابعة عن الأمشاج التي من داخل أمشاج ، أو الازواج من داخل أزواج ، مصداقا لقوله تعالى : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس/٣٦ .. وقوله جل من قائل : (**ومن كل شيء خلقنا زوجــين لعلكــم تذكــرون**) الذاريات/٤٩ الى اخر هذه الآيات البينات التي تعــرضت للأزواج أو الزوجين في مواضع كثيرة ، وبمعان عديدة ، حتى ولو جاءت هذه المعاني من علومنا الحديثة التي تبحث في طبائع الكون والحياة ، فاذا بهــا تكتشف ما في القرآن من عطاء غير محدود « لقوم يتفكرون » .

باختصار شديد نقول : ان خلقنا قد جاء خلقا من داخل خلق من داخل خلق .. وهكذا ، فمن الخلايا كانت بدايتنا ونشأتنا ، والخلايا في بداية خلق كل كائن جاءت زوجين ، وفي داخــل الخليــة أمشاج أو كروموسومات أو اخــلاط ، وهــذه بدورها جاءت زوجين (شكل ١) ،



● ومن الأمشاج أزواجا أزواجا .. وهي للانسان
وترى ٢٢ زوجا + زوج ذكورة y وانوثة ×

ثم اذ بالعلم الحديـث ، والبحـث العميـق يكتشفـان ايضا أن هذه الأمشاج بدورها ليست إلا خرائط دقيقة غاية الدقة ، وأنها لن تظهر على حقيقتها إلا اذا كبرناها بالمجاهر مئات وآلاف المرات ، وعندئذ يتضح لنا أن على هذه الأمشاج أو الخرائط أو السجلات الوراثية مواقع محددة تبدو كحبات العقود المتراصة ، وأن هذه « الحبات » قد جاءت بدورها أزواجا .. « مـن كل شيء خلقنـا زوجين » !

لـكن .. ماذا تعنـي هذه « الحبات » أو العقد أو الخطـوط المتراصة ، وهي التي نرى منها هنا صورة التقطها العلمـاء من تحـت العدسات ، لنطلع على جانـب من مواطـن الامـور التـي تدق على العيون .. عيوننا ؟ (شكل ٢) .

الواقع أن هذه « الحبـات » قد جاءت لتكـون بمثابـة السجـلات العظيمة المدونة في « لوح » الخلية المحفوظ ، وكل حبة أو سجل منها بمثابة لغـة خاصة جدا ، لتـورث المخلوقات شيئا من صفاتها التـي أوجدها الخالق عليها ، وحفظها في « قرار مكين » !

ولـماذا جاءت هذه الحبـات أو السجلات على أمشاجهـا أزواجـا أزواجا ؟.. ثم أو ليس هذا تكرارا لا مغنم من ورائه ولا طائل ؟

ليس ذلك تأكيدا ، فمن وراء مجيء الحبات زوجين زوجين ، ثم انتظامهما بالآلاف والملايين على الأمشاج ـ دائما زوجين زوجين ، من وراء ذلك كان اختلاف ألواننا وأصواتنا وأشكالنا وطبائعنا وبصماتنا وطولنا وقصرنا وشكل ولون شعورنا وعيوننا .. وكل صغيرة وكبيرة فينا ، وكل هذه الصفات لا يمكن أن تقوم إلا على أساس الزوجين ـ من البداية حتى النهاية ، وهذا ما يقوله العلم الحديث ، وهو نفس ما أشار اليه القرآن تلميحا أو اختصارا : **(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)** الروم/٢٢ **(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك)** فاطر/٢٨ **(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها)** فاطر/٢٧ **(ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه)** الزمر/٢١ .

الى آخر هذه الآيات التي تشير الى اختلاف الصفات في كل الكائنات ، ثم إذا رجعنا أيضا الى آيات أخرى ، في مواضع متفرقة ، لوجدناها تشير الى خلق الزوجين في الفاكهة والثمرات والأنفس والأشياء ، أو من كل ما تنبت الأرض من مخلوقات ، أي أن الأزواج هي المرجع الأول والأخير في تحديد الصفات في كل ما نرى ، وما لا نرى .. ظاهرا وباطنا ، فأما الظاهر فمعروف ، وأما الباطن فعلينا بيانه ، وعلى قدر ما علمنا ، إذ أن « فوق كل ذى علم عليم » !

لا شك أن للقرآن ظاهرا وباطنا !

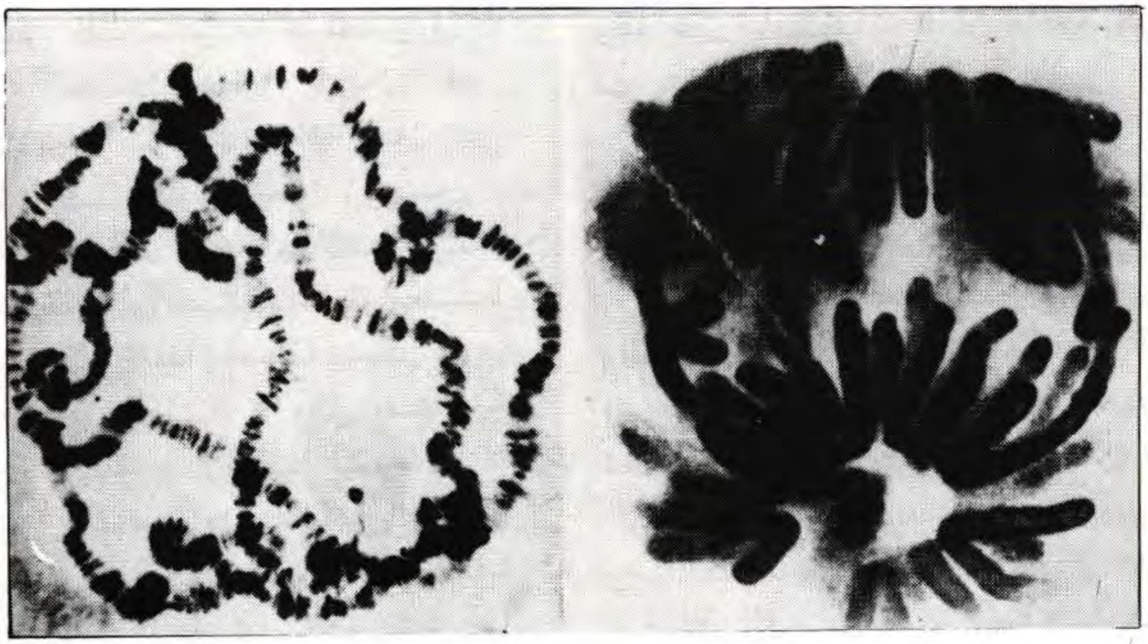
وكذلك أنت .. فلك باطن وظاهر ، والباطن يؤدي دائما الى الظاهر ، أو أن الظاهر قد جاء تعبيرا مجسدا لمعلومات عظيمة ودقيقة تكمن في الباطن ، وباطن الباطن في خلقنا وصفاتنا يتجلى بطريقة مثيرة في هذه الحبات التي تراصت أزواجا على أمشاجها ، والتي جاءت ـ أي الأمشاج ـ بدورها أزواجا (انظر بحثنا في العدد السابق بعنوان : والأمشاج أزواجا أزواجا) .

ولكي نوضح اكثر ، دعنا نضرب مثلا ومثلا .

ـ اذا تزوج القزم من قزمة ، فلا تنتظر أن تخلفهما ذرية من العمالقة ، بل لا بد أن تكون الذرية أقزاما ، نزولا على أحكام قوانين الوراثة (لاحظ أنها هنا قوانين ، لأن القانون لا ينبع الا من نظام دقيق) .

ـ الزوج الأشقر ، والزوجة الشقراء ، ينجبان ذرية شقراء ، وكذلك كان للسود ذرية سوداء ،وللصفر صفراء ... الخ ... الخ .

أو قد يتزوج الأسود زوجة



● الى اليمين الأمشاج أو الكروموسومات تهاجر الى قطبي الخلية أزواجا (في عملية الانقسام) ، والى اليسار تظهر الجينات كحبات على الأمشاج وهي أيضا جاءت أزواجا لتتزاوج بدورها .

بيضاء ، أو العكس ، وعندئذ تأتي المواليد بنسب متفاوتة بين الأسود والأبيض ، أي منهم البيض ، ومنهم السود ، او ما بين ذلك تأتي المواليد . .

أو قد يتزوج الرجل السليم بزوجة تحمل مرضا وراثيا ، أو يتزوج الرجل المريض بمرض وراثي من زوجة سليمة ، وعندئذ ينتقل المرض ، ويعبر عن نفسه في نسبة المواليد !

ومن هذا المنطلق أيضا نرى الدول المتقدمة في مضمار الحضارة تجري كشفا دقيقا على الأزواج لاكتشاف أية عاهات وراثية ، ، لتعلم بها

الزوجة أو الزوج قبل الزواج ، ولهما الحرية بعد ذلك في الارتباط ، لكن الأطباء ينصحون بعدم إنجاب ذرية في حالات خاصة ، والا كانت خلفة هذه الذرية مأساة تشقى الوالدين بدلا من أن تسعدهما (شكل ٣) .

الموضوع طويل جدا ، وكتبت فيه مجلدات من فوق مجلدات ، لكن يكفينا هذه المعلومات البسيطة التي ذكرناها تلميحا لا اسهابا ، فليس هذا مجالها ، تماما كما يلمح القرآن الكريم عن فكرة خلق الأزواج باشارات مقتضبة ، حتى يجنب الذين سبقونا بمئات السنين أمورا علمية فوق ادراكهم ، وربما ترك ذلك



● خطأ وراثي أدى الى البلاهة اذ حدث أن زادت الأمشاج فيه اثنين (وهما المشار اليهما بسهمين) .

لأجيال قادمة أو حاضرة ، ليروا فيها علوما أصيلة ، وهو ما سبق الاشارة اليه بقوله تعالى : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) !** فصلت / ٥٣ .

* * * *

لقد كان أول من كشف لنا عن سر قوانين الوراثة بطريقة تجريبية منظمة رجل دين مسيحي يدعى جوهان مندل (١٨٢٢ـ١٨٨٤) ، ثم سمي فيما بعد بالأب جريجوري .. المهم أنه درس الصفات الوراثية لنبات البازلاء ، واستمر في بحثه سنوات طويلة ، يحدوه الصبر والثقة وحب الكشف عن الأسرار الكامنة وراء هذه الظواهر التي يراها مجسدة في ألوان وزهور وحبوب وأوراق وغير ذلك من صفات ، ولم يخرج مندل ببشائر قوانين الوراثة إلا بعد أن قام بفحص اكثر من اثنتي عشر الف عينة من العينات التي كان يزاوج بينها ، ويسجل صفاتها وصفات ذرياتها جيلا من وراء جيل من وراء جيل .. وهكذا .

كان مثلا يزاوج بين نبات ذي زهور حمراء مع آخر ذي زهور بيضاء ، أو بين نبات ذي بذور مستديرة وآخر ذي بذور كلوية أو مستوية أو مجعدة الشكل ، أو بين نبات طويل ، وآخر

قصير .... الخ ... الخ ، ثم يسجل صفات الأجيال الجديدة ، وكيـف تتخلى عن بعض صفاتها ، أو تحافظ عليها ، أو تأتي الصفات معبرة عن كلا « الأبوين » ، أو قد تبقى الصفة الوراثية كامنة لأجيال ، ثم تراها تعبر عن نفسها بعد طول غياب ، وهو ما يحدث أيضا في عالم البشر ، اذ يأتي الوليد بعينين زرقاوين ، رغم أن عيون والديه لا تحمل هذه الصفات كذلك لو بحثت في سجلات الأجداد ، لو جدت أن صفة العيون الزرق كانت موجودة في جدود الأم وجدود الأب ، وظلت الصفة محجوبة الى أن عبرت عن نفسها بعد أجيال طويلة .

المهم أن مندل كان فعلا مؤسس علم الوراثة ، لكن أحدا لم يكتشف هذه الحقيقة الا بعد أن مات مندل بسنوات طويلة ، اذ تبين أنه يمكن التنبؤ ببعض صفات الأجيـال من خلال قوانين الوراثة ومعادلاتهـا ، لكن كل هذا قد لا يهمنا هنا في موضوعنا بقدر ما يهمنا أن نعرف باطن هذا الظاهر ، وحكمة وجـود الحبـات أو العقـد الوراثيـة على الأمشاج أزواجا .

* * * *

الواقع أن مضمون كل صفة من صفات المخلوقات تكمـن بطريقـة خاصة في هذه الحبات ، فالحبة هنا بمثابة معلومة « مكتوبة » بعنـاصر هذه الأرض ، ولن نتعـرض لهـذه الحقيقـة هنـا الآن ، وسنؤجلهـا لدراسة قادمـة ، لأن « الكتابـة » الكيميائية هنا قد جاءت أيضا على أساس فكرة الزوجين التي عبر عنها القرآن الكريم أعظم تعبير .. (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) !

ولقد جاءت هذه الحبات ازواجا أزواجا في الانسان وكل الكائنات ، لا يختلف في هذا القرد عن الباذنجان عن الحيـة عن الـدودة والسبانـخ والتفاح .. الخ ، فكلها نشأت بفكرة واحدة ، لأنهـا جاءت من خالـق واحد ، ولو كانت من عنـد آلهـة متعددة ، لوجدنا فيها اختلافا كبيرا ، لكننا نرى تجسيد الوحدانية في وحدة الخلق العظيم .

وسبب مجيء الحبات او الخطط الوراثية أزواجا أزواجا ، أن لهـا أصلا وأساسا ، فلا شيء يأتي من لا شيء ، اذ مما لا شك فيه أن حبة أو خطـة منهـا جاءت من الانثـى ، ومثيلتها تماما جاءت من الذكر ، ثم ان الذي يحـدد صفـات الانسان ويميزها عن صفات أي كائن حي آخر في مملكتي النبـات والحيـوان هي مجموعة هذه الحبات التي تكـون « قاموسا » مستقلا على أدق ما تكون القـواميس ، أو قل انـه « الميكروفيلم » الـذي يحـوي كل التفاصيل التي يمكن أن يأتي بها الكائن الحي .

وطبيعي أن لهذه الحبات اسما علميـا ، واسمهـا في المراجـع الجينات ، مفردها جينة gene وهي تعني وحدة الوراثة ، او المورثة التي تورثك صفة واحدة محددة ، ويقدر علماء الوراثة أن خلق كل صغيرة وكبيرة في الانسان تهيمن عليها ما بين عشرة آلاف الى خمسين ألف جينة ، وهذا في الواقع تقدير جزافي ، لأننا لم نعرف العدد بالضبط ، لكنه لا يقل ولا يزيد عن الرقمين المذكورين .

لنفرض هنا أن خلية الانسان تحتوي على عشرين ألف جينـة أو مورثة ، عندئذ ، ومن عملية حسابية جد بسيطة يمكن القول بأن نصفها - أي عشرة آلاف جينة لا بد وأن تكون قد جاءت من خلية جنسيـة انثوية (البويضة) ، والعشرة آلاف جينة الأخرى لا بد وأن تكون قد جاءت من خلية جنسيـة ذكريـة (الحيوان المنوي) ، وفي هذه الآلاف من الجينات تكمـن صفـات الأم وصفات الأب أزواجا أزواجا ، وجنبا الى جنب في نواة كل خلية جسدية ، وأحيانا ما تعبر جينة من الأب عن نفسها تعبيرا يفوق نظيرتها أو قرينتها أو مثيلتها من الأم ، وعندئذ يكتسب الوليد صفـة الأب ، أو قد يكـون العكس ، فيكتسب صفة الأم ، أو قد يشترك الزوجان على مستوى الجينات في التعبير بالتساوي عن صفة من الصفات ، فيخرج المولود مكتسبـا صفة والديه معا ، بمعنى أن الأب لو كان طويـلا ، والأم قصيرة ، فأن المولود يجيء وسطا بين أمه وأبيه ، أو شبيها بذاك أو تلك !

وما يجري على الطول والقصر ، يجري أيضا على البدانة والنحافة ، ولون الشعـر والعينـين والبشرة ، وتقاطيع الوجه ، والبصمات ، وكل صغيرة وكبيرة مما نرى ، ومما لا نرى .

أي أن هذه الأخلاط بين المورثات الكائنة أزواجـا على الأمشاج هي المرجـع الحقيقـي لكل صفـة من الصفات ، ولهذا نقـول في أوساط الوراثة إن هذه الصفة سائدة ، او متنحية (بمعنى أنها لا تعبر عن نفسها لتتضح كصفة من صفـات المخلوق) ، ومن حصيلة التعبير في هذه الوحدات أو الجينات التي جاءت أزواجا أزواجا ، يكون قدر المخلوق في الحياة ، ، وفي هذا يقول الله عز وجل : ((**إنا خلقنا الانسان من نطفـة أمشاج نبتليـه)** الانسان/٢ ، وهو تعبير دقيق لعملية خلط المعلومات الوراثية التي تمثل الأبوين أدق تمثيل .

على أن عملية خلط الأمشاج في خلق الانسان ، أو غيره من كائنات ، عملية من أروع وأدق ما قابله العلماء حتى الآن ، أضف الى ذلك أنها مفعمة بأسرار أكبر من كل ما تتصوره عقول البشر ، حتى ولـو اجتمعـت لهـا لتدركها ، وما هي بمدركتها !

ولكي نوضح ذلك ، دعنا نقدم مثلا من الأمثلة التي تتردد في مراجع العلماء ، فهاهما عالما الخلية والوراثة وليام ماكلروى وكارل سوانسون يذكران في كتابهما « البيولوجيا الحديثة لعلم الخلية » انه لو لم تخلط هذه الجينات الكامنة على الكروموسومات ، لما اختلفت طبائع الناس كل هذا الاختلاف ، ولولاه أيضا ، لأصبحت الوجوه صورة واحدة مكررة ، ولما رأينا في البشر تباينا ، ولركدت الحياة (شكل ٤) .

ثم نراهما يضربان مثلا يوضحان لنا فيه عظمة فكرة الخالق في خلقه ، تلك العظمة التي لا يقدرها الناس حق قدرها ، بدليل قوله تعالى : (**وما قدروا الله حق قدره**) الانعام/٩١ ، فماذا قالا في مثلهما الذي استخلصاه من نظم الحياة ؟

يقولان : « لما كانت الصفات الكامنة على الجينات تختلط أزواجا في عملية الاخصاب ، فان احتمالات عدد مرات الخلط بينها يزيد بزيادة عددها ، ولنفرض هنا أن الخلية في الانسان كانت تحتوي على ألف جينة أو مورثة لا غير ، وهو تقدير متواضع ، لكن دعنا نتعامل مع هذا الرقم المتواضع لنعرف النتيجة .

النتيجة أن عدد احتمالات الأخلاط هنا ستكون حصيلة الرقم ٢



● من خلط الصفات أو الجينات تنتج بلايين فوق بلايين من البشر ذوى القسمات والألوان والطباع المختلفة ، وبحيث لا يتشابه اثنان تشابها مطلقا (عدا التوائم المتماثلة) . ذلك أن الصفات أو الجينات قد جاءت أزواجا .

مضروبا في نفسه ألف مرة ، والحق ان الرقم الناتج لا شك سيكون اكبر من عدد الـذرات الموجـودة في كل الأكوان بأضعاف مضاعفة !

يعني هذا أن تكرار ظهور انسان شبيه بانسان آخر شبها مطلقا غير جائز الا مرة واحدة في بلايين بلايين بلايين بلايين .. وأضف من بلايين الاحتمالات بعد ذلك ما تشاء ، فالرقم اكبر مما تتصوره عقول البشر .

هذا فقط هو ناتج الاخلاط بين ألف جينة ، فما بالنـا لو كانـت هذه الأخلاط تتم بين عشرين ألف جينة جاءت من زوجـين (أي ذكـر وأنثى) ، لتختلط وتعطي مولودا ليس كمثله شبيه ؟

هـذه الأكـداس الهائلـة من المعلومات التي تتبادلها الجينـات أزواجا أزواجا تجعلنا نحني عقولنا خشيـة وخضوعـا ، لكن مهمـا خشعنا ، فلن نقدر العظمة الالهية حق قدرها .

ومع ذلك نرى الله سبحانه وتعالى يعبر عن الخلق أروع وأبسط تعبير فيقول : (**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحـدة**) لقمـان/٢٨ .. وقوله : (**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**) الملك/٣ ومـن يدرس الكائنات الحية ، سوف يجـد في اختلاف أشكالها وأنواعها وأحجامها وألوانها وطبائعها وضخامة أعدادها ما يجعله يتـوه ، فلا ينتهـي من حصرها أبدا (أكثـر من مليونـي نوع) ، ومع ذلك فهي جميعا جاءت من فكرة واحدة لا تفاوت فيها — أي الفكرة — ولا تباين ... فهي تبدأ كلها من خلية ، في داخلها نواة ، في داخلها أمشاج ، في داخلها جينات ، وكلها جاءت أزواجا أزواجا .

وماذا بعد ،.. ألم ننته حقا من هذه الأزواج التي هي داخل أزواج فأزواج ... الخ ؟ الواقع أننا انتهينا هنا بوحدة الوراثة أو المورثة أو الجينـة ، لكنهـا ليست خاتمـة المطاف ، صحيح أنها جاءت أزواجا على الأمشاج التي كانت بدورهـا أزواجا ، لكن في داخل الجينة أو المورثة بنايات أدق وأدق ، ولقد جاءت بدورها أزواجا .

و(**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) .. فهل كانـوا حقـا يعلمون أو تعلمون .

وما خفى كان أعظم ، (**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) .

ولنا مع الأزواج التي في داخل الأزواج عودة ، لنعلـم ما لم نكن نعلم ، فما أكثر ما لا نعلم ، وما أعظم ما نجهل من أسرار الكـون والحياة ، تلك الأسرار التي تتجلى فيها دائما عظمة ملكوت الله .

الفلسفة الصهيونية الماركسية

مخطط جديد لاحتواء عالم الاسلام

للاستاذ : انور الجندي

يمكننا ان نقول بدون تردد ان الموجة التغريبية في هذا العقد الاخير من القرن الرابع عشر الهجري : هي موجة « صهيونية ماركسية » فقد تكشفت في السنوات الاخيرة تلك العلاقة العضوية بين الصهيونية والماركسية .

وكيف تقاسمتا مجال الفكر العالمي كله فاعطيت الماركسية ذلك القطاع الذي يفسر الحياة والمجتمعات والتاريخ تفسيرا اقتصاديا وماديا تخفت الصهيونية وراء مذاهب العلوم الاجتماعية والنفس والاخلاق والانثروبولوجيا ومقارنات الاديان وكان لارتفاع مد النفوذ الماركسي في الستينات مع اثار الفكر التلمودي المسيطر في مجال الفكر الغربي الليبرالي ابعد الاثر في طرح تلك الشبهات التي ما تزال تحتاج الى الكشف عن وجه الحق فيها والتعرف الى زيوفها وما القت من ظلال بعيدة المدى على مفهوم الاسلام الصريح الواضح في

مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والتربية لقد كان من اكبر التحديات ان فتحت لهذا الفكر الوافد الزائف مجالات واسعة للنشر استطاعت به ان تصل الى الطبقات العامة وان تثير الزيغ في مجال العقيدة نفسها نتيجة ذلك « الفراغ » الذي عجزت المناهج التعليمية والتربوية في اجزاء كثيرة من البلاد العربية والعالم الاسلامي ان تغطيه بمفاهيم الاصالة الاسلامية مصوغة في اسلوب العصر ، وبذلك تركت هذه الثغرة مفتوحة لكي تسيطر منها على العقول والقلوب ، تلك المفاهيم الزائفة والنظريات الفاسدة المطروحة التي تحمل بريقا يشبه بريق العلم وتحمل في نفس الوقت الظن وما تهوي الانفس من محاولات لكسر الضوابط وهدم حدود الله ، وتعمل على تغذية الرغبات بالاثارة والتحلل مخالفة في ذلك اسلوب الاسلام في مواجهة هذه الرغبات النفسية بالتبرير والاعلاء .

لم يتوقف الغزو الثقافي عن هدف واحد في سبيل غايته التي ترمي الى « احتواء » هذه الامة و « صهرها » في بوتقة العالمية والامية ولكنه عمل في مختلف الميادين ولقد كانت محاولات الاستعمار الغربي في المرحلة السابقة لمرحلة الماركسية الصهيونية قد مهدت الطريق للتحديات الخطيرة في هذه المرحلة الراهنة فقد استطاعت برامج الارساليات في مجال التعليم التي نقلت الى المناهج الوطنية في اغلب البلاد الاسلامية قد حالت بين الاجيال الشابة المسلمة والاصالة في الفكر والتماسك في الخلق وكان فساد مناهج الثقافة والصحافة وتوالي الانحرافات في المجتمع قد مهد كثيرا للطور الماركسي الصهيوني الذي قام على اساس ان المسرح بديل عن المعبد وأن الدين افيون الشعوب وان العلم إله يعبد وان الانسان حيوان ، كل هذه المفاهيم التي طرحتها الفلسفة الصهيونية الماركسية كانت بعيدة الخطر في هذه المرحلة التي يمر بها العالم الاسلامي اليوم وكذلك نجد ان ما قدمه جرجي زيدان وطه حسين وسلامة موسى وعلي عبد الرازق ومحمود عزمي كان مقدمة للتوسعات التي جاءت من بعد ، فقد حرص طه حسين على ان يمهد للتفسير المادي للتاريخ ووضع الصحابة الاعلام في موقع الساسة وصراعهم ، وخلط سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاساطير وتوسع فيها وحذا حذوه كتاب كثيرون من امثال عبد الرحمن الشرقاوي واحمد عباس صالح وغيرهم . وكذلك الامر في مسألة اللغة كما تعرض لها سلامة موسى ، او مسألة الاسلام دين ودولة كما تعرض له علي عبد الرازق ، او مسألة مفهوم القوميات كما تعرض له محمود عزمي .

كانت المحاولة التغريبية تهدف الى اثارة شبهة التكامل بين الدين والدولة ، والدين والمجتمع ، والدين والعلم ، وتطرح اسلوبا للمجتمعات الاسلامية يستهدف خضوعها للقانون الوضعي ولكن المحاولة اليوم تقطع مرحلة اشد عنفا حينما نجد الدعوة الى احتواء الشريعة داخل القانون الوضعي ومحاولة اتخاذ الشريعة الاسلامية وسيلة لتبرير واقع المجتمعات الفاسدة وذلك عن طريق اثارة شبهات حول الثابت والمتغير وحول

التطور وحول ما يدعى من قدرة الاسلام على التجاوب مع اوضاع المجتمعات وقد نشأت في السنوات الاخيرة « جماعة » تتخصص في تقنين هذه السموم وتستند هذه الجماعات على تلك الثغرة الباطلة التي زيفها الشيخ علي عبد الرازق حين ادعى بان الاسلام دين روحي وانكر ان الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع فخرق بذلك خرقا اهتبله الاسشراق ودعاة الغزو الثقافي ونشأت له مدرسة في مرحلة الفلسفة الصهيونية الماركسية .

كذلك فقد علت تلك الاصوات التي تحاول ان تبرر وجود الربا في المجتمعات الاسلامية تفريقا بين ربا الفضل وربا النسيئة ، في محاولة لفرض وجود امبراطورية الربا اليهودية العالمية .

وهكذا استطاعت الموجة اليهودية الماركسية الانتفاع بالركائز التي اقامها الاستعمار الغربي كما انتفعت بالدعوات العنصرية والقومية والاقليمية والوطنية والعالمية في تمزيق وحدة الجماعة الاسلامية ونقلها من قاعدة الاصالة القائمة على الفكر والعقيدة الى قاعدة زائفة هي قاعدة العنصر والدم وصراعها القاتل كذلك برزت تلك الجماعات التي تتحدث عن الماركسية والاشتراكية والفرويدية والوجودية والوضعية المنطقية ومدرسة العلوم الاجتماعية اتباعا لمدارس وتيارات وافدة بهدف تمزيق اديم الفكر الاسلامي واثارة الشبهات في افقه .

وكلها تفتح الابواب امام الوثنية والتعدد والاباحية والالحاد تحت اسم العصرية والحداثة والتقدم وكانت في المرحلة الماضية تجري تحت اسم التجديد ، وتحولت مفاهيم الماسونية والتلمودية الصهيونية الى نظريات ذات طابع علمي خادع يستهدف تدمير القيم الاخلاقية وتفكيك المجتمعات وهدم الاسرة واشاعة الجنس والشهوات والقضاء على الروابط بين الاجيال واضعاف ترابط الاباء والابناء والرجال والنساء ، وطرحت في الاسواق مئات الكتب الرخيصة عن الجنس والمرأة فضلا عن الصور العارية والقصص المكشوفة مترجمة ومؤلفة ولم يتوقف الامر عند ما طرحه الفكر الغربي من سموم وانما جرى العمل على بعث تراث الفكر البشري القديم ممثلا في ألف ليلة والاغاني وشعر بشار وابي نواس واحياء حركات الزنج والقرامطة والمجوسية وصراعها مع الاسلام .

وجاءت مرحلة ضرب الاسلام من الداخل فشجع الغزو الفكري كل المحاولات المضللة التي تدعي انها اسلامية وذلك للعمل في هدم الاسلام امثال القاديانية والبهائية واعانها بكل اسباب العون ماديا وادبيا لانها تحمل في تضاعيف دعوتها هدم فريضة اساسية من فرائض الاسلام وهي الجهاد والتشكيك في عالمية الاسلام وفي ختامه للرسالات والاديان وقد عقدت الجماعات البهائية العالمية مؤتمرها العام في اسرائيل تأكيدا لهذا المعنى .

وكانت اخطر دعوات الفلسفة الصهيونية الماركسية : تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على المجتمع الانساني واعلاء شأن العلم والعقل وازدراء مفهوم الدين والروح والمعنويات واعلاء شان الاهواء والغرائز والشهوات ودفع البشرية الى اتخاذها اسلوبا في الحياة ، واذاعة

سفاسف الفكر البشري كالاساطير والخرافات والسحر تحت اسم الفلكلور ، وضرب التراث الاصيل للامم والشعوب وهو التراث الذي جاءت به الاديان والكتب المنزلة .

ومن اخطر ما طرحته دعوات الفلسفة الصهيونية الماركسية النظرية المادية في الانسانيات والتاريخ ، ونظرية التطور المطلق التي تستمد مفهومها من الفكر التلمودي القديم وتحاول ان تفرض على المجتمعات حتميات تنكر المسؤولية الفردية للانسان والجزاء الاخروي وتصور الانسان على انه شاهد تاريخ ليست له ارادة التعبير والفعل .

وبالرغم من ان العلم التجريبي قد اعلن انه لا يعدو في تجربته دراسة ظواهر الاشياء وانه يعجز عن البحث في كنه الحياة ، فان الفلسفة المادية تحاول ان تدفع البشرية إلى اعتناق مفاهيم المادية لتفسير الحياة والمجتمعات والنفس الانسانية وقد استعملت هذه النزعة في دراسات مدرسة العلوم الاجتماعية الغربية « دور كايم وليفي بريل » بالاضافة الى تفسير الحياة والمجتمعات والانسان تفسيرا جنسيا « فرويد » وتفسير الحياة والمجتمعات والانسان تفسيرا يتصل بالبطن ولقمة العيش « ماركس » فان اليهود الاربعة يستهدفون محاصرة الفكر البشري كله وطرح فلسفة كاملة له تعمل عملها في المجتمعات الرأسمالية لتخطو نفس الخطوات التي تستطيع ان تحققها الماركسية في المجتمعات الشيوعية بحيث تصبح البشرية كلها مهيأة للاحتواء اليهودي التلمودي الصهيوني الذي يخطط منذ عام ١٨٩٧ عن طريق بروتوكولات صهيون للسيطرة العلمية بعد مائة عام ، وان الخطوات المتوالية تكشف عن ان الماركسية والصهيونية ستستطيعان بعد سنوات قليلة من اعلان تكاملهما في خطة احتواء العالم والسيطرة على البشرية ، وان الخطر الوحيد الذي يواجه هذه المحاولة الآثمة والمؤامرة الخطيرة هو الاسلام وعالمه الذي يقف صخرة توهي ناطحها بقيمه الاساسية وذاتيته التي تعجز كل هذه القوى عن احتوائها او السيطرة عليها ، وان الصورة الجزئية التي نجدها في الصراع العربي الاسرائيلي او الاسلامي الصهيوني انما هي جانب من الصورة الكاملة التي تخفيها حكومة الاحبار الثلاثمائة العالمية .

وهكذا نجد ان المؤامرة واحدة في مصدرها واساسها وان اختلفت على جبهات الوجوديين والفرويديين والماديين والبهائيين والماركسيين وان كثيرا من العاملين في حقل المؤامرة يعرفون ابعاد هذا المخطط وان كتاباتهم لتشف عن هذه الروح ، وان العمل في مجال الادب والقصة والمسرح والسينما والصحافة يحاول ان يستوعب هذا المخطط وان يحول مفاهيم الفلسفة الماسونية المتحدة من المخطط التلمودي الى فكر وقضايا ومسائل تطرح ونظريات تعرض في مختلف المجالات .. ولذلك فان المسلمين مدعوون في هذه المرحلة الخطيرة التي يدخلون بها القرن الخامس عشر الهجري ان يحدثوا تغييرا كبيرا يعودون به الى الاصالة الاسلامية والتماس المنابع الاسلامية .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن أبى موسى رضى الله عنه قال :

كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائطٍ من حِيطانِ المدينة ، فجاء رجلٌ فاستَفْتَح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « افتحْ له وَبشِّرهُ بالجنةِ » ففتحتُ له ، فاذا أبو بكر ، فبشَّرتهُ بما قالَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فَحَمِدَ اللهَ ، ثم جاء رجل فاستفتحَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « افتحْ له وَبَشِّرْه بالجنةِ » ففتحتُ له ، فاذا هو عُمَرُ . فأخبرتُه بما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَحَمِدَ الله . ثم استفتَحَ رجل فقال لي : « افتحْ له وبشره بالجنةِ على بَلْوى تصيبُه » فاذا عثمانُ . فأخبرتُه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَحَمِدَ اللهَ ، ثم قال : « اللهُ المستعانُ » .

(رواه الشيخان)

حائط من حيطان المدينة = بستان من بساتينها
استفتح = طلب الاذن للدخول .

عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَتْبَعُ الميتَ ثلاثةٌ . فيَرْجعُ اثنان ويَبْقى مَعَه واحِدٌ ، يَتْبَعُه اهلَهُ ، ومالُه ، وعملُه . فيرجعُ اهلُه وماله ، ويبقى عَمَلُه » .

(رواه الشيخان)

يتبعه أهله وماله وعمله . هذا يقع في الأغلب ، ورب ميت لا يتبعه الا عمله فقط والمراد من يتبع جنازته من أهله ورفقته ، ومعنى بقاء عمله أنه يدخل معه القبر فان كان عملا صالحا ، أصبح القبر روضة من رياض الجنة ، وإن كان عملا غير صالح اصبح القبر حفرة من حفر النار والعياذ بالله تعالى .

نظرة في مقال.. عدم انتفاع الانسان بعمل غيره

للدكتور / محمد رواس قلعه جي

نشرت مجلة الوعي الاسلامي الكويتية في عددها ١٦٣ الصادر في شهر رجب ١٣٩٨هـ يونيو ١٩٧٨ مقالا في الصفحة السادسة بعنوان « عدم انتفاع الانسان بعمل غيره » .

ولولا أني اعرف في كاتب المقال غزارة العلم ، ودقة البحث وكريم الاخلاق لما تناولت قلمي لتسجيل تلك الملحوظات ، ولسمحت لهذا المقال أن يدفن كما دفنت آلاف المقالات في صدري .

١ ــ ان مسألة انتفاع الميت بعمل غيره ، إذا وهب ثوابه إليه مسألة خلافية ، فمن الفقهاء من قال بانتفاع الميت بهذا الثواب ، ودلل على ما يقول بأدلة رآها ، ومنهم من قال بعدم الانتفاع ودلل على ذلك بأدلة رآها أيضا .

ولو أن فضيلة الكاتب عرض كلا الرأيين مع أدلتهما ثم انتهى إلى ترجيح ما يراه حقا لمرجحات رآها ، لما كان لنا أن نفوه بكلمة ، لأنه يكون قد سار على سنن العلم ، ولكنه آثر ان يعرض ما رآه حقا دون الاشارة إلى وجود رأى مخالف ، فأوهم القارئ انه هو الحق الذي لا خلاف فيه ــ مع أن الخلاف فيه قديم .

٢ ــ وعماد الأدلة التي استدل بها الكاتب على أن الميت لا ينتفع بعمل الحي إن وهب ثوابه له : القرآن ، والسنة ، والقواعد الفقهية ، وأقوال الفقهاء والاصوليين ، ولكن جميع هذه الأدلة لدى النظر الدقيق هي في غير محل النزاع .

٣ ــ اما استدلاله بالقرآن الكريم :

أ ــ فقد استدل بقوله تعالى : **(أفرأيت الذي تولى . وأعطى قليلا**

وأكدي . أعنده علم الغيب فهو يرى . أم لم ينبأ بما في صحف موسى . وإبراهيم الذي وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وان ليس للانسان إلا ما سعى . وإن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجــزاء الأوفى) النجم/ ٣٣ ـ ٤١ .

وأنت اذا تأملت هذه الآية جيــدا لوجدتها في غير محل النزاع ، وانها لا صلة لها بموضوع وصول ثواب عمل الحي الى الميت ، فصدر الآية الكريمة في العذاب ... وقوله تعالى فيهــا : **(ألا تزر وازرة وزر أخــرى)** يعني : لا تحمل نفس أوزار نفس أخرى وسيئاتها ، كما فسرها فضيلة الكاتب ، فهي إذن في موضوع « **عدم تضرر الانسان بعد موته بعمــل غيره** » وشتان بين هذا وبين ما أراده الكاتب من الاستشهاد بها على عدم انتفاع الانسان بعد موتــه بعمــل غيره » .

ب ـ واستدل أيضا بقوله تعالى : **(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ومــا ألتناهم من عملهم من شئ كل امــرئ بمــا كســب رهــين)** الطور/ ٢١ ـ وهي ليست في محل النزاع أيضا ، لأن الآية الكريمة في منطوقها تدل على أن الذين احسنوا اعمالهم لله كان لهم ثواب أعمالهم يوم القيامة ، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، لأنه سبحانه اكرم من أن يضيع للانسان عملا صالحا فلا يثيبه عليه ، وهذا هو معنى قوله تعالى في آخر الآية : **(كل امرئ بما كسب رهين)** وقــد فسره أولهــا ، وهــو سبحانه لا يعاقب إنسانا على عمل غيره كما قرره الكاتب نفسه .

فليس في الآية إذن ما يدل على أن الانسان لا ينتفع بعمل غيره إذا وهب ثوابه اليه ، بل هي في موضوع غير هذا الموضوع كليا .

٤ ـ أما الحديث الشريف : « اقرءوا يس على موتاكم » فاننا مع الكاتب في عدم نهوضه للاستدلال به لما فيه من الضعف .

٥ ـ أما القاعدة الفقهية التي استدل بها فهي : « ان القربات يقتصر فيها على النصوص » وليســت القاعــدة كذلك ، بل هي « إن العبادات يقتصر فيهــا على النصــــوص » لأن باب القربات باب واسع جدا ، فكل عمل صالح أريد به وجه الله تعالى فهو قربة ـ وقد لا يكون عبادة بالمعنى الاصطلاحي للعبادة عند الفقهاء ـ حتى الطعام والشراب وقضاء الوطر تصبح قربة إذا ابتغى بها وجه الله تعالى .

اما العبادات فانها لا تصح ولا تقبل إلا إذا أديت على الوجه الذي شرعه الله تعالى ، ومن هنــا قال الفقهــاء : « العبادات توقيفية » ولم يقولــوا : « القرب توقيفية » .

٦ ـ اما كلام الفقهاء والأصوليين : فقد اورد فضيلة الكاتب كلاما لابن القيم ، وآخر للشاطبي :

أ ـ قال ابن القيم : « المفرط من غير عذر لا ينصفه أداء غيره عنه لفرائض الله تعالى التي كان هو المأمور بها ،

ابتلاء وامتحانا له ، دون غيره ، فلا تنفع توبة أحد عن أحد ، ولا إسلامه ولا صلاته ولا غير ذلك » .
وانت ترى أن هذا النص في غير موضوع النزاع ، فموضوع النزاع : « هل يصل ثواب قراءة القرآن للميت أم لا يصل » مع الاتفاق على أن هذا الثواب لا يعني إسقاط الفريضة عنه ، بل هو ثواب ينتفع به باعلاء درجاته في الجنة أو تكفير بعض سيئاته .
وهذا النص لابن القيم هو في النيابة في فرائض العبادات البدنية ، وهو لم يقل به أحد من أهل الاسلام ، فأين هذا النص مما نحن فيه .
٧ ــ قال الشاطبي : اما النوع الثاني : وهو ما كان من قبيل العبادات فالمقرر فيه : أن التعبدات الشرعية لا يقوم فيها أحد عن أحد ، ولا يحمل وزر التقصير فيها غير المقصر » .
ونحن لو دققنا في عبارة الشاطبي ــ وهي عبارة دقيقة جدا ــ لوجدناها تنص على أنه « لا يقوم بها احد عن أحد » مع العلم أن الذي يهب ثواب تلاوة القرآن للميت لا يتلو عنه القرآن ، ولكنه يهب ثواب تلاوته هو للميت ، وشتان ما بينهما .
٨ ــ ورد في المقال أيضا : « لو صحت النيابة في العبادات البدنية لصحت في القلبية ، كالايمان والصبر والشكر والرضا والتوكل وما اشبه ذلك » .
ومع أننا لا نسلم أن هبة ثواب قراءة القرآن للميت من باب النيابة في العبادات البدنية ــ كما قدمنا ــ فان الذي عجزنا عن فهمه هو وجه التلازم بين صحة النيابة في العبادات البدنية ، وصحته في العبادات القلبية .
٩ ــ ونحن مع فضيلة الكاتب في قوله : « إن دعاء الداعي وتصدقه طاعة مقدمة منه له تعالى ، يرجع ثوابها له نفسه ، سواء استجاب الله دعاءه أم لا .. وانما ينتفع المدعو له بهذا الدعاء ان كان فيه اهلية من ذلك ، من صالح الأعمال ، وحسن الاخلاص » .
ونحن نقول : وكذلك هو الأمر بذاته بالنسبة لقراءة القرآن ، فان ثوابها يرجع الى القارئ ذاته ، فان كان القارئ ليس من أهل الثواب فان ثوابها لن يصل الى الميت قطعا ، وان كان من أهل الثواب ودعا الله تعالى أن يجعل ثواب هذه القراءة للميت وكان الميت أهلا لذلك كان له ذلك ، وان لم يكن أهلا لذلك فثواب القارئ له لا يتعداه إلى الميت .
وبعد :
إن كان لنا رجاء ، فان رجاءنا إلى الباحثين والكتاب المعاصرين ، عرض الأمور عرضا علميا موضوعيا ، وافق هواهم أم لم يوافقه ، والبعد عن التهويل ، وعن تحميل الأقوال والأفعال ما ليس مرادا منها ، لأن القيم والأحكام أمانة في أعناقهم ، فعليهم صيانتها ، وان ما يكتبونه اليوم سيكون تراثا يحتكم إليه في المستقبل ، فاذا كان الميزان مختلا فكيف تستقيم الأمور .

مع الأئمة الأربعة (١)

أبو حنيفة ومالك

للاستاذ : محمد إمام

ابو حنيفة ..

النعمان بن ثابت

نحن الآن في آواخر العهد الأموي وأوائل العهد العباسي . حيث زاد الخلاف بين اهل الحديث وأهل الرأي .

ففي الحجاز وعلى رأس مدرسة الحديث مالك بن انس وتلاميذه ، وفي العراق مدرسة الرأي وخاصة الكوفيون وعلى رأسهم أبو حنيفة النعمان .

وقد اجمع المؤرخون على ان أبا حنيفة ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، اي انه ولد في عهد عبد الملك بن مروان ، الذي مات

وأبو حنيفة في السادسة من عمره ، ثم في ولاية الحجاج على العراق ، الذي توفي وابو حنيفة قد بلغ الخامسة عشرة من عمره .

وكان ابو حنيفة طويلا تعلوه سمرة ، لباسا ، حسن الهيئة ، كثير التعطر ، يعرف بريح الطيب إذا اقبل ، وإذا خرج من منزله قبل أن تراه .

فقد نشأ ابو جنيفة في الكوفة ، وكان في زمانه بعض الصحابة وكبار التابعين ، سمع منهم الحديث ولم يقتصر جلوسه بمسجد الكوفة على التعلم فحسب بل كان يجلس في حلقات الفقه والشعر والنحو ، وفي هذه الحلقات يتكلمون في القضاء والقدر ، والكفر والايمان وغير ذلك من علم الكلام ، وبعد ان بلغ في ذلك كله مبلغا كبيرا تحول إلى الفقه .

وروى عن ابن الهنيل ، قال : (سمعت آبا حنيفة يقول : كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغا يشار إلى فيه بالاصابع ، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن ابي سليمان ، فجاءتني امرأة يوما فقالت :

رجل له امرأة يريد ان يطلقها للسنة كم يطلقها ؟ فأمرتها ان تسأل حمادا ثم ترجع فتخبرني .. فرجعت فاخبرتني ، فقلت : لا حاجة لى في الكلام ، وأخذت نعلى فجلست إلى حماد) أما عن دراسته الفقه .. فقد درسه في مدرسة الكوفة كما تقدم ، وكانت مدرسة لها رجال ، ومن اشهر رجالها هم : عبد الله بن مسعود في الكوفة ، وهو فقيه جليل ، وعلي بن ابي طالب في الكوفة ، وقد خلف مجموعة من القضايا والفتاوي لأهل العراق ، وعلقمة بن قيس النخعي كان خير تلاميذ ابن مسعود ، ومسروق بن الاجدع الهمداني الذي خلف لأهل العراق كثيرا من الفتاوي ، وشريح بن الحارث الكندي ، وعامر بن شراجيل الشعبي ، والأسود بن يزيد النخعي وإبراهيم النخعي ، ثم جاء حماد بن ابي سليمان الأشعري وقد جمع ذلك كله وأسلمه لابي حنيفة فصاغه مذهبا .

كما اخذ أبو حنيفة عن عطاء بن ابي رباح ، وهشام بن عروة ، ونافع مولى ابن عمر . واكثر ما اخذ من علم فهو كما ذكرنا على يد استاذه حماد بن ابي سليمان الأشعري ، فقد كان واسع العلم فقيها ، مات سنة ١٢٠ وكان أبو حنيفة قد لزمه نحو ثمانية عشر عاما لما رأى من علمه ، فقد كان يقول : (حماد اعلم من رأيت) ، جالسه اولا نحو عشر سنوات ثم حدثته نفسه ان يستقل ، ويكون لنفسه حلقة خاصة ، ثم خجل من شيخه ، واتيحت له فرصة ذهاب حماد إلى البصرة ، فجلس مكانه يعلم ويفتى ، وعرضت عليه نحو ستين مسألة جديدة لم يسمع فيها شيخه ، فلما عاد سأله فيها فأقره على اربعين منها وخالفه في عشرين ، ولزمه حتى مات .

ولما كان حماد قد مات سنة ١٢٠ فيكون ابو حنيفة قد لازمه إلى أن بلغ

سنه نحو الأربعين ، وقد كان يجادل شيخه ويناقشه ويلازمه ، حتى روى عنه انه قال : لزمت حمادا لزوما ما أعلم أحدا لزمه مثل ما لزمته ، وكنت اكثر السؤال فربما تبرم منى ويقول : (يا ابا حنيفة قد انفتح جنبي وضاق صدري) ، وحتى روى انه قال له يوما : (انزفتني) اي اخذت كل ما عندي ، والى جانب علمه .. كان ابو حنيفة يحترف التجـارة ويسمونـه النعمان بن ثابـت الخـزاز ـ كان خزازا يبيع الخز ـ مما اكسبه فائدة وخبرة بالحياة المالية العملية ، وكان له دكان في دار عمرو بن حريث .

والأعشى يقول وقـد سئـل عن مسألة : (إنما يحسن الجواب في هذا ومثله النعمان بن ثابت الخزاز ، اراه بورك في عمله) .

منحاه في الاجتهاد

يسلك ابو حنيفة في القرآن الكريم مسلك كل الائمة ، إن اختلفوا في شيء فيه فاختلاف في فهم مدلوله واشارته وطرق الاستنباط منه . اما في الحديث فكان له مسلك خاص ، وهو التشدد في قبول الحديث ، والتحري عنه وعن رجاله حتى يصح ، وكان لا يقبل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم إلا إذا رواه جماعـــة عن جماعة . او كما يعبرون هم إذا كان خبر عامة عن عامة ، او كان خبرا اتفق فقهاء الأمصار على العمل به ، أو روى واحد من الصحابة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع منهم ، فلم يخالفه احد ، لأن هذا يدل على إقرارهم له ، ولو كانوا يخالفونه لردوا عليـه ، فكان هذا بمثابة الحديث يرويه جماعة .

وروى عن ابي يوسف انــه قال : « كان أبو حنيفة لا يرى أن يروى من الحديث إلا ما حفظه عن الذي سمعه منه » .

كما قال : « ردي على كل رجل يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف القرآن ليس ردا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تكذيبا له ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل ، والتهمة دخلت عليه ليس على نبي الله ، وكل شيء تكلم به النبي « صلى الله عليه وسلم » فعلى الرأس والعين قد آمنا به ، وشهدنا انه كما قال ، ونشهد أيضا انه لم يأمر بشيء يخالف أمر الله ، ولم يبتدع ، ولم يتقول غير ما قال الله ، ولا كان من المتكلفين .

وقد روى عنه انه قال : « إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته ، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » اخذت بقول أصحابـه من شئت ، وأدع قول من شئت ، ثم لا اخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، فاذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبى والحسن وابن سيرين ، وسعيد بن المسيـب ، فلى ان أجتهـد كمــا اجتهدوا » .

ويقول الدكتور احمد امين في كتابه ضحى الاسلام ، في منهج الامام أبو حنيفة : « وعلى الجملة فقد كان

يشدد في الأخذ بالحديث ، وهذا – من غير شك – يضطره إلى التوسع في القياس والاستحسان فما لم يكن فيه اثر كتاب ولا اثر صحيح ، فليس فيه أمام المجتهد الا القياس والاستحسان » ، ويقول ايضا : « كذلك كان من مبدئه إعمال عقله فيما إذا روى في المسألة قولان او اكثر للصحابة فيختار منها اعدلها او اقربها الى الأصول العامة ، وعدم الاعتداد بأقوال التابعين إلا ان يوافق اجتهاده » .

وروى أنه قال ستين الف مسألة وقال بعضهم ثلاثا وثمانين ألفا في العبادات ، وخمسا وأربعين ألفا في المعاملات .

وان دل ذلك العدد على شيء فانما يدل على كثرة ما سئل وما اجاب ، وكثرة ما جادل وعارض فيما يفتى ، فيقيم الحجج القوية على ما افتى ، ، وقد نازله فقهاء عصره وغالبا ما انتصف منهم ، ونسوق هنا مثالا مما روى عنه .

جاءه جماعة من اهل المدينة ليناظروه في القراءة خلف الامام (وابو حنيفة يقول بعدم القراءة) ، فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ، فولوا الكلام اعلمكم ، فأشاروا الى واحد ، فقال : هذا اعلمكم ؟ والمناظرة معه كالمناظرة معكم ؟ قالوا .

نعم ، قال : والحجة عليه كالحجة عليكم ، قالوا : نعم ، قال : إن ناظرته لزمتكم الحجة لأنكم اخترتموه فجعلتم كلامه كلامكم ، وكذا نحن اخترنا الامام فقراءته قراءتنا .

ومئات من المسائل استعمل فيها الرأي والقياس او الاستحسان ، وردت في كتب الفقه والمناقب ، ولا يتسع بنا المجال لذكرها .

الحيل الشرعية

ومن ابواب الفقه في المذاهب الاربعة . باب الحيل الشرعية ، ولو انها في مذهب ابى حنيفة اخذت نصيبا اكبر من الدراسة والبحث ، فقد الفت فيها الكتب الكثيرة ، وقد خصص ابن القيم جزءا كبيرا من كتابه « اعلام الموقعين » في الكلام في الحيل ، وفي قيمتها والتشنيع على من توسع فيها .

ولقد وضعت حيل للهروب من كل الالتزام ، فحيل لاسقاط الشفعة ، وحيل لتخصيص بعض الورثة بالوصية ، وحيل في اسقاط حد السرقة وهكذا .

ونكتفي هنا بمسألة واحدة ، مما روى عن ابي حنيفة في باب الحيل الشرعية .. وكان سكان العراق قد تفننوا وفتئذ في الأيمان والطلاق – فيحلف الرجل : ليقربن امرأته نهارا في رمضان ، فيفتيه أبو حنيفة ان يسافر بها فيقربها نهارا في رمضان .

وعلى هذا النمط ، وما شابه تلك الحيلة من الحيل التي افتى بها ابو حنيفة ليست من نوع التحايل على إبطال الحق .. انما هي استخراج فقهي للخروج من مأزق ، ودون

التعدي على احد في ماله او نفسه .

مؤلفاته

كل ما نكره ابن النديم عن كتب ابي حنيفة هو : كتاب الفقه الاكبر ، ورسالته الى البستي ، وكتاب العالم والمتعلم ، وكتاب الرد على القدرية . ويبدو انه لم يؤلف في الفقه ، ولكن تلاميذه كانوا يحفظـون اقوالــه .. فنقلوا إلينا اقواله في أبواب الفقه ، وجـدوا في المحافظـة على مذهبـه بتدوينه ، والاستدلال له ، وترتيـب مسائله وتوسيعها ، واشهر تلاميذه واقربهم إليـه هو ابـو يوسـف ١١٣ ـ ١٨٢ ، الذي افاد من فقه ابي حنيفة اعظم فائدة ، وقدر له ان تولى القضاء لثلاثة من الخلفـاء : المهدي ، ثم الهـادي ، ثم هارون الرشيد ، وقد اصبح في عهده قاضي القضاة ، وبقاء ابي يوسف في مثل ذلك المنصب عهدا كبيرا .. يجمع بين الدين والمنصب والجاه إنما يدل على لباقة فائقة قلما تتوفر لغيره .

وعلى الجملة فقد انتشر فقه ابي حنيفة في العراق ، وكان طبيعيا ان يسود في العراق ، ففيه نشأ ، ومذهب البلد ادرى بما يعرض من المسائل واقدر على حلها ، وهو باعتماده على الرأي والقياس ـ حيث لا نص يصح ـ اكثر اسعافا للفتوى فيما يجد من احداث تتطلب سرعة في البت .

تلك هي مدرسة الكوفـة التـي تركزت في ابي حنيفة ، وسوف ننتقل لمدرسة المدينة والامام مالك .

مالك بن أنس

ونحن في أواخر العهد الأموي وأوائل العهد العباسي ، حيث الخلاف على أشده بين أهل الرأى وأهل الحديث وفي العدد الماضي تعرفنا على الامام ابى حنيفة النعمان صاحب مدرسة الرأى ، وتعرضنا لحياته ومنحاه في الاجتهاد .

ونحن اليوم نعرض لصاحب مدرسة الحديث مالك بن أنس ، وهو مالك بن أنس الأصبحي المدني ، والأصبحي نسبة الى ذى أصبح قبيلة يمنية ، والأشهر أنه عربي الأصل وأن نسبه الى ذى أصبح نسب عربي صحيح ، وبذلك قال الواقدي ، ولكن محمد بن اسحق خالفه في ذلك ، وزعم أن مالكا وجده وأعمامه موالى لبني تيـم بن مرة .

وروى أنه أخذ القراءة عن نافع بن أبى نعيم ، وسمع الحديث من كثير من شيوخ المدينة وها هم أساتذة مالك وشيوخه الذي سمع منهم الحديث .

أولا : عصر الصحابة

عمر ، عثمان ، عبد الله بن عمر ، عائشة ، ابن عباس ، زيد بن ثابت .

ثانيا : التابعين

فقهاء المدينة :

عبدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود توفي ٩٤ ، عروة بن الزبيـر ٩٤ ، القاسم بن محمد بن ابي بكر ١٠٦ ، سعيد بن المسيب ٩٣ ، سليمان بن

يسار ١٠٠ ، خارجة بن زيد بن ثابت ١٠٠ ، ابا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ٩٤ ابن شهاب الزهري ١٢٤ ، نافع مولى عبد الله بن عمر ١١٧ ، ابو الزناد عبدالله ابن ذكوان ١٣١ ، ربيعة الرأى ١٣٦ ، يحيى بن سعيد ١٤٣ .
وعبد الله بن وهب ١٩٧ ، عبد الرحمن ابن القاسم ١٩١ ، أشهب عبد العزيز ٢٠٥ ، عبد الله بن عبد الحكم ٢١٤ ، يحيى بن الليثى ٢٣٤ .

أساس التشريع عند مالك

وكما نرى أن أكثر هؤلاء الرجال عرفوا بالحديث والفقه فيه .. مما جعل مالكا لا يشترط في الحديث ما اشترطه أبو حنيفة من تشدد في قبول الحديث ، والتحري عنه وعن رجاله ، بل كان مالك يعمل بخبر الواحد اذا صح او حسن ، مما جعل الأحاديث التي يبنى عليها مذهبه أكثر عددا ، ولا يدل ذلك على تساهله في قبول الحديث بغير تحر ، بل هو شديد التحري ولكن لا يشترط شهرة الحديث وعمومه كما هو الحال في مذهب ابى حنيفة ..
وكان يقول : « لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم : لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به » .
وهناك أيضا عمل اهل المدينة .. فكان مالك يدل بعملهم ، ويرى أنهم أدرى بالسنة وبالناسخ والمنسوخ ، ويقول في كتابه لليث بن سعد :
« ان الناس تبع لأهل المدينة التي اليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن » .
ومن مسلك مالك في التشريع ، العمل بقول الصحابى ان صح نسبته اليه ، وكان من أعلام الصحابة مثل الخلفاء الراشدين ، ومعاذ بن جبل ، وابن عمر . وإن لم يرد في المسألة عينها حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – صحيح .
ومما تقدم نرى أن ما سلكه مالك في التشريع سواء أكان عمل أهل المدينة أم قول الصحابى .. كان من شأنه تضييق دائرة الرأى ، ومع هذا فلم ينكر مالك الرأى بتاتا ، فمن أصول مذهبه القول بالمصالح المرسلة أو الاستصلاح ، ورويت عنه اقوال دليلها الاستحسان .. ويقول الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام :
« فمن هذا نرى ان مسالك الأئمة من أصحاب الرأى وأصحاب الحديث ، تكاد تكون واحدة في العدد ، ولكن الاختلاف انما هو في سعة الدوائر ، وضيقها ، فان ضاقت دائرة الحديث ، واتسعت دائرة الرأى عند الأولين كان الأمر على العكس عند الآخرين ، أما عدد الدوائر نفسها فتكاد تكون واحدة » .

مؤلفات مالك

من أكبر آثاره ، وأهم مؤلفاته التي نقلت الينا .. الموطأ ، والمدونـة .. ونحن نتعرض لكل منهما في ايجاز .. نرجو ألا يضر بهما شيئا ، أو نجحف حق مالك فيما يستحق على ما بذله من جهد ، وما قدمه من علم ينتفع به الى يومنا هذا .

(١) الموطأ :

وقد اختلف العلماء في سبب تسميته ، فبعضهم قال انه شيء صنعه ووطأه للناس ، ومهد به العلم ويسره . فسمى من أجل ذلك بالموطأ ، والبعض قال :

ان مالكا لما ألفه عرضه على الشيوخ فواطأوه فسمى الموطأ .

وعلى كل فالكتاب فيه مظهر للحديث ومظهر للفقه .. أما الحديث فأغلبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين ، وقد أخذ هذه الأحاديث عن رجال بلغوا نحو خمسة وتسعين رجلا كلهم مدنيون الا ستة ..

اما المدنيون .. فقد روى عن بعضهم الكثير مثل ابن شهاب الزهري ، ونافع ويحيى بن سعيد ..

أما عن هؤلاء الستة .. فاثنان بصريان ، ومكي واحد ، وخراساني وجزري وشامي ، والأحاديث التي يرويها عنهم قليلة جدا ، وقد لقيهم مالك إما في المدينة أو في مكة ، ومما يذكر أن بعض نسخ الموطأ ليس فيها بعض هؤلاء الستة ..

وبعض الأحاديث في الموطأ مسندة ، وبعضها مرسلة ، ومتصلة ومنقطعة ، وبعضها مما يسمى بلاغات وقد روى أن مالكا « جمع في الموطأ اربعة آلاف حديث أو أكثر ، ومات وهي الف ونيف ، يخلصها عاما عاما بقدر ما يرى انه اصلح للمسلمين وأمثل في الدين » ..

هذا عن مظهر الحديث في كتاب الموطأ ، أما عن مذهب الفقه .. فقد رتبه ترتيب الفقه فكتاب الطهارة ، ثم الصلاة ، ثم الزكاة وهكذا ..

وقد جمع الموطأ وظل سنين يحرره ، وكان دائم التغيير فيها ، فهو يحذف منه ما يتبين له عدم صحته ، وتختلف الروايات في ترتيب الأبواب وعدد الأحاديث حتى عدها بعضهم عشرين نسخة ، وبعضهم ثلاثين .

وفي الموطأ يقول الدكتور أحمد أمين :

« وعلى كل حال فكتاب الموطأ يعد من أوائل الكتب التي ألفت في الحديث والفقه ، وقد نشره الآخذون عن مالك في الأمصار ، فمحمد بن الحسن في العراق ، ويحيى بن يحيى الليثي في الأندلس ، وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم ، وعبد الله بن الحكم وأشهب في مصر ، واسد بن الفرات في القيروان .. الخ ، وكان له أثر كبير في الحركة العلمية الدينية على اختلاف العصور .

(٢) المدونة :

وهي مجموعة من الرسائل تبلغ نحو ست وثلاثين ألف مسألة ، جمعها

أسد بن الفرات ، النيسابوري الأصل ، وهو تلميذ مالك .. رحل الى العراق وقد سمع منه الموطأ ، وفي العراق لقي صاحبي ابي حنيفة أبا يوسف ومحمدا ، وسمع منهما الفروع على الطريقة العراقية ، ثم ذهب ولقى أصحاب مالك بها ، ولا سيما ابن القاسم ، وعرض عليهم هذه الفروع ونحوها ، وسمع منهم حكمها على مذهب مالك ، إما حسب ما سمعوا من مالك ، وإما اجتهادا على أصوله ومنحاه ، وجمع اسد بن الفرات ذلك كله في كتاب سمى المدونة ، ثم رحل بها الى القيروان فأخذها سحنون ، الفقيه المغربي ، وعاد بها الى مصر سنة ١٨٨ فعرضها على ابن القاسم وأصلح فيها سحنون فقد كانت غير مرتبة ولا مبوبة ، وعاد بها الى القيروان ، وانتشرت منها الى الاندلس وكان لها الفضل في نشر مذهب مالك في قطري المغرب والأندلس .

وهكذا يتضح أن المدونة ليست من تأليف مالك ، وانما هي جمع لفتاوى مالك في مسائل واجتهاد من تلاميذه في وضع أحكام لمسائل على قواعده ومبادئه .

وكما نرى .. فالرحلات وانتقال الرجال بين المدينة والعراق وسائر الأمصار ، قد عملت على استفادة كل مذهب بما للآخر .. فمدرسة أبى حنيفة قد وسعت الفقه بكثرة الفروع وبما يسلتزمه من رأى وقياس واستحسان .. في مواجهة المدينة ومشاكلها المعقدة ..

ونرى مدرسة مالك قد أثرت في الفقه بما نقلت من أحاديث كانت وافرة فيها بحكم قيام الرسالة فيها ، وكثرة الصحابة والتابعين .

ثم نرى من أصحاب المذهبين من كان ينتفع بمزايا كل ..

فنجد محمد بن الحسن الحنفي يرحل الى المدينة ، ويمكث فيها ثلاث سنين ويروى الموطأ ، ثم يعود الى العراق مزودا بالآثار .

ونجد أسد بن الفرات يذهب الى العراق ، ويعود الى مصر والقيروان ، وهكذا تأثرت المدرستان ، وتقارب المذهبان ، أبو حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ولقاؤنا القادم مع الامام الشافعي .. رضي الله عنهم جميعا ..

مائدة القارئ

دعوة الى الصبر

قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) .

الآية ٣٥ من سورة الاحقاف

* *

أين المحمدية ؟

كان يحيى بن معاذ كثيرا ما يقول : أيها العلماء : إن قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية ، ومواكبكم قارونية ! وأوانيكم فرعونية ، وأخلاقكم نمروذية ، وموائدكم جاهلية ، ومذاهبكم سلطانية ، فأين المحمدية ؟

جئتني بثلاث جنايات

زار أحد العلماء عابدا من عباد الله ونقل له كلاما عن بعض معارفه ، فقال له العابد ، قد أبطأت في الزيارة وجئتني بثلاث جنايات : بغضت الى أخي ، وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك .

السائرون في الركاب

يقول الشاعر :

عجبت لأهل العلم كيف تغافلوا
يجرون ثوب الحرص عند المهالك
يدورون حول الظالمين كأنهم
يطوفون حول البيت وقت المناسك

أعدها : أبو طارق

صلة الرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سره أن يبسط له رزقه ، أو ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه) .

أخرجه البخاري

الرزق

تكفل الله سبحانه بأرزاق جميع خلقه حتى الدواب ، ولكن الناس كثيرا ما يتكالبون على الدنيا متناسين هذه الحقيقة ، ومما يروى في نلك أن رجلا اشتكى الى أحد الزهاد كثرة عياله ، فقال له الزاهد : انظر من كان منهم ليس رزقه على الله فحوله الى منزلي .

عيسى عليه السلام .. واليهود

ولى أعرابي اليمن ، فجمع اليهود ، فقال : ما تقولون في عيسى ؟
قالــوا : قتلناه وصلبناه ، فقال : لا تخرجوا من السجن حتى تؤدوا ديته .
والقرآن يقول : **(وما قتلــوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) .**
ولكنهم على أية حال قتلة أنبياء الله ورسلــه كما أشار إلى نلك القرآن الكريم .

قصير ... وأقصر منه

جلس كسرى يوما للمظالم ، فتقدم إليه رجل قصير ، وجعل يقول : أنا مظلوم ، وهو لا يلتفت اليه .
فقال الوزير : أنصف الرجل ، فقال : إن القصير لا يظلمه أحد .
فقال الرجل : أصلح الله الملك ، إن الذي ظلمني أقصر مني .

حكم الإسلام في طفل الأنابيب

للدكتور احمد الحجي الكردي

الحمد لله رب العالمين وخالقهم ، والصلاة والسلام على أشرف من أرسل إليهم ، وعلى آله وأصحابه والتابعين . وبعد :

فقد قرأت المقال الذي نشرته مجلتكم الكريمة « الوعي الاسلامي » في العدد/١٦٧/ منها عن طفل الأنابيب للدكتور أحمد شوقي ابراهيم ، فتحفزت مرات وأنا أقرأ فيه الى مناقشته ، إلا أنني تصبرت ، وما أن أتممت قراءة المقال حتى وجدت في آخره ملاحظة للوعي الاسلامي ترحب فيها بتلقي المناقشات حوله كي يتضح الأمر وتسطع شمس الحقيقة ، فتأكدت عند ذلك الرغبة في المناقشة والاستدراك .

كما أشير إلى أنني قبل بضعة أشهر قرأت في العدد /٢٣٢/ من مجلة العربي الكويتية مقالا للدكتور يوسف القرضاوي تحت عنوان « قضايا علمية تنتظر أحكامها الشرعية » في نفس الموضوع المطروح هنا ، وقد أثار ذلك المقال وقتها في نفسي من المشاعر والرغبة في المناقشة مثل ما أثاره هذا المقال ، إلا أن الوقت لم يسعفني للقيام بالواجب .

إنني أقرر أن هذا الموضوع جديد ولم يطرقه أحد من فقهاء السلف ـ فيما أظن ـ ولهذا كان من الصعوبة بمكان البت فيه بحكم قاطع جازم ، إلا أنه ليس لهذه الصعوبة أن تثني فقهاء العصر عن الخوض فيه وبذل الجهد في الوصول الى حكمه في الشريعة الاسلامية ، بل إن الخوض فيه أصبح واجبا بعد ما تم إحراز تقدم كبير في أبحاثه لدى الطب الحديث ، وقد كنت ناديت بذلك قبل بضع سنوات في مقال نشرته مجلة الوعي الاسلامي في عددها رقم/٨٣ تحت عنوان « حكم الاسلام في التلقيح الصناعي » .

والحل الأمثل عندي ألا يبت في هذا الموضوع الخطير برأي شخصي مهما بلغ صاحبه من العلم والنزاهة والتقى ، وذلك لخطورة الموضوع وصعوبته وتشابه الأدلة فيه ، ولكن يجري البحث فيه من قبل جماعة من الفقهاء المتخصصين المأمونين في دينهم ، يجتمعون من أجل ذلك ، ثم

يعمل فيه بما ينتهون اليه من الحكم ، وإذا كان هذا الجمع متعذرا لبعض الوقت لظروف خاصة فلا أقل من ان يستكتب فيه جماعة من أولئك المشار اليهم ثم ينشر ما يكتبون بطريقة أو بأخرى وتتقبل المناقشات حوله ثم تنشر كذلك ، وفي النهاية لا بد أن يصل البحث الى نتيجة ويتضح الحق والصواب ، واذا كان ما قرأته في مجلة العربي ومجلتكم الموقرة باكورة لما أشرت اليه من الاستكتاب فانه باكورة طيبة وطريق مأمونة باذن الله تعالى .

وإذا كان لا بد لي من المشاركة والمناقشة لما تقدم فانني اكتفي الآن بوضع بعض إشارات في معالم الطريق الطويلة الى الوصول الى الحكم الصحيح في هذا الموضوع الخطير وهي :

١ ـ إن اتباع طريق التلقيح الصناعي « نقل النطفة من الرجل الى رحم زوجته بطريقة آلية » وكذلك طريقة طفل الأنابيب « وضع البويضة في أنبوب وتلقيح هذه البويضة بحوين الرجل » سوف يتطلب دون شك كشفا لعورة الرجل وعورة المرأة المغلظتين أمام الطبيب الأجنبي عنهما ، وهو أمر محرم بنصوص القرآن والسنة القاطعة التي لا لبس فيها .

نعم إن كشف العورة يباح لضرورات طارئة ، إلا أن هذا العمل ليس من تلك الضرورات بكل تأكيد مهما كان الدافع والداعي اليه ، لعدم استجماعه شروطها وقيودها .

٢ ـ إن الوصول إلى نينك الأمرين سوف يتطلب تهييجا للرجل وإثارة لغريزته الجنسية فيه أمام الطبيب الأجنبي عنه ، وربما احتاج الأمر الى ما هو أبعد منه وأكثر فحشا ، وإلا لم يمكن الحصول منه على النطفة ، وفي ذلك خروج عن حدود اللياقة والخلق الكريم وقواعد الدين الحنيف ، بل عن حدود الانسانية إلى الحيوانية .

٣ ـ انه طريق مفروشة بالذرائع والشبهات ، فلربما بدل الطبيب نطفة الزوج بنطفة أخرى غيرها ، أو بدل بويضة المرأة ببويضة غيرها عن عمد وسوء نية ، أو عن خطأ ، فتشتبه بذلك الأنساب وتختلط ، وهما مما يحتاط له الدين الاسلامي كل الاحتياط ، وكذلك الخلق العربي الأصيل ، وهذا التبدل أمر وارد مع انتشار هذه العملية وعمومها في الأوساط وقلة الأمانة لدى بعض من يمتهنونها ، ومعلوم أن سد الذرائع من قواعد الاسلام .

٤ ـ ربما تسببت هذه العمليات في تغييرات جذرية في نفس الطفل أو خلقه أو خلقه ، مما يعود عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه بأفدح الأضرار ، وهو أمر متوقع بل مظنون ، ولنتصور الآن أعدادا كبيرة من المشوهين في خلقتهم أو خلقهم في مجتمع ما ، كيف يكون معه حال هذا المجتمع ، وربما كانوا هم القادة فيه في يوم من الأيام .

٥ ـ أي كرامة تبقي لطفل يعلم أنه تكون في أنبوب أو نقل من أبيه الى أمه في أنبوب ، وإنه مشكوك في نسبه إلى أبويه إن ظنا أو وهما ، ما هو موقف هذا الطفل من نفسه أمام الأطفال

الطبيعيين الآخرين ؟ وأي موقف له من والديه أمام إخوته وأبناء عمه الطبيعيين ، بل أي نظرة سوف ينظر بها الأبوان والأقارب إلى هذا الطفل الصناعي ، ولربما أطلق عليه في المستقبل فعلا « الطفل الصناعي » ، ولربما قسم علماء الاجتماع الأطفال الى قسمين : أطفال طبيعيين وأطفال صناعيين ، وذلك إذا ما انتشرت هذه الطريقة وعمت في الانجاب .

ومعلوم أن أجمل ما يميز به القرآن الكريم الانسان عن غيره من الحيوانات الأخرى هو الكرامة : **(ولقد كرمنا بن آدم)** الاسراء / ٧٠ .

ثم ان نقاء النسب من أشرف ما يتشرف به العربي ويحرص عليه وهو ما أقره الفقه الاسلامي ورعاه ، وفي اللجوء إلى هذا الطريق إثارة للشبهات في صحة الأنساب ونقائها . وخروج على هذا المبدأ المعتبر .

٦ ـ ما هو الداعي الى التلقيح الصناعي أو التربية في الأنابيب بعدما تقدم من الصوارف والموانع ، هل هو ضرورة ملحة يجب أن يستهان بكل ما يمنع من تحقيقها ؟ وما هي هذه الضرورة ؟

أ ـ أهي الرغبة في تكثير النسل ، والعالم كله يشكو من الانفجار السكاني ؟

ب ـ أم هي الرغبة في تحسين الخلق بالتدخل في تغيير (الكروموزومات) في الخلية الأولى .

حـ ـ أم هي الرغبة في معرفة حال الجنين أذكرا أم أنثى ، وهو مما استأثر الله تعالى بعلمه : **(ويعلم ما في الأرحام)** لقمان / ٣٤ .

د ـ أم هي تطبيب نفس الزوجين العقيمين بتأمين الخلفة لهما ، وهو أمر إن صح الاعتناء به أتفه بكثير من أن يلتفت اليه بعد تهيب تلك الصوارف والموانع كلها عن تحليل هذه العملية ، سيما وان الله تعالى شاء أن يكون في الأمة عقيم فقال : **(ويجعل من يشاء عقيما)** الشورى / ٥٠ .

وأخيرا لا بد من التذكير بالقاعدة الفقهية الكلية « الأصل في الأشياء الاباحة ، والأصل في الفروج التحريم » ، ولهذا فان البحث الفقهي ينبغي ان يتجه إلى تلمس الدليل المبيح لهذه العملية ولا يكتفي منه بنفي الدليل المانع . وهو أمر بعيد العثور عليه ـ فيما أظن ـ .

وعلى كل فان ما قدمته لا يزيد على أنه نقاط وملاحظات ومعالم في طريق البحث عن حكم الله تعالى في هذا الموضوع الخطير ، وليس بحثا في ذاته ، وأرجو أن يتابع الفقهاء المعاصرون مناقشة هذا الموضوع بدقة ودراية ونزاهة على ضوء ما قدمت من ملاحظات والله تعالى من وراء القصد .

تعليق

ما زالت المجلة تنتظر المزيد من ردود السادة المتخصصين في المجالات الاسلامية على أمل التوصل الى نتيجة قطعية تقتنع بها الذهنية الاسلامية .

قالوا في الأمثال

برق لو كان له مطر :

مثل يضرب لخداع المظاهر . وكان العرب يستبشرون بالبرق لأن المطر يعقبه غالبا ، فاذا رأوا برقا ملأهم الأمل ، وتمنوا أن يتحقق فيمطر ، فاذا أخلف الظن تألموا لضياع نلك الأمل . وهكذا لو توسم إنسان في رجل كرما أو شجاعة او وفاء ثم لم يجد منه نلك . قيل في شأنه « برق لو كان له مطر » .

إياك أعنى واسمعي يا جارة :

مثل يضرب لخطاب غير المراد ليسمع المراد ..
فاذا أراد إنسان من آخر أمرا ولم يستطع توجيه الخطاب اليه مباشرة فانه يعمد الى خطاب إنسان آخر وغرضه من نلك أن يسمع المراد بالخطاب أصلا وهنا يقال :
إياك أعني واسمعي يا جارة ...

رمتني بدائها وانسلت :

مثل يضرب لمن وصف غيره بعيب هو من صفات الواصف قالوا : تزوج رجل من العرب امرأة جميلة على ضرائر ، فكن يغرن منها ويحاولن إيذاءها ، فيساببنها بكلمة ليست فيها ، فكانت تتألم من هذا الافتراء ... وضاقت المرأة بضرائرها فشكت الى أمها ما يصنعن ، فعلمتها أمها أن تبدأهن هي بهذه الكلمة إذا ساببنها ، فارتقبت حتى اشتبكت إحداهن معها ، فبدأتها بتلك الكلمة فقالت ضرتها :
« **رمتني بدائها وانسلت** »
أي ألصقت بي ما بها وخرجت منه .

حماية حق المرأة

للأستاذ : سالم البهنساوى

نشرت لى مجلة الوعى الاسلامى أربعة أبحاث عن مشكلات الأسرة وكان آخرها البحث المنشور في شهر رجب ١٣٩٨هـ بعنوان الخلع وحماية حق المرأة بين الشريعة والقانون .

وفي شهر ذى القعدة ١٣٩٨هـ نشرت المجلة بحثا للمستشار الشيخ محمود الأزرق رئيس محكمة الاستئناف العليا سابقا ، جاء به عدة أمور تستلزم وقفة موضوعية ، وهذه الأمور هى :

بين الفقه السلفي والقانوني

أولا : مقابل الخلع والتعسف فيه :

استدل فضيلته بأقوال لبعض الفقهاء تفيد أن للمرأة أن تفتدى نفسها بجميع ما تملك ، ثم قال : (ولا وجه للاستدلال بحديث امرأة ثابت بن قيس فقد قال الفقهاء انه فتيا وليس حكما ، أو أن أخذ الاكثر خلاف الأولى).

وهو بهذا لا يقر ترجيحى للرأى القائل ان حكم النبى صلى الله عليه وسلم هو رد المهر فقط .

ولا يقر قولى (بتناقض القانون مع نفسه لأنه يبيح الطلاق للضرر دون أن تتحمل الزوجة شيئا ، فكان الأولى أن ينص القانون على اختصاص القاضى بالحكم بالخلع ، اذا عرضت الزوجة المقابل العادل ورفضه الزوج وتحقق الموجب للخلع).

وقد استند الى أقوال في الفقه تجيز أخذ الزيادة عن المهر وتستدل بقول الله تعالى : **(فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)** البقرة/٢٢٩ . ويؤكد رأيه بقوله : « فالآية دليل على جواز أخذ الزوج في مقابل الخلع اكثر مما أعطى ، لا كما جاء في البحث من أنها تدل على عدم الجواز » ذلك ان قوله تعالى : **(فلا جناح عليهما فيما افتدت به)** عام يشمل كل ما يجوز الافتداء به ، زاد عما دفعه الزوج أو نقص أو ساواه).

والجواب على ذلك بايجاز هو :

١) أن حديث ثابت بن قيس ورد بروايات أخرى تمنع أخذ الزيادة عن المهر ومن ذلك :

أ ـ أخرج ابن ماجه بسنده عن ابن عباس « أن جميلة بنت سلول أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ما

أعتب على ثابت في دين ولا خلق ، ولكنى اكره الكفر في الاسلام ، لا أطيقه بغضا ، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته (كانت هى مهرها) قالت : نعم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد » . والحديث أخرجه أيضا النسائى والبيهقى .

ب ـ رواية ابن الزبير عند الدارقطنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أتردين عليه حديقته التى أعطاك ، قالت : نعم وزيادة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم :

أما الزيادة فلا ، ولكن حديقته ، قالت : نعم : فأخذها له وخلى سبيلها ، فلما بلغ ذلك ثابت بن قيس : قال : قد قبلت قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم).

والحديثان رويا عن طريق الثقات ومن رجال الصحيح ـ نيل الأوطار للشوكانى ـ كتاب الخلع) ٧٨ .

٢) أن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا البيان قد صرح بأن حكمه وهديه أن يستحق الزوج عند المخالفة المهر فقط ، فلا مجال بعد ذلك للاحتجاج بعموم قول الله تعالى : **(فلا جناح عليهما فيما افتدت به)** لأسباب أهمها :

أ ـ ان هذا العموم مسبوق بقوله تعالى : **(ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ألا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به).**

فظاهر النص القرآنى أنه لا يحل أن يأخذ الزوج شيئا مما أعطاه وأنه عند الخوف من عدم استقامة الحياة الزوجية فلا جناح فيما افتدت به الزوجة نفسها ، وهذا مؤداه أن مقابل الخلع هو المحدد في قول الله (مما آتيتموهن) وهذا لا يفيد الوفاء بأكثر من المدفوع .

ب ـ كما أن العموم في قول الله تعالى : **(فيما افتدت به)** مخصص بهذه الاحاديث النبوية (التى جعلت الفداء في حدود المهر ولا يتعداه).. وفي هذا قال الشوكانى : (لا يخفى أن الروايات المتضمنة النهى عن الزيادة مخصصة لهذا العموم).

٣) حكم النبى صلى الله عليه وسلم في قضية زوجة ثابت بن قيس ، وقد أورد فضيلة الشيخ بشأنه تأويلا (بأنه فتيا وليس حكما) وهذا التأويل ولد ميتا ، لحقائق أظهرها :

أ ـ أن الروايات السابق ذكرها ورد فيها عبارة (فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ حديقته ولا يزداد) والأمر ليس فتيا كما ورد قول ثابت (قد قبلت قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم) والقضاء ليس من الفتيا .

ب ـ أن وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالمفتى يخالف الواقع الذى دلت عليه النصوص ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يشرع عن الله وقاض يحكم بين الناس بشرع الله وحاكم ينفذ فيهم جبرا عنهم ولا مجال أبدا

أن يقترن تصرف لحضرته صلى الله عليه وسلم بوصف الفتـوى ، ولا مجال للقول ان المرأة كانت تطلب الرأى والفتوى لا الحكم والقضاء لأن زوجها صرح بقبوله هذا القضاء .

ج ـ ما تمسك به شيخنا في قوله : (قال الفقهاء انه فتيا وليس حكما) ليس تنزيلا من لدن حكيم خبير حتى نتبعه وندع صريح الاحاديث النبوية الشريفة لأنه لا اجتهاد مع النص .

ثانيـا : علاج التعسـف في المخالفة :

استهجن فضيلة الشيخ الأزرق أن أقول ان القوانين العربية تناقضت حيث نص فيها على أن الخلع لا يكون الا برضاء الزوج دون أن تعالـج التعسف (بأن تلجـأ الزوجـة الى القاضى). وكان سنده في ذلك قوله : (وما جاء بالقوانين التى أوردهـا الكاتب فيما يتعلق بالخلع مصدره الفقه الاسلامى اذ الفقهاء مجمعون على أنه لا يتم الا برضاء الطرفين ، فاذا امتنع احدهما عن الخلع ، فلا يجبر عليه ، واذا اريد احداث تشريع يجيز للقاضى ان يجبر الـزوج على الخلع فمن أين يستمد هذا التشريع ؟ ثم قال : (على أن الفقه حين قرر أنه ليس لأحد الاجبار على الخلع لم يترك الأمر من غير علاج كما يقول الكاتب بل أباح للزوجة ان كانت مظلومة أن تلجأ الى القضاء طالبة التطليـق . فالحياء لا يمنع المرأة ان تدلى بحجتها وتثبت انها مظلومة .

والجواب على ما سلف هو :

١ ـ لم أقل ان الفقه قد ترك الأمر بغير علاج بل قلت ان القوانين العربية تناقضت ، وأمـا قول شيخنـا ان القوانين المذكورة مصدرهـا الفقـه الاسلامى فليس مبررا لأن يجعـل طعنى على القوانين العربية طعنا على الفقه الاسلامى .

٢ ـ ومع هذا فالفقه مصدر شرعي ولكن في حدود دلالات ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية دون تأويل .

٣ ـ أن مخالفة آراء اكثر الفقهاء ليست تشريعـا جديـدا اذا كانـت المخالفة تستند الى الكتاب او السنة أو اجمـاع الصحابـة او القيـاس الشرعى ، وعلى هذا الأساس عدلت القوانين العربية عن فقه المذاهـب الاربعة في أمر الطلاق المعلق وطلاق الثلاث استنادا الى أقـوال كانـت مرجوحة عند الائمة الأربعة ولكنها راجحـة بمطابقتهـا للمصـادر الشرعية ، فاعتبرت القوانـين طلاق الثلاث طلقة واحدة ، وأبطلت الطلاق اذا كان قصد الحالف حمل نفسه أو غيره على فعل شئ أو تركه وذلك كان خلافـا لفقـه المذاهـب الأربعـة المشهورة ، فهل ابتدع العلماء هذه الاحكام ؟ وهل مخالفة هذه المذاهب خروج على شريعة الله ؟

٤ ـ ان ما اقترحته ليس تشريعـا مبتدعا بل هو علاج لمشاكل لم تكن شائعة عند تدوين الفقه وأظهرها ان يتفق الزوجان على الخلع ثم يختلفا في مقدار العوض الذى تتحمله الزوجة

ويكون ذلك سبب الخلاف وتعسف الزوج فهنا يجب ان يكون للقاضى دور اختصاص ولقد اسندت ذلك الى بعض الفقهاء ولم أقل عندى كذا بل قلت : (ان القوانين لم تنص على اختصاص القاضى بالأمر اذا لم يستجب الزوج وتحقق موضوع الخلع وشرعيتـــه ، بينما قال بذلك فقهاء أقدمون فقد جاء في كتاب السرائر: الشيخنا أبي جعفر : وانما يجب الخلع اذا قالــت المرأة لزوجها انى لا أطيع لك أمرا وقال ابن رشد : « والفقه ان الفداء انما جعل للمرأة في مقابل ما بيد الرجل من الطلاق ، فانه لما جعل الطلاق بيد الرجل اذا فرك المرأة وكرهها جعل الخلع بيد المرأة اذا فركت الرجل)ـ بداية المجتهد جـ ٢ . وقال أمــير المؤمنين عمر بن الخطاب : (اذا اراد النساء الخلع فلا تكفروهن) سنن البيهقى جـ ٣ .

لهذا كان مما اقترحتــه في هذا البحث أن يكون للقضـــاء دور اذا تحققت موجبات الخلع وامتنع الزوج عن ذلك وباشتراط مقابل غير عادل ابتغاء الاثراء على حساب سعــادة المرأة ، واستشهدت بالآثار السابقة التى تستند الى هدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان مما ورد بالبحث (ان حكم النبى صلى الله عليه وسلم في قضية زوجة ثابت بن قيس قد كشف عن هذا المبدأ وأكد هذا الحق اذ أمر الزوج بالتطليق في مقابل رد الزوجة المهر فقط).

وأما أقوال الفقهاء التى يستشهد بها شيخنا فلا تبطل هذا الحكم ولهذا ورد في البحث ما نصه (واذا كان الفقهاء وأصحاب المذاهب الفقهية لم يتناولوا هذه المسألة بهذا التحديد ، فما ذلك الا لتوفر الصدق والتقوى فى عصرهم كما كان الحال في عصر النبى صلى الله عليه وسلم الأمر الذى جعل زوجة ثابت بن قيس تستهل قضيتها بقولها : لا أعيب على زوجى في خلق ولا دين). كما كتبت أيضا : (مع هذا فحق المرأة في الخلع على النحو الذى ذكرنـــاه نجـــده عنـــد هؤلاء الفقهاءبألفاظ وتعبيرات أخرى فقـــد قال الامام مالك في المفتدية ـ التى تفتدى من زوجها ـ: (انه اذا علم أن زوجها أضر بها وضيق عليها وعلم أنه ظالم لها ، مضى الطلاق ورد عليها ما لها فهذا الذى كنت أسمع والذى عليه أمر الناس عندنا) تنوير الحوالك جـ ٢ كتاب الطـــلاق باب ما جاء في المختلعة . والفرق بـــين هذا ومـــا اقترحته أننى جعلت تكييف القضية خلعا تتحمله الزوجة برد المهر .

٥ ـ اذا كان هذا غير منصوص عليه في القوانين العربية فلا يعصمها من الخطـــأ أن تنص في مذكرتهـــا الايضاحيـــة أن مصدرهـــا الفقـــه الاسلامى واذا كان مشروع القانون الكويتي ـ الذى اشتـــرك شيخنـــا الأزرق في وضعه وانتهت اليه رئاسة لجنته ـ لم يعالج هذه المسألة اكتفاء بأن حقها في رفع العنت والظلم يكون باثبات الضرر امام القضاء .

وما اقترحته يعتبر علاجا لمشكلة

لم يعالجها باب التطليق للضرر لأنه اذا لم تثبت الزوجة هذا الضرر فان النتيجة هى ما قاله شيخنا في تعقيبه بلفظ (اذا لم تبين أسباب تضررها امام القضاء فلا تسمع لها دعوى ولا يقبل لها قول).

ان المشكلة التى لم يعالجها حكم التطليق للضرر ليست هى حياء الزوجة حتى يقول شيخنا : (وليست النساء في هذا الزمن بأكثر حياء من زوجات الصحابة).

بل تكمن المشكلة في أن مصلحة الأولاد ومستقبلهم قد تكون بالاكتفاء بالخلع حتى لا تذكر أسباب تسىء الى الزوج وتضر مستقبل أولاده أو زوجته .

فاذا تعسف الزوج في المخالعة واشترط مقابلا غير عادل فان الاسلام قد عالج ذلك فيما سلف ذكره .

٦ ـ كما أن فقه الامام مالك قد عالج ذلك بصورة أخرى فنص على أنه اذا اضطرت المرأة للمخالعة وتحملت التزامات ليست واجبة عليها فللقضاء أن يسقط عنها هذه الالتزامات ولا يشترط في الاثبات شهادة القطع بل شهادة السماع ، فقد جاء في حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٢ ص ٣٥٦ : (ورد الزوج المال الذى خالعها به وكذا يسقط عنها ما التزمته من رضاع ولده أو نفقة حمل أو اسقاط حضانة ، حيث طلبت ذلك وادعت بعد المخالعة أنها ما خالعته الا لضرر يجوز لها التطليق به بشهادة سماع ـ ولا يشترط في هذه البينة السماع من الثقات وغيرهم ، بل لو ذكرت أنها سمعت من الخدم ونحوهم ، عمل على شهادتها ورد المال المخالع به لها ، بيمينها مع شاهد واحد او امرأتين).

فاذا كان الفقه قد عالج التعسف في المخالفة باسقاط التزامات المرأة كلها اذا ما استندت الى الضرر لشهادة من لا تقبل شهادتهم ، فانه من باب أولى أن يعالج التعسف في المخالفة على النحو الذى فصله البحث استنادا الى حكم النبى صلى الله عليه وسلم في قضية زوجة ثابت بن قيس فلم يعلق الخلع على ارادة الزوج ، وقال الفقهاء عن ذلك انه أول خلع في الاسلام .

ثالثا : المخالعة وحماية حق الطفل :

أبى علينا شيخنا أن كتبنا ما نصه : (ولا يجوز أن يكون مقابل الخلع هو تنازل الأم عن حضانة الطفل لأن هذا من حق الولد ، وبقاؤه عند أمه أنفع له ، فان خالعته على أن تترك الولد عنده فالخلع جائز والشرط باطل ـ المبسوط للسرخسى جـ ٦ ، وبهذا أخذت المادة/٨٨ من مشروع القانون الكويتي .. الخ).

والذى دفع شيخنا للتعقيب والرد هو قوله عنى : (أطلق القول وجزم به مما يفهم منه أنه الرأى الوحيد في الفقه الاسلامى والأمر ليس كذلك فان الرأى المذكور أحد رأيين راجحين في مذهب الحنفية ، أما المذاهب الأخرى

فتجيز للأم أن تتنازل عن حضانة صغيرهـــا نظـير الخلـــع وفي غــير الخلع ..).

ونقل أقوالا للفقهاء منها ما جاء في الشرح الكبير (وجاز الخلع باسقاط حضانتها) وما جاء في الحاشيــة (هذا مقيد بألا يخشى على المحضون ضرر اما بعلوق قلبه بأمه أو لكون مكان الاب غير حصين والا فلا تسقط الحضانة حينئذ اتفاقا).

ثم قال شيخنا (وهذا نص في أن الاصل جواز اسقاط الأم حضانتها للصغير نظير الخلع ولا يمتنع السقوط الا اذا ترتب على ذلك ضرر للطفل).

والجواب على ذلك بايجاز شديــد هو :

١) أن أقوال الفقهاء ليست نصا في اسقاط حضانة الأم حتى ولو كان هو رأى الجمهور ، لأن الفقهاء ينحصر دورهم في الكشف عن المستند الشرعي من القرآن أو السنة النبوية ، وهم في هذا يرجحون ما كان ظنى الدلالة من هذه النصوص ، وترجيحهـــم ليس بذاته نصا في المسألة ولا يغنى عن النص الشرعى وهو القرآن أو السنة ، بل ان الاجماع والقياس مصدران تابعان للقرآن والسنة ولا يستقلان بالتشريع . والنص في الحضانة أصلا هو حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ونصه أن : (امرأة قالت يا رسول الله ان ابنى هذا ، كان بطنى له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثديى له سقاء ، وزعم أبوه أنه ينزعه منى فقال : أنت أحق به ما لم تنكحى). رواه احمد وأبو داود وفي لفظه (وأن أباه طلقنى وزعم أنه ينتزعه منى).

٢) والنص أيضا هو ما أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم خير غلاما بين أبيه وأمه .

ولا يخفى على أحد أن التخيير لا يكون الا في سن التمييز وبالتالى فالأم أحق بالطفل قبل هذا السن بالحديث الأول والطفل له حق اختيار أحد أبويه منذ سن التمييز بالنص الثانى ولا تعارض بينهما ، مع وجود آراء أخرى ولكنها تخالف هذا الظاهر وهـــذا لاوجه لمناقشتها .

٣) تأسيسا على ذلك فلا يجوز أن يكون مقابل الخلع تنازل الأم عن حضانة الطفل ، ولئن قيل ان هذا ليس هو الرأى الوحيد في الفقه حتى نجزم به ، فان القطع والجزم بذلك هو ظاهر الحديث النبوى وهـــو الأولى بالاتباع .

ومع هذا ، فان في اسنادنا هذا الرأى للسرخسى والقـــول باختيـــار المشرع الكويتى له يوحى بوجود آراء أخرى ولكن لم أعول عليها واكتفيت في البحث بالقول انه : (قد يقال ان صحة العقـــود مع بطـــلان الشروط الفاسدة قد يكون محل طعـــن بأن العاقد ما رضى الا مقابل الشرط فان ألغى الشرط فات رضاه بالعقـــد ، والجواب على ذلك هو ان الله الذى اعتبر الرضا وجعله شرطا في صحة العقود هو الذى حكم بصحتها مع

بطلان الشرط الفاسد).

وبعد فان اختلاف الفهم أمر طبيعى ولا يفسد للود قضية وبالله تعالى نعتصم ونتأيد .

وقد جاءنا التعليق التالى على هذا التعقيب من فضيلة الاستاذ الشيخ محمود الأزرق والمجلة تكتفى بهذا ليكون نهاية للحوار الذى دار بين الكاتبين :ــ

في عدد رجب سنة ١٣٩٨ من المجلة نشر بحث تحت عنوان (الخلع وحماية حق المرأة بين الشريعة والقانون) .

وقد عقبت على هذا البحث بما هو وارد بعدد ذى القعدة سنة ١٣٩٨ . وقد أرسل الباحث ردا جعل عنوانه (حماية حق المرأة بين الفقه السلفى والقانونى).ولما علمت بالرد طلبت الى ادارة المجلة ان أعقب عليه فأجابتنى مشكورة .

وسوف ألتزم في ردى ما التزمته في تعقيبى السابق من ايراد نصوص الفقهاء . وشراح الحديث من غير أن (أرجح) أو (أجتهد) وحسبى ذلك عسى أن أدخل في زمرة من ورد فيهم الأثر (رحم الله امرأ عرف قدر نفسه).

ابتدأ الكاتب رده بقوله (وهو بهذا لا يقر ترجيحى للرأى القائل إن حكم النبى صلى الله عليه وسلم (هو رد المهر فقط (في الخلع) ولا يقر قولى (تناقض القانون مع نفسه) مما هو مذكور قبل .

ثم قال . إن حديث ثابت بن قيس ورد بروايات أخرى وأورد رواية ابن عباس له (وفي آخره) (فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد) وأورد رواية ابن الزبير (وفي آخره) أن ثابت بن قيس قال : (قبلت قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي الحديث أن الرسول الكريم قال (أما الزيادة فلا) وبعد أن بين وجه استدلاله بالروايتين قال (وقد أورد الشيخ بشأن الحديث تأويلا (أنه فتيا وليس حكما) وهذا التأويل (ولد ميتا لحقائق ، أظهرها) أن وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالمفتى يخالف الواقع الذى دلت عليه النصوص . فالنبى صلى الله عليه وسلم يشرع عن الله وقاض يحكم بين الناس بشرع الله وحاكم ينفذ فيهم جبرا عنهم ولا مجال أبدا ان يقترن تصرف لحضرته صلى الله عليه وسلم بوصف الفتوى . ولا مجال للقول إن المرأة كانت تطلب الرأى والفتوى . لا الحكم والقضاء لأن زوجها صرح بقبول هذا القضاء) .

وما ذكرته من أن الحديث كان فتيا من الرسول صلوات الله عليه . لم يكن من (عندى) ولا رأيا لي . وإنما هو رأى الأئمة الأربعة . مالك إمام أهل المدينة وصاحب الموطأ . وأبى حنيفة ذى الرأى الثاقب والبصيرة النافذة . والشافعى ذى البيان الناصع والعربى العارف بأساليب

العرب . وأحمد بن حنبل صاحـب المسند وهو رأى من تابعهم . وهم أكثر المسلمـين في شتـى أنحـاء الأرض . فهل هؤلاء الأئمة لم يدركوا ما أدركه الكاتب ؟ ولم يصلوا الى ما وصل اليه ؟ وإنى أورد بعـد رأى الأئمة رأى الشراح ، لحديث ثابت بن قيس ، جاء في الجزء التاسع . من فتح البارى بشرح صحيح البخارى ص ٣٢٩ط (البهيه المصرية سنـة ١٣٤٨هـ) ما يأتى (قوله : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة . هو أمـر إرشاد وإصلاح . لا إيجاب) هذا ما قال عنه الكاتب إنه تأويل ولد ميتا) أى ان قول الأئمة الاربعة وقاضى القضاة الحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى الشافعى شارح البخارى ولد ميتا !!! كما قال إنه ليس تنزيلا من حكيم خبير حتى نتبعه ونـدع صريح الاحاديث النبوية الشريفة لأنه اجتهاد مع النص . وهذا يعنى أن الكاتب لا يأخذ برأى الائمة وشراح الحديث ولا يتبعهم لأن رأيهم ليس تنزيلا من حكيم خبير . بل هو يدع رأيهم الى مايفهمه هو من صريـح الأحاديث . ورأيهم اجتهاد مع النص كما أن رأيهم وقواعدهم محكومـة بالنصوص الشرعية وليست حاكما لها . ثم استدل على أن فهمـه في الحديث هو المعول عليه بقول ابن عباس رضى الله عنه . (نقول . قال الله ورسوله . وتقولون . قال ابو بكر وعمر . ألا تخشون أن يخسف الله بكم الأرض) هكذا قال . وفاته أن مثل هذا القول مقبول من عبدالله بن عباس الذى دعا له الرسول صلوات الله عليه بالفهم والفقه والذى هو ترجمان القرآن والصحابى الذى روى عن الرسول وعرف الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والذى هو من أبلغ العرب وأفصحهم وأعرفهم بأساليبهم وما تدل عليه العبارات والألفـاظ . فقول ابن عباس وأمثاله على العين والرأس ولمثله ان يقول هذا القول ، فما موضع الاستدلال بقـول ابـن العباس ؟؟ أيريد الكاتب أن يسلك نفسه مع ابن عباس وأمثاله ؟ إن كان الأمر كذلك فليس لى معه قول ..

وردا على ما قلته في التعقيب من أن الفقهاء مجمعون على أن الخلع لا يكون الا برضا الزوجين . وأن الفقه الاسلامى عالج تضرر الزوجـة من زوجها بلجوئها الى القاضى .. الخ قال : لم أقل ، إن الفقه قد ترك الأمر بغير علاج ، بل قلت إن القوانـين العربية فيها تناقض فالطعـن على القوانين ليس طعنا على الفقه . وما قلته أنا في التعقيب هو أن القوانين مصدرها الفقه الاسلامى . فاذا طعن عليها الكاتب ألا يكون طعنـا على مصدرها وهو الفقه ؟؟ ثم قال : إن الفقه ليس مصدرا شرعيا إلا في حدود دلالات ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية دون تأويل .

يريد الكاتب أن يقول إن الفقه مصدر شرعي ولكن في حدود ألفاظ القرآن الكريم ، فهل الأئمة ومـن

تابعهم استنبطوا الاحكام التى قالوا بها إلا من القرآن الكريم والسنة النبوية ؟ كلهم صرح بذلك وكلهم التزم نصوص القرآن الكريم والسنة فهل حادوا عن ذلك حتى يأتى من يقول ما قاله الكاتب - ثم ما هذا التناقض ؟ مرة يقول ان الفقه ليس مصدرا شرعيا ؟ ومرة يقول إنه لم يطعن على الفقه . فماذا يكون الطعن أكثر من القول إن الفقه ليس مصدرا ؟ وما هو المصدر إذا لم يكن الفقه ؟

ثم عاد الى القول ، إن مخالفة أكثر الفقهاء ليست تشريعا جديدا اذا كانت المخالفة تستند الى الكتاب والسنة والاجماع او القياس الشرعى .

ولم يقل لنا الكاتب من الذى له حق المخالفة ؟. ما هى مؤهلاته ؟ أيعرف كتاب الله وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ومطلقه ومقيده وما الى ذلك ؟. أيعرف أحاديث الأحكام ودلالتها وناسخها ومنسوخها . أله حظ في البلاغة ؟ وقدم في البيان يدرك به أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية ؟ أيعرف ما أجمع عليه العلماء وما لم يجمعوا ؟ إن كانت المخالفة ممن اجتمعت له هذه الأوصاف فهو مجتهد من حقه ان يخالف وأن يقول (عندى كذا) (ورأيى كذا) فان لم يتوفر له هذا القدر فلا يجوز له الافتاء برأيه .

ثم قال ، إن ما اقترحته ليس تشريعا مبتدعا بل هو علاج لمشاكل لم تكن شائعة عند تدوين الفقه وهذا ليس صحيحا . بل الخلاف بين الزوجين موجود من بعيد . وأكبر دليل عليه خلاف امرأة ثابت بن قيس مع زوجها وقد تنبه الى علاج مشكلات الأسرة أئمة أعلام في عصرنا الحاضر أمثال الامام محمد عبده والاستاذ الأكبر الشيخ المراغى صاحب الباع الطويل في علاج المشكلات وكثير غيرهما . ولم (يقترح) واحد منهم ما اقترحه الكاتب ولم يشر اليه من قريب أو بعيد . فهل غفل هؤلاء جميعا عما تنبه له الكاتب ؟ ولم كان باب الخلع في الفقه . وأمر القرآن ببعث الحكمين وقد أنكر الكاتب أنه قال إن حياء المرأة قد يمنعها من أن تقول ما تشكوه من زوجها . وردا عليه أنقل له عبارته فقد قال في بحثه (والاسلام . إذ يشرع نظام الخلع . إنما أراد علاج مشكلة . قد تعجز المحاكم عن علاجها ، وذلك اذا لم ترغب الزوجة في ذكر أسباب طلب الانفصال . إما حفاظا على الأسرة والأولاد . أو لأن حياءها يمنعها من ذلك) ولما قيل في الرد عليه ، إن النساء الآن لسن أكثر حياء من زوجات الصحابة . أنكر ما قاله ، هذا ما أردت الرد عليه ، أما ما عداه فقد أوردت في التعقيب عليه نصوص الفقهاء فلا حاجة الى إعادتها ولأن للكاتب رأيا غير آرائهم كما هو واضح من رده فلا مقتضى للاستدلال بها ، والله يهدينا الى الصواب والسداد .

محمود الأزرق



القاهرة ذات الألف مئذنة

٢

للاستاذ : عبد الغني محمد عبد الله

قاهرة اليوم ...

قاهرة اليوم ، مدينة كبيرة تضم شوارع حديثة ، وميادين فسيحة الى جانب المدينة القديمة متصلة بها ... واذا أردت زيارة هذه المدينة فعليك ان تزورها مبتدئا بأجزائها القديمة بحواريها ... وشوارعها التي تحمل رائحة التاريخ مارا بين اثارها المختلفة ، ثم تخرج منها مباشرة الى الجانب الحديث بشوارعه وميادينه ومتاحفه وحدائقه ... وان لم تر القديم فلن ترى القاهرة على حقيقتها ...

مدينة القاهرة اليوم ـ هي مدينة الالف مئذنة واكثر ، مدينة مزدحمة آهلة بالسكان تعتبر سادس مدن العالم كثرة وازدحاما ـ سبعة ملايين نسمة في مدينة واحدة تكتظ بهم ، وبالدور والعمارات الشاهقة . تدب فيها حركة الحياة كخلية النحل . كل فرد فيها عليه ما يقدمه في خدمة المجتمع وله ما يقدمه المجتمع له ... المطاعم والمقاهي والعمائر الشاهقة على حافتي نهر النيل تحكي روعة البناء ، وفن العمارة الحديث ، ومحلات اخرى كثيرة لا عد لها ولا



○ مسجدي الرفاعي والسلطان حسن

حصر .
واجمل واعظم اللحظات تلك التـي نقضيها في القاهـرة خلال شهـر رمضان المعظم ... ونقف معا فوق قلعة الجبل في الشرفة الواقعة بين قصر الجوهرة وجامع محمد علي ـ قبـل اذان المغرب بوقت قليل ـ وهناك في مصر يتم الاعلان عن ميعاد الافطار بوسائــل عدة . الاذان من خلال مكبرات الصوت في كل ركن من اركان القاهرة ـ مدافع الافطار تنطلق من فوق القلعة وعلى النيل . واضــاءة المآذن جميعها لحظة الاذان بالانوار الكهربائية وهذا طبعا بخلاف اجهزة الراديو والتلفزيون وعلى ذلك يجتمع الصائمون رغم تفرقهم المكاني على مائدة الافطار في لحظة واحدة .. وهنا يبدو المسلمون جميعا في صورة الاسرة الواحدة التي تتناول طعامها في وقت واحد ومكان واحد !!

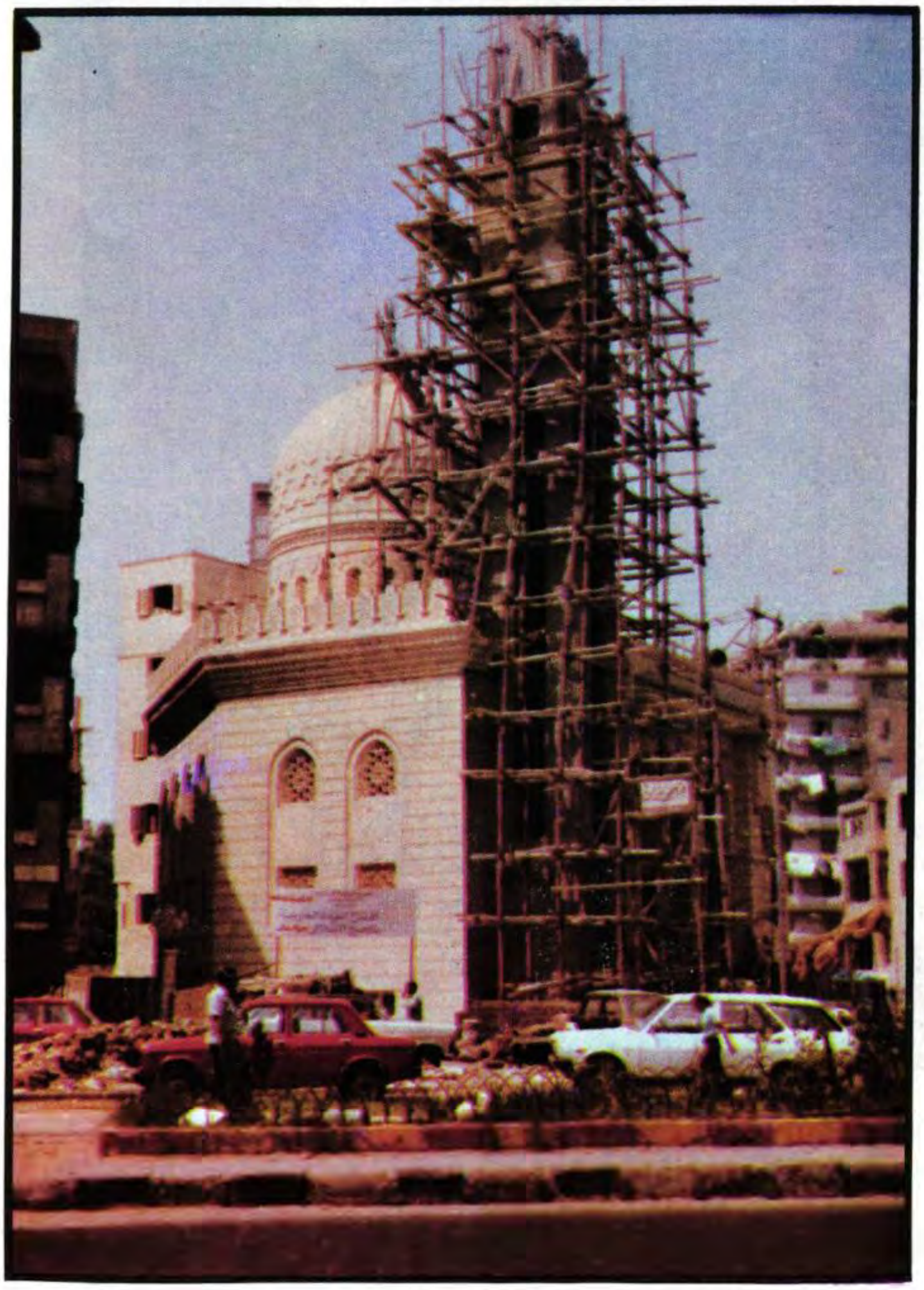
وقبل الافطار بدقائق نرى نصـف المدينة كاملا وواضحا ... نصـف دائرة كاملة من العمران والحركة . واكثر هذه الحركة وضوحا هو ميدان القلعة ، اسفل الشرفـة مبـاشرة . البشر كثيرون ... كل منهم في اتجاه



○ مسجد صلاح الدين

معين ينتهي الى داره : السيارات ووسائل النقل المختلفة وحتى العربات التي تجرها الدواب او التي تدفع بجهد الانسان في اتجاه المناطق الشعبية المحيطة بالقلعة . وكلما اقترب موعد الافطار كلما نشطت الحركة . داخل الميدان . حركة دائرية وفي اطراف الميدان تأخذ شكل الصفوف التي تنصرف الى الشوارع المتفرعة من الميدان . والبيوت كلها تستعد للحظة الافطار . الكل يسرع . الحركة مستمرة ودائبة تزداد سرعة . نبضا . ... وينطلق صوت المدافع مع انارة المآذن .. وفي نفس الوقت تنطلق مكبرات الصوت معلنة آذان المغرب . كما تعلن انتهاء يوم من ايام رمضان ... هدأت الحركة تقريبا . منظر من اروع المناظر التي تكتحل بها عيناك . واعذب الاصوات التي تسمعها اذناك ... الف مئذنة واكثر تؤذن ورغم اختلاف الاصوات وتباين نغماتها الا انها تصل لك في النهاية فوق القلعة صوتا واحدا قويا .

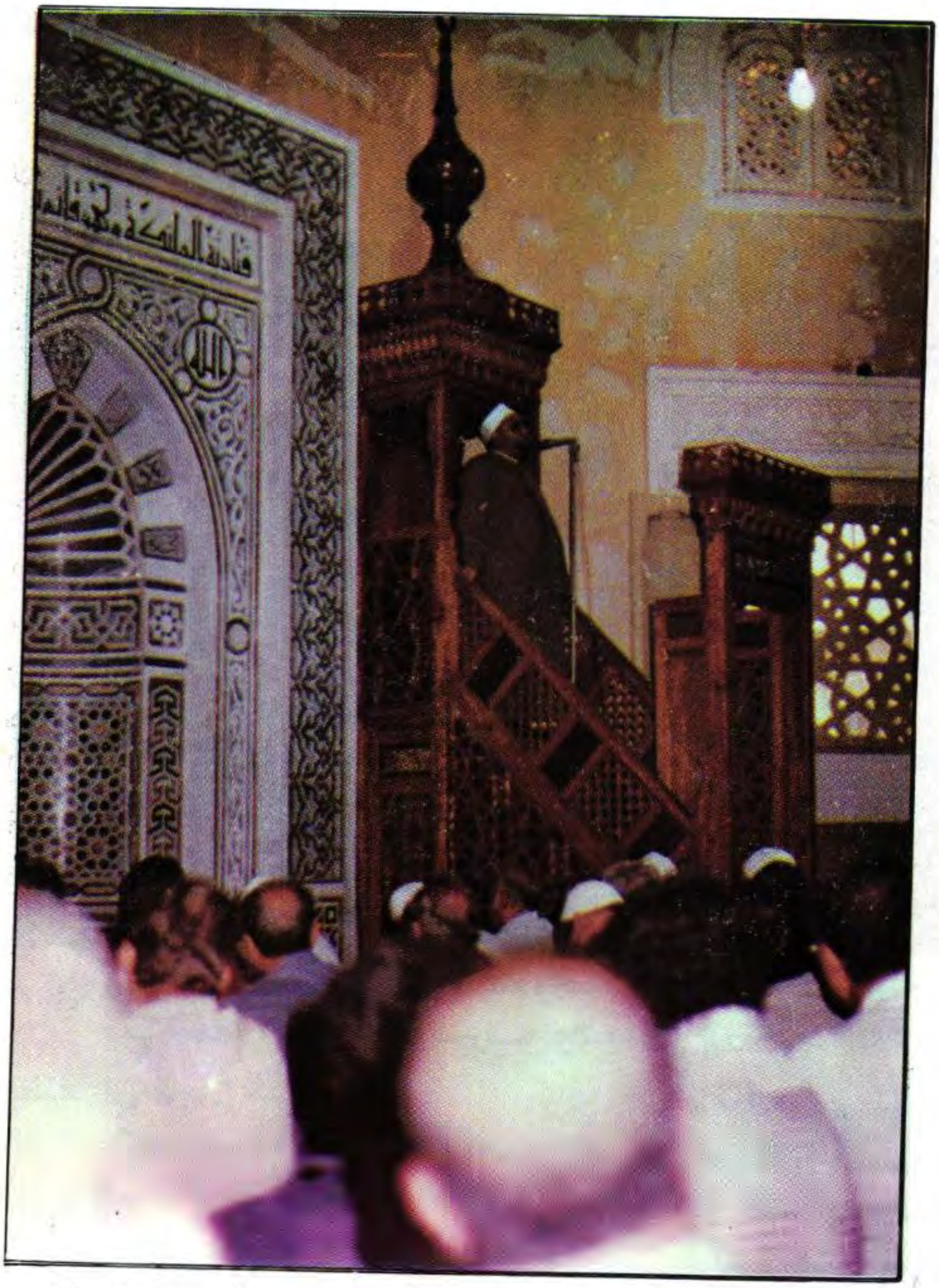
واذا هبطنا من فوق القلعة ... الى ميدانها ... الى القاهرة القديمة حيث المرور من بين جامعي السلطان حسن



○ العمل قائم في رفع منارة مسجد مجمع المنيل

والرفاعي ، هذان الجبلان الشامخان بواجهتيهما المرتفعتين الاول طراز مملوكي والثاني حديث ... ونخرج من هذا الشارع الى القاهرة القديمة نرى ونسمع ... المطاعم الكثيرة المنتشرة في الشارع الرئيسي والشوارع الجانبية وقد اخرجت موائدها الى الشوارع وجلس عليها المارة الذين لم يسعفهم الوقت للوصول الى بيوتهم او الغرباء عن المدينة ... جلسوا يتناولون طعام الافطار . اصوات كثيرة مختلطة منها اصوات عمال المطاعم وهم ينادون على المارة أو على طلبات الجالسين ... ثم تمضي فترة هدوء يتخللها افطار الصائمين . وبعد قليل من الوقت تبدأ الحركة من جديد في اتجاه المساجد للصلاة ... وتستمر الحركة في التصاعد حتى تبلغ القمة بعد حوالي النصف ساعة تقريبا .

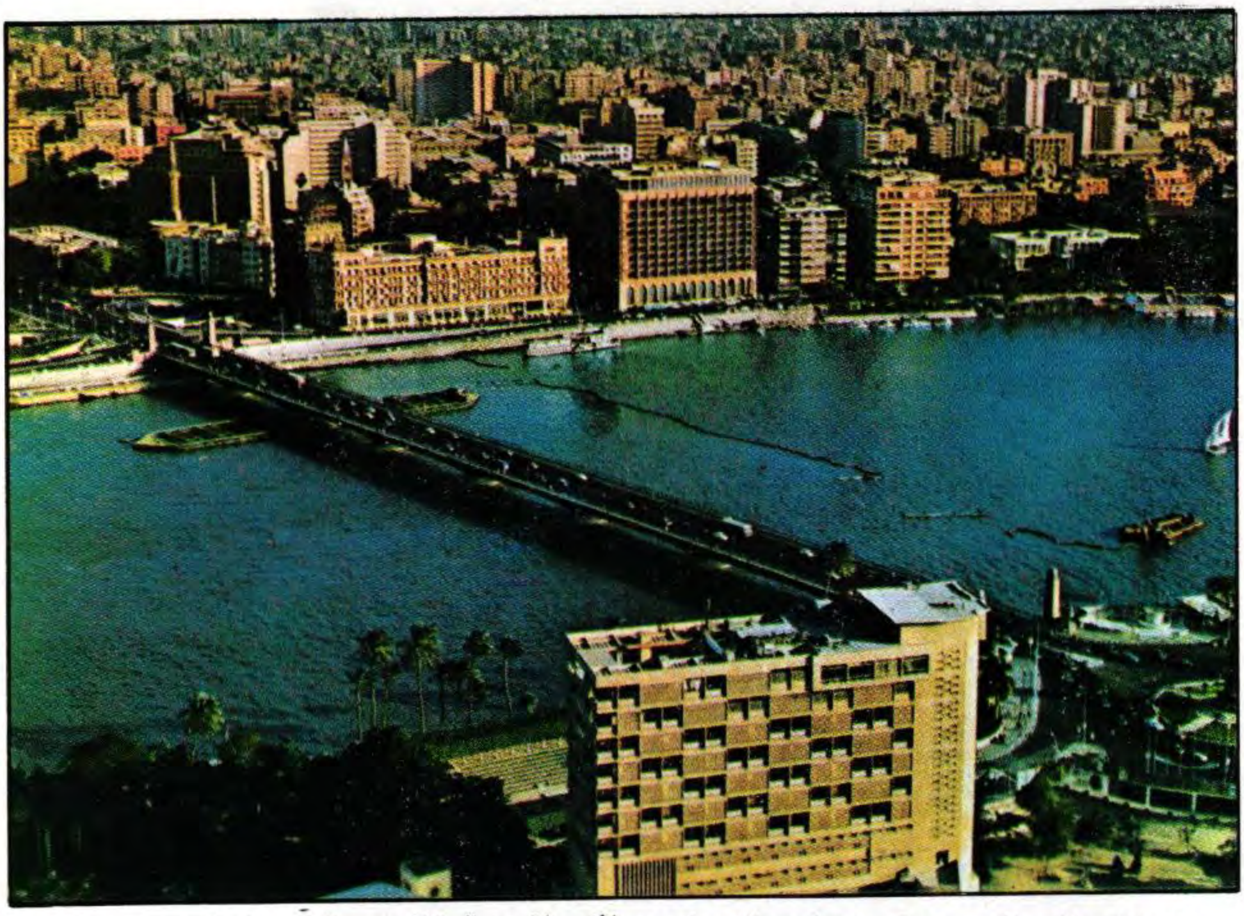
وبخلاف وقت الافطار في رمضان فان الحركة لا تتوقف في المدينة يوميا على



○ أمام مسجد مجمع المنيل يلقي خطبة الجمعة

امتداد ساعات النهار والليل ... حركة دائمة لا تهدأ ... ... والمرور في شوارع القاهرة القديمة ممتع .. الكثير من المساجد الاثرية والقباب والاضرحة والحدائق والاسبلة ... تحكي طرزا مختلفة ومدارس في فنون العمارة متباينة ...

وبعد قليل من الوقت تجد نفسك في (خان الخليلي) اذا ما انحرفت يمينا ... الدكاكين وضيق المكان والمارة والمقاهي القديمة والصناعات كلها تجعلك تعيش في حي اسلامي خالص يعود بك الى عالم العصور الوسطى ... الزخرفة على المصنوعات اسلامية خالصة في اغلبها ... رائحة البخور تعبق المكان . حواري ضيقة ملتوية ومسقوفة في نفس الوقت تجعلك تنسى الوقت .... وتسلك ازقة كثيرة وحواري اكثر ... كل شيء ممتع ... وعبارات الترحيب كثيرة تطرق أذنك ... لا يهم ان تشتري ... بل



○ تلاصقت الدور حتى صارت العواصم الاسلامية الأربعة مدينة واحدة يحتضنها جبل المقطم شرقا والنيل غربا .

عليك ان ترى ..
الى ان تجد نفسك في شارع المعز ... اقدم شوارع القاهرة وقد اطلق هذا الاسم عليه عام ١٩٣٧ فقط اذ كان اسمه قبل ذلك (القصبة) وقبلها (بين القصرين) اثار كثيرة ومنتشرة بشكل يدعو الى العجب اقدم شوارع القاهرة مدخله اثر ومخرجه اثر فأنت تدخله من باب (الفتوح) وتخرج منه من باب (زويلة) وعلى اليمين واليسار اجمل اثار مصر الاسلامية واكثرها ما زال يؤدي دوره للان . جامع الحاكم ـ الاقمر ـ مجموعة قلاوون ـ جامع برقوق ـ الناصر محمد ـ سبيل عبد الرحمن كتخدا ـ منزل السحيمي ـ مسجد المؤيد ـ قبة الغوري ـ المدرسة الظاهرية ـ المدرسة الكاملية ـ حمام اينال ـ قبة الصالح نجم الدين .. كثير من الاثار اكثر مما نكر تختلط جميعها كآثار ... مع الدكاكين القديمة ... مع الحركة والبشر والزحام .

واذا ما خرجت من القاهرة القديمة الى ميدان العتبة الخضراء فستجد القاهرة المدينة بشكلها واناقتها ... شوارع جميلة وان كانت محكومة باتساع العمران سيارات كثيرة وبشر اكثر بكثير مما يتصور المرء .. واذا ما اتجهنا الى شواطيء النيل الذي يفصل بين القاهرة ومدينة الجيزة ... فعليك ان تختار اما ان تتريض على ضفافه سيرا على الاقدام او تجلس



○ طفلة عمرها خمس سنوات أتمت حفظ ربع القرآن الكريم تتسلم جائزة نقدية .

على المقاعد المنتشرة على ضفتي النهر ومن السهل ان تنتقل من ضفة لاخرى عبر هذه الكباري الضخمة المقامة فوقه .
عموما الحديث لا يفرغ عن القاهرة — من كتبوا عنها ومن رحلوا اليها — مساجدها — شوارعها — ميادينها الواسعة كميدان التحرير مثلا — فنادقها ومتاحفها وحدائقها وعمائرها الضخمة الى اخر ما في القاهرة من جمال وروعة وفن .
وان مما يثلج الصدر ويسعد النفس ان بالقاهرة اليوم حركة ضخمة لبناء المساجد ... على طرز وانماط اسلامية معماريا وزخرفيا والمساجد كثيرة ... الحديث عنها كثير — صلاح الدين على كوبري الجامعة ... ومشروع مسجد الفتح في ميدان رمسيس ... مسجد جمعية الهداية بالعباسية ... مساجد وجوامع وزوايا ... فالقاهرة مدينة الالف مئذنة — وأكثر .

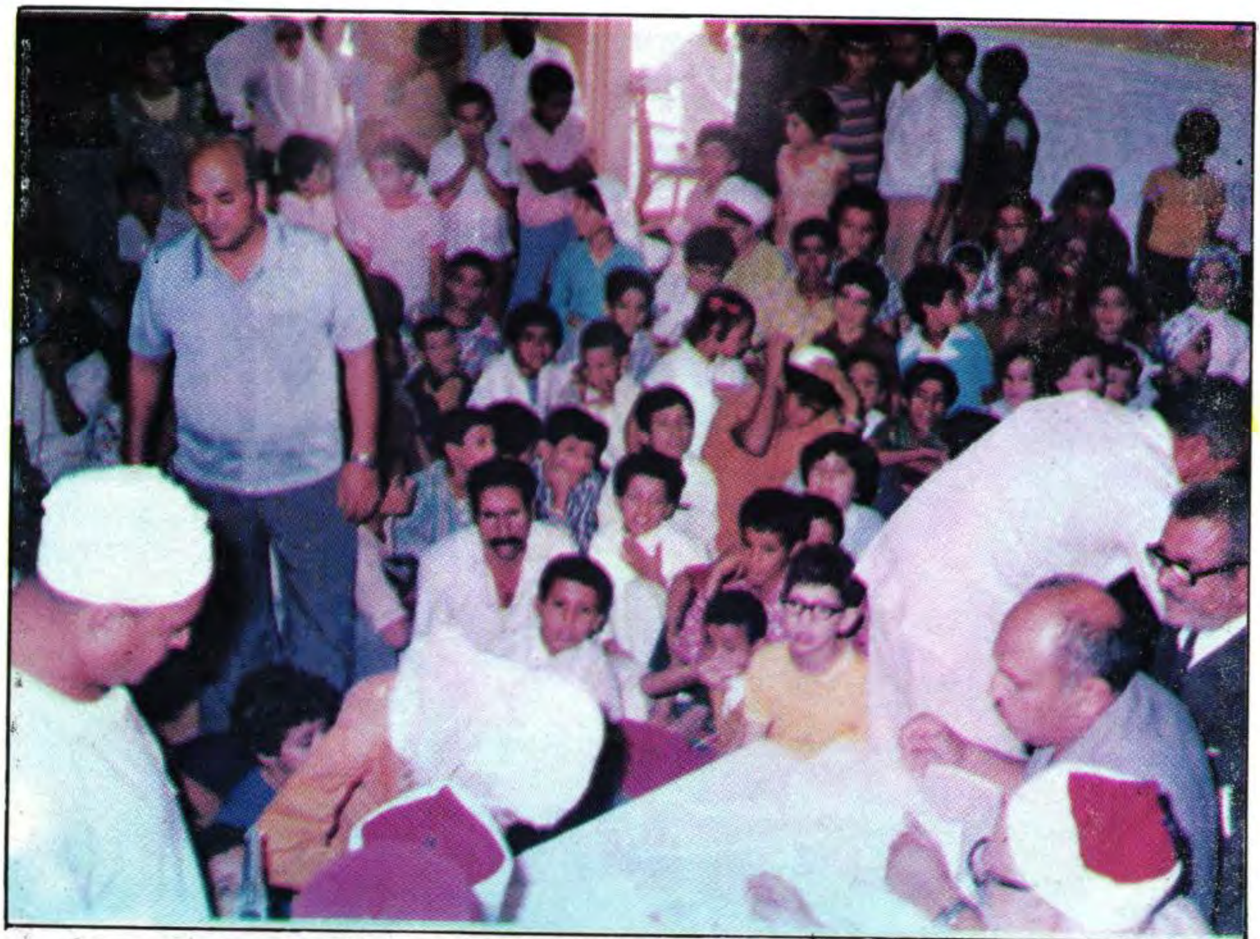
المسجد وحركة الحياة :

ويلفت النظر في حي المنيل هذا المشروع الضخم لبناء (المجمع الاسلامي الكبير) ... الذي اقدمه اليوم كنموذج للعمل الاسلامي لاسباب اولها ان المشروع بكامل تكلفته قام على التبرعات وثاني هذه الاسباب ان المشروع لم يخدم جانب



○ جموع المصلين الذين امتلأت بهم ساحة المسجد في صلاة الجمعة .

العبادة فقط ولكنه جاء ليخدم معظم نواحي الحياة في المجتمع . وثالث هذه الاسباب ويختص بنا في الكويت هو هذه المساهمة من ابناء الكويت في هذا المشروع عن طريق التبرعات .
ومع حركة الحياة اليومية للمواطنين جاء المجمع الاسلامي الكبير بالمنيل . في مكان يقع بين أجمل شوارع المنيل وهما شارع المنيل الرئيسي وشارع الملك عبد العزيز آل سعود .
وكان هذا المكان موقوفا منذ مدة طويلة لبناء مسجد ولكن لسبب او لاخر لم يقم المشروع ، فسارعت (جمعية المحافظة على القرآن الكريم والخدمات الاجتماعية بمصر القديمة) الى شراء قطعة الارض .
وبدأ الصراع مع الزمن — بالجهد الذاتي — والتكاليف الباهظة وخاصة ان المشروع كله مقام من تبرعات المسلمين . ويكفي ان تعرف كما قال لنا السيدان — محمد شهاب وحسن الجمل عضوا مجلس ادارة الجمعية ان حماس الاهالي بجهدهم واموالهم يفوق الوصف — وتبرعاتهم كفلت السير في المشروع للان ... وليس اهالي المنطقة فقط بل ان التبرعات من البلاد الاسلامية ايضا ... وقادني عضوا الجمعية الى احد المخازن لارى كمية كبيرة من السجاد ... واشارا اليها قائلين : ما زال الاسلام



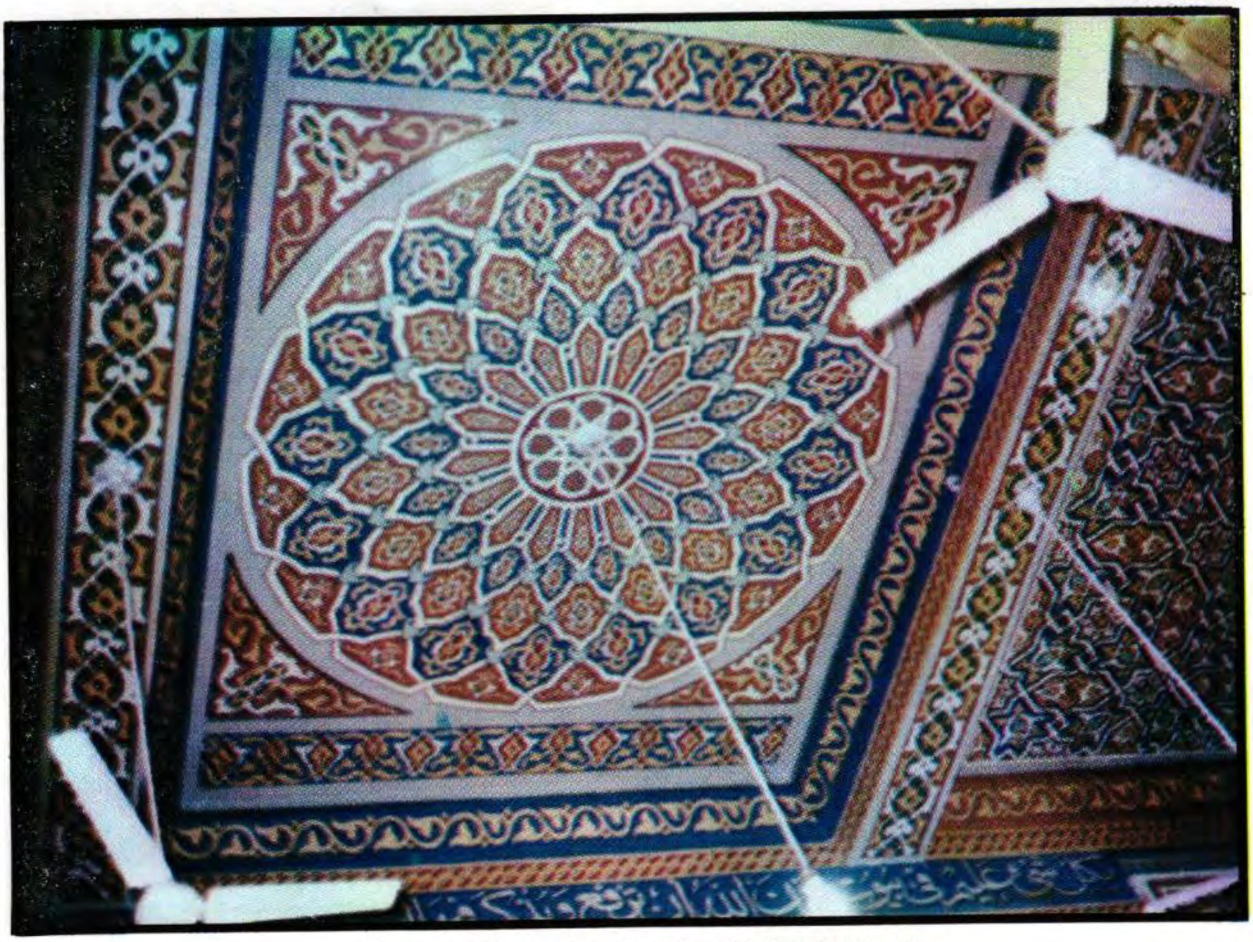
○ الأطفال الناجحون في مسابقة حفظ القرآن الكريم ينتظرون توزيع الجوائز

بخير ... هذا جزء من تبرعات الكويت وصل توا من ميناء السويس . وهمس احدهما في اذني قائلا : (ومنذ ايام زار المشروع احد كبار الشخصيات المسلمة بالكويت وقدم مبلغا كبيرا مساهمة في هذا المشروع الاسلامي ولولا انه اوصانا بعدم ذكر اسمه لأفصحت لك عنه) .

وهذا عمل يذكر فيشكر ومن للاسلام بعد الله الا الاغنياء الصالحون من المسلمين ؟! وما زال المشروع يحتاج الى المال الوفير لا سيما وان الجمعية لم تطلب تدخل الدولة لمساعدتها لانهاء المشروع وترغب في استكماله بجهد المسلمين واموالهم .

والمجمع الاسلامي الكبير بالمنيل ينهض على مساحة الف متر مربع بشارع المنيل الرئيسي وان كانت واجهته الرئيسية تطل على شارع سعيد ذو الفقار بميل يتناسب ووضع القبلة وله مدخل ضخم مرتفع يحتوي على ثلاثة عقود مدببة بزخارف هندسية اسلامية رائعة ـ يحمل هذه العقود اعمدة ذات طرز اسلامية ... ويمكن الصعود الى المدخل بدرجات سلم من حجر الجرانيت الاحمر الصلب المنحوت نحتا ناعما ولامعا .

والمسجد يعتبر من المساجد المعلقة اذ ان الدور الاول منه يحتوي على مشروعات اخرى سنتحدث عنها بعد



○ الزخرفة الاسلامية على سقف مسجد مجمع المنيل .

نلك .

فاذا ما دلفنا الى داخل المسجد نجد ان سقفه محلي بزخارف نباتية واشكال نجمية بالالوان الزيتية الرائعة . اما حوائـط المسجـد فكلهـا مجلـــدة بالزخارف الاسلامية المحفـورة على الجص .

وفي خلفية المسجد نجد شرفة للسيدات تتسع لنحو خمسمائة سيدة اسفلها صالـة للمناسبـات الاجتماعيـــة – وتنضم هذه الصالة الى المسجد في صلاة الجمعة او الاعياد او المناسبات التي تتطلب زيادة المساحة – الأنوار ساطعة – المراوح متوفرة – المنبـر والمحراب لعب الفن الاسلامي دورا كبيرا في اخراجهما .

اهم ما في هذا المشروع الكبير بعد المسجـد الـذي بدىء في انشائـه ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) انه اشتمل على مشروعات اخرى تربط المسجد بحركة الحياة ربطـا محكمـا ... فالمشروع لم يظل حبيسا في دائرة المسجد لا يتعداها الى دنيا الناس ، ولكنه تمشى مع طبيعة الاسلام في انه دين ودنيا ، ومصنع ، صلاة وعمارة للارض التي استخلفنا الله فيها .

ومن هذا المنطلق احتوى المشروع على المرافق الاتية :

١) دار حضانة للأطفال .

٢) معهد ديني ابتدائي ومتوسط .

٣) فصول تقوية لطلاب الحـي في جميع المراحل التعليمية .
٤) لجنة لجمع الزكاة وتوزيعها .
٥) مدرسة لتحفيظ القرآن .
٦) مكتبة .
٧) صالة المناسبات الاجتماعية .
٨) مستوصف للعلاج بأجر رمزي .
٩) مشغل لتعليم بنات الحي حرفة يتكسبن منها الرزق الحلال بعد طرح انتاج هذا المشغل في السوق .

شيء يبدو مستحيلا في تحقيقه وغير معقول في تصديقه ... ولكنه حقيقة واقعة تراها على الطبيعة ... وتقف هناك شامخة لتقـول ان الاسـلام والمسلمين بخير .

وبعد : فالمسلمون في كل مكان لا سيما في البلاد التي فيها اقليـات اسلامية . بحاجة ماسة الى مثل هذا المشروع القائم على ارض (المنيل) في قلب القاهرة ، ليجمع كلمة المسلمين على الخير ، ويوجه حركة الحياة الى الجد النافع والعمل المثمر ، واننـا لنرى غيرنا وهم على باطل ، يجدون السعـي لتعزيـز عقيدتهـم ودعـم كيانهم ، فأولى بنا ونحن على حق ، ان نكون اكثر فاعلية واوفر نشاطا فاننا نرجو من الله ما لا يرجون .

مع القاهرة كنا ... ولـم نأت الا بالقليل عنها ... القليل الذي يحكمه الوقت والصفحات . ... وانها لأعم من ذلك وأشمل ، وما هو مكتوب عنها أو قيل فيها لكثير وكثير ، وممـن تحدثوا عنها وأرخوا لها : (ناصر خسرو ـ ابو الصلت امية ـ ابـن جبير ـ البغدادي ـ ابن سعيد ـ ابن بطوطة ـ البلوي ـ المقريزي ـ ابن خلدون ـ ليون الافريقي ـ ارنولـد هارف ـ كاربيـه ـ جرانجـر ـ فانسلب) الأسماء كثيرة ولن نفرغ منها وقصدت أن أنكر الاسماء غير المعروفة لدينا كابن دقماق وابن عبد الحكيم وابن تغري بردي والجبرتي وابن اياس .

اسماء قليلة زارت وكتبت وعاشت في القاهرة . هذه المدينـة الاسلاميـة العربية ... بلد الازهر الذي حمى الدين وحافظ على اللغة العربية ، في عصور مظلمة زحف فيها الجهل على البلاد الاسلامية وبقي الازهر منارة هادية وربوة عالية عاصمة ، حمت القرآن ولغته من الطوفان المدمر ، وذلك من فضل الله ورحمته والله ذو الفضل العظيم .

لغويات

إعداد : الشيخ محمود وهبة

من الأضداد في كلام العرب

من الأضداد « البَيْعُ » يقال : باعَ فلانٌ الثوبَ . اى باعه وأخذ ثمنه ـ أو اشتراه ودفع ثمنه ـ وفي الحديث الشريف : (البائعان بالخيار ما لم يتفرقا) اى البائع والشاري .

وروى عن حذيفة حين حضرته الوفاة انه قال : بيعوا لي كفنا ، اى اشتروه لي .. وقال رجل لجرير : من أشعر الناس ؟ فقال جرير : هو الذي قال :

ويأتيك بالأنباء من لم تبعْ له
نَبَاتاً ولم تضربْ له وقت موعد

أى : من لم تشتر له زادا .

تعلّموا لغة دينكم

للشيخ معوض عوض ابراهيم

وددت أن تلتقي عزائم العلماء ، وجهود الدعاة الى الله في شتى أقطار الاسلام ، على أن يتعلم المسلمون في غير الساحة العربية بخاصة ، قدرا من لغة القرآن ، وأن يجد العلماء والدعاة في نلك مؤازرة جادة ممن استرعاهم الله أمر المسلمين . فبهذا القدر من تعلم لغة القرآن يتخاطب المسلمون بالبر والتقوى ، ويتبادلون الرأي في مختلف أمورهم جهد الاماكن .

والمسلمون وان تناءت بينهم الديار ، وشط المـــزار ، يترابطون بعقيدة التوحيد ، أجل ما ترابط به الناس ويترابطون منذ كان الناس والى آخر الزمان ، ويجمعهم دين لا غنى لهم عن توجيهاته وهدايات كتابه في تجريد عقيدتهم ، وصحة عبادتهم ، وكمال سلوكهم ، ويضاعف من سداد نظرهم في نلك ، ويجلو لهم النهج أكثر وأكثر التزامهم سنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، والسنة في اللسان العربي نسق رفيع في الفصاحة والبيان ، بل هي المثل الأعلى في كل ما تكلم به الناس ويتكلمون ، بعد أن قامت حجة القرآن

على أهل اللسان ، وكان الكلام النبوي في المرتبة التالية لهذا المرتقى القرآني الفذ ..

وحق لمن علمه مولاه أن يكون كلامه من الوضوح والاعراب كذلك ، والله تعالى يقول : **(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)** النساء/١١٣ ، وقال : **(إن علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه)** القيامة/١٧/١٩ ، وإذا كان الثقات الأمناء المتمرسون باللغة العربية يستخلصون رحيق القرآن والسنة ويستوعبون منهما ما لا بد منه لنقاء العقيدة ، وبيان السلوك ، ويقدمون ذلك بأحسن أسلوب لأقوامهم بلغاتهم ولهجاتهم ، وهو عمل مبرور ، وجهد مشكور ، فان ما ندعو الأخوة الى تعلمه من لغة القرآن ، يحرز لهم أضعاف أضعاف ما قدمه اليهم الأبرار الصالحون من جهة ، ويربطهم من جهة أخرى بوثاق أبر وأطهر ، ووشيجة أنقى وأبقى ، بالرسالة والرسول وصحابته وباللغة التي كانوا يتعاطونها بما تحمل من أدب الخطاب ، وأخلاق الفطرة ، ونماء المكارم العربية الاسلامية التي المح اليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » جامع الأصول ج/٤ .

وتستطيع أن تقرأ آيات : **(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)** البقرة/٢٢٢ ..

وقوله تعالى : **(وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين)** الأعراف/١٨٩ . وغير شاهد ومثال في كتاب الله ، فلا تجد كلاما يثير نزوة ، أو يحرك شهوة ، أو يتحرج من قراءته أو سماعه فتى أو فتاة ، وإنك لواجد في السنة المطهرة في أبواب الوضوء والغسل وغيرها وفي كلام الذين تدرجوا في مدارجهما وتخرجوا على مناهجهما الأسلوب الذي نترسمه في لغتنا الجميلة ورحم الله الامام ابن تيمية فهو يقول :

« واللسان تقارنه أمور أخرى من العلوم والأخلاق ، خاصة العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله ، وفيما يكرهه ، فلهذا أيضا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم وأعمالهم ، وكراهة الخروج عنها الى غيرها من غير حاجة » أهـ .

ويقول : « وأيضا فان اللغة العربية لغة الدين ومعرفتها فرض واجب ، فان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم الا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

واستأنس قدس الله روحه لوجوبها على الأعيان وعلى الكفاية بما كتبه عمر الى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما « أما بعد .. فتفقهوا في

السنة ، وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فهو عربي » .
وبما قاله عمر رضي الله عنه :
« تعلموا العربية فانها من دينكم ... وليس تعلم قدر من اللغة العربية صعب المدرك ، ولا هو بالمراد العسير المنال حين يصدق القصد ، وتصح العزائم ، ومن يدري فقد يبلغ الأخوة من لغة دينهم المبلغ الذي يردون به الأذهان الى علماء اعلام تركوا للدنيا « الأمهات » في علوم القرآن والحديث واللغة ، وعلوم في جوانب المعرفة هي النبع الأصيل لكل تفكير جليل عبر الأزمان ، وكل حضارة نظيفة ترتفع بالجنس البشري الى ما شاء الله الذي يقول :

« **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء / ٧٠ .

فلقد نزل القرآن على سيدنا محمد صلوات الله عليه في بضع وعشرين سنة كما قال ربنا سبحانه وتعالى **(ونزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين)** الشعراء ١٩٣ / ١٩٥ فما كان حظ بلال الحبشي وسلمان الفارسي ومن وراءهما أقل من حظوظ الصحابة رضوان الله عليهم ، نطقوا جميعا كلماته ، وحفظوا آياته ، ووعوا عبره وعظاته ، أو أدركوا — على الأقل — ما شاء الله أن يدركوا منها ، فلم تمنع احدهم عجمته عن السبق في رياض القرآن والسنة ، واستقامت بذلك عقولهم وألسنتهم ، حتى كان بلال الرجل الكفء المناسب للعمل المناسب ، وأى عمل ؟! انه الأذان والاعلام بأشرف عبادة وأجل طاعة بعد الايمان بالله .

ويبرز الرسول بعض خصائص بلال وهو يقول لعبد الله بن زيد الذي رأى الأذان وسمع الفاظه في نومه ، وحدث بذلك رسول الله صلوات الله عليه فقال له :
« ألقه على بلال فانه أندى منك صوتا » أخرجه الترمذي وأبو داود .
كما أبرز الحفى الوفي رسول الله ، فضل سلمان وخصائصه الشريفة وهو يقول « سلمان منا آل البيت » أخرجه الطبراني والحاكم .
يا له من شرف تقاعس عنه عبد العزى بن عبد المطلب بكفره وظلمه لابن أخيه حتى قال تعالى : **تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب)** المسد / ١ — ٣ .
ان البيان العربي منه : امتن بها علينا ربنا — جلت آلاؤه — قراءة وكتابة يهديان للتي هي أقوم ، حين تخالطهما خشية الله وذكره والتماس عونه ، وهل نفهم أقل من هذا ونحن نتأمل اول ما اوحى الله من كتابه باطلاق الى مصطفاه :
(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم

الانسان ما لم يعلم) العلق /١ ـ ٥ .

ثم تعظم النعمة وتجل المنة ونحـن نتأمل قوله تعالى : **(الرحمن . علم القران . خلق الانسـان . علمـه البيان)** الرحمن /١ ـ ٤ .

وصحيح أن مجتمعات أمة الاسلام اليوم تختلف بظروفهـا والمؤثـرات الجياشة من حولها ، عن « مجتمع الرسالة » وعهود النور التي قفت على آثاره ، لكن تنويه الرسول صلوات الله عليه بالذين يهتمون بلغة القرآن يضفي عليهم الجلال ... يقول أبو فراس الحمداني :

تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن طلب الحسناء لم يغلها المهرا

أو كما قال شيخ المعرة أبو العلاء :

فاني رأيت الصعب يركب دائما
من النـاس من لم يركب الفـرض الصعبا

ولعل هؤلاء الأخوة حين يبلغون شأوا من العلم بالعربية واستعمالها أخذا وعطاءيضيفون اليها شيئا من الذى قدمـه الامـام البخـارى والامـام الزمخشرى ومن لا نحصيهم من أولئك الـرواد الذيـن أثـروا المكتبـة الاسلامية ، والفكر العربى . وصدق حافظ ابراهيم وهو يقول بحق على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن أى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

وقد أورد الامام ابن تيمية رحمه الله حديث أبى هريرة « من تكلم بالعربية فهو عربي » وأورد بسنده الى أبى سلمة بن عبدالرحمن قال : جاء قيس الى حلقة فيها صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي فقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء ؟!

فقام معاذ بن جبل فأخذ بتلابيبه ، ثم أتى به الى النبى صلى الله عليـه وسلم ، فأخبره بمقالته فقام النبى صلى الله عليه وسلم مغضبا يجر رداءه حتى دخل المسجد ، ثم نودى : أن الصلاة جامعة فصعد النبـى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد ـ أيها الناس ـ إن الرب رب واحد ، والأب أب واحد ، والدين دين واحد ، وإن العربيـة ليسـت لأحـدكم بأب ولا أم ، إنمـا هى اللسان ، فمن تكلم العربيـة فهـو عربي » ونكر ابن تيمية ضعف هذا الحديث ولكنه قال : لكن معناه غير بعيد ، بل هو صحيـح من بعض الوجوه كما قدمناه » .

ومن عجب ان يؤثـر المسلمـون الأوائل في البلاد التى نزلوها في الشام ومصر وغيرهما ، وأن يعلموهم على قلتهم لغة القرآن فتصبح هى لغة هذه البلاد ، ثم يعمل إخوتنا على الأخذ بنصيب منها ـ والامام ابن تيمية رحمة الله يقول :

« واما اعتبار الخطاب بغير العربية

التى هى شعار الاسلام ، ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للعصر وأهله ، ولأهل الدار ، وللرجل مع صاحبه ، ولأهل السوق ، أو للآمراء أو لأهل الديوان أو لأهل الفقه فلا ريب أن هذا مكروه ، فانه من التشبه بالأعاجم وهو مكروه ، ثم يقول : ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ، ولغة أهلهما رومية وأرض العراق وخراسان ، ولغة أهلهما فارسية ، وأرض الغرب ولغة أهلها بربرية ، عودوا أهل هذه البلاد « العربية » حتى غلبت على أهل هذه الأمصار ، مسلمهم وكافرهم ، وهكذا كانت خراسان قديما ، ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة ، واعتادوا الخطاب بالفارسية ، حتى غلبت عليهم ، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ، ولا ريب أن هذا مكروه » . يرسم ابن تيمية رحمه الله المنهج لاعادة اللغة العربية الى مكانها من حياتنا فيقول .

« وانما الطريق الحسن ، اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتقنها الصغار في الدور والكاتب فيظهر شعار الاسلام وأهله ، ويكون ذلك أسهل على أهل الاسلام في فقه معانى الكتاب والسنة وكلام السلف بخلاف من اعتاد لغة ثم اراد أن ينتقل الى أخرى فانه يصعب عليه »

ثم يقرر ما أسلفناه من تأثير اللغة في السلوك والاخلاق والعادات إصلاحا وفسادا فيقول : « واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق » ولا أدرى كيف ينتسب الى الدين من لم يؤثر لغته على ما سواها ، وكيف يتغنى بالعروبة أقوام تضيق بالعربية صدورهم .. والله المستعان على كل خير .

الى كتابنا الاعزاء

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة ان يتكرموا بطبع مقالاتهم على الالة الطابعة أو كتابتها بخط واضح مع مراعـــاة ترقيم الآيات وتخريج الاحاديث .. والله الموفق والمستعان .

وضع الربا في البناء الاقتصادي

محمد موذن

- تأليف الدكتور عيسى عبده
- عرض وتحليل : الأستاذ محمد عبد الله السمان

● المؤلف الأستاذ الدكتور عيسى عبده استاذ الاقتصاد السابق بالجامعات المصرية ، غني عن التعريف به ، فهو — والحمد لله برغم تقدمه في السن — لا يزال يتمتع بحيوية الشباب، ونشاطه في مصر ، حيث تعرفه قاعات المحاضرات ، وفي خارج مصر حيث تعرفه المؤتمرات الأسلامية التي لا تكاد تتوقف ..

والمؤلف قد زود المكتبة العربية والأسلامية بالعديد من البحوث الأسلامية الناضجة الواعية القوية ، لكن مما يدعو إلى الدهشة أن هذه المؤلفات قدر لها ان تطبع في البلاد العربية والأسلامية دون أن يقدر لها النشر في مصر وغيرها ، وتحت الطبع الآن مجموعة قيمة من الدراسات الأسلامية الاقتصادية منها : التأمين بين الحل والتحريم — حاجة الأسلام إلى خطة عمل — الزكاة اداة اقتصادية بالغة الأحكام — النظم المالية في الأسلام — دور الربا في استغلال الشعوب ..

● يشير المؤلف في مقدمته ، إلى ان هذه الدراسة التي بين أيدينا تكشف من حقائق رئيسية في الحياة الأولى :

اولا — إن الهيكل الكلي للمجتمع « وفي إطاره البناء الاقتصادي » قد احكم الله صنعه ، وجعل فيه درجات أو مستويات يعلو بعضها بعضا كطوابق الدار أو درج الهرم .

ثانيا — في حدود الأطار المحكم الذي يجمع الوجود الكلي للمجتمع وبنائه الاقتصادي .. تقوم الروابط والعلاقات من صنوف شتى .. ويعنينا منها في المحل الأول العلاقات الاقتصادية .

والاهتمام بالعلاقات الاقتصادية ، لأنها تسفر عن وجودها في عقود ، ومعاملات ، ومراكز قانونية ، واخذ وعطاء .. أو كما يقول المؤلف : إن المادة الاقتصادية شديدة التداخل في حياة كل فرد منا ، ولا تكاد تخلو منها معاملة واحدة من الوف المعاملات التي ندور في فلكها اليوم ..

هذا ويقدم المؤلف توضيحا في إيجاز عن بعض المفاهيم الاقتصادية، مثال : البناء الاقتصادي ، فمفهومه المعنوي يتألف من النسب والصلات القائمة بين القطاعات الراسية والقطاعات الأفقية للمجتمع .. بل كل نسبة بين جماعة واخرى ، وكل صلة بين هذه الجماعة وتلك ، تعتبر عنصرا من العناصر المكونة للبناء الاقتصادي ، اما الشبكة الاقتصادية، فهي المصطلح الثاني المصاحب للبناء ، والمقصود بهذه الشبكة مجرى الأحداث المترابطة من وقائع ومعاملات .

● يبدا المؤلف هذه الدراسة بعرض سريع لأحكام الاسلام في الربا ، هذه الأحكام بدات منزهة عن النقص والعجز ، وهي من أجل ذلك غير قابلة للتكمل ولا للتوفية ، بل لقد

بدات رفيعة القدر لتكفل للناس كافة، مستوى من الحضارتين الماديـــــة والفكرية .. لذلك لا يصح أن يضاف إليها دعوى التطوير بحجة الضرورة الملحة أو تحقيق المصلحة .. أما علم الانسان فهو الذي يجوز عليه التطور والتطوير ، ويتساءل المؤلف : كيـــف يستقيم الأسلوب العلمي في البحث عن مدى الملاءمة بين مجموعة معينة من الأحكام ، وبين التطور الحضري الدائب ، إذا كنا نبدأ القول برفـــع هذه الأحكام إلى مرتبة العقيدة ؟

في الإسلام نرى أن كلا من الأخذ : « كأخــذ الزكـــاة » والإنفـــاق : « كالإنفاق في سبيل الله من صـــدقة ونحوها » يجب أن يخضع لمعيار ثابت تطمئن إليه النفس البشرية ، فلاتجزع من تقرير الفرائض المالية التيتنتقض بحكم اللزوم من المال الخاص بغـــتة ومن غير ضابط ، هذا المعيار الثابـــت هو أن يكون حد المال « المخرج» عفوا أي زائدا ، ولكن إذا عرضنا للأدوار التي مر بها الفقه المالي بعيدا عـــن حكم القرآن ، وجدنا العكس تماما ، إذ كانت الأموال الخاصة تصادر ، وكانت الفرائض تجبى بطرق بدائيةفي ظل الاقطاع .. لذا كانـــــت الادارة المالية نوعا من التخريب والفوضى، وسادت هذه الحال في الغرب ، ومن أسف أنها عرفت بلاد المسلمين بعد أن مال الميزان حول القرن الرابع عشر ، وزادت في عهد المماليك في ظل الدولة العثمانية ..

لئن كان العالم الاقتصادي « آدم سميث » في الربع الثالث من القرن الثامن عشر قد وضع اسس الضريبة العادلة .. إلا أن القرن التاسع عشر كله قد شهد التطور الرتيب في سبيل تجديد هذا المفهوم الـــذي تؤملـــه الانسانية المتحضرة حضارة ماديـــة خالصة ، الا وهو العدالة في توزيـــع التكاليف المالية على افراد الرعية ، وجدير بالذكر ـــ كما يقول المؤلف ـــ أن ما قاله هذا العالم الاقتصادي ، وما زاده من بعده من علماء الاقتصاد وهم بصدد استكمال هذه المعايير ، قد ورد بوضوح في القواعد التـــــي وضعها الخليفةالثاني عمر بنالخطاب رضي الله عنه ، وقد جمع أبو يوسف في القرن الثاني للهجرة ما انتهى إليه من آثار السياسة المالية لعمر، فاذا بها تسبق الغرب بما يقرب من الـــف عـــام .

وبعد أن يعرض المؤلف لخصائص الربا ـــ من حيث إنه ـــ وإن كـــان مخففا فيما يسمى بالفائدة ، الا انه يعتصر الفقير فيزيده فقرا ، ويركـــم على مال الغنى أوزارا من فوق أوزاره .. يستغل حاجة المحروم ، ويمتص دماء الكادحين ... بالاضافة إلى أن كل المعاملات الربوية تتفق في أمرواحد هو الاتجاه إلى معاكسة التيار الخير في المعاملات .. يشير إلى حكمـــــة التشريع الاسلامي في تحريم الربا ، ويناقش الشبهات التي يثيرها البعض على المناقشة العلمية ، ومنها قولهم : إن المقرض بالفوائد الثابتة في زمننا هذا هو الفقير ، والمقترض هو الغنى، فإذا أبحنا الفائدة الثابتة أدخلنا فـــي تشريعنا نصوصا تحمي الدائن الفقير من حيف المقترض الغنى ، ويقولون ايضا : إن هذه التطورات حديثة في الأوضاع الاقتصادية ، لم تكن لعهـــد التنزيل ، ومن ثم فانها تتطلـــــب الاجتهاد ، تحقيقا للمصلحة ، ودفعا للضرر ، وتطويراً للأحكام المعمـــول

بها عندنا ، حتى تلائم العصر ..

يرى المؤلف في الرد على هـــذه الشبهات : أن إنشاء المشـــروعات يتلخص في تجميع المدخرات من سواد الشعب في أيدي جماعة من اصحاب الفكر الاقتصادي أو الخبرة العملية، للحصول على قوة إنتاجية ، ومن ثم، فإن الثمرة التي يجود بها المشـــروع هي من حق المدخرين وهم المساهمون او المقرضون ، لكن قد يقال : وكيف السبيل إلى تطهير المصـــارف من المعاملات الربوية ؟ والرد على ذلك ان المصارف هي امتداد لبيت المال، وهي تؤدي وظيفة لا تنبغي إلا للدولة، وان القابض على الائتــمان ، قابض على كل نشاط اقتصادي ، ثم يشـــير المؤلف إلى ان أحكام الاسلام فـــي شئون الاقتصاد ، ومنها تحريم الربا ــ هي احكام ثابتة ووافية ، لا يجوز عليها التطور والتطوير ، لانها معجزة من صنع الله ، وما علينا إلا ان نتابع النظر في تفصيلات هذه الأحكام ، حتى نصل إلى التصور الصريح المأمون لأساليب تطبيقها ، في مواجهة عالـــم لم يؤمن بها بعد ، وخير دعوة نقوم بها لدين الله ، هي ان نبدأ بأنفسنا فنعمل على تطبيق احكام الله ، وهي اصلح الأحكام بدون جدال ..

وفي خاتمة البحـــث ــ وبعد ان ناقش المؤلف ماهية الاقتصاد الغربي، واكد انه غير قادر على تحقيق العدالة الاجتماعية ــ عرض نماذج من ثقافة الاسلام كإجابة عن بعض التساؤلات:

ــ هل جاء الاســـلام خلوا من النماذج الثقافية التي تحكم ســـلوك الفرد ؟

ــ وهل عنى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، واجتهاد الأولين ، بتقرير المبادىء الثابتة التي تؤلف في جملتها نموذجا ثقافيا رائعا للمعاملات بـــين النـــاس ؟

ــ وإذا ظهر أن الاسلام قد قرر من المبادىء ما لم يصل إليه بعد تطوير الفكر الاقتصادي في الغرب .. وأن هذه المبادىء التي قررها الاسلام .. قد تفردت بالكمال والثبات جميعا .. فهل يجوز ان نغفل هذا التـــراث ، بحكم الولاء السلبي لبلاد انغمست في المادية إلى حد أزعج المصلحين ورجال الفكر من أواخر القرن الثامن عشر إلى الآن ، ولم يصلوا بعد إلى بعض الكمال الذي قرره الاسلام ؟

ويضرب المؤلف مثلا لصلة الرحم كأهم لبنة في بناء المجتمعات ، ويسوق الآيتين الكريمتين الآتيتين :

(ووصينا الانسان بوالديه حملتــه امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إلي المصير . وإن جاهداك على ان تشـــرك بـــي ما ليس لك به علم فلا تطعهمـــا وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبــع سبيل من أناب إلي ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) لقمان / ١٤ و١٥ ويعقب المؤلف: حين تقوم الصلات بين أفراد الأسرة الواحـــدة علـــى اسس من هذا النموذج الانسانـــي البالغ السمو ، فسوف يجيء المجتمع على صورة مشرقة ..

ومن النماذج المثالية : ان الانفـــاق أمر إلهي ، وأن المال مال الله ، ونحن مستخلفون فيه ، وأن الملكية وظيفة اجتماعية ، وأن هناك توصيات إلهية بالإضافة إلى الحقـــوق المفروضة ، توصيات بالأقربين واليتامى والمساكين

فالله يوصينا بأن نتسامى عن فكرة المادية الخالصة حال النظر إلــــى المال ، وبأن نفهم أن المال وسيلـــة لاغاية ، وأن الثروة ليست مفهوما ماديا خالصا ، وإنما هي مفهـــــوم تخالطه فكرة تحقيق الرفاهية للمجتمع وأولى الناس بالبر والاحسان فـــي المعاملـــة ، الأقربون ثم اليتامـــى والمساكين ، إن مفكري القرن التاسع عشر ــ بصفة خاصة ــ كما يشير المؤلف ــ ذهبوا إلى أن راس المال لا ينفصل عن التاريخ ، وأن ملكيـــة الفرد في زمن معلوم لا تنفصل عـــن الأحداث التي توالت وأسلمت اليه ثمرة جهود الأجيال السابقة ، وأن هذا المال ما كان ليسعد به صاحبه لولا النظام الذي يسود المجتمـــع ، وعلى راسه السلطة المسئولـــة أو الدولة .. ورتبوا على هـــذا كله ، حق الدولة في أن تأخذ هذا المال أو أن تغترف منه ، إن اقتضى الصالح العام ذلك .. ولقد انتهى تطـــور الفكر الاقتصادي هذا ، إلى تقرير نماذج من القانون الوضعي ، التي تنص على أن المال الخاص يتصـــل بتحقيق منفعة عامة ، ومـــن أقرب الأمثلة ما نص عليه دستور «ديجول» لفرنسا عام ١٩٤٦ م.

ويعقب المؤلف : ولكن الاسلام سبق إلىتقرير حق الدولةعلى المال الخاص لتحقيق الصالح العام ، فالقرآن يقرر الأخذ من الأموال لتطهيرها وتزكيتها: **(خذ من اموالهم صدقـــة تطهرهم وتزكيهـــم بهـــا)** التوبة / ١٠٣ ويـــراد بكـــل مـــن التزكيـــة والتطهيرـــفيما نحن بصدده ــ إخراج حق الضعيف من جملة ما تجمـــع للمقتدر من مال ، وإذا كان الاســـلام قد سبق إلى تقرير هذا الحق ، وثبت عليه ، فإن الفكر الاقتصادي الغربـــي لم يصل إلى مثل ذلك إلا بعـــد قرون من الظلمة الحالكةفيالعصور الوسطى وجهود مضنية مـــن عهـــد المدرسة التاريخية ، التي نشطت في أوائـــــل القرن التاسع عشر ..

هذا ويسوق المؤلف نصا من وصايـــا الخليفة عمر بن الخطاب ، يوضـــح فهمه لقواعد الأخذ من المقتدر لصالح الضعيف :

«أوصى الخليفة من يعدى بتقوى الله .. وأوصيه بأهل الأمصار .. فإنهم رداء الاسلام ، وغيظ العدو ، وجباة المال : الا يأخذ منهم إلا فضلهم عـــــن رضى منهم .. وأوصيه بالأعـــراب ، فإنهم اصل العرب ومادة الاســـلام : أن يأخذ من حواشي أموالهـــم ــ أي الفضل منها أو الزيادة ــ فيرد علـــى فقرائهم .. وأوصيه بذمة الله وذمـــة رسوله ــ عليه السلام ــ أن يوفـــي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهـــم ولا يكلفوا فوق طاقتهم » .

● وبعـــــد ...

فالحق أننا أمام دراسة جيدة علـــــى مستوى رفيع من العطاء الاسلامي في مجال الفكر الاقتصادي ، وهذا ليس بكثير على مثل الدكتور عيسى عبده الذي له تخصصه الأصيل في مجـــال الاقتصاد ، وكأستاذ جامعي في هـــذا المضمار ، وله ايضا عنايته بالفكـــر الاسلامي ودراسته المتعمقـــة فيه ، ومع هذا فهناك بعض الملاحظات التي نكتفي منها بملاحظتين عاجلتين :

ــ الأولى : ما يراه المؤلـــف مـــن ان الأحكام التي جاء بها الديـــن الحنيف لا تقبل التطور ولا التطويـــر ، لأن التطوير اسلوب تقدمي ، يستهدف

الترقي إلى مستويات فوق ما هو كائن أو مألوف ، ولا يصح القول بالترقي إلا منسوبا لأمر مشوب .. ولما كانت أحكام الاسلام — كما يقول المؤلف — مستمدة من القرآن أو تجد ضوابطها من آيات الله البينات .. فإن أحكاما كهذه ، قد تميزت على كل حكم أو رأي من قول البشر ، بأنها تنزلت كاملة شاملة ، ومنفردة بالثبات الأبدي ..

وهذا كلام يبدو ولا غبار عليه .. إلا أنه من المسلمات إن أحكام الأسلام التوقفية هي التي ينطبق عليها مثل هذا القول ، أما الأحكام الاجتهادية — وهي أحكام إسلامية أيضا ، باعتبار الاجتهاد أصلا من الأصول التشريعية في رأي الغالبية من العلماء — هذه الأحكام الاجتهادية يسري عليها التطوير ، مثال ذلك قول الله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة / ٢٧٥ فهنا قاعدتان عامتان ، تؤديان إلى أن البيع حلال ، والربا حرام ، لكن الفقهاء اختلفوا في التفاصيل ، في أنواع البيوع ، وفي مشتقات الربا ، واختلاف الفقهاء معتمد على الاجتهاد ، والاجتهاد قائم إلى يوم القيامة ، وخاضع للتطور والتطوير ، ولا أظن المؤلف على غير هذا الرأي ..

الثانية : يرى المؤلف — ويصر على هذا الرأي — أن لفظة « العفو » في الآيتين الكريمتين : **(ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو)** البقرة/ ٢١٩ — **(خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)** الأعراف/١٩٩ ينصرف إلى اليسير من المال أو الزائد على الحاجة ، بالرغم من إقرار المؤلف بأن المفسرين لهم تفسيرات أخرى بالنسبة للفظة **« العفو »** في الآية الثانية ، ونحن نرى أن السياق القرآني في الآية الأولى يحتم أن يكون المقصود بالعفو هو الزائد عن الحاجة ، أما في الآية الأخرى فالسياق القرآني يصرف لفظة « العفو » إلى الصفح والمغفرة ، فأولا — نجد ان الآية السابقة على قوله تعالى : **خذ العفو ...** هي : **(وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا)** الأعراف / ١٩٨ . وثانيا — لأن آية الأعراف مكية ، بينما الآية الأولى من سورة البقرة فمدنية حيث كان التشريع ، وثالثا — لا يفسر اللفظ القرآني منفردا أخذا من قواميس اللغة ، لوجود الوحدة العضوية في كل آية منفردة ، أو في أكثر من آية مجتمعة ، ورابعا — لأنه إذا كان بعض المفسرين — وهم قلة — قالوا بقول المؤلف ، إلا أن الكثرة على تفسير « العفو » في الآية الثانية ، هو الصفح والمغفرة ، فالزمخشري يقول في تفسير الآية : « أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم ، وتسهل من غير كلفة » ويرى الشهيد سيد قطب في الظلال أن معنى « خذ العفو » خذ الميسر الممكن من أخلاق الناس، ولا تطلب إليهم الكمال، ولا تكلفهم الشاق من الأخلاق ..

ويبقى تقديرنا للمؤلف الذي قدم للمكتبة الأسلامية دراسة موضوعية تجلت فيها المقارنة بين شريعة الله وشريعة الأنسان، وتجلى فيها مواجهة التحدي للفكر الأسلامي ، الذي هب علينا من الغرب أو الشرق ، هذا التحدي الذي يجب على أقلام العلماء والمفكرين الاسلاميين أن تتصدى له .؟

الاسلام

نظم أحمد شوقي رحمه الله قصيدته « ولد الهدى » بعاطفة نبيلة وارادة خيرة وغنتها أم كلثوم وكانت كلما رددت قوله : الاشتراكيون أنت امامهم ... هاج العامة وصفقوا طربا !! وأصبح من تقاليد إحياء ذكرى المولد النبوي ترديد هذه القصيدة في الاذاعات ، وأضحى قوله : الاشتراكيون أنت امامهم ... من الشعارات وكأنه حقيقة مسلمة وفي ذلك ما فيه من الخطر على عقول العامة التي تستدرج هكذا الى صفوف « الاشتراكيين » ما دام محمد صلى الله عليه وسلم « إمامهم » في زعمهم رغم موقفهم المعروف من الاسلام دين محمد عليه السلام .

وكفى ..

للاستاذ : عمر بهاء الدين الأميري

وهذه أبيات ارتجلها الشاعر الأميري ليلة المولد الأغر ، تبين الرأي الحق في هذا الصدد :

قلبي ، وحُبُّكَ للقلوبِ شَفَاءُ
بهواكَ يَخْفِقُ ، والهوىٰ آستهداءُ

يا مَنْ بُعِثْتَ مُسَدَّداً ومُؤَيَّداً
ومُحَمَّداً وزَكَتْ بك الآلاءُ

الجاهِلِيَّةُ ، ظُلمُها وَظَلامُها
بِكَ بُدِّلَتْ أيَّامُها السَّوْداءُ

وتَأَلَّقَتْ مِنْ بَعْدِ حُلْكَتِها الدُّنىٰ
بِمَكارِمِ الأخْلاقِ فَهِيَ سَنَاءُ

لَمْ تَأْتِ بِدْعاً بَلْ أَتَيْتَ مُصَدِّقاً
وَمُهَيْمِناً ، فَعَلَتْ بِكَ العَلْيَاءُ

الله أَكْمَلَ دينَهُ بِكَ وآرْتَضَى
وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ .. وعَمَّ حِبَاءُ

فِي أُمَّةٍ وَسَطٍ ، وَقَوْمٍ مازَهُمْ
خَلاَّقُهُمُ فَهُمْ هُمُ الشُّهَدَاءُ

وَجُعِلْتَ أنتَ شَهيدَهُمْ وَمَجِيدَهُمْ
طُوبَى لَهُمْ فَهُمُ بِكَ السُّعَدَاءُ

أبْرَمْتَ أمرَ الله عَدْلاً مُحْكَماً
فِي الكَوْنِ فاتَّزَنَتْ بِهِ الغَبْرَاءُ

قِسطاسُــهُ يَسَــعُ الوُجــودَ بِفَضْلِهِ   الوَحْــيُ ، وَحْــيُ الله ، أَنْــتَ مَكَانُهُ
جَحَدَتْــهُ أَمْ شَهِــدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ   وَبَيَانُــهُ وَصِرَاطُــهُ الوَضَّاءُ

لا يَنْتَمِــي الاَّ إِلى الحَــقِّ الّذي   قُرْآنُــهُ يَهْــدِي لأَقْــوَمِ مَنْهَجٍ
في الأَرْضِ وازَتْ كَفَتَيْهِ سَمَاءُ   في العَــالَمِينَ ، و بِهِ غَرَّاءُ

إِنْصَافُــهُ للخَلْــقِ فِيهِ سَجَاحَةٌ   فالــدّينُ عِنْــدَ الله مِنْ تَنْزِيلِهِ
وَسَمَاحَــةٌ وَمُرُوءَةٌ وإِخَاءُ   (الإِسْــلامُ) وَهْــوَ إحاطَــةٌ وَغَنَاءُ

(الاشتِــراكِيّونَ) لَسْــتَ إمَامَهُمْ   عَلَــمٌ تَفَــرَّدَ في العَوَالِــمِ شَرْعُهُ
بِهُــوَادَةٍ .. أو بالتّطــرُّفِ جَاءوا   فَذٌّ وَكُلُّ الفَلْسَفَــاتِ مِرَاءُ

و (الــرَّأْسمَالِيُّونَ) يَنْتَسِبُــونَ في   أوفى وأَرْبــى وآسْتَقَــلَّ لِذَاتِهِ
دَعْوَاهُــمُ ، كَلاَّ فَذَاكَ هُرَاءُ   بــاسمٍ تَقَــاصَرُ دُونَــهُ الأَسْمَاءُ

بَلْ أَنْــتَ خَاتَــمُ أَنْبِيَاءِ الله في   لا تَنْسِبُــوهُ إلى سواهُ تَجَنِّيَاً
الــدُنْيا ، وأَنْــتَ رَسُولُــهُ البَنَّاءُ   أهِــيَ الغَبَــاوَةُ أَمْ هُمُ الأَعْدَاءُ

(المُصْطَفَــى) البَــرُّ الأمــينُ بِنُبْلِهِ   نُورٌ ... وَدَيْجُــورٌ فأَيْنَ عُقُولُكُمْ ؟!
وَبِفَضْلِــهِ والأُسْــوَةُ المِعْطَاءُ   حُكْمٌ مِنَ الله العَليمِ ... مَضَاءُ

وَلأَنْــتَ سَيِّدُ خَلْقِــهِ بِكَ كُرِّمَتْ   القِمَّــةُ الإِسْــلامُ (دِينُ مُحَمَّدٍ)
كُلُّ البَــرايا وازدَهــى الحُنَفَاءُ   وَكَفَــى .. بَلاغٌ مُبْــرَمٌ وَقَضَاءُ

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن نقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، ونكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« ان ابراهيم لما بنى البيت صلى في كل ركن الف ركعة فأوحى الله اليه افضل من هذا سد جوعة وستر عورة »

موضوع :

قال ابن تيمية : هذا كذب ظاهر .
والظاهر من هذا الحديث انه يفضل بعض الاعمال على الصلاة التي هي ركن هام من اركان اى عبادة في اى عصر وفي اى رسالة .
واعتبرها الاسلام من أركانه التي لا تسقط عن المسلم ابدا الا اذا فقد الوعي والعقل فضلا عن انها تضم بين أركانها أركانا اخرى للاسلام ، كالشهادة مثلا ، وتشير الى ما توحى به الأركان الأخرى في الاسلام .

« آية من كتاب الله خير من محمد وآله »

موضوع :

قال السخاوى في المقاصد : لم اقف عليه .
وقال الحافظ ابن حجر : لم اقف عليه ايضا بهذا اللفظ .
وقد ورد في فضائل القرآن الكريم من جامع الترمذي ما يفيد ان كلام الله اعظم خلق الله في السماء والارض .
اذا هذا اللفظ غير مأثور .


قد سمع
الله

للاستاذ : عبد السميع المصري

قد سمع الله .. ومن غيره يسمع وهو اقرب الى الانسان من حبـــل الوريد .. ؟ ومن سواه يسمع شكاة المظلوم وأنه الموجع ؟ اليس هو السميع العليم باحوال خلقه وما يعانون في ارضه .. ؟ اليس هو الذي يهدي الحيران وياخذ بيد الملهوف في ظلمات الطريق .. ؟
أجل : أنه هو الله الذي استمع من فوق سبع سماوات لنبضـــات قلب خولة بنت ثعلبة ، الذي استصرخه من اللهفة على عش حبيب يوشـــك ان يتصدع .
وكانت خولة زوجة لرجل يدعي أوس بن الصامت ، به لمم يصيبه كثيرا من الوقت فلا يدري ما يقول ولا يعقل ما يفعل ، واحتملت خولة مصاب زوجها ابي اولادها ورضيت بالعيش معه تعمل لتعوله وتعول صغارها صـــابرة محتسبة اجرها عند الله تعالى .
وكان اوس يفيق من هذا الجنون فيعقل بعض العقل ويجتهد ان يتعـــاون مع زوجه ويساعدها في سعيها على الرزق ويجتهد في خدمة بيته وعيـــاله معهـــا .
لكنه في ذلك اليوم المشهود لاحى خولة وأكثر جدالها وأغلظ لها القول حتى احتدم الجدال بينهما وتصاعدت حمية الغضب في رأسه فاذا به يصيح « أنت على كظهر أمي .. » فتخرس الالسن وينزل الصمت على كل من في البيت فلا ينطق وينظر بعضهم الى بعض نظرات فيها الجزع مما سمع والفزع من مستقبل مجهول .. مستقبل غامض لا يدرى احد ما الله محدث فيه .
ماذا قلت يا اوس ؟ ولماذا هذا القسم الرهيب الرعيب الذي كان يهدم البيوت ويشتت الاسر ؟ الم تعلم ان من ظاهر في الجاهلية كانت تحرم عليه امراته آخر الدهر .. ؟ لماذا تكون أنت يا اوس أول من يظاهر في الاسلام ؟
بعد ساعة هال أوس الدموع الصامتة التي تجري على وجه خولة واحس بالندم يغمر روحه والاسى يتفجر في صدره آلاما مبرحة فاقترب منها وقـــد نطقت عيناه بالحزن والالم يسالها : ــ ماذا .. ماذا قلت ؟
ــ لقد قلت « أنت على كظهر امى .. »
ــ ما أراك الا قد حرمت على
ورفعت خولة اليه عينيها الدامعتين وفي نفسها اصرار على الدفاع عن بيتها .. عن كيانها .. عن حياتها وأولادها فقالت : ــ انك ما ذكـــرت طلاقا ..
اليس هذا ظهارا .. ؟
ــ نعم .. لكن كان هذا التحريم فينا قبل ان يبعث الله رسوله فات رسول الله فسله عما صنعت .
ــ والله اني لاستحيي منه ان اساله عن هذا ..
ــ انت قلتها يا أوس ..
ــ نعم واني لنادم .. لكن لتاتي انت رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ان تكسبينا منه خيرا وتفرجي عنا ما نحن فيه مما هو أعلم به .
نهضت خولة فلبست ثيابها ثم خرجت الى الطريق لا تكاد ترى ولا تحس

مما حولها شيئا .. قد أثقل الحزن قلبها وخيم الهم على روحها واحتشدت الافكار السود في رأسها وهي تكاد تعدو لتلقي باحمالها وهمومها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اليس هو المسئول عنا .. ؟ اليس هو رسول الله يتلقى وحي السماء .. ؟ ان السماء ارأف وارحم بنا من انفسنا .. وان رسول الله عزيز عليه ما عنتنا واخطأنا .. انه ولا شك ســـيجد لنا من ضيقنا فرجا .

وما ان رات خولة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام المؤمنين عائشة حتى قالت « يا رسول الله أن أوسا من قد عرفت .. ابو ولدى وابن عمي وأحب النـــاس الي ، وقد عرفت ما يصيبه من اللمم ، وعجز مقدرته وضعف قوته وعى لسانه ، وأحق من عاد عليه أنا بشيء ان وجدته وأحق من عاد علي بشيء أن وجده هو ، وقد قال كلمة ، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا ، قال « انت على كظهر أمي .. »

فاطرق الرسول الكريم لحظة يفكر في امر هذه الزوجة الملهوفة تدافع عن زلة زوجها وتريد ان تحمي عشها لكنه لا يجد فيما أنزل عليه من تشريع حلا لمشكلتها فيقول « ما اراك الا قد حرمت عليه .. » .

لكن خولة في اندفاعها المخلص تجادل رسول الله مرارا وتراجعـــه وتؤكد له ان أوسا لم يقصد طلاقا ولم يعنه قط لانه يحبها ويحب أولاده .

فلما يئست من جدال رسول الله رفعت بصرها الى الســـماء قائلة « اللهم اني اشكو اليك شدة وجدي وما شق علي من فراقه ، اللهم انزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج » .. فبكت عائشة رضي الله عنها وبكى كل من كان في البيت معهم رحمة لخولة ورقة عليها .

وبينا خولة كذلك بين يدى رسول الله تكلمه ، وكان رسول الله اذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد وجهه ويجد بردا في ثناياه ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان ، قالت عائشة : يا خولة انه لينزل عليه الوحي واني لاظن ما هو الا فيك .

— اللهم خيرا فاني لم ابغ من نبيك الا خيرا .

ثم تقول عائشة رضي الله عنها « فما سرى عن رسول الله حتى ظننت ان نفسها تخرج فرقا من أن تنزل الفرقة » . فسرى عن رسول الله وهــو يتبسم فقال : « يا خولة » . قالت : لبيك ، ونهضت قائمة فرحا بتبسم رسول الله ، ثم قال : « قد أنزل الله فيك وفيه » ثم أخذ يتلو قائلا : (بسم الله الرحمن الرحيم . قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ، أن الله سميع بصير ، الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ، ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، وان الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم) المجادلة / ١ — ٤ .

انحطت خولة جالسة وقد بهتت الابتسامة على شفتيها وزاغت نظراتها فلا تدري أهي فرحة ببراءة زوجها من الطلاق والتئام الشمل ؟ أم تراها حائرة

فيما اشترط الله من شروط لاستئناف الحياة الزوجية بعد هذا الظهار .

انها شروط لا يستطيعها اوس ولا تستطيعها خولة .. حقا لقد استجابت السماء لدعائها ونزلت رحمة الله بردا وسلاما على قلبها واراد الله بالناس يسرا في دينهم . .لكن ماذا تستطيع مع ما هم فيه من فقر لتنفيذ شرط العــــودة ؟ .

والتفتت الي النبي صلى الله عليه وسلم تقول : يا رسول الله ..

ــ ((مريه أن يعتق رقبة)) .

ــ وأي رقبة والله ما يجد رقبة وما له خادم غيري .

ــ ((مريه فليصم شهرين متتابعين)) .

ــ والله يا رسول الله ما يقدر على ذلك ، انه ليشرب في اليوم كذا وكذا مرة ، قد ذهب بصره مع ضعف بدنه وانما هو كالخرشافة .

ــ ((فمريه فليطعم ستين مسكينا)) .

ــ واني له هذا وانما هي وجبة .

ــ ((فمريه فليات أم المنذر بنت قيس فلياخذ منها شطر وسق تمرا ــ ما يعدل نصف اردب بالكيل المصري تقريبا ــ فيتصدق به على ستين مسكينا ..))

فانتفضت خولة واقفة وبودها لو استطاعت ان تقبل يد هذا الرسول الكريم الذي بعث رحمة للعالمين لكنها في الوقت نفسه تود لو تطوى الارض طيا لتعود الى زوجها وتخبره بما اراد الله لهما وتحدثه عن كرم الرســول الذي لا يشبهه كرم وسخائه الذي لم يعرف له التاريخ مثيلا .. انه حقــا الرسول العطوف الرؤوف .. حقا انه أولى بالمؤمنين من انفســهم وازواجه امهاتهم وبيوته للمسلمين جميعا مفتوحة تسمع شكاتهم وتضمد جراحهــم وتأسو آلامهم .. وهل كانت خولة تتصور ان يدفع الرسول عقوبة زوجها ؟ ويتحمل هو عبء اطعام ستين مسكينا عن أوس ؟ .. انهم جميعا أولاده .. أوهو لنا جميعا كالوالد الرحيم . .

كانت خولة تراودها هذه الافكار وهي في طريق عودتها وتتردد في ذهنها بينما ابتسامة الرضى والامن ترتسم على شفتيها حتى بلغت البيت لتجــد أوسا جالسا على الباب ينتظرها وما ان احس باقترابها حتى ســـارع يسالها :

ــ يا خولة ما وراءك ؟

ــ خيرا وانت دميم ..

ــ نعم نعم .. لكن اين الخير يا خولة ؟

ــ قد أمرك رسول الله أن تاتي أم المنذر بنت قيس فتاخذ منها شطر وسق تمرا فتصدق به على ستين مسكينا .

وتروى خولة ما حدث بعد ذلك فتقول ((فذهب أوس من عندي يعــدو حتى جاء بشطر الوسق من التمر على ظهره وعهدي به لا يحمل خمســة اصوع ، ثم جعل يطعم مدين ــ أربعة ارطال مصرية ــ من تمر لكل مسكين)) .

وهكذا استطاع أوس بقوة الحب ان يحمل ستة أمثال ما اعتاد حمله وان يعدو وان يتصدق لتعود اليه زوجه الحبيبة التي احبها واحبته وتفانت في الاخلاص له .. وهكذا عاد السلام يظلل من جديد ذلك العش المؤمــن الســعيد .

الفتاوى للشيخ : عطية صقر

الجمع بين الصلاتين

السؤال - نرى بعض الناس يجمعون بين الصلاتين بدون سفر ولا مرض ولا مطر ، ويقولون إن الدين يسر ، فهل لذلك أصل في الشرع ؟

أ . ع . م بمساجد الكويت

الجواب - روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعا وثمانيا ، الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وفي لفظ الجماعة الا البخارى وابن ماجه : جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء من غير خوف ولا مطر . وعند مسلم في هذا الحديث من طريق سعيد بن جبير قال : فقلت لابن عباس : لم فعل ذلك ؟ قال : أراد ألا يحرج أحدا من أمته . وأخرج الطبرانى مثله عن ابن مسعود مرفوعا ، ولفظه : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء . فقيل له في ذلك فقال « صنعت هذا لئلا تحرج أمتى » .

والحديث ورد بلفظ : من غير خوف ولا سفر ، وبلفظ : من غير خوف ولا مطر ، ولم يقع مجموعا بالثلاثة في شئ من كتب الحديث أى بلفظ : من غير خوف ولا سفر ولا مطر . والمشهور من غير خوف ولا سفر .

وجاء في رواية البخارى ومسلم عن ابن عباس في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعا وثمانيا أن أيوب السختيانى سأل أبا الشعثاء جابر بن زيد الراوى عن ابن عباس وقال له : لعله في ليلة مطيرة . قال عسى .

وابن عباس كان يفعل كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فان أبا الشعثاء يقول - كما رواه النسائى - إن ابن عباس صلى بالبصرة الأولى « الظهر » والعصر ليس بينهما شئ ، والمغرب والعشاء ليس بينهما شئ ، فعل ذلك من شغل . وفيه رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم . وفى رواية مسلم أن شغل ابن عباس المذكور كان بالخطبة ، وأنه خطب بعد صلاة العصر الى أن بدت النجوم « دخل الليل » ثم جمع بين المغرب والعشاء . وفيه تصديق أبى هريرة لابن عباس في رفعه .

هذا بعض ما ورد من الاحاديث والأثار في الجمع بين الصلاتين . والعلماء في ذلك فريقان :

أ - فذهب جماعة من الأئمة الى الأخذ بظاهر حديث ابن عباس فجوزوا الجمع في

الحضر ، أى في غير السفر ، للحاجة مطلقا ، ولكن بشرط ألا يتخذ عادة وخلقا ، قال ابن حجر في فتح البارى : وممن قال به ابن سيرين وربيعة وابن المنذر والقفال الكبير ، وحكاه الخطابى عن جماعة من أصحاب الحديث ، وقال الشوكانى في نيل الأوطار : رواه في البحر عن الامامية ، وروى عن علي وزيد بن علي . والحجة في ذلك نفى الحرج مادامت هناك حاجة ، وكان منها شغل ابن عباس بالخطبة .

ب ـ وذهب جمهور الائمة الى منع الجمع بين الصلاتين الا لعذر ، وحكى عن البعض أنه إجماع ، ولا عبرة بمن شذ بعدا لاجماع الأول ، وحجتهم في ذلك أخبار المواقيت التى حددت أوقات الصلاة ، ولا يخرج عنها الا لعذر ، ومن الأعذار ما هو منصوص عليه كالسفر ، وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جمع بين الصلاتين في السفر ، وكالمرض ، فقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال للمستحاضة ـ والاستحاضة نوع مرض ـ « وإن قويت على أن تؤخرى الظهر وتعجلى العصر فتغتسلين وتجمعين بين الصلاتين » ومثله بين المغرب والعشاء . وكالمطر ، فقد جاء في موطأ مالك عن نافع عن ابن عمر ، كان إذا جمع الأمراء بين المغرب والعشاء في المطر جمع معهم ، وأخرج الأثرم في سننه عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أنه قال : من السنة اذا كان يوم مطير أن يجمع بين المغرب والعشاء . وهناك أعذار أخرى قيست على هذه الأعذار أو هى في معناها ، كما سيأتى .

وأجاب هذا الجمهور على حديث ابن عباس الذى يقول بالجمع من غير عذر بأجوبة لا يسلم بعضها من المناقشة وعدم التسليم ، لكن أحسنها هو أن الجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة من غير سفر ولا مرض ولا مطر ، كان جمعا صوريا ، بمعنى أنه أخر صلاة الظهر الى آخر وقتها فصلاها ، ثم عجل صلاة العصر في أول وقتها ليس بينهما الا قدر يسير ، فيظن الرائى أنه جمع بين الصلاتين في وقت واحد لاحداهما ، والحقيقة أن كل صلاة وقعت في وقتها المحدود لها ، لأن لكل صلاة وقتا له أول وله آخر ، ولما كان أداء الصلاة في أول وقتها له فضله كان يحرص عليه الصحابة ، لكن ربما تكون هناك أعذار تمنع من المبادرة الى الصلاة أول الوقت ففعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك أحيانا ليرفع الحرج عن أمته ، وليعرفوا أن الصلاة في آخر وقتها وقعت أداء ولا حرج في التأخير مادامت هناك حاجة .

وهذا الجواب ارتضاه ابن حجر في « الفتح » وقال : قد استحسنه القرطبى ورجحه إمام الحرمين ، وجزم به من القدماء ابن الماجشون والطحاوى ، وقواه ابن سيد الناس بأن أبا الشعثاء ـ وهو راوى الحديث عن ابن عباس ـ قد قال به . ثم قال ابن حجر : ويقوى ما ذكر من الجمع الصورى أن طرق الحديث كلها ليس فيها تعرض لوقت الجمع فاما أن يحمل على مطلقها فيستلزم إخراج الصلاة عن وقتها المحدود بغير عذر ، وإما أن يحمل على صفة مخصوصة لا تستلزم الاخراج ، ويجمع بها بين مفترق الأحاديث ، فالجمع الصورى أولى أ هـ .

مع الشباب

الشباب هم نخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادهـا ، ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية،ولا غرو ، فهم مستقبلهـا السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة نبيه .

وكان أن أوصى المسئولون ـ زيادة في رعاية الشباب وتثقيفهم ـ بانشاء باب في مجلتنا (الوعي الاسلامى) يهتم بشئونهم ، ويبسط لهم تعاليم دينهم في يسر ، حتى يكونوا على النهج ، ويتجنبوا المزالق والهوى ، ويتحصنوا في وجه كل دخيل ، ففي الاسلام الدواء لكل داء .

ونحن نحس بموجة من السرور تطغى على نفوسنا ، حين نرى استجابة شبابنا للنداء الذى وجهناه اليهم ، فلم نكد نعلن على صفحات المجلة أننا على موعد مع الشباب ، نأخذ منه ونعطيه ، ونفتح صدورنا لفكره ، ورأيه ، حتى انهالت علينا الرسائل من أنحاء العالم الاسلامى والعربى ، وبدأنا من خلال تلك الرسائل ، نستشف ما يعتمل في صدور أبنائنا ، وما يجول في خواطرهم ، ثم شرعنا نسجل ذلك في مقتطفات من كلماتهم ، ليتكون منها معرض فكرى ، حافل بشتى المعارف والثقافات ، وسنبذل قصارى جهدنا بعون الله تعالى ، في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه ، الاسلام الحنيف ، وان نقيم بناء العقيدة في نفسه على أساس صحيح ، فان أحدا لا يستطيع إنكار ما للعقيدة من أثر باهر في صنع الحياة ، وازدهارها بالخير . والجيوش الباسلة ، إنما تستمد شجاعتها وصلابة مقاومتها من رسـوخ العقيدة ، وقوة الصبر ، أكثر مما تستمده من قوة السلاح ، وكثرة العتاد . وذخيرة الخلق الفاضل ، والسلوك الراشد ، أجدى على المجتمع من وفرة الانتاج ، وتكدس الأموال ، مع حياة تكتنفها الرذائل ، وتمسك بزمامها أيد غير نظيفة ...

ونحن نستطيع أن نصنع من شبابنا مثلا رائعة ، إذا أردنا وأرادوا ، والله من وراء القصد وهو ولى التوفيق .

من الشاب ابراهيم يحيى محمد ـ الفشن ـ بني سويف مصر وصلتنا هذه الرسالة يقول فيها :

أحب أن يكون هناك حديث شريف يخص الشباب يشرح بايجاز وانشاء باب للتعارف . ويرى وجود حديث قدسي مع شرحه ، وصفحة كاملة بها آية او آيات قرآنية حتى يمكن الاحتفاظ بها **ويسأل :**

ما حكم السهو في الوضوء وترك ركن أو سنة منه .

وما حكم النظر الى وجه الخطيبة والكلام معها ، وهل يلزم وجود الأهل أو الأقارب عند أي لقاء يتم بينهما .

وقد توجهنا الى فضيلة الشيخ عطيه صقر عضو لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت بهذه الأسئلة فقال :

لو تيقن أنه ترك ركنا من أركان الوضوء وجب عليه أن يأتي به سواء تذكر ذلك أثناء الوضوء أو بعده ، ويعد الوضوء باطلا بدون أداء هذا الركن ، وكل ما ترتب عليه من عبادات يعد باطلا .

أما اذا شك في ترك ركن من أركان الوضوء فان كان الشك في أثناء الوضوء لزمه الاتيان به وان كان بعد الانتهاء منه فلا يلزمه الاتيان به .

أما ترك سنة من سنن الوضوء فلا أثر لها في بطلانه .

وعن السؤال الثاني أجاب فضيلته فقال :

النظر الى وجه الخطيبة مندوب اليه ما دام عازما على الزواج لقول النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة : (انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما) أي يساعد على دوام العشرة بينكما . متفق عليه ، وقول النبي : (صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها اذا كان انما ينظر اليها لخطبة وان كانت لا تعلم) رواه أحمد .

وكذلك الكلام معها بشرط ألا يزيد في النظر على الوجه واليدين ، وألا يكون الكلام مثيرا مع مراعاة عدم الخلوة ، وعدم التلامس بأي وجه كان .

وبناء عليه فان وجود الأهل لازم صيانة للأعراض ، ومراعاة للآداب ، واغلاقا لباب الفتنة .

لقاء مع شاب سيريلانكي

على شاطىء البحر الاحمر ... وفي ميناء العقبة الاردني في ملتقى السياح ... وبهجة الزائرين . وبعد ان ادينا فريضة العصر ... ورفعنا ايدينا الى السماء ... نتوجه بالدعاء الى من لا يغفل ولا ينام . قائلين : « اللهم أهدنا واهد بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى » توجهت الى مكان المرطبات ، لأتناول كاسا من العصير ، يخفف وطأة حر المنطقة ، ولأستريح قليلا لأجفف قطرات العرق التي تتساقط من جبيني .

وعند دخولي المكان لفت انتباهي شاب كنت قد رأيته من قبل . وتعرفت عليه ، شاب من ـ سيريلانكا ـ ، وكان يجلس وحده مطرقا . يحاول البحث عن اشياء يجد لها حلاوة في نفسه ولكنه لا يجدها . فيهز رأسه يائسا ... فحييته وقام الي مصافحا ... وجلست اليه ... ورحبت به في بلدي . وبعد ان تبادلنا الآراء والاسئلة ، قلت في نفسي آن الأوان لأغتنم هذه الفرصة الذهبية ، واسلك طريقي كداعية ..

وقمت بوضع المرغبات والمقدمات ... والتي لا اخالها تخفي على كل داعية ، لأقوم بالدعوة على اكمل وجه ، وادخل الى قلعته الحصينة من اوسع واسهل ابوابها دخولا . وفي اللحظة التي شعرت فيها انني استحذوت على شعوره وتفكيره ، قمت بطرح بعض الاسئلة الصريحة . وقد قام بالاجابة عليها ... بعضها بصراحة ... وبعضها بحرج .. وثالثة بمراوغة . وكان أول سؤال قمت بطرحه هو :

ما رأيك في الاسلام ...؟

وكان جوابه صريحا . بعيدا عن كل توقعاتي ... فلقد اجاب بأن الاسلام دين جيد كبقية الاديان بل وانه رائع ، فيه او امر من الله عزوجل لو طبقت لكان فيها الخير الكثير . وكذلك بقية الأديان . ثم طرحت السؤال الثاني وهو :

لماذا لم تعتنق الاسلام ...؟

فأجاب قائلا ، لأنني لم اكن اسمع عن الاسلام الا الدسائس والاكاذيب ، أما الان فقد عرفت أن الاسلام دين جيد وأن كل ما سمعته كان من الاشاعات ... !

وبعد اجابته عزمت على أن أطرح عليه سؤالا لا بد منه .. مع علمي التام باجابته عليه من مقارنته ومساواته للاسلام بالاديان الأخرى في اجابته التي تضمنت الاجابة عن السؤال الأول . فقلت :

ولماذا لا تعتنق الاسلام ... الآن ... ؟

فأجابني بالاجابة التي كنت اتوقعها كما ذكرت في الفقرة الماضية . وقال : لأنني ادين بدين سماوي وانا على ديني لا ازال ، ثم قام بضرب مثال لي وقال : لنأخذ ساعتي هذه ... فهي صالحة حسب اعتقادي . فما الذي يدعوني لتبديلها ..؟

فقلت : أعلم يقينا انها صالحة في اعتقادك ولكن ما رأيك اذا كانت الحقيقة تناقض اعتقادك تناقضا كبيرا وقد اثبت ذلك علماء العصر بتجاربهم وقوانينهم .

كما وان اعظم دليل على قولي هو التناقض الكبير بين اوامر الله وكتبكم المحرفة ، والتي نؤمن بها ايمانا قويا بحسب اصولها التي نزلها الله تعالى ونعتقد بتحريفها اعتقادا جازما ..

فما رأيك الآن ... يا صديقي . ما رأيك بعد ان عرفت كل هذا ... ؟

فقال : اسأل الله ان يريني الحقيقة ... ويدلني على الصراط المستقيم .

وهنا استرسلت قائلا :

... وما دامت كتبكم تخبركم عن النبي « محمد » صلى الله عليه وسلم

وكتابه وأوصافه . وان عليكم الايمان به .. فما رأيك بالقول المعجز المنزل من السماء مع الامين الى محمد صلى الله عليه وسلم .

« ان الدين عند الله الاسلام » صدق الله العظيم ...

وهنا شرع بالمراوغة ... وقال :
ارجو ان لا تغضب مني يا صديقي ... ودعني اكون صريحا .
فقلت له بلهفة : قل ما يبدو لك فهذا ما اريده منك ... واسترسل :
ما دمتم تدعون الاسلام ، وتقوى الله ، فأصلحوا انفسكم قبل كل شيء – لماذا تشربون الخمور ؟ ولا تتحجب نساؤكم ؟ ولماذا ارى الدعارة متفشية عندكم ؟ ولماذا تتعرى نساؤكم على الشواطيء ؟ وتسمحون للاجانب بالتعري على الشواطيء ... لماذا ... ولماذا ...؟؟؟ مع أن كل هذا محرم في ديانتكم الاسلامية .
وهنا تذكرت ان سؤالا مثل هذا وجه الى الامام محمد عبده عند زيارته لاوروبا فقال : عمل المسلمين ليس حجة على الاسلام ... اخطأ القاضي فما ذنب القانون .
هذا سؤال والله يشهد .... انني أوجهه معك الى المسلمين عامة وهو سؤال لا بد ان نجد له جوابا باذنه تعالى . ومع هذا فأنا ادعوك الى دين الله الى المنبع الصافي والمنهل العذب .
ادعوك الى صفاء الاسلام ... ونقاء عقيدته ... لا ادعوك الى تقليد هؤلاء الذين انحرفوا بعملهم عن الاسلام فأعمالهم وصمة عار في جبين الامة الاسلامية ...

وهذا الضياع الذي نكب به المسلمو ن هو نتيجة حتمية لبعدهم عن دينهم الذي ارتضاه الله لهم .
ومع كل هذا ... وذاك فأنا ادعوك بالعقل المفكر . والمنطق السليم للدخول في الاسلام أدعوك للا اله الا الله محمد رسول الله ... قلها يا اخي ولا تتردد ..
فقال : اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ..
فتنفست الصعداء ...
ومع هذا لاحظت ان لديه اشياء وأشياء يود ان يقولها ... لاحظت ان في نفسه دفائن ريب لا تزال جاثمة في صدره ... تريد الخروج ولكنها لن تخرج حسب اعتقاده ... الا بعد ان يصدر قلبه عليها حكم الاعدام .
بعد هذا سادت لحظة صمت ... وتفكير عميق ... وأسئلة حائرة ... وفي تلك الأثناء هز جنبات المدينة صوت المؤذن ... فيهزه هزا ... يدعو الى الصلاة يدعو الى الفوز والفلاح .
عندئذ وقفت ... لأودعه بعد ان وعدته بارسال بعض الكتب الدينية المترجمة – للانجليزية . ليزداد فهما للاسلام .
وودعته وداعا حارا ... وداعا اخيرا ... لان لقائي به فيما بعد يكاد يكون على درجة من الصعوبة ، ودعته ضاغطا على يده ... بعد ان اصبح اخي في الاسلام .
وذهبت الى المسجد ... وأنا أكاد أطير من الفرحة ... لانتصاري .

صقر الصقور – الطفيلة – الاردن

بأقلام القراء

« الشريعة العادلة »

جاءنا من السيد المستشار حسن الحفناوى كلمة بعنوان « الشريعة العادلة » قال فيها :

لو تأملنا تلك الخطة العميقة .. التى اختطتها الشريعة الغراء .. فيما سنت من قواعد لرأينا عجبا .... فليس هناك شرع .. أو فكر .. توسع في معنى العدل .. وتعمق في مفهومه .. كالاسلام الحنيف .. توسع فيه حتى جعله أساسا من أسس الاسلام .. واقتضى ذلك .. بداهة .... أن يتوسع في معنى الظلم .. توسع في معنى العدل .. ليتمكن من نشره .. وتوسع في معنى الظلم ليقاومه في كافة صوره .. وشتى مجالاته .. حتى لقد أصبح العدل .. في الشريعة .. جماع الطاعات .. بقدر ما غدا الظلم جماع المعاصى ..

وعلماء الاسلام لهم في تعريف الظلم والعدل فلسفة رائعة .. فليس الظلم .. لديهم .. قاصرا على مجرد غصب الحقوق .. وانما يتسع ليصبح « وضع الشئ في غير موضعه اللائق به » . وعلى ذلك .. فالكافر ظالم .. لأنه ينسب الى الله تعالى ما لا يصح .. وهو بذلك يضع عقيدته في غير الموضع المناسب لها .. لذا يقول تعالى :

(إن الشرك لظلم عظيم) لقمان/١٣ . كذلك يقول عز وجل : **(فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها)** الانعام/١٥٧ . والسارق كذلك ظالم لأنه يضع مال الآخرين في غير الموضع اللائق به ... والقاتل ظالم .. وهلم جرا في كافة الآثام .. لهذا يقول الله تعالى مشيرا الى ذلك : **(ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)** الطلاق/١ .

ومن أجل ذلك .. فان أبا البشر آدم عليه السلام .. عندما حظر الله عليه أن يأكل من تلك الشجرة .. ولكن الشيطان ازله وحواء عن ذلك .. فسألهما الله عز

وجل .. فأدركا في الحال أنهما بهذا العمل إنما ظلما أنفسهما لذا إعترفا بذلك وسارعا إلى الاعتذار وطلب الغفران :

(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الاعراف/ ٢٣ . بل إن الاسلام بلغ من حربه للظلم .. ومقاومته اياه .. وتعقبه له في سائر المجالات .. أن قال بعض اللغوين .. إن الظلم مشتق من الظلام لما في كل منهما من تعمية وابهام . لذا وضع الله تعالى جزاءين للظلم .. احدهما في الدنيا والثاني في الآخرة . فأما جزاء الدنيا فقد اشار الله له بقوله تعالى :

(فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) .

(« **وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا)** الكهف/ ٥٩ فالهلاك إذا وخراب الديار جزاء الظالمين في الدنيا . ولقد ضرب الله لنا أمثلة ببعض الظالمين .. وما حاق بهم من الجزاء الدنيوى فيقول سبحانه :
(فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) البقرة/ ٥٩
ثم وضح لنا عز وجل رفضه الشفاعة في الظالمين .. فقال مخاطبا نبيه نوحا .. عندما أراد أن ينزل أمره بالكافرين من قومه :

(ولا تخاطبنى في الذين ظلموا إنهم مغرقون) المؤمنون/ ٢٧ . وأما الجزاء الأخروى للظالمين .. فقد أشار الله تعالى له فقال :
(فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم) الزخرف/ ٦٥ .

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ينهى عن الظلم فكان يقول : « الظلم ظلمات يوم القيامة » . ثم كان يحذر الظالمين من ظلمهم فيقول : « ان الله ليملى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته الم تسمعوا قوله تعالى .. : **(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه أليم شديد)** . ثم إن الاسلام لم يكتف بأن يأمرنا بالعدل .. وينهانا عن الظلم .. بل أمرنا أن نضرب على ايدى الظالمين .. يقول تعالى : **(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)** هود/ ١١٣ .. ثم يصور لنا ذلك في حوار جميل .. ليبغض لنا الاستخذاء للظالمين .. يقول :

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) النساء/ ٩٨،٩٧ .

بريد الوعي الإسلامي

تشكيل الأحاديث الشريفة ودرجة صحتها

حول هذا الموضوع جاءتنا رسالة الأخ صالح الأبنودي متمنيا أن يقرأ الأحاديث مشكلة .

نلفت انتباهك أننا نحرص على هذا حرصا شديدا ، حتى نعود الناس النطق السليم للحديث ، ونضع امامهم السنة الخالصة من الدخيل . وحتى لا يلتبس المعنى اذا جاء النطق مخالفا للمراد من الحديث .

وتمشيا مع الهدف الذي من أجله وضعت قواعد النحو فبعد أن شارك العرب مجموعات من المسلمين غير العرب شعروا بالحاجة إلى وضع هذه القواعد حماية للقرآن الكريم من اللحن وصونا للسنة من الخلط .

من هذا المنطلق أتى حرصنا على تشكيل الأحاديث وما خفى على الناس منهم لفظه بصفة عامة .

ومن ناحية أخرى فاننا نراعى تخريج الأحاديث ، ونسبتها الى راويها حتى نتبين الصحيح من غيره .

ولقد أصبح هذا المنهج سمة المجلة الواضحة حتى لا نتحمل تبعة نشر أحاديث غير صحيحة ، تفسد على الناس دينهم ، وتشوش عليهم سنة نبيهم المصدر الثاني الهام في التشريع بل والذي نستقي منه الهدى النبوي في العبادة والسلوك .

• • •

ويسأل الأخ ابراهيم يحيى عن صحة حديثين شريفين ويقول :

إن هذين الحديثين يكثر ذكرهما في المساجد ، وفي المحافل العلمية .

وانطلاقا من حرصي الشديد على عدم تشويه السنة ، وقد كثر في هذه الايام المتكلمون بالحديث والمستهينون بالسنة .

لذلك أرجو ان تذكروا لي درجة الصحة أو غيرها لهذين الحديثين .

ونحن هنا نذكر نص الحديثين الواردين في الكتب الصحيحة والتي أخذها المسلمون بالقبول والرضا ، ووقفوا أمامها معتقدين الصحة لما لجامعها من الشروط الضابطة الشديدة في جمع الاحاديث .

واليك نص الحديث الأول المتفق على صحته :

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله :

الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

أخرجه البخاري ومسلم

وهذا النص الشريف المتفق على صحته أيضا :

روى علقمة رضي الله عنه قال : كنت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فلقيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال :

يا أبا عبد الرحمن إن لي اليك حاجة فخليا فقال عثمان : هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكرا تذكرك ما كنت تعهد ، فلما رأى عبدالله أن ليس له حاجة الى هذا أشار الي فقال يا علقمة فانتهيت اليه وهو يقول أما لئن قلت ذلك لقد قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » . أخرجه البخاري ومسلم

للخمر مضار لا حصر لها

وجاءتنا هذه الرسالة من الأخ مجاهد عبد الله كلية الطب الدار البيضاء المغرب يقول فيها :

حاضرنا أستاذ فرنسي عن مرض « تشمع الكبد » وهو مرض خطير تعتبر الخمر من اسبابه الرئيسية ، ثم اردف الفرنسي قائلا بعبارات ليست عابرة .

« انكم ايها المسلمون سعداء الحظ لنهي دينكم عن شرب الخمر ، بينما اصبح شربها في بلدي مأساة وطنية تتكلف الدولة نحوها مليارات الفرنكات سنويا لمعالجة عواقبها الوخيمة من صحية واجتماعية واقتصادية ، ليكن مسك الختام أن أقول لكم ابتعدوا عنها ما استطعتم » .

شهادة حق أخرى من عالم متخصص لهذا الدين من غير أهله ، أما آن للضالين من أهله أن يؤوبوا اليه بعد طول هجران : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** .

ونحن نؤكد لصاحب الرسالة ولغيره من الاخوة المسلمين ان الله سبحانه عندما يقول : **(يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)** . انما يعني أنها أم الخبائث ، وان الاقلاع عنها ضرورة لسلامة الانسان ، فقد سماها الله سبحانه وما ماثلها رجسا من عمل الشيطان ، ثم يأتي النص القرآني مؤكدا النهي عنها في قول الله سبحانه : **(فاجتنبوه)** وهذا الأمر من الله يقتضي وجوب الاجتناب والابتعاد حتى عن مجلسها .

مع صحافة العالم

الحجر الأسود

نشرت مجلة « منار الاسلام » مقالا للاستاذ عبد التواب يوسف حول الحجر الأسود تحدث فيه عن رأي العلم في هذا الحجر نقتطف منه ما يلي :

الحجر الأسود ــ أو الأسعد ، كما يحلــو للبعض تسميته ــ موجود في الكعبة المشرفة ، منذ قامت ، وبنيت ، قبل مدة تقدر بنحو عشرين قرنا ، او الفي عام ... ما حكايته ؟... لقد آمن العرب قبل الاسلام وبعده انه حجر من السماء ، وبعد كل هذه القرون تأتي حقائق العلم لتؤكد ذلك ، وتلقم المعترضين حجرا ، وتخرس ألسنتهم ... وفي هذه الــــدراسة المـــوجزة نروي قصة هذا الحجر الشريف الطاهر ، ونتحدث عما حدث من مغامرات ، قبل ان تستقر قطعة منه في معامل البحوث الجيلوجية في إنجلترا منذ قرن وربع القرن من الزمان .

وصف الحجر

الحجر الاسود حجر صقيل بيضي ، غير منتظم ، ولونه اسود يميل الى الاحمرار ، وفيه نقط بيضاء ، وتعاريج صفراء ، ويصف محمد لطفي جمعه في موسوعته « ثورة الاسلام » الحجر الاسود بقولــه : « وهبط أثناء البناء حجر من السماء ، هو الحجر الاسود ، ولعله من نوع النيازك بدليل وصفه انه كان يتلألأ نورا فأضاء شرقا وغربا وشمالا ويمينا الى منتهى أنصاب الحرم ، وتلألأ الموصوف في الكتب دليل على انه كان ذا لون غير السواد ولكن بعض المـــؤرخين يعلل سواده بأنجاس الجاهلية وأرجاسها ، وقد ثبت ان بعض النيازك يتغير لونها بمجرد مرور الزمن عليها ، ومنها ما يتلألأ ويلمع ، والكلمة من أصل فارسي « نيزه » وهو احد اقسام الشهب . الشهاب ما يرى كأنه كوكب انقض من السماء وتكثر في شهر « آب » (اي اغسطس) .

ثم يستطرد الكاتب مستعرضا رأي العلم الحديث في حقيقة الحجر الاسود فيقول :

أحجار السماء

وسؤال يطرح نفسه ...

ــ ما رأي « العلم » في موضوع نزول الحجر الاسود من السماء ؟.

كثيرون من رجال العلم التطبيقي ــ كالفيزيقاء والجيولوجيا ــ يقفون في صمت امام مثل هذه القضية ، بل

يشعرون ازاءها بعدم الارتياح ، بل يعلن بعضهم عن عدم تصديقه لها ، متناسين ان هناك احجارا تسقط من السماء ، وان الضوء الذي يلمع وينطفىء امام ابصارنا يعلن عن ذلك ، بل ان هذه الاحجار قد يبلغ وزن الواحد منها عدة اطنان ، حتى ليقدرون ما ينزل على الارض سنويا منها نحو مليون طن ، وأحد هذه الأحجار أحدث في القشرة الارضية حفرة يصل عرضها الى الف متر ، وعمقها بلغ ما يزيد على مائة وخمسين مترا ... والسر في ذلك انها تسقط بعنف ، بجانب ان درجة حرارتها مرتفعة جدا ، تصل الى نحو ٩٠٠ درجة مئوية (الماء يغلي في درجة مائة ، ودرجة حرارة الانسان الطبيعية ٣٧) ... وهذه الاحجار تسقط من الكواكب المتسعة التي تدور حول الشمس مع كوكب الارض الذي نعيش عليه ، وهي تنفصل من الكواكب حين تحدث فيها الانفجارات وتظل تدور حول الارض ، وعندما تفقد توازنها تسقط عليها ، وتدخل الاحجار الى مجال الهواء الجوي لتحدث لاحتكاكها به حرارة عالية ، تطيح بجانب كبير منها ، وهذه الصخور تختلف في تركيبها الجيولوجي عن تركيب صخور كوكبنا وأرضنا ، وفي مصر احصى العلماء ثمانية صخور سقطت من الفضاء أولها سقط عام ١٩١٢ وآخرها في سنة ١٩٧٠ ... وعلى ذلك فسقوط الأحجار ... من السماء ظاهرة علمية معروفة ومؤكدة ... والسؤال المطروح ... هل منها الحجر الأسود ؟.

تحاليل المعامل :

لقد حاول الرحالة العلامة السير ريتشارد بيرتون ان يجيب على هذا

---

٨٣٠ ألف مسلم جملة حجاج بيت الله الحرام هذا العام

بلغ عدد حجاج بيت الله الحرام هذا العام (٨٣٠,٢٣٦) حاجا قدموا من (١٢٠) دولة بزيادة عددها (٩٠٦٩١٧) حاج عن العام الماضي .

ويوضح تقرير نشرته وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية أن النسبة الكبيرة من القادمين للحج هذا العام كانت من الدول العربية حيث وصل عددهم الى (٤٢٨,٩١٨) حاج يليهم حجاج أسيا (٢٦٠,٠٦٦) حاج ثم حجاج أفريقيا (٨٧,١٦٦) وكان عدد حجاج أوربا (٣٥٠٨) حاج بينما كان مجموع حجاج الامريكتين واستراليا (٥٤٦) حاج فقط .

وكان أكبر عدد من الحجاج قدموا من دولة واحدة هم حجاج اليمن الشمالية حيث بلغوا (١٢٣,٨٣٥) حاج بينما كان حجاج روسيا لا يزيدون عن ٢٥ حاجا .

ويذكر أنه ـ ولأول مرة ـ يضطر المشرفون على موسم الحج الى إغلاق أبواب المسجد الحرام وعددها ٣٣ بوابة بعد أن وصل الازدحام داخله الى حد لا يستوعب المزيد .

السؤال بطريقة علمية ، فتخفي عام ١٨٥٣ ـ ورحل من انجلترا الى مصر في زي مغربي ، مدعيا انه مسلم ، وكان يجيد العربية كأبنائها ... وعن طريق السويس وينبع وصل الى المدينة ثم مكة ، وهناك اندس بين الحجاج ، واستطاع ان يحصل على قطعة من الحجر الاسود حملها معه الى لندن ، وفي المعامل الجيلوجية فيها ، بدأت التجارب العلمية التي اثبتت ، واكدت ان الحجر الاسود ليس من احجار ارضنا وكوكبنا ، بل هو من احجار السماء ، وكان المسلمون عبر قرون طويلة يقولــون بهذا ، فلا يصدقهم أحد ، ويتصور كثيرون من الاوروبيين انها مجرد رغبة في اضفاء لون من « القداسة » على هذا الحجر ...
وسجل بيرتون (١٨٢١ ـ ١٨٩٠) في كتاب له بعنوان « الحج الى مكة والمــــدينة » هذه القصة ونشر هذا الكتاب عام ١٨٥٦ في لندن . واذا كان رجال العلوم التطبيقية لا يثقون في تجارب بريطانيا على القطعة التي انتزعها سير ريتشارد بيرتون من الحجر الاسود فعليهم ان يراجعوا تلك القائمة العالمية « الكتالوج » الدولي ، الذي يصدر بشكل دوري ، عن طريق مجموعة من أساتذة العلـــوم المرموقين ، ويسجل بشكل منتظم تلك الاحجار التي تسقط من السماء ، وقد تم تسجيل الحجر الأسود ، رسميا ، على انه واحد من هذه الاحجار .
ان العلم هنا ، بل في كل شيء ، لا يتعارض مع الايمان ... لقد آمن المسلمون وصدقوا انه حجر من السماء ، واثبت العلم ذلك واكده ... بعد سنين طويلة .

الرسول والحجر الاسود

روى (ابن شيبه) و (الدار قطني) في (العلل) عن عيسى بن طلحة أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند الحجر ، فقال ..
ـ « إني لأعلــم أنك حجر لا تضر ولاتنفع ثم قبله وهكذا فعل ابو بكر الصديق وقال ايضا اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبك ما قبلتك » .
وقال هذا القول المأثور أيضا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..
ـ « اما والله اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع .
ولــــولا اني رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام قبلك ، ما قبلتك » .
ثم دنا فقبله : (رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم) .

تلك هي قصة « الحجر الاسود » ... بين حقيقة العلم ويقين الايمان ... وهي واحدة من قصص تؤكد انه لا تعارض قط ، بينهما ، بل ان العلم اساس للايمان ، والايمان يساند العلم ... والحياة تمضي بهما معا ، وقدما للامام ... وما هذا التاريخ الذي نعرضه للحجر الاسود الا مثل لما يمكن ان يكشفه العلم لنا عما نؤمن به ، وما يمكن ان يزودنا به الايمان من علم ومعرفة .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجــلاء .

السودان : الخرطــوم ــ دار التوزيــع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيـــا : طرابلس ــ الشركة العامـــة للتوزيـــع والنشر .

المغــرب : الدار البيضـــاء ــ الشركـــة الشريفة للتوزيـــع .

تونــس : الشركـــة التونســـية للتوزيـــــع .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية :
جــدة : مكتبـــة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـــة ــ ص.ب : (٧٦)
الطائــف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جــدة
المدينة المنــورة : مكتبـــة ومطبعـــة ضـــياء .

مســـقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحريـــن : دار الهلال .

قطـــر : دار العروبة .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبـــي : مكتبة دبـــي .

الكويـــت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـــن الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

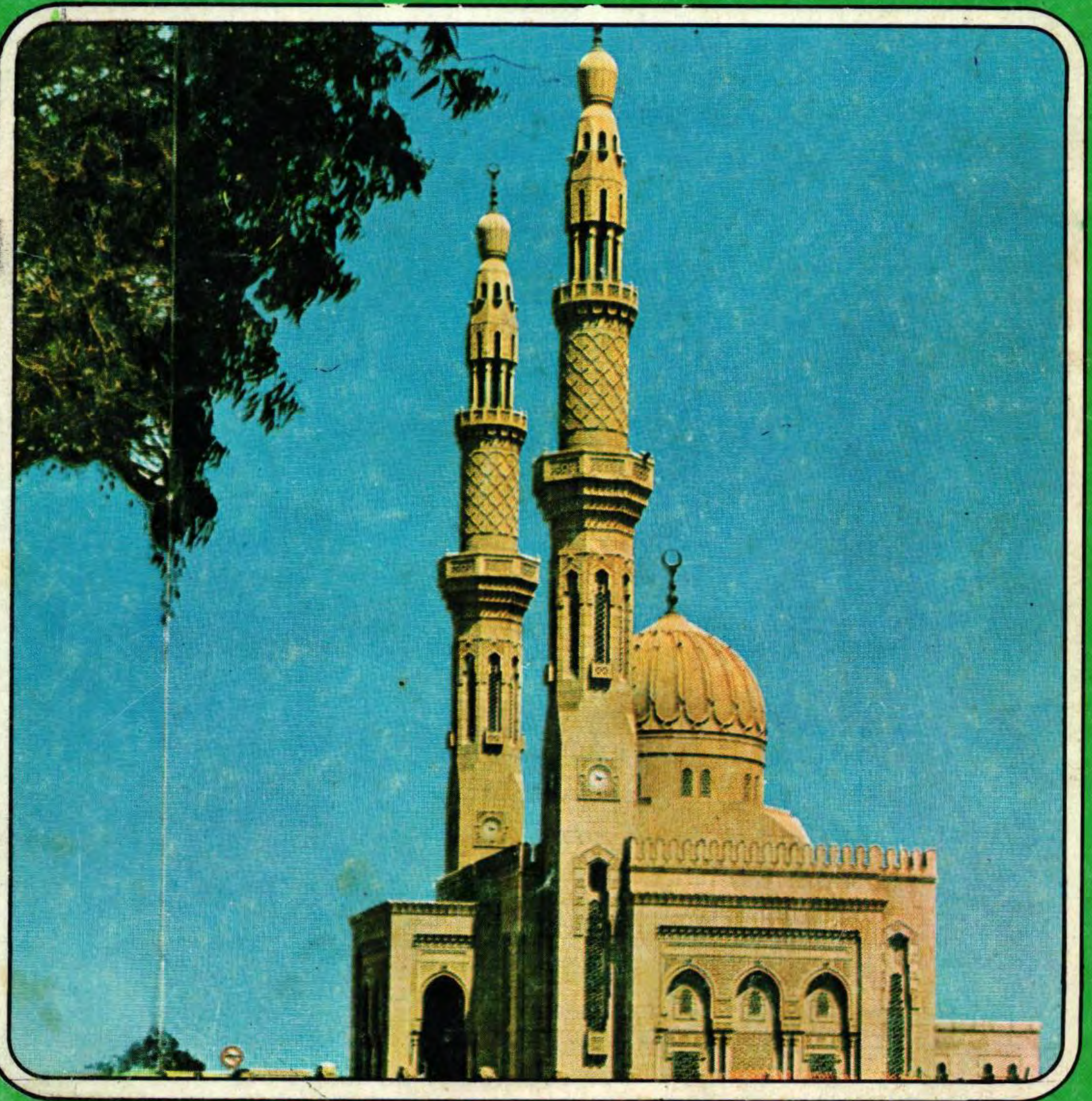
أيام الأسبوع	صفر	ديسمبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاحد	١	٣١	١٢ ١٧	١ ٤٢	٦ ٥١	٩ ٤٢	١ ٢٣	٥ ١٧	٦ ٤٢	١١ ٥١	٢ ٤١	٥ ٠٠	٦ ٢٢
الاثنين	٢	يناير	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٢	٥١	٤٢	٠٠	٢٣
الثلاثاء	٣	٢	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٠١	٢٤
الاربعاء	٤	٣	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٣	٢	٢٤
الخميس	٥	٤	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥
الجمعة	٦	٥	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٣	٤٥	٣	٢٦
السبت	٧	٦	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٤	٤٦	٤	٢٦
الاحد	٨	٧	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٧
الاثنين	٩	٨	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٤	٥٥	٤٧	٥	٢٨
الثلاثاء	١٠	٩	١٣	٣٨	٤٩	٤٢	٢٣	١٩	٤٤	٥٥	٤٨	٦	٢٨
الاربعاء	١١	١٠	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٥	٤٨	٧	٢٩
الخميس	١٢	١١	١٢	٣٦	٤٨	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٦	٤٩	٨	٣٠
الجمعة	١٣	١٢	١١	٣٥	٤٨	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٦	٥٠	٩	٣٠
السبت	١٤	١٣	١١	٣٤	٤٧	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٧	٥١	٩	٣١
الاحد	١٥	١٤	١٠	٣٣	٤٧	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٧	٥١	١٠	٣٢
الاثنين	١٦	١٥	٩	٣٢	٤٦	٤١	٢٢	٢٠	٤٣	٥٧	٥٢	١١	٣٣
الثلاثاء	١٧	١٦	٨	٣١	٤٦	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٨	٥٣	١٢	٣٣
الاربعاء	١٨	١٧	٧	٣٠	٤٥	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٨	٥٤	١٣	٣٤
الخميس	١٩	١٨	٦	٢٩	٤٥	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٨	٥٤	١٤	٣٥
الجمعة	٢٠	١٩	٥	٢٨	٤٤	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٩	٥٥	١٤	٣٦
السبت	٢١	٢٠	٤	٢٧	٤٤	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٩	٥٦	١٥	٣٦
الاحد	٢٢	٢١	٣	٢٦	٤٣	٤١	٢١	٢٠	٤٢	٥٩	٥٧	١٦	٣٧
الاثنين	٢٣	٢٢	٢	٢٥	٤٣	٤٠	٢١	١٩	٤٢	١٢ ٠٠	٥٧	١٧	٣٨
الثلاثاء	٢٤	٢٣	١	٢٤	٤٢	٤٠	٢٠	١٩	٤٢	٠٠	٥٨	١٨	٣٨
الاربعاء	٢٥	٢٤	٠٠	٢٢	٤١	٤٠	٢٠	١٩	٤١	٠٠	٥٩	١٩	٣٩
الخميس	٢٦	٢٥	١١ ٥٩	٢١	٤١	٤٠	٢٠	١٩	٤١	١	٣ ٠٠	٢٠	٤٠
الجمعة	٢٧	٢٦	٥٨	٢٠	٤٠	٤٠	٢٠	١٨	٤١	١	٠٠	٢١	٤١
السبت	٢٨	٢٧	٥٧	١٩	٤٠	٣٩	٢٠	١٨	٤٠	١	١	٢١	٤١
الاحد	٢٩	٢٨	٥٦	١٦	٣٩	٣٩	٢٠	١٨	٤٠	١	٢	٢٢	٤٢

العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧١ ○ ربيع الاول ١٣٩٩ هـ ○ فبراير ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مسجد الصومعتين ببنغازي بليبيا يسجل مع غيره من المساجد المقامة هناك حركة المد الاسلامي الذي غمر بلاداً كثيرة شرقاً وغرباً فارتفعت المآذن في سمائها تعلن كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧١ ○ ربيع الاول ١٣٩٩ هـ ○ فبراير ١٩٧٩ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

ولد الهدى

نعم ... بميلاد الرسول الكريم (محمد صلى الله عليه وسلم) ولد الهدى ، وتألق الضحى ، وانخذل الدجى ، واشرقت الأرض بنور ربها .. لقد وفد صلى الله عليه وسلم على الانسانية ، كما تفد العافية على جسم مريض ، أضناه السقم ، ومزقته العلة ، وطرق بابها ، كما يطرق الغنى باب قوم عضهم الجوع ، وأذلهم الحرمان .

جاء والرءوس منكسة من المهانة ، فرفعها الى السماء ، والهمم مخلدة الى الأرض ، فشدها الى العزة والاباء ، والنفوس أسيرة في قبضة الظلم والقهر ، ففك اسارها ، وأعاد اليها حريتها ، وكرامتها ، وأطاح بالطغاة المستبدين ، ووضع مكانهم ولاة مؤمنين ، لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، فجعلهم أئمة ، وجعلهم الوارثين .

جاء الى الحياة ، وهي هامدة خامدة ، تعلوها صفرة الموت ، فبعث الحركة في كيانها ، والدفء في أطرافها ، والربيع في أرجائها ، فاهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج .

رأى الانسان، وقد هانت عليه انسانيته ، فسجد لصنم ، وأسلم وجهه لوثن ، وعبد الشجر والحجر ، فصاح ينبه العقول الضالة : (قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) وهتف بهم يكشف عن زيف آلهتهم وضعفها : (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون . وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) .

رأى الأرض ، وقد غرقت في طوفان من الرذائل الانسانية ، كالخمر ، والربا ، والخلاعة ، والفجور ، وعبادة الشهوات ، ووأد البنات ، فعطر أجواءها من هذا العفن الكريه ، وطهرها من الفساد والرجس ، حين أعلن

فيهم منهج الله : (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) .
بأبى أنت وأمي يا رسول الله ! وتحية خالصة مخلصة لك في يوم مولدك ، لقد اصطفاك ربك ، فكنت خير خلق الله ، وفضلك الذي فضل الرسل بعضهم على بعض ، فكنت سيد الأنبياء ، وسما بقدرك ، فكنت سماء لا تطاولها سماء ، أنت الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، جئت الى الحياة في يوم مولدك ، فجاءت حياتك زادا للحياة ، ومددا للأحياء .
منذ أن أطل وجهك الصبيح على هذا الكون ، وكل ما فيه من مظاهر وظواهر ، ومقاييس وقوانين ، تهب عليها رياح التغيير ، فلم تكن عليك أزكى الصلاة وأتم التسليم ـ مجرد مولود لفظه رحم أمه ، فاستقر على مسقط رأسه في هذه الأرض ... ولم تكن مجرد إنسان تسلل إلى الدنيا ، في غمار الأعداد الهائلة ، التي تتلقاهم في كل لحظة من صباحها ومسائها ، بل كنت قوة إلهية ، جاءت لتعيد تشكيل الحياة ، ونسمة زكية ، بعثت لتخرج الناس من عبادة الناس ، الى عبادة رب الناس ، ونفحة علوية ، جاءت لترد الى الانسانية صوابها ، وتسكب في وجدانها العفاف والطهر ، وتسمو بالفضائل المهدرة في دنيا الخداع والزيف ، الى أفقها الرفيع في عالم القدوة والمثل ، وكنت المنة الكبرى من الله على عباده المؤمنين ، أسداها الله اليهم في قوله جل شأنه : (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .
وبعد .
فهل تعجز اليوم ، أمة هذا النبي الكريم ، ان تعيد لدينه مجده ، ولشرعه وضعه ، وان تحمي بمالها وجهادها ، كرامتها ، وكرامة مقدساتها ، من عبث العابثين ، وجور المعتدين ..؟؟ وهل ينسى المسلمون اليوم ، في كل بقعة من بقاع الأرض ، أنهم أمة هذا النبي بطل الأبطال الذي كافح وناضل وخاض المعارك ، ووجه الغزوات ، دفاعا عن الحق ، حتى جاءه نصر الله والفتح ..؟؟
هل يدرك الذين جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس ، أنهم لن يكونوا كذلك الا بعزيمة صادقة ، تنشط في مجال الدعوة الى الله ، والاخلاص لدينه ، والتضحية بالأنانيات ، في سبيل وحدة الصف ، والزحف الى الغاية المقدرة ، حتى يظهر الله دينه على الدين كله ..؟؟
اننا نترك للأيام والأعمال ، أن تجيب على ما قدمنا من سؤال ..

رئيس التحرير

أحمد البيوني

من خصائص القرآن

تقدمة

ما عاد القرآن يشغل من حياتنا الا القليل .. تعبدا وتحكيما .

وما كان كذلك على عهد السلف الصالح ، لقد كانوا قرآنا يتحرك ونورا يسعى بين الناس ، وما كانوا يعرضون عن القرآن الى غيره لا في حياتهم الخاصة ولا في حياتهم العامة .

بل كانوا يدركون أنه تبيان لكل شئ وهدى ، ورحمة ، وبشرى للمسلمين . وكانوا يدركون أن الاعراض عنه لا يكون الا لاحدى ثلاث :

- أن يكون في قلوبهم مرض .
- أو أن يرتابوا .
- أو أن يخافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله .

وكانوا يدركون أنه إن توافر فيهم أو في أحدهم ذلك .. فهو من الظالمين : **(والكافرون هم الظالمون)** البقرة/ ٢٥٤ .

في الكلمات التى تلى نحاول باذن الله أن نتبين بعض خصائص القرآن .. علنا نعود إليه .. تعبدا وتحكيما : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا**

للدكتور : علي محمد جريشة

تسليما) النساء/٦٥ .

(وإنه لتنزيل رب العالمين) الشعراء/١٩٢

هذه هى الخصيصة الأولى لهذا القرآن ، وإنه لتنزيل رب العالمين

● وكونه كذلك جعله معجزا .

● وكونه كذلك ميزه شكلا وموضوعا .

● وكونه كذلك ميزه عن غيره من التفاسير والترجمات ، ثم عن غيره مما لم يتنزل من كلام الله . فما نزل قطرة من بحر : **(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)** الكهف/١٠٩ .

ونشير الى هذه المسائل الثلاثة على التوالي باذن الله .

أ ـ حول إعجاز القرآن

إعجاز القرآن نتيجة طبيعية لكونه من عند الله ، وهو في الوقت نفسه دليل على كونه من عند الله . ولقد تحدى القرآن فصحاء العرب وبلغاءهم ، وهم يومئذ قمة الفصاحة والبلاغة ، تحداهم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة واحدة من مثله ، لكنهم عجزوا ، وسجل التاريخ محاولاتهم ، فاذا بها ، وهم القمة في الفصاحة والبلاغة ، أشبه بعبث الأطفال ويكفى لتدرك قدرة الله على إعجاز هؤلاء أن نقرأ محاولة مسيلمة الكذاب ـ فيما نكره الباقلانى ـ « ضفدع بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون ».!!

أى هذر هذا وأى عبث ؟!

ولا يعنى إعجاز القرآن أنه يتعذر على الفهم أو يتعذر على الاعتقاد والعمل .. إن الذى أنزله هو الذى قال : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** البقرة/٢٨٦ **(لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها)** الطلاق/٧ .

وهو الذى قال : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** القمر/١٧ وتيسيره للذكر .. يعنى تيسيره للتلاوة ، وتيسيره للاعتقاد ، وتيسيره للعمل . وما فى القرآن من غريب أو متشابه قليل وقليل جدا .

وهو بعيد عن نطاق الأصول العامة ، كما أنه بعيد عن نطاق الأحكام العملية ، وفوق ذلك فان رد المتشابه الى المحكم أمر يسير لمن يسر الله عليه من العالمين والفاقهين .

ومظاهر إعجاز القرآن عديدة ، ليست قاصرة فقط على ما فيه من فصاحة وبلاغة ، أعجزت الفصحاء والبلغاء .. بل تمتد الى جوانب عديدة نذكر منها :-

أولا : تلك الاحاطه ، وذلك الشمول :

للدنيا والآخرة . للعقيدة والمعاملة . للفرد والاسرة . والمجتمع والدولة . للاخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

كل ذلك وغير ذلك في أسلوب لا يعرف الجفاف ولا التعقيد ، ولا يورث الضيق ولا الملل ، وفي معانى لا تعرف القصور ولا العجز ، ولا تعرف التناقض أو الاختلاف : **(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)** النساء/٨٢ .

ثانيا : وحدة السور :

وحدة السورة الواحدة رغم اختلاف الأماكن التى نزلت فيها آياتها ، واختلاف أزمانها ، واختلاف أسبابها . ومع ذلك لا تكاد تفرق بين آية وآية .. من حيث الأسلوب كما يحدث فيما يصنع البشر ! ولا تكاد تجد اختلافا في الغرض ولا فى الهدف ، رغم أن بعض الآيات قد يفصلها عن البعض الآخر سنوات من حيث النزول ، وأميال من حيث المكان وأمور شتى من حيث أسباب النزول .

وسورة كالبقرة نزلت على مدى تسع سنوات وعالجت أغراضا شتى ، ونزلت في مناسبات وظروف شتى ومع ذلك تحس أنها وحدة واحدة تعالج موضوعا واحدا والوحدة ليست بين آيات السورة الواحدة .

إنها كذلك في الرابطة بين السور المتعددة من حيث نهاياتها وبداياتها ثم من حيث موضوعاتها وأهدافها !!

إنه القرآن .

وإعجاز القرآن لا يمتد الى غيره مما ينسب الى الله سبحانه ، لأن القرآن لفظا ومعنى من عند الله ، وهو الذى يتعبد بتلاوته ، فقراءته فرض في الصلوات وندب في غيرها أما الأحاديث القدسية فهى معنى من عند الله ولفظا من عند الرسول صلى الله عليه وسلم رواية عن ربه ، وهذا هو الراجح ، وإن كان البعض يعتبر الأحاديث القدسية لفظا ومعنى من عند الله فيبقى بعد ذلك أن القرآن يتعبد بتلاوته على النحو الذى قدمنا .

أما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى من عند الله معنى ومن عند رسول الله لفظا : **(وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى)** النجم/٣ و٤ .

والتفاسير ليست قرآنا ولا هى جزء منه ، وقد حفظ الله كتابه مما حدث لبعض الكتب السابقة إذ خلطوا بين ما جاء من عند الله ، وما كان تفسيرا لهذه الكتب ، وأعطوا رهبانهم وأحبارهم ما لم يعطهم الله ، فرفعوا كلامهم الى مستوى كلام الله ،

وخلطوا بين الكلامين ، ونسخوا ومسحوا ما جاء من عند الله **(يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به)** المائدة/١٣ . وعجزوا عن ان يحفظوا الأمانة : **(بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)** المائدة/٤٤ .

أما القرآن فلم يوكل حفظه لأهله ، وإن أمروا به ، بل تكفل الله سبحانه بحفظه : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/٩ .

والترجمات إن كانت للمعانى فهى ليست بالتأكيد قرآنا .

وإن كانت لألفاظ القرآن فهى ليست كذلك ، لأن الاعجاز في ألفاظه العربية ، أما ترجمتها فقد يخرج بها عن الاعجاز ، بل قد يؤدي الى الخروج بها كذلك عن معناها ، ومن ثم قرر العلماء عدم ترجمة اللفظ .

(ب) الشكل والموضوع :

يتميز القرآن في شكله ، كما تميز في موضوعه .

أما في شكله : فان لفظه ونظمه وجرسه .. لايدانيه عمل بشر ، وان أسلوبه وفصاحته وبلاغته أعجزت كذلك كل البشر ، ولقد كان الكفار يضعون أصابعهم في آذانهم خشية تأثرهم بالقرآن ، وحين استمع الوليد ابن المغيرة اليه لم يسعه إلا أن يقول : إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمنير أعلاه ، مشرق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى ».

ويجمع أسلوب القرآن بين أمور يعجز البشر عن الجمع بينها ، فهو يجمع بين حديث العقل وحديث العاطفة ، كما يجمع بين اليسر على العامة والسمو على الخاصة ، ويجمع بين إثارة الرغبة وإثارة الرهبة .. بالوعد والوعيد .. ويقابل بينهما حتى تتردد النفس بين رغب ورهب ، وبين رجاء وخوف .. فتتزكى وينصلح أمرها ..

كذلك يجمع القرآن في السورة الواحدة وأحيانا الربع الواحد بين حديث الدنيا وحديث الآخرة وبين أحكام العقيدة ، وأحكام التعبد ، وأحكام القصاص أو غيره من المعاملات بغير أن يفقد سلاسة الأسلوب وسمو اللفظ ويسره على النطق والفهم والحفظ .. أمر تفتقده القوانين في أوج صياغتها إذ تتسم بالجفاف وعدم القدرة على حفظها وأحيانا فهمها !.

وهذا الجمع بين هذه المتفرقات في السورة الواحدة أو في الربع الواحد .. له دلالة هامة .. إن القرآن لم ينزل لتغلق دونه أبواب الحياة ، أو ليبقى حبيسا بين الجدران أو حتى في حنايا الصدور !.. إنه كما يبين من عرضه للدنيا والآخرة ، للعقيدة والمعاملة ، لأشواق الروح وحاجات الجسد ، إنه الفطرة : **(فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .)** الروم/٣٠ .

وهو في ذات الوقت يؤدي في هذا

الجمع الى رفع السأم عن النفس بالحديث الطويل عن الموضوع الواحد ، وشد انتباهها وتركيزها بالتنقل بين الموضوعات المختلفة ، وترك التأثير والتأكيد بالعودة الى نفس الموضوع في مواضع عديدة ..

وكما كان القرآن يتنزل من عند الله تبعا للمناسبات فقد شاء الله سبحانه ، أن يجعل ترتيبه على هذا النحو في أواخر عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولذا كان من التعبد عدم الاخلال بهذا الترتيب إذ صار توقيفيا من عند الله .. ولم يعد مقبولا بعد أن رتبه جبريل عليه السلام مع محمد صلى الله عليه وسلم على هذا النحو ، وقرأه محمد على هذا النحو على جبريل بأمر الله سبحانه وتعالى وترتيبه ، لم يعد مقبولا أن يفكر أحد في ترتيبه ترتيب نزول . إذ يعارض ذلك ما انتهى إليه أمر الله سبحانه .

وسوف نزيد الأمر إيضاحا بمشيئة الله عند الحديث عن مكى القرآن ومدنيه .

بيد أنه ليس لنا أن نترك الحديث عن الشكل حتى نشير الى أن تلاوة القرآن لها قواعدها التى علمها جبريل ـ بأمر الله وإذنه ـ لمحمد عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم علمها محمد عليه الصلاة والسلام لأصحابه ، وتنوقلت جيلا بعد جيل وصاغها العلماء فيما سمى بقواعد التجويد .

وغنى عن الذكر أن كثيرا من قراء اليوم يخرجون على قواعد التجويد ، فيجعلون « الفن » في غير موضعه ، ويجعلون المد اللازم وغير اللازم يجاوز الحركات الستة الى عشر أو ما فوق ذلك ، تباهيا وتفاخرا وتغنيا وتظاهرا .. لا يجاوز القرآن تراقيهم .. نسأل الله العفو والعافية !.

وفي مجال الحديث عن الشكل لابد لنا من ذكر أمرين :

أولهما : ثبات هذا القرآن .

بمعنى عدم قابليته للتغيير ، وهى سمة شكلية كما تواضع على ذلك الكثير من العلماء وإن كنت أراها كذلك موضوعية .

وهى سمة هامة ميزت القرآن عن غيره ، وأعطته صفة الدوام التى لم تعط لغيره على مدى العصور كلها .

فقانون الرومان .. كان شيئا كبيرا وعملا جليلا في عصر من العصور ، ثم لم يلبث أن صار مجرد تاريخ ، وبدا في بعض الأحيان شاذا أو ضربا من العبث والشذوذ .! ومن بعد قانون الرومان قانون نابليون ...

ودساتير الثورة الفرنسية ، وما سبقها وما لحقها من دساتير ووثائق .. وهكذا .. لم يبق شئ دون تغيير ..

إلا القرآن .. فقد مضى عليه ألف وأربعمائة عام .. وهو يطاول الزمان ويتطاول عليه ويقرؤه العالم كما يقرؤه رجل الشارع .. فيجد فيه كل .. أنسه ، وحاجته ، ولو التزمته الأمة الاسلامية تطبيقا لعاشت به كما عاشت أول مرة .. خير أمة وأعز دولة .

أما السمة الثانية التى تقابل السمة السابقة وتكملها فهى : مرونة هذا القرآن .

بمعنى قدرته على مواجهة الحاجات رغم تجددها ، والوفاء بالأحكام رغم اختلاف الزمان والمكان ، بما يناسب الزمان والمكان ، وذلك راجع الى نظم هذا القرآن واجماله فيما يتغير ، وتفصيله فيما لا يتغير ، وامكان تعديه الحكم الى غير ما نزل فيه متى تحققت فيه علته الظاهرة ، أو حكمته المقصودة لقياس اللفظ أو قياس المعنى .

وبذا يقوم الثبات في الأصول ، وتبقى المرونة في الفروع ويتحقق في كتاب الله ما لا يمكن ان يتحقق في نظام بشر !

وأما من ناحية الموضوع

فأول ما يصادف المرء ذلك الحشد الضخم من الموضوعات والقصص ، والأحكام .. التى يتضمنها كتاب الله .. وفاء بالمعنى أروع ما يكون الوفاء ، وأداء وبلوغا للمقصد والهدف أعظم ما يكون الأداء والبلوغ ، فوق ما أشرنا اليه من جمال النظم وروعة الأسلوب .

وقدرة القرآن الكريم على تضمن الكليات إما إطلاقا وتعميما ، أو تعدية للحكم الجزئى حتى يصير حكما كليا ، أو تضمنا للمقاصد العامة التى تدور حولها الأحكام ، أو إشارة الى الأدلة الشرعية التى تستنبط من طريقها الأحكام .

وليس في القرآن حكم خاص الا اذا دلت على ذلك العبارات كقوله تعالى : **(خالصة لك من دون المؤمنين)** الاحزاب/٥٠ . اما خطاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى لم تدل العبارات على خصوصيته فهو خطاب لكل المؤمنين من خلال رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى : **(قل يا أيها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون)** الكافرون/١ و٢ وقوله تعالى : **(قل هو الله أحد)** الاخلاص/١ .

ومثلهما كل خطاب لم يرد ما يدل على خصوصيته !.

ولا نترك الحديث عن الموضوع حتى نؤكد على معنى موضوعى هو حرص الكتاب على بث الرغبة والرهبة وإثارتهما في نفوس الناس ، مرة بالحديث عن رضى الله وغضبه ، ومرة بالحديث عن جنته وناره ، وأخرى بالحديث عن ألوان النعيم وتفصيلها ، وألوان العذاب وتعدادها !.

الأمر الذى أشارت اليه عائشة رضى الله عنها لتكشف الحكمة من ورائه .

« إنما نزل أول ما نزل سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ـ ولو نزل أول شىء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا .. » رواه البخارى

« للحديث بقية »

أشهر الأسماء لخاتم الأنبياء

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لي خمسة أسماء : انا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ، الذى يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر ، الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب).

(رواه الشيخان والترمذي)

للنبي صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، وأسماء نبينا الكريم تشير كلها الى تحليه بالفضائل ، واختصاصه بأمهات المكارم ، والميزات العليا للفضائل النفسية ، وأشهر أسمائه ، الخمسة الواردة في الحديث ، وأشهر الخمسة : (محمد) و (أحمد) وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم ، قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح ٢٩ وقال جل شأنه : (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) الصف/٦ .

وهذه الأسماء الخمسة مما خص به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأما غيرها فقد يشاركه فيها غيره من الأنبياء . ومن أسمائه : الشاهد ، والمبشر ، والنذير ، والداعي الى الله ، والسراج المنير ، والمختار والمصطفى ، والشفيع المشفع – الشفيع : الذى يشفع لغيره ، والمشفع : الذى تقبل شفاعته – والصادق المصدوق – وهو الذي يصدقه من يسمعه لتوافر الدلائل على صدقه –.

وهذه كلها ألفاظ تطلق عليه صلى الله عليه وسلم ، الا أن منها ما هو علم ، وما هو صفة . ومما وقع من أسمائه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (المتوكل) فقد روى البخارى في صحيحه : (سميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا جاف ، ولا صخاب بالأسواق ، ولا يقابل السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح).

أنا محمد :

(محمد) علم منقول من اسم المفعول للفعل المضعف وهو (حمد) من التحميد للمبالغة ، يقال : (حمده) اذا نسبه الى كثرة المحامد والصفات النبيلة ، أو اذا كثر مدح الناس له ، فالمحمد الذى كثرت خصاله المحمودة ، أو الذى حمد وأثنى عليه مرة بعد أخرى قال الأعشى :

إليك – أبيت اللعن – كان وجيفها
إلى الماجد القرم الجواد المحمد

(الوجيف : ضرب من سير الابل والخيل . الماجد : الكريم والقرم (بفتح القاف وسكون الراء : السيد الشريف).

ورسولنا محمد صلى الله عليه

وسلم ، قد اجتمع فيه المعنيان ، فهو المثل الكامل ، الذى تجمعت فيه الخصال الكريمة ، والصفات النبيلة ، على أعلى مستوى لم تصل اليه نفس بشرية ، ولا تنفك السنة الناس تلهج بحمده ، والثناء عليه ، من لدن مبعثه الي يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى وان ذمه أعداؤه ، فهو الكامل المحمود في ذاته ، وفي نظر من يعرفون قدره . يروى أبو هريرة رضى الله عنه فيقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم ، يشتمون مذمما ، ويلعنون مذمما ، وأنا محمد !! » رواه الامام البغوى في مصابيح السنة وقال هو في الصحاح .

والنبي صلى الله عليه وسلم محمود في المحشر ، حينما يشفع في الناس ، ويريحهم من هول الموقف ، فيحمده الأولون والآخرون ، وقد نوه الله سبحانه في الكتاب الكريم بهذه الفضيلة الظاهرة ، فقال عز شأنه : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) الاسراء : ٧٩ . وأصبح ما قيل في معنى المقام المحمود ، أنه الشفاعة العظمى للناس جميعا يوم القيامة ، ففي صحيح البخاري عن ابن عمر قال : (ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى (أي جماعات) كل أمة تتبع نبيها ، تقول : يافلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود). وقد ورد أن عبدالمطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حين قيل له : لم سميت ابنك محمدا ، وليس من أسماء آبائك ولا قومك ؟ قال : أرجو أن يحمد في السماء والأرض .. وقد حقق الله رجاءه ، فقد أثنت عليه الملائكة في السماء ، وأثنى عليه الناس في الأرض ، وحمده الله حمدا كثيرا ، بالغا غاية الكمال ، فلم يناده باسمه كما نادى سائر الأنبياء ، وانما ناداه بعنوان النبوة والرسالة فقال له : (يأأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) التحريم/١ . (يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) المائدة/٦٧ . وأقسم بحياته فقال تعالى (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون) الحجر/٧٢ ، وقدم له العفو على العتاب (عفا الله عنك لم أذنت لهم) التوبة/٤٣ ، ورفع العذاب عن أمته لوجوده بينهم تكريما له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الانفال/٣٣ .

ولم يكن هذا الاسم (محمد) مشهورا في الجاهلية ، وانما سمى به بعض العرب أبناءهم ، لما سمعوا من الأحبار والرهبان من أهل الكتاب ، أن نبيا سيبعث آخر الزمان يسمى (محمدا) ، فسموا أبناءهم بهذا رجاء ذلك ، ولكن (الله أعلم حيث يجعل رسالته) الأنعام/١٢٤ .

وأنا أحمد :

(أحمد) هو في الأصل أفعل

تفضيل ، أي أكثر الناس حمدا ، والنبي أحمد الحامدين لربه ، فهو علم منقول من صفة ، وقد ثبت في الصحيح ، أنه صلى الله عليه وسلم يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله ، ولذلك يعقد له لواء الحمد ، ويخص بالمقام المحمود ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام حمادون ، وهو أحمدهم ، أي أكثرهم حمدا ، وهو صاحب لواء الحمد يوم القيامة فقد جاء في الحديث الشريف : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، بيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ ، آدم فمن سواه ، الا تحت لوائى ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر) رواه احمد في مسنده والترمذى وابن ماجه .

وقد ورد اسم (أحمد) في القرآن الكريم مرة واحدة على لسان عيسى عليه السلام حين بشر به قومه . وقد قال بعض أعداء الاسلام : ان المبشر به في القرآن اسمه (احمد) ونبيكم اسمه (محمد) فمن يكون منهما نبى المسلمين ؟ وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على مزاعم هؤلاء الحاقدين ، حين ذكر في هذا الحديث أن من أسمائه محمدا وأحمد ومن هنا تبدو الشبهة داحضة باطلة !!

وان الاسلام ليأمرنا عند اختيار أسماء أولادنا ، أن نتخير لهم الأسماء الحسنة ، التى تبعث في نفوسهم المعاني الشريفة ، فتذكرهم بالعبودية لله ، أو تصلهم بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتسمى بهذين الاسمين الجليلين : (محمد) و (أحمد) بركة ويمن على المسمى ، ولهذا أمرنا الرسول الكريم أن نتسمى باسمه (محمد واحمد) ونهانا أن نتكنى بكنيته (أبى القاسم) فالتكنية بذلك حرام ، لأن مدلولها خاص بالنبي وحده ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم (تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى) ويرى الامام الشافعي أن التكنى بكنيته صلى الله عليه وسلم حرام في حياته وبعد انتقاله ، ويرى غيره أن ذلك خاص بمدة حياته ، خوف الالتباس به صلى الله عليه وسلم .

وأنا الماحي :

وقد فسر النبي ذلك بقوله : (الذى يمحو الله بى الكفر) فقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذه الدنيا ، وهى غارقة في طوفان من الوثنية والشرك ، يعبدون غير الله ، ويركعون أمام أصنام صنعوها بأيديهم ، ثم يلجأون اليها لتجلب لهم الخير ، أو تدفع عنهم الضر :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
الا على صنم قد هام في صنم

فقد كان الكفر عند مبعثه صلى الله عليه وسلم يكاد يكون عاما في الدنيا كلها ، ولم يسلم منه الا القليلون ، كالحنيفيين وأهل الأديان الذين لم يحرفوا ، ولم يبدلوا ، فمحا الله به معظم هذا الشرك ، فلم يلتحق بالرفيق

الأعلى ، إلا بعد أن استقامت به الملة العوجاء ، وأصبحت الجزيرة العربية كلها مؤمنة موحدة ، وحمل أصحابه من بعده اللواء ، فشرقوا وغربوا ، ونشروا التوحيد في أرجاء الأرض ، فلم يمض قرن من الزمان أو أقل ، حتى أصبحت الدنيا المعروفة آنئذ تشرق بنور ربها ، وتتردد صيحات المؤذنين خمس مرات في اليوم والليلة ، تعلن : أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

وكما أن الله تبارك وتعالى محا به الشرك ، فقد محا به كذلك الظلم ، والفساد ، والتفرقة الظالمة بين الناس ، وأرسى الله به قواعد العدل ، والاصلاح ، والمساواة ، فهو الذي رد الى الدنيا صوابها ، وعدل ميزانها ، وألقى في وجدانها الحكمة والرشد .

وكذلك محا الله به سيئات من اتبعه وآمن به ، فالاسلام يجب ما قبله ، والتوبة النصوح تستر العيوب ، وتمحو الذنوب (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) هود / ١١٤ .

وأنا الحاشر :

وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : « الذى يحشر الناس على قدمى » أى على أثرى ، إذ لا نبى بعده ، فهو أول من تنشق عنه الأرض ، فيقوم من قبره الشريف أول الناس جميعا ، ثم يتقدمهم الى المحشر ، وهم جميعا يأتون بعده ، ويحشرون على أثره .. وهو أيضا أول من يدخل الجنة ، ثم يدخل بعده أهلها ، ففي الحديث الشريف : « وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » رواه الترمذى في حديث له وقال : حديث حسن صحيح . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم اذا يئسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » رواه مسلم .

وأنا العاقب :

وقد ورد تفسيره في رواية أخرى : « وأنا العاقب الذى ما بعده نبي » فهو صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، وذلك بنص القرآن الكريم ، وباجماع علماء الأمة سلفا وخلفا ، فلا نبي بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، واذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، كان تابعا لا متبوعا ، ومجددا للاسلام ، لا صاحب دين جديد يقول الله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الاحزاب / ٤٠ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : (ان مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة

من زاوية ، من زواياه فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) رواه البخارى ومسلم . وفي رواية لمسلم : « فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء ».

وطبيعة الرسالة التي جاء بها خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، توحى بأنه لا نبي بعده ، فقد جاءت شريعته بخصائص تكفل لها الخلود والبقاء ، وتصلح بها لكل زمن ، ولكل مكان ، ولكل جيل مهما تعاقبت الأجيال في سلسلة الوجود البشرى والتقدم الحضارى . جاءت تلك الشريعة بالوحدة العالمية بين أجناس البشر وشعوبهم (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الحجرات/ ١٣ .

وجاءت بوحدة الدين ، باتباع رسول واحد ، جاء بأصول الدين الفطرى الذى جاء به رسل الله جميعا (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) الاعراف/ ١٥٨ .

وجاءت بالوحدة السياسية ، فجميع البلاد الخاضعة للحكم الاسلامي ، متساوية في الحقوق العامة . (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء/ ٥٨ .

كما جاءت بالوحدة القضائية : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) المائدة ٤٩ .

وبهذا يتضح أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يشرع للناس جميعا ، الشرائع العامة الخالدة ، لتسير عليها البشرية وفق آخر رسالة من السماء إلى الأرض (وكان الله بكل شئ عليما) الأحزاب/ ٤٠ .

ومما يدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، أن نبوته قد ثبتت بنفسها ، أي بالبرهان العلمي والعقلي الذى لا ريب فيه ، وهذا البرهان قائم ماثل للعقول والحواس في كل زمان ، بينما ثبتت نبوات الأنبياء والرسل قبله بآيات وخوارق كونية مضت بمضى زمانها ، وقامت الحجة بها على من رآها وعاصرها ، ولا يمكن اثبات هذه الآيات والمعجزات الآن ، الا بثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم وعن طريق آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن انبياء الله ورسله وبالكتاب الالهي الوحيد الذى نقل بنصه الحرفي تواترا عما جاء به عن طريق الحفظ في الصدور والسطور معا : هو القرآن الكريم .. والنبي الوحيد الذى نقل تاريخه ، وسجلت أقواله وأفعاله ، وضبطت حركاته وسكناته بالروايات المتصلة حفظا وكتابة ، هو محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتوفر شئ من ذلك لكتاب نزل ، ولا لرسول سبق ، وكل هذا يدل دلالة قاطعة على أن هذا الدين الاسلامي ، هو آخر الأديان ، وأن كتابه القرآن هو آخر الكتب ، وأن نبيه محمد هو العاقب وهو خاتم الأنبياء .

مستقبل

للدكتور/عبد الحليم محمود

إن الجراح التى أصابت المسلمين ، خلال نصف القرن الأخير قد أيقظتهم من سباتهم وأقنعتهم بضرورة تبنى الوسائل العلمية التى يستخدمها غيرهم ، وتذكر المسلمون أحاديث الرسول :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ».. رواه ابن ماجه وغيره .

« فضل العلم من فضل العبادة » رواه الطبراني في الأوسط والبزار باسناد حسن .

ولقد قام مصلحون عباقرة — من امثال الشيخ محمد عبده — برسم السبيل الذى يجب على المسلمين أن يسيروا فيه ، مبرهنين على أنه يمكن التوفيق بين الاسلام ومقتضيات الحضارة الحديثة ، ولم يمض وقت حتى ذهب الكثير من الشباب في سائر البلاد الاسلامية ، الى التعليم على الطريقة الأوروبية في سهولة تكيف عجيبة دون أن يفقدوا شيئا من أصالتهم الاسلامية والعربية ، وسوف نرى عما قريب العدد العديد من المسلمين يحتلون مكانهم في العالم الحديث ولا يهابون أن ينافسوا رجال الغرب في ميدان الحضارة العصرية .

لقد اعترض على امكانية هذه النهضة بأنه يقف في سبيلها عقبات قوية هى : عقيدة القضاء والقدر ، والتعصب ، وتعدد الزوجات ..

عقيدة القضاء والقدر :

فلنعرض سريعا لهذه المسائل : هل عقيدة القضاء والقدر الاسلامية يمكن أن تتفق مع الجهاد الصحيح في سبيل التقدم ؟..

إذا كنا نجد بعض الوجاهة في شئ من النقد الموجه الى المسلمين في هذا المجال ، فلأن بعض المسلمين : من أمثال أتباع « المرابطين » يسيئون

الإسلام

فهم التوكل ، وعلى أى حال فلم يكن لهذا التوكل الأثر المبالغ فيه الذى يراد إلصاقه به .

وعقيدة القضاء والقدر لا تشل عملا عند المسلمين ، والدليل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان انشط الناس وأكثرهم مثابرة وجهادا ، والاسلام هو الدين الوحيد الذى جاء ـ عقب نشأته مباشرة ـ بالفتوح الواسعة العجيبة ، والحضارة العظيمة ؟..

إن كلمة « إسلام » تعنى الرضاء بأوامر الله . أي بما لا يمكن لأى قوة إنسانية أن تحول دونه ، ولكن ليس من معانيها الخضوع للأمور التى يبدو أنها يمكن أن يغير مجراها العمل والاقدام .. **(قل ياقوم اعملوا على مكانتكم)** الانعام/١٣٥ .. فهذه العقيدة ـ إذن ـ بعيدة كل البعد عن أن تكون مصدر ضعف .. إنها على العكس من ذلك مصدر قوة نفسية لا تضارع بالنسبة الى المسلم تعينه على احتمال المحن والشدائد .

التعصب :

ونعرض ـ بعد ذلك ـ لموضوع التعصب فنقول إن التعصب عند المسلمين أسطورة من تلك الأساطير التى لا تحصى ، والتى أذاعها اعداء الاسلام في القرون الوسطى .

وفيما يلى بعض الوقائع التى اخترناها من بين عدد كبير من أمثالها ، نسردها هنا ليتمكن القارىء من الحكم في هذا حكما صحيحا ..

يروى ابن جرير نقلا عن ابن عباس ، أن رجلا من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين ، وله ولدان مسيحيان ، وهو مسلم ، سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اذا

كان يجب عليــه إكراه ولديــه على اعتناق الاسلام ، وهما يرفضان كل دين غير المسيحية ، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة : **(لا إكراه في الدين)** البقرة/٢٥٦ وعندما جاء رسل نجران المسيحيون الى المدينة ليفاوضوا النبى صلى الله عليه وسلم منحهم نصف مسجده للاقامة فيــه وقــام يومــا لجنازة ، فقيل له : إنهــا جنــازة يهودى ، فقال : « أليست نفسا ؟؟ » رواه البخارى .

والمسلمون ـ على عكس ما يعتقده الكثيرون ـ لم يستخدموا القــوة ـ لاكراه غيرهم على الاسلام .. وأن وجود المسيحيين في اسبانيا لدليــل واضح على ذلك ، فقد ظلوا آمنين على دينهم طوال القرون الثمانية التى ملك فيهــا المسلمــون بلادهــم ، وكان لبعضهم مناصب رفيعة في بلاط خلفاء قرطبة .. ثم إذا بهؤلاء المسيحيين أنفسهم يصبحون أصحاب السلطان في هذه البلاد ، فكان أول هم لهم أن يقضوا قضاء تاما على المسلمين ، وقد ألحقوا بهم أيضا اليهود الذين عاشوا فتــرة آمنــة هادئــة تحــت حكم المسلمين ..

وفي كتابه « رحلة دينية في الشرق » يشيد الأب « ميشون » بالحقيقة في صيحته الصادقة : « إنه لمن المحزن بالنسبة الى الدول المسيحية أن يكون المسلمون هم الذين علموها مبادئ التسامح الدينى الذى هو الناموس الأكبــر للرحمــة والاحســان بــين الأمم ».

وقد يعارض قوم فيذكرون مذابح الأرمن ، ويتساءلــون : ما القــول فيها ؟.. والرد على ذلك أن المسلمين الحقيقيين يستنكرون كل شئ من هذا القبيــل ما لم تدع اليــه الفتــن والمؤامرات ، تماما كمــا يستنــكر المسيحيون الحقيقيون مذبحة جميع المسلمين في إسبانيا .

والواقع أن مذابح الأرمن لم تكن لأسباب دينية ، لأن المسلمين لم يدر بخلدهم أبدا أن يقتــدوا بأنصــار « توركويمادا » فيخيرون الأرمن بين ترك المسيحية الى الاســلام أو أن يحرقوا أحيــاء .. وعلى اى حال ، فالمسلمون لا يكرهون الناس على ترك معتقداتهم وإذا كان الاســلام هو الدين الذى يجذب اليه أكثر الناس في افريقيا وفي آسيا في عصرنا هذا ، فذلك يرجع الى نوع من الامتصاص المعنوى .

وإن القدوة الحسنة عند المسلمين لهى أقوى أثرا في النفوس التقية من مضايقات القسس المنصرين .. ولقد اضطــر العالــم « دوزى »ـ رغــم تعصبه ضد الاسلام ـ الى الاعتراف بأن الكثير من المسيحيين الذين كانوا في أسبانيا « اعتنقوا الاســلام عن عقيدة »..

والقاعدة التــى يجــرى عليهــا المسلــم ، في علاقاتــه بأصحــاب الديانات الأخرى ، هى تلك التــى حددها القــرآن الكريــم في الآيــة التالية :

(لــكم دينــكم ولي دين)..الكافرون/٦

وكيف لا يكون المسلم متسامحا ، وهو يجل الأنبياء الذين يجلهم اليهود والنصارى فموسى بالنسبة اليهم « كليم الله » وعيسى « روح الله » يجب تبجيلهما كما يبجل محمد « حبيب الله » : **(لا نفرق بين أحد من رسله)** البقرة/ ٢٨٥ .

ولن يجرؤ مسلم أبدا على التفوه بأقل بادرة في حق عيسى ، وكذلك لن يقبل أن يدع أحدا يتفوه بمثل هذا في حضرته ، حتى وان كان من يحدثه من هؤلاء المسيحيين الأصليين الذين يريدون أن يجعلوا من عيسى المسئول عن الأخطاء الكهنوتية ، وسب المسيح لا شك يعتبر سبا للاسلام الذى يأمر باحترامه .. ولقد أتيح لنا أن نشهد حادثا عجيبا ، هو أن قاضيا مسيحيا حكم على رجل مسلم لضربه يهوديا بدرت منه أمامه أقوال بالغة الاسفاف في شأن ولادة عيسى ..

ولنقارن الآن بين موقف الاجلال هذا الذى يقفه المسلمون من عيسى ، وبين ما صنعه الأوروبيون من سيرة محمد صلى الله عليه وسلم .

ففي العصور الوسطى ، كان الرهبان يصورونه تارة في صورة صنم بشع ، وتارة في صورة سكير مدمن .. الخ ..

ولو أننا اردنا أن نثبت هنا كل ما تمخضت عنه قديما مخيلات أعداء محمد صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى حد ولم يكن المستشرقون الأول بأقل عنفا في مهاجمته من هؤلاء الرهبان .

ومن زمن بعيد وأعداء الاسلام يلحقون الأذى بالصحابة أيضا ، وقد ألف بعضهم تلك الأسطورة الذائعة التى تقول بأن الخليفة عمر أحرق الاسكندرية ، ولم يكن غرضهم من ذلك إلا أن يجعلوا الناس تنسى العمل الوحشى الذى قام به الكاردينال كسيمينيس من إحراق دور الكتب البديعة ، وأولى هذه المكاتب هى مكتبة البروخيوم التى كانت تحتوى على أربعمائة ألف مجلد ، وقد أحرقت أثناء الحرب التى نشبت بين قيصر والاسكندريين .. وثانى المكاتب هى مكتبة السرابيوم التى ضمت في يوم من الأيام مائتى ألف مجلد أوصى بها لها أنطونيوس ، وقد نهبت هذه المكتبة وخربت تماما في عهد نيودوزيوس قبل ظهور الاسلام .

وهذه الخرافات السخيفة بدأت تتلاشى في أيامنا هذه .. وهدأت تقريبا تلك الدسائس الخبيثة في حق رجل يشرف به ـ تاريخ الانسانية نفسه وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد يسأل سائل : ألا ينتهى الأمر بالمسلمين بعد أن تبنوا حضارة المسيحيين أن يتدينوا كذلك بالمسيحية ؟. ويكفينا للاجابة على هذا السؤال أن نورد رأى كاتب صريح في إعترافه بالواقع رغم تمسكه الشديد بدينه ـ ذلك الكاتب هو : « الكونت دى كاستر » الذى يقول في مؤلف له ممتاز عن الاسلام :ـ

« الاسلام هو الدين الوحيد الذى لا تجد فيه مرتدين ... ومن العسير ، بل من المحال أن نتصور صورة دقيقة للحال النفسية التى يكون عليها المسلم إذا ما حاول أحد المسيحيين أن يقنعه باعتناق المسيحية .. لعلنا نجد صورة مقاربة لشيء كهذا إذا ما تخيلنا إحساسات وشعور رجل مسيحي مستنير يحاول أحد الوثنيين أن يجتذبه إلى اعتناق خرافاته المرذولة ».

العلة في بغض المسيحيين للاسلام :

فما عسى أن تكون علة ذلك البغض الذى يلاحق به المسيحيون الاسلام حتى في عصرنا هذا ، عصر التسامح ، ولا نريد أن نقول عصر عدم المبالاة بالدين – في حين أن الاسلام يقدم لهم كثيرا من الأدلة التى تؤكد إحترام عيسى وتبجيله ؟..

هل يكون ذلك لأن الاسلام . كانت نشأته في آسيا ؟

ولكن ، ألم تكن المسيحية في جوهرها ، ديانة آسيوية قبل أن يخلصها « بولس » القديس من اليهودية ؟ وقد قال عيسى نفسه : « لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة » (إنجيل متى ١٥ – ٢٤).

ولعل العلة في العقيدة نفسها ؟ ولكن عقيدة الاسلام تكاد تكون مماثلة لعقائد بعض الفرق البروتستانتية التى تأثرت بالاسلام فاحتذت حذوه ..

أو هل سبب ذلك يرجع الى الآثار التى خلفتها الحروب الصليبية في النفوس ؟

ذلك أمر لا شك فيه ، فرغم مضى زمن طويل على هذه الحروب نجدها لاتزال تفعل فعلها المشئوم في نفوس الكثير من الجهلاء .

ولكن هذا الأمر وحده ، ليس بكاف لتفسير ما حكم به على الاسلام في أوروبا من نفى وتحريم .

فعلينا إذن أن نبحث عن تعليل آخر وسوف نتبين جلية الأمر ، إذا ما تأملنا المثل الذى تقدمه لنا ديانة أخرى ! تقابل في أوروبا بمثل ما يقابل به الاسلام من النفور والاضطهاد . وهي ديانة فرقة (المورمون) وهى من الفرق البرتستانتية وقد أظهر أصحابها العجب العجاب من قوة العزيمة والذكاء والمثابرة ، فأحالوا الصحراء ذات الأرض الملحة الكئيبة التى قطنت بها إلى بلد خصب زاهر ، وكان على أهل أوروبا وأمريكا جميعا أن يشيدوا بهذا العمل النافع لحضارة الانسانية ومبدأ استحسانهم له . ولكن سائر شيع المسيحية ، على العكس من هذا تناست أحقادها وخلافاتها الخاصة لتتألب على المورمون لأنهم – كالمسلمين – يستحلون تعدد الزوجات .

وإن في ذلك لانذارا للأمم الاسلامية بأنها لن تحصل أبدا على حق الدخول في زمرة الأمم المتحضرة ما لم تتنكر لمبدأ تعدد الزوجات !



للدكتور : احمد حمد

فهم يحتاج إلى تمحيص :

اصبحت الالسن تلوك المسئولية الجماعية وتخوض في الحديث عنها والضرب على وترها بنغمات تخدر الناس وتملك حواسهم ومشاعرهم ، واصبح التفخيم من امر الجماعة الشغل الشاغل لبعض المذاهب المادية حتى يغلق على الناس منافذ التفكير ويسد عليهم ابواب البحث في حقيقة الحياة وكيان الفرد ، حتى لقد اصبحت «الجماعة» في عرف الناس الها من دون الله له الخلق والامر ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا حياة إلا في طاعته والخضوع له .

وليس هذا الامر على هذه الصورة الا وهما كاذبا وسرابا خادعا وهراء يستغفل به السذج ويضحك به على ضعاف العقول ، وكثيرا ما خدع الناس قديما وحديثا بالوهم الكاذب والسراب الخادع والعقائد المزيفة ، وكم تعلق الناس بالاساطير والاوهام في عصور متعاقبة وهم يتطلعون الى عقيدة يطمئنون اليها ودين يلائم ما ركز فيهم من فطرة فطر الله الناس عليها فهم يدعون لتزكيتها بالعقيدة

السليمة والدين الصحيح ، ولكن شياطين الانس تقعد على صراط الله المستقيم ثم تأتيهم عن ايمانهم وعن شمائلهم ومن بين أيديهم ومن خلفهم حتى تجتالهم عن الحق وتصرفهم عن اليقين .

الجماعة افراد :

والجماعة في حقيقة أمرها انما هي افراد ولا شيء أكثر من هذا الا بمقدار ما يتعاون هؤلاء الافراد مجتمعين على البر والتقوى ولا يتعاونون على الاثم والعدوان ، وهنا تبرز مسئولية الجماعة — اي مسئولية كل فرد من افراد الجماعة — عن تواطئها على الشر وتعاونها على الاثم واصرارها على الفساد والافساد .

الفرق بين المسئولية الفردية والجماعية :

ويتجلى الفرق بين المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية في امرين : الامر الاول فيه اثقال كاهل الفرد بزيادة التبعة ومضاعفة المسئولية ، والامر الثاني : فيه تخفيف عن الفرد شيئا ما في بعض التبعات والمسئوليات وان كان التخفيف في ناحية اثقال في ناحية اخرى ، أو التخفيف عن بعض الافراد مضاعفة للتبعة على البعض الآخر .

الأمر الأول :

اما الامر الاول الذي تثقل فيه التبعة وتتضاعف المسئولية على كاهل الفرد في المسئولية الجماعية فهو السهر الدائم والمراقبة واليقظة والتطهير المستمر لما يطرأ على المجتمع من افكار السوء وتيارات الفساد ونوازع الفتن ، والا ركن الفرد الى الدعة وخلد الى الراحة وآثر الصمت والسكوت وتقوقع في نفسه قائلا : « وضع العباد فيما اراد » ، « عليكم انفسكم » ، فلينتظر لعنة الله الماحقة وعذابه الشديد ولو كان هذا الفرد في خاصة نفسه من أتقى الاتقياء واعبد العابدين ، فلن تكتمل تقواه الا بأن يضاعف مسئوليته بتطهير المجتمع من الفساد ومن الفتن :

(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب) الانفال / ٢٥ . ولن تكتمل عبادته وتقبل طاعته الا اذا بذل جهده في القضاء على المنكر حتى لا تحق عليه لعنة الله : **(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)** المائدة / ٧٨ و٧٩ .

الامر الثاني :

وأما الأمر الثاني الذي تخف فيه المسئولية شيئا ما عن الفرد في المسئولية الجماعية وان قابل التخفيف عن البعض ثقل على البعض الاخر فهو مجال فرض الكفاية ، وفرض الكفاية كما يعبر عنه الفقهاء : اذا فعله البعض سقط عن الباقين ، اي تسقط المسئولية عن البعض في اداء الواجب اذا قام البعض الاخر بأداء هذا الواجب وحمل أمانة القيام به .

وهنا تضيق دوائر المسئولية الجماعية وتتسع بحسب ضيق رقعة الجماعة وقلة عددها أو اتساع الرقعة وتضخم العدد وتتسع وتنداح وتنفسح حتى تشمل البشرية بأسرها وتصبح مسئولية دولية . وفي كل دائرة من هذه الدوائر مسئولية

تناسبها وتلائم أحوال الجماعة فيها ومقتضيات العيش لها ، وكلما اتسعت الدائرة تضخمت المسئولية شيئا فشيئا وتعقدت التبعات وتنوعت المسئوليات التي هي من قبيل فرض الكفاية .

الجماعة الصغيرة والكبيرة :

واقل جماعة في العرف واللغة والواقع تكون مكونة من ثلاثة ، ودعنا من مصطلحات القوانين الوضعية ، دستورية وغير دستورية فليس موضوعنا في هذا الصدد تحديد مصطلحات القوانين ، وانما المهم أن نبحث عن الحقائق مجردة عن المصطلحات ونوضحها بأسهل العبارات ، والجماعة المكونة من ثلاثة أفراد تبدأ بأول دائرة من دوائر المسئولية الجماعية ، فواجبها الجماعي في مجال فرض الكفاية أن يتولى أمرها أمير ، وهنا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا احدهم » أبو داوود . اي اختاروه أميرا عليكم ، وهذا واجب يقتضيه التنظيم لتحديد المسئولية وتوزيع العمل وعدم توزع الجهود وقيام كل انسان برأسه وتعصبه لرايه ، وما دام قد رضى احد الثلاثة بمضاعفة المسئولية عليه فتولى الامارة فقد سقط القيام بواجب الامارة عن الاخرين .

ثم تتسع الدائرة جدا الى ان تصل الى الجماعة الدولية : **(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** الحجرات / ١٣ . والتعارف يقتضى التقارب والتآزر لا التباعد والتنافر والتقاطع والتدابر ، والتقارب يقتضى بالتالي التعاون في الحفاظ على سلامة الجماعة الدولية وتطهيرها من عوامل الفساد والافساد والهلاك والتدمير .

اتساع المسئولية باتساع الجماعة :

وبين ما تقتضيه الدائرة الاولى من دوائر المسئولية الجماعية والدائرة الاخيرة منها مجالات رحبة متعددة مختلفة من مجالات فرض الكفاية ، فان كانت الدائرة الاولى لا تقتضى الا مسئولية تنصيب أمير وهي مسئولية تنظيمية فان الدوائر الاكبر تقتضى مع مسئولية التنظيم مسئوليات أخرى للحفاظ على الجماعة وتطهيرها دائما من عوامل الانهيار والفناء .

وهنا تجد منظمات كثيرة تقوم بأداء هذه المسئولية في مجالات الاجتماع او السياسة او الاقتصاد او القضاء أو التشريع او الطب او الهندسة ، وتتضخم هذه المنظمات باتساع دوائر المسئولية فتصبح منظمات دولية تقوم في مجالات فرض الكفاية باشباع المطالب التي يقتضيها تعاون الجماعة الدولية وتتطلبها حاجة الانسانية .

فرض الكفاية والمسئولية الجماعية :

ان المسئولية الجماعية تجد ميدانها الرحب الفسيح في مجال « فرض الكفاية » الذي يبادر فيه كل فرد في سد الثغرة التي يرى فيها الخطورة على الجماعة أو في القيام بالواجب الذي يقتضيه نظام الحياة وسنة الكون وتعايش الناس .

ولان الجماعة ليست كيانا مستقلا عن الافراد فلابد من ممثل لها ينفذ ما تتطلبه ضرورات حياتها وينظم لاجل ذلك مختلف شئونها الجماعية .

واذا كان التنظيم امرا لابد منه والجماعة مهما كان عددها مسئولة

عنه : «اذا كنتم ثلاثة فأمروا احدكم» فان المثل او الامير الذي يقوم بشئون الجماعة قد يحيط بهذه الشئون جميعا وقد تغيب عنه بعض هذه الشئون لا سيما اذا تضخم عدد الجماعة واتسعت رقعتها وانفسح مدى العمل من اجلها ، ولذلك كان نظام الحسبة في الاسلام وهو أن يقوم كل فرد باصلاح اي فساد يطلع عليه وجبر اي نقص يراه ومعالجة كل خلل يصادفه احتسابا لوجه الله تعالى ، فلا تنتظر الجزاء الا منه ولا الاجر الا عنده .

نظام الحسبة والمسئوليةالجماعية :

وما دام نظام الحسبة يحث الفرد على القيام بالواجب للجماعة وجبر ما فيها من خلل وسد ما فيها من ثغرات فان الجماعة ستستظل بظلال الامن والاستقرار وتحتفظ دائما بمقومات الحضارة والسيادة وتنعم ابدا بمذاق الرخاء والسعادة .

منظمات محلية ومنظمات عالمية :

وهذا كما يكون في الجماعات القومية يكون في الجماعة الانسانية عامة ، فالجماعة القومية عليها أن يقوم افرادها بتكوين المنظمات التي تتطلبها حياتها المتعددة من منظمات اجتماعية ومنظمات اقتصادية ، فمثلا من الناحية الاجتماعية لابد من وجود منظمات أسرية تتولى أمر الاصلاح : **(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما منأهله وحكما منأهلها إنيريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)** النساء / ٣٥ ، وغالبا ما تولد ظروف الحياة بين الزوجين أسبابا للخلافوالشقاق تجب ازالتها وتسأل الجماعة عن تنحيتها واصلاح ما فسد بينهما بد من وجود منظمات تنظم شئون الولاية على اليتامى والحفاظ على اموالهم وممتلكاتهم **(وآتوا اليتامى اموالهم)** النساء / ٢ . وكذلك لابد من منظمات ترعى اموال الناسعامة حتى لا تظل في ايدى الذين لا يعرفون انها قوام الحياة : **(ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)** النساء / ٥ وكذلك لابد من منظمات قضائية تفصل في امور الناس بالانصاف والعدل : **(واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** النساء / ٥٨ . **(ولكم في القصاص حياة يا اولى الألباب لعلكم تتقون)** . البقرة / ١٧٩ .

المنظمات السياسية والمنظمات العلمية :

وتسأل الجماعة كذلكعن تكوين منظمات سياسية ، ومنظمات علمية ، فالمنظمات السياسية ترعى شئون المعاملات بين كل بلد وغيره من البلدان وكذلك ترعى أمر الشوريوتحقيقه بين افراد الجماعة: **(وأمرهم شوري بينهم)** الشوري / ٣٨ . والمنظمات العلمية تتناول كل فن من فنون الحياة لتتقدم الجماعة في كل ناحية من نواحي العيش والعمران: **(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)** التوبة / ١٢٢ .

وليس المراد بالتفقه في الدين معنى محدودا يسيطر على كثير من اذهان الناس بل المراد معنى الدين العام الذي يشمل كل ناحية من نواحي الحياة ويعم كل أمر من أمورها ، ولذلك تلت هذه الآية

مباشرة آية تطالب بالقتال والغلظة مع الكفار الذين يكيدون للاسلام والقضاء عليه: **(يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين)** التوبة / ١٢٣ . ولا تستطيع اية جماعة ان تنتصر على عدوها او تقاتله بقوة وغلظة الا اذا كانت متقدمة في مختلف نواحي الحياة من تدريب عسكري وفن هندسي وتنظيم حربي وعلاج طبي وتقدم صناعي وزراعي يمد المقاتلين بما يحتاجونه من طعام وكساء وآلات يستحقون بها الغلب ويستأهلون بها النصر .

وهكذا نجد الجماعة تتضخم فتضخم معها مسئولياتها : من ايجاد منظمات ترعى لها شئونها ، الى ان تصل الى الجماعة الدولية فنجد المسئولية دولية تستدعي ايجاد منظمات دولية ترعى شئون الانسانية عامة حتى لا يقضى عليها رغبة الاستئثار وحب الاستعلاء ، فلابد من وجود منظمات تكبح جماح الحكام الذين يدفعهم حب الاستعلاء ورغبة الاستئثار للقضاء على الانسانية عامة بوسائل الهدم والتدمير الجماعي .

فلابد من وجود منظمات دولية ترعى الامن الجماعي وتقوم بالفصل في الخصومات الدولية وتقلل من التسابق الجنوني في انتاج آلات الدمار .

منظمات عالمية لنظام الحسبة :

ولابد من وجود منظمات علمية تحول الطاقات الانسانية الخربة الى طاقات تنطلق لزيادة العمران ولنشر الرخاء والسلام ، فبدل التسابق الجنوني في مجال الاسلحة الفتاكة يكون التسابق في مجال العلوم الانسانية التي تعود على الناس بالخير: **(ولتكن منكم امة يدعون الى الخير)** . آل عمران / ١٠٤ .

الطغيان في ناحية تقصير في اخرى :

وقد تولد عن التسابق الجنوني في السلاح المدمر ان قصرت العزيمة في مجالات اخرى تتطلبها الانسانية المعذبة وتقتضيها حياة البشرية المفزعة ، فأين قوة العزيمة وسرعة التقدم في مجالات الطب للقضاء على الامراض التي تفتك بأرواح البشرية؟ فهناك السل والشلل والسرطان وغيرها من الامراض التي لم يصل اليها الكشف بعد وما تزال تقضى على ملايين الملايين ! وهناك النقص المبين في مواد الطعام في كثير من بلدان آسيا وافريقيا بل واوروبا ، فأين التقدم العلمي لسد هذا النقص حتى لا يموت الملايين سنويا من السغب والجوع ؟ لو كان يصرف على ذلك عشر معشار ما ينفق بسخاء على التسابق في السلاح لاحست البشرية بالسعادة والرخاء والامان والاستقرار ، ولكنها مفزعة بألوان من الاسلحة ، منها سلاح المرض ومنها سلاح الجوع ومنها سلاح الدمار الجنوني ، ولذلك تضخمت المسئولية الجماعية بتضخم العدد واتساع الرقعة وتعدد المجالات ، ولا بد من تحملها واتقاء الله في ادائها وعدم التهاون فيها : **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا)** النساء / ١ .

ومن الشرائط المسجلة أزواجا أزواجا

٦

في منتصف القرن العشرين ، وبالتحديد في عام ١٩٥٢ ، أزاح اثنان من العلماء الأنكياء الغشاوة التي كانت تخيم على عيوننا ، وتحجب عن عقولنا سرا غاليا من أسرار الحياة ، وبهذا الكشف الكبير تجلى لنا بديع صنع الله « الذي أتقن كل شيء » .

لقد اكتشف هذان العالمـــان

للدكتور عبد المحسن صالح

ـ اللـــذان يعملان في تخصصين مختلفين ـ « اللغــة » السرية التي تستخدمها الحياة في كتابة قواميسها ومجلداتها ، نعني مخلوقاتها التي لا نكـاد نحصيهـا عدا .. بداية من الميكروب الذي لا تراه العين ، حتى الانسان العظيم .

العالمـان هما جيمس واتسون المتخصص في علـم البيولـــوجيا ، وفرانسيس كريك المتخصص في الفيزياء الكيميائية ، ولقد استحقا على هذا الكشف المثير جائزة نوبل ، ثم تبعهما في هذه الـــكشوفات الضخمة عدد كبير من العلماء ، استحق معظمهم أيضا هذه الجائزة العالمية بسبب ازاحة الغموض عن أروع أسرار الحياة على الاطلاق ، وكأنما العلماء هنا قد وقعـوا على « حجر رشيد » من نوع جديد ، وهو « حجر رشيد » الحياة ، وعليه دونت لغاتهـــا على أشرطة غريبة غاية الغرابة ، وبسيطة غاية البساطة ، واستخدمت لذلك شفرة سرية ، حروفها أربعة لا غير .

وبمثل هذه الأحرف التي لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة ، كان كل هذا الطوفان الهـائل من المخلوقات الـذي ينتشر برا وبحرا وجوا ، وتصل أنواعه الى الملايين ، غير ما انقرض واندثر .

بحروف أربعــة كانت بداية كل شيء ، وعندئذ وقف العلماء مبهورين ، ولهذه البساطة في الفكرة غير مصدقين ، ومع ذلك فقد تاهوا في هذه البساطة ، وتحيروا في تلك الأسرار الضخمة التي يزخر بهـــا « قاموس » الحياة ، كما وضع الله فكرته في مخلوقاته ، تلك الفكرة التي ربما أشار الينا أن نطلع عليها من خلال البحث والتنقيب ، مصداقا لقوله تعالى : (**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلـــق**) العنكبوت / ٢٠ .

ولقد كانت البداية بسيطة ومثيرة ، ومع ذلك تحير العلماء فيها أعظم حيرة !

والى هنا يبرز أمامنا سؤال هام : ما دخل كل هذا في مجال مجلة دينية لا شأن لها بمثل هذه العلوم التطبيقية التي لا يدركها الا المتخصصون ؟

الواقع أن هذه الدراسات لها دخل أي دخل ، ولها شأن أي شأن ، لأن الله يحضنا على العلم ، وما أروع أن نبرز جلال الله من خلال إبداعه في مخلوقاته ، وعندئذ قد تتجلى لنا بشيء من العمق معنى بعض تلك الآيات التي قد نمر عليها مر الكرام ، وفيها يقول سبحانه وتعالى : (**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**) الملك/ ٣ . (**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلـــق الانسان من طين**) السجدة/ ٧ (**فلينظر الانسان مم خلــق . خلـــق من ماء دافق**) الطارق/ ٥ و٦ الى آخر هذه الآيات التي تشير الينا تلميحا بما في الخلق من أمور جاءت على أساس ، وسارت بقانون ، وفيهـــا .. (**آيات لقوم يوقنون**) الجاثية/ ٤ أفلا يكفي بعض هذا لأن نربط العلم بالدين ، وعلى أساس بما جاء في القرآن الكريم ؟

ومع أن ما توصل اليه العلماء في الربع الثالث من القرن العشرين ، (وهو الذي يختص بكشف أسرار شفرة الحياة) يفوق ما توصل اليه كل الأقدمين بأضعـــاف مضاعفة ، ومع أن لغة الحياة المكتشفة لغـــة خاصة جدا وبسيطة جدا ، ومثيرة جدا ، مع ذلك فهـــي تدخل ضمن سلسلة المقالات التي وهبناها لاظهار ما في آيات القرآن من أسرار لا تتجلى على حقيقتها إلا بتقدم الاكتشافات العلمية في كل المجالات ، بداية من الـــذرة والخلايا والمخلـــوقات ، الى الأرض والنجوم والسماوات .

وآياتنا القرآنية التي جاءت لتتحدث عن خلق الأزواج كثيرة ، ولقد اخترنا منها واحدة اتخذناها فاتحة ومرشدا لكل مقال ، وآيتنا العظيمة تقول : (**سبحان الـــذي خلـــق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهـــم ومما لا يعلمون**) يس/ ٣٦ .

ولقد انصبت الدراسات الخمسة السابقة على الجزء الأخير من الآية الكريمة ، وهي بالتحديد (**ومما لا يعلمون**) وقد يتبادر الى الأذهان سؤال : كيف نتجرأ ونتحدث عن شيء لا يعلمه إلا الله ؟

الواقع أن العلم هنا ــ وبالنسبة للانسان ــ علم نسبي ، بمعنى أن كل ما نتعـــرض له هنا بالشرح والتوضيح لفكرة خلق الأزواج التي (**لا يعلمون**) · هي مما لا يعلمه الناس ، ولا علماء الـــدين ، ولا المثقفون ، وانما هي أزواج يعرفها العلماء التجريبيون ، وكلما تقدم بهم الزمن ، وتطورت مداركهم ، وزادت في أسرار الكون والحياة كشوفاتهم ، كلما عبرت الأزواج التي (**مما لا يعلمون**) عن نفسها !

ولكي نوضح اكثر نقول : لقد كان العلماء في القرون الماضية يتعرضون لشرح الأزواج التي وردت في آيات القرآن الكريم شرحا يتناســب مع عصرهم ، ومع ما يتوافق مع علمهم ،

وكان هذا الشرح ينصب على ما هو ظاهر للعين والحواس ، أي الأزواج من البشر والحيوان والنبات **(مما تنبت الأرض ومن أنفسهم)** وعندئذ تقف اجتهاداتهم عند هذه الحدود ، فلا يستطيعون تخطي حواجزها ، لأنهم لا يملكون حواسة غير حواسهم ، لتكشف لهم ما خفى عليها مما وفر في باطن الخلق من أسرار ، ولو عرفوها لشرحوها ، ولأتحفوا جمهرة المسلمين بالعطاء العظيم الذي تنطوي عليه آيات القرآن الكريم .

لكن الأمور بدأت تتضح وتتطور ، خاصة بعد أن توصل الانسان الى اختراع « عين » قوية تساعده على اكتشاف ما غاب عن أعين السابقين ، وبهذه العين ـ عين المجاهر أو الميكروسكوبات ـ تجلت له نظم الخلق ، فرآها نظاما من داخل نظام من داخل نظام ـ وهكذا ، وطبيعي أنه كلما كانت العين المجهرية أقوى ، جاءت الأسرار تترى ، وظهرت للانسان من آيات ربه الكبرى ، ما جعلته يوقن بأن الله في كل أمر يتجلى ، بداية من اعلى الى اقل مستوى ، والواقع انه ليس هناك ـ في الخلق ـ ما هو أقل أو أعلى ، فكلما صغر الشيء امام عيوننا ، فذلك لا يعني أنه ضئيل المستوى ، بل الأحرى بنا أن نلوم عيوننا وحواسنا ، ففي صغائر الأمور نظم تتوه فيها أعظم العقول . (**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) !

من هذا المنطلق ـ اذن ـ نعود لنقول : إن علماء القرن الماضي رأوا بعيون المجاهر ما لم يره العلماء في القرون الماضية (لأنهم كانوا بدون مجاهر) ، ثم يجيء علماء بداية القرن العشرين ليروا أكثر ، لأن المجاهر الأحدث والأتقن كانت توضح التفاصيل أعظم وأكبر ، وهنا بدأت الأزواج الخافية في النظم التي تقع فيما وراء حدود عيوننا تظهر وتتجلى ، ولا بد ـ والحال كذلك ـ أن يكون الاجتهاد في تقديم العطاء القرآني أنضج ، وتفسير ما لم نكن نعلم قبل ذلك أوفق وأوضح .

ثم يجيء المجهر أو الميكروسكوب الاليكتروني ليكبر ما عجز عنه المجهر العادي ، ويقدم لنا هذه العوالم الخفية بتكبيرات تصل الى عشرات الألوف أو مئات الالوف من المرات ، ومع أن هذه التكبيرات كانت هائلة جدا ، الا أن العلماء لم يصلوا في النظم الى نهايتها ، ولن يصلوا أبدا ، فكلما اكتشفوا نظاما أو نظما قليلة ، تفتحت لهم منه أسرار جديدة وكثيرة ، وها نحن الآن نقف على بحر من المعلومات ليس له من قرار ، وكأنما نحن لم نحصل منه الا على قطرة ، لا تشفى غليلنا الى المعرفة ، فلا زالت الاسرار تدثر نفسها بمزيد من الاسرار ، ومن هنا نستطيع ان نقول : (**ومما لا يعلمون**) .. اذ كلما علمنا ، أحسسنا كم كنا جاهلين ، وهكذا نعود لنقول : ان العلم نسبي ، وان المعرفة نسبية ،

وأنه ستبقى أمامنا دائما بحور مما لا نعلم ، وهذا يعني أننا لن نصل الى جوهـــر الحقيقة ، ولـــو وصلنا ، لقلنا : نعم .. نحن نعلم ، لكن من ظن أنه « قد علم ، فقد جهل » ، **(وفوق كل ذى علم عليم)** يوسف / ٧٦ وهذا يعني حتما أن الامور نسبية ، لأن هذا الجزء من الآية لو استمر هكذا في وصفه ، اي « وفوق كل ذى علم عليم » ، فانه سيقودنا الى اللانهائية .. الى المطلق ، واللانهائية أو المطلق لله وحده !

وما نظن أننا بهذا قد خرجنا عن موضوعنا الـــذي يتناول أسرار الأزواج ، لكننا أردنا أن نمهـــد لموضوع أعظم وأعمق ، لأن الأزواج التي كشف عنها العلم الحديث ـ أي في الربع الثالث من القرن العشرين فقط (١٩٥٠ حتى الآن) ، هي لب هذه الدراسة ، وفيها سنكشف عن الأزواج التي عجزت عن إظهارهـــا « عيون » المجاهـــر الاليكترونية ، رغم ضخامة تكبيرها .

فالمجهر الاليكتروني قد أوضح لنا بالصور الدامغة أن خلايا المخلوقات تحتوي على أشرطة دقيقة غاية الدقة .. أشرطة لا يزيد عرضها عن عشرين « انجستروم » ، هذا والانجستروم وحدة من وحدات القياس في هذا العالم الدقيق ، وهو يساوي جزءا من عشرة ملايين جزء من المليمتر ، أو بمعنى آخر نقول : إن عرض هذا الشريط لا يزيد عن جزئين اثنين من مليون جزء من المليمتر ، ولهذا فهو بهذه المقاييس يقع فيما وراء حدود خيالنا ، ودعك اذن من قصور عقولنا .

لكن .. ماذا تحوي هذه الأشرطة الدقيقة من تسجيلات ؟

الواقع انها بدورهـــا تحتوي على أزواج من وراء أزواج من وراء أزواج .. كرر هذا ملايين المرات !وما طبيعة هذه الأزواج ؟

إنها من تراب هذه الأرض ، أو من بعض عناصرها الصالحة لأداء هذه المهمة الجليلة ، لتقوم على أكتافها حياة كل المخلوقات ، وكأنما نعود بهذا الى الآية الكريمة التي أشارت منذ حوالي ١٤ قرنا الى هذه الحقيقة : **(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا)** فاطر/ ١١ . **(ومن أياته أن خلقكم من تراب)** الروم/ ٢٠ .

لكن دعنا الآن من هذه الأزواج التي جاءت من عناصر الأرض ، اذ لنا معها عودة ، لكن بعد أن نلقى نظرة على طبيعة أدق شرائط كشفتها لنا المجاهر الاليكترونية .

لو أنك ألقيت نظرة عابرة على بعض الصور المنشورة هنا ، لوجدت بينها خيوطا دقيقة ، لكن الميكروسكـــوب الاليكتروني لا يستطيع لهـــا توضيحا ، فحدوده لا تمكننا من رؤية عوالم أخرى داخل هذه الخيوط ـ أي شرائط الحياة الغامضة ، ولا بد من البحث عن وسائل أخرى لترينا ما لا عين رأت ، حتى ولو كانت العـــين اليكترونية !

والسؤال الآن : من أين جاءت هذه الخيوط أو الشرائط ؟

جاءت من وحدات الـوراثة أو الجينات أو المورثات التي انتهينا من تقديمها في الدراسة السابقة ، ولكي لا نشق عليك في الرجوع اليها ، فسوف نلخص الموضوع في سطرين أو ثلاثة .

بخلاف الأزواج التقليدية المعروفة (أي الذكر والانثى) ، توجد أزواج أخرى كثيرة ، لا تراها عيوننا ، فالخلايا الجنسية تجيء زوجين ، والنطفة الذكرية تحوي من الحيوانات المنوية الزوجين : أي منها الذكر والأنثى ، والخلية تحوى الأمشاج أو الكروموسومات ، وهي أيضا على هيئة زوجين ، والأمشاج تحتوي على صفوف متراصة من وحدات وراثية أو جينات ، والجينات جاءت بدورها على هيئة زوجين .

ومن هذه الجينات نبدأ سؤالنا : وماذا تحوى هذه الجينات من مكونات ؟

الواقع أن كل جينة بمثابة معلومة مستقلة ، لتورث الكائن صفة محددة ، وبفحص هذه الجينة ، أو أية جينة أخرى تجيء من انسان أو حيوان ونبات ، بفحصها وتكبيرها يتضح أنها تتكون من شريط قد يفرد أو يطوى ، فاذا أريد من هذا الشريط أن ينفذ خطته الوراثية استقام واستطال كخط تشغيل دقيق ، فلا نكاد نراه ، واذا انتهى من عمله ، طوى نفسه ، وظهر على المشيج كحبة أو عقدة جد صغيرة ، وطبيعي انه توجد في الخلية آلاف وعشرات الآلاف من هذه الجينات ، ولهذا نراها متراصة كحبات من وراء حبات ، ومن كل حبة زوجين !

ولنقدم الآن جينة أو مورثة غير مطوية ، عندئذ ستبدو لنا على هيئة شريطين يحتضن أحدهما الآخر ، أو كأنهما مجدولان كضفيرة دقيقة ، وأحيانا ما تأتي الضفيرة على هيئة « زوجين » يجمع بينهما « فراش » بروتيني خاص ، ثم قد تتكرر فكرة الزوجين مرة ثالثة ، فيلتف كل زوجين بزوجين !

وماذا يعني هذا حقا ؟

يعني أنها ازواج ، ملتفة بأزواج ، ملتفة بأزواج ويعني اكثر اشارة القرآن الكريم الى حقيقة الخلق في الآية الكريمة : **(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)** الذاريات / ٤٩ ، او اذا اردت ان نذكرك بالآية العظيمة : **(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)** ، فلا بأس بذلك ، فما أكثر ما لا نعلم من أسرار الخلق التي عرضنا عليك منها قشورا أو لمحات عابرة ، لأن المجال هنا لا يسمح بغير ذلك .

اننا ـ في الواقع ـ أمام بنك ائل من بنوك المعلـومات التي تحتفظ بأسرارها في شرائط من وراء شرائط ، فاذا اشتغلت هذه الشرائط في الخلايا الحية ، جاءت « أنغامها » على هيئة طوفان من « معلـومات » أو خطط كيميائية وراثية ، فاذ بكل شيء يسرى بابداع لا نرى فيه خللا ولا فروجا ، اذ كيف يأتيه الخلل ، وهو من صنع

حكيم خبير ؟.. أضف إلى ذلك أن هذه الخطط هي التي تشكلك وتشكلني وتشكل كل انسان ، وتهيمن على كل نبات وميكروب وحيوان ، من أول ظهور الخلق ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كشف لنا فريق من أعظم علماء العالم من أسرار هذه الأشرطة المجدولة ما لا يمكن أن تعيه العقول البشرية ، أو حتى الاليكترونية ، ففيها ـ كما ذكرنا ـ سجلات لملايين فوق ملايين من الصفات والعمليات الكيميائية والحيوية التي تعجز عنها كل معامل العلماء في الكرة الأرضية ، ونحن هنا لا نبالغ ، اذ أن جزيئا بروتينيا واحدا من آلاف الأنواع التي تحتويها أجسامنا ، هذا الجزيء قد يجهد أعظم العلماء صبرا ، حتى يتمكنوا من فك ألغازه الدقيقة بعد سنوات طويلة ، لكن هذه الأشرطة عندما تعطي الأمر ، فان هذا البروتين يصبح جاهزا ـ وبنفس المواصفات التي لا يمكن أن تختل أبدا ـ بعد ثوان معدودات ، اذ لو حدث الخلل ، لجاء المرض ، وتراكم الخطأ ، فيؤدي الى الموت ، ذلك ان الحياة لا تحتمل الفوضى ولا الأخطاء .

لكن .. ماذا تحوى هذه الأشرطة الغريبة التي نراها هنا كضفائر مجدولة ، أو كسلالم حلزونية ذات درجات من فوق درجات ؟

إنها تحوى شفرة الحياة ذات الرموز الأربعة ، ومن هذه الرموز نشأت قواميس الحياة في كل المخلوقات ، فأنت « قاموس » أو كتاب مكتوب ، وأنا أيضا قاموس يختلف عن قاموسك ، لأن شفرتي غير شفرتك ، ودليلنا على ذلك أن جسم كل انسان لا يقبل أي عضو من انسان آخر ، اللهم الا اذا محونا « الذاكرة » البروتينية للجسم ، حتى لا يعرف الفرق بين عضو فيه ، أو عضو غريب عليه ، لأن أجسامنا تعرف عشرات الألوف من أنواع بروتيناتها ، فاذا حل بها بروتين واحد غريب ، حدثت الكارثة ، وأعلنها الجسم حربا على الدخلاء ، فاما موت ، وإما حياة .

إذن ، فكل شيء مقدر ومحسوب ومكتوب « بمداد » من عناصر هذه الأرض ، وهو مداد غريب جدا ، وثمين جدا ، ولقد عزله العلماء ، وحللوه في معاملهم تحليلا دقيقا ، فهل تعرف ماذا وجدوا ؟

وجدوا ما لم نكن نعلم ، لكن عندما علمنا ما لم نعلم ، زادت آيات القرآن في عقولنا ضياءا ، لأنها اشارت الى هذا السر المكتشف قبل ان يكتشفه العلماء بأربعة عشر قرنا من الزمان ، فلقد تبين أيضا أن شفرة شرائط الحياة جاءت أزواجا أزواجا ، ولهذه الأزواج من الشفرات التي جاءت من عناصر الأرض دراسة أخرى قادمة .

و« سبحان الذي خلق الأزواج كلها » .. وليستبشر المسلمون بما في قرآنهم من عطاء فكري ، وزاد عقلي لن ينضب أبدا ، فلقد جاء صالحا لكل زمان ومكان ، وأيضا لكل مستويات الفكر عند الانسان .

بيت التمويل الكويتي

ولقاء مع رئيس مجلس إدارته

في جمع حاشد .. في ساحة عرفات والكل يناجي الله ، وعلى مرأى ، ومسمع من الجمع الاسلامي العظيم .. وقف الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يلقى في سمع الزمن أنه لا يحق إهدار كرامة الانسان بأية صورة من الصور .. وأنه لا طغيان ولا عدوان من جانب الغنى على أخيه الفقير .. وقف الرسول الكريم يقول لأمته الخالدة وللأسرة الانسانية معها : « أيها الناس : اسمعوا مني أبين لكم ، فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، في موقفي هذا ، أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم .. الى أن قال : وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم قضى الله أنكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله . وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع وأن أول دمائكم أضع دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .. » .

وهكذا صار الربا حراما إلى أبد



الآبدين .. فلا ابتزاز لمال المحتاج .. ولا استغلال لحاجة الفقير .. ثم يقول الرسول الكريم في خطبته الجامعة : أيها الناس اسمعوا قولي وأعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم . ألا هل بلغت ؟.

أجل والله ، لقد بلغت يا رسول الله ، ووضعت ربا الجاهلية وتفاخرها الكاذب تحت قدميك الشريفتين ، وبذلك دفنت – يا رسول الله – الجاهليات كلها تحت التراب .

ولكن ما العمل والفساد قد انتشر حتى في ساحتنا العربية والاسلامية ؟ ما العمل وعوامل الهدم في البنيان تعمل في كل اتجاه .. في الميدان السياسي .. وفي الميدان الاجتماعي .. وفي الميدان الاقتصادي .. تصيب الأمة في أخلاقها .. وفي تقاليدها .. وفي تعاليمها الاسلامية ، وفي مؤسساتها الاقتصادية ؟.. ما العمل ..

ونحن ــ المسلمين ــ نكتفي بالقول في معظم أحوالنا .. وعدونا يغزونا بفكره .. ومؤسساته .. ليغير معالم الوجه الاسلامي في موطنه ..

حملنا همومنا تلك وذهبنا بها لندير حوارا حولها في مكان ترتفع عليه (راية الاسلام) وسط هذا الخضم من التيارات غير الاسلامية .. وفي ميدان تعمل فيه الأقلام والأوراق والآلات بلا ضجيج .. لتحاول العودة إلى النظام الاسلامي في ميدان المعاملات المصرفية .. وهو ميدان من أهم الميادين في حياتنا المعاصرة .. إن لم يكن أهمها على الاطلاق .. كانت استراحتنا في (بيت التمويل الكويتي) المصرف الاسلامي الكويتي .. وكان الحوار صريحا .. والرغبة صادقة .. من أجل رفع راية الاسلام على كل المؤسسات في عالمنا المعاصر ..

ودار الحديث بين السيد رئيس التحرير .. والسيد أحمد بزيع الياسين ــ رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب . وقد قدم رئيس التحرير للحوار بكلمة حيا فيها الجهود المسلمة المخلصة التي بذلت في سبيل إنشاء هذا الصرح الاسلامي ، وإبراز النوايا الطيبة الى هذا العمل القائم على أرض الكويت ، الأمر الذي يعتبر باكورة طيبة وخطوة لها ما بعدها على الطريق السليم نحو اقتصاد إسلامي متحرر من الربا والاستغلال .

* * *

قال السيد رئيس مجلس إدارة بيت التمويل عن فكرة إنشاء هذا المصرف الاسلامي : إن مجتمعنا إسلامي ، يقع على المسلمين فيه واجب تنفيذ أمر الله والتزام شرعه ، واتباع تعاليم ديننا الحنيف . التي نظمت منهج الحياة ، ولم تترك شاردة ولا واردة إلا ذكرت في الكتاب الكريم أو السنة النبوية الشريفة .

وانطلاقا من الشريعة الاسلامية قام المسلمون في شتى أنحاء المعمورة بمراجعة أنفسهم في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسلوكية ..

وهذا إن دل على شيء فانما يدل على صحوة إسلامية نرجو أن تعم آثارها الأمة الاسلامية المسؤولة أولا وأخيرا عن نشر دين الله في بقاع الأرض ، ولا يتسنى ذلك إلا بالتزامنا الجاد وتطبيقنا الفعلي لمنهج الله وشرعه في كل مؤسساتنا وأوجه نشاطنا اليومي .

والكويت جزء لا يتجزأ من الأمة الاسلامية ، تحاول جاهدة سلوك الطريق القويم مهتدية بتعاليم ديننا الخالد .. وفي المجال الاقتصادي تمثلت العودة إلى شرع الله فيه بانشاء (بيت التمويل الكويتي) ، وهو ليس فكرة .. لأن الفكرة نابعة من عقل الانسان واجتهاداته ، بل هو امتثال لشرع الله في النواحي المالية ، حيث قامت الدولة بتأسيس هذا المصرف الاسلامي .. برأس مال قدره ١٠

ملايين دينار ، ساهمت الحكومة الكويتية كمؤسس بنسبة ٤٩٪ من رأس المال ، ممثلة بوزارة المالية بنسبة ٢٠٪ ، ووزارة العدل (إدارة شئون القصر) بنسبة ٢٠٪ ، ووزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بنسبة ٩٪ . وطرحت الأسهم المتبقية للاكتتاب العام وغطيت هذه المساهمة تغطية كاملة ، وباشر (بيت التمويل الكويتي) نشاطه ، وافتتح أبوابه للجمهور المسلم بتاريخ ٢٨ رمضان ١٣٩٨ هـ ـ الموافق ١٩٧٨/٨/٣١ م ، حيث يقوم المصرف الاسلامي بجميع الأعمال المصرفية ، والاستثمارية ، حسب ما هو مذكور في نظامه الأساسي .

أعمال المصرف

تم تدعيم مصرفنا بكفاءات إسلامية كويتية وعربية وإسلامية ـ هكذا قال السيد أحمد بزيع في صدد الحديث عن طبيعة عمل (بيت التمويل الكويتي) ـ ومضى يقول : تمكنا ـ ولله الحمد ـ بفضل هذه الكفاءات الجيدة أن نمارس جميع الأعمال المصرفية التي تمارسها المصارف العادية ، وعلى وجه التفصيل : فتحنا حسابات جارية ، وحسابات توفير ، وإيداع ودائع مطلقة ، وودائع مطلقة مستمرة ، وإصدار الشيكات ، والتحاويل على الخارج ، وبيع العملات ، وفتح الاعتمادات المستندية ، وإصدار التحاويل (الشيكات السياحية) بمعنى أن جميع ما تقوم به البنوك العادية نقوم به على الوجه الأكمل بفضل الله وتوفيقه ، وعلاوة على ذلك نقوم بممارسة الاستثمار العقاري ، والتمويل التجاري ، ونتطلع إلى تمويلات صناعية وزراعية مستقبلا ، كلما سنحت الفرصة بذلك .

و (بيت التمويل الكويتي) يعتبر كمضارب (وهو ما يسمى بالقراض في الشريعة الاسلامية) وصاحب الوديعة يسمى (بصاحب المال أو رب المال) .

محورنا إسلامي

ثم ينتقل بنا الحديث إلى نقطة جوهرية نستجلي فيها أوجه الاختلاف بين المصرف الاسلامي والمصارف الأخرى التي كادت تبتلع أموال المسلمين لتدور في فلك غير إسلامي ، وحول هذه النقطة قال السيد أحمد بزيع الياسين : إن المحور الذي تدور عليه جميع معاملاتنا محور إسلامي ، فلا ربا ، ولا استغلال ، وإنما بيع مشروع ، ومشاركة حلال ، وإجارة ، ومضاربة ، وكيف لا والقرآن الكريم يقول : **(الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد**

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

فكيف نعود إلى النظام الربوي بعد أن نجانا الله منه ؟ نعوذ بالله أن نكون من أصحاب النار ، وندعوه أن يوفقنا إلى الأخذ بتعاليمه ، والعودة إلى نهجه .

نشاط ملموس

وعن الدور الايجابي والملموس الذي يقوم به المصرف الاسلامي في الكويت يحدثنا السيد رئيس مجلس الادارة قائلا : لقد استثمرنا أموالنا في أوجه استثمارات متعددة .. منها الاستثمار العقاري .. حيث أتيحت لنا فرصة تأمين السكن ، والاسهام في إعداد المساكن بشراء أراض وتقسيمها إلى قسائم ، ثم نجهزها لبيعها لمن يريد إقامة مسكن له في المناطق السكنية ، كما نقوم بجميع الخدمات المصرفية كما ذكرنا آنفا .. وإلى تاريخ حديثنا هذا ثم تم فتح قرابة خمسة آلاف حساب بين جار ، وتوفير ، ووديعة .

ولما حرم الله الربا أحل البيع ، ومعنى هذا الربط بين صاحب المال والمنتج من شأنه أن يصحح قيمة النقد في ذاته قبل أن يصل الى المنتج ، ومن الطبيعي في المصارف الاسلامية أن يكون لها نشاط إنتاجي ، في ميادين الزراعة والصناعة والمقاولات والتجارة .

ودينا يحرم اكتناز المال وحبسه عن أداء وظيفته .. ويحثنا على استثماره في الصالح العام وفيما يعود بالنفع على المسلمين قال الرسول الكريم : « اتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة » .

القرض الحسن

وحول القروض للأفراد المحتاجين أو الشركات والمؤسسات انتقل بنا الحديث ، حيث يعلم الجميع أن البنوك العادية تقرض من تريد إقراضه وفقا لشروطها الخاصة ، وبفائدة مرتفعة .. فما موقف (بيت التمويل الكويتي) من القرض ؟. يقول السيد الياسين : في السنوات الأولى ـ ٣ سنوات تقريبا ـ قد لا يتمكن المصرف من إقراض المحتاجين إلى القرض ، نظرا لأن القرض يجب أن يؤخذ من موجودات الاحتياطي ، ولا يجوز أن نقرض من الوديعة الاستثمارية ولا من رأس المال العامل ، لأن الكل يريد أن يستثمر أمواله ، وإننا نرجو من الله أن يوفقنا ونحقق أرباحا نخصص منها جزءا للاحتياطي .. عندها يمكن أن نقوم بواجب القرض الحسن إن شاء الله .

نحن والبنك المركزي

ولما كانت المعاملات المالية تحتاج إلى نوع من التعاون بيننا وبين البنك المركزي الكويتي وحتى لا يتعارض نظام بيت التمويل الكويتي مع البنك

المركزي قام بيت التمويل بمرسوم أميري بقانون منفصل عن قانـون البنك المركزي ، مستمد من الشريعة الاسلامية .

ومضى السيد أحمد بزيع الياسين يقـول : يحـاول البنـك المركزي معاونتنا بما يستطيع ، فمثلا :

موضوع السيولة ذللته لنا وزارة الماليـة ، وموضـوع المخاطـر ، وموضوع اشتراكنا في غرفة المقاصة سمح به قانـون البنـك المركزي ، وكذلك فتح الحساب الجاري لديه ، أما المشاركة في المخاطر فآمل أن يجد البنـك المركزي حلا (لما يسمـى بالمخاطر) أما البنوك التقليدية فلا نتعامل معها إلا حسب نظامنا ، فاذا ما قبلت التعامل معنا بغير فائـدة (ربا) لا أخذا ولا عطاء تعاملنا معها في أضيق الحدود ..

وشعارنا قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فان لم تفعلـوا فأذنـوا بحـرب من الله ورسوله وإن تبتم فلـكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتـم تعلمون) .**

ثـم قال السيـد رئيس مجلس الادارة : إننا نفتح حسابات جارية لدى هذه البنوك لنتمكن من خدمة عملائنا بالسحب على هذه البنوك عند الحاجة للعملات الأجنبية المختلفة . وكذلك لتزويد وتمويـل الاعتمـادات المستندية في شتى البلاد المختلفة التي تجلب بضاعة .

ومن المهم أن نعرف الفرق بين الحساب الجاري الفردي والحساب الجاري الذي يفتتحه بيت التمويل الكويتي لدى هذه البنوك ، حيث ان الأفراد يتعاملون مع البنك التقليدي حسب نظامه ، بمعنى أنه عندمـا يكون مدينـا تجـرى على حسابـه الجاري المدين فائدة ربوية ، أمـا الحساب الجـاري الـذي تفتتحـه المصارف الاسلامية فيخضع لنظامها الاسلامي بمعنى أنه لا يجري البنك التقليدي على المصارف فائدة (ربا) عندما يكون حسابهـا مدينـا لدى البنوك التقليدية .

ومع هذا الفرق الجوهـري فان الحساب الجـاري يكون بأضيـق الحدود مع البنوك التقليدية وحسب الحاجة لمقابلة متطلبات الزبائن من عملات واعتمادات .

أما البنك الذي لا يقبل نظامنا فلا نفتح معه حسابا جاريا ولا نتعامل معه إلا المعاملات العادية يدا بيد .

تعاون على البر

وعن طبيعة العلاقة بين (بيـت التمويـل الكويتـي) والمصـارف الاسلامية الأخرى في عدد من بلادنا الاسلامية ، وعن مدى التعاون القائم بينها يقـول السيـد أحمـد بزيـع الياسين :

بدهى أن تكون هناك اتصالات

مستمرة بين المصارف الاسلامية الناشئة ، وأن تتعاون جميعها وتنسق ما بينها من أجل الوصول إلى المستوى اللائق ، تحقيقا للنجاح المنشود .. وكيف لا .. والقرآن الكريم يقول : (وتعاونوا على البر والتقوى) !!.

ومن هنا برز إلى الوجود (الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية) الذي يضم في عضويته (بنك ناصر الاجتماعي (القاهرة) وبنك دبي الاسلامي (دبي) وبنك فيصل الاسلامي في (الخرطوم) ، والقاهرة ، وبيت التمويل الكويتي (الكويت) ، والبنك الاسلامي الأردني (عمان) وبنك البحرين الاسلامي (البحرين) .

ونأمل أن يوفق الله المسلمين حكاما وشعوبا إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن نرى اقتصادنا في كل بلادنا الاسلامية اقتصادا إسلاميا في منهجه وتعامله ، ويطيب لي أن أنوه بالمعاونات المعنوية التي يقدمها بنك التنمية الاسلامي في جدة للاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية ، والاتحاد ما زال في حاجة الى معونة المسلمين عموما على شكل رسمي وشعبي .

ميزان عادل

وتمشيا مع روح الشريعة الاسلامية ، وانطلاقا من قاعدة أنه لا ضرر ولا ضرار ..

يقول السيد الياسين : في آخر السنة نعد ميزانية (بيت التمويل الكويتي) ، وعلى أساس هذه الميزانية نقوم بتوزيع الأرباح بميزان العدل ، حيث توزع على المساهمين والمودعين كل بنسبة ما لديه من أموال ، بعد اقتطاع المصاريف الادارية العامة ، والاحتياطي المنصوص عليه في المادة (٥٦) حيث نصت على أنه يقتطع من الأرباح الاجمالية نسبة مئوية يحددها مجلس الادارة لتكوين الاحتياطات الخاصة ، كاحتياطي الديون ، واحتياطي تقلبات أسعار العملة ، وذلك بالاضافة إلى الاستهلاكات والاحتياطيات والمخصصات التي يفرضها القانون أو العرف أو يرد بشأنها نص في هذا النظام .

دعوة إلى الحكومات الاسلامية

ومضى يقول تعليقا على ما أثرناه من أن بعض الحكومات الاسلامية تضطر للاقتراض بفائدة عالية من الدول الأجنبية .. وهذا يرهقها ويعيق نهضتها .. وهل للمصارف الاسلامية أن تقوم بدور إيجابي في هذا المجال ؟

إن رأس مال هذه المصارف محدود ، ولا يساعد في القيام بدور تجاه الحكومات المعنية ، ثم إن على هذه المصارف أن تنمي نفسها أولا ، ثم تمتد طبيعيا إلى من حولها ، وبهذه المناسبة أود أن أبين أن التنسيق

الاقتصادي بين البلاد الاسلامية يجب أن يتم على نطاق الحكومات الاسلامية ، ولو أن الحكومات الاسلامية نسقت ما بينها اقتصاديا لتمكنت من حل كثير من مشاكلها السياسية والاجتماعية . فهل تفعل حكوماتنا الاسلامية ؟!

الزكاة

وحول تأدية الزكاة عن الأموال المتواجدة في (بيت التمويل الكويتي) قال السيد رئيس مجلس الادارة :

لم ينص نظامنا على أن نأخذ الزكاة من المساهمين أو المودعين ونصرفها في أوجهها ـ وهذا من حق السلطان الذي يستطيع أن يجبى الزكاة ويصرفها في مصارفها المعروفة ـ حيث انه لا يجوز ذلك شرعا إلا أن يأذن صاحب المال بأن نزكي ماله نيابة عنه ، لأنه من المحتمل أن يكون قد أخرج زكاته من أمواله الأخرى ، بما فيها قيمة أسهمه في البيت .

عرفان ... وتقدير

وقال السيد رئيس مجلس ادارة بيت التمويل : إنه عرفانا بالجميل ، وتقديرا لما وجدناه من عون كبير .. لا بد من الاشادة براعي هذا الصرح الاقتصادي المبنى على أساس الشريعة الاسلامية في الكويت وهو أميرنا المفدى الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وولي عهده الأمين الشيخ سعد العبدالله الصباح . وحكومته ممثلة في الوزارات المختلفة .. هذا على النطاق الرسمي ، أما على النطاق الشعبي فالمجتمع الاسلامي في الكويت يؤيد خطواتنا على طريق بناء صرح اقتصادي إسلامي ، ويرجو لبيت التمويل الكويتي التوفيق والنجاح .

أمل عزيز

وفي نهاية حديثنا نأمل أن تنتشر أمثال هذه المؤسسات في سائر البلاد الاسلامية ، وأن يطبق المسلمون شريعتهم الخالدة كاملة غير منقوصة وغير مجزأة في جميع الميادين ، وإذا صح العزم من المسؤولين والجمهور المسلم لعدنا إلى ديننا الاسلامي عودا حميدا ، ولعشنا المجتمع الفاضل الذي حدد معالمه ورسم منهجه الله سبحانه وتعالى ..

وأملنا أن تتحقق العودة ـ عودة المسلمين ـ إلى عقيدتهم ، وأن يرتبطوا جميعا ـ حكاما وشعوبا ـ برباط العقيدة المتين ، والأخوة الاسلامية .. ليبقى البنيان شامخا على مر الزمن يشد بعضه بعضا .

وبذا تسود المحبة ، وتعم الألفة ، بدل البغضاء والشحناء والتخاصم والتباعد ..

اللهم قرب بين القلوب ، واجمع كلمة المسلمين على الحق ، وأيدهم بروح من عندك .

اللهم آمين .. ومن الله التوفيق .

وإنك لعلى خلق عظيم

للاستاذ عبد المحسن بن حمد العباد

ما اكثر نعم الله على عباده وما أحوجهم دائما وأبدا الى شكره سبحانه على هذه النعم التي امتن عليهم بها في قوله : « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » ١٨/النحل وقوله « **وما بكم من نعمة فمن الله** » ٥٣/النحل . وأعظم نعمة أنعم بها على هذه الأمة أن بعث فيها رسوله الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم ليرشد إلى كل نافع في الحاضر والمستقبل ويحذر من كل ضار في العاجل والآجل ، أرسله على حين فترة من الرسل واندراس من الكتب في وقت انتشرت فيه الضلالة ، وعمت فيه الجهالة ، وبلغت البشرية منتهى الانحطاط في العقائد ، والعادات ، والأخلاق فانتشلهم به من هوة الضلالة ورفعهم إلى صرح العلم والهداية ، فأزاح به عن النفوس تعلقها بغير خالقها وفاطرها سبحانه وتعالى ، ووجهها اليه بقلبها وقالبها ، حتى لا يكون فيها محل لغيره سبحانه ، بل تكون معمورة بحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، والانابة اليه ، تستسلم لأوامره ، وترعوى عن زواجره ونواهيه .

ويطيب لي في هذه الكلمة ، أن أقدم بين يدي القارىء صفحات من خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهادة أوليائه وأعدائه له بالفضائل الجمة ، ومكارم الأخلاق ، لتكون للمسلمين أسوة وقدوة .

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ٢١/الاحزاب .

تعريف الخلق :
الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية ، قاله ابن الأثير في غريب الحديث ، وفي الاصطلاح ، يطلق إطلاقين : أحدهما أعم من الثاني ، فيطلق على الصفة التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ ، ويستحق الموصوف بها المدح او الذم ، ويطلق على التمسك بأحكام الشرع وآدابه ، فعلا وتركا ، ومن الأول قوله صلى الله عليه وسلم : لأشج عبد القيس « إن فيك لخلقين يحبهما الله : الحلم والأناة » قال يا رسول الله أخلقين ـ تخلقت بهما أم جبلت عليهما ؟ قال « بل جبلت عليهما » قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ، ومن الثاني قوله صلى الله عليه وسلم « البر حسن الخلق » رواه مسلم والترمذي وقول عائشة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى ـ «**وإنك لعلى خلق عظيم**» ٤ / القلم،كان خلقه القرآن .
هذا تعريف الخلق في اللغة والاصطلاح ننتقل بعده إلى الحديث عن أخلاقه الفاضلة وسجاياه الحميدة فقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا اجتمع فيه من أوصاف المدح والثناء ما تفرق في غيره قد صانه الله سبحانه وحفظه من أدنى وصف يعاب صاحبه كل ذلك حصل له من ربه فضلا ومنة قطعا لألسنة اعدائه الذين يتربصون به ويقفون في طريق دعوته مؤذين له محذرين منه ، أحب شئ اليهم تحصيل شئ يعيبونه به وأني لهم ذلك .

فقد نشأ صلى الله عليه وسلم من أول امره الى آخر لحظة من لحظاته متحليا بكل خلق كريم مبتعدا عن كل وصف نميم فهو أعلم الناس وأنصحهم ، وأفصحهم لسانا وأقواهم بيانا وأكثرهم حياء ، يضرب به المثل في الأمانة والصدق والعفاف . أدبه الله فأحسن تأديبه فكان أرجح الناس عقلا وأكثرهم أدبا وأوفرهم حلما وأكملهم قوة وشجاعة وأصدقهم حديثا وأوسعهم رحمة وشفقة وأكرمهم نفسا وأعلاهم منزلة وبالجملة كل خلق محمود يليق بالانسان فله صلى الله عليه وسلم منه القسط الأكبر والحظ الأوفر وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه وأبعدهم عنه شهد له بذلك العدو والصديق .

وفيما يلي أورد بعض الشهادات التي شهد له بها الموالون له والمعادون الدالة دلالة بينة على تمسكه بالأخلاق الحسنة قبل أن يبعثه الله تعالى وذلك معلوم من الدين بالضرورة :

١ ـ شهادة خديجة رضى الله عنها :
لما أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في غار حراء لأول مرة ورجع إلى خديجة أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي فقالت له رضي الله عنها كلا والله ما يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . رواه البخاري .

٢ ـ شهادة كفار قريش عند بنائهم الكعبة :

ولما قامت قريش ببناء الكعبة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم تنازعوا في رفع الحجر الأسود إلى مكانه واتفقوا على تحكيم أول من يدخل عليهم الباب فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا جميعا وقالوا جاء الأمين جاء محمد . وقد كانوا يلقبونه بلقب الأمين لما يعلمونه من أمانته صلوات الله وسلامه عليه ..

٣ ـ شهادة كفار قريش بصدقه صلى الله عليه وسلم :

ثبت في صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه :(**وأنذر عشيرتك الأقربين**) ٢١٤ / الشعراء صعد إلى الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا « قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال : أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا ..

٤ ـ شهادة أبي جهل بصدقه صلى الله عليه وسلم :

تقدم الحديث الذي رواه الحاكم بسند على شرط الشيخين أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك لكن نكذب ما جئت به فأنزل الله (**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) ٣٣ / الأنعام .

ولما قال له الأخنس بن شريق يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟ فقال ويحك والله إن محمدا صادق وما كذب محمد قط الخ ..

٥ ـ شهادة أبي سفيان بين يدي هرقل ملك الروم بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفائه :

فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه أن أبا سفيان ابن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا ذهبوا إلى الشام لأجل التجارة في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه بأيليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فقال : أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسبا فقال أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال : لترجمانه قل لهم إني سائل عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عليه ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول أحد منكم قط قبله قلت لا قال

فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم إياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه قال بما ذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول أباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله قط فذكرت أن لا قلت فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله وسألتك هل كان في آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا قلت لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بماذا يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به اليه مع دحية ابن خليفة الكلبى فقرأه أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وأرتفعت الأصوات فأخرجنا فقلت لاصحابي حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أنه ليخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام .

ففي هذه القصة آيات بينات ودلالات واضحات على نبوته صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم صادق فيما جاء به ومحل الشاهد من القصة شهادة أبي سفيان بن حرب وهو من أشد أعدائه في ذلك الوقت على إتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله بالصدق وأنهم لا يتهمونه بالكذب وبالوفاء وأنه لا يغدر .

٦ ـ شهادة عبد الله بن سلام رضي الله عنه بصدقه صلى الله عليه وسلم :

روى أحمد وأصحاب السنن عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كنت ممن أنجفل ـ أي اسرع للقائه ـ فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فسمعته يقول « افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

٧ ـ شهادة مكرز بن حفص بن الأحنف له صلى الله عليه وسلم بالوفاء في جميع مراحل حياته :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية قد أبرم صلحا بينه وبين قريش على أن يرجع ويعتمر من العام المقبل ومن الشروط التي اشترطتها قريش على رسول الله صلى الله وسلم أن يدخل مكة بسلاح الراكب فقط « السيوف مغمدة » فلما قدم صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء إستعد بالخيل والسلاح لا ليدخل بها الحرم وإنما لتكون في متناول يده لو نكثت قريش وعندما قرب صلى الله عليه وسلم من الحرم بعث بها إلى يأجج وكان خبر ذلك السلاح قد بلغ قريشا فبعثت مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر فقال صلى الله عليه وسلم إني لا أدخل عليهم بالسلاح وقد بعثنا به إلي يأجج فقال مكرز بهذا عرفناك بالبر والوفاء .

أخلاقه صلى الله عليه وسلم في القرآن

تفضل الله تعالى على خليله محمد صلى الله عليه وسلم بتوفيقه للاتصاف بمكارم الأخلاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم أثنى عليه ونوه بذكر ما يتحلى به من جميل الصفات في آيات كثيرة من كتاب الله العزيز أقتصر على إيراد بعضها من ذلك قوله تعالى (**وإنك لعلي خلق عظيم**) فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة عما كان عليه المصطفى من أخلاق فاضلة ووصف خلقه صلى الله عليه وسلم بأنه عظيم وأكد ذلك بثلاثة أشياء بالاقسام عليه بالقلم وما يسطرون وتصديره بإن وادخال اللام على الخبر وكلها من ـ أدوات تأكيد الكلام وذلك الخلق العظيم الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم ورد تفسيره عن السلف الصالح بعبارات متقاربة ففسره ابن عباس رضي الله عنه بأنه الدين العظيم وهو دين الاسلام وبهذا التفسير فسره أيضا مجاهد والسدى والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم وفسره الحسن بأنه آداب القرآن وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي

الله عنها أنها سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ومعنى ذلك أن امتثال ما أمره الله به واجتناب ما نهاه عنه في القرآن صار له خلقا وسجية وقد أشارت عائشة رضي الله عنها إلى ما يوضح هذا المعنى في حديث آخر متفق على صحته وهو أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن أي كان يدعو بهذا الدعاء أمتثالا لما أمره الله به في سورة النصر في قوله : (**فسبح بحمد ربك واستغفره**) ٣/النصر .

وقد نوه سبحانه بما جبل نبيه عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص على ما ينفعهم في دنياهم وآخراهم والتألم من كل ما يشق عليهم بقوله سبحانه ممتنا على المؤمنين بارساله « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** » وقال : « **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** » وقال **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** » .

وأشار سبحانه إلى ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من اللطف والرفق بأمته بقوله تعالى « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » .

أما ما أتصف به صلى الله عليه وسلم من النصح والأمانة والقيام بأداء الرسالة على الوجه الذي أراده الله فقد ذكره سبحانه بقوله : (**والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى**) من ١ ـ ٤ النجم . ويقول تعالى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (**وما هو على الغيب بضنين**) ٢٤/التكوير وفيها قراءتان ـ بالظاء والمراد به المتهم وبالضاد والمراد به البخيل وكلا هذين منفى عنه صلى الله عليه وسلم فليس هو ـ بمتهم بكتمان ما أرسله الله به وليس ببخيل بما أنزل الله عليه بل يبذله لكل أحد » .

اخلاقه صلى الله عليه وسلم في سنته وأقوال صحابته رضي الله عنهم :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله بالرسالة العظمى في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة صدقا وأمانة وكرما وحلما وشجاعة وعفة وقناعة وغير ذلك من الصفات التي يحظى بالاجلال والاكبار من حصل على واحدة منها فضلا عمن جمعت له وتوفرت فيه .

ولما بعثه الله سبحانه بالنور والهدى الى الثقلين الجن والانس زاده الله قوة في هذه الخصال الحميدة الى قوته حتى بلغ الحد الأعلى الذي يمكن أن يصل اليه انسان وصدق رسول

الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق » رواه البخارى في الأدب والحاكم والبيهقى بسند صحيح . وقد نوه الله سبحانه بتفضله وامتنانه على نبيه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة كقوله تعالى (**ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) ١١٣ / النساء وقوله : (**وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموت وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور**) ٥٢ ـ ٥٣ / الشورى وقوله : (**إنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا**) ١ ـ ٣ / الفتح .

وقد اختار سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم أصحابا هم خير هذه الأمة المحمدية التي هي خير الأمم وقفوا حياتهم في سبيل تبليغ دعوته وحفظ سنته تحقيقا لقوله تعالى : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) ٩ / الحجر . وورثوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الحق وورثوه لمن جاء بعدهم حتى هيأ الله له رجالا قاموا بتدوينه منهم بل على رأسهم الامامان الجليلان البخاري ومسلم وغيرهما من المحدثين فقد أفنوا اعمارهم جزاهم الله خير الجزاء في تقييد تلك الدرر الثمينة التي ورثوها عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة السلاسل الذهبية المتصلة بأمثال مالك ونافع وشعبة وأحمد وعلي بن المديني وغيرهم من خيار هذه الأمة وهذه الدرر الثمينة التي توارثوها ونعم الارث هي تشمل أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وبيان خلقه وأخلاقه ولهذا يعرف المحدثون الحديث بأنه ما أضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي .

ولقد اعتنى هؤلاء الورثة الكرام بتدوين ما جاءهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم على سبيل العموم وبما يتعلق بأخلاقه ومزاياه على سبيل الخصوص فمنهم من أفرد ذلك بالتأليف ومنهم من عقد له أبوابا خاصة ضمن المؤلفات العامة أورد فيها ما يتصل بخوفه صلى الله عليه وسلم ورجائه وخشيته لربه وجوده وكرمه وإيثاره وحيائه ووفائه وصدقه وأمانته واخلاصه وشكره وصبره وحلمه وكثرة احتماله ورفقه بأمته وحرصه على التيسير عليها وعفوه وشجاعته وتواضعه وعدله وزهده وقناعته وصلته لرحمه وكثرة تبسمه وعفته وغيرته الى غير ذلك من آحاد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم اكرم زاد من الهدى المحمدي .

حدث انس بن مالك رضى الله عنه فقال :

« **لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أخذ أبو طلحة بيدى ، فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! إن أنسا غلام كيس ، فليخدمك . قال : فخدمته فى الحضر والسفر . فوالله ما قال لى ، لشئ صنعته : لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشئ لم أصنعه : لم لم تصنع هذا هكذا ؟** رواه البخارى ومسلم

أبو طلحة : هو زيد بن سهل الأنصارى ، زوج أم سليم ، والدة أنس رضى الله عنهما .
كيس : عاقل
ومعنى ما قال لى لشئ صنعته لم صنعت هذا هكذا .. الخ اى لم يعترض عليه لا فى فعل ولا ترك ، ومن المعلوم أن ترك اعتراضه صلى الله عليه وسلم على أنس رضى الله عنه إنما هو فيما يتعلق بالخدمة والآداب ، لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فانه لا يجوز ترك الاعتراض فيها .

روى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال : « **رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، ومعه رجلان يقاتلان عنه ، عليهما ثياب بيض ، كأشد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد** » رواه البخارى ومسلم

ومعه رجلان : هما جبريل وميكائيل ، يقاتلان : أي الكفار قتالا شديدا . وهذا يرد قول من قال إن الملائكة لم تقاتل معه ، الا يوم بدر ، **وفيما سواه** كانوا عددا ومددا .

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، ونكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« اتخذوا مع الفقراء أيادي فان لهم دولة يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة نادى مناد سيروا الى الفقراء فيعتذر اليهم كما يعتذر أحدكم الى اخيه في الدنيا »

موضوع :

قال السخاوى لم أره .
وقال ابن حجر : انه لا اصل له .
وقد روى بالفاظ اخرى مختلفة وكلها باطلة كما قال السخاوى .
وقال الذهبي عنه : انه باطل .
وقال ابن تيمية : هذا كذب لا يعرف في كتب السلف من المسلمين .

« الفقر فخرى وبه افتخر »

موضوع :

قال ابن حجر : انه باطل وموضوع .
وقال ابن تيمية : هذا من الكذب ولا يعرف عند علماء الحديث .

مائدة القارئ

إنهم لا يكذبونك

قال تعالى : [قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين] .

الآيتان ٣٣ و٣٤ من سورة الأنعام

أحبك يا إلهي

قال أحدهم :

فديتك قد جبلت على هواكا
فنفسى لا تطالبنى سواكا
أحبك لا ببعضى بل بكلى
وإن لم يبق حبك لي حراكا
ويقبح من سواك الفعل عندى
وتفعله فيحسن منك ذاكا

هكذا يجب أن تكون

دخل سفيان الثوري على عبدالله بن جعفر فقال له : علمنى مما علمك الله .

فقال : إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار . وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، وإذا تظاهرت الغموم فقل لا حول ولا قوة إلا بالله .

وهكذا يجب أن تكون أخى المسلم .

بارك الله فيك

قيل إن المهدى لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي ، وخلفه أربعمائة من العلماء ، وأصحاب الطيالسة ، وإياس يقدمهم .

فقال المهدى : أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غيرهذا الحدث ؟ . ثم إن المهدى التفت إليه ، وقال : كم سنك يا فتى ؟ .

فقال : سنى ــ أطال الله بقاء الأمير ــ سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا ، فيهم أبو بكر ، وعمر .

فقال له : تقدم بارك الله فيك .

حق المسلم على المسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« **حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعـوة ، وتشميت العاطس » .**

نوادر في زماننا

من طلب في هذا الزمان عالما عاملا بعلمه بقى بلا علم .
ومن طلب طعاما بلا شبهة بقى بلا طعام .
ومن طلب صديقا بغير عتب بقى بلا صديق .

سررتنى

قيل لأعرابي : إن الله محاسبك غداً .
فقال : سررتنى يا هذا إذن ، إن الكريم إذا حاسب تفضل .

أمر ... وناه

قال بعض العلماء : إن الله سبحانه نصب شيئين : احدهما آمر ، والآخر ناه ،
فالأول : يأمر بالشر ، وهي النفس . قال تعالى : « إن النفس لأمارة بالسوء » .
والآخر : ينهي عن الشر ، وهي الصلاة . قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .
فكلما أمرتك نفسك بالمعاصى والشهوات فاستعن عليها بالصلاة .

سيد البشر كيف نحتفل بمولده

للاستاذ سعد صادق محمد

المجتمع العربي قبل ميلاد النبي :

اذا قلبنا صفحات تاريخ البشر ــ قبل ان يبزغ فجر الدعوة المحمدية ــ نجده تاريخا حافلا بالوان من الضعف والظلم والعبودية لغير الله .

في ذلك المجتمع عاش أناس تحت وطأة السخرة والظلم لسادة القوم وأكابرهم وفق تشريعاتهم الظالمة ، وعاشوا يذلون أنفسهم لأصنام من الحجر ، يرجون محبتها ، ويلتمسون عندها الشفاعة لرفع ضر ، او جلب نفع ، وبذلك فقد هؤلاء الشعور بانسانيتهم ، والاحساس بآدميتهم ، وعاشوا كالأنعام ، او أضل سبيلا .

والمجتمعات الأخرى ايضا :

ولم يكن المجتمع العربي وحده هو الذي يساق في حياته هكذا كالانعام ، بل اننا إذا عرفنا أحوال البشر كلهم ، فسنجده يعيش في نفس الدائرة التي كان يعيش بداخلها المجتمع العربي .. إذ كان يعيش حياة أصابها الفساد في كل جانب .

ونظرة خاطفة على تلك المجتمعات التي كانت تعتنق الديانات « المجوسية واليهودية والنصرانية » وهي الديانات التي وجدت قبل الاسلام .. نظرة خاطفة على تلك المجتمعات ، ترينا كيف كانت حياتهم تصطلي بنيران الأنظمة المرهقة ، وتتألم تحت سلطان الفرد !..

فالمجوسية ، كانت تغرق اتباعها في بحار الوثنية الطاغية ، وتثقلهم باعمال الهياكل والمحاريب التي كان يقوم بها الأحبار والرهبان ، حيث كانت عباداتهم تتمثل في الشمس والنار ، والظلام والنور ، على الرغم من صيحات الاصلاح التي كان ينادي بها المصلحون من حين لآخر .

واليهودية : كانت تئن تحت سلطان فرعون الذي استعلى على قومه ، واستخف بهم ، واستذلهم ، وفرض نفسه إلها عليهم : (**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري**) القصص / ٣٨ (**ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي افلا تبصرون**) الزخرف / ٥١ .

ووصل طغيانه وجبروته وفساده الى حد لا يطاق ، فكان لا بد من دعوة تستهدف اصلاح الفساد ، وتقويم الاعوجاج ، وايقاف طغيان الالوهية البشرية ، وقيام شريعة إلهية عادلة حكيمة ، فقام موسى عليه السلام بمهمة دعوة فرعون وملئه لانقاذ بني اسرائيل من طغيان فرعون وجبروته ، ولكن فرعون وقف موقف المعاند والاستكبار ، ورفض دعوة الله ، ولم يأبه بها ، فكان مصيره الغرق في البحر ، ليكون آية لغيره من الطغاة في كل زمان (**وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من**

المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) يونس / ٩٠ ـ ٩٢ .

ثم جاء المسيح عليه السلام لقومه في معقل اليهود ، حيث كان الفساد قد وصل الى غايته ، والضلال قد انتهى الى نهايته ، اذ ضل القوم وغيروا من شريعة موسى عليه السلام ، واستبدلوها بشريعة تقوم على الهوى والأنانية والتسلط .

ثم قامت عقائد منحرفة مختلفة في فارس والروم مثل « الزرادشتية ، والمانوية ، والمزدكية » وكانت هذه الأديان تعمل لنشر عقائد تدعو الى الزندقة والوثنية ، وكان لها تأثير كبير على معتنقيها داخل فارس والروم ، كما امتدت إلى بيئات أخرى في اطراف الجزيرة العربية ، والتي كانت تخضع لحكام من الفرس والروم ، فاعتنقتها هذه القبائل .

وكان يسكن الجزيرة العربية مجوس ويهود ونصارى ، عملوا على نشر ضروب من الخرافات والبدع مثل : السحر والعرافة والتنجيم وادعاء معرفة الغيب ، كما كانوا يعملون على افساد الحياة ، وايقاد نار العداوة والبغضاء بين الناس .

اما دولتا الفرس والروم ، فقد ارهقت كل دولة شعبها ، بالانظمة المرهقة ، والشرائع الجائرة .

كما قامت بين الدولتين ـ وكانتا اعظم دولتين في ذلك الوقت ـ حروب على السيادة والسلطة ، وتحولت الأمور في الدولتين الى فوضى وفتن وقلاقل ، وغدا الناس في كلتا الدولتين في حاجة الى من ينقذ حياتهم الضائعة في متاهات القلق والفوضى والمطامع والأهواء .

فالمجتمعات البشرية ـ قبل البعثة المحمدية ـ كانت مجتمعات متداعية هزيلة ، فقدت العقيدة الصحيحة ، وفقدت الحياة الكريمة ، وعاشت محكومة بسلطان الهوى والأنانية ، والظلم المرهق .

نعم . كان العالم ـ قبل البعثة المحمدية ـ في حاجة الى صيحة النذير التي تصرخ به ليفيق ، وفي حاجة إلى الفكرة الهادية التي ترشده الى الطريق المستقيم ، والى من يأتي له بالدواء ، يبرئه من علله ، والى من يأخذ بيده ويخرجه من الهاوية التي تردت فيها انسانيته وكرامته .

هذه هي أحوال العالم ... وهذه هي مقدمات الدعوة المحمدية .. ومبرراتها ، ويمكننا ان نقول : ان البشرية ـ وهي تعاني من القلق والفتن والضعف ، وتدين بالخرافات والبدع والآلهة المتعددة .. كانت تتطلع إلى هداية الله ، وهي الهداية التي جاء يحمل مشعلها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سنة الله في الناس :

وسنة الله في خلقه ، أن يرسل اليهم رسولا يرشدهم الى سبيل الله المستقيم ، فاذا بلغ الرسول رسالته إلى قومه ، ثم انتهت مهمته ، ظلت شريعته فترة من الزمن ، ثم تنقرض

بانقراض المؤمنين به ، ثم حين يضل الناس عن هداية ربهم ، وينحرفون عن سبيله ، يرسل اليهم رسولا آخر تحمل رسالته أصول وجوهر الرسول السابق ليردهم الى الله .. والى تشريعاته .

وسنة الله في خلقه ايضا ، ألا يدعهم يعيشون بنظم بشرية ناقصة ، وتشريعات يعتريها العيب ، وأحكام لا تتوفر فيها عناصر الكمال ، لأنها من صنع الانسان ، والانسان بطبعه ناقص ، وقاصر عن بلوغ درجة الكمال مهما ألم بخبرات وعلوم ، فحكمه لا بد ان يعتريه الجهل ، كما يقول الله تعالى (**افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) المائدة / ٥٠ .

وظائف الرسل :

والرسل والأنبياء ، هم دعاة الله إلى خلقه ، يبلغونهم حكم الله وتشريعاته ، دون زيادة او نقصان ، وهم منزهون عن العيب والنقص ، وتتوفر فيهم صفات الكمال ، ليكونوا قدوات لاقوامهم في افعالهم ، واسوة لهم في حياتهم ، وفي هذا يقول الله تعالى (**الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير**) الحج / ٧٥ .

رسالة عالمية :

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، هو من هؤلاء الرسل الذين بعثهم الله ألى الناس ، لتقويم اعوجاجهم ، وإصلاح أحوالهم ... انه خاتم الأنبياء والمرسلين .. أرسله الله الى الناس كافة ، فلم تكن رسالته من جنس الرسالات السابقة التي اختصت بهداية قوم في مكان محدود ، وزمن محدود ، بل هي رسالة عامة ، موجهة الى سكان الصحراء ، وسكان المدن ، في زمنه ، وغيرها من الأزمنة ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

مجئ البشير النذير

وفي النصف الثاني من القرن السادس لميلاد المسيح عليه السلام ، وفي مكة ــ البلد الأمين ــ ولد محمد صلى الله عليه وسلم من أبوين عربيين ، يتصل نسبهما بنبي الله اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، فمحمد عليه الصلاة والسلام من نسل ابراهيم الخليل ، وقد جاء تلبية لدعوته ، كما يقص القرآن (**واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم**) الى قوله تعالى : (**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك انت العزيز الحكيم**) البقرة / ١٢٧ ــ ١٢٩ .

مات ابوه عبد الله ، قبل ولادته بستة اشهر ، فتسلمته حليمة السعدية من

امه ، وتولت ارضاعـه الى السنـة الخامسة من عمره المبارك في قبيلة « **بني سعد** » ثم مكث شهرا بعد ذلك في ضيافة بني النجار ، اخوال ابيه عبد الله ، وعند عودته مع أمه الى مكة ، توفيت امه في الطريق ، ثم دخل النبي في كفالة جده عبد المطلب ، ثم عمه ابي طالب ، الى ان بعثه الله رسولا الى الناس كافة .

هكذا نشأ محمد في مكة .. نشأ يتيما خالى القلب من شواغـل الأمومـة والأبوة ، لكن الله عز وجل ، عوضه عن حنان الأمومة والأبوة ، مما جعله لا يشعر بفقدهما ، فقد تلقاه ربه منذ صغره ، وأفاض عليه رعاية طيبـة ومحبة كريمة ، اذ ليس هناك أعظم ولا أقل من أن يشمل الله عبده برعايته ومحبته وتكريمه .

من آيات تكريم الله لنبيه :

ومن آيات تكريم الله لنبيه ، ان خاطبه ربه في عدة آيات من القرآن بلقب النبوة يقول تعـالى : **(يـا ايهـا النبي)** بينما لم يخاطب الله نبيا من قبله بهذا اللقب ، بل كان يخاطبهم باسمائهم .

وموسى عليه السلام ، يطلب من ربه ان يشرح له صدره ، فيقول : **(رب اشرح لي صدري . ويسر لي امري)** طه/٢٥ ـ ٢٦ . لكن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يطلب ذلك من ربه ، بل اكرمه ربه بشرح الصدر ، **(ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك)** الشرح/١ ، ٢ .

ورعاه في صغره بقوله تعالى : **(ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فاغنـى)** الضحى / ٦ ـ ٨ .

وسمى « محمدا » لكثرة الخصـال المحمودة التي أكرمه الله بها .

وسمى « أحمد » أى أن حمده لله اكثر من حمد غيره له .

وعن جبير بن مطعم ، قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلـم ، نفسه باسماء ، فقال « انا محمد وانا احمد ، وانا الماحى الذي يمحو الله بي الكفر ، وانا الحاشر الـذي يحشر الناس على قدمي ، والعاقب الـذي ليس بعدي نبي » .

ومن آيات تكريمه ايضا ، ان جعل الله رسالته : خاتمة الرسالات ، ودينه : الذي ارتضاه للناس كافة .

كما خصه بالشفاعة العظمـى يوم القيامة ، والآيات في تكريمه كثيرة يضيق عنها المقام هنا .

إعداده لتلقي الرسالة :

كان من متطلبـات تحمـل أعبـاء الرسالة ، ان تظل نفسه منزهة عن العيش مع قومه ، وهم يعكفون على عبادة الطواغيت ، وأن يبتعد بناظريه عن عادات الجاهلية الموروثة ، فان نفسه الطاهرة لا تطيق مثـل هذه المشاهد المنافية للفطرة ، المجافيـة لعقيدة التوحيد .

لذلك لجأ الى غار حراء ، على نحو ما كان يفعله النساك والزهاد ، يرجو

الهداية من حيرته ، ويتطلع الى حياة تتفق مع خلقه وصفاته ونفسه الطيبة .

الرسول يتلقى الأمر بابلاغ الرسالة :

وعندما تهيأت نفسه لتلقي رسالة الاسلام ، نزل عليه جبريل عليه السلام ليبلغه امر الله بتحمل أعباء الرسالة : **(يا ايها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر)** المدثر / ١ ــ ٥ .

بهذا النداء الالهي الكريم ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس ، يدعو قومه وعشيرته الأقربين الى عقيدة التوحيد الخالصة ، والى الكفر بكل ما كان عليه الآباء والشيوخ من نزعات الوثنية ، والعقائد الباطلة ، وسوء الخلق .
أرسله الله رحمة للعالمين ، ومنقذا للناس من ضلال العقيدة ؛ وليأخذ بايديهم الى شريعة الله المحكمة ... وينبذوا شريعة الجاهلية المتحكمة ...
ارسله بدين أساسه : الايمان بالله الها واحدا ، والايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، وقوامه : صالح الأعمال ومكارم الأخلاق ... ان مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كان بداية لظهور دعوة جديدة في العالم الانساني ..دعوة حملت للبشر ــ في كل زمان ومكان ــ كل ما يتطلعون اليه من حياة آمنة كريمة قوية ... دعوة تدعو إلى الرحمة والتعاطف والتعاون .. دعوة تهذب النفوس والأخلاق وتصلح العقول والقلوب ... دعوة تبني للمسلم حضارة نافعة وثقافة مصلحة ، واذا اردنا ان نعرف ذلك بالدليل ، فلنرجع الى تاريخ فجر الاسلام ، وسنعرف ان اولئك العرب الذين كانت تتحكم فيهم نوازع الجاهلية والعصبية والضعف ، حين آمنوا بالدعوة المحمدية ، غدوا اقوياء ، مرهوبي الجانب ، وكان من ثمرات إيمانهم وحكمهم بما آنزل الله ، أن نصرهم الله ، ففتحوا اقطارا كثيرة ، وصنعوا لأصحابها حضارة عميقة الجذور . راسخة الكيان ، شامخة عالية .

محمد في نظر السلف :

كان المسلمون الأولون يحتفلون بذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم ، لكنهم لم يعينوا يوما أو زمنا خاصا يحتفلون فيه بمولده ، إذ كانوا يحتفلون بمولده كل يوم ، ذلك أنهم كانوا يرون أن عظمة محمد عليه الصلاة والسلام ، لا يمكن أن تنسى أو تتلاشى ، أو ليست من جنس العظمات التي تألفها الأمم في نوابغها وافذاذها ، تكون في ناحية من النواحي ، فيحتفلون بها يوما ، ثم تأتي عليها الأيام بأحداثها وشواغلها ، فتذهب في طي النسيان ، ثم يحتاج الناس الى تذكيرهم بها ،

وشد انتباههم اليها ، فيضطرون الى إحيائها في العام مرة .. انها ليست من جنس هذه العظمات ، وانما كانوا يرون فيها عظمة خالدة بخلود آثارها في شتى نواحي الحياة ، عظمة تنبض بها القلوب ، وتتحرك لها العقول ، وتمتزج بها النفوس ، وتسيطر على كل المشاعر ، فيدور معها الانسان في دورة حياته ، ويسير معها في مسار يومه ، وعندئذ تكون هذه العظمة في عقيدة الانسان ... وفي خلقه .. وفي فكره ... وفي نظم حياته العائلية .. وفي علاقاته ببني وطنه .

محمد في نظر الخلف :

جرت سنة المسلمين ، بعد القرون الأولى ، على الاحتفال بذكرى مولد الرسول بأساليب مختلفة ، فمنهم من يحتفل بتهيئة الطعام الخاص ، وبصنع الحلوى والعرائس ، ومنهم من يقيم احتفالات تتلى فيها آيات من القرآن ، وتلقى فيها الأحاديث التي تتناول السيرة النبوية .. ومنهم من يتناول الذكرى بالكتابة في الصحف لسرد تاريخ صاحب الذكرى ، من يوم مولده الى يوم وفاته .. الى غير ذلك من الاحتفالات التي تخلو من الروح والمعنى .

على هذا النحو جرت سنة الاحتفال بمولد سيد البشر عليه الصلاة والسلام عند المسلمين المتأخرين ، وهي كما نرى ، احتفالات باهتة سلبية لا تفاعل فيها ولا امتزاج ، انها احتفالات تنقضي بانقضاء تاريخ المولد ، ثم تعود في العام التالي لتحيا من جديد ، بهذا الاسلوب الجاف .

ولقد جاءت احتفالاتنا بالمولد النبوي بهذه الصورة الجافة ، يوم ان ضعفت النفوس ، وضاع الايمان من القلوب ، وفتح الشيطان للناس ابواب الأهواء على مصارعها ، فتلقوا ثقافات أجنبية ، ودانوا بمذاهب وأفكار معادية للاسلام ، فانحرفوا عن سبيل الله ، وسبيل رسوله ، فصاروا لا يذكرون الله إلا قليلا ، ولا يعرفون الرسول إلا في المناسبات .

واجبنا في هذه الذكرى :

إن العالم الاسلامي يمر اليوم بظروف عصيبة ، فان بلادهم ومقدساتهم غدت نهبا للغاصبين ، وهدفا للطامعين ، وجدير بالمسلمين ، أن يتذكروا شجاعة النبي وبطولاته وكفاحه ضد قوى الشر والبغي ، وكيف استطاع ان ينتصر عليهم ، وان ينشئ دولة الاسلام التي سادت العالمين من بعده ــ بحضارة وقوة وسلطان ــ جدير بالمسلمين اليوم ان يتذكروا تلكم الأيام ، فيحترموا عقائد الاسلام ومبادئه ، ويؤمنوا بدستوره ونظمه .. حتى يتحقق لهم ما تحقق للسلف الصالح الذين قال في شأنهم **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل آل عمران / ١١٠ .

قالوا في الأمثال

عينك غبرى والفؤاد في دد :

مثل يضرب لخداع الظواهر ، والعين العبرى : هي الباكية ، والدد : اللهو واللعب ، وبكاء العين عادة دليل الحزن ، فاذا اشتد حزن المرء لما حل به ، أو التأثر لما حل بغيره ، بكت عينه ، وبعض الناس يتأثر تأثرا صادقا ، فتبكي عينه ويحزن قلبه لمصابهم ، وهؤلاء هم المخلصون الأوفياء . وبعض الناس يمثلون الحزن والأسى لمصاب غيرهم ، فتبكي عيونهم ، لكن قلوبهم تضحك ، فحين يجد المرء هذا التمثيل والتكلف ، ويكشف صاحبه يقال : « عينك عبرى والفؤاد في دد »

لا تدخل بين العصا ولحائها :

مثل يضرب لمن يتدخل فيما لا يعنيه . والعصا : العود ، ولحاء العود : قشرته التي تغطيه ، وتلك القشرة لازمة للعود ، شديدة الالتصاق به ، حتى لا تستطيع الحشرة أن تتسرب بينهما ، وان حاولت نالها الأذى ، وعندما تشتد صلة المرء بصاحبه ، يصبحان مثل العصا ولحائها ، ، لا يستغني أحدهما عن الآخر ولا يفرط فيه ، ولا يسمح لأحد أن يتدخل بينهما ، ولو حاول ذلك لعسر عليه ، ولتعرض للوم ، وبذلك يحرج نفسه ويقال له :

« لا تتدخل بين العصا ولحائها ».

دراسات
قرآنية

المجتمع الفاضل في رسالة نبي الاسلام

قال الله تعالى فيسورة الاحزاب:
(يأيها النبى انا أرسلناك شاهـدا ومبشرا ونذيـرا . وداعيـا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافريـن والمنافقيـن ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)
الآيات ٤٥ ـ ٤٨ الأحزاب .

البيان

في ذكرى مولد النور ، ورسول الخير والرحمة ، يحلو الحديث عن اسمى المبادىء التي جاءنا بها ولم يأت بها نبي ولا مصلح قبله ، ولن يأتي بمثلها مصلح بعده ، الا اقتباسا من نوره ، وسلوكا على دربه

للاستاذ مصطفى محمد الحديدي الطير

ومنهاجه ، فــان مــن الوفاء لابي الزهراء ، أن نرفع من نور رسالته مصابيــح عــلى دروب الحيــاة

ومسالكها ، تضيء للبشرية ، وتجلو للناس ما خفي عليهم مــن مصالح الدنيا والآخرة ، وتحل مشكلاتهم ، وتنشىء منهم المجتمع الفاضل .

من الوفاء لابي الزهراء ان ننشر على سمع الزمان ، ما أدته رسالته من النجدة للبشرية العاثرة ، والانقاذ للانسانية المعذبة ، بما جاءت به من العقائد السليمة ، ودساتير السلوك القويمة ، وتحريــر العقــول من محابسها ، وتحكيمها فيما عز وهان، بالحجة والبرهان:**(ان في ذ لك لذكري لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** ق / ٣٧ .

الجاهلية التي كانت مبعثه

ولد نبينا محمــد صلى الله عليه وسلم في وقت أظلمــت فيــه ليالي الفتن ، واشتــدت ضروب المحن ، وعجز الناس عــن وضع القوانين التي تحكمهم ، وعن اقامة الحكومات التي تقيم موازين العــدل بينهم ، وقد اشتبه الحلو بالمر ، والتبس النفع بالــضر ، وفشــل الناس في معرفة سبيل الهدي ، فاحتكموا في امورهم الى ضلالة الهوى ، وبلغ من ظلمة الالتباس عــلى الناس ، انهم عبــدوا الأوثان ظانــين انهم احسنوا ، ووأدوا بناتهم صغيرات،

معتقدين أنهم لم يظلموا ، واقتتلوا لأوهي الاسباب والعلل ، فكــم من قبيلة افنتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلــة ، شربــوا الخمر فدعتهم الى الكبائر والمفاسد ، فكم حرضتهم على العدوان ، والمبالغة في الأخذ بالثأر ، تزين الاثم على انه عزة وكرامة ، ونجــدة وشهامة ، وتبعتهم على الافتخار ، بما احدثوه من الظلم والدمار ، وكانت الروابط بين الناس مفككة ، فلا دين يجمعهم، ولا حكمة تضم شملهم ، والحرب بين المسيحيــة الناسخــــة واليهودية المنسوخــة شديدة الأوار ، محتدمة الجدال : **« وقالت اليهــود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب »** وقد دخلهما التبديل وسوء التأويــل ، ولا تجــد سنــدا يربط عقائدهما بأصل التنزيــل ، والعالم حينذاك يتنازعه الفرس والرومان ، والتنافس بينهما شديد على الجبروت والسلطان ، ورحى الحرب بينهمــا تطحن الأمم المغلوبة على أمرها :

الا وان الله رحمان رحيم ، فلا يغفل عــن مصالح عبــاده ، ولا يتركهم حيارى يتخبطون في ليــل الاحداث وظلام الشبهات والأضاليل ، فلهذا خلق لهم نورا هاديا من صلب عبد المطلب ، وتولى تربيته وهــو يتيم لموت ابيه وهو في بطن امه ، فقد ادبه وزكاه ، ومنحه طهارة النفس وعلو الهمة ، ونظافة الأخلاق والبعد عن

سفاسف الامور ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة بعثه هاديا للناس ومرشدا ، ومنقذا ومنجدا ، فغير وجه الزمان ، واستبدل بعبادة الاوثان عبادة الواحد الديان ، وبشريعة الكهان شريعة الرحمن ، وبالشرائع المحرفة المبدلة ، شريعة ثابتة عادلة، وبمنهاج الحرب والنار، منهاج السلم والنور ، وبظلم الانسان العدل والأمان ، واستبدل بفرقة الناس وحدتهم ، وبسيرهم وراء الهوى ، اتباعهم للهدى ، فسادت السكينة والاخاء ، وعم الأمن والرخاء ، وتوحدت القلوب بعد فرقة ، ودخل الناس في دين الله افواجا ، وامما وشعوبا ، فعم الصفاء ، وسادت المحبة والوفاء ، وكيف لا وقد جاءهم بمناهج أصفى من الماء الزلال ، وأخف على القلوب النقية من النسيم العليل ، وأوضح من الشمس وضحاها ، فقبلتها النفوس المستقيمة ، واقتنعت بها العقول السليمة .

لقد أرشدهم الى وهن الأنصاب والاوثان ، وبرهن لهم على وحدة الصانع ، وأهاب بالعقول أن تنظر فيما أبدعه من الروائع ، وأعلمهم انه تعالى منزه عن الاولاد والزوجات ، وأنه على أعمال العباد رقيب شهيد ، فاستيقظت العقول النائمة ، وعلم الناس أن الحق لله، وضل عنهم ما كانوا يفترون ، وحاسبوا انفسهم على ما يأتون وما يذرون .

امرهم بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق فاتحدوا ، وأصبحوا كزرع اخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، ونهضوا بعبء الدعوة الاسلامية وهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، فامتد بجهادهم سلطان الاسلام ، وعم نوره الاقطار في أقصر زمان .

أمرهم بالعدل والاحسان ، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر ، فارتفعت كلمة العدل والرحمة ، والمعروف والعفة ، وأصبح الضعيف فيهم قويا حتى يؤخذ له بحقه ، والقوي فيهم ضعيفا حتى يؤخذ منه الحق ، تقام فيهم الحدود على السيد والمسود ، وعلى الشريف والوضيع ، بحيث لا تقبل في حدود الله شفاعة ولو كان الجاني من الاشراف ، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لمن شفعوا فى شريفة سرقت: « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » رواه مسلم والبخاري .

أمرهم بطلب الرزق بالوسائل الشريفة فاتجروا برا وبحرا ، وانشأوا البساتين والمزارع ، والمتاجر والمصانع ، وتعددت أسباب أرزاقهم، وتنوعت وسائل معايشهم.

امرهم ان يعدوا لاعدائهم ما استطاعوا من قوة ، فأنشأوا الجيوش وسلحوها حماية للحق ، ووقاية من الاعداء المتربصين ، وانشأوا السفن الحربية وسلحوها بالمدافع منذ أول عهد الدولة الاسلامية الزاهرة ، وسلحوا الموانىء والثغور ، واقاموا فيها المرابطين والمدافعين ، فنصروا بالرعب من وسائل القوة برا وبحرا، وما ردت لهم راية ما داموا بحبل

الله معتصمين .

أمرهم بالصلاة والصيام ، والاحسان الى العدو والصديق ، والقريب والبعيد ، والشكر على السراء والضراء ، والصبر عند الابتلاء بالبأساء .

أمرهم بالمودة وحفظ حقوق الجوار ، والتعاون في الشدة والرخاء ، ومحاسبة النفس قبل محاسبة القضاء .

أمرهم بالصدق والأمانة ، ورعاية حقوق الاباء والابناء ، والازواج والزوجات ، والمؤمن والكافر والبر والفاجر .

أمرهم بانصاف أهل الكتاب والاحسان اليهم ، والوفاء بالعهود والالتزامات ، أمرهم بكل ذلك وأكثر منه فامتثلوا ، وكانوا أئمة وقادة ، في تواضع وحكمة وشهامة وهمة ، فرضي الله عنهم أجمعين ، ولمثل هذا فليعمل العاملون :

الا وان رسالة الاسلام جديدة في كل يوم ، ينطق بها القرآن على سمع الزمان ، وينشرها الدعاة والمرشدون في المعاهد والمساجد ، والمجتمعات والنوادي ، وبذلك بقيت تعاليمه غضة ناضرة ، زاهية زاهرة، تنعش القلوب والارواح ، وتسري في النفوس والأفئدة ، فتدب فيها الحياة ، وتسبح الله وتسعى في هداه .

ولن يصلح أمركم أيها المسلمون الا بالسير على هداه ، والعمل بالقرآن والاستنارة بسناه ، فهو الدستور الالهي الذي لا تفنى عجائبه ، ولا تنتهي غرائبه ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، والخبر اليقين عن آخرتكم ، هو الفصل وما هو بالهزل ، من أخذ به سلم ، ومن عمل به هدى الى صراط مستقيم ، هو المعجزة العلمية التي نبهت العقول وصرفتها الى النظر فى الآيات ، ليس فيها كهانة كاهن ، ولا شعوذة مشعوذ ، ولا مجال فيها لسحر ساحر ، أو مطعن طاعن ، هو الحجة الباقية على الزمان ، الرافعة لشعار العلم والعرفان ، المؤيدة لما يكشف عنه العلم في الأكوان ، الم يتحدث عن الكونيات منذ أربعة عشر قرنا حديث الحق الذي أيدته كشوف الكاشفين، وقد كانوا من قبل ذلك جاهلين ، ولسوف يعلمون من خفاياه ما يجهلون **(ولتعلمن نباه بعد حين)** ص/٨٨ **(فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون)** الجاثية / ٦ .

وحسبك في اعجازه غير هذا انه جاء به نبي أمي زكت أخلاقه ، وكملت سجاياه ، وتحدث عن مستقبل أمته حديثا أيده الزمان ، وقام على نبوته بذلك واضح البرهان .

التنبؤ بفتح بلاد كسرى

روى عدي بن حاتم قال « بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل ، فقال : يا عدي . هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها ، فقال : ان طالت بك حياة لترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة . لا تخاف أحدا الا الله ، قلت في نفسي : فأين دعار طيىء الذين سعروا في البلاد ؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى،

قلت : كسرى بن هرمز . قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخــرج ملء كفه ذهبا أو فضة يطلب من يقبله منه ، فلا يجد أحدا يقبله منــه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه . ليس بينه وبينه حجــاب ولا ترجمــان يترجم له ، فليقولن : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ، فيقول : بلى يا رب ، فينظر عن يمينــه فلا يري الا جهنم وعن يساره فــلا يري الا جهنــم ، فــاتقوا النــار ولــو بشق تمرة ، فمن لم يجــد فبكلمــة طيبة ، قال عدي رضي الله عنه ، فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن فتح كنــوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : يخرج الرجــل مــلء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد مــن يقبله » أخرجه الامام البخاري .

تنبؤه بفتح مصر

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رســول الله صلى الله عليه وسلم « ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، فان لهم ذمة ورحما» أخرجه الامام مسلم .

الى غير ذلك من النبوءات التي تحققت والتي سوف تتحقق ، ومــن أهمها بقاء رسالة الاسلام الى قيام الساعة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « ولن يزال أمر هذه الامــة مستقيما حتى تقــوم الساعــة أو حتى يأتي أمر الله » رواه البخاري وفي هذا بشرى ببقاء هذا الدين مــا بقيت الدنيا .

شهادة المنصفين للاسلام ورسولــه

(١) قــال الكاتــب الانجليزي الأشهر ــ توماس كارليل ــ فيكتابه (الابطال) : لقد أصبح مــن أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر ، أن يصغي الى ما يظن من أن دين الاسلام كــذب ، وأن محمدا خــداع مزور ، وآن لنــا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التي أداها ذلك الرسول ، ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا ، لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلق اللــه الــذي خلقنا ــ الى أن قال ــ ولــو أن الكــذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، فما الناس الا بله مجانــين ، وما الحياة الا سخــف وعبث وأضلولة كان الاولى بها أن لا تخلــق ــ ثم قال :

ان الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتا من الطوب ، فهو اذا لم يكن عليمــا بخصائص الجــير والجص والتراب وما شاكل ذلك ، فما ذلك الذى يبنيه ببيت ، وانما هو تل مــن الأنقاض ، وكثيب من أخــلاط المواد ــ نعم ــ وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنا ، يسكنه مائتا مليون من الانفس ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم .

(٢) وقــال الكونــت هــنري الفرنسي : لسنا نحتاج في اثبــات صدق محمد الى أكثر مما يأتي :

أ ــ كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب ، كما لم يسترشد فى دينه بمرشد سبقه .

ب ــ وكان ينفر من عبادة الأوثان

وتعدد الآلهة .

جـ ــ ومع كونه أميا جاء ومعه قرآن يعجز فكر بني الانسان عن الاتيان بمثله لفظا ومعنى ، وهو سر من الأسرار لا يدركه الا من صدق بأنه من عند الله .

د ــ ولا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة حقا ، وما بقي فيه فكر خاص به .

هـ ــ وما كان يميل الى الزخارف والاستكبار والبخل ، انه كان يحلب شاته بنفسه ، ويجلس على التراب، ويرتق ثيابه ونعله بيده ، وكان قنوعا . خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم ، لم يرغب طول حياته في المال وكل ما يأتيه منه يتصدق به ، وبلغ من السلطان غايته ولم يكن له من علامة الملك سوى قضيب الى غير ذلك مما ذكره هذا الفيلسوف المنصف ، الذي لم يعمه التقليد ولا الحقد ، وهذا هو المسيو دينيه الفرنسي ، الذي بلغ من العمر سبعين سنة ، قضى شطرا منها في البحث العميق ، والمقارنة بين المسيحية والاسلام، ثم هداه الله الى الاسلام ــ يقول ــ : هذا الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا أو ما الى ذلك من الاشكال ، أما في المسيحية فان لفظ (الله) تحيط به تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن ، قد ظهرت عليه دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال ، فمن تجاعيد بالوجه غائرة ، الى لحية بيضاء مرسلة مهملة ، تثير في النفس ذكرى الموت والفناء ، ونسمع القوم يصيحون : يحيا الله ، فكيف لا يخشون على هذا الهرم الهلاك ويطلبون له الحياة ، أما الله في دين الاسلام فلم يجرؤ أي مصور أن يصوره ، لأن الله لم يخلق الخلق على مثاله ، فانه ليس له صورة ولا حدود محصورة ــ ثم يقول :

ان الشريعة الاسلامية ساوت بين الناس ، ولم تفرق بينهم الا في علو همتهم ومكارم أخلاقهم ، فهذا بلال الحبشي أقامه الرسول مؤذنا للمسلمين ، فاذا سمعوه سعوا الى الصلاة ، مع ما عرف به العرب من التفاخر بالأحساب والأنساب ، ثم يقول :

ان الحركات والاشارات في الصلاة الاسلامية ذات سهولة ونبالة ، ولم يسبق لها مثيل في صلاة غيرها ، كما أنها لا تدعو الوجوه الى التظاهر والتكلف ، والعيون الى الشخوص نحو السماء ، واستنزال الدموع الكاذبة مما يفعله غيرهم أمام صور القديسين ــ ثم يقول :

ان العقيدة الاسلامية لا تقف عقبة في سبيل التفكير ، وكما أن الاسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح لجميع العقليات والمدنيات ، فكما يهيج نفس الرجل العملي في أسواق لندن ــ حيث الوقت هناك من ذهب، يأخذ بلب الفيلسوف الروحاني :ا.هـ أيها المسلمون هذا دينكم فمجدوه ، فانه صفوة الحياة ، وكلمة الله **(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)** النساء / ٦٩



ليبيا

للاستاذ عبدالغني محمد عبدالله







مدينة سوسه

تقع ليبيا على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط في شمال شرق افريقيا وهي عبارة عن رقعة من الأرض شبه مربعة الشكل يبلغ طول ساحلها على البحر الابيض المتوسط ١٩٠٠كم وتجاورها من الشمال الغربي تونس ومن الغرب الجزائر ومن الجنوب النيجر وتشاد ومن الجنوب الشرقي السودان ومن الشرق مصر .

وهي رابع قطر افريقي من حيث المساحة التي تبلغ ١,٧٤٠,٠٠٠كم مربع وهذه المساحة تعادل مساحة المانيا وفرنسا والدول الاسكندنافية وهولندا أو ما يقرب من سبعة أضعاف مساحة بريطانيا .

وسطحها عبارة عن سهول ومرتفعات وصحاري مترامية الأطراف ويتميز السهل الساحلي بالخصوبة وبالكثافة السكانية ، والجبال بعضها مكسو بالأشجار كالجبل الأخضر والصحراء يتناثر في



تجارب زراعية ناجحة

بعض اجزائها واحات خضراء مثل غدامس وجالو والكفرة .

اما المناخ فمعتدل في السهل الساحلي ودافئ شتاء ويميل الى الحرارة صيفا وعدد السكان يبلغ ٢,٢٥٧,٠٠٠ نسمة يسكن حوالي ٥٧٪ منهم في منطقة طرابلس وبنغازي والزاوية .

وليبيا اليوم دولة حرة مستقلة تسمى بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ولكنها والى عام ١٩٥١ عندما تكونت فيها الحكومة الليبية كانت طيلة تاريخها خاضعة للحكم الأجنبي فقد توارد على حكمها الفينيقيون واليونانيون والمصريون والرومان والوندال والبيزنطيون والعرب والأتراك والايطاليون والبريطانيون .

وتتكون ليبيا من ثلاث ولايات هي برقة وطرابلس وفزان ومدينة طرابلس (ومعناها ثلاث مدن) أنشأها الفينيقيون وظلت تحت سيطرتهم الى



تحويل الصحراء الى مناطق زراعية





من معالم ليبيا مساجدها الأثرية





محاصيل زراعية وافرة

ما بعد تدمير قرطاجنة بقليل (١٤٦) قبل الميلاد عندما احتلها الرومان .

أما مدينة برقة فقد أنشأها في منتصف القرن السابع قبل الميلاد جماعة من اليونانيين كان يتزعمهم رجل يدعى باطوس ، وقد حكم خلفاؤه المدينة قرابة مائتي عام ثم احتلها الاسكندر الأكبر فيما بعد وعند وفاته في عام ٣٢٣ قبل الميلاد أصبحت جزءا من المملكة المصرية في عهد البطالسة ثم في عام ٩٦ قبل الميلاد انتقلت الى حكم روما وتكونت منها هى وكريت ولاية رومانية .

وعندما أخذت الامبراطورية الرومانية الغربية بالاضمحلال في بداية القرن الخامس غزت الشرق قبائل الوندال وهى من قبائل البربر فاخترقوا فرنسا ومنها الى أسبانيا ثم عبروا البحر الأبيض المتوسط الى افريقيا واستمروا في تقدمهم الى أن احتلوا ليبيا ، وظلوا يسيطرون عليها دون منازع طيلة مائة عام وفي سنة



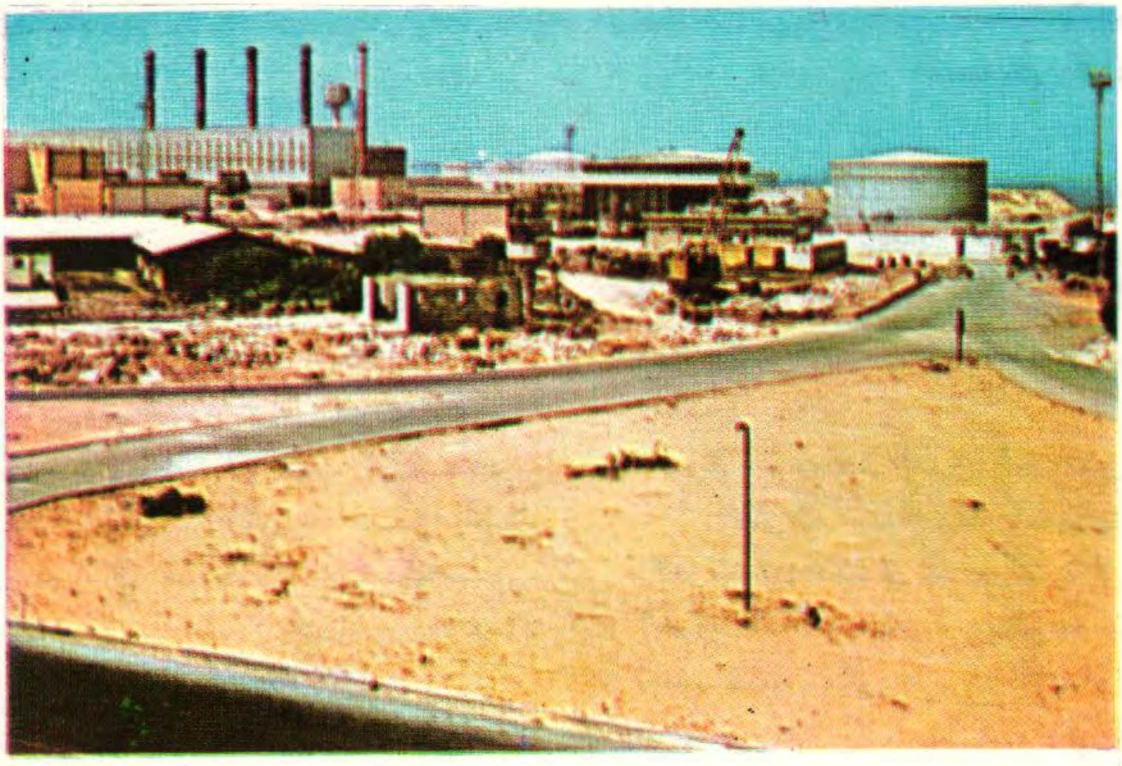
المستشفى العام

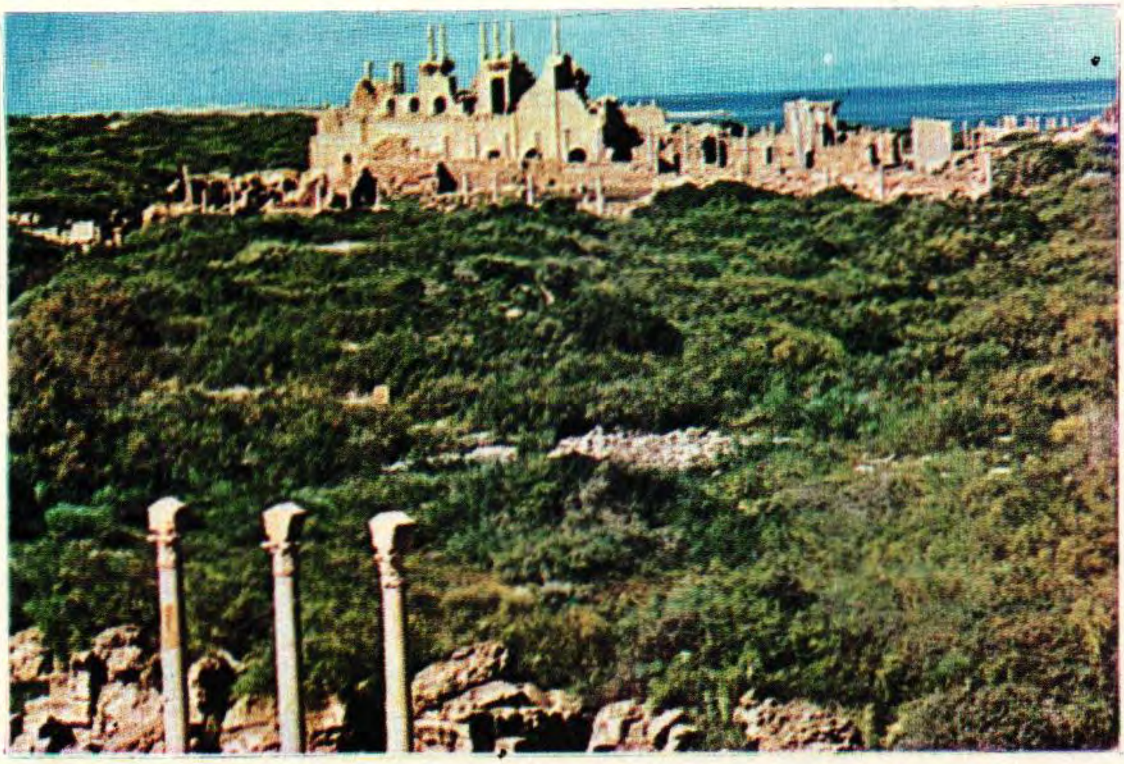
٥٣٣ قرر الامبراطور الروماني « جستنيان » أن يغزو البلاد فأرسل جيشا كبيرا بقيادة الجنرال « بليزاريوس » الذي انجز المهمة بنجاح تام فهزم قبائل الوندال وأسر ملكهم ثم كان العرب الفاتحون لليبيا ، كان حماسهم المتدفق للدين الاسلامي قد جعلهم يندفعون بجيوشهم عبر شمال افريقيا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ويوطدون دعائم الاسلام ، وقد أعطت تلك الدعوة الاسلامية لليبيا قوة ورسوخا ، وربطت بين سكان هذه الرقعة من الأرض بوشائج القربى وصلات الدين واللغة والهدف المشترك .

وفي منتصف القرن السادس عشر غزا الأتراك ليبيا وقد أخذت قوة الأتراك تضعف في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، وبالرغم من أن ليبيا ظلت أكثر من مائة عام ولاية تابعة لتركيا إلا أنها كانت في الواقع



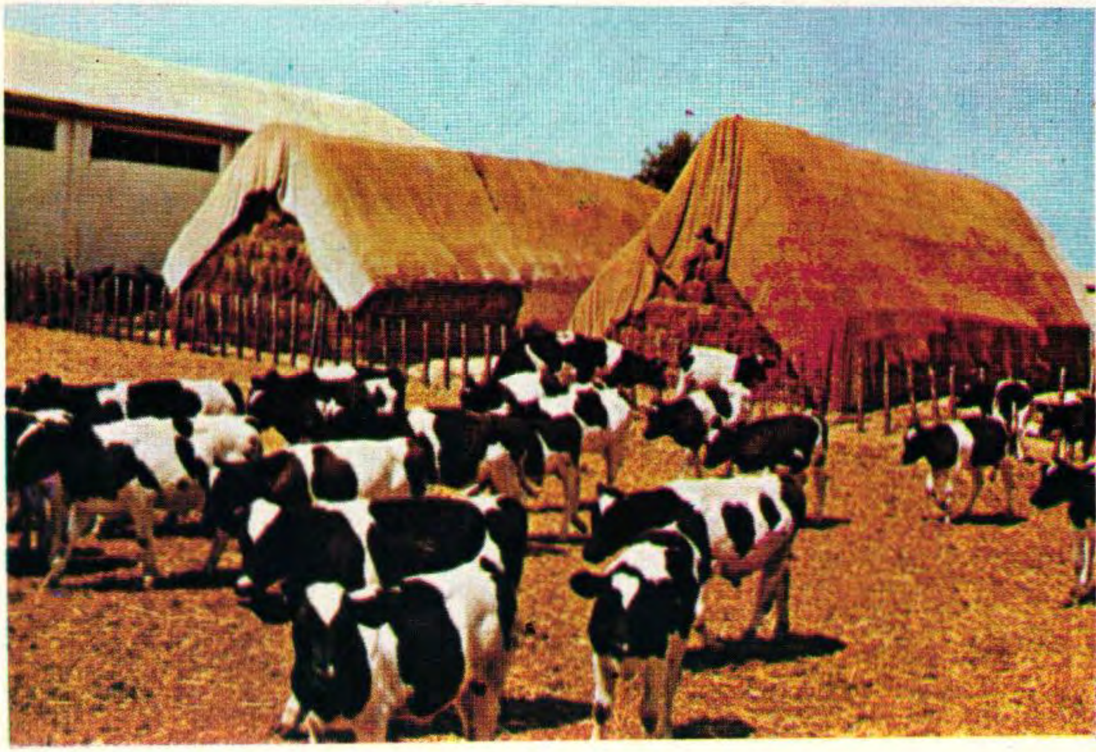
مدن حديثة



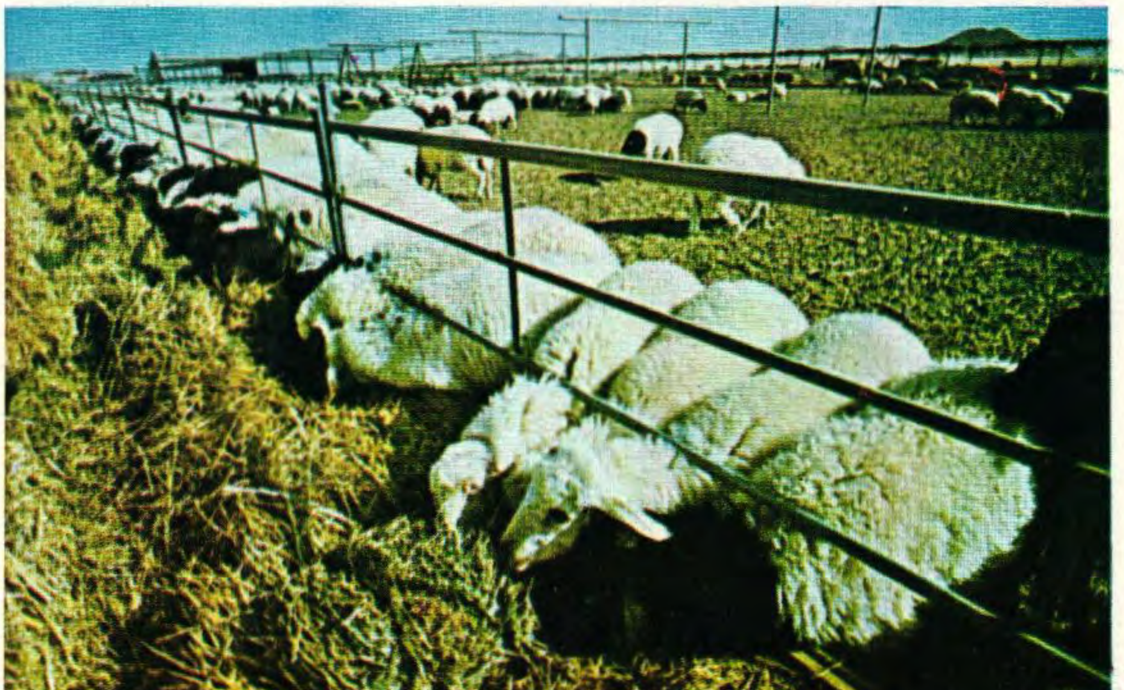


قلاع تركية وآثار رومانية





تربية الأغنام والماشية



دولة مستقلة تحكمها سلسلة من الحكام من أسرة واحدة هي أسرة « القرمنلي ».

ثم اشتد التنافس بين الدول الأوروبية الكبرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للحصول على مستعمرات في افريقيا ولم تكن ليبيا في بداية الأمر مما يغرى المستعمرين بالاستيلاءعليها وذلك لصحاريها الشاسعة ، ولكن حدث في عام ١٩١١ أن قرر الايطاليون بعد انتصارهم على الأتراك أن يستولوا على البلاد وبدأ الغزو الايطالي لليبيا وقوبل بمقاومة مستميتة شهدت خلالها الأرض العربية الليبية أروع ملاحم الجهاد عبر مئات المعارك والآلاف من الشهداء . واستمر الجهاد وعظمت التضحيات وامتدت المعارك ضد الغزو الذي لم يتمكن من احتلال طرابلس وبرقة الا عام ١٩٣٣ اي بعد عشرين عاما من بدء الغزو . وقد شن الغزاة حرب ابادة وانتقام وحشى وقتل جماعي ضد الشعب الليبي . ولكن صلابة وصمود وبسالة هذا الشعب هي التي انتصرت في النهاية .

وانتهى الحكم الايطالي لليبيا عام ١٩٤٢ عندما احتلت بريطانيا برقه وطرابلس ودخل الفرنسيون فزان .

وكانت ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية من أهم ميادين القتال ، وشاهدت أراضيها الصراع العظيم بين الجيوش البريطانية والجيوش الألمانية الذي انتهى بانتصار البريطانيين في موقعة العالمين وما تلاها من معارك عام ١٩٤٣ وتم طرد الايطاليين من ليبيا .

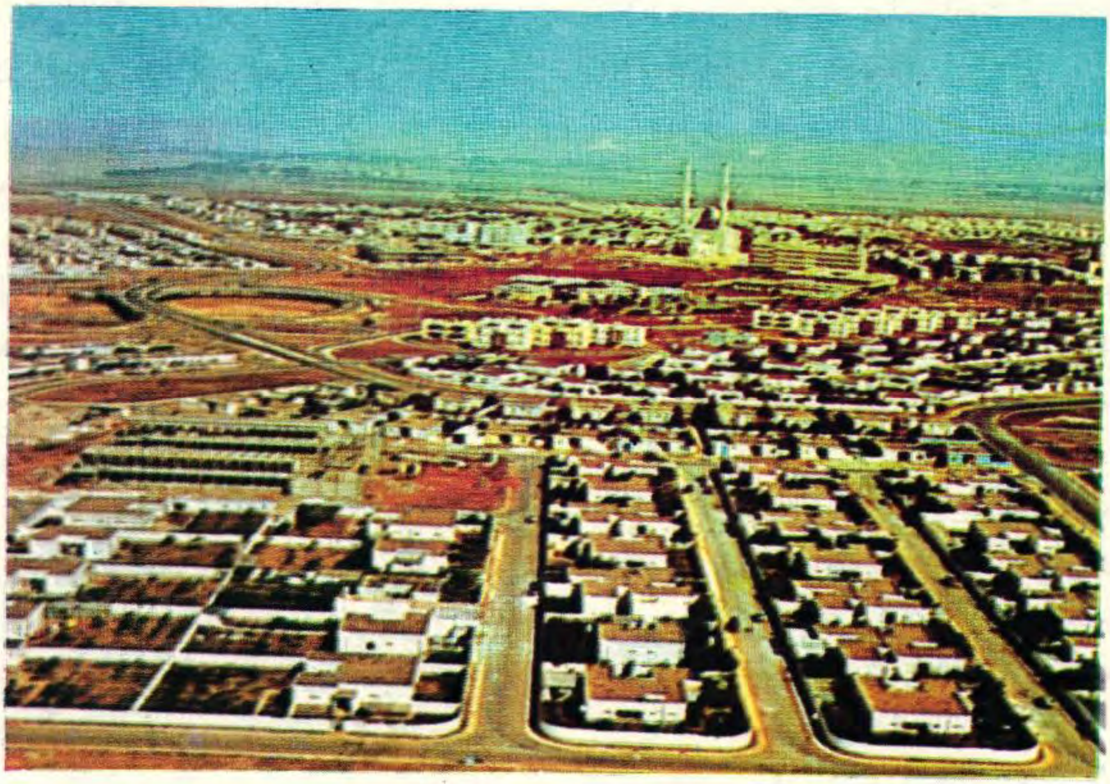
وتولى البريطانيون والفرنسيون ادارة الحكم في ليبيا لبضع سنوات بعد انتهاء الحرب .

وفي عام ١٩٤٩ أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن البلاد يجب أن تحصل على استقلالها في موعد لا يتجاوز ١٩٥٢ . وفي ديسمبر عام ١٩٥١ أعلن استقلال البلاد رسميا وعادت الى الحكم أسرة السنوسي ، وهي الأسرة التي قادت النضال ضد الايطاليين . ولكنها وقعت في قبضة السلطة البريطانية .

وحتى بعد الاستقلال ظلت ليبيا تتكون من ثلاث مناطق رئيسية هي : بنغازي تحت النفوذ البريطاني ، وطرابلس وفزان تحت النفوذ الفرنسي .

وفي الفترة التي تلت استقلال ليبيا عام ١٩٥١ اكتشفت مناطق ضخمة غنية بالبترول جعلها في مقدمة الدول المنتجة للنفط ورفع من اقتصاديات البلاد وزاد من دخلها القومي وظل الحال كذلك الى أن قامت ثورة الفاتح من سبتمبر حيث انتهى حكم الأسرة السنوسية وتحولت البلاد من النظام الملكي الى النظام الجمهوري .

ولا تعد ليبيا من الدول الغنية بالآثار القديمة فحسب بل بتنوع هذه الآثار التي تمثل الحضارات الليبية الفينيقية الأغريقية الرومانية والحضارات الاسلامية والعربية . كما توجد بها أجمل المدن الأثرية في

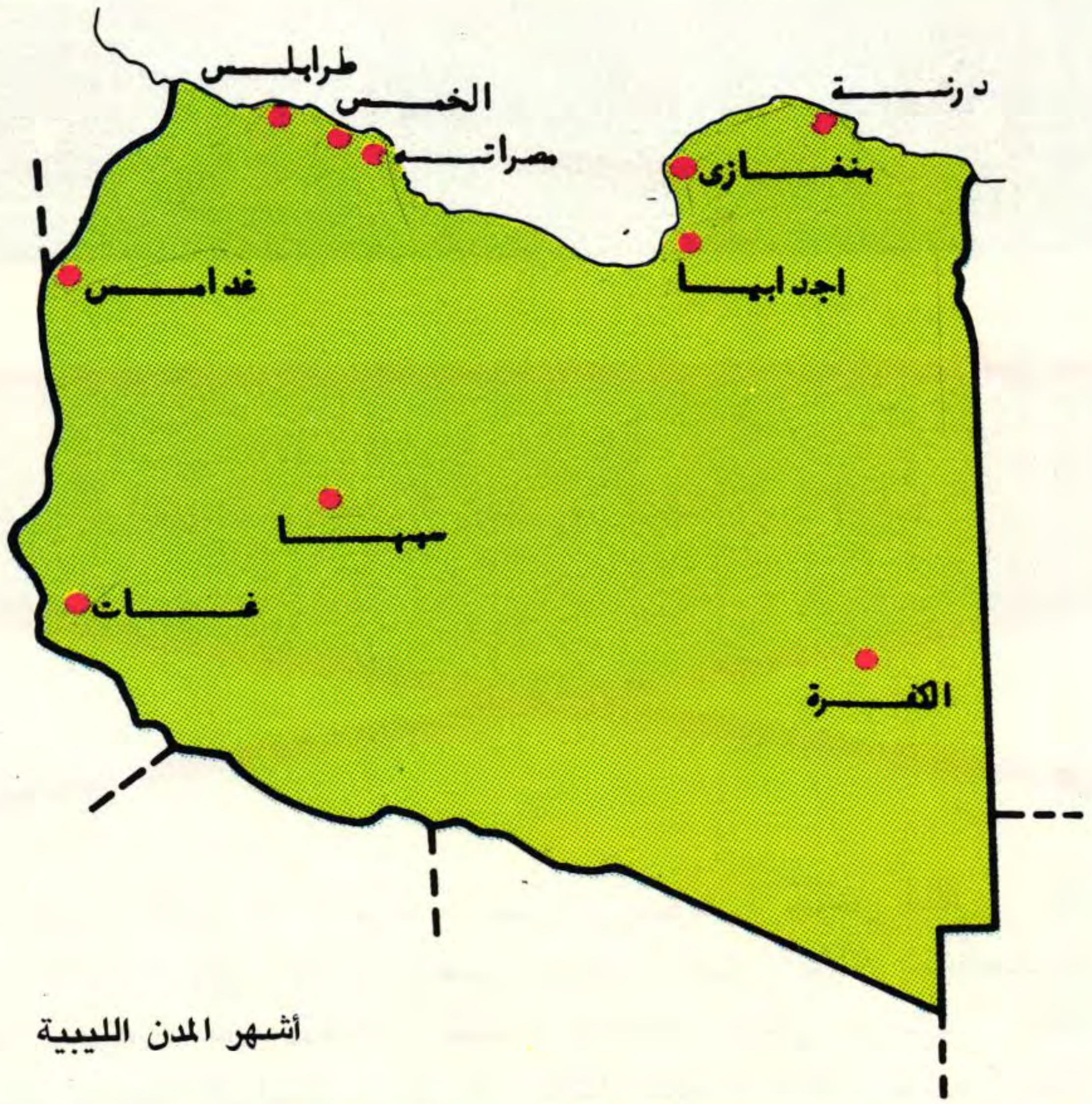


مسجد يتوسط مدينة نموذجية

العالم كمدينة لبدة الكبرى (تدمر القديمة) وتبعد عن طرابلس ١٢٣كم شرقا . ومدينة صبراتـه بمسرحهـا الأثري الشهير وتقع غرب طرابلس على بعد ٦٧كم منها ، ومدينة طلميثة « من عهد البطالمة » على بعد ٥٠كم شرقي بنغازي وآثار طبرق ومـرسى سوسه على شاطىء البحر الأبيض المتوسـط وواحـة غدامس في فزان بنقوشها ورسومها الحجرية منذ ثلاثة آلاف سنة وبجانب هذا ، المساجد الأثرية الجميلة منذ الفتح الاسلامي والقلاع التركية الضخمة وأشهرها القلعة الحمراء بطرابلس .

وتخوض ليبيا تجربة رائدة لأحداث تنمية اقتصادية واجتماعية متكاملة ومتوازنة بين التجمعات البشرية في الريف والحضر ونلك بوضع سياسة سكانية واضحـة المعالـم وتوزيـع المشاريع الاقتصادية واقامة التجارب الزراعيـة بهـدف زيـادة الانتـاج الزراعـي والبـدء في تشييـد قلاع صناعية خفيفة توطئة للدخـول في مرحلة التصنيع الثقيل .

وقد تم قهر الصحراء القاحلـة والمهجورة وتحويلها الى مناطق زراعية كما شهدت ليبيا ظاهرة فريدة من نوعها في العالم وهـي « الهجـرة العكسية » من المدينة الى الريـف نتيجـة لهـذه التجـارب الزراعيـة الناجحة التي استطاعت اجتذاب اهل الريف الذين هاجـروا في العهـود الماضية الى المدينة .



أشهر المدن الليبية



موقع لليبيا الجغرافي

لغويات

كلمات عربية يظنها الناس عامية

خبز حافّ : الذي لا إدام له ، حِسّ : صوت ، حَوّش المال : جمع المال ، خَشّ : دخل ، راح : ذهب ، سَكَّر الباب : أغلقه ، شلّحت الأم طفلها : نزعت عنه ثيابه ، عَيّط : صاح ، فَطِس : مات ، قرّص العجين : جعله أقراصا ، مَطرَح : مكان يطرح اليه ، حارة : مكان تقاربت فيه البيوت ، مُناهدة : مخاصمة ، وَشْوَشَ : كلمه همسا ، وَطّى صوت المذياع : خفضه .

تقسيم الأكل ..

الأكْلُ للانسان ، الأَرْمُ للبعير ، اللمْجُ للشاة ، القَضْمُ للدابة اذا كان المأكول يابسا والخضم اذا كان رطبا ، الرعْيُ لذوي الخف والحافر والظلف ، اللحْسُ للجراد ، الجَرْس للنحل : يقال : نحل جوارس بمعنى أنها تأكل ورق الشجر ..

لا نفرق بين أحد من رسله

محمد مؤذن

ظهر أخيرا في الولايات المتحدة كتاب اسمه (المائة) لمؤلفه (دكتور مايكل هارث) ويعني المؤلف بالمائة ، اهم مائة رجل في التاريخ الانساني كله ، وهم الذين نبغوا في جميع المجالات ، التي أقامت الحضارة الانسانية ، وأدت خدمات جليلة انتفع بها بنو البشر ، وهي خدمات تأخذ صورا شتى في مجالات العلوم المختلفة ، دينية ، وعلمية ، وسياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وحربية ، وأدبية ، وفنية .

وقد رتب المؤلف (المائة) بترتيب اهميتهم ، وقد وضع لهذه الأهمية معيارا هو درجة تأثير الفرد المرشح ، على حياة البشرية ، أو في حياة قطاع كبير من الانسانية سلبا أو إيجابا ، في مجال الخير أو الشر .

ومن الطريف ، ان المؤلف من المتخصصين في الفيزياء والفلك وعلوم الفضاء ، والنابغين في علوم الأقمار الصناعية والصواريخ في أمريكا ، ولكنه من هواة البحث واستقصاء الحقائق ، في جميع المجالات العلمية ، ويقول عن نفسه : إنه تأثر بكلمة شهيرة للفيلسوف الانجليزي (فرانسيس بيكون) يقول فيها : (القراءة تصنع الانسان الكامل) وقد دفعته هذه الكلمة ، إلى أن ينطلق باحثا قارئا في كل مجال أتيح له ! والمهمة التي تصدى لها المؤلف ، عسيرة صعبة ، وقد بذل فيها جهدا جبارا خارقا ، وهو يتتبع أثر الشخصية التي جعلها مادة بحثه ، في القديم والحديث ، في الشرق والغرب ، ليعرف مدى تأثيرها في المحيط العالمي ، وهذا يقتضي التوفر على الأسباب والحيثيات التي يقوم على أساسها الاختيار ، متجاوزا في بحثه نطاقه الغربي الذي ينتمي إليه ، ليكتشف أهمية رجال في حضارات أخرى بعيدة عن بيئته ، كحضارة الصين ، أو مصر القديمة ، او

الحضارة العربية ، وهذا أمر يتطلب الكثير من المعاناة والمصابرة .
وللمؤلف وجهة نظره الخاصة ، التي رتب على أساسها المائة الأوائل ، ومما يؤسف له ، أن وجهة نظره تلك ، قد انحرفت في بعض مواضعها عن جادة الصواب ، وخالطها ضلال وزيغ .
فقد قدم بعض الناس على الأنبياء والرسل ، ومن العجيب انه وضع « اسحق نيوتن » قبل المسيح عليه السلام ، وبعد محمد صلى الله عليه وسلم مباشرة ! ووضع موسى عليه السلام بعد بوذا وماركس ولينين ، ووضع « دارون » و « هتلر » قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث أعطاه الرقم الحادي والخمسين !
ونحن لا ننتظر من الكاتب الامريكي ان ينظر الى التاريخ والعقيدة الاسلامية ، نظرتنا اليها ، ولكننا نسجل هنا أن رسولنا صلى الله عليه وسلم ليس في حاجة الى شهادة من مخلوق ، فقد سجل له الخالق سبحانه شهادة تسمو فوق كل شهادة : **(وانك لعلى خلق عظيم)** القلم/ ٤ كما أننا نرفض التقليل من مكانة رسل الله ، وخاصة أولى العزم منهم ، وذلك بمساواتهم بغيرهم من البشر ، فضلا عن تفضيل بعض الناس عليهم ، وقد اصطفاهم الله من خلقه ، وشرفهم بالوحي إليهم ، وغيرهم من الناس يصيب ويخطئ ، ويكون مصدر خير كما يكون مصدر شر .
ونحن لا ننكر أن تاريخ البشرية ، حافل بأسماء الكثيرين من ذوى الكفايات الممتازة ، والمواهب الفذة ، ولكن كثيرا ما تكون الموهبة لدى الانسان على حساب المواهب الانسانية الأخرى ، فنرى في سيرة كل عظيم او عبقري ، جانبا أو جوانب متردية ، تضع على صحيفة حياته نقطة سوداء ، فقد كان « نابليون » قائدا حربيا متفوقا ، ولكنه كان سيئ الخلق ، ساقط المروءة ، وكان « بسمارك » سياسيا بارعا ، ولكنه كان كذابا مزورا ، وكان « جان جاك روسو » اديبا بليغا ، من أمهر واضعي دساتير الحرية في العالم ، ولكنه كان مهتز الشرف ، معوج السلوك .
أما أنبياء الله ورسله فهم معصومون جميعا من الذنوب ، لا يلمون بكبيرة أو صغيرة ، قبل النبوة وبعدها ، ونحن المسلمين لا نفرق بين أحد من رسله ، وقد فرض علينا ديننا أن نؤمن بكل رسول سبق ونصدق بكل كتاب نزل **(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله)** البقرة /٢٨٥
والقرآن الكريم اذا تحدث عن عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال : **(وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين)** ونقل عن عيسى عليه السلام ما قاله عن نفسه في مقام التحدث بنعمة الله عليه : **(وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا)**

٣٢ و٣٣/مريم .... ويتحدث القرآن عن إنجيل عيسى فيقول : **(فيه هدى ونور)** المائدة/٤٦ . ويتحدث عن موسى عليه السلام فيقول : **(وكان عند الله وجيها)** الأحزاب / ٦٩ . ويتحدث القرآن عن توراة موسى فيقول : **(فيها هدى ونور)** ٤٤ / المائدة .

يقول المؤلف بعد أن سرد قصة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأشار الى معالم واضحة في سيرته كان لها أثرها البالغ في نجاح دعوته : « إن اختياري محمدا ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله ، الذي نجح أعلى نجاح على المستويين : الديني والدنيوي ، انه الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه أقام الى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي أيضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ، ووضع لهذه الأمة كل أسس حياتها الدينية والدنيوية .

ان معظم الذين غيروا التاريخ ، ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء ، المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين ، قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس ، وبيزنطة ، وروما المتقدمة بما لا يقاس .

وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان ، يكون الغزو عسكريا ، ولكن في حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه ، استعربت تماما ، وتغيرت لغة ، ودينا ، وقومية ، من العراق الى سوريا ، الى آخر الشاطىء الافريقي غربا ، الى السودان جنوبا ، وبقيت أمة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الآن وهو معيار في قياس اثر الرسالة ، واستمرارها الزمني وثباتها ، ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم .

كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد ، وبقي بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن ، سوى القرآن ، الذي نقله محمد ، الأمر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا أو الانجيل ، ومن أجل هذا كله ، فاني وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد ، في أن أعتبره صاحب أعظم تأثير إصلاحي على الاطلاق في التاريخ الانساني كله .

وصدق الله العظيم حيث يقول :**(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)** النساء/١١٣ .

وبعد : فلعل العالم المعاصر ، يدرك مغزى هذه الشهادة ، فيفيء الى ظل الاسلام ، فلن يجد صوابه الا في هذا الدين الذي جاء به صاحب الخلق العظيم « محمد صلوات الله وسلامه عليه » : **(ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم)** آل عمران/١٠١ .

خير البرية

خير البرية أنت درع الأمة ... من كل عادية ، وكل ملمة
بك قد عقدنا العزم أن نحيا على ... دين الهدى في عزة ، وكرامة
ولنا بسيرتك الكريمة أسوة ... نمضي عليها ، وهي أروع سيرة
أنت الذي لك في النضال مواقف ... مشهودة ، قد خضتها ببسالة
مذ جاءك النبأ العظيم ، وانت باسم ... الحق ماض نحو أقدس غاية
وحملت ما احتمل الكرام من الأذى ... في قوة ، وفتوة ، وصلابة
ومضيت بالأخيار ممن ناصرو ... ك ، وأنت منهم في أعز صحابة
جالدت أهل الشرك بعد عتوهم ... وتوعدوك ، وأنت عالي الهمة
مكروا ، وأنت لهم أبر مناصح ... فتركتهم ، وقصدت دار الهجرة
كم راية أعليتها ، كم فتنة ... أخمدتها ، وكم احتشدت لغزوة
ذهب اليهود بكيدهم ، وضلالهم ... وغدوت منتصرا عزيز الشوكة
لله يوم محمد بين الزمان ... وما يحف بيومه من فرحة
لم أنس مولده ، وكيف ، ومهجتي ... عن يوم خير الخلق لم تتلفت ؟
هامت بأنوار الهدى ، وبنفحة ... مسكية ، قدسية ، علوية
رب الجلال بها أفاء على الورى ... من فضله ، أوفى ، وأكرم نعمة
فغدت حياة العالمين مواكبا ... للبشريات ، يضيئن كل سريرة
مرحى حبيب الحق جل جلاله ... مرحى ، ويومك فيه أروع آية
ما كان للتاريخ قبلك راية ... بالحق تخفق في سماء العزة
حتى غدوت ، ونور ربك راية ... علوية ، أعزز بها من راية

للاستاذ : محمد هارون الحلو

وأعدت للخلق الحياة كريمة ... يتسنمون بها مناط الرفعة

بعث الهدى بالحق ، فائتلفت به ... مهج ، وكانت قبله في ضلة

وبه استعاد العقل لب رشاده ... وسداده ، ونضا حجاب الغفلة

وهو النبي المصطفى ، من غيره ... قد مده ربي بأوسع رحمة ؟

أنس الورى منه بفردوس المنى ... وعبيره ، ونسيم روح الجنة

يتفيأون بها حياة رحبة ... والبر موصولا بأطيب نفحة

ما ضاء وجه الدهر الا بالهدى ... وبه غدا أبدا بهى الغرة

هو آية الرحمن في أكوانه ... وعلى الورى منه أبر مودة

من جوهر الاشراق صفحة وجهه ... ميزت بلألاء الهدى ، والملة

يا مولد الهادي ، ومشرق نوره ... والكون يلبس منه أبهج حلة

اشهدت كيف غدا بطيبة احمد ... وهو البشارة من سماء القدرة

من أى نبع قد تفجر نوره ؟ ... متوقدا بذكائه ، والفطنة

من أى سمت قد تفرد في الورى ... بصفاته وسماته ، والروعة

من اى قوم جاء ينذر قومه ... وقد انبرى للمشركين بقوة

من أى ركن للجلال ، قد ابتنى ... دينا ، وشيده لأعظم أمة

من أى صلب قد تسلسل في الورى ... بسماوة الاشراق ، أطهر نبعة

الله أخلصه لدين قيم ... وقد اصطفاه ، مبشرا برسالة

للعالمين بها حياة رحبة ... تهدى الى الحسنى ، وخير محجة

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

دورة الغذاء

تتجلى قدرة الخالق سبحانه – وبديع صنعه في كل ما يقع عليه البصر من مظاهر الطبيعة التي تحيط بنا – كما أن هذه القدرة . وذلك الاعجاز يظهران بصورة اوضح حينما يتأمل الانسان نفسه – ويتفكر في خلقه – وهو جنين في بطن أمه – ثم عندما يصير طفلا رضيعا – فشابا يافعا – وأخيرا شيخا هرما – دورة الحياة الأبدية .

وصدق الله العظيم الذي يأمرنا بالنظر والتدبر في بديع خلقه ليربط على القلوب ويؤكد الايمان ويثبته في النفوس فيقول : **(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)** آل عمران/ ١٩١ كما يحثنا على التفكر والنظر في انفسنا فيقول جل شأنه : **(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات/ ٢١ .

في هذا المقال وما يليه إن شاء الله تعالى سوف نتناول وظائف بعض أجهزة الجسم – لنرى ما تنطوي عليه من إعجاز وما تدل عليه من عظمة الخالق جلت قدرته : **(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)** التين/ ٤ .

واليوم نستعرض خطوات الدورة الغذائية في الانسان :

لقد أودع الله سبحانه وتعالى في الانسان وفي كل كائن حي نظاما وقانونا يعملان في دقة متناهية

للدكتور : سالم نجم

في الانسان

وبصورة متجانسة ومتكاملة مع باقي أجهزة الجسم وطبقا لاحتياجات الانسان وإمكانيات بيئتـه . **مراكز عليا في المخ متخصصة في الجوع والعطش** – في المخ أماكن خاصة حساسة وظيفتها تنبيه الانسان إلى السعي للحصول على الطعام او الشراب ولكن كيف يحدث هذا ..؟

حينما تنخفض نسبة السكر في دم الانسـان مع اختـلال في بعض الهرمونـات الجاريـة في الشرايـين والأوردة . حينئذ تلتقط خلايا المراكز العليا للجوع هذا التغيير وتحس بهذا النقص في تركيز السكريات والدهون والهرمونات ثم ينتقل هذا الاحساس الى العقل الواعي لينـذره بحاجـة الجسم الى ضرورة الحصول على مواد غذائية تستكمل بها العجز الذي حدث وحينئذ يرسل العقل الواعي [المراكز المتخصصة العليا في المخ] إشاراته الى الجهاز المختص بالغذاء – وهي القنـاة الهضميـة . عن طريـق الأعصاب الطرفية والمنبثة في شبكة معقدة تصل الى كل خلية في الجسم .

وبعد وصول هذه الاشارات – يبدأ الاحساس بالجوع – تقلصـات في المعدة – ألم الجوع – زيادة إفراز الغدد اللعابية تحسبا لما قد يأتيها من طعام تساعد على هضمه كما يبدأ الكبـد ، وغـدة البنكريـاس في الاستعـداد لافـراز العصـارات الهاضمة انتظارا لوصول الوجبـة الغذائية .

دور الحـواس الخمس في هذه العملية : جميع أجهـزة الجسـم وخاصة الحـواس الخمس تترقـب

وتنتظر اصطياد الطعام الذي يطلبه الجسم . ويأمل في الحصول عليه في أسرع وقت ـ فالعينان تبحثان عن الطعام . فاذا ما وجدتـه أرسلت إشارات إلى المعدة والغدد الأخرى لتنشط وتبدأ في العمل حتى قبل وصول الطعام ـ والأنف إذا ما اشتم رائحة الطعام أرسل إشارات إلى تلك الغـدد كذلك لتهيـئ نفسهـا لاستقباله ـ والأذنان إذا ما سمعتا صوت الملاعق والسكاكين أو غليان القدر على النار أو فرقعة الأطبـاق ترسلان بدورهما إشارة الى الجهاز الهضمي ليأخذ الأهبة والاستعـداد لوجبة شهية .

أمـا ملمس الطعـام أو تذوقـه باللسان . فتلك هي البداية الطيبة الأكيدة للاستمتاع بالطعام وإشباع الجسم بحاجاته من المواد الغذائية المستهلكة .

وما العمل إذا لم تجد الحـواس الخمس بغيتها من الطعام ؟ يشتد الضغط من المراكز العليـا للعقـل الواعي على أجهزة الجسم الأخرى ـ حيث يبدأ الفتور في العضـلات ـ والانتاج البدني ـ ويبـدأ الاعيـاء واضحا على ملامح الانسان الجائع المنهك وربما انخفض ضغط الدم ـ وتباطأت دقات القلب ـ وتكاسلـت الدورة الدموية ـ وشحب الجلـد ـ وقلت القدرة على الحركة ـ بل وقلت القدرة على الحديث . كما تقل كمية البـول ـ ويصـاب الانسـان بالامساك .

أما عن قدرة الجائـع العقليـة والذهنيـة . فانـه يتميـز بالتبلـد والنسيان . وعدم القدرة على التركيز بل وعلى الحكم السليم . كما أنه يثور لأتفه الأسباب ـ وهكذا نجد أن كل جهاز وخلية في الجسم تتأثر بالجوع تأثيرا ضارا . ويستمر ذلك حتى تتاح للانسـان فرصـة الحصـول على الطعام . ومن ثم يعود تدريجيا الى سيرته الأولى من نشـاط وحيويـة وصفاء ذهني وقدرات إيجابية خلقت لتقوم على عمارة هذا الكوكب .

دورة الغذاء في الانسان

لا يتحتم أن يجد الانسان بغيته وحاجته من المواد الغذائية بأنواعها المختلفة في وقت واحد . [من نشوية وسكرية وزلالية ودهنية وزيتيـة ـ وأملاح ومعادن وفيتامينات ـ الخ] حيث أن الله سبحانه وتعالى أودع في الجهاز الهضمي خصائص عاليـة التعقيد والوظيفة ـ فما تيسر من رزق أو طعام من نوع واحـد فليأكلـه الانسان وليسد به جوعته وبعد ذلك يأتي دور الغدد في الجسم ـ فتقوم بتحويل المادة الواحدة الى مواد متعددة طبقا لما يحتاجه الجسم وتحتاجـه وظيفة هذا الانسان فمثلا اذا لم يجد الانسان الجائع أمامه الا سلة من خبز او اذا لم يجد أمامه إلا أرنبا اصطاده في غابة . فليأكل ما وجده وبعد ذلك تأتي عمليات الهضم مبتدئة بالأسنان تقضم الطعام وتقطعه ثم

يمزج باللعاب من غدد الفم تلي ذلك وظيفة المعدة في خلط وطحن الطعام خبزا كان أو أرنبا . وتهرع اليها العصارات الهاضمة من المعدة والأمعاء الدقيقة ومن غدد البنكرياس والكبد حيث تتم عملية الهضم في المعدة والأمعاء الدقيقة . ويعقبها عملية الامتصاص من الأمعاء الدقيقة ـ تتم هذه العمليات مع الخبز فتعطي سكريات ومع الأرنب تعطي بروتينات وتمتص على هذا النحو .

جانب من وظائف الكبد

بعد ذلك تأتي العملية المعقدة المعجزة **في المعمل الكبير وهو الكبد** وهذه العملية تسمى بالتمثيل الغذائي حيث يقوم الكبد بتحويل المواد النشوية والسكرية الى مواد زلالية ودهنية أو العكس حينما يقوم الكبد بتحويل المواد الدهنية او الزلالية الى سكرية أو نشوية حسب ما تقتضيه الضرورة [وهي احتياجات الجسم الأساسية من المواد الغذائية] .

إذن : ليس هناك ما يمنع الانسان من أن يعيش زمنا طويلا على الموز فقط كما هو الحال في الأقاليم الاستوائية . فأجهزة الجسم كفيلة بتحويله الى دهنيات وزلاليات ومواد أخرى يتطلبها الجسم ـ كما أنه لا يضير إنسان القطب من أن يعيش على الأسماك أو لحوم الدببة ، إذ أن الجسم كذلك كفيل بتحويل هذه المواد البروتينية الى أحماض ومواد نشوية وسكرية حسب متطلبات الجسم والبيئة .

الوجبات التقليدية : وكذلك الحال ليس بالضرورة أن يأكل الانسان يوميا ثلاث وجبات أو حتى وجبة واحدة في اليوم فالانسان يستطيع أن يأكل مرة واحدة كل بضعة أيام ويجوع بعدها أياما أخرى وفي كلتا الحالتين فهو قادر على القيام بوظيفته في الحياة اذ ان للجسم القدرة على اختزان المواد الغذائية في الجسم واستعمالها عند الحاجة ـ وهل الشحومات والدهون المترسبة في أجزاء الجسم المختلفة إلا أماكن تخزين للغذاء يرجع اليها الجسم ليسد حاجته عند نقص الغذاء وندرته ؟

وهل السنام عند الجمل الا صورة واضحة لأداء هذه الوظيفة ؟ـ وما الجمل وما الانسان ؟.

أليسا من خلق الله ؟ يخضعان لقانون واحد ثابت . هو استمرار هذه الحياة على هذا الكوكب بالصورة التي أرادها الله خالق الكون وبارئه .

فسبحانك من عظيم قادر ـ خلقت فأبدعت ـ وأودعت في كل ما صورت نظاما دقيقا محكما يحار الفكر والعقل في روعته ـ ولا نملك إزاء ذلك إلا أن نقول :

آمنا بك ـ جلت قدرتك ـ وتنزهت صفاتك عن الشبيه والمثيل ـ ولا حول ولا قوة إلا بك .

مَعَ الأئمَّة الأربعَة (٣) للاستاذ : محمد امام

الشافعي وابن حنبل

الشافعي

نحـن الآن في أوائـل العصر العباسي ، حيث ولد الشافعي سنة ١٥٠ هـ بغزة أو عسقلان من أب قرشي يلتقي مع النبي « صلى الله عليه وسلم » في عبد مناف ، والراجح أن أمه أزدية من اليمن .

وهو محمد بن إدريس الشافعي ، وقد نشأ فقيرا ، فحملته أمه إلى مكة ، وكان عمره سنتين عندما مات أبوه ، وذلك كما جاء في روايته عن نفسه أنه قال :

« كنت يتيما في حجر أمي ، ولم يكن لها مال ، وكان المعلم يرضى من أمي أن أخلفه إذا قام فلما جمعت القرآن ودخلت المسجد ، فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة وكانت دارنا في شعب الخيف ، فكنت أكتب في العظم ، فاذا كثر طرحته في جرة عظيمة » .

وفي رواية أخرى :

« لم يكن لي مال فكنت أطلب العلم في الحداثة ، فأذهب إلى الديوان ، فأستوهب منهم الظهور فأكتب فيها » .

وقال أيضا :

« وخرجت من مكة فلزمت هذيلا

بالبادية أتعلم كلامها وآخذ اللغة ، وكانت أفصح العرب » وقد أعانه على تفهم معاني القرآن والسنة ، تلك الاقامة في البادية ، التي أكسبته معرفة واسعة باللغة والشعر ، وقوة في التعبير ، وقد روى عنه ، أنه أخذ عن الأصمعي شعر الهذليين ، وشعر الشنفري ، ثم اتجه إلى الحديث والفقه ، فأخذ عن سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي في مكة ..

ثم رحل الشافعي إلى المدينة ، وسمع من مالك الموطأ وحفظه ، كما أخذ فقهه ، ولازمه حتى مات سنة ١٧٩ هـ .

خروج الشافعي إلى اليمن

بعد أن مات مالك ، رحل الشافعي إلى اليمن ، وقد ذكر في رحلته إليها أسباب كثيرة ، ولكن أقربها .. هو أن والي اليمن جاء مكة ، فطلب منه بعض القرشيين أن يأخذ الشافعي ويوليه بعض الأعمال ، ففعل وولاه بعضها ، ويكاد أن يجمع المؤرخون على عذوبة منطقه وحسن بيانه ، وقدرته على الجدل ، ومهارته في الاستنباط .

اتهامه بالتشيع

وهناك أكثر من رواية عن تشيع الشافعي ، وكلها تجمع على أنه اتهم بالتشيع وقد حمل في هذه التهمة إلى هارون الرشيد ، فنفى الشافعي التهمة ، وعفا عنه الرشيد ، وكان ذلك في نحو سنة ١٨٠ هـ ، والشافعي في نحو أربع وثلاثين سنة ..

وفي سنة ١٩٥ ، قدم الشافعي بغداد ، وأقام بها سنتين ، وفي أثناء إقامته ، اتصل بمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، وأخذ عنه فقه العراقيين ، ثم عاد إلى مكة ، ثم بغداد سنة ١٩٨ ، ومنها إلى مصر سنة ١٩٩ ، التي ظل بها إلى أن مات سنة ٢٠٤ هـ .

وقد كان الشافعي يعد نفسه تلميذا لمالك ، وأحد رجال مدرسته ، وما زال كذلك حتى قدم بغداد سنة ١٩٥ ، وهناك حيث علم طريقة العراقيين ، ورأى في طريقتهم أنه لا يحسن أخذها كلها ، ولا تركها كلها .. فاقتبس منهم الأحسن ، وأضافه إلى ثروته الحجازية ، التي تتمثل أولا في اللغة والأدب ، وثانيا في الحديث وإجماع أهل المدينة ، وطريقة الحجازيين في الاستنباط ..

وهكذا استفاد الشافعي من هاتين الناحيتين ، وألف بينهما بشخصيته ، فأخرج مذهبا جديدا ، راح يدعو إليه في العراق سنة ١٩٥ ولما كان للحنفية من جاه وسلطان في العراق ، فلم ينجح الشافعي نجاحا كبيرا في الدعوة إلى مذهبه ، فرحل إلى مصر ، التي أقام بها نحو أربع سنوات ..

وفي قدومه إلى مصر ، قال الزعفراني :

« سأل الشافعي الربيع ــ أحد أصحابه ــ عن أهل مصر قبل أن

يرحل إليهم ، فقال له الربيع : هما فرقتان ، فرقة مالت إلى قول مالك وناضلت عنه ، وفرقة مالت إلى قول أبى حنيفة ، وناضلت عنه ، فقال الشافعي : أرجو أن أقدم مصر إن شاء الله فآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعا ، قال الربيع : ففعل ذلك والله حين دخل مصر .

وخير ما يلخص مسلك الشافعي ما ذكره هو إذ قال :

« الأصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما ، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد منه فهو سنة ، والاجماع أكبر من الخبر المفرد ، والحديث على ظاهره ، وإذا احتمل معاني فما أشبه منها ظاهره أولاها به ، واذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا أولاها ، وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس أصل على أصل ، ولا يقال للأصل لم وكيف وإنما يقال للفرع لم ، فاذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة » .

وهكذا سار الشافعي وحدد موقفه بقواعد ، وقد كان لرحلته إلى المدينة ومكة واليمن والعراق ومصر ، أثر في اتساع ثروته في الحديث .

آثار الشافعي

وقد روى عنه تلميذه المصري ، الربيع بن سليمان المرادي : رسالته في أصول الفقه وتكلم فيها فيما يحتاج إليه المجتهد من الحديث ، وناسخه ومنسوخه ، وما كان فيه اختلاف وما يقبل منه وما لا يقبل .. الخ ...

كما تعرض لأصول الفقه في كتاب الأم ، وكتاب الرسالة ، فتعرض مثلا لمناقشة الفرقة التي تنكر العمل بالأحاديث بتاتا ، وابطال الاستحسان ، وتنظيم الاجماع والعمل به ، وما يصلح منه وما لا يصلح ، وتنظيم القياس الذي جرى عليه الحنفية ، ووضع قواعد له ، وتقسيمه أقساما ، وتوضيح علله ، وبيان ما يجوز منه وما لا يجوز ..

وبهذا فالشافعي ، هو أول من وضع خطة في البحث في أصول الفقه ، وجرى عليه كل من أتى بعده من علماء المذاهب الأخرى .

ويقول الرازي : « واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطاليس إلى علم المنطق ، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض » ، ويستطرد الرازي في قوله :

« الناس كانوا قبل الامام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعي رحمه الله أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع ... الخ » .

والعلماء يقسمون فقه الشافعي إلى مذهبين : قديم وجديد ، فأما

القديم فهو ما كتبه وقال به في العراق ، وأما الجديد فهو ما كتبه وقال به في مصر ، ذلك أنه لما جاء مصر عدل عن بعض أقوال له كان قالها من قبل ، وسببه أنه خالط علماء مصر ، وسمع ما صح عندهم من حديث وما رآه مخالفا في مصر من حالات اجتماعية ، تخالف ما رآه في الحجاز والعراق ، كان سببا في التغيير من فقه الشافعي في بعض أقواله ، وهو ما أطلق عليه « المذهب الجديد » .

أصحاب الشافعي

وكان للشافعي أصحاب تتلمذوا له وأخذوا عنه ، ونشروا مذهبه ، ومن أشهرهم في العراق أبو علي الحسين ابن على الكرابيسى ، وأبو ثور الكلبي ، وأبو علي الزعفراني ..

أما أصحاب الشافعي في مصر ، فنذكر منهم :

ابن حنبل البويطي ، والربيع المرادي ، والمزنى - إسماعيل بن يحيى - وهؤلاء جميعا أخذوا عنه ، وحفظوا مذهبه ونشروه ، وهم إن خالفوه ، فليس في كثير من المسائل مثلما خالف أصحاب أبى حنيفة إمامهم .

وبقى صاحب للشافعي لم نذكره بعد ، هو أحمد بن حنبل ، صحب الشافعي ، وأخذ عنه ، والشافعية يعدونه شافعيا ، ولكنه في الواقع يستقل عنه

احمد بن حنبل

ونحن في القرن الثالث من العصر العباسي ، حيث نشطت حركة الجمع والنقد وتمييز الصحيح من الضعيف ، والفت فيه كتب الحديث ، التي ظلت الأصل بعد ذلك ، يؤخذ عنها ويستمد منها .

ففي العصر العباسي ألف البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ « الجامع الصحيح » وألف مسلم ٢٦١ « الصحيح » ، وابن ماجه ٢٧٣ « الف سننه » ، وسنن أبي داود ٢٧٥ ، وجامع الترمذي ٢٧٩ ، وسنن النسائي ٣٠٢ ، ويلحق بها مسند احمد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١ هـ ، والمحدثون يصفون البخاري ومسلم في الدرجة الاولى من الصحة .

ونحن اليوم بصدد استكمال ما بدأناه مع الأئمة الأربعة ، ابو حنيفة ، ومالك والشافعي وها هو الامام أحمد بن حنبل ، نقف عنده وقفة ، ولو كانت قصيرة ، ولكنها على أي حال تجعلنا نلم به وبمذهبه في الفقه ، لما له من اثر كبير ، ولون مختلف .

واحمد بن حنبل .. عربي الاصل من شيبان ، واصله من مرو ، صحب الشافعي واخذ عنه ، والشافعية يعدونه شافعيا ، ولكنه في الواقع يستقل عنه .

ولد احمد بن حنبل ببغداد سنة ١٦٤ ونشأ بها ، ورحل ، إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام واليمن

والجزيرة يجمع الحديث ، حتى بلغ ما جمعه في مسنده اربعون الف حديث .

فهو من كبار المحدثين ، وعلى الحديث يبني فقهه ، فاذا وجد حديثا صحيحا لم يلتفت إلى غيره ، وكان يعمـل بفتـوى الصحابـة ، وإذا اختلفوا في مسألة ، تخير اقربها إلى الكتاب والسنة ، وإذا وجد حديثـا مرسـلا او ضعيفـا رجحـه على القياس ، ولا يستعمل القياس إلا عند الضرورة القصـوى ، وكان يكره الفتوى في مسألة ليس فيها اثر .

وكل ما روى عن ابن حنبل في الفقه ، إنما هي مسائل سئل عنها فأفتى فيها ، وقد رتب المذهب وبوبه ودونه اتباعه ، وعلى هذا فيكون احمد بن حنبل اكبر اثرا في الحديث منه في الفقه ، ولا خلاف في عده من كبار المحدثين .

ولكن الخلاف في عده من الفقهاء ، فيقول عنه ابن جرير الطبري : إنما هو رجل حديث لا رجل فقه ، ولم يعد مذهبه في الخلاف بين الفقهاء ، ثم نجد ابن قتيبة لم يذكره بين الفقهاء في كتابه المعارف ، حين نجد المقدسي قد ذكره في المحدثين لا في الفقهاء ... اما عبد البر فنراه يقتصر في كتابه الانتقاء على الائمة الثلاثة ابي حنيفة النعمـان ، ومـالك بن انس ، والشافعي .

مسند ابن حنبل

والتقسيم في كتـب المسانيـد ليس أساسه الموضوع ، وانما ترتب عادة حسب الصحابي الذي روى عن النبي « صلى الله عليه وسلم » فيقول مثلا : مسند عمر بن الخطاب ويروى كل الأحاديث التي نقلت عنه ، فيقـول حدثنا فلان عن فلان عن عمـر ، ويجمع كذلك كل الأحاديث التي رويت عن سعد بن ابي وقاص حتى يفرغ منها ، وهكذا ..

وكما ذكرنا ، ان مسند أحمد بن حنبل اشتمل على أربعين ألف حديث ، منها نحـو عشرة آلاف مكررة ، ويقـول المحدثون : ان فيه كثيرا من الأحاديث الضعيفة ، ولم تبلـغ أحاديثـه في الصحة مبلغ البخاري ومسلم .

وقد لاحظ بعض المستشرقين ان مسند أحمد بن حنبل تتجلى فيه الشجاعة وعدم الخوف من العباسيين ، بذكره أحاديث في مناقب بني أمية ، وكان على العـكس من ذلك البخـاري ومسلم ، فانهما لم يذكراها ، كما انه لم يتحرج من ذكر أحاديث في مناقب علي وشيعته .

وقد امتحن ابن حنبل في مسألة خلق القرآن ، فضرب وحبس سنة ٢٢٠ ، ولكنه ظل على قوله بان القرآن غير مخلوق ، ومما رفعه وزاده رفعة امام الناس ، اصراره على قوله ، وصبره على ما لحقـه من أذى في خلافـة الواثق .

ولما جاء المتوكل .. الغى القول بخلق القرآن ، وافرج عن ابن حنبل ، الذي توفي رحمه الله سنة ٢٤١ هـ .

وبعد ، نرجو ان نكون قد وفقنا مع الأئمة الأربعة ، بذلك العرض السريع حول كل امام ، وكل مذهـب من المذاهب الأربعة ، والله ولي التوفيق .

قصة إسلامية

قائد كتيبة الأهوال

للأستاذ حسين القباني

إنه عظيم من عظماء العرب .. وقد استمد عظمته من تواضعه وإيمانه العميق وإقباله على الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ، وإعزاز شأن المسلمين ، وتفانيه في القيام بأي عمل ينفع فيه دينه وإخوانه وأمته ، والمؤمنين جميعا ..

ورغم هذه الصفات كلها لم يسع يوما إلى الامارة كما كان يفعل البعض من إخوانه ، وإنما كان متواضعا في عظمته ، رقيقا في قوته ، شاكرا لأنعم الله في شجاعته ، يحفظ قول الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه في شأن السعي إلى الامارة : « إنا والله لا نولى هذا العمل أحدا سأله ، ولا أحدا حرص عليه » ..

وذلك بعد أن سمع بنفسه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول هذا القول لبعض الصحابة الذين طلبوا لأنفسهم أن يؤمروا على بعض الولايات ..

فمن هذا الصحابى الجليل .. والعربي الأصيل .. والفارس المقدام .. والشاعر الملهم .. والبطل الصنديد والفاتح الشجاع .؟

إنه عاصم بن عمرو التميمي .. أحد عظماء الجزيرة العربية الذين شاركوا في نشر الرسالة الاسلامية في العراق وفارس .. والذين وهبوا أرواحهم لأشرف رسالة سماوية عرفتها البشرية ..

يقول عنه وعن شجاعته وإقدامه أبو الحسن في كتابه المعروف « مروج الذهب » ما يلي بالحرف الواحد :

« ... ودارت المعركة . وحمى الوطيس .. وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب

مثل اللجين يتفشاه الذهب
أنى امرؤ لا من يعفيه السبب
مثلي على مثلك يغريه العتب

فبرز إليه عظيم من أساورتهم « من أبطالهم » فجالا .. ثم إن الفارس ولى ، وأتبعه عاصم حتى لجأ إلى صفوفهم « صفوف الفرس » وعموه « ضللوه » وغاص عاصم « بين صفوف الفرس » حتى آيس الناس « من أنصاره » منه .. ثم خرج مجنبات القلب .. وقدامه بغل عليه صناديق مركبية بآلة حسنة « بمظهر حسن « فأتى به » أي بالبغل وما عليه « سعد بن مالك » قائد جيش العرب » .. وعلى البغل رجل عليه مقطعات « أثواب » ديباج « حرير » وقلنسوة مذهبة ، وإذا هو خباز الملك « الفارسي » وفي الصناديق لطائف الملك من الأخبصة « الحلوى » والعسل المعقود .. فلما نظر إليه سعد قال : « انطلقوا إلى أهل موقفه وقولوا إن الأمير قد نفلكم هذا فكلوه .. ففعلوا » ..

والواقع الذي يعرفه المؤرخون وقد أجمعوا عليه ، أنه كان للمجاهد عاصم بن عمرو مواقف رائعة مع كسرى ملك الفرس .. وقد بدأت هذه المواقف عندما ذهب وفد من الجيش الاسلامي إلى كسرى للتفاوض معه .. والاسلام كما يعلم جميع المؤرخين المنصفين ، لا يبدأ بالعدوان ، وإنما برسالة السلام والمفاوضة .. فاذا لم تؤد هذه الوسيلة الغرض المنشود .. وتعرض رسله إلى المهانة أو العدوان ، وجب في هذه الحالة الجهاد واستخدام القوة أمام القوة ..

وكان المجاهد المؤمن عاصم بن عمرو بين الوفد المرسل للتفاوض مع كسرى .. وقد سألهم ذلك الملك المغرور بقوته وجبروته :

ـ ما شأنكم أيها الأعراب ؟

فرد عليه النعمان بن مقرن رئيس الوفد قائلا :

ـ إن الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يدلنا على الخير ، ويأمرنا به ، ويعرفنا بالشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ..

وغلب على كسرى يزدجرد جبروته وغروره ، فأغلظ القول للوفد ، ولم يرع للضيافة حرمة ، وخيل إليه أنه جبار الأرض الذي لا يقبل حديثا لينا أو قاسيا من أحد .. ولم يكتف بهذا ، بل تمادى في جبروته وفي رغبته لاهانة الوفد ، فأمر جنوده أن يأتوا بحمل ثقيل من تراب الأرض ، وطلب منهم أن يختاروا أشرف رجل في الوفد ويرغموه على حمل هذا التراب حتى يخرج من البلد ذليلا مهانا بين أقرانه .. وبين أهل فارس

جميعا ..

وأحضر الجنود غرارة التراب .. ونظر كسرى في سخرية وقال :
ـ من أشرفكم ؟.
وصمت القوم جميعا تواضعا وليس خوفا .. فقد علمهم الاسلام أن التواضع زينة المؤمن .. وأن الله لا يحب كل من كان مختالا فخورا ..
وهنا أدرك عاصم حقيقة الموقف .. أدرك أن الأمر لا يتعلق بالتواضع أو الكبرياء .. وإنما بالتضحية من أجل الاخوة المؤمنين .. فاذا كان زملاؤه قد صمتوا تواضعا فانه تقدم بدافع الرغبة في التضحية واحتمال الأذى ، وقال :
ـ أنا سيد هؤلاء .. فاحملوا التراب علي ..
وفيما كان عاصم بن عمرو يسير بين زملائه حاملا غرارة التراب .. معرضا نفسه لسخرية أهل فارس .. كان يشعر في قرارة نفسه أن هذا التراب الذي يحمله من أرض الأكاسرة ، إنما هو فأل حسن للمسلمين جميعا .. وأن هذا التراب الخارج إلى المسلمين رمز لاستيلاء المسلمين على تراب فارس كلها ..

وقد عبر عاصم عن مشاعره هذه بقوله لقائد جيوش المسلمين سعد ابن أبى وقاص حين عاد إليه مع رفاقه :
ـ أبشر بالظفر .. ظفرنا إن شاء الله تعالى .. أبشر .. فقد أعطانا الله مقاليد ملكهم ..
ولم يكن عاصم بن عمرو فقط الذي أدرك مغزى هذا الرمز ، وشعر بهذه الموجة من التفاؤل في ظفر المسلمين بملك كسرى ، وإنما أدرك بعض هذا الأمير رستم ، قائد جيش الفرس ، حين بلغه ما فعله كسرى يزدجرد بوفد المسلمين .. وقد قال عن عاصم يومذاك .. :
ـ إنه ليس بأحمق .. وليس هو أشرفهم .. وإنما أراد أن يفتدى قومه بنفسه .. لقد ذهبوا والله بمفاتيح ملكنا ..

وسأل أحد أتباعه :
ـ متى حدث هذا ؟
ـ بالأمس فقط ..
ـ إذن أرسلوا وراء عاصم ورفاقه .. فاذا أدركتموهم ، فلا تقتلوهم ، ولا تسيئوا إليهم ، وإنما استردوا منهم التراب ..
وانطلق رسل الأمير رستم وراء عاصم بن عمرو ورفاقه عسى أن يدركوهم قبل أن يجتازوا حدود البلاد .. وظل رستم ينتظر عودة رسله في حالة عصبية بالغة وقد تحول ظنه إلى يقين .. إن خروج تراب فارس إلى أرض العرب ، معناه استيلاء العرب على أرض فارس ..
وعاد الرسل مغبرين مشعثين

يعلنون في أسى أنهم عجزوا عن إدراك وفد المسلمين .. ويبدو أن الوفد كان مسرعا وقد أدرك أنه ، بما يحمل من تراب فارس ، قد فاز بالغنيمة الكبرى ..

ويسجل التاريخ في أشرف وأنصع صفحاته معركة القادسية التي دارت بين جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبى وقاص .. وجيوش الفرس بقيادة الأمير رستم في عهد كسرى يزدجرد ـ أعظم ملوك الفرس في ذلك الحين وأقواهم شكيمة ..

وكان عاصم بن عمرو التميمي من الذين اشتركوا في هذه المعركة وأبلوا فيها بلاء حسنا ، وكان يوصي الجند والحرب على أشدها بقوله :

« قولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .. رددوا قوله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون) ..

ويذكر المؤرخون أن عاصم كان يحارب كأي جندي عادي ، فلا هو في سمت القواد .. ولا في سمت الأمارة .. وإنما مجاهد ، مسلم ، مؤمن ، لا يبتغي الا النصر أو الشهادة ..

ومن المؤكد أن معركة القادسية هذه كانت من المعارك الحاسمة في إعلاء شأن الاسلام ، ونشر كلمة الله العليا بين البشر .. وقد بلغ من أهميتها ـ وقد وقعت في عهد الخليفة عمر رضى الله عنه ـ أنه ـ أي الخليفة ـ كان يخرج من المدينة وهو أشد ما يكون قلقا ويتجه ناحية العراق متنسما أخبار المعركة أولا بأول .. وكلما لقى بعض الركبان ، سألهم عن أخبار المعركة .. وفي ذات يوم رأى من بعيد راكبا يقترب .. فأسرع نحوه وسأله عن أنباء المعركة .. فقال الراكب لعمر : وهو لا يعرفه :

ـ لقد فتح الله على المسلمين في القادسية ، وغنموا مغانم كثيرة ..

وتنهد الخليفة في ارتياح وحمد الله وأثنى عليه .. ثم سار بجوار الرجل .. ماشيا على قدميه ، والرجل ممتطيا ناقته ، ويحاول أن يسأله عن المزيد من أخبار المعركة .. ودخلا على هذا النحو المدينة .. وأخذ الناس يحيون عمر كأمير للمؤمنين .. وأسرع الرجل مترجلا وهو ينظر إلى عمر في دهشة ، ثم يقول متوجسا :

ـ يرحمك الله يا أمير المؤمنين ويرحمنا .. هلا أعلمتني أنك الخليفة ..

وبالتواضع المعروف عن أمير المؤمنين عمر الفاروق ، قال :

ـ لا عليك يا أخي ..

* * *

واشترك عاصم بن عمرو أيضا في إحدى المعارك الاسلامية الكبرى .. وهي معركة المدائن .. بل إن عاصما كان في هذه المعركة

يقود كتيبة من جند المسلمين ، كونها هو ، وقادها هو .. وأسماها كتيبة الأهوال » ويمكن أن نقول : إنها أول « كتيبة من كتائب الصاعقة أو الفرق المخصوصة » في التاريخ كله ..

وكان الأكاسرة قد اعتادوا أن يتباروا في بناء المدن .. فكل ملك منهم يقيم في عهده مدينة بالقرب من المدينة التي أقامها سلفه .. وكل واحد منهم يحاول أن يجعل مدينته أجمل وأعظم عمارة وبهاء .. وهكذا اجتمعت عدة من المدن في صعيد واحد ، وأطلق عليها « المدائن » وسميت المعركة التي دارت فيها : بمعركة المدائن ..

وكان المفروض أن يعبر الجيش الاسلامي نهر دجلة في منطقة تفيض بالماء ويشتد موجه .. وكانت عملية العبور قاسية تحتاج إلى مجاهدين وهبوا أنفسهم لله ولاعلاء كلمة الله ..

فقد كان النهر الهائج يفصل بينهم وبين الأعداء المتربصين .. وكان لزاما على الجيش أن يعبر إلى الأعداء ويفاجئهم في عقر دارهم .. وكان من الضروري أن تقوم بعملية العبور كتيبة فدائية استطلاعية تفتح الطريق أمام الجيش ، وتثبت على الجانب الآخر من النهر ما نسميه اليوم بلغة القتال « رأس حربة » وأن تظل متشبثة بهذا الرأس حتى يعبر الجيش كله ..

ونادى قائد المسلمين في جنوده :
ـ من يبدأ العبور ..؟

وكان عاصم بن عمرو التميمي أول من استجاب للنداء .. وتبعه مئات آخرون ..

من هؤلاء الجنود الفدائيين تكونت أول كتيبة أطلق عليها عاصم بن عمرو اسم « كتيبة الأهوال » ..

واندفع عاصم بجنود كتيبته إلى الماء ، يخوضون النهر بخيولهم ، لا يهابون الموت ، ولا يخشون في الله عدوا مهما بلغت قوته ..

ونجح عاصم وكتيبته في تثبيت رأس الحربة على الضفة الأخرى .. وبعد أهوال رهيبة ، عبر الجيش كله .. وبدأ القتال .. واشتد أواره ، ولاحت تباشير النصر بعد أن اطمأن الجنود إلى ثبات مواقعهم .. وإلى قدرتهم الفائقة على الفوز بعد أن تخطوا ذلك المانع المائي العنيف .. وكتب النصر للمسلمين في معركة المدائن .. وكانت دولة الفرس للمجاهدين الذين وهبوا أرواحهم فداء لاعلاء كلمة الله ..

وهكذا عاش هذا المجاهد العظيم في إيمانه .. وفي تواضعه .. وفي إخلاصه .. وفي شجاعته .. عاش عاصم بن عمرو التميمي مثالا للاقدام ، وللوفاء ، وللجهاد .. ومات وقد حسن إسلامه .. وأصبح مضربا للأمثال في تاريخ المعارك الأسلامية .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

الجمع بين الصلاتين (٢)

استكمالا لجوابنا عن هذه الفتوى
الذي بدأناه في العدد الماضي نقول :

ومما يدل على أن هذا الجمع بالمدينة لغير عذر كان صوريا ما أخرجه النسائى عن ابن عباس بلفظ جاء فيه : صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعا ، أخر الظهر وعجل العصر ، وأخر المغرب وعجل العشاء . فابن عباس راوى الحديث صرح بأنه جمع صورى . وكذلك ما رواه الشيخان عن عمرو بن دينار أنه قال : يا أبا الشعثاء ، أظنه أخر الظهر وعجل العصر ، وأخر المغرب وعجل العشاء . قال : وأنا أظنه . وأبو الشعثاء هو راوى حديث ابن عباس في الجمع . ومما يؤيد أن الجمع كان صوريا ما أخرجه مالك في الموطأ والبخارى وأبو داود والنسائى عن ابن مسعود قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة لغير ميقاتها الا صلاتين ، جمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة ...
فحصرا بن مسعود الجمع في مزدلفة ، مع أنه روى حديث الجمع بالمدينة ، وهذا يدل على أنه كان صوريا والا لتناقضت رواياته ، والجمع ما أمكن المصير اليه هو الواجب . كما يؤيده ما أخرجه ابن جرير عن ابن عمر قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يؤخر الظهر ويعجل العصر فيجمع بينهما ، ويؤخر المغرب ويعجل العشاء فيجمع بينهما ، وهذا جمع صوري وابن عمر هو ممن روى جمع الرسول بالمدينة كما أخرج ذلك عبدالرزاق عنه فيحمل عليه .
هذا بعض ما قيل في بيان أن الجمع كان صوريا ، وأنه لا يجوز تقديم صلاة على وقتها ولا تأخيرها عن وقتها الا لعذر ، وقد عنى بعض العلماء بتوضيح هذه المسألة وأطال في ذلك كما فعله ابن القيم في كتابه « تشنيف السمع بابطال أدلة الجمع » .
وتكميلا لهذا الموضوع أذكر رأى الأئمة الأربعة في الجمع باختصار :
١ ـ فعند المالكية يجوز الجمع للسفر طال أو قصر ، وللمريض الذى يخاف حصول أغماء أو دوخة تمنعه من أداء الصلاة عند دخول وقت الثانية فيجوز له تقديمها . وكذلك الجمع للمطر والطين مع الظلمة أخر الشهر ، فيجمع بين المغرب

والعشاء تقديما بشرط أن تكون الصلاة في المسجد جماعة ، وكذلك يجوز الجمع للحاج بعرفة أو مزدلفة .

٢ ــ وعند الشافعية ، يجوز الجمع بسبب السفر الطويل ، وبسبب المطر تقديما فقط ، اذا كانت الصلاة للجماعة في مسجد بعيد ــ عرفا ــ فيه مشقة بالذهاب اليه ــ ما عدا الامام فله الجمع ولو لم يتأذ بالمطر ــ ولا يجمع بسبب المرض على المشهور ، لكن الراجح جواز الجمع للمريض تقديما وتأخيرا .

٣ ــ وعند الحنفية . لا يجوز الجمع تقديما الا في عرفة للحاج بشرط الجماعة مع الامام العام أو نائبه ، ولا يجوز تأخيرا الا في المزدلفة للحاج ايضا ، فيصلى العصر في وقت الظهر بعرفة ، والمغرب في وقت العشاء بالمزدلفة .

٤ ــ وعند الحنابلة يسن الجمع تقديما بعرفة وتأخيرا بالمزدلفة ، ولا يجمع في السفر الا اذا بلغ مسافة القصر ، ويجوز للمريض الجمع إذا شق عليه الصلاة في وقتها ، وكذلك للمرضع والمستحاضة دفعا لمشقة الطهارة عند كل صلاة « ومثلهما من به سلس بول » ويجوز الجمع للعاجز عن معرفة أول الوقت كالأعمى أو الساكن تحت الأرض كعمال المناجم مثلا ، ولمن خاف على نفسه أو ماله أو عرضه أو يخاف ضررا يلحقه في معيشته بترك الجمع ــ وفي ذلك تيسير على العمال الذين يستحيل عليهم ترك العمل لاداء كل صلاة في وقتها ــ كما قالوا : يجوز الجمع بين المغرب والعشاء خاصة بسبب الثلج والبرد والجليد والوحل والريح الباردة والمطر الذي يبل الثوب وتحصل به المشقة ، ولا فرق في ذلك بين أن يصلى في داره أو بالمسجد ولو كان طريقه مسقوفا ، والأفضل أن يختار الأسهل عليه من التقديم والتأخير ، مع شروط وضعوها لجواز التقديم والتأخير كالترتيب ونية الجمع والموالاة ودوام العذر .. لا مجال لتوضيحها هنا .

انظر فتح البارى لابن حجر « ج ٢ ص ١٦٤ » ونيل الأوطار للشوكانى ج ٣ ص ٢٦٤ والفقه على المذاهب الأربعة .

إلى كتابنا الأعزاء

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بطبع مقالآتهم على الآلة الطابعة أو كتابتها بخط واضح مع مراعــاة ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث .. والله الموفق والمستعان .

بأقلام القراء

المزاد العلني

جاءنا من الاستاذ/عبدالرحمن أحمد شادى هذا البحث القيم نقدمه الى القراء الكرام ليزدادوا إيمانا وحبا لرسولهم الكريم .

عن أنس رضى الله عنه ان رجلا من الانصار اتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال أفي بيتك شئ قال بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه الماء قال ائتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال من يشترى هذين قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فائتنى به فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » الحديث .

الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى كتاب البيوع ٢ / ٣٦٠ ط ١٩٧٦ .

كان توثيق الحديث والخبر والشعر فيما مضى عن طريق الاسناد وبيان الرواة الذين انتقل عنهم الحديث فردا فردا حتى وصل الى الراوي الأخير فلما مر الزمن وتطاولت القرون

اصبحت هذه الطريقة شاقة كل المشقة على الذاكرة وخصوصا بعد أربعة عشر قرنا تقريبا .

وانتقل التوثيق من ذكر اسماء الرواة والعنعنات قبل الحديث أو الخبر أو السفر الى ذكر الكتاب والجزء والصفحة والمؤلف وهي طريقة أيسر من الأولى .

« وما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ».

وفي الحديث الشريف من فقه السنة ما يلي :

● المزاد العلني جائز في الشريعة الاسلامية فقد أجراه الرسول الكريم بنفسه وعماد الفكرة هو العدل بين البائع والمشترى وعدم بخس الناس أشياءهم كما ورد في القرآن الكريم .

● يرجع تاريخ هذه العادة الى عهد الرسول الكريم وليست منقولة عن حضارة الغرب التي يغالي المفتونون بها حتى انتهى أمرهم الى أن أصبحوا أشد تعصبا للغرب وحضارته ونظمه ... من أهله .. وأكثر حبا لليلى من نفسها أو من المجنون قيس ..

● أعطى الرسول الكريم الأولوية والأفضلية للسلع الانتاجية وقدمها على السلع الاستهلاكية .

● منع القادر على العمل من السؤال والاستجداء والحياة عالة على أقاربه أو أهل بلده أو الدولة .

● أوجد للقادر فرصة العمل ... فمكاتب العمل التي تدرس حاجات المصانع والمعامل والمرافق والمؤسسات ... من جانب وكفايات العمال ومؤهلاتهم بالخبرة والتدريب والتمرين والشهادة ثم توفق بين هذا وذاك مما يقتبس ويؤخذ عن الحديث الشريف .

● مسئولية الحاكم عن أزمة البطالة وعمله على حلها ورفقه بالضعفاء والمتعطلين .

● احترام العمل أيا كان لونه وشكله ولو كان محتقرا في نظر البيئة او المجتمع فهو خير من التسول والاستجداء .

● الاكتفاء الذاتي . استغناء الفرد بما عنده والدولة بما تملكه خير من مد الأيدي إلى القروض الأجنبية وهي لا تعطى عادة لوجه الله ، وليست قروضا حسنة وانما هي قروض سيئة ويكفى أن يفرض المقرضون شروطهم على المقترضين فيقعون في الرق الفكري أو العبودية الاقتصادية بالتدريج وتكفي الاشارة الى قروض اسماعيل وديون روسيا .

● إرشاد السائل إلى ما هو خير له في دينه ودنياه .

● التخشن والتقشف في الأزمات والمحن والشدائد .

هذا ما فهمته بعد طول التدبر من الحديث الشريف وقد يرى فيه غيرى زيادة عما أرى بعقلي وفوق كل ذى علم عليم ...

وأنا أقدم جهد المقل ليكون من العلم النافع .

وعلى الله قصد السبيل .

مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

من السيد/صلاح الدين سعد ابراهيم كامل ـ الميمون ـ الواسطى ـ والطالب بكلية الحقوق جامعة القاهرة .

جاءتنا كلمة يسجل فيها بعض الأدعية من المأثورات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناسبات التي تتخلل حياة المؤمن اليومية : كما وجه كلمة الى الأخت المسلمة في كل مكان يدعوها الى التزام الزى الاسلامي وتجنب الاختلاط الذى يسىء اليها ويهوي بمنزلتها عند الله وعند الناس .

ومن حرصه على القراءة والاطلاع أرسل الينا بعض الأحاديث الصحيحة المروية في كتب الصحاح وتلك علامة جيدة على حبه للسنة النبوية ، نرجو له دوام التوفيق .

وشكرا لك على كلمتك وتوجيهاتك للمرأة ونسأل الله لنا ولكم التوفيق .

وكتب الينا الطالب/فاروق صالح باسلامه جامعة الملك عبدالعزيز بجده ، المملكة العربية السعودية . تحت عنوان : (الفكر الاسلامي والشباب):

وقد أوضح في كلمته أن الرسالة المحمدية التي أشرقت الأرض بنورها ، بثت الوعي والمعرفة في أمور الدين والدنيا ، وقد مهدت للشباب طريق العمل البناء ، وربتهم على حب الاسلام ، والجهاد في سبيله ، وضرب المثل بمصعب بن عمير الذى هاجر الى المدينة قبل هجرة الرسول اليها ، فهيأ العقول والأفكار لاستقبال الدين الجديد الذي يدعو الى الحرية والمساواة بعد الدعوة الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وضرب المثل ايضا بمعاذ بن جبل الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم

الى اليمن ورسم له منهج الدعوة الى دين الله والنظر في شئون الناس على ضوء القرآن الكريم ثم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يجتهد رأيه لا يقصر ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله) ثم يوجه الى اخوانه الشباب أسئلة تحفز هممهم ، وتثير عزائمهم ، فيقول : ماذا قدمنا نحن كشباب للاسلام ؟ ان الاسلام يريد همم الشباب ، وقواهم ، ومواهبهم ، وقدراتهم العقلية والفكرية ، والمادية ليعطوا للأمة الصورة الرائعة للنضال في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ثم ذكر قول امير الشعراء شوقي :

شباب قنع لا خير فيهم
وبورك في الشباب الطامحينا

وكتب الينا الشاب اسماعيل موسى اليوسف من دولة الامارات العربية الشقيقة هذه القصيدة والتي يتحدث فيها عن الكذب ومضاره مستمدا معانيها من القرآن الكريم وروح السنة السمحة والأخلاق الاسلامية الرفيعة التي تكسب تابعيها حسن السلوك وسلامة المقصد والهدف وأشار الى الكبر مؤكدا سوء نتائجه وعاقبته الوخيمة على مجتمع الاسلام والمسلمين وتلك أبياتها :

لا تكذبن فان الكذب مذموم ... وصاحب الكذب بالنقصان موسوم
يحيا الكذوب حياة الختل والغبن ... بين الأنام ، ويفني وهو موصوم
كم كذبة جلبت خسرا لصاحبها ... فبات منطويا والذكر مكلوم

المين يكشف عن أخلاق ذى سفه ... وليس يكذب غير النذل والجانى
هذا يعبر عن غش ومنقصة ... وذاك يستر أجراما ببهتان

هيهات غير كلام الصدق يكلؤنا ... ففيه تسلم أرواح لأبدان
وفيه يبقى رباط الحب يجمعنا ... شعار دين وبرهان لايمان

اياك والكبر ، ان الكبر منقصة ... واذكر مصيرك بعد الموت تربانا
المين والعجب لا تفريق بينهما ... وذو التعجرف يهوى الكذب أفنانا

كلاهما سوء أخلاق وتربية ... لولا التفكك ما جاءا ولا كانا
انا لفى زمن تغزو مهازله ... شبابنا وتبث السخف ألوانا

لا عاصم اليوم الا الدين يحفظنا ... من بدعة الغرب بالتشكيك تغشانا

هل يمكن أن تزودنا المجلة ببحث عن الآثار الجميلة ، وخصوصا وأن العالم الاسلامي يزخر بهذه الآثار المميزة العريقة .
ومع هذا البحث أيضا بعض الصور مع الشرح والايضاح لهذه الصور والهدف من تلك الآثار .

حمود حمزة محمود ابراهيم ـ الزرقا ـ الاردن

مما لا شك فيه أن العالم الاسلامي زاخر بهذه الآثار التي تشهد على عظمة تاريخهم ، وطول باعهم في الابداع والابتكار والاتقان ، وليس هذا بغريب على منطقة هي مهد الحضارات القديمة الشامخة ، وهي بلا شك نتاج جيل عاش الحياة مستخدما كل وسائل العلم خير استخدام لصالح مجتمعه ، فتجد قوما تركوا آثارا تدل على مدى ما وصل اليه جيلهم من تقدم ورقي ، وأيضا وراء هذا التقدم معان دينية كما حدث للفراعنة في مصر من شعور بالبعث والحساب .

وخلاصة القول أن العالم الاسلامي يتمتع بأصالة خاصة في آثاره وتاريخه العظيم سواء كانت هذه الآثار قبل أن يسطع نور الاسلام أم بعد أن عم نوره الآفاق فخير أثر تركه الاسلام عظيما شامخا (الكعبة) بيت الله العتيق الذى قضى الله أن يكون حرما آمنا كما قال الله في شأنه :**(أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون).**

ألست معي أن آثارنا الاسلامية لم تهجر ولم ينقطع عنها الحجيج ملبين ربهم حوله .

ونود أن تكون الزيارة للآثار الأخرى محل عظة وتفكير وعبرة اذ لا معنى لزيارة الآثار الا هذا .

وان المجلة تتابع النشر لابراز الآثار بالصور ، وعد للأعداد السابقة من المجلة فستجد ما تريد .

أريد الاستعانة بخبرات وتجارب المتخصصين والمهتمين بالبحوث الأدبية واللغوية والتاريخية من أساتذة الجامعات عامة والجامعات العربية خاصة .

أبو بكر عبدالوهاب ـ طهران .

أعتقد أن المكتبة الاسلامية والعالمية مكتظة بالأبحاث الجيدة المفيدة في كل فن من فنون المعرفة .

وهي أيضا ميسورة والسبل اليها واضحة لا تحتاج الى جهد يذكر وخصوصا وأن كل المكتبات قد فهرست بطريقة تسهل على الباحث طريقه الى ما يريد دون عناء أو مشقة .

وبالمكتبات الآن على مختلف ألوانها متخصصون يرشدون الباحث الى ضالته بدقة متناهية لا تترك مجالا لضياع مجهود الباحث .

وأيضا يمكن مراجعة مكتبات الجامعات في العالم لموافاتك بما تريد .

ولا شك ستجد آذانا صاغية ، وقلوبا مخلصة ، وأياد معطاءة توفر لكل الوسائل الكفيلة باعطائك ما تبتغيه من معرفة وعلم نافع ومفيد .

وأرسل لنا السيد / محمود زيدان السفاريني من الأردن قصة تدل فصولها القصيرة على مدى شفافية نفسه وحبه للخير ودعوته اليه وتأثره بموقف من دفع ماله لفقيرة وعدل عن رحلة الحج .

ونقول للأخ محمود يمكن أن تقرأ زادا لنفسك الطيبة من المأثور الصحيح المروى في هذه المناسبات مما يحث على الايثار والتضحية في سبيل الخير ويكفيك أن تقرأ قول الله سبحانه : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وليس هذا النص على سبيل الحصر ولكنه على سبيل المثال فقط فديننا غني بمثل هذا الزاد الجيد الصحيح وتاريخنا الاسلامي زاخر بمثل هذه الأحداث التي يدل صنيعها على حسن المشاعر وقوتها والتزامها بالأخوة الاسلامية وما توحي به من تآزر وإنفاق ورعاية في الله وفي سبيل الله .

وإن دلت قصتك رغم صغرها على شئ ، فانما تدل على صنيع جميل وأخلاق فاضلة ، وروح اسلامية هذبتها تعاليمه ــ وصقلتها سنته ولا يهمنا كثيرا نسقها ، بقدر ما يهمنا ما تدعو اليه .

وتلك رسالة من السيد / أبو بكر محمد أحمد رضوان ــ قنا ــ مصر . بعث بها مستفسرا عن غير العرب وكيف يقرؤون القرآن الكريم ؟ وهل يترجم لهم ؟

يا أخ (أبو بكر): ان القرآن الكريم لا يقرأ الا باللغة العربية وعلى المسلمين في كل أنحاء الدنيا كي يستطيعوا قراءته أن يتعلموا العربية لأنها لغة القرآن ، والرباط الذي يوثق الصلة بين المسلمين في شتى بقاع العالم . والترجمة الحرفية للقرآن الكريم لا تجوز بل هي حرام ، لأنها لا تتحرى المقصود من الآيات الكريمة . ولأن اللغات الأخرى مفرداتها لا تفي بما أراد الله سبحانه من كلامه وهو سبحانه أعلم بمقاصد القرآن الكريم ومعانيه . ولكن لا مانع من ترجمة معاني القرآن الكريم تيسيرا على الناس كي يتعرفوا عظمة هذا الكتاب الجليل فيقبلوا على تعلم العربية لغة القرآن الكريم .

مع صحافة العالم

بمناسبة الاستعداد لاستقبال القرن الخامس عشر الهجري نشرت مجلة « الدعوة » مقالا حول « التقويم الهجري » يبين فيه كاتبه مدى ارتباط هذا التقويم بالشخصية الاسلامية ويبين بأدلة مستوحاة من القرآن الكريم وقرائن علمية مدى صلاحية التقويم الهجري للاستخدام وأفضليته على بقية التقاويم الموجودة وقد جاء بالمقال .

التقويم الهجري
جزء أساسي من تكوين الشخصية الاسلامية

السنة القمرية والتي منها أخذ العرب تقويمهم الذي ارتبط بهم على مدى التاريخ ، ولقد زعم بعض المؤرخين أن العرب قبل الاسلام كانوا يستخدمون سنة قمرية شمسية ، ولكن المفسرين ورجال الحديث وعلماء اللغة قد أثبتوا أن العرب كانوا يستخدمون سنة قمرية مبهمة ، ولقد حقق العالم الكبير محمود حمدى الفلكي هذه النقطة وانتهى منها الى أن العرب لم يستخدموا قبل أن يبطل النبي صلى الله عليه وسلم نظام النسىء بقرن من الزمان غير التقويم القمري البحت وأن اليهود وليس العرب هم الذين استخدموا السنة القمرية والشمسية وذلك بنظام « الكبس » المعروف عندهم وهو اضافة شهر الى كل ثلاث سنين قمرية أو اضافة سبعة أشهر الى كل تسع عشرة سنة أو إضافة تسعة أشهر الى كل أربع وعشرين سنة وذلك حتى يوفقوا بين مسيرة التقويم القمري والتقويم الشمسي حتى اضطربت الأيام وتزحزحت الشهور عن أماكنها ولم تعد الشهور القمرية الى مكانها الصحيح من الزمن الا في السنة العاشرة من الهجرة النبوية . (أنظر التقويم العربي قبل الاسلام).

لكن العرب حينما استخدموا هذا التقويم لم يصبغوه بأساطيرهم ولم يلطخوه بخرافاتهم ولم يدنسوه بأسماء آلهتهم ولم يخضعوا عدة الشهور لأهوائهم وأمزجتهم كما فعل غيرهم بتقاويمهم ، وكل ما فعلوه هو أنهم عبثوا بحرمة الشهور ، وهو الأمر الذى عرف بالنسىء والذى قال الله فيه (إنما النسىء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله) وبابطال الاسلام لنظام النسىء أصبح التقويم العربي اصح التقاويم واقومها وأضبطها وأكثرها اعتمادا على السنن الكونية والالهية .

الاسلام والتقويم القمري

ومن هنا كان اعتماد الاسلام على هذا التقويم دون غيره من التقاويم الاخرى ، ويكفيه تزكية ان يقول الله فيه : (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » والاشهر الحرم نظام لا مثيل له في التقاويم الأخرى وهذا يعني أن التقويم العربي هو أقدم التقاويم على الاطلاق لسبب بسيط هو أنه يعتمد على رصد حركة القمر بالعين المجردة دون انتظار لتقدم علوم الفلك وعلوم الحساب ولهذا لم يذكر التاريخ أن هناك أي تعديل قد طرأ على التقويم العربي كما حدث في التقاويم الاخرى بعد أن يكتشفوا خطأ الحسابات القديمة ، ففي سنة ١٥٨٢م مثلا أصدر البابا جريجور الثالث عشر قرارا بأن يكون يوم الخامس من اكتوبر من هذا العام هو يوم الخامس عشر منه حتى يتلافى الكسور التي تراكمت طول هذه السنين بناء على الخطأ الحسابي الذي كان سائدا قبل ذلك التاريخ ، ولهذا يعرف التقويم الميلادي الحالي بأنه تقويم جريجورى ، ولم يثبت أن شيئا مثل هذا حدث في التقويم العربي ، أضف الى ذلك أنه ليست هناك قاعدة علمية يمكن الاعتماد عليها في تحديد بداية الشهور ونهايتها وعدة أيامها في التقويم النجمي والشمسي ، بينما ميلاد القمر في التقويم العربي هو الذي يحدد بداية الشهر كما يحدد عدد أيامه وهو أمر ليس للبشر سلطان عليه أما الخطأ الذى يحدث في تحديد بداية الشهر ــ وهو أمر وارد ــ فانه من النوع المتكافئ قريب المدى الذي يتلاقى تلقائيا بتعاقب الشهور وليس من النوع المتراكم بعيد المدى الذي يحدث اضطرابا في حساب الأيام والشهور على المدى الطويل كما في التقاويم الأخرى .

واذن فان اختيار الاسلام لهذا التقويم دون غيره لم يجئ بناء على رغبة شخصية من الرسول صلى الله عليه وسلم أو من عمر بن الخطاب الذى حدد بداية التقويم العربي الاسلامي بالهجرة النبوية ، ولقد صرف الله البشر عن تحديد بداية لحساب السنين القمرية قبل ذلك حتى ترتبط بهذا الحدث الكبير في تاريخ البشرية .

رجعة الى القرآن

واذا رجعنا الى القرآن الكريم لنتعرف على المنطلق الذى ينبغى ان ننطلق منه في عدد السنين وحسابها جاءتنا الآية الخامسة من سورة يونس لتحسم كل خلاف من هذه النقطة في صراحة ووضوح : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وفي سورة البقرة يتحدد الأساس العلمي الصحيح للتوقيت في قوله تعالى : (ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) مواقيت للناس في عبادتهم ومعاملاتهم ، هكذا فهم المسلمون الأولون ، وعلى هذا ساروا في جميع حساباتهم ، ومن يرجع الى صفحات التاريخ

الاسلامي يجد أن التقويم الهجري هو المسيطر على كل حسابات الافراد والجماعات ، فيه تعرف تواريخ الميلاد والوفاة ، وقيام دولة وسقوط أخرى ، وجلوس حاكم على العرش ونزول آخر منه ، وقيام حروب وفتح بلاد وعقد صلح ، وكل ما يتعلق بشئون الحياة جليلها وحقيرها ، كما نجده مستخدما في العبادات كلها من صيام وحج وزكاة وعدة طلاق أو وفاة ... الخ .

الاستعمار والتقويم الهجرى

وظل الحال على هذا حتى اصبح التاريخ الهجري جزءا أصيلا من الشخصية الاسلامية ، حتى جاء الاستعمار الغربي حاملا معه حضارته المسيحية بكل أسسها ومكوناتها ، والتاريخ الشمسى الميلادي جزء أساسي من هذه الحضارة على الرغم من تغلغل الأساطير الرومانية فيه ، ولما نجح الاستعمار في فرض حضارته على العالم الاسلامي أدخل معه التقويم الميلادي ليصبح جزءا أساسيا من نسيج الحياة اليومية في البلاد الاسلامية ، ولم يترك للتقويم الهجري الا زاوية صغيرة جدا من اهتمام الفرد المسلم حتى لم يعد يهمه من أمر هذا التقويم الا بداية شهر الصوم ونهايته وبداية شهر ذى الحجة ونهايته ، وحتى هذه الزاوية الصغيرة لعبت بها الاهواء السياسية والنزعات الفردية والجدل العقيم بين أنصار الرؤية البصرية وأنصار الحساب الفلكي العلمي والذي يتجدد كل عام دون إضافة علمية واحدة ودون محاولة لتقريب وجهات النظر التي يبدو أنها مختلفة (!!) ولم تتوقف الحضارة الغربية عند تثبيت التقويم الميلادي في حضارة البلاد الاسلامية ومستقبلها ولكنها أيضا حاولت أن ترجع بهذا التقويم القهقرى لتربطه بالأحداث الهامة في ماضي العالم الاسلامي ، فاجتهدت كثيرا في أن توفق بين التواريخ الهجرية للاحداث القديمة وبين التاريخ الميلادي لتلك الاحداث ، بل ان هناك من خطا خطوة اكبر من هذا ، فلقد أصدر جماعة من كبار العلماء الباحثين في هولندا « أطلس الشعوب الاسلامية » وجعلوا تواريخه كلها ميلادية (!!) رغبة منهم في أن يصبح التقويم الميلادي جزءا من التكوين الثقافي للمسلمين .

ان المسلمين اليوم اصبحوا - في ظل سيادة الحضارة الغربية المسيحية يمجدون آلهة الرومان الاسطورية عندما يحتفلون برأس السنة الميلادية احتفالا لا تكاد تفرق بينه وبين احتفالات الاوروبيين في نفس الليلة ، وأصبحوا يمجدون بعض قادة الرومان بترديد أسمائهم دون وعي بعد أن أصبحت جزءا من نسيج الشهور الشمسية ، وأصبحوا يمجدون الاساطير والخرافات وتحكم النزعات والاهواء حينما يعتمدون في تقويمهم على شهور لا يعرفون سببا لبدايتها ولا علة لنهايتها ولا مبررا لاختلاف عدد ايامها ، ومعنى هذا أنهم يطرحون المنهج العلمي السليم المستند الى ظواهر كونية ثابتة دقيقة وراء ظهورهم برغم ان الله زكى هذا

المنهج ودفعهم اليه وحثهم على التمسك به لا في حساب السنين وحده ولكن في كل شأن من شئون الحياة ، أقول معنى هذا أنهم يطرحون المنهج القويم ويتمسكون بمنهج لا سند له من العلم ولا من اليقين في كثير من جوانبه .
وأنه ليأخذك العجب حينما تسوق الاقدار حدثا كبيرا ليرتبط بالتاريخ الهجري فتنطلق الاقلام من مرابضها لتقاتل بشراسة كل من يربط بين هذا الحدث وبين التاريخ الهجري ، وأقرب مثال على نلك معارك العاشر من رمضان فلقد أراد المسلمون أن يضيفوها الى المعارك الاسلامية التي حدثت في رمضان المجيد بماله من روحانية وشفافية وقدسية ، كلنا يعرف الجهد الذي بنله بعض حملة الاقلام حتى ينتزعوا هذا الحدث من حضن هجرة المصطفى ويربطوه بعجلة ميلاد المسيح .

عودة الى التاريخ الهجري

ان العالم الاسلامي – وهو مقبل على القرن الخامس عشر الهجري – مطالب بأن يعود الى التاريخ الذي رضيه الله ورسوله لنا ، والذي ارتبطت به الأحداث الكبرى والصغرى في تاريخ الاسلام ، والذي ثبت أنه أنقى وأدق تقويم عرفته البشرية ، وهو مطالب كنلك بأن يربط بين الأحداث القريبة الماضية – وليست الحاضرة والمستقبلة فحسب – وبين التاريخ الهجري حتى تتسق حركة التاريخ الاسلامي منذ عصر الدعوة حتى الآن .
وربما يزعم الزاعمون ان طريقة تطبيق التقويم الهجري متعذرة لأسباب متعددة منها أن العالم اليوم لا يتعامل الا بالتقويم الميلادي ونحن جزء من هذا العالم ، وأن بداية الشهر القمري ونهايته أمر لا يمكن تحديده لفترات طويلة قادمة مما يسبب اضطرابا كبيرا في حركة سير الاحداث .
والرد على هذا أن التقويم الهجري ليس أمرا مستحدثا فهو تقويم كانت له السيادة ثلاثة عشر قرنا من الزمان ومازال هناك من يعض عليه بالنواجذ في العالم الاسلامي ، ومعنى هذا أنه لا مشكلة هناك وان العقبات المتصورة وهمية بحتة .
على أن اقامة مرصد اسلامي في مكة المكرمة – مركز العالم الاسلامي – أصبح مطلبا اسلاميا جماعيا واليه وحده يوكل أمر تحديد بداية الشهور العربية حتى نقضي على الخلافات المفتعلة بين المسلمين في بداية الشهور مما يترتب عليه فساد العبادة وهو امر لم يعد مقبولا من أي مسلم في أي مكان .
كما أن اصدار تقويم عربي اسلامي اصبح مطلبا ملحا لا يقبل الاعراض أو التسويف .
ويوم يصبح هذان المطلبان أمرا واقعا فان كل شبهة تثار حول هذا التقويم سوف تتوارى عن الانظار وتختفي في كهف مهجور خلف تخوم الظلام .

يخافون يقظة الاسلام

حذرت صحيفة « يديعونوت أحرونوت » الاسرائيلية من مغبة استفزاز الشعور الديني لدى المسلمين

ـ ان على وسائل الاعلام الاسرائيلي ان لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية اسرائيل في حربها مع العرب ، هذه الحقيقة هي اننا نجحنا بجهودنا وجهود اصدقائنا في إبعاد الاسلام عن معركتنا مع العرب ، ويجب ان يبقى الاسلام بعيدا عن المعركة ، ولهذا فيجب علينا أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع يقظة الروح الاسلامية بأي شكل ، وبأي اسلوب ، ولو اقتضى ذلك الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف في اخماد أي بادرة ليقظة الروح الاسلامية .

وإذا نجحنا في ذلك ، واذا فشلنا في اقناع اصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية في الوقت المناسب ، فان على اسرائيل ان تواجه حينذاك عدوا حقيقيا لا وهميا ، وهو عدو حرصنا على ان يبقى بعيدا عن المعركة ، وستجد اسرائيل نفسها في موضع حرج اذا نجح المتعصبون المسلمون في تحويل معركتنا ضد البلدان العربية ، الى معركة ضد (المجاهدين المتعصبين). اولئك الذين يعتقدون ان احدهم يدخل الجنة اذا قتل يهوديا او قتله يهودي ..

وزارة الاوقاف تحتفل بتخريج الدفعة الاولى من دارسي القرآن

احتفلت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هذا الشهر بتخريج الدفعة الاولى من دارسي القرآن الكريم حيث بلغ عدد الخريجين ١٣١ دارسا .

وقد قام السيد يوسف جاسم الحجي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بتوزيع الشهادات والجوائز على الخريجين في حفل رسمي حضره وكلاء الوزارة وكبار رجال الدين .

والجدير بالذكر ان عدد الطلاب المنتظمين في دراسة علوم القرآن الكريم حاليا يزيد عن ١٥٠٠ دارس ودارسة وذلك في المعاهد التي انشأتها الوزارة لهذا الغرض وتمشيا مع سياستها الرامية الي تنمية الوعي الديني لدى المواطنين وخلق المناخ المناسب لهم ليتزودوا بعلوم القرآن والسنة الشريفة بطريقة صحيحة ومنظمة وعلى يد المتخصصين من كبار العلماء في تفسير القرآن الكريم وتجويده ودراسة السيرة النبوية الشريفة .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأول	يناير	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٢٩	١١ ٥٥	١ ١٦	٦ ٣٨	٩ ٣٩	١ ٢٠	٥ ١٨	٦ ٣٩	١٢ ١	٣ ٢	٥ ٢٣	٦ ٤٣
الثلاثاء	٢	٣٠	٥٣	١٥	٣٨	٣٩	٢٠	١٧	٣٩	١	٣	٢٤	٤٤
الاربعاء	٣	٣١	٥٢	١٣	٣٧	٣٩	١٩	١٧	٣٨	١	٤	٢٥	٤٤
الخميس	٤	فبراير	٥١	١٢	٣٦	٣٩	١٩	١٦	٣٨	٢	٥	٢٥	٤٥
الجمعة	٥	٢	٥٠	١١	٣٦	٣٩	١٩	١٦	٣٧	٢	٥	٢٦	٤٦
السبت	٦	٣	٤٩	١٠	٣٥	٣٩	١٩	١٦	٣٧	٢	٦	٢٧	٤٦
الاحد	٧	٤	٤٧	٨	٣٤	٣٩	١٩	١٥	٣٦	٢	٧	٢٨	٤٧
الاثنين	٨	٥	٤٥	٧	٣٤	٣٨	١٩	١٥	٣٦	٢	٧	٢٩	٤٨
الثلاثاء	٩	٦	٤٤	٥	٣٢	٣٨	١٩	١٤	٣٥	٢	٨	٣٠	٤٩
الاربعاء	١٠	٧	٤٣	٤	٣٢	٣٨	١٩	١٢	٣٤	٢	٨	٣٠	٤٩
الخميس	١١	٨	٤١	٣	٣٢	٣٨	١٩	١٢	٣٤	٢	٩	٣١	٥٠
الجمعة	١٢	٩	٤٠	١	٣١	٣٨	١٩	١٢	٣٣	٢	١٠	٣٢	٥١
السبت	١٣	١٠	٣٨	١٢ ٥٩	٣٠	٣٧	١٨	١١	٣٢	٢	١٠	٣٣	٥١
الاحد	١٤	١١	٣٧	٥٨	٢٩	٣٧	١٨	١٠	٣١	٢	١١	٣٤	٥٢
الاثنين	١٥	١٢	٣٦	٥٧	٢٩	٣٧	١٨	١٠	٣١	٢	١١	٣٤	٥٣
الثلاثاء	١٦	١٣	٣٤	٥٥	٢٨	٣٧	١٨	٩	٣٠	٢	١٢	٣٥	٥٣
الاربعاء	١٧	١٤	٣٢	٥٣	٢٧	٣٦	١٨	٨	٢٩	٢	١٢	٣٦	٥٤
الخميس	١٨	١٥	٣٠	٥١	٢٦	٣٦	١٨	٧	٢٨	٢	١٣	٣٧	٥٥
الجمعة	١٩	١٦	٢٩	٤٩	٢٥	٣٦	١٨	٧	٢٧	٢	١٣	٣٨	٥٥
السبت	٢٠	١٧	٢٨	٤٨	٢٤	٣٦	١٨	٦	٢٦	٢	١٤	٣٨	٥٦
الاحد	٢١	١٨	٢٦	٤٧	٢٤	٣٥	١٨	٥	٢٦	٢	١٤	٣٩	٥٧
الاثنين	٢٢	١٩	٢٤	٤٥	٢٣	٣٥	١٨	٤	٢٥	٢	١٥	٤٠	٥٧
الثلاثاء	٢٣	٢٠	٢٢	٤٣	٢٢	٣٥	١٨	٣	٢٤	٢	١٥	٤١	٥٨
الاربعاء	٢٤	٢١	٢١	٤٢	٢١	٣٥	١٨	٢	٢٣	٢	١٦	٤١	٥٩
الخميس	٢٥	٢٢	٢٠	٤٠	٢٠	٣٤	١٧	٢	٢٢	٢	١٦	٤٢	٥٩
الجمعة	٢٦	٢٣	١٨	٣٨	١٩	٣٤	١٧	١	٢١	١	١٧	٤٣	٧ ٠٠
السبت	٢٧	٢٤	١٧	٣٧	١٩	٣٤	١٧	٠٠	٢٠	١	١٧	٤٣	١
الاحد	٢٨	٢٥	١٥	٣٥	١٨	٣٣	١٧	٤ ٥٩	١٩	١	١٧	٤٤	١
الاثنين	٢٩	٢٦	١٣	٣٣	١٧	٣٣	١٧	٥٨	١٨	١	١٨	٤٥	٢
الثلاثاء	٣٠	٢٧	١٢	٣٢	١٦	٣٣	١٧	٥٧	١٧	١	١٨	٤٦	٢

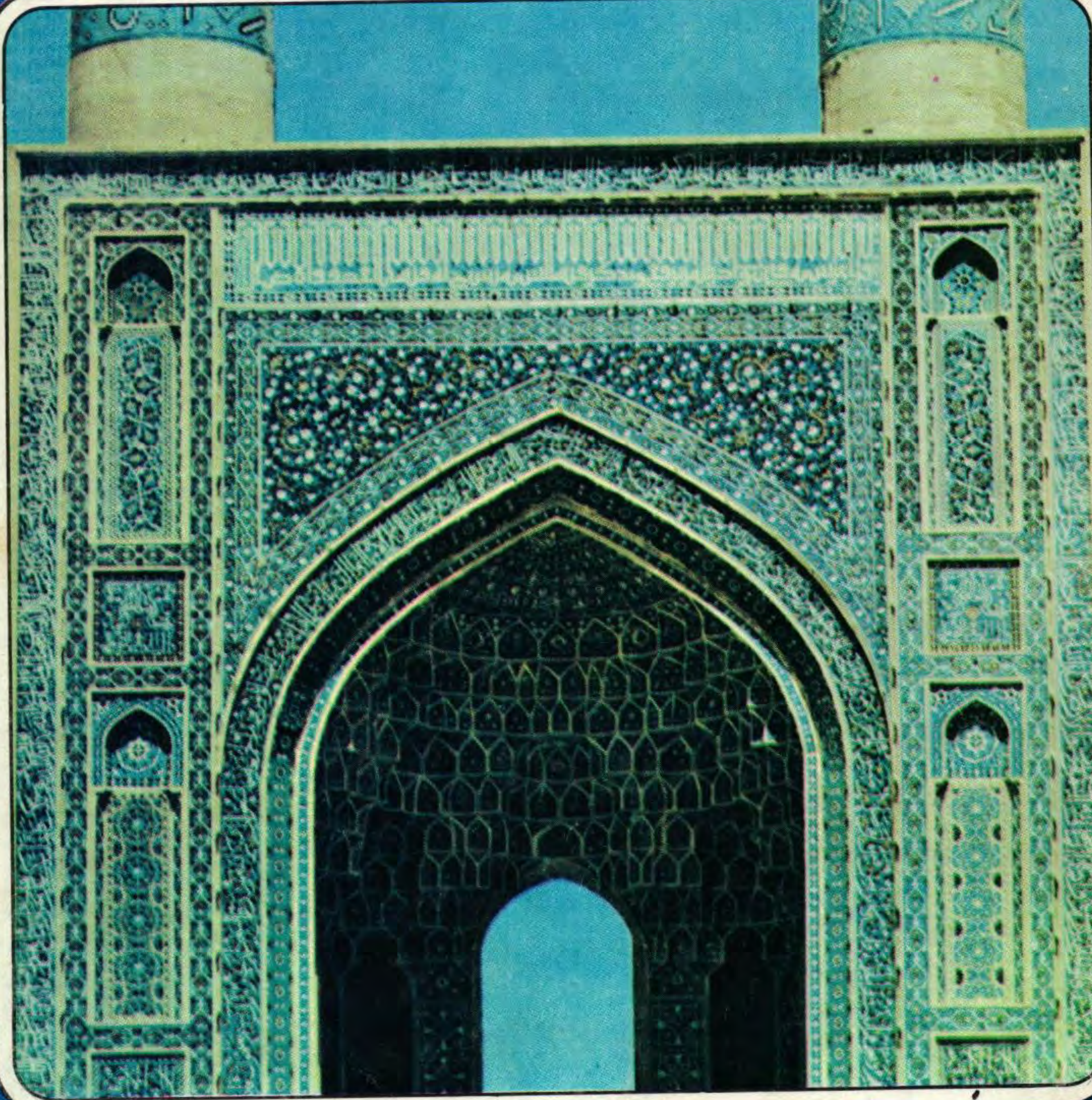
طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

لعدد : براعم الايمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٢ ○ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ ○ مارس ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

واجهة المسجد الجامع في يزد باواسط ايران ويرجع تاريخه الى القرن الرابع عشر ، وهو مثال رائع للزخرفة البديعة على المساجد . ويرى فوق الواجهة قاعدة المئذنتين اللتين تعتبران من أعلى المآذن في ايران .

انظر صفحة ٧٠

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٢ ○ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ ○ مارس ١٩٧٩ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

ماذا وراء العلمانية؟

إن للاسلام قوة ذاتية ، ومناعة ربانية وحصانة ، منحه إياها الله تبارك وتعالى الذي أكمله للناس ، وأتم عليهم به النعمة ، ورضيه لهم دينا ودستورا : (اليَومَ أكمَلتُ لكُم دِينَكُمْ وأتمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً) .

ولولا هذه المناعة ، وتلك القوة ، لتلاشى الاسلام ، وضاعت معالمه منذ أمد بعيد .. فكم تعرض هذا الدين لعواصف هوجاء ، وتيارات عنيفة ، وغارات حاقدة ، ومؤامرات خبيثة ، تلبس أقنعة مختلفة ، وتمارس أساليب بعضها خفي وبعضها ظاهر ولكن هدفها واحد ، وهو صرف الناس عن هذا الدين بتشويه وجهه الصبيح ، وإثارة الشكوك حول مبادئه وما يدعو اليه ، ومن تلك المؤامرات الخبيثة (العلمانية) .

فما هي العلمانية ؟ وما هي وسائلها وأهدافها ؟

لفظة (العلمانية) تحمل في طياتها الدعوة المغرضة ، والنية المدبرة ، التي تستهدف القضاء على الاسلام ودعوته .. إنها ستار يخفي معناها الأصلي وهو (اللادينية) كما يدل على ذلك نص الكلمة باللغة الانجليزية (Secularism) ونصها أيضا باللغة الفرنسية (Laique) . فهذان النصان يلتقيان عند معنى واحد هو : « اللادينية » ومعناها ، عزل الدين عن الحياة ، والاحتكام إلى ما شرع الناس لأنفسهم ، وما استحدثوا من نظريات علمية ، ونظم وضعية .

ومن هنا يتضح لنا جانب الخديعة في هذا التعبير « العلمانية » فهو يوحي بأن له صلة بالعلم والبحث عن المعرفة ، بينما حقيقته عكس ذلك تماما ، فقد استخدمت العلمانية ستارا لتقديم تفسيرات من صنع البشر لحركة الكون والحياة وموقف الانسان منها وتأثيرها على

قيام المجتمعات وتوجيهها ، والهدف من ذلك كله ، إحلال الطبيعة محل القدرة الالهية ، وإسناد الخلق وإبداع الكون ، إلى مجرد الصدفة ، وذلك حين التقت المواد الأولى لهذا العالم ، فتفاعلت على نحو برزت معه هذه الكائنات إلى ساحة الوجود ، وهذا أمر لا يقوله عاقل ! وان مما يدعو إلى العجب والأسف معا ، أن نرى أقواما نبغوا في علوم الحياة ، وأحسنوا تطبيق الحقائق العلمية . فداروا حول الأرض في لحظات ، واخترقوا الفضاء ، ووضعوا أقدامهم على سطح القمر ، ثم عادوا يقولون : (لا إله والحياة مادة) !!..

لقد استخدمت كل الانجازات المادية في حضارة الغرب للتمكين للنزعة العلمانية بدعوى أنها ـ وحدها ـ الطريق إلى القوة والسيادة .

والذي يعنينا أن نثبته هنا أن الفكرة العلمانية أثارت مشكلات وقامت بعمليات تخريبية في العالم الاسلامي . فهذه المدارس والجامعات (العلمانية) المنتشرة في كثير من بلدان العالم الاسلامي لها خطرها على أبناء المسلمين وهم كثرة في هذه المدارس والجامعات .. إنها تطرح شعارات زائفة تهدف الى عزل الدين عن الحياة ، وحبسه في دائرة العبادات ومراسم الزواج ، وقضايا النفقة والطلاق ولا شأن له بعد ذلك في شئون الحياة .. السياسية ، والاقتصادية ، والحربية .

والاسلام اوفى وأصلح منهج للحياة ، فهو دين ودنيا ، مسجد ومصنع ، صلاة وسعي ، وصفوف المصلين خلف الامام ، هم أنفسهم الجنود الأبطال خلف القائد في ساحة الجهاد .

فعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وفي كل مكان على سطح الكرة الأرضية أن يحذروا ما يدبر لهم وأن يدركوا أن القوى العالمية كلها (الشيوعية ـ الاستعمار ـ الحركات التنصيرية ـ الصهيونية) كلها قوى تتربص بهم الدوائر ، وتريد أن تعوق حركة الاسلام .

يا أمة الاسلام .. يا أمة القرآن .. اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وانبذوا ما بينكم من خلافات ، فانها التي أضاعت منكم أرضا إسلامية عزيزة (الأندلس ـ جزر البحر المتوسط ـ شرق أوروبا ـ آسيا الوسطى ـ بلاد الصين) . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

رئيس التحرير

أحمد البيومي

نزل به الرّوح الأمين

أما لماذا نزل به الروح الأمين ؟

فان القرآن وحى .. لكنه تميز عن غيره من الوحى .

فالوحى قد يكون بالرؤيا الصادقة ، كرؤيا ابراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه . وقد يكون كلاما بغير واسطة .. كما كلم الله موسى عليه السلام تكليما .

وقد يكون نفثا للملك في روعه كما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث النبوية . لكن القرآن كان وحيا ، عن طريق جبريل ، في يقظة لا في منام .

ـ كذلك تميز الوحى القرآنى عن ألوان أخرى تسمى وحيا لغة .

مثل إلهام الله سبحانه لبعض مخلوقاته : **(وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)** القصص/٧ . ومثل صور التوجيه الفطرى لبعض المخلوقات : **(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)** النحل/٦٨ .

وقد وصف الله سبحانه جبريل في هذه الآية بأنه « الروح الأمين » ووصفه في آيات اخرى بقوله : **(ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين)** التكوير/٢٠ و٢١ ووصفه في آية ثالثة بأنه : **(ذو مرة فاستوى)** النجم/٦ .

وقد كان نزول جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم إما بهيئته الأصلية أو في هيئة رجل .

أما كيف نزل به الروح الأمين ؟

فنقصد بالكيفية القرآن ..

وقد نزل منجما ، كما قيل بحدوث نسخ فيه .

لماذا نزل به الروح الأمين؟
كيف نزل به الروح الأمين؟
أين نزل به الروح الأمين؟

للدكتور : علي محمد جريشة

أما نزوله منجما فله أكثر من سبب .

فقد نزل على أمة أمية ونبى أمى ومن ثم كان لابد لاستيعابه من نزوله منجما : (**كذلك لنثبت به فؤادك**) الفرقان/٣٢ .

والاستيعاب لا يعنى فقط استيعاب الحفظ إنه يعنى كذلك استيعاب العمل ، وتغيير النفس من عاداتها الجاهلية الى نظام الاسلام .

كذلك في تنجيم القرآن درس للبشر ..

إن الطفرة لا تصلح لاصلاح الشعوب ، وإن الطفرة لا تربى رجالا ولا أجيالا .. ولكن لابد لتربية الرجال والأجيال من التنجيم والصبر ، وأن الطفرة إن استطاعت أن تبنى قصرا فانه قصر على غير أساس أو قصر من ورق لا يلبث أن تقصف به الأنواء أو تذروه الرياح .

وأخيرا .. فان في التنجيم أنسا لرسول الله صلى الله عليه وسلم باتصاله بالسماء بحبل موصول غير مقطوع ، يلبيه اذا ابهمت الأمور ، أو ادلهمت الحوادث !

أما النسخ :

وهو رفع الحكم بدليل شرعى متأخر

وقد قام عليه الدليل من قوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) البقرة/١٠٦ . وقرئت : ننسأها أى نؤخرها ونرجئها .

وتأكد بوقوعه .. كما في نسخ مصابرة المسلم بعشرة من الكفرة الى مصابرة الاثنين : (**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين**) الأنفال/٦٦ وكنسخ وجوب الصدقة

عن مناجاة الرسول عليه الصلاة والسلام . **(أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله)** المجادلة/١٣ .

وقد كذبت يهود دعوى النسخ ، وصولا الى القول بأن شريعتهم لم تنسخ لا بشريعة عيسى ولا بشريعة محمد عليهما السلام ، فكانت الآيات السابقة ردا عليهم ، وأثاروا كذلك : ولم النسخ ؟ كما أثارها غيرهم .. فكان رد العليم الخبير .

(ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) البقرة/١٠٦ .

(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) البقرة/١٠٧ .

ومالك الملك كما أن له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء .

فله كذلك ان يتصرف في أمره كيف يشاء .. ليختبر مدى التزام عبيده بطاعة أمره ثم ليصل سبحانه بنسخ الأوامر الى اكتمال التشريع : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة/٣ . وبنزول هذه الآية امتنع أى نسخ وأى تعديل في كتاب الله : **(لا تبديل لكلمات الله)** يونس/٦٤ .

والنسخ أنواع :

أ ـ نسخ الحكم والتلاوة :

وقد قيلت فيه روايات كثيرة ، فقيل في سورة الأحزاب إنها كانت مثل سورة البقرة طولا أى حوالى مائتى آية ثم انتهت الى ثلاث وسبعين .

وقيل .. إنه كان موجودا في القرآن هذه الآيات ثم نسخت « اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ونشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك بالكفار ملحق » .

وهذا النوع على فرض وقوعه لم يعد للحديث فيه فائدة عملية ، فالقرآن هو ما وصل إلينا متواترا بنقل الكافة عن الكافة ، ولا عبرة بعد ذلك بما نسخ حكما وتلاوة .

(ب) نسخ التلاوة مع بقاء الحكم :

والمثل له الآية : « إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » وفي رواية أخرى : « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة ».

ولنا على هذا النص الملاحظات الآتية :ــ

١ ــ أنه وإن ورد في الصحيح عن عمر ابن الخطاب . الا ان الاجماع على أن القرآن ما نقل بالتواتر ، واذا كان هذا رواية آحاد فلا يسلم به كقرآن .

٢ ــ إن هذا الحكم ثابت بالسنة العملية المتواترة فيما نفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ماعز والغامدية ، وهذه وحدها كافية لثبوت

الحكم بغير الحاجة الى القول بأنه كان موجودا ونسخ تلاوة وبقى حكما .

٣ ـ إن القائلين بهذا اللون من النسخ لم يقدموا مثلا آخر .. واذا كان هذا المثل يجرحه انه ورد برواية الآحاد والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، كما أننا لسنا بحاجة الى إثبات هذا الحكم عن هذا الطريق اذ ثبت بالسنة المتواترة . لما كان ذلك فاننا نتساءل بعد ذلك .. ما قيمة هذا اللون من النسخ ؟ ولم كان ؟ ولا نجد ـ حتى الآن ـ حكمة له .. والله أعلم .

(جـ) نسخ الحكم مع بقاء التلاوة :

والمثل عليها ما قدمنا في صدر هذا الحديث من آية المصابرة وآية الصدقة .. وفي هذا النوع نسوق ما يلي :ـ

١ ـ هناك من وسع في فهم معنى النسخ فجعل منه تقييد المطلق ، وتخصيص العام ، وبيان المجمل ، وهناك من رفض فكرة النسخ نهائيا احتجاجا بأن القول يعنى أن تشريعات الله فيها تناقض يرفع عن طريق النسخ .

وكلا الطرفين ـ في رأينا ـ متطرف والخير في الوسط بينهما ، فلا نعد من النسخ ما كان تخصيصا أو تقييدا لمطلق أو بيانا لمجمل .. لأن الحكم الأصلى في هذه الحالات جميعا باق . كذلك ليس صحيحا ما قيل سببا لرفض النسخ ، لأن النسخ لا يعنى تناقض التشريع ولكن يعنى تدرجه وعدم طفرته علاجا لأدواء المجتمع ، والواقع يؤيد وقوع النسخ والأدلة كذلك .

(٢) النسخ لم يقع في قواعد كلية

فلم يقع في مجال العقيدة والايمان ولا في الأصول العامة التى انبنت عليها الشريعة ، وإنما كان قاصرا على بعض الأحكام الفرعية ، وفي هذا ما يطمئن الحريصين على الشريعة .

(٣) إن كثيرا مما قيل بوقوع النسخ فيه لم يقع فيه نسخ .

وإنما هو تعارض ظاهرى يمكن التوفيق فيه بين ما قيل بأنه ناسخ وما قيل بأنه منسوخ والتوفيق أولى من القول بالنسخ ، فلا يلجأ للأخير إلا عند تعذر الأول .

هذه كلمات سريعة عن النسخ ، ومن قبلها كانت كلمات عن تنجيم القرآن ، بينا بهما كيف نزل به الروح الأمين .

بقي السؤال الأخير :

أين نزل به الروح الأمين ؟

والاجابة السريعة .. نزل به في مكة والمدينة أو فيما بينهما .

لكن القصد بهذا السؤال هو الحديث عن القرآن المكى والمدنى من ناحية سماته ثم من ناحية : هل يقبل الآن التفرقة بين القرآنين ، والقول بالعمل بأحدهما دون الآخر .

أما عن الشق الأول وهو سمات القرآن المكى والمدنى .

ففيهما سمات شكلية وأخرى موضوعية .

أما السمات الشكلية

١ ـ فبينما اتسمت آيات القـرآن المكى وسوره ـ عدا سورتى الأنعام والأعراف ـ اتسمت بالقصر لحاجة الناس الى القرع السريع المتلاحق كى يفيقوا مما هم فيه بينما اتسمت آيات القرآن المدنى بالطول واتسمت سور منـه كذلك بالطـول .. والسـور الطـوال ـ فيمـا عدا الأنعـام والأعراف ـ كلها مدنية .

٢ ـ بينما كان الخطاب في الفترة المكية بألفاظ الردع والزجر (كلا) كما تميزت بالسجدات ففي القرآن كله خمس عشرة سجدة ، ثلاث عشرة متفق على أنها بمكة واثنتان مختلف حولهما بين مكة والمدنية .

وقد كان الردع ثم السجدات كسرا لكبرياء قريش وما حولها لتخرج عن جاهليتها وعنجهيتها الى العبودية لله رب العالمين ، والسجـود وإن كان حركة مادية إلا أنها تجعل أنـف العربي في الرغام ، ومن ثم فهى تؤدى الى أمر معنوى مقصود هو تطامن هذه النفس وخضوعها لله رب العالمين .

كذلك تؤدى كلمات الردع والزجر نفس الهدف وتحقق نفس الغاية !

٣ ـ الحروف الهجائية الـواردة في أوائل السور نزل أكثرها في مكة ، وما نزل بالمدينة إلا ما تقدم سورة البقرة وآل عمران والرعـد والعنكبـوت ، واختيارا مما قيل في حكمـة هذه الحروف فان اختيار القول بأنها تحد للعرب أن يأتوا بمثل هذا القـران وحروفه هى نفس حروفهـم التـي ينطقونها ، والتـي بلغـوا بهـا في الفصاحة شأوا كبيرا ، هذا الاختيار يكون مناسبا لفترة مكة .

كذلك اختيـار القـول بأن هذه الحروف لشد انتباه العرب عند سماع القرآن يناسب كذلك الفترة المكية اذ كانوا يلجأون الى وضع أصابعهم في آذانهم والى التشويش على القـرآن حتى لا يسمعوه خوفا من تأثرهم به .

وقيل أخيرا في السمات الشكلية إن ضرب الامثال وسرد القصص كثر في القرآن المكى باعتبار أن مرحلة مكة كانت مرحلة تربية ، وضرب الامثال وسرد القصص من انجـع وانجـح وسائـل التربيـة : **(لقـد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمـة لقـوم يؤمنـون)** يوسف/١١١ .

هذا من ناحية الشكل .

أما من حيث الموضوع .

(١) فقد اختلفت أولا موضوعات الفترة المكية عن موضوعات الفترة المدنية .

والفترة الأولى كان هناك تركيز على العقيدة والايمان ، وهو ما أشارت اليه عائشة رضى الله عنها « كان أول ما نزل من القرآن سور من المفصل فيه ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس الى الاسـلام نزل الحـلال والحرام .. » رواه البخارى .

(٢) لكننا نضيف أن كل أسس القرآن في كل جانب نزلت منذ مكة . فأساس التشريع الذى نزل مفصلا في المدينة كان في مكة ، حين رد القرآن

الناس الى حقيقة ايمانية وأساس عقدى : **(إن الحكم إلا لله)** يوسف/٤٠ . وربطه بالايمان والعقيدة في اكثر من موضوع ثم أكد ذلك في المدينة : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)** النساء/٦٥ .

ثم كان التفريع على هذا الأساس بعد ذلك ــ وأساس الجهاد الذى نزلت أحكامه مفصلة بالمدينة ، كان فيما أرسى القرآن في مكة من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وأعرف المعروف هو الايمان ، وأنكر المنكر هو الكفر ، وتغييره باليد هو الجهاد ، وهو ما أذن به في المدينة ، ولم يكن مأذونا به من قبل ، وأساس القصاص الذى نزلت أحكامه في المدينة تقرر في مكة في قول الله تعالى : **(وجزاء سيئة سيئة مثلها)** الشورى/٤٠ .

وأساس ما جاء العقاب عليه بالمدينة حرم في مكة ، ثم جرم بالعقاب عليه في المدينة ، فالقتل والزنى ،.. الخ كان النهى عنه في مكة .. ثم كان تجريمه وعقابه بالمدينة بعد ذلك .. وهكذا .

وعلى ذلك فان ما ظهر في المدينة هو بلغة القانونيين « الجزاء » وليس أصل التجريم الذى توافر بالتحريم منذ مكة .

ولم يجد من موضوعات في المدينة الا القليل مثل الحديث عن المنافقين ، وأهل الكتاب إذ ظهر الأولون مع بسط سلطان الدولة ، فأظهروا الايمان وأبطنوا الكفر خوفا من سلطان الدولة ، ووجد الآخرون في المدينة وحولها .. ومن ثم نزلت الآيات تنظم وتكشف أمر أولئك وهؤلاء .

هل تقبل التفرقة الآن بين القرآنين ؟

قد تثور دعوى التفرقة بين القرآن المكى والقرآن المدنى بمقولة أن الأمة الاسلامية قد ارتدت الى حالة قريبة من الجاهلية الأولى ، ومن ثم وجب إعمال القرآن المكى والاقتصار عليه حتى ننتهى من فترة التربية ثم نطبق بعد ذلك القرآن المدنى .

هذا قول قد يصاحبه حسن النية .

وقد تكون الدعوة ذات أساس آخر .. إن تطبيق الشريعة الاسلامية الآن يقتضى التمهيد أولا بالاصلاح عن طريق القرآن المكى ، ثم تؤجل الأحكام الى أن ننتهى أولا من فترة الاصلاح .

وهذا قول قد يشوبه سوء النية .

وأما أن القول الأول قد يصاحبه حسن النية فمرجع ذلك الى أن أصحابه ــ عادة ــ من الغيورين على الدين ، الراغبين في وضع أساس عقدى متين قبل المضى في سائر الأحكام .

وأما أن القول الثانى قد يشوبه سوء النية ، فمرجع ذلك الى أن أصحابه من المعطلين لحدود الله الرافضين لشريعته ، وهم يبررون ذلك التعطيل وهذا الرفض بأن المجتمع غير متقبل لحكم الشريعة الآن .

فضلا عن أنهم بهذا يتهمون المجتمع « بالجاهلية » و « الكفر » إذ يشبهونه بالمجتمع الجاهلى الأول ،

وهم بهذا ـ من حيث يشعرون أو لا يشعرون ـ يقعون فيما ينكرونه على غيرهم !!

والدعوة عندنـا ـ مع اختـلاف الأساس ـ مرفوضة .

أولا : لأن هذا التقسيم قد نسـخ بالترتيب الأخير للقرآن ، وهو ترتيب توقيفى لم يجر وفقا لمكان النزول ، بل تجمع السورة الواحدة وأحيانا الربع الواحد بين ما هو مكى وما هو مدنى .

وفي العودة الى التقسيـم المكى والمدنى اعتراض على ترتيب الله لا يجوز .

ثانيا : أنه قريب الشبه بأمر التدرج في التشريع الذى حدث بالنسبة لبعض الأمور مثل تحريم الخمر .

فبالرغم من أن تحريم الخمر مر بمراحل بدأت بالاشارة « **تتخذون منـه سكرا ورزقـا حسنـا** » النحل/٦٧ .

فجمعت بـين الـرزق الحسـن والسكر .

ثم انتقل الأمر بعد ذلك الى النهى عنها وقت الصلاة :

(ولا تقربـوا الصـلاة وأنتـم سكارى) النساء/٤٣ .

مما قد يوهم بحلها في غير وقـت الصلاة .

ثم انتقل الأمر بعد ذلك الى الاشارة الى أن فيها منافع وإثما كبيرا ، وأن إثمها أكبر من نفعها :

(يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافـع للنـاس وإثمهمـا أكبـر من نفعهمـا) البقرة/٢١٩ .

وفهم الفاقهون منها التحريم متى زاد إثمها على نفعها .

ثم جاء الحسم بعد ذلك :

(إنما الخمر والميسر والأنصـاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبـوه لعلـكم تفلحـون) المائدة/٩٠ .

وكان فيها إشارات بل تصريحـات ثلاثة .

- إنها رجس .
- إنها من عمل الشيطان .
- الأمر الصريح بالاجتناب ، وهو أقوى من مجرد النهى لأنه يعنـى تحريم مجرد الاقتراب وليس فقـط المقارفة .

كما قال سبحانه في الزنى : **(ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيـلا)** الاسراء/٣٢ . فحـرم الاقتراب من الزنـى . ابتـداء من النظرة الآثمة ، الى البسمة الخائنة ، الى الكلمة الخبيثـة ، الى الخلـوة المحرمة ، لأنها كلها خطوات تقرب من الزنى ، والزنى فاحشة وسـاء سبيلا .

... فهل يمكن أن يقول قائل : إننا إذا أردنا تحريم الخمر وجب أن نعود الى هذه المراحل . فنحرم السكر وقت الصلاة ونحله في غير الصلاة !،

كما تفعل بعض الدول التى تدعى الاسلام فتحرم الخمر في رمضان وفي المواسم الدينية وتعطـى التصريـح الرسمى به في غير هذه الأوقات !!

ثم بعد فترة نعلن أن في الخمر

منافع للناس ، لكن فيها إثما كبيرا غير المنافع ..! فيأخذ الناس الأولى ويدعون الثانية !! ثم بعد فترة – لا ندرى كيف نحددها – نعلن تحريم الخمر !

إن مثل هذا القول المتهافت يتفق مع منطق أصحاب التطبيق المكى دون المدنى !!!

ثالثا : وقريبا من هذا المنطق المتهافت أن يقول مسلم دخل الاسلام على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة ... دعنى اقضى ثلاثة عشر عاما أولا أتعلم العقيدة والأخلاق . ولا أصلى !. ولا أصوم !. ولا أحج !. ولا أجاهد !.

تماما كما يزعم بعض أبناء عصرنا « النكد » أو بلدنا « النكد » بأن المجتمع الآن لا يتقبل أحكام الاسلام !.

رابعا : أن بعض الذين يرون التفرقة بين ما هو مدنى وما هو مكى ليحكموا على المدنى بالتأجيل الى أجل غير مسمى – بعض هؤلاء ممن يحكمون أو ينطقون بلسان الحاكمين . بقولهم هذا يحكمون على المجتمع بالكفر من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

فان القول بالابتداء بالقرآن المكى دفع للمجتمع بالارتداد ، لأن القرآن المكي لم ينزل إلا على أهل مكة قبل أن يسلموا ، أما القرآن المدني فنزل على المسلمين بالمدينة بعد أن أسلموا !

والعجيب أن هؤلاء ينعون على بعض الشباب المغالاة والتطرف لأنهم يصفون المجتمع بالكفر والارتداد !.

(على قلبك لتكون من المنذرين)

في هذه الخصيصة إشارتان هامتان أولهما : إشارة الى القلب كوعاء لهذا القرآن .

وثانيهما : إشارة الى وظيفة القرآن « لتكون من المنذرين ».

فأما الاشارة الأولى :

فقد ورد ذكر القلب في القرآن بالمعنى المعروف للعقل وهو مركز التفكير ، كما ورد ذكر القلب بمعنى مركز العواطف والشعور .

وكلاهما مطلوب أن يكون وعاء للقرآن .

والقرآن حرص على اللونين من الخطاب ، خطاب الفكر ، وخطاب العاطفة .

وباصلاح المركزين ينصلح كل شئ باذن الله : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » البخارى .

والاقتصار على معنى واحد للقلب .. يفسد التربية ويفسد الاصلاح .

والاقتصار على إصلاح الفكر دون مركز الشعور يفسد .

والاقتصار على إصلاح الشعور دون الفكر يفسد كذلك .

والقرآن هداية لهذا وذاك : **(قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)** يونس/٥٧ .

وأما الاشارة الثانية لتكون من المنذرين .

فهي إشارة هامة الى أن هذا

القرآن ما جاء فقط ليتلى ويتعبد به ، بل ليكون إنذارا للناس أن يتبعوه ويتحاكموا اليه وإلا حق عليهم القول وصح فيهم العقاب .

والآيات المؤكدة لهذا المعنى كثيرة : **(بلسان عربى مبين)** الشعراء/ ١٩٥

فالقرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين .

لأن الله سبحانه يقول : « **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ». ابراهيم/٤ ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم عربيا وأرسل الى العرب خاصة والى الناس كافة . ولقد كانت الأمة العربية أقرب الأمم الى الفطرة لم تفسدها المدنية ولم تطمس فطرتها ترف الحضارات المادية !.

ومن ناحية أخرى كانت اللغة العربية أعرق لغة !

وما ليس بلسان عربى ليس بقرآن .

فالترجمات ليست قرآنا ومن ثم قلنا انه لا ينبغى ترجمة ألفاظ القرآن ، وإن جاز ترجمة معانيه لأنه لا توجد لغة تستطيع أن تكون وفية بالمعانى التى حملتها الفاظ القرآن العربية ، ولا أن تبلغ قدرها في الفصاحة والبلاغة والاعجاز .

والالفاظ غير العربية التى توجد في القرآن لا تؤثر على عربية القرآن ، لأنها قليلة بالنسبة لمساحة القرآن الكبيرة ، ولأنها صارت بالاستعمال عربية .

وهذا ما نختاره من بين أقوال العلماء الذين ذهب بعضهم الى حد إنكار وجود ألفاظ غير عربية لقول الله سبحانه : **(بلسان عربى مبين)** الشعراء/ ١٩٥ . وقوله : **(ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى)** فصلت/ ٤٤ .

وذهب البعض الآخر الى القول بأنها ألفاظ مشتركة بين العرب وغيرهم من فرس أوروم أو أحباش .

ولا محل للرأى الأول ــ فيما نرى ــ! ولا تؤثر ألفاظ قليلة على عربية القرآن . أما استنكار الآية الكريمة أأعجمى وعربى ، فتفسيرها ــ فيما نحسب والله أعلم ــ أنه استنكار أن يكون القرآن أعجميا والمرسل اليهم عرب لأنه يتفق مع سياق الآية في مقدمتها .

أما القول بأنها مشتركة فيصح باعتبار أنها باستعمالها صارت عربية ، وهى في الوقت نفسه ذات أصل أجنبي ومن ثم كانت مشتركة بين اللغتين .

وبعد

فتلك كانت بعض خصائص القرآن أخذناها من قول الله سبحانه :

(وإنه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الأمين .
على قلبك لتكون من المنذرين .
بلسان عربى مبين .)
الشعراء/ ١٩٢ ــ ١٩٥ .

والله نسأله التوفيق والحمدلله رب العالمين

من وحي النبوة

الدفاع عن الإسلام

للشيخ : أحمد عبد الواحد البسيوني

عن عبدِ الله بن عمرَ رضى الله تعالى عنهما أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسَلَّمَ قال : « أُمِرتُ أَنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتىَّ يَشْهَدوا أَنْ لَا إلهَ إلا الله ، وأنَّ محمدًا رَسُولُ اللهِ ، ويُقيمُوا الصَّلاةَ ، ويُؤتوا الزَّكَاةَ ، فإذَا فَعَلوا ذلِكَ ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأموالَهُمْ ، إلا بِحقِّ الإسْلام ، وحِسَابُهُم على اللهِ تعالَى » رواه البخارى ومسلَم .

هذا الحديث خرجاه في الصحيحين ، من رواية واقد بن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده عبد الله بن عمر . وقوله « الا بحق الاسلام » هذه اللفظة تفرد بها البخارى دون مسلم . وقد روى معنى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة ، ففي صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أمرت أن أقاتل الناس – يعني المشركين – حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فاذا شهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وصلوا صلاتنا ، واستقبلوا قبلتنا ، وأكلوا ذبيحتنا ، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها » .

وخرج الامام أحمد ، من حديث معاذ بن جبل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك ، فقد اعتصموا أو عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » وخرجه ابن ماجه مختصرا ، وخرج نحوه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أيضا ، ولكن المشهور من رواية أبى هريرة ، ليس فيه ذكر إقام الصلاة ولا إيتاء الزكاة ، ففي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله ، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها ، وحسابه على الله عز وجل » . وفي رواية لمسلم « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به » .

وخرجه مسلم أيضا من حديث جابر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله وسلم بلفظ حديث أبى هريرة الأول وزاد في آخره ثم قرأ : **(فذكر إنما أنت مذكر)** الغاشية/٢١ . وخرجه أيضا من حديث أبى مالك الأشجعي عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم الله دمه وماله ، وحسابه على الله عز وجل » . ثم قوله : « عصموا مني دماءهم وأموالهم » يدل على أنه كان عند هذا القول مأمورا بالقتال وبقتل من أبى الاسلام ، وهذا كله بعد هجرته إلى المدينة ، ومن المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الاسلام ، الشهادتين فقط ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلما ، فقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال لا إله إلا الله لما رفع عليه السيف واشتد نكيره عليه .

وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذا لما بعثه إلى اليمن ، أن يدعوهم أولا إلى الشهادتين وقال : « إن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم بالصلاة ثم بالزكاة » . ومراده أن من صار مسلما بدخوله في الاسلام ، أمر بعد ذلك باقام الصلاة ، ثم بايتاء الزكاة ، وكان من سأله عن الاسلام يذكر له مع الشهادتين بقية أركان الاسلام ، كما قال لجبريل – عليه الصلاة والسلام – لما سأله عن الاسلام ، وكما قال للأعرابي الذي جاءه ثائر الرأس يسأله عن الاسلام . وبهذا الذي قررناه ، يظهر

الجمع بين ألفاظ أحاديث هذا الباب ، ويتبين أن كلها حق ، فان كلمتي الشهادتين بمجردهما ، تعصم من أتى بهما ، ويصير بذلك مسلما ، فاذا دخل في الاسلام فان أقام الصلاة وآتى الزكاة وقام بشرائع الاسلام ، فلـــه ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، وان أخل بشي من هذه الأركـــان ، فان كانوا جماعة لهم منعة ، قوتلوا .

وقد ظن بعضهم ، أن معنى الحديث ، أن الكافر يقاتل حتى يأتي بالشهادتين ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ، وجعلوا ذلك حجة على خطاب الـكفار بالفروع ، وفي هذا نظر ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار تدل على خلاف هذا .

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلـم دعا عليا يوم خيبر ، فأعطاه الـراية وقال : « امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، فسار على شيئا ، ثم وقف فصرخ : يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ فقال : قاتلهم على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك ، فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » . فجعل مجرد الاجابة إلى الشهادتين ، عصمة للنفوس والأموال إلا بحقها ، ومن حقها الامتناع عن الصلاة والزكاة بعد الدخول في الاسلام كما فهمه الصحابة رضى الله عنهم . ومما يدل على قتال الجماعة المتنعين عن اقام الصلاة وإيتاء الزكاة من القرآن قوله تعالى : **(فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)** التوبة/ ٥ .

وقوله تعالى : **(فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الـــدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون)** التوبة/ ١١ ، وقولـــه : **(وقاتلوهم حتى لا تكـــون فتنة ويكـــون الـــدين كلـــه لله)** الأنفال/ ٣٩ . وقوله تعالى : **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الـــدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)** البينة/ ٥ . وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا غزا قوما ، لم يغر عليهم حتى يصبح ، فان سمع أذانا ، وإلا أغار عليهم ، مع احتمال أن يكونوا قد دخلوا في الاسلام ، وكـــان يوصي سراياه « إن سمعتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا فلا تقتلوا أحدا » . وقد بعث عيينة بن حصن إلى قوم من بني العنبر فأغار عليهم ولم يسمع أذانا . ثم ادعوا أنهم قد أسلموا قبل ذلك .

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان كتابا فيه : « من محمد النبي إلى أهل عمان ، سلام عليكم ، أما بعد : فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، وأدوا الزكـــاة ، وخطوا المساجد ، وإلا غزوتكم » خرجه البزار والـطبراني وغيرهما ، فهذا كله يدل على أنه كان يعتبر حال الداخلين في الاسلام ، فان

أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وإلا لم يمتنع عن قتالهم ، وفي هذا وقع تناظر أبى بكر وعمر رضي الله عنهما كما في الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر رضي الله عنه لأبى بكر الصديق : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله ، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله عز وجل ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلـــم لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » فأبو بكر رضي الله عنه أخذ قتالهم من قوله « الا بحقه » فدل على أن قتال من أتى بالشهادتين جائز . ومن حقه أداء حق المال الواجب ، وعمر رضي الله عنه ظن أن مجرد الاتيان بالشهادتين يعصم الدم في الـدنيا تمسكا بعموم أول الحديث كما ظن طائفة من المسلمين أن من أتى بالشهادتين امتنع من دخول النار في الآخرة ، تمسكا بعموم ألفاظ وردت ، وليس الأمر على ذلك ، ثم ان عمر رجع إلى موافقة الامام أبى بكر رضي الله عنه .

وقد خرج النسائي قصة تناظر أبى بكر وعمر رضي الله عنهما بزيادة : وهي أن أبا بكر قال لعمر : إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكـــاة » وخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، ولكن هذه الرواية خطأ أخطأ فيها عمران القطان اسنادا ومتنا ، قاله أئمة الحفاظ : منهم على بن المديني وأبو زرعة وأبو حاتم والترمذي والنسائي ، ولم يكن هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ عند أبى بكر ولا عمر ، وإنما قال أبو بكـــر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، وهذا أخذه والله أعلم من قوله في الحديث « إلا بحقها » وفي رواية « إلا بحق الاسلام » فجعل من حق الاسلام إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، كما أن من حقه أن لا ترتكب الحدود ، وجعل كل ذلك مما استثنى بقوله « إلا بحقها » . وقوله : « لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال » يدل على أن من ترك الصلاة فانه يقاتل ، لأنها حق البدن ، فكذلك من ترك الزكاة التي هي حق المال .

وفي هذا إشارة إلى أن قتال تارك الصلاة ، أمر مجمع عليه ، لأنه جعله أصلا مقيسا عليه ، وليس هو مذكورا في الحديث الذي احتج به عمر رضي الله عنه ، وأنه أخذ من قوله « الا بحقها » فكذلك الزكاة ، لأنها من

حقها ، وكل ذلك من حقوق الاسلام . ويستدل أيضا على القتال على ترك الصلاة ، بما في صحيح مسلم عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يستعمل عليكـــم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد بريء ، ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع ، فقالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما صلوا » . وحكم من ترك سائر أركان الاسلام ان يقاتلوا عليها ، كما يقاتلون على ترك الصلاة والزكاة .

وروى ابن شهاب عن حنظلة بن على ابن الأسقع أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه وأمره ان يقاتل الناس على خمس ، فمن ترك واحدة من الخمس ، فقاتلهم عليها ، كما تقاتل على الخمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكـــاة ، وصوم رمضان . وقال سعيد بن جبير : قال عمر بن الخطاب : لو أن الناس تركوا الحج لقاتلناهم عليه ، كما نقاتلهم على الصلاة والزكاة ، فهذا الكلام في قتال الطائفة المتنعة عن شيء من هذه الواجبات . وأما قتل الواحد الممتنع عنها ، فأكثر العلماء على انه يقتل الممتنع عن الصلاة ، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبى عبيد وغيرهم . ويدل على ذلك ما في الصحيحين عن أبى سعيد الخدري : أن خالد بن الوليد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل رجل فقال : « لا ، لعله أن يكون يصلي » فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لم أومر ان أنقب عن قلـــوب الناس ولا اشق بطونهم » .

وفي المسند للامام احمد رحمه الله عن عبيد الله بن عدى بن الخيار ان رجلا من الأنصار حدثه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في قتل رجل من المنافقين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بلى ولا شهادة له ، قال : « أليس يصلى ؟ » قال : بلى ولا صلاة له ، قال : « أولئك الذين نهانا الله عن قتلهم » .

وأما قتل المتنع عن اداء الزكاة ، ففيه قولان لمن قال يقتل الممتنع من فعل الصلاة : أحدهما يقتل ايضا وهو المشهور عن أحمد رحمه الله ، ويستدل له بحديث ابن عمر هذا . والثاني لا يقتل ، وهو قول مالك والشافعي وأحمد في رواية . وأما الصوم ، فقال مالك وأحمد في رواية عنه : يقتل بتركه ، وقال الشافعي وأحمد في رواية : لا يقتل بذلك ، ويستدل له بحديث ابن عمر وغيره مما في معناه ، فانه ليس في شيء منها ذكر الصوم ، ولهذا قال أحمد في رواية ابى طالـــب : الصوم لم يجى فيه شيء . قلت : وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا وموقوفا : أن من ترك الشهادتين ، او الصلاة أو الصيام ، فهو كافر حلال الدم بخلاف الزكاة والحج . واما الحج فعن أحمد

رحمه الله في القتل بتركه روايتان ، وحمل بعض أصحابنا رواية قتله على من أخره عازما على تركه بالكلية ، أو أخره وغلب على ظنه الموت في عامه ، وأما إن أخره معتقدا أنه على التراخي كما يقوله كثير من العلماء ، فلا قتل بذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الا بحقها » وفي رواية « الا بحق الاسلام » قد سبق ان أبا بكر أدخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة ، وأن من العلماء من أدخل فيه فعل الصيام والحج أيضا . ومن حقها ارتكاب ما يبيح دم المسلم من المحرمات ، وقد ورد تفسير حقها بذلك . خرجه الطبراني وابن جرير الطبري من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل . قيل : وما حقها ؟ قال : زنا بعد إحصان ، وكفر بعد إيمان ، وقتل نفس ، فيقتل به » ولعل آخره من قول أنس . وقد قيل : إن الصواب وقف الحديث كله عليه ، ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا إله إلا الله ، وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « وحسابهم على الله عز وجل » يعني ان الشهادتين مع إقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا الا ان يأتي ما يبيح دمه . وأما الآخرة فحسابه على الله عز وجل ، فان كان صادقا ادخله الله بذلك الجنة ، وان كان كاذبا فانه من جملة المنافقين في الدرك الاسفل من النار . وقد تقدم ان في بعض الروايات في صحيح مسلم ـ ثم تلا : (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر . إلا من تولى وكفر . فيعذبه الله العذاب الأكبر . إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم**) الغاشية/٢١ ـ ٢٦ . والمعنى انما عليك أن تذكرهم بالله ، وتدعوهم إليه ، ولست مسلطا على ادخال الايمان في قلوبهم قهرا ، ولا مكلفا بذلك ، ثم أخبر ان مرجع العباد كلهم إليه وحسابهم عليه .

وفي مسند البزار عن عياض الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أن لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة ، لها عند الله مكان ، وهي كلمة من قالها صادقا أدخله الله بها الجنة ، ومن قالها كاذبا ، حقنت ماله ودمه ، ولقي الله غدا فحاسبه » . وقد استدل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق ، وهو المنافق ، إذا أظهر العود إلى الاسلام ، ولم ير قتله بمجرد ظهور نفاقه ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل المنافقين ، ويجريهم على أحكام المسلمين في الظاهر ، مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن ، وهذا قول الشافعي وأحمد في رواية عنه ، وحكاه الخطابي عن أكثر العلماء والله اعلم .

أصول البيع في القرآن والسنة

للدكتور / عبد الناصر توفيق العطار

١ ــ البيع هو العمود الفقري للمعاملات المالية واكثر العقودشيوعا فيها ، واحترافه هو عصب التجارة قديما وحديثا ، ولايكاد يمر يوم الا ويعقد كل منا فيه اكثر من عقد بيع او شراء لمأكله او مشربه او غير ذلك من حاجاته .

والبيع من وسائل تبادل الأموال، بل هو اكمل هذه الوسائل لانه يسمح بالاستئثار بالمبيع او بالثمن على نحو يمكن الشخص ليس فقط من الانتفاع به او استغلاله وانما يسمح له كذلك بان يتصرف فيه الى غيره ببيع آخر او بهبة او بغير ذلك .

والبيع من اهم وسائل الكسب المشروع وله فوائد اقتصادية واجتماعية اخري .

البيع في القرآن الكريم

٢ ــ استعمل لفظ البيعفى القرآن الكريم بمعنى المبادلة ، ومنه قوله تعالى :(**الذين يأكلون الربا لايقومون**

الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيـــع وحـــرم الربـــا) البقرة /٢٧٥ .

كما استعمل لفظ البيع في القرآن الكريم بمعني العهد ، ومنه قولـــه تعالى : **(ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنـــة يقاتلون في سبيل اللهفيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من اللـــه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم بـــه وذلك هو الفوز العظيم)**التوبة/١١١

٣ ـــ وعبر القرآن الكريم عن شدة الرغبة في البيع بلفظ شري ، ومنه قوله تعالى : **(وشـــروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيـــه من الزاهدين)** يوسف /٢٠ . كمـــا عبر القرآن الكريم عن الرغبـــة في الحصـــول على المبيعبلفظ اشترى ، ومنه قول تعالى : **(وقال الـــذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخـــذه ولـــدا)** يوسف / ٢١ .

٤ ـــ ويغلب فى اللغة العربيـــة تسمية هذا العقد بالبيع على تسميته بالشراء ، على أن لفظ البيع في اللغة العربية من الأضداد اى من الألفاظ التى تطلق على الشيء وعلى ضده ، فيقال باع الشيء يبيعه وباعه ايضا اشتراه . (مختار الصحاح ط ١٩٥٠ ص ٨٥)

ويسمى الألمان هذا العقد شراء، بينمـــا يسميـــه الفرنسيون بيعا . وتسمية هذا العقـــد بالبيع افضل من تسميته بالشراء ، لأن البائع هو باذل السلعة ، وهى المعقود عليـــه الأساسى في العقد ، أما المشتـــري فهو دافع الثمن ، والثمن عوض عن المبيع . ثم ان واجبات البائع أكثـــر من واجبات المشتري ، فالبائع عليه تسليم المبيـــع وضمان استحقاقـــه وعيوبه بينما المشتري عليه دفـــع الثمن .

ومن المحتمل أن يكون اسم البيع في اللغة العربية قد اشتق منالحركة التى تصاحب مبادلة الأشياء بالأشياء في البداية حيث كان كل من المتعاقدين يمـــد « بـــاعه » أي ذراعه للأخر لأخذ ما في يده وتسليمه الثمن ، أو لمصافحته بعد تمام الاتفاق ، ولذلك سمى البيع صفقـــة وهى الصوت الناتج من المصافحة .(المغني لابن قدامه ٣/٥٠١) .

٥ ـــ ومجمل أحكام القرآن الكريم في الآيات التى ورد فيها البيع بمعنى المبادلة يتلخص فى الآتى : ـــ

(أ) ان **البيع نظام دنيوي** : قـــال تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكممن قبلأن يأتييو ملابيع فيـــه)** البقرة / ٢٥٤ ذلك أن يوم القيامة يوم الحساب.وبعد الحساب اما النار وفيها عذاب لابيع فيـــه ، واما الجنة وفيها ماتشتهيه الأنفس، فلاحاجة فيها الى البيع . ولانعرف احدايعلم متى ظهر البيع في حيـــاة الانســـــان . لـــكن من المتصور ان يكـــــون الانســـان قـــد احس منذ العصور الأولى بحاجته الى مافي يد أخيه من أشياء ليست عنده ، ولم يستطع الحصول على هذه الأشياء حتى أعطى لصاحبها شيئا آخـــر في في مقابلها ، وهكذا نشأت صـــورة مبادلة الأشياء بالأشياء بين بني آدم.

ويبدو أن المقايضـــة كانت أولى صور البيع ظهورا،وهى مبادلة شيء

حاضر بشيء آخر حاضر كذلك ، والمقايضة تكفي للوفاء بحاجات مجتمع بدائي قليل العدد،وبها يتبادل الانسان ماعنده من سلع لايحتاج اليها بما قد يحتاجه من سلع تكون عند غيره . ثم ظهر تبادل بعض السلع بأشياء مثلية كمبادلة بقرة بكمية من التفاح أو الموز . ثم لما ظهرت النقود تم تبادل بعض السلع بها . .واحتلت مبادلة الأشياء بالنقود المكانة الأولى بين صور المبادلة وأصبحت هى الصورة الغالبة للبيع، واتجه بعض المفكرين وبعض التشريعات الى قصر معنى البيع عليها.ثم لما تنوعت النقود ظهر تبادل النقد بالنقد وسمى « بالصرف » ثم لما كثرت الحاجات وتنوعت احتاج بعض الأشخاص الى رأس مال وعجزوا عن الحصول عليه عن طريق القرض فأخذوه عن طريق البيع الآجل ، فكان الشخص يحصل على ثمن المبيع في الحال ثم يحصل به على المبيع ويسلمه بعد اجل وظهر بهذا عقد السلم . ولايزال الانسان يميز بين انواع مختلفة من البيع .

(ب) ان **البيع يتم بالتراضي** ، فالبيع هو عمود التجارة ، والتجارة لا تتم الا عن تراض ، وقد صرح القرآن الكريم بهذا منذ نزوله ، فقال تعالى فيه : **(يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم)** النساء/٢٩ .

(ج) أنه يستحسن الاشهادفي البيع.

قال عز وجل : **(واشهدوا اذا تبايعتم)** البقرة / ٢٨٢ والأمر بالاشهاد هنا للندب والارشاد لا للوجوب ، لان البيع عقد يتم بالتراضي ، والاشهاد ليس الا وسيلة لتسهيل اثباته .

(د) **أن البيع حلال في الأصل :** قال تعالى :**(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة /٢٧٥ فالبيع حلال لأنه مبادلةمال بمال،بخلاف الربا فهو حرام لأنه مبادلة مال بأجل ، والأجل من الزمان ، والزمان كالهواء ليس بمال فكان الربا مبادلة مال بما ليس بمال فهو زيادة خالية عن العوض بخلاف البيع فالثمن فيه مال والمبيع مال ، والثمن عوض المبيع .

(هـ) **أن البيع محرم أو مكروه استثناء :** قال تعالى : **(يأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاةمن يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع)** الجمعة /٩ . هكذا ينهانا الله عز وجل عن البيع وقت صلاة الجمعة .. والنهي عن البيع هنا يقتضي التحريم عند بعض الفقهاء أو يقتضي الكراهة عند البعض الآخر ،الأمر الذي يؤخذ منه أن البيع وان كان حلالا في الأصل، الا انه استثناء قد يكون محرما وقد يكون مكروها .

البيع فى السنة الشريفة

٦ ــ اتم الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته الشريفة شريعة الله ، فحدد المسألتين اللتين يظهر فيهما حكم الله وهما البيوع المشروعة وغير المشروعة ، والبيوع غير اللازمة . وترك ماعدا ذلك من احكام البيع للفقهاء لأنه أمر يرجع فيه بعد ذلك الى عقول البشر وتكاد احكامه تتشابه في معظم بلاد العالم.

٧ ــ فبالنسبة للبيوع المشروعة وغير المشروعة في الاسلام ، نجد السنة بينت الآتي : ــ

أ ــ اكدت السنة الشريفة أن

البيــع عقــد يجب أن يتم بتراضي المتعاقدين فقد قال صلي الله عليه وسلم : « انما البيع عن تراض » « سنن ابن ماجة ٧٣٦/٢ »

ب ــ واذا كنا قد رأينا أن القرآن الكريم قد نص على أن البيع حلال في الأصل ، محرم أو مكروه استثنـــاء، فقد حددت السنة الشريفة هـــذا الاستثناء فبينت البيــوع المحرمــة والبيوع المكروهــة .

فمن البيوع المحرمة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو بمكة : « أن الله ورسوله حرم بيــع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » (سنن ابن ماجة ٧٣٢/٢)

ومنها بيع الغرر كبيع شيء غــير موجود أو على خطر الوجود وعدمه اي قد يوجد وقد لا يوجد ، من ذلك ماورد :«عن أبي سعيدالخدري قال: نهى رسول الله صلي الله عليــه وسلم عن شراء ما في بطون الأنعام حتى تضع ، وعما فيضروعهـــا الا بكيل ، وعن شراء العبد وهو آبق « أي هارب » ، وعن شراء المغانم حتى تقسم ، وعن شراء الصدقــات حتى تقبض ، وعن ضربة الغائص » « فى المياه فقد يصطاد وقد لايصاد » « سنن ابن ماجة ٧٤٠/٢ » . وعن ابن عمر أن رسول الله صلى اللــه عليه وسلم : (نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحها ، نهى البائع والمبتاع) صحيح مسلم ١٠ / ١٧٧ . وعن ابن عمر كذلك أن النبى صلى الله عليــه وسلم قال : (من ابتاع طعاما فــلا يبعه حتى يستوفيه) فتح البـــاري بشرح البخاري ٢٥٢/٥ . وعن أبي هريرة قال : نهى رسول الله صلــى الله عليه وسلم عن بيع الغرر وبيــع الحصاة (الترمذي ٢٣٧/٥) ومن بيع الحصاة أن يلقى شخص حصاة على عدة سلع ، فاذا استقرت على سلعة أخذها ، وهو نوع من القمار نهى الشرع عنه .

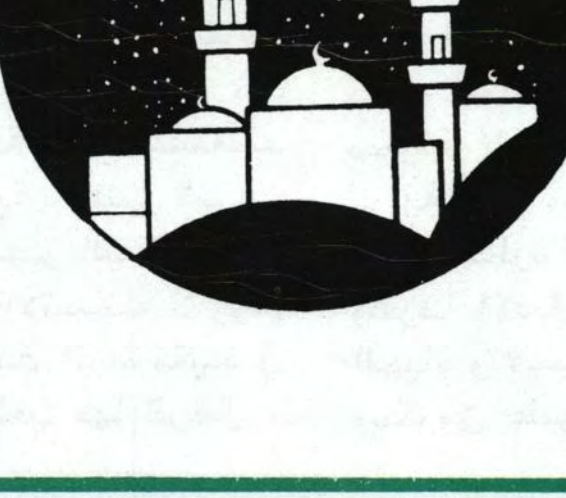
ومن البيوع المحرمــة البيـــوع التى يدخلها الغش والخداع والتدليس ، ومنها ما روي عن أبي هريــرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلــم مر على صبرة من طعام فأدخل يـــده فيها فنالت أصابعــه بللا ، فقــال ياصاحب الطعام مـــا هـــذا ؟ قال : اصابته السماء يا رسول الله ، قال افلا جعلته فوق الطعام حتي يراه الناس ، ثم قـــال : من غش فليس منــا ــ (صحيح الترمذي ٥٥/٦) ومنها ماروي عنجابر قال :(قالرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يبــع حاضر لباد ، دعوا الناس يرزق الله بعضهــم من بعض) صحيــح مسلم ١٦٥/١٠ . فاذا قدم غريب مــــن البادية أو الريف بسلعـــة ليبيعهـا بسعر يومها فلايحل لحاضر أو مقيم أن يطلب منــه أن يترك السلعــــة عنده ليبيعها بالتدريج ليرفع سعرها نتيجة قلة عرضها والتحكم فيسوقها، لما في ذلك من الخداع للناس وقـــد يؤدي الى الاحتكار ، كذلك روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى اللــه عليه وسلم:«نهىعن النجش»(صحيح مسلم ١٦١/١٠ وسنن ابن ماجــة ٧٢٤/٢) والنجش هــو أن يزيــد شخص ثمن سلعة ، لا لرغبــــة في شرائها ولكن ليخدع غيره ويحفــزه على شرائها بثمن مرتفع كما يحدث في الغش في المزاد وغيره .

ومن البيوع المكروهة ماروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمـــا

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لايبع بعضكم على بيع بعض» فتح الباري بشرح البخارى ٢٥٦/٥) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«لايسم المسلم على سوم أخيه » (صحيح مسلم ١٥٩/١٠) .

٨ ــ ومن البيوع غير اللازمة اي التى يمكن الرجوع فيها ، والتى بينتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيع مع خيار الشرط: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « أن رجلا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه يخدع فى البيوع فقال له اذا بايعت فقل لاخلابة « فتح الباري بشرح البخاري ٢٤٠/٥) اي لا تثريب على اذا رجعت في البيع خلال فترة معينة يتفقان عليها . كذلك لكل من المتبايعين الرجوع في البيع مالم يفترق أحدهما عن الآخر ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا أو يقول أحدهما لصاحبه اختر » (صحيح البخارى ١٧/٣) ومن البيوع غير اللازمة كذلك البيع مع خيار تفريق الصفقة، أو مع خيار التدليس ، أو مع خيار الرؤية أو خيار الخلف في الوصف .. الخ .

٩ ــ هذه فكرة عن أصول البيع في القرآن والسنة ، وهى أصول اعتني الفقهاء المسلمون بدراسة قواعدها وشرح تفاصيلها واستقصاء تطبيقاتها وأثمر ذلك كله ثروة فقهية جعلت قواعد عقد البيع تتضمن أغلب القواعد العامة للعقود وتستخلص منها نظرية عامة للعقد تفوق أحدث النظريات الفقهية في الشرائع الأخري والقوانين الوضعية .



الحريات في الاسلام

حرية المرأة

كان الأمر بالنسبة للمرأة قبل الاسلام كالأمر بالنسبة للرقيق عند الفرس والرومان . فالرقيق في ظل تلك المجتمعات السابقة آدمي مستعبد فاقد الحرية والأهلية ، مغلول اليد عن سائر التصرفات مهدر الشخصية لا يؤبه له ، مضيع الانسانية لا يهتم بأمره ، وكذلك كانت المرأة مقيدة في الأغلال ، ودمية يلعب بها الرجال ، يحتفظ بها لتفرخ الأبناء ، ويحرص عليها قصد المتعة والاشتهاء .

كانت المرأة قبل الاسلام مستعبدة مملوكة لا حرية لها في نفسها ولا كرامة لها في مجتمعها ، ولا حياة لها توائم الفطرة ، وتحمدها الأعراف ، وتقرها الأديان . لقد هانت على الحياة والأحياء ، يئدونها صغيرة وينكرون عليها حقها في الحياة

للاستاذ / سليمان التهامي

والتعليم واختيار شريك حياتها والميراث وفي تحمل الأعباء المالية وفي إبرام العقود وإمضاء التصرفات .
أما حقها في التعليم فقد أوجب الاسلام على الولى تعليم ابنته ، وعلى الزوج تعليم زوجته إذا لم تكن متعلمة ، ولها أن تسأل عمن يعلمها علم الدين بالقدر الذي تصح به العقيدة والعبادة ، وعلم الدنيا لتعرف ما لها وما عليها ، بل لها أن تخرج بغير إذنه إذا أبى أن يعلمها العلم المفترض عليها وهو ما يستفاد من قول النبي عليه السلام فيما رواه البيهقي : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » أى على كل من اتصف بالاسلام رجلا كان او امرأة . ولم يقصر الاسلام هذا الحق على الحرائر بل رغب في تعليم الاماء روى البخاري ومسلم عن أبى موسى رضي الله عنه عن النبي عليه السلام : « ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران » وقد ربط الاسلام بين ثواب التعليم وثواب العتق لأن الأول تحرير للعقل والثاني تحرير للجسم ، ولا تمنع المرأة من ذلك إلا إذا خيف عليها الفتنة ، أو ساءت أخلاق الناس عند فساد الزمان .

ولها الحق في اختيار شريك حياتها لأنها صاحبة الولاية على نفسها ، وكانت الولاية لأبيها قبل زواجها ، ولزوجها بعده ، فهي التي تختار زوجها وليس لوليها أن يجبرها ، روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال : « الأيم أحق بنفسها من وليها » .. وتطلب فسخ الزواج إذا أكرهت عليه ، أو تهاون وليها في شرط الكفاءة ، كما للولى الحق في ذلك إذا تهاونت المرأة في هذا الشرط ، روى أن خنساء بنت حزام الأنصارية زوجها أبوها وهي ثيب بغير استئمارها فكرهت ذلك فأتت رسول الله عليه السلام فأبطل نكاحه ، وجاءت فتاة بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها بين إجازة النكاح وفسخه .
وللمرأة أن تلجأ إلى القاضي إذا أرغمت على الزواج من رجل سكير أو كثير الحلف بالطلاق ، أو في سمعته

أن الرجال يستبيحون بيته برضاه ، وهو ما يفيده قول الله : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** الروم / ٢١ وقوله عليه السلام « لا ضرر ولا ضرار » احمد وابن ماجه عن ابن عباس .

إن عقد الزواج في الاسلام ليس مجرد عقد يتم بالايجاب والقبول وشهادة الشهود . بل هو شئ أجل من ذلك وأعظم ، هو ميثاق تحمل الضمائر مسئوليته ، ولا يسهل نقضه أمام الطوارئ العارضة لعلاقة الزوج بزوجته . قال تعالى : **(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا)** النساء / ٢٠

وقد استنبط الفقهاء من السنة حقوقا للمرأة كزوجة جدير بها أن تصون سمعتها ، وتحفظ نسلها ، وتكسبها وضعا لم يكن لها من قبل . ففي قوانين التكافل المعاشي « قانون الاعفاف » ويقضي بوجوب الزواج على من كان في حاجة إليه رجلا كان أو امرأة ولو كانوا رقيقا ، ويستعينون بحق المعونة فيما كان يوقف للتزويج من أوقاف المسلمين متى عجز الفتيات والفتيان عن نفقات الزواج أو عجز أولياؤهم وحق التعويض للزوجة . جاء في كتاب الأموال لأبى عبيد أن النبي عليه السلام قسم الفئ فجعل للآهل حظين وللعزب حظا واحدا ، وصان نسل المرأة حتى اعتبر إجهاضها قتلا للنفس ، ومن اعتدى على امرأة حامل فأجهضها عليه دفع غرة الجنين أى (ديته) ومن أساء إلى سمعتها استوجب اللعنة في الدنيا والآخرة قال تعالى : **(ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)** النور / ٢٣

وكانت المرأة في النظم القديمة تورث كما يورث المتاع ، فقرر الاسلام لها ميراثا من أبيها وأخيها وزوجها ، وتقدير إرثها على النصف من الرجل لا جور فيه ولا إجحاف ، فقد بنى الاسلام توزيع الارث بين الورثة على مقدار الحاجة ، فالأشد حاجة إلى المال هو الذي يأخذ القدر الأكبر من الارث ، وهذا ما جعل نصيب الذكر ضعف الأنثى لأن الأعباء المالية في الأسرة ألقيت على عاتق الأب والزوج ، وليس على المرأة من هذه الأعباء شئ ، فتقدير النصف لها عدل وإنصاف ، وهذا ما يفيده النص القرآني في قوله تعالى : **(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)** النساء / ١١ وما يشهد به أحد المستشرقين قال « جوستاف لوبون » في كتابه حضارة العرب : « ومبادئ الميراث التي ينص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والانصاف ، إن الشريعة الاسلامية منحت حقوقا للمرأة في الميراث لا نجد مثلها في قوانيننا »

ورد الاسلام على المرأة شخصيتها التي فقدتها عبر العصور ، وارادتها التي سلبت مع مرور الحقب

والدهور . وفصل في هذه القضية حين جعل لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات قال تعالى : **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم)** البقرة / ٢٢٨ فهذه الآية ساوت بين الرجال والنساء في جميع الحقوق الا في (درجة) وهي القوامة المبينة في قوله تعالى : **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)** النساء / ٣٤ ويقصد بالقوامة الرياسة وما يتصل بها ، وجعل لها الولاية الكاملة على ما لها لا سلطان عليها في ذلك لأبيها أو لأحد من ذوي قرباها ، وإذا تزوجت كانت ذمتها المالية منفصلة عن ذمة زوجها . وعقد الزواج لا يقتضي ولاية مالية ولا وكالة إجبارية . قرر الاسلام ذلك منذ أربعة عشر قرنا ، وما زالت بعض القوانين في أوروبا وغيرها تعتبر الزوج وليا في مال زوجته وذمتها غير منفصلة عن ذمته .

وبمقدار ما بالغ العرب والفرس والرومان في احتقارها وامتهان آدميتها ، وإهدار كرامتها ، وجحد حقوقها بالغ الاسلام في احترامها وإكرامها ، وليس أدل على ذلك من أنه جعل لها حقا في أن تجير من تشاء من المحاربين ، وتؤامن من تريد من الأعداء . روى ابن هشام أن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أجارت زوجها أبا العاص بن الربيع قبل الفتح ، وأجارت أم هانيء بنت أبي طالب رجلا من المشركين يوم الفتح ، وأراد علي ــ رضي الله عنه ــ قتله فمنعته وقد أجاز النبي عليه السلام جوار ابنته ، وقال لأم هانئ : أجرنا من أجرت يا أم هانئ وقال : « إن المرأة لتأخذ على القوم » اى تجير بينهم وقد فهم بعض أهل العلم من هذا أن الحديث الذي رواه أبو داود ، وهو « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » عام في الرجال والنساء ، واعتبرها الرسول عليه السلام كنزا من كنوز الدنيا ، قال عليه السلام : « ألا إن خير ما يكنز المرء المرأة الصالحة » وجاء بلفظ أبى هريرة : « خير النساء التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره » احمد والنسائي ، واعتبر من فضائل النفس ونبالة الحس حسن معاملة الرجل لامرأته حين قال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » الترمذي

واذا كانت الحقائق الاسلامية غنية بذاتها في الدلالة على ما أعطى الاسلام للمرأة فلا بأس من أن نقدم للمولعين بتقاليد الغرب ما أورده «جوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » حين قال : « المرأة في الشرق تعامل باحترام عظيم ونبل كريم ، وبلغ الاهتمام بالأم درجة العبادة » وهذا القول على صدقه لن يبلغ ما قاله النبي عليه السلام : « الجنة تحت أقدام الأمهات » الخطيب عن أنس رضي الله

عنه .
وقد أخذ بعض المستشرقين والمولعين بتقليدهم من المستغربين على الاسلام أنه اتبع في تشريعه ما كان عند العرب ، كما أخذوا عليه انه شرع الطلاق وتعدد الزوجات وهي دعوى مفتراة وقصور في فهم حقائق الاسلام . فهل كان للمرأة كيان عند العرب أو غيرهم ؟؟ وهل كانت ترث ، أم كانت متاعا يورث ؟؟ وهل كان عندهم نظام للزواج والطلاق كما شرع في الاسلام ؟؟ أم كان الأمر فوضى . زواج لا ينحصر في عدد وعضل للنساء واستغلالهن إلى غير حد .
ان الاسلام اباح تعدد الزوجات ، وشرع الطلاق عند الضرورة واشترط للتعدد العدالة والقدرة على الانفاق ، وللطلاق استحالة الحياة بين الزوجين ، والمستقرىء لتاريخ الجماعات والأديان يرى أن الاسلام لم يبتدع التعدد بعد أن لم يكن ، فقد عرفته العصور على تعاقبها ، والمدنيات في مختلف أطوارها ، فقد أباحت التوراة التعدد ، وبعض النبيين عددوا الزوجات ، والعرب كانوا يعددون إلى غير حد ، والنبي عليه السلام عدد الزوجات بأمر ربه لمصلحتهن ومصلحة الدعوة معا ولكن الاسلام حصر التعدد في أربع ، وجعله قيد الضرورة الطارئة وكان شأنهفيه كشأنه في الطلاق كلاهما استجابة للحاجة التي لا مناص منها . على أن فائدة التعدد تعود على المرأة أكثر مما تعود على الرجل ، وإباحته مقيدة بمفهوم قوله تعالى : « **فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** » النساء / ٣ وقوله عز وجل : (**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**) النساء / ١٢٩
وضرر المنع أشد من ضرر الاباحة ، وقد ثبت أن البلاد التي تمنع التعدد تكثر فيها الخلائل ، وخير للمرأة ان تكون حليلة لرجل متزوج من أن تكون خليلة لرجل يتشهاها ، حتى إذا قضي لبانة منها نبذها نبذ النواة ، ويشهد بذلك « جوستاف لوبون » في كتابه المذكور قال : « ثبت أن الخيانة الزوجية في الأمم القائلة بالاقتصار على زوجة واحدة تزيد باضطراد » .
اما حق الطلاق الذي أعطيه الزوج في الاسلام فقد أكسب المرأة حقوقا لم تكن لها من قبل . كان العربي يطلق بأى عدد فجعله الاسلام ثلاثة لا تقع دفعة واحدة ، ولا يتم إلا إذا استحكمت النفرة والبغضاء بين الزوجين ، ولا يقع في حيض ولا في طهر اتصل بها فيه ، ولا في الحيض قبله على ما ذهب إليه ابن تيمية وابن القيم وبعض المحققين ، واذا أرادت المرأة فصم عرى الزوجية أجيبت الى طلبها على أن ترد ما أخذت من زوجها ، ويسمى ذلك (خلعا) وقد دلت الاحصاءات على ان نسبة الانفصال الجسدي بين الكاثوليك اكبر من نسبة الطلاق بين المسلمين .
وكما كان تعدد الزوجات والطلاق في نظر مدعى التحرر من المستغربين

والمستشرقين تقييدا لحرية المرأة وسحابة داكنة في سماء حياتها وسعادتها رأوا في قضية الحجاب والسفور حدا من انطلاقها وقيدا على حريتها ، وبكلمة واحدة نقول : ان الاسلام لا يعرف الحجاب على أنه قفص تحبس فيه المرأة فلا ترى من خلاله نور المعرفة ولا تنشق هواء الحياة ، ولا يقبل السفور المصحوب بغرور التقليد فيما نرى من رفع الستار وخلع العذار ، وغشيان مواطن الفتنة والاختلاط المريب ولو أراد ذلك ما فرض عليها من التكاليف مثل ما فرض على الرجل ، ولكن الاسلام يريد للمرأة ان تدور دائما في فلك الطهر والعفاف ، وتسمو عن أن تكون موضع المهانة والاستخفاف . ان فضل الاسلام على المرأة لا يقادر قدره . وعلى ما تقدم من عناصر البحث نلخص بعض ما أسدى الاسلام للمرأة فيما يلي :

(١) كانت المرأة تورث كما يورث المال فنزل قوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها)** النساء / ١٩ .

(٢) كانت تعامل معاملة العبد . اذا كره الرجل زوجته حبسها حتى تفتدى نفسها منه بالمال فنزل قوله تعالى : **(ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)** النساء / ١٩ .

(٣) كانت تكره على نكاح المقت ونكاح الفاحشة والأول أن ينكح الرجل زوجة أبيه فنزل النهي في قوله **(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف)** النساء / ٢٢ والثاني أن يجمع الرجل بين الأختين فنزل النهى في قوله تعالى: **(وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف)** النساء / ٢٣

(٤) كانوا يأخذون مهورهن فنزل النهي في قوله تعالى : **(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة)** النساء / ٤

(٥) كانوا لا يورثونهن فنزل قوله تعالى: **(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون)** النساء / ٧

(٦) كان الرجل يتزوج بأكثر من أربع فنزل قوله تعالى: **(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)** النساء / ٣

(٧) كانوا يكرهونهن على البغاء فنزل قوله تعالى : **(ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا)** النور / ٣٣

وقوله ان اردن تحصنا ليس شرطا بل لبيان ارادتهن فالاكراه على البغاء محرم اردن ام لم يردن .

(٨) كانوا يئدونهن خشية العار والفقر فنزل :**(ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم)** الاسراء / ٣١ وصور بشاعة الوأد في قوله:**(واذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت)** التكوير / ٨ ، ٩

وبعد فقد عرضت في هذا البحث بعض ما أسدى الاسلام للمرأة فهي خلية الوجود ومنشئة الاجيال ، ولن تبلغ في أي مجتمع ولا أي عصر المنزلة التي بلغتها في ظل الاسلام ، وحسبها ان تتفهم حقائقه ولسوف ترضى .

عبد القاهر الجرجاني

وقضية

الاعجاز القرآني

للدكتور محمد أحمد العزب

اذا كانت القرون الأولى للهجرة قد بشرت بعديد من العقول العربية التي تناولت قضية الاعجاز القرآني على مستويات متفاوتة من العمق والتسطيح والشمول والاجتزاء ، فان القرن الخامس الهجري أعطى للبحث القرآني نوعا من العقل العربي الرائد الممتاز ، هو : ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني صاحب : (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) و (الرسالة الشافية) ... وفي هذا الكتاب الأخير أبان عبد القاهر عن وجهته في تأليفه هذا النوع من التأليف حين قال في مطالعه : (وهذه جمل من القول في بيان عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة القرآن ، وإذعانهم ، وعلمهم أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية ، ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين) .

وإذن فوجهته في هذا الكتاب هي إثبات عجز العرب ، وليس إثبات اعجاز القرآن ، أو فلنقل : إثبات الاعجاز القرآني من طريق السلب وليس من طريق الايجاب .

وقد أخذ عبد القاهر ــ من هذا المنطلق ــ يتصدى لكثير من الشبه التي نثرها المرجفون في طريق القرآن ونبيه العظيم ، ومن هذه الشبه : شبهة انفراد الرسول بالعظمة البيانية جريا على عادة الطبيعة التي تنجب في كل عصر من العصور واحدا من أبنائها الذين يفرعون اقرانهم بلاغة منطق واعجاز إبداع .. وفي هذا ــ كما لا يخفى ــ محاولة لحمل القرآن على محمد تأليفا أو تلفيقا .. ويرد عبد القاهر على هذه الشبهة ناقضا لها من أساسها ، فيهدم الزعم بأن الطبيعة قادرة على إعطاء إنسان ما قدرة الارتفاع على أهل زمانه بحيث تنقطع كل الأطماع عن معارضته ، بدليل أن أرتالا من العباقرة في تاريخ الفكر والشعر ظهروا في أزمان متفاوتة ، ولم يقل أحد بأنهم ظواهر معجزة لا يدانيهم منافس ولا يضارعهم قرين ، فقد ظهر امرؤ القيس ــ مثلا ــ في زمن قبل زمن النبي ، وظهر الجاحظ في زمن بعد زمن النبي ، ورأينا من يفضل علقمة الفحل على امرئ القيس ، ومن يفضل على الجاحظ آخرين ، فاذا أضفنا الى ذلك أن الشرط في نقض العادة ــ كما يقول عبد القاهر ــ أن يعم الأزمان كلها . فتقدم واحد من أهل مصر من الأمصار غيره ، ممن يضمه واياه ذلك المصر ، بحيث يكون اعلمهم أو أكتبهم أو أشعرهم أو أحذقهم في صنعة ، وأبهرهم في عمل من الأعمال ، ليس من الاعجاز في شئ ، إنما المعجز ما علم أنه فوق قوى

البشر وقدرهم ، أو فوق علومهم إن كان من قبيل ما يتفاضل الناس فيه بالعلم والفضل .

ويرد عبد القاهر على من يزعمون أن عجز العرب عن معارضة القرآن نشأ من أنهم لا يستطيعون النظم في مثل معانيه ، لا لأنهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم ، بأن ذلك لم يكن هو التحدي الذي طرحه القرآن : (فان التحدي كان إلى أن يجيئوا في اى معنى شاءوا من المعاني بنظم يبلغ نظم القرآن في الشرف او يقرب منه ، يدل على ذلك قوله تعالى : **(قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)** هود/ ١٣ اى مثله في النظم ، وليكن المعنى مفترى لـــا قلتم ، فلا إلى المعنى دعيتم ، ولكن إلى النظم) .

ويرفض عبد القاهر رأى القائلين بأن اعجاز القرآن الكريم كان بالصرفة ، أى صرف العرب عن الاتيان بمثله مع قدرتهـــم على ذلك ، لأنه كان من الطبيعي حينذاك أن يقول العرب للرسول : لقد سحرتنا فأعجزتنا ، أو حتى يتذاكروا ذلك فيما بينهم فيؤثر عنهم ما قالوا ، ولكن ذلك كله لم يكن ، ولو أن الاعجاز كان بالصرفة كما يقولـــون لأعلن النبي ـ منذ البدء ـ أنه إنما جاءهم بما لا قبل لهم به ، لأنه أعطى إمكان أن يحول بينهم وبين كلام كانوا يستطيعـــونه بلا فكاك .

ويقرر عبد القاهر في إطار جدلي رائع أن المعول عليه في دليل الاعجاز هو النظم ، فيقول : (ينبغي أن يقال لهـم : ما هذا الـــذي أخذتم به أنفسكم ، وما هذا التأويل منكم في عجز العرب عن معارضة القرآن ؟ وما دعاكم إليه ؟ وما أردتم منه ؟ أأن يكون لكم قول يحكى وتكونوا أمة على حدة ، أم قد أتاكم في هذا الباب علم لم يأت الناس ؟ فان قالوا : أتانا فيه علم ، قيل : أفمن نظر ذلك العلم أم خبر ؟ فان قالوا : من نظر ، قيل لهم : فكأنكم تعنون أنكم نظرتم في نظم القرآن ، ونظم كلام العرب ، ووازنتم فوجدتموه لا يزيد إلا بالقدر الذي لو خلـوا والاجتهـاد واعمال الفكر ، ولم تفرق عنهم خواطرهم عند القصد إليه ، والصمد له ، لأتوا بمثله ، فان قالوا : كذلك نقول ، قيل لهم : فأنتم تدعون الآن أن نظركم في الفصاحة نظر لا يغيب عنه شئ من أمره ، وأنكـــم قد أحطتم علما بأسرارها ، وأصبحت ولكم فيها فهم وعلم لم يكن للناس قبلكـــم ، وان قالوا : عرفنا ذلك بخبر ، قيـل : فهاتوا عرفونا ذلك ، وأني لهم تعريف ما لم يكن ، وتثبيت ما لم يوجد) .

واذن فعبد القاهـــر ، كادح في (الرسالة الشافية) وراء ترسيـــخ فكـرة عجز العـرب عن معـارضة القرآن ، أكثر مما هو كادح وراء ترسيخ فكرة الاعجاز نفسها ، وان كان العمل في كل من المجالين يرفد بعضه بعضا ، ويضئ بعضه بعضا .

وأما في (دلائـــل الاعجاز) فعبد القاهـر ـ عند بعض الباحثين ـ نحوى ، بين أن للكلام نظما ، وأن رعاية هذا النظم ، واتباع قوانينه هي السبيل الى الابانة والافهام ، وأن

أساس هذا المذهب الذوق وتنبه الحس اللغوي لفقه الأساليب ودرك خصائصها ... وعند بعضهم انه باحث ادبي ، عالج في كتابه نظم الكلام وترتيب معانيه وما يعرض لها من تقديم وتأخير ، ونكر وحذف ، وفصل ووصل ، وقصر واختصاص ، محاولا في ثنايا كل ذلك أن ينقل الاهتمام من جانب اللفظ الى جانب المعنى ... وقد حدد موقفه من قضية اللفظ على نحو من الحسم في قوله : (فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وانما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ) . كما حسم قضية المعنى على هذا النحو : (انك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى ان تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها ، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق) ... وعند بعض الباحثين هو متكلم أو بليغ كلامي الدرس : (يعنى أولا وأخيرا بقضية الاعجاز فقط ، وينصرف إليها انصرافا تاما ، فيجادل عنها جدلا منطقيا) .

والحق ... أن عبد القاهر في (الدلائل) هو هؤلاء جميعا معا : عنى بقضية الاعجاز ، وشيد بناءه النظري على أساس من فلسفة العلاقات في النحو ، ووازن وحلل وأصل بذهنية الناقد الأدبي الذي ينفذ إلى أعماق الظاهرة الأدبية في مستوييها الشكلي والمضموني .

ومهما يكن من شيء فقد رد عبد القاهر قضية الاعجاز إلى بلاغة النظم ، لاضطراد هذه الظاهرة في سور القرآن قصيرها وطويلها . أما الوجوه الأخرى التي تلبث عندها غيره ، من الاخبار بالغيب ، إلى الحديث عن الأمور الماضية ، إلى مفارقة القرآن لكلام الجن ، الى غير ذلك من القضايا والوجوه .. فقد رأى أنها ربما تتحقق في بعض سور القرآن دون بعضها الآخر ، مما يسقط عنها صفة الشمول ، ويجرنا إلى اعتبار الاعجاز في بعض المواطن القرآنية دون بعضها الآخر ... أما بلاغة النظم فهي الظاهرة المضطردة في القرآن ، وهي التي يصح الاتكاء عليها في قضية إعجازه ... واذن فليس موضع الاعجاز في المفردات ، ولا المقاطع والفواصل ، ولا الضم ، ولا الغريب ،ولا سلامة الاعراب ، ولا فصاحة اللفظة في ذاتها .. وانما هو في النظم والتأليف ، أى في نظم المعاني والتأليف بينها ، مع شمول ذلك كل جماليات التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ، وغير ذلك من ألوان البيان والبديع .

هذه إيماءات الى جهود عبد القاهر في قضية الاعجاز ، وما أروع ما خلف هو وأضرابه من أسلافنا الكبار ، وما أكثر ما في تراثنا العربي من مواطن البكارة التي تحتاج الى مزيد من البذل ومزيد من الاجتهادات !!

الحديث المشهور

للدكتور : محمد محمد الشرقاوي

يحتل الحديث المشهور مكانا بارزا من اهتمام المشتغلين بعلوم الحديث ، والمتطلعين إلى تلقي الأحاديث على السواء .. وذلك نظرا لمركزه العلمي الثابت في نظر المحققين ، والذي جعله عند بعضهم يزاحم الحديث المتواتر المفيد لعلم اليقين المقطوع به والذي لا يحتمل النقيض .

وقد نظر إليه الباحثون من زاويتين مختلفتين : الزاوية الأولى التي نظر من جانبها الحنفية وبعض الأصوليين : وهي دلالته على الشهرة والذيوع على ألسنة العلماء ، إذ أن الشهرة عند الاطلاق تنصرف إلى فردها الكامل في معناه ، التام في دلالته على الصحة والقوة والانتشار والاستفاضة .. ولن يكون بهذه المثابة إلا إذا كان سليما من الشوائب ، نقيا من الجرح ، مبرأ من الظنون والقيل والقال .. لأنه لو علقت به

الشبهات من ناحية السند أو المتن ، أو استهدف للاضطراب أو الضعف لما شاع على الألسنة ، ولما ذاع بين العلماء .. بل كان محل الجهل به أو التجاهل له ، والاعراض عنه والنفور منه ، وهذا يتنافى مع مدلول المشهور لغة وعرفا وعادة .. فالمشهور عند اطلاقه لا يتلقاه الوعي الشرعي الناضج الا بكل ارتياح وثقة ، ولا يضفى عليه هذا الاسم عنده إلا رفعة وعلوا في درجة التعديل والقبول حتى اضطر جمهور المحدثين إلى أن يطلقوا عليه اسم المشهور الاصطلاحي ... ويجعلون له مقابلا هو المشهور غير الاصطلاحي .. والحق أن طريقتهم هذه لا تعطى لاسم المشهور قدره من الثقة به والاطمئنان إليه ، لأنهم خلطوا في اسمه بين المشهور من الصحيح والمشهور من الحسن والمشهور من الضعيف والمشهور من الموضوع والمكذوب ، وجعلوا اسم المشهور شاملا لكل درجات الحديث من القاعدة إلى الذروة ، ومن درجة الصفر ، إلى مستوى القمة .. مما يفقد كلمة المشهور هيبتها الأصلية ويسلب عنها مدلولها الاصطلاحي الشامخ ومفهومها الذائع ، إذ أن من يتصدى للحديث ليس في طوقه أن يبين للمستفيدين هذا التنوع المتفاوت جدا في مفهوم الحديث المشهور ، ولو كان ذلك في طوقه لما أطاقه المستفيدون ، ولما طاب لكثير منهم أن يسمي المكذوب من الأحاديث مشهورا .. نعم .. قد يسميه شائعا بين الناس ، او دارجا على الألسن ، ولكن يصعب عليه جدا أن يطلق عليه كلمة المشهور التي هي بادئ ذي بدء تفيد الرجحان والصدق وعلوا لدرجة في التلقي والقبول واليك طريقة المحدثين في الحديث المشهور وتقسيمه إلى قسمين :

أولا المشهور الاصطلاحي : وهو ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة من الطبقات الثلاثة ما لم يبلغ حد التواتر ، والصحابة رضوان الله عليهم هم أهل الطبقة الأولى ، والتابعون هم أصحاب الطبقة التي تليهم ، وتابعوا التابعين هم أبناء الطبقة الثالثة ، ثم اتخذ العصر الذي بعد ذلك دورا متميزا في السنة له حدوده وله معالمه ، ويمثلون له بحديث أخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه وأحمد مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه ، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا ، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

وبعض المحدثين يسميه مشهورا او مستفيضا ، ويجعلون لهذا الحديث ميزة الترجيح على كل ما سواه كالعزيز والغريب عند تعارضه مع غيره في الأحكام وتعذر الجمع بينهما ، ويعدونه واحدا من أقسام خبر الآحاد .. الذي هو قسيم للمتواتر .. فيكون الخبر عندهم قسمين بلا واسطة : متواترا ، وخبر آحاد ، وينظرون الى المشهور نظرتهم الى غيره من أخبار الآحاد . باعتباره لم يبلغ حد التواتر في طبقة من طبقاته

ثانيا : الحديث المشهور غير الاصطلاحي : ويقصدون به ما شاع على الألسن ، وذاع بين العلماء .. بدون نظر الى الشروط المذكورة آنفا في المشهور الاصطلاحي .. أي انهم لا يحكمون عليه بالشهرة أو عدمها من جهة السند

وما فيه من رواة عدول ضابطين مسلمين بالغين بلغوا ثلاثة في كل طبقة على الأقل .. كما مر بل يوجهون اعتبارهم إلى انتشاره على الأسماع ، وتداوله بكثرة على الألسنة ، وهذا يستوعب كل حديث .. من أي نوع .. فيشمل ما له سند واحد ، وما له أكثر من سند ، وما لا سند له البتة كما يتناول الصحيح والحسن والضعيف بل والموضوع ما دام قد استفاضت به الأقوال ، وتناقلته الأقلام او الأفهام بكثرة .. ومن هنا تنوع إلى أنواع متعددة منها :

أ ـ مشهور بين أهل الحديث ومثاله : ما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت شهرا بعد الركوع يدعو على رعل وذكران » .

ب ـ مشهور بين أهل الحديث والعلماء والعوام ، ومثاله : ما أخرجه الشيخان من حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

ج ـ مشهور بين الفقهاء ، ومثاله : الحديث الذي صححه الحاكم في المستدرك « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

د ـ مشهور بين الأصوليين خاصة ومثاله : الحديث الذي صححه ابن حبان والحاكم « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

هـ ـ مشهور بين النحاة ، ومثاله : الحديث الذي لا أصل له « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » .

و ـ مشهور بين العامة ومثاله : الحديث الذي أخرجه الترمذي وحسنه « العجلة من الشيطان » .

وقد ألفت مصنفات في المشهور غير الاصطلاحي ، ولم يظفر المشهور الاصطلاحي بمصنفات خاصة ومن مصنفات القسم الأول : « كتاب المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة » للسخاوي ، وكتاب « كشف الخفاء ومزيل الالباس فيما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس » للعجلوني ، وكتاب « تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث » لابن الديبع الشيباني .

وهكذا نرى من صنيع المحدثين والمشتغلين بعلوم الحديث كابن حجر وابن الصلاح وغيرهم أن الحديث المشهور قد دخله الخلط والاشتباه ، وأن كلمة الشهرة والاستفاضة التي تمليها مادة اشتقاق هذا الاسم ، وما توحي به من معاني الصحة والثقة والاطمئنان والقوة عند اطلاق هذا اللفظ قد هوت من أعاليها ، وتردت في متاهات علماء الحديث والأصول والفقه والنحو والعوام وغيرهم .. من أجل ذلك أرى ان ما ذهب اليه الحنفية في تعريفهم للحديث المشهور ونظرتهم له ، وتقسيمهم للأحاديث بصفة عامة حيث جعلوها ثلاثة أقسام : متواترا ومشهورا وآحادا ـ هو أقرب الى الواقعية ، وأحفظ لمكانة الشهرة ، فالمتواتر : ما كان رواته في كل عصر من العصور الثلاثة المعتبرة قوما لا يحصى عددهم ويمتنع اتفاقهم على الكذب عادة للكثرة والعدالة وتباين الأماكن والآراء ، فان اتفقوا على الحديث لفظا فهو المتواتر اللفظي كحديث « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » البخاري ومسلم وان اتفقوا على الحديث في المعنى

لا في اللفظ فهو المتواتر المعنوي ومثاله حديث : (رفع اليدين في الدعاء) فقد روى عن جمع من الصحابة في وقائع مختلفة ، بعبارات متنوعة ، تلتقي كلها عند معنى واحد مشترك بين مجموعها وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كلما دعا ربه رفع يديه في دعائه .

وحكم هذا المتواتر بقسميه : افادة علم اليقين لا الظن ، ويكفر جاحده في الشرعيات كنقل القرآن والصلوات الخمس وأعداد الركعات والسجدات ومقادير الزكاة وأفعاله صلى الله عليه وسلم في الصلاة والوضوء والحج فقد شاهدها الصحابة ونقلها جمع منهم يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة ويزاد به على القرآن الكريم ، وتنسخ به الآيات .

والسنة المشهورة : هي الأحاديث التي رواها في العصر الأول واحد او جمع لا يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة ، ثم رواها في العصر الثاني والثالث جمع يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة ومن أمثلته : حديث : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب بالطور » اخرجه البخاري في الأذان فنسبة هذا النوع الى النبي صلى الله عليه وسلم غير مقطوع بها والمقطوع به في الحديث المشهور هو نسبته إلى من رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يوجب علم طمأنينة .... بمعنى رجحان الصدق على الكذب رجحانا لا يصل إلى درجة اليقين بل يقاربها ، ويعلو عن درجة الظن المعتادة التي يفيدها خبر الآحاد ، لأنه باعتبار أنه روى آحادا في أصله وهو طبقة الصحابة يفيد ظنا بالحكم إذ الراجح هو صدق أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وعدالتهم ، وباعتبار أنه بلغ حد التواتر فيما وراء الصحابة من طبقة التابعين وتابعيهم زاد رجحان الصدق فأوجب علما لا هو باليقين ولا هو بالظن وانما هو شئ وسط بين الاثنين أقوى من مجرد الظن وأدنى من مطلق اليقين وهو ما سماه الحنفية علم الطمأنينة لأنهم لو اعتبروا أول مراحل روايته لقالوا : إنه آحاد يفيد الظن المجرد ، ولو اعتبروا ما بعد ذلك من التواتر لقالوا : يوجب اليقين الضروري فعملا بالمراحل كلها قالوا : انه يفيد علم الطمأنينة فلا يكفر جاحده لعدم القطع به ، ومن امثلته حديث « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » البيهقي .

اما حديث الآحاد عندهم فهو ما ليس متواترا ولا مشهورا مما وراء هذين القسمين من كل ما رواه واحد او عدد محصور ولم يبلغ حد التواتر ولا الشهرة واستمر ذلك في العصور كلها وهو يفيد الظن ويجب العمل به في العمليات ، ولا يفيد العلم اليقيني ولا الطمأنينة ومن امثلته « حديث معقل بن سنان في بروع بنت واشق الأشجعية ... وقد سميت المفوضة ، وهي التي مات عنها زوجها ولم يدخل بها ولم يسم لها مهرا فقضى لها الرسول بمهر مثلها لاوكس ولاشطط » وهذا الصنيع من الحنفية اولى بالاتباع وأجدر بالتوجه اليه ، والمصير له ، لأنه أعطى اسم المشهور حقه من الثقة والاطمئنان والقوة والعلو ، وليسم المشهور غير الاصطلاحي شائعا او ذائعا او منتشرا ، ولنحفظ لكلمة المشهور قيمتها العلمية المناسبة .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقـدم باقـة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسـلم أكـرم زاد مـن الهـدى المحمدي .

١ ــ عن شداد بن أوس ، الأنصارى ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : إن سيدَ الاستغفارِ أن يقولَ العبدُ : اللَّهمَّ أنتَ ربي لا إله إلا أنتَ خَلَقْتني ، وأنَا عبدُك ، وأنا على عهدِك ، وَوَعْدِك ، ما اسْتَطَعْتُ ، أعوذُ بكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ ، أبوءُ لكَ بنعمتِكَ عَليَّ ، وأبوءُ بذنبي ، فاغْفِرْ لي ، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذنوبَ إلا أنتَ . قالَ : ومن قَالهَا مِن النهارِ موقِناً بها ، فماتَ من يومِهِ ، قَبْلَ أن يُمْسِى ــ فهو من أَهلِ الجنةِ ، ومن قالها من اللَّيل ، وهو مُوقِنٌ بها ، فمات قبلَ أن يُصبِحَ ــ فهو من أَهْلِ الجنةِ .

(رواه أحمد ، والبخاري ، والنسائي)

سيد الاستغفار : أفضله لأنه جامع لمعانى التوبة كلِّها

وانا على عهدِك ووعدك : أي ما واعدتُك وعاهدتُك عليه من الايمان بك واخلاص الطاعة لك .

ما استطعت : اعترافٌ بالعجز والقصور عمَّا يجِبُ لحقه تعالى .

أعوذ بك : أتحصن بك

وليس المراد أن يقولَها الانسان بلسانه فقط وهو مقيم على المعاصى ولكن الغالب أن المؤمن بحقيقتها ، الموقنَ بمضمونها لا يعصى الله تعالى متعمدا عصيانه ، وقد قال بعض العلماء : لا يكون هذا سيد الاستغفار ، إلا اذا جمع شروط الاستغفار ، وهى : صحة النية ، والتوجه ، والأدب مع الله تبارك وتعالى .

عادات وتقاليد من الصومال

للشيخ عبد الرحمن النجار

لكل أمة من الأمم عادات تتميز بها فى حياتها ، وتقاليد تختص بها في اجتماعياتها ، وترجع هذه العادات ، وتلك التقاليد إلى البيئة المحلية ، أو إلى تاريخها القديم ..

والصومال ذوي الصلة بالبيئة العربية ، وله موقع ممتاز بالنسبة للعالم العربي ، إنه يطلق على شبه جزيرة مثلثة الشكل في شرق أفريقيا وتسمى قرن أفريقيا الشرقي ، ويمكن تحديدها بخط يمتد من خليج يسمى خليج تاجوره ، في دولة جيبوتي التي كانت تسمى قبل استقلالها بالصومال الفرنسي ، متجها نحو الشرق بحذاء الساحل الجنوبي لخليج عدن ، إلى رأس جرد فوي التي يسميها العرب رأس عسير ، ويسير بمحاذاة ساحل المحيط الهندي حتى نهر تانا في شرق كينيا ، ثم يتجه نحو الشمال مارا بالمجاري العليا لنهري شبيلي وجوبا ، ومرتفعات هرر ، ويسكن الصوماليون هذه المنطقة الشاسعة ، وتبلغ مساحة الصومال كله نحو مليون كيلو متر مربع ، يمتد من خط عرض ٢ درجة جنوبا إلى خط عرض ١٢ درجة شمالا ، ولهذا الموقع أهمية ممتازة إذ هو يشرف على مدخل البحر الأحمر عند باب المندب من الجنوب . هذا الخليج الضيق جعل الاتصال موجودا بصفة مستمرة بين أبنائه وأبناء

منطقة عدن ، حيث توجد جالية كبيرة من الصوماليين يقيمون في عـــدن ، ويتعايشون مع أبنائها . هـــــذا الاتصال القديم جعل أكثر من ثمانين في المائة من الصوماليين يعتقدون أن أصلهم من جزيرة العرب ، ويعـــزز ذلك أن بعضهم يعرف على وجـــه التقريب متى قدم أجدادهم وأهاليهـم من هناك ، ولا عجب في ذلك فمــع ضيق الفاصل المائي الذي يفصـــل بين الأراضي الصومالية والجزيـــرة العربية ، نجد الشعبين يشتركـــان في وشائج الدين والثقافة ، والتاريخ المشترك والدين اقوى دعامة تربـــط بين الشعوب بعضها ببعض مهمـــا تتباعد البلاد ، وتتناءى الأوطـــان ، إنه يحقق الأخاء الذي ينشده الاسلام في قوله تعالى : **(إنما المؤمنون أخوة)** الحجرات / ١٠ ويؤكد التضامـــن الاجتماعي الذي يقرره ، رسول الله صلى الله عليه وسلم في قولـــه : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) رواه البخاري ومسلم وأبو داود .. وهناك في الصومـــال جالية عربية كبيرة ، ولا نعني بجالية مجرد تجمع عدد من الأجانب تربطهم مصلحة مشتركة ، مثل الجاليـــة الايطالية مثلا ، ولكن نعني بها وجود عدد كبير وافد من الجزيرة العربيـــة ومندمج مع اهل البلاد ، فالعـــرب الموجودون في الصومال قد اندمـــج اكثرهم في الصوماليين ، والذين لم يتم اندماجهم عنصريا اندمجوا سياسيـــا حيث حصلوا عـــلى الجنسيـــة الصومالية ، وأصبحـــوا بذلـــك صوماليين ، لا يميزهم عن غيرهم من أهل البلاد إلا بياض طفيف فيبشرتهم، يتناقص يوما بعد يوم بسببتعرضهم الدائم لشمس افريقية ، التي تصبغ الأجسام باللون الأسمر اللامعويتكون العرب في الصومال من ثلاث فئات هي :

الحضارمة : وهؤلاء يقل امتزاجهم بالصوماليين ،

واليمانيون : وهم أكثر العرب إسراعا للاندماج في الصوماليين ، والتزوجمن بناتهم ، وأبناؤهم من الصوماليـــات لا تفرق بينهم وبين أهل البلاد .

والعمانيون : وهم قليل ولكنهـــم كذلك يندمجون بسرعة مع أبنـــــاء الصومال .

★★★

لهذا نجد كثيرا من العـــــادات والتقاليد في الصومال ، تمتد بجذورها إلى التقاليد الاسلامية ، مع اعتبار البيئة المحلية ، هذه البيئة جعلـــت النظام الاجتماعي هناك ، يقوم بوجه عام على نظام يلائم أسلوب الحيـــاة السائد وهو نظام الرعي ، ومن قديم، كانت كل قبيلة من القبائل تحكـــم حكما ديموقراطيا اساسه التعاون ، ونصرة المظلوم والأخاء ، طبقا للمبدأ الذي أصبح قولا مأثورا ، وهـــو أن القبيلة الطيبة لا يوجد فيها أحـــد جائع ، ولا أحد مظلوم ، لقد تربـــى الصوماليون نتيجة حياة الترحـــال وراء الأمطار والأعشاب من أجـــل الرعي ، على الكرم والأمانة والأخاء، كما انه قد غرست فيهم روح الحرية والاستقلال وإباء الضيم ورفـــض الظلم ..

وتتجلى روح النزوع إلى الحرية والتعاون على دفع الظلم ، في شعار اتخذوه لهم إذا تنادوا به ادرك كل من سمعه ان هناك خطرا داهما من عدو ، فيتجمعون بسرعة لمواجهة هذا الخطر . وقد شاهدت مظهرا لهذا التجمع أيام أن كان الاستعمار لا يزال يجثم بصدره الثقيل على هذا البلد .

فقد حدث أن تعدى بعض الجنود الأجانب على بعض المواطنين ، في الأقليم الشمالي وحينما رد اهل البلد العدوان بمثله ، استدعى الأجانب عددا ضخما من الجيش المسلح بأحدث الأسلحة ليقاتلوا المواطنين ، وهنا جاء دور كلمة السر التي جمعت عشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال في دقائق معدودة ، (وهي كلمة : هبا المدد يا نور الله) .

لقد صاح بها مواطن في وسط المدينة ، وأخذ كل من سمعها يصيح بها ، وخرج الناس من بيوتهم وأغلق التجار متاجرهم ، وترك الصانع مصنعه ، والسقاء الذي يحمل صفائح المياه على كتفيه ألقاها على الأرض ، والجميع يجري ناحية الصوت . حيث تجمع جيش وطني ، وكل واحد يحمل ما يقدر عليه من سلاح ، وواجهوا الجيش الأجنبي المعتدي ، واشتبكوا معه في معركة حامية ولى بعدها الأدبار إلى معسكره خارج المدينة .

وحينما تشاهد الرعاة ، وهم يسوقون أمامهم الأبل ، والبقر والغنم تشاهد منظرا عجبا ، الواحد منهم يمشي وهو يحمل على كتفيه مسجده ، ومكان نومه ، ومصحفه إن كان حافظا للقرآن ، والمسجد عبارة عن حصير يفرشها على الأرض للصلاة عليها فقط ، ومكان النوم قطعة من الصوف المغزول باليد ، والمنسوج كذلك باليد ، وقد يكون قطعة من فروة مدبوغة لحيوان ، ويحمل المصحف في كيس من القماش ، ومعه حامل خشبي يضع عليه المصحف إذا أراد القراءة فيه ، ويستخدم هذا الحامل كذلك فى وضع رأسه عليه عند النوم .

وإذا كان لا يزال ممن يحفظون القرآن ، فتراه يحمل لوحا خشبيا طوله متر وعرضه نصف متر ، ويكتب عليه الجزء الذي قراه له معلمه ليحفظه في اليوم ، وإذا ما عاد آخر النهار جلس إلى معلمه ليسمعه ما حفظه ، ويكتب له على اللوح جزءا جديدا من القرآن . ويلاحظ أن الرعاة لا يحملون معهم طعاما ولا ماء ، فهم يكتفون طوال النهار بشرب لبن الأبل ، وهم قليلو الحاجة إلى المياه للشرب حتى سكان المدن تجد الواحد منهم لا يشرب في اليوم كله أكثر من كوبين من الماء . . .

وللزواج هناك تقاليده التي يتميزون بها ، وهي تتمشى في أصولها مع مبادىء الدين الاسلامي الحنيف ، وأنهم يحترمون الأسرة ، ويحترمون العلاقة التي تقوم بين الزوجين وهي علاقة المودة والرحمة ، ويرعى الزوجان أولادهما رعاية كاملة ، ولا يتركانهم للطريق أو لرفاق السوء . وتبدأ إجراءات الزواج بالخطبة من جهة الزوج ، فهو يتقدم في جماعة من أقاربه ويحرص على وجود أعمامه إن كانوا موجودين إلى والد الفتاة ، ومعهم الشبكة وتقدر قيمتها بحوالي مائة شلن

صومالي ، فإذا ما وافق الأب على الخطبة أحالهم على أعمام الفتاة ، وهم الذين بيدهم الأمر النهائي في القبول أو الرفض ، فإذا ما وافقوا اخذوا الشبكة ، واقتسموها بينهم ، دون أن يأخذ والد الفتاة او ابناؤه شيئا منها ، ثم يدفع الخاطب بعد ذلك ما يقدر بمائة وخمسين دينارا لأهلها لشراء الجهاز للبنت ، وقد يكون المهر عينا بأن يقدم عددا من الابل او البقر أو الغنم ، وقد يكون دينا مؤجلا على ذمة الزوج ، وبعد عقد القران يتم الزفاف في احتفال كبير ، حسب الطاقة المادية لأهل الزوجة ، وكثيرا ما يعم الفرح اهل القرية أو الحي من المدينة ، وكثيرا ما يتزوج الواحد منهم بأكثر من زوجة ، تبعا لظروفه المالية ، والطلاق موجود بصفة عادية هناك، وخصوصا لمن يرغب في أن يتزوج اكثر من أربع زوجات فإنه يطلق واحدة ليتزوج غيرها، وهم متمسكون في ذلك بتعاليم الإسلام تمسكا شديدا، والاسلام لا يبيح لأحد أن يجمع بين اكثر من أربع نسوة ، حسبما قال تعالى : **(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة)** النساء / ٣ . لقد كان لي صديق في مدينة « مقديشو » عاصمة الصومال تزوج عددا من النسوة ، يفوق ما يتصوره العقل ، لكن لا يجمع بين آكثر من اربعة لدرجة أن الإخوة لكثرتهم لا يعرف بعضهم بعضا ، وقد شاهدت بنفسي مشهدا مؤثرا في مطار مقديشو ، اوجب علي ، أن ادعو في المساجد إلى عدم المغالاة في عدد الزوجات وقد كنت هناك رئيسا لبعثة الازهر بالصومال — وهو وإن كان مباحا إلا أنه لا بد من أن يضبط بضوابط ، رأيت فتى في المطار ينتظر صديقا له قادما بالطائرة ، وجلس على مائدة كانت تجلس عليها فتاة في مثل عمره ، وجرى بينهما حديث هامس فيه شيء من الغرام لتسلية الوقت ، حتى تجيء الطائرة التي ينتظرها كل منهما ، وكنت أنا منتظرا احد القادمين من القاهرة .. وفي أثناء هذا الحديث الهامس الذي يجري على مسمع مني ، وانا أجلس على مائدة مجاورة ، فوجئت بهذا الشاب ينكفىء على يدي الفتاة يقبلها ، ودموعه تنساب على وجهه وهو يقول لها : سامحيني في الحديث الذي تحدثت به معك إنك زوجة ابي فأنت بمنزلة أمي ، وكان الحديث قد جرى بينهما عن أسرة كل منهما للتعارف .. من هذا قمنا نحن علماء الدين ، بالتعاون مع علماء الصومال، بدعوة الناس إلى الحد من ظاهرة كثرة الزواج ، ضبطا للأسرة ، وحفاظا على الأولاد ، وحرصا على بقاء العلاقة الأسرية نقية نقاء الماء الصافي ، طاهرة طهارة ماء الغمام .

وكما أن لهم تقاليد في الزواج ، لهم تقاليد في المآتم ، فهم أولا يقابلون حالة الموت بالصبر والتسليم ، ويؤمنون بأنه قضاء الله وقدره ، ولا اعتراض لأحد عليه ، فلا تسمع نواحا ولا صراخا ، ولا بكاء بصوت مرتفع ، ولا ترى نسوة يلطمن خدودهن ، أو يشققن جيوبهن ، أو يلبسن الملابس السوداء ، دلالة على الحزن على الفقيد ، كما لا تقام سرادقات للعزاء تنفق فيها الأموال الطائلة لغير مصلحة دينية ، بل إن الميت يصلى عليه في أكبر مساجد

الحي ، ويشهد الصلاة جميع المعزين، ثم يدفن في مقبرة فى منتهى البساطة، ويعزى أهل الميت ، والعزاء يكون يوما للمقيم وثلاثة ايام لمن كان مسافرا ، وحضر ، وتقدم في العزاء القهوة ، وغالبا يكون معها البلح ، وقد عزيت أهل ميت كان صديقا لي ، وقدم أهله لنا شراب البرتقال المثلج ، وكان الوقت ظهرا ، ولما رفضت أقسم والد الفقيد الذي يتوقع فيه الحزن على ابنه الشاب ، أقسم بأن أشرب لأن الجو حار ، وقال : مات الميت فليحي الحي ، ويعلنون عقب تشييع الجنازة عن حفل ختام القرآن في اكبر مساجد الحي ، ويسمونه مسجد الجمعة ، حيث يتجمع الناس بعد صلاة العشاء في الليلة المحددة وقد تكون غير ليلة الدفن وتوزع عليهم أجزاء القرآن الكريم ، وكل واحد يقرأ الجزء وبعد الانتهاء من قراءته يشير أمام المسجد بجمع الأجزاء ، وحفظها في المكان المخصص لها بالمسجد ، ويلقي عظة دينية قصيرة ، ويختمها بالدعاء للميت بالرحمة والمغفرة ، ولأهله بالصبر الجميل ، ثم توزع القهوة والحلوى بعد القراءة والدعاء ، وينصرف الموجودون حيث يسلم عليهم اهل الميت الواقفون عند باب المسجد شاكرين لهم عزاءهم ، وإذا قدر أن الحاضرين للمسجد للعزاء خمسمائة معز وكل واحد قرأ جزءا من القرآن فيكون القرآن كله قد قرىء حوالي ١٧ مرة فى هذه الجلسة الواحدة ، ويهدي ثواب القراءة إلى روح الميت، كم من الخير يصل إلى هذا الميت ، وكم من رحمات الله تتجلى عليه ببركة ما قرىء من قرآن ؟.. إنها بلا شك عادة طيبة تحقق العزاء بلا إرهاق مادي ، وبرجاء كبير في ثواب عظيم يكتبه الله للفقيد ، وفيها كذلك حفظ للقرآن الذي يتلى في كل مناسبة تحقيقا لقوله تعالى : **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر/ ٩ . وبقيت تقاليد للصوماليين في اعيادهم وفي ادائهم شعائر دينهم ، نرجئها إلى مقال تال بمشيئة الله .

إلى كتابنا الأعزاء

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بطبع مقالاتهم على الآلة الطابعة أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث .. والله الموفق والمستعان .

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

« اللهم إنّكَ أخرَجْتني من أَحَبِّ البقَاعِ إليَّ فأسكنيِّ بِأحَبِّ البلادِ إِلَيكَ فأَسْكَنَهُ اللهُ المدينةَ »-

موضوع .

قال الحاكم : من رواته عبد الله المقبري ، وهو ضعيف جدا ، وهذا الحديث من منكراته ، ورواته مدنيون من بيت ابى سعيد المقبري .
وقال ابن عبد البر : لا يختلف اهل العلم في نكارته ووضعه .
وقال ابن حزم : هو حديث لا يسند .
وقال ابن تيمية : هذا حديث باطل .

« مسكين رجل بلا امرأة ومسكينة امـرأة بلا رجل » .

موضوع .

قال الحافظ المنذري : هذا الحديث منكر ، ولم اره في شئ من الأصول .
وقال ابن تيمية : ليس هذا من كلام النبي .
ومع ان معناه يوحي بالترغيب في النكاح الا انه بهذا اللفظ لم يثبت .

رهين المحبسين

أبو العلاء المعرّي

في مواجهة الاتهام بالإلحاد والزندقة

للدكتور : عبد الكريم الخطيب

— ١ —

كان لما اصيب به ابو العلاء من فقد بصره منذ طفولته ، مع شدة ذكائه ، ووفرة إحساسه ، وفيض مشاعره — اثر بعيد المدى فى تشكيل حياته على تلك الصورة التي عاش فيها بين معاصريه ، والتي ترك دلالات كثيرة منها فيما جرى على لسانه من فنون الأدب ، شعرا ونثرا ، قد ابقى الزمن على بعضها فيما تضمه المكتبة العربية من مؤلفاته ، على حين ذهب الكثير من تلك المؤلفات ، في غمرات الأحداث التي مرت بالأمة الاسلامية بعامة ، وبالعرب بخاصة .

ومن يدري ؟ فلعله لو لم يصب ابو العلاء بتلك الآفة التي رمت عينيه بالعمى منذ مطلع حياته ، لكان لأبي العلاء صورة اخرى غير تلك الصورة المعروفة له ، ولكان له موقف آخر من الحياة ومن الناس غير هذا الموقف المعهود منه .. إذ لا شك ان هذه الآفة — آفة العمى — قد تدسست إلى مشاعر ابي العلاء ، وتمشت فى وجدانه ، وتسلطت على مدركاته ، فوقف من الحياة ومن الناس موقف الحذر من الحياة وابناء الحياة ، المستخف بكل ما تجري عليه الحياة من امور الناس ، سواء فى ذلك نتاج عقولهم ، من علوم ومعارف ، او محامل قلوبهم ، من معتقدات ومذاهب ، او موارد مشاربهم ، وتزاحمهم على المال ، والجاه ، والسلطان .. فكل ذلك محقر مستصغر عند ابي العلاء ، لا من حيث هذه الامور فى ذاتها ، وإنما من حيث تناول الناس لها ، هذا التناول الذي افسد صورتها ، وغير معالمها ، وشوه حقائقها .. فكانت نظرته إلى الحياة وما يقتتل عليه الناس من اشيائها ، نظرة فاترة ، باردة ، راحمة حينا ، راجمة لهم احيانا بالحمق والسفه والازدراء ، حتى لكأنه يشهدهم من خلال قول ابي الطيب المتنبي ، إذ يقول :

وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

— ٢ —

ولقد حاول ابو العلاء ، منذ حملته قدماه ، ان يكسر حاجز الظلام القاتم القائم بينه وبين الحياة ، وما يضطرب فيه الناس من شئونها ، وان يتجاهل هذه الآفة التي عزلته عن الناس وعن مشاركتهم السعي في وجوه الحياة ، والمشي فى مناكب الأرض ، والدخول مع الناس فى كل ما يجدون فيه ، وما يهزلون ، ولكنه وجد نفسه فى سباق هو خاسر فيه لا محالة إن هو جرى معهم إلى آخر الشوط ، فآثر ان يرجع من قريب ، وان يرضى من الغنيمة بالاياب ، حتى لا يفضح على الملأ ، ثم عليه بعد هذا ان يسوس نفسه ملزما إياها حدود الواقع المقدور له ، لا يتعداه ، وان يقيم له عالما خاصا به ، فلا يراه الناس فى عالمه هذا — إن امكن ذلك — ما دام هو لا يري الناس فذلك الذي رآه ابو العلاء ، من اعتزال الناس ، والحياة داخل عالم خاص به ، هو ارضى لنفسه ، واسلم

لحياته ، وأبقى على كرامته !!

فأبو العلاء ، إذ وجد — مع ذكائه المتوقد ، وجنانه المتوثب — أنه فى قيد العجز من تلك الآفة الملازمة له ، مع كل خطوة يخطوها ، ومع كل نفس يتنفسه ، وأنه إن سار مع الناس في ركب الحياة المتزاحم ، كان فى آخر الركب ، يتخطاه الحمقى والجهلاء، في حين أنه — عند نفسه — أهل بأن يكون قائد الركب ، وموجه مسيرته — لهذا آثر أن ينسحب من هذا المزدحم، قبل أن تدوسه الاقدام ، ويحتويه التراب المثار من تزاحم الاقدام ..

لقد جرب أبو العلاء فى مطلع حياته أن يتجاهل تلك الآفة ، وأن يكون مع الناس حيث كانوا ، غير عابىء بما سلبته الحياة إياه ، فكان يلعب الشطرنج والنرد ، ويدخل مع الناس، فى كل جد وهزل ، مكابرا ، متحديا ..

يقول أبو منصور الثعالبي فى كتابه « تتمة يتيمة الدهر » : « حدثني أبو الحسن الدلفى المصيصي — وهو ممن لقيته قديما وحديثا ، مدة ثلاثين سنة — قال : « لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب ، رايت اعمى ، شاعرا ظريفا ، يلعب الشطرنج والنرد ، ويدخل في كل فن من الجد والهزل ، اسمه أبو العلاء ، وسمعته يقول : انا احمد الله على العمى ، كما يحمده غيري على البصر ، فقد صنع لي ، وأحسن بي ، إذ وقاني رؤية الثقلاء البغضاء » !!

فهل كان ابو العلاء ، راضيا حقا عن العمى؟ وهل كان يعد ذلك نعمة من نعم الله تعالى عليه ؟ إن ذلك من أبي العلاء ، هو عزاء لنفسه ،ومكابرة منه ، حتى لا يعيبه عائب ، ولا يشمت به شامت .. وحتى لكأنه يقول للناس : انكم لا تستحقون النظر إليكم فما فيكم شيء يحمده من ينظر إليكم ، وكأنه يقول للدنيا : اغربي عن وجهي، أيتها الخادعة الغرور ، التي تخيل لأبنائها بهذا السراب ، فجروا وراءها جريا لاهثا ، حتى هلكوا ظمأ ..وحتى لكأن لسان كل واحد منهم يقول :

اظمتني الدنيا فلما جئتها
مستسقيا هطلت علي مصائبا

والناس من الدنيا بين رجلين : رجل فاتر الهمة ، خائر العزم ، يمد يده إلى الدنيا مستجديا ، يتقبل منها كل ماتلقي به إليه من قليل أو كثير ، ومن طيب أو خبيث ، وكأنه عند قول الشاعر :

إذا كنت فى قوم ولم تك منهم
فكل ما علفت من خبيث وطيب

وعلى شاكلة هذا الرجل كثير ،كثير من الناس .. إنهم فى حكم الاسرى، فى يد الدنيا ، لا حول ولا حيلة لهم فيما تأخذهم به من أحكامها .. وهل للسجين اختيار فيما هو فيه ، وفيما يلقى فى سجنه ؟

ورجل بعيد الهمة ، قوي الشكيمة، ماضي العزم، لا يعطي يده مستسلما لهذه الحياة ، بل يلقاها منازلا متحديا، يلقي فى وجهها بكل ما يسوؤه منها ، وبهذا يخرج من سلطانها ، مؤثرا أن يموت بسيف الوحدة والاغتراب ، بين شعاب الجبال، ومع السباع والافاعي على أن يموت في يد الاسر لهذه الدنيا. وقليل ، قليل هم أولئك الرجال ،الذين ينزعون هذا المنزع ، ولا يرضون من الحياة إلا أن تكون مطية لهم ، لا أن يكونوا مطايا لها !!

وأبو العلاء ، واحد من اولئك

الرجال، الذين حين أرادت الدنيـــــا إنزالهم على حكمها . واخذهم أسرى لها ، أعطوها ظهورهم ، غير آبهين لها ، أو آسفين على شيء مما فاتهــم منها . .

تلك هي وقفة ابي العلاء من الدنيا ، وهذه فلسفته معها . . إنه ــ وقــد راى أنه قد سلب اداة البصر التــي يميز بها وجوه ما فى هذا الوجود ــ انزوى فى كسر بيته ، مجتزئا بقليــل من الزاد الذي يسد الرمق ، غير متلذذ به ، أو مشتة له ، ولو أمكن الاستغناء عن هذا الزاد القليل لما مد يده إليه ، ولكنه ضرورة لا بد منها ، فهو واقع فى هذا تحت حكم الاضطرار ، كمــا يضطر الجائع إلى أكل الميتة والدم وفى هذا يقول أبو العلاء :

ذر الدنيــا اذا لم تحــظ منهــا
وكن فيهــا كثـيرا أو قليــلا

واصبح واحد الرجلــين امــا
تليكا فــي المعاشر أو ابيـــلا

« الابيل : الراهب المعتزل للحياة»

فأبو العلاء ، هنا ، لا يدعو إلــى ترك الدنيا ، الا بعد ما تركته الدنيا ، وسلبته النور الذي يراها به ، ويعرف طريقه إليها . . ولو أن الدنيا قداقبلت عليه ، ووضعته فى الموضع الــذي يرى نفسه أهلا له ، لأقبل عليهــا ، وعب من منهلها . . اما وقد سلبتــه الحياة أعز ما يحرص عليه الكائـــن الحي ، فإنه هيهات أن يبلغ من دنياه، ما تراوده أحلامه عليه . . فاذا لــم يكن له إلى الصدر سبيل ، فالقبـــر أحب اليه . .

ونحن أناس لا توســط عندنــا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ومن هنا نزل ابو العلاء إلى هــذا القبر الذي حفره لنفسه بيديه ، وهو حي ، بل إنه لم يجعله قبرا واحدا ، بل ثلاثة قبور ، بعضها داخل بعض، كما يقول :

اراني في الثلاثة من سجونــي
فلا تســأل عن الخبر النبيــث

لفقدي ناظري ،ولــزوم بيتــي
وكون النفس في الجسم الخبيث

« الخبر النبيث ــ الشر الظاهر »

ــ ٣ ــ

تلك هي فلسفة أبي العلاء ،وذلك هو موقفه الذي ارتضاه من الحياة، وابناء الحياة . .

إن فلسفة أبي العلاء هذه تجــاه الحياة ، إنما هي نزعة من نزعــات طموحه البعيد ، الراغب فى اجتنــاء أكبر قدر من ثمراتها ، واحتلال أعلى منزلة من منازلها . . فلما فاته ذلــك ترك الدنيا وكل شيء فيها .

وهذا الزهد الذي عرف من أبــي العلاء فى حياته ، ليس زهد القادرين، الممكنين مما يريدون ، وإنما هو زهد عجز عن بلوغ أمانيه ، وتحقيق آماله . . .وليس هذا الزهد نتيجة لتأثير من الفلسفة الهندية القائمة على حرمان الجسد ، وأخذه بهذه الريــاضــات المنيفة ، حتى يضمحل ، ويزوى، ثم يفنى ويذوب فى «النيرفانا» كما يرى ذلك الذين تحدثوا عن أبي العلاء ، وقالوا عنه : إنه وقع على بعض الكتب الهندية ، التي تدين بهذه الفلسفة ، فأعجبه ذلك ، والحق غير هذا ، فإن فلسفة أبي العلاء نابعة من نفسه ، متولدة عن هذا الصراع بــين همته وعجزه ، الذي كان من أقوى أسبابه

فقد بصره ..

ففي كتاب أبي العلاء : « الصاهل والشاحج» الصاهل : الفرس ، الشاحج : البغل أو الغراب .. يحكي أبو العلاء في كتابه آثار أبي العلاء هذه الحكاية الرمزية ، عن أسد أعمى ، فيقول :

« عمي أسد ، من عوام الآساد ، فأضر ذلك به ، فقيل له : لو جئت تلك الأسد ،فسألت ملكها أن يصلك، لكان ذلك رأيا لك .. فذهب اليه ، وسرد قصته عليه ، فقال لخازنه يجري عليه في كل يوم عضوا مؤربا، « أي كاملا » فقال الاسد الذي التمس الجراية : اصلح الله الملك .. أني كنت أصطاد الوعل ، والبقرة الأهلية ، فلا أكاد أدرك الشبع ، فأين مني هذا العضو يقع ؟ فقال الملك : من اتكل على كسب غيره ، وجب أن يقنع بقليل خيره !! فقال الاسد : صدق الملك ، ولا حاجة لي بهذا العضو !! فقال الملك: فما تصنع؟ قال: اجتزيء بما ينبت السحاب ، ولا أفتقر إلى الملك والأصحاب !! » .

ذلك هو أبو العلاء . في صورة هذا الأسد الأعمى !! إن الاسد ، هو الاسد ، وإن كان أعمى !! إنه لا يأكل الميتة ولو مات جوعا !! وهو لا يقبل هذه الصدقة الهزيلة التي يجريها الملك عليه ، ليكون كلبا يرضى بالعظم . وإنه لخير له أن يعف عن اللحم ، وأن يجتزيء عنه بنبات الأرض ، مما لا عمل ليد أحد فيه ، من أن يلقى إليه بما يتساقط من فتاتات الموائد ، وإن كانت موائد الملوك !!

— ٤ —

وأبو العلاء متأثر في هذا بأبي الطيب المتنبي ، الذي كان معجبا به وبشعره ، حتى لقد تولى أبو العلاء شرح ديوانه ، الذي سماه : «اللامع العزيزي ، في شرح شعر المتنبي » ..

فقد كان المتنبي طموحا ، يريد الملك والسلطان ، ويركب من أجل هذا كل ما يكره ، حتى لقد اضطر إلى السفر إلى مصر ، بعد أن ترك سيف الدولة أمير حلب ، وما يغدق عليه من هبات ، ليمدح كافورا الاخشيدي ، الذي شاءت له المقادير أن يحكم مصر ، وهو عند المتنبي ، عبد حقير جاهل ، فسولت للمتنبي نفسه أن يتوسل بمدح كافور الى مشاطرته الملك ، أو انتزاعه منه إن استطاع !!

فلما لم يظفر المتنبي عند كافور بما كانت تطمح إليه نفسه ، تركه ، وهرب بليل ، ثم هجاه بأقذع ما يهجى به إنسان ، ثم إنه إذ لم يبلغ ما كان يريد ، هانت الدنيا في عينيه، واستخف بالرزايا ، ورمى بنفسه في مطارح الهلاك ، غير مبال إذا وقع على الموت ، أو وقع الموت عليه ، فما للحياة طعم بعد أن فاته الملك الذي رصد حياته له .. وفي هذا يقول :

وكنت إذا أصابتني سهام
نكسرت النصال على النصال
فصرت وما أبالي بالرزايا
لأني ما انتفعت بأن أبالي

فها هو ذا المتنبي يقعد يائسا ، مستسلما لضربات السهام المصوبة إليه من الحياة ، بعد أن أفلت زمام

الحياة من يده ، وبعد هذا الطموح الذي كان متقدا في صدره ، والذي اركبه المخاطر ، وطوح بـــه في كل مهلكة !! أفليس هو القائل في فورة شبابه ، ووقدة طموحه !! أفليس هو الذي يقول :

الخيل والليـــل والبيـــداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ويقول :

سبحان خالق نفسي كيــف لذتها
فيما النفــوس تـــراه غاية الألم

ويقول :

وشر مـــا قنصته راحتـــي قنص
شهب البزاة سواء فيه والرخـــم

لقد تأثر أبو العلاء بالمتنبي ، في هذا المنزع المتعالي المتشامخ ، فلما عز عليه أن يرقى إلى هذا المرتقى ، وهو في صحبة هذه الآفـــة من فقد بصره ، لم يشأ أن يأخذ طريق المتنبي ، حتى يصطدم بتلك الحقيقة المرة ، التي اصطدم بها المتنبي — رجع من أول الطريق . ولزم بيته ! ولسان حاله ومقاله يقول :

ولـــم أرغـــب عن اللـــذات إلا
لأن خيارهـــا عنـــي خنسنـــــه

— ٥ —

وعلى عكس أبـــي العلاء ، وفي موقفه من الحياة ، كان موقف بشار ابن برد منها . . فبشار ، ولد اعمى ، فشارك أبا العلاء في هذه الآفة ، كما أنه كان شاعرا ، كأبي العلاء . . ولكنه لم يحبس نفســـه في كن بيته ولم يزهد في طيبات الحياة أو خبيثها كما فعل أبو العلاء ، بل مضى يخبط في الحياة خبط عشواء ويلقي بنفسه في كل وجه من وجوهها ، ويرد كل مورد من مواردها ، غـــير مبال بما يشرب من عذب فرات ، أو من ملح أجاج . . فألحد وتـــزندق ، وعاقر الخمر ، وهتك الحرائر . .

ويروي أبـــو العـــلاء في كتابه : « رسالة الغفران » على لسان ابن القارح ، الذي تصـــوره المعري في الدار الآخـــرة ، ومن أهـــل الجنة الفائزين برضوان الله . . وقد طوف المعري بابن القارح في الجنة ، وجمع بينه وبين الكثير من الشعراء فيها ، ثم أطلعه على أهل النار ليرى من من الشعراء فيها ، وما يلاقون من صور العذاب فيها ، ثم اذ تقع عين ابن القارح على إبليس — لعنه الله — الذي يسأل عن بشار وما فعل الله به ، ويقول لابن القارح : إن لبشار بن برد يدا عندي ليست لغيره من ولد آدم ، لقد كان يفضلني دون الشعراء ، وهو القائل مخاطبا أبناء آدم :

ابليـــس افضـــل مـــن ابيكم آدم
فتنبهـــوا يـــا معشـــر الأشرار
النـــار عنصره ، وآدم طينـــــة
والطـــين لا يسمـــو سمـــو النار

فلا يسكت إبليس من كلامه هذا الا ورجل في أصناف العذاب يغمض عينيه ، حتى لا ينظر الى ما نزل به من النقم ، فيفتحهما الزبانية بكلاليب من النار ، واذا هو « بشار بن برد » قد أعطي عينين بعد الكمه ، لينظر إلى ما نزل به من النكال !! » « الكمه العمى منذ الولادة والأكمه مـــن ولد أعمى » .

وابو العلاء ، إذ يرســـم هـــذه

الصورة المتخيلة لبشار بن برد ، كما تصورها في « رسالة الغفران » لا يقطع ان كان بشار من أهل الهلكة أو النجاة ، فذلك إلى الله وحده.. يقول أبو العلاء : « ولا أحكم عليه — أي على بشار — بأنه من أهل النار ، وانما ذكرت ما ذكرت ، فيما تقدم ، لأنني عقدته بمشيئة الله ، وإن الله لحليم وهاب » .

فهذا هو رأي أبي العلاء في بشار ابن برد ، شبيهه فى العمى ، وفي الشعر .. وقد نزع بشار إلى الخلاعة والمجون ، وأطلق لنفسه العنان ، يقوده الهوى حيث شاء ، على حين لبس أبو العلاء ثوب الزهد والتعفف ، والتصون عن كل ما يمس كرامة الانسان ، أو يسمح لقالة سوء فيه .

ومع ذلك ، فهل سلم أبو العلاء من السنة الناس ، حيا وميتا ؟ لقد كثرت فيه المقولات ، فرمي — وما زال يرمى — بالزندقة والالحاد ، والكفر بالله ، والرسل ، والكتب ، والحساب والجزاء .. على حين حسن رأي كثير من الناس فيه ، حتى رفعه بعضهم إلى مقام الولاية .. وساق هؤلاء وهؤلاء جميعا الأدلة والشواهد التي تؤيد ما يقول فيه من يرمونه بالكفر والالحاد ، ومن يخلعون عليه ثوب التقى والولاية ..

وهكذا الناس بالناس ، وخاصة بمن يكون لهم ما يمتازون به من ذكاء ونبوغ .. يكثر أعداؤهم وحسادهم، فيرون ما يرون منهم بعيون متهمة لكل شيء يصدر عنهم ، على حين يبالغ بعض الناس في حبهم ، واغماض العيون عن زلاتهم وعثراتهم ، فلا يرون منهم إلا ما هو حسن وجميل..

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقد كان لأبي العلاء نصيبه الموفور من هذا وذاك ، من المدح ، والذم ، ولكن ما ناله من الذم أكثر ، وانكى مما ناله من الثناء .. إذ كان ما ناله من الذم — حيا وميتا — يتصل بعقيدته ، حيث يرمى باللعنات، من يصور له بتلك الصورة الملحدة الكافرة ، وإن كان المترحمون عليه قليلين !

وقد أحس أبو العلاء بوخز هذه الطعنات النافذة المميتة ، وهو حي..

فيقول :

حاول اهواني قوم فما
واجهتهم إلا باهوان
وجرسوني بسعاياتهم
فغيروا نية إخواني
لو استطاعوا لوشوا بي إلى المـ
ـريخ في الشهب وكيوان

ويقول أيضا :

غريت بذمي أمة
وبحمد خالقها غريت
وعبدت ربي ما استطعـ
ـت ، ومن بريته بريت
وفرتني الجهال حا
سدة علي وما فريت

وهكذا يتلقى أبو العلاء في حياته هذه الرميات ، وهو قابع في سجنه الذي سجن فيه نفسه ، وتنهشه الألسنة بتهم الزيغ ، والالحاد .. فهل كان أبو العلاء حقا ملحدا ؟

سنرى حقيقة ذلك في المقال التالى إن شاء الله .

مائدة القارئ

غفرانك

لجأ موسى عليه السلام الى ربه تعالى مستغفرا فقال ـ كما حكى القرآن الكريم ـ :
(قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم .
قال رب بما انعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) .
الآيتان ١٦ و ١٧ من سورة القصص

أصدق الناس فراسة

يقال أصدق الناس فراسة ثلاثة : العزيز في قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام :
(أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) .
وابنة شعيب التي قالت لأبيها عن موسى عليه السلام : (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) .
وأبو بكر الصديق رضي الله عنه باستخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أمانان من عذاب الله

قال أحدهم : كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه ، فرفع أحدهما ، فدونكم الآخر فتمسكوا به .
أما الأمان الذى رفع ، فهو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
وأما الأمان الباقي ، فهو الاستغفار قال الله تعالى :
(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) .

قد شهدتا

وضعت حجلتان مشويتان على مائدة طعام ، وكان في القوم رجل نظر إليهما وضحك . فسأله الأمير : ما يضحكك ؟.
فقال : قطعت الطريق في عنفوان شبابي على تاجر ، فلما أردت قتله تضرع فما أفاد تضرعه ، فلما رأى أنى قاتله لا محالة ، التفت الى حجلتين كانتا في الجبل ، فقال : اشهدا عليه أنه قاتلي .
فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه .
فقال الأمير : قد شهدتا . ثم أمر بضرب عنقه فضربت .

دعاء

روى ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب :
« لا إله إلا الله ، العظيم الحليم ، لا إله إلا الله ، رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله ، رب السموات ، ورب الأرض ، ورب العرش الكريم ».
أخرجه البخارى

الطاغوت

الطاغوت هو : كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .
فطاغوت كل قوم : هو من يتحاكمون إليه غير الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم . أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، او يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله .

لا حاجة الى دليل

سئل أحد الصالحين عن الأدلة التي أقنعته بالايمان بالله فابتسم وقال : أغنى الصباح عن المصباح . متى احتاج النهار إلى دليل ؟!

رسائل

قال الشاعر :

تأمل سطور الكـــائنات فانها ... من المـــلأ الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملـــت سطرها ... ألا كل شئ ما خلا اللـــه باطل

ومن شفرة الحياة أزواجًا أزواجًا

٧

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) ـ العنكبوت / ٢٠
(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا) ـ فاطر / ١١
(إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه) ـ الانسان / ٢
(ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ـ الذاريات / ٤٩
(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) يس / ٣٦

لو أننا ألقينا نظرة فاحصة على هذه الآيات البينات ، لرأينا أنها تتحدث عن الخلق ، وتقدمه لنا في إشارات وتلميحات سريعة ومقتضبة ، فتارة تأمرنا بضرورة البحث عن بدايات خلق الحياة ، لأنها قد تقودنا إلى بديع أسرار الله ، ونعرف منها كيف قامت على أساسها كل أنواع المخلوقات ، وتارة أخرى يأتى ذكر النطفة التى من التراب ، والتى خلق منها الأزواج ، وفي موضع

للدكتور عبدالمحسن صالح

ثالث يلمح القرآن بخلق الانسان من نطفة أمشاج ـ أى أخلاط ، وفي آية رابعة يشير الى أن الله قد خلق من كل الأشياء زوجين ، علنا ندرك قدرة الله وحكمته فيما أقام من الأزواج ، التى تنبتها الأرض ، والتى نراها في الأنفس ، ومما لا نعلم .

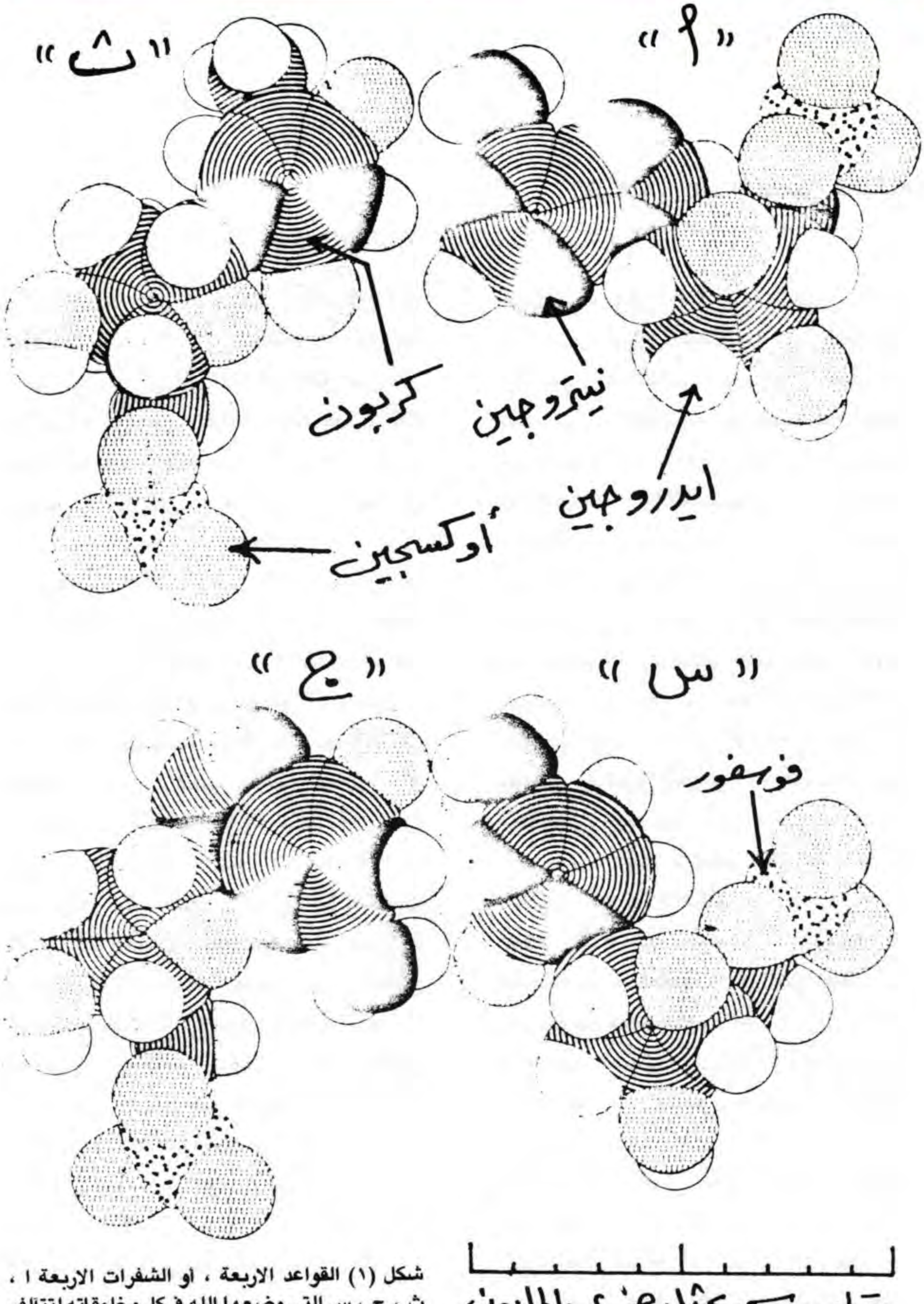
وهناك آيات كريمة كثيرة تشير الى أن النطفة من زوجين ، أو أن الخلق جميعا ـ ما نعلم وما لا نعلم ـ قد نشأ على فكرة الأزواج أو الزوجين ، ولو أننا اجتهدنا ونظرنا وتعمقنا في القصد من هذه التلميحات أو الاشارات لكتبنا فيها مجلدات من فوق مجلدات ، ذلك أن الربط بين حصيلة العلم الحديث وبين ما أشارت إليه هذه الآيات المقتضبة هى ضرورة من ضروريات هذا العصر ، لأن الخلق قام على حكمة ، وسار بنظام ، سرى بقانون ، والله يحضنا على تقصى الحقائق ، فذلك هو سبيلنا إلى كشف ما في أكوانه المترامية من آيات « لقوم يوقنون » .. « لقوم يتفكرون » .. « لذوى الألباب » .. الى آخر هذه الارشادات التى تأخذبيدنا الى كل ما هو طيب وجميل وبديع .

وفي الدراسات الستة السابقة التى قدمناها على صفحات هذه المجلة رأينا كيف كان عطاء القرآن غير محدود ، وأن التلميح بذكر خلق الزوجين ليس مقصورا على الأنسان ولا على الكائنات ، بل هو أعمق مما نتصور ـ المهم أننا في هذه الدراسات قد ألمحنا إلى كيفية خلق الجسيمات أزواجا ، والأكوان أزواجا ، والخلايا أزواجا ، والأمشاج أزواجا ، والجينات أو المورثات أزواجا ، وعندها ـ أى المورثات ـ قد توقفنا ، لنفتح هنا باب أسرار الخلق ، وننظر من خلاله إلى أكوان أدق وأدق ، فنرى الأزواج تعبر عن نفسها مرة أخرى ، وكأنما هى تحتضن بعضها مثنى مثنى لتقدم لنا تجسيدا حيا لأعظم وأروع لغة في الكون على الاطلاق .. صحيح أن هذه اللغة ليست مقروءة ولا مسموعة ، لكنها في ألواحها أو شرائطها محفوظة ، فاذا دارت وأمرت ونفذت ، كنت أنت وأنا وغيرنا من كل الخلائق .. المنظور منها وغير المنظور !

لكن ماذا تعنى لغة جاءت أزواجا أزواجا ؟

إنها لغة الـ « أ . ث . ج . س » !

وإلى هنا قد تنتابك حيرة وتتساءل : هل هى أحاجى وطلاسم وألغاز ، أو أنها بعض شطحات العلماء ؟



شكل (١) القواعد الاربعة ، أو الشفرات الاربعة ا ، ث ، ج ، س التي وضعها الله في كل مخلوقاته لتتآلف أزواجا ازواجا . والصورة نموذج لارتباط العناصر الارضية بنظم دقيقة خاصة لينشأ كل حرف (أو مركب) من هذه اللغة المثيرة ــ لغة الحياة .

ليست في الـواقع كذلك ، فنحن أمام كون عظيم ، أو قل إن خلية حية واحدة من خلايا جسد الانسان تحتوى على بنك من هذه المعلومات ، أو قل إنها مكتبة كبيرة قد تكدست فيها كل أسرار الخلق التى تبدو لنا على هيئة كنز ثمين ، تهون بجواره كل كنوز الأرض ، ما ظهر منهـا وما خفى .

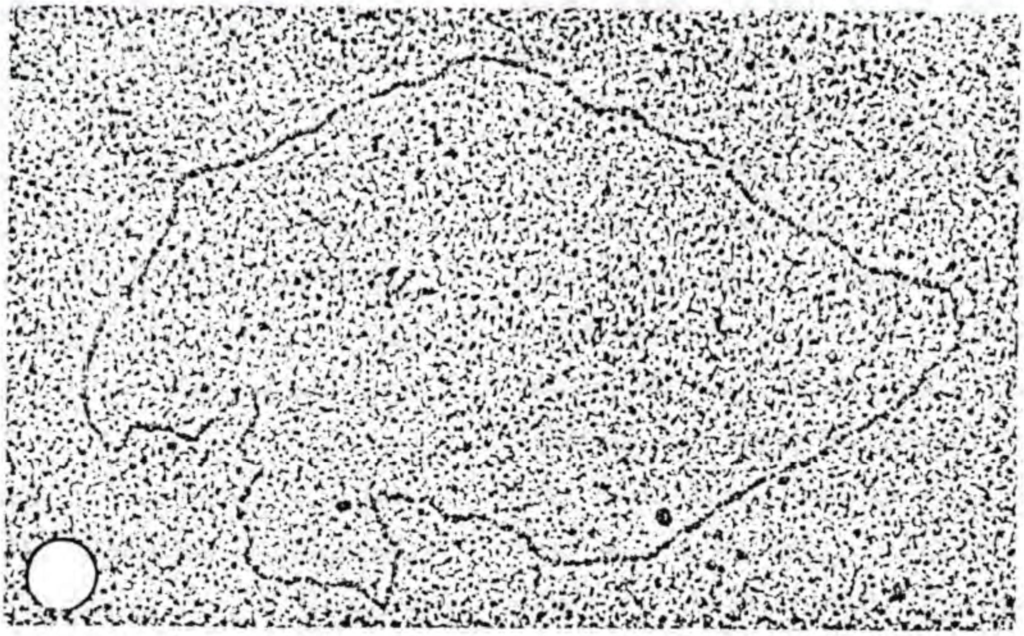
فهذه الشفرة ـ أ ث ج س ـ تراها منتشرة في كل المخلوقات ـ بداية من الفيروس والميكـروب ، إلى الـدودة والحشرة والحوت والباذنجان والملوخية والحمار والقرد والانسان !

يعنى انه لا يمكن لكائن حى ـ نعرفه على وجه الأرض ـ أن يقوم ويحيا بدون هذه الشفرة ذات الحروف أو الرموز الأربعة ، فهى ببساطة عمد الحياة التى وضعها الخالق كلغـة موحدة بين ملايين الأنواع ، ولهذا فالمخلوقات كلها سواء بسواء ، إذ جمعت بينهـا أ ، ث ، ج ، س ، ووحدت شفرتهـا ، رغـم اختلاف أشكالهـا وألوانهـا وأنواعهـا وسلالاتها .

ومن المؤكد أن هذه الرموز ليست لغـة سماوية ، بل تأكيدا للغـة أرضية ، وهى بالتحديد جاءت من عناصر التراب ، ثم إنها تنشأ من التراب ، والى التراب تعـود ، ثم تبعث ، وتعيش وتموت وتعود .. إنها حياة من تراب ، وتراب من حياة ، وهكذا تتكرر الـدورة ملايين وراء ملايين من المرات ، وربما كان ذلك مصداقا لقوله تعالى : **(كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلـين)** الأنبياء/ ١٠٤ .. **(إنه يبدأ الخلق ثم يعيده)** يونس/ ٤ .. **(أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده)** العنكبوت/ ١٩ .. **(الله يبدأ الخلـق ثم يعيده ثم اليه ترجعـون)** الـروم/ ١١ .. **(الـذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلـق الانسان من طين)** السجدة/ ٧ . الى آخر هذه الآيات البينات التى تشير إلينا من طرف خفى ، وكأنما هى تحمل في معناهـا كيف أن البداية تصير إلى نهاية ، والنهاية تتحول الى بداية ، وفي هذا يكون خلود الكون بدون حدود ، « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » !

على أننا سنأخذ هذا الجزء الأخير من الآية ، ليكون لنا بداية .. نعنى **(وبدأ خلق الانسان من طين) .**

فالفكـرة السانجة عن الخلـق تتصور أن الله سبحانه وتعالى قد أتى بقطعة من الطين ، وصاغها على هيئة جسد من بشر ، ثم نفخ فيه من روحه ، فاذا هو قائم يسعى ، لكن هذا التصور البدائى سوف يفسح الطريق ويتوارى أمام فكرة الخلق التى دفع الله الانسان لها دفعـا ليتقصى أسبابها ، ويعرف أسرارها ، وعندئذ فقط سوف يخشع العقل لقدرة فذة جعلت من التراب حياة ، ولكن بطريقة أخرى غير طريقة التشكيل التى يفعلهـا الصبية على شواطئ البحار عندما يلعبون في الرمال ، ومع ذلك فالذين كانوا يتصورون ذلك على حق فيما تصوروا ، فعلى قدر ما



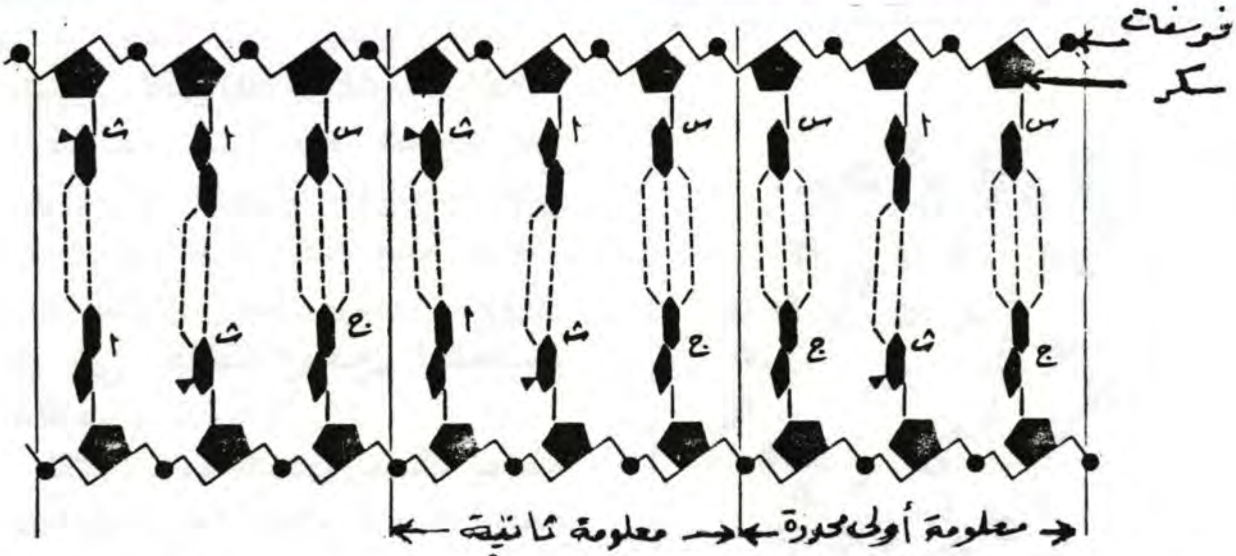
شكل (٢) شريط وراثي مكبر بالميكروسكوب الاليكتروني ٤٧ الف مرة ، وهو يحتوي على آلاف الشفرات الكيميائية ، لكننا لا نستطيع ان نراها هنا ، لاننا في الواقع ننظر الى ظاهره ، أما باطنه فشئ آخر ، ولو رأيت الباطن لرأيت ازواجا ازواجا (انظر النموذج شكل ٢)

تصوروا وعرفوا ، قالوا وأفتوا !

والتراب لا يمكن أن تدب فيه حياة من تلقاء نفسها ، بل لابد لهذا التراب من فكرة ليس كمثلها فكرة ، وقدرة لا تدانيها قدرة ، ونظام لا يعلوه نظام ، وكل هذا نستطيع أن نقول عنه إنه نفحة من روح الله .. أى جزء من نظامه البديع ، الذى أظهره في هذا الجزء من الكون المثير ، فما عرف العلماء في الكون أمرا يمكن أن يقوم بغير نظام ، خاصة اذا أثبت وجوده لبلايين وراء بلايين من السنين ، وسار بقوة هادرة فيها تجدد وروعة وابداع ، وهل هناك ما هو أبدع من هذا الطوفان الدافق الذى تتجلى فيه عظمة اللـــه ، وفيه يقول : **(فأينما تولوا فثم وجه الله)** البقرة/ ١١٥ .. سبحانك أنت المبدع ذو القوة والجلال والجمال !

فالأربعة التى وضعها اللـه في الأشرطة التى جاءت أزواجا من داخل أزواج ، لتصبح شفرة الحياة ولغة خلاياها ، لتنشأ منها كل المخلوقات .. هذه الأربعة أ ، ث ، ج ، س ، يتكون كل منها أيضا من أنواع أربعة هى : يد ، أ ، ك ، ن ، لتصبح هى الأخرى بدورها بنايات أصغر ، داخل بنايات أكبر ، لتأتى بعد ذلك أزواجا ، قد تحسبها أنت الغازا .

فأما الأربعة البسيطة : أى ، يد ، أ ، ك ، ن ، فهى الايدروجين والأوكسيجين والكربون والنيتروجين ، ولهذا فان حروفنا هذه ليست إلا رموزا لتلك العناصر الأرضية ، ولقد تداخلت هذه الأربعة وانتظمت في جزيئات أربعة كذلك هى أ ، ث ، ج ، س ، وهذه بدورها



شكل (٣) يوضح كيف ترتبط شفرة الحياة هنا في شريطها ازواجا ازواجا ، فدائما ا مع ث ، وايضا ج مع س ، وبهذه اللغة س ا س ، س ا ث .... الخ ، تاتي المخلوقات .

اختصار لمركبات كيميائية :
آدينين ، ثايمين ، جوانين ، سيتوزين ، ونحن للأسف لم نجد لهذه الكلمات العلمية مرادفات عربية ، ومع ذلك فان العلماء يطلقون عليها اسم القواعد الأربعة الأساسية التى تقوم عليها أعمدة « قواميس » الكائنات الحية (شكل ١) .

ونحن لا نستطيع أن ندخل في التفاصيل ، لكن يكفى أن نقدم هنا صورا وأشكالا توضح بعض ابداع الله وتنظيمه فيما خلق ، وسترى مثلا صورة أ ، ث ، ج ، س ـ كما يتصورها العلماء في جزيئاتها ، ثم كيف تنتظم بعد ذلك في سلم حلزونى (شكل ٢) أو مفرود ، لكن هذه النظم لها فكرة متقنة ، وارتباطات قامت على حكمة سوف تتضح لنا بعد حين .

كل هذا قد لايهمنا بقدر ما يهمنا أن نعرف أن القواعد الأربعة الأساسية ، أو تلك الرموز « السرية » قد ارتبطت ـ كما تراها في الصور المنشورة هنا ـ أزواجا أزواجا (شكل ٣) .

فالشفرة أ ترتبط دائما بالشفرة ث ، والشفرة ج دائما قرينة س ، وليس من الممكن طبعا ـ لاعتبارات كثيرة ـ أن « تتزاوج » ا مع ج ، ولا ج مع ث ، ولا س مع أ ، ولا أ مع أ ، اللهم إلا إذا تصورنا أن إنسانا قد تزاوج مع قردة ، أو أن ديكا قد تزاوج مع بطة ، وطبيعي أن قوانين الحياة المنظورة تمنع ذلك ، وحتى لو حدث بطريق الخطأ ، فان هذا التزواج لن يسفر عن شئ على الاطلاق ، وكذلك يكون الحال مع هذا العالم الذى يقع فيما وراء حدود عيوننا ، أو عيون ميكروسكوباتنا الضوئية أو الاليكترونية !

يعني هذا أن « ألفا لثاء » ، و « جيما لسين » ، ولا يمكن مطلقا أن تختل هذه الأزواج في كل الكائنات ،

ولـــو حدث خلل بنسبة واحد في المليون ، لأدى ذلك إلى كارثة وراثية .

هــــذه اذن نبذة قصيرة عن « قوانين » الشفرات الأربعــة التي جاءت من التراب على هيئة عناصر أربعة لتكون زوجين زوجين .. **(ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكـــم تذكرون)** الذاريات/ ٤٩ .

لكن .. ما الــذى يمسك بهــذه القواعد الأربعة ليجعلها قائمة راسخة في كل المخلوقات ؟

إنه نظام آخر عجيب يرتبط فيه سكر خاص (اسمه ريبوز) بجزئ من فوسفات ، وهكذا يجتمع جزئ من العالم العضوى بجزئ من العالم غير العضوى ويرتبط به .. أيضا أزواجا أزواجا ، فكما كان هناك أ مع ث ، ج مع س ، كان أيضا سك مع فو (أى سكر مع فوسفات) ، ثم تتكرر هذه الأزواج في جزيئاتها الوراثية العملاقة آلاف ومئات الآلاف وملايين المرات ، وكل يعرف من « البيت » مكانه ، ومن « رفيق » عمره طبيعته ونوعه ، فيقترب منه ، ويرتبط به ، وهكــذا يقوم أعظم وأدق بناء في هذا الركن من الكون العظيم .

ولكى نظهــر عظمة الخلــق على حقيقتها ، دعنا نأخذ أية خلية من جسد الانسان ، عندئذ نجدها تحتوى على أكثر من ٨,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ شفرة (ثمانية بلايين) ، ولـما كان جسم الانسان يحتوى على أكثر من ٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ خلية (أى ٦٠ مليون مليون) ، فان عدد الشفرات التي يحتويهـــا تبلغ



شكل (٤) الكروموسومات أو الامشاج التي عزلت من خلية جسدية لانسان ، انها هنا لا تثير في النفس فكرا ولا اثارة ، لكنها في الواقع بمثابة مكتبات او مخازن ضخمة للمعلومات الوراثية .

٤٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ شفرة ، لكن لا تنس أن هذا العدد الكونى قد اشتق من الخلية الأولى — أى من البويضة الملقحة في رحم أم ، فكلما نشأت منها خلية ، أخذت معها الثمانية بلايين شفرة لتدير بهـــا شئونها ، « وتتفاهم » بهــا مع ما حولهــا من خلايا بلغـــة كيميائية رائعة ، تسعد العقول الواعية ، وقد تتحول الخلايا الجسدية في الغــدد الجنسية الى حيوانات منوية وبويضات ، وعندئذ نجد في الحيوان المنوى نصف عدد هذه الشفرات (أى



شكل (٥) الجينات أو المورثات وهي تتراص على الامشاج أو الكروموسومات .

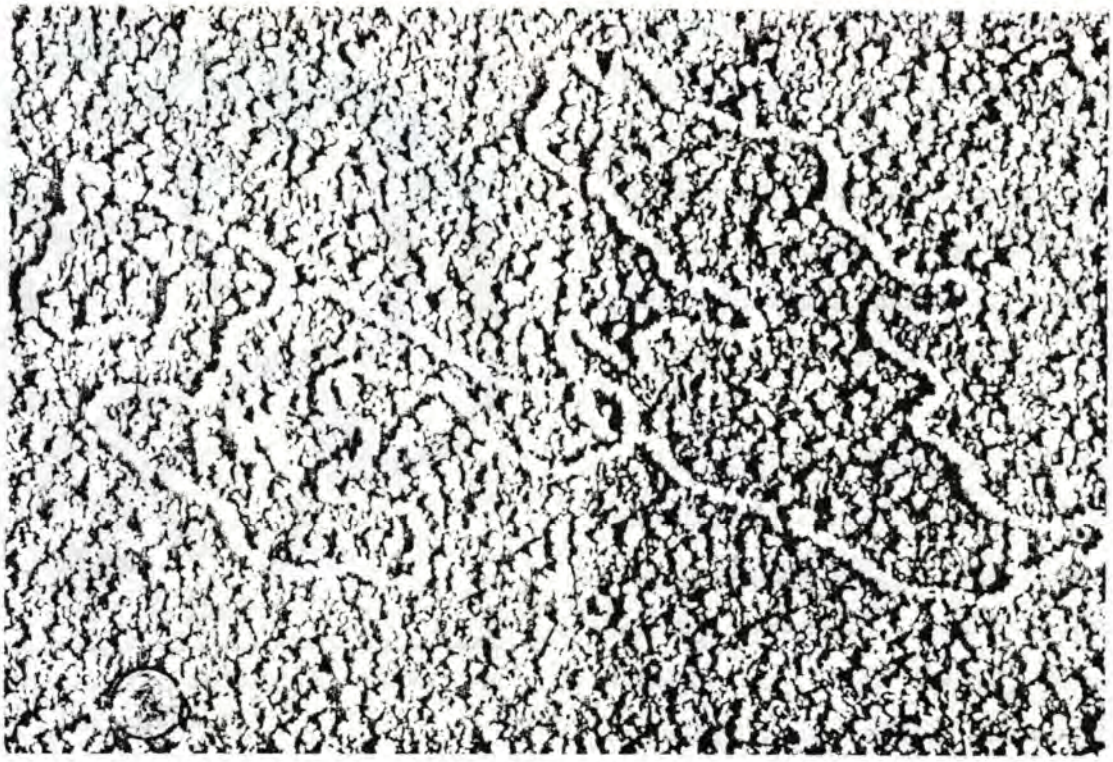
قدر عدد سكان العالم الآن) ، وكذلك تكون البويضة ، وعندما تختلط البلايين الأربعة لهذه ، مع البلايين الأربعة لتلك ، يحدث التكامل ، وتشتغل الأزواج من أ ، ث ، ج ، س ، وتعطي أوامرها ، وتكون البداية الحقيقية للجنين الذى يتطور ويتشكل من خلال نظم بديعة لازلنا نتوه فيها ، وتحيرنا أعظم حيرة .. لكن هذا موضوع آخر نرانا في حل من التعرض له هنا .

وربما تكون قد مررت على الأرقام الضخمة التى ذكرناها مر الكرام ، ولكى نستوعب معناها كان لابد أن نقدمها بصورة أكثر وضوحا وإشراقا ، فلو أن رموز شفرة الوراثة في أية خلية من خلايا الانسان قد تحولت الى شفرات كالتى نستخدمها في إرسال البرقيات ـ أى على هيئة شرطة (ـ) ونقطة (.) ، أو تباديلها ومضاعفاتها ـ فان كتابة هذه الشفرة يحتاج إلى عدة مجموعات من دائرة المعارف البريطانية ، هذا رغم أن المجموعة الواحدة تحتوى على ٣٠ مجلدا ضخما ـ أى كأنما نحن بالفعل أمام بنك ضخم من المعلومات الوراثية ، أو مكتبة يهول العين مرآها !

لكن كل هذه المعلومات قد كدست وحفظت في صورة مصغرة لا تكاد عيون الميكروسكوبات أن توضحها لنا على حقيقتها ، ولهذا استعاض العلماء عن هذه العيون العملاقة بوسائل أخرى تظهر كيف تنتظم شفرة الحياة في سجلاتها أو مكتباتها أزواجا أزواجا ، ولقد عرضنا عليك هنا بعض نماذج لتوضح لك أشكالها ، بعد أن تجسس العلماء عليها ، وتمكنوا من حل ألغازها ، والغوص في أسرارها ، ولازالوا يغوصون ، حتى كادوا بعقولهم يغرقون .

وقد يراودك الآن سؤال : اذا كان عدد الشفرات الوراثية في الخلية الواحدة بمثل هذه الضخامة ، فكم يبلغ طول الأشرطة العجيبة التى تسجل عليها الحياة هذه البلايين الثمانية من الشفرات ؟

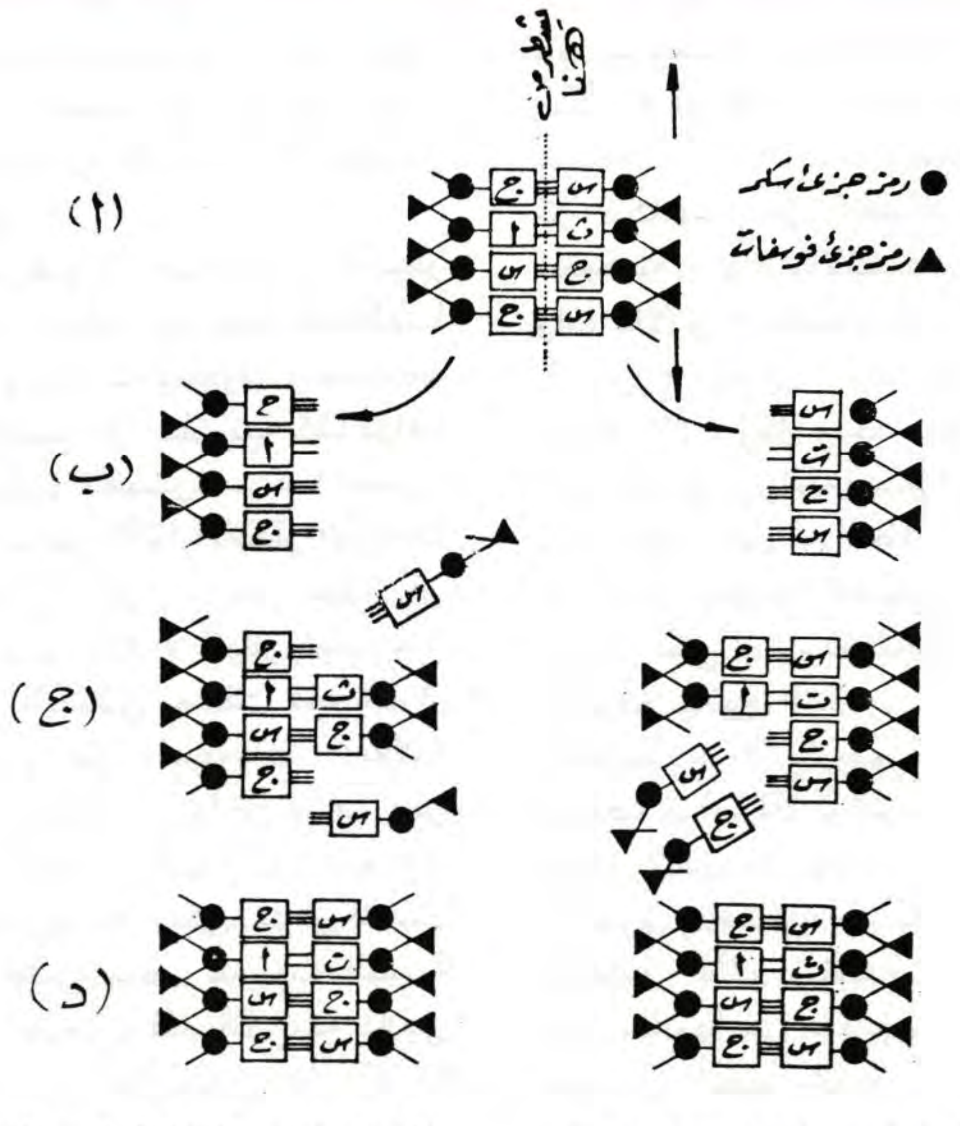
يقول بعض العلماء إن طولها جميعا لا يتعدى مترا واحدا لا غير ، وفي قول آخر مترين ، لكن عرض هذا الشريط العجيب لا يزيد عن جزئين اثنين من مليون جزء من الليمتر (٢٠ انجستروم) ، أضف إلى ذلك أن وزن هذا الشريط المثير لا يتعدى ١٢ جزءا



شكل (٦) جزء من شرائط الحياة الدقيقة جدا وقد كبره لنا المجهر الاليكتروني ٤٧ الف مرة .. صحيح اننا لا نستطيع ان نرى باطنه ، الا ان هذا الباطن يحتاج لوسائل أخرى ، فاذا بهذا الشريط المثير يحتوي على لغة الحياة التي جاءت أزواجا .

من مليون مليون جزء من الجرام ، أى أن وزن المادة الوراثية التى تعطى الأوامر بتشكيلنا أقل وزنا من وزن نقطة حبر من النقط التى تراها هنا فوق الحروف أو تحتها ، ومع ذلك « فمكتوب » ومسجل عليها ثمانية آلاف مليون شفرة ، لو أنها ترجمت بلغاتنا لأعطتنا مكتبة قد يموت المرء قبل أن يكمل قراءتها ، حتى ولواستمر في قراءتها آناء الليل ، وأطراف النهار ، ولسنين من عمره طويلة !

إذن فأمشاجنا أو كروموسوماتنا الستة والأربعون التى تحتويها كل خلية من خلايا أجسامنا (شكل ٤) ليست في الواقع إلا « مخازن » أو « إدارات » ، واننا نرى عليها ــ في أطوار خاصة ــ ما يشبه حبات العقود الدقيقة ، وقلنا عنها إنها الجينات أو المورثات شكل (٥) ، وهذه ــ كالأمشاج ــ تأتي عليها أزواجا أزواجا ، ولنأخذ منها جينة واحدة تخصصت في معلومة واحدة ، وعندما نفحص مكوناتها بكل الطرق العلمية الحديثة المتاحة ، يتضح أنها تتكون من شريط واحد تكمن فيه حوالي ألفى شفرة تراصت في نظام كما تراها في الصور هنا ، وهذه بدورها قد سجلت على شريط وراثي لا يتعدى طوله ثلاثة أجزاء من عشرة آلاف جزء من المليمتر (شكل ٦) ، أو أن الشريط الذي يبلغ طوله مليمترا واحدا لا غير يكفي لتسجيل ستة ملايين شفرة ، تتقابل أزواجا أزواجا



شكل (٧) نموذج توضيحي لكيفية « خلق » الزوج من نفسه .. فالشريط الوراثي المتكامل (ا) ينشق نصفين ليصبح كل شق في جهة (كما في ب) ، ثم جيم سين ، أو كل سين بجيم (كما في ج) ، وفي النهاية (كما في د) ترى الشريط وقد اصبح شريطين .. كل شريط نسخة طبق الأصل من الشريط الاول ، وكانما الله قد انشأ من كل شريط زوجه !

(أ مع ث وج مع س) وتتبادل على جانبي الشريط أو السلم الحلزونى أيضا أزواجا أزواجا (سكر مع فوسفات أو فوسفات مع سكر ... وهكذا) .

وربما يكفي هنا مثال لتوضيح معنى ضآلة هذا العالم الدقيق الذي يزخر بملايين وبلايين المعلومات ، فلو أننا تصورنا هذا الشريط وقد تضخم مئات الألوف من المرات ، فان سمكه لن يزيد على سمك شعرة من الرأس أو الصوف أو الحرير ، لكن طوله في الوقت ذاته سوف يصل إلى حوالي كيلو متر ونصف كيلو متر ، أى لو أن كل أشرطة التسجيل الوراثي التي تحمل نظام الشفرة في خلية واحدة من خلايا أجسامنا قد أمكن وصلها لتصبح شريطا واحدا متصلا يبلغ سمكه سمك شعرة ، فان طول هذا الشريط سيصبح في حدود ثلاثة آلاف

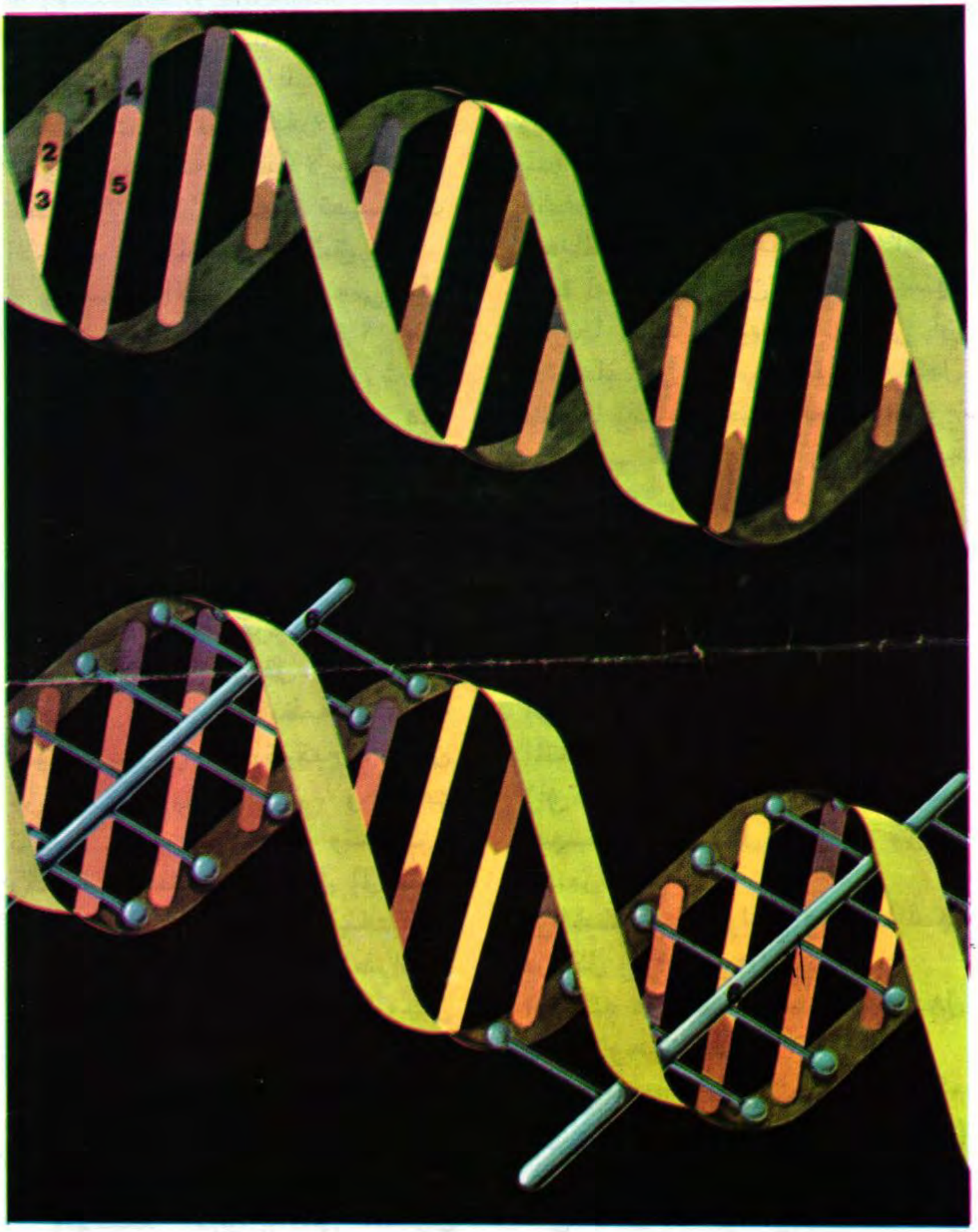
وخمسمائة كيلو متر !

والى هنا قد نتساءل : كيف تهيئ أمشاجنا الدقيقة في أنويتها مكانا لكى تضع فيه كل هذه الأشرطة من المعلومات ؟

الــــواقع أن هناك قوى تسيطر عليهــا ، ونظم توجههــا لتجعلهــا مكدسة ومتداخلة وملفوفة ومضغوطة بطريقة لولبية أو حلزونية كما تراها هنا ، وهذه الفكــرة ـ كما يخبرنا العلماء ـ هى أكفأ الأفكار اقتصادا في الحيز أو المكان ، حتى يمكن أن تستوعـــب هذا « الميكروفيلـــم » العجيب الـــذى حفظت فيه أسرار الحياة على أدق المستويات ، وبفكرة أزواج مرتبطة بأزواج جاءت من عناصر أربعة أساسية من أديم هذا الكوكب أو ترابه ، لكن بعد أن اتخذت نظاما عظيما صمد للتجربة الكونية صمودا بديعا ، فلم تنل منه بلايين السنين ، ولن تنال منه أيضا ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فمن صفات هذا الجزئ الوراثي الحلزوني العـظيم ـ بجوار النظام والصمود ـ من صفاته أنه يستطيع أن يدور حول نفسه ليصبح مستقيما كشريط ، بدلا من شكله الحلزونى الذي يضغط فيه ، أى كأنما هو قد تحول إلى سلم مستقيم ، لينشطر من خلال درجاته أو شفراته أو « أزواجه » ، إلى شطرين ، وكــل قرين على شطر ، لكن ما أسرع أن يكمل كل شطر نفسه ، فتندفع السينات والثاءات والجيمات والألفات خلال مادة الحياة ، وفي كل منها يرتبط السكر مع الفوسفات ، لتصبح وحدة شفرة متكاملة (أى أ مع سكر مع فوسفات ، أو ث مع سكر مع فوسفات ... الخ) ، وعندئذ تعرف كل مكانهــا على أنصاف الأزواج المنفصلة ، واذ بالانصاف تكتمل ، واذا بالأزواج تتضاعــف ، فيصبح الـــزوج زوجين ، والشريط شريطين (شكل ٧) ، وكل واحد منهما نسخة طبق الأصل من الشريط الذي بدأه أول مرة ، دون خلل أو أخطاء ، إذ وضع الخالــق بحكمته العـظيمة الأسس الكفيلة لكى لا ترتبط الشفرة المندفعة في طوفان بلايين البلايين من الجزيئات المتفاعلة ـ الا بقرينها الــذى جاء مناسبا تماما للارتباط معها ، ولهذا يكمل الألـــف نفسه على الشريط المشقوق بثاء تأتيه من مادة الحياة ، أو تكمل الثاء المنتظمة على شريطها بألف تأتيها من خارجها ، وكــذلك تفعـــل الجيم بالسين ، أو السين بالجيم (أى السيتوزين بالجوانين) .. وبعد أن يصبح كل شئ على ما يرام ، ويكون من الزوج الزوجان ، تلتف الأشرطة لتصبح حلـــزونية مرة أخرى .

والواقع أن هناك تفاصيل دقيقة ، وعمليات كيميائية بديعة ، وتفاعلات مثيرة ، وجيوش من الجزيئات التى لا نستطيع لهــا عدا ، ولا لأنواعهــا حصرا ، لكــن كل هذا يحتاج الى مجلدات من فوق مجلدات ، وقد لا يهمنا كل ذلك هنا بقدر ما يهمنا أن نعـــرف أن تنظيم الألفات بجوار الثاءات بجوار السينات بجوار



شكل (٨) نموذج مبسط لشفرة الوراثة وانت كما تراها هنا على هيئة درجات في سلم حلزوني ، تجد كل درجة مكونة من زوجين متالفين .

الجيمات (أى هكذا مثلا س . أ . أ . ج . س . ث . أ . ث . ج . س . س . ج . ج . أ .... الخ .. الخ)

هو الذى يحدد صفات الكائنات ، ثم إن عملية التزاوج بين الأفراد من النوع الواحد ، لمجىء نرية جديدة من

النوع ذاته ، **هى** في الأساس عملية تبادل بين هذه البلايين من المعلـومات ، لتنتج شفرة جديدة ، تؤدى الى سبيكة وراثية لا يمكن أن تتكـــــرر مطلقا ، مهما تعـــــاقبت الأجيال ، وتعاظمت الخلائق .

والسؤال الآن : ماذا تعنى هذه الشفرة حقا بالنسبة للحياة ؟

الواقع أيضا أن ذلك سؤال شرحه يطول ، ومع ذلك فقد جاءت هذه الشفرة لتضع الخطة ، والخطة تتحول إلى عمل والعمل إلى جزيئات بروتينية ، والبروتينات هى التى تسيطر عى كل عمليات الحياة ، ولكن من خلال تنظيم الشفرة ، فهى المرجع الأول والأخير ، أو قل إنها الهيئة الحاكمة الـواعية المنظمة الـدقيقة المهيمنة على كل صغيرة وكبيرة ، ولكن من خلال جزيئات تهدم ، وجزيئات تبنى ، وأخرى تدافع وتحارب ، وكأنما قد عدنا مرة أخرى إلى فكرة الزوجين على مستوى البروتينات التى هيمنت على صناعتها تلك الشفرات .

وى فعلا كذلك ، ففيها الزوجان اللذان يقيمان عمد الحياة ، وكل قد جاء من عناصر هذه الأرض وترابها ، ولكن بطريقة أخرى تجذب العقول المفكرة الواعية .

ولهــــذه الأزواج على مستوى البروتينات حديث آخر سنقدمه في عدد قادم إن شاء الله ، لنعـــرف كيف يتحول التراب إلى نطف دبت فيها الحياة .

بقيت كلمة أخيرة .. فبداية الأزواج على أروع وأدق مستويات الخلق تبدأ بالفعل من هذه الأشرطة الوراثية ، ثم إن تكاثر الكائنات ، ومجيء الأجيال يبدأ من الأعماق ، يبدأ من خلال هذه الأزواج من الشفرات .. انها حقا « الف باء » الحياة ، ومع ذلك ، فكأنما الله أوحى فيها أمرها ، ليكون لها من نفسها أزواجا تسكن اليهـــا ، بمعنى أن الانصاف من الأشرطة الوراثية تكمل نظامها بأشرطة أخرى فيصبح الزوج زوجين ــ كما رأينا ، وكأنما الآية التي تحدثنا عن عالمنا المنظور ، كأنما هى صالحة أيضا لهذا العالم غير المنظور الذى يكــون القاعــدة العريضة في تكاثر كل الكائنات .. فماذا تقول الآية الكريمة ؟

الواقع أنها آيات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

(أو لم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيهـــا من كل زوج كريم) الشعراء/٧ .

(وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) ق/٧ .

(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) الزمر/٦ .

(فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكـــم أزواجا) الشورى/١١ .

فان أخذت بظاهر الآيات ، فانت على حق ، وان كان لك باطنها ، فلا نظنك قد جانبت الصواب ، فالظاهر هنا مرتبط بالباطن ، **(ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** .

و(**سبحـــان الـــذى خلـــق الأزواج كلها ...**) وصدق الله العظيم .

لغويات

إعداد : الشيخ محمود وهبة

القرآن الكريم ولغات العجم

اختلف أهل العلم في ورود كلمات غير عربية في القرآن الكريم فروى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة أنهم قالوا بورود كلمات من لغات العجم في القرآن الكريم منها : طه ، واليَم ، والطور ، والربانيون فيقال إنها مأخوذة عن اللغة السريانية ، ومنها الفردوس ، والقِسطاس ، والصراط فيقال إنها مأخوذة عن اللغة الرومية ، ومنها : مشكاة فيقال إنها مأخوذة عن اللغة الحبشية .

وقال كثير من العلماء إن القرآن الكريم ليس فيه شيء من كلام العجم ، وكله بلسان عربي مبين لقوله تعالى : **[إنا جعلناه قرآناً عربياً]** الزخرف/٣ . وقوله تعالى :**[بلسان عربي مبين]** الشعراء/١٩٥ .

وقام ابو عبيد بالتوفيق بين الرأيين فقال : والصواب عندي تصديق القولين جميعا ونلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بلسانها ، وحولتها من الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن الكريم وقد اختلطت هذه الحروف بكلمات العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال إنها عجمية فهو صادق ..



إيران على صفحات التاريخ

للأستاذ عبد الغني محمد عبد الله

إذا ألقينا نظرة عاجلة على صفحات تاريخ إيران قبل الفتح الاسلامي ، فلن نجد فيه منذ استوطنها السوماريون ثم الآريون القادمون من الشمال الا دويلات صغيرة تقوم وتتقاتل ثم تزول .

لقد استوطن الفرس الأراضي الحالية لايران في العصور السحيقة ، ووردت أول إشارة لوجودهم في إحدى الكتابات المنقوشة للأشوريين في القرن التاسع قبل الميلاد ، ولكن تاريخ الفرس كأمة لم يبدأ إلا في القرن السادس قبل الميلاد ، حينما قام قورش الثاني بتوحيد مختلف القبائل الفارسية وهزيمة الشعوب المجاورة فشيد بذلك امبراطورية كبيرة .

ويمكن تقسيم التاريخ الفارسي إلى فترتين ، الفترة الأولى تبدأ بعصر قورش وتمتد حتى الفتح الاسلامي عام ٦٥١ ميلادية ، والفترة الثانية تبدأ من الفتح الاسلامي وتمتد حتى الوقت الحاضر وفي الفترة الثانية أصبحت فارس بلادا إسلامية .

الفترة الأولى :

كان قورش الثاني هو المؤسس الحقيقي للامبراطورية الفارسية ، وواحد من أعظم الملوك في العالم القديم ، وقد أصبح ملكا على بلاد الفرس عام ٥٥٩ قبل الميلاد بعد أن ضم تحت حكمه كافة القبائل الفارسية ، وهزم امبراطورية الميديين القوية ، وفي عام ٥٣٩ قبل الميلاد استولى على بابل فوحد بذلك تحت حكمه جميع شعوب غرب آسيا .

وورث قمبيز بن قورش الملك بعد وفاة أبيه عام ٥٢٩ قبل الميلاد فوسع رقعة الامبراطورية الفارسية بغزو مصر وليبيا وتوفى قمبيز عام ٥٢٢ قبل الميلاد .

وخلف قمبيز داريوس فاتسعت الامبراطورية الفارسية عن ذى قبل حتى وصلت حدودها إلى الهند ، وباستتباب السلم كرس داريوس جهوده لتنظيم أراضيه الشاسعة ، فقسمها إلى ولايات سماها (مرزبانيات) نسبة إلى حكامها المسمين بـ (المرزبان) وتشجيعا للتجارة والرخاء بين الشعب قام داريوس بسك عملات من الذهب والفضة ، وشق الطرق العظيمة بين المدن وبعضها .

وخلف داريوس اكسركسيس الذي استمر في الحكم حتى مات مقتولا عام ٤٧٩ قبل الميلاد .

وتعد الفترة التي انقضت بين حكم قورش وحكم اكسركسيس أمجد فترة في التاريخ الفارسي القديم ، ولكن وفاة اكسركسيس أعقبتها سنوات من الصراع والاضطرابات ، أدت بفارس إلى السير في طريق التدهور .

وفي عام ٣٣١ قبل الميلاد هزمت فارس على يد الاسكندر الأكبر الذي تفككت امبراطوريته بوفاته عام ٣٢٣ قبل الميلاد .

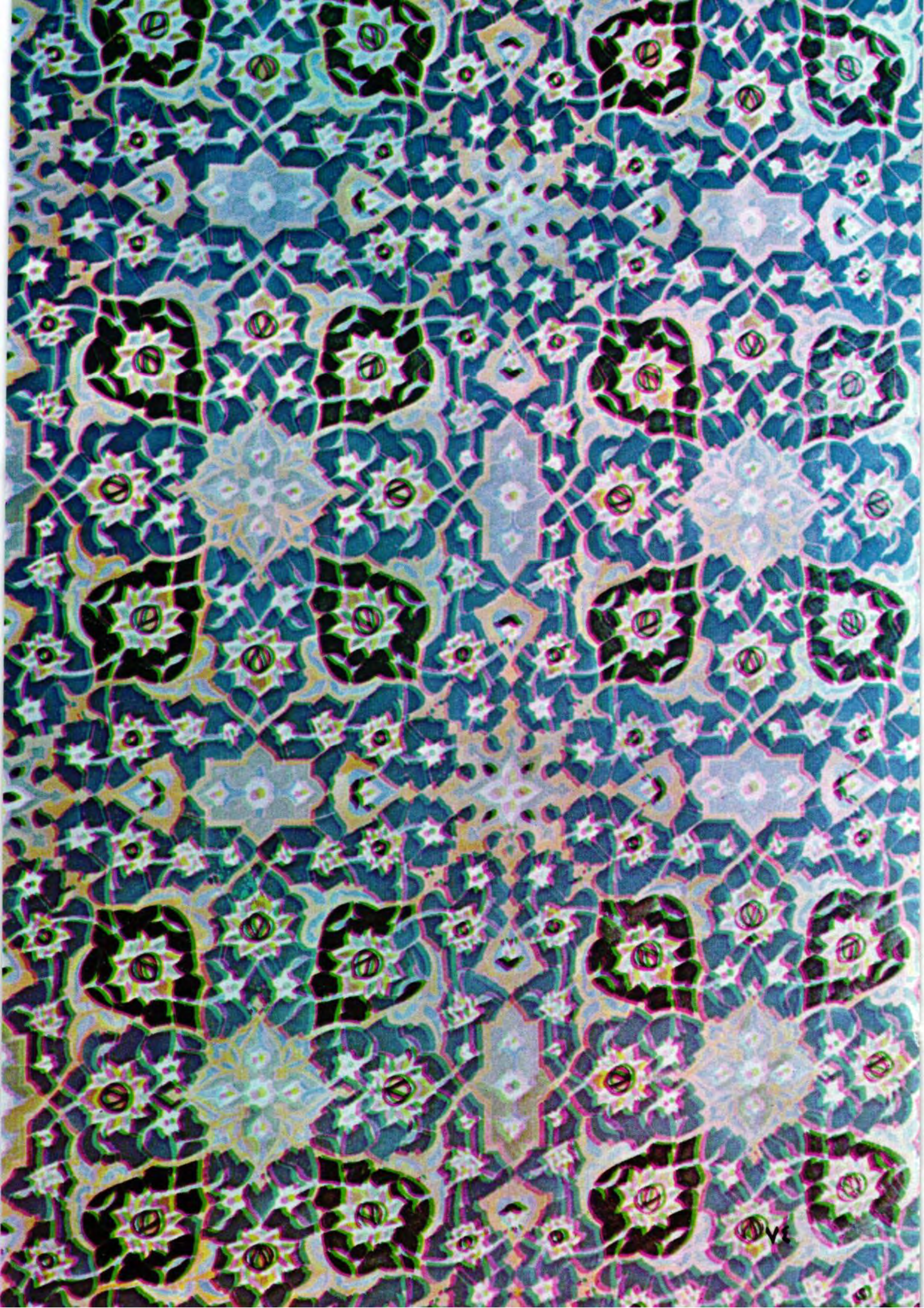
وبعد انقضاء مائتي سنة على ذلك ، ظهر ملك عظيم هو (مثريداتيس) الذي جدد أمجاد الامبراطورية الفارسية السالفة ، وأخذ يقاتل روما سنوات طويلة ، ونسج خلفاؤه على منواله ، وقد ظل الفرس قرونا وهم مصدر تهديد للامبراطورية الرومانية ، حتى اضطرت روما في سبيل إخضاعهم إلى تنظيم عدد من الحملات العسكرية .

وفي القرن الثالث بعد الميلاد ، قامت أسرة حاكمة جديدة هي أسرة الساسانيين ، الذين حاولوا استعادة عظمة الامبراطورية الفارسية القديمة ، وكان أشهر ملك فارسي في ذلك العهد هو (اردشير) الذي بنى التحصينات ، وأسس كثيرا من المدن . وخلفه (شابور) الذي استطاع هزيمة الامبراطور الروماني (فاليريان) في موقعة « ايديسا » عام ٢٦٠ بعد الميلاد .

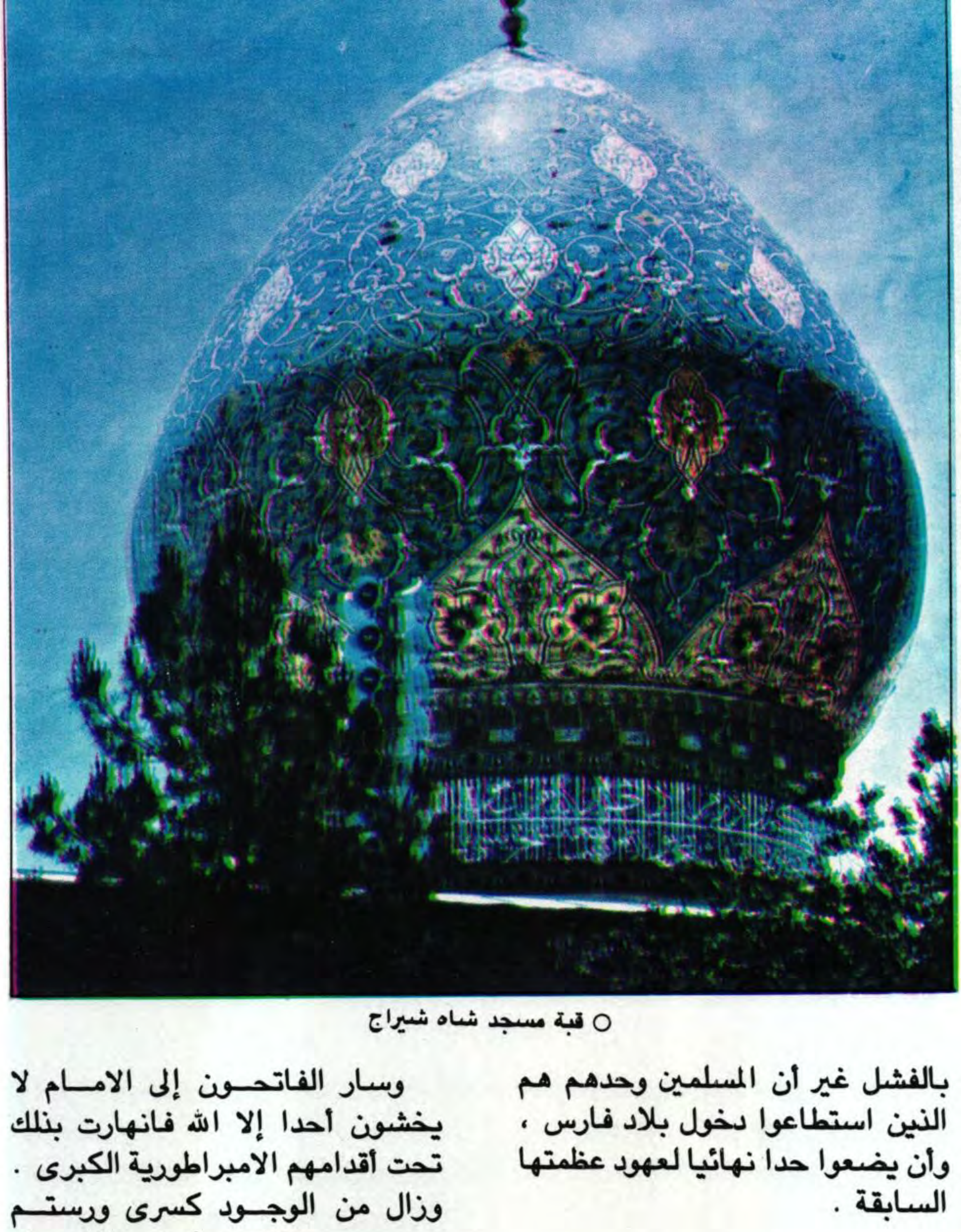
وكثيرا ما قام البيزنطيون ايضا بمحاربة الفرس ، ولكنهم باءوا

○ زخرفة من الآجر الملون على احدى القباب ويلاحظ ان الوحدة الزخرفية هي لفظ الجلالة (الله) باللون السماوي في جميع الاتجاهات .


بسم الله الرحمن الرحيم



۷۴



○ قبة مسجد شاه شيراج

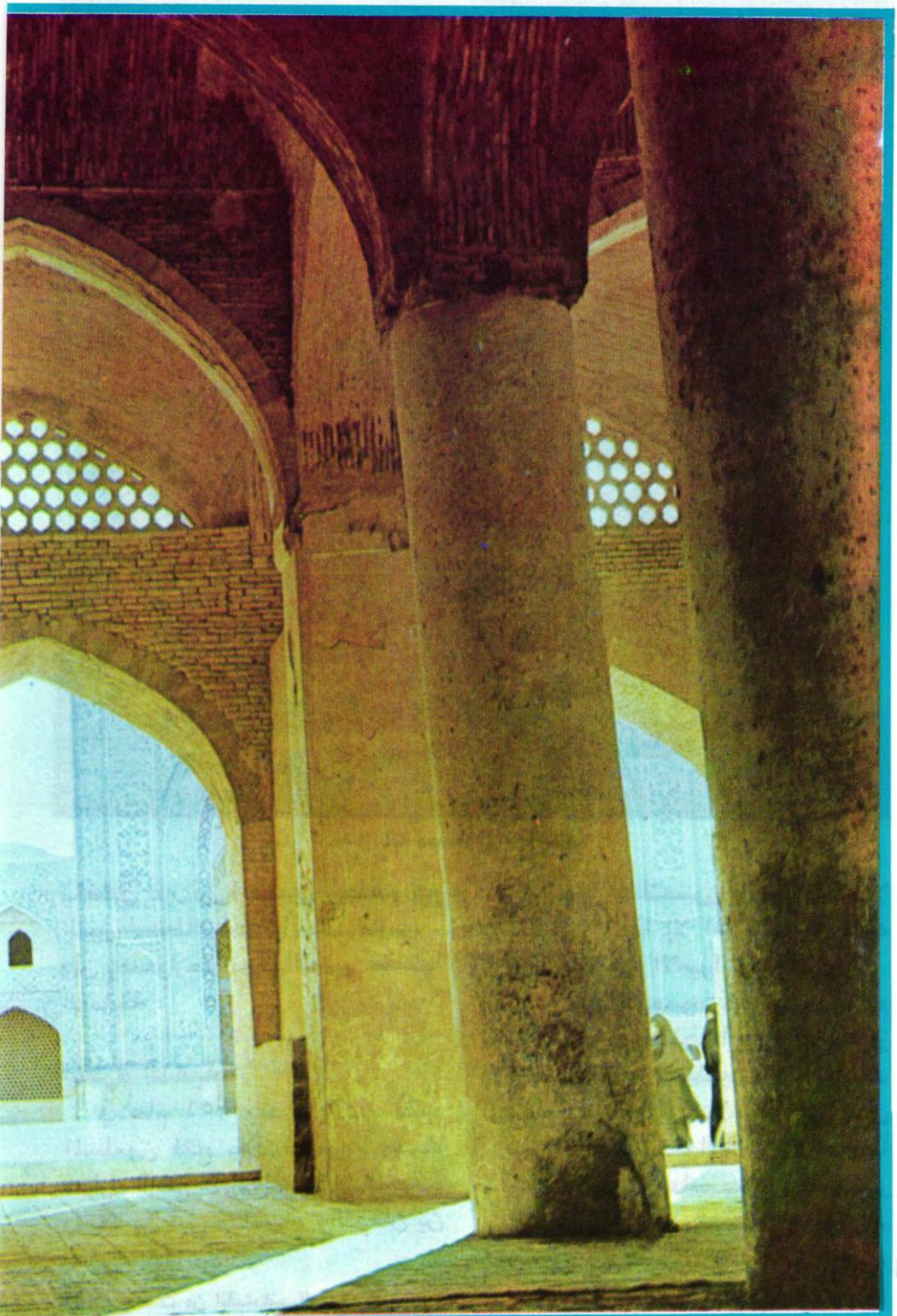
بالفشل غير أن المسلمين وحدهم هم الذين استطاعوا دخول بلاد فارس ، وأن يضعوا حدا نهائيا لعهود عظمتها السابقة .

الفترة الثانية :

في عام ٦٥١ بعد الميلاد ، أتم المسلمون فتح بلاد فارس ، وقاد معارك الفتح الأولى المغيرة بن شعبة ، وسعد بن أبى وقاص ، والنعمان بن مقرن .

وسار الفاتحون إلى الامام لا يخشون أحدا إلا الله فانهارت بذلك تحت أقدامهم الامبراطورية الكبرى . وزال من الوجود كسرى ورستم ويزدجرد ، وفتحت أبواب الاهواز ونهاوند أمام المسلمين ، وانسابت سبعة جيوش إسلامية على مدى سنوات قليلة تفتح البلاد طولا وعرضا وعلى رأسها عاصم بن عمرو التميمي ، والأحنف بن قيس ، وسويد بن مقرن ، وعتبة بن فرقد ، ◄

► ○ وحدات من القيشاني البديع





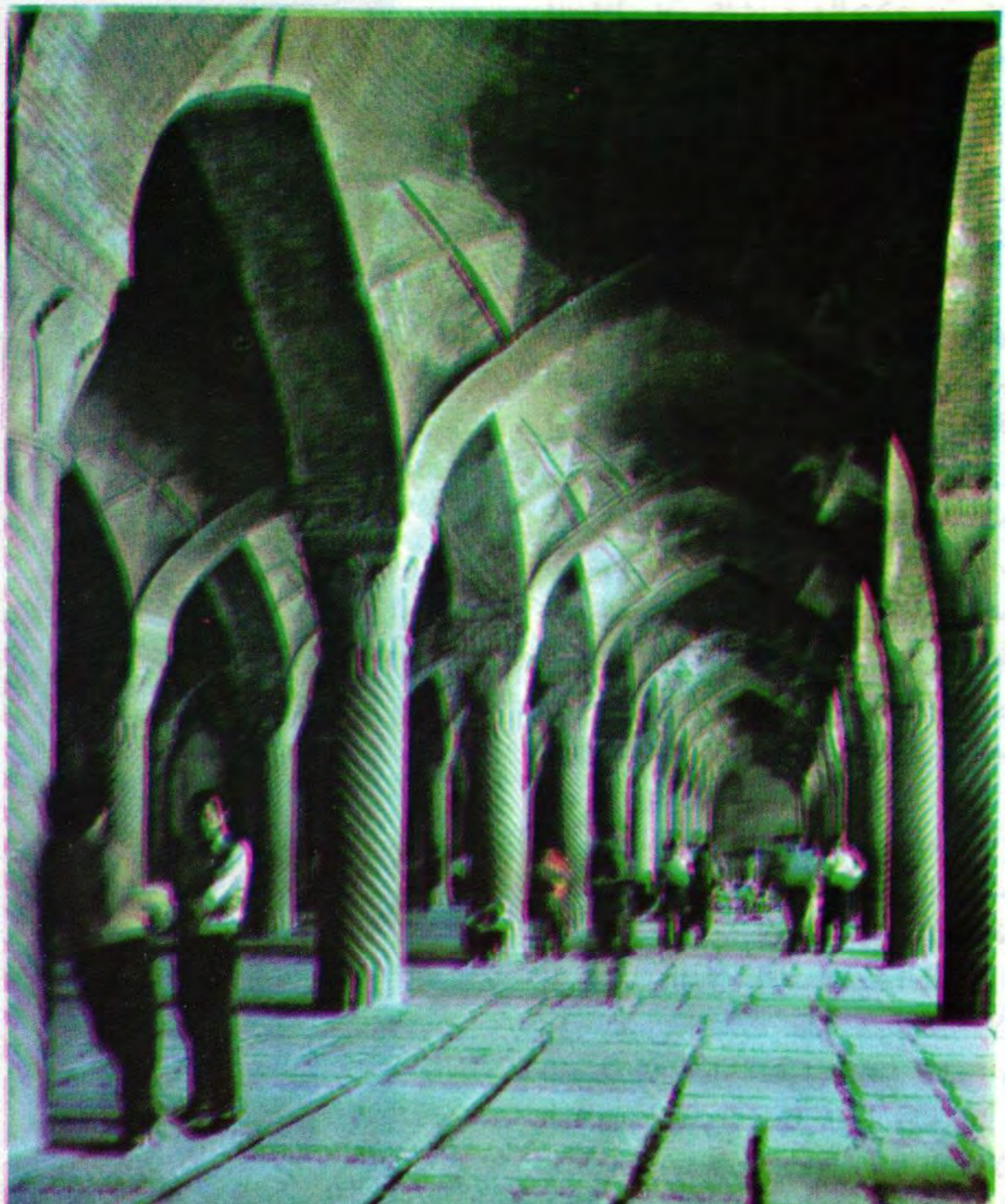
وسهيل بن عدى ، والحكم بن عمر التغلبي ، وعثمان بن أبى العاص الثقفي ، فما أن توفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلا وأركان الاسلام قد عمت كل أنحاء إيران وتوطدت في أراضيـه وانتشر الدين الاسلامي بين أبنائه .

لقد أقام المسلمون امبراطوريتهم الكبرى ، وفي عهودهم كان لمسلمي إيران دور كبير في نشر وازدهار الثقافة والحضارة الاسلامية العريقة .

وكان القرن التاسع والعاشر هما أزهـى عصر للفنـون والآداب الفارسية ، فقد أنجبت بلاد فارس كثيرا من المحدثين والمفسرين والفقهاء والعلماء والشعراء أمثال الفردوسي وابن سينا وعبد الله الأنصاري وناصر خسرو وغيرهم .

وفي القرن الحادي عشر استطاع السلاجقة الأتراك أن يبسطوا نفوذهم على كل أنحاء بلاد فارس بالاضافة إلى معظم البلاد الاسلامية الشرقية ، وفي القرن الثالث عشر هوجمت بلاد الفرس من قبل المغول الذين عاثوا في البلاد وأمعنوا فيها نهبا وتخريبا ، وتتابعت حملات المغول على البـلاد حتى عام ١٥٠٢ ، ففي هذا العام استطاع الشاه إسماعيل الصفوي أن يؤسس الدولة الصفويـة التـي حكمت بلاد الفرس على مدى قرنين من الزمان وكان السلم والرخاء طابع هذا العهد خصوصا في عهد الملك شاه ◄

○ العمارة الاسلامية في ايران ، بناء من الآجر ، وزخارف من الفسيفساء



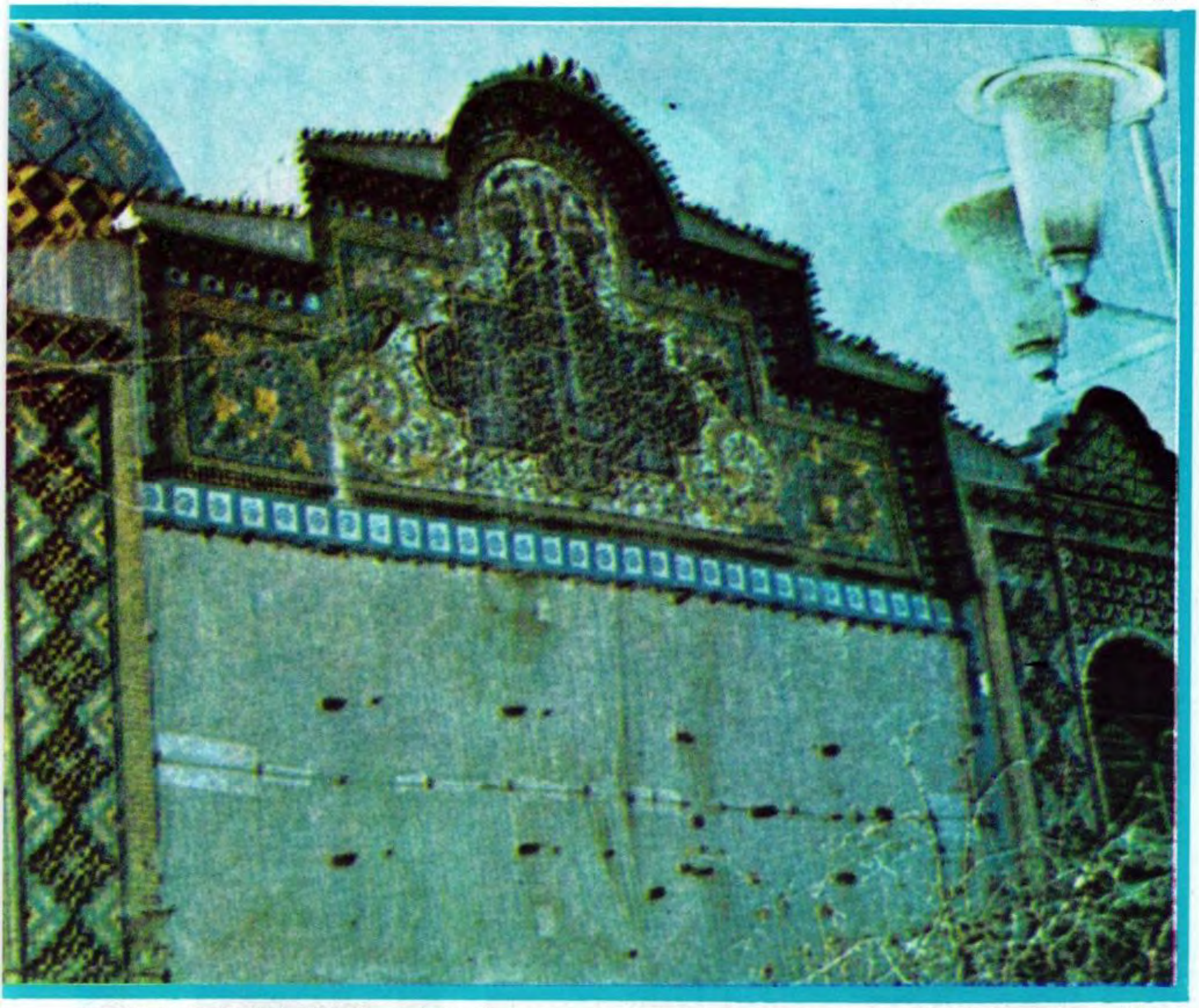
○ مسجد وكيل من الداخل



○ قاعة اثرية من القرن السابع عشر في كرمان

عباس الكبير أحد حكام الدولة الصفوية .

وحينما ضعفت السلالة الصفوية تعرضت البلاد لاعتداء أفغاني احتلت فيه أجزاء من الأراضي الفارسية . ولكن لم يمض وقت قصير حتى هزموا على يد قائد من أصل تركي ، ففي عام ١٧٣٦ استطاع هذا القائد الملقب بنادر شاه أن يحرر البلاد من كافة الغاصبين ونودى به ملكا على البلاد وامتد سلطانه حتى الهند وأعاد من جديد شعور العزة والكرامة إلى نفوس الايرانيين وبعد وفاته تمزقت أوصال الامبراطورية الايرانية من جديد وعم الاضطراب والفوضى بمختلف أرجاء إيران ، وخلال فترة من هذا الزمن حكمت الأسرة الزندية البلاد ، واتخذت شيراز عاصمة لها ، وشهدت ◀



▲ ○ احد الابنية التاريخية في قزوين

○ بوابة بندر امير من العهود القديمة ▼





مئذنة رادكان المشهورة في خراسان





البلاد فترة قصيرة من الرفاهية والأمن والاستقرار .

ومن خلال هذه الأحداث ظهرت السلالة القاجارية التي استطاعت أن تمسك بزمام الأمور إلا أن إيران في عهدها الذي دام من سنة ١٧٩٤ حتى ١٩٢٥ عاشت فترة انحطاط طويلة وغدت ميدانا للتنافس بين انجلترا والاتحاد السوفيتي .

فعندما بدأت الحرب العالمية الأولى ، خرقت كل من بريطانيا وروسيا القيصرية حياد إيران لخوفهما من النفوذ الألماني والعثماني . وبعد انتهاء الحرب ، لم يكن قد بقي من إيران سوى بلد ممزق ، وحكومة ضعيفة . بلد يحكمه ملوك الطوائف وتعمه الفوضى والاضطراب . وفي غمرة هذا الوضع غير المستقر ظهر رضا شاه الكبير . وكان هذا الرجل قبل وصوله إلى الحكم قائدا لفرقة القزاق . وفي مارس من عام ١٩٢٠ اتجه مع عدة آلاف من رجاله نحو طهران ، وأسقط الحكومة القائمة آنذاك ، وبعد عدة سنوات من العمل المتواصل ، تولى منصب قائد القوات المسلحة ورئاسة الوزارة ، وفي عام ١٩٢٥ وافق المجلس التأسيسي على اعتلائه للعرش .

وقد أرسيت في السنوات العشرين التي تسلم فيها رضا شاه الكبير قيادة إيران أسس امبراطورية إيران الحديثة ، فوحد قوات الجيش ، وقضى على رؤساء القبائل ، وأسس حكومة مركزية ، وعمم نظام التجنيد الاجباري ، والغى نظام المحاكم المختلطة ، وأقام أنظمة جديدة للدولة ، وافتتح المدارس والجامعات ، ومهد الطرق ، ومد السكك الحديدية ، وبنى الموانئ .

وما إن بدأت الحرب العالمية الثانية حتى أعلنت إيران حيادها إلا أن هجوم الألمان على روسيا ، وازدياد أهمية الموقع الاستراتيجي للبلاد ، وتأمينا لامداد الجيش الروسي بالسلاح ، عن طريق الخليج ، ومحافظة على آبار البترول في الجنوب ، دفع كلا من روسيا وانجلترا للاعتداء على إيران واحتلالها ، مما أدى إلى تنازل رضا شاه الكبير عن الحكم لابنه وولي عهده محمد رضا بهلوي الذي كان يبلغ من الحكم ٢٢ سنة .

وفي عام ١٩٤٥ وافقت إيران على ميثاق منظمة الأمم المتحدة وانضمت إلى عضويتها ، وما إن انتهت المشاكل والقضايا الناشئة عن فترة احتلال إيران . حتى بدأت إيران بوضع المشاريع الخاصة لتجديد البناء الاقتصادي وتأمين الازدهار للبلاد .

« للحديث بقية في العدد القادم »

قالوا في الأمثال

الزيت في العجين لا يضيع :

إذا وضع الانسان الشئ في موضعه الذي يصلح فيه ، فقد وضعه في المكان الذي يعود عليه بالنفع ويكون مثله كمن يضع الزيت في العجين لأن هذا الزيت لا يضيع ، أما من وضع الأمر في غير موضعه فقد أضاعه ، ويكون كمن يلقى الزيت في التراب مثلاً لأن زيته حينذاك لن يرتد اليه كما يرجع له زيت العجين .

سحابة صيف عن قليل تقشع :

مثل يضرب لزوال الشدة ، وانفراج الأزمة سريعا وذلك أن السحاب اذا ظهر في السماء ثم تفرق وزال فقد تقشع ، وسحاب الشتاء بطئ السير ، لأنه ثقيل مملوء بالمطر ، اما سحاب الصيف فخفيف سريع التفرق والزوال ، وقد شبه العرب الأمر الذي يرجى له الزوال السريع ، أو الذي لا يلبث حتى يزول بسحابة الصيف لا تظهر في السماء حتى تنقشع وتتفرق .

الشبعان يفت للجائع فتا بطيئا :

إذا جاع المرء أسرع في فت الخبز ليصنع منه طعاما لنفسه لأنه يحس بجوعه ويعمل سريعا على دفعه ، فاذا فت لغيره تمهل وتباطأ لأنه لا يحس بما عند غيره ، وهكذا لا يحس الأمر غير صاحبه ، ولا يكتوى بالنار غير الواقع فيها ...

المثل الأعلى الإنساني

وتحرير العقل

للدكتور/عبد الفتاح محمـد محمـد سلامة

في عدد سابق على صفحات هذه المجلة الرائدة ، أمطنا اللثام عن المثل الأعلى الرباني ، باعتباره مصدرا إلهيا يقتبس منه العقل الانساني نوره الهـادي ، وروحه الساري ، وعلى أساس أنه ــ كذلك ــ حمى منيع ، وقلعة شامخة ، وركن حصين يلوذ به العقل ، ويأوي إلى كنفه المتراحب الفسيح ، مسلما إليه القياد ، تعلوه بسمة الرضا ، ويغمره حبور الايمان ، وتهز أوتـاره بهجـة الارتياح ، وغبطة الانشراح .... لأنه يحيا في معية الله رب العالمين ...

وقلنا : إن من سمات هذا المثل :

١ ــ أنه يصحح عقيدة الناس في الخالق سبحانه ، ويعرفهم بالكمالات التي تليق بالمقام الالهي ، وبذلك يفتح لهم أبواب معرفة الله على مصاريعها ...

٢ ــ أنه يقوم عقيدة الناس في النبوات والرسالات ، ويبين لهم حقيقة الدعوة لكل رسول ، حتى يعرفوا ما هو من عند الله ، وما هو من مخترعات البشر ....

٣ ــ أنه يعدل نظرة الناس إلى العبودية ، فيحررهم من كل عبودية لغير اللـه ، ويوضح لهم مراتب العبودية السليمة ، وآداب معاملتهم للخالق جل شأنه ...

٤ ــ أنـه يسمـو بعقيـدة البشر في الانسانية ، فيعلن جميع حقوق الانسان وواجباته اللازمة لكرامته الآدمية ، حتى لا يختلف النـاس ويطحـن بعضهـم بعضا ....

٥ ــ أنه لا بد أن يكون صالحا لكل زمان ومكان ، حتى يكون أهلا لأن يأخـذ صبغة العالميـة والخلـود ، ويصبـح دستورا يلبي مطالب الحياة ، ويرعى قضية الانسان ..

وإذا كانت تلك بعض خصائص المثل الأعلى الرباني ، فما هي سمات المثل الأعلى الانساني يا ترى ؟

١ ــ يجب أن يكون رسولا نبيا مرسلا بشريعة تدور حول تفصيل ذلك الكتاب الالهي الجامع لكل كمال ....

٢ ــ يجب أن تتصف أقواله وأفعاله وأحواله بأقصى مراتب الكمال الانساني الممكن ، حيث إنه قد جاء مفصلا لكتاب الله الشامل لكل الكمالات ، فهو ينطق بجوامع الكلم ، لأنه شارح عن الله ، موصل تعاليمه إلى البشر ...

٣ ــ يجب أن يكون خاتم النبيين ، إذ لا معنى للنبوة بعد رسالته ، التي اشتملت على كل ما يحتاج إليه البشر من أسباب السعادة ، كما لا يمـكن أن تنسـخ شريعته شريعة أخرى ، إذ لو نسختها لكان معنى ذلك أن شريعته غير متضمنة للكمال ، ولو بعث الرسل بعده لما وسعهم إلا اتباعه ...

٤ ــ يجب أن تكون رسالته عامة للخلق جميعا ، وعموميتها مستمدة من المصدر

الذي انبثقت منه وهو كتاب الله تعالى المحيط بكل كمال ....

* * *

ونحن لو قرأنا كل الكتب السماوية ، وتصفحنا جملة ما وصلنا عن رسل الله صلوات الله عليهم ... وأردنا أن نستنطق هذه الآثار الحكم القاطع ، ونستلهم منها الفرقان المبين ... لما وجدنا إلا حكما واحدا ، ولما بهرتنا ــ بسموها وجلالها ــ إلا حقيقة فريدة ، وهي أن فردا واحدا تكاملت فيه هذه العلامات والخصائص ، وشخصا فذا أعجز البشر بكتاب إلهي جامع لكل كمال ، وجاء بشريعة مفصلة وموضحة لهذا الكتاب الالهي ... فجمعت شريعته كل كمال إنساني ، واستوعبت كل تحضر بشري يمكن أن يجد في دنيا الناس ...

ونعني به صاحب الشريعة المتكاملة الخالدة محمدا صلوات الله عليه ...

ولا يوجد كتاب سماوي الآن دونه صاحب الوحي كما أنزل عليه بتوقيف منه سوى القرآن العظيم ــ الذي تكفل الله بحفظه ــ فبلغنا كما نزل على صاحب الدعوة الغراء عليه السلام غضا بكرا نضرا ...

وقد ماتت جميع لغات الوحي ، ولم تبق منها إلا لغة حية واحدة هي اللغة العربية لسان الوحي المحمدي ، والتي يقول فيها « حافظ إبراهم » :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي ؟

وهذه اللغة يتحدث بها الآن مئات الملايين من البشر ، يتلون كتاب الله كما أنزل على صاحب الشريعة العظيم ... لقد ماتت لغات الوحي السابقة ، لأن رسالات أصحابها خاصة ، وبقيت لغة الديانة العامة الخالدة ، لتبليغ الرسالة المحمدية الرائدة إلى كل ركن من أركان المعمورة ، في عصر تيسرت فيه وسائل التقارب بين البشر ، برية وبحرية وجوية ، سلكية ولاسلكية ...

ولا يوجد رسول من الرسل بين كلام الله سبحانه ، وفصله بأقواله وأفعاله ، بأسلوب عجيب ليس وراءه أسلوب غير صاحب الشريعة المحمدية ، ولم يفرد مخلوق برسالة عامة بخطاب إلهي سوى محمد بن عبد الله عليه أزكى الصلاة والسلام :

(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) الأعراف/١٥٨

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ..) .... سبأ/٢٨ ...

هذه أبرز سمات المثل الأعلى الرباني ، وأهم مميزات المثل الأعلى الانساني ، لا نجدها جلية واضحة سافرة إلا في شريعة محمد ، وفي كتابه العظيم القرآن الكريم ... والعقل بدوره مطالب بأن يمنح من هذا النمير العذب ، حتى تكتمل مواهبه ، ويزكو استعداده ، وتشرق جنباته ، ويصبح من الانسان مماثلا لجهاز الارسال الدقيق ، يعطي

الاشارات ، ويرسل الأصوات ، ويظهر العلامات ، في الأوقات المناسبة ، ليبلغ التيار مداه ، ويصل إلى غايته فيؤدي مهمته على أكمل وجه ...

ومن هذا المنطلق القرآني الفسيح المديد : يمكننا أن ننظر إلى العقل نظرة جديدة ، ونقومه تقويما فذا ، نعترف له فيها بقيمته الجليلة وآثاره الخالدة ، وأشواقه العالية ، حيث إنه ـ والأمر كذلك ـ ضوء كاشف ، وكوكب وضاح ، بل هو نجم متألق باهر ، يرشد السائرين في الدلجة ، وينتشل الحائرين من الوهدة ، ويسكب في عيونهم نورا مقدسا يبصرون به الحياة ، وتتفتح مداركهم على جوهرها الثمين ، فتتحول بعصاه السحرية من حياة هزيلة عابثة ، إلى حياة جادة هادفة ، تحلق فيها الآمال الشامخة ، التي تدفع الانسان إلى اقتحام ميادين الرجولة ، والنزول إلى حومات البطولة ، ليشرف منها على عالم القيم والمثل ، والعظائم والأمجاد ... وقديما قال المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

والعقل الذي يتحرك في هذا الاطار الرباني ، يسلس قياده ، وتتقدم مسيرته ، ويواصل زحفه المبارك على طريق الايمان ، وفي رعاية الله الرحمن ، مسدد الخطى ، موفق المسعى ، موفور الكرامة ، عالي الهمة ، رفيع القدر ، لأنه يحيا في نور الله ذى الجلال ... **(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...)** الأنعام/١٢٢ ...

لقد أعطى القرآن العظيم العقل الانساني طاقات مبدعة ، ومنحه قدرات عجيبة بارعة يستغلها في مجالات الحياة الرحبة ، وميادينها الشاسعة ، وآفاقها العريضة ، وتلك منقبة للقرآن تفرد بها ، وتسامى في عزة وسموق ..

ولكن ألا ينبغي أن نسأل هذا السؤال : كيف كانت حال الثقافة البشرية قبل القرآن ؟ لقد كان العقل عبدا للخرافات ، أسيرا للأوهام ، تلهب ظهره سياط التقليد الأعمى ، وتلفح وجهه نيران العادات البالية ، وتشتت فكره الأساطير الكاذبة ، كان يحيا وكأنه لا يحيا ، وكان يعيش وكأنه لا يعيش ، إذ ما قيمة حياة لا يحس فيها الانسان بوجوده ؟ بل ما قيمة الفكر إذا وصلت به درجة العقم والافلاس إلى وضع يستبيح فيه أن يؤله مظاهر الطبيعة الجامدة ؟ فأصبح العقل يتهيب الطبيعة ويفزع منها ، بينما هو في أصل تكوينه مسلط عليها ، مأمور بهتك أستارها . ولقد كانت الثقافة البشرية خاضعة للتقاليد الموروثة ، ولسلطان الكهانة والرجم بالغيب ، مما حد الفكر وأوقف نموه وشل العقل وجمد الثقافة ...

وجاء الاسلام وحرر العقل تحريرا كاملا ، وأعطاه حرية الفكر المنطلق بلا حدود ، وبعد عشرة قرون من نزول دعوة القرآن الماجدة ، أخذت بوادر الدعوة إلى استخدام العقل تظهر في الحضارة الأوروبية ، وكأنها ومضات خافتة ، وبدأ الفيلسوف المعروف « ديكارت »

يعلن مبدأه الشهير ، والذي ما أتى فيه بشيْ جديد ..

« أنا أفكر إذن أنا موجود »

وقامت الدنيا وقعدت ، واهتز العالم كله ، عندما طلع « ديكارت » بهذا الشعار ، ومن أجله : اعتبر زعيم مدرسة ، وعد مؤسس مذهب ، وغدا صاحب عقيدة رائدة في دنيا الفكر الانساني ...

بينما نحن وأيم الله ، لو نظرنا ـ بروح قرآنية ـ إلى مبدأ « ديكارت » السالف ، ما ألفينا فيه سمة الجدة ، ولا لمسنا عليه طابع الطرافة ، وما وجدناه يستحق كل هذا الطنين الذي أثير من حوله ... وتلك الشنشنة التي طالما عرفناها من أخرق ... لأن مبدأ « ديكارت » المذكور ، ليس من بنات أفكاره ، ولا من روائعه ومبتكراته ، وإنما هو في حقيقة ذاته مبدأ معاد مكرور ، لأنه من عجائب القرآن ، وروائع مدرسة الوحي ، وثمار الحقل الاسلامي النضير ... وبنظرة فاحصة يمكنك أن تدرك رسوخ هذا المبدأ في ديننا ، وأصالته في عقيدتنا ، وأنه بدون تعصب أجلى وأنصع من الشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ...

ولسنا بهذا الكلام نريد أن نتنقص الرجل ، أو نهون من شأنه ، أو نقلل من قيمته ، كمفكر بارز من المفكرين .. كلا ...كلا فليس هذا ديدننا ، ولا ذاك من طبعنا ، لأننا أولى الناس بأن نقدر الرجال حق قدرهم ، وننزلهم منازلهم ، نعطي لكل ذى حق حقه بدون غمط أو تنكر .. بهذا يأمرنا ديننا ، ويحثنا رسولنا وزعيمنا وأستاذنا محمد رسول الله فيقول :

« نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونخاطبهم على قدر عقولهم » .. رواه البخارى ...

وإنما غايتنا التي نتغياها ، أن تصل الحقيقة إلى كل أذن سليمة من التحريف والحيف ، وأن يعرف ماللـه ، وما لقيصر ، حتى تزول الغشاوة من عيون رمداء ، طالما حجبتها عن إبصار الحق الصراح ... فيدرك كل ذى لب : أن القرآن وهو كتاب الحضارة الأمثل ، صاحب كل دعوة سباقة إلى الفكر ، وأن كل دعوات الاصلاح وبواعث النهضة ، التي حمل لواءها الرواد والساسة المخلصون ، هي من بنات أفكار القرآن ، ومن معطياته الفريدة ، وكنوزه الثمينة ، ولا يضيرنا بعد ذلك أن يتنكر الجاحدون ، أو يجحد الحاقدون ، أو يفترى المتخرصون ...

وقديما قال الشاعر :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

انطلق المارد من قمقمه ، ودوت صيحات البعث القرآني قوية زاخرة ، فرجعت صداها جوانب المعمورة ، واستنشقت عبيرها الزاكي فجاج البسيطة ، وفتح الله بها قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، وأعينا عميا ، وممن هبت عليهم النسمات العذبة الرقيقة .... أهل أوروبا الذين كانوا سادرين في ظلام دامس طامس ، وكانوا يتخبطون في حياة تافهة ، فيها إهدار للعقول ، ووأد

للأفكار ، واستهتار فاضح بالقيم والمبادئ والأخلاقيات ... حياة ساقطة عربيدة لا تعرف الهوادة في إشباع ملذاتها ، وإرواء الجانب الحيواني المتعطش منها ، فأضحت بالمقياس السليم ، أخس من حياة البهائم والعجماوات ، بل وصل الأمر إلى نهايته ، وطفح الكيل ، وتردى العقل الأوروبي من حالق ، عندما صادره رجال الكنيسة ، وأخمد حركته أرباب الأديان الزائفة ، وقهر تطلعاته دعاة العقائد المفلسة من المتاجرين والمنتفعين والمزايدين باسم الدين .. وظهر بينهم ما عرف في التاريخ باسم « الكهنوت الفكري والعقلي » وحرم الناس من استغلال أقدس خاصية تميزهم وترفع قدرهم ... ألا وهي العقل ، واستمرت أمورهم في انتكاستها المريرة حتى وصل الحال إلى ما هو أفدح من ذلك .. عندما كتبوا على جدران معابدهم وفي كنائسهم هذا الشعار الهزيل المريض ...

« أطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى » ..

أرأيت سبة العقل وسخرية الفكر ، كيف فعلت بأهل أوربا الأفاعيل ؟ لكن سرعان ما استيقظ أهل أوربا ــ وكانوا في غمرة ساهين ــ بتأثير المد الحضاري الاسلامي الزاحف الكاسح ، والذي كان يعم ويطم ديار الأندلس الساحرة ، « أسبانيا الآن » ... ثم تلفتوا إلى هذا النور الذي انبعث في بطن الصحراء ، وتفجر من صخور مكة ووديانها ، يحمل شعاعه وسناه ، أستاذ الرسل ومعلم الحياة محمد رسول الله ، ثم أخذت طلائعه الصاعدة المظفرة تفد عليهم في مواكب ميمونة ، تحمل الهدى والفلاح ، والعلم والعرفان ، فتغيرت نظرة الغربيين إلى العقل ، وأخذوا يعيدون إليه مكانته المفقودة ، ويردون إليه عرشه المثلول ، بل إنهم بالغوا في تمجيده ، وذهبوا في ذلك إلى أبعد الأشواط ، فعبدوا العقل واعتبروه إلها ، مما أخرجهم عن دائرة الحد المعقول ...

ومع ذلك كله ، لم يعرف العلماء الأوربيون الطريق الكامل السليم لاستخدامه كما ينبغي وكما يليق ، ولم يستطيعوا أن يحددوا مهمة العقل الخطيرة المتراحبة ، فبقي مقيدا بجهلهم ، ولم يصلوا حتى الآن إلى الحرية الكاملة التي منحتها الشريعة الغراء للعقل ، وقام العلماء المعارضون لمذهب العقل وقالوا : لا نؤمن إلا بالحس حين وجدوا أن العقل يرفض أمورا تظهر صحتها فيما بعد .. وقال آخرون : لا نؤمن إلا بالتجربة لأن الحس يخطئ أحيانا ، وقال آخرون : لا هذا ولا ذاك لا نؤمن إلا بالمادة ...

ولكن أليس من الحتم أن نقف ونتساءل : ما هي حرية العقل ؟

تصور أننا قلنا لطفل : أنت حر تفعل ما تشاء وتركناه حتى أصبح رجلا .... وجئنا لطفل آخر وتعهدناه بالتربية والتهذيب والارشاد ، إننا في الحالة الأولى أسأنا إذ قيدنا الطفل بطفولته الغرة ، ووكلناه إلى تجربته الخاصة ، وفي الثانية أحسنا لأننا أعتقنا الطفل من طفولته القاصرة ، وبذلنا له الارشاد والتهذيب ونبهناه إلى قدراته واستعداده ...

تصور أننا قلنا لرجل جاهل : أنت حر في أن تفكر كيفما تشاء !! وجئنا لآخر فدفعناه إلى الأساتذة النابهين يعلمونه ويصقلونه ... لقد قيدنا الأول بجهله ، وحررنا الآخر من قيود الجهل ....

وهذه هي الحرية العقلية التي جاء بها الاسلام ، نبه الناس الى قدرة العقل الجبارة ، واستعداداته الدفينة ، وإلهاماته المخبوءة ، ثم بين لهم كيف يستفيدون بها في كل شئ في نطاق محسوساتهم وفي خارج هذا النطاق ، مما سماه العلم حديثا باسم « الميتافيزيقيا » .. أي ما وراء الطبيعة ... ومن هنا فقد فتح لهم أبواب العلوم على مصاريعها ليلجوها ، ثم يظهروا على صعيدها عبقرياتهم بما أودع الله فيها من أسرار .. ولقد كانت تلك الأبواب موصدة مغلقة بعد أن سدت جميع منافذها ، وأحيطت بأسوار عتيقة رهيبة ، وكأنها الحديد أو الفولاذ ... ولكن القرآن العزيز أشرق على الكون بوجهه الوضئ ، وهدايته السارية ، فمحا هذا الضباب ، وبدد تلك التناقضات ، ثم صاح في العقل صيحته المزمجرة الشجاعة ، وأهاب به أن ينفض عن نفسه غبار قرون خلت ... وكأني به وهو يخاطبه فيقول :

« أيها العقل انهض واعرف قدرك فقد آن لك أن تأخذ مكانك تحت هذه القبة ... » ...

جاء الاسلام الخالد والعقل الانساني قد انهارت قواه ، وخانته أعصابه ، وأفلت منه الزمام ، فأصبح يخشى مظاهر الطبيعة التي أبدعها الله من أجله ، واعتقد أن الكون عبارة عن طلاسم مقدسة ، وألغاز مستعصية ، لا يجوز له أن يقترب منها ، ولا يباح له أن يفكر فيها ، لأنها ـ في نظره ـ أسرار مبهمة غامضة ، فاذا ما حام حولها ، أو حلق في أجوائها اغتالته الشياطين ، وتخطفته المردة ...

بزغ نجم القرآن ساطعا متلألئا ، يخلب الألباب ، ويسحر الأبصار ، ويجلو البصائر ، ويهمس الى الناس ، فيصغون إلى صوته الحبيب الأثير ، يلقى في روعهم ، ويخاطب السويداء في قلوبهم ، ويعلن صراحة : أن مظاهر الطبيعة جميعها مسخرة لهم ، مطوعة لارادتهم ، لا تشذ عنهم ، ولا تتمرد على سلطانهم ، وإنما هي في أيديهم كالدابة الذلول ، يوجهها قائدها أين شاء .. وما دامت مسخرة لهم فعليهم أن يفكروا في طرق احتوائها ، والهيمنة عليها ، لا في عبادتها والخضوع لها ...

قال رب العزة :

(الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار) ابراهيم/ ٣٢ ـ ٣٤ ...

وأي كفر بعد عبادة المخلوقات وترك عبادة الخالق ؟ وأي ظلم أنكى وأشد بعد اللهث وراء النعم ومطارف الاحسان ونسيان المنعم العظيم تبارك وتقدس ؟

من القصص الاسلامي :

دنياهم ودنيانا

للاستاذ محمد محمود عبد المجيد

الموكب موكب حزين والركب يمضي إلى البقيع حيث يرقد أصحاب رسول الله في رحاب الله وحيث يرفرف على المكان أرواح الشهداء ، والطيبون في خلافة عمر بن الخطاب يحملون رجلا طيبا إلى مثواه الأخير هو عمير بن سعد الأنصاري والى حمص .

وأمير المؤمنين يمضي مطرقا يحترم جلال الموت ويستغفر لصحابه وإن عيناه لتذرفان ... وإن قلبه لحزين ، وقلب عمر في موضع الرقة رقيق ، وفي موضع الشدة شديد ، ولا بد إن يكون الرجل قريبا إلى قلب عمر فمن مثل عمر في علمه بأقدار الرجال ..؟

ومضى أمير المــــؤمنين يصلي على صاحبه وقد اصطف خلفه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكبر عمر تكبيرة الاحرام ثم قرأ فاتحة الـكتاب ... ثم كبر فقرأ سورة الاخلاص وصلى على حبيبه محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم كبر فدعا لصاحبه عمير بن سعد واستغفر له ، ثم كبر فدعا ما شاء الله له ان يدعو للاسلام والمسلمين .

ونظر عمر إلى أصحابه : ها هو صوت أمير المــــؤمنين وقد سوى التراب على قبر عمير يرتفع مسترجعا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، ثم ها هو يلتفت إلى أصحابه يقول : أيكـم يتمنى على الله قال أحدهم أتمنى على الله مالا أنفقه في سبيله ، وقال الآخر : أتمنى قوة لا أبرح بها بئر زمزم أسقى الحجيج .

وقال عمر : أتمنى على الله رجلا كعمير بن سعد رحمه الله أوليه امور المسلمين !!!

هو عمير بن سعد الأنصاري ... ولاه أمير المؤمنين على حمص في بلاد الشام فكان نعم الأمير وكان اختيار الأمراء على عهدهم ليس بالأمر السهل ... لقد كان أمير المؤمنين يجهد نفسه كثيرا ليضع الـرجل المناسب في المكان المناسب وكان عمير من هؤلاء الرجال ...

واستبطأ امير المؤمنين عميرا فقد مضى إلى ولايته فكـادت أخباره



تنقطع عن أمير المؤمنين وهو الذي كان ينتظر قدوم الأمراء في موسم الحج ليسمع عنهم ومنهم فمن شهدت له رعيته بالفضل أبقاه ومن شهدت له بغير ذلك عزلـــه ... لا تأخذه في الحق لومة لائم .

نعم لقد كتب اليه خطابا قصيرا هو أقرب إلى عالم البرقيات ليقول فيه : من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمير بن سعد عامل أمير المؤمنين على حمص ... إذا وصلك خطابي هذا فأقبل ومعك ما جمعت في فئ للمسلمين .

وجاء عمير ... جاء ماشيا يحمل اثار السفر الطويل من حمص إلى مدينة الرسول .. ها هو ذا يدخل المسجد في صلاة الظهيرة فقد كان هذا شأن عمر مع ولاته لا يدخلون إلا في وضح النهار .

عمر : ما شأنك يا رجل ؟

عمير : كما ترى يا أمير المؤمنين .. ألست تراني صحيح البدن معي الدنيا أجرها بقرنيها ؟

عمر : وماذا معك ؟

عمير : جرابي أضع فيه زادي ... وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وأدواتي أضع فيها وضوئي وشرابي ... وعصاى اتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا ، وما الدنيا بعد ذلك إلا تبع لي !!!

عمر : وجئت تمشي ! بئس القوم هم ! ألم يعطك أحدهم ما يحملك .

عمير : غفر الله لك يا أمير المؤمنين لقد تركتهم والله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

عمر : وأى شئ صنعت ؟

عمير : جمعت صلحاء القوم فوليتهم جباية فيئهم حتى إذا ما جمعوه وضعته في موضعه ولونالك شئ منه لجئتك به .

عمر : ما شاء الله ... نجدد له عهدا إذن .

عمير : ناشدتك الله الا ما أعفيتني .. والله ما سلمت منذ وليتني .. إن أشقى أيامي يوم قالوا جاء الأمير ، ذهب الأمير ، قام الأمير ، قعد الأمير ، ومضى عمير بن سعيد إلى بيته .

ومضى خلفه رسول أمير المؤمنين يحمل إليه طعاما وثوبين ومائة دينار .

ها هو الرجل الطيب يقول : أما الطعام فلا حاجة لي إليه رده ثانية إلى أمير المؤمنين ففي بيتي صاعان من شعير واما الثوبان فأم البنين لعلها في حاجة إليهما فهي لم تلبس جديدا منذ عامين .

واما الدنانير فمهلا .. لقد أخذها وغاب بعض الوقت ثم جاء متهلل الـوجه ... لقد وزعها على أبناء شهداء بدر .

ويصر أمير المؤمنين على أن يجدد عهدا لعمير ولكن ساعة الـرحيل كانت قد دنت .

ويتمنى عمر على الله رجلا كعمير يوليه أمور المسلمين .

تلك كانت دنياهم .. فأين منها دنيانا ؟!

يا مبدع

للاستاذة روحية القليني

يا مبدع الكون .. الـذي بجماله
بهـر الوجـود .. وحـير الألبابا
يا خالق الدنيـا على نسـق يرد
الحائـر المستنـكر المرتابا
ويحـار في هذا الوجـود وسره
ولأنـت وحـدك تدرك الأسبابا
تعطـي وتمنـع .... قادرا ومقدرا
ولمن تشـاء تفتـح الأبوابا
تهدي القلوب الى رضائـك منعما
تعفـو وتصفـح حانيـا توابا
يا رب .... حبك بالخشوع وبالتقي
والدمـع يهمس بالحنـين مذابا
والحـب يدفعنـي لبابـك لهفة
فافتـح بحقـك للمحـب البابا

الكون

واقبله عندك في رحابـك خاضعا
خلقـت رياضــك للتقــي مثابا
يا رب ... عنـدك جنــة قدسية
كالمسـك فاح بهـــا وذاع وطابا
بك يا إلـه الـكون أرفـع هامتي
وأخـوض دنيانــا أسى وصعابا
أنا ما سألـت الله يومـا حاجتي
إلا ورد لي الكريـــم جوابا
أنا ما ارتضيت بعالمي شيئا سوى
تقــواه ظلا وارفـــا ورغابا
يا رب .... هذا الحب كيف أصوغه
مهمـا ملـكت من البيـان صوابا
لا شئ يشغلنـــي سواك مهيمنا
فيمـا عداك أرى الحيـاة سرابا

ومنها تأكلون

للدكتور غريب جمعة

كأني بك أيها القارىء الكريم ، وقد حدثتك بما فتح الله به في مقال سابق عن بعض المنافع في قوله تعالى : **(ولكم فيها منافع كثيرة)** كأني بك تطالبني أن أحدثك ـ بتوفيق الله ـ عن معنى قوله تعالى : **(ومنها تأكلون)** المؤمنون/ ٢١ وبذلك نكون قد أتينا إلى آخر الآية الكريمة ولكنا لم نأت إلى آخر العبر ـ لأن هذه العبر عطاء إلهي يمن الله به على كل عصر بما يخدم قضية الايمان في ذلك العصر وعطاء الله لا ينفد أبدا : **(وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)** النمل/ ٩٣ وهل سألت نفسك وأنت تتناول قطعة من اللحم . . كيف تكونت هذه القطعة ؟ كيف يحيلها الجسم إلى طاقة ..؟.. الخ أم أنك تفترسها افتراسا دون أن تبقى ولاتذر ودون تدبر ولا نظر ..!! وهيا بنا لنعيش بروح العلم في رحاب هاتين الكلمتين الكريمتين « ومنها تأكلون » لنرى عجبا .. وأي عجب .

مم يتكون اللحم ..؟

يتكون من ألياف خيطية مستطيلة تتكون بدورها من حزم من الأنابيب الدقيقة التي تعرف بالألياف العضلية التي تختلف في الطول تبعا لاختلاف نوع اللحم فقد تكون قصيرة كما هو الحال في صدور الأفراخ وكلما قصر طولها كان اللحم أسهل هضما .. وتتكون جدران هذه الأنابيب من مادة بروتينية تسمى « الاستين » . أما النسيج الضام الذي يمسك الألياف

بعضها الى بعض فيتكون من مادة تسمى « كولاجين » يتكون منها الجيلاتين عند غلي اللحم .. وكلما كبر سن الحيوان أو كان يقوم بعمل عضلي كبير ازداد النسيج الضام في لحمه كثافة وغلظت جدران الأنابيب ويوجد في النسيج الضام كميات متفاوتة من الدهن الذي قد يكون معدوما في صدور الأفراخ الصغيرة . لذلك ينصح الأطباء بتناولها في بعض أمراض المعدة والأمعاء حتى تكون سهلة الهضم .. وقد يكون نلك الدهن موجودا بكميات كبيرة كما في لحوم الضأن السمين والعجول والطيور المائية كالأوز وغيرها من الطيور التي تختزن الدهن ليمدها بالحرارة ويكسبها خفة في الوزن .. أما لحم الخنزير فان الدهن يوجد به بكميات كبيرة مما يسبب صعوبة هضمه نلك أن الدهن يحيط الألياف العضلية بطبقة تعوق تأثير العصارة المعدية ومن رحمة الله بالناس أن حرمه عليهم .

مكونات الألياف العضلية :

تتكون من الماء الذي يوجد به البروتينات والأملاح وبعض المواد المسماة بالخلاصات الذائبة ويعرف هذا السائل في مجموعه « بالعصير العضلي » وتزداد كميته في الحيوانات الصغيرة ولذا تقل قيمتها الغذائية ..

أهم البروتينات بالعصير العضلي :

١ ـ الميوسين . ٢ ـ الميوجين ٣ ـ الهيموجلوبين .

ويعتبر الميوسين أهم الأنواع إذ إن له خاصية التجلط والتجمد بعد موت الحيوان فيؤدي الى تصلب عضلاته مكونا بنلك ما يسمى بـ « التصلب الرمى » ولهذا يستحسن أن يتم طهي اللحم بعد الذبح مباشرة أو يترك معلقا قبل الطهي حتى تنتهي ظاهرة هذا التصلب نتيجة لذوبان البروتينات المتجمدة بتأثير الأحماض التي تتكون في اللحم أثناء تركه معلقا والتي تساعد على تكوين الجيلاتين من النسيج الضام أثناء الطهي وتحسن طعم اللحم ونكهته .

أهم المواد المعدنية بالعصير العضلي :

١ ـ حامض الفوسفوريك ٢ ـ البوتاسا .

وتعتبر جميع المراجع في علم التغذية اللحم من أهم المصادر التي تمد الجسم بهاتين المادتين اللازمتين لبناء الأنسجة وتؤدي قلتهما إلى ضمور وطراوة في عضلات الجسم .

الخلاصات الذائبة وفائدتها :

تسمى كذلك لامكان استخلاصها من اللحم في درجة الغليان وتمتاز بلونها الأسمر وقوامها اللزج الذي يميز خلاصات اللحم التي تباع في العلب وهذه الخلاصات هي التي تكسب اللحم طعمه ونكهته .

اختلاف التركيب الكيماوي :

يختلف التركيب الكيماوي كثيرا في لحوم الحيوانات المختلفة بل إنه يختلف في أجزاء الحيوان الواحد ، ويحتوي اللحم على كمية كبيرة من الماء تبلغ ثلاثة أرباع وزنه ولا يوجد فيه من المواد الغذائية إلا ما يوازي ربعه ويتناسب وجود الماء مع وجود الدهن تناسبا عكسيا فكلما زاد آلدهن قل الماء في اللحم والعكس صحيح ، ولذلك تزداد قيمة اللحم الغذائية بالتسمين ما دامت زيادة الدهن لا تفقده شيئا من « البروتين » وبالنظر إلى الجدول التالي يمكننا أن نتبين ما تحتويه بعض اللحوم من بروتينات ودهون وكربوهيدرات وما يمد به ١٠٠ جرام من كل منها من طاقة حرارية ــ حتى يختار الانسان لنفسه ما يراه مناسبا ..

نوع اللحم	نسبة البروتين ٪	نسبة الدهون ٪	نسبة الكربوهيدرات ٪	الطاقة الحرارية من ١٠٠ جم
لحم بقري	١٨,٥	١٨,١	٠,٤	٢٤٦
لحم بتلو	١٩,٧	٨,٥	٠,٤	١٦١
لحم ضأن	١٦,٥	٢٦,٥	٠,٢	٣١٧
لحم ماعز	٢٠,٧	٤,٣	٠,٥	١٢٧
لحم جملي	٢٢	١	٠,٥	١٠٠
كبد بقري	١٩,٩	٣,٧	٣,٣	١٣٠
رئة بقري	١٥,٢	٢,٥	٠,٦	٨٨
قلب بقري	١٧,٦	١,١	٠,٣	١٦٧
طحال بقري	١٧,٨	٤,٢	١	١١٦
كلاوي بقري	١٨,٤	٤,٥	٠,٤	١١٩
لسان بقري	١٥,٧	١٧,٦	٠,١	٢٢٨
دجاج	٢١,٣	٤,٢	١,١	١٢٩,٦
دجاج رومي	٢٠,٦	٢٢,٩	١,٠	٢٩٧,٤
بط	٢٢,٦	٣,١	١,١	١٢١,٧
أوز	١٤,٢	٤٤,٢	١,٠	٩٩,٩٠

تأثير الطهو على اللحم :

١ ـ يؤدي الطهو إلى تفكك الألياف ويحول النسيج الضام الذي يمسكها إلى « جيلاتين » ويزيل بعض الدهن الموجود حول الألياف كما أنه يساعد على تقليل نسبة الماء في اللحم حتى في حالات غلي اللحم في الماء وعلى ذلك فان قيمة اللحم الغذائية تزداد بالطهي بعكس الخضروات فالقطعة التي تزن أربع أوقيات من اللحم المطهي تعادل خمس أوقيات من اللحم النيئ .
٢ ـ يزيل الطهي جزءا من الخلاصات التي أشرنا إليها سابقا ويبدو هذا بوضوح في حالة السلق وهو يذيب بعض الأملاح بالغليان .
٣ ـ يعتبر الشي من أكثر الطرق احتفاظا بعناصر اللحم الغذائية إذ أنه يساعد على تجلط البروتينات الموجودة في سطحه بسرعة فتتجمد ويتكون منها سياج يحول دون فقد عصارات اللحم وخلاصاته .

أثر التبريد على اللحم :

أثبتت البحوث العديدة أن اللحم إذا ما أخذ طازجا ووضع في درجة حرارة منخفضة أي في الثلاجات فانه يتكون فيه مواد عديدة نتيجة لتفاعلات خاصة وتسمى المنشطات الحيوية ولهذه المكونات صفات دوائية هائلة إذ أنها تنشط الأجهزة الجسمانية وتشفي الأمراض وتنبه الأعصاب وتزيد النمو والقوى ولذلك يعتبر الحساء الناتج من اللحوم الصحيحة من الأغذية الدوائية .

أسهل اللحوم هضما :

١ ـ تعتبر لحوم الفراخ من أسهل الأنواع هضما خصوصا ما يوجد في الصدر وذلك لقصر أليافه وخلوه من الدهن .
٢ ـ لحم الضأن أسهل هضما من لحم البقر والعجول الكبيرة السن .. أما لحم البط والأوز فانه عسر الهضم لكثرة الدهن به .
٣ ـ يعتبر لحم الخنزير من أصعب الأنواع هضما كما سبق ذكره ..

ويمتص الجسم حوالي ٩٥٪ من ناتج عملية هضم اللحم ولهذا فان البقايا التي تتخلف بالأمعاء تبعا لذلك تعتبر ضئيلة ولذلك تمتاز اللحوم على بعض المواد الغذائية في هذه الناحية .

خطر الاسراف في تناول اللحوم :

١ ـ إرهاق الجهاز الهضمي الذي يصاحبه أعراض مختلفة واضطراب في الكبد والأمعاء .
٢ ـ زيادة الحموضة في الأنسجة وتعرضها للعدوى .
٣ ـ زيادة ترسيب الأملاح في المفاصل وإحداث الآلام الروماتيزمية خصوصا مرض « النقرس » أو داء الملوك كما يطلق عليه في بعض الأحيان .
٤ ـ تؤدي كثرة الدهون إلى تصلب الشرايين والسمنة وما يتبعها من مضاعفات .

وصدق الله العظيم : **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** (الأعراف/٣١) .

بعض الأعضاء الحيوانية كمصدر للتغذية :

تستخدم بعض الأعضاء الحيوانية كمصدر للتغذية مثل :
١ ـ الكبد ٢ ـ الكلى ٣ ـ القلب ٤ ـ المخ ٥ ـ الرئة .
١ ـ يتشابه الكبد مع الكلى من حيث احتوائهما على قليل من الأنسجة الضامة ولذلك يراعي مضغهما جيدا ويحتويان على نسبة عالية من البروتين مع قليل من المواد الدهنية .
٢ ـ يشبه القلب اللحم العادي من حيث التركيب الكيماوي ولكنه نظرا لسمكه يكون أعسر هضما .
٣ ـ أما المخ فان معظم تكوينه من مواد دهنية تحتوي على « الكولسترول » و« الليثين » الغني بالفوسفور وهو سهل الهضم بالمعدة نظرا لتركيبه الرخو إلا أنه يتخلف جزء كبير منه في الأمعاء حوالي ٤٣٪ لا يستفيد منه الجسم وعلى المرضى المصابين بتصلب الشرايين الامتناع عن تناوله نظرا لارتفاع نسبة الكولسترول به .
٤ ـ لا تعتبر الرئة من الغذاء الجيد نظرا لاحتوائها على كمية كبيرة من المواد البروتينية المطاطة التي يصعب هضمها .. ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن اللحوم ، الحديث عن تعفن اللحوم وأثره السيىء .. **فكيف يحدث هذا التعفن ؟** يتم حدوث التعفن بواسطة جراثيمه المنتشرة في كل مكان على مادة صالحة للنمو ، وليس أصلح لنموها من اللحم ، وإذا كان اللحم بعد ذبحه معتنى به وبنظافته فقد يبقى مدة طويلة من غير تعفن أما إذا أهمل وتساقط عليه الغبار فانه يتعفن سريعا ، ويحدث التعفن للحم غير المطبوخ والمطبوخ

على السواء ، ويبدأ عادة على السطح ويتسرب إلى الداخل تدريجيا متبعا سير النسيج الضام لأن العضلات أكثر مقاومة ـ بطبيعة تكوينها ـ عن غيرها من الأنسجة ، ولحوم الحيوانات المصابة بحميات عفنة أو التي لم يصف دمها جيدا عند ذبحها تكون أكثر عرضة للتعفن من الحيوانات السليمة ، وليس من الضروري أن يكون التعفن مصحوبا برائحة كريهة فقد يتحلل اللحم ويتعفن وتكاد رائحته لا تتغير كما شوهد ذلك في بعض أنواع السجق وفي بعض أنواع اللحوم المملحة .

وإذا ما تم تناول اللحم المتعفن فان ذلك يؤدي إلى الاصابة بالتسمم الغذائي الذي ينتشر كثيرا خاصة إذا اختلط اللحم المتعفن بالبكتريا وبخاصة الميكروبات التي تنتمي إلى عائلة « السالمونيلا » ، وتتكاثر هذه الميكروبات في المواد البروتينية كاللحوم والسمك واللبن ولهذا السبب يكثر حدوث التسمم الغذائي بعد تناول هذه الأطعمة ، ومن إبداع قدرة الله في الجسم البشري أنه يحاول التخلص من هذه المواد السامة حينما تصله بكل وسيلة فيحدث **القيء والاسهال** .

تشخيص التسمم الغذائي :

يتم ذلك بيسر وسهولة لأنه يتميز بالآتي :

١ ـ إصابة أكثر من فرد من مجموعة أو عائلة مجموعة بأكملها بالقيء والاسهال المفاجئين ٢ ـ آلام في البطن وإحساس بالهبوط والشعور بالغثيان .

وعند الاحساس بهذه الأعراض يجب نقل الفرد أو الأفراد إلى أقرب مستشفى حتى يتم علاجهم بالطريقة الصحيحة أما إذا تعذر ذلك فعلى المحيطين بالمصاب عمل الآتي :

١ ـ عمل غسيل معدة والاجبار على القيء بواسطة :

٢ ـ شرب محلول ملح (ملعقة كبيرة في كوب ماء) ب ـ تناول محلول بيكربونات الصوديوم في الماء هـ ـ إدخال إصبع اليد في الحلق .

٢ ـ تدفئة المصاب حتى نقلل من حدوث المضاعفات .

٣ ـ إعطاء المصاب مشروبات ساخنة كالقهوة والشاي ...

وبعد ...

فاننا إذا كنا قد أتينا إلى آخر هذه الآية الكريمة فاننا لم نأت إلى آخر العبر كما ذكرت آنفا ..

وإذا كان الصواب قد حالفني فيما كتبت في رحاب هذه الآية الكريمة .. فان ذلك من عند الله ـ وإن كانت الأخرى فهو من عند نفسي وأستغفر الله وأعتذر إلى الناس .

الفتاوى

للشيخ عطية صقر

الصدقة على الكافر

السؤال ـ عندنا جار فقير لكنه غير مسلم فهل يجوز ان اعطيه من الزكاة ؟

احمد على ابراهيم ـ حمص ـ سوريا .

الجواب ـ اتفقت الأئمة على عدم جواز إعطاء الزكاة لغير المسلمين ، فيما عدا المؤلفة قلوبهم ـ وهم الذين يرجى ايمانهم او يخشى شرهم ، وان كان هناك خلاف في وجودهم الآن وفي جواز اعطائهم إن كانوا ـ والدليل على عدم اعطاء الكفار من الزكاة قول النبي صلى الله عليه وسلم (صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) في حديث معاذ لما أرسله الى اليمن . والمقصود بهم أغنياء المسلمين وفقراؤهم دون غيرهم . رواه البخارى ومسلم .

قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم ان الذمى لا يعطي من زكاة الاموال شيئا واختلفوا في زكاة الفطر فجوزها ابو حنيفة ، وعن عمرو بن ميمون وغيره انهم كانوا يعطون منها الرهبان . وقال مالك والليث واحمد وابو ثور لا يعطون . ونقل صاحب البيان عن ابن سيرين والزهرى جواز صرف الزكاة الى الكفار « المجموع للنووي ج ٦ ص ٢٤٦ » لكن صدقة التطوع يجوز أن يعطى منها غير المسلم ، لما صح من اجازة النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت أبي بكر أن تبر أمها وكانت مشركة وقال لها (صلى أمك) ويؤيد هذا قوله تعالى:(**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم**) المتحنه/٨

وقال تعالى : (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)** الانسان/٨ فالآية مطلقة والأسير بالذات قد يبقى على دينه ولا يسلم . قالوا : ومنه اعطاء عمر صدقة لليهودي الذي وجده يسأل .

وأختار انه لا يجوز لك أيها السائل أن تعطي من زكاتك لغير المسلم ويجوز ان تساعده بصدقة تطوع ، رعاية لحق الجوار .

تشبيك الاصابع

السؤال : ـ اذا جلس الانسان في المسجد وشبك بين اصابعه هل هذا منهى عنه وما الحكمة في ذلك ؟

احد قراء المجلة ـ الضاحية ـ الكويت

الجواب : ـ ثبت في صحيح البخاري وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم شبك بين اصابعه وجاءت رواية تبين ان التشبيك كان في معرض البيان والتمثيل لابراز المعنى بصورة واضحة محسوسة فعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك بين اصابعه ، كما جاءت رواية اخرى عن ابي هريرة في حديث السهو في الصلاة حيث قال :
فصلى بنا ركعتين ثم سلم ، فقام الى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كانه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين اصابعه .

يقول الحافظ ابن حجر « فتح الباري ج ٢ص ١١١) تعليقا على ذلك : فيه جواز التشبيك في المسجد وغيره ، وهناك مراسيل ـ سقط منها الصحابي ـ ومسندة من طرق غير ثابتة في النهي عن التشبيك في المسجد ، ومن ذلك حديث ابي داود وصححه ابن خزيمة وابن حبان عن كعب بن عجرة . وفي اسناده اختلاف ضعفه بعضهم بسببه « اذا توضأ احدكم ثم خرج عامدا الى المسجد فلا يشبكن يديه ، فانه في صلاة » . وروى ابن ابي شيبة حديث « اذا صلى احدكم فلا يشبكن بين اصابعه ، فان التشبيك من الشيطان ، وان احدكم لايزال في صلاة مادام في المسجد حتى يخرج منه » وفي اسناده ضعيف ومجهول .

ثم قال ابن حجر نقلا عن ابن المنير : التحقيق انه ليس بين هذه الاحاديث تعارض ، اذ المنهى عنه فعله على وجه العبث ، والذي في الحديث ـ المؤمن للمؤمن ـ انما المقصود هو التمثيل وتصوير المعنى في النفس بصورة الحس وجمع الاسماعيلي بان النهي مقيد بما اذا كان في الصلاة او قاصدا لها اذ منتظر الصلاة في حكم المصلى ، واحاديث الباب الدالة على الجواز خالية من ذلك لان حديث ابي هريرة كان تشبيك النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء الصلاة وليس في صلاة او قبلها ، والرواية التي فيها النهي عن ذلك مادام في المسجد ضعيفة . ثم قال اخيرا : والحكمة في النهي قيل لكونه من الشيطان ، وقيل لانه يجلب النوم وهو من مظان الحدث ، وقيل لان التشبيك فيه صورة الاختلاف ا هـ .

واقول : ان الامر اهون من ان يثار حوله خلاف والنية لها دخل في الحكم ، والعرف كذلك ينبغي ان يراعي في الاداب العامة غير المنصوص عليها ، وقد علمت ان احاديث النهي عن التشبيك غير صحيحة ، ولذا قال البعض ان التشبيك مكروه وليس بمحرم .

بأقلام القراء

جاءتنا كلمة من السيد/احمد حسين مرواد بشئون الموظفين بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية تحت عنوان :

الصلاة في الاسلام ..

جاء فيها :

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الشريعة الاسلامية بعد شهادة التوحيد (لا اله الا الله محمد رسول الله).

والصلاة صلة بين العبد وربه . فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله . لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا » رواه الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما .

والصلاة من الله معناها الرحمة . والصلاة من الملائكة معناها الاستغفار . والصلاة من العباد معناها الدعاء لقول الله تبارك وتعالى : (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور)..

ولقول الله سبحانه (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا). أما عند العباد : فقلنا ان معناها الدعاء . والصلاة التي هي مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم . يتخللها دعاء ، يتجه به المصلى الى ربه في صلاته حين يقول : (اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

ولو نظر الانسان الى الصلاة ، لوجد أركان الاسلام الخمسة مندرجة فيها . فالانسان ينطق بالشهادتين في صلاته ، كما أنه يصوم عن كلام الدنيا ولا ينطق الا بذكر الله سبحانه ، فهذا هو صوم الانسان عن الكلام فهو في صلاته لا يتكلم الا مناجيا لله سبحانه . والصلاة يبطلها الاكل والشرب عمدا ، وهذا مظهر من مظاهر الصوم ، فهو الامساك عن الطعام والشراب من طلوع الفجر الى غروب الشمس . كما أن في الصلاة زكاة ، لأن المصلى يقتطع جزءا من

وقته ، الذى كان يسعى فيه على رزقه ، ليؤدي فيه الصلاة . كما أن الصلاة تتضمن ركن الحج ، ففيها يولي الانسان وجهه جهة القبلة . فالصلاة إذا هى الركن الجامع الشامل لدعائم الاسلام واركانه .

والصلاة تنقسم الى قسمين : صلاة مقبولة . وصلاة مردودة .

فالصلاة المقبولة : هي التي تنهى صاحبها عن ارتكاب المعاصي وهي التي قال الله تعالى في شأنها : (إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون).

أما الصلاة المردودة : فهي التي لا تنهي صاحبها عن ارتكاب المعاصي وهي التي قال الله تعالى في شأنها : (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون).

ولقد كان الامام الزاهد حاتم الأصم رضى الله تعالى عنه ـ عندما يتوجه الى الصلاة يكبر بتوقير ، ويقرأ بترتيل وتدبر ويقول : اني أتخيل الجنة عن يميني ، والنار عن يسارى وملك الموت فوق رأسي ، والصراط تحت قدمى ، وعين الله ناظرة الى .. ثم أسلم وأنا لا أدرى أيقبلها الله أم يردها على ؟ لأن الله تعالى يقول في سورة (المؤمنون): (قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون).

هذا ومن يسر الاسلام وسماحته التي تتجلى في رفع الحرج عن المؤمنين أن المصلى لا يحتاج لفراش كي يصلى عليه اذا لم يقدر على السعى للصلاة في المسجد بل يصلي على التراب . وفي أي مكان شاء مادام المكان طاهرا .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (جُعلت لي الأرض مسجدا وتربتها طهورا).

ولا تنس أن صلاة الجماعة في المسجد ، يضاعف أجرها عند الله وتشهد لصاحبها بالايمان .

كما جاء في سورة التوبة الآية ١٨ ، قول الله تبارك وتعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتي الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين).

الرأي والحزم

اذا التبس عليك أمر فشاور لبيبا ، واذا ارسلت رسولا فليكن حليما ، فان لم يكن حليما فكن رسول نفسك ، فان مشاورة اللبيب قوة لرايك ، وحلم رسولك جزم في امرك ، واذا استشارك عدو او صديق فامنحه النصيحة فان فعلت قلت بالحكمة ، وبرئت من التهمة .

افتراءات مدحوضة..

ظهر كتاب يدعى كاتبه أن الاسلام رسالتان ، رسالة أولى قامت على فروع القرآن ، ورسالة ثانية تقوم على أصوله ولقد وقع التفصيل على الرسالة الأولى ولاتزال الرسالة الثانية تنتظر التفصيل ، وبالكتاب أشياء أخرى ظاهرة الخطأ وأن الاسلام لا يصلح للقرن العشرين ، وإني اريد التنبيه لتجنب مطالعة هذا الكتاب لما فيه من خطورة على عقول المسلمين .

محمد الشيخ نورين زروق
السودان

يجيب على هذه الأسئلة ويدحض زيفها ويزيل غموضها ويقضي على الفتنة المرادة منها قول الله سبحانه في شأن رسالة الاسلام وأنها جاءت وافية شاملة لا تحتمل لبسا وليس بها نقص أو تشويه ولا تحتاج الى رسالة لاحقة كما يدعى صاحب الكتاب هذا الذي نرجو أن تصلنا منه نسخة على عنوان المجلة يقول الله سبحانه: **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)**.

والاسلام رسالة واحدة وضح الهدف منها منذ ظهورها وكتاب « الرسالة الثانية من الاسلام » الذي ألفه محمود محمد طه كما تذكر في رسالتك ما هو إلا دجل لا يرقى الى المناقشة ولا يصمد أمام أدنى تفكير فمن خلال ما عرضت من موضوعاته التي أبرزها أن الشريعة الاسلامية لا تصلح للقرن العشرين فهذا الكلام ليس جديدا على الاسلام والمسلمين ، فالمستشرقون ومن نحا نحوهم ، وتثقف بثقافتهم ، وتتبع خطواتهم ، يقولون ذلك كثيرا ثم لا يلبثون أن يكتشفوا أن هذا زيف وباطل ، وأن شريعة الاسلام لا يصلح العالم في كل قرن إلا بها ، وأن ثقافتهم وحضارتهم إن جاز ذلك لم تورث

العالم إلا الدمار والانحلال والتفكك والعري والرذيلة والاباحية وانهيار بنيان الأسر ، وليس هناك من عاصم إلا التمسك بأهداب الشريعة الاسلامية وإن الواقع الذي يعيشه العالم غير المسلم خير شاهد على هذا فكل ألوان الضياع تبدو واضحة إن لم تكن قد بسطت ظلالها القائمة على أفق حياتهم وليس لهم خلاص ولا مهرب من الظلام المخيم على مجتمعهم إلا أن يكون هناك التزام بمثل لم تتوفر لديهم ولم يدع إليها قانونهم والرسول صلى الله عليه وسلم أوجب الايمان برسالته على جميع الناس ونسخ الملل التي سبقته لأن فيها صلاحهم من متناقضات قوانينهم وسطحيتها وعدم قدرتها على معالجة مشكلاتهم وأيضا شمول الاسلام كل الشرائع السابقة وهيمنته عليها مع ما انفرد به الاسلام بما يناسب البشرية جمعاء فيروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« ما من الانبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » رواه مسلم .

وبعد هذا أرجو أن تطمئن فالاسلام قوي بذاته لأن رب الاسلام تكفل بالدفاع عنه وإنما الذي يحدث الآن ليس مأخذا على الاسلام بل هو مأخذ على المسلمين وضعف منهم وقصور انتاب حياتهم نأمل تصحيحه والعودة لشريعة الله ، ويومها تموت كل هذه الدعوات المتهافتة الهزيلة التي لا تروج إلا بانصراف المسلمين وانشغالهم عن دينهم .

رد وتوضيح للسادة القراء

زاد السادة القراء من طلباتهم لارسال المجلة إليهم كل شهر على عناوينهم في أنحاء العالم الاسلامي الكبير .

ويتمنون أن يحظوا بجمع أكبر عدد ممكن من الوعي الاسلامي، المجلة الهادفة الملتزمة بتقديم الثقافة الاسلامية إليهم في ثوب جديد وبأسلوب مفهوم وبطريقة عرض متناسقة تتفق وطريقة أخذهم لدينهم الحنيف بوسائل بسيطة دون لبس وذلك حسب تعبيراتهم .

ونحن إذ نقدر فيهم هذا الاتجاه الكريم نتوجه إليهم برجاء أن يوفروا على أنفسهم هذا العناء ويتوجهوا الى المكتبات في بلادهم التي تدخل دائرة توزيع المجلة وسوف يجدون بغيتهم .

أما إذا خلت مكتباتهم ولم تكن داخل دائرة توزيع المجلة فبقدر الاستطاعة نعدهم بتلبية طلباتهم **منها** »

مع صحافة العالم

الأطباق الطائرة بين الدين والعلم

قامت صحيفة « الأهرام » باستطلاع رأي عالمين اسلاميين جليلين هما فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي والاستاذ عبد الرزاق نوفل حول قضية الأطباق الطائرة ورأي الدين فيها » .

تقول الجريدة :

كثر الحديث في الفترة الأخيرة حول الاطباق الطائرة ، خصوصا بعد ظهور طبق في استراليا واخر في الكويت .

ما حقيقة هذه الاطباق ؟... ومن اين تأتي ؟؟.. والى اين تعود ؟... وهل هي لمخلوقات عاقلة ؟؟.. سلسلة طويلة من الاسئلة تحاول ان تصل الى سؤال اهم واكبر هو :

هل الانسان هو المخلوق الوحيد العاقل في هذا الكون الذي نعيش فيه ؟

والاجابة من كتاب الله الخالد ــ القرآن الكريم ــ الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ... وعلى ضوء ما وصلت اليه دراسات وتجارب العلم الحديث تؤكد اننا لسنا وحدنا في هذا الكون ... كيف ؟

يقول الدكتور عبد الجليل شلبي الامين العام السابق لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف ان القرآن الكريم ذكر ثلاثة انواع من المخلوقات هي : الملائكة والجن والدواب ، وهي كل ما يدب على الارض من انسان وحيوان وطير ... الخ ..

وبعد غزو الفضاء والنزول على سطح القمر والمريخ ووجودهما خاليين من كل انواع الحياة ، لا نعتقد ان الاطباق الطائرة قادمة من كوكب من الكواكب الاخرى ، فالمعروف فلكيا ان هذه الكواكب لا تصلح للحياة فيها ..

والاطباق الطائرة لا تزال امرا غامضا ولا نعتقد انها من الجن ولا من الملائكة انها امر لم تتكشف حقيقته بعد ... وقد تكون من الاجهزة العلمية الحديثة وعن التفسير العلمي لبعض آيات القرآن الكريم التي تشير الى وجود مخلوقات اخرى تشاركنا هذا الكون يقول المفكر الاسلامي الاستاذ عبد الرزاق نوفل ان القرآن الكريم يقرر وجود سبع اراض مثل الارض التي نعيش عليها ، مما يستوجب وجود حياة مماثلة او مشابهة لحياة الارض عليها ، ويتضح ذلك من قوله تعالى في سورة الطلاق « الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » وهذا يقطع بوجود سبع اراض مثل الارض التي نعيش عليها .

اما الاحياء الموجودة في الحياة وما فيها من كواكب تخالف في طبيعتها طبيعة الارض فقد اوضح القرآن الكريم في اكثر من عشر آيات شريفة وجود مخلوقات عاقلة وحكيمة وعابدة ومتعبدة منها قوله تعالى في سورة الرعد (١٥) : « **ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها** » وفي سورة النحل : « **ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة** » وسجود دابة الارض هي سجود الانسان لان حركة السجود المعروفة في عبادة الانسان لا يقوم بها على الارض الا الكائن البشري ، وبذلك فان الدابة المشابهة في السماء لدابة الارض لا بد ان تكون من الكائنات العاقلة الحكيمة العابدة المتعبدة خاصة ان الله تعالى قد استخدم الحرف (من) الذي لا يطلق الا للعاقل ـ في كثير من الايات ويتضح ذلك في قوله تعالى في سورة الزمر : **(ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض)** .

والآيات المشابهة كثيرة الا ان الآية (٢٩) من سورة الشورى ـ **(ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير)** ـ قاطعة بأن الله سبحانه وتعالى اذا شاء جمع اهل السماء والارض وبهذا الجمع يتحقق انهما من الكائنات المرئية بعضها لبعض .. وهنا نقول : اذا كان كائن الارض لا يرى الملائكة ولا يرى الجن فانه يستطيع ان يرى الكائنات المثيلة له على الاقل في الخلق والتكوين .

مفكر سوفييتي يدعو الشرق والغرب الى الايمان بالله

في أمريكا معقل الرأسمالية ألقى المفكر والأديب السوفييتي « سولجنتين » محاضرة ترجمت بعد ذلك الى كل لغات العالم وأثارت جدلا واسع النطاق فقد أدان فيها الكتلة الشرقية ممثلة في الاتحاد السوفيتي والدول الغربية ممثلة في الولايات المتحدةوحملهما معا ما تعانيه الانسانية في هذا العصر من تمزق .

وصرح العالم السوفييتي في محاضرته بأن العالم منذ انتهاء العصور الوسطى وبدء عصر النهضة أخذ يهجر الدين ويتمرد على القيم الدينية والروحية ويحط من شأنها ويجعل القيم المادية هي أساس حياته ومحور أفكاره وبرهان تقدمه ومصدر سعادته .. وأصبح طموح الفرد ماديا ووعود الزعماء مادية وثقافة الاذاعات والصحافة والتلفزيون مادية .. هذا التفكير المطلق يلتقى فيه الشرق والغرب فاذا كان الشرق ماديا ملحدا رسميا وبحكم نظام الدولة فالغرب يصل الى نفس النتيجة عن طريق آخر .. طريق الانغماس في المصلحة والمادة وحب الذات .. ان فلسفة الغرب المادية تعتبر أن الانسان خلق للسعادة وبالتالي فان كل شيء يجب ان يكون لمصلحة الفرد .. ولكن الانسان كما خلق للحياة فقد خلق للموت أيضا .. وبالتالي فلابد له من الايمان .. الايمان بالله وبالقيم الروحية والمعنوية وبأن رسالة الانسان هي الارتقاء الى قيم أعلى .

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

تحت شعار « هنا الحياة » بدأت حملة من الولايات المتحدة تدعو الى المسيحية والتنصير في الدول غير المسيحية وقد رصدت لهذه الدعوة الجديدة مبلغ بليون دولار وجند لها ستة آلاف شخص .

وقد وصف والس جنسون مدير المشروع امام ممثلي الكنائس مشروعه بأنه أعظم حركة تنصيرية سيسجلها التاريخ .

الوعي الاسلامي : ليس لنا من رد على هؤلاء الا أن نردد قول الله سبحانه :

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون).

دراسة امريكية عن الحركات الاسلامية في العالم

بتوجيه من الرئيس الامريكي جيمي كارتر تقوم اجهزة الاستخبارات الامريكية الان باعداد دراسة واسعة عن الحركات الدينية الاسلامية في العالم . وقالت صحيفة (واشنطن بوست) التي نشرت النبأ ان مستشار الرئيس الامريكي للأمن القومي زبنيو بريجنسكي أبلغ مجلس الشيوخ بذلك وقد وصف مسؤولون امريكيون هذه الدراسة بأنها بالغة الحساسية نظرا للتأثيرات المتعاظمة للتعاليم الاسلامية في العديد من الدول . وأضافت الصحيفة ان بريجنسكي مصمم على عدم السماح لمثل هذه التأثيرات بأن يكون لها دور في مناطق الأزمات في العالم كما حدث في ايران .

* * *

من مقال لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبي نشرته مجلة (الرسالة) اللبنانية يتعرض فيه كاتبه الى وجهة نظر الغربيين تجاه ديننا الحنيف والتي استوحاها من خلال كتابات المستشرقين المغرضين والجاهلين والتي نجم عنها سوء الفهم وقلة المعرفة من الشعوب الغربية للدين الاسلامي ويطالب في نهايته الأزهر الشريف بترجمة المؤلفات العربية في الاسلام الى اللغات الغربية لتكون المصدر السليم لهؤلاء ليتزودوا منها بالمعنى الحقيقي للفكر الاسلامي .

علاقة المسلمين بالغرب

لم تكن علاقة المسلمين بالغرب منذ بدايتها حتى الآن علاقة مودة وأخاء وإنما بدأت علاقة حرب وعداء وقد ظلت سيوف الفريقين مسلولة ودماؤها لم تجف طوال قرون عديدة .

هذا الموقف العدائي الممتد على طول هذه العصور جعل الغرب ينظر إلى الاسلام نظرته إلى عدو لدود . وجعل يجهد جهده للبحث عن نقائص للاسلام وعيوب . ويغض عن كل ماله من مزايا وآثار طيبة .

ثم يستطرد الكاتب قائلا : هذه هي البيئة التي نبتت فيها بذور الاستشراق ، بيئة كراهية وأحقاد .

والذين مارسوا دراسة استشراقية لم يمارسوها لبحث ما في الاسلام من حقائق ، ولكنهم زاولوها كلون من ألوان الفكر التاريخي ، وهم قد لقنوا من قبل مبادئ وافكارا خاصة عن الاسلام ، فهم يبذلون جهدا واسعا لاقامة الأدلة على صحتها ، وعلى غير شعور منهم يخطئون الفهم والاستدلال ، ويحسبون انهم على شيء .

ومما لا ريب فيه ان موقف المستشرقين اليوم قد تغير كثيرا عن موقفهم بالأمس ، ولكن هذا التغيير يبدو في التخلي عن الأكاذيب والاختلاقات ، وليس ثمة تخل عن طعن الاسلام وتلمس مواطن للهجوم عليه منها .

وقد جاء في كتاب :

« دراسة الأديان » Of Relujions Thestudy

« لقد صار الاسلام جارا ملاصقا خطرا ، ومن ثم فان سوء الفهم الغربي قد يعزى إلى التحامل عليه بقدر ما يعزي الى الجهل به .

« وإن الصور الكاريكاتيرية التي كانت من عمل الغربيين الأوائل ، قد صورت محمدا معتوها دينيا ، أو صاحب هرطقة وتضليل ، وعلى أحسن تقدير صورته مصلحا بدأ بداية حسنة ثم تحول إلى مخطط سياسي ورجل فجور منغمس في ملذاته الجسدية ، ومع كل ذلك نجحت في إضافتها إليه قيادة موفقة ، وعبقرية وشخصية ملحوظة ، والكتاب المسيحيون الآن بين كتاب آخرين يشيرون الى حسن طويته وتقواه ، ونبله في معاملة اعدائه وكونه فريدا في ورعه وانسانيته ».

وأشار الكتاب إلى هؤلاء الباحثين المسيحيين ، وهم حقا وصفوه بهذه الصفات ، ولكنهم جميعا يفترضونه تلميذا للكتابيين والحنفاء في عصره ، ويعزون معلوماته الدينية إلى مصادر كثيرة ، بعضها لا يصلح مصدرا لأي فكر ديني ، مما يوضح أن التحامل على نبي الاسلام ، وطعن رسالته في الصميم منها لا يزال نعمة مكرورة .

موقفنا ازاء هذا التحامل :

ان القارئ الأوروبي لعدم معرفته باللغة العربية لا يعرف الاسلام إلا مما يكتبه المستشرقون ، وهو في الواقع لا يطلع على حقائق الاسلام ، وإنما يطلع على ما فهمه مؤلف الكتاب الذي يقرؤه عن الاسلام . والمؤلف مهما كانت حالته وصلته بالاسلام هو مستشرق مسيحي أو غير مسيحي لا يؤمن برسالة محمد . وقراءة ما كتب لا تعطي صورة صحيحة عن الاسلام ولا تكشف عن شيء من مزاياه ، لهذا يجب ان نقدم نحن المسلمين شيئا عن حقيقة ديننا ، لأننا اعرف به ، وبيننا كتب مؤلفة بالعربية تحوي دفاعا عن الاسلام ، وحبذا لو اختار مجمع البحوث الاسلامية في الأزهر الشريف منها قليلا أو كثيرا ، لترجمته إلى اللغات الأوروبية .

(صوت الاسلام) من لندن

تبدأ محطة اذاعية جديدة بث برامجها من لندن في شهر يونيو المقبل وستنيع المحطة واسمها (صوت الاسلام) برامجها باللغات الانكليزية والفرنسية والاسبانية . اضافة الى برامج اخرى باللغة العربية والروسية والتركية والاوردية .

وقال متحدث باسم المحطة انها ستهتم بتوضيح موقف الاسلام من الصراع ضد « المادية والالحاد) السائدين في العالم . واضاف ان المحطة قد تنيع برامج اخبارية ومقابلات تجريها مع شخصيات من العالم الثالث اضافة الى البرامج الثقافية .

مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط أمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

الاعجاز المفهومي للحديث النبوي

وصلتنا هذه الرسالة من الأخ/عبد الجواد محمد محمد الخضري يؤكد فيها : ان السنة الصحيحة لا تختلف مع الواقع الانساني وهي مطابقة تماما لفطرته فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ويستهل رسالته بهذا الحديث النبوي الشريف فيقول :
عن ابى هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » رواه مسلم ... غفل الناس عن حقيقة واضحة جلية ، وتاه العلماء المعاصرون في بحر الالفاظ العميقة ، وقد نفذ الى الجوهر الامام « النووي » الذي كشف النقاب عن الاعجاز المفهومي للسنة النبوية .. فخرج ادب الحديث النبوي وافرد له مقالات بالأردية واخرى بالعربية وثالثة بالساحلية ... لهذا اود ان الفت النظر الى العود الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه البلسم النافع والشفاء لما في المجتمع من وباء .. ما الذي اردته من الحديث النبوي الذي صدرت به رسالتي الخفيفة ؟ شئ واحد اجزم به في كل موطن من مواطن الهدى النبوي ، وهو ان اى حديث ثبت من طريق الصحاح أنه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم وجب ان يوافقه علم الاجتماع وعلم الاخلاق ، وعليه وجب ان ننظر نظرة جديدة الى السنة النبوية ولا اقول : اخضاع السنة للتفسير العلمي ، ولكن محاولة خلق علم

اجتماع جديد عن طريق السنة النبوية وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى ان اعتصمتم به كتاب الله وسنتي » رواه ابو داود وأحمد والطبراني وابن ماجه ... لا يسعنا الا ان نقول : حديث واحد من مائة الف حديث يقيم الدليل على صحة ما نذهب اليه ... ارأيت ان كل كلام منطوق من البشر فيه الخطأ والصواب والكـــذب والصدق ؟ اعلمت ان العصمة للانبياء وحدهم وقد انتهت العصمة بنبوة محمد ورسالته الخاتمة ؟ أأدركـت ان الـــطبيعة البشرية تحمل الزيغ والضلال : « إن النفس لأمارة بالسوء » فالاسلام يدعو الى التثبت من القول والتمكن من الرواية فاذا حدث ذلك كان المسلم كامل الايمان مأمون الجانب مرتاح الضمير حاضر الخاطر أقول : واذا كان الكـذب كالمـرض الاجتماعي الخطير فان الكذاب يخلـع جلباب الانسانية ليلبس زي البهيمية او اقل من هذه الفصيلة الحيوانية وقد اثبت علماء الحيوان ان هذا الحيوان لا يكذب ، ولا يغش ، ولا يخدع ، اما ابن آدم فيحتال لينجو بنفسه حتى ولو على حساب الرذائل والمنكرات .. كل شئ يظهر على حقيقته الا الانسان ... تارة يكـــون انسانا واخرى شيطانا ولأن الكذب دائما وابدا يكون عنصر الهدم الاجتماعي نرى الحق يشدد النكير على مرتكبيه فيقول : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) النحل/١٠٥ ..

انعطاف : فعلينا ان نتوخى الصدق في نقل الاخبار والتحري عن كل شئ حتى لا نقع في مأثم ومغرم فنخسر ديننا ودنيانا كما نعمل على نشر الفضيلة التي جعلت الصدق منارة لها كذلك وجب العمل بمنهاج الله في كل ما تحرك وسكن وانها لدعوة فهل من مجيب ؟

الاسلام هو الملجأ وليس غيره

وصلتنا رسالـــة من الشاب/مدحت محمد عبد العزيز – مصر – ينعي فيها على المسلمين تقصيرهم وتفرقهم ويقول :

يلقى المسلمون في اليمن الجنوبية القتل والاضطهاد ، وتنتهك حرمات المساجد والعلماء ، وتحرق المصاحف .

ويلقي المسلمون في الفلبين مثل هذا المصير المؤلم من القتل والتشريد على يد أعداء الله والانسانية وقد اشتد عنف ووحشية قمع تجمعات المسلمين وضرب قراهم بالمدافع الثقيلة ، ولم تسلم قرية مسلمة من التدمير ، ولم يسلم المسلمون في كل مكان في الفلبين من التعذيب .

ويواصل الأخ رسالته فيقول : يحدث هذا أمام أعين وتحت سمع العالم

الاسلامي ، ولم يتخذ موقف إيجابي حازم يجعل لهذه المآسي نهاية ، ويدفع عن المسلمين هذا الظلم .

ألا فليعلم المسلمون في العالم أن كل السهام موجهة اليهم لاستئصالهم ، والقضاء عليهم ، وليس ثمة من مخرج إلا الاعتصام بكتاب الله وسنة رسولـــه ، والعمل وفق تعاليم الاسلام .

نقول للأخ مدحت : أصبت وأحسنت ، وليس لنا من ملجأ إلا أن نعود الى ربنا ، ونهتدي بهدى نبينا ونلتزم بتعاليم الاسلام .

ونضيف ان المسلمين في أنحاء العالم يلقون هذا المصير ، ويتعرضون لكل ألوان الاضطهاد والابتزاز وما يحدث للمسلمين ظاهر للعيان ، ولـــكن لا تحزن فان الله سبحانه وتعالى منجز وعده وحافظ دينه ، ولن تعصف به العواصف مهما كانت عاتية ، وان دعوة الحق منصورة فكم تعرضت الى اقسى من هذا ، ويلوح نصر الله لدينه على من ينتصر به مصداق ذلك قول الله سبحانه .

(إن تنصروا الله ينصركـــم ويثبت أقدامكم) ويكون نصر الله سبحانه للمؤمنين به ، ليقطع طرفا من الذين كفروا ، ويقضي على مؤامراتهم ، فينقلبوا خائبين ناكسي رءوسهم هذا إن نصر المسلمون الله واعتصموا بحبله المتين .

حقا هذا الباب من اجلك

وهذه رسالة من الشاب / الهادي عبد الكريم من الدار البيضاء المغرب يقول فيها : إنني أرحب بباب الشباب فانه لا شك باب هادف ومثمر ، وسيفيد الشباب المسلم في ما يعرض له من مشاكل وما يعن له من أفكار وخواطر فضلا عن أنه عامل جذب للشباب المسلم كي يثقف نفسه ثقافة إسلامية عن طريق مطالعاته لهذا الباب وغيره في المجلة .

وأرجو أن تعمل المجلة جهدها كعادتها في معالجة مشاكل الشباب بأسلوبها الجيد المفيد من خلال أفكـــاره وأسئلته .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

ابو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الثاني	فبراير	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاربعاء	١	٢٨	١١ ١٠	١٢ ٣٠	٦ ١٥	٩ ٣٢	١ ١٧	٤ ٥٦	٦ ١٦	١٢ ١	٣ ١٩	٥ ٤٧	٧ ٣
الخميس	٢	مارس	٨	٢٨	١٤	٣٢	١٧	٥٥	١٥	٠٠	١٩	٤٨	٤
الجمعة	٣	٢	٦	٢٦	١٣	٣١	١٧	٥٤	١٣	٠٠	١٩	٤٨	٥
السبت	٤	٣	٤	٢٤	١٢	٣١	١٧	٥٣	١٢	٠٠	٢٠	٤٩	٥
الاحد	٥	٤	٢	٢٢	١١	٣٠	١٧	٥٢	١٠	٠٠	٢٠	٤٩	٦
الاثنين	٦	٥	١	٢٠	١٠	٣٠	١٧	٥١	٩	٠٠	٢٠	٥٠	٦
الثلاثاء	٧	٦	١٠ ٥٩	١٨	٩	٢٩	١٧	٤٩	٨	١١ ٥٩	٢٠	٥١	٧
الاربعاء	٨	٧	٥٧	١٦	٨	٢٩	١٧	٤٨	٧	٥٩	٢١	٥١	٨
الخميس	٩	٨	٥٥	١٤	٧	٢٨	١٧	٤٧	٦	٥٩	٢١	٥٢	٨
الجمعة	١٠	٩	٥٣	١٢	٦	٢٨	١٧	٤٦	٥	٥٩	٢١	٥٣	٩
السبت	١١	١٠	٥٢	١١	٦	٢٨	١٧	٤٥	٤	٥٨	٢١	٥٣	١٠
الاحد	١٢	١١	٥٠	٩	٥	٢٧	١٧	٤٤	٣	٥٨	٢١	٥٤	١٠
الاثنين	١٣	١٢	٤٨	٧	٤	٢٧	١٧	٤٣	١	٥٨	٢٢	٥٥	١١
الثلاثاء	١٤	١٣	٤٦	٥	٣	٢٧	١٧	٤١	٠٠	٥٨	٢٢	٥٥	١١
الاربعاء	١٥	١٤	٤٤	٣	٢	٢٦	١٧	٤٠	٥ ٥٩	٥٧	٢٢	٥٦	١٢
الخميس	١٦	١٥	٤٣	٢	١	٢٦	١٧	٣٩	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٢
الجمعة	١٧	١٦	٤١	٠٠	٠٠	٢٥	١٧	٣٨	٥٧	٥٧	٢٢	٥٧	١٣
السبت	١٨	١٧	٣٩	١١ ٥٨	٥ ٥٩	٢٥	١٧	٣٧	٥٦	٥٧	٢٢	٥٨	١٤
الاحد	١٩	١٨	٣٧	٥٦	٥٨	٢٥	١٧	٣٥	٥٤	٥٦	٢٣	٥٨	١٤
الاثنين	٢٠	١٩	٣٥	٥٤	٥٧	٢٤	١٧	٣٤	٥٣	٥٦	٢٣	٥٩	١٥
الثلاثاء	٢١	٢٠	٣٤	٥٣	٥٧	٢٤	١٧	٣٣	٥٢	٥٦	٢٣	٥٩	١٦
الاربعاء	٢٢	٢١	٣٢	٥١	٥٦	٢٣	١٧	٣٢	٥١	٥٥	٢٣	٦ ..	١٧
الخميس	٢٣	٢٢	٣٠	٤٩	٥٥	٢٢	١٧	٣٠	٥٠	٥٥	٢٣	١	١٧
الجمعة	٢٤	٢٣	٢٨	٤٧	٥٤	٢٢	١٧	٢٩	٤٨	٥٥	٢٣	١	١٨
السبت	٢٥	٢٤	٢٦	٤٥	٥٣	٢١	١٧	٢٨	٤٧	٥٤	٢٣	٢	١٩
الاحد	٢٦	٢٥	٢٤	٤٤	٥٢	٢١	١٧	٢٧	٤٦	٥٤	٢٣	٢	١٩
الاثنين	٢٧	٢٦	٢٢	٤٢	٥١	٢٠	١٧	٢٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢٠
الثلاثاء	٢٨	٢٧	٢١	٤٠	٥٠	٢٠	١٨	٢٤	٤٤	٥٤	٢٣	٣	٢١
الاربعاء	٢٩	٢٨	١٩	٣٨	٤٩	١٩	١٨	٢٣	٤٣	٥٣	٢٣	٤	٢١

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت

هدية العدد : براعم الايمان

الوعي الاسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٣ ○ جمادي الاولى ١٣٩٩ هـ ○ ابريل ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مدخل مدينة شيراز التي تعتبر من اجمل المدن الايرانية وقد كتب في اعلاها قوله تعالى من سورة الاسراء :
(إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)

انظر صفحة ٧٠

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٣ ○ جمادي الاولى ١٣٩٩ هـ ○ ابريل ١٩٧٩ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى

المولد النبوي الشريف

أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلا دينيا كبيرا بمسجد فاطمة مساء يوم الخميس ١١ ربيع الأول سنة ١٣٩٩هـ ٨ فبراير سنة ١٩٧٩ حضره سمو ولي العهد الشيخ سعد العبد الله الجابر الصباح والشيخ عبد الله الجابر المستشار الخاص لسمو أمير البلاد وعدد من الوزراء وكبار الموظفين وجمهور غفير من المسلمين وقد ألقيت في الحفل الكلمات المناسبة للذكرى الجليلة وقد ألقى السيد يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية ولم نستطع نشرها في عدد ربيع الثاني لأنه كان ماثلا للطبع حين أقيم الحفل :
قال سيادته :

نبيّ الهدى

أيها الأخوة الكرام :

أحييكم بتحية الاسلام ، تحية من عند الله مباركة طيبة . فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وأحمد اليكم الله تبارك وتعالى ، وأصلي وأسلم على صاحب السيرة العطرة ، والذكرى الخالدة ، الأسوة الحسنة ، والرحمة المهداة ، سيدنا محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ورضى الله عن صحابته أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد :

فيطيب لنا في هذه الليلة المباركة ، وبين هذا الجمع الكريم الحافل ، أن نشارك المسلمين في شتى بقاع الأرض ، حفاوتهم بهذه الذكرى الطيبة ، واحتفالهم بميلاد رسول الاسلام سيدنا محمد النبي الأمي ، عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التسليم .

وفي الحق أنه كلما أطلت علينا ذكرى المولد النبوي الشريف ، أطلت معها معالم حياة فاضلة ، وحقائق تاريخ شامل ، وصفحات خلق عظيم ، ومن حق المسلمين أن يبتهجوا لذكرى ميلاد نبيهم الحبيب ، وأن ينشطوا قلوبا وعقولا في الحديث عن هذه الذكرى ، وأن يدركوا أبعادها ويستوعبوا ما تشير اليه من أمجاد عالية ، ومواقف خالدة ، ومن حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أمته أن يحظى باهتمامها

بحياته ، وحبها وتقديرها لأخلاقه ، واعتزازها بمواقفه ، التي أعزت الانسانية ، وأمدت الحياة بأنبل زاد وأكرم عطاء ..

لقد جاء صلى الله عليه وسلم الى أمته حريصا على هداها رحيما بها ، حكيما في قيادتها ، عادلا في قضاياها ، بانيا لأمجادها ، رافعا إياها في معارج الخير والكمال والجلال . وصدق ربنا العظيم إذ يقول في كتابه الكريم : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .

وان فضل الرسول صلى الله عليه وسلم على الانسانية لعظيم ، فهو الذي وجهها وجهة السداد والرشد ، وسكب في ضميرها العفاف والطهر .

وإن هناك حقيقة تاريخية ، لا اختلاف عليها بين مؤرخي الشرق والغرب ، وهي أن العالم كله قبل البعثة المحمدية ، كان يحيا حياة تموج بالاضطراب والفساد ، والظلم والاستعباد قد انطفأت هنا وهناك مشاعل الروح والايمان ، وتهالك الناس على الدنيا ، يتنافسونها في شراهة وشراسة .

لقد كانت الحياة في شبه الجزيرة العربية كلها ، حياة معتمة مثقلة بالكفر ، وعبادة الأوثان ، والتمزق القبلي ، والعداوات الحادة ، وغارات النهب والسلب ، وعلى مثل تلك الحال أو أشد منها سوءا ، كانت الأمم الأخرى التي كان لها أثارة من الحضارة والعلم ، ولكنها كانت تعيش في فوضى وقلق وفزع ، يفتك أقواهم بأضعفهم ، ويستبد غنيهم بفقيرهم . وكان الناس في كل مكان كالغرقى ، تتقاذفهم الأمواج الهوج ، في بحار من الفساد والسواد . ثم جاءهم الاسلام منقذا هاديا ، فما ظهرت مطالعه على مشارف الأمة العربية ، حتى فتحت له ذراعيها مرحبة ، واستقبلته استقبال المنقذ المأمول ، لا استقبال الفاتح الغالب ، وكان هذا عاملا له وزنه في انتصارات المسلمين الباهرة ، على جيوش جرارة أكثر عددا وأقوى عدة ، ولكنها بلا إيمان وبلا عقيدة ، ثم كان أن أشرقت الأرض بنور الاسلام ، وسعدت به أمم وشعوب ، فعاشت ببركته في ظلال العدل والمساواة ، والرخاء والاخاء .
ومن هنا ينبغي أن يكون احتفالنا بذكرى المولد النبوي ، احتفالا بالاسلام في كل معانيه ، وحقائقه الانسانية الكبرى ، وأن يكون هذا الاحتفال في الاتساق والاتساع والشمول بحيث يرتفع الى مستوى مناسبته الجليلة .

أيها الاخوة المسلمون :

إن من حق الذكرى علينا ، ألا نقف أمام يوم واحد للميلاد ، بل علينا أن نجعل لنا مع كل يوم جديد ، مولد حياة جديدة ، نتحول بها من الفرقة الى الوحدة ، ومن الضعف الى القوة ، ومن التخاذل الى التماسك ، ومن

التفريط في أرضنا ومقدساتنا ، الى النفير في سبيل الله بالجهاد الصادق ، لنسترد الأرض ، ونحمي العرض ، ونثأر للكرامة .. فان أعداءنا لا يزالون في تحديهم لمشاعر المسلمين ، وعدوانهم الآثم على تاريخهم ومقدساتهم ، فقد حملت الينا الأنباء التي تحدثت عن منع المسلمين في فلسطين المحتلة ومن بينهم رؤساء بلديات الضفة الغربية من الصلاة في المسجد الابراهيمي بالخليل مما يدل على تماديهم في استهتارهم بالقيم ، واستهانتهم بالعقيدة والمبادئ الاسلامية ..
علينا أن نتحول من الغفلة التي سيطرت علينا الى الحذر الدائم واليقظة التامة ، لما يدبر للاسلام ، فان عواصف عاتية تهب علينا من كل مكان ، وتيارات حاقدة تستهدف الاسلام لتقضي عليه ، ومؤامرات خبيثة ما خفى منها اكثر مما ظهر ، تعمل على التشكيك في صلاحية الاسلام ، وتصفية الكيان المسلم . ولا عاصم لنا من هذا البلاء المحدق بنا الا الاستمساك بمنهج الاسلام وتطبيق الشريعة الاسلامية لتشمل جميع عباداتنا ومعاملاتنا . ومن الطلائع التي تبشر بالخير ما نقلته الينا الأنباء الرسمية في دولة باكستان الاسلامية من أنها ستقوم ابتداء من الغد بتطبيق الشريعة الاسلامية كاملة في جميع مراحل الحياة في هذه الدولة الشقيقة . ونحن نبتهل الى الله بأن يوفقها في هذا العمل الجليل ، وأن يوفق جميع ملوك ورؤساء الدول الاسلامية بأن تحذو حذوها في القريب العاجل باذن الله . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وان الرجوع الى الاسلام هو طوق النجاة في خضم هذه الحياة ، وهو الربوة العالية العاصمة من كل سوء (فاستمسك بالذي أوحى اليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) .

بهذا ندخل في عداد المؤمنين الذين تنفعهم الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .

وختاما أقدم التهنئة الخالصة بهذه المناسبة الطيبة ، الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد والى سمو ولي عهده والى أمتنا الكريمة والى المسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها . وكل عام وأنتم بخير .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دروس من سورة البقرة

للدكتور عبد الله محمود شحاته

سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم فقد استغرقت جزءين ونصف جزء ، وعدد أجزاء القرآن جميعه ثلاثون جزءا . ولذلك كان الرجل اذا حفظ سورة البقرة عظم في أعين المسلمين . وهي اول سورة نزلت بالمدينة ، وعدد أياتها (٢٨٦) آية وعدد كلماتها (٦١٢١) كلمة .

قصة التسمية

سميت سورة البقرة بهذا الاسم لأنها انفردت بذكر حادثة قتل وقعت في بني اسرائيل على عهد موسى عليه السلام وكان للبقرة — وهي الحيوان المعروف — الذي اتخذ بنو اسرائيل من نوعه إلها في وقت ما يعبدونه من دون الله . شأن الهى عجيب في هذه الحادثة ، وقعت الجناية وقتل القتيل واختلف أهل الحى الذي بينهم الجناية — في القاتل من هو ؟ وأخذ كل يدفع الجناية عن نفسه ويتهم بها غيره ، وفيهم من يعلم عين الجاني ويكتم أمره . **(وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون)** البقرة/٧٢ .

وترافع القوم الى موسى عليه السلام ليحكم في هذه الجناية التي خفى مرتكبها .

سأل موسى ربه ، فأمرهم أن يذبحوا

بقرة ويضربوا القتيل بلسانها ، فيحيا ، فيخبر بقاتله ، ولما طبع عليه بنو اسرائيل من العناد في تنفيذ الأوامر فقد وقفوا كالساخرين أو الهازئين من الأمر بذبح البقرة في هذا المقام حتى لقد قالوا لموسى . **(أتتخذنا هزوا) ؟**

وما كان لنبي الله أن يسخر أو يهزأ ، ولكنها القلوب الملتوية تنصرف عن الحق وتعاند في قبوله ، فسألوه عن البقرة .

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) ؟. (ما لونها) ؟

وأكثروا من السؤال وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، وسألوا موسى ما هذه البقرة أكما عهدنا هذا الجنس من الحيوان ، أم هي خلق آخر تفرد بمزية ، واختص باعجاز ؟ فأوضح الله سبيلهم وبين أنها بقرة لا مسنة ولا فتية بل هي وسط بين ذلك ، فليفعلوا ما يؤمرون .

وبين الله لهم انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقال :

(إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها) .

وأخيرا وبعد حيرة ومشقة عثروا عليها .

كانت البقرة ملكا لشيخ كبير فقير وكان عبدا صالحا زاهدا فلم يترك من المال سوى بقرة واحدة كان يأخذها الى المرعى ثم يتوجه الى بارئه بقلب خالص ونفس ثابتة فيقول . اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر ، وما زال الرجل يترقرق في صدره هذا الأمل القوي بنور الله حتى مات ، وبقيت البقرة لابنه اليتيم ، واستمر اليتيم يرعى البقرة ، يحدوه شعاع من الأمل ورثه من الصالحات الباقيات لأبيه .

ولما أمر الله بني اسرائيل بذبح البقرة وشددوا فشدد عليهم في صفاتها ولونها وسنها ، ووجد القوم أن هذه الصفات لا تنطبق الا على بقرة هذا اليتيم الذي بارك الله له فيها ، فاشتروها منه بمال وفير وذبحوها وضربت جثة القتيل ببعض أعضاء تلك البقرة فتمت ارادة الله وحدثت المعجزة وأحيا الله القتيل ونطق باسم قاتله . قال تعالى :

(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون) البقرة/٧٣ .

وفي قصة البقرة عبرة للمتشددين فان الله أمر بني اسرائيل بأن يذبحوا بقرة فلو بادروا الى ذبح أية بقرة لأجزأتهم . ولكنهم تشددوا في تعريف صفاتها . فكانوا كلما سألوا سؤالا زيدوا تشديدا حتى صارت البقرة نادرة .

وفي الاثر . « لا تكونوا كبني اسرائيل شددوا فشدد عليهم » .

وفي القرآن : **(فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين)** الأعراف/١٤٤ .

الاهداف العامة لسورة البقرة

سورة البقرة من أجمع سور القرآن الكريم ، وقد اشتملت على الأهـداف الآتية .

١ ــ بيان أصول العقيدة وذكر أدلـة التوحيد ومبدأ خلق الانسان .

٢ ــ بيان أصناف الخلائق أمام هداية القرآن ، وذكرت انهم أصناف ثلاثـة المؤمنون والكافرون والمنافقون .

٣ ــ تعرضت السورة لتاريخ اليهـود الطويـل ، وناقشتهـم في عقيدتهـم ، وذكرتهم بنعم الله على أسلافهم وبما أصاب هؤلاء الأسلاف حينما التـوت عقولهم عن تلقي دعوة الحق من أنبيائهم السابقين وارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة ، واقرأ في ذلك قوله تعالى في السورة :

(يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهـدي أوف بعهـدكم وإيـاي فارهبـون) البقرة/ ٤٠ .

الى آخر آية البر في منتصف السورة تقريبا وهي :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) . البقرة/ ١٧٧ وهذا الغرض من أغراض السورة استدعاه جوار المسلمين لليهود في المدينة .

٤ ــ والنصف الأخير من سورة البقرة اشتمل على التشريع الاسلامي الـذي اقتضاه كون المسلمين جماعة متميزة عن غيرها في عباداتهـا ومعاملاتهـا وعاداتها .

وقد ذكرت السورة من ذلك القصاص في القتـل العمـد ، وذكرت الصيـام والوصية والاعتكاف والتحذير من أكل أموال الناس بالباطل وذكرت الأهلـة وأنها جعلت ليعتمد الناس عليهـا في أوقات العبادة والزراعة وغيرها وذكرت الحج والعمرة وذكرت القتال وسببه الذي يدعو اليه وغايته التي ينتهي اليها . وذكرت الخمر والميسر واليتامى ، وحكم مصاهرة المشركين وذكرت حيض النساء والتطهر منه والطلاق والعدة والخلـع والرضاع ، وذكرت الايمـان وكفـارة الحنث فيها ، وذكرت الانفاق في سبيل الله ، وذكرت البيع والربا ، وذكرت طرق الاستيثـاق في الديـون بالكتابـة والاستشهـاد والرهـن . ويبـدأ هذا السياق من قوله تعالى بعد آية البر .

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) البقرة/ ١٧٨ الى ما قبل آخر السورة . وكان يتخلل كل ذلك ــ على طريقة القرآن ــ ما يدعـو المؤمنين الى التزام هذه الأحكام وعدم الاعتداء فيها ، من قصص ووعد ووعيد وارشـاد الى سنـن اللـه في الـكون والجماعات ، ثم تختم سورة البقـرة ببيان عقيدة المؤمنين على نحو ما بدأت في بيان أوصاف المتقين .

ونجد في آخر السورة قوله تعالى :

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكتـه وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما

حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القــوم الكافريــــن) البقرة / ٢٨٥ و٢٨٦ .

ومن ثم يتناســق البــدء والختــام وتتجمع موضوعات السورة وأهدافهــا ويؤكد آخرها أولها وتصير السورة كتلة واحدة ، ينتفع المسلمون بها في تنظيم أحوالهم في العبادات والمعاملات وهي دعامة من دعائم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . قال تعالى :

(ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) التغابن / ١١ .

أصناف الخلق أمام دعوة الاسلام

جهر عليه الصلاة والسلام بدعوته في مكة ، ولما يئس من انتشار الدعوة بمكة هاجر الى المدينة ، وهناك بنى مسجده واتخذه مقرا لنشر الدعوة . وقد آمن به أهل المدينة ولقبوا بالأنصار ، وأصبحت للاسلام قوة جديدة ولم يبق بيت من بيوت المدينة الا ودخله الاسلام ، ولما كانت سورة البقرة أول سورة نزلت بالمدينة ، وقد استمر نزول آياتها بضع سنين ، فقد عنيت بذكر أصناف الناس أمام دعوة الاســلام فقسمتهــم الى ثلاثــة أصناف .

الصنف الأول ـ المؤمنــون ، وقــد وصفهم اللــه بخمس صفــات هي . الايمان بالغيب ، واقامــة الصــلاة ، واخراج الزكاة والصدقات ، والايمان بالكتــب والرســل واليقــين الكامــل بالحساب والجزاء .

وهم بهذه الصفات أهل لهداية الله ، وللفلاح والرشاد .

الصنف الثاني ـ الكافرون ، وقد وصفهم القرآن بأنهم فقدوا الاستعداد لقبول الحق بسبب فساد فطرتهــم ، واحكام الغشاوة على قلوبهم ، وانسداد مسالك الفهم والادراك في وجدانهم ، وقد سماهم القرآن بالكافرين والفاسقــين والخاسرين والضالين .

هؤلاء الكفار قد سدت عليهم منافذ الخير وسبل الهداية ، وأعلنوا الكفــر والعناد .

وهذان الصنفان كثيرا ما تحــدث القرآن عنهما في مكيه ومدنيــه ، فان الدعوة الاسلامية لم تخل في مرحلة من مراحلها عن مؤمن بها ، مصدق لها ، وعن كافر بها جاحد لآياتها .

الصنف الثالث ـ المنافقون ، ووجود هذه الطائفة نشأ بعد الهجرة إلى المدينة ودخول الأنصار في الاسلام وظهور قوة المسلمين وبخاصة بعد غزوة بدر فاضطر نفر من الكبراء أن يتظاهروا باعتناق الدين الجديد ، ومن هؤلاء عبد الله بن أبى بن سلول الذي كان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم قبيل مقدم الاسلام الى المدينة . وقد وصفتهم سورة البقرة بالنفاق والتلون وألقت عليهــم الأضواء ، وذكر المنافقــون في سورة التوبة بصفات متعددة منها التخلف عن الجهاد والتظاهر بالايمان ، والتخلي عن تبعاته وفرائضه ، كما ذكر المنافقون في سورة باسمهم هي سورة « المنافقون » ولا نكاد نجد سورة مدنية تخلــو من ذكرهم ، ولفت الأنظار الى أوصافهم ، وتحذير المؤمنين من كيدهم وخداعهم .

من وحي النبوة

طاعة وإذعان

عَن أبى هريرَة عبدِ الرّحمن بن صَخرٍ رَضيَ الله عَنه قَالَ : سَمعتُ رَسولَ الله صَلىَّ الله عَليهِ وَسلّم يَقولُ : (مَا نَهيْتُكمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أمَرْتُكمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتمْ ، فَإنّمَا أهْلَكَ الّذينَ مِن قَبلِكُم كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلى أنبِيَائهم) رَواهُ البخاري ومسلم .

هذا الحديث بهذا اللفظ خرجه مسلم وحده من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة كلاهما عن أبى هريرة ، وخرجاه من رواية أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) وخرجه مسلم من طريقين آخرين عن أبى هريرة بمعناه . وفي رواية له ذكر سبب هذا الحديث من رواية محمد بن زياد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال :

(خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ، فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه) . وخرجه الدارقطني من وجه آخر مختصرا وقال فيه : فنزل قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم)** المائدة/١٠١ . وقد روى من غير وجه أن هذه الآية نزلت لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحج وقالوا : أفي كل عام ؟ ، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : من أبى ؟ قال : فلان ، فنزلت هذه الآية ــ لا تسألوا عن أشياء » وفيهما أيضا عن قتادة عن أنس قال : (سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه في المسألة ، فغضب فصعد المنبر فقال : لا تسألوني اليوم عن شئ إلا بينته ، فقام رجل كان إذا لاحى الرجال دعى إلى غير أبيه ــ أي كان إذا حدثت بينه وبين الناس خصومة طعنوا عليه في نسبه فدعوه إلى غير أبيه ــ فقال يا رسول الله من أبى ، قال : أبوك حذافة ، ثم أنشأ عمر فقال : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من الفتن) وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية : **(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء)** . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : (كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء ، فيقول الرجل : من أبى ؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتي ؟ فأنزل الله هذه الآية : **(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء)** وخرج ابن جرير الطبري في تفسيره من حديث أبى هريرة قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر ، فقام اليه رجل فقال : أين أنا ؟ فقال : في النار ، فقام إليه آخر فقال : من أبى ؟ قال أبوك حذافة ، فقام عمر رضي الله عنه فقال : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبينا وبالقرآن إماما ، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك ، والله أعلم بآبائنا ، قال : فسكن غضبه ونزلت هذه الآية : **(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم)** وروى أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : **(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم)** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس . فقال : يا قوم كتب عليكم الحج ، فقام رجل فقال : يا رسول

الله أفي كل عام ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فقال : والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم وإذن لكفرتم ، فاتركوني ما تركتكم ، فاذا أمرتكم بشيء فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ، فأنزل الله عز وجل : **(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم)** نهاهم أن يسألوا مثل الذي سألت النصارى في المائدة فأصبحوا بها كافرين ، ولكن انظروا فاذا نزل القرآن فانكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه ، فدلت هذه الأحاديث عن النهي عن السؤال عما لا يحتاج إليه ما يسوء السائل جوابه مثل سؤال السائل هل هو في النار أو في الجنة ؟ وهل أبوه ما ينسب إليه أو غيره ؟ وعلى النهي عن السؤال على وجه التعنت والعبث والاستهزاء كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم ، وقريب من ذلك سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت كما كان يسأله المشركون وأهل الكتاب . وقال عكرمة وغيره : إن الآية نزلت في ذلك ، ويقرب من ذلك السؤال عما أخفاه الله عن عباده ولم يطلعهم عليه كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح ، ودلت أيضا على نهي المسلمين عن السؤال عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون السؤال سببا لنزول التشديد فيه كالسؤال عن الحج هل يجب كل عام أم لا ؟ وفي الصحيح عن سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سئل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته) ولما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اللعان كره المسائل وأعابها حتى ابتلى السائل به عينه قبل وقوعه بذلك في أهله (وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرخص في المسائل إلا للأعراب ونحوهم من الوفود القادمين عليه يتألفهم بذلك ، فأما المهاجرون والأنصار المقيمون بالمـــدينة الذين رسخ الايمان في قلوبهم فنهوا عن المسألة) . كما في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال : (أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة ، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم) . وفيه أيضا عن أنس رضي الله عنه قال : (نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع) . وفي المسند عن أبى أمامة قال : كان الله قد أنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكـــم) . قال : فكنا قد كرهنا كثيرا من مسألته واتقينا ذلك حين أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قال : فأتينا أعرابيا فرشوناه بردا ثم قلنا له : سل النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا . وفي مسند أبى يعلى عن البراء بن عازب قال : (إن

كان لتأتى على السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فأتهيب منه وإن كنا لنتمنى الأعراب) .

وفي مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (ما رأيت قوما أخير من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوه إلا عن اثنتى عشرة مسألة كلها في القرآن : (**يسألونك عن الخمر والميسر**) البقرة/٢١٩ . (**يسألونك عن الشهر الحرام**) البقرة/٢١٧ . (**يسألونك عن الأهلة**) البقرة/١٨٩ . (**يسألونك عن اليتامى**) البقرة/٢٢٠ وذكر الحديث .

وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا يسألونه عن حكم حوادث قبل وقوعها لكن للعمل بها عند وقوعها كما قالوا له : (إنا ملاقو العدو غدا وليس معنا مدى أفنذبح بالقصب ؟) وسألوه عن الأمراء الذين أخبر عنهم بعده وعن طاعتهم وقتالهم . وسأله حذيفة عن الفتن وما يصنع فيها ، فهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم (ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم) وهو يدل على كراهة المسائل وذمها ولكن بعض الناس يزعم أن ذلك كان مختصا بزمن النبي صلى الله عليه وسلم لما يخشى حينئذ من تحريم ما لم يحرم أو إيجاب ما يشق القيام به ، وهذا قد أمن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل بل له سبب آخر وهو الذي أشار إليه ابن عباس في كلامه الذي ذكرنا بقوله ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن فانكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه . ومعنى هذا أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لا بد أن يبينه الله في كتابه العزيز ويبلغ ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال ، فان الله تعالى أعلم بمصالح عباده منهم ، فما كان فيه هدايتهم ونفعهم فان الله تعالى لا بد أن يبينه لهم ابتداء من غير سؤال كما قال : (**يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم**) النساء/١٧٦ . وحينئذ فلا حاجة إلى السؤال عن شيء ولا سيما قبل وقوعه والحاجة إليه ، وإنما الحاجة المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله ثم اتباع ذلك والعمل به ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن المسائل فيحيل على القرآن ، كما سأله عمر عن الكلالة فقال (يكفيك آية الصيف) وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى أن الاشتغال بامتثال أمره واجتناب نهيه شغلا عن المسائل فقال (إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به والاهتمام أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم يجتهد في فهم ذلك والوقوف على معانيه ، ثم يشتغل بالتصديق بذلك ان كان من الأمور العلمية ، وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما

يستطيعه من الأوامر واجتناب ما ينهي عنه فتكــون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك لا إلى غيره وهكذا كان حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة . فأما إن كانت همة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع فان هذا مما يدخل في النهي ويثبط عن الجد في متابعة الأمر .

وقد سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر فقال له : (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، فقال له الرجل : أرأيت إن غلبت عنه ؟ أرأيت إن زوحمت ؟ فقال له ابن عمر : اجعل أرأيت باليمن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله) خرجه الترمذي ، ومراد ابن عمر ألا يكون لك هم إلا في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم . ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه فانه يفتر العزم على التصميم عن المتابعة ، فان التفقه في الدين والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال .

وقد روى عن علي رضي الله عنه : (أنه ذكر فتنا تكون في آخر الزمان ، فقال له عمر : متى ذلك يا علي ؟ قال : إذا تفقه لغير الدين وتعلم لغير العمل والتمست الدنيا بعمل الآخرة) . وعن أبن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتتخذ سنة ، فان غيرت يوما قيل هذا منكر ، قالوا : ومتى ذلك ؟ قال : إذا قلت أمناؤكــم وكثرت أمراؤكــم وقلت فقهاؤكــم وكثرت قراؤكم وتفقه لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة) . خرجها عبد الرزاق في كتابه . ولهذا المعنى كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها ولا يجيبون عن ذلك . قال عمرو بن مرة : خرج عمر على الناس فقال : أحرج عليكم أن تسألونا ، عن ما لم يكن فان لنا فيما كان شغلا . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا تسألوا عما لم يكن فاني سمعت عمر رضي الله عنه لعن السائل عما لم يكن . وكان زيد بن ثابت إذا سئل عن شيء يقول : كان هذا ، فان قالوا لا ، قال دعوه حتى يكــون . وقال مسروق : سألت أبي بن كعب عن شيء فقال : أكان بعد ؟ فقلت لا ، فقال : أجمنا : يعني أرحنا حتى يكون ، فاذا كان اجتهدنا لك رأينا . وقال الشعبي : سئل عمار عن مسألة فقال : هل كان هذا بعد ؟ قالوا لا ، قال فدعونا حتى يكون ، فاذا كان تجشمناه لكــم . وعن الصلت بن راشد قال : سألت طاوسا عن شيء فانتهرني فقال : أكان هذا ؟ قلت نعم ، قال الله ؟ قلت الله إنما أصحابنا أخبرونا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : (يا أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهبكم ها هنا وها هنا ، فانكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل

سدد أو قال وفق) . وقد خرجه أبو داود في كتاب المراسل مرفوعا من طريق ابن عجلان عن طاوس عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها ، فانكم إن لم تفعلوا لم ينفك المسلمون أن يكون منهم من إذا قال سدد ووفق وإنكم إن عجلتم تشتت بكم السبل ها هنا وها هنا) ومعنى إرساله أن طاوسا لم يسمع من معاذ . وخرجه أيضا من رواية يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا . وروى الحجاج بن منهال حدثنا جرير بن حازم سمعت الزبير بن سعيد أن رجلا من بني هشام قال : سمعت أشياخنا يحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يزال في أمتي من إذا سئل سدد وأرشد حتى يسألوا عن ما لا ينزل تبيينه ، فاذا فعلوا ذلك ذهب بهم ها هنا وها هنا) . وقد روى الصنابحي عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه نهي عن الأغلوطات) خرجه الامام أحمد رحمه الله ، وفسره الأوزاعي ، وقال : هي شداد المسائل . وقال عيسى بن يونس : هي ما لا يحتاج إليه من كيف وكيف . ويروى من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (سيكون قوم من أمتي يغلطون فقهاءهم بعض المسائل أولئك شرار أمتى) . وقال الحسن : شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله . وقال الأوزاعي : إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتهم أقل الناس علما . وقال ابن وهب عن مالك : أدركت هذه البلدة وإنهم ليكرهون الاكثار الذي فيه الناس اليوم : يريد المسائل . وقال أيضا : سمعت مالكا وهو يعيب كثرة الكلام وكثرة الفتيا ثم قال : يتكلم كأنه جمل مغتلم يقول : هو كذا هو كذا في كلامه . وقال : سمعت مالكا يكره الجواب في كثرة المسائل وقال : قال الله عز وجل : **(يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)** الاسراء/٨٥ . فلم يأته في ذلك جواب ، فكان مالك يكره المجادلة عن السنن . وقال أيضا الهيثم بن جميل : قلت لمالك : يا أبا عبد الله الرجل يكون عالما بالسنن يجادل عنها ؟ قال لا ولكن يخبر بالسنة ، فان قبلت منه وإلا سكت . قال إسحق ابن عيسى : كان مالك يقول : المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل . وقال وهب : سمعت مالكا يقول : المراء في العلم يقسى القلب ويورث الضغن . وكان أبو شريح الاسكندراني يوما في مجلسه فكثرت المسائل فقال : قد درنت قلوبكم منذ اليوم فقوموا إلى أبى حمد خالد بن حميد صقلوا قلوبكم وتعلموا هذه الرغائب فانها تجدد العبادة وتورث الزهادة وتجر الصداقة ، وأقلوا المسائل الا ما نزل فانها تقسي القلب وتورث العداوة . وقال الميموني : سمعت أبا عبد الله : يعني أحمد يسأل عن مسألة فقال : وقعت هذه المسألة بليتم بها بعد ؟

القرآن والشعر

الشعراء .. فريقان

بين الشعر والسحر في الجاهلية وثاق يقوم في أذهان الناس يومئذ ، وبين الشاعر والساحر من جهة والشيطان من جهة أخرى صلة وقربى ومودة لأنهم يعيشون كما يعتقد الجاهليون في عالم غامض مؤثر ودنيا لا يقتحمها الانسان إلا إذا أوتى موهبة من الشعر أو قوة خارقة من السحر .

ومن هنا انبرى القوم يتخبطون في اتهاماتهم للرسول الكريم لما لمسوه من تأثير القرآن في النفوس وربطوا بين من يتلو القرآن على مسامعهم وبين الشيطان المهيمن على حياة بعض الناس في الطريق التي يريد ، فنفى الله ذلك وأكد لهم أن طريق الأنبياء غير طريق الشياطين ، وان ما عرفه الجاهليون من الشعراء يمكن أن يكون من أتباع الشيطان لما بين الطرفين من وحدة فكر وانسجام مشاعر وتميز سلوك ، لكنه عاد ليضع بين أيدينا وتحت السمع والبصر طرازا جديدا من الشعراء الأبرار الذين لم تعرفهم دنيا الجاهلية ومجتمع الشرك وطريق الضلالة .

قال تعالى : **(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ○ تنزل على كل أفاك أثيم ○ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ○ والشعراء يتبعهم الغاوون ○ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ○ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ○ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب**

للأستاذ : يوسف العظم

ينقلبــون) الشعــراء /٢٢١ ـ ٢٢٧

وبذلك يبين القرآن الكريم نوعين من الشعراء ويتنـاول كلا منهمـا بالتفصيل فيوضح مستواه ويصدر الحكم عليه .

ومن خلال نظرة القرآن الكريم لمن آمن بالاسلام وأيده أو كذب بالدعوة ورفضها يبدأ تحديده وتفصيله :

(والشعراء يتبعهم الغاوون) :

فالفريق الأول : هم أولئك الذيـن يزعمون أنهم يقولون مثل ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ـ ظنا منهم أن الكلام كلام بشر ـ وأنهم قادرون على أن يأتوا بمثل ما جاء به وهم له مكذبون وبدعوته كافرون !

« والشعراء يتبعهم الغـاوون .. ومعناه : انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنســاب ، والنسيـب والغـزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ، ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهـم إلا الغــاوون والسفهـــاء والشطــار . وقيــل الغــاوون : الــراوون . وقيـل : الشياطيـن . وقيل : هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى ، وهبيرة بن أبـي وهـب المخزومي ، ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ، ومن ثقيـف : أمية بن أبي الصلت . قالوا : نحن نقول مثل قول محمـد ـ وكانـوا يهجونه ، ويجتمع إليهم الأعراب من قومهـم يستمعــون أشعارهـم وأهاجيهم » .

ويقول الامام النسفى في تفسير قوله تعالى : **(والشعراء يتبعهـم الغاوون)**

« نزل فيمن كان يقول الشعـر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم و« يتبعهم الغاوون » أي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم إلا الغاوون أي السفهـاء ، أو الــراوون أو الشياطين أو المشركون .

قال الزجاج : إذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون ، وأحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون » أما الامام ابن كثير فيقول في تفسير قوله تعالى :

والشعراء يتبعهم الغاوون :

« قال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس : يعني الكفار يتبعهم ضلال الأنس والجن وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما .

وقال عكرمة : كان الشاعـران يتهاجيان فينتصر لهذا فئة من الناس ولهذا فئة من الناس فأنزل الله تعالى : « **والشعراء يتبعهم الغاوون** » .

وبذلك لا يقف القرآن الكريم عند الحديث عن الشعراء بل يتعرض للجمهور المعجب بالقول المشجع عليه لأنه وسيلة من وسائل دعم الزور وتأييد الكذب والاستزادة من الباطل .

والسبب في ذلك واضح إذ إن الشاعر ما كان ليتمادى في باطله أو يوالي أكاذيبه لو لقي صدا من جمهور واع وأمة سليمة الفكر قويمة الخلق .

ومن هنا نجد حكم الاسلام شاملا لا يتناول الشاعر وحده بل يمتد فيشمل الشاعر شخصا ، والشعر مادة ، والمستمعين جمهورا مؤيدا أو معارضا .. وإذا كان لكل واحد من هؤلاء موقف أو دور فان له في الاسلام حكما معينا ومنزلة خاصة تسلكه في سجل الأبرار أو الأشرار .

(ألم تر أنهم في كل واد يهيمون)

وتبدأ معالم الشخصية تتضح .. شخصية الشاعر الهائم الضال الذي يسير بلا دليل ولا وعي ولا بصيرة يتخبط في دنياه تخبط العشواء ويسير في حياته بلا هاد من فكر ولا مرشد من عقيدة :

يقول الأمام الزمخشرى :

« ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه ، حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة ، وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي » .

أما الامام النسفي فيقول :

« يهيمون في كل فن من الكذب يتحدثون ، أو في كل لغو وباطل يخوضون ، والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له ، وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول . واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأبخلهم على حاتم » .

ونلاحظ هنا تأثر الأمام النسفى بالامام الزمخشرى فكرة وألفاظا وأسلوبا ومعنى .

وينقل ابن كثير تفسير قوله تعالى : **(ألم تر أنهم في كل واد يهيمون)** فيقول :

« قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : في كل لغو يخوضون . وقال الضحاك : عن ابن عباس في كل فن من الكلام ، وكذا قال مجاهد وغيره .

وقال الحسن البصرى قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتيمة فلان ، ومرة في مديحة فلان . وقال قتادة : الشاعر يمدح قوما بباطل ويذم قوما بباطل » .

وقوله تعالى : **(وأنهم يقولون ما لا يفعلون) :**

« قال العسوفي عن ابن عباس كان رجلان على عهد رسول الله أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وأنهما تهاجيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال تعالى :

(والشعراء يتبعهم الغاوون ○ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ○ وأنهم يقولون ما لا يفعلون) . وقال علي بن أبى طلحة

عن ابن عباس أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الأمر . فان الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيكثرون بما ليس لهم ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حدا ، هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا ؟ لأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ على قولين » .

هذه هي الصورة الواضحة للفئة الأولى من الشعراء الأدعياء الذين يقلبون الحقائق ويحاربون الصدق ويتبعون الهوى . سواء قصد بهذا فريق من الشعراء ذكرهم المفسرون بأسمائهم أم أنها تشير الى مجموعة من الصفات السيئة المستهجنة المرفوضة لدى الانسان المؤمن . فانها على كل حال صورة صريحة محددة المعالم واضحة الهدف بحيث ترفض الشر والانحراف في كل زمان ومكان وحيثما كان مصدره .

وواضح أن الصور البيانية غير مقصودة هنا بالكذب ولا معنية بالافتراء ذلك أن صور البيان من مجاز واستعارة وكناية قد وردت في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف . ومن خطل القول أن يتهم الشاعر بالكذب او التزوير لمجرد اعتماده البيان وسيلة من وسائل التعبير لأن صور البيان لوحات رائعة ذات ظلال وإيحاءات تصبح اللغة بغيرها تقريرات علمية جامدة ونصوصا مجردة لا روح فيها ولا حياة .

ولقد ورد في القرآن الكريم صور بيانية آية في الاعجاز يقف الانسان عندها مبهورا مأخوذا لا يملك معها الا التسليم ببلاغة القرآن وتصويره الفني الرائع .

قال تعالى : (**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**) البقرة/١٣٨

(**ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون**)البقرة/١٧١ .

و(**اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار**) البقرة/١٧٥ .

و (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) الرعد /١٧ .

و (**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء**) ابراهيم/٢٤ .

و (**ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار**) ابراهيم/٢٦ .

و (**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء/٢٤ .

و (**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**) الكهف/١٠٩ .

و (**ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران**

المبين) الحج/١١ .

و **(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان)** النور/٢١ .

و **(وما يستوى الأعمى والبصير ○ ولا الظلمات ولا النور ○ ولا الظل ولا الحرور)** فاطر/١٩ ــ ٢١ .

والفريق الثاني من الشعراء :

هم أولئك الشعراء المؤمنون أصحاب الرسالة الذين يدافعون عنها ويضحون من أجلها ولا يصدر عنهم قول إلا من منطلق الايمان بالله وحده وذكره في السر والعلن ، وبذلك يعرف شعرهم ويشتهر على أنه شعر الدعوة الى الله والايمان برسالته وهو القول الحق القائم على العمل الصالح المصور للخير الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر .

(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) :

والاستثناء الذي من الله به على عباده المؤمنين يميز الفريق الكريم من الشعراء ولا يعدهم من الذين يهيمون في كل واد ويتبعهم كل غاو ويتبجحون بالكذب والزور والبهتان ذلك أن قولهم هو الصدق وعملهم هو الصالحات .

وبذلك رسم القرآن الكريم المعالم الخيرة للشاعر الخير ولم يترك الأمر لخلط الناس وأهواء القوالين وهو يعلن أن كل شاعر يؤمن بالله ورسوله ويحمل دعوته وينافح عنها ويذب عن حياضها ويعمل على إعلاء كلمة الله بالقول والعمل ويذكر ربه ، هو شاعر مؤمن العقيدة صالح العمل ، مرضي عنه من ربه مقبول في جماعة المؤمنين .

يقول الامام الزمخشري :

« واستثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن . وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر ، وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون بها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجونهم .

قال تعالى : **(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم)** النساء/١٤٨ وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** البقرة/١٩٤ .

وعن عمرو بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له : إن صدري ليجيش بالشعر . فقال : فما يمنعك منه فيما لا بأس به ؟ والقول فيه : ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام .

وقيل : المراد بالمستثنين : عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاء قريش . وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :

(اهجهم فوا الذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل) وكان يقول لحسان : قل وروح القدس معك) متفق عليه .

ويقول الامام النسفى في تفسير قول الله تعالى : **(الذين آمنوا وعملوا الصالحات) :**

ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين عبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضي الله عنهم .

(وذكروا الله كثيرا)

أي كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر ، وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب .

وقال أبو يزيد : الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور .

ويقول الامام ابن كثير في تفسير قوله تعالى : **(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) :**

« قال محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الدارى قال لما نزلت **(والشعراء يتبعهم الغاوون)** جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، قالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم **(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)** قال : أنتم .

(وذكروا الله كثيرا) قال : أنتم **(وانتصروا من بعد ما ظلموا)** قال : أنتم .

وعن عروة قال : لما نزلت **(والشعراء يتبعهم الغاوون . الى** قوله **ما لا يفعلون)** قال عبد الله بن رواحة قد علم الله انى منهم ، فأنزل الله : **(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .**

وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبى الحسن البراد قال : لما نزلت **(والشعراء يتبعهم الغاوون)** جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فقالوا : يا رسول الله والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء ، هلكنا ، فأنزل الله : **(إلا الذين آمنوا)** فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم فتلاها عليهم .

ويقول ابن رشيق القيرواني في هذا المعنى :

« فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : **(والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون)** فهو غلط وسوء تأول : لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى .

فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، الا نسمع كيف

استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : **(إلا الذي آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا)** يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه .

ولقد أحسن الشهيد سيد قطب رحمه الله وهو يفصل في تفسير هذه الآيات حيث يقول :

« فالاسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته ـ كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ . إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن . منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ، ومنهج الأحلام المهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها ، فأما حين تستقر الروح على منهج الاسلام وتنضح بتأثراتها الاسلامية شعرا وفنا ، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها ، وتدع واقع الحياة كما هو مشوها متخلفا قبيحا !.

وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدي الى غاية إسلامية ، وحين تنظر الدنيا فتراها من زاوية الاسلام ، في ضوء الاسلام ، ثم تعبر عن هذا كله شعرا وفنا .

فأما عند ذلك فالاسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن ، كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ . ولقد وجه القرآن القلوب والعقول الى بدائع هذا الكون ، وإلى خفايا النفس البشرية . وهذه وتلك هي مادة الشعر والفن . وفي القرآن وقفات أمام بدائع الخلق والنفس لم يبلغ اليها شعر قط في الشفافية والنفاذ والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال .

ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء: **(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) .**

فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام . هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة واستقامت حياتهم على منهج . وعملوا الصالحات فاتجهت طاقاتهم الى العمل الخير الجميل . ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام . وانتصروا من بعد ما ظلموا فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقاتهم ليصلوا الى نصرة الحق الذي اعتنقوه .

ولا بد لشاعر الخير والحق أن يمر بأربع مراحل حتى يبلغ القمة السامقة من قمم الثبات على الحق والرفض لكل ما هو باطل ..

أولها الايمان : **إلا الذين آمنوا .**
وثانيها العمل الصالح : **وعملوا الصالحات .**
وثالثها ذكر الله كثيرا : **وذكروا الله كثيرا .**
ورابعها الانتصار للحق دون وجل : **وانتصروا من بعد ما ظلموا .**

فمن الشعراء من يختلج في صدره مشاعر إيمانية ولكنه لا يطبق في حياته السلوك الايماني الحق .. ومنهم من يجمع بين الايمان والعمل الصالح ولكنه غير مكثر من ذكر الله أو

مستحضر في القلب والعقل لعظمته بصورة لا يتحرك في الحيـاة دون تصور تلك القدرة المهيمنة .

وقد نجد فريقـا أو أفـرادا من الشعـراء يؤمنـون بالله ويعملـون صالحا ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم في موقف سلبي من الانطـواء على النفس والانعـزال عن المجتمـع والناس . فاذا ظلم ظالم تجاهلـوا ظلمه أو عجزوا عن ردعه وصده .

ومن هنا يتضح لنا أن من جمع بين هذه المواقـف وتلك الخطـوات المتكاملة المتلازمة وعاشها كان طرازا فذا من المؤمنين الأبرار الذين علموا الدنيـا آداب الـرفض والمقاومـة والجهاد ، رفض الباطل ، ومقاومة الشر ، والجهاد في سبيل الله لبناء مجتمع صالح وإنسانية سوية وعالم قويم صالح .

ولقد ولد في ديار الاسـلام أدب المقاومة اليوم حيث يحتل الأجنبي ديار المسلمين وبخاصة في فلسطين . ولسنا هنا نناقش ذلك النـوع من الأدب ومفهومه ومواقـف صانعيـه وسلوك رواده فان ذلك ما سنخصص له جزءا من بحثنـا عن الشعـر الاسلامي بين الشـكل والمضمـون وهوخلاصة موضـوع هذا الكتـاب ولكنا نحب أن نبين أن أدب المقاومة الأول في « الأدب العربي » قد ولد في رحاب الدعـوة الاسلاميـة ليـكون أقباسا تنير طريق الدعاة وسبيـل المجاهدين .

ومـن يمعـن النظـر في كلمـة « مقاومة » يلقاها محدودة الاطـار ترفض المحتل وتأبى وجوده ، أمـا مفهوم شعر الدعوة في الاسلام فانه أشمل من ذلك وأكثر استيعابا وأشد عنفا .. إنه أدب يرفض الباطل حيثما كان مصدره ويأبى الزور والهوان أنى يكون .

إن من أبرز صفات شاعر الدعوة أن ينتصر لدعوته وأن يثور لكرامة رسالته التي حملها للناس ويدعـو الخلق للايمان بها ويتضح لنا الموقف ويبين في ظلال معنـى قول الله عز وجل :

(وانتصروا من بعد ما ظلموا)

حيث يحث الاسلام الشاعر المسلم على ألا يركن للظلم والا يستسلـم للأذى ومن واجبه وهو يحيا مع الناس أن يرفض ذلك بشعره ودمه ليكون من المقربين الى الله المستثنين من الذين هم **(في كل واد يهيمون)** . لقد كان عبد الله بن رواحة مثلا حيا لشعراء الحق المقاومين للباطـل الرافضـين للهوان ولم يكتف بقول الشعر فحسب بل مزج بمداد الشعر دم الشهادة حيث لقى وجه ربه في سهل مؤتة تحت ظلال السيوف عليه الرحمة من ربه والرضوان .

وإن في تاريخ الدعوة الاسلامية عددا من الشعراء الصادقين الأبرار الذين أكرموا حياة الانسان وجملوها بأروع ما عرفت الانسانية من ألوان الجهاد والاستشهاد والبناء والعطاء ممن سنعرض لهم بشيء من التفصيل عند الحديث عن « الشعر في عهـد النبـوة نشيـد معـركة وهتـاف شهادة » . باذن الله .

ومن البروتينات أزواجاً أزواجاً

٨

بقدر ما يتعمق الانسان في طبيعة الكون ، ويغوص في أسرار الحياة ، بقدر ما تتجلى له النظم الدقيقة والبديعة التى طواها فيها الله ، لكن البشر لا يبلغون ذلك التعمق لقصور في حواسهم ، فالعين البشرية مثلا لا تستطيع أن ترى كل ما في السماوات من أجرام وأفلاك ومجرات وكواكب وأقمار ، ولا أن تستكشف ما فيها من أكوان من وراء أكوان من وراء أكوان ... الخ ، فحقيقة ما تراه عيوننا لا يتعدى قطرة واحدة في بحر واسع الجنبات ، غائر الأعماق : **(أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ)** الأعراف/ ١٨٥ **(وربك أعلم بمن في السموات والأرض)** الاسراء/ ٥٥ **(الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير)** الملك/ ٣ و٤ .

وكأسرار السماوات الضخمة

للدكتور عبدالمحسن صالح

البديعة الواسعة بغير حدود ، تكون أيضا أسرار الحياة .. صحيح أن هذه الأسرار تكمن في داخلنا ، أو تتراءى لنا في الكائنات الساعية أمامنا ، لكننا ـ مع ذلك ـ لا نرى إلا ظواهر الأمور . فالعين لا تستطيع مثلا أن ترى الصغير جدا ، ولو رأته على حقيقته ، وكما نظمه الخالق وقدره في مخلوقاته ، لتجلت لها أكوان من داخل أكوان أصغر وأصغر وأصغر ... الخ ، ولمكثنا العمر كله مبهورين باحثين مدققين مسبحين لله صاحب تلك القدرة ، وهذا الجلال .

لكن الانسان الباحث في أسرار ملكوت الله قد استعاض عن عينه القاصرة بعيون أخرى جبارة ، لتريه « مالا عين رأت » .. فكانت عين التليسكوب الذى يرى البعيد جدا ، وعين الميكروسكوب الذى يرقب الصغير جدا ، ومن خلال تلك الأدوات العلمية الرائعة تكشفت لنا أسرار من داخل أسرار من داخل أسرار ، وهى التى قدمناها قبل ذلك في سلسلة من الدراسات أوضحنا فيها كيف جاء الخلق أزواجا أزواجا ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : **(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون)** سورة يس/ ٣٦ .

على أن هذه الدراسة التى سنتعرض فيها الآن لخلق الأزواج على مستوى البروتينات قد تثير أفكار العامة والخاصة ، أو قد تسبب امتعاضهم ، وهم في ذلك معذورون ، لأنهم ـ بعيونهم ـ لا يستطيعون رؤية ولا تدقيقا ، ولو رأوا ، لتجلت لهم أسرار لم تكن لتتجلى لكل الأجيال السابقة .

فالناس تعرف البروتين على أنه احد العمد التى تقوم عليها التغذية في كل الكائنات ، وهم يجدون هذا البروتين في اللحوم والأسماك والبيض والألبان والحبوب والثمرات ... الخ بنسب متفاوتة ، فماذا يمكن ـ حقا ـ أن يكون في هذه المواد الغذائية من أزواج بروتينية ؟

والذين يتساءلون عن هذا الأمر على حق فيما ذهبوا أو يذهبون اليه ، وسوف نعود لنوضح لهم ما خفى عليهم من أكوان يضن رؤياها على العيون البشرية ، وأيضا على الميكروسكوبات الضوئية ، لكننا نكاد نراها بالميكروسكوبات الاليكترونية التى تكبر الدقائق غير المرئية مئات الالوف من المرات !

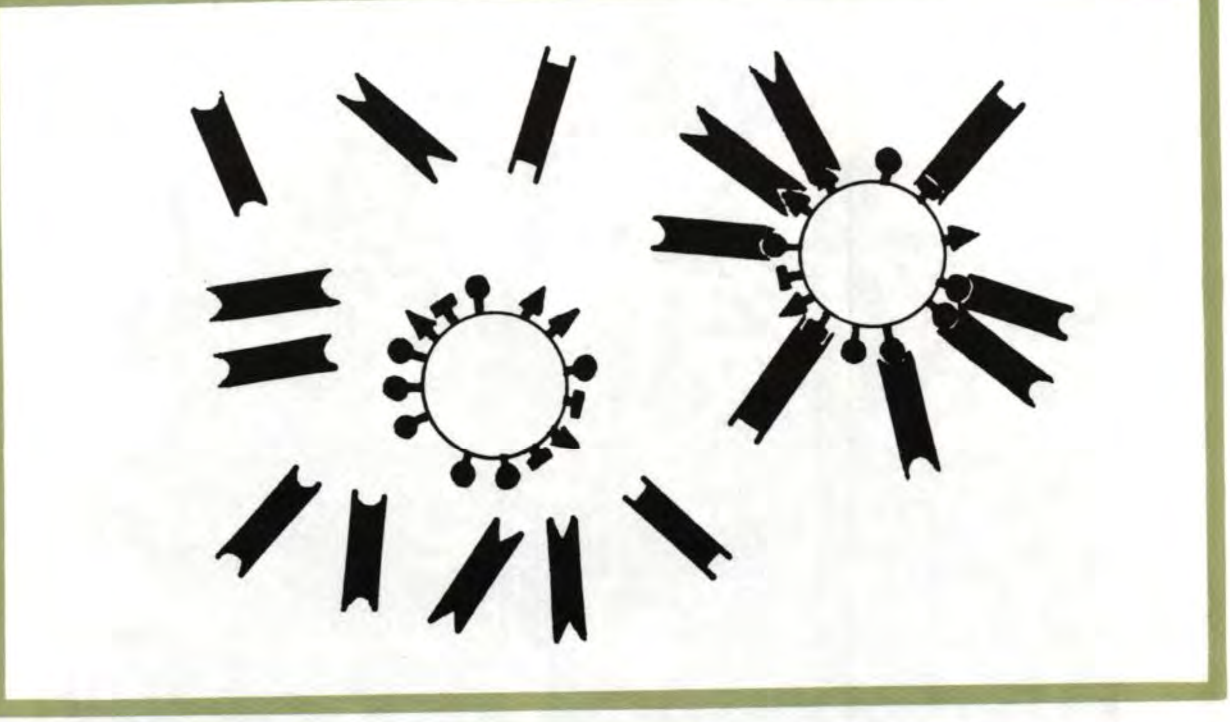
والذين أوتوا شيئا من علم قد يذهبون إلى أبعد من ذلك ويقولون : نحن نعرف أن البروتينات جزيئات

عضوية عملاقة ، وان الجزىء الواحد قد ينشق الى جزيئات أصغر وأصغر ، ولا يزال الأمر كذلك حتى نصل الى وحداته الأساسية التى نعرفها باسم الأحماض الأمينية ، والحامض الأمينى هو بمثابة « كلمة » في « فقرة » من البروتين .. تماما كما تتراص الكلمات هنا في أسطر وفقرات لتؤدى الى معناها المقصود ، وكذلك الحال مع الأحماض الأمينية ، فهى أيضا تتشابك وتتحد بمعايير مضبوطة لتؤدى إلى جزيئات أكبر وأكبر ، فتكون البروتينات التى تسير دفة الحياة ، وتوجه عملياتها الكيميائية المعقدة (شكل ١) .

وقد يستطرد الذى أوتى شيئا من علم فيقول : ثم إننا نعرف من عدد أنواع الأحماض الأمينية حوالى ٢٠ نوعا مختلفا ، وهى تشبه في عالمها الحروف التى نستخدمها في عالمنا ، فبحروف لغتنا التى تتكون من ٢٨ حرفا نستطيع أن نؤلف ما نشاء من كلمات وفقرات ومجلدات ، وقد يؤدى تآلف هذه الحروف الى كلمات يكون لها معنى ، أو قد لا يكون ، ويعنى ذلك أننا نستطيع ــ من خلال عمليات توافيق وتباديل بين حروف لغتنا ــ أن نكون بلايين فوق بلايين من الكلمات .. منها ما يتكون من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة أو عشرين.... الخ ، أو قد نبدل بين حرفين فتخرج لك كلمات أربع (فحرف أ ، م مثلا قد يكون منه أم ، م أ ، م م ، أ أ ... وبين ثلاثة فتخرج لك ست عشر كلمة (فحروف ع ، ب ، د قد تتكون منها ب ع د ، د ع ب ، ب د ع ، ع ع ب ، ب ب ع ، ع ع ع) ، وأن تجميع هذه الحروف قد يكون لها معنى ــ كما سبق أن أشرنا ــ وقد لا يكون .

لكن الحياة قد تستخدم هذه التوافيق والتباديل بين الأحماض الأمينية العشرين لتدخلها في بروتينات عملاقة ، وقد يحتوى الجزىء البروتينى الواحد على مئات من الأحماض الأمينية المتشابكة ، فتنتظم منها « حروفها » (أى أحماضها) حسب خطة بديعة تأتي من الجزيئات الوراثية الكامنة في نواة الخلية ، والخطة تحملها رسل كيميائية ، وبها تجمع الأحماض الأمينية كما يجمع الطابع في المطبعة حروف لغتنا ... أى كأنما هناك مؤلف وطابع ومطبوع ، فالمؤلف هو الجزيئات الوراثية ، والطابع هو الرسل الكيميائية ، والمطبوع هو الجزيئات البروتينية ! انظر مقالنا السابق .

ملخص القول : ان الكائنات الحية تستطيع أن تكون أيضا بلايين فوق بلايين من الجزيئات البروتينية ، وذلك من خلال استخدامها لحوالى عشرين نوعا من الأحماض الأمينية (شكل ٢) ، فجسم الانسان مثلا يحتوى على حوالى مائة ألف نوع من البروتين ، وهى ــ أى البروتينات ــ تنقسم الى ما يشبه الرتب والعائلات والأجناس ، فما يشتغل منها في خلايا المخ يجىء بمواصفات خاصة



نموذج توضيحي لتآلف او تزاوج او تعادل البروتينات على جدار ميكروب أو خلية (الدائرة الوسطى) والبروتينات المضادة التي تنتشر حولها .. لاحظ في الشكل السفلي كيف « يلبس » كل بروتين مضاد في بروتينه .

ليتناسب مع وظائف خلايـا المخ ، والذى يدخل في تكوين عضلات القلب لا ينفع في الرئتـين أو الكبـد أو الغدد ... الخ ... الخ ، والحق أننا أمام مجتمعات جزيئية سبحان من نظمها وأبدعهـا وسيرهـا إلى قدر معلوم ، فلكى تقدر الله حق قدره ، فعليك أن تبحث في أسرار خلقـه ، وكلما تعمقت فيها أكثـر ، عبـدت وقدرت أعظم ، ومع ذلك فلن نستطيع أن نصل في هذه الأسرار الى نهاية ، فهى بمثابة بحور من الألغـاز جد متلاطمة ، إذ كلما عرفت منها سرا ، تفتحت لك أبواب أسرار جديـدة ، ولهذا فتقديرنا لله هنا نسبى ، لأن معرفتنا نسبية ، وعقولنا نسبية .. اى محدودة غير مطلقة ، ومن أجل هذا عبر القرآن الكريم عن ذلك أدق تعبير : **(ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز)** الحج/ ٧٤

والموضوع بعد ذلك طويل ومتشعب ومثير ، والذى يعنينا منه هنا مسألة خلـق الأزواج على مستـوى البروتينات .. فكيف جاءت ـ إذن ـ أزواجا أزواجا ؟

إن الراسخين في العلم قد يذهبون الى ما هو أبعد وأعمق من بروتينات تؤكل ، أو جزيئـات تهضـم ، أو مركبات عضوية تبنى وتهـدم ، بل علينا أن ننظر اليها نظرة فاحصة جامعة متأنية واعية ، وأن نؤسس حكمنا على أدق مستويات الخلق ، حتى ولو كان هذا المستوى على هيئة جزىء لا يكاد يرى .

على أنه من الأوفق أن نعود هنا لنذكرك مرة أخرى بأن الأزواج عند



شكل (١) هذه الغابة المتشابكة من آلاف الذرات هي في الواقع نموذج لجزيء الهيموجلوبين البروتيني في الدم .. انه يتكون أساسا من تشابك مئات من الأحماض الأمينية في جزيء كبير ليؤدي رسالته في الحياة .

العرب تعنى في لغتهم ما يتآلف وما يتنافر ، فقالوا إن البر والبحر زوجان ، وكذلك الليل والنهار ، والذكر والأنثى ، والسالب والموجب ... الخ ، ... الخ .

من هذا المنطلق نستطيع أن نتعرض لفكرة الأزواج التى خلقها الله كلها ، مما نعلم ، ومما لا نعلم ، فأما ما يعلمه العامة من خلال حواسهم أو مشاهداتهم فلا شأن لنا به (أى الأزواج الظاهرة كالذكر والأنثى في النبات والحيوان وما شابه ذلك) ، فلقد فسره الأقدمون والمحدثون تفسيرات تتفاوت بتفاوت ثقافاتهم ، وأما ما خفى ، أو ما لا نعلم بحواسنا ، فعلينا به ، لندلى فيها بدلونا ، وعلى قدر ما نعلم في زماننا ، اذ كلما تطورت المعارف ، وتقدمت العلوم ، زادت حصيلتنا مما كنا نجهل ، وما أكثر ما نجهل: **(وما**

أوتيتم من العلم إلا قليلا) الاسراء/ ٨٥ .

ولنضرب للأزواج التى جاءت بها البروتينات مثلا ومثلا ، فذلك ـ بلا شك ـ يوضح لنا قدرة الله الفذة في تلك العوالم الدقيقة التى لا تكاد ترى .

هناك نخلة ذكر ، وعليها طلع ، ومن الطلع تتناثر حبوب اللقاح ببلايين فوق بلايين (وهى الخلايا الجنسية الذكرية للنخيل) ، وتحملها الحشرات والرياح وتذروها هنا وهناك ، لتتساقط في النهاية على النخيل أو غير النخيل ، وقد تقع هذه الحبوب أو الخلايا الجنسية على زهور برسيم أو قرع أو طماطم أو برتقال ... الخ ... الخ ، وقد تلتصق على ميسم الزهرة المؤدى الى المبيض الذى ينتظر تلقيحا ، إلا أن هذه الزهور جميعا توصد الأبواب في وجه حبوب لقاح ذكور النخيل ، والذى يفتح الطريق لها هى مياسم زهور إناث النخيل .. فكيف عرف الميسم (أو مستقبل حبوب اللقاح) ـ بكسر الباء في مستقبل ـ أن هذه الخلية الجنسية هى خليته المقصودة دون الآلاف من حبوب اللقاح التى تتساقط عليه من النباتات الأخرى ليل نهار ؟

هناك بالتأكيد كلمة سر .. والسر في بروتين ، أو ربما في بروتينات تتفاهم مع بعضها ، فتستجيب وتفتح ، أو ترفض ولا تسمح !

وطبيعى أن هناك مئات الألوف من أنواع النباتات المختلفة التى تنتشر في الماء واليابسة ، وطبيعى أن زهورها تستقبل خلايا جنسية من كل الأنواع ، أو قد تتقابل هذه الخلايا مع تلك ، في الماء ، فاذ بكل نوع يعرف نوعه .. صحيح أن الخلايا لا تمتلك عيونا لترى بها ، ولا آذانا لتسمع بها ، ولا أصواتا لتنادى بها على بعضها ، لكنها ملكت لغة البروتين التى ترشدها الى عالمها ، فيسرى كل شئ حولنا بحساب ومقدار ، كما سرى قبل ذلك بملايين السنين بنظام لا خلل فيه ولا فوضى !

لكن تعارف الأنواع من خلال خلاياها الجنسية ، أو بالتحديد من خلال بروتينات خاصة ، لم يوضح لنا حتى الآن معنى الأزواج التى جاءت على أساسها الجزيئات البروتينية .

وهذا صحيح ، فالأمر سيتضح لنا أكثر عندما نقدم صورة أخرى من عالم الحيوان ، فلو أننا أتينا بأنبوبة اختبار ووضعنا فيها بويضة من بويضات أنثى الانسان ، ثم أحطناها بخليط من حيوانات منوية لأنواع أخرى من ذكور الحيوان ، فان بويضتنا لن تستجيب ولن تفتح الأبواب .. لكن ما إن نضع لها حيوانات منوية من إنسان ، إلا ونجد التعارف قد قام ، والتآلف قد دام ، وعندئذ فقط يلج اليها ، فيكون الاخصاب الذى تبدأ به بداية كل كائن حى على هذا الكوكب .

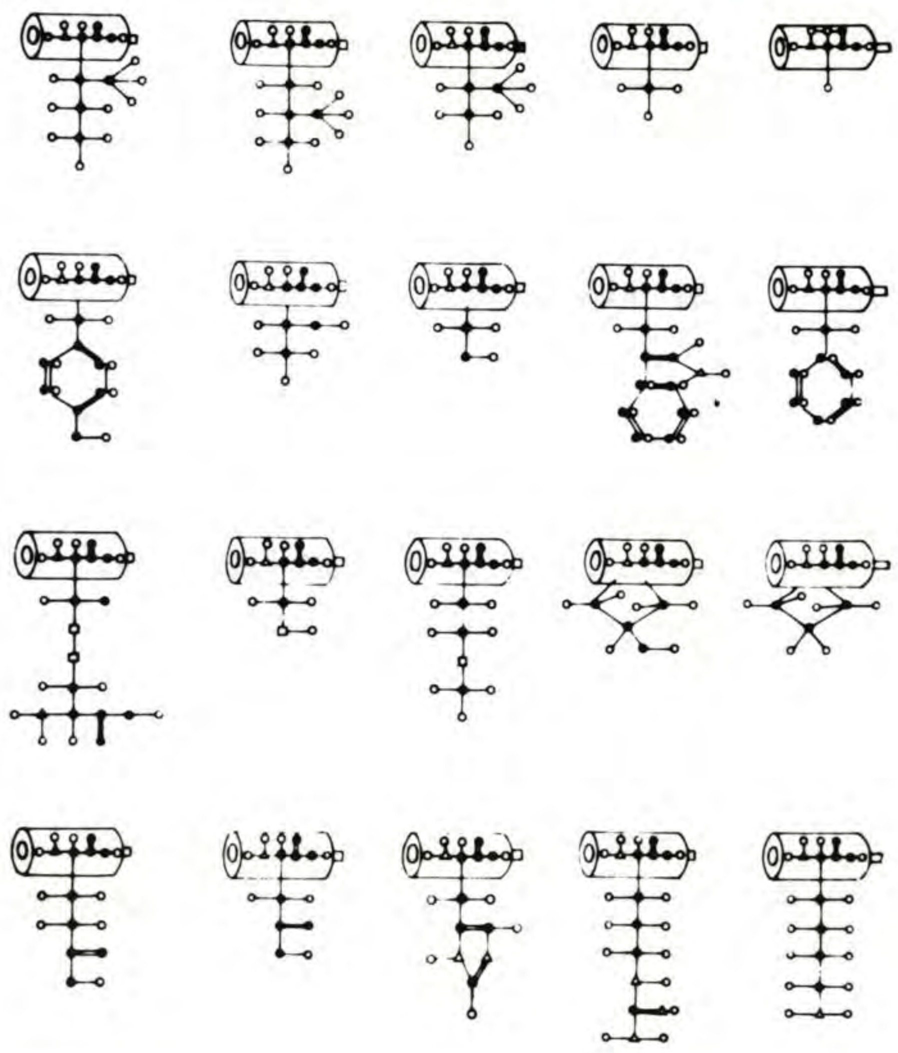
إن فكرة الأزواج تكمن هنا ، وعلينا الآن بها من خلال ماقدمنا فأوجزنا .

يقول علماء الخلية الحية إن غشاء الخلية أو جدارها بمثابة ملكوت قائم بذاته ، وعلى هذا الجـدار تتحـدد « الشخصية » من خلال جزيئـات بروتينية ، وكأنما هذه الجزيئات قد أصبحت في عالمها بمثابة البصمات التى نعرفها في عالمنا ، فكما يعرف كل انسان منا ببصمتـه التـى لا يشاركه فيها أحد سواه ، كذلك تعرف كل خلية جنسية في النوع الواحـد الخلية الأخرى .. صحيح أننـا لا نستطيـع أن نرى « البصمـــة » البروتينيـة ، ولا ندرى شيئـا عن نظامها ، لأن ذلك يقع فيما وراء حدود عيوننا و « عيون » ميكروسكوباتنا ، الا أن ذلك لا يعنى اننا لا نمتلك وسائل أخرى لترينا ما عجزت عنه العيون بكل أنواعها ، فلدينا مثـلا طرق التحليل الكيميائى ، ولدينا طرق الفصـل والتنقيـة والتفاعـل بـين الجزيئات المختلفة ، ولدينا الكيمياء الحيوية بكل ما ملكت من إنجازات معملية لنلج بهـا الى هذه الأسرار المطوية ... الخ .

ملخص القول أن العلماء توصلوا الى سر بديع ، فعلى رأس الحيوان المنـوى شئ يشبـه القلنسـوة أو القبعة ، لكنها قبعة من أدق ما عرفناه في عالم الكيمياء ، ففى هذه القبعة الدقيقة جدا تكمن « هوية » الحيوان المنوى ، والى أى نوع من الأنواع ينتمى ، فاذا أصاب بويضة من نفس نوعه ، حدثت في رأسه تعرية ، وفي جزء من جدارها هدم ، وهذا يعنى أن التعارف قد تم ، أو أن البروتين في هذا قد « فتح » بروتينا في تلك ، أو قل إنـه هدمـه ، فيصبـح جدارا الخليتين جدارا واحـدا ، وتنتقـل محتويـات هذا الى تلك ، فيكون الاخصاب على كل مستويات الخلق !

لكن .. كيف يحدث الهدم ، وكيف تقوم على أساسه حياة جديدة ؟

الواقع أن العلماء يعتقدون بوجود مادة بروتينية معقدة ومنتظمة بطريقة خاصة على جدار البويضة ، وهذه يطلقون عليها اسم المخصبة (اسمها العلمـى فرتيليزيـن) ولهـا ـ اى المخصبة ـ على رأس الحيوان المنوى أو ـ بالتحديـد ـ في قلنسوتـه ما يناقضها أو يهدمها ، ولهذا يسمونها المخصبـة المضـادة (أنتـى فرتيليزين) ـ اى كأنما هذه بالنسبة لتلك كالمفتاح بالنسبـة للقفـل في عالمنا ، أو قل انهما بمثابة الشئ وضده ، أو همـا أيضـا كالـذكر والأنثى .. أو كشفرة في لغة سرية ، ولا تعرف الا بشفرة أخرى تناسبها ، وهذا وغيره ـ بلا شك ـ يشير الى فكرة الأزواج على مستـوى البروتينات ، فظهور كل كائن حي على هذه الأرض انما يعتمد ـ من البدايـة ـ على فكرة الزوجـين من البروتينـات التـى جاءت بهندسـة جزيئية محددة ، وانتظمت على جدر الخلايا الجنسية بطريقة معينـة ، لتصبح بصمة أو هوية أو لغة لها في عالمها الدقيق شأن عظيم .. صحيح أن عملية ولوج الحيوان المنوى الى بويضة تبدأ بهدم جزء من الجدار ، وكأنما كل منهما قد أصبح بالنسبة



شكل (٢) البناء الذري في جزئيات الأحماض الأمينية التي تتخذها الحياة بمثابة « حروف » لتكتب بها بلايين الأنواع من الجزيئات البروتينية العملاقة .

للآخر عدوا مبينا ، الا أن الظاهر هنا يختلف عن الباطن ، فمن الهدم ينشأ البناء ، وفي البناء يكون الهدم ، وبدون هاتين العمليتين المتناقضتين لن تكون أكوان ، ولن تكون حياة ، وتلك هى سنن الله في خلقه « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » !

إذن فبعدد أنواع المخلوقات التى تشاركنا الحياة على هذا الكوكب (وهى في حدود عدة ملايين من الأنواع) يكون عدد هذه « المفاتيح والأقفال » البروتينية .. فكما يفتح كل مفتاح قفله ، كذلك يتوافق كل بروتين مع بروتينه ، وبهذه الفكرة العظيمة حفظ الله كل مخلوقاته من عملية خلط بين الأنواع ، وسار كل نوع منها بالزوجين أو الأزواج من بروتيناته كل هذه الملايين من السنين ، دون أن يخل أو يختل فيه هذا الأمر العظيم « حكمة بالغة ،

فهل من مدكر » ؟!

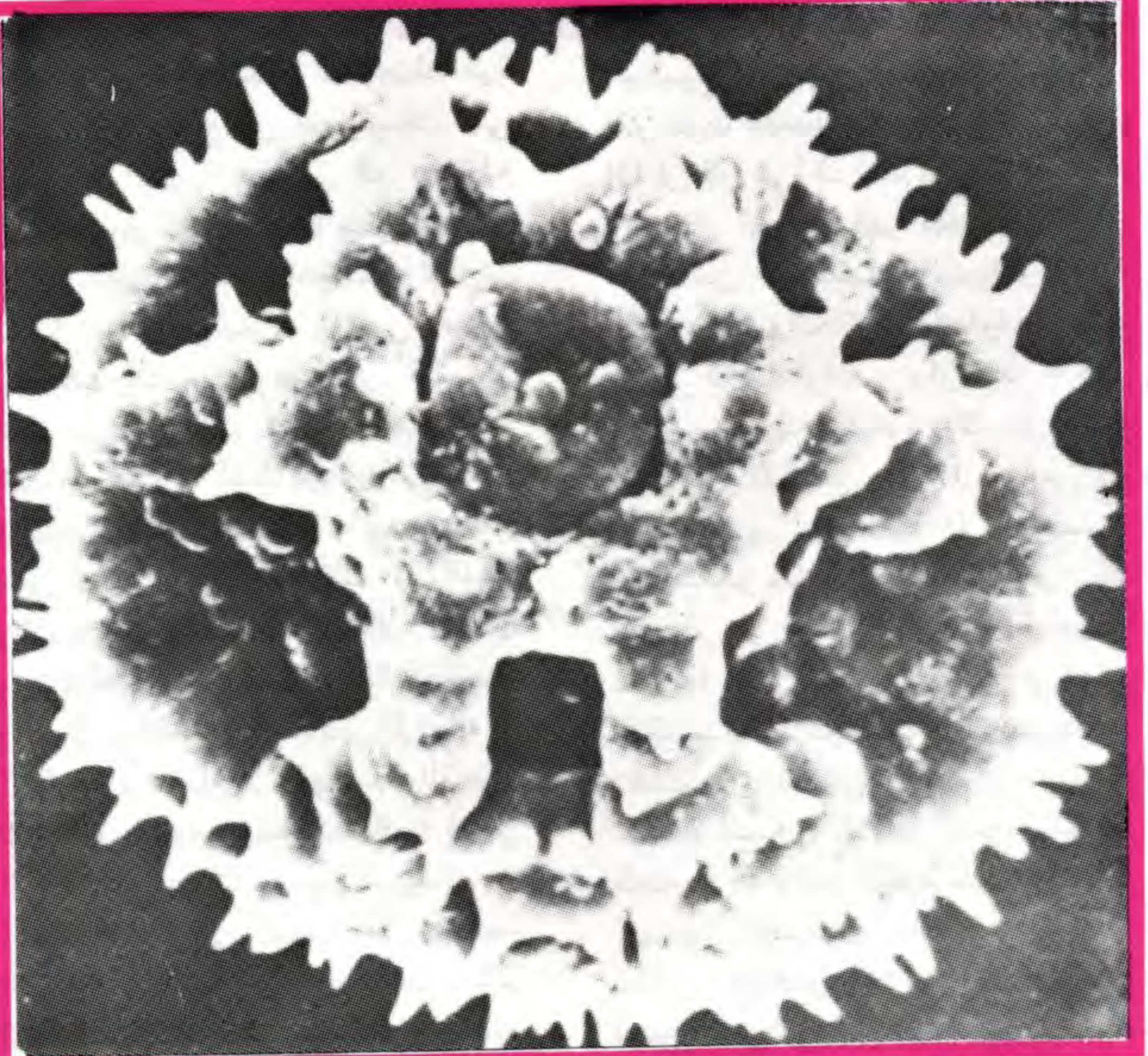
لكن هذا الأمر يزيد وضوحا وإشراقا اذا ما أخذنا في الاعتبار محاولات العلماء الجبارة في إنجاح عمليات زراعة الأعضاء ، ونقلها من إنسان الى إنسان ، بغية إنقاذ حياة ، لكن هذه العمليات لم يكلل لها النجاح الكبير الذى نرجوه ، اذ لا زالت عملية نقل عضو من زيد وزراعته في جسم عمرو تصطدم بعقبات بيولوجية شائكة ، وعلى رأسها كسر شوكة أو حدة أجهزة المناعة في أجسامنا ، وهى عملية جد خطيرة ، وعواقبها غير مأمونة .

ولاشك انكم الآن تتساءلون بدهشة وتقولون : وما دخل عمليات زرع الأعضاء هنا بموضوع الأزواج من البروتينات ؟.. أو ليس في ذلك خروج عن الموضوع ؟

ليس ذلك حقا بخروج ، فكلامنا هنا في اللب ، لأن كل جسم حى يعرف كل أنواع بروتيناته التى حملها حملا من بداية خلقه حتى نهاية حياته ، وكأنما هو يحفظها بروتينا بروتينا عن ظهر قلب ، أو قل كأنما لديه « ملفات » كثيرة جدا عن مواصفات كل بروتين في « امبراطوريته » العظيمة ، ذلك أن جسم كل منا يحتوى على أكثر من مائة ألف نوع من البروتين ، وهو يستطيع أن يضيف الى « امبراطوريته » تلك ملايين أخرى فوق ملايين ، ففى « أرشيفه » الوراثى خطط لهذه الصناعة البروتينية تملأ المئات من مجلداتنا الضخمة .

لو أنك أخذت خلية أو نسيجا أو عضوا من جسم إنسان ، ثم احتفظت بأى منها بالطرق العلمية المعروفة بحالة سليمة دون أن يتغير فيها شئ ، ثم أعدتها الى هذا الجسم ذاته ، فانه يتقبلها قبولا حسنا ، لكنك لو أخذت أى نسيج من أى إنسان من الأربعة آلاف مليون نسمة الذين يعيشون الآن على كوكبنا ، وزرعته في جسم زيد ، فان جسم زيد يجهز لها جيوشا من بروتينات مضادة توافق تماما هذه البروتينات الغريبة ، ولا تزال تضربها بغير هوادة حتى تمحوها من امبراطوريتها (أى تلفظها) ، فالجسم لا يحب الغرباء في « امبراطوريته » ، حتى لو كان في ذلك إنقاذ لحياته ، فهو يفضل الموت على أن يحتضن في جسمه بروتينات غريبة !

والواقع أن أجسامنا جميعا بمقدورها أن تميز بين أنسجتها وبين كل الأنسجة الحية الموجودة في أى مخلوق آخر صغر شأنه أو كبر ، وهذا يعنى أنها تمتلك « ذاكرة » جبارة لبلايين فوق بلايين من البروتينات ، وبهذه الذاكرة المعجزة تعرف العدو من الصديق .. أو البروتين الذى خلقها الله منه من أى بروتين آخر غريب ، ولكل بروتين بروتين مضاد ، والى هنا نكون قد وصلنا الى حقيقة الأزواج مرة أخرى على مستوى البروتينات التى تقف حارسة على أجسامنا من الغرباء ، إذ لولا الدفع والصراع الكائن بينها ، لاختلت موازين الخلق من قديم



شكل (٣) حبة لقاح لنبات مكبرة بالميكروسكوب المجسم ، وعلى جدار هذه الحبة الدقيقة يوجد بناء بروتيني كربوايدراتي منظم بطريقة فذة ليحفظ للنوع (هويته) الجنسية ، فلا يحدث الخلط الذي قد يؤدي الى فوضى .

الزمن .. .. فصور الدفع والصراع المنظورة بين قوى الخير والشر في عالمنا هى التى تجعل للحياة معنى بين الناس ، وكذلك كانت صور الدفع والصراع بين هذا العالم الخفى من البروتينات ، اذ لولاها ايضا ـ على مستوى البروتينات والبروتينات المضادة ـ لتهاوت المخلوقات وبادت !

وطبيعى أن أجهزة المناعة والدفاع التى أودعها الله في كل كائن حى لم تأت لكى تحارب الأعضاء المزروعة ، بل جاءت أساسا لتحارب الميكروبات التى تحوم حولنا ليل نهار ، لكنها لا تستطيع أن تنال منا في أغلب الأحيان ، فهناك سدود تمنع هذا الغزو ، وهناك حرب على مستوى الخلايا ضد الخلايا (كرات الدم ضد الميكروب) ، وصراع على مستوى البروتين ضد البروتين (البروتينات

المضادة) ، وهنا نكون قد وصلنا مرة ثالثة الى الأزواج من البروتينات التى تدخل في حرب ضروس لم يستطع العلماء حل كل ألغازها حتى الآن !

وفي أجسام الكائنات الحية جيوش كثيرة من البروتينات التى تقوم بعمليات الهدم ، وجيوش أخرى تقوم ــ في الوقت نفسه ــ بعمليات البناء ، فكأنما لدينا أيضا بروتينات هادمة ، وأخرى بناءة ، ومن تآلف عمل هذه المجموعة وتلك في البناء والهدم تسرى الحياة في كل الخلايا والمخلوقات .. انهما هنا كالليل والنهار ، إذ أن هذا يؤدى إلى ذاك أو العكس ، فعمليات الهضم والتنفس مثلا تقوم بهما بروتينات هادمة (وهى التى نطلق عليها اسم الانزيمات أو الخمائر ــ وهى أيضا من عائلة البروتينات) في خطوات متتابعة ، كما أن عمليات ترميم الخلايا والنمو والانقسام والبناء الجزيئى ... الخ ، تحتاج الى بروتينات بناءة (أيضا مجموعات أخرى من الأنزيمات) ، ومن محصلة هاتين العمليتين ــ أى البناء والهدم ــ تكون الحياة ، فاذا تغلب البناء على الهدم كان النمو والشباب ، واذا حدث العكس ، كانت المحصلة ــ على مدى سنين طويلة ــ شيخوخة أكيدة !

على أن موضوع الأزواج من البروتينات التى تتزاوج أو تتآلف أو تتضاد أو تتصارع أزواجا أزواجا (بمعنى أن كل نوع من البروتين له نوع محدد يتفاعل معه تفاعلا محددا كذلك specific ولا شئ غير ذلك) موضوع جد طويل ومتشعب ومثير ، لكن فيما قدمنا هنا الكفاية ، ليتبين لنا أن كل شئ قد نظم تنظيما بديعا ، وأن كل أمر قد قدر تقديرا دقيقا ، بداية من الجسيمات الذرية والذرات والجزيئات والخلايا والمخلوقات حتى تنتهى بالسماوات ، وأن هذا الخلق العظيم ما كان ليقوم إلا على فكرة الزوجين المتآلفين أو المتضادين أو الذى يؤدى أحدهما الى الآخر ، وكأنما هو مكمل لنفسه ، وبدون ذلك لا يمكن أن تسرى الحياة كما نعرفها بعقولنا التى تدرك هى الأخرى معنى النقيضين ــ تجسيدا أو تجريدا .. فالشيطان تجسيد للشر ، والملاك تجسيد للخير ، كما أن تسوية النفس البشرية ما كانت لتقوم كذلك الا على إلهامها النقيضين مصداقا لقوله تعالى : **(ونفس وما سواها.فألهمها فجورها وتقواها)** الشمس/٧ و٨ وفي ذلك أيضا يكمن معنى النقيضين أو الزوجين المتضادين أو المتآلفين في النفس البشرية ليكون هناك ما نسميه بالعقل أو الادراك أو الوعى أو بما يعن لنا من أسماء سميناها .

لكن المثير والغريب حقا أن البروتينات قد جاءت هى الأخرى من وحدات أصغر ، وأن هذه الوحدات أيضا قد جاءت على فكرة الزوجين ، ولكن بصورة أخرى تدعو الى التأمل والتفكير في بديع صنع الله : **(الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى)** الأعلى/٢ و٣ .. وصدق الله العظيم ، ولهذا الموضوع بقية لنعلم ما لم نكن نعلم .

خصائص الأخلاق الإسلاميّة

للدكتور أحمد الحوفي

تتميز الأخلاق الاسلامية على الأخلاق الوضعية بعدة خصائص :

١ ـ الخيرية المطلقة

لم يستطع مذهب من المذاهب الأخلاقية أن يكفل الخير الكامل الشامل المبرأ من الأثرة ، أو من إيثار فريق من الناس على فريق ، أو من الاستجابة لنوازع الأهواء ، ومقتضيات البيئة والملابسات .

اما الاسلام فقد كفل هذا الخير ، لأنه شرع الأخلاق المثلى التي تحقق الخير المحض للفرد وللناس جميعا في كل البيئات وفي جميع الحالات وفي كل الأوقات ، فأمر بالفضيلة ، ورغب فيها ، لأنها خير يجب ان يفعل ، ونهى عن الرذيلة ، وبغضها الى الناس ، لأنها شر يجب ان يترك ، وتسامى الاسلام بفاعلي الخير وبتاركي الشر عن ان يتوقعوا جزاء من الناس ، لأن الجزاء الأوفى من الله وحده ، وسما بهم عن اتخاذ الخير سلما الى شهرة او مجد او مباهاة او تسلط او شعور باللذة والاستمتاع او اجتلاب منفعة مادية عاجلة او بعيدة المنال ، لأن الخير يجب ان يراد به وجه الله تعالى .

فالكرم مثلا كان خلقا فاضلا في الحياة الجاهلية ، طالما باهى به المفتخرون ، وأشاد به المادحون .

والبخل كان رذيلة ، طالما هجا بها الشعراء ، ويرئ منها الاسخياء ، ولكن كرم العرب في الجاهلية كان من إملاء البيئة ، وكان وسيلة من وسائل الفخار والكلف بحسن الأحدوثة .
ذلك بأن العرب كانوا يحيون في بادية شحيحة بالزاد ، وحياتهم ترحال وتجوال ، فكل واحد منهم معرض لأن ينفد زاده ، فهو يقرى ضيفه اليوم ، لأنه قد يضطر الى ان يضاف في يوم .
ثم انهم كانوا يكرمون لولعهم بحسن السمعة وطيب الثناء ، ولأنهم ذوو أريحية وحساسية ، تسعد نفوسهم بمساعدة المحتاج ، وإطعام الجائع ، وإغاثة الملهوف . وكان المال في نظر الكرماء وسيلة الى الحياة الشريفة ، وكسب المحامد ، ونيل السيادة .
اما الكرم في الاسلام فانه مظهر لسخاء النفس ، وكرم اليد ، ورحمة القلب ، وابتغاء ثواب الله .
ومبعث الكرم في الاسلام أن المال مال الله ، وان صاحب المال خليفة عليه موقوت ، لا بد ان يتركه لسواه ، وأن هذا المال ليس حقا لمالكه وحده ، بل له شركاء فيه من الفقراء والمساكين والمحاويج ، ومن مرافق الدولة وصالحها العام .
والغاية من هذا الكرم ليست الأبهة والسيادة والعطف المشوب بالرياء ، بل غايته القربى الى الله تعالى ، والشوق الى ثوابه ، ولهذا حض الاسلام على البذل ، وآثر ان يكون في خفاء .
كذلك كانت الشجاعة في الجاهلية وسيلة لعدوان الأقوياء على الضعفاء ، وطالما خايل العرب بقوتهم ، وبغلبتهم على غيرهم ، وبعدوان القادرين على من هم اقل منهم قدرة ، فلما جاء الاسلام وجه الشجاعة الى نصرة الحق ، وحماية الدين ، ونجدة المظلومين ، وإغاثة المضطهدين ، فارتفع بدلالتها عن العدوان الى الجهاد .

٢ ـ الصلاحية العامة

وتمتاز الاخلاق الاسلامية بأنها تكفل الخير لجميع الناس في كل زمان ومكان ، وبأنها سمحة سهلة ميسورة ، ليس فيها ارهاق ولا إعنات ولا تكليف بما لا يطاق ، لان الاسلام سن أخلاقا فاضلة تستريح اليها النفوس النقية ، وتهش لها الضمائر الحية ، وتؤيدها العقول السليمة ، وقد صدق المولى سبحانه وتعالى في قوله : **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** البقرة / ١٨٥ وفي قوله : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** البقرة/٢٨٦ وفي قوله : **(وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها)** الانعام / ١٥٢ .
هذه السهولة وهذه الصلاحية محققتان في الاخلاق الاسلامية ، على حين ان مذهب العرف مثلا ضيق المجال ، لتغير الأحكام في البيئات والأعصار ، وكثيرا ما يجانب العرف الحق والخير والسداد .
وعلى حين ان مذهب السعادة الشخصية قائم على انانية بغيضة ، وقاصر عن الا تساع لكثير من اعمال الخير والبطولة والفداء .

وكذلك مذهب السعادة العامة عسير التحقيق ، ومقياسه مضطرب لا حدود له ولا استقرار .
اما مذهب القوة الذي يختص بأخلاق القوة طائفة من الناس هم السادة الأقوياء ، ويستبقي اخلاق اللين لطائفة اخرى هم العبيد والأرقاء والضعفاء ، فان الاسلام ينكره أشد الانكار ، لأن الاسلام دين المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، وفي الثواب والعقاب ، وفي الحسنات والسيئات ، فهو لا يقر التفرقة ولا يرتضيها .
ثم إن الاسلام يحض على الأخلاق التي تمثل القوة كالشجاعة والكرم والعفو والحلم ويحض على الأخلاق التي تمثل الدعة والسماحة واللين كالرحمة والصبر والايثار وطيب العشرة .
وهو إذ يحض على اخلاق القوة يبتغي ان تكون حمى للعقيدة ، وحصنا للحق ، وظهيرا للخير ، ووسيلة إلى نصرة المظلوم ، ونجدة للمهضوم ، وانصافا للضعيف ، ونفعا للناس ، ولا يرتضي ان تتخذ وسائل للعدوان ، او مظاهر للاستعلاء ، او سلاحا للافساد في الأرض وإذلال الضعفاء .
قال تعالى : **(إن الله لا يحب كل مختال فخور)** لقمان / ١٨ .
وقال سبحانه : **(أليس في جهنم مثوى للمتكبرين)** الزمر / ٦٠ .
وقال تعالى : **(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان)** النساء/ ٧٥ .
ومن هذا يتضح أن الفضائل الاسلامية هي الصالحة للأفراد والجماعات في اليسر والعسر ، وفي الشدة والرخاء ، وليس فيها تفريق بين زمان وزمان ، ولا بين فريق وفريق ، ولا بين حال وحال .

٣ ـ الثبات

الأخلاق الاسلامية نابعة من الدين ، وكفيلة بالخير المطلق ، وصالحة للناس جميعا ، فهي اذاً تتسم بالثبات والدوام والاستقرار ، لأن المشرع الحكيم راعى فيها كفالة الخير الدائم العام .
وإن النظرة الى المذاهب الوضعية لتكشف عن تقلبها واضطرابها وقصور صلاحيتها ، ولهذا تعددت في العصر الواحد وفي مختلف الأعصار .
فالمنفعة المادية مثلا مذهب لاثبات له ، لأنه يتنكر للبواعث الروحية والمثل السامية ، ويطبع الناس بطابع الأثرة ، ويلزمهم بشريعة الغابة .
ومذهب الضمير الذي احتكم اليه بعض الفلاسفة متقلب ، كثيرا ما تغشيه الأهواء ، وتنحرف به النزعات ، وتقهره الرغبات .
ومذهب السعادة الشخصية تتأرجح به الأهواء ، وتسيره الشهوات .
ومذهب السعادة العامة تتلاعب به الآراء .
فلا عجب في ان تتصف الأخلاق الوضعية بالتغير والاضطراب ، لأنها تمثل نفسية واضعيها ، وهم بشر لا يستطيعون مهما يبلغوا من الذكاء وبعد النظر وعمق الفكر وحب الخير ان يضعوا للناس دستورا اخلاقيا ثابتا لا تبدله الظروف والأحوال .

ومن الخطل ان يجترئ الناس على صنع اخلاق لهم كما يصنعون الطعام واللباس والمتاع ، او كما يبتكرون نظريات في علوم الرياضة والفلك والاجتماع . واذا كان العلماء قد تباينت آراؤهم ، وما تزال تتضارب في كثير من أنواع الدراسات ، فكيف لهم ان يبتدعوا ينابيع للأخلاق الفاضلة وهي موصولة بالنفوس اوثق الاتصال ، وهذه النفوس بحر ما يزال الدارسون على حافته بعيدين عن الأثباج ، ولقد يظن بعضهم أنهم اجتازوا الساحل الى اللجة ، ولكنهم لا يلبثون ان يكذبوا هذا الظن ، لأنهم ما زالوا على الشاطئ فوق الحصى والرمال .

٤ ـ الالزام المستجاب

ما الذي يبتغيه واضع القانون حينما يضعه للناس ؟

وما الذي يريده العالم حين يضع مذهبا في الاخلاق ؟

انهما يريدان من الناس ان يخضعوا لما وضع لهم ، في السر والعلن ، وفي الوحدة والاجتماع ، وفي النعماء والبأساء .

ولكن ما الذي يحدث في كثير من الأحيان ؟

ألا يتحايل الناس على القانون ، ويتسللون من قيوده اذا ما واتتهم فرصة للتحايل والفرار ؟

الا يعصون نداء المذهب الأخلاقي اذا ما أمنوا الا يعابوا بهذا العصيان ؟

الا تعرض لبعض الناس ألوان من الاغراء تتوارى امامها رهبة القانون ، وتضعف قواعد الفلاسفة ؟

ذلك لأن الوازع هنا خارجي لا سلطان له على دخائل النفوس واعماق الوجدان ، فاذا ما غفلت عينه عن الرقابة تمردت الأهواء والنزعات .

اما الاخلاق الاسلامية فانها تستمد من ينبوعها قوة نافذة تلزم بها في العلن والخفاء ، وفي السراء والضراء ، لأن الرقيب عليها هو الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

وهذا الالزام محبوب مطاع ، لأنه امر او نهي من الله ، قد نشأ المجتمع عليه ، واخذ نفسه به ، وخضع له ، وأيقن ان خضوعه يحقق الخير للأفراد او الجماعات ، ويقرب من ثواب الله .

ومعنى هذا ان الاخلاق الاسلامية تستند الى سلطان روحي يمدها بأعظم الدوافع على الاستمساك بها والاعتصام ، ويحفز الناس الى عمل الخير حفزا منوطا بالثواب ، ويردعهم عن فعل الشر ردعا مرهوب العقاب .

ولقد ذكر أرسطو أنه من الضروري لتكوين الرجل الفاضل ان يكون قد احسنت تربيته في البداية ، وان يكون قد اعتاد عادات حسانا ، ولا يمكن ان يتحقق هذا الا اذا اكره الناس على الفضائل ، إما بارشاد العقل ، وإما بأمر منظم ذي قوة كفيلة بان تطاع » .

واذا كان أرسطو قد حصر هذه القوة في القانون ، فاننا نحصرها في الدين ، لأنه اعظم من القانون سلطانا ، وأشد منه رقابة ، ولأن

الناس له اكثر استجابة .

٥ ـ الرقابة المحيطة

ثم إن الأخلاق الاسلامية أمنع حصانة من الأخلاق الوضعية ، لأن الهيمنة عليها أشد وأقوى ، فلا يجترئ انسان على مخالفتها الا بعد تردد واحجام ، ثم لا يلبث اذا خالفها ان يندم على ما اجترح ، وقد يجره الندم الى اسى والى توبة نصوح لا رجعة بعدها الى آثام .

وسبب هذا ان عليها رقيبا عتيدا من الدين نفسه ، ورقيبا من الضمير الحي الذي ايقظه الدين ورباه ، ورقيبا من العقل السليم الذي صقله الدين وهداه .

وحسب الضمير شرفا ان يكون هو المقصود في قوله تعالى : **(لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة)** القيامة/١ و٢ . وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب » البخاري .

اما العقل فان القرآن الكريم قد رفعه مكانا عليا في كثير من الآيات ، وان الفضائل التي دعا اليها الاسلام لتوافق العقل السليم ، ولهذا جعله الاسلام من الرقباء عليها وعلى الناس .

ولعل الامام الغزالي كان يقصد الى بعض هذا حينما ذكر « ان الاعتدال في قوة العقل وكمال الحكمة ، وفي قوة الغضب والشهوة ، وفي خضوعها للعقل وللشرع يحصل من طريقين : احدهما : بجود الهي وكمال فطري كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والآخر اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب ، وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق » .

على اننا لا نعرف فضيلة الا وقد امر الدين بها ، وارتضاها العقل السليم وأيدها ، واطمأن اليها الضمير الحي وسددها .

ولا نعلم رذيلة الا وقد نهى الدين عنها وبغضها ، ونفر منها الضمير الحي وانكرها ، ورفضها العقل السليم وقبحها .

من هذا كله يتبين ان الأخلاق الاسلامية متفردة بان الدين منبعها .

ومتميزة بان التقوى محورها .

ومتعالية على المذاهب الأخلاقية بخصائصها .

وممتازة عليها بغايتها ، وهي تحقيق الخير والعدل والحق ، وما يكفله الخير والحق والعدل من محبة وسلام وايثار وتعاطف ورخاء وتقدم وتعاون على البر والتقوى .

إن الأخلاق الاسلامية هي التي تكفل السعادة . .

السعادة التي تظلل الأفراد ، وتظلل الجماعات .

السعادة المحققة لا الأوهام الملفقة .

السعادة الماثلة لا الأطياف الزائلة .

السعادة التي تجعل الحياة الدنيا جنة صغيرة يجتازها العالم الى الجنة الكبيرة التي ينعمون فيها بما لم تره عين ، ولم تسمع به اذن ، ولم يخطر على قلب بشر .

حقيقة وفضائل الدين الاسلامي

الديـن : هو التعليم الالهـي ، والارشاد السماوي ، يتنزل رحمة من الله بعباده ، فيرشدهم بعد الغواية ، ويبعدهم عن الضلالة ، ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ويردعهم عما يضرهم ، ويوجههم الى ما فيه نفعهم ، فهو القوة التي امد الله بها النـاس ، فعدلت من مزاجهم ، وكبحت من طغيانهم وردت غوائل بعضهم عن بعض .

جعلت للقوى حدودا لا ينبغي ان يتجاوزها ، وحفزت النفوس الواهنة الضعيفة الى ان تستخدم قواها التي بثت فيها ، **ونبهت الفكر الخامل الى** اجتناء الثمار التي مكنه الخالق منها ، والتي سخرها له ولمصلحته ، فالدين ينبه الفكر ، وينظم الارادة ، ويصد العدوان ، فهو الرحمة العظمى لبني الانسان .

ولما كان الدين تعليما وارشادا ، وتربية وتهذيبا ، وكان الانسان في مجموعه كالانسان في مفرده ، فقد نشأ على الفطرة الاولى ، حتى تداولته التجارب ، **واكتنفته التصاريف ، واختلفت عليه الاحوال وكل حال منها يغرس في نفسه حكما ينتفع به ، ويعلم امرا كان خفيا عنه ، كالطفل يولد لا يعلم شيئا ، فلا يزال عرضة**

للشيخ/عبد الرازق عبد الرحيم الخطيب

للحوادث وممرا للطواريء المختلفة حتى يستكمل رشده ، ويبلغ اشده ، وهو في كل طور مستعد لدرجة من التهذيب والتربية .

كذلك كان الانسان في مجموعه ، له اطوار بحسب ما استعد له من المراتب في القبول والكمال ، فيليق به في كل حال ما لا يليق به في غيرها .

فاقتضت حكمة العليم الحكيم ان يمد النوع الانساني بضروب من التربية والتعليم قد استعد لها وصلحت له حتى يتم نضجه ويكمل استعداده فيعطيه التعليم النهائي الكامل ، والقانون المنظم العادل ، الذي يصلح لكل أمة ، في كل زمان ومكان ، في كل مظهر من مظاهر الحياة من بداوة وحضارة ذلك هو الدين الاسلامي .

قال تعالى (**إن الدين عند الله الإسلام**) آل عمران/١٩ ، اي لا دين مرضي ومقبول عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتذرع بالشريعة الاسلامية دون غيرها فهو دين عام وخالد ، لا تختص هدايته بأمة دون اخرى ولا يخلفه دين اخر ولا يطرأ على شريعته نسخ ، قال جل شأنه : (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران /٨٥ . وقال مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) سبأ /٢٨ وقال ايضا : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء/١٠٧ ولقد تجلت هذه الرحمة الالهية في الدين الاسلامي بوضوح تعليمه ، ترى ذلك في العقائد والعبادات والمعاملات ، فهو في باب العقائد لم يكلف الانسان عنتا فيما طلب منه ، اكثر مما دل عليه العقل السليم فكلفه ان يعتقد ان لهذا العالم موجدا عالما حكيما كامل القدرة والارادة ، منزها عن سمات النقص ، لا يشاركه في الملك والتدبير والتصرف احد ، ولا يعزب عن علمه شيء وانه المنفرد بالكمال .

ولم يقصر النفوس على هذا الاعتقاد ، بل وجهها الى النظر في نفسها وما يحيط بها وبسط لها كيف تستفيد من ذلك النظر حتى تعلم العلم اليقيني من نفسها ، ان ما دعاها الى اعتقاده ، قد اقام لها الدليل عليه ، وهداها الى التثبت منه ، ولو انها نظرت هذا النظر الصحيح منفردة ، لاهتدت اليه من تلقاء نفسها ، وكلما ازدادت نظرا واعتبارا ازدادت نورا واستبصارا .

وجهها الى النظر في ملكوت السموات والارض ، وجهها الى التفكر في نفسها وخلقها ، علمها كيف تفكر في النبات والحيوان والرياح والسحاب ، وما ينشأ عن ذلك وما فيه من النظام ، حتى استخرج من قرارة النفوس ، العلم اليقيني ، والاعتقاد الجازم ، ان هذه المظاهر الكونية التي ربط بعضها ببعض واخذ كل منها في النظام الكوني العام محلا ليس له ان يتجاوزه ، فربطت الاجزاء على تباعدها واتصلت مع الترابط ، كل

اولئك لا يمكن في نظر العقل ان يصدر الا عن ارادة واحدة ، وتدبير محكم ، وعلم شامل ، ويدل قطعا على ان المتصرف فيها يجب ان يكون واسع السلطان ، نافذ الحكم ، سالما من المعارضة المضادة والمشاركة والنظير **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** الشورى/١١ .
فلو ان هناك قوة تضاهي قوته ونفوذا يعارض نفوذه لاصطدمت الارادات وفسدت الارض والسموات : **(إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)** المؤمنون/٩١
وهذا الاعتقاد في الالهيات، واما الاعتقاد في امر النبوات ، فهو من السهولة في الفهم والقرب الى الذهن ، بحيث لا يتعثر امرؤ في اعتقاده انه من الممكنات السائغات كما قال جل وعلا : **(أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم)** يونس /٢ .
ما في هذا عجب وقد الف الناس في كل اوان ان يكون منهم لهم مرشدون اصطفاهم الله .. والله أعلم حيث يجعل رسالته ، لا شك ان منصب النبوة منصب خطير ، ومقام كبير ، يتمنى كل واحد أن يكون له منه نصيب ، فلا يبعد ان يدعيه من ليس اهلا له ، لكن اقتضت الحكمة العظمى ان يتميز الرسول عن غيره بمظهر من مظاهر القدرة الالهيه ، لا يدانيه فيه غيره ، فيظهر على يده من المعجزات ما يشهد بصدقه ، ولا يكون مستندا الى اسباب عادية ، بل هي بمحض القدرة الالهية ، والتصرف الرباني ، فتدل على صدق من ايده الله بها ، وتكون الهداية على يديه بلطف منه ، فيعصمه عن الكذب والخيانة ومخالفة ما جاء به عن ربه ، ويجعل له في النفوس من المهابة والاحترام ما لا يكون معه لنفس عذر في الاستنكاف من اتباعه ، فهم من عباد الله ، اكرمهم برسالته ، وايدهم بآياته ، وعصمهم من مخالفة امره ، ومنحهم الثقة والامانة ، والصدق وكبر الهمة والصبر على الشدائد والوفاء بالعهد : وجعلهم القدوة الحسنة ، والمثل الصالح ، حتى قامت بهم الحجة واستنار بهم الطريق .
واما العبادات التي دعا اليها : فان الناظر كلما ازداد تأملا فيها تجلي له من باهر حكمها ، وعظيم تهذيبها للنفوس ما يملأ نفسه يقينا بانها رحمة مهداة من رب العالمين .
ولقد جمع اصول العبادات قوله صلى الله عليه وسلم : « بني الاسلام على خمس ، شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » رواه البخاري .
الصلاة : فانظر الى الصلاة وما فيها من شرف الوقوف بين احكم الحاكمين ، يناجيه بكلامه القديم ، ويثني عليه بما هو اهله وهو يعلم انه سميع له وبصير به ، ويخصه بالعبادة

فلا يخضع لغيره ، ولا يطلب المعونة الا منه ، ويستلهمه الهداية والتوفيق ، حتى يكون مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

كل ذلك وهو يقبل على ربه ، وربه راض عن عمله اذ كان امتثالا لأمره ان هذا المقام يسمو بالنفس الى اعلى ذروة العز ، ويحررها من ربقة المذلة والخنوع ، فاذا شعر بذلك الجلال ، وهذه العزة فركع تنظيما لخالقه ، ثم انتهض له قائما مرفوع الرأس ثم خر ساجدا شاكرا لسيده ، ان لم يجعل عليه حق العبودية لغيره ، فقد وضع نفسه في المنزلة التي تليق بها ، من الخضوع لخالقها وحده ، والاعتزاز بنعمته ، فيدعوه ذلك الى امتثال أوامره واجتناب منهياته : **(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** العنكبوت / ٤٥ .

ومن ثم فقد طلب من الانسان لهذا الموقف الجليل ، ان يكون نظيفا طاهرا ، فيزيل عن بدنه وثوبه ومكان عبادته ، ما يكون قد اصاب ذلك من النجاسات ، حتى يدخل تلك العبادة وهو اهل لشرف الدخول فيها .

الزكاة :

هذا الركن من اركان الاسلام من أيمن ما شرع الله ، لما تضمنته الزكاة من بث روح الرحمة بين الناس وتعاونهم في الحياة بما لا ضرر فيه لاحد منهم ، فهو المزيل لضغائن النفوس وأحقادها ، والمقرب بين القلوب ، والمقوي للروابط بين طبقات الناس ، وهي جزء قليل يخرجه الغني من ماله الكثير ، عبارة عن ربع العشر ، فيجبر به قلوبا كسيرة ، ويرفه عن نفوس تعسة فتكون رسول سلام وداعي محبة ، وتقوية لرابطة الامة حتى تصير بها كتلة واحدة ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، بل كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الاعضاء بالحمى والسهر وروى عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « السخاء شجرة اصلها في الجنة واغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى الجنة وان البخل شجرة أصلها في النار واغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى النار » .

الصوم :

هو مطهر للأجسام ، مهذب للنفوس ، قامع للشهوات ، مرب لخلق الأمانة ، اذ لا رقيب فيه ، غير ربه ، ويقوي الارادة والعزيمة وخلق الصبر ، ولا تستغني الصحة عنه ، يذكر المرء بنعمة الله عليه .

يعطف موفور النعمة على فاقدها ، حين يحس مرارة الجوع وألم المسغبة ، فتلحقه الشفقة .

فريضة فرضت في الاسلام كما فرضت في الشرائع السابقة من لدن ادم عليه السلام قال تعالى : **(كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** . البقرة / ١٨٣ .

وانا لنجد بعض الناس يأخذ نفسه بالصوم ، اختيارا اياما معدودات ليصل الى تطهير امعائه من تراكم الاغذية ليصفي نفسه ويحوي مداركه ، فكيف وقد امر به احكم الحاكمين واعلم العالمين .

الحج :

هو خامس اركان الاسلام ، وهو الوسيلة لتعارف الأمة وفرصة تلاقيها في كل عام مرة ، في صعيد واحد ، يشعر كل شعب بأخوته في الدين لباقي الشعوب فهو يقوي أواصر الاتحاد ويذكر بيوم الحشر ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، مجردين من زخارف الدنيا ، ليس معهم احد الا عمله ، وما قام به من شكر او كفران ، والذكرى تنفع المؤمنين فيزداد المطيع طاعة ، ويرعوى العاصي عن عصيانه ، وفيه تجديد لذكريات المقربين الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، فتجد النفوس رغبة في التأسي بهم والسير على سننهم .

هذه هي الاركان الاساسية للاسلام ، وهي العبادات المطلوبة من كل مسلم متى وجد الى أدائها سبيلا .

فضائل الاسلام :

لقد أمرنا الدين الحنيف بالتراحم والتعاطف ونبهنا الى ما بيننا من روابط يجب تقديسها فقال جل شأنه : (**انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم**) الحجرات / ١٠ ـ ١٢

فانظر الى ما بدأ به من تقرير الاخوة بين المؤمنين ، يرتب عليها الاصلاح بينهم ، ثم يردفه بالأمر بتقوى الله ، ويرتب عليه انه باب لرجاء الرحمة العامة ، ثم ينههم بعد ذلك الى اقتلاع اسباب الفساد التي تتسرب الى الناس ، وهم في غفلة من عواقبها ، وهي سخرية بعضهم من بعض ، وما اجمل ما يعلل النهي عن السخرية بما يعود على المؤمن بمحاسبة نفسه والنظر الى ما فيها من نقص يجب ان يعني بتكميله ، بدل الخوض في عيوب غيره والسخرية منه ويتوضح ذلك بجلاء في قوله تعالى : (**عسى ان يكونوا خيرا منهم**) ثم اردف هذا بسد الباب واغلاق منافذ الشر فنهى عن اللمز والتنابذ بالالقاب وجعله من الظلم البين .

انظر الى الترغيب في الأمر بالحسنى في قوله تعالى : (**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**) فصلت / ٣٤ .

التأمين وبديله فى نظر الإسلام (١)

التأمين عند فقهاء القانون

للدكتور / شوكت عليان

تعريف التأمين :

التأمين لغة : الأمن وهو ضد الخوف وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف ويقال أمن - كفرح - أمنا وأمانا وأمنة وأمنه تأمينا وائتمنه واستأمنه ، وكلها بمعنى واحد ومنه قوله تعالى (مالك لا تامنا على يوسف) يوسف/١١ .

التأمين عند القانونيين :

عرف القانونيون التأمين بتعريفات مختلفة ، من هذه التعاريف ما قاله بعضهم : إنه عقد يتعهد بمقتضاه شخص : يسمى المؤمن بأن يعوض شخصا آخر يسمى المؤمن له ، عن

خسارة احتمالية يتعرض لها هذا الأخير ، مقابل مبلغ من النقود : هو القسط الذي يقوم المؤمن له بدفعه إلى المؤمن .

وهذا التعريف ، وإن كان له صبغته القانونية : باعتباره عقدا يتم بين المؤمن له والمؤمن ، فقد يصدق على الرهان ، ففيه يلتزم أحد المتراهنين ان يؤدي إلى المتعاقد الآخر مبلغا من المال ، في حالة وقوع الحادث او تحقق الخطر المبين بالعقد .

ويقول الفقيه الفرنسي هيمار : إن التأمين ، هو عملية بمقتضاها يحصل أحد الأطراف ـ المستأمن ـ لصالحه ـ أو لصالح الغير حالة تحقق خطر ما ـ على اداء من طرف آخر ـ المؤمن ـ الذي يأخذ على عاتقه مجموعة من الاخطار يقوم بالمقاصة بينها ، وفقا لقوانين الاحصاء ، مقابل اداء من المستأمن : هو القسط .

وهذا التعريف يتميز عن سابقه ، وذلك : لاشتماله على اهم دعامة يقوم عليها هذا العقد ، وهي : توزيع الخسائر بين المؤمن لهم ، بجانب بيانه للعلاقة بين المؤمن له والمؤمن ، فضلا عن أنه ينطبق على جميع أنواع التأمين ، فهو يجمع العنصرين القانوني والفني .

أقسام التأمين :

تنقسم عمليات التأمين إلى أربعة اقسام رئيسية هي :

١ ـ التأمين البحري
٢ ـ التأمين من الحريق
٣ ـ التأمين على الحياة
٤ ـ التأمين من الحوادث .

وكل قسم من هذه الأقسام ينقسم بدوره إلى عدة فروع ، وهي وإن كانت تختلف في التفاصيل العملية ، إلا أن لها خصائص مشتركة ، وفيما يلي عرض موجز لهذه الأقسام الرئيسية .

القسم الأول : التأمين البحري :

وهو كما يعرفه فقهاء القانون : عقد بمقتضاه يقبل الشخص ـ المؤمن ـ أن يعوض الشخص الآخر ـ المستأمن ـ عن ضرر يتحمله بمناسبة رسالة بحرية ، ويتمثل في خسارة حقيقية في قيمة الشيء ، وذلك مقابل قسط وفي حدود مبلغ معين لا يمكن أن يجاوز قيمة الأشياء الهالكة .

وقيل هو : عقد بمقتضاه يقبل المؤمن أن يعوض المستأمن عن ضرر يتحمله بمناسبة رسالة بحرية نتيجة أخطار معينة في حدود المبلغ المؤمن عليه ومقابل سداد القسط .

وقال بعض القانونيين : هو عقد بموجبه يتعهد المؤمن ، في مواجهة المستأمن مقابل مبلغ معين يسمى القسط ، بأن يعوض الأضرار التي تصيب المستأمن نتيجة تحقق خطر من الأخطار البحرية ، ، فهو ضمان للأشياء ضد الأخطار البحرية التي تعتبر بحق : الطابع المميز للتأمين البحري .

ويلاحظ في هذا الأخير : انه يجعل الخطر البحري أساس التأمين البحري وعليه ، فيكون محل التأمين أخطارا بحرية فلهذا سمي : بالتأمين البحري .

أنواع التأمين البحري :

يمكن تقسيم الأنواع الهامة لعقود التأمين البحري إلى نوعين :

النوع الأول : ويشمل عقود التأمين على أجسام السفن ، وهي عقود تضمن تغطية الأخطار التي تلحق بجسم السفينة ذاتها ، والأخطار التي تتعلق بمسئولية مالك السفينة ذاتها ، كالتأمين على أجرة الشحن أو المدفوعات التي يلتزم بها المالك ، او التأمين من المسئولية المدنية الناشئة من حوادث التصادم .

النوع الثاني : ويشمل عقود التأمين على البضائع وهي عقود تضمن تغطية الأضرار التي تلحق بالبضائع المنقولة ، كالتأمين على الطرود في البريد وأمتعة المسافرين .

أغراض التأمين البحري : للتأمين البحري عدة أغراض أهمها :

١ ـ تعويض أصحاب السفن عن الخسائر التي تلحق بهم بسبب غرق سفنهم ، ، أو عن الضرر اللاحق بهم نتيجة عطل ـ خلل ـ لحق بالسفينة .

٢ ـ تغطية الأخطار التي تتعرض لها السفينة أثناء قيامها ورسوها ، وكذا تجربتها وإصلاحها .

٣ ـ تعويض أصحاب السفن عن المبالغ التي يلتزمون بدفعها بسبب مسئوليتهم الناجمة عن استخدام هذه السفن .

٤ ـ تعويض أصحاب الشحنات البحرية عن أجور الشحن .

٥ ـ تعويض أصحاب الشحنات البريدية في حالة فقدها أو حدوث أضرار بها أثناء نقلها بالسفن .

القسم الثاني : التأمين من الحريق : وهو عقد يتعهد بموجبه المؤمن بتعويض الأضرار الناشئة عن الحريق في ظروف معينة ، طبقا للشروط المقررة في العقد المبرم في حدود مبلغ التأمين ، وذلك مقابل قسط يدفعه المستأمن بقدر نسبة الخطر المعرض له موضوع التأمين .

أنواع التأمين من الحريق وأغراضه :

اتسع نطاق التأمين من الحريق في السنوات الأخيرة وأصبح لا يقتصر فقط على تغطية مجرد أخطار الحريق ، بل امتدت التغطية إلى ضمان أشياء أخرى أهمها :

١ ـ عقود تأمين الأخطار العادية ، وتغطي أخطار الفقد أو التلف الناشيء عن الحريق والصواعق ، سواء من مباني أو محتوياتها ، بالاضافة إلى تأمين فقد إيجار المبنى في حالة عدم إمكان شغله بسبب الحريق ، وكذا أتعاب المهندسين وخبراء المعاينة التي تنفق في حالة ما إذا تقرر إعادة تشييد

المبنى إلى حالته الأصلية .

٢ ـ عقود تأمين من خطر ضياع الأرباح المتوقعة ، وتضمن تغطية الخسائر التي تنشأ نتيجة الحرمان من الأرباح بسبب وقوع الحريق ، بما فيها الزيادة في مصاريف التشغيل .

٣ ـ عقود تأمين أخطار غير عادية ، والغرض من هذه العقود : تغطية أخطار الشغب والاضطرابات وأخطار الانفجارات والعواصف والأعاصير وانفجار خزانات المياه وأنابيبه ، والأضرار التي تتسبب فيها السيارات والدواب وأخطار الزلازل .

٤ ـ عقود تأمين شامل : وهذه العقود تعتبر من عقود التأمين من الحريق الحديثة العهد ، وهي تضمن تغطية جميع الأخطار التي تتعرض لها المساكن الخاصة ومحتوياتها .

ويختص قسم الحريق في بعض مؤسسات التأمين باصدار مثل هذه العقود كما قد يختص قسم الحوادث في بعض مؤسسات التأمين باصدار مثل هذا النوع أيضا ، وفي جميع الأحوال يتم توزيع أقساط التأمين الشامل بين قسمي الحريق والحوادث .

القسم الثالث : التأمين على الحياة : وهو عقد يتعهد بمقتضاه المؤمن أن يؤدي مبلغا جملة واحدة أو في صورة ايراد مرتب الى المؤمن له ـ المستأمن ـ إذا تحقق حادث احتمالي يتصل بحياة المؤمن له او بموته ، وذلك في مقابل اقساط سنوية او قسط وحيد يدفعه المؤمن له للمؤمن .

أنواع التأمين على الحياة وأغراضه :

١ ـ عقد التأمين لمدى الحياة ، وهو عقد بمقتضاه يدفع مبلغ التأمين عند وفات الشخص المؤمن عليه ، وتدفع أقساط التأمين إما مرة واحدة عند التعاقد على صورة قسط وحيد ، وإما طوال مدة حياة الشخص المؤمن عليه ، وفي بعض الأحيان أثناء مدة معينة من حياته .

٢ ـ عقد تأمين مختلط ، وهو عقد بمقتضاه يدفع مبلغ التأمين عند وفاة الشخص المؤمن عليه خلال مدة التأمين ، أو في نهاية لتلك المدة إذا كان ما يزال على قيد الحياة .

٣ ـ عقود المعاشات : وتتعدد عقود المعاشات إلى أكثر من صورة ، فمنها عقود المعاشات لمدى الحياة المباشرة أو المؤجلة ، ومنها عقود المعاشات المحددة المدة والتي يستمر سداد دفعات المعاش إلى المستفيد خلال فترة محدودة ، او إلى ورثته في حالة وفاته خلال تلك الفترة .

القسم الرابع : التأمين من الحوادث : ويعتبر هذا القسم من اوسع انواع التأمينات فهو يشمل :

١ ـ التأمين من الحوادث الشخصية ، ويضمن هذا النوع من التأمين دفع مبالغ معينة أو مبالغ دورية أسبوعية في حالة إصابة الشخص المؤمن عليه نتيجة حادث .

٢ ـ التأمين من خيانة الأمانة : : ويهدف هذا النوع من العقود إلى تعويض صاحب العمل عن الخسائر في الأموال التي تلحق به نتيجة لسرقة او اختلاس او تبديد يقع من جانب عماله ومستخدميه .

٣ ـ التأمين من المسئولية المدنية : والغرض من هذا تعويض المؤمن له عن المبالغ التي يلتزم بدفعها قانونيا للغير في حالة إصابته باصابات جسمانية ، أو ما إذا أصيب بخسائر في ممتلكاته نتيجة لأهماله ، او إهمال من هو مسئول عنه قانونا ، أو نتيجة لعيوب في مباني يمتلكها أو مصنع أو آلات .

وهذا النوع من التأمين يتضمن عدة أمور :

أ ـ التأمين من حوادث المصاعد الكهربائية ، ويغطي هذا التأمين المسئولية المدنية لملاك المباني التي تنشأ بسبب الاصابات الجسمانية أو الأضرار المادية التي تصيب سكان المباني أو زوارها ، أو تصيب أي شيء آخر أثناء استعمالهم المصاعد الكهربائية .

ب ـ التأمين بالنسبة لأصحاب المباني والمقاولين : ويغطي هذا التأمين المسئولية التي يتعرض لها هؤلاء نتيجة خطأ من جانبهم أو تابعيهم أو عامل من عمالهم ، وهو حال قد ينشأ عنه أضرار جسمانية أو مادية تصيب الغير وذلك أثناء عملية إنشاء المباني أو هدمها أو إصلاحها .

جـ ـ التأمين للأخطار المهنية : ويغطي هذا التأمين مسئولية المؤمن له المدنية قبل عملائه إذا وقع منه خطأ غير متعمد أو إهمال أثناء مزاولته مهنته وترتب على هذا الخطأ أو الاهمال إصابة الغير بأضرار جسمانية أو مادية .

د ـ تأمين المسئولية عن حوادث السيارات : وتنقسم عقود تأمين السيارات إلى أربعة أقسام رئيسية بحسب الشيء موضوع التأمين .

عقود تأمين السيارات الخاصة .

عقود تأمين السيارات التجارية .

عقود تأمين السيارات الحائزة على رخص تجارية .

عقود تأمين الموتوسيكلات .

والغرض من التأمين على السيارات عموما أمران :

الأول : تغطية الخسارة المالية التي تنشأ عن فقد أو تلف السيارة المؤمن عليها .

الثاني : تعويض الغير عما يصيبهم من أضرار في ممتلكاتهم أو أرواحهم بسبب استعمال السيارة المؤمن عليها .

٤ ـ أنواع أخرى من التأمين : ويدخل تحت فرع التأمين من الحوادث أيضا عقود التأمين ضد خطر كسر الزجاج ، وعقود تأمين العواصف الثلجية ، وعقود تأمين الماشية ، وتلف المزروعات ، ثم التأمين من خطر السرقة ، وتأمين الدين .

وفرق بين تأمين الدين والتأمين على حياة المدين ، فالأول : يعني التأمين

على شيء ، والثاني : تأمين على الحياة ، ففيه يؤمن على نفسه لصالح الدائن .
أما أخطار الطيران ، فقد أفردت لها عقود تأمين خاصة ، والغرض منها في جملتها : تعويض أصحاب الطائرات عن الخسائر المالية التي تلحق بهم نتيجة لفقد أو تلف طائراتهم بسبب السرقة أو ارتطامها بالأرض أو نتيجة للمسئولية المدنية نحو الغير التي تنشأ بسبب استخدام هذه الطائرات ، بما في ذلك المسئولية المدنية نحو الركاب .

أركان عقد التأمين

الأركان : جمع ركن ، وركن الشيء : جانبه الأقوى ، وقيل ، ركن الشيء : ما يتم به وهو داخل فيه ، بخلاف شرطه فهو : خارج عنه .
والعقد : ربط أجزاء التصرف بالايجاب والقبول ، وقيل هو تلاقي إرادتي العاقدين واتفاقهما على إنشاء عقد معين ، وهذا الاتفاق يتضمن رغبة العاقدين فيه ، ورضاءهما به .
ويقصد بعقد التأمين : اتفاق مشروع بين طرفين على شروط وأوضاع محددة . والعناصر الأساسية في عقد التأمين .
١ ـ المؤمن : وهو الطرف الذي يأخذ على عاتقه التعويض عند تعرض الطرف الآخر للحادث أو الكارثة ، والمؤمن الذي يزاول التأمين يختلف تبعا لاختلاف الدول وأنظمتها ، ففي الدول الاشتراكية حيث التأمين مؤمن : فان مؤسسة التأمين الحكومية هي التي تقوم بأعمال التأمين ، أما في الدول الرأسمالية ، فان سوق التأمين موزع بين الشركات والهيئات والوكالات ومؤسسة « لويدز » العالمية ، وغالبا ما يجري التأمين بواسطة سماسرة يقومون بدور الوسطاء ، مقابل عمولة يحصلون عليها من مكتب التأمين ، وقد يتفاوض المتعاقد على التأمين في إبرام عقد التأمين مع المؤمن الذي يختاره مباشرة .
المؤمن له : وهو الطرف الذي يلتزم بدفع مقابل التأمين للمؤمن وهو القسط او الاشتراك او الدفعة المالية ، لقاء تمتعه بحماية التأمين ، وذلك عن خطر أو حادث يخشى وقوعه ، وأحيانا يكون المؤمن له فردا أو عدة أفراد أو شخص معنوي ، ويسمى الشخص الذي يطلب التأمين خلال فترة التفاوض لابرام عقد التأمين وحتى بدء سريانه بالمتعاقد وبعدها يصبح المتعاقد هو المؤمن له .
٣ ـ الايجاب والقبول : ويأتي الايجاب من جانب طالب التأمين ، ويجب أن يبلغ هذا الايجاب إلى المؤمن ، ثم القبول ولا بد أن يكون مطابقا للايجاب ، ونعني بالمطابقة هنا اتحاد إرادتي المتعاقدين ، والقبول في عقد التأمين ، مجرد إذعان لما يمليه الموجب ، أي أن : القابل للعقد لم يصدر قبوله : بعد مناقشة ومفاوضة بل لا يزيد موقفه من الموجب عن القبول أو الرفض .

وكما يتم التعاقد بين حاضرين ـ سواء تم هذا بينهما مباشرة أو بواسطة نائب عنهما ـ يتم أيضا بين غائبين وذلك بالمراسلة كالبرق والبريد وغيرها .
ولا يتعين في القبول أن يكون فورا عقب الايجاب ، بل إن العقد ينعقد متى صدر القبول قبل افتراق المتعاقدين ، وما دام لم يصدر من الموجب ما يدل على عدوله عن الايجاب .
وفي حالة التعاقد بالمراسلة لا يكون للقبول أثره حتى يتم إخطار طالب التأمين به ، ويقوم المؤمن باخطار طالب التأمين بقبوله العرض .
٤ ـ **محل العقد :** ومحل العقد هو الشيء المعقود عليه ، ففي عقد البيع مثلاً يتم التعاقد على المبيع نظير عوض الثمن ، فكأن المبيع : هو محل البيع ، وكأن الثمن عوض المبيع ، وفي عقد الايجار فان منفعة العين المستأجرة هي محل العقد .
والمحل في عقد التأمين : يتمثل في القسط ، والخطر ، ومبلغ التأمين .
اما القسط : فهو المقابل المالي الذي يدفعه المؤمن له للمؤمن مقابل تحمل الآخر خطرا وهو المؤمن منه ، وعليه يتضح من هذا الذي تقدم : ان لقسط التأمين علاقة وثيقة بالخطر المؤمن منه ، فقسط التأمين يحسب على اساس درجة الخطورة ، وغالبا ما يكون على دفعات سنوية ثابتة ، لا تتغير إلا بتغير الخطر ، ويكون بنسبة مئوية ، ويشمل القسط عادة : قسط الخطر زائدا التكاليف والمصاريف الادارية ، زائدا العمولات التي تمنح للمنتجين والمكاتب والوكالات زائدا نسبة بسيطة للأرباح .
وأما الخطر : فهو الحادث المحتمل الوقوع الذي توقف على أمر ما ، والغرض من التأمين : هو التأمين من خطر أو حادث يتهدد الشخص ويحتمل وقوعه ، فاذا ما تحقق هذا الخطر ووقع الحادث سمي : كارثة ، والخطر أنواع ، فمنه : ثابت ، ومنه ، متغير ، ومنه : المعين والغير معين .
وأما مبلغ التأمين : فهو المبلغ الذي يتفق عليه مقدما ليكون أساسا للتعويض الذي يقوم بدفعه المؤمن إلى المؤمن له ، في حالة حدوث الكارثة التي هي محل التأمين ، كموت المؤمن له أو احتراق المنزل المؤمن عن الحريق ، وهناك ارتباط وثيق بين قسط التأمين ومبلغ التأمين ، حيث ان قسط التأمين يحسب على أساس مبلغ التأمين ، وكلما كان مبلغ التأمين كبيرا : ارتفع قسط التأمين .
وأما المصلحة التأمينية : فتعتبر ضمن محل عقد التأمين : وهي عبارة عن علاقة بين المؤمن له والحدث المؤمن منه ، بمقتضاها يعاني المؤمن له خسارة ، إذا تحقق الحدث المؤمن منه .
ولا تظهر أهمية اشتراط المصلحة عنصرا في التأمين على الأشخاص ، إلا في حالة التأمين على حياة الغير ، وفي هذه الحالة : يجب أخذ موافقة الغير على إجراء مثل هذا التأمين .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقــدم باقــة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المســلم اكــرم زاد مــن الهــدى المحمدي .

عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم من سفر ، فنظر إلى جدرات المدينة ، اوضع راحلته ، وإن كان على دابة حركها من حبها) .

رواه البخارى

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يحب المدينة ، لأنها البلد الطيب ، الذي هاجر اليه ، وكان بها أنصاره ، وعلى أرضها قامت الدولة الاسلامية ، شامخة البنيان ، وطيدة الأركان ، وقد دعا الله تعالى ، أن يلقى محبة المدينة في قلبه وقلوب أصحابه ، فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » ، وكان إذا غاب عنها مدة ، ثم عاد اليها ، فنظر إلى معالمها ، أسرع اليها فحرك دابته ، أو أوضع بعيره أو ناقته ، أي حركها لتسرع ، شوقا الى دخول مدينته المباركة (والايضاع مخصوص بالبعير) .

عن أنس رضى الله عنه قال : (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابها فرحا لقدومه) .

ـ رواه ابو داود واحمد وإسناده صحيح

حقا .. لقد فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله عليهم ،فقد غمرهم السرور ، وأحسوا بالنور يملأ فجاج المدينة ودورها . ففي رواية للترمذي ، عن أنس رضى الله عنه قال : « لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله المدينة أضاء منها كل شيء ...

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

(لا بأس ببول الحمار وكل ما أكل لحمه)

موضوع :
قال ابن حبان إنه باطل :
وقال ابن عدى حديث باطل ولم يروه إلا يحيى بن عنبسة وهو دجال .
وقال البيهقي في سننه هذا حديث باطل ويحيى بن عنبسة متهم بالوضع .

(لا يجتمع على مؤمن خراج وعشر) .

موضوع .
قال السيوطي موضوع لأن من رواته أسحق بن محمد بن أبان ، وموسى بن عبد الرحمن النخعي وهما مجهولان .
وقال الشوكاني : إنه موضوع لأن في اسناده مجهولين .

روى أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأنشد بين يديه :

لسعت حية الهوى كبدي
فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به
فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقطت البردة عن كتفيه فتقاسمها فقراء الصفة وجعلوها رقعا في ثيابهم وقال : (ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب) .

موضوع .

قال أبن تيمية هذا الحديث كذب :

وقال سليمان بن عبد القوي الطوفي هو موضوع باتفاق أهل العلم .

ولم يكن في القرون الثلاثة لا بالحجاز ، ولا بالشام ، ولا بالعراق ، ولا خراسان من يجتمع على هذا السماع المحدث ، فضلا عن أن يكون ذلك حدث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم ينقل أن أحدا مزق ثيابه أو رقص في سماع .

وقال السخاوي ما روى في ذلك موضوع .

وقد أورد هذه القصة السهروردي في « عواف المعارف » ثم قال عقب القصة : (ويخالج سرى أنه غير صحيح ، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث ويأبى القلب قبوله) .

وإتهم الذهبي في (الميزان) عمار بن اسحاق بوضع هذه الخرافة .

العلم بين منهج الإسلام والنبوات السابقة

لقد عرفنا من دراستنا للقرآن الكريم أنه ما من نبوة قامت ، وأدت رسالتها ، وقامت بدورها على أكمل الوجوه وأقومها الا على قواعد العلم ووصاياه ، وتخطيطه وإنجازاته .

فحينما أراد الله استخلاف آدم عليه السلام ، وحدث من الملائكة ما يشبه الاعتراض والتذمر ، وما يفيد اقتناعهم بأنهم أولى منه في هذا الشأن وأكثر الخلق حرصا على تحقيق الأمن وصيانة الدم والمال والعرض ، وحماية المجتمع من الفساد والاضطراب ، عرفهم بأنه يعلم ما لا يعلمون ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وعلم آدم الأسماء كلها ، حتى يتضح السر في الاختيار ، والسبب في التفضيل ، وهو الفرق بين من يعلم ومن لا يعلم : **(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)** البقرة/ ٣٠ ـ ٣٣.

وما قامت الحجة لابراهيم على قومه الا على مدد من العلم ووضوح في البرهان كما تقرر الآية الكريمة الموضحة لذلك : **(وتلك حجتنا**

للاستاذ/حسيني عرابى عطوة

آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) الانعام/٨٣ .

وقد أيد القرآن الكريم ذلك في سورة مريم ضمن الحوار بين ابراهيم وأبيه : **(يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا)** مريم/٤٣ .

وينوه القرآن الكريم بعلم يعقوب عليه السلام فيقول : **(وإنه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** يوسف/٦٨ .

ويتحدث عن يوسف عليه السلام فيقول : **(ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين)** يوسف/٢٢ .

ولما أراد ملك مصر أن يتخذ من يوسف عليه السلام عونا له على تدبر شئون الحكم لما ظهر من سعة علمه وقوة أمانته ، اعتز بعلمه وتسامى بأمانته ، وقال فيما سجله القرآن الكريم وعبر عنه : **(قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم)** يوسف/٥٥ .

وقد وضحت أبعاد علمه بهذا التخطيط البارع الذى جنب شعبا عريقا هول مجاعة شملت معظم العالم آنذاك ، وبدقة خطته ساهمت مصر في سد حاجة العالم المحيط بمصر إبان تلك الازمة الجائحة وهو الذى أشارت إليه الآيات الكريمة : **(قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)** يوسف/٤٧ ـ ٤٩ .

ولولا طلب العلم والحقيقة ، لما تحمل موسى عليه السلام مشاق السفر الطويل مصطحبا معه فتاه « يوشع بن نون » عليه السلام شادا رحاله الى مجمع البحرين حيث يقيم العبد الصالح الذى عرف بأن عنده نوعا من العلم لا يعلمه ، وضربا من المعرفة غاب عنه ، محدثا فتاه بأنه لا يتوقف له ركب ولا يهدأ له رحل ، حتى يبلغ مكان هذا العالم الكبير ولو أنفق في سبيل الوصول الى غايته السنين الطويلة والآماد البعيدة كما قرر ذلك القرآن الكريم : **(وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا)** الكهف/٦٠ .

وقد تحمل المتاهة والتعب في غير يأس حتى وصل إليه وقال له في أدب وتواضع : **(هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا)** الكهف/٦٦ .

وقد أبرز القرآن الكريم قداسة العلم والحرص على طلبه والتزود منه ، فيما سجله من تحاور بين موسى كليم الله ونبيه العظيم وبين العبد الصالح ، فيما ظهر من شموخ العبد الصالح واعتزازه بلون من ألوان العلم ، حجبه الله عن نبى من أولى

العزم من الرسل ، حيث يقول له : **(إنك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا)** الكهف/٦٧ و ٦٨ .

وكيف ينتهى الحرص على اكتساب المعرفة بموسى عليه السلام بهذا التعهد المشروط بالصبر وعدم عصيان الأمر كما ورد في قوله تعالى : **(قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا)** الكهف/ ٦٩ .

ثم يرسم له ذلك العبد الصالح منهج طلب العلم : **(قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا)** الكهف/ ٧٠ .

وقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن علم سليمان وداود بما سجل في الآيتين ١٥ ، ١٦ ، من سورة النمل ، وفي الآيات من ٩ ـ ١٣ من سورة سبأ .

والقرآن الكريم سجل حافل ، ومورد زاخر يطول بنا البحث لو أستقصينا شواهده التى تثبت ارتباط الديانات السابقة بالعلم ، غير أن هذا الارتباط كان على توافق بما يراه الله سبحانه مناسبا لحاجة البشر من العلوم في هذه الفترات المرتبطة بأناس مخصوصين في ظروف خاصة وزمن موقوت .

ولما كانت رسالة الاسلام عامة ومستمرة مع الزمن المتتابع حتى تقوم القيامة كان ارتباطها بالعلم ارتباط حياة ووجود .

وكان الاسلام صيحة كبرى ، تسمعت لها آذان صم ، وتفتحت عليها أعين عمى ، واهتزت بها قلوب غلف ، فتبدل وضع العالم ، وتحركت همم العلماء ، وانطلق طلاب العلم ، في فجاج الأرض يبحثون ، ويجدون ويضيفون الى رصيد المعرفة الكثير الجديد ، وكلما وصلوا الى غاية تطلعت نفوسهم الى غايات أوسع ، وكلما داروا في أفق ، نادتهم آفاق أخرى منكرة لهم بمعلومة من معلومات الاسلام ، ومقولة من مقولاته ، ومقرر من مقرراته : **(وما أوتيتم من العلم الا قليلا)** الاسراء/ ٨٥

نعم إن الاسلام بحق ، كان ثورة على الجهل والتخلف ، وكان نارا على المعطلين لعقولهم الجامدين على ما ورثوا من آبائهم وأجدادهم ، وهم لا يطلون على الكون بما أودع الله فيهم من مواهب وما منحهم من ملكات ، واعتبر الاسلام هؤلاء بأنهم الوقود الذى تسعر به جهنم : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** الأعراف/ ١٧٩ .

وكانت الأيات الأول من القرآن الكريم تحمل طابع الاسلام وتعلن عن حقيقته ، فكانت حملا على التعلم ، وحفزا على طريق المعرفة وما حدث من جبريل عليه السلام بتكليف من ربه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبين بوضوح بأن الاسلام هو العلم ، وأن العلم هو الاسلام ، يقول جبريل

عليه السلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ** ، فيقول له : ما أنا بقارئ ، فيقول له مرة ثانية : فيجيب بما أجاب به أولا ، فتكون الثالثة مصحوبة بجذبة شديدة ، يضم بها النبى صلى الله عليه وسلم ثم يرسله ويقول : **(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** العلق/ ١ ــ ٥ .

وكانت هذه الآيات دفعا قويا على طريق العلم والمعرفة ، راسمة منهج الله في العلم في الاسلام بأنه باسم الله ، لا باسم الأوثان والأنصاب والأزلام ، ولا باسم الخرافات التى حطمت عقيدة التوحيد أساس دين النبيين جميعا ، وأثبتت أيضا بأن من عدا الله من النبيين والمرسلين والجن والملائكة وسائر الكائنات مخلوقون ، والله سبحانه هو الذي خلق ، وأنه هو وحده الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، وإنها لتحمل تنويها بشأن القلم ونتاجه ، وأنه في الاسلام أساس المجد الذى ينتهى بخير قمة ، قمة العلم والحكمة ، واهتمام الاسلام بالقلم وخطورته ، يظهر من قسم الله سبحانه : **(ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجرا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم)** القلم/ ١ ــ ٤ .

وهكذا ظلت آيات القرآن الكريم ، وسوره تتتابع على قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، نورا وإشراقا ، تكرم العلم وترفع العلماء وتحض على التعلم ، وتغرى بالتفانى في طلب الحقيقة والمعرفة ، فقد وردت كلمة العلم ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من (٧٧٨) ثمان وسبعين وسبعمائة مرة ، نذكر منها على سبيل المثال تزكية الله سبحانه للعلماء ، بأنهم الشهداء على وحدانيته وعدالته في خلقه بعد الله وملائكته : **(شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)** آل عمران/ ١٨ .

كما شهد لهم القرآن بعمق الفهم في كتاب الله سبحانه في قوله تعالى : **(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم)** آل عمران/ ٧ .

كما أن الآية تدل على شهادة قرآنية لهم بصادق الايمان وعظيم التفويض والاذعان ، إذا وقفت على لفظ الجلالة ثم بدأت التلاوة وقلت : **(والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب)** .

وقد شهد الله سبحانه لهم بأنهم هم الحفظة لأسرار القرآن الكريم ، وأن قلوبهم هي التى تستجلى حكمه وأهدافه ومبادئه كما يظهر من قوله سبحانه **(بل هو آيات بينات في**

صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) العنكبوت/ ٤٩ .

ومن قوله سبحانه : **(ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد)** سبأ/ ٦ .

وقد اختصهم الله سبحانه بالخشية منه بأى علم يحذقونه دينيا أو كونيا يقول الله سبحانه : **(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)** فاطر/ ٢٧ و ٢٨ .

ولقد استوعب القرآن الكريم قضايا الحياة ، وكشف مبهمها ، ووضح غامضها ، وبوب لسائر العلوم والمعارف ، ووضع القواعد التى ينطلق منها العلماء الى نوافذ الكشف والتنقيب على سائر العلوم والمعارف إذ أن القرآن الكريم تبلغ آياته في العد الكوفى (٦٢٣٦) ستا وثلاثين ومائتين وست آلاف آية منها (٧٥٠) خمسون وسبعمائة آية في الكونيات ، تتضمن أصولا وحقائق ذات صلة وثيقة بعلوم الفلك والطبيعة ، والأحياء والنبات ، وطبقات الأرض والزراعة والهندسة والتعدين والصناعة ، والتاريخ والجغرافيا ، ومنها ما يزيد على خمسمائة آية في الأحكام والتشريع والاقتصاد وإنشاء الدول والسياسة الخارجية والمعاهدات .. الخ .

وصدق الله سبحانه إذ يقول : **(ما فرطنا في الكتاب من شئ)** الأنعام/ ٣٨ .

وإذ يقول سبحانه : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)** المائدة/ ١٥ و ١٦ .

ولقد كان يكفى أن يشير القرآن الى العلم بوجه عام حتى يسير مع العقيدة جنبا الى جنب في توافق وتعاون ، ولكن نظرة الشمول في رسالة الاسلام ، وأنها الدين الدائم حتى تقوم القيامة ، والذى يجب أن يساير رقى البشر ، وحضارة سائر الأمم في أرق عصور التاريخ ما ظهر ، وما هو في طريقه الى الظهور ، كان لابد من الاشارة بقوة ووضوح لكل علم ظهر أو يظهر فيما بعد مما تتفتق عنه عقلية الأجيال القادمة ، حتى يحمل معه معجزتيه البلاغية التى أعجزت فحول البلاغة وأساتذة القول ، والعلمية التى سبقت وتحدت أعظم الكشوف العلمية الحديثة .

وكلما سارت مواكب العلم الى أفق جديد ، واستحدثت من العلوم والفنون ما يسمى بالمعجزات كلما تفتحت السبل الى موائد القرآن الكريم ، وتفتحت عيون العلماء على معجزاته العلمية التى تربطهم بالايمان وتشدهم الى الله سبحانه :

(قل أنزله الذى يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما) الفرقان/٦ .

ويقول الدكتور « كروبين » وكان ملحدا فهداه العلم : » إذا تأملنا هذا الكون وأسراره ، وعجائبه ونظامه ، ودقته وضخامته وروعته ، لابد أن نفكر في الله خالقه » ويقول « كريسى موريسون » العالم الأمريكي : « ودلل بكثير من الحقائق العلمية على أن الله بارئ الكون وخالق كل شئ » وما أروع تلك الآية الكريمة التى توضح تلك الحقيقة : **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد)** فصلت/ ٥٣ .

ولا نحاول الاستطراد في ذكر الآيات الكونية ، ولكننا سنستشهد بها في مواضعها بالنسبة لكل علم من العلوم في مقالاتنا القادمة ، بيد أنه لا يفوتنا أن نوضح المنهج الاسلامي في دراسته للعلوم والمعارف وقيامه على الحقائق التالية .

أولا : الاسلام يحرر العقول من الأوهام والأثرة العلمية والأنانية والجمود ، ويستجلى الحقائق عن طريق اليقين ، والبعد عن الظن مستشعرا الأمانة العلمية : **(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)** الاسراء/ ٣٦ .

ثانيا : الاسلام ينشد الحقائق العلمية ، وينبذ التعصب ، ويعتبر العلم شركة إنسانية تمحص وتحقق ، وتبنى ولا تهدم ، وتصلح ولا تفسد يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذى .

ثالثا : الاسلام يعتبر النجعة العلمية ، والرحلة الكشفية جهادا في سبيل الله سبحانه لخير البشرية يقول الله تعالى : **(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)** التوبة/ ١٢٢ .

رابعا : يحتفظ الاسلام بشخصيته العلمية ، فيقرأ ثقافة الآخرين ، ويأخذ منها ما يتفق مع عقيدته وصالح البشر أجمعين .

خامسا : يقدر الاسلام العلم والعلماء ويعتبر طلب العلم أعظم ما ينال به رضاء الله سبحانه ويؤجر الساعى إليه « من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له به طريقا الى الجنة » رواه مسلم .

سادسا : يحارب الاسلام الغرور العلمى ، ويعتبر ذلك أول الوهن والتدني إلى الفناء العلمى ، وقد وردت في القرآن الكريم آية تحفز همم العلماء في ميادين البحث وهى قوله تعالى : **(وما أوتيتم من العلم الا قليلا)** الاسراء/ ٨٥ .

ومن هذا المنطلق يعتبر الاسلام العلم وجودا له ، وتأكيدا للقيام بدوره في الحياة . هذا وبالله التوفيق .

مائدة القارئ

فضل .. وجزاء

قال تعالى : (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) .
الآية ٨٤ من سورة القصص

قول حكيم

قال حكيم : عاديت الأعداء فلم أر أعدى لي من نفسي ، وعالجت الشجعان والسباع فلم يغلبني إلا الصاحب السوء ، وأكلت الطيب ، وتزوجت الحسان فلم أر ألذ من العافية ، وأكلت الصبر ، وشربت المر ، فما رأيت أشد من الفقر ، وصارعت الأقران وبارزت الشجعان ، فلم أر أغلب من المرأة السليطة . ورميت بالسهام ، ورجمت بالأحجار ، فلم أر أصعب من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق ، وتصدقت بالأموال والذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذى ضلالة إلى الهدى .

المودة

قال أحدهم : مودة يوم صلة ، ومودة شهر قرابة ، ومودة سنة رحم ، من قطعها قطعه الله .

يقتل كل ليلة

عزم الحجاج على قتل رجل فهرب ، واستخفى منه ، ثم جاء إليه بعد أيام ، وقال : أيها الأمير اضرب عنقي . فقال له الحجاج : وكيف جئت ؟
قال : أصلح الله الأمير ، إني أرى كل ليلة أنك قتلتني ، فأردت أن أقتل مرة واحدة . فعفا عنه الحجاج .

جمل هزيل

طلب أحد الأدباء من أحد الوجهاء جملا ، فأرسل إليه جملا ضعيفا نحيفا ، فكتب الأديب إليه :
حضر الجمل فرأيته متقادم الميلاد ، كأنه من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبته العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما الله تعالى لنوح في سفينته ، وحفظ بهما جنس الجمال لذريته .

زوجة صالحة

روى ابن ماجة في سننه عن أبي أمامة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يقول :
ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة : إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله .

نادرة طفيلي

مر طفيلي على قوم عندهم وليمة ، فاقتحم عليهم المكان ، وأخذ مجلسه بين المدعوين ، فأنكره صاحب المنزل ، وقال له : لو تأنيت ، أو صبرت قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لأدبك ، وأعظم لقدرك ، وأجمل لمروءتك .

فقال : إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ، ووضعت الموائد ليؤكل عليها ، والحشمة قطيعة واطراحها صلة ، وقد جاء في الأثر : صل من قطعك ، وأعط من منعك ، وأحسن إلى من أساء إليك .

شيء محير

قال الشاعر :

وما أحد من السن الناس سالما ... ولو أنه ذاك النبي المطهر
فان كان مقداما يقولون أهوج ... وإن كان مفضالا يقولون مبذر
وإن كان سكيتا يقولون أبكم ... وإن كان منطيقا يقولون مهذر
وإن كان صواما وبالليل قائما ... يقولون زوار يرائي ويمكر
فلا تكترث بالناس في المدح والثنا ... ولا تخش غير الله والله أكبر

التربية الإسلامية

أهميتها ومنهج دراستها

لكل امة متحضرة تاريخها التربوي الطويل الذي تعتز به اعتزازها بتاريخها القومي وتاريخها الادبي والعلمي . ومعرفة هذا التاريخ يفيدها الى ابعد الحدود لانه يريها دائما خطواتها على طريق العلم والحياة .. ويمدها بالمزيد من التجارب والخبرات الحية المستفادة من عبر هذا الماضي الطويل بجوار انه يعطي لتلك الامم نوعا من الشعور بالذات والكيان الحضاري المستقل الضارب بجذوره في اعماق التاريخ ..

والأمة العربية – باعتراف الشرق والغرب أمة ذات حضارة قديمة – قد لعبت دورا مؤثرا في تطور الحضارة الانسانية ... وكان لها في ميدان

للاستاذ : عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب

العلم والتعليم شأن عظيم فمنذ جاء الاسلام وظهرت الدعوة المحمدية بدأت حركة تعليمية جديدة تشمل أرجاء العالم الاسلامي ، تمركزت تلك الحركة حول القرآن والحديث أولا ومازالت تتسع وتتسع على مر العصور حتى شملت جميع العلوم والفنون .

وان نظرة واحدة في كتاب مثل : « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » لطاش كبرى زاده لترينا صورة لما وصلت اليه المعرفة الاسلامية من خصب ، فقد تعددت فروع العلم الاسلامي حتى وصلت الى ثلاثمائة علم قسمها صاحب « مفتاح السعادة » الى ستة ابواب : العلوم الخطية وهي تنقسم الى تسعة علوم ، والعلوم المتعلقة بالألفاظ او العلوم اللسانية وهي اربعة واربعون علما ، والعلوم الباحثة عما في الاذهان من المنقولات وهي خمسة علوم . والعلوم المتعلقة بالأعيان وهي مائة واثنان وعشرون علما يدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة ، والعلوم الحكمية العملية وهي ثمانية علوم يدخل فيها الاقتصاد والتدبير المنزلي والتربية والأخلاق والسياسة ، والعلوم الشرعية ويزيد عددها عن نيف ومائة علم كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين .

اما حاجي خليفة في كتابه المسمى « كشف الظنون على اسامي الكتب والفنون » فقد امد الباحث بأثبات طويلة مرتبة ترتيبا ابجديا لأسماء المؤلفات العربية والمؤلفين العرب ، وسنجد شيئا من ذلك في مؤلفات اخرى مثل فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء للقفطي والاطباء لابن أصيبعة وغيرها من كتب التراجم والاعلام العربية ..

ويدعم هذا كله تلك الكثرة الهائلة من المكتبات الكبرى في مصر والعراق والاندلس وبلاد ما وراء النهر تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات وتفتح ابوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمي التي كانت تحتوي على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة او دار العلم للحاكم بأمر الله ، وكانت

أبوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ . ومكتبة الصاحب بن عباد الذي ملك من الكتب ما يقدر حينئذ بما كان في مكتبات اوروبا مجتمعة ومكتبة نوح ابن منصور الساماني ببخارى التي يقول عنها ابن سينا « فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض في كل بيت منها كتب العربية والشعر والفقه ، وكذلك في كل بيت علم مفرد ، فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت اليه منها ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته ايضا من بعد وقس على ذلك سائر المكتبات الاسلامية في كل مكان » .

والذي نريد أن نخلص اليه من هذا كله ، أن هذا التراث الهائل الذي خلفه لنا علماء هذه العصور الاسلامية الناهضة وهذا العدد الهائل من العلماء والأدباء وتلك العلوم والفنون المتعددة لا بد ان تعني ان هناك تربية عربية مقصودة وليس من المعقول أبدا أن يتم هذا كله بدون قصد وبدون عملية تعليمية ذات مناهج وبرامج واجراءات تربوية محددة .. بل ان الواجب علينا ان نبحث عن تلك « التربية الاسلامية » التي انتجت لنا هذه العلوم جميعا .. وهؤلاء العلماء الكثيرين .

وللأسف فنحن في معاهدنا التربوية وفي كليات التربية العربية وفي القرن العشرين ما زلنا نجهل امر هذه التربية العربية .. وما زلنا نجهل تاريخها على مر العصور .. وان الطالب العربي ليدرس في تلك الكليات والمعاهد تاريخ التربية على مر العصور عند اليونان والرومان وفي العصور الوسطى والحديثة في اوربا وفي الشرق والغرب .. وتلقى عليه اسماء اعلام التربية والآراء التربوية لكل منهم .

اما تاريخنا التربوي فامر غير وارد وغير معروف .. واذا ورد ففي اجمال شديد يظهرنا أمام طلابنا بمظهر غير كريم ..

ولهذا ارى من الواجب علينا ان نحاول كتابة تاريخنا التربوي على مر العصور .. وارى ان الواجب الأول لكليات التربية ومعاهدها في العالم العربي ان تتصدى بايمان ونزاهة لكتابة مثل هذا التاريخ التربوي حتى يأتي اليوم الذي يدرس فيه الطالب العربي في تلك المعاهد .

تاريخ التربية العربية مرتبا منسقا على مر العصور ... ويدرس اعلام كل عصر والآراء التربوية السائدة فيه .. وان يوما يتحقق فيه ذلك بدون شك لهو يوم عزة وفخار وايمان بالماضي وتطلع الى المستقبل مع الوعي العميق بكل تجارب الآباء والاجداد في هذا الميدان .. « ميدان التربية والتعليم » ..

المنهج العلمي لدراسة التربية العربية :

ولقد ظهرت في العالم العربي بعض البحوث التي تتناول التربية العربية مثل الدراسة التي قام بها خليل

طوطح في اطروحته « التربية عند العرب » واسماء فهمى في رسالتها « مباديء التربية الاسلامية » واحمد شلبي بكتابه « تاريخ التربية الاسلامية » واحمد فؤاد الاهواني برسالته « التربية في الاسلام او التعليم في رأي القابسي » وغيرهم كثيرون .. وهي كلها دراسات مفيدة الى ابعد الحدود في لفت انظار الباحثين الى تلك الناحية بالذات من تراثنا التربوي والتعليمي ...

وعندما ننظر الى امثال هذه المؤلفات نجد اغلبها يتناول التربية الاسلامية مرة واحدة دون تفرقة بين عصر وعصر .. وبين مفكر وآخر فالاستاذ خليل طوطح يرى ان التعليم عند المسلمين كان يرمي الى اربعة اغراض : غرض ديني يقصد الى تعليم الناس آداب الشريعة والفقة في الدين والتأدب بآداب القرآن والسنة ... وغرض اجتماعي يهدف إلى نيل المكانة في المجتمع اذ العلم شرف لصاحبه يرفع قدره بين الناس درجات ودرجات ، وغرض عقلي بحت بقصد العلم لدراسة العلم لما في ذلك من متعة عقلية ولذة روحية لا تقدر بغيرها من الملذات ، وغرض مادي او نفعي لكسب الرزق .. ويضيف محمد فوزي العنتيل لتلك الاغراض العامة غرضا خامسا وهو الغرض الحزبي او السياسي ويستدل على ذلك بما فعله الفاطميون من إنشاء الأزهر للدعاية للمذهب الفاطمي ثم الحركة التربوية المناهضة لذلك على يد صلاح الدين الايوبي اذ قام بانشاء مدرسة للشافعية واخرى للمالكية لتأييد المذهب السني ، وقد فعل مثل ذلك نظام الملك الذي هدف من فتح المدارس الكثيرة الى تأييد المذهب السني .

وعندما نتأمل تلك الاغراض العامة للتربية الاسلامية نرى انها مستمدة من شتى الكتب العربية وعلى مختلف العصور مثل « تعليم المتعلم » للزرنوجي ، « جامع بيان العلم » لابن عبد البر ، « احياء علوم الدين « للغزالي » « كشف الظنون » لحاجي خليفة ، « مفتاح السعادة » لطاش كبرى زاده ،، ورسائل اخوان الصفا ، ومؤلفات ابن سينا اي انها تمثل الاتجاهات الفكرية المختلفة التي سادت الفكر الاسلامي على مر العصور ، كما انها تمثل ايضا العصور الاسلامية المختلفة وكأنها امتداد واحد اتحدت ظروفه والقوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشكل فكره التربوي ....

ورغم اننا لا بد ان نقدر لهؤلاء الباحثين مثل هذا الجهد العلمي العظيم الذي شاركوا به في خدمة تاريخ التربية العربية الا اننا نلفت النظر الى ان المنهج الصحيح لدراسة التربية الاسلامية لا بد ان يفرق بين التربية الاسلامية على مر العصور .. اذ ان الفكر التربوي الاسلامي لم يكن من بدايته الى نهايته فكرا جامدا بل انه خضع لكل ظروف التطور وعوامل التطور وعوامل التغير

والافضــل أن تدرس تلك التربيــة الاسلامية كاتجاهــات تربويــة او مدارس مستقلة في التربية والتعليم كاتجاه فلسفي واخر صوفي وثالث سني وهكذا .. او تدرس التربيــة الاسلامية عند كل فيلسوف او مفكر عربي على حدة وتعرض آراؤه التربوية والتعليمية فيدرس الغزالي مثــلا .. وابن سينا .. وابن خلدون .. الخ او تقسم تلك التربيــة الاسلاميــة الى فترات زمنية وحضارية وتدرس كل فترة على حدة .. فتدرس التربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين ثم في العصر الاموي فالعباسي وهكذا ..

ولن نستطيع ان نزعم حقا اننا قد ارخنا للتربية العربية الا اذا وجدت عندنــا هذه الانــواع الثلاثــة من الدراسات بحيــث تغطــى التربيــة العربية وتعالجها من جميع زواياها . الزاوية التاريخية .. والزاوية التــي تركز على أعلام التربية الاسلامية في جميع العصــور وتــدرس آراءهــم التربوية من كتاباتهم .. والزاويــة التي تظهــر الاتجاهــات التربويــة والتعليميــة او اذا شئــت المدارس المختلفة للتربية العربيــة كمدرســة الصوفية .. ومدرسة الفلاسفــة .. ومدرسة الفقهاء .. ومدرسة علمــاء الكلام وهكذا .. اذ كان لكل مدرسة اسلامية نظرياتها في المعرفة والاخلاق والانســان والمجتمــع واساليبهــا ومناهجها التربوية الخاصة بها ..

فاذا تحقق لنا ذلك اصبح لنــا بالفعل تاريخ تربوي نقرؤه ويقرؤه الطلاب في مدارسهم ومعاهدهم بجوار التاريخ التربوي للغرب الذي يدرسونه مفصلا وموضحــا اشــد ما يكون التفصيل والوضوح ... واستطعنــا ان نستوحي من هذا التاريخ كثيرا من القيم والمعايير الخاصة بنا واستطعنا ايضا أن نقدمه لغيرنا من الامــم والشعوب تدرسه إذا ارادت وتستفيد منه إذا شاءت ..

وكخطوة أولى وعملية نحو تحقيق هذا الهدف فاني اقترح ان توجــه عناية فائقة من اساتذة كليات التربية في العالم العربي نحو تحقيق ونشر الكتب التي تتحــدث عن التربيــة الاسلامية مع الترجمة لأصحابهــا وتوضيح آرائهم في التربية والتعليم على نحو ما فعل أحمد فؤاد الاهواني في رسالته « التعليم في رأي القابسي » وحبذا لو انشأت كل « كلية تربية » في العالم العربي فرعا بها يتفــرغ لتأريخ التربية الاسلامية او على الاقل جنــدت دفعــة كاملــــة من طلاب الدراسات العليا بأحد اقسامها لنشر وتحقيق تلك التربية الاسلاميــة مع التأريخ لاصحابها كمقدمة للبحــث العلمي المنظم في هذا الميدان الذي نحن أحوج ما نكون اليه بالفعل لنقيم تربيتنا العربية على اسس سليمة من فهــم الماضي وأملنــا في غد مشرق عظيم .. وان لنا لثقة عظيمة في عمداء واساتذة كليات التربية في العالــم العربي .. وهم كثرة بحمد الله .. في القيام بهــذا الواجــب العلمــي .. ودفع طلابهم اليه وتشجيعهم عليه .

والله هو الموفق ،

لغويات

من استعمالات (اذ)

(اذ) تكون اسما عندما تعنى الزمان واذا كانت للزمن الماضي فلها الاستعمالات الآتية :

١ ــ تكون ظرفا مثل قوله تعالى : **(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا)** فهي ظرف زمان في محل نصب متعلق بالفعل نصر .

٢ ــ تكون مفعولا به مثل قوله تعالى : **(واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم)** فهي مفعول به في محل نصب للفعل اذكروا .

٣ ــ تكون بدلا من المفعول به مثل قوله تعالى : **(واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا)** فهي في محل نصب لأنها بدل من مريم .

٤ ــ تكون مضافا اليها وذلك بعد كلمة بعد أو حين أو يوم أو ساعة ــ مثل قوله تعالى : **(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا)** فهي في محل جر بالاضافة .

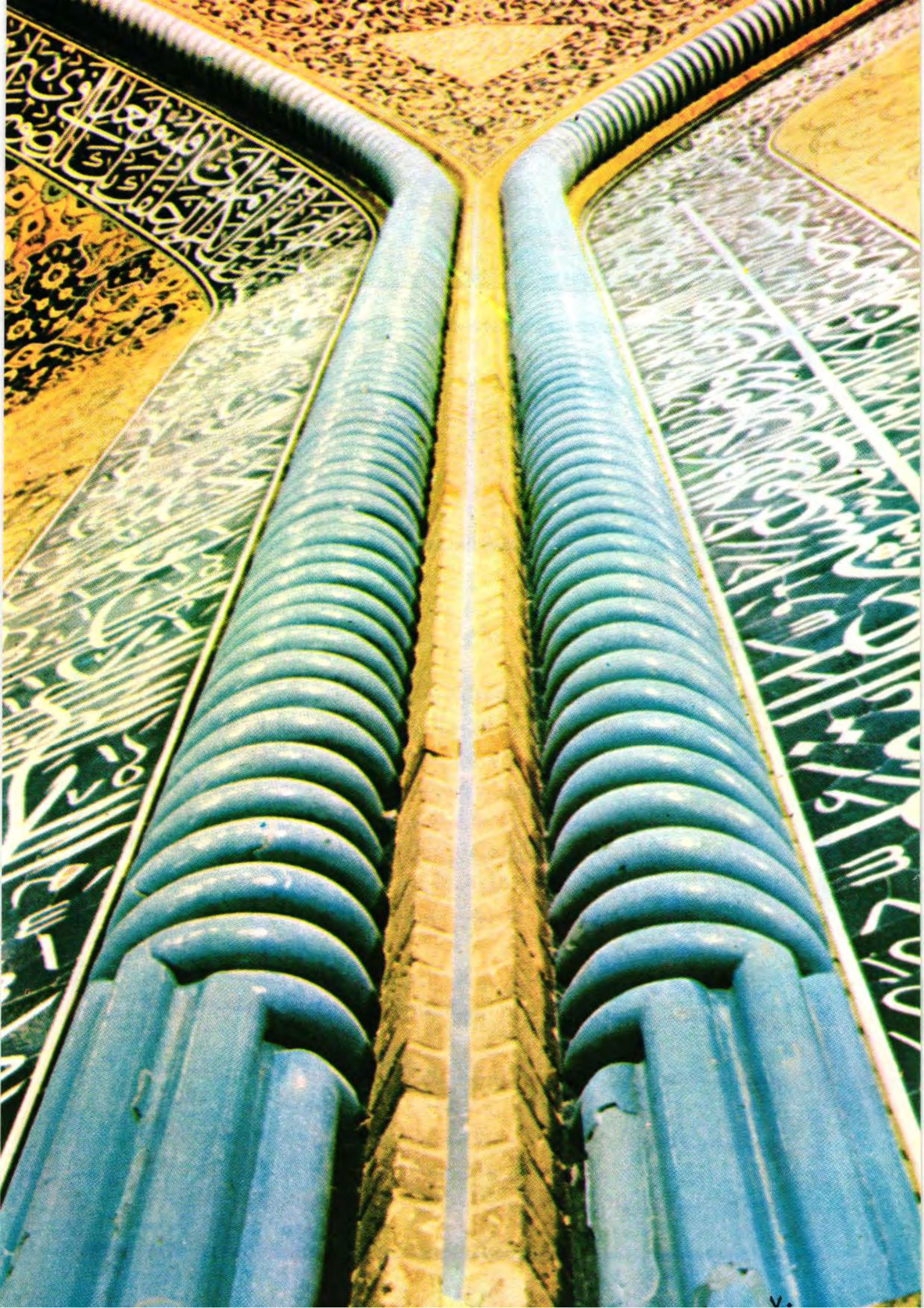
واذا كانت للزمن المستقبل فهي ظرف زمان لا غير مثل قوله تعالى : **(فسوف يعلمون اذ الأغلال في أعناقهم)** فهي ظرف للزمان متعلق بالفعل يعلمون .

كما تكون حرفا اذا كانت للتعليل مثل قوله تعالى : **(لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم)** أو المفاجأة مثل قول الشاعر :

استقدر الله خيرا وارضين به فبينما العسر اذ دارت مياسير

وهى في الآية والبيت حرف لا محل له من الاعراب .

ومما تقدم نعلم أنها تكون حرفا اذا كانت للتعليل أو المفاجأة وتكون اسما اذا كانت للزمان .



إيران على صفحات التاريخ

للأستاذ عبد الغني محمد عبد الله

إيران اليوم :

إيران اليوم هي الأراضي الواقعة جنوب الاتحاد السوفيتي ، وغرب أفغانستان وباكستان ، وشرق تركيا والعراق ، ومساحتها ١,٦٢١,٨٦٠ كيلو مترا ، وهي مساحة كبيرة تعادل عشر مجموع مساحة البلدان الاسلامية .

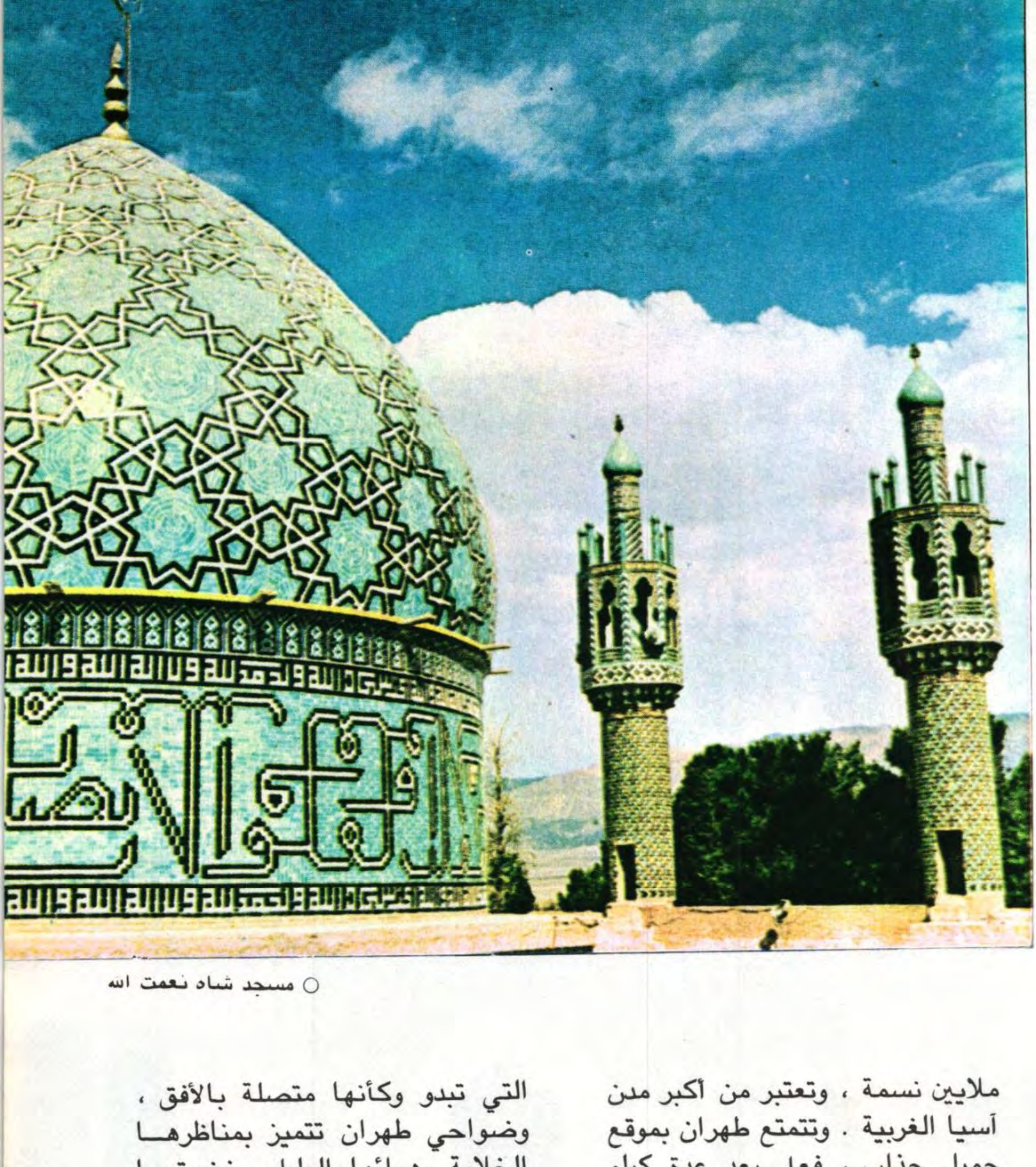
وسكان إيران حوالي ٣٥ مليون نسمة ، ودينها الاسلام ، وتحيط بها سلاسل من الجبال تضم أراضي سهلية ، تضيق في الشمال الغربي ، وتتسع في الشرق ، وأطول نهر فيها هو نهر قارون الذي يمتد مسافة ٨٠٠ كيلو متر من منبعه حتى مصبه في الخليج .

والمدن الايرانية كثيرة متعددة ، وكلها ذات حضارة وعراقة وأهمها :

طهران : وهي عاصمة إيران منذ عام ١٧٩٦ م ، وتعتبر بالنسبة لمدن إيران الأخرى حديثة شابة ، فقد تحولت خلال نصف قرن من مدينة صغيرة إلى مدينة كبيرة تزيد اتساعا يوما بعد يوم ، وهي تضم اليوم أكثر من ثلاثة



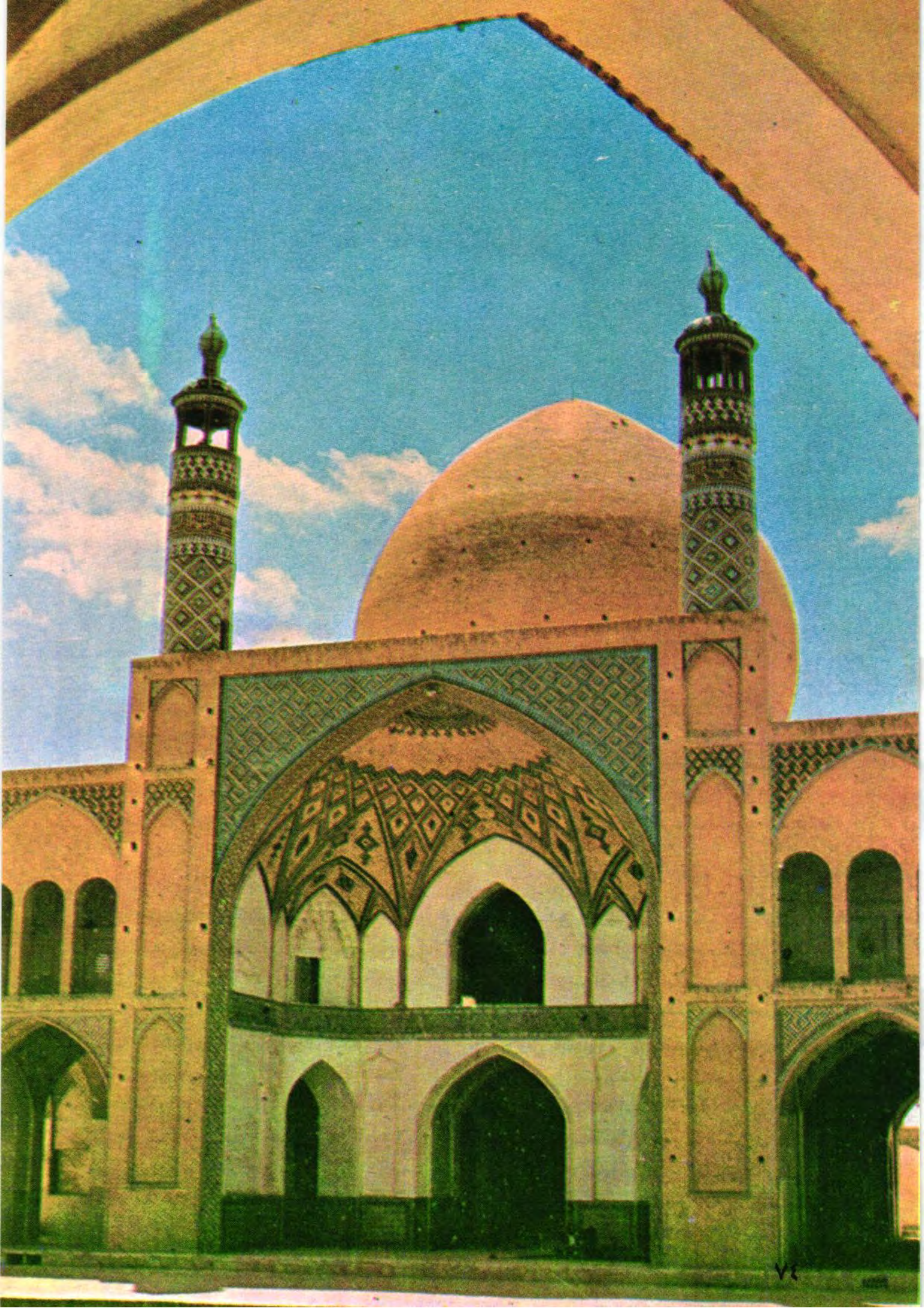
○ طهران الحديثة



○ مسجد شاه نعمت الله

ملايين نسمة ، وتعتبر من أكبر مدن آسيا الغربية . وتتمتع طهران بموقع جميل جذاب ، فعلى بعد عدة كيلو مترات منها ترتفع جبال (البرز) الى أربعة آلاف متر وتغطيها الثلوج في أكثر أيام السنة ، كما أن قمة جبل (دماوند) التي ترتفع إلى ستة آلاف وتسعة وعشرين مترا تعتبر أعلى قمة في أوروبا وآسيا الغربية ، وفي الجهة الجنوبية تمتد بحيرة (نمك) الهادئة التي تبدو وكأنها متصلة بالأفق ، وضواحي طهران تتميز بمناظرها الخلابة وهوائها العليل وخضرتها الجميلة الدائمة .

ومن أشهر آثار طهران مدرسة ومسجد (سبهسالار) وقد تم بناء هذا المسجد عام ١٨٣١ م ويعتبر أيضا مدرسة للعلوم الدينية ، وهو من الأماكن الأثرية ذات الطابع الفني البديع وخاصة واجهته التي يغطيها



القيشاني وإيواناته المحيطة بالصحن المركزي وهذا الأثر الرائع يعود تاريخه إلى العصر القاجاري .

وفي طهران ايضا مسجد شاه الذي يقع في حي السوف ويحتوي كذلك على آثار بديعة من العصر القاجاري .

قزوين : تقع مدينة قزوين التي كانت في أوائل القرن السادس عشر عاصمة لايران على بعد ١٥٠ كيلو مترا شمال غرب طهران على الطريق المعروف بطريق الحرير الذي يصل أنحاء آسيا ببعضها ، وقد تعرضت هذه المدينة لهجوم المغول في القرن الثاني عشر ، وبعد ظهور السلالة الصفوية ، ازدهرت المدينة وازداد عمرانها ، وأصبحت عاصمة للبلاد في عهد الشاه (طهماسب) ثاني حاكم صفوي على إيران ، ولم تظل هذه المدينة كعاصمة مدة طويلة ، فقد اختار الشاه عباس الكبير بعد توليه الحكم مدينة أصفهان لتكون عاصمة للبلاد .

ومن الأبنية التاريخية في قزوين مسجد شاه الذي يعتبر من أكبر وأجمل المساجد في البلاد ، وقد بدأ العمل في بناء هذا المسجد في أوائل عهد الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية ، وانتهى بناؤه في عهد خليفته .

شيراز : من أجمل المدن الايرانية وتسمى أيضا مدينة البلابل والورود ، وهي موطن سعدى وحافظ من أكبر شعراء إيران ، وتنفرد شيراز

○ مسجد اغا في كاشان

بحدائقها الغناء وأشهرها حديقة الخليلي ، التي تعتبر من أجمل الحدائق القديمة في إيران . ومن مساجد شيراز الشهيرة مسجد « وكيل » الذي بني في القرن الثالث عشر ، ويعتبر من أوسع مساجد إيران .

كرمان : تتمتع مدينة كرمان بهواء جاف وسماء صافية طوال أيام السنة ، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ألف وسبعمائة متر ، وفي كرمان أربع طرق قديمة أهمها طريق القوافل ، الذي كان يصل الشرق بالغرب ، ويحيط بمدينة كرمان أحياء قديمة ، تشهد بحضارة هذه المدينة ، ومن الآثار التي لا تزال قائمة هناك ، مسجد الشاه نعمت الله من القرن الخامس عشر ، وقبة الجبل الحجرية التي تعود إلى القرن الثاني عشر ، وقد اقتبس منها المهندسون المسلمون هندسة بناء مساجدهم ، والمنارة التي تعود إلى القرن الثالث عشر ، وتقع جنوب المدينة .

ومدينة كرمان تعتبر كنزا ثمينا حافلا بالأبنية التاريخية ، كما أن لها شهرة كبرى في صناعة السجاد ، حيث يوجد فيها أكثر من ثلاثين ألف مشغل ينسج فيها كل عام حوالي نصف مليون متر مربع من السجاد .

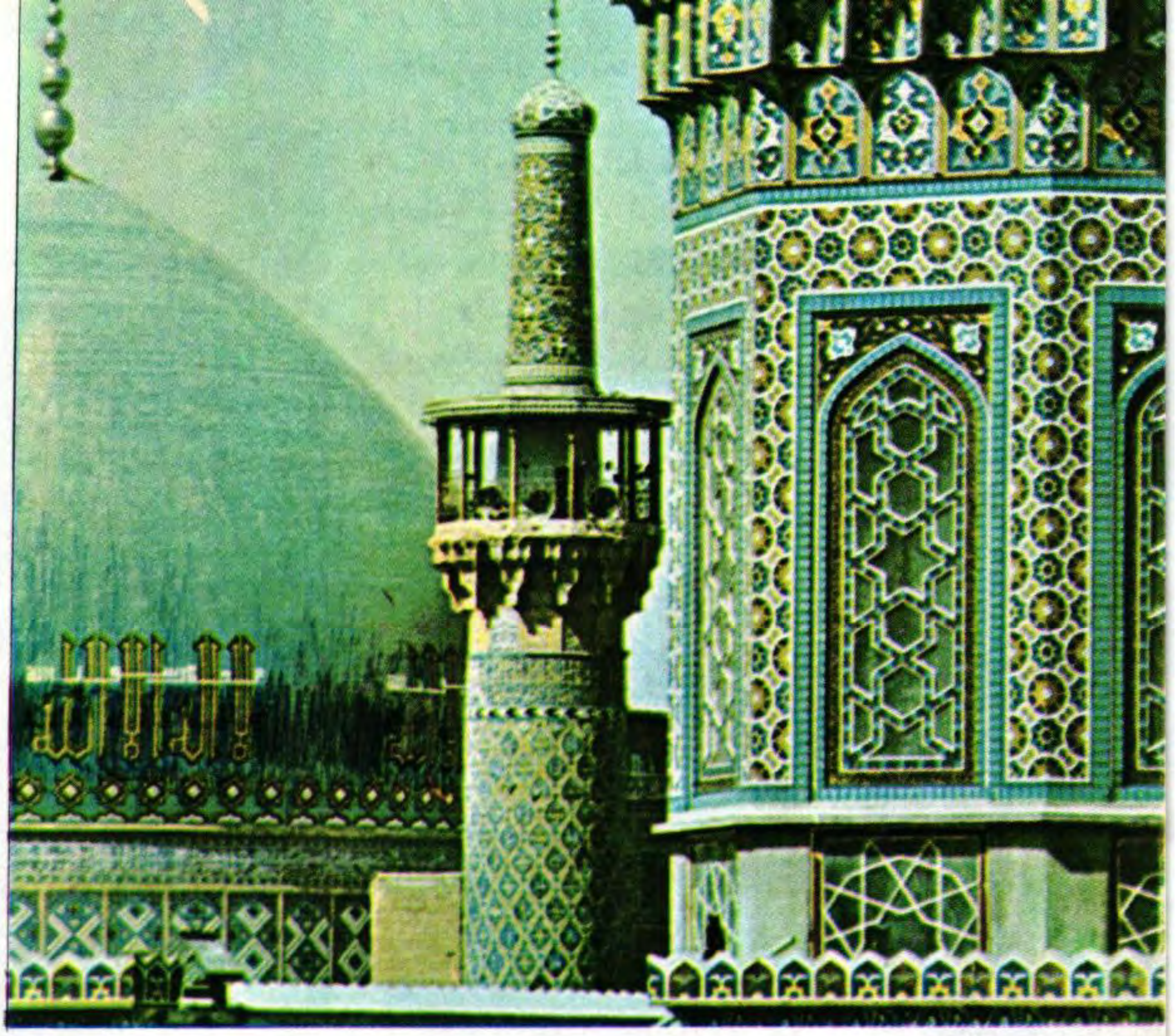
أصفهان : إحدى مدن إيران الجميلة وعاصمة البلاد السياحية ، تقع في منطقة زراعية خصبة تسقى بمياه نهر (زاينده رود) الذي يمنح البلاد جوا لطيفا ، وهواء عليلا ، ويعود تاريخ



○ مدينة زند من المدن الايرانية



○ صناعة السجاد
الايراني بالطريقة
التقليدية



○ مسجد جوهر شاه

○ احد اسواق ايران



هذه المدينة إلى العهد الأخميني ، وقد جعلها الشاه عباس الكبير عام ١٠٠٦ هجرية عاصمة لايران ، وبذل جهوده لجعلها أجمل عواصم الدنيا ، حتى شاع بين الناس القول المأثور عنها « اصفهان نصف العالم » .

وبالرغم من الحروب التي شهدتها المدينة ، والهجمات التي تعرضت لها ، فقد ظل قسم كبير منها يختال بعظمة وجلال ، كما بقيت أكثر ابنيتها الضخمة على ما كانت عليه في زمن الصفويين ، تشهد بروعة الفن الاسلامي وجماله .

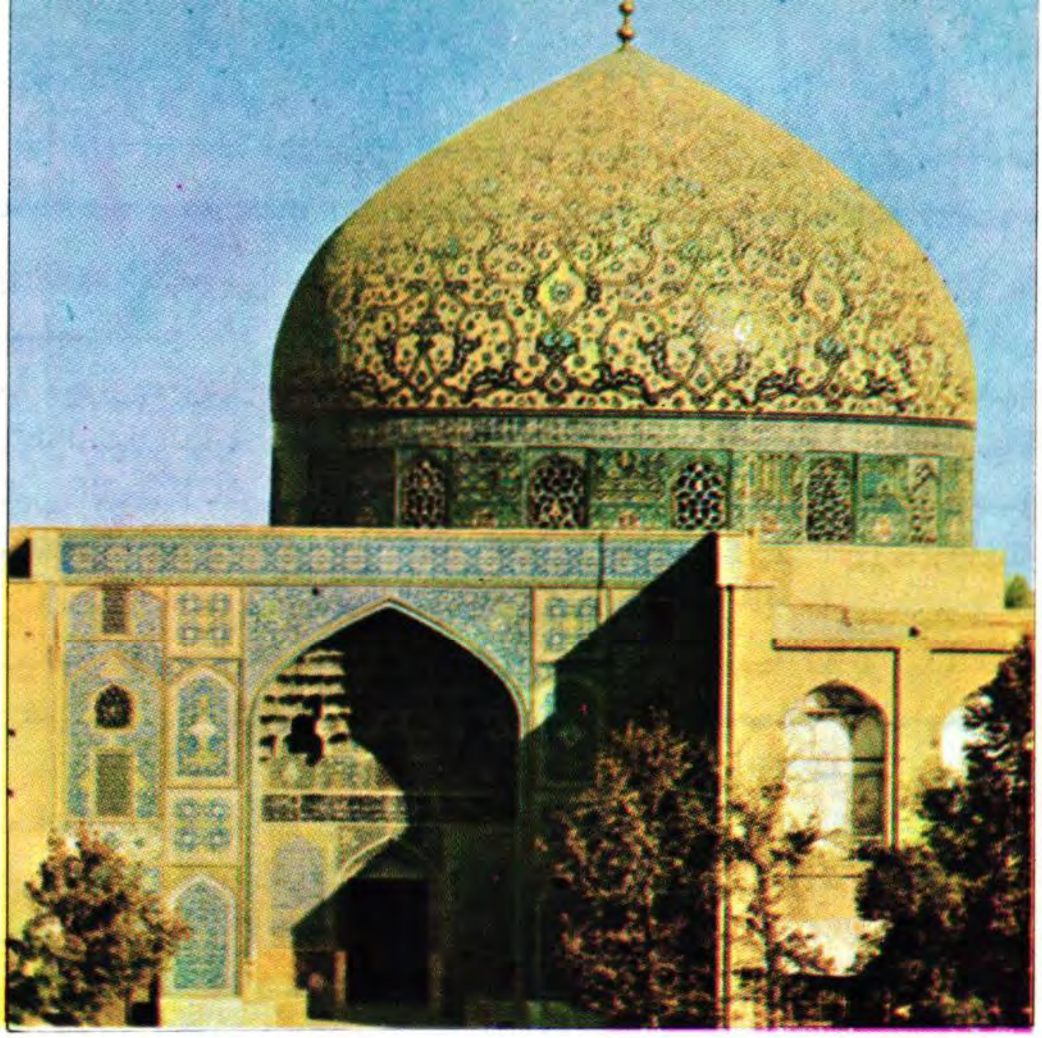
ويبلغ عدد سكان أصفهان حاليا حوالي نصف مليون نسمة ، وتشتهر بالصناعات النسيجية التي تزدهر يوما بعد يوم ، ومن أشهر مساجدها . مسجد شاه وهو أكبر وأجمل مساجد العهد الصفوي ، ويشتهر بالقيشاني الذي يغطي جدرانه وهندسته البديعة .

ومسجد الشيخ لطف الله ، وهو بناء ضخم من الآجر يرجع لعهد الشاه عباس الكبير ، ويعد من أبدع الآثار الفنية الاسلامية . وفي شمال المدينة يقع سوق اصفهان ، وله باب كبير وفيه يصنع الفنانون والصناع مختلف المصنوعات الأصفهانية الشهيرة ، كالسجاد ، والستائر المزركشة ، والأواني الفضية والمجوهرات ، ويقع على مقربة من السوق مسجد جمعه الذي بنى في القرن العاشر الميلادي على أنقاض معبد مجوسى ، ويعتبر نموذجا فنيا يضم مجموعة من النماذج المعمارية خلال عشرة قرون ، وذلك لأن كلا من ملوك العصر الاسلامي وحتى العهد الصفوي كان يضيفون عليه شيئا جديدا أو يقومون بترميمه ، وهو بتصميمه الآجري ، وزخارفه الجصية ، غاية في الابداع والروعة .

تبريز : تعتبر مدينة تبريز بسكانها البالغ عددهم أربعمائة ألف نسمة ، المركز الاداري لمحافظة أذربيجان الشرقية ، وكانت هذه المدينة عاصمة إيران قديما ، ولها تاريخ غني خاصة في عهد السلجوقيين والتموريين ، وجوها جاف وشتاؤها بارد .

وقد اتسعت مدينة تبريز في السنوات الأخيرة ، حيث تعتبر اليوم مركزا صناعيا وتجاريا هاما ، وسوقها يعتبر نموذجا للأسواق الشرقية . ومن الآثار التي تجذب زوار هذه المدينة مسجد (كبود) ، الذي يعتبر أحد نماذج البناء خلال العهد التيموري في أواخر القرن الخامس عشر . وكذلك مسجد على شاه ، أحد أكبر أبنية العهد الاسلامي وقد تهدمت قبة هذا المسجد بفعل الزلازل ولكن روعة وجمال هذا البناء لا يزالان باديان للمشاهد .

همدان : تقع هذه المدينة على بعد ٣٣٤ كيلو متر غربي طهران وقرب الطريق الذي يصل إيران بأوروبا ، ويحيط بالمدينة سبعة جدران ذات مركز واحد وكل منها أكثر ارتفاعا من الآخر وقد رصع الجدار الأول والثاني بالذهب والفضة والجدران الخمسة



○ قبة مسجد الشيخ
لطف الله في اصفهان

○ المسجد الجامع
في مدينة سبزوار



الأخرى بالأبيض والأسود والأحمر والأزرق والبنفسجي . وهذه الجدران السبعة من المعالم الأثرية للمدينة .

وفي همدان دفن الكيميائي الاسلامي ابن سينا ، الذي يعتبر أحد جهابذة الطب ، والذي قضى معظم حياته في هذه المدينة . وألف قبل وفاته كتابه الشهير (الفلسفة والطب) . ومن أشهر أبنية هذه المدينة القبة الضخمة التي تعكس فن الزخرفة بالجص في العهد السلجوقي ، كما عثر في هذه المدينة على آثار تعود إلى العهد الأخميني .

كاشان : تعتبر هذه المدينة من أقدم ما بنته المجتمعات البشرية في صحراء إيران ، إذ يرجع تاريخها إلى حوالي ستة آلاف سنة قبل الميلاد . حين اكتشفت أول عين للمياه هناك ، والتي كانت بداية لقيام هذه المدينة ، حيث ازدهرت وعمرت في العهود السلجوقية والصفوية والقاجارية .

واليوم تعتبر الحديقة التي أقيمت حول العين من الأماكن البديعة في المدينة ، والحقيقة ان كاشان نموذج فريد لمدينة صحراوية ، استطاع أهلها أن يصارعوا الحرارة والجفاف بشجاعة وإيمان .

وكاشان بها عدد كبير من المساجد التي تشبه مساجد أصفهان وشيراز ، وهي مركز كبير لصناعة أجمل أنواع السجاد الايراني ، الذي يعود إلى العهد الصفوي ، وللسجاد الكاشاني قيمة كبيرة ، وهو مزين بأشكال الورود ، ويصنع من أفضل أنواع الصوف .

شمال إيران : تتمتع سواحل بحر قزوين في شمال إيران بمناظر بديعة لا مثيل لها في جميع أنحاء إيران ، والجبال الشمالية تختفي تحت غابات كثيفة لم تطأها بعد أقدام البشر ، وتتوزع على أرضها البساتين والحدائق . والآثار التاريخية في الشمال قليلة بالنسبة لمناطق إيران الأخرى .

والسهل الساحلي الذي يحيط ببحر قزوين من الشمال شديد الخصوبة ، ولا يزرع من أراضيه إلا ١٠٪ فقط ، والأرز هو أهم حاصلات هذا السهل ويزرع بجانبه القطن والتبغ والخضروات . وتكثر حدائق الحمضيات في تلك البقاع فتنشر في الجو روائحها العطرية .

وقد أشار إليها الفردوسى شاعر إيران الكبير بقوله :

.. انها أرض الربيع الدائم ..

وعن البترول فقد عرف في إيران منذ عهد بعيد ، واستخدم البترول الذي كان يسيل على السطح في الاضاءة ، ولكن التنقيب عنه لم يبدأ إلا في القرن الحالي .

وقد استفادت إيران كثيرا من عائدات البترول ، الذي ينقل بأنابيب من سفوح جبال زاجروس إلى مصافي النفط الكبرى في عبادان ، ثم يضخ النفط المكرر إلى كافة أنحاء العالم .

هذه هي أهم معالم إيران وتاريخها على مدى الدهر الطويل واليوم تقف إيران على أبواب صفحة جديدة سوف تضم إلى صفحات تاريخها العريق ..

قالوا في الأمثال

رب أخ لك لم تلده أمك :

الأخ أقرب الناس إلى المرء بعد أبيه وأمه ، يرجى منه أن يكون أشد الناس عطفا على أخيه وأسرعهم إلى نجدته عند كربته ، وقد يلاقي المرء من أخيه ابن أبيه وأمه الشر وقد يصادق المرء الرجل البعيد فيجد منه العون على المكروه والمودة الخالصة ومن قديم والناس يتساءلون : أيهما أقرب ، الأخ أو الصاحب ؟ ثم يتناقلون الجواب الذي اتفقوا عليه بعد طول تجربة ، فيقولون : أقربهما الأنفع . فالصديق الحميم يجعل الصداقة أخوة ثانية مثل أخوة النسب ، وهنا يقال : رب أخ لك لم تلده أمك .

رب أكلة تمنع أكلات :

وذلك إذا أقبل الانسان على الطعام في نهم وإسراف . فيصاب بأمراض عديدة قد يضطر معها إلى أن يحرمه الطبيب من تناول أشياء كثيرة محافظة على صحته ويكون ذلك بسبب أكلة واحدة لم يقدر عاقبتها .

رب زارع لنفسه حاصد سواه :

يعمل الانسان ولا يدري ما هو مخبوء له في طي القدر ، فقد يزرع الزارع ويحسب حين يزرع حساب غلته ، ويتخيل الثمرة اليانعة ولكن الموت قد يفاجئه قبل الحصاد فيحصد غيره الزرع ، ويتمتع بالثمرة سواه . وقد يجمع المال من لا يأكله .

خلا لك الجو فبيضى واصفرى :

قالوا في الأمثال : خرج طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي وهو صبي مع جماعة في سفر ، فنزلوا على ماء ، وكان مع طرفة فخ فنصبه للقنابر ، وظل طول يومه يرقبها فلم تقرب الفخ ، ولم يصد شيئا ، فحمل فخه وعاد إلى قومه ، ولما ترك القوم المكان ورحلوا عنه ، نظر طرفة فرأى القنابر قد أقبلن يلتقطن ما كان قد نثر لهن من الحب فقال :

خلا لك الجو فبيضي واصفرى ... يا لك من قبرة بمعمر

قد رحل الصياد عنك فابشري ... ونقري ما شئت أن تنقري

لا بد من صيدك يوما فاصبري ... ورفع الفخ فماذا تحذري

وهكذا يفرح الناس عندما ينالون ما يتمنون ، أو يزول ما كان يهددهم من الأخطار فيفرح مسلوب الحرية بنيلها ، ويفرحُ من خلا له الجو بزوال أعدائه ، ويكون مثله كمثل تلك القبرة التي أقبلت على الحب آمنة بعد ما زال الفخ ، وزال الخطر ، وذهب ما كانت تحذر .

أبو العلاء المعري في مواجهة الاتهام بالالحاد والزندقة

للدكتور : عبد الكريم الخطيب

— ١ —

العقل نعمة من اجل نعم الله تعالى على الانسان ، فهو بهذا العقل حمل الأمانة التي عرضها الله سبحانه على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان .. ثم بهذا العقل أقام الله تعالى الانسان خليفة على هذه الارض ، الامر الذي راى الملائكة في انفسهم انهم احق بهذا المنصب من آدم ، فحجبه الله سبحانه عنهم ، واراهم من آدم ما جعلهم يسلمون له بالخلافة .. وفي هذا يقول الله تعالى : **(واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيهاويسفك الدماء**

ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون ۝ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ۝ قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ۝ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم اقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ۝ وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبي واستكبر وكان من الكافرين) البقرة / ٣٠–٣٤ فهذا السجود من الملائكة لآدم ، هو سجود لجلال الله ، وقدرته وحكمته ، اذ صور من طين الارض وترابها هذا الانسان الذي فاق الملائكة علما ، وهم من عالم النور !

•

نقول ان هذا العقل الذي هو منحة الله العظيمة للانسان ، ونعمة جليلة من نعم الخالق عليه — لا يعدو أن يكون حاسة من الحواس ، كالنظر ، والسمع ، بمعنى أن له مجالا محدودا يتحرك فيه لاداء الوظيفة التي خلق لها ، فان هو أقحم فيما وراء هذا المجال ضل ، وجاوز الصواب ، وجاء بالأباطيل ! ومن هنا كان ضلال أولئك الذين يعرفون في الناس بالحكماء والفلاسفة ، حيث خيل اليهم — بما آتاهم الله من عقل — أنهم قادرون على أن يحيطوا بكل شيء علما ، وأن ما تدركه عقولهم هو العلم الذي ليس وراءه علم ، والله تعالى يقول : **(وما أوتيتم من العلم الا قليلا)** الاسراء / ٨٥ .

ومن هؤلاء الذين وثقوا بالعقل وبأحكامه التي يصدرها على المدركات — ابو العلاء المعري ، الذي اعتز بعقله اعتزازا أورده موارد الفتنة والضلال ، فكانت منه هذه الشطحات الملحدة ، التي عرضته للاتهام في دينه ، ورميه بالزندقة والكفر ..

فما اتي المعري الا من تلك الجهة التي اطلق فيها العنان لعقله ، واستسلامه له في أمور ليس للعقل فيها حكم مطلق الا اذا استند في هذا الى كتاب منزل من عند الله ، على رسول من رسل الله .. هنا يجد العقل نورا من نور الله ، يضيء له ما وراء أفقه المحدود ، وانه بغير هذا النور السماوي لا يدرك الحقائق العليا عن الله سبحانه ، وعن رسله ، وعن البعث ، والحساب ، والجنة والنار ، وغير ذلك من الغيبيات التي لا تخضع لحكم العقل المجرد ، ولا تستجيب لمدركاته المحدودة القاصرة .. ولهذا بعث الله الرسل ، وانزل الكتب ، لتأخذ بيد العقل الى طريق الحق ، وتهديه سواء السبيل ..

ومع اعتزاز ابي العلاء بعقله هذا الاعتزاز الجامح ، تعرض له حالات يرى فيها العقل عاجزا عن أن يدركها ، وينفذ الى أسرارها من خلال تلك الحجب المندسة وراءها ، فتلبسه حيرة ، ويعتريه قلق واضطراب ، واذا وهو الواثق بعقله ، المطمئن اليه ، والمعتز به ، يلقاه متهما له ، مستخفا به ، فارا الى قلبه ، وما ينبض به من مشاعر ، وما يخفق به من احاسيس !! ثم لا يلبث ان يرجع الى العقل مصالحا له ، لائذا به !!

— ٢ —

من هنا كان هذا الازدواج ، أو هذا الانقسام في شخصية المعري ، فكان بهذا شخصين يعيشان في ذات واحدة ، وداخل اهاب واحد ..

فهناك المعري الذي يخضع لسلطان العقل خضوعا مطلقا ، يحتكم اليه في كل شيء ، ويستفتيه في كل شيء ، لا يستمع معه الى قول رسول ، ولا يرجع الى شرع أو دين !!

الم يقل المعري :

أيها الغر ان خصصت بعقل

فاسألنه ، فكل عقل نبي !!

وهناك أيضا المعري الذي يفيء الى ظل القلب ، حين يحترق بنار العقل ، فيجد شيئا من برد الامن والسكينة ، واذا هو مؤمن بالله أعمق الايمان ، مؤمن برسل الله ، وبالكتب المنزلة من عند الله ، وبالبعث والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار .

فمن قال ان أبا العلاء ملحد كافر فقد صدق ، لأن حكمه حينئذ يكون واقعا على أحد شخصيتي أبي العلاء اللتين تعيشان في كيانه ، غير ملتفت الى أبي العلاء الآخر الذي يعيش في كيانه أيضا .. ومن قال ان أبا العلاء مؤمن أوثق الايمان بالله ، وبرسله وكتبه ، وكل ما جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، فقد صدق ، لأن حكمه واقع على الشخصية الأخرى من أبي العلاء !!

— ٣ —

وأبو العلاء الكافر الملحد ، قد كان هو كل أبي العلاء عند الذين أتهموه بالكفر والالحاد ، ولم ينظروا الى أبي العلاء الآخر الذي يحتل مكانه منه ..

أما أبو العلاء المؤمن ، فانه عند الذين قالوا بأنه مؤمن ، هو ضعيف الايمان ، لما دخل على أيمانه من مقولات تنادي على قائلها بالكفر والالحاد ، ولم يجرؤ أحد من الذين حاولوا أن يصححوا ايمانه ، ويلتمسوا له المعاذير فيما قال — لم يجرؤ واحد من هؤلاء أن يزكي ايمان أبي العلاء ، اذ لم يتسع باب العذر لكثير من مقولاته الصريحة في الكفر والالحاد ..

— ٤ —

ونسوق هنا بعضا من أقوال بعض العلماء في أبي العلاء ، واتهامهم اياه بالالحاد والزندقة ، وانه على دين البراهمة في تحريم أكل الحيوان ، وما يخرج من الحيوان ..

فهذا ياقوت الحموي ، يقول عن أبي العلاء ، في كتابه «معجم الأدباء»: « وكان أبو العلاء متهما في دينه، يرى راي البراهمة اذ لا يرى افساد الصورة ولا يأكل لحما ، ولا يؤمن بالرسل ، والبعث ، والنشور » — وافساد صورة الحيوانات ، هو ذبحها ..

ويقول الخطيب البغدادي في كتابه : «تاريخ دار السلام» المعروف بتاريخ بغداد : « وصنف — أي المعري — كتابا في اللغة عارض فيه

سور القرآن ، وحكيت عنه حكايات مختلفة في اعتقاده ، حتى رماه بعض الناس بالالحاد » !

ويقــول الباخــرزي ، في كتابه : « دمية القصر » :

« أبو العلاء ، احمد بن سليمان ، المعري ، التنوخي ، ضرير ، ما له في ضروب الأدب ضريب ، ومكفوف ، في قميص الفضل ملفوف .. وقد طال في ظلال الاسلام آناؤه — اي لبثه — ولكن ربما رشح بالالحاد آناؤه .. وعندنــا خــبر بصره ، والله أعلم ببصيرته ، والمطلع على سريرته ، وانمــا تحدثت الألســن باساءته ، لكتابه الذي زعموا انــه عارض به القــرآن ، وعنونـــه « بالفصول والغايــات ، ومحـــاذاة السور والآيات » وأظهــر من نفســه تلك الجناية ، وجذ تلك الهوسات كما يجذ البعير الصليانة — اي العشب — حتى قال القاضي أبو جعفر فيه قصيدة أولها :

كلــب عــوى بمعــرة النعمان
لمــا خــلا عن ربقة الايمـــان
امعرة النعمــان ما أنجبــت اذ
اخرجــت منــك معرة العميان

ويقول ابن الجوزي ، في كتابه : « المنتظم ، في اخبار الأمم » :

« وكان ظاهر امره — اي المعري — يــدل على انه يميل الى مذهب البراهمــة ، فانهم لا يــرون ذبح الحيوان ، ويجحدون الرسل ، وقد رماه جماعة مــن العلماء بالزندقة والالحــاد ، وذلــك امره ظاهر في كلامه واشعاره ، وانه يرد عــلى الرسل ، ويعيب الشرائع ، ويجحد البعث !!

ثم يقول ابن الجوزي: «وقد رأيت للمعري كتابا سمــاه « الفصــول والغايــات » يعــارض به السور والآيات .. وهو كلام في نهاية الركاكة والبرودة ، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته .. » . ونكتفي بهذا القليل من الكثير ، فيما اتهم به أبو العلاء في معتقده ..

والذين رموا ابا العــلاء بالزندقة والالحاد ، هم صادقون ، لأنهم رأوا جانبا واحدا من شخصية أبي العلاء المزدوجة ، ولم ينظروا الى الجانب الآخر ..

— ٥ —

ولكن هنا يعترضنا سؤال، وهو : هل الانسان كيان واحد ، يحاسب بما يقول ، ويؤخذ بما اقترف ، أم انه اذا أحسن قال : ها انذا ، وان اساء قال : لست انا ، وانما هــو الشخص الآخر مني ؟

واذا كان علم النفس قــد كشف عن هذا الازدواج ، أو الانفصام عند بعض الناس ، كمرض من الأمراض النفسية ، فان ذلك لا يصح أن يدخل في حكمــه الا هؤلاء المــرضى بهذا المرض النفسي .. اما عامة الناس، فان كل انسان هــو كائن واحد لا كائنان ، وذات واحدة لا ذاتان ، في مقــام الاحســان والاســاءة على السواء .. فأبو العلاء ، هو أبــو العلاء في ايمانه أو كفره ، بما نطق به لسانه ، كما يقول السيد المسيح: « من فمــك ادينــك » أمــا ما في

مستودعات القلوب ، وما تضمه السرائر ، فذلك ألى الله وحده ..

ونحن هنا في دراستنا لأدب أبي العلاء ، فانه ليس لنا ، ولا لأحد من الناس ــ بعد رسول الله وبوحي من ربه ــ أن نحكم على مسلم بأنه من أهل الجنة أو النار ، وانما ذلك لله رب العالمين، يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء . وانما غايتنا من هذه الدراسة أن نكشف بها لونا من الوان التفكير الفلسفي، المحتكم الى العقل، حين يدخل الى ساحة الايمان ، ويزن حقائق الدين بهذا الميزان الفلسفي ، وما يجر على أصحابه من الزيغ ، والتلبيس والضلال .. وهذا ما نحذر منه شبابنا ، وبخاصة أولئك الذين يتصلون بالعلم الأوربي المادي ، ويدرسون الفلسفة الوضعية ، وما بني عليها من نظريات تولدت من العقل المادي ، المنكر لما وراء المادة من غيبيات ، لا مجال للعقل فيها ، ان لم يسانده قلب سليم ، وفطرة محتفظة بما فطر الله الناس عليها ..

فما تعثرت خطوات أبي العلاء ، وما اضطربت مسيرته في الحياة ، يعتدل تارة وينحرف تارة ، ويهتدي مرة ويضل مرة ــ ما كان هذا من أبي العلاء الا لأنه نزع منزع الفلاسفة في الاحتكام الى العقل المجرد وحده، دون أن يدعمه بسلطان من قوى الحق المنزل في كتاب الله وسنة رسول الله .

وهؤلاء الذين نراهم من بعض علمائنا ، وقد رضعوا من العلم الغربي المادي ، وأسلموا وجودهم لهم ، فكان منهم الشك الذي قد يصل أحيانا الى الالحاد ــ انما هم ضحايا « العقلانية » التي ينادي بها العقلائيون في هذا العصر بالذات ، الذي فتن فيه الناس بمعطيات العلم المادي التجريبي ، المستخرج من معامل الطبيعة ، فخدعوا بهذا التافه الذي حصلوا عليه ، وظنوا أنهم قد ملكوا بسلطان العلم كل شيء ، واذن فلا معنى بعد هذا أن يبحث عن اله، وأن يطلب العون منه ، والالتجاء اليه ، وهم لو عقلوا لوجدوا أنهم وما معهم من علم لم ولن يستطيعوا أن ينقذوا أنفسهم من عوارض الشيخوخة ، وأن يدفعوا يد الموت التي تنتزعهم من بين أهليهم ، وتخلى أيديهم ، وعقولهم مما جمعوا من مال، وما حصلوا من علم .. ثم ليأت هؤلاء العلماء بعلمهم ، وليكن بعضهم لبعض ظهيرا ، ثم ليحاولوا أن يخلقوا ذبابة أو بعوضة كهذا الذباب أو البعوض .. وهذه قدرة الله تعالى تدعوهم وتتحداهم ، أذ يقول سبحانه : **(يآيها الناس ضرب مثل فاستمعوا لـه ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا لـه وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)** (الحج : ۷۳) .

ــ ٦ ــ

وهذا ما دعانا الى هذه الدراسة لأبي العلاء المعري .. فما هو الا واحد من هؤلاء الذين وجدوا في أنفسهم لمعة من الذكاء ، وحظا من حصافة العقل ، وقوة الحافظة والذاكرة ، فخيل اليه من ذلك أنه معجزة زمانه ، ونادرة عصره، فحمله ذلك على أن يستخف بالناس ، وأن

يسفه أحلامهم ومعتقداتهم ، فكانت منه تلك الرميات الطائشة التي رمى بها في حمى الديـن ومقدساته .. أفليس هو القائل :

واني وان كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

وقد يكون لأبي العلاء عذره في موقفه من أهل عصره ، وسوء ظنه بمعتقداتهم، اذ كثر في عصره الزنادقة والملحدون ، وأصحاب الملل الفاسدة ، والأهواء المضللة ، ولكن ما كان له أن يسوء ظنه بالدين ذاته ، وما يحمل الى الناس من خير ، وهدى ورحمة .. فللدين حرمته ، ونفحات الخير التي بين يديه ، وللمتدينين بالدين ، أو المنتسبين اليه ، حسابهم حسب موقفهم من الدين ، واستقامتهم على هديه ، أو انحرافهم وزيفهم عنه .. فليس في الدين قوة ذاتية قاهرة تمسك بالناس على طريقه ، الا أن يكون ذلك مما يسكن في القلب منه ، وما يقوم في الضمير من خشية لله وولاء له ..

لأبي العلاء ان يقول في أهل عصره، وما ذاع فيهم من فساد وانحلال ــ له أن يقول ما يشاء ، ولكن ينبغي أن يكون ذلك موقوفا به عند الناس ، وما شاع فيهم من منكرات ، دون أن ينسحب شيء من هذا على الدين.. فهل تذم الشمس اذا لم تكتحل بضوئها العيون العمياء ؟ وهل يعاب الورد اذا لم يجد المزكوم اثرا لأريجه العطر ؟

ولكن أبا العلاء لم يكتف بذم أهل الزمان ، بل جاوز ذلك الى التطاول على الدين ، اذ وقع في زعمه الفاسد ، أن لو كان الدين صالحا لصلح المتدينون به !! واذن فهو يرى باطلا ، أن فساد الناس انما هو من فساد الدين .. ولم يسأل أبو العلاء نفسه : أفي الدين شيء من هذا الذي غرق فيه أهل عصره من مفاسد وضلالات ؟ وهل الدين هو الذي دعاهم الى هذا ، أم أن الدين قد نهى وحذر ، وتوعد بالعذاب الأليم على هذه المنكرات ؟ لم يسأل أبو العلاء نفسه عن شيء من هذا ، بل انه حين ضاق بالناس ، وبما هم فيه من انحرافات وسفاهات ، جعل يملأ يديه بالأحجار ، فيرمي الناس بما في يمناه ، ويرمي الدين بما في يسراه ، ولا يهمه على أي من الناس أو الدين تقع احجاره !!

— ٧ —

يقول المعري ، في موقفه من الديانات ، واتهامها جميعا بخداع الناس ، وتضليلهم ، وانها انما هي من حيل اصحاب الرياسات ، وطلاب الاصطياد للمال من الدهماء ..

يقول عن الاسلام ، والنصرانية ، واليهودية ، والمجوسية :

حفت الحنيفة، والنصارى ما اهتدت
ويهود حارت ، والمجوس مضلله
اثنان أهل الأرض ، ذو دين بلا
عقل ، وآخر دين لا عقل له

فهو يرى أن أصحاب العقول هم من لا يدينون بدين ، أما من يدين بدين فهو بلا عقل ، لانه لو كان ذا عقل لما قبل عقله أن يدين بدين !!

ويقول أبو العلاء أيضا :

ان الشرائع القت بيننا احنا
وأودعتنا أفانين العداوات
وهل أبيحت نساء القوم عن عرض
للعرب الا بأحكام الديانات ؟

ان أبا العلاء هنا يرى في احكام الاسلام في الحرب ، وما يقع في ايدي المسلمين من أسرى — يرى أن هذا الحكم من أحكام الاسلام جائر اذ أباح للعرب ما يقع في أيديهم من نساء أعدائهم ، ولم يسأل نفسه عن أسرى نساء المسلمين اذا وقعن في يد العدو .. وهل كن يتركن أحرارا أم انهن يعاملن معاملة الاماء !!

ولا نقول ان أبا العلاء ، كان يخص الاسلام بهذا الذي ذكره عنه الا لأنه كان ينظر الى الاسلام بأنه الدين المنتصر الغالب .. ولكن هذا نظر قاصر بعيد عن الصواب، مجانب للحق والعدل .

— ٨ —

قلنا ان عصر أبي العلاء ، كان عصرا مائجا بالفتن والبدع ، حيث كثر أدعياء التدين ، والزهد ، وما هم في الحقيقة على دين أو زهد ، وانما هم يخادعون الناس بما يظهرون لهم من نسك وتقوى ، وهم ذئاب يمزقون أديم الناس ، ويلغون في دمائهم ..

ولهذا رمى أبو العلاء فرق المتصوفة في ايامه بسهام صائبة ، عرتهم من ثيابهم ، وكشفت عن خباياهم ، وفضحتهم على أعين الناس .. فهو يقول :

رويدك يا سحائب لا تجودي
على السبخات ، من جهل هميت
طلبت ديانة بين البرايا
لقد أشوت سهامك اذ رميت
تزيوا بالتصوف عن خداع
فهل زرت، الرجال أو اعتميت
وقاموا في تواجدهم وداروا
كأنهم ثمال من كميت
وما رقصوا حذارا من اله
ولا يبقون الاما حميت

ويقول في اهل التصوف أيضا . وفي مواجدهم وأذكارهم :

أرى جيل التصوف شر جيل
فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه
كلوا أكل البهائم وارقصوا لي ؟

« السبخات : الارض المالحة — اشوت : أخطأت — ثمال من كميت : سكارى من خمر .. » .

واذا كان موقف أبي العلاء من ادعياء الزهد والتصوف ، هو الموقف الذي يقضي به الدين والعقل ، فانه كما قلنا — يشتط في رمياته تلك ، فيصيب بها البعيد والقريب ، والعدو والصديق .. ولهذا كثر أعداؤه ، وكثر المتهمون له بحق وبغير حق ، فكان جزاؤه من جنس عمله ..

الرحلة المشؤومة في جسم الإنسان

للدكتور : غريب جمعه

جاءني وهو منتفخ الأوداج على وجهه مسحة كبر تدل على جهل مركب ثم بادرني قائلا في غلظة وجلافة : تقولون إن الله حرم الخمر وأنا لم أجد كلمة في القرآن تقول : « لا تشربوا الخمر » كما قال تعالى : (**لا تأكلوا الربا**) آل عمران / ١٣٠ وكل ما وجدته هو (**فاجتنبوه**) . وهنا أدركت أن محدثي يعاني من أمية دينية وإن كان من حملة المؤهلات العلمية العالية بكل أسف .. وأن علي أن أترفق به ، وأن أجادله بالتي هي أحسن لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، وبعد أن أفرغ شحنته قلت له : يسعدني أن تتعرف على أمور دينك خاصة فيما يتعلق بالحلال والحرام ، ولكني أود أن أسألك — وأنت الرجل المثقف — هل يمكنك أن تكمل الآية التي تعنيها ؟ ولكنه لم ينبس ببنت شفة ثم أردفت قائلا : إن الله تبارك وتعالى نكر الاجتناب في أخطر الأمور بالنسبة للمسلم وهو توحيد الله حينما قال : (**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**) الحج / ٣٠ أفترى أن هذه الآية يفهم منها إباحة عبادة الأوثان وقول الزور ؟ وأسقط في يد المسكين ....!!

وهنا قلت له إن الآية أو الآيتين التي تعنيهما يا صاحبي هما : (**يا أيها**

الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة / ٩٠ و٩١ . واذا تأملت هاتين الآيتين وجدت ان الحق جل وعلا افتتح الآية الأولى **بانما** التي تفيد الحصر للمبالغة في ذمها فكأنه يقول ليست الخمر إلا رجسا كما أنه اعتبرها من عمل الشيطان وهو العدو اللدود للمؤمنين من عباد الله ، فكأن الاجتناب هنا ينم عن **التحذير** ولا يصدر التعبير به إلا في جو ملئ بالاشفاق المشبع بالحرص على تحويل النفوس وصرفها عما علق بها من رغبة وحرص أو شهوة ، وأنظر الى تسميتها رجسا والرجس تستقذره النفوس وتحرص أشد الحرص على اجتنابه ، ثم انظر كيف ختم هذه الآية بعد الأمر بالاجتناب بالتشويق الى بغية كل انسان وهو تحقيق الفلاح بقوله : **(لعلكم تفلحون) فمن أراد ذلك فليجتنب الخمر وليحذر مجرد الاقتراب منها والتلوث بها** . فهل بعد ذلك يمكن القول بأنه لم يرد نص قاطع بتحريم الخمر : **(ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم !!)** النور / ١٦ .

وتؤكد السنة النبوية الشريفة ، ذلك : فيما رواه أحمد والبخاري ومسلم عن أنس قال : « كنت أسقى بعض الأصحاب عند أبى طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم فأتى آت من المسلمين فقال : أما شعرتم بأن الخمر قد حرمت ؟ فقالوا : حتى ننظر ونسأل . فقالوا : يا أنس اسكب ما بقي في إنائك وما هي إلا من التمر والبسر وهي خمرهم يومئذ »

ومن ذلك أيضا ما رواه مسلم وأبو داوود والترمذي من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام »

وقد خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة كبار الصحابة فقال : « أيها الناس نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : **من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ،** والخمر ما خامر العقل »

ويحسن بي يا صاحبي بعد بيان حكم القرآن والسنة في الخمر أن أحدثك عن طريقة **تحضير الخمور** بصفة عامة : يتم هذا التحضير بتخمير بعض الحبوب مثل الذرة والشعير أو العسل وعصير العنب أو المواد النشوية كالبطاطس ويحتوى المحلول المخمر على ما يقرب من ١٥٪ من الكحول وهو يصلح لتحضير البيرة والنبيذ أما

المشروبات التي تحتوى على نسبة أعلى من الكحول مثل الكونياك والويسكي فانها تحضر بتقطـير الكحـول من المحلول المخمر ثم يخفف الكحـول بالماء المقطر وتضاف إليه بعض المواد التي تكسبه الطعم والرائحة . أما عن :

رحلة الكحول الذي تحتويه الخمر داخل جسم الانسان :

تبدأ هذه الرحلة بالفم ثم البلعوم ثم المرئ ثم المعدة حيث يمتص جزء منه بواسطة جدار المعدة أما الباقي فيمر إلى الأمعاء الدقيقة حيث يحمله الدم الى الكبد الذي يحرق معظمه لينتج طاقة وحرارة ثم يغادر الكبد إلى القلب الذي يضخه إلى الرئتين حيث يخرج جزء منه مع هواء الزفير (وهذا يعطي رائحة خاصة لفم السكران) ويخرج جزء آخر مع البول والعرق ثم يعود الكحول من الرئتين إلى القلب مرة أخرى حيث يوزعه على جميع أجزاء الجسم ومنها المخ بالطبع .

أثـر الكحـول في هذه الرحلـــة المشئومة

أولا : أثره على الجهاز الهضمي :

١ ـ يؤدي إلى فتح الشهية في أول الأمر ولكنه يعوق الهضم ثم يعطله تمامـا في النهايـة وبهـذا يحـدث اضطراب في المعدة يؤدي إلى مرور الطعام إلى الأمعاء دون هضم وينتج عن هذا الطعام الذي لم يتم هضمه حدوث إسهال (إسهـال الشراب) (وهكذا تسقط حجة شرب الخمـر لفتح الشهية) . وقد قال عربي لرجل يعاقر الخمر ما تصنـع بالخمـر ؟ قال : إنها تهضم طعامي . فقال العربي : إنها تهضم من دينك وعقلك أكثر مما تهضم من طعامك .

٢ ـ يؤدي إلى تهيج المعدة وتزداد خطورة هذا التهيج إذا كان المريض مصابا بحموضة في المعدة أو بقرحة المعدة التي تؤدي في بعض الحالات إلى قئ دموي .

٣ ـ يؤدي إلى تليف الكبد وضمور في أنسجته وفي خلاياه ، وبالتـالي إلى هبوط في وظائفه . ومـا أدراك ما وظائف الكبد ولقد أصبح هذا التليف مرضا خاصا بالخمر ويطلق عليـه (Laenec Cinnhosis) وتزداد نسبـة هذا المرض في الدول التي يكثر فيها إدمان الخمر ، وتتأثر خلايا الكبد إما بطريقة مباشرة أو لعدم تناول الأغذية الكافية للوقاية منها ، أو نتيجة نقص البروتينات والفيتامينـات ، وتفقـد الخلايـا حيويتهـا نتيجـة لذلك ، وتتحول إلى ألياف ينتج عنها تغير هيكل الكبد وصغر حجمه وبالتالي **تتأثر وظائف الكبد وينتج عن ذلك مضاعفات خطيرة هي :**

١ ـ حدوث نزيف تحت الجلد وفي أجزاء متعددة من الجسـم لنقص عوامل التجلط والبروتينـات التـي يصنعها الكبد .

٢ ـ يؤدي نقص البروتينات إلى **تورم الجسم**

٣ ـ حدوث **غيبوبـة كبديـة** (Hepatic Coma) وذلك لعجز الكبد عن إبطال مفعول المواد الضارة ومنها النشار .

٤ ـ يؤدي التليف إلى ارتفاع الضغط

بالأوردة البابية وذلك يؤدي بالتالي إلى حدوث **البواسير** نتيجة اتساع أوردة المستقيم وكذلك تتسع أوردة الجزء السفلى من المرىء وقد يؤدي ذلك إلى قئ دموي يودي بحياة المريض ، وتعرف هذه الحالة **بدوالي المرئ** .

٥ ـ يؤدي ارتفاع الضغط في الأوردة البابية إلى **احتقان** (Congestion) المعدة والأمعاء فيؤثر ذلك على عملية الهضم ، ويصحب ذلك فقدان الشهية ، وغثيان في بعض الأحيان .

٦ ـ يتضخم **الطحال** وينتج عن ذلك التضخم ثلاثة أمور خطيرة :

أ ـ ازدياد تكسر الكرات الدموية الحمراء ويؤدي ذلك إلى الأنيميا (فقر الدم)

ب ـ قلة الصفائح الدموية التي تساهم في عملية التجلط ويتسبب عن ذلك النزيف

جـ ـ قلة كرات الدم البيضاء وهذه تمثل خط الدفاع الأول الذي جهزه الخالق داخل الجسم لصد أى هجوم للميكروبات .

٧ ـ يحدث **الاستسقاء** (وهو تراكم سائل داخل تجويف البطن) ولا يظهر ذلك إلا بعد تراكم ٢ لتر من هذا السائل !!

ثانيا : أثره على القلب والأوعية الدموية :

١ ـ يؤدي إلى زيادة ضربات القلب وارتفاع في ضغط الدم تزيد خطورته عند المرضى المصابين أصلا بهذا المرض ، ومن مضاعفات ارتفاع ضغط الدم حدوث نزيف بالمخ ، قد يؤدي إلى الوفاة خلال أيام .

٢ ـ يؤدي إلى اتساع الأوعية الدموية السطحية الموجودة تحت الجلد فيزيد توارد الدم فيها ، فيشعر المريض بالدفء وهو دفء كاذب لأن ذلك يكون على حساب كمية الدم في الجسم كله ، ولذلك يتعرض الدم الموجود في الأوعية الداخلية العميقة للبرد ، وبالتالي تنخفض درجة حرارة الجسم العامة (وبهذا تسقط حجة القائلين بضرورة شرب الخمور لغرض التدفئة) .

٣ ـ يؤثر تأثيرا سيئا على المرضى الذين يعانون من الذبحة الصدرية ، وعلى ذلك فان تماديهم في السهر وإسرافهم في الشرب يعجل بنهايتهم .

ثالثا : أثره على الجهاز العصبي أو قل عربدته في الجهاز العصبي :

١ ـ يؤثر الكحول أولا على قشرة المخ (Cerebral Cortex) وهي الجزء المسئول عن التفكير والادراك والتحكم العضلي ، ونتيجة لذلك تتبلد الحواس ويضطرب التوافق ويغيب الوعي ، فكأن حالة السكر ما هي إلا حالة تخدير ، لا تذهب هما ، ولا تعالج سقما ، وكما يقول الشاعر الجاهلي :

شربت الاثم حتى ضل عقلي
كذاك الخمر تفعل بالعقول

ولك أن تتصور يا صاحبي ما يحدث من أخطار إذا كانت هذه حال شخص يقود سيارة ، أو يمارس عملا تتعلق به حياة الآخرين ، وكم سمعنا عن كوارث .. كانت الخمر وراء حدوثها .

وتأكيدا لهذا المعنى . جاء في

الموسوعة الطبية الحديثة الجزء الثاني عشر ص ١٧٤٦ تحت عنوان **الكحول والقيادة :**

« ان تأكيد الخطر الذي ينجم عن قيادة السيارة تحت تأثير الكحول يكاد يكون مفروغا منه ، فالشخص العادي الذي يشرب ست زجاجات من البيرة ، أو ست كؤوس من الويسكي ، يحمل في دمه تركيزا للكحول يبلغ ١٥،٪ وهذا هو الحد القانوني (في امريكا) الذي لا يسمح للمرء أن يقود سيارته بعده ، والواقع أن الابصار والتوافق وحضور الذهن (ومن ثم المهارة في القيادة) تختل اختلالا بينا بكميات من الكحول أقل من ذلك بكثير ، زد على ذلك أن الكمية « المأمونة » تختلف كثيرا من شخص الى آخر . فهناك أشخاص لا يجوز لهم قيادة السيارات عندما يشرب الواحد منهم ولو كأسا صغيرة من مشروب خفيف ، ولنفس الحجة فان كل شخص يقوم بعمل تتوقف فيه سلامته هو أو غيره من الناس على صحة حكم ، وتوافق تصرفاته ، يركب خطرا كبيرا إذا شرب » فهل يفهم ذلك سائقو وأصحاب السيارات الذين أسكرتهم نشوة الغنى .....؟

٢ ـ يؤدي إلى تخدير مراكز المخ الكابحة التي تحكم الانفعالات ، فاذا تخلص السكير من الكبح الطبيعي أحس بنشوة لبعض الوقت ، وتحرر من وعيه ، وأصبح أكثر رغبة في الناحية الجنسية ، وأكثر جرأة وعدوانية تدفعه إلى ارتكاب الجرائم وهو لا يبالي ، ثم لا تلبث نشوته وجرأته ورغبته الجنسية أن تنقص نقصانا واضحا حتى يصاب بالاعياء ، وربما انتهى به الأمر إلى سبات عميق ، فاذا كانت نسبة الكحول مرتفعة (سبعة في الألف) انتهى به إلى الموت .

رابعا : أثره على الكليتين

يؤدي إلى إفراز كمية من البول الشديد الحموضة ، وسبب ذلك تثبيط الأعصاب المركزية ، وذلك لا يعتبر مدرا للبول ، وبينما يزيد إفراز كمية البول يقل إفراز أملاح الصوديوم والبوتاسيوم ، ويرجع ذلك إلى إضعاف إفراز الغدة (فوق الكلوة) .

خامسا : أثره على مقاومة الجسم للأمراض

ثبت طبيا أن الأشخاص الذين يشربون الخمر أكثر استعدادا للاصابة بالأمراض المختلفة ، وأقل مقاومة من الذين لا يشربونها ، ذكر ذلك المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العزيز باشا اسماعيل في كتابه « الاسلام والطب الحديث » ص ٢٦ .

ولكن ضعف الارادة يجعل الشخص عبدا لعادة شرب الخمر ، وقد وصفها كاتب من أكبر الكتاب الانجليز في كتابه ـ وكان يتعاطى الخمر فقال : « إني لا أحس أني في شعوري وإدراكي إلا إذا كنت متأثرا بالخمر ، ولكني في هذا الوقت وأنا سكران لا أعرف نفسي الأولى » فكأنه في الحقيقة

أضاع نفسه لأن عادة الخمر كانت شديدة عنده حتى إنه في الأوقات التي لا يشرب فيها يشعر بكآبة وبؤس ولا يحس نفسه سعيدا ، وكأن شيئا مهما ينقصه حتى إذا شرب شعر بالسعادة ، ولكنه في هذه الحال ليس طبيعيا ، بل هو سكران ، وقد مات في شبابه « بالسل » مع أنه لو عاش لم يبعد أن يكون أكبر شاعر .

سادسا : أثره على التغذية :

على الأشخاص الذين يعانون من زيادة الوزن وما يترتب عليها من مضاعفات تجنب تعاطي الخمور بقدر الامكان ، فكوب البيرة (وهي أقل المشروبات الكحولية احتواء على الكحول) ويبلغ حجمه ربع لتر يحتوى على ١٢٠ سعرا وفي كأس الويسكي مثل ذلك ، أضف إلى ذلك أن الكحول ينبه الشهية وقتيا كما ذكرنا قبل ذلك ، ولذلك فان الالتزام بنظام غذائي يصبح عديم الفائدة تحت تأثير الكحول . وليس للكحول أية قيمة غذائية سوى الطاقة الحرارية الموجودة فيه ، فهو خال تماما من البروتينات والمعادن والفيتامينات . ولما كان شربه إلى درجة الادمان يؤدي إلى فقدان الشهية في النهاية ، فان الشارب المعتاد يعتمد على الكحول بديلا عن الغذاء ، وذلك أمر بالغ الخطورة ، لأن الجسم في حاجة إلى مواد غذائية ، والى فيتامينات تزداد مع زيادة السعرات الحرارية ، ويوضح هذا القانون الغذائي ارتفاع نسبة أمراض نقص الفيتامينات بين شاربي الكحول . وقد انتقد المؤتمر الدولي للأطباء المنعقد في سنة ١٩٢٩ وصف الخمر كدواء ، وقرر أن انتشارها هدم لسعادة الأمم ، وتقويض لبناء الأخلاق .

سابعا : أثره على النسل

١ ـ ينشأ أولاد السكير معتلي الأجسام ناقصي العقول ، ذوي ميول إلى الاجرام ، ودافع إلى الشر وتهافت على الخطيئة .

٢ ـ إذا ولد الجنين ، ولم تجهضه أمه فان الخمر سبب من أسباب الاجهاض ولد معرضا للتشوهات الخلقية ، فضلا عن الأمراض الخلقية التي تنتقل إليه من أبيه بطريق الوراثة ، تلك يا صاحبي أثر الرحلة المشئومة للخمر داخل جسم الانسان ... أما أثر الخمر على الاقتصاد أو الاجتماع فليس هذا مجال بحثه .

وهكذا تدرك أن الله تبارك وتعالى حينما حرم الخمر كان لحكمة بالغة ، تتجلى في رحمته بعباده حتى لا يقتلوا أنفسهم قتلا بطيئا بهذا الرجس .. وقد تغيب هذه الحكمة عن أذهان السكارى وعن عقول الذين يدعون إلى إباحة شرب الخمور باسم السياحة ... وكأن السائح محروم من الخمر في بلاده !!.. قد تغيب عن أذهان هؤلاء وهؤلاء .

ولكنا نخاطب العقلاء والذين يتقون الله في أوطانهم .. فهم الجديرون بالخطاب : **(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)** الذاريات / ٥٥ .

الفارس الفقيه

« إن عاش هذا الصبي ، ليكونن له شأن كبير »

الطريق من حران بالعراق إلى دمشق بالشام طويل رهيب يصعد إلى الجبال .. وينحدر إلى السهول ، ويلتف بالوديان .. ويخترق الصحراوات .. وهو في الليل أشد رهبة ووعورة وقسوة .. وهو أعنف ما يكون ، وأقسى ما يكون حين يضطر إلى قطعه في غياهب الليل أشخاص هاربون يملأ قلوبهم الفزع ، وتلفهم المخاوف ، وتستبد بهم الآلام وهم يتحسسون الطريق فرارا من أعداء سفاحين لا يبقون على أخضر أو يابس ، ولا يرحمون طفلا ولا شيخا ولا مريضا ، ولا يتركون دارا قائمة ، أو نخلة باسقة ، أو كتابا سليما .. إنهم جحافل التتار .. إنهم الوباء الذي فتك بالعالم المتحضر يومذاك فأفناه ولم يبق منهم إلا القليل الذين استطاعوا ، بعد انحسار موجات هذا الوباء ، أن يحافظوا على ما تبقى من حضارة ومدنية ودين إلهي ..

وكان بين هؤلاء القليلين ، أولئك الذين خرجوا هاربين بأنفسهم من حران ، قاصدين دمشق ، حاملين ما خف حمله وغلا ثمنه .. وما تحتاجه الرحلة الشاقة من زاد ومؤن .. ومن بين هؤلاء أسرة مكونة من زوجين وثلاثة أبناء ذكور .. ولم تحمل الأسرة معها إلا صناديق مليئة بكتب العلم والدين .. ولا شيء غير كتب العلم والدين .. فقد كان رب الأسرة من علماء المسلمين الواهبين أنفسهم للعلم وتبصير المسلمين بأمور دينهم ، وتفسير ما يغمض عليهم من هذه الأمور .. وكان بين الأبناء الذكور صبي لم يبلغ العاشرة من عمره بعد .. عاش هذه الليالي القاسية وقد حفرت أحداثها في ذهنه .. إنه لا ينسى ليالي الهرب إلى دمشق ، لا ينسى كيف كان يحمله أبوه

قصــــة

للأستاذ : حسين القباني

في الطريق حينا ، أو كيف كان يسير حتى تكل قدماه ، أو كيف كان يركب الدابة مع أحد أخويه بعض الطريق .. لا ينسى الليل الموحش ، والطريق الوعر ، والخوف من التتار وسنابك جيادهم التي كانت تحصد الناس حصاد المنجل للعشب ، هذا الطفل الذي خرج مع أسرته ذات ليلة هربا من جحافل التتار ، في الطريق إلى دمشق ، هو أحمد تقي الدين المعروف في التاريخ باسم « ابن تيمية » ..

واستقر المقام بالأسرة الطيبة في دمشق .. واتخذ رب الأسرة ، والد « ابن تيمية » – مكانه في المسجد الأموي بدمشق يعلم فيه الناس أمور دينهم ودنياهم .. ولم يلبث أن ذاع صيته .. واتسعت شهرته .. وعرف بين الناس بالفضل والورع والتقوى ، وبالفهم الصحيح لما جاء به الذكر الحكيم ، وعبادات وتشريعات لسعادة البشر في الدنيا والآخرة ..

في هذا الجو العلمي الديني الخالص ، نشأ الصبي ، أحمد تقي الدين ، يأخذ عن أبيه ، ويتعلم أصول الدين ، ويحفظ القرآن والأحاديث النبوية ، ويتصل بالعلماء والفقهاء الذين كانوا يحضرون مجلس أبيه من كل فج عميق .. ولم يقتصر اجتهاده على علوم الدين والشريعة .. وإنما برز أيضا في علوم اللغة وأسرارها ، وتعمق في فقهها حتى أصبح من أئمة علمائها ، والمشهورين بعلم أسرارها .. وكان يسعفه في هذا كله عقل متوقد ، وذاكرة تدهش الناس بقوتها على الحفظ .. فقد حدث أن جاء إليه شيخ من شيوخ العلم .. سمع به وهو صبي ، فأراد أن يستوثق مما سمع ، فأملي عليه أحد عشر حديثا من الأحاديث النبوية ، ثم طلب منه أن يضع القرطاس جانبا ، ويعيد عليه تلاوة الأحاديث .. ولما فعل الصبي دون أن يخطىء في كلمة أو حرف ، وضع الشيخ يده على كتف الصبي وقال لأبيه :

ـ إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم ..

* * *

وشب الصبي حتى صار فتى يافعا وسيم المحيا ، أبيض البشرة ، كثيف اللحية ، أسود الشعر ، متوسط القامة ، جهير الصوت ، ذرب اللسان ، حلو الحديث .. ولا عجب ، فقد جمع مع علوم الدين والشريعة فقه اللغة ، والعلوم الرياضية التي نقلها العرب عن اليونان ، كما عنى بحفظ الكثير من دواوين الشعراء الكبار ، وأخبار العرب ، وتاريخ الأمة الاسلامية ..

ولما بلغ من العمر اثنين وعشرين عاما ، مات أبوه ، فخلفه في مسجد دمشق ، فكان خير خلف لخير سلف .. وتقول المصادر التاريخية : إنه جاء في الوقت المناسب ليسهم مع رجال العلم والدين والفضل للحفاظ على الأصول الدينية والتشريعية التي جاء بها الاسلام ضد الموجة التي سادت ذلك الزمن .. موجة الجدل والتجريد وإطلاق الاحتمالات البعيدة ليثبت الجدلي مدى علمه وقوة إقناعه .. لقد تفرق الكثير من علماء الدين إلى مذاهب وشيع .. أساسها الجدل والمهاترة وحب الظهور ومحاولة الاقناع بكل الوسائل المنطقية الصحيحة أو المقلوبة .. ولكن ابن تيمية وقف في وجوه هؤلاء يسفه آراءهم ، ويستصغر محاولاتهم الجدلية العقيمة ، ويجمع الناس حوله بلسانه العربي المبين ، وبتفسيراته الواضحة لآيات الكتاب والأحاديث النبوية ـ كما كان الشأن في عهد الرسول الكريم وخلفائه الأبرار .. فازدادت شهرته اتساعا ، وتوافد عليه التلاميذ والأتباع من كل حدب وصوب ، ينهلون من نبعه الصافي ، ويرتوون من علمه الغزير .

* * *

ولكن علماء الجدل لم يتركوه في حاله ، فكانوا يأتون إليه يجادلونه ، أو يدسون عليه أنصارهم ليحرجوه بالأسئلة عن الجبر والاختيار .. هل الانسان مخير فيما يفعل في هذه الدنيا أم مسير ..؟ فاذا كان مخيرا فلماذا لا يسعد نفسه ؟ وإذا كان مسيرا فلماذا يحاسب ؟..

واستطاع ابن تيمية أن يصمد أمام هؤلاء الجدليين حتى أوغر صدورهم عليه ، وأثار حفيظتهم ، وقرروا أن يشوا به عند السلطان .. ولكن الأخبار تواترت بأن التتار قد وصلوا إلى حدود الشام .. وكان ذلك في عام ٦٩٩ هجرية .. وكان ابن تيمية قد بلغ الثانية والثلاثين من العمر .. ولم يقبع في مكانه بالمسجد عالما فقيها تاركا الناس يحاربون عنه وهو في عنفوان

شبابه ، وإنما اتخذ من العلم وسيلة لحث الناس على الجهاد والتضحية والاستشهاد وإعلاء لكلمة الله ، وذودا عن دين الله .. واتخذ من شبابه وبسالته وسيلة للاشتراك في الحرب ضد التتار ، فكان الفارس الشجاع ، والبطل المقدام .. ولكن شجاعته لم تمنع الناس في دمشق من الهرب منها خوفا مما كان يذاع عن التتار ومذابحهم وقسوتهم .. وبقى هو في المدينة لا يبرحها ، يؤدي واجبه في تهدئة الباقين فيها ، ويعمل مع من بقى من كبرائها على تسيير دفة الحكم فيها .. وكان حكامها وكبراؤها وعلماؤها قد هربوا إلى مصر .. واستقر رأيه على أن يرسل وفدا – يكون هو على رأسه – إلى ملك التتار لمفاوضته على اعتبار مدينة دمشق « مدينة مفتوحة » أي لا يدخلها الجيش .. ولا يعيث فيها فسادا ، وأن يؤمن سكانها ما داموا لن يرفعوا السيف في وجوه الغزاة ..

وأنصت ملك التتار إلى خطابه ، وأعجب برباطة جأشه ، ووافق على بقاء جيشه خارج المدينة .. ولكن الجنود عاثوا في الأرض فسادا ، فلم يتركوا شجرا ولا نخلا إلا قطعوه ، ولم يتركوا ثمرا إلا أحرقوه .. وأهلكوا الزرع والضرع .. ولم يسع ابن تيمية إلا أن يذهب مرة أخرى مع وفد إلى ملك التتار .. واستقبلهم الملك مرحبا ، وأولم للوفد وليمة فاخرة .. وأقبل أعضاء الوفد على الأكل في نهم إلا ابن تيمية .. فلم يمد يدا إلى طعام أو شراب .. فقال له الملك :

– ما بالك لا تأكل من طعامنا ؟..

فرد ابن تيمية عليه قائلا :
– كيف آكل من طعام نهبتموه من الناس ؟.. وأخذتموه من أفواه الجائعين ؟..

* * *

وبعد ثلاث سنوات ، قرر ملك التتار أن يغير على دمشق في طريقه إلى مصر ، وعاد الناس إلى الفرار ، ولكن ابن تيمية صمد مع الصامدين ، واستغل قدرته على الاقناع فراح يحث الناس على الصمود والجهاد ، ويرغبهم في إنفاق المال لاقامة المتاريس وأسباب الدفاع .. واستطاع أن يجمع الهاربين ليصنع منهم جيشا مقاتلا يذود عن أرضه وعرضه .. وتقدم هو ، فارسا مغوارا ، يناوش التتار ويؤخر زحفهم بعد دمشق .. وقد جاءت الرسل بأن جيشا مصريا في الطريق لقتال الأعداء المغيرين .. ووصل جيش مصر في

الوقت المناسب ، وانضم إلى جيش الشام ، وتقدم الجيشــان ، وفي مقدمتهما العالم الفقيه ابن تيمية ، حاملا سيفه .. ممتطيا جواده .. معرضا نفسه للاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الله .. وزحف الجيشان لمهاجمة التتار قبل أن يبدأ هؤلاء الهجوم ، وكانت تلك أول مرة يجد التتار أنفسهم يدافعون .. والتقت الجيوش في الموقعة التاريخيــة المسمــاة « شقحب » بالقرب من مدينة دمشق ، وضرب ابن تيمية المثل في الشجاعة والاقدام وبذل النفس ، حتى انتصرت جموع المسلمين ، وتراجع التتار إلى مسارب الجبال يحتمون بها ويلعقون فيها جراحهم ..

وعاد ابن تيمية إلى مكانه في المسجد الأموي بدمشق .. يعلم الناس شئون دينهم .. ويبصرهم بأمور دنياهم ، ويشهر بالجبناء الخائرين الذين تملقوا الغزاة وسايروهم وصاروا لهم أعوانا على مواطنيهم وأهل دينهم .. وانتهز هذه الفرصة ليبين للناس أن ما أصاب المسلمين من هزائم أمام التتار إنما يرجع أولا وقبل كل شيء إلى استهتار الناس بأمور دينهم ، وإلى إقبالهم على شرب الخمر جهارا نهارا في الحانات والمشارب بلا رادع ولا ضمير ولا وازع من دين أو سلطان .. وإلى ما انتشر من ألوان الفجور والاثم والترف .. وكل هذا يضعف العزائم ، ويشتت القلوب ، ويملأ النفس بالجبن عن ملاقاة الأعداء ، ويشيع الأثرة والأنانية في صفوف الأمة ، وقد بلغ من تأثيره على الناس أن هبوا معه إلى الحانات يحطمون أواني الخمر ويريقونها في التراب .. وينصحون الناس بأن يعودوا إلى دينهم وعقولهم التي وهبها الله لهم فلا يطفئون نورها بالخمور والمهلكات .. وكم كانت فرحة الناس في كل مكان وهم يرون عالما شجاعا ينفذ أحكام الدين ، ويعيد إلى الاسلام هيبته في النفوس كما كان الأمر في عهد الرسول الكريم وخلفائه الراشدين ..

ولكن باقي العلماء أو من يسمون أنفسهم بالعلماء ، لم يعجبهم هذا الحال ، ووجدوا أنهم سيفقدون مكانتهم في نفوس العامة والخاصة ، وأن الولاة والحكام الذين كانوا يستخدمونهم ويستغلون فتاواهم المغرضة لتحقيق أهدافهم الدنيوية ، لن يعودوا إلى الثقة فيهم ما دام هناك عالم منهم يسفه فتاواهم ، ويبطل أحكامهم ، ويطالب بعودة أحكام الدين والشريعة الاسلامية لاصلاح أحوال الرعية ، فتآمروا عليه ، وراحوا يدسون له عند الحكام اللاهين بأمور دنياهم ، ويوهمونهم بأنه يثير الفتنة بين الناس وأنه يريد أن يسعى إلى الحكام بالتفاف الناس حوله ، وانصياعهم لتعاليمه ، وظلوا على هذا الحال حتى استمع الحكام إليهم ، فاستدعى من الشام الى مصر ..

* * *

وكان في مقدور ابن تيمية أن يرفض السفر من دمشق إلى القاهرة .. وكان يعلم تماما أن الناس في دمشق قادرون على حمايته والدفاع عنه إذا حاول الوالي أن يقبض عليه ويحمله إلى مصر رغما عنه .. ولكن من كان مثل ابن تيمية في ورعه وتقواه .. وفي شجاعته واعتداده بنفسه أمام أعداء الله ، لا يخاف ولا يفزع ، وهو يعلم أن الله معه أينما يكون .. وأنه مهما حدث له .. فلن يصيبه إلا ما قدر عليه ..

وسار إلى مصر مع أخويه ـ زين الدين وشرف الدين .. وما كاد أن يصل إلى مجلس الحاكم حتى قبض عليه وأودع السجن قبل أن يدلي بأقواله .. ولم يكتف الحاكم بسجنه ، وإنما راح يقبض على كل من كان يتتلمذ على يديه .. ويؤمن بدعواه .. وبأعماله في إعلاء كلمة الدين ، وسيادة شريعة الاسلام ..

وبعد عام من سجنه ، توسط له أهل العلم والفضل ليطلق الحاكم سراحه ، فاشترط الحاكم أن يكف ابن تيمية عن إثارة الناس ومحاربة البدع وتحطيم حانات الخمر .. ولكن العالم الشجاع آثر السجن على أن يقيد حريته في العمل من أجل الدين والحق والفضيلة ..

وبعد عام آخر لم يجد الحاكم بدا من الافراج عنه ، فعم السرور أنحاء العالم الاسلامي ، وأنشدت القصائد للترحيب بعودته إلى إعلاء كلمة الله وتفسير كتابه الحكيم ، وتبيان الحقائق النورانية التي تحملها رسالة الاسلام .. ولكن الحاكم عاد إلى تقييد حريته ، وإلى سجنه حينا وإلى نفيه حينا آخر إلى الاسكندرية ، حتى تولى الحكم أحد أتباعه وأصدقائه وهو الناصر قلاوون ، فأفرج عنه وأعاده إلى القاهرة ليقوم بأعماله الباهرة في هداية الناس إلى الدين الحنيف .. وإلى شريعته السمحاء ..

وقد كان في مقدور ابن تيمية وقد ولي الحكم أحد أتباعه ، ان يسعى لديه بالانتقام ممن آذوه وحرضوا على سجنه .. ولكنه رفض .. إنه رجل مؤمن أعمق الايمان .. والايمان الحق يدعوه إلى العفو عند المقدرة .. ولهذا قال أعداؤه عنه : « ما رأينا مثل ابن تيمية .. حرضنا عليه فلم نقدر .. وقدر علينا فصفح ودافع عنا » ..

وظل ابن تيمية على هذا النحو .. يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم .. ويهب حاملا سيفه للدفاع عن الوطن .. كلما تعرض لاغارة التتار عليه ، كما حدث في عهد الناصر قلاوون .. فقد علم الناصر أن التتار يتأهبون للاغارة على الشام ، فهب مع جيش المسلمين للدفاع عن أرض الشام .. وتراجع التتار عن إغارتهم حين رأوا ما أعد لهم من جيش جرار ..

وظل ابن تيمية بعد ذلك مقيما في دمشق ، عالما زاهدا عاملا محاربا حتى وافته المنية في عام ٧٣٨ هـ .. فذهب إلى ربه راضيا مرضيا ..

مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

○ هذه رسالة من الشاب رضا حسين علي جراحي الطالب بدار المعلمين بأسيوط يقول فيها :

أريد أن يسود حكم الله ، وتطبق الشريعة الاسلامية حتى تكون الأمة خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهي عن المنكر .

وبذلك نستطيع أن نحرر الأراضي العربية المسلمة المحتلة من أيدي مغتصبيها في كل مكان في العالم ، وآمل أن يؤمن الناس بالاسلام ، ويطبقوا شرع الله ، وما ذلك على الله بعزيز .

ونحن نرى أن هذه الدعوة أمنية كل مسلم ، ورجاء وأمل كل مؤمن ، فما جاء الاسلام إلا ليسعد البشرية ، ويمهد لها طريق الخير ، فتفوز بسعادة الدنيا والآخرة ، والقرآن الكريم يؤكد هذا فاقرأ معي قول الله سبحانه لرسوله الكريم : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا

منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) .

* * *

○ نقول للشاب المسلم محمد أحمد عبد الله رئيس لجنة ضبط سرقات التيار الكهربائي بالمنيا :

ان كتابة مذكرات للذين يسرقون التيار الكهربائي عمل مشروع بل هو واجب ، وليس حراما فانك بذلك تحافظ على أموال الدولة من العبث والاتلاف والاختلاس ، فاستمر في أداء عملك ، ولا تقم وزنا لمن يحملونك وزرا ، وليس بوزر ، وضع نصب عينيك الحلال والحرام فقط .

أما اقتراحك بتقديم تفسير للقرآن الكريم فانه موضع اهتمام المجلة ، بل وقد مضينا في ذلك أشواطا طويلة ، وقدمنا تفسير سور كاملة ، ونحن نسير نحو هذا إن شاء الله .

واقتراحك بطبع مصاحف عن طريق المجلة اقتراح جيد ، والدولة هنا تهتم بذلك عن طريق وزارة الاعلام التي تطبع مصاحف يراعى فيها جودة الطباعة والورق ، ومراعاة الرسم العثماني ، وهو جهد مشكور لا شك .

ونشكرك على التحية الموجهة للسادة كتاب الوعي الاسلامي فهم من خير الكتاب في عالمنا الاسلامي .

* * *

الاسلام هو الأمل في النجاة

الاسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ليكون أساس الحياة الفاضلة للمجتمع المثالي المسلم ، ومن أصدق من الله قيلا حينما يقول الله سبحانه : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .

وقد أرسل لنا الأخ حسين راتب أبو نبعة ــ الزاوية ــ الأردن كلمة يشكو فيها من المفاسد والفتن التي جرتها علينا المدنية الحديثة بأوزارها الثقيلة ، ويدعو الى العودة الى الاسلام ، فالحياة بدونه تعني العودة إلى قانون الغاب ، وتعني التحلل ، وتفكك الروابط ، فالاسلام طوق النجاة ، وأمل البشرية جميعها في النجاة من براثن المساوئ ، وصنوف الأمراض الاجتماعية التي تثقل كاهل البشر .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

الزكاة في سبيل الله

السؤال ــ هل يجوز دفع جزء من الزكاة في بناء المساجد ، وبخاصة للجاليات الاسلامية في البلاد الأجنبية ؟

م . أ . ع ــ الكويت

الجواب ــ سبقت الاجابة على هذا السؤال في عدد شوال سنة ١٣٩٦ من هذه المجلة ، وتوضيحا لهذه الاجابة نقول : سبيل الله في اللغة هو الطريق الموصل الى مرضاته ، وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وعند اطلاقه في الشرع ينصرف الى الجهاد ، حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه كما قال ابن الأثير في « النهاية » .

وكون الجهاد من مصارف الزكاة الثمانية الموجودة في قوله تعالى : **(انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)** التوبة/ ٦٠ ـ أمر متفق عليه بين الفقهاء ، مريدين بسبيل الله الجهاد .لكن ما وراء الجهاد من أعمال الخير فالمذاهب مختلفة فيه :

فالأحناف يقصرون سبيل الله على الجهاد ، تصرف على المجاهدين تمليكا لهم . مشترطين فيهم الفقر والحاجة ، وقد أخذ عليهم هذا الشرط لأنهم به داخلون تحت اسم الفقراء ، ولم تعد هناك حاجة الى مصرف (**سبيل الله**) في الآية . والكاساني في « بدائع الصنائع » جعل جميع القرب والطاعات من سبيل الله ، لكنه اشترط ايضا تمليك الزكاة للشخص المستحق لها . وعلى هذا لا يجوز صرفها في بناء المساجد وتكفين الموتى وقضاء الديون عنهم « رد المحتار ج ٢ ص ٨٥ » .

والمالكية متفقون على ان سبيل الله في الزكاة هو الجهاد وما يتعلق به من اعداد ومرافق ، ولا يشترطون فيها تمليكا للاشخاص ، ولا يشترطون الفقر ليكون سبيل الله صنفا متميزا عن الفقراء والمساكين .

والشافعية أرادوا بسبيل الله المجاهدين المتطوعين لا من ترتب لهم أرزاق لعملهم هذا ، ولا يشترطون الفقر في هؤلاء المتطوعين ، فهم كالمالكية في قصر سبيل الله على الجهاد ، لكن أرادوا بالمجاهدين المتطوعين

والحنابلة كالشافعية في هذا الرأي ، لكن جاء في رواية عن أحمد جعل الحجاج كالمجاهدين داخلين في سهم سبيل الله لحديث أم معقل الأسدية أن زوجها جعل بكرا في سبيل الله وانها أرادت العمرة فسألت زوجها البكر فأبى ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت له ذلك فأمره ان يعطيها البكر وقال (الحج والعمرة في سبيل الله) رواه أحمد وأبو داود برواية أخرى ، والروايتان ضعيفتان .

فالمتفق عليه بين الفقهاء أن سبيل الله هو الجهاد ، مع الاختلاف في اشتراط الفقر وعدمه ، وفي تمليكها للشخص او عدم تمليكه ، وفي قصره على المتطوعين أو تعميمه على جميع المجاهدين . وما نقل عن الكاساني في جعل أنواع القربات الأخرى من سبيل الله شرط فيه التمليك للشخص لا ان نصرف في بناء المساجد وغيرها .

وابن قدامة الحنبلى في « المغنى » صوب رأي الجمهور ولم يرتض رواية أحمد في صرفها على الحجاج وقال معللا لذلك : إن الزكاة تصرف لأحد رجلين : محتاج كالفقراء والمساكين وفي الرقاب والغارمين لقضاء ديونهم ، أو من يحتاج اليه المسلمون كالعاملين على الزكاة والغزاة والمؤلفة قلوبهم والغارمين لاصلاح ذات البين ، أما الحج للفقير فلا نفع للمسلمين فيه ، ولا حاجة به اليه ايضا فهو غير واجب عليه ولا مصلحة له في ايجابه عليه وتكليفه مشقة خففها الله عنه ، وتوفير هذا القدر على ذوي الحاجة من سائر الأصناف او دفعه في مصالح المسلمين أولى .

وهناك بعض العلماء توسعوا في معنى « سبيل الله » ليشمل جميع انواع القربات ، منهم الفخر الرازي حيث نقل عن القفال في تفسيره ان بعض الفقهاء أجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه البر من تكفين الموتى وعمارة المساجد وغيرها ، ولم يعين من هم هؤلاء الفقهاء المجيزون ، وان كان لا يوصف بالفقيه الا المجتهد . ونسب ابن قدامة في « المغنى » هذا الرأي الى أنس بن مالك والحسن البصري ولكن المحققين بينوا ان هذه النسبة خطأ لعدم فهم ما نقله أبو عبيد عنهما في كتابه « الأموال » .

ومن المتوسعين في سبيل الله الامامية الجعفرية كما ذكر في كتاب « المختصر النافع » وكتاب « جواهر الكلام شرح شرائع الاسلام » في فقه الشيعة . ومنهم أيضا السيد صديق حسن خان في كتاب « الروضة الندية » الذي يقول : ليس هناك دليل على تخصيص سبيل الله بالجهاد . فليبق على معناه اللغوي واسعا ، وكونه انصرف الى الجهاد في العهود الاولى لا يمنع من شموله لكل ما يوصل الى رضاء الله من أنواع القربات ، ومال الى هذا الرأي جمع من العلماء المتأخرين والمعاصرين ،

وعلى هذا الرأي يجوز صرف جزء من الزكاة في بناء المساجد والمعاهد وتحفيظ القرآن وايواء اللاجئين ونشر الثقافة الدينية ، وكل عمل يعز الاسلام ويقوى شوكة المسلمين ويدفع عنهم غائلة الاستعمار والسيطرة بأي شكل من الأشكال .

محمد صلى الله عليه وسلم

أجدر الناس بالايمان به ومحبته واتباعه وطاعته

إن الله جمع لرسوله وسيد الخلق المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم المعارف الوافرة وأطلعه على جميع مصالح الدنيا والدين ، ولقنه محاجة كل أمة من الكفرة ، ومعارضة أهل الكتاب بما في كتبهم المسطرة .

وجوب الايمان به

من أجل ذلك كان الايمان به واجبا ، والشهادة له بالرسالة وتصديقه في جميع ما جاء به ، إيمانا يجمع بين التصديق بالقلب والشهادة باللسان .

وجوب طاعته

وكذلك تجب طاعته ، لأنها من طاعة الله ، فمن أطاعه هدى إلى سواء السبيل ، ومن خالفه استوجب شديد العقاب . وطاعته تعني التزام دينه والتسليم بما جاء به ، ورفع كلمته ، واتباع سنته السنية ومحاكاته في الأخلاق والأفعال ، والتمعن في سيرته الزكية والانقياد لأوامره في جميع الأحوال والتأسي به في حربه وسلمه والأخذ بقوله والرضا بحكمه والسعي في نشر شريعته ، وبث روحها في نفوس الخلق حتى يفقهوا أن من انتصر بها فهو منصور ، ومن سار عليها وفق في سائر الأمور ، ومن اعتصم بها نجا من النار ومن حافظ على برها حشر مع الأبرار ، ومن تمسك بها في زمن الفساد فله أجر مائة شهيد ، ومن آثرها على نفسه نال غاية الأمل ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه مثوى الكافرين . تأمل قوله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » وقوله جلت حكمته : « فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » وقوله جل شأنه « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

وجوب محبته

أما محبته صلى الله عليه وسلم فلأنه قد جاء بالرأفة والرحمة وعلم الكتاب والحكمة وبشر وأنذر ، ونهى عن التعسير ويسر ، وبالغ في النصيحة ، وسلك المحجة الصحيحة وأتى بالهداية ، وأنقذ من العماية ، ودعا إلى الفلاح ، وبين سبيل النجاح . من أجل ذلك كانت محبة سيد الخلق الكريم صلى الله عليه وسلم هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون ، فهي قوت القلوب ، وغذاء الأرواح وقرة العين ولا عجب فقد جبلت القلوب على حب من أحسن

اليها !!..

فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم المانح للخلق جوامع المكارم والفضل والذي أخرجهم من نار الجهل إلى جنات العرفان ، وهو الوسيلة إلى البقاء الأبدي في النعيم السرمدي .

من أجل ذلك استحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا ولأهلنا وأموالنا والناس أجمعين ، بل لو كان في منبت كل شعرة منا محبة تامة له ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لكان ذلك بعض ما يستحق منا .

درجات الناس في محبته

الناس متفاوتون في محبته . فمنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى ، ومنهم من أخذ منها بحظ وافر بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده .

ولا شك أن حظ الصحابة رضوان الله عليهم في هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة وهي فيهم أتم .

تأمل ما يلي :

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مولى يسمى ثوبان ، وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وظهر الحزن عليه فسأله : الرسول صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال : يا رسول الله ما بي من وجع ـ غير أني إذا لم أرك إشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لأني إن دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك . ولمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دلائل جمة أهمها ما يلي :

١ ـ نصر دينه بالقول والفعل والدفاع عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ، ومن وجدها استلذ الطاعات ، وتحمل المشاق في الدين ، وآثر ذلك على أعراض الدنيا الزائلة .

٢ ـ العطف على أمته ، والبر بهم ، والنصح لهم ، والسعي في مصالحهم ، وبذل الجهد في نشر دينه ونصرته والتأدب بآدابه وأحكامه ، وإيثار شرعه على الهوى ، وعدم مبالاة سخط الناس في رضا الله ورضاه والتخلق بخلقه ، والتطبع بطبعه واجتناب كل أمر يخالف شرعه ، والوقوف عند حدوده ، ورفض أقوال شائنة وحسودة ، وبذل النفس والمال دونه ، والميل إلى من أحبه .

٣ ـ تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره . فقد كان أصحابه الأبرار لفرط محبتهم له يعظمونه كثيرا ، ولا يملأون عيونهم منه إجلالا وتوقيرا ، يستمعون لما يخرج منه ولا يتعجلون بقضاء أمر قبل قضائه فيه ، ولا يرفعون صوتهم فوق صوته وينادونه بأشرف ما يحب من أسمائه ، وقد سمحوا في الدفاع عنه وعن دينه بأموالهم وأنفسهم .

٤ ـ محبة آله الأطهار ، وعترته الأبرار ، وذريته الأخيار ، وسائر المهاجرين والأنصار وإكرام أمهات المؤمنين أزواجه ، وإجلال من سلف من أصحابه ، ومن لازمه منهم في ذهابه وإيابه والاقتداء بأفعالهم الصالحة والاقتباس من أنوار معارفهم الواضحة .

٥ ـ الاكثار من ذكره صلى الله عليه وسلم ، لأن علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على الدوام لا ينقطعون ولا يملون ، ولا يفترون .

٦ ـ حب القرآن الكريم الذي أتى به وتخلق به . فاذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسول الله فانظر إلى محبة القرآن من قلبك . إذ من المعلوم أن من أحب محبوبا كان ما يجيء به من الحديث أحب شيء اليه .

انظر قول « عثمان بن عفان » رضي الله عنه .

لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله تعالى . وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه » .

هذا وبالله التوفيق ..

الشريف مأمون أبو الوفا

بريد الوعي الاسلامي

○ ما رأيكم في مسلم اتخذ جنسية فرنسيـة تاركا جنسيته الأصلية لضرورة مادية مع قيامه بكل ألوان العبادات الاسلامية .

وما حكم فرنسي دخل الاسلام وبقي بين أهله وما زال يحمل جنسيته ؟

محمد طوال ـ بنزرت ـ تونس .

إن الدين عند الله الاسلام ، وما دام هذا المسلم دخل الاسلام عن اقتناع ودراسة وليس لهوى أو غرض في نفسه ، وقد التزم بتعاليمه فأدى ما افترضه الله عليه ، واجتنب ما نهى الله عنه فلا شك أنه سيكون قدوة حسنة لغيره من المعاصرين له يدفعهم للاسلام بسلوكه وحسن عبادته ويشد انتباههم لدراسة هذا الدين ، والانضواء تحت لوائه .

وكذلك الآخر الذي دخل الاسلام ، ولم يغادر وطنه وأهله وعشيرته فالمطلوب العمل وفق ما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبقاؤه بين أهله لعله يكون فاتحة خير ودليل هدى لقومه يدلهم بسلوكه المتدين ، وأخلاقه التي اكتسبها من الاسلام إلى أقوم طريق ارتضاه الله سبحانه لعباده ..

ومن واجبه أن يكون داعيا لدينه مبشرا برحمة ربه حتى يصدق عليه قول الله سبحانه : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) .**

وما دام بقاؤه بين قوم غير مسلمين لا يفتنه في دينه ، ولا يحوله عن عقيدته ولا يؤثر على أخلاقه ، ولا يكون سببا في إهمال فرائضه ، والانصراف عن تعاليم ربه فلا يضر بقاؤه بينهم .

○ كثر توزيع نشرات على الناس يدعو بعضها إلى الاهتمام بارسال بعض الآيات بعد كتابة عدد منها إلى العالم . نرجو توضيح مغزى هذه الدعوات ؟

احمد توفيق ـ الرمثا ـ الأردن

نود أن نؤكد أن هذه النشرات توزع عن جهل لأن طريق الفلاح واضح ولا تحدده نشرة من هذه النشرات .

وللاسلام أركانه التي إن تمسك بها المؤمن فقد ربح الخير كله ، وحظي برضوان الله ونعيمه ، وجنب نفسه غضب الله وسخطه .

والحث على العمل مصدره الكتاب والسنة المطهرة ، واقرأ قول الله سبحانه : **(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)** . وذلك حث صريح على طلب العلم والاستزادة منه لينفع نفسه وأهله ، وليس من قبيل النفع كتابة تحذير أو تخويف كما يحدث .

ومن السنة أيضا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) .

وقد تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع فقال : (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن دعاء لا يسمع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع) .

والمطلوب من المسلم نشر العلم النافع مصداق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب مبلغ أحفظ له من سامع) ولا شك أن أنفع ما يبلغ هو كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم لأن الذي يكتم العلم حذره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (مثل الذي يتعلم علما ثم لا يحدث به مثل رجل رزقه الله مالا فكنزه فلم ينفق منه) وهذا الحديث يتفق مع معنى الآية الكريمة : **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)** .

وكلاهما شر سواء كان كاتما للعلم أو كانزا للمال .

وقد أرسل الينا الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز ابن عبدالله بن باز محذرا من مغبة السير أو العمل بهذه النشرات فقال :

نظرا إلى أن هذه النشرة لا أساس لها من الصحة بل هي كذب وافتراء ، وقول بغير علم ، فيجب إهمالها ، وعدم العمل بها ، والاعتقاد بأنها تجلب الخيرات ، وتدفع المضرات ، وأن من اعتنى بها ربح ، ومن أهملها أصيب بالحوادث اعتقاد باطل ، يخل بالعقيدة ويدعو إلى تعلق القلوب بهذه النشرة وانصرافها عن الله عز وجل .

لهذا رأيت تحذير المسلمين منها ووصيتهم باتلافها أينما وجدت ، وتنبيه إخوانهم على بطلانها ، وأن اعتقاد ما فيها يخالف شريعة الله عملا بقول الله سبحانه : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** .

اللجنة العليا للشريعة الأسلامية

انتهت في دولة الامارات العربية المتحدة صياغة مشروعات قوانين جديدة تشمل تنظيم جانب كبير من العلاقات الاجتماعية في المجتمع .

وقد انتهت اللجنة من اعداد مشروع جنائي متكامل هو الأول من نوعه في العالم الاسلامي ، استمدت جميع احكامه من الدستور القرآني ومن القوانين التي انتهت اللجنة من صياغتها أيضا قانون تحريم ربا ألنسيئة بين الأشخاص ، وقانون ألزكاة ، وقانون العقوبات (٣٥٠) مادة وقوانين باقامة حد السرقة والردة والشرب والزنا والقذف .
وقد أصدر مجلس الوزراء قرارا بتحديد فترة عمل اللجنة العليا للشريعة الاسلامية سنة أخرى حتى تستطيع النظر في مراجعة باقي القوانين .

وزارة الأوقاف تحتج على الاساءات الموجهة للقرآن الكريم

ندد السيد يوسف جاسم ألحجى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بما قامت به بعض الشركات في بلجيكا من طباعة آيات من القرآن الكريم على ورق مخصص لتغليف البضائع وقد استعمل هذا الورق في بعض المحلات في بروكسل وباريس وقال :
إن هذا العمل يعني تحديا لشعور مئات الملايين من المسلمين وقد قدمت الوزارة احتجاجا لدى حكومتي هاتين الدولتين لارغام الشركات المصنعة والمحلات التجارية التي تستخدم هذا الورق للتوقف عن صناعته وعدم تسويقه نهائيا ، وكانت بعض الحكومات والهيئات الاسلامية قد تقدمت باحتجاجات مماثلة الى حكومتي فرنسا وبلجيكا حول هذا الموضوع .
وطالب وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الحكومات العربية والاسلامية بمقاومة هذه الدعايات ، وأن لا يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الأعمال الاجرامية ومرتكبيها الذين يحاولون الاساءة الى الاسلام بكل الوسائل .

بنك إسلامي في البحرين

صرح السيد عبد الحميد العبيد عضو مجلس إدارة بيت التمويل الكويتي بأن دولة الكويت قد ساهمت بـ ١٥٪

من رأسمال مشروع بنك البحرين الاسلامي الذي يجري تأسيسه الآن في البحرين ومن المنتظر أن يبدأ البنك عمله فور صدور المرسوم الأميري بذلك قريبا إن شاء الله . وسيقوم البنك الذي يبلغ رأسماله ٢٠ مليون دينار بحريني بجميع الأعمال المصرفية بعد استبعاد نظم الربا منها بالاضافة الى القيام بمشاريع استثمارية في البحرين والبلاد العربية والاسلامية .

وقد كونت لجنة من علماء المسلمين للاشراف على نشاطات البنك التجارية المختلفة والتأكد من مطابقتها لأحكام الشريعة الاسلامية .

ويعتبر هذا البنك الجديد هو البنك الاسلامي **الرابع** من سلسلة البنوك الاسلامية التي جرى إنشاؤها في الفترة الأخيرة وهي بنك فيصل الاسلامي وبنك دبي الاسلامي وبيت التمويل الكويتي وتعمل كل هذه البنوك وفق مبادىء الشريعة الاسلامية . والجدير بالذكر أن هناك عدة بنوك إسلامية تحت التأسيس في عدد من الدول العربية والاسلامية مثل : الأردن والمغرب والباكستان .

الاحتفال بافتتاح بيت التمويل الكويتي

ضمن احتفالات الكويت بعيدها الوطني تم الشهر الماضي الافتتاح الرسمي لبيت التمويل الكويتي وهو مصرف مالي يعمل وفق احكام الشريعة الاسلامية ، وقد شارك في حفل الافتتاح سمو الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي عهد الكويت ورئيس مجلس الوزراء حيث ألقى كلمة حيا فيها جهود العاملين في البيت الذين أخرجوا فكرة انشاء بنك عالمي إسلامي الى حيز التنفيذ كما حث الهيئات الاقتصادية والمواطنين على المساهمة في انجاح هذه التجربة الرائدة .

وبيت التمويل الكويتي مؤسسة اقتصادية تهدف الى المساهمة في خدمة المجتمع وتنميته وايجاد مجتمع قائم على الأهداف التي شرعها الله لعباده في نظام المعاملات من بيع ومشاركة وإقراض وإجارة .

وقد أعلن المسئولون عن البيت في حفل الافتتاح الرسمي أن نسبة الأرباح التي حققها بيت التمويل الكويتي في الفترة التي سبقت افتتاحه قد بلغت ٩٪ وهي نسبة عالية رغم التزام البيت بأحكام الشريعة الاسلامية والبعد عن الربا .

مراكز لتحفيظ القرآن الكريم بدولة الامارات

بدأت مؤخرا الدراسة في المراكز الدائمة لتحفيظ القرآن الكريم وهو المشروع الذي يرعاه سمو الشيخ زايد ابن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ويبلغ عدد هذه المراكز حتى الآن ٣٢ مركزا موزعة على مدن : أبو ظبي ودبي والعين والشارقة ورأس الخيمة وعجمان وأم القوين والفجيرة .

والدراسة في هذه المراكز مسائية حتى

لا تتعارض مع دوام الموظفين والطلاب وقد اقتصرت على الرجال ، أما البنات فسيلتحقن بالمراكز غير الدائمة لتحفيظ القرآن الكريم في الصيف .

عناية الاسلام بالطفل

بمناسبة العام الدولي للطفل نشرت مجلة « الوحي » العمانية هذا المقال تبين فيه اهتمام الاسلام ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام بالطفل منذ نشأته وأسلوب تربيته وقد جاء بالمقال ..

لقد عنى الاسلام عناية فائقة بالأطفال ذكورهم واناثهم فأنقذهم من قتل ووأد .
ألم يكن الجاهليون قبل الاسلام يقتلون أولادهم خشية الفقر ، ويئدون بناتهم مخافة العار ؟
وأصدر الاسلام حكمه على هذه التصرفات الوحشية فجعل قتل الأولاد كالشرك بالله سواء .
يقول تعالى : « **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم** » .
وعناية الاسلام بالطفل لا تقتصر على العناية به وهو في عالم الحس والعيان بل ان عناية الاسلام به تمتد جذورها حتى تصل اليه وهو في طي الغيب قبل أن يكون نطفة ، فهيأ له المغرس الطيب ، وذلك حين أمر الرجل باختيار الزوجة الصالحة ذات الدين .

يقول صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » .
ويهتم الاسلام اهتماما عظيما بالطفل ، والوالدان هما ألصق الناس بالطفل والاسلام يدعوهما الى أن يكونا قدوة طيبة في افعالهما وأقوالهما .
وكثير من الوالدين يقعان في أخطاء أمام طفلهما يحسبونها هينة ولكنها تنقلب الى جرم عظيم حين يقلد الطفل هذه الأخطاء ، وهو معذور فمثله الأعلى في هذه الفترة من حياته أبواه وما يفعلانه هو الصواب عنده وان كان الخطأ بعينه ، هب انك قلت لابنك ان فعلت كذا أعطك كذا . ورغبة من الطفل في الفوز بهذه الهبة أو الجائزة يفعل ما أمرته به ولكنك دون اكتراث تجاهلت وعدك فلم توف بما قطعته على نفسك . ان الموازين عند الطفل البرىء تنقلب رأسا على عقب فيصبح الكذب في مفهومه صدقا وعدم الوفاء وفاء ... انك بهذا التصرف البسيط نقشت على الصورة البيضاء النقية خصلتي الكذب وعدم الوفاء .
ان الاسلام ينصح الوالدين بأن يغرسا في نفوس أولادهما حميد الصفات وجميل الأخلاق .
فعن عبد الله بن عامر قال : « دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت : ــ تعال أعطك . فقال لها صلى الله عليه وسلم ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمرا فقال لها : « أما انك لو لم

تعطه شيئا كتبت عليك كذبة » .
ليس من القدوة الحسنة على الاطلاق أن نصطحب أولادنا اذا ذهبنا الى دور السينما ثم نتركهم اذا ذهبنا الى المساجد ، ان هذا التصرف الذي يقع فيه البعض ذو عواقب وخيمة على مستقبل أولادنا وفلذات أكبادنا وكثير من المسلمين يخطئون حين يجنبون أولادهم ارتياد المساجد ، ويخطىء أكثر من ينهر طفلا ساقته قدماه الى بيوت الله !

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع الاباء والامهات على ادخال أبنائهم المسجد ، وكان الصحابة يكرمون الاطفال فيه ويضعون عنق التمر لهم ولغيرهم يأكلون منه .

لقد كان رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم رحيما بالاطفال عطوفا عليهم يقبلهم ويداعبهم ويلاعبهم .

ولعل الأقرع بن حابس كان متأثرا بأخلاق ما قبل الاسلام حين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يقبل الحسن رضي الله عنه فاستغرب وقال لرسول الله « ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم » فقال عليه الصلاة والسلام « ان من لا يرحم لا يرحم » .

غير ان الرحمة بالطفل لا تعني ترك تقويمه واهمال تهذيبه في الفترة التي يحتاج فيها الى تقويم وتهذيب ، فاذا تعود الطفل عملا لا يحبذه الاسلام ولا يرضاه الدين فمن الرحمة حينذاك القسوة عليه .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

والاسلام لا يقف مانعا دون انطلاق الطفل ولا يمانع أبدا من ممارسة الطفل لبعض التدريبات الرياضية التي يكون لها التأثير الطيب على أخلاقه وسلوكه كالتدريب على السباحة والرماية وركوب الخيل بل ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يعطي الاذن بهذا في صورة عملية .

لقد مر على قوم ينتضلون فقال : ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا ، أرموا وأنا مع بني فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ قال أرموا وأنا معكم كلكم .

والاسلام يعطي من ربى طفلا على الاخلاق الفاضلة ، والايمان بالله رب العالمين ، يعطيه خير جزاء في الآخرة حيث أدى لأمته خير عمل حين بنى نفسا وصنع رجلا .

فعن عائشة رضي الله عنها : قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ربى صغيرا حتى يقول لا إله الا الله لم يحاسبه الله » .

لا بد لنا ــ والعالم كله يحتفل بعام الطفل ــ أن نراقب أطفالنا مراقبة عملية ونلازمهم ملازمة تامة ونعطيهم المثل والقدوة ، فهم شباب الغد ، ، ورجال المستقبل .

نشاط المسلمين في بريطانيا

● تأسس الوقف التعليمي الاسلامي في لندن عام ١٩٦٦ لتلبية الحاجة الى تعليم الابناء للمحافظة على القيم

والاخلاق الاسلامية لديهم ، وهو منظمة خيرية مسجلة لدى وزارة التربية والتعليم في بريطانيا .

○ **اهم الانشطة :**

١ ـ تدريس الاسلام في ٥٥ مدرسة حكومية بريطانية وهناك ١٧ مدرسا يعملون في هذه المدارس وهناك اقبال كبير عليها .

٢ ـ اصدار كتب مبدئية (مبادىء الاسلام) بالاضافة الى النشرات المختلفة ومنها الاسلام ومنهج حياة المسلم ، حقوق ومشكلات الاباء المسلمين ، مذكرة حول اهداف الوقف ونشاطاته .

٣ ـ تنظيم المدارس المسائية الدينية واخرى خلال العطلة الاسبوعية لتعويض الناشئة البالغ عددهم ٣٠٠٠ طالب مسلم وكذلك اعداد محاضرات للاطفال عن الاسلام واقامة محاضرات اخرى لغير المسلمين .

● الاهداف : يمكن ايجاز اهداف الوقف الاسلامي هناك فيما يلي :

١ ـ المشاركة في التكوين الديني والاخلاقي والعقلي للمسلمين في المملكة المتحدة .

٢ ـ توفير التعليم الاسلامي لابناء المسلمين في المدارس الحكومية حسب المادتين ٢٥ و٢٦ من القرار التعليمي الصادر في سنة ١٩٤٤ م .

٣ ـ تنظيم المدارس الدينية وتأسيسها خلال عطلة الاسبوع ، والمدارس المسائية حسب ما تقتضيه حاجة الجالية المسلمة .

٤ ـ التعاون مع المنظمات الاسلامية الأخرى داخل بريطانيا وخارجها ـ

٥ ـ اعداد المحاضرات المناسبة ، واصدار عدد من المنشورات الدورية والمجلات والبحوث الاسلامية التي تتناول الموضوعات المتعلقة بالتعليم .

إلى كتابنا الأعزاء

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بطبع مقالاتهم على الآلة الطابعة أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث .. والله الموفق والمستعان .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الأول	مارس	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الخميس	١	٢٩	١٠ ١٧	١١ ٣٦	٥ ٤٨	٩ ١٨	١ ١٨	٤ ٢١	٥ ٤١	١١ ٥٣	٣ ٢٣	٦ ٥	٧ ٢٢
الجمعة	٢	٣٠	١٥	٣٥	٤٨	١٨	١٨	٢٠	٤٠	٥٣	٢٣	٥	٢٣
السبت	٣	٣١	١٣	٣٣	٤٧	١٧	١٨	١٩	٣٩	٥٢	٢٣	٦	٢٣
الاحد	٤	ابريل	١١	٣٢	٤٦	١٧	١٨	١٨	٣٨	٥٢	٢٣	٦	٢٤
الاثنين	٥	٢	٩	٣٠	٤٥	١٦	١٨	١٦	٣٧	٥٢	٢٣	٧	٢٥
الثلاثاء	٦	٣	٨	٢٨	٤٤	١٦	١٨	١٥	٣٥	٥١	٢٣	٧	٢٥
الاربعاء	٧	٤	٦	٢٦	٤٣	١٥	١٨	١٤	٣٤	٥١	٢٣	٨	٢٦
الخميس	٨	٥	٤	٢٤	٤٢	١٤	١٨	١٢	٣٣	٥١	٢٣	٩	٢٧
الجمعة	٩	٦	٢	٢٣	٤٢	١٤	١٩	١١	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٨
السبت	١٠	٧	٠٠	٢١	٤١	١٣	١٩	١٠	٣١	٥٠	٢٣	١٠	٢٨
الاحد	١١	٨	٩ ٥٨	٢٠	٤٠	١٣	١٩	٩	٣٠	٥٠	٢٣	١٠	٢٩
الاثنين	١٢	٩	٥٦	١٨	٣٩	١٢	١٩	٧	٢٩	٥٠	٢٣	١١	٣٠
الثلاثاء	١٣	١٠	٥٤	١٦	٣٨	١١	١٩	٦	٢٧	٤٩	٢٣	١٢	٣٠
الاربعاء	١٤	١١	٥٣	١٤	٣٧	١١	١٩	٥	٢٦	٤٩	٢٣	١٢	٣١
الخميس	١٥	١٢	٥١	١٢	٣٦	١٠	١٩	٣	٢٥	٤٩	٢٣	١٣	٣٢
الجمعة	١٦	١٣	٤٩	١١	٣٦	١٠	٢٠	٢	٢٤	٤٩	٢٣	١٣	٣٣
السبت	١٧	١٤	٤٧	٩	٣٥	٩	٢٠	١	٢٣	٤٨	٢٣	١٤	٣٤
الاحد	١٨	١٥	٤٥	٧	٣٤	٨	٢٠	٠٠	٢٢	٤٨	٢٢	١٥	٣٤
الاثنين	١٩	١٦	٤٣	٦	٣٣	٧	٢٠	٣ ٥٨	٢١	٤٨	٢٢	١٥	٣٥
الثلاثاء	٢٠	١٧	٤١	٤	٣٢	٦	٢٠	٥٧	٢٠	٤٨	٢٢	١٦	٣٦
الاربعاء	٢١	١٨	٣٩	٢	٣١	٦	٢٠	٥٦	١٩	٤٧	٢٢	١٦	٣٧
الخميس	٢٢	١٩	٣٧	١	٣١	٥	٢١	٥٤	١٨	٤٧	٢٢	١٧	٣٧
الجمعة	٢٣	٢٠	٣٥	١٠ ٥٩	٣٠	٤	٢١	٥٣	١٧	٤٧	٢٢	١٨	٣٧
السبت	٢٤	٢١	٣٤	٥٨	٢٩	٤	٢١	٥٢	١٦	٤٧	٢٢	١٨	٣٩
الاحد	٢٥	٢٢	٣٢	٥٦	٢٨	٣	٢١	٥١	١٥	٤٧	٢٢	١٩	٤٠
الاثنين	٢٦	٢٣	٣٠	٥٥	٢٨	٢	٢٢	٥٠	١٤	٤٦	٢٢	١٩	٤١
الثلاثاء	٢٧	٢٤	٢٨	٥٣	٢٧	٢	٢٢	٤٨	١٣	٤٦	٢٢	٢٠	٤٢
الاربعاء	٢٨	٢٥	٢٦	٥١	٢٦	١	٢٢	٤٧	١٢	٤٦	٢١	٢١	٤٢
الخميس	٢٩	٢٦	٢٥	٥٠	٢٥	٠٠	٢٢	٤٦	١١	٤٦	٢١	٢١	٤٣
الجمعة	٣٠	٢٧	٢٣	٤٨	٢٤	٨ ٥٩	٢٢	٤٥	١٠	٤٦	٢١	٢٢	٤٤

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٤ ○ جمادي الآخرة ١٣٩٩ هـ ○ ابريل ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مجموعة من ابناء المسلمين المقيمين في انجلترا يتعلمون قراءة القرآن الكريم والدروس الدينية على يد معلم لهم داخل مسجد لندن الجديد .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٤ ○ جمادي الآخرة ١٣٩٩ هـ ○ ابريل ١٩٧٩ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

وأين العلاج ..؟

ثار في خاطري هذا التساؤل الذي يفرض نفسه : (وأين العلاج ..؟) حينما قرأت كلمة لكاتب كبير في صحيفة عربية كبرى ، تحت عنوان : (حرب أم سلام ؟) قال في مستهلها : (العالم كله الآن ، يقف على بركان ، فأنت إذا ما بسطت خريطة الأرض تحت عينيك ، وجدتها تمور بالخطر ، وتفور بالشر ، فهذه ميادين حرب وقتال ، وتلك مواقع ثورات ومصادمات ، وهنا مناطق مشاجرات واستفزازات ، وكلها تصبغ أكبر مساحة من هذه الأرض بالدماء المهدرة ، وتغطيها بالأشلاء الممزقة ، وتشيع فيها الخرابَ والدمار ، فاذا ما تجاوزت بالنظر ساحات القتل ، ومواقع الدم ، ورحت تدور بنظرك في كل أرجاء هذه الأرض ، فانك لن تجد إلا مواقع القلق ، والتوتر ، والتأزم ، وكل ما يتحرك بهذا إلى خطر الانفجار ، وإن من وراء هذا كلِهِ قوى كبيرةٌ تتصارع فيما بينها على الأطماع والمصالح ، وهي أطماع التسلط ، ومصالح الحياة .. والعالم ينظر إلى هذا كله فتأخذه الرجفة ، ويتساءل في فزع ولهفة : هل هذه نذر الشر الكبير ؟ ودلائل حرب تشعل النار في الدنيا ، وتغمرها بالخراب والدمار ؟!

ونحن نقول : وأين العلاج ؟

العلاج في الاسلام .. ولا شيء غير الاسلام ، ومن العجيب أن هذا العلاج سهل قريب ، فهو في متناول الأيدي ، ولكن المرضى يتركون أنفسهم فريسة للداء الخطير ، ولا تتحرك أيديهم نحو الدواء ، وهو في مجال اللمس ، وموقع الحس !

فالى الاسلام الآن .. قبل ألا يكون أن .. فالاسلام هو النور الذي يضيء جوانب الحياة ، فينسخ ظلامها وظلمها (قَدْ جَاءكُمْ من اللهِ نُورٌ وكتابٌ مُبين)

إن القرآن الكريم حل المشاكل التي تزلزل أركان العالم ، وترميه بأسوأ النكبات ، وأفدح الأخطار ، حلها في سهولة وبساطة .. وجاء هذا الحل الحاسم ، لا في ثلاثين سورة من القرآن ، ولا في ثلاثين آية من

أياته ، ولكن في ثلاثين كلمة ، من كلماته ، ذلك : أن ريح الفتن والقلاقل ، تهب على العالم من ثلاث جهات : الحكم ، والبيت ، والصراع الطبقي . فإذا اختلت قواعد الحكم ، واهتزت دعائم البيت ، ووهنت الصلة بين الأغنياء والفقراء ، كانت فتنة في الأرض وفساد كبير !! وقد وضع القرآن دستور الحكم الرشيد في ثمان كلمات هن قول الله تعالى : (وشاورْهُم في الأمر فإذا عزمتَ فتوكلْ على اللهِ) ووضع دستور البيت السعيد في ثمان كلمات أخرى هن قول الله تعالى : (ولَهُنّ مثلُ الذي عليهنّ بالمعروفِ وللرجالِ عليهنّ درجةٌ) ووجه الأغنياء إلى إيتاء الزكاة المفروضة في سبع كلمات (والذين في أموالِهمْ حقٌ معلومٌ . للسائلِ والمحْرُوم) فإن لم يستجيبوا عن طواعيةٍ ورضا ، فعلى الحاكم أن يأخذها منهم بأمر الله تعالى ، في سبع كلمات بينات (خذْ من أموالِهم صَدقةً تطهرهُمْ وتزكيهم بها) .

ولو سار العالم في نور هذه الكلمات الثلاثين ، لتجمعت أشعتها في حياته ، لتسدد خطوه ، وتلهمه رشده ، وتحجُزهُ عن البغي والعدوان : (فمن اتبعَ هُدايَ فلا يَضِلّ ولا يشْقَى) .

إن تعاليم الإسلام ، تدفع بالسلوك الانساني في مجرى أمين ، وتعصمه من أن يجنح يمنة أو يسرة ، كما تحمى الشطآنُ النهرَ المتدفق ، أن ينساب كما يشاء ، ونحن نؤكد أنه لا خطر على غير المسلمين من حكم الإسلام ، فلهم في ظله ، البر ، والقِسط ، والاحسان (لا ينهاكم اللهَ عن الذين لم يقاتِلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارِكم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهمْ إن اللهَ يحبُّ المقسطينَ) . ولكن هذا الإسلام السمح الكريم ، تتحالف عليه قوى باغية ، لتصفية كيانه ، وتعويق مسيرته ، وعلى المسلمين أن يتنبهوا لهذا الخطر المحدق بهم ، والذي يتفاقم يوما بعد يوم ! ومن الخير لهم ولدينهم ، أن يشجعوا الجماعات الإسلامية الواعية الداعية إلى الله على بصيرة ، لتقوم سدا منيعا في وجه التيار الزاحف ..

إن إهمال شبابنا المؤمن ، وتركه يعيش في فراغ ديني ، يجعل ساحة الجهاد خالية ، فيسارع إليها الملحدون المخربون ! إن تضييق الخناق على الجماعات الإسلامية المخلصة ، يجعل غيرهم يتنفس في حرية ، وينطلق معربدا كما يشاء ! ومن الانصاف أن نجعل لرواد الحق ، والدعاة إليه ، مجالا أرحبَ مدى ، وأطولَ امتدادا : (أفمَنْ كانَ مؤمنا كمنْ كان فاسقا لا يَسْتوون) .

رئيس التحرير

أحمد البيومي

مَعَ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله

للشيخ عبدالجليل عيسى

(لم يهتم الاسلام بعد توحيد الله بمثل ما اهتم بشيئين اثنين :
الأول : بغضه للنفاق والمنافقين
الثاني : التشديد في المحافظة على العهود والمواثيق
وسيرى السيد القارىء ذلك واضحا فيما سيقرؤه في المقال :)

قال الله تعالى **(يأيها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . قل إن كان اباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)** التوبة/ ٢٣و٢٤ .

الأولياء : جمع ولي ، كتقي وأتقياء ، من الولاية وهي الموالاة والنصرة ، الله ولي الذين آمنوا : أي ناصرهم ومتولي أمورهم .

والاستحباب : الاستحسان القوي ، والميل الشديد .

والظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، ومجاوزة الحق الى غيره ، يقال في القليل والكثير من التجاوز ، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير والصغير . فالشرك بالله أشد أنواع الظلم ، **(إن الشرك لظلم عظيم)** لقمان/ ١٣ .

والعشيرة : الجماعة من أقارب الرجل الأدنون ، وهو في الأصل مؤنث العشير ، وهو الذي يعاشر الرجل ويخالطه .

والاقتراف : من الصيغ الدالة على الاجتهاد والطلب ، أصله من

القرف ، وهو قشر اللحاء عن الشجر ، ثم استعير للاكتساب حسنا كان أو غيره ، وهو في الاساءة أكثر استعمالا ، قال تعالى : (**سيجزون بما كانوا يقترفون**) الانعام/١٢٠ .

والتربص : الانتظار بالشي سلعة كانت يقصد لها غلاء ، أو أمرا ينتظر حصوله أو زواله (**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**) البقرة/٢٢٨ .

والفسق : الخروج ، يقال فسق فلان إذا خرج عن حجر الشرع ، أصله من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره ، ووصف الانسان بالفاسق لم يعرف في كلام العرب قبل مجيء القرآن ، قال ابن الأعرابي : لم يسمع الفاسق في وصف الانسان في كلام العرب ، وإنما قالوا فسقت الرطبة عن قشرها ، والفسق يقع بالصغير والكبير من الذنوب ، لكن تعورف فيما كان كبيرا ، فالفاسق أعم من الكافر ، يطلق على الكافر كما في قوله تعالى : (**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا**) السجدة/١٨ . وقوله (**ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**) النور/٥٥ . وقد يوصف به المؤمن المذنب (**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون**) النور/٤ وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلأنه خرج عن حكم ما ألزمه العقل ، واقتضته الفطرة .

الشرح :

كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين بعض قبائل العرب حول مكة عهد فنقضوه ، وجرأهم على ذلك بعض مرضى القلوب من الطلقاء الذين عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة سنة ثمان ، فلما كان سنة تسع أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أميرا للحج ، وبينما أبو بكر في طريقه إلى مكة إذ أنزل الله سبحانه أول سورة براءة ، ينذر فيها المشركين بالحرب لنقضهم العهد ، فأرسل صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه يؤذن بها في الناس يوم الحج الأكبر (يوم النحر) بمنى ، (**أن الله برىء من المشركين ورسوله**) التوبة/٣ . وعلم الله أن في نفوس جماعة من المؤمنين كرها لقتال من بقى من المشركين بعد فتح مكة فقال سبحانه مزيلا هذه الوساوس التي خالجت بعض الصدور ، (**ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**) التوبة/١٣ . فأمر صلى الله عليه وسلم بتطهير جزيرة العرب من شراذم الشرك التي لا ترقب ذمة ولا ترعى عهدا إذ بقاؤها على هذا الحال وراء ظهور المؤمنين شر كامن لا يلبث أن يبرز أنيابه إذا سنحت له الفرصة ليطعنهم من الخلف ويشيع حولهم الفتن ، ويخلق الأكاذيب التي تعوق جيش المؤمنين وتمكن منه أعداءه ، وفي هذا على الأمة بلاء

عظيم ، وفساد كبير ، ثم إن في الأمر بالعودة إلى قتال الكفار اختبارا وتمحيصا وكشفا عما انطوت عليه قلوب كثير من المؤمنين ، فأمرهم بالقتال وهو كره لهم ، وقال : **(أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة)** التوبة/١٦ أي أصدقاء من المشركين يسرون إليهم بالمودة .

أعلن الله نبذ عهودهم ، وآذنهم بعود حال القتال بعد أن ثبت (كما سبق) أنهم لا عهود لهم يوفون بها ، ولا أيمان يبرونها ، وإنما يعقدونها عند الخوف ، والشعور بالضعف ، وينقضونها عند الشعور بالقوة ، والقدرة على الفتك ، ومثل هؤلاء لا يؤمنون إلا بالقوة ، ولا يذعنون إلا للسيف ، قال سبحانه **(يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)** التوبة/٧٣ عند ذلك عز على بعض المسلمين قتال أقربائهم من المشركين ، ففتح بذلك باب لدسائس المنافقين وتبرم ضعفاء الايمان ، ومما حملهم على هذا التبرم من هذه القطيعة (غير ما تقدم) عوامل عدة ، منها شدة القرابة بينهم وبين بعض المشركين ، ومنها عصبية النسب ، ورحمة الرحم ، إذ كان لايزال لكثير منهم أولو قربى من المشركين يكرهون قتالهم ، ويتمنون ايمانهم ، ثم لهم بعد ذلك مصالح كثيرة يخافون فواتها .

لما جال كل هذا في نفوسهم بين الله لهم في هذه الآيات أن ما ذكر آنفا من فضل الايمان والهجرة ، وما بشروا به من رحمة من الله ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، كل أولئك لا يتم إلا بترك ولاية الكافر ، وإيثار حب الله ورسوله ، والجهاد في سبيله ، على حب الوالد والولد ، والأخ والزوج والعشيرة والمال والسكن ، فقال سبحانه : **(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان)** التوبة/٢٣ أي لا يتخذ أحد منكم أحدا من الكفار أبا كان أو أخا وليا له ، يصادقه ، ويجعله بطانة له في منزلة تجعله عرضة لمعرفة أسرار المؤمنين ، وما يستعدون به لقتال المشركين إن اختاروا الكفر مؤثرين له على الايمان ، ثم إنه تعالى بعد أن نهى عن مخالطتهم وولايتهم ، وكان لفظ النهي يحتمل أن يكون لنهي التنزيه وأن يكون للتحريم ، ذكر سبحانه ما يدفع هذا الاحتمال بأقوى أسلوب ، إذ صرح بالعلة الدالة على موطن الخطر وبصيغة تفيد حصر الظلم فيمن يفعل ذلك فقال : **(ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون)** التوبة/٢٣ أي الظالمون لأنفسهم ، ولأمتهم ، العريقون في الظلم ، الراسخون فيه ، حيث وضعوا الولاية موضع المقاطعة ، ووضعوا المودة موضع العداوة ، ثم لما نهى سبحانه عن التعرض لهذا الشر ، انتقل الى بيان ما من شأنه أن يكون سببا له ، وحاملا عليه بأسلوب آخر أدخل في

النفس ، وأرعى للوعي ، فقال تعالى : **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم)** إلى آخره ، وجه سبحانه الخطاب في النهي عن الجريمة الأولى وهي ولاية المؤمن للكافر ، وجهه بنفسه إلى المؤمنين مباشرة وبعنوان صفة الايمان الداعية لسرعة الامتثال بالبعد عما نهى عنه ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم في أمر الجريمة الثانية ، وأن يتولى صلى الله عليه وسلم توجيه الوعيد عليها على فرض وقوعها منهم ، **قال تعالى(إن كان آباؤكم)** إلى آخره ، ولم يعطفها على ما قبلها حتى يكون خطابا منه تعالى لهم بعنوان صفة الايمان ، لأن مضمون الشرطية وصفة الايمان لا يتفقان ، ولذا عبر بأداة الشرط « إن » التي من شأن شرطها أن يكون مشكوكا في وقوعه ، أو من شأنه ألا يكون ، وذكر الأبناء والأزواج هنا دون آية النهى عن الولاية ، لأن من شأن الانسان أن يتولى ويناصر في شئون الحرب وما يجر إليها من هو فوقه كالأب أو مثله كالأخ . دون من هو دونه ، ومن شأنه أن يكون تابعا له كابنه وزوجه ، وقد كان من عادة العرب أن يتفاخروا بالآباء ، ويعتزوا بما لهم من مجد قديم ، فكانوا يفاخرون بآبائهم في أسواقهم ، وفي معاهد حجهم ، قال تعالى : **(فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا)** البقرة/ ٢٠٠ فالعربي يشعر أنه يشرف بشرف أبيه ، ويحتقر بضعته ، فاذا أهين والده ارتجفت أعصابه ، وغلى الدم في رأسه ، فلا تهدأ ثائرته حتى ينتقم له ، أو يموت دون ذلك ، وكان من لطف الله أنه لم يعلق العقاب على أصل محبة الرجل لأهله ، لأن هذا طبعى ، والتكليف بالتخلي عن الطبعى تكليف بما لا يطاق ، وهو سبحانه لم يكلف الناس بما لا يطيقون ، لذا علق العقاب على تغليب محبة الأهل والعشيرة على محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله . وهذا شيء يمكن الابتعاد عنه لمن رزق التوفيق من الله .

ثم إنه تعالى ذكر الأمور الداعية لمخالطة الكفار ، وهي أربع ، أولها مخالطة الأقارب ، وذكر منهم أربعة أصناف على التفصيل ، وهم الآباء ، والأبناء ، والاخوان ، والأزواج ، ثم بقية الأقارب بلفظ واحد يتناول الجميع ، وهو لفظ العشيرة ، وهم كل من يعاشر الانسان ويخالطه من الأقربين إليه ، وثانيها الميل إلى إمساك الأموال المكتسبة لأنها أعز على النفس من الأموال الموروثة ، وثالثها الرغبة في تحصيل المال بالتجارة ، ورابعها الرغبة في المساكن ، وكانت على هذا الترتيب لأن أعظم الأسباب الداعية الى مخالطة الكفار هي القرابة ، ثم إنه يتوصل بتلك المخالطة الى بقاء الأموال الحاصلة . ثم إلى اكتساب الأموال التي هي غير حاصلة ، وفي آخر المراتب الرغبة في البناء ودور السكن ، ثم بين سبحانه أن رعاية

الدين والمحافظة على سلامة الأمــة والوطن خير من رعاية جملــة هذه الأمور كلها ، وفي تخصيص الجهاد بالذكر بعد ذكر الله ورسوله دون سائر امهات الدين ، إشعار بأنه الــركن الذي تستند إليه كل أمور الديــن والدولة ، وأنه إذا أهمل شأنه وفرط فيه المؤمنون حقت عليهم الذلــة ، وذهبت ريحهم ، فلا يكون لهم بعد ذلك دين ولا دولة ، **(فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)** هذا تهديد شديد يهز النفوس هزا عنيفا ، ويقصيها عن أسبابه ، إذ كان من أمر الله ومن سنته في خلقه أن من فرط في الجهاد والاستعداد له ، وشغلتــه شهواتــه الفانية ، وانصرف إلى متع الحياة الزائلة ، وفضلها على طاعــة اللــه ورسوله ، وعلى الجهاد في سبيله ، من كان هذا شأنه ، فسنة الله معه أن يذهب دولته ، وأن يذيقه الخزي في الحياة الدنيا ، والعذاب الاليــم في الأخرى .

عبرة وتذكرة

بمثل هذه الآيــات بصر سلفنــا الصالح بأسباب العز والسعــادة ، وفقهوا منها ما صعدوا به إلى قمة المجد في أقصر وقت ، وكونوا أمة قوية علا سلطانها سلطان أقوى دولتين كانتا تتنازعان السيادة ذلك الحين ، سمعوا قوله تعالى **(يأيها الذيــن امنوا لا تتخذوا عدوى وعــدوكم أوليــاء تلقــون إليهــم بالمودة)** المتحنه/١ . فسارعوا إلى الامتثال في السر والعلانية .

قال عبدالله بن الزبير قدمت قتيلة مطلقة أبي بكر في الجاهلية وأم ابنته أسماء ، وهى لا تزال على الشرك ، قدمت المدينة تريد زيارة ابنتها أسماء بنت أبــي بكر ، زوج الزبــير بن العوام ، تحمل إليها هدية ، تريد من ابنتها الصلة والبر ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها ، أو تدخلها بيتهــا ، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله سبحانــه **(لاينهــاكم اللــه عن الذيــن لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطــين . إنمــا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الديــن وأخرجــوكم من ديــاركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)** المتحنه/٨ ، ٩ . فأذنها رسول الله صلى الله عليــه وسلــم أن تقبــل هديتها ، وأن تثيبها عليهــا ، وأن تدخلها بيتها ، فبرتها ، وأحسنــت إليها ، فعلم الناس أن الاحسان إلى الذين لا يقاتلون ، كالنساء والأطفال والضعفاء من الأقارب جائز ، وأن الموادة المنهى عنها هى أن تصادق عدو دولتك ، المحارب الذي يكيد لها ليفسد عليها أمرها ، مثــل هذا لا يجوز أن تتخذه بطانة لك ولا أن تطلعه على أسرار أمتك ، لأنه يود لك ولأمتك الهلكة .

سمع المؤمنون الرسول صلى الله عليه وسلــم يحــث على بذل المال

للجهاد ، فتسابقوا ، حتى كان من بينهم من خرج عن نصف ماله ، ومنهم من خرج عن ماله كله ، لأنهم فهموا أن المال مع الذلة والضعف رق وعبودية ، وأن بذل المال في سبيل عزة الأمة وكرامتها يعود بالعزة والمال معا ، رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه عنايته لعز الدولة وقوتها وشرفها ، يقدم ذلك كله على إشباع البطون ، وملء الجيوب .

سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، يحث على الدخول في عداد جيش لغزوة بعيدة ، فسارع الجميع حتى الغلمان والفقراء الذين لا يملكون ما يحملهم ، وكان من الغلمان الذين ردهم صلى الله عليه وسلم لصغر سنهم ، عبدالله بن عمر ، ورافع بن خديج ، وقال الله تعالى في الفقراء الذين تطوعوا ولم يجدوا ما يركبون ، وذهبوا إليه صلى الله عليه وسلم يطلبون ما يحملهم عليه ، فاعتذر بعدم الوجدان ، **(ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)** التوبة/٩٢ .

علموا رضى الله عنهم أن الأمة إذا استولى عليها الوهن ، وقذف في قلوب أبنائها كراهية الموت ، وحب الحياة الذليلة ، فخافت الجهاد ، واستخذت أمام عدوها ، إن هى إلا حية لا سم في رأسها ، فأصبحت قطعة من حبل تلهو بها العجائز ، ويلعب بها الاطفال ، علموا أن الحرب شر ، ولكن طالما أتى الخير من الشر ، فقد ثبت بالتجربة أن للحروب على ما فيها من عدوان وشرور فوائد عظيمة في ترقية الأمم ، ورفع شأنها ، خصوصا إذا التزم في الحرب ما قرره الاسلام . من إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ومراعاة قواعد العدل ، واحترام العهود ، وتحريم الخيانة ، وتقدير الضرورات بقدرها ، وكل هذه آداب جاء بها الاسلام ، وشهد بها كبار علماء الغرب حتى قال أحدهم : « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » علموا رضى الله عنهم أنه لا خير في أمة لدنة مترهلة ، غارقة في الترف والنعيم ، تأكل كما تأكل الأنعام ، والذل مثوى لها ، علموا أن طريق المجد ليس ممهدا بالديباج والحرير ، بل هو ملىء بالصخور والأشواك ، لكنه متعة روحية ، تليق بالانسان ، وليس متعة مادية ، لا تليق إلا بالحيوان وأشباه الحيوان ، علموا أن الرجل العظيم هو الذي يرى أن كرامته في كرامة أمته ، وعزه في عزها واستقلالها ، طليقة في ميدان الحياة الدولية ، لا سلطان لأحد عليها إلا سلطان مصلحتها ، ولو كان هو بعد ذلك يفترش الغبراء ، ويلتحف السماء ، ويطعم الدخن والشعير ، أما الذي يقبل أن يكون عبدا لغيره ، مسلوب الارادة ، يجرى الى خلف على مالا يريد ، فهو مهما خب في الديباج ، وملأ خاصرتيه لحما وشحما كبش ضحية ، وعير أثقال .

هذا : والله ولي التوفيق

مِنْ وَحْيِ النُّبُوَّة

طاعة وإذعان

سبق أن ذكرنا في شرح الحديث النهي عن كثرة السؤال ، واثارة الجدل في العلم ، وتتبع المسائل المعماة وهي الأغلوطات التي يقصد بها إحراج المسؤول ولا يقصد بها تحصيل العلم والوصول إلى الحقائق والمعارف الصحيحة .

وقد انقسم الناس في هذا الباب قسمين : فمن أتباع أهل الحديث من سد باب المسائل حتى قل فهمه وعلمه لحدود ما أنزل الله على رسوله وصار حامل فقه غير فقيه . ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها ما يقع في العادة منها وما لا يقع ، واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك وكثرة الخصومات فيه ، والجدال عليه ، حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب ويستقر فيها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء ، ويقترن ذلك كثيرا بنية المغالبة ، وطلب العلو ، والمباهاة ، وصرف وجوه الناس ، وهذا مما ذمه العلماء الربانيون ودلت السنة على قبحه وتحريمه . وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به ، فان معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله وما يفسره من السنن الصحيحة وكلام الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحها وسقيمها ، ثم التفقه فيها وفهمها والوقوف على معانيها ، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام وأصول السنة والزهد والدقائق وغير ذلك ، وهذا هو طريق الامام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين . وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي ما لا ينتفع به ولا يقع ، وانما يورث التجادل فيه كثرة الخصومات والجدال وكثرة القيل والقال .

وكان الأمام أحمد كثيرا اذا سئل عن شيء من المسائل المحدثة المتولدات التي لا تقع يقول : دعونا من هذه

عَنْ أبي هُرَيرَةَ عبدِ الرّحمنِ بنِ صَخْرٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَليهِ وَسلّم يَقولُ : (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنّمَا أَهْلَكَ الّذينَ مِن قَبلِكُم كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلى أنبِيَائِهِم) رَواهُ البخاري ومسلم .

المسائل المحدثة . وما أحسن ما قاله يونس بن سليمان السقطي : نظرت في الأمر فاذا هو الحديث والرأي ، فوجدت في الحديث ذكر الرب عز وجل وربوبيتـه واجلالـه وعظمتـه وذكر العرش وصفة الجنة والنـار وذكر النبيين والمرسلين والحلال والحـرام والحث على صلة الأرحام وجمـاع الخير فيه ، ونظرت في الرأي فاذا فيه المكر والغدر والحيل وقطيعة الأرحام وجماع الشر فيه . ومن سلك طريقه لطلب العلم على ما ذكرناه تمكن من فهم جواب الحوادث الواقعة غالبا لأن أصولها توجد في تلك الأصول المشار إليها ، ولا بد أن يكون سلوك هذا الطريق اتباعا لأئمة أهل الدين المجمع على هدايتهم ودرايتهم كالشافعـي وأحمد واسحاق وأبى عبيد ومن سلك مسلكهم ، فان من أدعى سلوك هذا الطريق على غير طريقهم وقع في مفاوز ومهالك وأخذ بما لا يجوز الأخذ به وترك ما يجب العمل به ، وملاك الأمر كله أن يقصد بذلك وجه الله عز وجل والتقرب اليه بمعرفة ما أنـزل على رسوله وسلوك طريقه والعمـل بذلك ودعاء الخلق اليه ، ومن كان كذلك وفقه الله وسدده وألهمه رشده وعلمه ما لم يكن يعلم وكان من العلماء الممدوحين في الكتاب في قوله تعالى : **(انمـا يخشى الله من عبـاده العلماء)** فاطر/٢٨ ومن الراسخين في العلم . وقد خرج ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال : « من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ، ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم » . قال نافع بن زيد : يقال : الراسخون في العلم المتواضعون لله ، والمتذللون لله في مرضاته لا يتعاظمـون على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أتاكم أهل اليمن هم أبر قلوبا وأرق أفئدة ، الايمان يماني والفقه يماني والحكمة يمانية) رواه الشيخان ، وهذا اشارة منـه إلى أبـي موسى الأشعري ومن كان على طريقه من علماء أهل اليمن ، ثم إلى مثل أبى موسى الخولانـي وأويس القرنـي

وطاوس ووهب بن منبه وغيرهم من علماء اليمن ، وكل هؤلاء من العلماء الربانيين الخائفين لله ، فكلهم علماء بالله يخشونه ويخافونه . وبعضهم أوسع علما بأحكام الله وشرائع دينه من بعض ، ولم يكن تمييزهم عن الناس بكثرة قيل وقال ولا بحث ولا جدال . وكذلك معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أعلم الناس بالحلال والحرام ، ولم يكن علمه بتوسعة المسائل وتكثيرها ، بل قد سبق عنه كراهة الكلام فيما لا يقع ، وإنما كان عالما بالله وعالما بأصول دينه رضي الله عنه . وقد قيل للامام أحمد : من نسأل بعدك ؟ قال عبد الوهاب الوراق قيل له : إنه ليس له اتساع في العلم ، قال : انه رجل صالح مثله يوفق لاصابة الحق . وسئل عن معروف الكرخي فقال : كان معه أصل العلم خشية الله ، وهذا يرجع إلى قول بعض السلف : كفى بخشية الله علما ، وكفى بالاغترار بالله جهلا . وهذا باب واسع يطول استقصاؤه . ولنرجع إلى شرح حديث أبى هريرة رضي الله عنه فنقول : من لم يشتغل بكثرة المسائل التي لا توجد مثلها في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل اشتغل بفهم كلام الله ورسوله وقصده بذلك امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، فهو ممن امتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وعمل بمقتضاه ومن لم يكن إهتمامه بفهم ما أنزل الله على رسله واشتغل بكثرة توليد المسائل قد تقع وقد لا تقع وتكلف أجوبتها بمجرد الرأي خشى عليه أن يكون مخالفا لهذا الحديث مرتكبا لنهيه تاركا لأمره .

واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة انما هو من ترك الاشتغال بامتثال أوامر الله ورسوله وإجتناب نواهي الله ورسوله ، فلو أن من أراد أن يعمل عملا ، سأل عما شرعه الله في ذلك العمل ، فامتثله وعما نهى عنه فيه فاجتنبه ، وقعت الحوادث مقيدة بالكتاب والسنة ، وإنما يعمل العامل بمقتضى رأيه وهواه ، فتقع الحوادث عامتها مخالفة لما شرعه الله وربما عسر ردها إلى الأحكام المذكورة في الكتاب والسنة لبعدها عنها ، وفي الجملة فمن امتثل ، ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وانتهى عما نهى عنه وكان مشتغلا بذلك عن غيره حصل له النجاة في الدنيا والآخرة ، ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره وما يستحسنه ، وقع فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسلهم . وقوله صلى الله عليه وسلم (اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) قال بعض العلماء : هذا يؤخذ منه أن النهي أشد من الأمر ، لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه ، والأمر قيد بحسب الاستطاعة . وروى هذا عن الامام أحمد رحمه الله ، ويشبه هذا قول بعضهم : أعمال البر يعملها البر والفاجر ، وأما المعاصي فلا

يتركها إلا صديق . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له (اتق المحارم تكن أعبد الناس) . وقالت عائشة رضي الله عنها : من سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف عن الذنوب ، وروى مرفوعا . وقال الحسن : ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه . والظاهر أن ما ورد من تفضيل ترك المحرمات على فعل الطاعات ، إنما أريد به على نوافل الطاعات ، والا فجنس الأعمال الواجبات أفضل من جنس ترك المحرمات ، لأن الأعمال مقصودة لذاتها والمحارم مطلوب عدمها ، ولذلك لا تحتاج إلى نية بخلاف الأعمال ، وكذلك كان جنس ترك الأعمال قد تكون كفرا كترك التوحيد وكترك أركان الاسلام أو بعضها على ما سبق بخلاف ارتكاب المنهيات ، فانه لا يقتضى الكفر بنفسه ، ويشهد لذلك قول ابن عمر رضي الله عنهما : لرد دانق من حرام أفضل من مائة ألف تنفق في سبيل الله . وعن بعض السلف قال : ترك دانق مما يكرهه الله أحب الى الله من خمسمائة حجة . وقال ميمون بن مهران : ذكر الله باللسان حسن ، وأفضل منه أن يذكر الله العبد عند المعصية فيمسك عنها . وقال عمر بن عبد العزيز : ليست التقوى قيام الليل وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن التقوى أداء ما افترض الله وترك ما حرم الله ، فان كان مع ذلك عمل ، فهو خير إلى خير أو كما قال : وقال أيضا : وددت أني لا أصلي غير الصلوات الخمس سوى الوتر ، وأن أؤدي الزكاة ، ولا أتصدق بعدها بدرهم ، وأن أصوم رمضان ولا أصوم بعده يوما أبدا ، وأن أحج حجة الاسلام ثم لا أحج بعدها أبدا ، ثم أعمد إلى فضل قوتي فأمسك عنه خشية أن يكون وسيلة الى ما حرم الله . وحاصل كلامهم يدل على اجتناب المحرمات وإن قلت ، فهى أفضل من الاكثار من نوافل الطاعات فان ذلك فرض وهذا نفل .

وقال طائفة من المتأخرين : إنما قال صلى الله عليه وسلم (إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) لأن امتثال الأمر لا يحصل إلا بعمل ، والعمل يتوقف وجوده على شروط وأسباب وبعضها قد لا يستطاع ، فلذلك قيده بالاستطاعة كما قيد الله الأمر بالتقوى بالاستطاعة ، قال الله عز وجل : **(فاتقوا الله ما استطعتم)** التغابن/١٦ . وقال في الحج : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)** آل عمران/٩٧ .

وأما النهي فالمطلوب فيه الترك ، وذلك هو الأصل ، وقد سئل عمر عن قوم يشتهون المعصية ولا يعملون بها فقال : أولئك قوم امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . وقال يزيد بن ميسرة : يقول الله في بعض الكتب : أيها الشاب التارك لشهوته المتبذل في شبابه من أجلي ، أنت عندي كبعض ملائكتي – والمتبذل الذي لا يعني بمظهره وزينته – والتحقيق في هذا أن الله لا يكلف العباد من الأعمال

ما لا طاقة لهم به . وقد أسقط عنهم كثيرا من الأعمال بمجرد المشقة رخصة لهم ورحمة بهم . وأما المناهي فلم يعذر أحدا بارتكابها بقوة الداعي والشهوات بل كلفهم تركها على كل حال ، وأن ما أباح أن يتناولوا من المطاعم المحرمة عند الضرورة ما تبقى معه الحياة لا لأجل التلذذ والشهوة . ومن هنا يعلم صحة ما قال الامام أحمد رحمه الله : إن النهي أشد من الأمر . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ثوبان وغيره أنه قال : (استقيموا ولن تحصوا) يعني لن تقدروا على الاستقامة كلها . وروى الحاكم بن حزن الكلفى قال : (وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه الجمعة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا أو قوس ، فحمد الله وأثنى عليه بكلمات خفيفات طيبات مباركات ، ثم قال : يا أيها الناس إنكم لن تطيقوا ولن تفعلوا كل ما أمرتكم به ، ولكن سددوا وأبشروا) أخرجه الامام أحمد وأبو داود . وفي قوله صلى الله عليه وسلم (اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) دليل على أن من عجز عن فعل المأمور به كله ، وقدر على بعضه ، فانه يأتي بما أمكن منه ، وهذا مطرد في مسائل : منها الطهارة ، فاذا قدر على بعضها وعجز عن الباقي أما لعدم الماء أو لمرض في بعض أعضائه دون بعض فانه يأتى من ذلك بما قدر عليه ويتيمم للباقي ، وسواء في ذلك الوضوء والغسل على المشهور ، ومنها الصلاة ، فمن عجز عن فعل الفريضة قائما صلى قاعدا ، فان عجز صلاها مضطجعا . وفي صحيح البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا ، فان لم تستطع فعلى جنبك ، فان عجز عن ذلك كله أومأ بطرفه وصلى بنيته) ولم تسقط عنه الصلاة على المشهور . ومنها زكاة الفطر فاذا قدر على إخراج بعض صاع لزمه ذلك على الصحيح ، فأما من قدر على صيام بعض النهار دون تكملته فلا يلزمه ، ذلك بغير خلاف لأن صيام بعض اليوم ليس مقربة في نفسه ، وكذلك لو قدر على عتق بعض رقبة في الكفارة لم يلزمه ، لأن تبعيض العتق غير محبوب للشارع بل أمر بتكملته بكل طريق . وأما من فاته الوقوف بعرفة في الحج فهل يأتي بما بقى منه من المبيت بمزدلفة ورمى الجمار أم لا ؟ بل يقتصر على الطواف والسعي ، ويتحلل بعمرة على روايتين عن أحمد : أشهرهما أنه يقتصر على الطواف والسعي ، لأن المبيت والرمي من لواحق الوقوف بعرفة وتوابعه ، وإنما أمره الله تعالى بذكره . عند المشعر الحرام ، وبذكره في الأيام المعدودات لمن أفاض من عرفات ، فلا يؤمر به من لا يقف بعرفة كما لا يؤمر به المعتمر ، والله أعلم .

شرح هذا الحديث مستقى من كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي

اللغة العربية
هي لغة القرآن والإسلام

للدكتور محمد محمد أبو شهبه

شبه جزيرة العرب :

هي عبارة عن هذا الجزء الذي يقع في الجنوب الغربي من قارة « آسيا » وهي أكبر شبه جزيرة في العالم ، ويبلغ متوسط عرضها سبعمائة ميل ، ومنتهى طولها ألف ومائة ميل ، ومساحتها حوالي ألف ألف ميل مربع (مليون ميل بلغة اليوم)

ويحدها من الجنوب البحر العربي « المحيط الهندي » ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشرق الخليج العربي ، ونهر الفرات ، ومن الغرب البحر الأحمر ، وبرزخ السويس قديما ، وتسمى قناة السويس الآن ، ومن ثم نرى أنها تحيط بها البحار والأنهار من جميع الجهات إلا جزءا قليلا منها ، ولهذا يطلق عليها البعض تجوزا « جزيرة العرب » .

وهذا التحديد الذي يقول به الهمداني يدخل بلاد الشام كلها ، والبادية التي بين العراق ، والشام وبادية سيناء في جزيرة العرب .

وهو يتفق ، وما ذكره « هيرودوت » المؤرخ القديم غير أنه اعتبر « نهر النيل » الحد الغربي للقارة ، وجعل صحراء مصر الشرقية كما هي معروفة الآن من الجزيرة العربية .

« موقع شبه الجزيرة العام » :

وتحتل شبه جزيرة العرب موقعا هاما ، إذ أنها تربط بين قارات ثلاث : آسيا ، وأفريقيا ، وأوروبا ، وأما من الناحية الخريطية الحضارية قبل الاسلام فهي تربط بين الحضارتين السائدتين حينذاك في العالم : الحضارة الرومانية ، والحضارة الفارسية .

الجنس العربي :

والجنس الذي يسكن شبه الجزيرة العربية يسمى : الجنس العربي ، وهو أحد الأجناس السامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام ولكنه أكثرها محافظة على خصائص الساميين ، وهذا الجنس يتكلم اللغة

العربية .

« **اللغة العربية** » :

اللغة : **هي الألفاظ التي** يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والافصاح عما في نفوسهم واللغة العربية هي احدى اللغات السامية ، ومن هذه اللغات السامية : السريانية والعبرانية والحبشية ولكنها أكثرها محافظة على خصائص اللسان السامي ، وترجع هذه المحافظة إلى طبيعة الحياة في شبه الجزيرة ، وهي طبيعة الانعزالية ، والمحافظة على الأنساب ، والأحساب ، وعدم التزوج من غيرهم ، أو تزويجه منهم مهما كان من الجاه والسلطان فقد عصمت هذه الحياة الجنس العربي ، واللغة العربية من الهجمات التي تعرض لها غير العرب من الجنس السامي ، وغير اللغة العربية من فروع اللسان السامي كالسريانية والعبرانية والحبشية وإذا كانت الأمة العربية من الجنس الأبيض أرقى الأجناس البشرية ، بل قد عدها بعض علماء التشريح أنموذجا للتقويم البشري الكامل « اثنولوجيا » ـ فان لغتها أرقى اللغات الحية على الاطلاق ، وأثراها ، وأخفها على اللسان ، وأحبها إلى الآذان ، وأشملها لمقومات الآداب والعلوم من الألفاظ والتراكيب .

« **الأمة العربية في التاريخ** » :

والأمة العربية من أقدم الأمم وأشهرها ، كان لها في التاريخ القديم ، والحديث آثار لا تزال باقية إلى الآن .

وقد كرم الله تبارك وتعالى وجودها ، بأن اختار منها خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى آله ، وأصحابه ، فكان شاهد صدق على أنها الأمة الجديرة بقيادة العالم إلى تحقيق السعادتين : الدنيوية ، والأخروية ، إذا عضت بالنواجذ على هذا الدين الاسلامي ، الذي هو خاتم الأديان ، وأكملها ، وأوفاها بحاجات البشر جميعا كما خلد الله تبارك وتعالى اللغة العربية حينما جعل آية النبي صلى الله عليه وسلم العظمى ، ومعجزته الكبرى وحيا يتلى ، وقرآنا عربيا مبينا ما بقى مسلم على وجه الأرض .

وما من أمة إسلامية إلا وتاريخها ممتزج بتاريخ الأمة العربية المسلمة ، وما من أمة إسلامية إلا لهذه الأمة العربية التي حملت لواء الاسلام ، ونشرته في الخافقين فضل عليها ، فالأمم الاسلامية في الشرق والغرب مدينة لأمة العرب المسلمة التي حملت مشعل الرسالة المحمدية بعد الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حتى بلغ الاسلام ما بلغ الليل والنهار !!..

القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر :

والقرآن الكريم هو كتاب العربية الأكبر ، ورمز وحدة العرب الكبرى ، وجامعتهم العظمى ، وبه اكتسبت لغة العرب بقاءها وحيويتها ، وبه صار العرب أمة مؤمنة موحدة ، متآلفة القلوب متجانسة المزاج ، متحدة

اللسان ، متشابهة البيان .

وبه صار المسلمون في صدر الاسلام أمة واحدة ، لا يفرق بينها جنس ، ولا لون ، ولا لغة وقد انصهرت كل هذه الفوارق ، وذابت في نور الاسلام ، ولم يبق الاعتزاز إلا بشيء واحد ، وهو الاسلام ، ولغة القرآن ، وصار لسان الواحد منهم يقول :

أبى الاسلام لا أب لي سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم

ومن القرآن استمد العرب والمسلمون علومهم ، ومعارفهم ، وتلونت به ثقافتهم ، فما من علمٍ من علومهم ، إلا وله بالقرآن سبب ، وله منه ورد ، ومدد .

ولولا هذا الكتاب العربي المبين لاستعجمت لغة العرب ، وأصبحت في عداد اللغات الميتة ، فهو الذي يجدد شبابها كلما اعتراها الهرم ، والضعف ، ويأخذ بيدها إذا ألم بها التخلف والركود ولولا هذا الكتاب العربي المبين لما كانت هذه الثروة الطائلة من العلوم التي تدور حول القرآن ولغة القرآن وتجول وتصول في رحابه الواسعة .

وما من عربي ـ أيا كان دينه ـ إلا وله بهذا الكتاب مفخرة ، واعتزاز ، ومزاولة له ، وحب لأنه يشبع فطرته العربية ، ووجدانه البياني ، ويوائم روحه العربية الصافية الشفافة ويرى في أسلوبه ، وتفننه في القول والخطاب المثل الأعلى للبيان العربي الفصيح البليغ .

انتشار اللغة العربية بين المسلمين من غير العرب :

لما جاور الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى ، وحمل الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن جاء بعدهم من التابعين فمن بعدهم ـ تبليغ الرسالة من بعده الى الناس كافة كانوا يحملون القرآن الكريم بيد والسيف باليد الأخرى ، لا لاكراه الناس على الدخول في الاسلام ، وقبول شريعته كلا وحاشا !! وإنما لحماية الدعوة إلى الاسلام ، وإلى شريعته ، والحق ما لم تكن له قوة تؤيده وتحميه ضاع بين سطوة الباطل ، وسلطان البغي » .

ولو أن قياصرة الرومان ، وأكاسرة الفرس ، وغيرهم من ملوك أمم الأرض ورؤسائها تركوا للمسلمين الدعوة إلى دينهم الحق بالحجة والبرهان ، والحكمة ، والموعظة الحسنة ، وفي ظل الأمان والسلام لما وقعت حروب ، ولانتشر الاسلام بقوة حجته ، ومواءمته للفطرة البشرية ، والعقول السليمة ، والنفوس التي تجردت من أهوائها وشهواتها . والأرواح الصافية الشفافة التي لم تدنسها الظلمات الأرضية ، والعوائق المادية .

وكان الاسلام ولغة القرآن يسيران جنبا الى جنب ، في البلاد المفتوحة ، فما إن يدخل الرجل أو المرأة في الاسلام حتى كان أول ما يفكران فيه حفظ القرآن أو شيء من القرآن ، وحفظ السنة أو شيء منها ، فمن ثم انتشرت اللغة العربية في البلاد المفتوحة ، بسرعة انتشار الاسلام .

الشباب

وبناء المستقبل

للدكتور : محمد لبيب البوهي

الداء والدواء

هناك للشباب مشكلات يعاني منها العالم أجمع ، وهذه المشكلات تشغل الآباء وعلماء الاجتماع ، ولكنهم يحسون حيرة واضطرابا في شأنها ، ولا يكادون يدركون لها حلا ، أو على وجه أصح لم يحاولوا لأسباب غير واضحة تماما أن يتجهوا تلقاء الحل السليم ، وكأنما هناك غشاوة على الأعين تحول بينها وبين أن ترى أنوار الطريق بل في كثير من الأحيان وربما من خلال الاضطراب الفكري أو بخضوع غير مباشر لتخطيط شيطاني استعماري نقدم للشباب بأيدينا أنواعا من السموم وقد تبدو من الذكاء في تغليفها أنها من ألوان الدواء .

● ● ●

فأكثر وسائل الاعلام واكثر الصحف والمجلات التي هي من وسائل الثقافة تزيد بسبب كثير مما تعرضه او تقدمه من عنفوان المشكلة بدلا من ان تساعد على حلها وكل مهتم بهذه المشكلة ينظر في كثير من الأسى والحسرات الى افلام « الكراتيه » والجنس وما إلى ذلك مما يقدم للشباب في غاية من الاتقان الفني والذكاء في التنميق والعرض مما يعتبر بحق سما يقدم إليهم في غفلة أو انحراف في الوعي أو عدم مبالاة بالنتائج الأمر الذي يبدو على اليقين انه يهدد المستقبل القريب للحياة البشرية . إذ أن هؤلاء الشباب سيتولون حتما أمر دفة سفينة الوجود في بحر متلاطم الأمواج يغمره الظلام .

● ● ●

من أسباب مشكلة الشباب

ولا بد من تحليل أسباب مشكلة الشباب ومن خلال هذا التحليل نرى أنها ترجع إلى أمور كثيرة نذكر أهمها فيما يلي :

فالأمر الأول : أننا نكاد نكون قد أهملنا الالتزام إزاء إعداد أبنائنا كما يجب أن يكون الاعداد القويم السليم ، وربما كنا متأثرين بالأساليب التي أغرانا بها الاستعمار عن ذكاء وتخطيط متعمد للاضرار بحياة الأمة التي لا ينهض أكثر أمرها إلا على الشباب ، فاذا فسد فقد فسد أو كاد كل شيء ، وهذا هو هدف الاستعمار ليستطيع أن ينشب أظفاره في بلادنا ، ولقد كان منا إلى حد كبير

أن ابتعلنا ذلك الطعم المسموم المعسول ، غافلين عن أن مرحلة الشباب هي مرحلة الانفعالات والفورات الخطرة ، فاذا أهمل توجيهها كانت كالعود الذي لا يستقيم بعد أن تركناه ينمو وهو معوج ويبدأ هذا الاضطراب منذ البداية في إهمال التخطيط السليم للتربية الدينية ، وسيكون الكبار منا مسئولين أمام الضمير وأمام الله عن ترك مهمة الترويض والاعداد لاعتدال العود منذ البداية .

• • •

مسئولية الأمراض الاجتماعية

ويرجع الأمر الثاني إلى أنه كانت وما تزال هناك أمراض اجتماعية ، ووسائل أضعفت البنيان التكويني لبلادنا لأسباب موغلة في أزمان ماضية ، ربما يكون أكثرها قد نشأ من التخلف الذي أصاب الأمة منذ تفرقت شيعا ، وتباعدت عن خصائصها ، ولم نهتم بعلاج هذه الأوضاع وتركنا أبناءنا يتوارثونها بطريق تلقائي غير مباشر ، فانتقلت إليهم جراثيم هذا الضعف الناشئ من أزمان التخلف ، ونمت معهم وترعرعت جراثيم هذه الأمراض .

التقليد الأعمى

ولقد نرى أن الأمرين السابقين قد مهدا تمهيدا كاملا للأمر الثالث وهو أن شبابنا راحوا يتطلعون إلى أقرانهم من شباب الأمم التي تسمى بالتقدمية فأغراهم ما وجدوا عليه هؤلاء من التحرر الانطلاقي من كل قيد ، فتسربت إلى نفوس شبابنا سخافات كثيرة ، ولقد ساعد الفراغ الديني ، والتخلخل الأخلاقي في ذلك ، حتى أصبح كثير من شبابنا يجدون لذة ومتاعا وإغراء وجاذبية في هذا الانحراف .

• • •

أثر الاعداد المبكر

وهناك حقيقة بديهية هي أن المرء ينشأ على ما تعود عليه ، حتى أن أكثر العبادات كالصلاة مثلا لا تتمكن في النفس إلا بتمكين العادة فيها ، فالذين نحملهم على الصلاة منذ الصغر حتى ولو لم يدركوا كثيرا من أهدافها يتعودونها وتصبح لازمة لهم عند الكبر لا يتخلون عنها والعكس في ذلك صحيح ، ولو أننا حرصنا على أن يشب الطفل منذ نعومة أظفاره في جو منزلي وبيئي ومدرسي مشبع بالتعاليم الدينية لنمت معه هذه الخصائص ، بخلاف ما لو ترك البيت أمره للظروف وتصيدته الشاشة الصغيرة لتغرس في نفسه بحكم عادة المشاهدة ما لا يصح أن يكون ، فان الأمر سوف يكون مختلفا تماما .

وكذلك الأمر لو أن مجلاتنا وصحفنا ووسائل إعلامنا حرصت على ألا تغذي أبناءنا على اختلاف

مراحلهم بكثير من السموم المكتوبة والمصورة لساعد ذلك كثيرا على نمو طهارة الفطرة الطبيعية التي استودعها الله في نفوس مخلوقاته وهم أجنة في بطون أمهاتهم .

وإن نظرة إلى أكثر ما تقدمه المسارح وبعض وسائل الاعلام لتضاعف من أثر الحسرات في النفوس إذ ننفق أموالا وجهدا في تقديم هذا الغذاء المغلف بالسم في إفساد حياتنا ومستقبلنا الذي يتمثل في الشباب .

● ● ●

سوء فهم حقيقة الدين

ولقد يقال : إن الدين له مظاهره وأن المواسم والأعياد الاسلامية .. يحتفى بها ، والأسماء التاريخية الاسلامية نطلقها على بعض المعاهد والطرق ونحو ذلك ، ولكن ذلك في الحقيقة مجرد أشكال ومسميات خالية من المعنى ، ونحن نرى أن الغالبية العظمى من الناس يحملون أسماء اسلامية ، ولكن أين حقيقة الايمان مما هو حاصل فعلا ؟. إن عددا كبيرا من تاركي الصلاة والمتخلفين عن الزكاة بل والمعاقرين لما ينهى الله عن تناوله أو إتيانه والغاشين في التجارة والمرتكبين لجنايات مختلفة والمستهينين بالأعراض وبحدود الله ، إنما يحملون مع الأسى الكبير أسماء إسلامية دون أن يكون لهم منها أو مما يجب أن ينبثق عنها من حقيقة الايمان الباطني ما يمكن ان يكون وازعا أو رادعا .

● ● ●

وجوب تطبيق المعتقدات

إنه مما هو معروف بداهة ومما يجب أن نذكر به أنفسنا أن الايمان ليس مجرد كلمات أو شعارات ، وإنما هو قبل كل شيء عقيدة وسلوك ، وبغير السلوك القويم المستمد من هدى العقيدة لا تكون هناك جدوى من ادعائه أو التمسح بأسمائه ، وواضح تماما أن كل آيات الايمان قد جاءت في كتاب الله مقترنة بالدعوة إلى العمل . بموجبات هذا الايمان ، ولكن أكثر ما نشكو منه إنما هو آفة المسلمين في هذا العصر حتى أصبحت تصرفات كثيرة حجة عليهم وليست لهم ، رغم وجود الكثير من المظاهر السطحية للصلاة وصوم رمضان والحج .

● ● ●

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل الحديث عاليا مؤكدا أن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا . وإن الذين يصلون مثلا ثم لا يجدون في صلاتهم وازعا عن منكر إنما يرسمون وهم غافلون لأبنائهم طريق القدوة الفاسدة ، ويغرسون في نفوسهم غرسا فاسدا بأن العقيدة شيء والعمل شيء آخر وأن العبادات لا تلتزم بتقويم

السلوك والمعاملات .

● ● ●

عندما يسئ السلوك الى الدين

لقد تلقف أعداء الاسلام هذه المظاهر من جانبنا فراحوا يصورون في دعاياتهم ضدنا أن العبادات في الاسلام لا تنهي أصحابها عن أن يعبوا من ملذات الشهوات وكثيرون منا ممن زاروا بلاد الغرب لمحوا أو استمعوا إلى هذه الشائعات إذ يرى هؤلاء الأجانب أن أكثر الذين يسيحون في بلادهم إنما يتهافتون على ما يقدم إليهم من ملذات حسية ويسعون إليها سعيا لا يبخلون في سبيله بجهد أو وقت أو مال فاذا جاء موسم الحج أسرع الكثيرون منهم إلى مكة ، وهؤلاء الأجانب يجدون في أكثر هذه المشاهد مبررا لتصورهم الخاطئ عن الاسلام فكأننا حين نجني على أنفسنا لا نكتفي بذلك بل نجني على اسم الدين نفسه ، ونعطي غير المسلمين حجة علينا .

● ● ●

من الحقائق الدينية

إنه من ألزم اللوازم أن نربي أبناءنا منذ عهد الطفولة على أن الدين عقيدة وعمل وانه لا انفصال لأحدهما عن الآخر وأن الدين يهدي إلى أقوم الأخلاق ، وقد عبر عن ذلك سيد المرسلين حين أعلمنا بأنه إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، ويجب أن نرسم الطريق لهم إلى تقويم السلوك ليس بمجرد النصائح أو التلقين العشوائي بل إن التدين الظاهري غير الملتزم إنما هو شر وبيل وهو يقيم حجابا كثيفا بين المرء وبين الحقائق السلوكية التي لا تصلح الحياة إلا بها ، والتجربة خير شاهد على ذلك ، فانه لما كان روح الدين هو المهيمن على أمتنا ، وكانت الأعمال والحركات والسلوك طبقا له ، سادت هذه الأمة في زمن يسير ، وهكذا كلما أقبل الناس على حقيقة الدين وليس مجرد ظاهر التدين ازدادت الحياة إشراقا وانتعاشا على أرضنا ، أما التخلف فقد جاء في أعقاب التباعد عن هذه الحقيقة وإن ظل الشكل الظاهري قائما ، تلك هي سنة الله ، إذا تباعدنا عن حقيقة دينه شبرا تباعدت عنا كرامة الحياة ذراعا ، ولا يزال الأمر يمضي على هذه الوتيرة .

● ● ●

مسئولية الآباء والمربين

ولما جئنا بأبنائنا إلى هذه الحياة ووجدونا على هذه الحال استقر في نفوسهم وهم خاطئ أن هذا هو الدين ، فلم يعد في نفوسهم غير تهاويم لا تمت إلى الحقيقة الدينية بصلة كبيرة ، ولا تهدى إلى طريق قويم ، فاندفع كثيرون مع جاذبية مغريات الحس في عصر « التكنولوجيا » ،

يتذوقون الخطايا التي بدت براقة في صور سهلة مباحة ، بينما هم لا يملكون من المعرفة والتجربة والارادة ما يمسك بهم عن هذا ، وليس لهم من الروابط الانسانية الوثيقة بآبائهم ومعلميهم ما يعصم من مغبة الانزلاق أو حتى ما يدعوهم إلى مراجعة أنفسهم حين يكون هناك خيط متين يشدهم إذا انحرفوا عن سواء الصراط .

• • •

مفاهيم يجب تصحيحها

وإنه لمن الخطأ أن يظل المفهوم الديني هو مجرد تعليم العبادات فحسب ، أو أنه مجرد ثقافة تعطيه حصيلة من البلاغة ، إن هذا من ظاهر الأمور أما ما هو أهم فهو العناية بنقاء الباطن بحيث يكون التدين نابعا من أصل ثابت مكين في أغوار النفس حيث تصدر عن ذلك المنبع كل أقواله وأعماله ، بل ويجد راحة نفسه وسعادتها في ذلك . ويحس نقصا في الراحة النفسية والسعادة عندما تهتز هذه الأصول إذ يجد من ذلك نقصا عن تكامل حياته النفسية والمعيشية ، وإن ذلك يقتضي في التربية الدينية في كل المراحل منذ الطفولة حتى آخر المراحل الجامعية ان يتم ذلك بأسلوب سهل فني وبأسلوب عصري يجعل التدين محبوبا ومرغوبا ، وأن يستعان في ذلك بكل وسائل النشر والاعلام والمسرح والسينما بحيث لا تكون هذه المناهج لمجرد التسلية والترفيه وإن كان لا بأس منهما على أن يكونا ـ أعني التسلية والترفيه ـ في إطار لتوجيه السلوك مع استبعاد كل الوسائل الهابطة وما لا يناسب الدين من كل منهج مستورد ، وان يتقي الله القائمون على ذلك كل التقاة ، مع استبعاد كل الخرافات ، وما لا يقبله العقل من تراكمات عصور التخلف ، مما يبلبل خواطر الشباب وتفكيرهم حين يصطدمون بما لا يتواءم مع المنطق السليم ، أي أن التربية الدينية يجب إعدادها بحيث تنبع من الحقائق الأصيلة التي تطبع الحياة بطابعها الانساني المتكامل ولا تتناقض مع العلم ولا مع روح التقدم .

• • •

البناء السلوكي

ومن هذه القاعدة الأصيلة سيكون المنطلق العام نحو كل انفتاح على الحياة دون أي انحراف أو اعوجاج ، وبذلك نبني نفوس أبنائنا منذ نشأتهم بناء سلوكيا واجتماعيا هادفا ملتزما تنبع حب الفضيلة من أعماقه ، ويصبح بغض الرذيلة والنفور منها طبعا فيه ، فلا ينزلق إليها مهما سيقت إليه في تهاويم التزييف والزخارف ، إذ سرعان ما يكشف له نوره الباطني عن حقيقتها فلا يكفيه النفور منها أو التباعد عنها ، بل سوف يعتز بذاته من أن يضع يده في

يد من يمارس هذا الانحراف .

● ● ●

وان ذلك الذي ذكرنا لن يكون عملا شاقا ، إلاإذا حاولنا بناء الانسان على هذه الأسس بعد أن يكون قد اجتاز مراحله الأولى من الصبا وعهد الشباب ، أما منذ البداية فان الأمر سهل ميسر ويجب الحرص عليه ، وهذه مسئولية مشتركة بين الأسرة والدولة والمدرس ، ولعل ما هو أولى بالعناية بداية هو أسلوب إعداد المدرس الذي عليه المعول في تحقيق هذه الأهداف .

● ● ●

أهمية اختيار المدرس

ولذلك فان الأمر يتطلب كل عناية باعداد هذا المدرس وقدراته ، وأمانته ، على أن حسابه في هذا الواجب يجب أن يكون نابعا من ضميره قبل أن يكون ذلك الحساب صادرا عن الدولة التي عليها أن تؤهل المدرس لذلك ليس عمليا فحسب وإنما نفسيا وذاتيا ، وبعد أن تضع له المناهج عقب ذلك لا تغفل معاونته بكل السبل وتوجيهه والأخذ بيده وتشجيعه ، ثم محاسبته حسابا عسيرا لا رحمة فيه إذا أهدر هذه الأمانة أو بعضها ، فهي أمانة عظمى ينهض عليها البناء الاجتماعي الاسلامي المتكامل .

وهذا الأسلوب في التربية والاعداد يلزم أن يستمر منذ الطفولة إلى كل مراحل التعليم حتى الجامعة مع إعداد المنهاج المتكامل الذي يناسب كل مرحلة بل إنه بعد التخرج يصبح لزاما تهيئة المناخ الأخلاقي الصحي لكي تستمر طاقات الشباب في النمو والعطاء .

● ● ●

منافذ على الطريق

إن الطفل منذ نعومة أظفاره يجب أن يتعود حب الحق والخير والجمال ، وأن تكون هناك دروس تضاف إلى المواد التعليمية عن فن تذوق الحياة ، حتى يشب مدركا للتطبيق العملي لمارسة المعاملات على ضوء التعاليم التي تلقاها ، ولكي يدرك أن المتعة ليست فحسب في المتع الحسية ، بل هناك حب الجمال في الطبيعة والحفاظ عليها ، وحب الكلمة الطيبة ، والجدل الجميل عند اللزوم وحب الخير ، وفي إيجاز حب كل شئ تعارفنا على تسميته بالمعروف ، بذلك يتم له التوازن الحسي والنفسي والعقلي والروحي والجمالي ، ذلك أن أكثر الضلال في السلوك انما يأتي من انحصار النفس في المتع الحسية التي لم يتعود على أن يتذوق ويستمتع بغيرها .

ذلك أن المرء لن يمارس في حياته تطبيق التعاليم الأخلاقية إلا إذا تعود أن يحس من تطبيقها سعادة وراحة نفسية ومتعة ، فالتعاليم الجافة لا

جدوى منها ، إنه بذلك سيجد لذة في العطاء ربما أكثر مما يجد في الأخذ ، وهذا بعض ما يجب أن يدرس بعناية وبتطبيق عملي عصري تألفه النفس منذ نشأتها وتحبه وتميل نحوه وتسعى إليه ذاكرين في كل حين الحكمة التي تقول : إن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر – لا ينمحي ولا يزول .

• • •

وقبل أن نختتم هذه الكلمات الموجزة نشير إلى بعض ما نرى أن يكون عليه الشباب المسلم إذ ربما يتساءل كثيرون عن الصفات التي يلزم ان تكون مواصفات إسلامية صادقة يحاول الشباب تحقيقها في ذاته فنجمل بعض ذلك فيما يلي :

١ – أن يدرك أنه ليس مطلوبا منه أن يكون ملكا ، فليس أحد بمعصوم فقد يمكن أن تكون له أخطاؤه وقصوره ولكن عليه أن يرجع دائما الى الطريق ويحاكم تصرفاته على ضوء آيات الله وأخلاق الرسول .

٢ – أن تكون مكارم الأخلاق هي المرشد له في سلوكه الفردي والاجتماعي ، وعليه أن يكون مرنا في معاملاته للناس متسامحا متعاونا باسطا يده للآخرين .

٣ – ألا يغفل عن أن يتزود دائما بعلم جديد نافع في دينه ودنياه ، وأن يتعرف على آمال وآلام أمته ووطنه وعالمه ، وأن يكون في كل مجال عضوا مدعما للخير أينما كان ، مواسيا للبؤس حيثما وجد .

٤ – ألا ينعزل عن عصره وأن يتقبل منجزات العلم ولا بأس أن تكون له مسراته البريئة في أوقات فراغه التي يحسن الترفيه فيها عن نفسه بما لا يمس عقيدته وتقاليده .

٥ – أن يجتهد في أن يقتدى بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون هو نفسه قدوة لمن حوله وأن يتسلح في سبيل إعداد ذاته بالارادة والحزم والجدية ، وأن يجمع بين المادة والروح في اتزان ، وأن يكون أقرب الى ان يكون روحيا في تصرفاته .

٦ – أن ينمي شخصيته في ضوء تعاليم الدين ، وأن يعمل على أن تكون شخصيته موضع الثقة ، وأن يمنح ثقته لمن يستحقها من الناس ، حتى يثقوا فيه ، وأن يكون مستعدا للبذل والايثار والتضحية كل في مواضعه ، وأن يؤدي ذلك باطمئنان خاطر ونفس رضية .

٧ – أن يعلم علم اليقين أن الاسلام عبادات ومعاملات ، وأن الأمرين مزدوجان بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، فالانسان يتعامل مع الناس بالروح بما تمليه عليها عباداته .

• • •

هذا قليل من كثير مما لا بد للشباب لبناء مجد بلاده ، واستعادة مجد الاسلام ، فشكرا للوعي الاسلامي لتبني هذه الدعوة المباركة .

ومن الأملاح أزواجاً أزواجاً

٩

ليس من يرى كمن لا يرى ، ولا كذلك من يعلم كمن لا يعلم ، ومن هنا تختلف درجات الايمان باختلاف رؤية الانسان لعوالم جد كثيرة تنتشر في داخله وحوله بغير حدود ، ولهذا إذا دعوت ، فلا تدع بايمان كايمان العوام ، لأنه — أى إيمان العوام — وإن كان يقوم على البساطة والفطرة ، الا أنه لا يرقى الى ما يرقى اليه إيمان الذين يسيرون في الأرض فيبحثون وينقبون ويستكشفون ما أودع الله فيها من أسرار تنوء بحملها عقول الرجال ، ومن خلال هذه الأسرار العظيمة تتجلى القدرة الالهية البديعة لكل ذى عقل رزين .. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في آيات : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/٩ **(انما يخشى الله من عباده العلماء)** فاطر/٢٨ **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** العنكبوت/٢٠ .. **(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك)** سورة آل عمران/١٩١ .

للدكتور عبدالمحسن صالح

وبالعلم أيضا تتجلى لنا الأسرار الهائلة التى تنطوى عليها آيات القرآن الكريم الرامية الى بديع صنع الله في كل ما خلق فسوى ، فجاء خلقه متناسقا في كل ما نرى وما لا نرى ، ولكى يتناسق هذا الخلق العظيم ، كان لابد من ظهور الأزواج في صور شتى ، نعلم قليلها ، ونجهل كثيرها .. ثم إن هذه الأزواج تتراءى دائما لعلماء الفيزياء والكيمياء والطبيعة والفلك والحياة ، ومنها تنبع الأفكار العظيمة التى أودعها الله فيها .

وعلينا الآن أن نقدم شيئا من هذه الأزواج التى لا يعلمها الا العلماء ، وهى جزء مما أشارت اليه آية من آيات القرآن الكريم بقول فصل : **(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)** يس / ٣٦ وهو ما قدمناه في ثمانى دراسات سابقة على صفحات هذه المجلة ، وتناولنا فيه فكرة الأزواج على مستويات شتى والى هنا يبرز سؤال هام : ماذا تعنى حقا تلك الأملاح أو المركبات التى جاءت بدورها أزواجا أزواجا ؟..

تعنى أن الملح نفسه أثناء خلقه أو تخليقه قد يأتى بصورة يمينية أو يسارية .. وتعنى أكثر أنها ترشدنا الى نظم بديعة ما كانت لتتجلى لنا إلا من خلال علم تجريبى يوضح لنا ما خفى علينا وعلى حواسنا ، وتعنى أكثر وأكثر ابداع من خلق هذه الأكوان - كبيرها وصغيرها - ووضع لها نواميس تحتار فيها العقول والأفهام .

وماذا يعنى ملح يمينى أو يسارى ؟

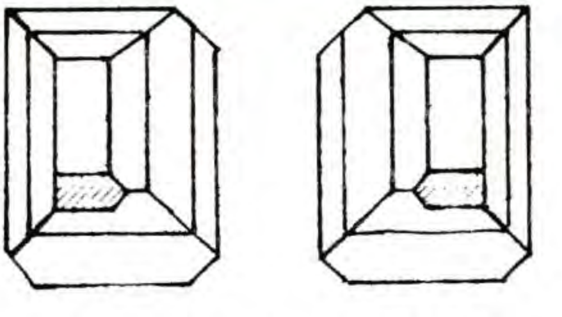
يعنى أن الملح قد يجئ كصورة وعكسها .. وهو ما يطلق عليه أحيانا الصورة « البوزيتيف » والصورة « النيجاتيف » ، لكننا لا نتعرض - في الواقع - لعالم من الصور والصور المعكوسة ، بل اننا نقصد تجسيدا حقيقيا لمعنى الزوجين هنا على هيئة أملاح سارت بها الحياة منذ ملايين السنين !

لهذا دعنا نبدأ القصة من جذورها ، لنعلم منها ما لم نكن نعلم .

نحن - بطبيعة الحال - نعرف في حياتنا أن هناك أهل اليمين ، وأهل اليسار ، وأن أهل اليمين هم أهل الجنة ، وأهل اليسار هم أهل النار ، كما أن في خلقنا أيضا تكمن فكرة اليمين واليسار ، فهناك الجانب الأيمن والأيسر ، ومن تآلف هذا مع

ذاك يكون التناسق الذى تاتى به أجسامنا الى الحياة ، أضف الى ذلك أن بعض القواقع الحلزونية قد تأتى صدفاتها يمينية أو يسارية ، بمعنى أن بناءها الحلزونى قد يدور يمينا أو يسارا (في اتجاه حركة عقرب الساعة أو عكسه) ، وأحيانا ما يتخذ العلماء هذه الصفة للتعرف على أنواعها ، لكن أحدا لا يدرى لماذا يأتى هذا البناء يمينيا أو يساريا ، أو كيف تحتفظ الحياة بهذه الاتجاهات ولا تحيد عنها سبيلا .

ولا يفوتنا أن نذكر أيضا أن البشر قد اتخذوا لهم أحزابا فكرية أو سياسية ، وأنهم أطلقوا عليها حزب اليمين أو اليسار ، أو الفكر اليمينى أو اليسارى .. صحيح أن كل هذا لا يدخل في موضوعنا الذى سنتناوله هنا ، لكنه إن دل على شئ ، فانما يدل على أن الكون والحياة والفكر ما كان كل منها ليقوم ويتطور ويسير ويتصارع ويدفع بعضه بعضا الا من خلال تآلف وتنافر وأضداد ونقائض ، ولولا هذا الدفع الذى يراه رجل العلم في جسيماته وذراته وجزيئاته وخلاياه وأرضه وسمائه ، لما حدث التوازن والتناسق ، ولما سارت الأمور سيرها الطبيعى ، ولأصبح كل شئ راكدا ساكنا كمستنقع آسن لا يفوح منه إلا كل كريه وفاسد ، وربما كان ذلك مصداقا لقوله تعالى : **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)** البقرة/٢٥١ .. وما يسرى على الناس من اختلافات تؤهلهم لهذا



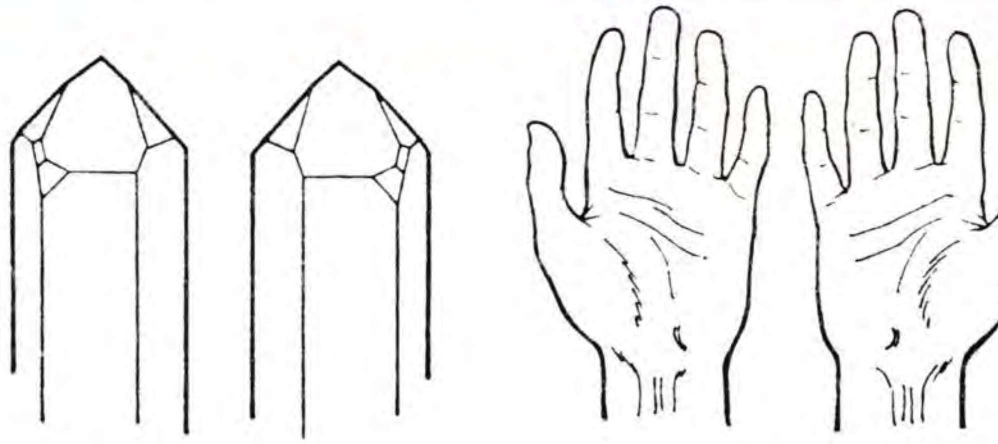
شكل (١) بلورتان من ملح حامض الطرطير وحامض « باراطرطير » وكأنما يبدوان كشكل وصورته المعكوسة في مرآة (اليمين في الحقيقة يظهر يسارا في الصورة) .

الدفع والتنافس والتفاعل ، يسرى أيضا على كل ما في الكون .

ولندع الآن ظواهر الأمور ، ولنلجأ الى بواطنها ، لنرى صورا أخرى من خلق جاء يمينيا أو يساريا ، ليحقق لنا معنى الأزواج التى انطوت عليها بعض آيات القرآن الكريم ، ثم ماذا تعنى رسالة هذه الأزواج في المكونات الدقيقة التى قامت عليها أعمدة الكائنات الحية ، ثم كيف اختار الله مكونات يمينية بعينها ، وترك اليسارية ، أو حدوث العكس في مكونات أخرى !

لقد عرف العلماء من مئات السنين أن لبعض المركبات أو الأملاح العضوية خاصية فريدة في سلوكها مع الضوء المار خلالها ، فهى قد تحرفه يمينا ، أو قد تحرفه يسارا بزوايا محددة ، وأن هذا الانحراف يختلف باختلاف طبيعة هذه المواد .

ثم يجئ العالم الفرنسى الشهير لويس باستير ، وتجذب هذه الظاهرة الغريبة كل انتباهه ، وتثير أفكاره ، ويحاول أن يجد لها تعليلا ، وطبيعى انه كان يعرف حكاية هذه الأملاح



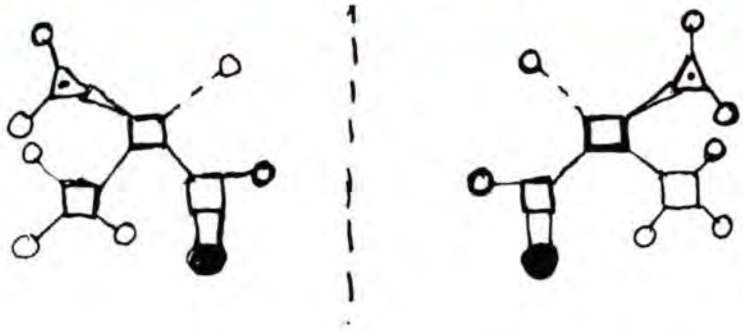
شكل (٢) كاليد اليمنى واليسرى تأتي الاملاح ببلورات يمينية أو يسارية .

التى توجه شعــــاع الضوء يمنة ويسرة ، لكن الغريب أن مركبا منها ويعرف باسم حامض الطرطير (أو ملحه المسمى بطرطرات الصوديوم النوشادرى) كان يتشابه تماما في الخواص الـــطبيعية والـــكيميائية لحامض آخر باسم « بارا طرطير » ، الا أن هذا الأخير ــ رغم تطابقه في كل صفة من صفاته مع حامض الطرطير ــ كان لا يحرف الضوء يمينا ولا يسارا ، في حين أن الأول كان يحرفه ، وتعجب باستير من هذه الظاهرة وكأنما هو يتساءل : هل يمكن حقا أن يوجد « القرينان » على مستوى الأملاح ، لكنهما يختلفان فقط في التعامل مع الضوء ؟

وبدأ باستير دراسة هذه الظاهرة المثيرة ، وأعطاهـــا ــ في بداية شبابه ــ كل وقته واهتمامه (وقد كان كيميائيا قبـــل أن يصبح عالـــم ميكروبات) ، وأخذ يفحص بلورات أملاح حامض الـــطرطير مستعينا بعدسة مكبرة وبملقط صغير ، وكانت دهشته بالغـــة عندما اكتشف أن البلورات قد جاءت بهيئتين متشابهتين تماما ، لكن إحداهما كانت بالنسبة للأخرى ككف اليد وصورته في المرآة (شكل ١) .. فاذا وضعت مثلا كف اليد اليمنى أمام مرآة ، ثم رفعت كف اليد اليسرى ليواجه بصرك ، لوجدت أن صورة كف يدك اليمنى تشبه تماما كف اليد اليسرى في عالمها الحقيقى .

صحيح أن كف اليد اليمنى يمكن أن يتطابق على كف اليد اليسرى فيما لو قلبت (أو عكست) هذا على ذاك ، لكنك لو فردت الكفين أمام بصرك لوجدت أن البنصر في أحد الكفين يتجه يمينا ، في حين أن الآخر يتجه يسارا ..

ونحن لا نريد أن نطيل عليك ، أو أن ندخل في التفاصيل ، فلقد توصل باتسير ببساطة شديدة الى عزل بلورات ملح الـــطرطير اليمينية عن البلـــورات اليسارية .. وكأنما هذه



شكل (٣) حامض اميني وصورته في المرآة مثله كمثل يد يمنى تظهر معكوسة على هيئة يد يسرى .

البلورات صورة معكــوسة لتلك في مرآة ، تماما كالكف اليمنى واليسرى (شكل ٢) ، وان واحدة منها تعكس الضوء المار فيها يمينا ، في حين أن الأخرى تعــكسه يسارا ، أما اذا خلطت هذه مع تلك بنسب متساوية ، فان الضوء لا ينحرف ، بل ينطلق في خط مستقيم ، وكأنما هذا يمحو ذاك كما يمحو الليل النهار ، أو النهار الليل !

ويرجع خلق الشبيه وشبيهه (أو صورته المعكــوسة) على مستوى البلورات إلى الهندسة الذرية الدقيقة الكامنة في الجزيئات الكيميائية ، وأن انتظام الذرات في زوايا محددة حول ذرة بعينها ، وبطريقة خاصة يؤدى الى خلق الجزئ وعكسه (شكل ٣) ، وكأنما فكــرة الأزواج على مستوى البلــورات أو الأملاح تتكــرر هنا بطريقة أو بأخرى .. وهذا ما دعا العالـــم الفيزيائى الفرنسى جين بابتيست بايوت الى الكتابة لباستير شاكرا له أفضاله في حل هذا اللغز الذى أثار اهتمامه ، فذكر في خطابه « أى ولدى العزيز .. لقد أحببت العلم على يديك حبا جما لدرجة أنارت قلبى وأسعدت وجدانى » .

ولقد أثار هذا الاكتشاف الغريب العلماء في العالم ، وبدأوا يتطلعون إلى حقيقة هذه العوالم الغريبة ، فكان أن اكتشفوا عددا كبيرا من المركبات الــطبيعية التى تنتشر على كوكبنا بصورهـــا اليمينية أو اليسارية أو الاثنين معا ، لكن علينا أن نهجر كل هذا الآن ، ولنعـــد الى موضوعنا لنتناوله من الزاوية التى تشير الى خلق الأزواج مما نعلم ، ومما لا نعلم ، وكما أشار اليهـا القرآن أجمـــل إشارة .

عندما تعــرض العلماء للجزيئات الكيميائية الاساسية التى تقوم عليها أعمدة الحياة في كل المخلـــوقات الحية ، وجدوا أنها تقوم أيضا على فكرة الجزئ اليمينى أو اليسارى ، فالأحماض الأمينية الـطبيعية التى تدخل في تكوين البروتينات كانت كلها من النوع اليسارى ، وكل السكريات الطبيعية التى تنتشر في عالم النبات والحيوان كانت من النوع اليمينى ، كما أن الجزيئات الـــوراثية التى

تحتفظ في هيكلها بكل صفة من صفات المخلوقات قد جاءت بصورتها اليمينية ، وكأنما الله قد أشار الى هذه فكانت يمينية ، وكانما هو أيضا قد أشار إلى تلك فصارت يسارية .

ولماذا كان هذا الاختيار ؟ .. وكيف حدث ؟.. وهل كان من الممكن مثلا أن يوجد الحامض الامينى اليسارى جنبا الى جنب مع الحامض الأمينى اليمينى في المخلوقات ؟.. ثم ما هى الحكمة من وراء هذا الاختيار ؟ ... الخ .

الواقع أن العلماء لم يستطيعوا التوصل إلى السر الكامن وراء هذا الاختيار ، وهو أشبه ـ من حيث المبدأ ـ بتساؤلنا : لماذا كان القلب جهة اليسار قليلا ، ولماذا جاء الكبد جهة اليمين ؟ .. وماذا كان يحدث لو قلبت هذه الأوضاع من البداية ؟

والجواب : ان هذا ما كان ليغير من طبيعة الحياة شيئا ، كذلك لو بدأت الحياة بالأحماض الأمينية اليمينية بدلا من اليسارية ، فان ذلك أيضا لا يغير في كيمياء الحياة شيئا ـ المهم في الموضوع أن يقع الاختيار من البداية على صورة وحيدة محددة ، فاما أن تكون يمينية فقط ، أو يسارية فقط ، اذ لو حدث أن وجد السكر اليمينى جنبا الى جنب مع السكر اليسارى في المخلوقات ، أو وجد الحامض اليمينى مع اليسارى ، فان ذلك سوف يؤدى الى فوضى رهيبة لا يمكن أن تساعد على استمرار الحياة .. فمفتاح الحياة يكمن في صورة واحدة فقط ، وليس في الصورتين معا !

ولماذا كان هذا التحديد حقا ؟

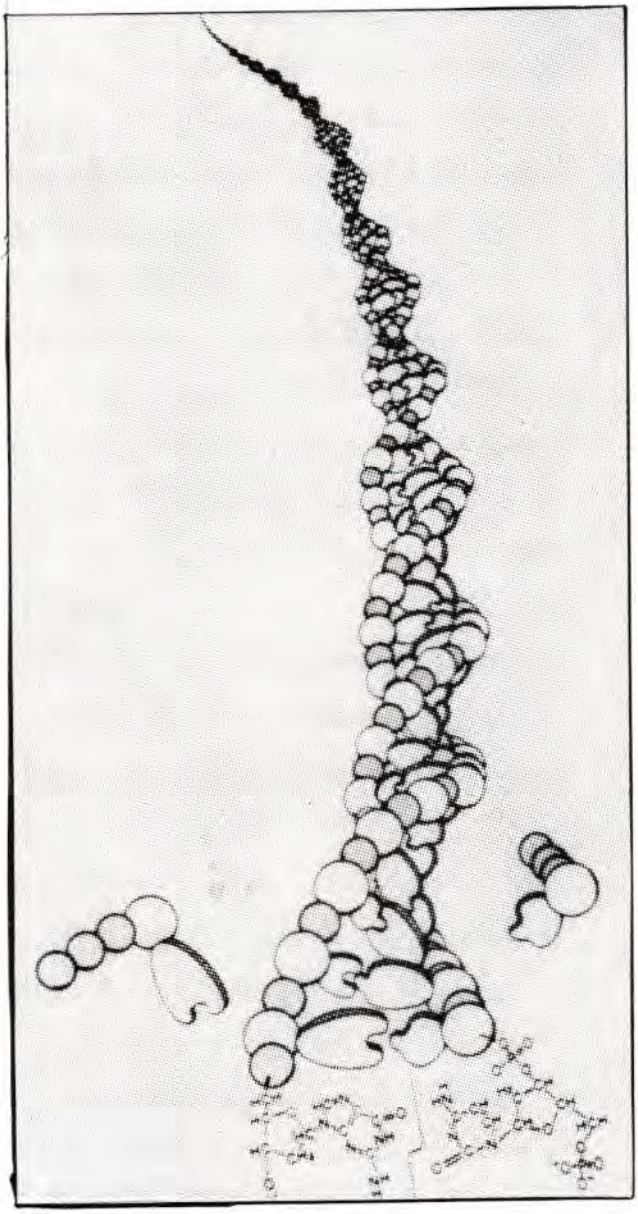
الاجابة على هذا السؤال تتطلب منا أن نتعرض قليلا لتكوين الجزئ الوراثى الذى جاء ـ كما ذكرنا ـ من مركبات يمينية فقط .. فهذا الجزئ يتكون من بناء ذرى عجيب ، وبحيث لو اطلعت عليه في عالمه الدقيق لوجدته يدور حول نفسه كضفيرة كيميائية دقيقة ، أو قل إنه كسلم حلزونى يضم بين دفتيه عشرات الألوف من الدرجات الكيميائية .. وكل درجة تتآلف من جزيئين محددين (راجع مقالنا السابع في هذه السلسلة لمزيد من التفاصيل) ، ومن هذا التآلف تراه يدور حول نفسه في اتجاه واحد لا يحيد عنه ولا يميل (شكل ٤ أ ، ب) وهذا الاتجاه الثابت والموحد في كل المخلوقات ، يرجع الى اختيار صورة وحيدة من المركبات اليمينية التى تدخل في تكوين الجزئ الوراثى الحلزونى ، اذ لو دخلت معها الصورة الأخرى في البناء ، لأدى ذلك الى فوضى ليس لها من قرار .

ولكى نوضح ذلك ، دعنا نضرب مثلا بسلم حلزونى من ذلك النوع الذى يشيده الانسان ليكون ذا فائدة للصاعدين والهابطين على درجاته ، فتصميم السلم ينطوى على مبدأ دورانه حول نفسه في اتجاه واحد ، بمعنى أنك في الصعود أو الهبوط قد تلف معه في اتجاه اليمين أو اليسار (أو في اتجاه حركة عقرب الساعة أو ضد هذا الاتجاه) ، ولا يهم بعد ذلك أن يجئ التصميم ليدور فيه السلم

حول نفسه جهة اليمين ، أو جهة اليسار .

لكن لنفرض أن مصمما قد شيد سلما حلزونيا بحيث تدور أجزاء منه إلى اليمين ، وتدور أجزاء أخرى الى اليسار ، عندئذ سيكون سلمنا هذا غير سوى أوشاذ التكوين ، وسوف يدل قطعا على أن الذى صممه لا يتمتع بعقل رزين (شكل ٥) .

وطبيعـى أن الجزئ الـوراثى (الـذى يشبه الى حد ما السلـم الحلزونى) سوف يقع في أخطاء كبرى لو جاء يحمل في تكوينه قواعد يمينية وأخرى يسارية ، وهذا ما لم يحدث على الاطلاق ، ولو حدث لكان الجزئ مثل إنسان يحمل في تكوينه مخين أو قلبين ، والله في خلقه لا يسمح بذلك : **(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)** الاحزاب/ ٤ .. كذلك لم يجعل الجزئ من مركبين في جوفه أو تكـوينه ، بل من واحد فقط : اما يمينى واما يسارى ، ولقد اختار الله اليمينى لحكمة لازلنا في فحواهـا حائرين ، علما بأن اليسارى كان سيقوم بالمهمة نفسهـا دون اية اختلافات على الاطلاق ، ذلك أن العلماء يوقنون أن القواعـد التى تخلقت منها الجزيئات الوراثية قد ظهرت في البداية (أى منذ بدء الخليقة) أزواجا أزواجا (أى قواعد يسارية وقواعد يمينية) ، ثم حدث أمر غامض على مداركنا ، فاختفت الأزواج اليسارية إلى الأبد ، وسارت اليمينية ف الجزيئات الوراثية لكل الكائنات الحية دون أن تشذ على هذه القاعدة

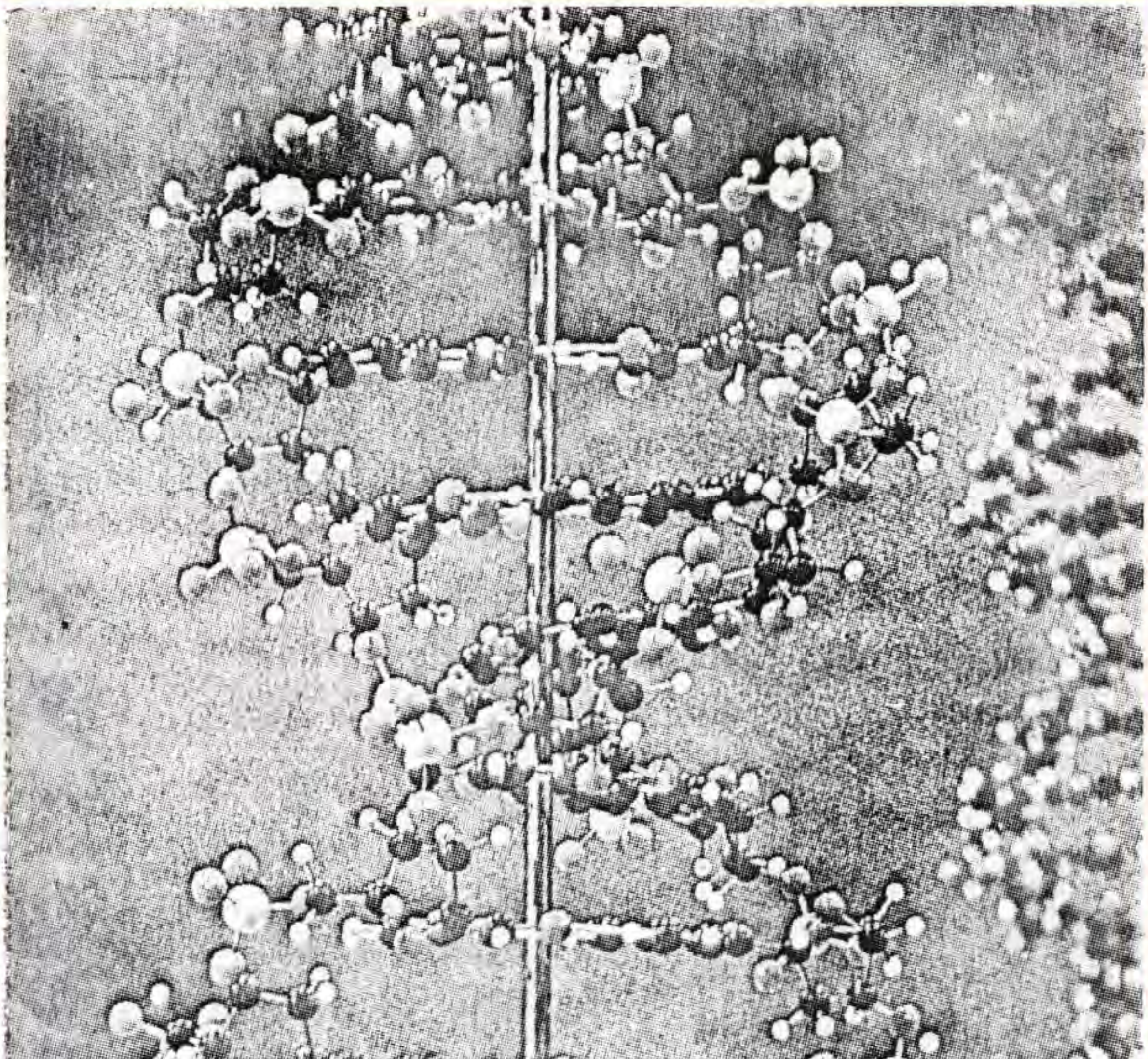


(انظر بيان الصورة في شكل ٤ ب) .

لأكثر من ألفى مليون عام !

والغريب أيضا أن بروتيناتنا التى تكون خلايانا وأنسجتنا جاءت هى الأخرى باتجاه معين ، ولم يسمح الخالق بوجود الاتجاهين ، إذ أن ذلك أيضا سوف يؤدى إلى فوضى ، والحياة ـ كما نعرفها ـ لا يمكن أن تقوم على خلل أو فوضى .

ولقد حدد الخالق هذا الاتجـاه البروتينى الموحد من خلال الأحماض



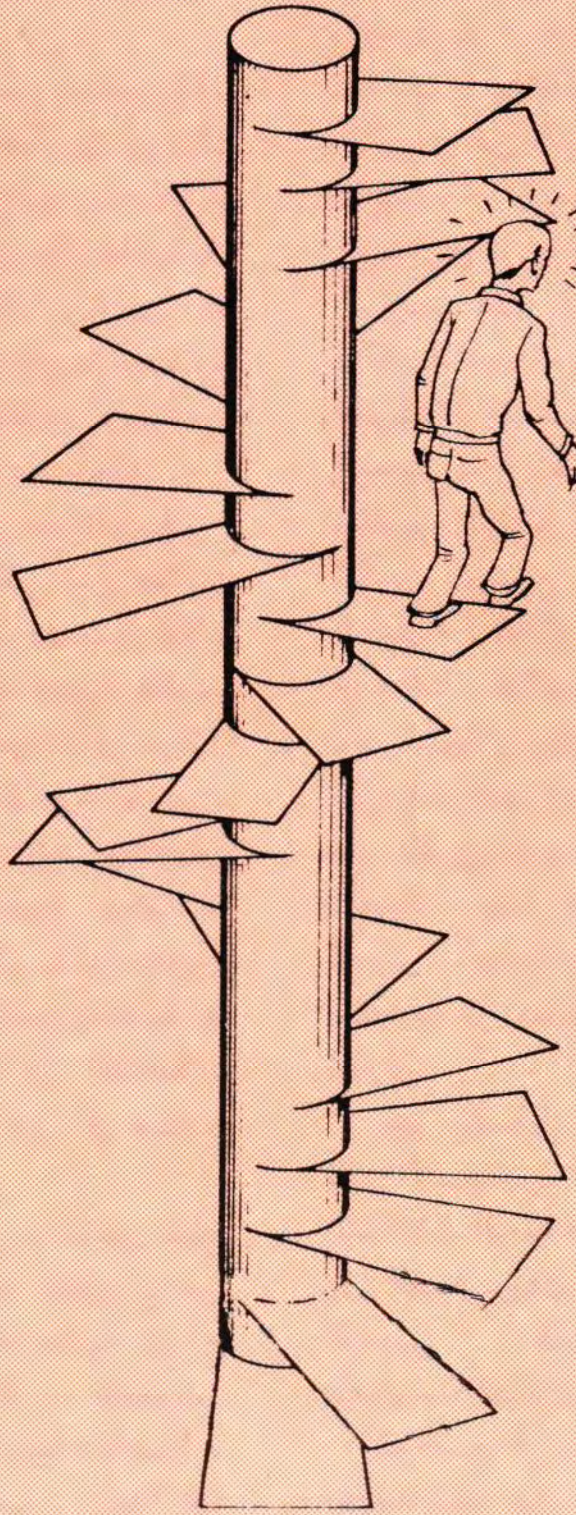
شكل (٤ ، أ ، ب) يوضح كيف يدور الجزيئي الوراثي كضفيرة أو كسلم حلزوني ذى درجات أو قواعد تتبع الصورة اليمينية فقط ، ومن أجل هذا جاءت لفاته حلزونية منتظمة .

الامينية التى تبنى هذه الجزيئات العملاقة (إنظر دراستنا في هذا الصدد « ومن البروتينات أزواجا » في العدد السابق من هذه المجلة) ، إذ أنها ـ أى الأحماض الامينية ـ قد ظهرت في بداية الخلق أزواجا .. اى نصفها يمينى ونصفها يسارى ، والذى يربط هذه الأحماض البسيطة في جزيئات بروتينية عملاقة (كما نربط الحروف هنا في كلمات وفقرات) أوامر كيميائية تخرج من الجزيئات الوراثية ، لكن لحكمة ـ لا ندريها أيضا ـ خرجت هذه الأوامر اليمينية (هى في الواقع جزيئات عملاقة) من الشفرة الوراثية اليمينية لتختار الأحماض الأمينية اليسارية فتبنى بها جزيئات بروتينية يسارية كذلك .. أي كأنما اليمينى قد اجتمع مع اليسارى في كل خلية من خلايا أجسامنا ، أو في كل خلية من خلايا الكائنات جميعا ، بداية من أصغر مخلوق حتى تنتهى بأكبر مخلوق ، ذلك أن هذا الاختيار الأزلى قد أصبح القاسم المشترك الأعظم بين كل الكائنات ـ أى شفرة وراثية يمينية لتصنع بروتينات يسارية من أحماض يسارية كذلك !

ذكرنا أننا لاندرى الحكمة في سر اختيار شفرة وراثية يمينية ، وجزيئات بروتينية يسارية ، الا أننا ندرى السر الكامن وراء عدم خلط اليمينى باليسارى في جزئ واحد ، اذ لو حدث ذلك لجاء الجزئ البروتينى على نفس الوتيرة التى قد يكتب بها كاتب فقرة في صفحة في كتاب ، فاذ بنا نراه مثلا يكتب حروف لغتنا وكلماتها من اليمين الى اليسار ، ثم بعد عدة حروف أو كلمات يكتب جملة أخرى وقد قلب حروفها وكلماتها فأصبحت من اليسار الى اليمين ، ثم من اليمين الى اليسار ، وهكذا ، وطبيعى أن ذلك لا يعنى الا فوضى في عقل الكاتب !

والشئ ذاته كان من المحتمل حدوثه لو أن الحياة قدمت لمخلوقاتها أحماضا يمينية ويسارية في الوقت نفسه ، وعندئذ يتحتم أن يتشابك هذا مع ذاك ، مما يؤدى إلى تخليق جزيئات تجعل الحياة تقع في حيص بيص ، أو تزيد فرص الفوضى على فرص النظام ، وهذا ما لا نراه ، ومن أجل ذلك فصل هذا عن ذاك من البداية ، حتى يكون النظام ، والنظام هو المبدأ أو الناموس الأول من نواميس الكون والحياة ، وهذا ما نراه حقا في كل ما خلق الله !

وكالأحماض الأمينية التى تتخلق منها البروتينات ، تكون أيضا السكريات .. فهناك مثلا جلوكوز يمينى وجلوكوز يسارى ، وفركتوز (سكر عنب) يمينى وآخر يسارى ، لكن الحياة بكل صورها لا تتعامل الا مع اليمينى من السكريات ، ولا تقرب اليسارى أو تضعه في حسابها ، إذ أن هندسة بناء الجزيئات الأعقد من هذه الجزيئات السكرية البسيطة تتطلب صورة واحدة من هذين الزوجين ، فحدث الاختيار في اليمينى دون اليسارى ـ أيضا لحكمة لا



شكل (٥) لو جاء تصميم السلم الحلزوني ليدور في اتجاهات شتى دون ضبط أو ربط ، فان ذلك سيؤدي الى وقوع الهابطين أو الصاعدين في مصاعب لا تحمد عقباها ، وكذلك تكون جزئيات الحياة التي تترابط في جزئيات أكبر ، إذ لا بد أن تدور هي الأخرى أو تتجه في اتجاه محدد لتسري الحياة بنظام متقن .

ندريها (ومــن أنفسهــم ، ومما لا يعلمون) !

على أن كل هذه الأمور قد تجرنا إلى ما هو أعمق وأعمق ، فتفاعل جزيئات الحياة ذاتها تتم عن طريق خمائر أو انزيمات ، وهذه تفعل في عالمها ما تفعله المفاتيح في عالمنا ، فنحن قد نفتح ونغلق ، أو نفك ونربط بمفاتيح خاصة ذات مواصفات مناسبة للغرض الذى صنعت من أجله .

وكذلك يكون الحال مع الخمائر ، فما من مركب كيميائى من ملايين المـركبات التى تزخر بهـــا خلايا الكائنات الحية الا وله خميرة خاصة تهدمه أو تبنيه ، فتحوله إلى مركب آخر جديد ، فتتسلمه خميرة أخرى ، لتجرى عليه تعديلا ، إما بالحذف وإما بالاضافة ، فيصبح مركبا ذا مواصفات أخرى ، فتـــأتيه خميرة جديدة .. وهكـــذا تسيرالعملية في سلسلة من الخطوات أو التفاعلات حتى ينتهى الأمر الى شئ في صالح الحياة .

الا أن دقة الخلق والتدبير تبلغ منتهاها عندما يصبح للأزواج من المركبات اليمينية أو اليسارية أزواج متخصصة من الخمائر .. فللمركب اليمينى مثلا خميرة يمينية مناسبة ، ولليسارى خميرته أيضا ، ولهذا اذا قدمنا للخلية الحية (وهى وحدة البناء في الكائنات ، بداية من الميكـروب والنبات ، حتى ننتهى بالانسان سيد المخلوقات) محلولا غذائيا به أحماض أمينية يمينية ويسارية ، فانهـا لا تقرب اليمينى ، بل تتعرف فقط على اليسارى ، وتستطيع أن تمثلــه في غذائها ، وكذلك يكــون الحال مع الأزواج من السكريات ، فهى تنتقى منهـــا اليمينى ، ولا تقرب اليسارى » .. وهكذا .

وسر هذا لا يخفى على لبيب ، فالكـــائنات تمتلك الخمائر المناسبة للمركبات المناسبة ، فسكر الجلوكوز اليمينى له « مفتاح » أو خميرة جاءت مناسبة لبنائه تماما .. مثــل هذا الكون الصغير الدقيق من المركبات الحيوية ، كمثل القفازات أو الأحذية في عالمنا ، فالقفاز اليمينى لا ينفع الا ليد يمينية ، وكذلك اليسارى كما أن لكل قدم حذاءها ليناسبها تماما ـ مع الفرق طبعا بين روعة تفاعلات الحياة ، وما أودع الله فيهــا من أسرار ، وسذاجة الأمثلـــة التى نسوقها من عالمنا لنوضح ما غم من أسرار .

وقد يتساءل متسائل : ألم نذكر كل الأحماض الأمينية الموجودة في الكائنات الحية من النوع اليسارى ، ون السكــريات البسيطة من النوع اليمينى ؟ .. فأنى لنا إذن بالصورة المعكوسة لهذه أو تلك ؟

الواقــع أن العلماء يستطيعــون معرفة ذلك من خلال تكوين بعض الأحماض الأمينية أو المواد السكرية في الــدوارق والأنابيب ، اذ عندما تتكون هذه أو تلك ، فانها تأتى الى الوجود أزواجا أزواجا .. اى يظهر اليمينى من الأحماض الأمينية جنبا

الى جنب مع الأحماض اليسارية ، فما من جزئ يظهر الا وتظهر معه صورته أو زوجه المعكوس ، والذى يحكم نلك هو النظام الاليكترونى الذى أودعه الله في بعض الذرات لتتآلف في المركبات وصورها المعكوسة ، ومن هذا المنطلق يعتقد العلماء أن بداية خلق الحياة منذ بلايين السنين قد أتاحت الفرصة لظهور اليمينى جنبا الى جنب مع اليسارى ، ثم حدث الاختيار الذى لا ندرى له سببا حتى الآن ، فبقيت الأحماض الأمينية اليسارية ، لتبنى منها بروتينات وخمائر يسارية ، كما بقيت أيضا السكريات اليمينية ، واختفت اليسارية ، ثم ظلت الشفرة الوراثية اليمينية بدورها تشق طريقها دون أن تقع العين على شفرة وراثية يسارية .

كأنما علماء الفلك والذرة والحياة قد اجتمعوا جميعا على حقيقة واحدة .. فالجسيمات الذرية اذا تخلقت ، فانها لا تتخلق الا أزواجا (المقالة الأولى على صفحات هذه المجلة) ، فيبقى الذى يناسب عالمنا ، ويذهب الآخر ، حتى لا يهلك هذا ذاك ، والأكوان اذا ظهرت ، ظهرت أزواجا أزواجا ، فباعد الله بينها ، حتى لا يلتهم بعضها الآخر ، ولهذا فنحن نعيش في كون دون أن ندرى شيئا عما يحيط بنا من أكوان قد تكون هى الأخرى صورا معكوسة لكوننا الذى فيه نعيش ، ثم يأتى علماء الحياة في نهاية المطاف ليكتشفوا عالما مثيرا من الأزواج التى تعرضنا لها في المقالات السابقة ، ثم إذ بنا – في خاتمة المطاف – نأتى الى عالم من الجزيئات جاء بدوره أزواجا أزواجا ، أو كأنما هو وصورته المعكوسة في المرآة ، ثم لا ندرى بعد ذلك لماذا اختار الله اليمينى من هذه الأزواج وترك اليسارى ، أو لماذا سهل لليسارى وجودا ، في حين اختفى اليمينى من الحياة .. لكن ما أكثر ما لاندرى ، وما أعظم ما نجهل ، ولهذا جاءت الآية الكريمة معبرة أجمل تعبير عن خلق الأزواج التى لا يعلم الناس عنها شيئا .. و(**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) .. فما أكثر ما لانعلم « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .. صدق الله العظيم .

العين والقلب

قال يحيى بن بسطام : دخلت يوما مع نفر من أصحابنا على غفيرة العابدة وكانت قد تعبدت وبكت خوفا من الله جل شأنه حتى عميت ، فقال بعض اصحابنا لرجل الى جانبه : ما اشد العمى على من كان بصيرا ، فسمعت غفيرة قوله فقالت : يا عبد الله ، عمى القلب عن الله اشد من عمى العين عن الدنيا ، وانى لوددت ان الله وهب لى كنه محبته وان لم يبق منى جارحة الا اخذها .

ليس من الحديث النبوي

(القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم) .

موضوع :

قال ابن حجر العسقلاني انه موضوع .

وقال ابن الجوزى في الموضوعات : (القرآن كلام الله عز وجل ، وكلامه من صفاته ، وصفاته قديمة ، وهذا يكفي في دليل قدمه) .

وقد تحذلق أقوام فوضعوا أحاديث تدل على قدم القرآن .

وحول هذا المعنى وردت أحاديث تكفر القائل بأن القرآن مخلوق اختلفت ألفاظها واتحد معناها ، **وقد حكم علماء الحديث عليها بالبطلان .**

قال الدارقطني بكذب محمد بن عبيد من رواتها واتهمه بالكذب .

وقال أبو حاتم البستي من رواتها محمد بن يحيى بن رزين وهو دجال يضع الحديث لا يحل ذكره الا بالقدح فيه .

وقال أبن عدى من رواتها أحمد بن محمد بن حرب وهو مشهور بالكذب ووضع الأحاديث وشيخه محمد بن حميد بن حبان أيضا كذاب ، وقد اتهمه الدارقطني وقال انه متروك الحديث ، ومن رواته أبو عمارة وهو ضعيف جدا .

وقال الخطيب ومن بين رواة هذه الأحاديث « بقية » وهو يروي عن المجهولين والضعفاء .

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال : من رواة أحد هذه الأقوال « الأزور » وهو منكر الحديث أتى بما لا يحتمل وهو هذا الأثر .

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على ألسنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

وأبطل السيوطي في اللآلئ هذه الأقوال ، وأنكر ورودها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة عن أحد هذه الأقوال المختلفة في اللفظ عن سابقتها : إنه موضوع تجرأ على وضعه من لا يستحي من الله تعالى عند حدوث القول في هذه المسألة في أيام الخليفة المأمون وصار بذلك على الناس محنة كبيرة وفتنة عمياء صماء ، والكلام في مثل هذا بدعة ومنكر لم يرد به في الكتاب ولا في السنة حرف واحد ، ولا صح عن السلف في ذلك شيء مما يتعلق باللفظ ، أما المعنى فكثير جدا .

وقال السخاوي في المقاصد هذا الحديث من جميع طرقه باطل ، وقد روى السخاوي عن أبى بكر محيي بن أبى طالب قوله : « من زعم بأن القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن زعم أن الايمان مخلوق فهو مبتدع ، والقرآن بكل جهة غير مخلوق » .

ثم روى أيضا عن عمرو بن دينار قال : « أدركت الناس سبعين سنة يقولون : كل شيء دون الله مخلوق ما خلا كلامه فانه منه وإليه يعود » .

وقال العجلوني في كشف الخفاء : القائل بخلق القرآن كافر .

وقال علي بن المديني بكفره أيضا ، وحكم الصغاني بوضع هذا الحديث .

ويرى الامام مالك كفره وحل قتله ، وقد أجمع عليه أهل السنة والخلف على بطلان روايته .

هذا : وكل رواية تدور حول هذا المعنى فهي باطلة ، وقد اتفق علماء الحديث على نكرانها .

تحيّة لباكستان في ميلادها الجديد

يقظة إسلامية عامة :

لقد كان الاستعمار يخشى دائما انتشار الثقافة بين صفوف المسلمين لعلمه الأكيد من الدراسات التي قدمها له المستشرقون أن الاسلام يقوى وينهض بالعلم ، لأن ما فيه من عقائد وأحكام تستند إلى أسس علمية منطقية ، ولذلك كانت كل خطوة يخطوها المسلمون للعلم ، هي إمداد للاسلام بقوة جديدة .

ويوم استطاع المسلمون في العصر الحديث اقتحام قاعات المؤتمرات الدولية للقانون المقارن ، وطرح نظريات الاسلام في التشريع ، تركوا أفواه القوم فاغرة ، وأعناقهم مشرئبة إلى معرفة المزيد عن تشريع الاسلام لأنه قد ظهر لديهم بما لا يقبل الجدل أنهم أمام تشريع لا يدانيه تشريع آخر في إحكام نظرياته ، وقدرتها على التطور بشكل يؤمن العدالة في كل عصر وفي كل مكان ، اقرأ إن شئت مقررات مؤتمر لاهاي للقانون المقارن عام ١٩٣٧ ومؤتمر المحامين الدولي المنعقد في لاهاي عام ١٩٤٨ ، ومؤتمر المجمع الدولي للقانون المقارن المنعقد في باريس سنة ١٩٥١ والمؤتمر الدولي لمكافحة الجريمة المنعقد في دمشق سنة ١٩٧٢ وغيرها .. وغيرها ...

إن انتشار الثقافة ، ودخول الفقه الاسلامي ، المجال الدولي ، وتطور وسائل الاعلام أورث يقظة بعد غفوة بين صفوف جماهير المسلمين ، فهبت هذه الجماهير من رقادها مطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية فعلا في

مجالات الحياة وإعادة النظر في القوانين المطبقة في أنحاء البلاد الاسلامية أو استبدالها بقوانين إسلامية .

والذي ساعد على هذا ، ما عانته البلاد الاسلامية من ويلات تطبيق النظم الأخرى غير الاسلامية ، من رأسمالية أو اشتراكية ، حيث ساد فيها الظلم ، واختلت موازين القيم ، وتحكم الانسان بالانسان فجعله أذل من الحيوان . تحت ظل شعارات ظاهرها فيه الرحمة ، وباطنها فيه العذاب .

مقدمة الركب :

وكانت باكستان في مقدمة الركب الذي استجاب للنداء المنبعث من القلوب ، أن أعيدوا للاسلام دولته ، واحكموا شعبها بنظامه ، واستهلموا في الحياة روحه ، لتنبت في صحراء الحياة ورودا ، وتبني بهذه الورود حضارة تشهد لها الدنيا بأكملها ، كما شهدت من قبل للحضارة التي بنيت بورود صحراء الجزيرة العربية قبل ألف عام ونيف .

طبقوا الاسلام جملة أو دعوه جملة :

واستجابت باكستان للنداء ، ووضعت اللبنة الأولى في إشادة الصرح يوم مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام من هذا العام ١٣٩٩ هـ باصدار قانون العقوبات الاسلامي ، والمسلمون في جميع أنحاء العالم يرتقبون اكتمال البناء باكتمال التشريعات الاسلامية في دولة الاسلام في باكستان . لأن الاسلام كالجسد لا يكمل جماله ولا نفعه ، إلا باكتمال جوارحه ، بل إن أي نقص فيه يعتبر تشويها لجماله ، ومعيقا له عن تحقيق هدفه .

وتطبيق جزئية من جزئياته دون باقي الجزئيات الأخرى هو ضرب من التشويه لتعاليم الاسلام ، وربما نتج عنها من الآثار ما لا يتفق وعدالة الاسلام ، فرجم الزاني مع ما عليه المرأة من التهتك وما عليه المجتمع من التحلل الخلقي وتوفر أسباب الرذيلة ضرب من التشويه لتعاليم الاسلام ونظمه ، وقطع يد السارق مع ما يسود المجتمع من نظم اقتصادية جائرة ظالمة ضرب من التشويه لتعاليم الاسلام ونظمه أيضا .

وإن أخشى ما نخشاه أن تمتد أيد مشبوهة ، وأصابع ملوثة فتسعى الى تطبيق جزئي للاسلام تحت شعار « دولة الاسلام » و « نظم الاسلام » فيتحطم الحلم الذي كان يحلم به المسلمون منذ أمد ، ويكفر بالاسلام بسطاء كانوا من المنادين به ، من قبل عندما يرون دولة الاسلام المزعومة لم تفلح في نشر راية العدالة وإعلاء كلمة الحق ، ظانين أن نظام الاسلام عاجز عن تحقيق ذلك ، مع أن هذا لم يكن إلا نتيجة للتطبيق الجزئي للاسلام .

شروط نجاح محاولة قيام دولة إسلامية :

كل محاولة لا بد لها من شروط لا بد من توفرها لنجاح تلك المحاولة ، ولعل من أهم الشروط الواجب توفرها لنجاح محاولة قيام الدولة الاسلامية :

أولا : التقنين السليم :

لا يكفي ان نقول أن نظام الدولة هو الاسلام ، لأن التراث الاسلامي تراث غني جدا بالاجتهادات المذهبية والآراء الفردية ، ولا بد من أن يختار المقننون للدولة الاسلامية من هذه الآراء الفردية والاجتهادات المذهبية ما يتفق مع روح القرآن والسنة ويلائم روح العصر .

ولذلك كان لا بد من أن يتوفر لدراسة كل مادة من مواد القانون الاسلامي الاختصاصيون في علم الشريعة إضافة إلى المختصين في علم الاقتصاد إن كانت المادة اقتصادية ، أو الأسرة إن كانت المادة متعلقة بالأحوال الشخصية وهكذا .

ثانيا : الجهاز التنفيذي السليم :

مهما كان النظام على درجة كبيرة من الاحكام والعدالة ، فانه سيصبح نظاما جائرا ظالما إذا ما وقع بين يدي رجل لا إيمان فيه ولا ضمير ليتولى تنفيذه ، ولذلك كان الاجتهاد في تنظيف الأجهزة التي ستتولى تطبيق النظام الاسلامي في دولة الاسلام أمرا محتما قبل طرح الأنظمة للتطبيق لئلا يؤدي التنفيذ المنحرف إلى ردة فعل تنعكس على الأنظمة ذاتها عند كثير ممن ابتلوا بعمي البصيرة وقصور النظر .

ثالثا : القاعدة الشعبية المؤمنة :

إن وجود النظام السليم والجهاز التنفيذي الكفء غير كاف لانجاح محاولة إقامة دولة إسلامية ، بل لا بد من تربية قاعدة صلبة في هذه الدولة ، مؤمنة بالنظام الاسلامي على أنه النظام المنقذ ، هذه القاعدة التي تكون وراء كل مادة من مواده ، وكل حكم من أحكامه ، تدعمها بالحجة والبرهان ، وتنافح عنها ، وتجاهد باللسان من أجلها .

هذه القاعدة تطبق هذا النظام في حياتها اليومية دون قاض ولا شرطي ، بل تقربا إلى الله تعالى وطلبا لمرضاته في تطبيقه .

القافلة تسير إلى غايتها :

لقد تعالت الأصوات من جميع أطراف العالم مطالبة بحكم إسلامي عالية في بعض البلدان خافتة في أخرى فكانت تجربة باكستان ثم انتفاضة ايران وتعتبر تجربة باكستان تجربة رائدة طرحت فيها باكستان الفكر النظري الى التطبيق العملي المتجسد في دولة إسلامية متكاملة .

والواجب على جميع المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يكونوا وراء هذه التجربة ، وأن يعملوا على إنجاحها ، لأن إجهاضها أو انحرافها يعني تجميد المد الاسلامي الى أمد .

فتحية لباكستان في ميلادها الجديد يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحية لرجالها المخلصين للاسلام ، ما داموا على إخلاصهم قائمين .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الأحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

● عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قيل له : **قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟!**

فقال : أجل ، لقد نهانا ان نستقبل القبلة لغائط او بول او ان نستنجي باليمين ، او ان نستنجي باقل من ثلاثة احجار ، او نستنجي برجيع او عظم »

(رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي)

تعجب المشركون حين علموا ان الاسلام يعلم المسلمين أحكام كل شيء من شئون دينهم ودنياهم فقالوا لسلمان الفارسي علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟ وهي بالكسر والمد أدب الجلوس للحاجة واسم الفضلات الخارجة من الدبر خرء كقفل وهنا يأمر الاسلام عند قضاء الحاجة في الخلاء بعدم استقبال القبلة تكريما وتعظيما لها كما يأمر بعدم الاستنجاء باليمين لان الانسان يعالج شئونه ويتناول طعامه بها وعند الاستجمار ينبغي الا يستنجي بأقل من ثلاثة احجار حتى وان حصل الانقاء بدونها كما نهى الاسلام عن الاستجمار بروث الحيوان وسمى رجيعا لأنه رجع من حال الطهارة الى حال النجاسة وكذلك نهى الاسلام عن الاستنجاء بالعظم لأنه زاد الجن كما ورد في حديث آخر .

روى أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

(جاءات امرأة من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعها صبي لها ، فكلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي) مرتين .

ـ متفق عليه ـ

٢

التأمين عند

محمد فؤاد

يرى فقهاء الشريعة الاسلامية أن التأمين : يشبه الربا والغرر والغبن والقمار والمراهنة ، وأن فيه جهالة وأكلا لأموال الناس بالباطل ، وسنحاول بايجاز : بيان كل من هذه الأمور على حدة ، للوصول إلى معرفة الشبه بين التأمين وهذه الأمور ومدى صلته بها ، وبالتالي لامكان إصدار الحكم الذي يتفق معه .

الامر الأول : الربا :

تعريف الربا :

الربا لغة : الزيادة والنماء ، ربا الشيء يربو ربوا ورباء ، بالكسر : زاد ونما وعلا ، وأربيته : نميته ومنه قوله تعالى : **(ويربي الصدقات)** البقرة/٢٧٦ وقال تعالى : **(فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت)** الحج/٥ وقال تعالى : **(فاحتمل السيل زبدا رابيا)** الرعد/١٧ وقال تعالى : **(أن تكون أمة هي أربى من أمة)** النحل/٩٢ وقال تعالى : **(وآويناهما إلى ربوة)** المؤمنون/٥٠ فكلمة « ربا » يلاحظ فيها معنى : الزيادة والنمو والارتفاع والعلو ، وقد وردت بمشتقاتها في كثير من آيات الله البينات على نحو ما مر .

الربا شرعا: الزيادة في أشياء مخصوصة ، وهو محرم بالكتاب والسنة والاجماع .

أما الكتاب ، فقوله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة/٢٧٥ وأما السنة ، فأحاديث كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : (اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يا رسول الله ما هي ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ،

فقهاء الشريعة

والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) رواه الشيخان وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه) رواه مسلم وأجمعت الأمة على أن الربا محرم .
وقد يبدو من آيات الله البينات أن كل زيادة على رأس المال ، يقال لها ، ربا ، لكن يجب ان لا يغيب عن البال ، أن القرآن الكريم لم يحرم كل زيادة تحصل على رأس المال من حيث هي ، فان الزيادة تحصل في التجارة مثلا ، لكن الزيادة التي ورد تحريمها في القرآن الكريم : هي من نوع خاص .

ولم تكن العرب قبل الاسلام تفرق بين أنواع الزيادة التي تحصل لرأس المال وكانت تحسبها من نوع واحد ، ولما جاء الاسلام ـ وغرضه هداية الناس إلى ما يصلحهم في دينهم ودنياهم بين لهم أن الزيادة التي تحصل على رأس المال بالبيع المشروع مختلفة عن التي تحصل على رأس المال بالربا ، يشير إلى هذا المعنى قول الحق تبارك وتعالى : **(ذلك بانهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة/٢٧٥ .

الفرق بين البيع والربا :

البيع معناه : أن يقدم إنسان إلى اخر سلعة ليشتريها ، مقابل قيمة يدفعها المشتري إلى البائع ، ويتسلم المشتري السلعة بناء على مادفعه إلى البائع ، والبائع في هذه الحالة : يكون قد حصل على هذه السلعة التي باعها : إما بجهده وبانفاقه عليها من

ماله الخاص ، أو اشتراها من غيره ، وهو حين يضيف جزءا من المال كربح له فوق رأس مال هذه السلعة مقابل انفاقه عليها في صنعتها أو إشترائها : فهذا امر مباح ، لأن تبادل المنافع يحصل على وجه سوى بين البائع والمشتري .

أما الربا : فمن صوره أن يعطي الرجل رأس ماله رجلا آخر على أن يعيده إليه بزيادة عليه مقدارها كذا ، فنظير التأجيل : يطلب صاحب المال من الشخص الآخر ذلك المبلغ الزائد على رأس المال ، وهو المتفق عليه بينهما : كشرط في المعاملة — وهذا المبلغ الزائد على رأس المال : هو الربا ، وهو يدفع لصاحب رأس المال : اجرة على التأجيل فقط .

وكذلك إذا اتفق البائع والمشتري على القيمة في البيع ، ثم شرط البائع على المشتري أن يؤدي إليه هذه القيمة : مع زيادة كذا إن تأجل في دفعها إليه حسب المدة المتفق عليها ، يكون ذلك أيضا ، من قبيل الربا ، والرجل يكون له على الرجل المال المؤجل ، فاذا حال الاجل ، قال له : اتقضي ان تربي ؟ فان وفاه ، وإلا : زاد هذا في الأجل وزاد هذا في المال ، فيتضاعف المال ، والأصل واحد ، وهذا أيضا من قبيل الربا المتفق على حرمته باجماع المسلمين ثم إن البائع مهما أسرف في اخذ الربح من المشتري فان ما يحصل عليه مرة واحدة نظير جهوده وأوقاته التي يبذلها في إيجاد تلك السلعة أو تهيئتها للمشتري ، والمشتري إنما يدفع هذا الثمن نظير استمتاعه بالسلعة التي يشتريها من البائع ، فتبادل المنافع هنا ظاهر على وجه سوى .

وفي حالة المعاملة الربوية لا تحصل تلك المنافع ، فالدائن مثلا يأخذ من المدين مقدارا معلوما من المال ، والمدين لا ينال من الدائن إلا تأجيلا في المدة قد ينفعه ولاقد لا ينفعه ، فهو إن أخذه لاستهلاكه في أغراضه الخاصة : غير نافع له قطعا ، وان أخذه لاستغلاله في التجارة أو الزراعة مثلا فانه : يحتمل ان يعود عليه بالمنفعة أو بالخسارة .

ومن هذا يعني أن المعاملة الربوية إنما تكون : إما على منفعة فريق وخسارة فريق ، أو على المنفعة اليقينية المعلومة لفريق والمنفعة غير اليقينية المعلومة للفريق الآخر .

وأيضا فان المعاملة بين البائع والمشتري ، إنما تنتهي مع تمام مبادلة السلعة والقيمة بينهما ، والانسان في مختلف نشاطه يبذل قصاري جهده ووقته في تحصيل هذا الشيء ، فينال أجر ذلك كله ويستمتع بما يعود عليه من الربح ، وفي المعاملة الربوية يكون الدائن المساهم الأكبر في كسب غيره : بمجرد دفعه المال إلى المدين ، وبدون أن يبذل معه شيئا من جهوده وأوقاته ، فلا يكون بمنزلة المساهم المشارك غيره في الربح والخسارة معا ، ولا تكون شركته إلا على الغنم دون الغرم ، بل هو شريك يدعي لنفسه ربحا معينا ، بدون

مبالاة لربح مدينه أو خسارته .
ولهذه المعاني فضلا عن غيرها أحل الله البيع وحرم الربا .

انواع الربا : الربا نوعان :

الأول : ربا الفضل : وهو زيادة أحد العوضين في متحد الجنس ، كمن أبدل قمحا بقمح : بزيادة ، وهذا من الأمور المنهى عنها في الشريعة الاسلامية : لقوله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح : مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد : فقد أربا الآخذ والمعطي فيه سواء » رواه مسلم .

الثاني : ربا النسيئة : وهو قرض الدراهم إلى أجل ، بزيادة على مقدار ما استقرض ، وقد يأخذ صورة غير الزيادة لكن إذا حال الأجل ، قال له : إما أن تقضي وإما ان تربي ، وبعبارة اخرى : ازيدك في الأجل وتزيد في المال .

وفي تحريم هذا وردت نصوص كثيرة ، وأجتمعت عليه الأمة من السلف الصالح والعلماء من بعدهم وتعاقبت القرون على ذلك الاجماع ولم يتطرق إليه الريب في عصر من العصور .

صلة التأمين بالربا :

لما كان الربا هو الزيادة التي يؤديها المدين إلى الدائن على رأس المال نظير مدة معلومة من الزمن ، أجله اليها مع الشرط والتحديد فهو يعتبر ـ إذا ـ مزيج من ثلاثة أجزاء :

أ ـ « الزيادة » على رأس المال :
ب ـ « تحديد » الزيادة باعتبار المدة
جـ ـ كونها « شرطا » في المعاملة .

وكل معاملة للدين توجد فيها هذه الأجزاء الثلاثة : هي معاملة ربوية من غير شك وفي التأمين نجد هذا النوع من المعاملة ذات الأجزاء الثلاثة ، ويظهر لنا ذلك فيما يلي :

١ ـ في التأمين على الحياة ، لو انتهت مدة التأمين التي اراد طالب التأمين أن يشملها العقد : كخمس سنين مثلا ، فان المستأمن سيأخذ مبلغه الذي دفعه أقساطا ، مع زيادة من المال بلا عوض ، وهذه الزيادة بهذا الوصف : ليست إلا الربا المحرم ، لأن هذا النوع من المعاملات منزل على منزلة القرض الربوي ، حيث يكون دفع المال من قبل المؤمن له ـ الذي هو طالب التأمين ـ قرضا إلى مؤسسة التأمين ويكون دفع الفوائد إلى المؤمن له في مقابل المال الذي أقرضه إلى المؤسسة .

٢ ـ مؤسسات التأمين تستغل هذه الأقساط المدفوعة إليها من المستأمنين في أغراض ربوية بحتة مثل الاقراض بفوائد ، تحددها هذه المؤسسات ، وتعامل الناس مع هذه المؤسسات بهذا الوصف : إعانة لها على سلوك سبل معوجة في استثمار الأموال وهذا مما ينهي الشارع عنه .

٣ ـ اذا تأخر المستأمن عن دفع القسط المحدد في موعده تضاف عليه

فوائد بنسبة كذا في المئة ، والمعنى المحرم في الربا هو الفوائد التي يجنيها أحد المتعاقدين دون مقابل لها ، وليس التأمين إلا ذلك وهو ما تجنيه المؤسسات في الغالب من الناس من أموال طائلة ، وما يجنيه الفرد في أحوال قليلة من فائدة مادية تربو على على مادفعه ، وهذا ضد القاعدة الشرعية « الغنم بالغرم » .

٤ ـ لو أن المستأمن دفع الأقساط كلها كاملة خلال المدة المحددة ، فانه يأخذ هذه الاقساط المدفوعة منه إلى المؤسسة ، مع زيادة عليها لقاء هذه المدة فتقدير المال يكون ـ إذاً ـ في مقابلة الزمن ـ ، وهو يمثل : استحقاق المال بلا عوض .

٥ ـ لو أن المستأمن دفع قسطا واحدا مثلا ، ثم وقع الخطر المؤمن عليه أو المؤمن منه ، فان ورثة المستأمن تأخذ المبلغ المتفق عليه في عقد التأمين مهما بلغت قيمته ، وفي ذلك مبادلة مال بمال بزيادة ، وليس هذا : إلا « ربا الفضل » .

٦ ـ التأمين لا شك في اشتماله : على الشبه والريبة ، وهما : سببان كافيان لوجوب الابتعاد عنه ، ولا حاجة إلى ابتغاء الادخار وقصد الاحتياط في الاحتفاظ بالمال ، لأن وسائل الادخار في المعاملات المشروعة متوفرة متعددة بالابتعاد عن التأمين تجنب للشبهات وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » رواه أحمد و : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » رواه مسلم في صحيحه حـ ١١ص ٢٧ فهذا حث منه عليه الصلاة والسلام على ترك المشتبهات .

الأمر الثاني : الغرر :
تعريف الغرر :

الغرر لغة : الخداع والطمع بالباطل ، يقال غره الشيطان يغره بالضم غرا بالفتح وغرورا بالضم اي خدعه وأطمعه بالباطل ومنه قوله تعالى : **(ما غرك بربك الكريم)** الانفطار/٦ أي ما خدعك وسول لك حتى اضعت ما وجب عليك .

الغرر شرعا : المجهول العاقبة أو : هو الخطر الذي استوى فيه طرف الوجود والعدم ، بمنزلة الشك وقيل : هو ما جهل وجوده أو جهلت صفته وقال بعض الشافعية ، إنه ما احتمل أمرين أغلبهما : أخوفهما وقال ابن حزم : هو البيع الذي لا يدري فيه المشتري ما اشترى أو البائع ما باع .

أنواع الغرر : قال شيخ الأسلام : الغرر ثلاثة أنواع ، المعدوم : كحبل الحبلة والمعجوز عن تسليمه : كالعبد الآبق ، والمجهول المطلق أو المعين المجهول جنسه أو قدره : كقوله بعتك عبدا أو بعتك ما في بيتي أو بعتك عبيدي وهو في كل إما غرر في **صيغة** العقد وإما غرر في **محل** العقد .

والغرر في « صيغة العقد » معناه : أن ينعقد العقد بكيفية وصفة يتحقق فيها أي معنى من المعاني التي تؤكد وجود الغرر فيه وذلك مثل :

بيع الحصاة : كأن يقول بعتك من هذه الأرض إلى حيث تبلغ هذه الحصاة ، أو بعتك من هذه الثياب أو هذه الشياه ما تقع عليه الحصاة فيكون المبيع مجهول القدر أو العين أو الوصف .

بيع المزابنة : كأن يشتري الرطب في الشجر بخرصه من التمر . .

بيع المحاقلة : وهو أن يشتري الحنطة في سنبلها كخرصها من الحنطة ، والخرص هو الحرز والتقدير ، فيقال : كم في هذه النخلة ، ؟ فيجاب : خمسة أوسق فيقال : اشتريت بخمسة اوسق .

بيع الملامسة : كأن يلمس المشتري الثوب وهو مطوي أو في ظلمة مثلا ، فيقول صاحبه : بعتك هذا الثوب ، فيقوم اللمس من جانب المشتري مقام رؤيته ، ويتم الاتفاق على ذلك .

بيع المنابذة : كأن يقول إنسان إلى آخر : أي ثوب نبذته فقد اشتريته بكذا .

وأما الغرر في « محل العقد » فهو توافر هذه المعاني في كل ما ورد عليه العقد وذلك مثل :

الجهل بذات المحل : كبيع شاة من قطيع .

الجهل بجنس المحل : كأن يقول بعتك سلعة من غير أن يذكر اسمها .

الجهل بصفة المحل : كالبيع بثمن مجهول .

الجهل بمقدار المحل : كبعتك كمية من القمح ولم يحدد مقدارها .

الجهل بالأجل : كبعتك حبل هذه الحبلة - أي ولد هذه الناقة الحامل - يعني قبل انفصاله .

وبيع العبد الآبق والجمل الشارد والسمك في الماء والطير في الهواء ، فهذه كلها أمور نهي الشارع عنها .

ويتحقق الغرر بالفعل أو بالقول .

يتحقق بالفعل ، كأن يقوم أحد العاقدين بأعمال بقصد تضليل العاقد الآخر ، وإيهامه في حقيقة المعقود عليه : لحمله على التعاقد ، كطلاء الشيء القديم ليظهر جديدا ، فيبيعه على انه جديد ، « وكتصرية » ضرع البقرة لتظهر كأنها كثيرة الدر واللبن ، فيقدم المشتري على شرائها .

ويتحقق بالقول : بأن يكون القول من العاقد أو من غيره إذا كان من شأنه أن يغري العاقد الآخر ويحمله على التعاقد ، كما في « بيع النجش » .

صلة التأمين بالغرر :

عقود التأمين بكافة انواعها : مشتملة على الغرر المفضى إلى النزاع ، وهو ما يؤثر في العقد ، ولا يخلو عنه عقد من عقوده وذلك لأنه :

أولا : إذا كان التأمين على الحياة مؤقتا لمدة لم يمت في خلالها فقد برأت ذمة المؤمن وضاعت على المستأمن الاقساط التي أداها إليه ، وهذه من صور كثيرة تلازم لعقد التأمين بسبب

الجهالة الواقعة فيه .
ثانيا : أن المستأمن الذي أمن على بضاعته إنما يدفع مالا في نظير أن يكون له مقابل ، والمقابل هنا لا يكون أمرا ثابتا ، لأنه لا يدري أيحصل له ربح ــ مقابل ــ أم لا يحصل .
فان قيل : قد تم الرضا بينهما ــ المؤمن والمستأمن ــ على ذلك .
قلنا : إن التراضي على الأمر الاحتمالي لا يجعله محقق الوجود ، وكون محل العقد معدوما لا يحوله إلى الوجود ، ثم إنه لا يهم الاسلام التراضي الواقع بينهما لأنه واقع على أساس غير سليم .
ثالثا : أن مؤسسة التأمين قد تغرم مبلغا كبيرا جدا ودون أن تأخذ مثله أو ما يقابله ، وبناء عليه تكون هذه المعاملة قائمة على الغرر وعلى كسب مال دون جهد أو عناء ودون مقابل ، وهذا أمر غير مشروع في الاسلام .
رابعا : أن العقود المشروعة في الفقه الاسلامي : هي التي خلت من الغبن والغرر ، ومن كل ما يوصل العقد إلى حالة من الجهالة ، بحيث يحكم عليه معها بعدم الصحة على نحو الذي سبق ، وعلى شريطة أن يوجد التكافؤ في الأعواض ، وكان كل من المتعاقدين منتفعا به ، أما الحصول على كسب بلا مقابل ، من عمل أو عين فهذا : محرم وعقد التأمين يدخل في هذا فيكون محرما .
خامسا : أن من أركان عقد التأمين : « الخطر » لأنه أحد العوضين ، وزمن وقوعه ونوعه ومقداره : مجهول ، ثم إنه قد يتحقق وقد لا يتحقق ، وعليه : فالغرر عنصر ملازم لعقد التأمين وأصبح صفة ملازمة له .

الأمر الثالث : الغبن :

تعريف الغبن :
ورد في تاج العروس غبن الشيء وغبن فيه وغبنا بالتحريك : نسيه أو أغفله وجهله وبالتسكين في البيع وهو الأكثر فيقال غبن في البيع غبنا : اذا غفل عنه بيعا كان أو شراء .
والغبن : إما أن يكون يسيرا وإما أن يكون فاحشا ، فالغبن اليسير : ما يدخل في تقويم المقومين ، أي تقدير أهل الخبرة في المعقود عليه ، كأن يبيع شخص عقارا بمبلغ الف ريال ويقدره أهل الخبرة بمبلغ ثمانمائة وبعضهم يقدره بمبلغ تسعمائة أو بألف ، فهنا يكون الغبن يسيرا ، أما إذا قدره المقومون بما يزيد عن الآلف ريال ولم يقدره أحد منهم بألف فهذا غبن فاحش بالنسبة للبائع واليسير من هذا الغبن يغتفر في العقود لأنه يقع كثيرا فكان سهل الاحتمال ولا ظلم فيه .
أما الغبن الفاحش فانه يؤثر في العقود ، ولهذا كان للمغبون : حق فسخ العقد بسبب الغبن ، فالمغبون مظلوم ، ويجب رفع الظلم عنه ، لأن الغبن كان نتيجة تضليل وغش ، فكان المغبون معذورا ، وكان رضاه على فرض عدم الغبن ، فاذا ظهر

الغبن لم يصادفه رضاه فكان لا بد من اعطائه حق الفسخ .

صلة التأمين بالغبن :

بالنظر إلى عقود التأمين سواء أكانت تأمينا على الحياة أم على الأشياء أم من المسئولية أم غير ذلك ، كالتأمين من الحوادث نجد انها ، قد دخلها غبن لا محالة ، وذلك لعدم وضوح محل العقد في التأمين ، وهو أحد أركانه الأمر الذي لابد لصحة العقد من إيجاده ومعلوميته لدى المتعاقدين ، ومعلوم أن محل العقد في التأمين ، الخطر وهو أمر مجهول ، والجهالة تؤثر في العقد ، فاذا حصل الغلط في محل العقد ترتب عليه بطلان العقد لانعدام المحل .

ومن صور الغبن المؤثرة في العقود : « بيع المصراة » ، وهي البهيمة من الابل والغنم وغيرهما ، ، تترك : حتى يجتمع اللبن في ضرعها اياما ثم تباع ، يظن المشتري انها تحلب كل يوم مثل ذلك ! وقد حرم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذلك لما فيه من التدليس والغش وجعل للمشتري الخيار ثلاثا إذا حلبها ، إن رضيها امسكها وإلا ردها ورد عوض اللبن الذي كان موجودا وقت العقد .

وكذلك « بيع النجش » وهو الزيادة في ثمن السلعة المعروضة للبيع لا ليشتريها بل ليغري بذلك غيره ، وسمى « الناجش » في السلعة ناجشا ، لأنه يثير الرغبة فيها ويرفع ثمنها ، وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش » متفق عليه .

وأيضا من صور الغبن المؤثرة في العقود والتي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : « تلقى الركبان » وهو أن يتلقى شخص طائفة يحملون متاعا فيشتريه منهم قبل قدومهم سوق البلد ، والركبان جمع راكب والتعبير جرى على الغالب والمراد به القادم ولو كان واحدا أو ماشيا ، وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلقي البيوع » صحيح مسلم جزء/٥ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تلقوا الركبان » رواه البخاري .

وقد اتفق الفقهاء على : أن النهي للتحريم ، وهو يقتضي فساد العقد بالمتلقي يغرر أهل السلع فيلحق بهم الضرر ببيع سلعهم له ، وهم لا يعرفون سعرها في البلد فيغبنوا !! وقد ينفرد المتلقي برخص السلعة دون اهل البلد ، فيحبس ما يشتريه ، ويبيعه بما شاء من الثمن : فيضيق على أهل البلد ، فمن الجهتين : كان المنع عن تلقي الركبان والتأمين في مختلف صوره وأشكاله يتحقق فيه هذا المعنى الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وهو الغبن الذي ينشأ بسببه النزاع ويكون مؤثرا في صحة العقود على نحو ما مر .

سرعة انتشار الإسلام

جمع الاسلام الأمــة العربيــة من أقصاها إلى أقصاها في أقل من ثلاثين سنة ، ثم تناول من بقية الأمم ما بين المحيط الأطلسي وتخوم الصين في أقل من قرن واحد ، وهو أمر لم يعهد في تاريخ الأديان .

وسبب هذا الانتشار السريع ، دعوته إلى الحق ، ومساعدته للمغلوبــين ، وعدالته الاجتماعية ، وتقريره الحرية في العمل والدين ، ومطاردته لرذائل الأخلاق وقبائح الأعمال ، وتساميه بالنفــوس البشريــة ، وتحديــده للحقوق . ومساواتــه بــين جميــع الطبقات في احترام النفس والديــن والعرض والمال ، وسهولة تعقله ويسر أحكامه .

وقد اهتدى المنصفون من الباحثين إلى هذه الحقيقة الواضحة ، أما الذين عطلوا عقولهم جحودا لآيات الله فقد زعموا أن الاسلام لم ينتشر بهـذه

للشيخ/ محمد الأباصيري خليفة

السرعة الغريبة في تلك المدة الوجيزة إلا بواسطة السيف وإكراه الناس على الدخول فيه !!.. وهذا بهتان عظيم . ترده آيات القتال في الاسلام التي تبين أنه ما شرع إلا دفاعا عن الأنفس والعقيدة والأعراض والأموال .. ونظرة فاحصة في معاني تلك الآيات تهدى الضالين إلى معرفة الحق ، واستجلاء معالمه ، وتوضح للمنصفين ما يدفع الباطل ويزهقه .

أولا ـ جاء في سورة الحج آية هي أول ما نزل في القتال ، بينت أن القتال أذن فيه للمسلمين بسبب ظلم الكفار لهم . وإخراجهم من ديارهم بغير حق ، ولا ذنب لهم في نظرهم إلا توحيدهم لله تعالى (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**) الحج / ٣٩ ، ٤٠

ثانيا ـ وردت آيات في سورة البقرة تبين أن الله أمر المسلمين بقتال طائفة مخصوصة من الكفار ، وهي التي تقاتل المسلمين وتخرجهم من ديارهم ، وتفتنهم في دينهم بالحاق الأذى بمن آمن ، وجعلت هذه الآيات لهذا القتال غاية ، وهي ألا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فيسلم الانسان من الأذى بسبب عقيدته ، ويكون حرا في دينه ، يدين به لله لا خوفا من عقاب يلحقه ، ولا طمعا في متاع يناله ، كذلك بينت تلك الآيات أن الفتنة ـ وهي إلحاق الأذى بالمؤمن ومحاربته من أجل عقيدته ـ أشد من القتل ... ونهت الآيات عن الاعتداء ، وأفادت أن الجزاء عند الاعتداء لا ينبغي أن يتجاوز ما فعله البادئ بالعدوان . وهذه الآيات هي قوله تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين**) البقرة / ١٩٠ ـ ١٩٤ .

ثالثا ـ جاء في سورة النساء ما يفيد أن للقتال سببين : أحدهما سبيل الله (وهو ألا تكون فتنة ، فلا يحصل

اعتداء على العقيدة التي هي حق الله ، وسبب السعادة الدنيوية والأخروية) ، وثانيهما سبيل المستضعفين الذين كانوا مسلمين بمكة ، وحيل بينهم وبين الهجرة ، فقد عذبهم كفار مكة وفتنوهم عن دينهم حتى تضرعوا إلى ربهم طالبين الخلاص ... فهؤلاء لا بد لهم من حماية تدفع عنهم أذى الظالمين ، وتحقق لهم الحرية فيما يعتقدون **(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)** النساء / ٧٥

رابعا ـ جاء في شأن قوم من أعداء الاسلام لم يحبوا أن يقاتلوا المسلمين ، ومدوا إليهم يد السلام نهى الله المسلمين عن مقاتلتهم إذا كان ميلهم إلى المسالمة حقيقيا لا ذبذبة فيه **(فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)** النساء / ٩٠

أما إذا كان إظهارهم للمسالمة نفاقا وخداعا فقد جعل الله للمسلمين عليهم سلطانا ، وأذن لهم بمقاتلتهم حتى يأمنوا شرهم ، وذلك معنى قول الله تعالى : **(ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)** النساء / ٩١

خامسا ـ بينت آيات الله كذلك أن من أسباب مقاتلة المسلمين للكفار نكثهم للعهود ، وعودهم الى الطعن في الدين **(وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)** التوبة / ١٢ و١٣

وقد كان بين اليهود بالمدينة وبين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهود مكتوبة ، نقضوها بالاتفاق مع قريش والمنافقين على محاربة المسلمين في غزوة الأحزاب . فأمر الله المسلمين بقتالهم ، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى : **(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)** التوبة / ٢٩

ففي الآية أمر للمسلمين بقتال أهل الكتاب الموصوفين بهذه الأوصاف عندما يوجد موجب للقتال كنكث العهد والاعتداء على النفس ، أو على البلاد ، أو اضطهاد المسلمين وفتنتهم عن دينهم .. وامتداد هذا القتال حتى يأمن المسلمون عداوتهم باعطائهم الجزية عن قدرة وسعة فلا يظلمون ولا يرهقون ، وبذلك تكسر شوكتهم ويكفون عن الاعتداء على المسلمين .
والجزية قدر من المال يؤخذ منهم جزاء

على ما التزمه المسلمون من الدفاع عنهم ، ويشهد لذلك أن الصحابة لما فتحوا الشام وضعوا الجزية على أهل (حمص) وأخذوها منهم ، ولكنهم لما وصل إليهم أمر أبى عبيدة بحضور موقعة اليرموك وترك حمص ، ردوا إلى اهل حمص ما أخذوه من الجزية وقالوا : إنا أخذناها مقابل الدفاع عنكم ، وحيث إننا خرجنا فقد أصبحنا عاجزين عما التزمنا به فوجب ردها . فعجب أهل (حمص) من ذلك عجبا شديدا ودعوا لهم بالنصر .

هذا وقد كان أمر القتال أولا قاصرا على قريش ومن يمالئونهم من يهود المدينة ، فلما اتحدت قبائل العرب مع قريش على حرب المسلمين ، والوقوف في وجه الدعوة ، أذن الله بقتال المشركين كافة فقال تعالى : **(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين)** التوبة / ٣٦

ومن القواعد الأساسية في الاسلام عدم الاكراه على العقيدة وقد قال الله تعالى في هذا الشأن **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)** البقرة / ٢٥٦

وقد أمر الاسلام المسلمين بالجنوح إلى السلم إن جنح الأعداء إليه **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)** الأنفال / ٦١ ـ ٦٣

هذه هي آيات القتال في القرآن الكريم ناطقة وشاهدة على أن القتال في الاسلام لم يشرع لاكراه الناس على اعتناقه ، وإنما كانت مشروعيته لتأمين الدعوة ، والدفاع عن الأنفس والأموال والأعراض .

والصراع بين الحق والباطل قائم ما دامت الحياة ، والظالمون لن يكفوا عن العدوان ، ولا عن الجحود والنكران ، ولا عن الفساد والافساد ، وحكم الآيات عام .

وقد جاءت هذه الآيات تعطى المسلمين طريق الحفاظ على قيمهم ومثلهم وعزتهم وكرامتهم ، في هذه الحياة التي تهتاج فيها شياطين الانس ، لازهاق الحق وتسويد الباطل .

وحرى بالمسلمين ـ في كل عصر ، وفي كل مكان ـ أن يتدارسوا تلك الآيات وأن يتبينوا أهدافها ، وأن يلبوا دعوتها ، ليعيشوا في بلادهم آمنين ، يأبون الضيم ، ويرفضون الهوان ، ويردون العدوان ، ويحمون القيم والأمجاد ويطيعون ربهم لينالوا ولايته ونصره **(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)** آل عمران / ١٢٦

ويجاهدون في سبيل الله ليهديهم سبله . ويضفي عليهم معيته **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)** العنكبوت / ٦٩ .

مائدة القارئ

نحن نرزقكم وإياهم

قال تعالى : (قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ ما حَرَّم ربُّكم عليكَم الا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا اولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكُم وإياهم ولا تقربوا الفواحشَ ما ظهَرَ منها وما بطنَ ولا تقتلوا النفسَ التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) الآية ١٥١ من سورة الانعام .

مهمة المال

قال أمير الشعراء احمد شوقي في إحدى قصائده :

ولم أر مثل جمع المال داء ... ولا مثل البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوته ، وزنها ... كما تزن الطعام أو الشرابا
وخذ لبنيك والأيام ذخرا ... وأعط الله حصته احتسابا
فلو طالعت أحداث الليالي ... وجدت الفقر أقربها انتيابا
وأن البر خير في حياة ... وأبقى بعد صاحبه ثوابا
وأن الشر يصدع فاعليه ... ولم أر خيرا بالشر آبا

أكل مال الله

ولى الحجاج أعرابيا ولاية ، فتصرف في الخراج ، فعزله ، فلما حضر قال له :

يا عدو الله أكلت مال الله ، فقال الأعرابي : ومال من آكل إن لم آكل مال الله ؟. لقد راودت إبليس على أن يعطيني فلسا واحدا فلم يقبل .
فضحك الحجاج من قوله ، وعفا عنه .

ثلاث مهلكات

قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » .

دعـــاء

اللهم إني اسألك الثبات في الأمر ، وأسألك عزيمة في الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحســن عبادتــك ، وأسألك لسانــا صادقــا ، وقلبــا سليما ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك مما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب .

الشاعر الماجن .. والمرأة

حاول عمر بن أبى ربيعة ــ الشاعر الماجن ــ الاقتراب من امرأة كانت تطوف بالبيت . فرأى أخاها معها ، فانصرف هاربا .

فأنشدت المرأة قول النابغة الذبياني :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقى صولة المستأسد الحامي

طرفة أعرابي

غزا أعرابي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ما نلت في غزاتك هذه ؟. فقال : وضع عنا نصف الصلاة ، ونرجو إن غزونا أخرى أن يوضع عنا النصف الآخر .

إلى المغالين في المهور

يروى أن فراش الزوجية ــ الذي أعده علي بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ لزوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضي عنها ــ كان إهاب كبش ، إذا أراد أن يناما عليه قلباه . وكانت وسادتهما أدما حشوها ليف ، وكان صداقها درعا من حديد .

ألا إنّ الإسلام هو دين العلم

للدكتور أحمد شوقي إبراهيم

زعم الملاحدة في الماضي — ويزعم بعضهم في الحاضر أيضا — أن الدين لا يؤيد العلم .. وأن العلم لا يؤيده . فهذا « فرويد » أستاذ علم النفس الشهير يزعم أن الدين بنى على وهم .. وفي أهم كتبه « مستقبل وهم » زعم فرويد أن الدين ليس وهما فحسب .. ولكنه خطر على الانسانية أيضا !. لأن الدين في زعمه يعلم الناس الاعتقاد في وهم .. وذلك يعوق التقدم العلمى .. وقال أيضا : « إن فكرة الدين ستؤدى في النهاية الى هدم القيم الأخلاقية ، لأن اعتبار القيم الأخلاقية أوامر من الله يجعل مستقبل القيم الأخلاقية — كما زعم — الى زوال .. لأن تقدم العلم البشرى سيثبت خطأ كل ما بنى عليه الدين من أوهام »..

أما كارل ماركس إمام المذهب الشيوعى فيقول في هجومه على الدين . « إن الدين أفيون الشعوب ».. فهو يخدر الناس فلا يطالب العمال بحقوقهم من صاحب العمل .. فيجب منع فكرة الدين عن الشعوب لكى تترك الكسل والتسليم والخنوع وتنهض للعمل .. وتزعم المذاهب الشيوعية أن « كافة المذاهب الدينية تحقد حقدا شديدا على العلم وتحارب التقدم الفكرى .. وتكافئ الناس لا على قدر عملهم وعلمهم .. ولكن على قدر إيمانهم ولو كانوا جهلة وكسالى ».. ويزعم ماركس وزملاؤه وتلاميذه أن المغزى الاجتماعي للدين هو أنه رأسمالية تحاول أن تجعل من الناس عبيدا خانعين لا يطالبون بحقوقهم المسلوبة ولا يعارضون أسيادهم الانتهازيين أصحاب رأس المال .. والدين يؤدى بالناس لأن يكونوا شعوبا لا تؤمن بالعلم ولكن تؤمن بالمعجزات والخرافات ..

هذا استعراض موجز لآراء هؤلاء الملاحدة .. التى بنوها على أساس دراستهم للكتب الدينية والعقائد الكهنوتية التى كانت تسود أوروبا في عصرهم واعتقدوا أنها كتب وعقائد دينية بنيت على وهم .. وكائنا ما كان اعتقادهم في تلك الكتب المحرفة .. فان حظهم السيئ جعلهم لا يدرسون القرآن .. ولو درسوه لاستقامت أفكارهم ولما تخبطوا في كل هذا الضلال .

وإذا كانت بعض تلك الكتب قد جاءت بآراء علمية أثبت العلم الحديث خطأها كالقول مثلا في العهد القديم : إن عمر الأرض بضع عشرات من آلاف السنين في حين أثبت العلم الحديث أنها خمسة آلاف مليون سنة .. وإذا أخطأت تلك الكتب ، فان ما جاء به القرآن الكريم من حقائق استطاع العلم البشرى الحديث أن يثبت أنها الصدق وأنها الحق المبين .. ولم تتعارض الحقائق العلمية الثابتة في العلم الحديث مع ما جاء به القرآن الكريم أبدا ..

وإذا اعتقد هؤلاء العلماء أن الكتب الدينية والعقائد الكهنوتية التى اطلعوا عليها قد بنيت على وهم .. وأنها لا تمت الى العلم بصلة .. فليعلموا جيدا أن القرآن شيء آخر تماما غير تلك الكتب جميعا ..

وقصة الدين الذى ثاروا عليه قصة طويلة نستطيع أن نوجزها في سطور قليلة .. وإنصافا للحق .. وللأمانة العلمية .. نقول : إن تلك العقائد الدينية التى ثاروا عليها كان رجالها يحاربون العلم فعلا ..

ويرجع تاريخ الصراع بين العقائد الدينية المحرفة وبين العلم البشرى الى العصور القديمة وامتدادا الى العصور الوسطى وحتى أوائل القرن الماضي .. ففى العصور القديمة دخل رجال الكهنوت في صراع ضد العلماء .. ولعل أشهر صراع دار بين العلم والدين كان أيام فرعون مصر « أخناتون » وبعد موته في العصر المصري الفرعوني القديم .. فعندما صار فرعونا لمصر كانت الديانة المصرية تقدس الثالوث الالهى لآمون :

« أزوريس وإزيس وحوريس »..

وكان أخناتون عالما ومفكرا .. فألغى عقيدة الثالوث ونادى بعقيدة التوحيد ومن قصائده التى كان يناجى بها الخالق الواحد :

« أيها الاله الأوحد الذى ليس لغيره سلطان كسلطانه »

« يامن خلقت الأرض كما تريد عندما كنت وحيدا »

« أنت خلقت الناس والأنعام كبيرها وصغيرها »

« وكل ما يمشى على قدمين وكل ما يطير بجناحين »

وبعد وفاة « أخناتون » أعاد كهنة آمون عقيدة الثالوث الالهى مرة أخرى .. وأرهبوا كل فكر ينادى بعقيدة التوحيد .. واتهموا « أخناتون » بأنه كان مجنونا .. وأصبح التقدم العلمى مستحيلا في وجود كهنة معابد آمون ..

وكما حدث في مصر القديمة حدث في

كثير من البلاد على ممر العصور .. فقد كان رجال الكهنوت يقاومون كل من ينادى بأى جديد في العلم اعتقادا منهم بأن ذلك يقلل من سيادتهم وهيمنتهم على مقدرات الأمور .. وكانوا يعتبرون أنفسهم أوصياء على الناس جميعا وتمسكوا بأشياء ليست من الدين في شئ .. فاذا ما اثبت العلم صحتها ازدادوا معارضة لها واعتبروا أن أى علم جديد أو فكر جديد خروجا على الدين ، وثورة على النظام الكهنوتى يستحق صاحبه أشد العقاب .

ففى القرن السابع عشر مثلا أعلن العالم الفلكى « كوبر نيكوس » خطأ نظرية أرسطو التى كانت تقول : إن الأرض ثابتة لا تتحرك وإنها مركز الكون .. ونادى بأن الأرض تدور .. وتعرض من أجل ذلك لحرب لا هوادة فيها ولا رحمة من قبل رجال الكنيسة .

وقد حكموا بالموت على كل من نادى بصحة أفكار « كوبر نيكوس » وأن الأرض تدور .. ولما جاء العالم « جاليليو » عالم الفلك والفيزياء المشهور .. ثار عليه رجال الكنيسة بسبب اكتشافاته العلمية وخيروه بين أن يترك آراءه العلمية أو أن يسجن مدى الحياة فاختار أن يعيش باقي حياته وحيدا في منزله بعيدا عن الناس .

وظلت الكنيسة تعارض كل اتجاه علمى جديد وكل تقدم في الفكر الانسانى حتى ثبت فيما بعد أن الآراء التى ذكرها « كوبرنيكوس » صحيحة وأن الأرض تدور .. وحينئذ اضطر رجال الكنيسة الى أن يوافقوا عليها .. وأحدث ذلك بلبلة كبيرة وتضاربا في الآراء بين رجال الكهنوت .. وزاد الصراع بينهم وبين رجال العلم .

وفي وسط هذه البلبلة ظهرت نظريات التطور المختلفة مثل نظريات التطور في الخلق « لدروين » وغيره كثيرين ونظريات التطور الاجتماعى « لكارل ماركس » وغيره ونظريات التطور النفسي « لفرويد ».. وكان طبيعيا أن يقف منهم رجال الكهنوت موقف العداء .. وكان طبيعيا كذلك أن يحدث الصراع ويهاجم هؤلاء العلماء باسم العلم تلك العقائد الدينية ورجالها وكتبها هجوما عنيفا ..

ولا يزال الذين يتبعون أفكار أولئك العلماء في أيامنا هذه لهم نفس النظرة الى الأديان ويعتقدون نقلا عن ماركس وغيره أن التقدم العلمى والفكرى والاجتماعي يتنافى مع كل دين .. ولذلك يسفهون الآراء الدينية ويحاربون المتدينين حربا لا تفتر .. ونسوا أن كارل ماركس وزملاءه إنما كانوا يهاجمون النظام الكهنوتى في أوروبا الذى لم يعد له وجود الآن .. ونسوا أيضا أنهم لم يقرأوا القرآن ولم يطلعوا عليه .. وكان يجب أن يتنبهوا أنه لا ينبغى أن يحكم إنسان ما حكما نهائيا على أمور يجهلها تماما ولا يعرف عنها شيئا .

وإننا هنا الآن لا ندافع عن رجال الكهنوت القدامى الذين حاربوا كل

تقدم علمي ولا نوافق رجال الكنيسة في العصور الوسطى على رفضهم كل تقدم فكرى .. كما لا نوافق الملاحدة على إلحادهم فهم قد استخلصوا العلم من آيات الله الكونية في الوقت الذى أنكروا فيه خالق هذه الآيات .. ولكننا هنا نسجل خطأ العلماء الملاحدة ومن اتبعهم في ظنهم أن القرآن هو كتاب من أمثال تلك الكتب التى رفضوها وثاروا عليها .

ولن أدخل مع الملحدين في نقاش حول آرائهم الخاطئة .. ولن أحاول إقناعهم بأن الاسلام ليس دينا رأسماليا .. وإنما كان أول أتباعه من العمال الذين ثاروا على ما يسمون بالرأسماليين . والتاريخ خير شاهد على ذلك .. ولن أقول لهم : إن الصراع الأول حدث بين الاسلام كفكر وبين الطبقة التى تزعم لنفسها السيادة على الناس وأن أتباعه الأوائل والذين نصروه كانوا من الفقراء .. ولن أقول لهم : إن الاسلام لم يحول المجتمع الى مجتمع عبيد خانعين مستسلمين ولكنه أول دين حرر العبيد وأول شريعة ساوت بين الناس في الحقوق والواجبات وأنه أول دين قرر ألا كرامة لانسان على إنسان إلا بالتقوى والعمل الصالح وأول دين يرفض العنصرية والعصبية والأممية والقبلية .. ولكنه يدعو الى الانسانية كلها فحسب .. ولن أدخل في جدال لأبين أن الاسلام كان أول دين جعل أساس الايمان هو العمل الصالح .. وأنه لا إيمان بغير عمل صالح .. ولا أقول لهم إن كلمة « العمل » ومشتقاتها جاءت في القرآن الكريم في نحو ثلاثمائة وخمسين موضعا وكل موضع بحكم جديد .. وأنه دين نادى من قبلهم بقرون عديدة بشرف العمل ..

ولكني أريد أن أنبه الملحدين أنهم أخطأوا في ظنهم أن كل دين ضد العلم وضد التحرر الفكرى .. أريد أن أقول لهم إن الاسلام هو دين التقدم العلمى بحق .. أريد أن أقول لهم : إن نظرياتهم كانت خاطئة تلك التى بنيت على أن الاسلام ـ كغيره من الأديان ـ ضد التحرر الفكرى وضد العلم .. أريد أن أفهمهم أن تلك الأنظمة الكهنوتية في الماضى شيء .. والاسلام الذى يجهلونه تماما شيء آخر .. وأنهم أخطأوا خطأ كبيرا ..

إذا كانت النظم الكهنوتية التي ثار عليها علماء الملاحدة في القرن الماضي في أوروبا كانت ضد التحرر الفكري .. وكانت لا تؤمن بأى نقاش منطقي أو تطور علمي .. فان الاسلام على عكس ذلك تماما ... فهو يدعو إلى حرية الفكر ، وتحريم التعصب الفكري .. ويحث على الاقتناع عن طريق الحجة والدليل ... فلا زجر ولا تخويف .. بل جدل علمي هادئ وموعظة حسنة بغير تحامل وبغير تعصب ... ونقرأ في القرآن الكريم قول الله تعالى : **(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم)** آل عمران / ٦٤

فالذي يفصل بين المختلفين في الرأى هي كلمة الحق .. التي يقف أمامها الجميع سواسية وهذه دعوة لا

يرفضهـــا إلا كل متعصـــب أو مغرور ... وفي سورة النحل/١٢٥ قال تعالى : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمـة والموعظـة الحسنــة وجادلهم بالتي هي أحسن)** فهي دعوة لمقاومة الحماس في الجـدال بتغليب العقل والحكمة ... وهي دعوة بالحديث في رفق دون زجر أو تأنيب وإشعار المخاطب أن الهدف من الجدل هو الوصول إلى الحق فحسب ، وليس الهدف هو مجرد الغلبة فيه ..

ويستنكر الاسلام الجـدل بالباطـل وبغير علم .. لأن الفيصل في كل جدل هو العلم فاذا لم يكن العلم موجودا صار الجدل عقيما ... وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة الكهف / ٥٦ : **(ويجادل الذين كفروا بالباطـل ليدحضوا به الحـق)** وفي سورة الحج / ٣ **(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد)** وفي سورة الحج أيضا آية ٨ يقول تعالى : **(ومـن النـاس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)** وفي سورة غافر / ٣٥ يقول تعالى : **(الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنـوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)** .

وهكذا نرى أن الاسلام هو ديـن التحرر الفكري .. دين احترام الرأى العلمي .. دين الاقتنـاع بالحجـة والدليل ... دين الدعـوة بالحكمـة والموعظة الحسنة ... ديـن العقـل والـرأى الحـر والعقـل المستنـير المفتوح ... فأين ذلك من زعم أئمة الالحاد بالأمس واليوم أن الدين ضد العلـم ، وضـد التحـرر الفـكري والاجتماعي ؟

والقرآن يحض على العلم ... ويدفع الانســان دفعـــا إلى أن يتعلـــم ويتفكر ... والاسلام لا يحقـد على العلم كما ادعى الملاحدة ... كذلك لم يناد الاسلام بأن يكون الناس عبيدا كما زعم الماركسيون زورا وجهـلا بالاسلام ... وكان يجب أن يعلموا أن أول ما نزل من القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلـم كان أمـرا للانسان بأن يتعلم ... وأن يتخذ من العلم طريقا إلى معرفة الخالق سبحانه فذكر في أول آيات نزلت في القرآن وردت كلمة « الخلق » في موضعين ووردت كلمة « العلم » في ثلاثـة مواضع ووردت كلمة « اقـرأ » في موضعـــين . وذلك في أول سورة العلق : **(إقرأ باسم ربك الـذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علـم الانســان ما لم يعلـــم)** العلق/١ ـ ٥ وبين قيمة العلـم في سورة الزمر / ٩ في قوله تعالى : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** بل إنه وضع العلماء بعد الملائكة في قوله تعالى في سورة آل عمران / ١٨ **(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط)** .

ورفع القرآن الكريم من قدر العلماء في آيات كثيرة ... ففي سورة المجادلة / ١١ قال تعالى : **(يرفع الله الذين**

آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وفي سورة فاطر/٢٨ قال تعالى : **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)** وكأنما يقول الله تعالى لعباده : إليكم العلم فاتخذوه طريقا لمعرفتي ... فلن يعرفني إلا العلماء ... ويؤكد القرآن الكريم أن الذي يدرك الايمان الحق هو من أوتي حظا من العلم .. فقال تعالى في سورة سبأ / ٦ :**(ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد)** وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على العلم والتعلم ... وتأمر بالبحث والتفكير والدراسة ففي سورة يوسف / ٧٦ يقول تعالى : **(نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم)** وفي سورة العنكبوت / ٢٠ يأمر الله تعالى عباده بأن يتعلموا ويفكروا في كل ما يشاهدونه ليصلوا إلى الحقيقة في قوله تعالى : **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** .. ونقرأ في سورة يونس / ١٠١ قوله تعالى : **(قل انظروا ماذا في السماوات والأرض)** .. فهل هناك تشجيع على العلم أكثر من ذلك ؟... وهل هناك حث على إعمال الفكر الانساني أبلغ من هذا ؟

ويبين القرآن الكريم أن الأمثال التي يضربها للناس لا يفهمها إلا العالمون فأهل العلم وحدهم هم الذين يتبينون الحق والصواب ويتعرفون على آيات الله سبحانه ... ففي سورة العنكبوت ٤٣ يقول الحق تبارك وتعالى : **(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)** وفي سورة الحج / ٥٤ : **(وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم)** ولقد جاءت كلمة العلم ومشتقاتها في ٨٥٩ موضعا في القرآن على قدر علمي ... وكل موضع جاء بمعنى جديد ... فالقرآن الكريم يحتكم إلى العلم في كل القضايا ... واى قضية لا تستند إلى العلم لا تكون لها قيمة ... ونقرأ في سورة الانعام / ١٤٣ قوله تعالى : **(نبئوني بعلم إن كنتم صادقين)** وفي سورة الاسراء / ٣٦ : **(ولا تقف ما ليس لك به علم)** وفي سورة النور / ١٥ **(إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم)** وفي سورة الحج / ٣ **(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم)** .

والقرآن الكريم يدعو إلى تقدم الفكر الانساني على عكس ما زعم الملاحدة من قبل ، وما يزعم تلاميذهم في عصرنا الحاضر كذبا وزورا وجهلا ... وإذا صح ذلك في كتب دينية محرفة قرأوها ... فان القرآن ليس كذلك فهو يشجع تقدم الفكر الانساني بل ويأمر الانسان بأن يتفكر ويدرس ويتعلم ويفهم .. ويدفعه إلى ذلك دفعا . واقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة البقرة / ٢١٩ : **(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)** وفي سورة النحل / ٤٤ قال تعالى : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)** وفي سورة آل عمران / ١٩١ يقول تعالى : **(الذين يذكرون**

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) وفي سورة يونس / ٢٤ يقول تعالى : **(كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) .**

ولم يدع الاسلام الناس إلى الايمان بالمعجزات والخرافات كما زعم كارل ماركس كذبا وجهلا ... وكما تدعى العقائد الشيوعية اليوم لجهلهم بالقرآن ولعدم دراستهم له ... ولكنه يدعو دائما إلى مخاطبة العقل والفكر .. ويتحدث كثيرا إلى أصحاب الفكر الانساني وسماهم **(أولو الألباب)** ونقرأ في سورة البقرة / ٢٦٩ قوله تعالى : **(يؤتى الحكمه من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب)** وفي سورة آل عمران / ٧ **(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب)**

وفي سورة ابراهيم / ٥٢ **(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الالباب)** وفي سورة ص / ٢٩ يقول تعالى : **(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر أولو الالباب) .**

وفي الأحاديث الشريفة الحث على العلم والتعلم ... ورفع قيمة العلماء .. وأظهار أنه لا سبيل إلى الايمان بالله إلا بالعلم .. فكيف لم يقرأ الملاحدة ذلك ؟

عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم .. ويثبت الجهل ... الى آخر الحديث الشريف » أخرجه البخاري .

وعن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدي الساعة أياما يرفع فيها العلم ، وينزل فيها الجهل ، ويكثر فيها الهرج » أخرجه البخاري .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ... ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما ... اتخذ الناس رؤساء جهالا .. فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » . أخرجه البخاري .

إذن فالاسلام في الحقيقة هو دين العلم .. نزل بالعلم .. وبالعلم نزل نزل بالحق .. وبالحق نزل .. وفي ظله يزدهر العلم ويتسع .. فما أضل هؤلاء الملاحدة أمثال « داروين وفرويد ، ماركس » ومن ساروا على دربهم ممن زعموا أن الدين – كل دين – والعلم على طرفي نقيض .. وما أعظم خطأهم إذ زعموا أن كل دين قد بنى على وهم وليس على علم .. ولقد شاء حظهم العاثر أن يطلعوا فقط على الكتب الدينية المحرفة التي كانت في أوروبا في ذلك العصر ولم يقرأوا القرآن ولم يعرفوا الاسلام حق المعرفة .. ولو عرفوه لاخرجهم من ظلام التيه والوهم الذي هم فيه .. إلى نور الحق واليقين .

لغويات

إعداد : الشيخ محمود وهبة

من استعمالات (حتى)

١ ـ تكون حرف جر إذا وليها اسم مجرور مثل قول تعالى : (سلام هي حتى مطلعِ الفجر) او فعل منصوب مثل قوله تعالى : (لن نبرحَ عليه عاكفينَ حتى يرجعَ الينا موسى) فالفعل « يرجع » منصوب بأن مضمرة وهي وما بعدها مصدر مؤول في محل جر بـ (حتى) .

٢ ـ تكون حرف عطف ولكنه لا يعطف الا المفرد مثل : « سافر الشباب حتى ياسرٌ » .

٣ ـ تكون حرف ابتداء تبتدأ الجمل بعده مثل :

فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

فجملة : ماء دجلة اشكل ابتدائية لا محل لها من الاعراب ، وليس محتما ان تكون هذه الجملة اسمية مؤلفة من مبتدأ وخبر كما ورد في البيت بل قد تكون فعلية فعلها ماض مثل : أنصت المصلون للخطيب حتى فرغ من خطبته ـ وقد تكون فعلية فعلها مضارع ليس منصوبا مثل قوله تعالى : (وزلزلوا حتى يقولُ الرسول) ومما تقدم يعلم انها تكون حرف غايةوجر إذا وليها اسم مجرور أو فعل مضارع منصوب ، وتكون حرف غاية وابتداء إذا جاء بعدها جملة اسمية أو فعلية فعلها ماض أو مضارع غير منصوب .



المسلمون في انجلترا

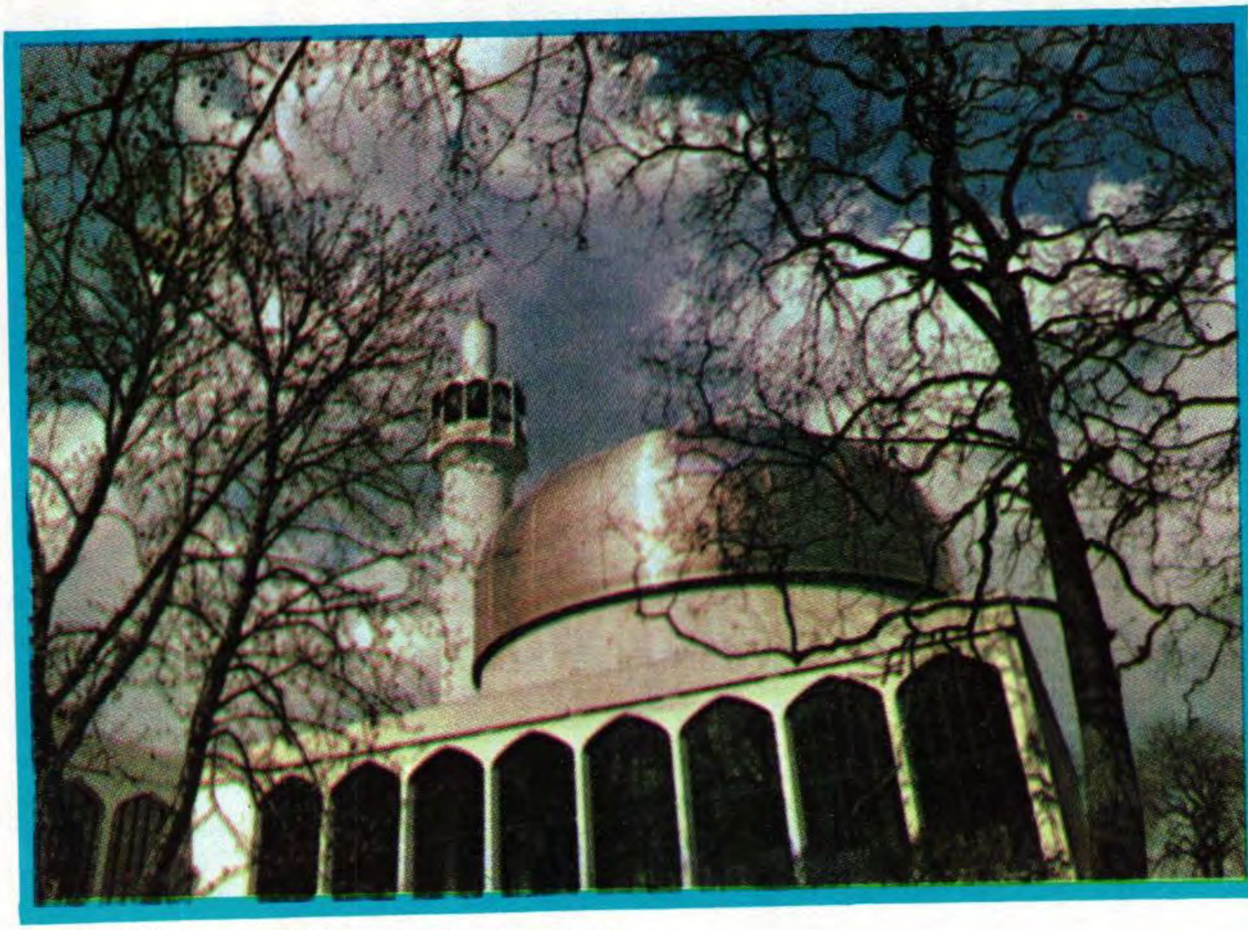
للأستاذ عبد الغني محمد عبد الله

تقع الجزر البريطانية غرب ألقارة الأوروبية يفصلهما القنال الانجليزي وسواء كانت هذه الجزر تقع في حماية المياه . أم أنها تحمي نفسها بنفسها .. إلا أنه على أي الأحوال فان هذه الجزر تعتبر جزءا من القارة الأوروبية . وتشغل هذه الجزر « المملكة المتحدة » وتعرف عند الكثيرين باسم « انجلترا » أو فيما سبق « بريطانيا العظمى » وإن كانت مازالت تعرف باسم « بريطانيا » أيضا حتى اليوم . وهي إحدى الدول الخمس الكبار في العالم وصاحبة أحد الكراسي الدائمة في مجلس الأمن الدولي . وقد أوصلها الى هذه المكانة أنها كانت صاحبة امبراطورية استعمارية لم تكن تغيب عنها الشمس . وقد كونتها بعد أن اندفعت عقب حركة الكشف الجغرافي في خلال القرن السادس عشر وعقب حركة الكشف العلمي أو ما يسمى الثورة الصناعية في القرنين ١٨ ، ١٩ م — اندفعت انجلترا تغزو العالم « الثالث » كله تقريبا لتكون هذه الامبراطورية بعد أن سيطرت على أغلب امريكا الشمالية . وامتد النفوذ الانجليزي من أقصى الأرض الى أدناها تحت حماية أسطول بحري كانت له السيادة البحرية في العالم كله ، بدءا من منتصف القرن الثامن عشر تقريبا .. وكانت المنطقة العربية والعالم الاسلامي من بين المناطق التي وقعت في قبضة الاستعمار الانجليزي « عدا القليل » . ولذلك نجد أن التاريخ الانجليزي قد اختلط بتاريخ العالم الاسلامي في خلال فترة الاستعمار ... فترة كلها صراع وكلها كفاح من جانب المسلمين وكلها تشبث وتمسك واستنزاف من جانب الاستعمار وهناك احتكاك من نوع اخر عدا الاحتكاك السياسي فمما لا شك فيه ان وجودها ـ انجلترا ـ في مناطق اسلامية ، كان احتكاكا بالاسلام حضاريا وسياسيا أيضا ، إذا ما نظرنا الى ذلك من خلال عزلة الوطن العربي خلال تبعيته للدولة العثمانية ومن خلال ضعف الامبراطوريات الاسلامية في الشرق الاسلامي خلال هذه الفترة ولا شك ايضا أن آثار الاستعمار كان مضرا بمصالح المسلمين في مجملها إذ ان البقاء في التبعية للاستعمار كان معوقا للمسلمين في كثير من النشاطات السياسية والحضارية الى حد كبير أثر وما زال يؤثر فيهم للآن .

ولا شك ايضا أن الادارات السياسية الاسلامية مهما بلغ ضعفها خلال هذه الفترة ، كان لها مردودها على انجلترا أو بمعنى اصح كان للاسلام نفسه مردوده على انجلترا . حيث إن شعوب هذه المناطق الاسلامية قد وصلوا إليها ودخلوها بصفتهم من رعايا دول خاضعة للنفوذ البريطاني أو من رعايا « الكومنولث » البريطاني .. دخلوها وأقاموا فيها بدينهم الاسلامي وعاداتهم وتقاليدهم

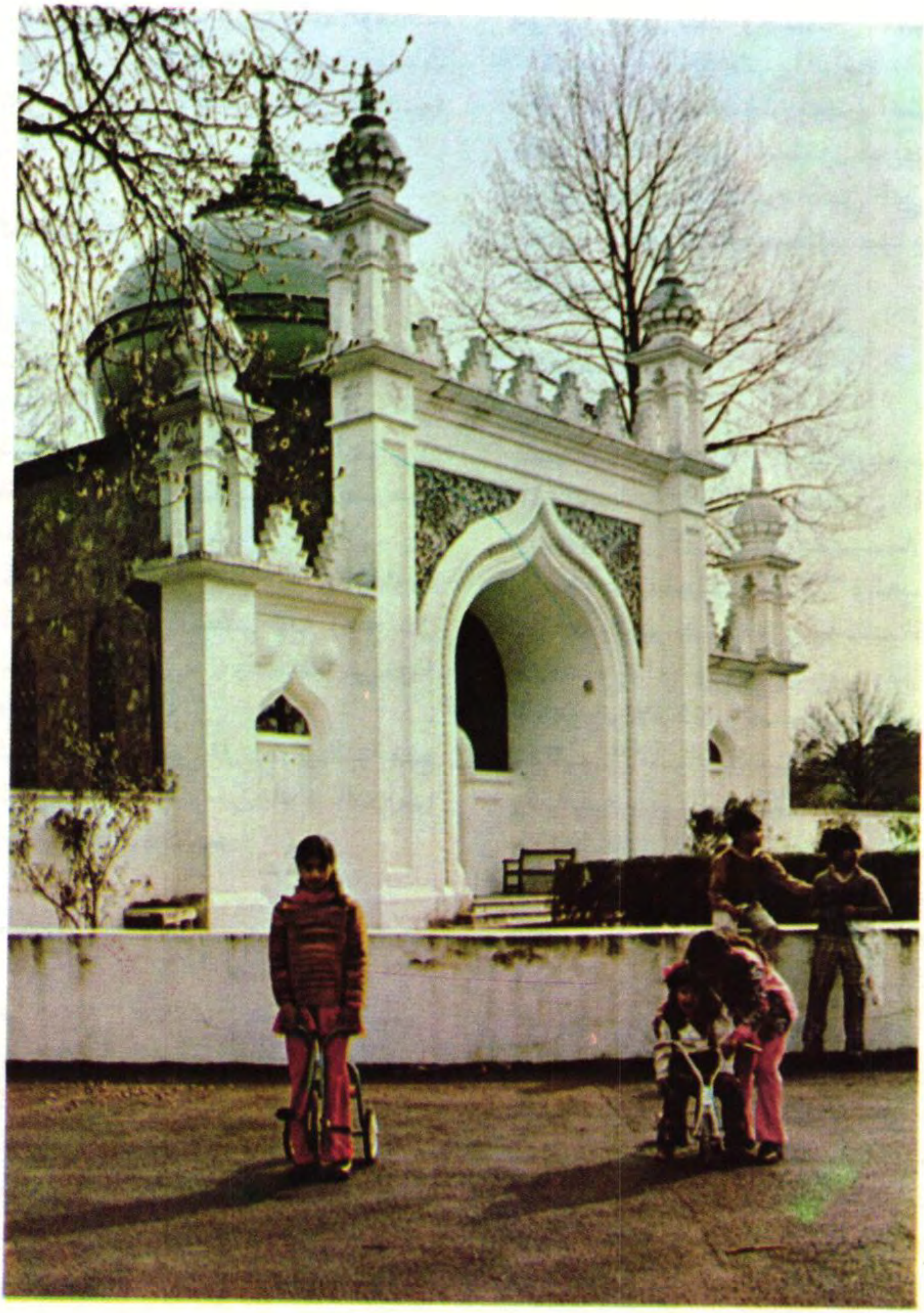
○ صلاة الجمعة داخل مسجد لندن .





○ مسجد لندن الجديد بحدائقه الفسيحة الخضراء .

الاسلامية . وقد كان وفود المسلمين الى انجلترا مع بداية الاستعمار الانجليزي والذي ظل يتعاظم مع مرور الزمن سببا لمشاكل عديدة واجهت المسلمين فقد أصبحت انجلترا تضم اليوم جالية إسلامية كبيرة لا شك أن وجود مثل هذه الجالية وسط مجتمع مسيحي – ورغم كبر هذه الجالية إلا أنها تعتبر أقلية داخل مجتمع له عقدة مخالفة وتقاليد مختلفة وعادات متغيرة عن عادات المسلمين وخاصة في بداية ونهاية حياة الفرد وأحداثه السعيدة من ميلاد وزواج بل أيضا في التعليم – وخاصة التعليم الديني لذلك فان مشاكل أكثر من مليون ونصف مليون مسلم يعيشون في بريطانيا اليوم لهي خليقة بالاهتمام . أغلب هؤلاء وفدوا من الهند والباكستان وبنجلاديش والصومال واليمن . وكانوا في بداية توافدهم من الطبقات الفقيرة الكادحة المحدودة التعليم . إلا أنه مع مضي الزمن وطول الاستقرار والاصرار على تعليم الأبناء صارت هناك طبقة جديدة من المحاسبين والمهندسين والأطباء والمدرسين المسلمين بل وأكثر من ذلك وقد تفوقوا على نظرائهم من الانجليز ... ونظرة واحدة الى دليل تليفونات لندن نجد أن هناك أسماء مسلمة من كبار الأطباء العرب المسلمين يحتلون مركز الصدارة في تخصصاتهم هناك وساعدهم على ذلك وشجعهم التقنية الحديثة هناك والرعاية الصحية والاجتماعية الكاملة وزيادة الأجور عما يتقاضونه في أوطانهم .



○ اطفال المسلمين يمرحون في ساحة مسجد (كنج) وهو من اقدم المساجد في لندن .

نعود ألى الجالية الاسلامية في بلاد الانجليز ومشاكلها وهي كثيرة فهناك التعليم . نبح الحيوان ـ طرق الطهو ـ الميلاد ـ الزواج ـ الوفاة ـ الدفن ..... الخ هذه الضروريات التي تحكم مراسيمها العقيدة الاسلامية .

التعليم :

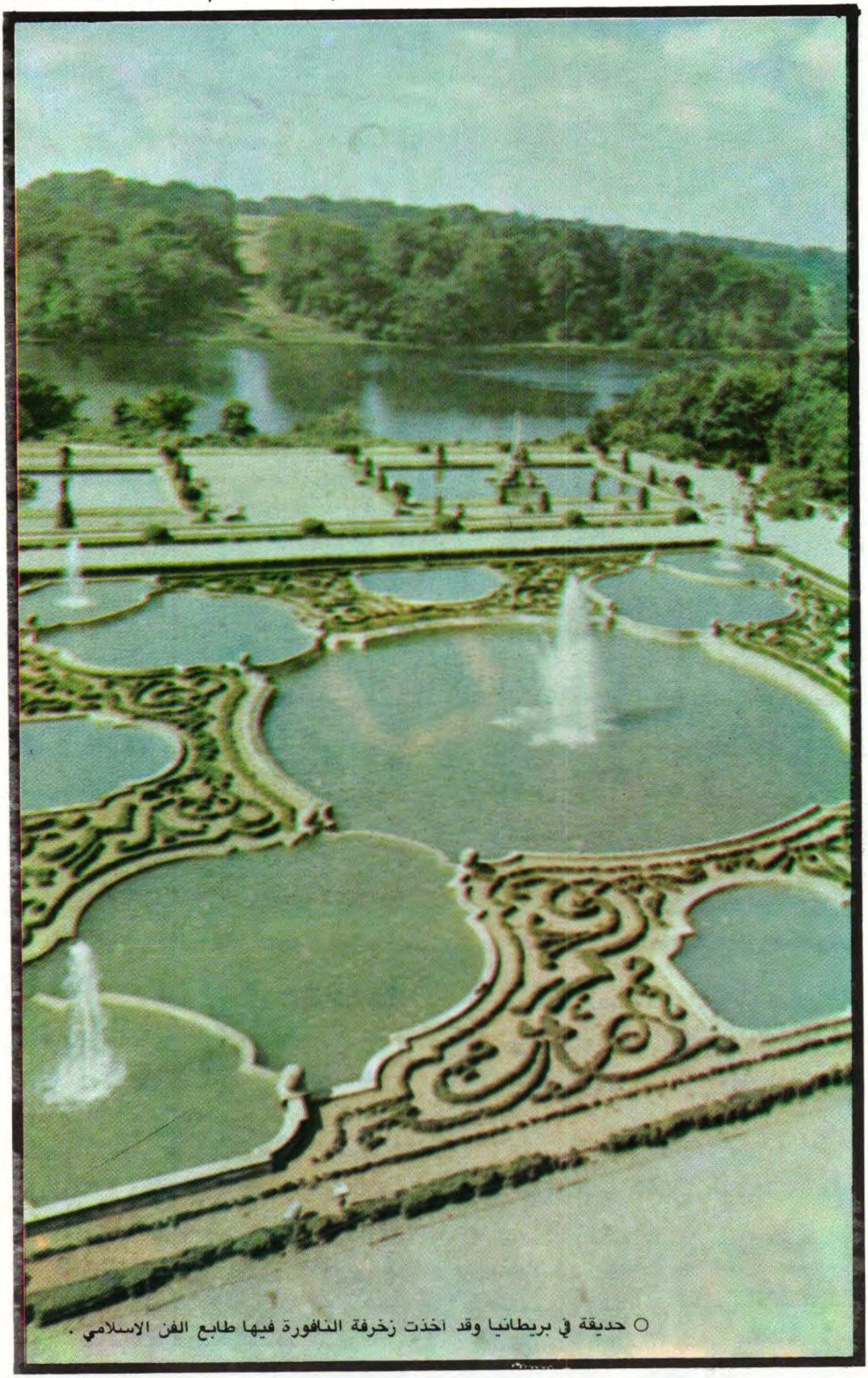
الطفل يدخل المدرسة هناك في سن الخامسة ويتلقى فيها فيما يتلقى علوما دينية هي بواقع حال انجلترا علوم مسيحية وتكثر هذه العلوم في المدارس التابعة للكنيسة . وتصر هذه المدارس على اصطحاب الطلاب إلى الكنيسة للترتيل وهذا يحمل خطورة بالنسبة للطفل المسلم لأنه يعلم عن المسيحية كل شيء ، ولا يعلم عن دينه الاسلامي شيئا .
وقد تنبه المسلمون الى نلك وطلبوا منع أبنائهم واعفاءهم من هذه الدروس حفاظا على عقيدتهم .

المأكل :

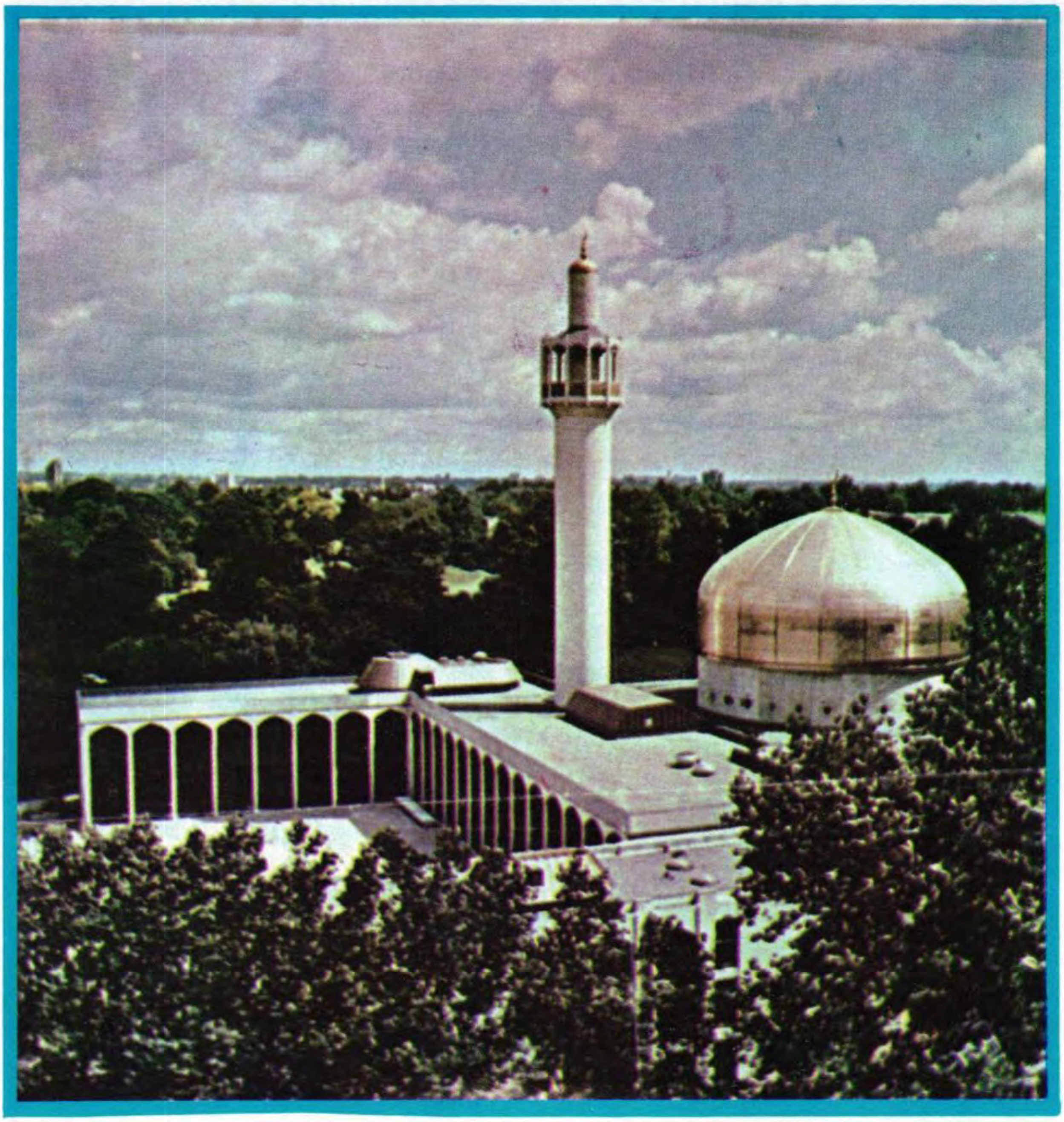
وقد ووجه المسلمون هناك بمشاكل كان من الصعب في بادئ الأمر التغلب عليها ونلك كمشكلة الغذاء ـ الذبح ـ طرق الطهو ـ المأكل ، والمشرب ، نوع الحيوان المذبوح ، نوع الشراب المقدم مما جعلهم يهتمون من أجل ضمان الذابح المسلم والطباخ المسلم وطرق المأكل والمشرب ذات النمط الاسلامي حتى تطمئن نفوسهم الى حل وسلامة ما يأكلون وعلى إثر نلك وجدت المطاعم الاسلامية والبقالات والمذابح ... الخ الا أنه مع الأسف فان بعض أصحاب هذه المحلات من المسلمين قد جرفهم تيار المادة وطلب الربح من أي وجه فخرجوا على الهدف المطلوب مما يشوه الصورة كلها .

العبادة :

عملت الجالية الاسلامية ككل الجاليات المختلفة التابعة لدول إسلامية ، كل فيما يخصها على إنشاء المساجد للصلاة والعبادة وخدمة الجوانب الضرورية للحياة من ميلاد وزواج وموت وتحديد مواعيد الصوم والافطار والسحور والامساك وتعليم الابناء الدين الاسلامي وتعاليمه ولكن المشاكل التي تعترض هذا السبيل ليست بالهينة ، ويجيء في المقام الأول الحاجة الى علماء بأمور الدين متفرغين لأداء الشعائر الاسلامية وعلى دراية كاملة بالفقه الاسلامي . وحتى نضمن لهم أداء رسالتهم لا بد من ضمان الموارد المالية التي يمكن أن تعين على نلك وهي مشكلة خطيرة لا تقل عن مشكلة توفر الدعاة والعلماء لأن الحاجة اليهم تشتد لا سيما في بلد مسيحي كانجلترا المسلمون فيها أقلية فلا بد ان يوجد الداعية الفقيه ... الذي يدعو للاسلام ... بالكلمة والاقناع



○ حديقة في بريطانيا وقد أخذت زخرفة النافورة فيها طابع الفن الاسلامي .



○ مسجد لندن الجديد بمئذنته الشامخة . وقبته الذهبية .. في ريجنتس بارك .

ويكون المرجع الديني بين أقلية مسلمة في هذه البلدة أو تلك .
وازاء قلة الموارد المالية تتوقف هذه الجمعيات عن أداء رسالتها وتتوقف عملية التجديد في مساجدها . ومما لا شك فيه أن الحالة ألتي وصل اليها مسجد « نور الاسلام » الذي أسسته جماعة من مسلمي اليمن المقيمين في انجلترا خلال الاربعينات من هذا القرن ـ حالة هذا المسجد تدعو الى الرثاء لما يهدده من خراب يدعو الى الحزن .. وسوء حالة تدعو الى الأسف كغيره من المساجد التي تماثله .

نور وظلام

وهناك في انجلترا ظاهرة جديرة بالتسجيل وهي أن بعض الانجليز قد أقدموا على اعتناق الدين الاسلامي .

وقد ازدادت هذه الظاهرة مؤخـرا نتيجة اختلاطهم بالمسلمين في جانب ونظرا للقراءات والبحث والمقارنة بين الديانات وبين الاسلام وقد رغبوا في الاسلام عندما شعروا معه بما يملأ نفوسهم رضى وسكينة وروحانيـة . ومما يلاحظ أن هؤلاء الاخوة الجدد في الاسلام لا يمثلون طبقة بعينها أو نمطا واحـدا من المثقفـين بل هم مستويات مختلفة ومتنوعة . فأهلا بهم أخوة في الأسرة الاسلامية أضاء الله قلوبهم بنور الاسلام فاعتنقوه عن رضى واقتناع .

جامع لندن والمركز الاسلامي

ومن هنا نشأت فكرة اقامة مسجد كبير للمسلمين في لندن ومركز اسلامي يرعى شئون المسلمين في انجلترا ككل بصرف النظـــر عن الجنسيـــات المختلفة .

وقد تصدى لهذه الفكرة السفير المصري في لندن سنة ١٩٤٣ « حسن نشأت باشا » الذي تمكن باتصالاته من أن يحصل على قصر يعود الى أسرة الملك هنري الثامن تحيط بها حديقة كبيرة في ريجنت بارك في لندن وهو متنزه كبير أفتتح منذ عام ١٨٣٨م ويعتبر هذا المتنزه من أشهر وأكمل متنزهات هذه المدينة المليئة بالحياة والحركة .

وكانت فكرة السفير حسن نشأت باشا قائمة على أن الحكومة المصرية قد منحت أرضا للانجليز في القاهرة لبناء كنيسة . ومادام الأمر كذلك فانه من اللائـق أن تهـدي الحكومـة الانجليزية ما يماثل ذلك في لندن لبناء مسجد للمسلمـين .. وقـد وافقـت الحكومة الانجليزيـة على أســاس المعاملة بالمثل بعد تردد ظاهر والتقط السفراء العرب هذه البداية فتكونت لجنة منهم للنظر في بناء مسجد واقامة مركز اسلامي ثقافي يخدم المسلمين هناك ثقافيا ودينيا واجتماعيا وينظم شئونهم .

وقد تم بناء المسجد وتكلف ما يربو على الأربعة ملايين من الجنيهـات الاسترلينية . وقـد وضـع حجـر الأساس له سنة ١٩٤٥ وتأخر بناؤه فترة طويلة . بعد أن أقيمت مسابقة لاختيار نموذج مناسب للمسجد فاز فيها النموذج الانجليزي سنة ١٩٧٥ المقـدم من المهنـدس الانجليـــزي « فردريك كيبـرد » ونفذتـه الشركة الانجليزية « جون لينج » بعد ادخال تعديلات كثيرة تتلاءم مع الشـكل والفن الاسلاميين . وحتى يتناسب هذا البناء عظمة وفخامـة مع دور العبادة الأخرى في لندن ويكون مثلا لعظمة الاسلام ومكانته ومثالا حيا في واحـدة من نواحـــي الحضـــارة الاسلامية .. اعنى بهـا العمـارة الاسلامية .

وقام المسجد يؤدي دوره ـ حيث تقام فيه الصلوات الخمس كل يوم وتقام فيه صلاة الجمعة التي يؤمها ما يزيد على الأربعـة آلاف مسلـم .. وصلاة الأعياد التي يؤمها ما يربو على



○ الفن المعماري الاسلامي المغولي يظهر بجلاء على احد القصور البريطانية .

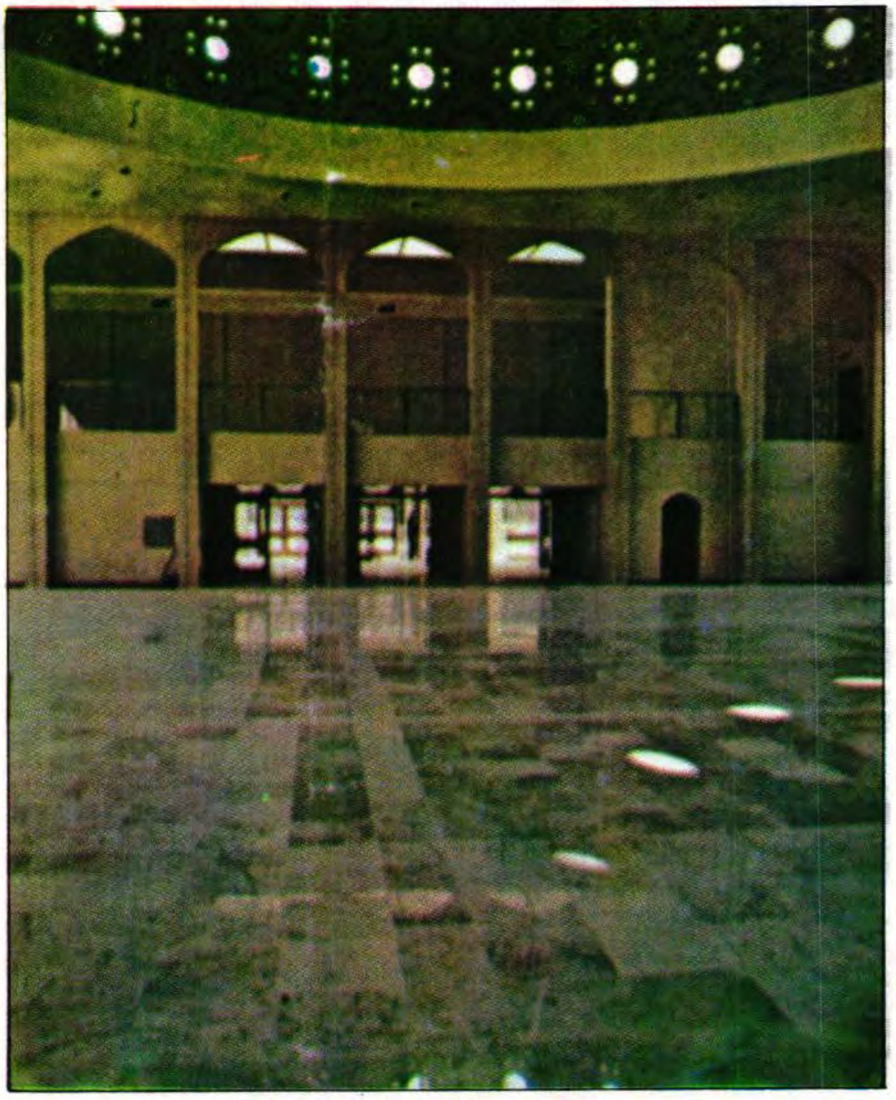
الثلاثين ألفا من المسلمين . وفي شهر رمضان المعظم يفتح المسجد طوال الليل للتعبد ... ويقدم الافطار للصائمين .

وهو يتكون من ثلاثة أدوار تشتمل على قاعة الصلاة والمحراب في الدور الأوسط وبه مكان للنساء . وفي الدور العلوي مكاتب المركز الثقافي . ويمكن الصعود من الجانب الشرقي بواسطة المصعد الكهربائي .

وفي الدور العلوى توجد الى جانب المكاتب الخاصة بالمركز الاسلامي قاعة المحاضرات والمكتبة .

وللمسجد منارة عالية بيضاء متميزة ، بل ان هذه المنارة تميز حدائق ريجنت بارك نفسها الى جانب برج البريد الانجليزي وقبة مجلدة بصفائح النحاس الأصفر اللامع .. قبة ومئذنة غاية في الروعة والعظمة والاتقان .. وترتفع المئذنة في سماء المدينة تعلن في إباء وشمم أن للمسلمين هنا في لندن دارا ومن فوق هذه المئذنة السامقة التي يعلوها الهلال الرشيق يعلو صوت المؤذن معلنا : كلمة التوحيد وكلمة « الله أكبر » تنطلق من وسط أجمل متنزهات لندن عاصمة أعتى الامبراطوريات وذلك بكفاح المسلمين الدءوب هناك وجهودهم .

وقد ساهمت الدول العربية من أجل تحقيق هذا الهدف بالأموال والخبرات في صمت وإكبار دون اعلان ويجيء في مقدمة هذه الدول الكويت الى جانب شقيقاتها العربيات وقد تم تزويد هذا المركز الاسلامي بالعلماء المسلمين المتخصصين وقد أوفد الأزهر كثيرا من علمائه الى هناك وقدمت الدول العربية أيضا الكثير من



○ مسجد لندن من الداخل .

الأموال كما أوفدت الكثير من الدعاة .

وتم تجهيز المركز والجامع بالتدفئة المركزية ـ بسبب برودة الجو ـ وبدأ المركز في تنظيم الحياة الاسلامية لهذا العدد الكثير من المسلمين في هذه البلاد ـ كما اهتم باعلان مواعيد الصلاة والصوم ـ وبداية ونهاية الشهور العربية ـ ضبطا للشعائر الاسلامية الى جانب اعداد من المصاحف المعتمدة ـ ويشرف المركز على الاحتفال بالمناسبات الاسلامية المختلفة .

كما ينظم العلماء المسلمون محاضرات في النوادي والجامعات للدعوة الى الاسلام وشرح اهدافه ومبادئه مع اصدار مجلة باللغة الانجليزية كل ثلاثة اشهر .. ورعاية ابناء المسلمين علميا ودينيا والاهتمام بمشاكل المسلمين تقتضي جهدا كبيرا وله اثره العظيم وثمرته الباهرة ونحن ندعو الله تبارك وتعالى :

ان يستمر هذا الجهد ، وان تبقى هذه الثمرة وتزداد مع الأيام حتى يدخل الناس في دين الله أفواجا ، ويصبح المسلمون على بينة من أمر دينهم والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

قالوا في الأمثال

ضغث على إبالة

مثل يضرب للتدخل بين الناس لافساد ما بينهم . والعصا : العود .... ولحاء العود : قشرته التي تغطيه ، وتلك القشرة لازمة للعود ، شديدة الالتصاق به حتى لا تستطيع الحشرة ان تتسرب بينهما ، وان حاولت ، نالها الأذى وعندما تشتد صلة المرء بصاحبه ، يصبحان مثل العصا وقشرتها ، لا يستغنى أحدهما عن الآخر ولا يفرط فيه ، ولا يسمح لأحد ان يتدخل بينه وبينها ، ولو حاول ذلك لعسر عليه وقيل له تسفيها : « **لا تدخل بين العصا ولحائها** » .

من أكل على مائدتين اختنق :

مثل يضرب للتذبذب على موائد الغير ، وبعض الناس نفعيون لا يهمهم الا أنفسهم اذا اقبلت الدنيا على انسان اقبلوا عليه وتفانوا في خدمته ، وان زالت الدنيا عنه انفضوا من حوله ومثلهم مثل من يأكل على مائدة رجل فيظهر له المودة ، ثم ينتقل الى مائدة رجل آخر فيظهر له ما اظهر لذاك والطعام من هنا وهناك مختلف الالوان ، مفسد للمعدة موجب للتخمة ولهذا يقال لمن لا يثبتون على مذهب ولا صديق : « **من أكل على مائدتين اختنق** » .

لا تدخل بين العصا ولحائها :

مثل يضرب للشدة تأتي بعدها شدة . وذلك أنه إذا حزم المرء حزمة من الحطب ، فحزمته هذه تسمى إبالة ، وإذا قبض قبضة من الحشيش المختلط رطبه بيابسه ، فهذه القبضة تسمى ضغثا .

وقد كان الحطاب يخرج إلى الخلاء فيجمع الحطب ثم يحزمه فيجعله إبالة ، وبعد إعداد هذه الحزمة قد يأخذ قبضة من الحشيش يمسكها بيده أو يضعها فوق حزمة الحطب فيصبح ذلك الضغث ثقلا زائدا على حمله يثقله ويجعل الحزمة تشق عليه .. فاذا ابتلى المرء ببلاء فوق بلاء ، او بفقر على فقر قيل في شأنه « **ضغث على إبالة** » .

من المسؤول الأول عن تربية النشء

للدكتور : أحمد محمد حمد

مدلول النشء :

نشؤنا هم امتداد حياتنا ، وتأكيد وجودنا ، هم البراعم التي تتفتح ، فتتنسم عبير الحياة أو سمومها ، هم عدة الغد الذين يصلح بهم زمانهم أو يفسد ، وبعبارة مختارة ذات أسلوب منهجي نستطيع أن نقول : هم الصغار في سن يتكونون فيه بالتوجيه المباشر ومجرد الامتداد دون تبصر .

تحديد سن النشء :

ويدعونا ذلك إلى تحديد السن الذي يمكن أن نسمي فيه النشء نشئا . فهل يطلق النشء على الصغار حتى يبلغوا إلى الخامس عشر أو ان النضوج الجسمي بالبلـــوغ أو الخامسة والعشرين ، أو أن النضوج العقلي بالتجارب .

والحق يقال : إن التحديد الدقيق في هذا المجال أمر عسير ، فان البيئات والمستويات تختلف في هذا الأمر اختلافا كبيرا ، كما أن أنظار المـربين تختلــف لاختلاف البيئات والمستويات ، ولذلك أرى أن النشء يطلق على الأطفال في سن التنشئة والتربية إلى أن يؤنس فيهم الرشد والنضج ، ويؤمن جانبهم بالاستقلال في الحياة ، والاستقامة في السلوك .

طبيعة النشء :

وأصدق مثل للنشء هو النبات ، فان النبات في أول أمره في حاجة ماسة إلى العناية اللازمة والرعاية

الدائمة حتى يستغلظ ساقه ، ويصلب عوده ، وإلا عدت عليه عوادي الجو المتقلب فصوح نبته ، وجف عوده ، **(وهو الـذي أنشأكـم من نفس واحدة فمستقر ومستودع)** الانعام/٩٨ وضرب الله هذا المثل للمؤمنين في أول أمرهم : **(ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلـظ فاستوى على سوقه)** الفتح/٢٩ .. وبهذا المثل الـــذي يصدق على النشء نستطيع أن نتبين طبيعة النشء وهي الطبيعة التي تلتقي مع منطق الـواقع وسنن الحياة ، بعيدا عن الخلافات (الأكاديمية) في مجال التربية ، حيث تصطرع الآراء حول الاعتقاد بوجود أصول ثابتة موروثة في نفس الطفل ، قد لا تتأثر بالتربية ، وهو في دور التنشئة ، فان ضعف التكـــوين جسمانيا وعقليا وعصبيا يجعل الطفل في أثناء تنشئته جهاز استقبال ، يتقبل كل ما يرسل إليه ، ويبث عليه دون اعتراض أو انتقاء ، ولو خالف شخص ما بعد أن استقل بأمره منهج عشيرته ، وأسلوب حياتهم فان ذريته ستنهج في الواقع منهجه بالتقليد والاقتداء ، لا منهج العشيرة بمنطق الـــوراثة والفطرة :

بأبه اقتدى عدى في الكرم
ومن يشابه أبه فما ظلم

* * *

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

الأفكار والنشء :

إذن : فالأفكار أو المبادئ ترسخ في أذهان النشء وليدة التقليد والاقتداء ، وتظل تعمل عملها في تكوين عواطفه وتوجيه سلوكه ، إلى أن تصير أصولا ، يكيف نفسه على أساسها ، ويقارن نفسه بغيره انطلاقا منها ، فالشخص يحب أو يكره ويؤمن أو يكفر بحسب ما حصل نتيجة التقليد والاقتداء : **(بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)** الزخرف/٢٢ و٢٣ .

الفطرة والنشء :

ولعل معترضا يتصدى لهذا القول محتجا بأن هناك فطرة مركوزة في النشء ، فطر الله الناس عليها ، وهذه الفطرة فطرة سليمة لأنها فطرة الله ، فأين ذهبت هذه الفطرة ؟ وإن كانت فيه فما أثرها في تكوينه ؟ وإن كانت معدومة الأثر فهل يمكن أن يخلق الله شيئا دون فائدة أو أثر ؟ ونستطيع أن نقول في الرد على هذا الاعتراض : إن أمر النشء كما سبق القول كأمر النبات يبدأ ضعيفا ثم يقوى **(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة)** الـروم/٥٤ .. وهذا الضعف يتبين في كل امر مادي أو معنوي ، فالضعف الجسمي والعقلي والفطري من البديهيات ولو ترك هذا الضعف يقوي دون مؤثرات مضادة أو عوامل معاكسة لاتخذ

طريقه الطبيعي وسيره العادي ولكن المؤثرات أو العوامل المؤثرة كثيرا ما تقف في الـــطريق لتعوق السير الطبيعي ، والفطرة الانسانية يحدث لها هذا التعويق أو الانحراف في كثير من البيئات ونتيجة كثير من المؤثرات .

أسباب انحراف النشء :

وأسباب الانحراف في جملتها ترجع إلى الكلمة والصورة والقدوة ، فالكلمة سواء أكـــانت مسموعة أو مقروءة ، لها أثرها الفعال في تقويم النشء أو إفساده : **(ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكـــرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار . يثبت الله الـــذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الـــدنيا وفي الآخرة)** ابراهيم / ٢٤ ـ ٢٧ .. وكلما كانت الكلمة عارية من لباس الأدب ، تدعو إلى الرذيلة في فتنة وإصرار وتوقح ، كانت أقوى أثرا وأبعد إفسادا في نفوس قارئها .

والصورة على اختلاف أنواعها تخط خطوطها العميقة في أعماق النفس ، وهي وإن لم تكن قديما على مستوى اليوم من التنوع والاجادة ، إلا أنها مع ذلك كانت تستهوى أفئدة الناس ، وتسيطر على أفكـــارهم ومعتقداتهم ، ولذلك كان من المنطقي أن يحذر الاسلام عن التصوير تحذيرا متكررا ، فقد بلغت الأحاديث التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر التصوير والتحذير منه أربعين حديثا ، ويبين القرآن مدى الأثر العميق في نفوس الناس نتيجة التعلق بالتصوير ، فتذكر أمر هؤلاء الذين كرمهم واختارهم ، وقصتهم مع موسى عليه السلام وقد نجى بهم باسم الله من ظلم فرعون ، وحدث أمامهم من المعجزات ما يفتح قلوبهم لذكر الحق وعبادة الله ، وكيف أنهم على الرغم من ذلك ما كادوا يرون هذه الصور الممثلة في الأصنام حتى حنوا لها وطالبوا موسى بالعودة إليها : **(وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكـــم قوم تجهلـــون)** الأعراف / ١٣٨ .. وما كاد يتركهم موسى مدة قصيرة من الزمن ليلبي أمر الله بلقائه والوحي إليه ، حتى وقعوا فيما حذرهم منه وجهلهم فيه ، **(وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون)** البقرة / ٥١ ..

والمفتى في إباحة التصوير أو عدمه ، يجب أن يضع نصب عينيه ، أن الأصل منع التصوير ، ولا يباح إلا لحاجة ترجح فيها المنفعة على المضرة ، وهذا يدعو إلى البحث الدقيق ، والتفكير العميق قبل الافتاء في الاباحة أو المنع ، فاذا اشتبه الحكم في حالة خاصة بين الاباحة والمنع ، فلا بد أن يؤخذ بالأصل وهو

التحذير من التصوير .

والقدوة هي المثل الحي الذي يلتزم في قوله وعمله مبادئ الحق وقواعد العدل ، ولقد كان الأنبياء ، جميعا خير القدوات لأممهم ، ولقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بسيرته خير نموذج بشري يحتذى **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب/٢١ .

وكثيرا ما يلفت سلوك الصالحين أنظار الناس إلى مبادئ الحق ، وقد تكون القدوة الحسنة أقوى أثرا وأبعد عمقا من الموعظة البالغة ، والكلمة النافذة ، كما تكون القدوة السيئة على العكس من ذلك ، أقوى أثرا وأبعد عمقا في مجال السوء ، من أي وسيلة أخرى من وسائل الشر ، وبين القدوة الحسنة والقدوة السيئة أنماط من البشر وألوان من السلوك ، فمن البشر من يسدد ويقارب ويحاول أن يرقى قريبا من منزلة الأنبياء ومنهم من يهبط ويسفل حتى يكون شر الناس وتجدون « شر الناس عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، ويأتي هؤلاء بوجه » رواه مسلم **(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد . ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد »** البقرة٢٠٤/٢٠٧ والنشء قبل أن يبلغ مرحلة التجريد والتفكير في المبادئ مجردة عن الأشخاص ، لا ينظر إلى المبادئ والمثل والفضائل إلا من خلال الأشخاص فهو يترسم خطى الكبار ، لأنه يتمثل الفضل والفضيلة فيما يفعلون ويقولون ، ويعتقد أن الخير كله فيما يشيرون ويوجهون .

الدول والنشء :

ولقد أصبح الشغل الشاغل لكل دولة في العالم الذي نعيش فيه الآن هو النشء ، وكيفية تربيته وتقويمه ، ووضع علماء التربية في كل دولة نظريات في هذا المجال ، وحاولوا التطبيق ، ولكن تعوزهم الأصول الثابتة التي تبنى عليها نظرياتهم ، وتقوم عليها مناهجهم ، وسنعرض في المقال التالي لهذه النظريات .

المسؤولية

مصطلحان فقهيان للمسؤولية الفردية والمسؤولية الجماعية :

ولكثرة الآيات والأحاديث التي تقرر المسؤولية الفردية ، والمسؤولية الجماعية معا ، وضع الفقهاء مصطلحين فقهيين يميزان بينهما ، ويعطيانهما الاطار الفني لبيان ملامحهما ، وتوضيح معناهما ، فالمصطلح الذي وضع للمسؤولية الفردية هو : « فرض عين » والمصطلح الذي وضع للمسؤولية

الجماعية هو : « فرض كفاية » .

ويتضح من هذا المصطلح : « فرض عين » أن التبعات الملقاة على عاتق الفرد يجب أن يقوم بها بعينه وذاته ، ولا يقوم بها غيره نيابة عنه ، وإن قصر فيها فهو المسؤول عنها ، والمحاسب عليها .

كما يتضح من هذا المصطلح : « فرض كفاية » أن المطلوب تحقيقه عن طريق الجماعة ، ويكفي في أدائه بعضها ، ولا يتوجه الأمر بأدائه إلى فرد بعينه ، فاذا ما قام به أحد ما ، فقد سقطت المطالبة به عن الباقين ، لأنه تحقق وجوده وتم أداؤه ، وإذا لم يقم به أحد ما لزمت العقوبة الجماعة كلها ، لأنه لم يتحقق وجوده ، ولم يتم أداؤه .

نظام الحياة والمسؤولية الفردية :

ومبدأ المسؤولية الفردية مبدأ يرتكز عليه نظام الحياة ، واستقامة أمور الناس ، واعتدال أحوالهم ، وضبط أعمالهم ، فتوزيع المسؤوليات ، وتحديد مسؤولية كل فرد ، ومتابعته في أدائها ، ومحاسبته على التقصير فيها ، يقضي على نوازع الفوضى في النفوس ، ويبدد وساوس الاهمال والتفلت من التبعات .

ولقد قرر الله عز وجل هذا المبدأ في آيات كثيرة من كتابه الكريم : **(وأن ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى)** ٣٩ ــ ٤١ / النجم .. **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** ٧ ، ٨ / الزلزلة .. **(إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم . وإن أسأتم فلها)** ٧ / الاسراء .. **(ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى)** ١٨ / فاطر .. « يا فاطمة بنت محمد اعملي فلن أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب ، لن أغني عنكم من الله شيئا » رواه مسلم .

رحابة ميادين المسؤولية الفردية :

وميادين المسؤولية الفردية ، أو ميادين « فرض العين » تتنوع ، وتتسع حتى تشمل كل علاقات المرء مع نفسه ، أو مع غيره ، أو مع ربه : « إن لبدنك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، وإن لربك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه » (رواه ابن عمر ، متفق عليه) وفي دائرة العلاقة مع النفس تكون التكاليف حول الحفاظ على النفس صحيا وخلقيا : « كل بيمينك وكل مما يليك » البخارى ومسلم ، « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا بد ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه ابن ماجه والترمذي ، « لا يزني الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ، متفق عليه .. **(فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** ١٨٤ / البقرة .. **(فمن كان منكم**

مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) ١٩٦/البقرة .

وفي دائرة العلاقة مع الغير تكون التكاليف حول احسان المعاملة **(وبالوالدين أحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)** ٢٣ ، ٢٤/ الاسراء .. **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)** ١٣٢/طه .. « من أسلف فليسلف في كيل معلوم ، ووزن معلوم ، إلى أجل معلوم » ، متفق عليه .. **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** » ٦١/الأنفال .. **(ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)** ٣٤/فصلت .. وفي دائرة العلاقة مع الله تكون التكاليف حول تقوية الصلة وإحسانها به : **(فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب)** ٧ ، ٨ الانشراح .

حقيقة المسؤولية الجماعية :

لقد أصبح التفخيم من أمر الجماعة الشغل الشاغل لبعض المذاهب المعروفة في عصرنا هذا ، وأصبح الضرب على هذا الوتر يخدر بنغماته مشاعر الناس ، ويملك حواسهم ، ويسد منافذ التفكير عن النظر في غير هذا النطاق .

ولعل المفخمين من أمر الجماعة يقصدون من وراء الترويج لأفكارهم ، أن يصلوا بالناس إلى مرحلة التقديس لها ، وجعلها أمرا فوق مستوى الشبهة أو المناقشة ، فالجماعة في نظرهم يجب أن تكون كالاله الذي له الخلق والأمر ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، ولا حياة إلا في طاعته والخضوع له ، ولكن الحقيقة غير هذا كله .

الجماعة والفرد :

وليست الجماعة في حقيقة أمرها إلا أفرادا مجتمعين ، قد يتواطأون على منكر ، وقد يشجع بعضهم بعضا على الخير ، ومن هنا تكون مسؤولية الجماعة ، فمسؤوليتها إنما تكون عن التواطؤ على ما لا يرضي الله ، والله هو الذي يتولى حسابها على هذه المسؤولية : **(وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا)** ٨و٩/ ــ الطلاق .

الجماعة الصغيرة والجماعة الكثيرة :

وأصغر جماعة لا تقل عن ثلاثة أشخاص ، وتعتبر الجماعة المكونة من هذا العدد الدائرة الأولى من دوائر المسؤولية الجماعية ، وأول واجب من واجباتها هو تنظيم أمرها بأن يتولى عليها أحدها : « إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم » رواه الطبراني .. وهنا تكون مسؤوليتها في مجال فرض الكفاية محدودة ثم تتسع مجالات

المسؤولية وتنداح باتساع دوائر الجماعة وانداحها حتى تبلغ أكبر دائرة من دوائرها ، وهي دائرة الجماعة الدولية ، فيتوجه إليها هذا النداء العام : **(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** ١٣/الحجرات . وبين ما تقتضيه صغرى الجماعات وكبراها من ضرورات الوجود ، تتعدد مجالات المسؤولية فكلما اتسعت دائرة الجماعة ، اتسعت دائرة المسؤولية ، للمحافظة على أمرها ، ومقتضيات العيش فيها .

فاذا كانت صغرى الجماعات لا تقتضي في بادئ الأمر إلا مسؤولية تنصيب أمير وهي مسؤولية تنظيمية . فان الجماعة الكبرى تتطلب في الحال ما يكفل لها أمرها ، في مجال القضاء والتشريع ، والاقتصاد والطب ، والسياسة والاجتماع ، والتربية والتنظيم وقد يتطلب الأمر قيام منظمات دولية ، تتكفل بهذا كله تلبية لمطالب الجماعة الدولية ، وإشباعا لحاجات الانسانية .

فرض الكفاية والمسؤولية الجماعية :

والمسؤولية الجماعية تجد مجالها في ميدان فرض الكفاية ، كما أشرنا سابقا ، وهذا الميدان يبادر فيه كل فرد في سد الثغرة التي يرى فيها خطورة على الجماعة ، وفي القيام بما يحافظ على كيانها ورخائها .

وكما قلنا ، إن كل جماعة على كل مستوى من مستوياتها ، تتطلب من الناحية التنظيمية من يقوم لها بهذا التنظيم ، في مختلف شؤونها الجماعية ، وقد يستطيع أن يشرف على كل شيء ، ويعالج كل أمر ، إذا كانت صغيرة لم تتعقد بعد مشكلات العيش فيها ، أما إذا تضخمت الجماعة ، واتسعت رقعتها ، وتشعب العمل من أجلها ، فان نظام الحسبة الذي يعتبر من النشاط الاجتماعى يقتضيه فرض الكفاية .

نظام الحسبة والمسؤولية الجماعية :

وقد كانت الحسبة في بادئ الأمر شعورا إنسانيا ، ولدته تعاليم الاسلام ، يدفع صاحبه إلى إصلاح أي فساد يقابله ، وجبر أي نقص يراه ، ولا ينتظر على ذلك جزاء من أحد ، أو شكورا من مادح .

ثم صارت بعد ذلك نظاما ، يقتصر على مراقبة وعلاج ما يحدث من خلل في طرقات الناس ، وفي أسواقهم ، وهي المجالات التي تظهر فيها بوضوح أمراض المجتمعات ، وانحرافات الناس .

منظمات سياسية ومنظمات علمية :

ومن منطلق نظام الحسبة ، تصبح الجماعة مسؤولة عن تحقيق ما تطلبه ، بتكوين منظمات تقوم على شؤونها ، وتلبي مطالبها .

ونستطيع ان نركز حاجات أي

جماعة ، ومطالبها في مجالين واسعين : المجال الذي يتحقق فيه أمر الشورى : **(وأمرهم شورى بينهم)** ٣٨/الشورى .. ليكون نظامها السياسي قائما على أساس سليم ، والمجال الذي يتحقق فيه أمر التطور الاجتماعي في حياة الناس : **(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)** ١٢٢/التوبة .. فالبعثات العلمية في كل فن من فنون الحياة المتطورة ، والمنظمات العلمية التي تتكون منها لتيسير نواحي العيش ، وتطوير جوانب العمران فرض جماعي .

وليس المراد بالتفقه في الدين المعنى المحدود الذي يسيطر على بعض الأذهان ، بل المراد المفهوم الشامل الذي يتضمن كل جوانب الحياة ، ولذلك تلت الآية السابقة آية أخرى تطالب بالقتال والغلظة فيه مع الكفار : **(يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)** ١٢٣/التوبة .. ومن الجلي أن جماعة المؤمنين لا تستطيع أن تنفذ هذا الأمر ، وتقاتل بغلظة ، إلا إذا كانت متقدمة في مجالات كثيرة ، من تدريب عسكري ، وتنظيم حربي ، وفن هندسي ، وسبق صناعي وزراعي ، حتى يتيسر للمقاتلين أن ينالوا الغلب ويستحقوا النصر .

منظمات محلية ومنظمات عالمية :

وكما يكون ذلك على المستوى المحلي لكل جماعة ، يكون كذلك على المستوى العالمي ، للجماعة الدولية ، حيث تتطلب العلاقات الدولية ، وضمان سير هذه العلاقات على ما يرام ، وجود منظمات سياسية وقانونية ، واقتصادية وصحية ، فاذا كان الخلاف بين زوجين من جنسية واحدة يستدعي حله على المستوى المحلي : **(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)** ٣٥/النساء ، وإذا كان الخلاف بين زوجين من جنسيات مختلفة ، يستدعي الحل على المستوى الدولي بمقتضى هذه الآية نفسها ، وإصلاح أمر الناس محليا وعالميا ، يستدعى كذلك منظمات محلية وعالمية بمقتضى هذه الآية : **(وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)** ٦/النساء .. وصيانة المال عن وقوعه في أيدي السفهاء يستدعي منظمات على المستوى المحلي والدولي بمقتضى هذه الآية : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)** ٥/النساء .. والحكم بالعدل ، وتصفية المجتمعات من عوامل الفساد والانهيار ، يستدعي وجود منظمات محلية ودولية بمقتضى هذه الآية : **(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)** ٩٠/النحل . وتطبيق مبدأ القصاص

قانونا يستدعي وجود منظمات على المستوى المحلي والمستوى الدولي بمقتضى هذه الآية : **(ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)** ١٧٩/البقرة .. وتطبيق نظام الحجر الصحي يستدعي تكوين منظمات محلية وعالمية بمقتضى هذا الحديث. « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه » رواه الشيخان .

ان الله يأمر بالعدل :

والجماعة الدولية مسؤولة مسؤولية عظمى ، عن تحقيق العدل ، في كل مجال من مجالات الحياة ، فلا تطغي ناحية على ناحية ، ولا يسمح بتسرب الشلل إلى جانب مقابل النشاط المتزايد في جانب آخر ، فالتسابق الجنوني في إنتاج الأسلحة الفتاكة ، قد يطغى بل قد طغى على إنتاج الآلات الدقيقة ، التي ترصد الظواهر الطبيعية ، من زلازل وبراكين ، وفيضانات وأعاصير ، بل لا تجد الجماعة المنكوبة من الوسائل ما تكبح به جماحها ، أو تخفف به من ويلاتها . والنفقات الباهظة في ارتياد الفضاء ، قد طغى على ميدان الطب في اكتشاف الأدوية الفعالة ، في علاج كثير من الأمراض الفتاكة كالشلل والسكر والزكام والسرطان وأمراض أخرى يعجز الأطباء أحيانا عن تشخيصها ومعرفة أسبابها ، وقد توجه النداء إلى البشرية عامة بتقوى الله في علاقاتهم ومعاملاتهم : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** ١/النساء .

الفرد والمسؤولية الجماعية :

ومسؤولية الفرد في الجماعة مضاعفة ، إذا ما قورنت بمسئولية في نفسه ، وتكون أضعافا مضاعفة كلما اتسع حجم الجماعة ، فالفرد إذا كان مسؤولا عن حماية نفسه أدبيا وماديا ، فهو في الجماعة مسؤول عن حمايتها كذلك عن كل سوء يهدد كيانها ، ويزلزل بنيانها : **(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)** ٢٥/الانفال .. **(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)** ٧٨ ، ٧٩/المائدة .. ومن المنطق أن تتحقق العدالة في الحقوق والواجبات ، فكلما ثقلت المسؤولية على كاهل الفرد ، زاد في مقابلها ما يستحق من ثواب وجزاء وتكريم ، ولا يتصور في منطق العدل أن تثقل المسؤوليات على أفراد في جماعة ، ليكونوا كما مهملا ، أو آلات ليس لها إلا أن تعمل بكامل طاقتها ، دون أن تشكو ألما أو رهقا ، ودون أن تكلف تجديدا أو صيانة .

من مصطلح الحديث

نحن في عصر كثر فيه نتاج العقول ، وتضاربت النظم ، وتعارضت ، وكثرت التعاليم البشرية ، وتنوعت ، ومع هذا فلم يجد الناس الأمان والرخاء في ظلها جميعا .

ومهما تكن العيوب الكثيرة التي أوجدت هذا الاضطراب ، وساعدت في خلق هذا الجو الذي لم ينعم الفرد فيه باستقرار ، فلا ريب أن الأسباب المباشرة المؤثرة حقا هي أن هذه النظم وتلك التعاليم لم تثبت قدرتها في مواجهة المشاكل بالشكل الذي يريح الانسانية بل على العكس من ذلك عاشت الدنيا تتخبط في ظلام دامس ، وهمجية قاتلة ، وظلم قاتم ، وخراب مدمر عاصف ، وشقاء وحروب تلو الحروب ، لم تهدأ الدنيا لحظة ، بل ظلت لاهثة وراء سراب خادع هو الاستقرار الذي لن تناله ما دامت هذه قوانينه ، وتلك شرائعه التي في ظلها يأكل القوى الضعيف .

والشريعة الاسلامية واضحة النهج جاءت لتقيم موازين القسط ، وتحقق المجتمع الراقي ، فهي للدنيا الدستور الوافي الذي يجمع الناس على كلمة سواء ، تلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وفي كل عصر ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وفي السنة النبوية الركن الثاني في التشريع الاسلامي التي بسطت تعاليم الله في كتابه في يسر وسهولة ــ الملاذ لكل باحث ومقنن .

ومهما حاول المغرضون النيل من هذا الركن المتين الوارف الظلال ليهدموا بمعاولهم الهشة شريعة الله في الأرض فان الاسلام باق ، وسترتد على سفوحه الرمال والأعاصير الهوجاء بغير مغنم .

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) .

وأيضا ستظل المعركة قائمة ما دام الاسلام والحق يدحضان زيف أعداء الله والحق الذي لا يثبت أمام النقد البناء دون هوى .

ولن ينال المشوهون للسنة ما يبغون فهي قوية الدعائم قد تحطمت على صخرتها الشبهات والهجمات الشرسة ، لأن المسلمين الأوائل اعتنوا عناية فائقة بتدوينها .

وعلى هذه الصفحات نستعرض مع السادة القراء نموذجا حيا على حسن الفهم ودقة البحث وعظمة التدقيق ، وسنقوم بتقديم نماذج من مصطلح الحديث للتعريف بهذا الفن الدقيق الرفيع ، ليكون القراء على بينة من مغزى الاشارة لكل حديث يذكر عنه المحدثون انه صحيح وحسن .. الخ ونسأل الله التوفيق والسداد في خدمة السنة المطهرة .

الحديث الصحيح :

هو المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ولا يكون شاذا ولا معللا .

وعلى هذا فالحديث الصحيح المسند يعني : المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه ثقة عن ثقة اتصفوا بالاسلام والعقل والضبط والعدالة متصلا بسماع كل راو عمن فوقه سواء أكان المتصل مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أم موقوفا على الصحابي أم مقطوعا أي موقوفا على التابعي ، اذ لا يكون متصل الاسناد مرفوعا دائما إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

كما أن المسند لا يرادف المرفوع ، وان كان لا بد من شرط الرفع فيه .

والشاذ رواية الثقة للحديث مخالفا بروايته ــ وإن كان مقبول الرواية ــ رواية الثقات وهم بلا ريب أولى منه فهم ثقات يستحيل تواطؤهم على الكذب .

ورواية الثقة في هذه الحالة تكون شاذة ، وكما يكون الشذوذ في المتن يكون في السند والشاذ أيضا ما ليس له إلا إسناد واحد .

ويستفاد من التعريف : أن تخلو الرواية من علة خفية تقتضي ضعف الحديث مع أن ظاهره السلامة منها ، قادحة في صحته كارسال موصول أو وقف مرفوع ، أو رواية حديث محفوظ عن صحابي برواية آخر لا يعرف بالسماع ممن روى عنه .

فاذا اختل شرط من هذه الشروط لا يكون الحديث صحيحا .

وإذا تحققت هذه الشروط وكان الراوي عدلا ضابطا أي مسلما ثقة متيقظا ، حافظا ، ذا مروءة ، سليما من أسباب الفسق في الدرجة العليا من الضبط والاتقان حكم على المروى بالصحة متنا وسندا ، ويقال عنه : « حديث صحيح » .

وذلك مثل ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم رضي الله عنهما بسند صحيح .

وهذه السنة الصحيحة هي التي تكون المصدر الثاني للتشريع الاسلامي .

وقد يكون الصحيح متواترا ، وسيأتي حديثنا عن المتواتر في حينه .

وقد تعرض ألفاظ في التعريفات عند بسط أقسام الصحيح وغيره تبدو غير واضحة ، سنشير اليها في أبحاث قادمة لتكون سهلة التناول والفهم .

حديث صريح مع
وزير التخطيط الباكستاني
حول تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية

الدكتور خورشيد احمد يقول :

○ ما يحدث في الباكستان الآن هو تغير في أساسيات المجتمع وفقا لمنهج الدين الحنيف .

○ نأمل في أن تكون الشريعة الاسلامية هي مصدر التشريع في كل العالم الاسلامي

○ نتطلع الى مزيد من التعاون الفعلي بين الدول الاسلامية .

زار الكويت الشهر الماضي معالي الدكتور : خورشيد احمد نائب رئيس هيئة التخطيط العليا ووزير التخطيط بجمهورية الباكستان الاسلامية حيث اجرى عددا من المباحثات واللقاءات مع المسئولين هنا نوقشت خلالها العلاقات العربية الباكستانية وسبل تدعيمها .

وقد انتهزت (الوعي الاسلامي) هذه الفرصة لتجري لقاء لقرائها مع الدكتور ـ خورشيد أحمد ليحدثنا عن التجربة الكبيرة التي تجري في الباكستان هذه الأيام وهي اعادة بناء النظام الاجتماعي والاقتصادي هناك على أسس من أحكام الشريعة الاسلامية وقد تحدث السيد الوزير حول هذه التجربة وبين أبعادها وتجربة الباكستان في هذا الأمر كما تحدث عن رأيه في إمكانية أن تكون الشريعة الاسلامية هي مصدر التشريع في العالم الاسلامي وعن العلاقات بين أقطار العالم الاسلامي وكيفية تدعيمها كما حدثنا سيادته عن الجمعيات والمؤتمرات الاسلامية في الباكستان وختم حديثه بالتعليق على زيارته الحالية للكويت وعن انطباعه عن العلاقات الباكستانية الكويتية .

○ بناء المجتمع الاسلامي :

○ سيادة الوزير إن أكثر ما يثير إعجاب المسلمين في أنحاء العالم الاسلامي ويشد انتباههم ما يجري الآن في الباكستان من تحول نحو الشريعة الاسلامية لتكون مصدر

التشريع والتقنين . نرجو أن تلقوا بعض الضوء على سمات وملامح هذا التطور .

● في الحقيقة أن التجربة التي نقوم بها في الباكستان الآن لا يمكن فهمها على أنها مجرد تعديل أو تغيير في القوانين فقط وانما هي في الواقع تشمل ما هو أكثر من ذلك لتكون بمثابة عملية تغيير في أساسيات المجتمع ويستتبع هذا بالقطع تغيير القوانين المطبقة لتلائم هذه الأساسيات الجديدة ، وينبع كل هذا من تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف والشريعة السمحة وهذا هو التغيير الذي نجريه في الباكستان الآن .

○ **هل يمكن أن تحدثنا عن كيفية هذا التغيير :**

● كما قلت فان عملية التحول نحو الشريعة الاسلامية كانت تتطلب أولا تغييرا في الجوانب الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والاعلامية وغيرها لاقامة المجتمع الاسلامي الصحيح . وفي هذا الاتجاه بدأت حكومتنا في إجراء تغييرات شاملة في كل هذه المجالات حتى نتواءم مع النظام الجديد .

ـ ففي جانب التعليم أجرينا تغييرات جذرية في البرامج والمناهج التعليمية في جميع مراحله من أجل ربط هذه المناهج بأساس العقيدة وصبغ التعليم بالصبغة الاسلامية .

ـ وفي الاعلام حرصنا على أن يكون اعلام دولتنا اعلاما اسلاميا بحيث لا يقتصر شرح العقيدة على البرامج الدينية فقط ولكن حرصنا على ان تصاغ جميع مواد برامج الاذاعة والتلفزيون الفكرية والثقافية وحتى الترفيهية صياغة دينية وتقدم في قالب يتمشى مع الهدف المراد تحقيقه بحيث يصبح الاعلام وسيلة مساعدة لتحقيق المجتمع الجديد .

ـ كما بدأنا في ادخال اقامة الصلاة الجماعية في جميع مراكز الدولة ومؤسساتها وجعلها في كل مصنع وفي كل مصلحة وذلك لتدعيم الجو الاسلامي في الباكستان مما يساعد على تكوين خلق جديد بين المواطنين هو الخلق الاسلامي ، ويقضي على الانحرافات بين الأشخاص .

ـ وأخيرا فقد جعلنا الشريعة الاسلامية هي المصدر الأساسي لجميع قوانين الدولة وتشريعاتها وسيكون للشريعة الاسلامية الأولوية في التطبيق في حالة تعارض أحكام أحد بنود القوانين الوضعية معها

وفي هذا الشأن فان أمامنا مهمتين أساسيتين :

الأولى : تغيير القوانين لتطابق الشريعة الاسلامية . ولذلك كونا مجلسا للقضاء الشرعي في جميع المحاكم العليا بالباكستان .

الثانية : هي جمع وتدوين وتبويب أحكام وبنود الشريعة الاسلامية وقد أسسنا لهذا الغرض هيئة تسمى مجلس التشريع الاسلامي .

وفي هذا المجال يسرني أن أبلغكم أن المجلس أقر أول أربعة قوانين مطابقة للشريعة الاسلامية وذلك في ذكرى المولد النبوي الشريف في ١٢ ربيع الأول السابق وكانت في المواضيع الآتية :

١ ـ تحريم الخمر والعقاب عليه .
٢ ـ السرقة .
٣ ـ الزنا .
٤ ـ القذف وحدوده .

○ جهود شعبية ورسمية وراء عملية التحول :

•○ مما لا شك فيه ان تطبيق الشريعة الاسلامية في الباكستان كان نتاج عملية تحول كبرى وجهد متواصل من المسئولين والمقننين الاسلاميين . فهل يمكن أن تعطوا القارىء فكرة عن تجربتكم في هذا الشأن .

● مما لا شك فيه أن مثل هذا النوع من التغيير والتحول يحتاج الى مجهودات كبيرة وإخلاص ليمكن تخطي عقبات كثيرة والرد على تساؤلات قد تطرح نفسها أثناء الاعداد للوضع الجديد ، وقد تضافرت جهود عدة مؤسسات حكومية وشعبية من أجل تحقيق هذا الغرض فكانت لمؤسسات الجماعة الاسلامية في باكستان مجهودات بارزة منذ زمن طويل في المطالبة والاعداد لتطبيق الشريعة الاسلامية وقد وضعت كل امكانياتها تحت تصرف القائمين على هذا التقنين الاسلامي . وأما في مؤسسات الدولة فمجلس التشريع الاسلامي الأعلى الذي يضم نخبة مختارة من كبار علماء الباكستان في التخصصات المختلفة قاموا بدور كبير في تجربة التحول هذه كما أن هناك لجنة خاصة من كبار الاقتصاديين والعاملين في البنوك قد شكلت لمساعدة اللجنة العليا وكذلك هناك لجنة من الباحثين لدراسة النواحي القانونية بالاضافة الى مؤسسات البحث العلمي في أجهزة الدولة المختلفة ومنها وزارة التخطيط والتي أتشرف بتحمل مسئوليتها .

○ الشريعة والجانب الاقتصادي

○ هل شمل هذا التحول الاسلامي في التطبيق كافة التشريعات أعني القوانين التجارية والمدنية ؟

● ان الجانب الاقتصادي في عملية تطبيق الشريعة الاسلامية جانب كثير التعقيد نظرا لما فرضته القوانين الوضعية والعلاقات الدولية من أفكار ونظم هي في محتواها بعيدة عن أحكام ديننا الحنيف ومع ذلك فقد قررت الحكومة إدخال مبادىء الاقتصاد الاسلامي في جميع المعاملات الاقتصادية في الباكستان خاصة الزكاة والعشر وان شاء الله سوف تطبق جباية الزكاة في الدولة بدءا من غرة شعبان المقبل . وفي الوقت نفسه سوف نحاول إنشاء مؤسسات لجباية الزكاة وتوزيعها وتنظيمها ويسير مع كل هذه التنظيمات جنبا الى جنب محاولات جدية للقضاء على مبدأ الفائدة والربا التي تحكم الاقتصاد العالمي في هذا العصر ، ويجري الآن تكوين ثلاث مؤسسات لا ربوية تبدأ عملها في غرة شعبان أيضا لتطبيق هذا المبدأ وأؤكد في هذا الصدد بأن قانون الزكاة والعشر سينعكس على الواقع الاقتصادي للدولة ويقضي على كثير من

المعاملات الاقتصادية التي تتنافى مع تعاليم الدين .

أما عن القوانين التجارية الأخرى فسوف نصل اليها ، ولكنها تحتاج الى التدرج في تناولها مع العلم أننا قد وضعنا أسس البحث لتنقية القوانين التجارية من الأمور التي تتنافى مع أحكام الشريعة وستكون النتائج بين أيدينا قريبا إن شاء الله .

● هل تتصورون يا سيادة الدكتور أنه قريبا هذا اليوم الذي نرى فيه الشريعة الاسلامية هي مصدر التشريعات في العالم الاسلامي .

● نأمل أن يكون ذلك قريبا وندعو الله أن يوفقنا لأن نكون قدوة لأقطار العالم الاسلامي في تطبيق جميع أوجه الشريعة في كل نواحي حياتنا ومن المؤسف حقا أن نرى الشريعة الاسلامية بعيدة عن التطبيق في معظم الدول الاسلامية . ولكن بوادر تطبيق الشريعة الاسلامية في البلاد الاسلامية واضحة وتبشر بالخير ونرى ذلك من خلال مجهودات اللجان والجماعات الدينية في الدول الاسلامية والتي تطالب وتسعى دائما من أجل تطبيق الشريعة الاسلامية .

○ هل يمكن أن تحدثنا عن الجمعيات والمنظمات الاسلامية في الباكستان وهل يشمل نشاطها النطاق الدولي .

● في الحقيقة أن التيار الديني في الباكستان تيار قوي ، ويقود هذا التيار عدد كبير من المنظمات والجمعيات الاسلامية ، منها ما يقتصر نشاطها على المجال المحلي ، ومنها ما ينسحب نشاطها إلى الصعيد الدولي .

○ لا بد من تكثيف التعاون الاسلامي :

○ لقد كانت الباكستان ملتقى لعدد من المؤتمرات الاسلامية ما رأي سيادتكم في شكل العلاقات بين المسلمين حاليا وسبل تطويرها .

● في الحقيقة ان الباكستان تهتم بمثل هذه اللقاءات الاسلامية ، وتحرص على المشاركة فيها واستضافتها ، كلما كان ذلك ممكنا لما في هذه اللقاءات من فائدة عامة على البلاد الاسلامية ، ولتنمية التعاون الفعلي بين الاقطار الاسلامية وبعضها ، وقد عقد مؤخرا في كراتشي مؤتمران احدهما : للمنظمات الاسلامية ، والثاني : للغرف التجارية بالبلدان الاسلامية ، كما سيعقد قريبا في كراتشي أيضا مؤتمر وزراء الصناعة بالدول الاسلامية ، ونرجو أن يحقق هذا المؤتمر الأمل في إقامة التعاون بين هذه البلدان . وإنى أعتقد أنه من الضروري أن تنشأ مؤسسات دائمة لمتابعة أعمال هذه المؤتمرات وتنفيذ قراراتها حتى يكون لهذه المؤتمرات فوائد وأبعاد أكثر من مجرد اللقاء بين العاملين في الحقل الواحد . ونحن نسعى جادين لتكوين هذه المؤسسات ، وأعتقد أننا قد وصلنا الى طور ينبغي فيه أن نعمل على زيادة وتكثيف التعاون بين الدول الاسلامية ، ونقترح في سبيل ذلك عقد مؤتمرات تخصصية في جوانب محدودة بدلا من المؤتمرات العامة ،

لتعم الفائدة ، ولايجاد حلول لمشاكل المسلمين من كافة الجوانب .

○ العلاقات الباكستانية الكويتية قديمة وراسخة فهل حققت زيارتكم الحالية هدفها المرجو وما هو انطباعكم عن التقدم الذي لاحظتموه هنا ؟

● إنني مسرور جدا من العلاقات الباكستانية الكويتية القديمة والراسخة ، وإنني مسرور أكثر بأن هذه العلاقات تنمو وتزدهر بفضل الله ، ثم بفضل مجهودات حكومة الكويت وحكومة باكستان ، أما بالنسبة لهذه الزيارة فهي ولله الحمد حققت أهدافها . لقد تمكنا من زيارة معالي الشيخ يوسف الحجي وزير الأوقاف والشئون الأسلامية في الكويت وكذلك معالي محمد يوسف العدساني وزير التخطيط ولقد استفدنا كثيرا من تبادل الرأي . ولقد فرحت وتأثرت كثيرا لاهتمامهم الكبير بالعلاقات مع باكستان ، وفرحت للتقدم والجدية في نظرتهم للأمور والمشاكل التي تجابههم في الكويت والعالم . ولقد ساعدتني هذه الزيارة للتعرف على شعور إخواننا في هذا البلد الطيب للخطوات الجديدة التي خطتها باكستان في تطبيق الشريعة الاسلامية .

وان هذا النوع من الشعور بالتأكيد يجعلنا نخطو خطوات سريعة للمستقبل ، ويسرني أن أعلمكم بأنني قدمت دعوة رسمية لوزير الأوقاف وكذلك لمعالي وزير التخطيط ونرجو أن يستطيعا تلبية الدعوة في وقت قريب .

تلقينا شاكرين العدد الثاني من مجلة « الأمان » وهي مجلة سياسية اسبوعية تصدرها المؤسسة الاسلامية ببيروت ، والعدد يعتبر باكورة طيبة ، لجهد طيب بذله إخواننا المشرفون على المجلة فجاء العدد حافلا بشتى الموضوعات السياسية والعلمية والصحية والاجتماعية ، ومعالجة القضايا الاسلامية المعاصرة ... والمجلة تحتاج الى تضحية وتشجيع حتى تمضي الى غايتها في سلام وأمان ، فليس من الانصاف كما يقول المسؤولون عن المجلة ـ أن تكون لكل التيارات في لبنان صحافة وإعلام ولا يكون للاسلاميين صحيفة سياسية واحدة ، ولقد همس المشرفون على المجلة في آذان إخوانهم القراء قائلين :

« إن ما يدفعونه ثمنا للنسخ هو ما تقوم عليه المجلة وانه ليس لها مصادر اخرى منظورة او غير منظورة وانهم يدركون مصاعب الطريق ويعرفون انه يمكن ان يكون هينا لينا محفوفة جوانبه بالورد وعندها كان يمكن ان توزع « الامان » مجانا او بسعر تشجيعي ، لكننا فضلنا الطريق الآخر ولله في خلقه شئون » ونحن على ثقة من ان المجلة ستشق طريقها بفضل وعي المسلمين في لبنان وحرصهم على ان يكون لهم صوت والله ولي التوفيق .

كتاب الشهر

الخراج .. والنظم المالية للدولة الاسلامية

تأليف : الدكتور محمد ضياء الدين الريس

عرض وتحليل : الأستاذ محمد عبد الله السمان

المؤلف هو المغفور له الاستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس الذي كان استاذا للتاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة، وقدم للمكتبة الاسلامية خلاصة فكرة، ومن مؤلفاته : النظريات السياسية الاسلامية ، والاسلام والخلافة ، وسيرة عبد الملك بن مروان ، وكتاب في طريقه الى القارىء : الخلافة فريضة اسلامية ، وتعتبر مؤلفات الدكتور الريس مرجعا مهما لكل باحث، ولاسيما مؤلفه الضخم « النظريات السياسية الاسلامية » الذي طبع خمس مرات ..

وهذا الكتاب الذي بين ايدينا يقع في اكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد جاء في مقدمة موجزة ، وستة ابواب ، في الباب الأول ، عرض المؤلف النظم المالية في دولتى الرومان والفرس ، وفي الباب الثاني ، عرض للنظم المالية فى الدولة الاسلامية ، اى عصر النبوة والخلافة الراشدة ، وفى الباب الثالث، عرض للنظم المالية في الدولة الأموية، وفي الباب الرابع ، عرض لمقاييس الخراج والثروة ، أو المقاييس والنقود الاسلامية ، وفى الباب الخامس عرض المؤلف للخراج والأموال في الدولة العباسية ، أما في الباب السادس والأخير ، فقد عرض لقوائم الخراج وثروة الدولة .

ان كلا من مسألة الخراج، ومسألة النظم المالية ، قد لقيت من فقهاء المسلمين وعلمائهم أكبر عناية ، وليس هناك كتاب فقه من كتب التراث ، الافيه مكان رحب لكلتا المسألتين ، فاذا ذكر الخراج ، قفز الى الذهن كتاب الخراج لأبي يوسف : يعقوب بن ابراهيم المتوفي سنة ١٨٣ هـ ، وكتاب الخراج لأبي زكرياء : يحيي بن آدم المتوفي سنة ٢٠٣هـ. واذا ذكرت النظم المالية ، قفز الى الذهن أيضا ، كتاب الأموال لأبي عبيد : القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٤ هـ وكتاب الأحكام السلطانية للماوردي : على بن محمد ابن حبيب ، المتوفي سنة ٤٢٠ هـ ، وغيرهما ..

● قبل أن نعرض لمناقشة هذه الدراسة الموضوعية ، التى تبحث موضوعا من أدق الموضوعات المعاصرة — أعني قضية الاقتصاد ، الذي يأتي في المرتبة الأولى من مقومات الدولة في العصر الحاضر — يجدر بنا أن نعرض لشيء من التفصيل لمكونات هذه الدراسة فالمؤلف خصص الباب الأول للنظم المالية قبل الاسلام ، واختار الدولتين الكبريين اللتين كانتا يومئذ مسيطرتين على العالم لاجراء أبحاثه ، وهما دولتا الروم والفرس ، وتعرض المؤلف للنظم المالية في غير محيط الاسلام عمل تقتضيه المقارنة ، والمقارنة تعتبر اليوم أحد أسس الدراسات الحديثة في شتي المجالات ، ولم ينس المؤلف أن أكثر الأقاليم التى فتحها المسلمون في العصر الأول ، كانت اما تابعة للدولة الرومية واما تابعة للدولة الفارسية ، لذا فان دراسة النظم المالية التي وضعها الاسلام لتلك الأقاليم تتطلب بالضرورة كما يري المؤلف دراسة الأنظمة المالية التى كانت سائدة فيها قبل مجيء الاسلام ، حتى يمكن أن يقارن بين حياة الشعوب الخاضعة في العهدين ، وأن يقدر بالضبط مدي الأثر الذي أحدثه الاسلام في هذه الناحية المالية بالذات ، ماذا استبقي ، وماذا ترك من نظم ، وما أضاف من أوضاع خاصة به ..

وبالنسبة للنظم الاسلامية المالية للدولة الاسلامية ، في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، عني المؤلف بالفتوح في الأقاليم ، وتجلية مفهوم كل من المصطلحات للنظم المالية ، كالغنيمة والفيء ، والخراج والجزية ، والشعور ، كما عني بالدواوين وثروة الدولة ، وفرض العطاء ، والقطائع وأخيرا عني بتوضيح أثر قيام الدولة الاسلامية على الشعوب ، ولاسيما الحرية الدينية ، أما بالنسبة للدولة الأموية ، فقد عني المؤلف بماجد على النظام المالي من أمور ، كالكتاب والعمال ، والخاتم والبريد ، والنفقات ، واصلاح العملة ، وتعريب الدواوين وفي الفصل الأخير ، عني المؤلف بثروة الدولة الأموية ، وببعض ظواهر اقتصادية مثال : كثرة القطائع ونتج ذلك عن حرق الديوان اثناء فتنة ابن الأشعث ٨٢ هـ حيث أخذ كل قوم مايليهم من القطائع ، بعد أن كانت ملكا للدولة منذ أيام الفتح ، ومن هذه الظواهر الاقتصادية : الالجاء ، وهو أن يلجيء الرجل أرضه الى أمير او قوي يحتمي به فيكتب باسمه ، ويقوم هو بدفع خراجها ، وهو نفس نظام الحماية في دولتي الفرس والروم ، ونظام الايغار ، وهو أن يمنح الملك رجلا أرضا من غير خراج ، ثم نظام التقبل ، وهو أن يجعل شخص قبيلا

أي كفيلا بتحصيل الخراج مقابل قدر معلوم يدفعه ، وهو ماعرف فيما بعد باسم نظام الالتزام ..

ويعتبر الباب الرابع دراسة فنية في مقاييس الخراج والثروة أو المقاييس والنقود الاسلامية ، تحقيق الأطوال والمساحات ، والأكيال ، والأوزان والنقود ، وقد عني المؤلف بكثير من المصطلحات التي تعتبر اليوم غريبة عن الأذهان ، غريبة على التفكير فيها ، مثلا « الجريب » في المساحات ، مانسبته الى الفدان ؟ وكذلك « القفيز » والجريب والقفيز كما هما اسمان لوحدتي مساحة ، اسمان أيضا لمكيالين ، وكذلك المكوك والمدي والكر في المكاييل ..

والمؤلف قسم النظام المالي في عصر العباسيين (١٣٢ — ٢٤٧ هـ) تبعا للتقسيم الزمني السياسي للدولة من بدء الدولة الى آخر عهد المنصور ١٥٨ هـ والمنصور هو الذي أحدث في النظام المالي تطويرا وتجديدا ، وهذا راجع الى عنايته وحبه للاقتصاد . والمرحلة الثانية تبدأ من خلافة المهدي الذي بويع بالخلافة بعد أبيه المنصور ، حتى نهاية عصر الرشيد ، وفي عهد المهدي هذا حدث تطور خطير في أمر الخراج ، حيث تقرر العدول من نظام « المساحة » الى نظام المقايسة ، ونظام المساحة كان معمولا به منذ عهد عمر ، ومعني نظام المساحة ، هو أن يكون هناك خراج مقرر على مساحة محددة من الأرض تجبيه الدولة دون نظر الى مايحدث من اختلاف كميات المحصول ، اما نظام المقايسة فمثلا يقدر الخراج بالثلث من المحصول للدولة ، والثلثين للمزارعين دون اعتبار للمساحة ، واحدث المهدي ديوان الزمام ، وهو أشبه مايكون بديوان المحاسبة في هذا العصر .. وتبدأ المرحلة الثالثة والأخيرة من « الفتنة » الى منتصف القرن الثالث الهجري ، والمقصود بالفتنة ، الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون ، والتي أدت الى مقتل الأمين ، وانعكست نتائج هذه الفتنة على الظروف الاقتصادية والنظم المالية ..

ويأتي الباب السادس والأخير ، ببحث قوائم الخراج وثروة الدولة ، في العصر العباسي الأول ، ويعرض في فصل أخير لأمور متممة: كثرة الضياع ، نظام التقبل أو الضمان ، وهو شبيه بنظام الالتزام ، وهو نظام صرح الفقهاء بمخالفته لمبادىء الشريعة الاسلامية وحمل عليه الفقيه أبو يوسف بشدة ..

● هذا عرض شبه تفصيلي لمحتويات هذه الدراسة ، التي بذل فيها المؤلف جهدا طيبا مشكورا ، ولقد كان دافع المؤلف الى بذل هذا الجهد الكبير . هو ماعبر عنه في مقدمته بقوله :

واذا كان التاريخ الاقتصادي قد أصبح في الغرب أحد العلوم النافعة ذات الخطر ، التى كثر فيها الانتاج فانه في الشرق — مع انه قطع بعض مراحل التقدم — لم يبلغ هذه المكانة بعد ، وعلى حين أن الجوانب السياسية والدينية والثقافية من حياة الأمة ، والدول الاسلامية نال كل منها حظا موفورا من البحث والدراسة ، فان الجانب الاقتصادي لايزال بحاجة الى بذل جهد كبير ، لكي تجلى غوامضه ، وتوضح معالمه ..

ونحن نري انه لم يكن هناك قصور لدي فقهائنا في الجانب الاقتصادي ،

لأن علم الاقتصاد بمفهومه الحديث لم يكن متبلور الشخصية فيما مضى ، ولم يكن يمثل التحدي للفكر الاسلامي شأنه شأن الجوانب الأخرى : السياسية أو الدينية أو الثقافية ، واذا كان لابد من أن نعترف بالقصور فان هذا القصور يجب أن تلقي مسئوليته على عواتق علمائنا المعاصرين ، ومما يخفف من وطأة هذه المسئولية أننا ندرس في جامعاتنا الفكر الاقتصادي الغربي ، ويصبح من العسير وجود العلماء المتخصصين في الفكر الاقتصادي الاسلامي ، ولاينكر أحد أن تراثنا حافل بالفكر الاقتصادي الذى يحتاج — فحسب — الى صياغةجديدة تساير روح العصر.

● عنى المؤلف عناية خاصة بالردعلى دعاوى المستشرقين ، ومن هذه الدعاوى : أن نسبةوضع النظام المالى الاسلامي الى عمر بن الخطاب ليست صحيحة ، وأن الفقهاء المتأخرين هم الذين نسبوا اليه ذلك ، والحق أن مثل هذه الدعوى لم يبدأ باثارتها « فيليب حتى » في مؤلفه « تاريخ العرب » بل كان مقلدا لمن سبقه من المستشرقين الصليبيين واليهود على السواء ، ويرد الدكتور الريس على هذه الدعوى ، بأن أبايوسف حين أبدي اعجابه بعمر ، وقال : أن الذي توصل اليه انما كان توفيقا من الله له فيما صنع « لم يكتف بمجرد نسبة وضع النظام « المالى » اليه ، بل دون صفحاتبسط فيهابوضوحماجري من مناقشات ، وحدث من وقائع ، حتى انتهىالأمر الى تقرير النظام »..

ومن هذه الدعاوي الاستشراقية أيضا ، أن سياسة عمر بن عبد العزيز المالية،قد أدتالى الاضطراب المالى، بل والى سقوط الدولة الأموية ، ومن الذين تولوا كبر هذه الفرية كل من « ملر » و « كريمر » ثم (فان فولتن) ويقول المؤلف الدكتور الريس في دحضه لهذه الفرية ، على المستشرق « ولها وزن » في كتابه « دولة العرب» حيث فند مزاعم أولئك ، المستشرقين المتحاملين ، وقرر : أن العكس هو الذي وقع ، وهو أن الاضطراب المالى انما حدث في عهد الحجاج وعبد الملك ابن مروان ، وأما في عهد عمر بن عبد العزيز ، فان ماليات الدولة تحسنت ونظمت ، وأعلن « ولهاوزن» أيضا : أن هؤلاء الناقدين المحدثين، هم الذين ليست لديهم فكرة صحيحة عن الأحوال العملية في ذلك العصر ، اذ أن تلك الأحوال هي التى دعت عمر الى اتباع السياسة التى ينتقدونها ، فأنقذبها الدولة وقوى مركزها ، وجاء بعد « فلها وزن » المستشرق « نيكلسون» مؤيدا ، وخلاصة ماقاله : أناصلاحات عمر الثاني يعني ابن عبد العزيز — هي التى أزالت الفوضي التى كانت موجودة في عهد من سبقه من بني أمية ، ويضيف الدكتور الريس : أن الأدلة التاريخية نفسها تفند دعاوي « كريمر » و « ملر » ومن تبعهما ، وتثبت صحة النتائج التى انتهى اليها « ولها وزن » ..

● ان المؤلف الدكتور محمدضياءالدين الريس — لكييخفف من جفافالبحث فى المسائل المالية ، والاقتصادية — أضفى على الدراسة الطابع السياسى وليحقق بعد ذلك مدي الارتباط الوثيقبينسياسة الدولة واقتصادياتها والقارىء الحصيف يمكنه أن يستشف معني دقيقا من اهتمام المؤلف بالجانب السياسي في دراسته ، فهو يحدثنا عن

ثروة كسري في الدولة الفارسية ، وانها بلغت من الضخامة بحيث يتعذر حصرها ، وفي عصر النبوة والخلافة الراشدة ، لم يعرف للنبي ولا للخلفاء الراشدين الأربعة ثروة خاصة الا عثمان ، حيث كانت له ثروة قبل توليه الخلافة ، لكن الانتكاس قد حدث فى عهد الدولة الأموية ومابعدها، كانت لمعاوية تركةخاصة،وكذلككان لأبي جعفر المنصور ، وهارون الرشيد ، وللمأمون ، ولغيرهم ، هذا بالاضافة الى التصرف في أموال بيت مال المسلمين تبذيرا واسرافا .. !

● وبعد ...

فالذي لاجدال فيه أن المؤلف قد بذل – في هذه الدراسة – جهدا شاقا مضنيا من ناحية ، وعميقا طيبا من ناحية أخري ، وربما كان مايهدف اليه المؤلف هو أن يؤكد أن لدى تراثنا فكرا اقتصاديا اسلاميا وهذا مالا ينكره أحد ، لكن هل يجوز أن نقف عند هذا الحد ؟ فهل يجوز مثلا أن نقفعند حد ابرازعظمة النظام السياسى للدولة الاسلامية فيما مضى، أم لابد من أن نبرز أيضا أن هذا النظام اليوم هو أيضا خير النظم السياسية المعاصرة ؟ وهذا يقتضينا – بالطبع – أن نجري مقارنة موضوعية بين كل من النظام السياسى الاسلامي ،وكل من النظم السياسية الوضعية التى استعرناها من الغرب أو الشرق .. وبالنسبة لهذه الدراسة فيمايختصبالنظام المالى الاسلامي ، فقد وفق المؤلف في اجراء هذه المقارنة مباشرة بين النظام المالى في دولة الاسلام ، وبين النظام المالى فى كل من دولتي الرومان والفرس وفي اجراء المقارنة غير المباشرة بين كل من دولة الاسلام في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، والدولة الأموية والدولة العباسية ، وكم كنا نود أن نلمس هذه المقارنة بين كل من النظام المالى الاسلامي ، والنظم المالية المعاصرة ،وهذه هي القضية الأساسية التى يجب أن نمنحنها كل عنايتنا ..

وقد يتساءل القارىء :

أية قيمة اليوم لدراسة مستفيضة في « الخروج » مثلا ؟ فهذا النظام أصبح جزءا من التاريخ لا اكثر ،وليس له أي دور يؤديه في حياتنا المعاصرة بعد أن فرضت عليناالنظم المالية الأجنبية عن الاسلام ..

واقول :

ماذا يضيرنا لو اننا ذكرنا انفسنا بجزء من تاريخنا ، على امل ان نثوب الى رشدنا ، ونعتز بهذا التاريخ ، ونطوره حتى يصلح لمعايشة حياة المسلمين المعاصرة ؟ ولكن هناك من النظام المالى الاسلامي القديم مالا يتصل الا بالأعرافالتى كانت سائدة، وهذا مالايحتاج منا الى كل هذا الجهد في الدراسة والبحث ، فمثلا ، الباب الرابع من الدراسة التى بين ايدينا، خصصه المؤلف لمقاييس الخراج والثروة ، او المقاييس والنقود الاسلامية ، ويقع فى زهاء مائة صفحة وهذا كثير ، كثير أن نستهلك هذه الصفحات في تحقيق الجريب والقفيز، والمكوك ، والصاع والمد والوسق والكر ..

ولا يسعنا في النهاية الا أن نقدر جهد المؤلف الدكتور الريس رحمه الله في الدراسة والبحث ، وشجاعته الأدبية ، وغيرته على تراثنا الاسلامي

الصلاة والقبور

السؤال ـ هل تصح الصلاة في مسجد فيه قبر ؟
نبيل رمضان رجب ، طلعت عبدالله عبدالمغنى ،
صدقى موسى سلمان ج. م. ع

الجواب ـ روى البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وزاد مسلم « والنصارى » .

وروى مسلم عن جندب بن عبدالله البجلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ؛ إنى أنهاكم عن ذلك » .

وروى البخارى ومسلم أن أم سلمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية ، فذكرت له ما رأته فيها من الصور ، فقال صلى الله عليه وسلم « أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » .

وروى الجماعة الا البخارى وابن ماجه عن أبى مرثد الغنوى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها » .

هذه هى بعض الأحاديث الواردة في النهى عن اتخاذ القبور مساجد ، وظاهرها تحريم الصلاة اليها ، قال العلماء : انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به ، وربما أدى ذلك الى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية .

وقالوا : لما احتاجت الصحابة والتابعون الى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة الى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، وفيه حجرة عائشة رضى الله عنها مدفن رسول الله وصاحبيه أبى بكر وعمر ـ بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد

فيصلى اليه القوم ويؤدى الى المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين حرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر .

ثم تحدث العلماء عن هذه الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد فقال بعضهم : محل الذم على ذلك أن تتخذ المساجد على القبور بعد الدفن ، وليس ذلك مذموما إذا بنى المسجد أولا وجعل القبر في جانبه ليدفن فيه واقف المسجد أو غيره . لكن العراقى قال : الظاهر أنه لا فرق ، وأنه إذا بنى المسجد لقصد أن يدفن في بعضه أحد فهو داخل في اللعنة ، بل يحرم الدفن في المسجد وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفته لمقتضى وقفه مسجدا .

واذا كان بعض العلماء قد حمل النهى على التحريم ، فان البعض الآخر حمله على الكراهة ، بمعنى أن الصلاة الى القبر صحيحة لكن مع الكراهة . والذين قالوا بصحتها مختلفون ، فقال بعضهم هى مكروهة سواء أكان القبر أمامه أم خلفه أم عن يمينه أم عن يساره ، وقال أخرون محل الكراهة إذا كان القبر أمامه ، لأن هذا الوضع هو الذى يراد من اتخاذه مسجدا ومن الصلاة إليه ، أما إذا كان القبر خلفه أو عن يمينه أو عن يساره فلا كراهة .

ومن الذين قالوا بتحريم الصلاة الى القبر من حكموا ببطلانها ، وهم الظاهرية والهادوية والحنابلة كذلك إذا كانت الصلاة في مقبرة فيها ثلاثة قبور فأكثر ، أماما فيها قبر أو قبران فالصلاة فيها صحيحة مع الكراهة اذا استقبل القبر ، والا فلا كراهة . يقول الشوكانى في نيل الاوطار : وقد تقرر في الأصول أن النهى يدل على فساد المنهى عنه ، فيكون الحق التحريم والبطلان ، لأن الفساد الذى يقتضيه النهى هو المرادف للبطلان من غير فرق بين الصلاة على القبر وبين المقابر وكل ما صدق عليه لفظ المقبرة .

وأرى أنه إذا كان القصد من الصلاة إلى القبر التعظيم فهى حرام وباطلة بصرف النظر عن وضع القبر ، وإذا انتفى هذا القصد كانت مكروهة مع الصحة إذا كان القبر أمام المصلى ، وإلا فلا كراهة أما الصلاة في المقبرة والحمام وغيرهما فلها حكم آخر .

اجابات قصيرة

الأخ / ع٠ع الجمهورية التونسية : نشكر لك شعورك ، ونحـــن جميعا مؤمنون أن الدين ليس أفيون الشعب ، ولكننا ندعو الى التنظيم والتخطيط الدقيق لتغيير المنكر ، والفتوى شاملة وواضحة ، وفيها عرض للاراء أكثر من اختيار رأي معين ، هدانا الله جميعا سواء السبيل .

مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

رواية الحديث

أرسل إلينا الشاب مجاهد عبد الحميد محمود ــ مصر رسالة قيمة آثار فيها موضوعا هاما جدا يشغل ذهن الناس ويملك عليهم لبهم يقول فيها :

انتشرت أحاديث كثيرة موضوعة ومكذوبة على الرسول وإني أحث المسلمين ألا يأخذوا الأحاديث إلا بعد الكشف ومعرفة مدى صحتها فمثلا هذا الحديث:« **ما وسعني أرضى ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن** » حديث موضوع وهو متداول على الألسنة وساق بعض الأمثلة من الأقوال المنسوبة كذبا للرسول صلى الله عليه وسلم وذكر بعض الأشخاص الذين وصفوا بالكذب على رسول الله واختلاق الأحاديث مثل ابراهيم بن محمد بن أبى يحيى الأسلمي المدني ومحمد بن زياد اليشكري وتحدث عن الوضع وقال ان من علامات الوضع ما يؤخذ من حال الراوي وأن تكون الرواية مناقضة للقرآن مثل « **ولد الزنا لا يدخل الجنة إلى سبعة أبناء** » فان هذا الكلام لمخالف لقول الله تعالى: **﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾** أو تكون الرواية مناقضة للسنة المتواترة أو الاجماع أو مخالفة للعقل .

نقول له إن رواية الحديث لا بد أن تكون مسندة وخصوصا في هذا الزمن الذي بعد الناس فيه عن السنة بل وأنكروا الحديث ، وإذا روى الحديث من أهل العلم

دون اسناد فانه لا مانع من نلك ..!!

وعن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى الأسلمى المدني فقد قال عنه الامام مالك رضي الله عنه إنه ليس ثقة لا في دينه ولا علمه . وقال عنه يحيى بن معين إنه كذاب .

وترك حديثه البخارى وغيره من العلماء .

وأيضا مثله محمد بن زياد اليشكرى الميموني الطحان قال عنه احمد إنه كذاب يضع الحديث ، وقال عنه يحيى بن معين انه كذاب أيضا كما قال بكذبه على بن المديني وابو زرعة والدارقطني .

أما حديث: « ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » فان المجلة قد نشرته في باب « **ليس من الحديث النبوي** » في العدد ١٦١ وقد حكم الامام النووي عليه بالكذب ..

هذا وإنا لنشكر لك حسن قصدك وسلامة اتجاهك ونأمل أن تكون قدوة طيبة لجيلك وخير مثل لمن يريد أن يقرأ في سنة رسول الله ..!!

في مدح الرسول الكريم

وقد أرسل الأستاذ شفيق محمد طنبوز الكويت قصيدة جيدة ضمنها مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في نظم بديع وأسلوب جيد نقتطف منها ما يلي :

في مدح الرسول الكريم

قلــــب أقـــام على حب بذى سلم	بوركت قلبي فقـد أبرئـت من سقم
هو الــرسول شهــاب لا مثـــال له	حلـو الشمائـل والأخــلاق مَن عنم
هو المنـــار الـــذي حنـــت لمولده	كل الخلائـق من عرب ومـن عجم
هو المنـار منـــار الحـــق ذو قدر	قد جاء زادا لكل النـــاس بالنعم
هو الهدايــة إذ ضاق الزمـان بهم	هو السبيـل سبيـل الحـق والحكم
أنــت الــذي شاد للمعـروف منزلة	أنت الــذي زان هذا القــول بالكلم
أدعوك ربـي وقـد ضاعـت عزائمنا	أن تنصر القــوم قد باتــوا بلا قيم
انــا نعيش حيـــاة لا رجـــاء بها	إلا بفضــــلك ياذا الجـــود والكرم
إن العروبـــة اذ حطـــت عزيمتها	تبكـي دمـاء على ديـــن بلا رحم
يا رب هيئ لنــا من أمرنــا رشدا	يا رب إنــك تنشى الخلــق من عدم

بأقلام القراء

هل وصل العرب الى روديسيا ؟

جاء هذا البحث المفيد من الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي من جامعة الامام محمد بن سعود ـ كلية الشريعة حول تحقيق وصول العرب الى روديسيا ويطلب ممن عندهم علم جديد في هذا الموضوع أن يتفضل بالكتابة الى مجلة الوعي الاسلامي .

من يكتب له زيارة مشرق أفريقيا وجزرها يجد بصمات العرب هناك واضحة بينة حتى يصل الى موزنبيق ، ثم ينقطع الأثر ، ليظهر مرة ثانية في روديسيا ، ولكن بشكل غامض ... في جنوب روديسيا حيث حرب العصابات حاليا على قدم وساق ، يوجد حصن قديم مبني من الحجر لا يعرف من بناه ، البعض يقول : بناه الرومان ، بينما يقول آخرون : بل بناه العرب ، ويستدلون بما عليه من أسماء عربية ، وبما وجد فيه من حلي ، ومنها سوار يحمل اسما عربيا ، والأعجب والأغرب من الحصن ، تلك القبائل التي تنتشر حوله ، بما تحمله من قسمات وألقاب ، وما لها من تقاليد وعادات . فهذه القبائل وعددها في حدود (٦٠) الف ، تحمل قسمات جميلة ، ووجوها فيها بعض الصباحة ، وليس هذا هو المهم ، فهم يحملون ألقابا عربية مثل (بكري ، وشريف ، وعلوي ، ومرادي) وأمثالها ، وأما تقاليدهم فهي أعجب وأغرب ، فهم مثلا يختتنون ، ولا يأكلون ذبيحة إنسان غير مختتن ، كما لا يأكلون لحم الخنزير ، ولا يشربون الخمر ، ويحافظون على شرفهم وعفاف

نسائهم ، ويحترمون النساء ويشاركونهن في المشورة ، ويلتزمون بما يعدون ، الى غير ذلك ، فاذا سألتهم : من أين لكم هذه التقاليد والعادات ؟ أجابوا أنهم كانوا أصدقاء لعرب جاءوا هنا للصيد ، فكـــانوا لهم أصدقاء وأدلاء ... وتسألهم متى كان ذلك ؟ فيقولون من قديم ، هكـــذا سمعنا من الآباء والاجداد ، ثم لا يزيدون شيئا .

فهل ذهب العرب الى روديسيا للصيد حقا ؟؟

وإن فعلوا ذلك فلماذا أبعدوا كل هذا البعد ، وأفريقيا كلها تصلح للصيد والقنص قديما وحديثا ؟

وإذا ذهبوا الى هناك فعلا فلماذا لم يستوطنوا تلك البلاد ، ولمـــاذا لم يدخلوا جنوب أفريقيا ، وهي أكثر إعتدالا ، وأعم خضرة وربما أوفر صيدا وقنصا ؟؟

الذي يتبادر للذهن ، وإن كان لا يوجد عليه دليل ، أن هذه القبائل واسمها (الـــورنبا) أسلمت في عصر من العصور ، حيث كانت (ملاوي) المجاورة بيد المسلمين يحكمونها ، ولمـــا سيطر البرتغاليون راحوا يضطهدون المسلمين ويحملونهم على التنصر بالقوة ، ومن يرفض ذلك يحرق بالنار وتصادر أرضه أو يلقى في البحر ، وفي هذه الفترة جاء البيض الى روديسيا فضغطوا على قبائل (الورنبا) حتى حملوها على إخفاء إسلامها ، وإن بقيت محافظة على بعض سنن الاسلام ولا يشاركها في ذلك احد من القبائل المجاورة ....

الغريب في الأمر أن هذه القبائل حضرت من نفسها الى مدينة في روديسيا فيها مسجد واسمها (كوي كوى) وطلبت من الامام أن يدلها على الاسلام ، فلما عرضه على الحضور اسلموا ، وطلبوا إليه أن يصحبهم حتى يعرض الاسلام على قومهم ، وفعل الرجل ذلك ، فأسلم المئات وما زالت تطلب من يعلمها الاسلام .

فهل من مؤرخ عنده شيء عن وصول العرب الى روديسيا فيفيدنا ؟...

إلى كتابنا الأعزاء

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بطبع مقالاتهم على الآلة الطابعة أو كتابتها بخط واضح مع مراعـــاة ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث .. والله الموفق والمستعان .

الشهيد من هو ؟

هل المسيحي الذي يموت في الحرب مع المسلمين في دفاعهم عن أوطانهم وعقيدتهم شهيد وهل له أجر على ذلك ؟
وما معنى قول الله سبحانه (والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبُه الظمآن ماءً حتى إذا جاءَه لم يجدْه شيئا ووجدَ اللهَ عندَهُ فوفّاهُ حسابَه واللهُ سريعُ الحساب) .

محمد أبو اليزيد عبد الله
العراق

المسيحي الذي يقتل في الحرب مع المسلمين ليس له في آخرته شيء من الجزاء لأن الجزاء على الشهادة والشهادة شرطها الايمان بالله ورسوله وكل اعتقاد خلاف هذا لا يتسم بصبغة الاسلام فهو إعتقاد مردود: « إن الدين عند الله الاسلام » .

يروى البخاري ومسلم أنه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون ؟ فيقولون يا رب عطشنا فاسقنا فيقال ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سُرُب يحطم بعضها بعضا فينطلقون فيتهافتون عليها .

والكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حصل شيئا فاذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئا بالكلية كما قال الله سبحانه (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) .

وذلك المعنى يتفق مع قول الله سبحانه: (وَوَجَدَ اللهَ عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) .

والذين كفروا أعمالهم كالسراب الذي يرى منتصف النهار في اشتداد الحر كالماء في المفاوز يلتصق بالأرض المنبسطة المتسعة التي ليس فيها نبات فيحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه وجده أرضا لا ماء فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار يعولون على ثواب أعمالهم فاذا قدموا على الله تعالى وجدوا ثواب أعمالهم محبطا بالكفر أي لم يجدوا شيئا كما لم يجد صاحب السراب الا أرضا لا ماء فيها فهو سيهلك أو يموت ووجد الله يوفيه جزاء عمله ونكرانه وكفره وعناده ولو وجد في هذه

المفاجأة خصما من البشر لروعه لأنه على غير استعداد وفي ذهول فكيف وهو يجد الله ليوفيه جزاءه .

ولا شك أن التعبير يرسم حال الكافرين ومآلهم فهذا السائر الظامىء الذي يتوقع وجود ماء يطفىء به ظمأه فلا يجد ما يرويه وإنما يجد المفاجأة التي لم تخطر له على بال هكذا سار المثل .

إن الشهادة نور يتلألأ على جبين الشهداء ، وخير طريق يسلكونه الى الجنة ويلقون رضا الله وحسن جزائه يقول الله سبحانه: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾. والكفر ظلمة تحول دون وصول نور الله إلى القلوب: **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .**

وانظر اكرام الله سبحانه للشهداء والمفهوم من الآية الكريمة فهؤلاء قوم قتلوا في سبيل الله ، وجادوا بأرواحهم بتجرد وصدق فرحين بما آتاهم الله من فضله مشغولين بمن وراءهم من المؤمنين يتمنون لهم رضوان الله وثوابه فكأنهم لم ينفصلوا عن إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم مستبشرين بما يدخره الله لهم من خير فقد استجابوا لله والرسول ، ولبوا نداءه .

هذا والمسيحي الذي مات في حرب مع المسلمين لم تتوفر له هذه المكارم ولن تتوفر ما دام ذلك ليس له أساس من الايمان بالله وبرسوله لأن الشيطان يخوف أولياءه فهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، لأنهم آثروا الكفر على الايمان وتركوا الحق واتبعوا الباطل فكيف يتشرفون بالشهادة وبما لها من مآثر طيبة على المؤمنين . فالشهيد إذاً من لقى الله مجاهدا في سبيله ملتزما بتعاليم ربه باذلا ماله أو نفسه بكل سخاء وبعطاء كامل .

وكتب السيد/يحيى اسماعيل ابراهيم شركة القاهرة للبويات يقول :

لاحظت في بيان مواقيت الصلاة المنشور بالمجلة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت في صفحة الزمن الغروبي (العربي) انكم لم تذكروا وقت صلاة المغرب كما هو حاصل في القسم الخاص بالزمن الزوالي (الافرنجي) فما هو السبب ، فليس من المعقول أنه لا توجد عندكم صلاة مغرب !! أرجو الافادة :

ياسيد يحيى .. صلاة المغرب في التوقيت العربي الساعة ١٢ تماما دائما ، صيفا وشتاء ، لا تزيد ولا تنقص لهذا لم تذكر للتأكد من معرفة المسلمين بها طوال مختلف العصور والأزمان . (وفي بداية إخراجنا لهذه المواقيت كنا نضع عبارة « والمغرب الساعة ١٢ دائما » ولما طال بها العهد رفعناها من توقيتنا .

مع صحافة العالم

جولة افريقية لوكيل وزارة الأوقاف
وكيل الوزارة يدعو الى زيادة المساعدات لمسلمى افريقيا

قام السيد محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بجولة في عدد من الدول العربية والافريقية وقد استهدفت هذه الجولة تعزيز العلاقات الاسلامية بين الكويت وهذه الدول والبحث في أوجه التعاون المشترك . كما تفقد المشروعات الاسلامية التي يجرى انشاؤها في هذه الدول وقد شملت الزيارة كلا من السودان وكينيا وأوغندا وجزر القمر وسوريا واستمرت عشرين يوما .

وحول زيارته للسودان يقول السيد وكيل الوزارة إنه حضر اجتماعات المركز الاسلامي الافريقي ممثلا لدولة الكويت التي كانت لها الرئاسة في هذه الدورة وتم انجاز عدد كبير من المسائل المدرجة على جدول أعمال هذه الدورة وتم رصد اعتمادات لاستكمال مباني المركز والتي تبلغ جملتها ٤ ملايين جنيه سوداني كما تم اختيار الطلاب المرشحين للدراسة بالمعهد التابع للمركز وعددهم في الدورة الجديدة ٨٢ طالبا تم اختيارهم في مختلف الدول الافريقية ويذكر أن المركز الاسلامي الافريقي بالسودان يدخل ضمن نشاطه إعداد الدعاة المسلمين الافريقيين ليقوموا بالدعوة للدين الحنيف في بلادهم وتثقيف المسلمين هناك بأمور دينهم .

وعن زيارته للدول الافريقية يقول السيد محمد ناصر الحمضان انه التقى بالمسئولين في الوزارات والهيئات الاسلامية هناك وبحث معهم زيادة التعاون بين هذه الدول والكويت في المجال الاسلامي كما اطلع على نشاط الجمعيات الاسلامية هناك وتفقد المشروعات الاسلامية التي تقوم بها الكويت أو تشارك فيها في هذه المنطقة وأشاد بجهود الدول العربية والاسلامية الأخرى التي تبذل مع الكويت جهدا كبيرا في امداد هذه المناطق بالامكانيات البشرية والمادية لاحياء الدعوة ودعم المد الاسلامي هناك بالاضافة الى اقامة عدد من المساجد والمستشفيات والمجمعات لخدمة المسلمين ، وقد جرى تفقد تلك المشروعات وأثنى السيد وكيل الوزارة على الجهود المحلية والاسلامية التي تبذل فيها ودعا وكيل وزارة الأوقاف الدول العربية والاسلامية القادرة الى مد يد العون والمساعدة الى الاخوة المسلمين في افريقيا والتوسع في انشاء مزيد من المشروعات الاسلامية والخدمات في هذه المنطقة من أجل تنمية الوعي الديني لدى المسلمين هناك ومواجهة خطر التبشير الذي تزداد حدته يوما بعد يوم .

مؤتمر وزراء الأوقاف والشئـون الاسلامية يؤكد على الحقـوق العربيــة في فلسطين

دعـا مؤتمـر وزراء الأوقـاف والشئون الاسلامية الذي عقد مؤخرا في مكة المكرمة كافة الدول العربية والاسلامية للعمل على تحرير كامل التراب الفلسطيني ورفض عملية الصلح مع العدو وأعلن أنه لا يجوز التنازل عن السيادة العربية لمدينة القدس .

وقد جاء في توصيات المؤتمر حول مسألة القدس :

١) اعتبـار تحريـر المقدسـات الاسلامية في فلسطين المحتلة واجبا اسلاميا يقع على عاتق كل مسلم وذلك ببذل الأموال والأنفس .

٢) تأكيد مقـررات مؤتمـر القمـة الاسلامي الذي عقد في لاهور باعتبار فلسطين أرضا عربية تخص أهلها الشرعيين وأنه ليس من حق أي جهة أن تتنازل عن شبر واحد منها .

٣) العمل على تعبئة الشباب المسلم عامة وشباب فلسطين خاصة للجهاد ضد المحتل الغاصب .

٤) دعم صندوق القدس وتقديم منح دراسية لأبناء فلسطين المحتلـة في المدارس والجامعات الاسلامية وابراز القضية الفلسطينية في مناهج التعليم بمختلف مراحله .

ـ الأوقاف تستنكر أحداث تشاد ـ

استنكر مصدر مسئـول بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية المذابح التي يتعرض لها المسلمون في تشاد وقال : اننا ندين كل اعتداء يقع على المسلمين في أية بقعة من بقاع العالم وان ما يجرى في تشاد حاليا لا يقره أي مسلم ، وأعرب المصدر عن أمله في أن تقـوم الحكومـات الاسلاميـة والمجتمع العالمي بالتدخـل لوقـف المذابح التي يتعرض لها المسلمون هناك .

ـ تحريـم المسـاس بالديـن الاسلامي ـ في الامارات

صدر في دولة الامارات العربيـة المتحدة قانون الجرائم الماسة بالدين الاسلامي والـذي يتضمـن حظـر مناهضة أو تجريح الأسس والتعاليم التي يقوم عليها الاسلام أو التبشير بغيره أو الدعوة الى مذهب أو فكرة أو تحبيذ أو ترويج الى غير الاسلام ، ويعاقب بالسجن لمدة تتراوح ما بين ٣ ـ ١٠ سنوات كل من يخالف ذلك تزيد الى ١٥ سنة اذا استعملت القوة أو التهديد أو كان استعمال القوة أو التهديد ملحوظـا في ارتـكاب تلك الأفعال .

ـ انشاء مؤسسات للطواف والسياحة الدينية في المملكة العربية السعودية ـ

تجرى الآن دراسة بالمملكة العربية السعودية لاستحداث نظام جديد يحل محل نظام المطوفين الحالي الذي يقوم على الجهود الفردية وذلك بتكوين مؤسسات للطواف وشئون الحج ويهدف هذا النظام الجديد الى تيسير أداء الخدمات للحجاج في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والتخلص من المشاكل التي تحدث نتيجة الاعتماد على نظام المطوفين الحالي .

من جهة أخرى قررت الحكومة انشاء معاهد للتدريب على أعمال السياحة الدينية لتخريج أجيال جديدة من المرشدين السياحيين للاعتماد عليهم في تكوين مؤسسات الطوافه المزمع انشاؤها حسب النظام الجديد .

ترجمة القرآن بها تحريف للنصوص ومغالطات في العرض ، وظلم للألفاظ

يتحدث هذا المقال الذي نشر في مجلة « الهداية » البحرانية عن ترجمة معاني القرآن الكريم والأخطاء التي تحتويها هذه الترجمات سواء عن عمد أو بغير عمد ، ويقدم الكاتب عدة أمثلة عن هذه الترجمات ، والعقبات التي تقف في طريق علاج هذا الأمر ، وقد اقتطفنا من المقال هذه الفقرات :

ترجمة القرآن :

في العقد الثالث من هذا القرن دار نقاش حاد بين جماعتين من علماء المسلمين حول ما سمي بـ « ترجمة القرآن الكريم » من اللغة العربية الى اللغات الاخرى ـ وما يزال رنين هذا الخلاف حتى يومنا هذا وما يزال يدرس في بعض دور العلم حتى هذه الساعة ... وكشأن كثير من الخلافات ... وبعد أن هدأت المعركة وخفت حدة الانفعالات لاح في الأفق من يقول ان الخلاف لفظي ... فالفريق الذي منع الترجمة وحكم بتحريمها ظن أن الترجمة للفظ القرآن الكريم وهو كلام الله عز وجل ، ولا خلاف في أن ذلك فوق مستوى البشر ... والفريق الذي أجاز ودافع قال ان الترجمة للمعنى لا للفظ ... بناء على أن الترجمة اللفظية كلمة بكلمة من لغة الى أخرى لأي تعبير كان من غير الممكن ... ولا تزيد الترجمة في الواقع عن محاولة لأداء المعنى المراد باللغة الأخرى الى من لا يفهم لغة النص المترجم وليس هناك من يمنع ذلك أذا ترتب عليه نفع للمسلمين . كما أثير في هذا المجال ماورد من أن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أجاز ترجمة الفاتحة الى اللغة

الفارسية .
ونحن هنا لسنا في مجال اثارة هذا الخلاف من جديد ولا لترجيح رأي على الآخر فالخلاف يجدي ويثمر اذا كان ما يدور الجدل حوله ما يزال فكرة .. ولكن ليس من المبالغة أن نقول انه ما من لغة مكتوبة اليوم إلا وبها ترجمة للقرآن الكريم ... ومن هنا لم تعد القضية هي هل تجوز الترجمة أو نمنعها ؟ اذ ليس في الامكان منعها ... فقد غمرت الأسواق بالترجمات وزاد عددها عما كان متخيلا ... ولكن السؤال الذي يواجه الأزهر في أيامنا هذه لا يدور حول جواز الترجمة أو منعها ... وانما الذي يحدث من حين لآخر ان يتلقى الأزهر من بعض المسلمين ترجمة مطبوعة للقرآن يرجون فيها الأزهر فحصها والافادة عما اذا كانت الترجمة صحيحة أو غير صحيحة ... وقد يسألون أي التراجم الموجودة في السوق في لغة معينة أصح من غيرها ... وتكون الاجابة على هذه الاسئلة عسيرة وذلك في اللغات التي يوجد بالازهر من يعرفها لأن الأمر يتطلب فاحصا يجيد العربية واللغة المترجم اليها القرآن ... وأن يكون عنده من الثقافة الاسلامية الأصيلة ما يمكنه من الحكم على ما تؤديه الترجمة من معنى يتفق مع المعايير الاسلامية الصحيحة في اللغة التي ترجم النص اليها والازهر جد فقير في هذا المجال .
اما بالنسبة للغات التي لا تدرس في الجامعات الاسلامية وأولها الازهر فان العسر في الاجابة على السؤال المطلوب ينقلب الى استحالة وما زلت أذكر ترجمتين وردتا للازهر احداهما باللغة اليابانية والثانية باللغة الامهرية واستحال على الازهر أن يجد من يعطيه الجواب ... والامر ما يزال هكذا حتى يومنا هذا ..
هذه المواقف تتراوح بين الاستحالة والعسر في أمر حيوي بالنسبة لنا كدعاة للاسلام ... وما تسببه من متاعب لكثير من المسلمين وغير المسلمين في البلاد الأجنبية وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا بسبب تعدد الترجمات لكتاب الله الكريم ، كل نلك كان سببا في وضوح الرؤية واستكشاف الأخطار التي يتعرض لها كثير من الراغبين في فهم الاسلام ممن لا يعرفون لغة القرآن الكريم وقد قمت بجمع عدد الترجمات في اللغة الانجليزية وقارنت بينها بغية الوصول الى اقربها مما نحب أن يكون في متناول الباحثين والدارسين فننصح به ... وحصلت على اكثر من ٨ ترجمات ..

ترجمات مشبوهة

وباستعراض سريع لهذه الترجمات نجد اخطارا كبيرة تهدد كتاب الله فترجمة رودول حاول فيها ان تكون حرفية وكرر مرات بأن القرآن من تأليف النبي بخلاف الكثير من المغالطات بالنسبة لجمع القرآن وترتيب سوره وجعله اساسا للترتيب الزمني في كتابه ... وحاول رودول

ومرجليوت الادعاء بأن الرسول الكريم استقى القرآن من الاحاديث اليهودية والنصرانية اما ترجمة محمد مرماديوك وهو انجليزي مسيحي عاش في الهند ثم اعتنق الاسلام ... والقرآن في رأيه لا يمكن أن يترجم وأن ما قام به عبارة عن محاولة يقدم فيها معاني القرآن وقد هاجمه بعنف بعض الدارسين المسلمين ... أما ترجمة عبدالله يوسف علي وهو هندي مسلم فقد جاء في مقدمة كتابه ان الذي اقدمه هو تفسير باللغة الانجليزية باعطاء احسن التفسيرات والمعنى الكامل ويعلل ضرورة الترجمة بأن أمل كل مسلم أن يقرأ القرآن ويفهمه بلغته القومية ... وتعتبر هذه الترجمة احسن الترجمات لأن الذي قام بها عالم مسلم وهي خالية من الانحرافات ... ورغم نلك ففيها الكثير مما يؤخذ على صاحبها في طريقة الترجمة وبعض تعليقاته .

وظهرت ثلاثة كتب لترجمة القرآن ولها اتجاه مشترك فأصحابها جميعا من اتباع مرزا غلام محمد القادياني ويسمونه جميعا المسيح الموعود ، ولهذه الجماعة نشاط واسع في اوروبا وآسيا وافريقيا ... وخطورة هؤلاء على الاسلام أنهم يعطون صورة براقة عن حبهم لكتاب الله وأنهم يقدسونه وفي نفس الوقت يستخدمون آياته في ترويج مفترياتهم وفي نشر معتقداتهم بتفسيرها بما لا يتفق مع مقتضيات اللغة وما يخالف ما اجمع المسلمون عليه ... وقد وضع المؤلفون لهذه الكتب مقدمات بها الكثير من معتقداتهم كما وضعوا زيادات في كلام الله تعبر عن آرائهم .

التصدي لهذا الخطر

هذه جولة سريعة في كتب يقرؤها الناس على انها القرآن وشرح آياته بعضها لغير المسلمين وأمرهم واضح فيما يكتبون من مغالطات والحذر مما يقولون يكاد يكون من طبيعة المسلم ... والبعض الآخر مؤلفوها مسلمون في نظر كثير من القراء ويروجون لأفكار جماعة انحرفت عن الطريق السوي ولهم نشاط واسع في قارات الارض باسم الاسلام والعمل على نشره ... وهذا يوجب علينا نحن رجال الازهر ومجمع البحوث الاسلامية وعلماء المسلمين أن نتصدى لهذا الخطر بنفس السلاح الذي يستخدمونه في الكيد للاسلام وهو سلاح العلم والمقارنة والعرض الواضح لكشف ما في كتبهم من أباطيل .

لا بد أن يقوم الازهر بهذا العمل ... لهذا أقترح ان يتبنى مجمع البحوث الاسلامية ممثلا للأزهر العمل على دراسة الترجمات المختلفة في اللغة الانجليزية تمهيدا لاصدار ترجمة شاملة تجمع محاسن الموجود وتستبعد الاخطاء وتكمل النقص وتعرض للقراء معاني القرآن الكريم في أسلوب واضح صحيح وأن يجند لهذا العمل كل من له دراية كافية بالثقافة الاسلامية بحيث يستطيع أن يميز الصحيح من الخطأ .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامـر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجـلاء .

السودان : الخرطـوم ـ دار التوزيـع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيـا : طرابلس ـ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .

المغـرب : الدار البيضـاء ـ الشركـة الشريفة للتوزيـع .

تونـس : الشركـة التونسـية للتوزيـع .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جـدة : مكتبـة مكـة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ـ ص.ب : (٧٦)
الطائـف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جـدة
المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـياء .

مسـقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحريـن : دار الهلال .

قطـر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبـي : مكتبة دبـي .

الكويـت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الآخرة	ابريل	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	٢٨	٩ ٢٢	١٠ ٤٧	٥ ٢٤	٨ ٥٩	١ ٢٢	٣ ٤٤	٥ ٩	١١ ٤٦	٣ ٢١	٦ ٢٢	٧ ٤٥
الأحد	٢	٢٩	٢٠	٤٥	٢٣	٥٨	٢٢	٤٢	٨	٤٥	٢١	٢٣	٤٦
الاثنين	٣	٣٠	١٨	٤٣	٢٢	٥٧	٢٢	٤١	٧	٤٥	٢١	٢٤	٤٧
الثلاثاء	٤	مايو	١٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٣	٤٠	٦	٤٥	٢١	٢٤	٤٧
الأربعاء	٥	٢	١٤	٤٠	٢٠	٥٦	٢٣	٣٩	٥	٤٥	٢١	٢٥	٤٨
الخميس	٦	٣	١٢	٣٩	١٩	٥٥	٢٣	٣٨	٥	٤٥	٢١	٢٦	٤٩
الجمعة	٧	٤	١١	٣٨	١٩	٥٥	٢٤	٣٧	٤	٤٥	٢١	٢٦	٥٠
السبت	٨	٥	٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٤	٣٦	٣	٤٥	٢٠	٢٧	٥١
الأحد	٩	٦	٨	٣٥	١٨	٥٣	٢٤	٣٥	٢	٤٥	٢٠	٢٧	٥٢
الاثنين	١٠	٧	٦	٣٣	١٧	٥٢	٢٥	٣٤	١	٤٥	٢٠	٢٨	٥٣
الثلاثاء	١١	٨	٤	٣٢	١٦	٥١	٢٥	٣٣	١	٤٤	٢٠	٢٩	٥٤
الأربعاء	١٢	٩	٣	٣١	١٦	٥١	٢٥	٣٢	٠٠	٤٤	٢٠	٢٩	٥٤
الخميس	١٣	١٠	١	٢٩	١٥	٥٠	٢٥	٣١	٤ ٥٩	٤٤	٢٠	٣٠	٥٥
الجمعة	١٤	١١	٨ ٥٩	٢٧	١٤	٤٩	٢٥	٣٠	٥٨	٤٤	٢٠	٣١	٥٦
السبت	١٥	١٢	٥٨	٢٦	١٣	٤٩	٢٦	٢٩	٥٨	٤٤	٢٠	٣١	٥٧
الأحد	١٦	١٣	٥٦	٢٥	١٣	٤٨	٢٦	٢٨	٥٧	٤٤	٢٠	٣٢	٥٨
الاثنين	١٧	١٤	٥٥	٢٤	١٢	٤٨	٢٦	٢٧	٥٦	٤٤	٢٠	٣٢	٥٩
الثلاثاء	١٨	١٥	٥٣	٢٣	١٢	٤٧	٢٦	٢٦	٥٦	٤٤	٢٠	٣٣	٨ ٠٠
الأربعاء	١٩	١٦	٥١	٢٢	١١	٤٦	٢٧	٢٥	٥٥	٤٤	٢٠	٣٤	١
الخميس	٢٠	١٧	٥٠	٢١	١١	٤٦	٢٧	٢٥	٥٥	٤٤	٢٠	٣٤	١
الجمعة	٢١	١٨	٤٩	١٩	١٠	٤٥	٢٧	٢٤	٥٤	٤٤	٢٠	٣٥	٢
السبت	٢٢	١٩	٤٧	١٨	٩	٤٤	٢٧	٢٣	٥٤	٤٤	٢٠	٣٦	٣
الأحد	٢٣	٢٠	٤٦	١٧	٩	٤٤	٢٨	٢٢	٥٣	٤٤	٢٠	٣٦	٤
الاثنين	٢٤	٢١	٤٥	١٦	٨	٤٣	٢٨	٢٢	٥٣	٤٤	٢٠	٣٧	٥
الثلاثاء	٢٥	٢٢	٤٤	١٥	٨	٤٣	٢٨	٢١	٥٢	٤٥	٢٠	٣٧	٦
الأربعاء	٢٦	٢٣	٤٣	١٤	٧	٤٢	٢٨	٢٠	٥٢	٤٥	٢٠	٣٨	٦
الخميس	٢٧	٢٤	٤٢	١٣	٧	٤٢	٢٩	١٩	٥١	٤٥	٢٠	٣٨	٧
الجمعة	٢٨	٢٥	٤٠	١٢	٦	٤١	٢٩	١٩	٥١	٤٥	٢٠	٣٩	٨
السبت	٢٩	٢٦	٣٨	١١	٦	٤٠	٢٩	١٨	٥١	٤٥	٢٠	٤٠	٩

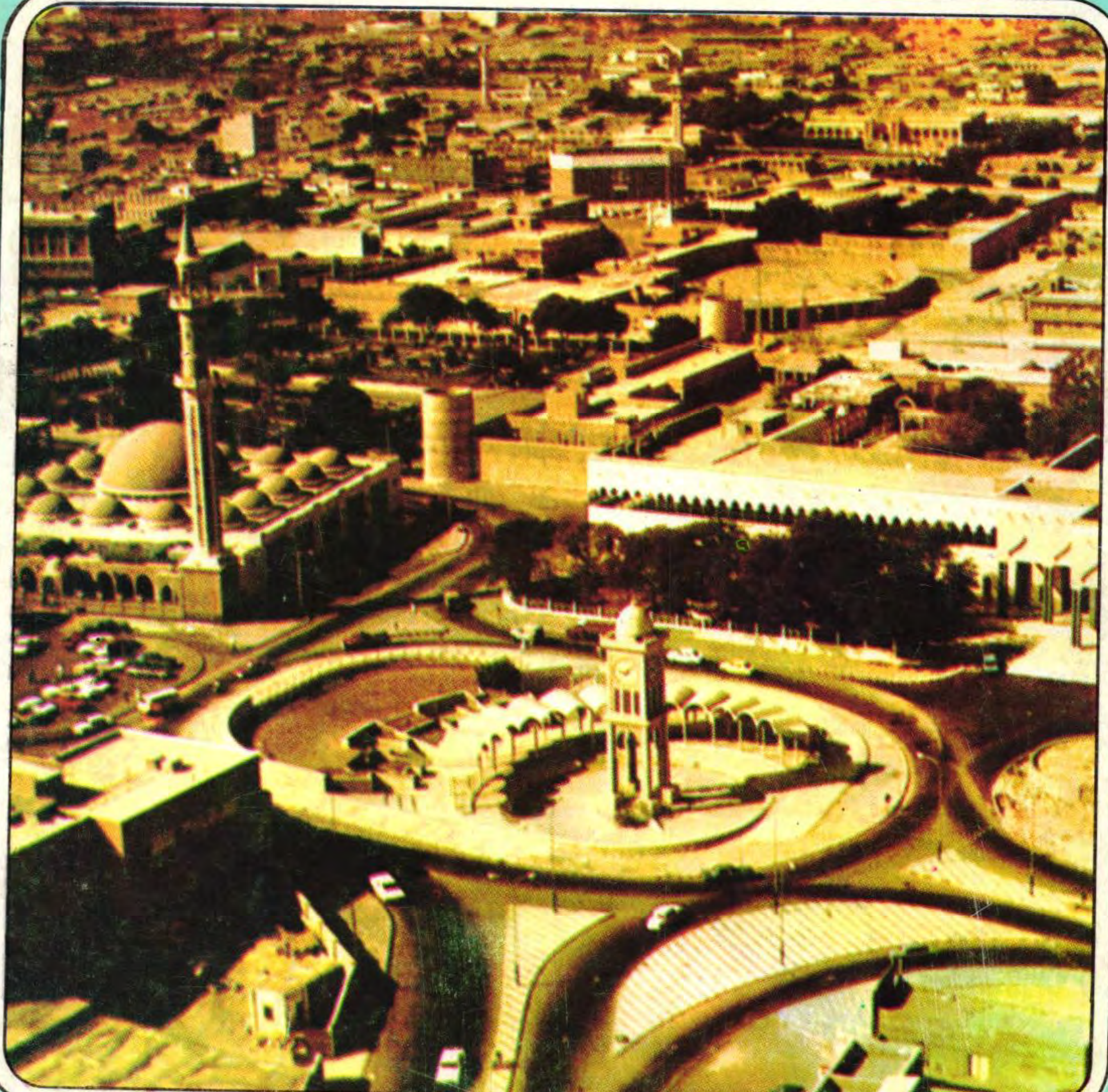
طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٥ ○ رجب ١٣٩٩ هـ ○ مايو ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

منظر جوي لمدينة الدوحة وبرج الساعة ويبدو في الصورة مسجد الدولة الكبير بمئذنتـه العاليـة وقبته الوسطى التي تحيط بهـا اثنتا عشرة قبة صغيرة .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٥ ○ رجب ١٣٩٩ هـ ○ مايو ١٩٧٩ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطـر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغـرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

مبدأ .. ونهاية

من المسجد الحرام .. إلى المسجد الأقصى .. وذلك إعلان عن مبدأ الرحلة العظيمة ، ومنتهاها .. رحلة (الاسراء والمعراج) وقد سجل الله تعالى هذا الاعلان في القرآن الكريم ، وفي أول سورة (الاسراء) حيث قال عز من قائل :

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) .

والرحلة من المسجد الحرام ، إلى المسجد الأقصى ، رحلة مقدرة من الله ، مرسومة بارادته ، مختارة على وفق الحكمة العليا ، والمشيئة الغالبة ، فقد بدئت من المسجد الحرام ، وهو يقع بمكة المكرمة ، البلد الأمين ، الذي أقسم الله به لشرفه ، وسمو مكانته ، فقال جل شأنه : (وهذا البلد الأمين) وهو البلد الطيب الذي نشأ محمد صلى الله عليه وسلم تحت سمائه ، ودرج على أرضه ، وعلى هذه الأرض الآمنة المباركة ، نهض المسجد الحرام ـ فكان منارة التوحيد التي أرسلت أشعتها الهادية ، تبدد من حولها ظلمات الوثنية الضالة ، والشرك الغاشم ـ وهو أول مسجد بني في الأرض ، وأول بيت وضع للناس ليكون مثابة لهم وأمنا ، بناه شيخ الأنبياء إبراهيم ، وابنه اسماعيل ، عليهما الصلاة والسلام : (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) وأذن خليل الله في الناس بأمر الله ، يدعوهم الى حج هذا البيت ، ليكون رمزا خالدا لكلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، فالناس جميعا ، على اختلاف ألوانهم وأوطانهم ، يستقبلون جهة واحدة ، هى الكعبة المشرفة ، ويعبدون ربا واحدا ، ويتبعون نبيا واحدا ، ويعتصمون بكتاب واحد ، هو القرآن الكريم ، حبل الله المتين .

وكانت نهاية الرحلة ، المسجد الأقصى ، بمدينة القدس من أرض

فلسطين ـ رد الله غربتها ، وأعاد اليها عزتها وكرامتها ـ.
ولبيت المقدس مكانة في الاسلام عالية ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وأحد المساجد التي لا تشد الرحال إلا اليها ، فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى).
وهو ثاني مسجد بني في الأرض ، بناه يعقوب ، ثم جدده داود ، وأتمه سليمان ، عليهم الصلاة والسلام ، فقد أخرج الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه قال : (قلت يارسول الله ، أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : (المسجد الحرام) ، قلت : ثم أي ؟ قال : (المسجد الأقصى) قلت : وكم بينهما ؟ قال : (أربعون عاما) والصلاة فيه ، يضاعفها الله . أضعافا كثيرة ، فقد أخرج الطبراني باسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة).
وقد سجل القرآن الكريم في أول سورة (الاسراء) اسم هذا المسجد العظيم محفوفا بالبركة ، تفيض عليه وعلى البقعة التي تحيط به ، وتمنح العالمين خيرا وبرا ، وسماه الله تعالى المسجد الأقصى ، لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، ولعله ـ سبحانه ـ اختاره ، ليكون إليه مسرى رسولنا الكريم ، وليكون نقطة انطلاقه الى السماء ، في معراجه إلى سدرة المنتهى ، فيصبح بذلك أمانة غالية في عنق المسلمين جميعا ، تحمل أطيب الذكريات وأغلاها ، وعليهم ـ على امتداد تاريخهم وتعاقب أجيالهم ـ أن يحوطوها بالرعاية والوفاء ، ويفتدوها بالنفس والنفيس ، وأن يقدموا أرواحهم رخيصة في الحفاظ عليها ، واستخلاص هذا المسجد الذي بارك الله حوله ، من المحنة التي أحاطت به ، ونزلت بساحته ، ولا عذر لهم يوم يلقون ربهم ، ان تهاونوا ، أو تخاذلوا ، أو وهنوا وهم الأعلون ، أو اثاقلوا إلى الأرض ، وهم خير أمة أخرجت للناس .
اللهم نفحة منك ، تحرك الارادة ، وتثير الهمم ، وتبعث العزائم ، وتعيد للصف الاسلامي والعربي ، وحدته واستقامته .
اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . وهئ لنا من أمرنا رشدا .

رئيس التحرير

مناهج في تفسير القرآن الكريم

١

القرآن الكريم :

القرآن كتاب الاسلام الخالد ، وحقيقته المعجزة ، نزل به الروح الامين على النبى الكريم في ثلاثة وعشرين عاما هي مدة الرسالة ، وكان القرآن روحا وحياة وقوة دافعة ، وهداية مرشدة ، ووحيا إلهيا ، وتعليما سماويا استطاع أن يمنح المؤمنين الهداية والرشاد ، وأن يؤلف بينهم وأن يهذب نفوسهم ، وأن يجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

وقد كانت الآيات تنزل من القرآن فيتسابق المسلمون الى العمل بها قبل حفظها . كان القرآن سلوكا عمليا ، وممارسة تطبيقية في شئون الحياة ، وقد سئلت عائشة عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن ». رواه البخاري .

وقد فهم المسلمون القرآن على أنه روح وحياة وأهداف ومثل عليا ، قال تعالى : (**وكذلك أوحينا إليك روحا**

للدكتور : عبدالله محمود شحاته

من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) الشورى/٥٢ ، ٥٣ .

أخذ المسلمون القرآن على أنه وحي الله وتعاليم السماء وهداية البشر ، فأستلهموا روحه ، وفهموا أسراره ، ونفذوا أوامره ، وساروا على نهجه ، واستنبطوا أحكامه ، واقتبسوا حكمته .

قال عمر رضى الله عنه : « لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله ».

ثم خلف من بعدهم خلف أقبلوا على دراسة القرآن من ناحية البلاغة والبيان والنحو والصرف ، ثم أحصوا عدد حروفه وكلماته وآياته ، وأحصوا عدد ألفات القرآن ، وعدد حروف الباء والتاء والثاء .. الخ ، وعدد تكرارها في القرآن الكريم . وهنا نلمح السر في تأخر المسلمين في هذا الزمن رغم وفرة المصاحف في أيديهم ، ووجود ملايين الحفاظ بين ظهرانيهم ، ووفرة الدراسات المتعلقة بالقرآن عندهم ، وعلى الرغم من كثرة عددهم واتساع بلادهم ، في حين أن سلفنا الصالح نجحوا بهذا القرآن نجاحا مدهشا ، كان ومازال موضع إعجاب التاريخ والمؤرخين . مع أن أسلافنا أولئك كانوا في قلة من العدد ، وضيق من الأرض ، وخشونة من العيش ، ومع أن نسخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم ، ومع أن حفاظه لم يكونوا بهذه الكثرة الغامرة .

أجل ، إن السر في ذلك هو أنهم توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هدايته ، يستعينون على هذه الثقافة العليا بمواهبهم الفطرية ، وملكاتهم السليمة العربية من ناحية ، وبما يشرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبينه لهم بأقواله وأعماله وأخلاقه ، وسائر أحواله من ناحية أخرى .

وعلى ذلك كان همهم الأول هو القرآن ، يتلونه ويفهمونه ويترسمون خطاه ، وبهذا صفت أرواحهم وطهرت نفوسهم وعظمت آثارهم ، لأن الروح الانساني هو أقوى شيء في هذا الوجود ، فمتى صفى وتهذب ، وحسن توجيهه وتعليمه أتى بالعجب العجاب .

وكذلك أتت الأمة الاسلامية بالعجائب في الهداية والارشاد ، وانقاذ العالم وإصلاح البشر ، وكتب الله لهم النصر والتأييد ، حتى على أقوى الدول المعادية لدعوة الحق والاصلاح في ذلك العهد ، دولة الفرس

في الشرق ، ودولة الرومان في الغرب .

أما غالب المسلمين اليوم فقد اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها ، وأنغام يحلو لهم الترنم بها في المآتم والمقابر والدور ، وبمصاحف يحملونها أو يودعونها بركة في البيوت ، ونسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هى في تدبره وتفهمه ، وفي الجلوس إليه والاستفادة من آدابه وهديه ، ثم في الوقوف عند أوامره ومراميه ، والبعد عن مساخطه ونواهيه ، قال تعالى : **(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)** ص/٢٩ .

لقد كان العرب بالقرآن شيئا عجبا ، أمة أمية متخلفة متدابرة يبعث فيها نبى من بينها ، فتحيا به نفوسهم ، وتعلو هممهم ، ويرشدهم القرآن الى الانتفاع بقوى الكون ومنافعه ، ويبين لهم أن الله خلق لهم ما في الأرض جميعا ، وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار ، والأرض والفضاء وكان من وراء نلك أن مهروا في العلوم والفنون والصناعات ، كما مهروا في الأخلاق والآداب والاصلاح والرشاد ، ووصلوا إلى غاية بزوا فيها كل أمم الدنيا ، حتى قال بعض فلاسفة الغرب في كتابه : « تطور الأمم » ما نصه : « إن ملكة الفنون لا تستحكم في أمة من الأمم إلا في ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيل الاستقلال ، وشذ العرب فاستحكمت فيهم ملكة الفنون في جيل واحد ».

تفسير القرآن :

التفسير في اللغة : الايضاح والتبيين .

وفي الاصطلاح : علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، ومنسوخها وناسخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفصلها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها .

التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

الرسول صلى الله عليه وسلم أول مفسر للقرآن ، فقد نزل القرآن بلسان العرب وعلى أساليب بيانهم ، وكان القوم عربا خلصا ، فكانوا يفهمونه ويدركون أحكامه وأهدافه ، وإذا غمض عليهم لفظ أو أشكل عليهم معنى لجأوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوضحه لهم ويبينه . فمن نلك مارواه أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)** الأنعام/٨٢ . شق نلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه ؟ ، قال : إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : إن الشرك لظلم عظيم ؟ إنما هو الشرك .

وفي صحيح البخاري كتابان هما : كتاب تفسير القرآن ، وكتاب

فضائل القرآن ، يشغلان حيزا واضحا من الكتاب ، ربما كان نحو الثمن منه .

التفسير في عهد الصحابة والتابعين :

لم يدون التفسير في عهد الصحابة لقرب العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقلة الاختلاف ، والتمكن من الرجوع الى الثقات .

فلما انقضى عصر الصحابة أو كاد ، وصار الأمر إلى تابعيهم ، انتشر الاسلام واتسعت أمصاره وتفرقت الصحابة في الأقطار وحدثت الفتن واختلفت الآراء ، وكثرت الفتاوى والرجوع إلى الكبراء ، فأخذوا في تدوين الحديث والفقه والتفسير وعلوم القرآن .

تدوين التفسير :

في عهد التابعين بدأ تدوين التفسير والتصنيف فيه ، وأول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبير كما نسب تدوين التفسير إلى مجاهد ، قال ابن أبى مليكة « رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول ابن عباس : اكتب . قال : حتى سأله عن التفسير كله ».

مدارس التفسير :

نشأت مدارس التفسير بمكة والمدينة والعراق ، وتميز الحجاز بلزوم التفسير بالمأثور ، كما تميز العراق بالتفسير بالمعقول ، ونشأ اتجاهان في تفسير القرآن استمرا إلى يومنا هذا ، هما التفسير بالأثر والتفسير بالرأي .

ونشأت مساجلات حول تفضيل أحدهما على الآخر ، لكنا في النهاية نرى أنه لا غنى للمفسر عنهما ، إذ أن المفسر مطالب بمعرفة تاريخ التشريع وأسباب النزول ، ومعرفة المكى والمدنى والناسخ والمنسوخ ، وما أثر عن السلف في تفسير الآية ، ثم هو ملزم باستخدام العقل والرأي إذا لم يجد أثرا في الآية ، أو وجد أثرا معلولا أو مضطربا .

وقد وردت نصوص تذم التفسير بالرأى ، وتحمل على أتباعه . قال الشعبى : ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن ، والروح ، والرأى وقد أنكر هذا الفريق على المفسرين بالرأي ، ورووا حديث : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ».

وفي مقابل هؤلاء نجد فريقا آخر يرى أن الله قد تعبدنا بالنظر في القرآن ، واستنباط الأحكام منه ، قال تعالى : (**لعلمه الذين يستنبطونه منهم**) النساء/٨٣ .

وإن صح الحديث السابق فتأويله « من تكلم في القرآن بمجرد رأيه فقد أخطأ ».

قال القرطبي : « النهى عن التفسير بالرأي يحمل على وجهين : أحدهما : أن يكون له في الشئ رأي ، وإليه ميل من طبعه فيحمل تفسير الآية على هذا الرأي ، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى .

أما الوجه الثاني : فانه يتسارع

إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهاره بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن .

ومن بادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي ، والنقل والسماع لابد منهما لمن أراد التفسير أولا ليقى بهما موضع الغلط ، ثم بعد نلك ليتسع الفهم والاستنباط ».

دراسات حول القرآن :

في عصر التدوين نشأت دراسات متعددة أريد بها خدمة القرآن الكريم .

فالنحو الذي يقوم اللسان ويعصمه من الخطأ أريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن ، وعلوم البلاغة التي تبرز خصائص اللغة العربية وجمالها ، أريد بها بيان نواحي الاعجاز في القرآن ، والكشف عن أسراره الأدبية ، وتتبع مفردات اللغة والتماس شواردها وشواهدها ، وضبط ألفاظها وتحديد معانيها ، وصيانة ألفاظ القرآن ومعانيه أن تعدو عليها عوامل التحريف أو الغموض ، والتجويد والقراءات لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته ، والتفسير لبيان معانيه والكشف عن مراميه ، والفقه لاستنباط أحكامه ، والأصول لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه ، وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد وأسلوبه في الاستدلال عليها .

وقل مثل هذا في التاريخ الذى اشتغل به المسلمون تحقيقا لما أوحى به الكتاب الكريم من قصص الأنبياء وأخبار السابقين . وهكذا علوم الفلك والنجوم والطب وعلوم الحيوان والنبات والقصص والآدب ، وغير نلك من علوم الانسان ، لا يخلو علم منها أن يكون الاشتغال به – في نظر من اشتغل به من المسلمين – مقصودا به خدمة القرآن ، أو تحقيق إيحاء أوحى به القرآن .

تاريخ التفسير وتاريخ الفقه :

واذا قارنا بين تاريخ التفسير وتاريخ الفقه الاسلامي والأدوار التي مر بها كل منهما ، وجدنا تلازما وتوافقا بينهما في القوة والضعف ، فكلاهما مر بطور النشأة والنمو ، ثم النضج والكمال ، ثم التقليد والجمود ، وأخيرا جاء عصر النهضة ، ويمكن حصر هذه المراحل في خمسة أدوار على النحو الآتي :

١ – دور النشأة يمتد من البعثة المحمدية الى سنة ١٠٠هـ .

٢ – دور النضج يمتد من سنة ١٠٠ هـ الى ٣٥٠هـ .

٣ – دور بداية التقليد يمتد من سنة ٣٥٠هـ إلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ .

٤ – دور التقليد المطلق والجمود يمتد من سنة ٦٥٦هـ إلى ظهور مجلة العدلية سنة ١٢٨٦هـ .

٥ – دور اليقظة والنهضة من سنة ١٢٨٦هـ إلى الوقت الحاضر .

من وحي النبوة

الدعوة بين الأجر والوزر

للشيخ احمد عبد الواحد البسيوني

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :
« مَنْ دَعَا إلى هُدًى كانَ لَهُ من الأَجْرِ مِثْلُ أُجورِ مَن اتَّبَعَهُ ، لا يَنقُص ذلكَ من أجورِهِم شيئاً . ومن دَعَا إلى ضَلالَةٍ كانَ عَلَيهِ مِن الإثْمِ مثلُ آثامِ من اتَّبَعه لا ينقُصَ ذلكَ مِن آثامِهِم شيئاً » .
رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي

الدعوة إلى تعاليم الاسلام أمر لا بد منه ، فالفضيلة لا تتحرك في دنيا الناس إلا إذا علموا أنها امر حسن ، وأن الله تعالى أمر بها .

والرذيلة لا تتوارى ، ويختفي شبحها ، إلا إذا طاردها الناس ، حين يدركون خطرها ، ويعلمون أن الله تبارك وتعالى نهى عنها .

والنبي صلى الله عليه وسلم إمام الدعاة وقد وتهم ، قام في حياته بتبليغ كل من استطاع أن يبلغهم بلسانه ، وكتبه ، ورسله ، وفي خطبته بحجة الوداع أشهد ربه على البلاغ (ألا هل بلغت) وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب . فمن هنا وجب على المسلمين في عصورهم المتتابعة ، أن يواصلوا السيرة ويرفعوا لواء الدعوة إلى الله ، وأن يبلغوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى كل من لم تبلغه الدعوة ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد أعلى الله تعالى شأن الدعاة ، وسما بمنزلتهم فقال عز من قائل : (**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين**) فصلت ـ ٣٣ .

وقال تعالى : (**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**) يوسف ـ ١٠٨

والأمة الاسلامية ، ذات رسالة ضخمة ، هي الدعوة إلى الله . ومصيرها مرتبط بهذه الدعوة وجودا وعدما ، فان حرصت عليها ، وقامت بحقها ، والوفاء لها ، حلقت في آفاق عالية من العزة والمجد ... وإن تقاعست عنها ، وضعفت قبضتها في الامساك بزمامها ، خف ميزانها ، وكانت مهددة بأفدح الأخطار ، وأسوأ النكبات .

قال تعالى : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون**

عن المنكـــر وتؤمنون بالله) آل عمران/ ١١٠ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكـم » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

والداعي إلى الله ، يعطي مثل أجور من هداه الله على يديه ، قلوا أو كثروا ، فان بلغوا آلاف الملايين كان له مثل أجورهم ، ومن هنا يتضح ان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطي مثل أجور أتباعه إلى يوم القيامة : **(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)** المائدة ـ ٥٤ .

وقد ثبت الأجر لمن هدى الله على يديه ولو رجلا واحدا ، فقد روت السنة المطهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم ندب عليا كرم الله وجهه للخروج لدعوة الناس إلى الاسلام ، وألقى بين يديه هذه البشرى الخالدة : « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » وهذا يفتح باب الأمل أمام الدعاة ، حتى لا ييأسوا من قلة أتباعهم ففي الحديث المتفق عليه عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ؟ـ أي باتوا يخوضون ويتحدثون عمن عساه يظفر بهذا الخير ـ فلما أصبح الناس ، غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : يا رسول الله هو يشتكي عينيه ، قال : فأرسلوا اليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي رضي الله عنه : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال : أنفذ على رسلك ـ بكسر الراء وبفتحها ، والكسر أفصح ، أي على مهلك ـ حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه » ... الهدى كلمة جامعة لأنواع الخير والبر ، كالاقبال على طاعة الله ، والصدقة على الفقراء ، وإنشاء المـــدارس والمشافي ، ومحاربة الرذيلة ، والجهاد في سبيل الله ، والعمل لجمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفوفهم ، وتوجيه الشباب الى التخلق بمبادىء الاسلام والبعد بهم عن مواطن الزلل والانحراف ، والدعوة إلى الهدى تكون بالقول والعمل باللسان والقدوة الحسنة وهي واجبة على المؤمنين جميعا ، ولكن كل بقدر طاقته واتساع جهده وتدرج مسئوليته .

ومضاعفة الثواب للداعي ، لا تنقص قدر المستجيبين ، فكل مستجيب للدعوة ـ وإن كان تابعا للداعي ـ

يوفي أجره كاملا غير منقوص وهذا معنى قول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ـ : « لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » ثم يقول صلى الله عليه وسلم :

« ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه » .

والضلالة ، ضد الهدى ، وهي كل دعوة الى الجنوح عن الصراط المستقيم ، والانحراف في السلوك بالكلمة المسموعة ، أو المكتوبة ، أو بالصورة النابية ، التي تغري بالفساد ، وتحرض على الفسق والفجور .

والدعوة إلى الشر كما تكون بالقول ، وبالفعل ، تكون أيضا بالسكوت عن المنكر وتركه يستشري من غير نكير أو مقاومة ومن هنا دخل النقص على هذه الأمة كما دخل على أمم من قبلها : **(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)** المائدة/٧٨ و٧٩ .

« وفي الحديث ترغيب عظيم في الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .. وتنفير شديد من الدعوة إلى الشر ، وتزيين الباطل للناس ، وصرفهم عن الخير ، وحضهم على ارتكاب الجرائم .

وفيه حث على اتباع الداعين إلى الهدى ، لأن متبعهم ينال أجره كاملا وان كان اتباعه اثرا من آثار دعوتهم ، وتحذير من اتباع دعاة الشر ، ورسل الالحاد ، لأن متبعهم ينال جزاءه وإن كان انحرافه اثرا من آثار إغوائهم ، فوقوفهم موقف الدعاة ، وتدليسهم على الناس ، ليس عذرا لمن يتبعهم .

وبذلك يتقرر مبدأ استقلال المـــرء بتحمل تبعة عمله ، وبطلان التعلل بعوامل الخداع والاغراء ، وهو ما أشير إليه في قوله تعالى : **(وقال الشيطان لمـا قضى الأمر إن الله وعدكـم وعد الحق ووعدتكـم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم)** ابراهيم ـ ٢٢

وقوله تعالى : **(وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار . قال الذين استكبروا إنا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد)** غافر ـ ٤٧ و٤٨ .

فيجب على المسلم ألا تأخذه العزة بالاثم اذا دعى إلى خير ، وألا يغتر بتدليس دعاة الشر ، فانه مسئول أمام الله عن كل ما يقع منه ، وخيرله أن يكون دائما مع المحسنين وبعيدا عن المسيئين قال صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم إمعة : ـ أي لا رأي ولا شخصية له ـ يقول : أنا مع الناس : إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم » ـ رواه الترمذي .

الإسلام
إنه النداء الوحيد
للحق والخير والحرية والكرامة

« بالاسلام بلغ أجدادنا ذرى المجد ، وحققوا الانتصار ، وبالاسلام نحن ندرك الثأر ، ونمحو عن وجودنا وصمة العار » .

لم يعد هناك سبيل إلى إخفاء رؤوسنا في رمال الأوهام ، وإغماض عيوننا على وهم الخيالات الخادعة ، لكي نتجاهل ما حل بأمتنا من ألوان الخزى والمهانة والذل ، يوم استطاع اليهود خفض هامات الدول العربية من مشارف بغداد إلى سواحل تونس ، ومن مرابع الشام إلى جبال اليمن ، وداسوا على أعلامها وما فيها من أهلة ونجوم بنعالهم القذرة ، وهم في

للشيخ : طه الولي

طريقهم إلى بيت المقدس ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، التي دخلوها وجاسوا بشرانمهم خلالها في بضعة أيام لم تتجاوز عدتها في حساب الزمن حدود الاسبوع الواحد ..

وعلى الرغم من براعة بعض الزعماء في استخدام مفردات اللغة العربية للتعبير عما حدث بعد الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ لتبريره ، وإسدال ستار التمويه على حقيقته ، على الرغم من هذه البراعة ، فان التاريخ قد أفرد لهؤلاء الزعماء ، والشعوب التي ألقت بمقاليد أمورها إلى أيديهم الملوثة بعار الهزيمة ، وذل الفشل ، قد أفرد لهم التاريخ في جميع اللغات العالمية أبشع الصفات المشينة ، تحت أخس عناوين الخيبة والتضليل والفشل ، في معركة الأرض المقدسة التي خاضوا غمارها ضد عدو دخيل ، كانوا فيه أكثر منه عدة وعددا إلا أنه كان أكثر منهم تصميما وعزما ، فصدق فينا القول المأثور : إن هزيمتنا لم تك من قلة إذ نحن ولا شك كثيرون ، ولكن كثرة كغثاء السيل الذي يرغي ويزبد ثم يتلاشى في الماء . ورحم الله سيف الاسلام سيدنا خالد بن الوليد حين قال :

« إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان » .

أجل ، لقد كانت أيام الروع التي تعاقبت علينا بعد الخامس من حزيران ، صدمة صاعقة أيقظتنا من غفلتنا ، وفتحت عيوننا على الحقيقة الصادعة ، فوجدنا أنفسنا فجأة ، وبدون توقع ولا انتظار ، في غير المكان الذي وضعتنا فيه أقوال المتزعمين على مقدراتنا ، هذه الأقوال التي وقروا بها آذاننا ، فيما كانوا ينيعونه من مطولات الخطب ، وحشوا بهرائها أفهامنا مما كانوا يلفقونه من إدعاءات ، فلما احتكت الركاب بالركاب ، واشتجرت آلات الحرب فوق الأرض ، وعلى سطح البحر ، وفوق السحاب .. خطمتنا الأحداث الفاجعة من آنافنا التي كانت من قبل المعاطي الشماء ، وألقتنا كالثوب الخلق على قارعة الحياة ، بعيدا عما كان لنا من كرامة الانسان ، وعزة الوطن وقدسية الايمان ، لنصبح بين عشية وضحاها أوزاعا من المتهالكين في تيه التشرد والهوان . تتقاذفنا الأماني المهيضة بين عواصم العالم ، ما بين مشرق الأرض ومغربها ، لنقف متسكعين على أبواب الأمم ، دولا ومنظمات نستجدي من الغرباء عنا في

الدين والقومية والبلد ، حقا حملته عواتقنا من آبائنا سليما عزيــزا ، وأسلمناه إلى عدونا نليلا مهينا ، ويا للعيب الذي ما بعده عيب ...!!

وليس يجدينا فتيلا ، ولا يغير من واقعنا ، ما نحاوله بعد الذي أصابنا من مكروه ما نحرك فيــه لساننـــا بزخرف القول المنمق ، فوق منابــر المؤسسات الدولية ، أو ما نشرع به أقلامنا على متن أوراق باهتة ننروها تحت أنظار الناس ، محشوة بالدعاية الجوفاء في جهود يائسة ، لتبريــر فشلنا الجماعي أمام الرأي العــام العالمي ، الذي لا يمكن بحــال أن يكذب ما تراه عيونه في فلسطين ، من احتلالها بالصهيونيــين المنتصريــن ليصدق ما تسمعه آذانه من طنين المهزومين من العرب ، الذين يعيشون مشردين تحت خيام البؤس والــذل المشين ...!!

على أنه جدير بنا ، بعد هذا الذي آل إليه أمرنا من الواقــع الأليــم والخسران المبين ، أن نواجه أنفسنا بسؤال واحد صريح وهو :

لماذا انهزمنا ونحــن أصحــاب الحق ، وانتصر أعداؤنا وهم أتباع الباطل ؟.. ثم لا نجرب أن نبحث عن الجواب لهذا السؤال ، خارج نطاق أنفسنا ولا بعيدا عن حقيقة وضعنا وصميم حالنا ، ذلك أن تحديد الدواء لا يمكن أن يتم إلا بعد تحديد مصدر الــداء ، في صراحــة لا تغشاهــا مواربة ، وشجاعة لا يعروها تهرب وجرأة لا يثقلها الحياء .

فليس عيبا أن نكون ضحايا بريئة لتجربة خاطئة ، بل العيب كل العيب أن نكون ضحايا غشيمة لتجربــة فاشلة ، وأن نستمر في هذه التجربة ، بالرغم من المآسي المريرة التي فرضها علينا هذا الخطأ الذي ظهرت معالمه وآثاره ، لكل ذى عينين سليمتين ، أو كما قال الله عز وجل : **(لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد)** ق/٣٧ .

« لماذا انهزمنا ونحن أصحاب الحق وانتصر أعداؤنا وهم أتبــاع الباطل ؟.. » وإذا كنا من وراء هذا السؤال ، نتطلع إلى جواب لا يعوزه الجد ، ولا تنقصه الصراحة ، إذن فلن نحاول محاكاة الببغاء في ترديد المعاد من الخطابات البهلوانية ، التي حرص أصحابهـــا على إظهـــار « شطاراتهـــم » في اللعـــب على الألفاظ ، لالقاء شبكة من التمويه والتضليل على عقــول سامعيهــم ، تمكنهم من انتــزاع هتــاف هؤلاء المضللين (بالفتح) حرصا على ما بين أيديهم من السلطان عليهــم ، والتحكم فيهم ، ولن نحاول اجترار نفس الكلمات التي قفزت إلى أفواه هؤلاء المسؤولين فراحوا يتشدقون بها في ساعة من ساعات الدهشة التي فرضتها الطعنة النجلاء في قلب كل مسلم من أقصى الأرض إلى أقصاها يوم خمسة حزيران الأسود . ثم ما لبثوا أن تراجعوا عنها ، وأنكروها بعد حين خاسئين أو نادمين ، بعد أن هدأت أعصابهم المتوترة ، وزالــت دهشتهم العارضة .

ولا ، لن نحاول هذا ولا ذاك ، بل

إننا سنعرض عن كل ذلك لنقول بدلا منه الحقيقة التي لا مراء فيها ولا جدل . وهذه الحقيقة في نظرنا ونظر كل واقعي منصف ، هي أن قيادتنا التي أرادت الاستقلال بالعمل ، والانفراد بتحمل التبعة قد واجهت معركة المصير الحاسمة ، بأساليب أقل ما يمكن أن يقال فيها : إنها كانت تفتقر إلى روح الجد والرصانة ، وإنها كانت في الواقع خالية من أي معنى من معاني الشعور بضخامة المسؤولية التاريخية ، التي تتصدى لها حاسبة أن الانتصار على عدوان اليهود ومن وراءهم من قوى البغي والتعصب ، إنما يتم من خلال مؤتمراتهم الصحفية هنا وهناك ، أو استعراض العضلات المستعارة من حديد الاسلحة المستوردة بأثمان دفعتها شعوبهم ، على حساب غذائها وكسائها ، وفي بعض الأحيان ، دينها وعقيدتها ، عبر المقالات الناشرة في الصحف الرسمية الموجهة (بالفتح) .

وبكلمة أخرى ، يمكننا أن نقول بأعلى صوتنا وملء أفواهنا ، إن قيادتنا يوم خمسة حزيران وما تلاه ، بل وقبل هذا التاريخ المشؤوم ، كانت دون المستوى الذي تتطلبه الاحداث المحيطة بالبلاد العربية ودون مستوى الظروف القومية التي نشأت عن السرطان الصهيوني القاتل ، الذي زرعته الاحقاد الاستعمارية التاريخية في قلب هذه البلاد . فلما أن أزفت الآزفة ووقعت الواقعة ، وارتفع ضجيج النذر الحربية ، وابتدأت بالفعل حركة العدو الزنيم بالغدر اللئيم في عباب الجو ، وفوق متن التراب ، في مناورة عسكرية صاعقة .. عند ذلك أصيبت هذه القيادة بالذهول حتى درجة الخبل ، الذي عطل في أجهزتها المختلفة كل إمكانات الدفاع ، والمقاومة والصمود ، فضلا عن الهجوم الذي كانت تبني به شعوبها طيلة سنوات وسنوات ، وكان ما كان مما حصل من الهزيمة النكراء التي حاقت بنا على مختلف الجبهات الحربية عند الحدود وغيرها ، وجعلت أمتنا الجريحة ترزح ، ليس فقط تحت دبابات العدو وقنابله المدمرة ، بل تحت وطأة سخرية الشامتين وخيبة المحبين ، كما كشفت مقاتلنا أمام أولئك القوم الطغام الذين يتربصون بنا للقضاء ، في الوقت المناسب ، على ما كان يبدو علينا من بوادر اليقظة ، وملامح الانطلاق من جديد ، لاستئناف مسيرتنا الوطنية في دروب الكرامة والحرية والوحدة المنشودة !..

أمام هذه الحقيقة المخزية التي حولت جذوة حماسنا الوطني الى رماد بارد ، قد أصبح لزاما على امتنا أن ترجع الى نفسها ، وتبحث في أعماقها الصميمة عن قيادة جديدة ، جديرة بأن ترقأ من عيون بؤسائها الدموع وتمسح عن معالمها غبار الخراب ، وتضمد عن ترابها جراح الاحتلال ، ثم تسير من عظة هذا الواقع المؤلم مستوية على أقدامها ، بوحي من إيمانها بربها ، وثقتها برسالتها ،

لاستئناف وجودها على قواعد نفسية متينــة ، وأسس فكريــة سليمــة ، لتستعيد بأقرب وقت ممكن ، ما فقدته في هذه المعركة الخاسرة ، من اعتبار ومكانة بين الشعوب والأمم !..

ولكن ، كيف يكون هذا البحث عن القيادة الجديدة ؟

مرة أخرى ، نعود بالجرأة والصراحة والحزم ونقول :

بالنسبة للأمم التي أنشبت فيها الأحداث الفاجعة أظافرها السامة ، واستهلكتهــا وطــوت صفحتهــا في الغابرين ، فان هذا السؤال يبقى ، دون شك ، عالقا في الفراغ والصمت المطبق ، ومن العبث وروده في مورد الجد والتصميم .

أما بالنسبة للأمم الحية التــي تكمــن في كيانهــا روح الخلـــود والصمود ، في وجه ما يعترضها من متاعب وعقبات وعثرات ، فان هذا السؤال ، يجد فورا ما يصلح للاجابة عليه ، ذلك أن مثل هذه الأمم لا يمكن للحوادث والأحداث مهما كانت آثارها بالغة ، أن تنال مما هو كامن في ذاتها وأعماقها من جرثومة التحدي وعنصر الحياة ، وليس من شك في أن أمتنا التي صهرهــا الاســلام بحرارتــه الرسالية المبدعة ، هي من هذه الأمم الاخيرة ، كما أثبتت ذلك الظروف الكثيرة التي أناخت بكلكلها الفادح على مقد راتها ، في اكثر من مناسبة من مناسبات تطورها التاريخي منذ فجر الاسلام حتى اليوم .

وإذا نحن عدنا الى المراحل المختلفة التي مرت على الاسلام والمسلمــين خلال أربعة عشر قرنا من الزمان ، إذا نحن عدنا الى هذه المراحل ، فاننا نجد ديننــا الاسلامــي وأسلافنــا المسلمــين دائمــا أقـــوى من كل المحاولات المجرمة التي واجهتها بها قوى باطنية مخاتلــة ، وخارجيــة عاتية ، لم تدخر جهــدا من أجــل شدهما مباشرة أو من وراء ستار الى هوة الفناء السحيقة . وعبثا حاولت هذه القوى أن تبلغ غايتها منها . فلقد كان الاسلام والمسلمون دائما وأبدا ينفضان عنهما غبار الظروف العاتية التى يمران بها ، ليعــاودا اثبات وجودهما الكريم في طليعــة الأمم ، ليؤديا الرسالة الحضاريــة التقدمية التي اختارتها لهما العناية الالهية ، بكل حيوية وايمان ، وبكل ثقة واطمئنان ، بشكل أوقع الحيرة والارتباك واليأس في صفوف الاعداء والخصوم في الخارج ، والغاشمــين والمتربصين في الداخل !

إذن ، فلم يعد هناك مجال للقلق والاضطراب والتردد ، فان البحث عن جواب التحدى والعمل ، يجــب ان يدور في حدود المعاني التي كانت دائما بمثابة صمام الامان لكياننا القومي والديني في آن واحد ، وهي المعاني الرائعة التي تبدأ بالاســلام وبــه تنتهي .

فالاسلام هو القاعدة الالهية التي حمل كبرها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم لتكون أساسا صالحــا لجميع منطلقات العمل في هذا الوجود للانسانية على مختلف ألوانها ، وفي مختلف أزمانها ولم يكن هذا الأساس

في يوم من الأيام قاصرا امكاناته العظيمة على ظرف بعينه ، ولا بيئة بعينها ، ولا فترة بعينها ، وانما هو في معطياته الخلاقة التي لا حصر لها ولا حد الجواب الوحيد لما يعترض المجتمعات البشرية من العثرات ، التي تفرضها طبيعة التناقض الملازمة لهذه المجتمعات ، منذ بداية هذا الكون الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وعندما قال الله تعالى بلسان نبيه صلى الله عليه وسلم : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة/٣ إنما اراد جل شأنه أن يفهم العقلاء من عباده انه هيأ لهم بالاسلام الوسيلة الفعالة ، للخروج من مآزقهم ومتاعبهم ومشكلاتهم المستعصية الى نعمة الاستقرار والراحة والازدهار ، والعيش اللائق الكريم ، وانه لأجل هذا جعل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتمة للمصلحين الذي بلغ رسالته الخالدة لكل زمان ولكل مكان .

فالاسلام وحده هو الذى أحال بدو الجزيرة العربية من أشتات تافهة ، تتوزعهم العصبيات العشائرية الضيقة ، وتنهشهم الحروب القبلية الرخيصة ، الى وحدة قومية شاملة ، تحكم أواصرها ، **وتشد عروتها جذوة الايمان بالخالق الديان ، تغذيهم روح** الجماعة **المتماسكة تحت** راية القرآن العظيم .

والاسلام هو الذى مكن لأولئك الحفاة العراة ، رعاة الشاة والبعير والضأن ، من أن يأخذوا قياصرة الروم في الغرب ، وأكاسرة الفرس في الشرق ، من نواصيهم عنوة واقتدارا ، ليتربعوا فوق عروشهم البانخة ، في سيادة العالم ، وقيادة الحضارة الى مستقبل أفضل .

والاسلام هو الذى زلزل الأرض ، وجعلها تميد تحت أقدام الجيوش الأوروبية طوال مئتي سنة من الحروب الصليبية ، ثم جعل هذه الجيوش التي أعمى أبصارها الجشع والطمع والشره الى امتصاص الدماء وتخريب العمران ، تنكفىء خاسئة مدحورة من حيث أتت ، لم تغن عنها كثرة العدد ولا قوة العدد ، ولا جبروت أباطرتها ، ولا أحقاد رهبانها .

والاسلام هو الذى طأطأت له هامات الغزاة من البرابرة المتوحشين ، حين كبح موجتهم المرعبة ، وصد جحافلهم المفزعة عن تقويض دعائم الحضارة ، وتدمير معالمها ، ولجم « هولاكو » و « جنكيز خان » و « تيمور لنك » عن إغراق آسيا وإفريقيا وأوروبا ، بويلات الحرب المدمرة التي لولا هذا الدين وأهله كادت تجعل هذه القارات الثلاث قاعا صفصفا ، كأنها لم تغن بالأمس ، ولم تعرف الوجود ولا الحياة !

والاسلام هو الذى أخرج الاتراك العثمانيين من تحت الخيام التي لم تعرف الاستقرار وحمل جموعهم التي آمنت به على صهوات الخيول ، عبر مجاهل آسيا ، الى أن بلغ بهم أسوار فيينا ، ورفع أيديهم القوية بالرماح

المشرعة ليدقوا بأسنتها الحادة أبواب هذه المدينة ذات الأسوار المنيعة ، والأبراج الحصينة مرتــين في خلال قرنين ، وهموا بافتتاحهــا لولا أن تضافــرت عليهــم قوات الخصــوم الألداء ، بقضها وقضيضها وخيلها ورجلها ، فلما زالــت وطــأة هؤلاء العثمانيين لم تزل هيبتهم بل بقيت جاثمة بالخوف والرعب ، تعبر عن نفسها بسطور حفرها هلع الغرب ، وفزعه ، بكلمات من الصخر الأصم قدت على باب كنيسة « سان شتيفانو الكبــرى » في عاصمــة آل « هابسبورغ » في النمسا جاء فيها دعاء القارة الوجلة « اللهم احفظنا من الحريق ومن فيضان الدانوب ، ومن الأتراك » أى المسلمين .

والاسلام هو الذى حرك لســان داهية الانكليز الدهاة ، بالكلمة التي أصبحــت على الدهــر مثــلا تردده الأجيال ، جيلا بعد جيل في كل لسان لكل انسان : « لن يهزم المسلمون وفي أيديهم القرآن »!

أجل ، إن الاسلام هو وحده قد فعــل كل ذلك ، سواء في الماضي البعيد ، أم في الماضي القريب ، وهو وحده القادر على أن يكون في الحاضر والمستقبل الجواب الصحيــح ، في بحثنا عن القيادة التى نحتاجها في مواجهتنا للتحديات ، التي تجابهنا اليوم باغتصاب اليهود لأوطاننــا ، واحتلالهــم لمقدساتنــا ، وإذلالهــم لكرامتنا ، وتهديدهم لكياننا .

ولعل المسلمين اليوم ، ما يزالون ينكرون ما حصــل لاسلافهــم بالأمس ، وذلك يوم طلب سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى البطل المسلم الكبير سيدنا خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه أن يعتــزل القيــادة ، ويستمر في المعركة جنديا متواضعا تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح ــ رضي اللــه عنــه ــ وقــال قولتــه المشهورة :

« والله ما عزلت خالدا لريبة في دينه ، ولا شكا في قيادته ، ولكن خفــت أن يفتتــن به المسلمــون ، فيحسبون أنهم ينتصرون بخالــد ، وليس بالاسلام فأردت أن يعرفوا أنهم وخالدا إنما ينتصرون بالاسلام ».

أجــل ، بالاســلام تم انتصــار المسلمين من قبل . وبالاسلام سيتم انتصار المسلمين الآن وكذلك في كل آن .

واذا لم يكن بد من ختام لهذا الكلام ، فاننا نقول في صراحة لا تشوبها شائبة من التردد ، وفي ثقة لا تحمل أي معنى من معاني الشك .

إن الحل الأول لمشكلتنا الراهنة مع الاستعمار اللئيم ، والصهيونية الفاجرة ، هو الحل الأخير .. انــه الاسلام أيها المسلمون .

أو ليس قد اعلن ذلك الرســول الأعظم صلى الله عليه وسلم حين قال منذ أربعة عشر قرنا :

« إنه لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها »!

الا إن الاسلام هو النداء الوحيد للحق والخير والحرية والكرامة .. ألا ان الدين عند الله الاسلام .

رياح السّموم

في أفق المجتمع الاسلامي

للاستاذ انور الجندي

منذ بدأت سيطرة النفوذ الاستعماري الغربي على العالم الاسلامي ، حاول الفكر الغربي « الليبرالي الديمقراطي الراسمالي » أن يسيطر على المجتمع الاسلامي ، كان هذا الفكر مسيحيا كنسيا ، له جذور يونانية ومفاهيم رومانية تقوم على :

أولا : الاستعلاء بالجنس واللون والنظر إلى الشعوب الاسلامية على أنها شعوب ملونة متخلفة .

ثانيا : السيطرة الاقتصادية التي كانت تدفع النفوذ الغربي الى سرقة ثروات هذا العالم الاسلامي ومواده الخام عن طريق إعداد حكام وأمراء ووسطاء يمكنونهم من نهب هذه الثروات .

ثالثا : العمل على دوام السيطرة الاستعمارية وامتدادها وذلك بتطويع القيادات والأمة للخضوع لأسلوب العيش الغربي والتبعية للفكر الغربي .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لا بد من احتواء المجتمع الاسلامي من

خلال مفاهيمــــه الاقتصاديـــــة والسياسية والتربوية .
ولذلك فقد طرح النفوذ الأجنبي منذ اللحظة الأولى : فكرة فصل الدين عن السياسة واعــلان شأن العلمانيــة بمفهوم « اللادينية » التي تقرر اتخاذ القانون الغربي الوضعــي نظامــا للمجتمع في شؤون القضاء ونظــام الربا في نظام الاقتصـــاد والنظــام الديمقراطي الغربي في نظام السياسة والعمل على حجب الشريعة الاسلامية بكل معطياتها ومن ثم فقــد فتــح القانون الوضعي الباب واسعا أمام رياح السموم التي اجتاحت المجتمع الاسلامي « وفي مقدمتهــا الخمــر والربا والزنا » وسرعان ما تحطمت الحصانة التي كان عرفها المجتمع الاسلامي خلال قرون ثلاثة عشر متصلة منذ بزوغ الاسلام ، فلأول مرة توقفــت الحــدود والضوابـــط والقواعد والنظم الاسلامية .
وهكذا طرح في أفق المجتمع الاسلامي « أسلوب العيش الغربي » تحت اسم التحضر والمدنية والتقدم ، وارتفعت أقلام دعاة النفوذ الغربــي لتدعــو المسلمــين إلى الأخـــذ باسلـــوب « التفرنج » لأنه هو الطريق الوحيد إلى الحصــــول على الحريــــة والاستقلال ، وبينما كان المسلمون يدافعون النفوذ الأجنبي والاحتلال العسكري بكل ما يملكون من وسائل الجهاد ويستشهدون . كان زعماؤهم يقبلون اساليب الغرب في السياسة والاقتصاد والتعليم ويمكنون لها في المجتمع الاسلامي ، وعاش كرومر في مصر ربع قرن حتى تمكن من تخريج الطبقة المتفرنجة التي قبلت التعاون مع الاستعمار لتكون البديل للوجود الاستعماري السياسي ولتحمل لواء اهداف « التغريب » كاملة فلما تحقق ذلك تمامــا انسحــب الاستعمــار العسكري مطمئنا الى أنه أقام من الوطنيين من يعمل من أجل تأكيد وجود « المدنية الغربية » والحضارة لم تكن محاولة طرح أسلوب العيش الغربــي في المجتمــع الاسلامـــي باستعمـــال الوسائـل الحديثــة هو المقصود ، فان المجتمعات تستطيع انتختــارمن الأساليب المادية ما تراه صالحا لها ، ولكن الهدف كان أبعد من ذلك : كان وضــع المجتمـــع الاسلامي في حالة التبعية والاحتواء للغرب ، ونقل الجماعة الاسلامية إلى حالة جديدة من شأنها أن تمــزق الأسرة :
(١) بالسهرات الصاخبة والخمر وما يتصل بهما من اختــلاط الرجــال والنساء .
(٢) التخفف من التماسك الخلقي وفتح الباب امام الرشوة باسم الهدية في مقابل خدمة مقدمة على حساب المجتمع .
(٣) الولــوع بالتــرف والزخـــرف والأواني والزينة والتحف والموسيقى والتخفف من جديات الحياة ، وخلق طابع التحلل والرخاوة .
(٤) خلق نوع من الاعجاب بالغاصب وتقليــده والتعلــم في مدارســـه ، والابتعاث لبلاده والاعجاب بأبطاله ، وكل هذا كان من شأنه ان يحطم في

الجماعة روح الخشونة والصلابة والقوة بحيث تصبح عاجزة عن مواجهة النفوذ الأجنبي والغزو الخارجي ومقاومة السيطرة الأجنبية المتغلغلة .

ومن شأن هذا كله أن يجري تحريفا خطيرا في فهم الاسلام ، فقد استطارت دعوات الاستشراق والتبشير إلى القول بأن الاسلام دين عبادي لاهوتي محض ! لا علاقة له بالنظم الاجتماعية والسياسية وبذا سرى روح مسيحي كنسي في محيط الاسلام حتى وجدنا من يقول: إن الاسلام بخير ما دامت المساجد مفتوحة والموالد مقامة ، أما التنظيم الاجتماعي الاسلامي فقد حجب حجبا تاما خلف الايدلوجية الغربية الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية .

وسيطر التعليم الغربي الذي صاغ أجيالا من المؤمنين بالديمقراطية الغربية نظاما للحكم ، والاقتصاد السياسي الربوي منهجا للتعامل ، وعن طريق التعليم انطلقت ايدلوجيات أخرى في مجال العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق استمدت مفاهيمها من مدرسة العلوم الاجتماعية التي انشأها « دوركايم » والتي كانت تهدف إلى السيطرة النظرية المادية الفلسفية الماركسية على الفكر الاسلامي .

ثم لم يلبث المجتمع الاسلامي أن دخل مرحلة أشد خطرا حين أصبح الفكر الماركسي هو منهج السياسة والاقتصاد والاجتماع في بعض المجتمعات الاسلامية بديلا للنظام الغربي الديمقراطي الرأسمالي ومرة أخرى خضع التعليم لدراسات الماركسية والنظرية المادية وأصبح الاقتصاد هو التفسير الوحيد للمجتمع والحضارة والتاريخ .

وقد أمكن عن طريق التعليم والثقافة والصحافة احتواء المجتمع الاسلامي في نظريات غريبة وافدة وأيدلوجيات غربية وماركسية أخطرها الماركسية والفرويدية والوجودية حيث تفسر الماركسية المجتمع تفسيرا اقتصاديا وحيث تفسره الفرويدية تفسيرا جنسيا وحيث تفسر الوجودية المجتمع تفسيرا فرديا .

ومن خلال نلك طرحت نظريات خطيرة : منها نظرية التطور المطلق ونظرية نسبية الأخلاق ونظرية « لا فطرية الاسرة » ووجدنا كلا من ماركس وفرويد يحاول أن يقدم منهجا اجتماعيا كاملا من خلال فرعية الاقتصاد التي هي قطاع من الفكر الانساني لا يستطيع ان ينفرد بنفسه بتوجيه الحياة ولا كنلك فرويد من خلال فرعية الجنس

وكنلك خاضت المناهج والدراسات الغربية من خلال سيطرة المفهوم المادي عليها في قضايا لم تستطع أن تقدم فيها الرأى الصحيح ، وكان أبرز هذه القضايا : قضية الانسان نفسه ، وهل هو حيوان يخضع لقوانين الحيوان ؟ أم يخضع لتطبيق منهج العدالة التجريبية عليه ومنها قضية الدين ، وهل نزل من السماء أم خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها ، على النحو الذي

طرحه « دوركايم » وغيره ونقله إلى أفق الفكر الاسلامي طه حسين وغيره .

ولقد كان من وراء تجارة الغرب المصدرة إلى عالم الاسلام والتي تقوم على الربا والمحرمات والخمر والمخدرات والسموم فقد كانت الأخلاق عقبة في سبيل نجاح هذه التجارة فكان لا بد من أن يطرح في أفق العالم الاسلامي دعوى حارة إلى هدم الأخلاق وتدمير القيم حتى تزخر علب الليل والكازينوهات بتجارة الجنس والفساد ولا بد من الدعوة إلى الترف والرفاهية والانحلال لامتصاص ثروات الأمم الاسلامية عن كل طريق : عن طريق النفوذ وعن طريق الربا وعن طريق الفساد ، وقام في العالم الاسلامي مجتمع اللهو الذي اعانت على قيامه كل الايدلوجيات الغربية والماركسية واليهودية التلمودية وفي سنوات قليلة لم تتجاوز العشر من وصول ركب الاستعمار أمكن للمرابين وتجار الخمور وتجارة الرقيق الأبيض الاستيلاء على نصف ثروات المسلمين .

وكانت أخطر التحديات التي واجهت المجتمع الاسلامي « مؤامرة بروتوكولات صهيون » التي تقدمها للناس وتحاول تحقيق هدفها عدة مؤسسات منها الماركسية والشيوعية العالمية ، ومنها مدرسة العلوم الاجتماعية التي تدرس في الجامعات على أنها علوم أساسية .

ذلك أن الأيدلوجية التي تقدمها اليهودية العالمية للسيطرة على العالم كله تستهدف تدمير القيم الدينية والأخلاقية وافساد المجتمع بالتحلل والاباحية وهي تضع مخططا خطيرا للشباب ، يقول البروتوكول التاسع « فأما شباب الجويم « غير اليهود » فقد فتناهم في عقولهم ودوخنا رءوسهم وأفسدناهم بتربيتنا إياهم على المبادئ والنظريات التي نعلم انها فاسدة ، مع اننا نحن الذين لقنوهم ما تربوا عليه » البروتوكول التاسع ، وهناك إشارات متعددة إلى تدبير اليهود لانجاح النظريات الدارونية والماركسية والنيتشية ولقد وضحت خطة الصهيونية العالمية في تدمير المجتمع في ذلك المخطط الذي جرى تنفيذه مما أطلق عليه : إفشاء العادات الجديدة وإيقاد العواطف والاستثارة والاستفزاز والتبرم من شئون الحياة « وذلك كله حتى يصبح من المستحيل على أي شخص أن يعلم اين هو من هذا المعترك الذي خاض فيه وقد عم الناس اليأس والبلبلة » .

وهكذا نجد أن اليهودية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم والتي أصبحت قادرة منذ سنوات على احتواء الفكر الغربي والتي تسعى حثيثا لافساد المجتمع الاسلامي ، نجدها تطرح مخططا غاية في الخطورة يبدأ من نقطة الانهيار التي قام بها النفوذ الأجنبي الاستعماري ولقد كان لسيطرة اليهودية العالمية على مجالات الاعلام العالمي والسينما والمسرح وكل ما يطرح في باب القصص والمسرحيات من مفاهيم مسمومة أبعد الأثر في خلق أخطر

تحديين في حياة المجتمع الاسلامي الحديث وهما « الجنس والجريمة » .

يقول الدكتور أحمد محمد خليفة : « إن هناك ظاهرة حديثة ألمت بالمجتمع تلك هي أن عددا أكبر من الشباب قد انزلق إلى هوة الجريمة ، وأن الرأى في تعليل هذه الظاهرة قد تشعب إلى فريق يلقى اللوم على سياسة التوسع في التعليم حتى كان من نتيجتها أن الطلبة الذين ينتمون إلى أسر رقيقة الحال اندمجوا في أوساط أكثر اقتدارا وثراء فشعروا بالعجز عن مواجهة الحاجات التي صار يتطلبها مستواهم الجديد فاندفعوا للحصول على المال ولو من غير الطريق المشروع ، وفريق يرى ظروفا اخرى اجتماعية وتربوية : منها ضغط الاغراء الجنسي ومؤثراته على الشباب في الوقت الحاضر ، ومنها مظاهر التبرج التي جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين والاشرطة السينمائية ولون معين من الصحف والمجلات وخاصة قصص المتعة ودعوة الانطلاق والتحلل والرضاء الجسدي » .

« هذه الدوامة الهائلة التي تقدمها الحضارة الحديثة تفقد الشباب توازنه وتبلد تفكيره مما يعجزه عن العمل ويقعده عن الانتاج ، وفي البلد أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة ، فتلك الأماكن مغارس للجرائم لا بد أن نعنى بها ولن ينفعنا سن القوانين والاكثار من الشرطة . وان العلاج الحقيقي هو إصلاح الأنفس ومواجهة هذه الآراء الدخيلة وتمكين الأخلاق القويمة التي هي عماد كل إصلاح .

« **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** »

ذلك لأن مرض الأنفس هو المرض الدائم ، هو مرض الوطن فاذا عولج : سهر الاستعمار لتكوين كياننا النفسي في مجتمعنا العصري على أساس يضمن له استمرار ضعفنا فقد رسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التي اقتصر فيها على التعليم الشكلي دون التوجيه النفسي ، حرص الاستعمار على إيقاظ شهوات الناس وهذه آفة الأندية والحانات ودور المقامرة وأسواق الدعارة .

وقد كانت هذه المرافق كلها بما كان يسمى نظام الحماية الأجنبية ، أما الصحافة فقد تطورت إلى صناعة تجارية تدفع الضرائب وتستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم فنشأ مجتمع الملاهي والسينما الماجنة وتمجيد لاعبيها ، وقد قلدت السينما الصحافة في استلهام أهواء الجماهير ، وقال : « إن على البلاد ان تبني كيانها الروحي والفكري والمادي » .

وهكذا نجد أن المجتمع الاسلامي قد وقع تحت سيطرة النفوذ الأجنبي فانحرف عن طريقه الطبيعي ونشأت تلك التحديات الخطيرة في مجال الشباب والمرأة والطفولة والأسرة وكان لهذا أثره الكبير في الأخطار التي هي بمثابة الانحراف عن منهج الاسلام في بناء المجتمع .

رجب

بين التاريخ والتشريع والجهاد

للشيخ سليمان التهامي

رجب من الترجيب وهو التعظيم ، وهو الشهر السابع من السنة القمرية ، ومن الاشهر الحرم التي اجتمع على تقديسها أهل الجاهلية وله ثمانية عشر اسما – وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى – أظهرها رجب ومنها (مفصل الاسنة) فكانت العرب اذا دخل رجب لم يدعوا رمحا ولا سهما فيه حديدة إلا نزعوها و(الاصم) لأنه لم تكن تسمع فيه قعقعة السلاح و(الأصب) لأن الرحمة تصب فيه و(شهر الله) لأنه من الاشهر الحرم .

وكانت ربيعة ومضر تحرم أربعة أشهر من السنة . كانت ربيعة تحرم (رمضان) وتسميه رجبا ، وكانت مضر تبالغ في تحريمه وتعظيمه حتى اضيف اليها في حديث الشيخين عن أبى بكرة رضى الله عنه قال النبي عليه الصلاة والسلام:(ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) .

وقد أقر الاسلام حرمة الأشهر الحرم ومنها رجب ، وأنكر ما كان يعمد اليه الجاهليون من النسىء وهو تأخير شهر محرم الى شهر غير محرم واعتبره زيادة في الكفر واضلالا للناس قال تعالى : (**إنما النسىء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما**) الآية/٣٧ التوبة . وقد ترتب على العمل بالأهواء في النسىء أن أضفيت على أشهر غير محرمة عند الله صفة الحرمة ، وعريت الأشهر الحرم من صفة التحريم . وظل الحال على هذا يحلون ما شاءوا ويحرمون ما أرادوا حتى جاء الاسلام وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وفيها عاد الحج الى ذى الحجة ورجع المحرم الى موضعه الذي وضعه الله فيه وبطل النسىء . وهذا ما يهدف اليه قوله تعالى : (**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق**

السموات والارض منها أربعة حرم) الآية / ٣٦ التوبة ، ويوضحه ما رواه الشيخان عن ابى بكرة نفيع ابن الحارث رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض . السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، الخ الحديث) .

وقد حفظ التاريخ الجاهلي لشهر رجب قدسية خاصة حفظها له الاسلام ، ولكنها قدسية مشروعة تتسم بطابع الحق ، وتستمد جلالها من وحي التشريع ، وتهدف الى إصلاح سلوك الانسان ودعم علاقات المجتمع . كان الجاهليون يحرمون القتال في شهر رجب ، ويذبحون فيه ذبيحة تسمى (العتيرة) تقربا للاصنام ، ويتخذونه موسما وعيدا ، ويستحبون فيه الدعاء على الظالم وجاء الاسلام فخصه بانواع من القربات تختلف مفاهيمها عن المفاهيم الجاهلية . فقد أبدل القتال للعدوان بالجهاد لرد العدوان ، وذبيحة الاصنام باضحية الاسلام ، وشرع أعيادا ومواسم للعبادة والقرب بدلا من أعياد ومواسم تقام للهو واللعب .

كان تحريم القتال فيه من مواريث أهل الجاهلية ، وأقره الاسلام لانه من الاشهر الحرم . لولا ما كان من أمر سرية عبد الله بن جحش الى (نخله) بين مكة والطائف فانها كانت تترصد عيرا لقريش يقودها عمرو بن الحضرمي ـ وكانت في شهر رجب ـ وقد رمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي فقتله ، وقدم رجال السرية بالعير والأسيرين الى المدينة بعد أن عزلوا الخمس . فأنكر النبي عليه الصلاة والسلام عليهم ذلك وقال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام وقد أثار قتل ابن الحضرمي ثائرة قريش واليهود ، وتنادوا في أرجاء الجزيرة أن محمدا وأصحابه يسفكون الدماء وينهبون الاموال في الشهر الحرام ، وصار الامر بالغ الحرج ، وظنت قريش أنها أصابت الدعوة بسهم نافذ . ولكن الله حسم الامر حين انزل قوله تعالى : **(يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل)** الآية/ ٢١٧ البقرة وقضى على ثورة الثائرين من قريش واليهود . وأقر السكينة في قلوب المسلمين ، وملأ نفوسهم رضا عن الله ورسوله وقبل النبي عليه الصلاة والسلام فداء الاسيرين وقسم الغنيمة ، وكانت أول غنيمة غنمت في الاسلام .

وقد أبيح القتال بعد ذلك في الاشهر الحرم كرأى الجمهور فقد ذهب الى أن تحريم القتال نسخ بقوله تعالى : **(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)** الآية/رقم ٥ التوبة وبعمل الرسول عليه الصلاة والسلام واصحابه وخلفائه حيث تابعوا الجهاد وفتح المدائن والأمصار لا

يفرقون بين رجب وغيره من الاشهر الحرم . وذهب عطاء وطائفة من السلف الى بقاء تحريم القتال في الاشهر الحرم واستدلوا بقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام)** آية/٢ المائدة وبعمل الرسول عليه الصلاة والسلام في حصار الطائف وعمرة الحديبية فانه لم يقاتل حين دخل الشهر الحرام وقد صار الامر على ما ذهب اليه الجمهور من عهد النبوة . والرأى عندي أن أمر القتال تابع لمصلحة الاسلام العليا ودائر معها وجودا وعدما .

وكما أبيح القتال في الأشهر الحرم نهى عن ذبيحة رجب التي كانت تسمى (العتيرة) ففي الصحيحين عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا فرع ولا عتيرة) قال العلماء لا فرع واجب ولا عتيرة واجبة ، وأن النهى موجه الى ما كانوا يذبحونه لأصنامهم . أما الذبح لله واطعام الفقير والمسكين فلا شئ فيه جمعا بين هذا الحديث وحديث (الفرع حق) والفرع بفتح الفاء والراء أول نتاج الابل والغنم . وقد حلت الاضحية في الاسلام محل (العتيرة) وحلت الزكاة المفروضة في الماشية محل (الفرع) .

كذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالجاهليين في اتخاذ (رجب) موسما وعيدا روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن طاووس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تتخذوا شهرا عيدا ولا يوما عيدا) والمقصود بالنهى ما كان عليه أهل الجاهلية ، أما ما جاءت الشريعة باتخاذه عيدا كيومي الفطر والأضحى وأيام التشريق ويوم الجمعة فيجب اتخاذه عيدا لمشروعيته .

وقد وردت في فضل رجب أحاديث وآثار متعددة ضعفها بعض متأخري المحدثين كابن الجوزى وابن حجر ـ لأن ما أحدث في رجب كان بعد القرون الأربعة الاولى ـ وتعلقت بما ورد فيه من الصلاة والزكاة والصيام والاعتمار والدعاء أحكام عرضها العلماء على الكتاب والسنة فما وافقهما أقروه وما خالفهما اعتبروه من البدع المستحدثة ، وعلى هذا فلا خلاف بين أهل العلم والسير في أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الاسراء حين عرج بالنبي عليه الصلاة والسلام الى السماء ، وأن جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الاسراء عند الزوال وعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها وهي من أركان الدين وشرائعه التي تهذب النفوس ، وتطهر القلوب ، وتوجه المسلمين نحو الغايات الانسانية السامية ، غير أن ما استحدث من صلاة خاصة برجب يقال لها (صلاة الرغائب) لا أصل له قال الامام ابن حجر (ومن الاحاديث الموضوعة ما ورد في صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من رجب) وهي بدعة وللمسلم أن يتقرب الى الله بنوافل الصلوات ما شاء في أى وقت وأى شهر وأى زمان ومكان فانه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه .

وما اعتاده بعض الاغنياء من اخراج الزكاة الواجبة في أموالهم في شهر رجب لا يستند الى اساس غير ما ورد عن الامام مالك في الموطـأ من ان عثمان رضى الله عنه خطب في رجب فقال : إن هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤد دينه وليزل . والمتفق عليه عند جمهور العلماء أن الزكاة تجب على كل من ملك النصاب وحال عليه الحول ، فكل مسلم قادر ملتزم بحوله في أى شهر سواء أكان رجبا أم رمضان أم غيرهما .

ولم يصح في صوم رجب بخصوصه شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ما ورد عن صومه بوصفه من الاشهر الحرم وذلك في حديث الباهلي حين سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن أفضل الصوم فقال : صم من الحرم واترك ، قالها ثلاثا خرجه أبو داوود وفيما رواه ابن أبى ليلى عن عائشة رضي الله عنها من أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وربما أخر ذلك حتى يقضيه في رجب وشعبان . وقد ذكر للرسول صلى الله عليه وسلـم قوم يصومون رجبا فقال أيـن هم من شعبان ؟ وقد ورد عن بعض الصحابة والتابعين أنهم كانوا يصومون رجبا يفردونه بالصوم أو يجمعونه الى شهر آخر وكره الشافعي أن يكتمل صيام شهر كما يكتمل صيام شهر رمضان .

ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رجب . بل كانت عمره كلها في شهر ذى القعدة وهي اربع : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء في العام التالي ، وعمرة الجعرانة عام الفتح ، وعمرته في حجة الوداع وهو رأى الجمهور ، واستحب العمرة في رجب بعض الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وعائشة وعبد الله بن الزبير حين كان متوليا أمر الحجاز قال محيى الدين بن عربى : إنه لما فرغ من بناء الكعبة على قواعد ابرهيم عليه السلام دعا الناس الى الاعتمار من (التنعيم) شكرا لله عز وجل ، وللمسلم أن يؤدي العمرة في أى شهر كان فالسنة كلها ميقات لها .

وكما كان شهر رجب وعاء لكثير من أنواع القربات ومجالا لبعض المواقف والاحداث الهامة في حياة الدعوة كما أسلفنا فقد كان ميقاتا لانتصارات كان لها أثر بالغ في نشر الرسالة المحمدية .

وبعد : فاذا كان شهر رجب قد حظى في التاريخ الجاهلي بألوان من التقديس ، فانه في ظلال الاسلام قد بقيت له مهابته ، وحفظت عليه قدسيته ، وشرعت فيه تشريعات توجت بتشريع الصلاة وهي المظهر الحق لنوع من الجهاد الدائم هو جهاد النفس ، ووقعت فيه سرايا وغزوات توجت بغزوة تبوك وهي الآية المشرقة لنوع من الجهاد المشروع هو جهاد المشركين لاعلاء كلمة الله .

فماذا يخلد تاريخ التشريع والجهاد لشهر رجب بعد هذا ؟ لقد خلد له ما من شأنه أن يظل مذكورا في أمة الاسلام ، ومشهورا في عدة السنين والأيام .

من المسئول عن هذه الأجيال

للدكتور : احمد حمد

الأجيـــال ومسئوليتهم :

وثقل المسئولية بقدر اهميـــة اجيالنا هذه وما ينتظر الغـد منهم من سبق منشود وسلوك محمود ، ولقد تعرض كثير من الـــكتاب والمصلحين لهذا الموضوع وافاضوا فيه لخطورته وقصوى أهميته وكل ينشد الحقيقة ويتلمس مكامن الداء ووسائل الدواء ، ويكد ذهنه ويرهق بحثه في تتبع اطوار هذه الأجيـال واختيار خير السبل في تقويمهـا وتجنيبها غوائل الشرور والانحرافات والضياع .

بل إن حياة كل امة مرهون ببقاء اجيالها حاملة تراث حضارتها على مر الزمن وتعاقب السنين ، وكل حكومة من الحكومات تدعـو إلى مذهب معين تريد حمل الناس عليه ولا ترى فائدة في وسائل الارهاب والقمع ، بل ترى الفائدة كل الفائدة في طبع النشء بطابعها وتربيـــة الأجيال الناشئة على ما ترى وتعتقد، كي يظل الأمر بيدها امدا يطول او يقصر ، وكي تأمن مؤامرة تحاك او انقلابا يدبر .

اولادنا عدة اليوم ورجاء المستقبل

وإذا كنا نعني أشد العنــاية واكمل الرعاية بأولادنا فلأن ذلـك واجب حتمي تحتمه سنة الحيـاة وقواعد الوجود ، فأولادنا إنما هم عدة اليوم ، يعدون الاعـــداد الصحيح ، ويربون التربية السليمة ، وينشئون التنشئة الصالحة ، حتى إذا تسلموا اعباء الحياة وتبعـات العيش واصبحوا في مراكز القيادة او التوجيه كانوا على ما ترجـوه امتهم ويأمله آباؤهم ، خير قـادة واقوم جند يسيرون على الصراط المستقيم وينتهجون الطريق القويم.

اولادنا استمرار لحياتنا

وحياة المرء ليست محدودة بعمر محدود ومقيدة بزمن معين إلا مـن حيث ما يجري على طبائع الأشياء

وسنة الأحياء ، وموضوع الموت والفناء بالنسبة للإنسان ليس إلا مجرد وفاة مؤقتة للجسد بعدها يعود هذا الجسد إلى حالته الطبيعية ، وهي وفاة تعرض لهذا الجسد على نوعين : نوع يمكث مدة قصيرة في حالة النوم ، ونوع يمكث مدة أطول في حالة الموت إلا أنها مدة مؤقتة على كل حال **(الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى)** . الزمر / ٤٢ .

وأيا ما كان الأمر فللإنسان أن يحافظ على وجوده ، واستمرار ذكره بصلاح ذريته . إذا كتب عليه النسيان حال موته ، وانقطاع ذكره أثناء وفاته ، « إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ،أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم **(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء)** الطور / ٢١ .

وكما قيل : الذكر للإنسان عمر ثان .

ولذلك كانت أولادنا في المكانة التي تقتضي بنا السهر الطويل ، والعمل الطويل ، لأنهم المجاز الذي نجوز بوساطته ثقافتنا وتقاليدنا وأخلاقنا ، والمعابر التي تعبر عليها مبادؤنا وتراثنا الفكري إلى المستقبل كما عبر بنا من الماضي إلى الحاضر، فإذا هدم مجاز من هذه المجازات أو تحطم معبر من هذه المعابر فقد ضاعت حلقة من حلقات السلسلة الفكرية والمجد الحضاري وتوقفت عند ما قبلها من حلقات ، وسرى الضياع إلى ما بعدها ، وناهيك بأمة أضاعت مقوماتها وقضت على تراثها ، وانبتت الصلة بينها وبين ماضيها بما فيه من مجد بذلت فيه زبدة أبنائها وخيار أجيالها ، وحضارة دفعت فيها الكثير ، وأنفقت المال الوفير ثم بقى لها أن تتسول من الغير مجده وحضارته لتنشىء من جديد ولتبني على غير أساس ، وربما كان ما تسولته غريبا على بيئتها ، مستنكرا في أذواق بنيها ، مبتوت الصلة بينها وبين ماضيها .

أسباب انحراف الأبناء :

وتختلف أنظار المنادين بالإصلاح في تشخيص الداء ووصف العلاج الناجع له ، ولذلك يختلفون في خطة الاصلاح كما يختلفون في النظرة إلى الأسباب الدافعة له .

وحقيقة حال جيلنا اليوم قد حير المصلحين ، فمن قائل: إن السبب الاول هو الأذاعة لما تمتلىء به برامجها من أغان خليعة مائعة وإلحاحها بالأغاني هذه وبعض التمثيليات الأذاعية التي لا تحض على التماسك الخلقي في الشباب من الجنسين والأتيان على هذا التماسك من القواعد ، وكان يجب على الأذاعة ان تكون خير معوان وخاصة بعد ان تطور امرها واصبحت تصل إلى كل اذن وتفشى كل بيت ، في بناء المجتمع بناء سليما على أساس متين من العقيدة الصحيحة والخلق القويم .

ومن قائل: إن السبب الأول هو الصحافة بانتهاجها نهج الإثارة لكوامن الغرائز الدنيا ، وتفننها عن طريق الكلمة والصورة — في استرعاء الأنظار وتوجيه الطاقات واطلاقاتها في سبيل الميوعة والفساد والانحلال والكلمة المكتوبة والصورة

المطبوعة ابعد اثرا في النفس لأنها ابقى زمنا واطول مكثا ، والعلاج في نظر هؤلاء أن تنهج الصحافة نهجا أجدى على الأمة وأنفع لشبابها فتثير الهمم وتوجه الطاقات إلى خير الفرد ، ورقى المجتمع ، ونهضة الأمة ، وفي المجالات العلمية والخلقية والثقافية والتربوية منابع ثرة لا تنضب ولا تغيض .

ومن قائل: إن السبب الأول هو المسارح ودور الخيالة — ويلحق بهما الإذاعة المصورة (التلفاز) بل هو أدهى وأمر ، إذ أصبح كالمذياع يكاد يغشى كل بيت — وهي توجه الشباب عمليا إلى الانحراف، وتسوقهم إلى الطريق الآثم وتعرض لهم الوانا من العهر وأساليب التسول الجنسي والفحش الجرىء وكان الواجب أن تتخذ سبيلا أقوم فتعرض فصولا من أمجادنا التاريخية أو روائع الطبيعة في بلادنا الغنية بهذه الروائع ، أو تعالج مشكلات اجتماعية ، أو تبسط موضوعا علميا فتصل الناس بالعلم الحديث وكيف اخترق أجواز الفضاء ،وغاص في أعماق الماء ، ونقب في أحشاء الصحراء .

ومن قائل: إن السبب الأول هو هذه الكتب الخليعة التي تنشر سمومها بما تحكي من صلات آثمة بين الجنسين ، وتتناول بأسلوب مثير هذه العلاقات المحرمة لتدفع الشباب إلى اقترافها وتشبع نهمهم بهذا اللون الخبيث والأسلوب البذىء والموضوعات الدون ، والواجب أن يلتزم المؤلفون النهج العلمي الصحيح ، والبحث الجاد الدقيق ، والعلاج الناجع لمشكلات المجتمع .

وأسباب أخرى طرقت وتحدث كل عنها بحرارة منها الاختلاط والسفور إلى غير ذلك ولعل كل إنسان يصعد إلى قمة فكره ويتركز في بؤرة شعوره سبب من الأسباب لظرف من الظروف أو لمناسبة من المناسبات فعنده هو السبب الذي تتبعه جميع الأسباب ، وإن كان البعض قد جمع بين معظمها وجعل كلا منها عناصر لسبب واحد وهو وسائل الأعلام .

من المسئول الأول :

وقد أنحي الكثير باللائمة على الحكومات لأن بيدها مقاليد الأمور وأزمة التوجيه ، فلو أن كل حكومة وجهت وسائل الأعلام فيها إلى خير الفرد والجماعة لأمن الشباب وهدة الانحراف ولانطلقوا في ميادين العمل الجاد المثمر .

نعم: إن مسئوليات الحكومات مسئوليةعظمى ومهمتها تجاهالشباب مهمة ثقيلة ، فلابد أن تقوم بأداء هذه المهمة على خير وجه وانتنهض بأعباء هذه المسئولية بكل ما أوتيت من قوة وتدبير ، ولكن لنصل إلى غايتنا ونحقق أهدافنا ونحافظ على اجيالنا لابد أن نحدد المسئول الأول، وإذا حددنا المسئول الأول طالبناه بالقيام بمسئوليته مباشرة ودون توقف ليقوم غيره احتذاء به فيؤدي ما عليه من مسئولية ، فليس تحديدنا للمسئول الأول اهمال غيره والقاء التبعة عليه وحده .

وارى ان المسئول الأول هم الآباء ، فإن التبعة تقع عليهم منأول الأمر فهم اقرب إلى أبنائهم وأعرف بأحوالهم وأدنى لمشكلاتهم وأسرع لحلها وعلاجها ، بل هم الذين يعودون أبناءهم منذ نعومة

اظفارهم على العادات قبيحها
وجميلها وسافلها ونبيلها .
وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده ابوه

ثقل التبعة وسرعة التغلب عليها :

ولثقل هذه التبعة وضخامة هذه المسئولية لا يريد أن يقر بها إنسان أو يعترف بها والد ، فنرى الآباء ينحون باللائمة ويحملون المسئولية على الحكومة ، ونرى الحكومة تنحي باللائمة وتحمل المسئولية على الآباء وما أسرع ما يلقى المرء بالتبعة على غيره ، وما إخف على اللسان أن ينسب إلى الآخرين التقصير والخطأ والإهمال وما اسهل ما يتهرب المسئول من مسئوليته ليتحملها غيره ، وليقوم بها دون أن يحسن حملها او القيام بها ، ولو ان كل إنسان عرف مكانه من المسئولية والدور الذي يقوم به فيها ، وبادر بالقيام بهذا الدور واداء الواجب عليه فيه لاستراح كل إنسان ، ولوصل إلى هدفه من أقرب طريق وأيسر سبيل ، فعلى الآباء أن يقوموا بدورهم الأول في التوجيه والتربية والتهذيب وعلى الحكومة الدور الذي يليه .

الإسلام يحمل الآباء المسئولية :

وقد أمر الله في كتابه الكريم بأن يعنى الآباء بأبنائهم وأن يربوهم التربية الصالحة وأن يهذبوهم التهذيب الرشيد فإن عاقبة الاهمال في هذا او التفلت منه أو التقصير فيه نار حامية يصطلى فيها الناس والحجارة فقال تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون) .** التحريم / ٦ . وقد فسر الامام علي بن طالب رضي الله عنه قوله تعالى: (وأهليكم) أي علموهم وأدبوهم ، وأمر بالأمر بالصلاة : **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) .** طه / ١٣٢ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه ابو داود ، بل أمر الله سبحانه وتعالى أن يحذر الآباء عاقبة إهمالهم في الأهل أبناء وازواجا وحثهم على العفو والصفح جزاء هذا الاهمال إن هم أساءوا إليهم واعلنوا العداوة لهم **(يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم . إنما أموالكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .** التغابن / ١٤ — ١٦ .

فليتق الآباء ربهم ما استطاعوا حتى يأمنوا فتنة الأولاد وعداوتهم ، وليسمعوا وليطيعوا لأوامر الله وتعاليمه في إرشاد أبنائهم وتقويمهم ولينفقوا في سبيل ذلك من أموالهم حتى يرسوا دعائم الحق والخير في نفوس أبنائهم ، وقد نص الرسول صلى الله عليه وسلم على مسئولية الآباء عن اهليهم وأبنائهم نصا لا يحتاج إلى تأويل ولا ينال منه تحريف : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله

ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته » رواه البخاري ومسلم .

إلقاء المسئولية على الغير هروب وسلبية :

إن الهرب من المسئولية دليل الضعف والجبن والخور ، وان السلبية في الحياة عنوان العجز والقصور والعدم ، واذا نحن جعلنا نصرخ دائما في وجه الحكومات وما تملك من صحافة واذاعة وغيرهما دون ان نعمل اولا ودون ان نؤدي دورنا ونقوم بما علينا من مسئولية كان ذلك دليلا على هذه السلبية التي لا فائدة منها ، ولا جدوى فيها ، ولا رجاء لها ، فالتيار اقوى من الصرخات ، ومد الشر أعتى من أن توقفه صيحة او صيحات ، وإمكانيات هذا الشر قد بلغت من الدقة والحكمة والتفنن حدا لا تقف أمامه خطبة خطيب أو كتابة اديب، وليست وسائل الافساد ونشر الرذيلة والفجور وليدة اليوم حتى نكثر من الصراخ منها وننسب كل شيء إليها ، فإن الدعوة إلى الفجور والانحلال كانت على مدى العصور والأجيال ، فلم يخل منها عصر ولم يبرأ منها جيل ، ولا يمكن أن يكون هذا ولا أن يتحقق بحال من الاحوال بل هو من المحال والركض وراء الخيال ، فكيف يعيش الناس هكذا في مدينة أفلاطون دون أن يعرفوا الايمان والكفران ، والحق والباطل ، والطيب والخبيث ، ودون أن يميزوا بين الرذيلة والفضيلة ، والقبح والجمال ، والفجور والبر ، والشر والخير ، وبعدها تتميز الاشياء فقد كان للشر سدنته في كل عصر ومصر ، وللفسق كتابه وأقلامه ومجالاته وإمكانياته ، بيد أن هذه الاقلام والمجالات والامكانيات تختلف باختلاف كل عصر ومصر ، وقد تقدمت في عصرنا هذا وسائل الشر وإمكانياته وتفننت ، بحيث أصبحت إدارة جبارة في تمثيله وإبرازه وسيطرته ، ولا شك أن التقدم العلمي الذي شهده عصرنا هذا قد ساعد سدنة الشر ودعاته مساعدة فعالة في تطوير الاساليب وفعالية الوسائل حتي يجتذبوا أتباعا كثيرين إلى حظائرهم .

إن سدنة الشر ودعاته لايذيعون فنون الشر جزافا وينشرون أسباب الميوعة سدى ، بل هدفهم من وراء ذلك هو سد الطريق أمام تيار الهدى ومد الفضيلة وانتشار الخير ، واستعانوا بما في أيديهم من وسائل أسعفتهم في الوصول إلى هدفهم حتى صارت اكثرية الشباب للشر أعوانا ، وللباطل أركانا .. في غفلة من الآباء وذهول منهم وتهرب من أداء دورهم وتحمل مسئوليتهم .

تضييق دائرة المسئولية :

ولابد كي يعرف الانسان دوره ويقوم بواجبه أن تضيق دائرة المسئولية وأن يحدد نطاق التبعة فإن اتساع الدائرة وانفساح النطاق يدفع النفس إلى العجز والهروب أو إلى الارهاق واللغوب ، وكلا الأمرين شر مستطير وداء خطير ، فالهارب يرمي غيره بالتقصير ، واللاغب قد أعياه الارهاق والتشمير وتقف المسئولية حيرى بين هذا أو ذاك ويقع الابناء في وهدة الضياع والانحلال والضلال .

لذلك كان من العبث في القول واللجاجة في الهراء أن ننسب كل شيء إلى الحكومات متخاذلين عن تحمل ما علينا من مسئوليات ، مهملين القيام بما علينا من واجبات، مع ان دوائر المسئوليات تضيق وتتسع بحسب الاشخاص ، وبمقدار المصلحة الاجتماعية ومكانة العاملين لها والمسئولين عنها ، فلا الخادم يستطيع ان يقوم بما يقوم به الوالد، ولا الوالد يستطيع أن يقوم بما يقوم به الحاكم ، بل ولا الحاكم يستطيع أن يقوم بما يقوم به الوالد ، ولا العامل يستطيع أن يقوم بما يقوم به الزارع ، ولا الزارع يستطيع ان يقوم بما يقوم به العامل ، فكل له دائرة عمله التي يستطيع أن يقوم بمسئوليته فيها وأداء واجبه دون تعديها .

وإذا قلنا بعدم استطاعة أي واحد أن يقوم مقام الآخر فإنما نقصد تقويم العمل وتحديد المسئولية لكيلا لا يصير الأمر فوضى ويختل نظام المجتمع ، وينفرط عقده ، فتوزيع العمل وتحديد المسئولية يحمل كل إنسان على الاجادة والاتقان دون نظر إلى مركزه في المجتمع هل هو في المكان الأعلى أو المكان الأدنى ، وهل هو اهل للقيام بما يقوم به الآخرون بالتعليم والتمرين ، لأن الجميع يخدم بعضهم بعضا ويتعاونون في تحقيق المصلحة العامة وإنهاض المجتمع وترقية الأمة .

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وكل فرد مسئول من الحاكم إلى الخادم . فهو يتشرف بهذه المسئولية ويعلى قدره القيام بها ، فإذا قام بها الحاكم في دائرته والخادم في دائرته كانا سواء في التشريف والتبجيل والتعظيم والتقدير ، فالحاكم خادم للأمة ، والخادم حاكم في عمله، وهنا يجمع الرسول صلى الله عليه وسلم بين جميع هذه الرتب والوظائف في قرن واحد ويلقب الجميع بلقب الراعي (وهو الحاكم) فيقول: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته فكلكم راع ومسئول عن رعيته . رواه البخاري ومسلم ، وتأمل في هذا الحديث واعد النظر فيه والفقه لكلماته فقد كرر هذا اللقب في مبتدئه ومختتمه وعبر بـ (كلكم) ليشمل كل إنسان فلا يتقاعس أحد ، وحدد دوائر المسئولية ليلتزم كل واحد حده ويقدر تبعته .

دعوة الأنبياء لم تصرفهم عن الأبناء :

وقد يطيب لبعض الناس ان يعتذر عن التقصير في مسئوليته تجاه ابنائه بكثرة مشاغله وعدم فراغه وازدحام العمل عليه ، وليس هذا عذرا مقبولا ولا سببا يعفي من المسئولية ، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا أكثر الناس ازدحاما بالأعمال ومشقة فيها ، ودأبا عليها ، وناهيك بأعمال يكون من ورائها تحطيم أوثان العقيدة التي نصبت في قلوب الناس ، وتهديم أصنام الخرافات والأوهام التي تراصت في عقولهم وأذهانهم وحبست مجارى تفكيرهم ، ومع هذا العمل
مجارى تفكيرهم ، ومع هذا العمل
المضني الشاق في تخليص الناس وتحريرهم من أوثان العقيدة والفكرة

لم ينسوا ما عليهم تجاه أبنائهم ، ولم ينصرفوا عن القيام بتهذيبهم وتزكيتهم وتقويمهم ، بل إن حالة احتضار الروح واستقبال الموت — والمحتضر في هذا الوقت يعاني سكرات الموت ويلهو عن الناس إلى لقاء الله — لم تشغل يعقوب عليه السلام عن القيام بهذه المهمة وأداء هذا الواجب **(ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحداً ونحن له مسلمون)** . البقرة / ١٣٣ وهو قبل ذلك يوصي بنيه ويركز في نفوسهم سلامة العقيدة ، وأصالة الدين ، كما وصى بها ابوه ابراهيم بنيه من قبل **(ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون)** البقرة / ١٣٢ .

وكان يعقوب يرقب بنيه بنظرات فاحصة ، ويتفرس في وجوههم وأعمالهم ما يبيتونه في نفوسهم فيعالج دواء نفوسهم ، ومسارب الشيطان في قلوبهم ، وينمي مشاعر الخير فيهم ، ويزكي مشاعل النجابة في عقولهم ، فهذا ابنه يوسف عليه السلام يقول له: **(يا ابت إني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين)** . يوسف / ٤ فأرشده إلى كتمان أمره عن إخوته وبشره بنجابة شأنه وعلو أمره قال: **(يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين • وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك)** . يوسف / ٥و٦

وتم ما تم بين يوسف وإخوته حيث فرقوا بينه وبين ابيه ، وابيضت عيناه من الحزن على فراقه فهو كظيم ، ومع شدة الحزن ولوعة الفراق وبياض العينين وكظم الغيظ يرشد بنيه ويوجههم ويستثير في نفوسهم دواعي العمل والأمل **(يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيئسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)** . يوسف / ٨٧ . وفي غمرة الأسى على بعد يوسف عنه ثم فراق ابن آخر كان يعزه كذلك ويحبه لم ينس أن يوجه بنيه الوجهة الصائبة ، ويعدل من بعض اتجاهاتهم وتصرفاتهم لعلهم يسلمون من غوائل الشر في الخارج ، ومسارب الشيطان في الداخل فيصلون إلى ما يبغي ويبغون **(يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون)** يوسف / ٦٧ .

وهذا لقمان — وقد اخترنا القول بنبوته — يعني بابنه العناية الفائقة ، ويوجهه الوجهة الراشدة ، ويصحح له مفاهيم الحياة ، ويرشده إلى العقيدة السليمة والأخلاق الحميدة فيقول: **(يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)** لقمان / ١٣ . **(يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الأرض يات بها الله إن الله لطيف خبير • يابني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر علي ما اصابك إن ذلك من عزم الأمور • ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله**

لا يحب كل مختال فخور - واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن انكر الأصوات لصوت الحمير) .
لقمان / ١٦ — ١٩ .

ومن لليتيـــم ؟

وربما هب من يقول ، وإذا كانت المسئولية الأولى على الآباء تجـاه أبنائهم فمن لليتيم يرعى أمـــره ، ويحسن تربيته ، وقد أكلت الحروب وسطا الموت عـــلى معظم الآباء وتركوا أبناءهم دون راع أو عائل ؟ أفلا تقول إن الحكومات هـــي المسئولة عن هؤلاء الأيتام ورعايتهم وتربيتهم .

انا وكافل اليتيم كهاتين ..

وليس لمن قال هذا حجة تقـف أمام هذا الراي أو تضعف قوتـه مع ما في هذا الكلام من حق ظاهر وباطل خفي أو هروب من المسئولية مريب ، فإن الرعاية الواجبة لليتيم لابد أن تكون في دائرة محـــدودة ونطاق ضيق كي تحسن تربيتـه ، وتقوم غرائزه ، وتصرف عنـــه السحائب السوداء من مشـــاعر اليتم ، ولن يكون هذا إلا إذا تعين له شخص يقوم مقام الأب في تولى هذه المسئولية الثقيلة والتبعـــة الضخمة ، وهذا الشخص الـذي يتعهد بالقيام بهذه المســـئولية الثقيلة ويتكفل بأداء هذه التبعـة الضخمة يصعد إلى مدارج الرفعة ، ويلحق بمنازل النبوة ، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسـلم : انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفـرج بينهما . رواه مسلم .

ثم إن القرآن أمر بتعهد اليتيـم حتى يرشد وتدريبه على شـئون الحياة حتى يستقل بأمره في الحياة ولا يضطلع بهذا الامر إلا من يقوم مقام أبيه كي يكون على مقربة من ميوله وتصرفاته وأفكاره واتجاهاته **(وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنســتم منهـم رشـــدا فادفعـوا اليهــم اموالهم ولا تاكلوها إسرافـــا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيـا فليستعفف ومن كان فقـيرا فلياكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا)** النساء / ٦ .

وهنـا افاض الفقهاء في ترتيب الأولياء وأولية الأقارب ومن منهم هو الأحق بولاية اليتيم ، واشترطوا في الولى شروطا كلها في مصـلحة اليتيم ضمانا لتربيته التربية السليمة التي يتطلبها الشرع الحـكيم ، ويتطلبها المجتمع السليم ، ثم حذر القرآن من عاقبة الأهمال في امـر تربية اليتيم ورعايته حق الرعايـة فنبه الأولياء إلى أن التضـــييع وسوء الأهمال في تربية الأيتام ربما يكون جزاؤه الاهمال ، والتضـييع كذلك لأبناء الأولياء إذا لحقهـــم الموت وتركوا أبناءهم ايتـاما ، والجزاء هنا سيكون من جنس العمل: **(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا اللـــه وليقولوا قولا سديدا) .** النساء /٩ ثم حذر كذلك من اخـذ اموال اليتامى وسيلة لمتع الحيـاة ولذائذها واعتبارها فرصة سانحة ويترك اليتيم دون إرشاد او تربيـة أو توجيه **(إن الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما إنما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)** النساء / ١٠ .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقـدم باقـة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسـلم أكـرم زاد مـن الهـدى المحمدي .

عنِ المغيرةَ قال : كنْتُ معَ النبي صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ فأَهْوَيْتُ لأَنزِعَ خُفَّيْهِ
فقالَ : دَعْهُمَا فإني أدخَلْتُهمَا طاهِرَتَيْنِ فَمَسَحَ عَلَيهِما .

رواه البخاري ومسلم وابو داود

في الحديث دلالة على مشروعية المسح على الخفين . وما في حكمهما ، كالجوربين فقد روى اصحاب السنن بسند صحيح عن المغيرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على الجوربين . والنعلين أي معا فان الجورب داخل النعل وقال ابو داود ومسح على الجوربين عليّ وابن مسعود والبراء وانس وابو أمامة وسهل بن سعد .. وقال الترمذي : وبه يقول سفيان الثورى ، وابن المبارك ، والشافعي واحمد واسحق قالوا : يمسح على الجوربين وإن لم يكن نعلين اذا كانا ثخينين والخفان تثنية خف ، وهو ملبوس من جلد مبطن يستر القدم والكعبين منعا للبرد والقذر والحكمة فيه التخفيف على الناس والاقتصاد في الماء والزمن والتحفظ من برد ونحوه والجورب معرب « كورب » وهو لفافة الرجل يلبسه اهل البلاد الباردة من غزل الصوف أو القطن .. أما مدة المسح فقد روى مسلم والنسائي عن شريح ابن هانئ قال : سألت عائشة عن المسح على الخفين أي ما مدته ؟ فقالت : عليك بابن أبى طالب فانه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه فقال : « جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ، ويوما وليلة للمقيم » .

الرحلات القدسيات

محمد مؤذن

للشيخ زكريا ابراهيم الزوكه

تمهيد ..

هـذا الموضـوع تشعبت فيـه الأقوال . واضطربت حولـه الآراء وتناوله من يحسن ومن لا يحسن . وخاض فيه القلم الكافر والقلم المؤمن حتى بلـغ ما كتـب فيـه ألـوف الصفحات .

ولم يكن بد من أن يحدث هذا اللغط وتلك الثرثرة أثرهمـا في النفـوس فأصبح الناس حياله صنفين .

أما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم .

وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

وسنحاول ـ إن شاء الله ـ أن نكشف عن حقيقته غـير مفتونـين بدعوى التجديد وما تحمل من أقوال لا يمسكها عناق . أو مشفقين على ما ورد أن يتناوله العلم بالبحث أو المنطق بالقياس ... وربما أسهبنـا بعض الشيء ليكون القراء على بينـة من أمرهم إذا ما نظروا في كتب السيرة أو وقفوا على شيء من آراء الباحثين .

التعريف بهما :

الاسراء والمعراج . رحلتان قدسيتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى .. من المسجد الحرام أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين . إلى المسجد الأقصى مهبط الوحي ومطلع النبوات .

الثانية .. من المسجد الأقصى إلى السموات السبع إلى ما بعدها إلى مكان لم يجزه غيره من سكان الأرض أو سكان السماء .

أدلة الثبوت ..

دليلهما الكتاب والسنة . وهما مصدرا العقائد والدليل الذي لا يطاوله دليل ، أما الكتاب ، فذلك في موضعين :

١ ـ فاتحة سورة الاسراء (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**).

٢ ـ فاتحة سورة النجم (**والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى**) الآيات إلى قوله تعالى (**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**).

وأما السنة .

فقد ورد في ذلك حديث استفاض في الأمة استفاضة لا حجة معها لمنكر .

وماذا نقول في حديث يحدث به خمسة وأربعون صحابيا منهم عمر . وعلي وابن مسعود . وأبو ذر . وأم هانئ وعائشة الخ .. رضي الله عنهم .

ولئن كان في ألفاظ هذه الروايات بعض اختلاف لم تتواتر بسببه فان معناها سليم صحيح : لم يختلف فيه أحد ولم يخرج به عن التواتر شيء ، ويضيق بنا المجال عن ذكر هذه الأحاديث فلتراجع في كتب السنة .

هذه حجج الاسراء من الكتاب والسنة . ونحن لا شك نعترف بقدرة الله التي لا يعجزها شيء ونعترف كذلك بمنزلة الرسول عند ربه . وفضله الذي دان له المرسلون تشهد لذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) سبأ/٢٨ ـ (**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**) النساء/٤١ .

أما أحاديث التفضيل فيطول بنا تعدادها .

وفي هذا الدليل الكافي ليعتقد المؤمن أن الله أكرم نبيه ، وأن مراتب التكريم لا تمسها حدود فاذا أخبر الرسول بالاسراء والمعراج فقد أخبر الصادق الأمين بنوع من أنواع التكريم ليس لنا أن نجحده أو يساورنا الشك فيه .

هل كانا يقظة أم مناما ؟

الصحيح الصادق أنهما كانا في اليقظة لا في المنام فظاهر النصوص يشهد لذلك ولا يعدل عن الظاهر إلا بدليل ، ولا دليل يمكن أن يأخذ بيد المخالفين .. هذا . ولأنهما لو كانا مناما لما كان في ذلك شيء عجيب يضطر الناس الى انكاره والتكذيب به حتى ليرتد فريق عن الاسلام بسببه . لأنه لا حجر على الأحلام . أما

القائلون بأنهما كانا مناما فحجتهم داحضة وسنزيفها في موضعها ...

هل كانا بالروح والجسد أو بالروح فقط ؟

أما الاسراء فكان بالروح والجسد على الرأي السديد المختار فقد قال تعالى (**أسرى بعبده**). والعبد : يشمل الروح والجسد . وصرح النبي عليه الصلاة والسلام بأنه ركب البراق . والروح لا يركب وانما تركب الأجسام ... يضاف الى ذلك ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام عن مشاهداته في البادية . وما أخبرنا عنه مما لا يصدر إلا عن روح وجسد ..

وكذلك المعراج كان بالروح والجسد . فقد قال تعالى « **لنريه من آياتنا** » فأسند الفعل إلى نفسه وهو القوى العزيز (**والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**) الزمر/٦٧ .

وهل كان تسخير جبريل له واجتماع هذا الروح القوي بروح النبي القوي إلا إيذانا بأن قوى الروح قد أمر أمرها . وعب عبابها فليس للقوى المادية إلا أن تنحني في خضوع وتنسحب في صمت . ولم يكن بد لجسم الرسول من أن يعدو طوره ويخرج عن نواميس المادة الى نواميس الروح .

يتساءلون وأنت أكرم هيكل
بالروح أم بالهيكل الاسراء
بهما سموت مطهرين كلاهما
نور وروحانية وبهاء

شبهات المانعين ..

قبل أن ندفع شبهات المانعين نعلن أن فيما سبق من نصوص القرآن والسنة ما تطمئن له قلوب المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب ويفهمون جيدا قول الله تعالى (**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**). الاسراء/٨٥ . وما إلى هؤلاء نسوق الحديث ..

إنما نسوق الحديث إلى قوم لقنوا شيئا من المعرفة فظنوه كل المعرفة ووقفوا على سبب من أسباب العلم فحسبوا أنه الأول والآخر ــ ولا شيء يجافي الدين كالعلم الناقص فأنكروا الاسراء والمعراج وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه . وكانوا كمن نظر أمامه فظن أن نهاية بصره إنما هي نهاية العالم ولو كان العالم شيئا وراء ذلك لوعته عيناه وهؤلاء صنفان :

صنف تأول فزعم أن الاسراء والمعراج رؤيا منام . وأسند ذلك الى قول الله تعالى (**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**) الاسراء/٦٠ .

فالرؤيا عنده مصدر رأي الحلمية . أما البصرية فمصدرها الرؤية كذلك استدل بحديثين عن عائشة ومعاوية . فروى عن عائشة « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

وكان معاوية اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كانت رؤيا من الله صادقة » هذه كل أدلته وهي أدلة تتساقط ضعفا وفي مقدور أيسر النقد أن يطير بها كل مطير .

أما الآية : فقد ورد عن العرب استعمال الرؤيا مصدرا لرأي البصرية . ونقل البخاري عن ابن عباس في تفسير الآية .. « هى رؤية حق أريها رسول الله ليلة أسرى به ».

وزاد سعيد بن منصور في روايته قوله « وليست رؤيا منام ». وكلام ابن عباس حجة لغوية . ثم هو مظنة حجة شرعية نقلية إذ كان صحابيا كثير الصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

بقى الحديثان . وهذان قد ضعفهما العلماء ولم يجدوا لهما سندا متصلا معروف الرواة .

أما الصنف الثاني : فقد وضع على عينيه منظار البحث المادي . وأخذ يلوك في فمه ألفاظ المنطق التجريبي .. واخيرا صدع بالحكم وأعلن أن العلم لا يقر الاسراء والمعراج . وأن قوانينه لا تتفق مع شيء منهما ونحن نسائله : أي علم تريد ؟ أهو العلم المادي الذي يقيس كل شيء بمقياس الحس ؟. إن كان هذا فقد نمت والضجة من حولك .

فمنذ قرن والعلماء يبحثون حتى انتهوا إلى أن في العالم عنصرا روحيا بجانب عنصره المادي وأنهما يتفاوتان ضعفا وقوة . وأن الأقوى منهما يؤثر في الأضعف ويخضعه لسلطانه .. ومن ذا ينكر قوة روحه عليه الصلاة والسلام وشدة سلطانها ؟..

على أنه لم يكن وحده في إسرائه ومعراجه .. بل كان معه جبريل عليه السلام . وهو روح وصفه الله بقوله **(ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين)** التكوير/ ٢٠ و٢١ . أفتعجز هاتان القوتان المؤيدتان بقوة الله عن اجتياز حدود المادة . وتسخير قوى الطبيعة ؟.. إن صدر العلم ليتسع لأكبر من هذا .

وإن نظرية قراءة الأفكار ومعرفة ما ينطوي عليه . ونظرية انتقال الأصوات على الأثير . وانتقال الصور والمكتوبات كانت من قبل تعتبر من وثبات الخيال ثم أصبحت حقيقة يقرها العلم ويعلل لها .

وقد بدأ العلم يخرج بالانسان عن نطاق الأرض وقوانينها حين نجحت تجربة الوصول الى القمر ...

ولئن وجد الخصم من العلم ما يجادل به في وقوع الاسراء والمعراج جسدا وروحا ، فلن يستطيع أن يجد دليلا واحدا ينكر به إمكانهما . وحسبنا هذا والغد كفيل بأن يقرب ما بعد ويكشف ما استتر .

والليالي من الزمان حبالى
مثقلات يلدن كل عجيب

وصدق الله إذ يقول : **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)**فصلت/ ٥٣ .

« حكمة الاسراء والمعراج »

أفضل الايمان ما كان عن مشاهدة . وخير العلم ما كان عن تجربة وإحساس ألم يقل إبراهيم عليه السلام لربه **(رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)** البقرة/ ٢٦٠ .

وموسى عليه السلام . ألم يسأل

الله الرؤية فقال : **رب أرنى أنظر إليك .**

إنهما مؤمنان ولكنهما ـ وهما على أبواب دعوة جريئة يراد بها تغيير النفوس والمعتقدات . وربط الأرض بالسماء ـ يريدان أن يتزودا لتلك الدعوة بأعلى مراتب الايمان . وأكمل أسباب المعرفة .

ونحن إذا نظرنا إلى التاريخ الزمني للاسراء والمعراج . وجدنا أنهما يقعان في مفترق عهدين .

١) عهد ملئ بالدعوة العزلاء والصبر عليها . والتحمل فيها وبذل آخر مجهود سلمى يستطيع أن يبذله بشر كانت نهايته رحلة الرسول الى الطائف . وما لقى فيها من عنت المشركين وسوء استقبالهم . واستبدالهم بحسن القرى وكرم الضيافة إغراء العبيد والصبيان بالسخرية من رسول الله وقذفه بالحجارة .. مما جعل الرسول يتوجه بكل ذرة من ذرات جسمه وروحه إلى الله مستغيثا به . مستعيذا من ضعفه وحوله . بحول الله وقوته . ويروى عنه انه قال : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلنى إلى قريب يتجهمني أو عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي ولكن عافيتك هى أوسع لي .. ».

وبلغت المأساة ذروتها حين عاد إلى مكة فأوصدت أبوابها دونه فلم يدخلها إلا في جوار مشرك .!!

٢) وعهد آخر يفتر بالأمل . ويجيش بالغلب . ويضطرب اضطراب الحياة في أحشاء يثرب ...

في هذه الفترة التي وقفت فيها الحوادث تعدل مجراها وترسم خط السير الجديد . ووقف التاريخ عندها مرهف السمع . مشرع اليراع ينتظر ما ينطق به القدر وتتمخض عنه الأيام ...

في هذه الفترة وقع الاسراء والمعراج . فكان هذا الحادث العجيب إرهاصا بعهد عجيب . يغير معالم الأرض ، ويجدد نفوس الخلق . ويقيم ببضع مئات من الرجال كانوا مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس .. معجزة الله الخالدة في إقامة دين وإصلاح دنيا ..

علم الله أن الرسول يستقبل عهدا كله جهاد دام . وكفاح مر المذاق . وأن المنطق قد فرغ من حجته وأعذر . وبقيت الكلمة للسيف . وفيها بلاغ لعبيد العصا .

والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

علم الله ذلك فأسرى به الى المسجد الأقصى حيث استقبله الأنبياء ـ وهم صفوة خلق الله ـ مهللين مرحبين مقرين بامامته ... فكان هذا ردا على سوء استقبال المشركين له في الطائف ومكة !!

وعرج به الى السموات حيث تفتحت أبوابها له فكان في هذا رد على من أغلقوا من دونه أبواب مكة والطائف .

ثم توج هذا التكريم بأن أدناه منه وقربه إليه . وأراه من آياته الكبرى ليجمع له بين إيمان الغيب وإيمان المشاهدة . وعلم العقل وعلم التجربة . حتى يثبت فؤاده . وينشرح صدره . ويستعيد الثقة بنفسه ويزداد اتصالا بربه . فلا تفجأه متاعب الهجرة . ولا ترهقه تبعات الجهاد **(ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك . فان مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا . فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب)**الشرح .

« صور رمزية »

في حديث الاسراء والمعراج يستعرض الرسول صلى الله عليه وسلم صورا مما شاهده في رحلته الشريفة : ويتحدث عن مناظر حافلة المعنى عميقة الدلالة ...

● منها أنه أتى بانائين في احدهما لبن . وفي الآخر خمر ـ فشرب اللبن وعاف الخمر فقال له جبريل :

أصبت الفطرة أما إنك لو شربت الخمر لغوت أمتك .

● ومنها أنه مر على قوم يزرعون ويحصدون كل يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فسأل جبريل عنهم : فقال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف . وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

● ومنها أنه مر على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم فقال له جبريل هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ..

● ومنها أنه رأى قوما على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم فقال له جبريل . هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم .

● ومنها أنه رأى قوما بين أيديهم قدران في احدهما لحم طيب نضيج . وفي الآخر لحم نئ خبيث فجعلوا يعدلون عن الطيب ويأكلون الخبيث ، فقال له جبريل هؤلاء الزناة يعدلون عن حلائلهم طيبات . ويبيتون عند خلائلهم خبيثات . وكذلك الزواني من النساء . إلى أمثال أخرى غير هذه ...

فالى أي شئ تومئ هذه الصور ؟. وما المعنى الذي يكمن وراء هذه الرموز ؟...

هى ـ في غالب الظن ـ صور لأعمال الانسان في الحياة الدنيا . سفرت في عالم المثال . ومسحت عن وجهها صبغة التمويه ، وطلاء الخداع ، وتجردت من ظر فها الملابس ، وزمنها المحدود ولم يبق فيها غير الأصل الطبيعي . والحقيقة المجردة .. فكم من لذة في الدنيا تقر لها العين . ويسكن عندها القلب . وهى في الحقيقة حسرة قاسية . وألم يقيم ويقعد .. وكم من ألم في الدنيا يستنفد الدمع ويحطم الأعصاب . وهو في الحقيقة كالحجامة تؤلم ولكنها تشفى . وتستقطر الدم .

ولكنه الدم الفاسد الموبوء ..
(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .. البقرة/٢١٦ . وما أخفى الله عنا ذلك الا ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ...

« خواطر وعظات »

هذا حديث الاسراء . أو قصة الاسراء كما يسميها البعض . قد عرضناها في صورة مصغرة . ولكنها معبرة فماذا أثارت فينا أو أحيت منا ؟

نحن ــ المسلمين ــ آمنا بها منذ جاء بها الكتاب وتحدثت عنها السنة . ويعنينا أن نقف على ما فيها من عبر . ونلتفت الى ما تحمل من توجيهات .. أول ما يطالعنا من حادث الاسراء : أنه تكريم من الله لرسول جاء في الوقت المناسب .. وأنه لفتة ربانية أصابت موضعها من نفس الرسول فأشاعت فيها الأمل . والأنس . والرضى .... فقد وقع الاسراء بعد موت عمه أبي طالب . وهو السند والعضد . وبعد موت زوجه خديجة وهى الظل والسكن . وبعد أن أدرك المشركون بأن الفرصة مواتية ليشفوا أضغانهم من الرسول . ويحققوا أملهم في القضاء عليه ... في هذا الوقت وقع الاسراء والمعراج فكان تفسيرا واضحا لقول الله تعالى : **(والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى).**

ثانيا : أنه مظهر فريد للجرأة في تبليغ الحق . والتضحية في سبيل الايمان ..

فقد صدع الرسول بحديث الاسراء . وهو ــ في نظر المشركين ــ يعاني أقسى حالات الشدة . وقد أخذ بخناق المسلمين من حوله فما يتنفسون إلا بصعوبة ..

في هذا الوقت يبث الرسول في عزيمة وإصرار حديث الاسراء . وهو يعلم أنه يرمي المشركين بما لا قبل لهم باحتماله . وأن هذا الحديث الغريب سيوحد صفوفهم فيرمونه بالكذب عن قوس واحدة ولكنه لم يهن . ولم يجبن . ولم يكتم ما أمر به من تبليغ ...

ثالثا : وفي الاسراء كذلك معنى سام لطيف . يشير إلى أن الروح إذا قوى شف له الوجود ، وتداعت أمامه الحجب ، وكشفت له الحقائق . واتصل ما بينه وبين الله ، وهو معنى ما أحوج الناس إليه في وقت طغت فيه المادة وتخاذل فيه الروح فزلزلت الأرض بمن عليها . وغدا العالم في ظل حضارته المادية وكأنه تحت جدار يريد أن ينقض ..

ومن العجيب أن الاسراء والمعراج ختم بفرضية الصلاة وهى أكمل عبادة لتطهير النفس وتزكية القلب . وتقوية الروح . فكأن ذلك إيذان بأن في وسع المسلم أن يرفع ما بينه وبين الله من حجب وأن يعرج بروحه فوق الدنيا كل يوم خمس مرات ...

(لو اغتسل اللوطى بماء البحر لم يجئ يوم القيامة الا جنبا) .
موضوع .

قال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة إنه موضوع وضعه محمد ابن عباس بن سهيل .
وقال ابن الجوزى في الموضوعات : إن الذي وضع هذا الحديث هو أبو سهيل .
وقد روى ابن الجوزى هذا الحديث بروايات مختلفة كلها موضوعة ، فقد حكى عن ابن حبان قوله عن أحد رواة هذا الحديث وهو روح بن مسافر كان يروى الموضوعات عن الأثبات ولا تحل الرواية عنه .
كما أن ابن الجوزى روى أحاديث أخرى من هذا القبيل في عقوبة اللوطى كلها باطلة وضعها أقوام طعنهم وجرحهم علماء الحديث وأثبتوا كذبهم .
قال السيوطي في اللآلئ : إنه موضوع ، وقال الخطيب رجاله ثقات غير ابن سهيل ، وقد وضعه وركبه على هذا الاسناد ، وقد رواه الخطيب برواية أخرى : **(لو تطهر الذي يعمل عمل قوم لوط بسبعة أبحر ما لقى الله الا نجسا) .**
ثم قال هذا الحديث منكر ، ومن رواته المعافرى وهو مجهول .
وقال السخاوى في المقاصد هذا الحديث وما في معناه باطل .
وقال العجلوني في كشف الخفاء : إنه موضوع ، وقد حكى ذلك في كتابه عن ابن الجوزى والسخاوي .
ومع أن هذا الحديث مردود معنى ولفظا إلا أن ذلك لا يعني التخفيف من اثم هذه الجريمة وشناعتها وقبحها ومحاربة الاسلام لها يقول الله سبحانه : **(واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما)** قال القرطبي حول معنى الايذاء لمن يأتي هذه الفاحشة وهي اللواط معنى الايذاء كما قال السدى وقتادة التوبيخ

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها .

ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

والتعيير ، وقالت فرقة هو السب والجفاء ، وقال ابن عباس هو النيل باللسان والضرب بالنعال .

ولما كان اللواط من الجرائم الخلقية التي لا تليق بالنوع الانساني لأنه عدوان وخروج عن سنن الله الطبيعية ، سماه الله فاحشة كالزنى فقال سبحانه : **(أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين)** .

ويرى الفقهاء في مرتكبه أنه يعاقب عقوبة من كان محصنا ، والموطوء يعاقب عقوبة الجلد كالبكر لأنه لا يتصور فيه احصان ، وقد رأى آخرون تعزيره بما يراه القاضي ، فان تكررت ولم يزدجر عزر باقامة حد الزاني المحصن .

وبعد فقد وضح أن بطلان هذا الحديث لا ينفي شناعة جرم اللواط أو التخفيف من اثمه ، وانما البطلان المراد عند علماء الحديث هو بطلان لنسبة هذا الحديث بهذا اللفظ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد وردت نصوص من القرآن والسنة تنعى على الفاعلين انغماسهم ، وتؤكد عقابهم من الله في الدنيا والآخرة .

(أسخنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماء في الشمس فقال لا تفعلي يا حميراء فانه يورث البرص) .

موضوع .

رواه أبو نعيم في الطب عن السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعا ، وقال في إسناده خالد بن إسماعيل وهو لا يحتج به .

وقال الدارقطني خالد بن إسماعيل متروك الحديث .

ورواه الدارقطني من طريق أخرى فيها الهيثم بن عدى وهو كذاب .

وأخرجه ابن حبان من طريق فيها وهب بن وهب وهو أيضا كذاب .

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة وله طرق أخرى لا تخلو من كذاب أو مجهول .

الأسس التي قامت عليها الدولة الاسلامية

للدكتور محمد سلام مدكور

بعث الله سبحانه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، واصطفاه من بين خلقه بخاتم الرسالات للناس كافة . وكانت رسالته دينا ودولة ، فالدين والدولة أمران متلازمان في الاسلام . وقد أقام الرسول دولته على سياسة عادلة تبغي الخير كل الخير للناس ، وتسلك كل الطرق المشروعة للوصول الى الحق ومقاومة الشر ، لم يحد عن قواعد العدل والانصاف بين المسلمين بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين غيرهم ، يأخذ الناس باللين من غير ضعف ، وبالشدة من غير العنف ، ويجعل الحكم شورى بين المسلمين . جاء الاسلام فوجد المجتمعات الانسانية قائمة على أسس من وحي الفكر الانساني ، تتركز في تحقيق المصالح الخاصة ، ولا تعنى في الغالب بالصالح العام ، فوضع

للمجتمع الاسلامي أساسا قويا يجمع بين افراده برباط وثيق هو الايمان بالله ، ونادى بالوحدة الانسانية برغم اختلاف اللون والجنس واللغة ، وربط بين المسلمين بالاخوة في العقيدة . أخوة تدفعهم إلى التعاون والتراحم ، كما وجه الاغنياء من عباده إلى انهم خلفاء لله فيما يملكون من مال ، وأن لاخوانهم الفقراء في ذلك حقا بالقدر الذي يكفل لهم الحياة السليمة .

جاء الاسلام مع احكام العقيدة والعبادة بنظام خلقي رفيع ، ونظام مادي لحكم المجتمع وتنظيم الروابط فيه ، فلم يترك جانبا من جوانب الحياة إلا وضع له الاسس الكفيلة بتنظيمه على أحسن وجه مع اختلاف العصور والاوطان ، وساوى بين الناس جميعا واوجب التكافل الاجتماعي بشعبتيه المادية والادبية بين أفراد المجتمع ، وجعل الشورى الأساس العريض في النظام السياسي ، وجعل العدالة أساس الحكم ، واوجب النظر إلى ما يحقق مصالح الناس ولا يشق عليهم .

وعني باعداد الفرد الذي يتكون منه المجتمع ، وجعل له صفتين : صفة شخصية تتجه إليه بها التكاليف الفردية ، وصفة عامة يكون بها عضوا في المجتمع ، وتتجه إليه بها التكاليف الجماعية ، ويسأل بها عن صلاح المجتمع الذي هو لبنة في بنائه . فالفرد مسئول بصفته الشخصية عن صالحه وصالح المجتمع الذي يعيش فيه ، ومسئول بصفته عضوا في المجتمع عن سلامة المجتمع .

ومسئولية الفرد بصفته الفردية والاجتماعية تكون تارة امام الله وهذه هي المسئولية الدينية ، وتكون تارة امام ضميره وهي المسئولية الخلقية ، وتكون تارة امام الناس وهي المسئولية الاجتماعية ، فهو مسئول من كل جانب ، وهذه المسئوليات المتعددة تجعله يقظا غالبا وحريصا على الاحسان دائما .

فالتشريع الاسلامي بهذا لم يقف عند النواحي الروحية تاركا المجتمع في تنظيمه وربط علاقاته الى القوانين البشرية ، وانما جاء بالناحيتين معا ، فهو ينظم المجتمع من كل نواحيه الروحية والخلقية والمادية إذ الاسلام شامل للدين والدولة .

قامت دولة الاسلام على أساس أن يتخير المسلمون من بينهم من يلي أمرهم ، ويدير شئونهم ، إذ لا بد للجماعة من شخص يقوم لهم بشئونهم ، وكان من حقه ان يأتمر الناس بأمره ، وينزلوه منهم منزلة الرئاسة والامارة . فلا يخرجون عن طاعة أمره ما دام يلتزم أحكام الشرع ، ويجعل الامر شورى بينهم وأقامها على أساس كامل من الحرية في العقيدة والرأى والتملك ، وكفل لكل فرد حريته الشخصية كما كفل لكل افراد المجتمع العيش الشريف القائم على التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع ، وجعل الحاكم مسئولا وخاضعا في أحكامه لرقابة القضاء .

فالعدالة في الاسلام ، ميزان الاجتماع ، وهي التي يقوم عليها بناء الجماعة ، وتعتبر العدالة بين الناس من اقرب القربات الى الله .
وهي ذات شعبتين الشعبة الاولى عدالة نفسية أساسها قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » بخاري واحمد .
والاسلام يحث على حسن المعاملة حتى جاء في الحكمة « عامل الناس بما تحب ان يعاملوك به » . وهذه تستلزم ان يقدر كل إنسان لنفسه من الحقوق بمقدار ما يقدره لغيره .
الشعبة الثانية : عدالة عامة تنظمها الدولة وتقوم على رعايتها بين الأفراد بما تصدره من قوانين تطبق عليهم جميعا دون تفرقة ، وبما تكفله من تمكين كل فرد من ان يعمل بمقدار طاقته لكسب عيشه وخدمة مجتمعه ، وان توجد الكفالة للعاجزين عن العمل بتوفير العمل الذي يطيقونه ، والا كفلت العيش الشريف لهم بايوائهم واطعامهم وعلاجهم وتعليمهم بما ينير لهم طريق الحياة .
بل حرص الاسلام في عدله ان تقوم العلاقات الانسانية كلها على أساس من المودة والرحمة يقول الله سبحانه **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)** الممتحنة/٨
ولذلك كان الأصل في العلاقات العامة في الاسلام السلم ، واذا نشبت حرب فان الاسلام يحث المسلمين على الدخول في السلم إذا ما دعوا إليه فيقول سبحانه **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)** الانفال/٦١ ويقول بالنسبة لمن يقف منا موقف الحياد : **(فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)** النساء/٩٠ ويأمرنا سبحانه بقبول السلام من كل من القى الينا السلام يقول سبحانه جل شأنه : **(ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا)** النساء/٩٤ .
فالعدالة مع غير المسلمين مطلوبة في السلم بل وفي الحرب . فالذميون لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، والمستأمنون الذين دخلوا دار الاسلام بعقد امان وجب علينا احسان معاملتهم ، والحفاظ عليهم ، وعلى اموالهم القادمين بها ، والتي يكتسبونها عندنا ، حتى لو مات احدهم فان امواله ترسل الى ورثته ، كما تتجلى العدالة في ايجاب الاسلام الوفاء بالعهد وعدم الغدر بمن عاهدناهم .
وكذلك فقد قامت دولة الاسلام على اساس من الشورى ، فالحاكم العام « الخليفة » يختار بطريق الشورى ، وجميع أعماله تقوم على أساس الشورى . فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير صحابته في كل ما يعن له مما يحتاج إلى رأى ، فقد روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه لم يكن احد اكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ، ووجه اصحابه إلى وجوب التمسك بها حتى جرى على السنة

الناس « ما ندم من استشار ولا خاب من استخار » اى يتخير الأمور بغير هوى ، ويستشير من حوله ليستأنس برأيهم ، ويتبين له وجه الصواب وكان اهل الشورى في عهد الخلفاء الراشدين هم كبار الصحابة والتابعين .

ولم يضع الاسلام نظاما للشورى مع أنها الأساس في الحكم ، لأن النظام يختلف باختلاف الأقاليم ولذا فان الله سبحانه أمر بالشورى مطلقة من غير ان يقيدها بشكل معين لتتم في كل عصر ومكان بما يراه الناس مناسبا لهم ، ولا شك أن كثيرا مما يصلح لمكان من النظم قد لا يصلح لمكان آخر له ظروف مختلفة ، وكذا بالنسبة لاختلاف الزمان ، وكذلك بالنسبة لاختلاف العصور .

والاسلام دين عام لكل زمان ومكان ، فلا يصح أن يراعى في تشريعه ظرف خاص ، وانما يجب ان يراعى ما يجعله صالحا لكل عصر ومكان تمشيا مع أصل الرسالة ، ولا يتحقق هذا إلا بالوقوف عند وضع القواعد العامة وترك التطبيق عليها للظروف المختلفة ، وقد اكتملت دعوة الاسلام بما جاء بها من أحكام مجملة او مفصلة يقول الله سبحانه : **(اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة/ ٣ .

جاء الاسلام بالمبادئ الاساسية الرصينة التي يقوم عليها صلاح المجتمع انظر قول الله تعالى : **(إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم آجرا كبيرا)** الاسراء/ ٩ . وأوجب الاسلام على الفرد حقوقا للمجتمع فألزمه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان يقوم بواجبه في التوعية وتبصرة الناس بأحكام الدين وان يتعاون بصدق واخلاص مع غيره من أفراد المجتمع ، كما اثبت للفرد حقوقا على المجتمع بأن يكون آمنا فيه على نفسه وماله وعرضه ، وأن تكون الحرية الشخصية مكفولة لكل فرد بينما كان الانسان في المجتمع القديم يعيش بلا حق او حرية تجاه السلطة العامة حتى أقام الاسلام دولته على أساس من الحق والحرية .

ولم تعرف النظم غير الاسلامية الحرية تجاه السلطات العامة إلا في العصور المتأخرة منذ قيام الثورة الامريكية سنة ١٧٧٦م . ثم قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م حيث أرست حقوق الانسان على أنها حقوق طبيعية سابقة على قيام الدولة التي أقامها الأفراد من أجل حماية هذه الحقوق لا من أجل المساس بها . لكن تبين بتطور الحياة الاجتماعية قصور هذه النظرية الفردية فظهرت النظرية الماركسية تهدف الى الحد من حرية الفرد ، وتغالت في ذلك لدرجة صهر شخصيته في شخصية الجماعة .

والواقع التاريخي يبين لنا ان الناس قديما لم يعرفوا الحرية الفردية ، وأن السلطان كان مطلقا للدولة ، وكان المقصود بالحرية ان يقوم الشعب بحكم نفسه واختيار حكامه دون ان

تؤدي هذه الحريــة السياسيــة إلى ضمان حريات الأفراد فكان للدولة ان تتدخل في كل شيء يتعلق بالفرد وحياته العامة ، فلم يعرفوا حرية الحيــاة الخاصة للأفراد ولا حرية التعليم ولا الحرية الدينية .
وكانت حرية العرب قبل الاســلام صورة مجسمة للفوضى والاستهتار كما يصور ذلك جعفر بن ابي طالب لنجاشي الحبشة اذ يقول : « كنا قوما أهل جاهلية ... نأتي الفــواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجــوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فقد كان العربي في الجاهلية يستخدم القوة ويعيش على السلب والنهب ، ولــم تتمتع المرأة عندهم باي حق ، بل كانت تورث .
أما الاسلام فقد عمل في دولته على إبراز حقوق الانسان في وقت لم يكن للانسان فيه أى حق تجاه السلطة ذلك لأن مبدأ الحرية في الاسلام وثيــق الارتباط بالعقيــدة ، ولــم تكتــف الشريعة الاسلامية على تحرير الفرد من العبودية لغير الله ، وانما عملت على تحقيق العدالة الاجتماعيــة في أحسن صورة عرفتها البشرية .
وان أول مظهر من مظاهر الحرية هو الحرية الشخصية ، وهي ان يكون الشخص قادرا على التصرف في شئون نفسه آمنا من الاعتداء عليه في نفسه او عرضه او ماله دون ان يحدث منه عدوان على غيره فشمل حق الأمن والتنقــل وحريــة الــرأي والتعليــم والتملك . وعمل الاســلام بشتــى الطرق على التخلص من الاسترقاق فحصر منابع الرق في أضيق نطاق تقتضيه ظروف الحروب الدينية في ذلك الحين ومعاملة الاعداء بالمثل ، ومع هذا فقد وسع مصارف الرق وفتح أبواب القضــاء على مصارعهــا في الوقت الذي كانت العمالة والاقتصاد يقومان في العالم على سواعد الأرقاء .
ولقد كفل الاسلام العناصر والوسائل التي تحقق خضوع الحكام للقانون ، وذلك بوجود تشريع أساسي إلهي . فرئيس الدولة في الاسلام مقيد بأحكام التشريع الاسلامي بحيث إذا خرج عليها وجب خلعه واختيار غيره ممن يلتزم بحكم الشرع . وقد قال ابو بكر عند توليه الخلافة : « لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم » . ويقول عمر بن الخطاب لأصحابه وعامة المسلمين حين تمت له البيعة : « ان رأيتم في اعوجاجــا فقومــــوه . » ويــــروى ان بعض الحاضرين قال : والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ولم تغضب هذه المقالة عمر بل سره أن يجد في افــراد الشعــب الاسلامــــي هذه الشجاعة والجرأة في الحق .
ولم يقف الاسلام عند حد تقريــر الحقوق الفردية وحمايتها لتكون سدا منيعا امام سلطان الحاكم وتوقفه عن الطغيان وانما جعل سلطان الحاكم خاضعا للنصوص التشريعية وقواعد الاسلام العامة دون خروج عليها ، ومقيدا في حكمه بالعمل على تحقيق المصلحة العامة للجماعة فاذا حاد عن الطريق السوى وخالف الشرع فجار

وطغى فان على الامة ان تعزله او تخرج عليه روى الشيخان واحمد عن ابن عمر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وقد اتفق الفقهاء على ان الامام الذي يصبح مستحقا للعزل لاى سبب يجب عزله إن امكن او الخروج عليه إلا اذا ترتب على ذلك ضرر اكبر ووقوع فتنة فان من الفقهاء من اتجه الى القول بالسمع والطاعة والصبر على انحرافه ومحاولة رده الى الصواب دون عنف خشية الفتن والقلاقل .

يقول ابن حزم في الملل والنحل : « ان الأمة على اتفاق في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكنهم يختلفون في طريق القيام بهذا الواجب الديني فذهب اكثر اهل السنة إلى انه يكون بالنصح والتوجيه والصبر ، وذهب البعض من اهل السنة والمعتزلة والزيدية إلى ان حمل السيف واجب إذا لم يدفع المنكر إلا بذلك .

وانتهى إلى ان الأحاديث التي تدعو إلى الصبر والمسالمة منسوخة بالأحاديث التي تدعو إلى الخروج على الامام الذي استحق العزل ومقاومته بقوة السلاح .

ولكنا نستطيع الجمع بين الادلة المتعارضة هنا ونوفق بينها بما يدفع التعارض إذ حديث (من رأى منكم منكرا ...) ينبغي ان يقيد بحالة الوثوق بالنصر والا يكتفي بالنصح والمسالمة مؤقتا . وتكون النصوص الأخرى التي توجه للمسالمة والصبر تعنى هذه الحالة .

ويمكن مساءلة الخليفة ونوابه أمام القضاء ، برغم انهم هم الذين يولون القضاة ولهم حق عزلهم إن وجد المقتضى لان القضاء بمنأى عن تدخل الخليفة . ولم يسجل التاريخ حالة واحدة تدخل فيها أحد الخلفاء في صدر الاسلام أو أحد عمالهم في أحكام القضاة . فقد حرص الاسلام على أن تكون للقضاء في الدولة سلطة مستقلة يخضع لها جميع الأفراد في الدولة لا فرق بين حاكم ومحكوم فالجميع أمام القضاء سواء .

ومبدأ الفصل بين السلطات ظاهر في النظام الاسلامي وان بدا غير ذلك في العصور الأولى ، فالسلطة التشريعية مصدرها النصوص التشريعية ، واجماع الأمة ، واجتهاد المجتهدين ، وما الامام في الحقيقة الا قائم على رئاسة السلطة التنفيذية وملتزم باعمال هذه النصوص والخضوع لتلك الأحكام ، والقضاء في الواقع كان سلطة مستقلة يخضع لها الجميع .

والخليفة مسئول عن أعماله امام الله ، ومسئول ايضا أمام الأمة . وقد أخطأ وافترى من قال : ان الدولة في الاسلام ليست نظاما للحكم المطلق ، كما ادعوا بالباطل . بل كانت دولة الاسلام اول دولة يخضع فيها الحاكم للقانون ويمارس سلطته وفقا لقواعد عليا تقيده وتحكمه فليس في الاسلام من هو فوق القانون .

من وحي الإسراء والمعراج

للأستاذ/محمود شاور ربيع

هبط الأمينُ على الأمين مرددا ... لحنَ السلام مصفقا بجناح

وسرِي الضياء مع الرجاء وأقبلت ... نحو البشير بشائرُ الأفراح

نُصِبَتْ على عرشِ الاله موائد ... ودعيتَ أحمدُ للمنى والراح

وخطوت للقدس الشريف وهللت ... للقائد الهادى أعز بطاح

طردَتْك اوشابُ العباد « بطائف » ... ورموا سفاها شعلة المصباح

فدعاك ربك للسموات العلا ... وأحاط ركبُك بالسنا اللماح

جبريل خلفك والنبيون استووا ... خلف الامام عليه خير وشاح

هذا مقامك يا نبي وهذه ... اقدارهم يا رحمة الفتاح

عرج الى الكرسي واشهد نوره ... واسمع تحية فالق الاصباح

واشهد جلالا لم يشاهد مثله ... أحد ، وليس لغيركم بمتاح

هذا مقامك لم ينله مبشر ... غيرُ البشير الصابر المسماح

طلب الهداية للجحود مسالما ... وسرت برحمته رقيقُ رياح

ما جاء إلا رحمةً وهدايةً ... في بُكرة ، وعشية ، ورواح

طلع الأمين على الصحاب بنوره ... فتحلقوا حول الهدى في الساح

ساق الحديثَ عن السماء فأرهفوا ... أسماعَهُم وتأهبوا لِتَلاح

وعلا حديث مكذب ـ متأففا ـ ... جاوزت حد عقولنا يا صاح

كنا نصدق ما تقول فجئتنا ... بخرافة من عالم الاشباح

إنا لنضرب بالسياط ـ حوانقا ـ ... اكباد راحلة وفي إلحاح

فيمر شهر دون أن نصل المدى ... وتطير أنت كومضةِ الأرواح

ان كنت تصدق في الحديث فهاتِه ... وصفا دقيقا دِقة الشراح

فتبسم المختار وانجابت له ... حجب وبين ما يريد اللاحى

(واذا العناية لاحظتك عيونها) ... نلت النجاح مؤيدا بفلاح

وتحطمت دون البلوغ قواطع ... ورددت عادية الردى بالراح

ذكراك يا « طه » تثير كوامنا ... وتردنا للخير والاصلاح

صلى عليك الله يا خير الورى ... ما صفقت طير الربى بجناح

التأمين وبديله في نظر الإسلام

الحلقة الثالثة

القمار والمراهنة

للدكتور / شوكت عليان

الأمر الرابع : القمار والمراهنة :

تعريف القمار والمراهنة :

القمار : المراهنة والخداع ، ويقال قامر وقمارا فقمره وتقمره راهنه فغلبه وهو التقامر ، ويقال أيضا تقمر الرجل : غلب من يقامره ، وقمرته : غلبته في اللعب .

والمراهنة : والرهان ، المخاطرة والمقامر : ينشد مالا موهوما لا مقابل لهذا الذي يطمع فيه من مال أو عمل .

صلة التأمين بالقمار والرهان :

واعتبار التأمين من قبيل القمار يرجع إلى :

اولا : أن عنصر المخاطرة باد في التأمين ، إذ أنه تارة يقع وتارة لا يقع ، وهذا هو القمار بعينه ، والشخص المقامر يخلق الفرصة التي يتحقق بها المكسب أو الخسارة ، فهو مثلا يقذف « بلية » أو « كرة » في صحن دائري مرقم ، والرقم الذي تقف عليه الكرة هو الرقم الكاسب ، وباقي الأرقام تعتبر خاسرة ! فيأتي المقامر ويضع بعض ماله على رقم من

هذه الأرقام ، معتمـدا في ذلك على « الصدفــة » أو « الحــظ » ، فان وقفت الكرة على الرقم الذي اختاره : كسب وإلا فهو من الخاسرين ، ، أو يأتي بمجموعة من الورق المرقم متحد الشكل مختلف اللون والرقم ، كورق اللعب ـ كوتشينة ـ ويقامر ببعض ماله على الورقة التي يسحبها من هذه المجموعة ، ذات لون معين ، او رقم محدد ، فان جاء اللون الذي عينه أو الرقم الذي حدده فقد كسب ، وإلا فهو من الخاسرين .

هذا هو أساس المقامرة ، أن تخلق الصدفة خلقا ، وأن تعرض نفسك ومالك لحكم هذه الصدفة التي أنت سببها ، ورائدك أن تحقق ربحا ، وأنت في الغالب من الخاسرين .

ومعلوم أن القمار محرم لقوله تعالى : **(إنما الخمر والميسر والأنصــاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنمــا يريد الشيطان أن يوقــع بينــكم العــداوة والبغضــاء في الخمــر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصــلاة فهــل أنتــم منتهــون)** المائدة/ ٩١،٩٠ والميسر عند الفقهاء شامل لكل أنواع القمار ، يقول شيخ الاسلام : ان بيع العبـد الآبـق ، والفرس الشارد والطير الذي خرج من قفصه أومن حبله وغير ذلك ، مما لا يمكن البائع تسليمه ، فهو من باب المخاطرة والقمار ، فان المبيع ، إن قدر عليه : كان المشتري قد قمــر البائع حيث أخذ ماله بدون قيمته ، وإن لم يقدر عليه : كان البائع قد قمر المشتري وفي كل منهما أكل مال الآخر بالباطل ، وكل ذلك من الميسر الذي حرمه الله في كتابه الكريم .

ثانيا : تتم العقود عادة بنــاء على المساواة بين ما يأخذه احد المتعاقدين وما يعطيه ، أمــا في التأمــين على الحياة ـ مثلا فان التعويض الذي يؤخذ من المؤمن حال الوفاة ، يكون أعظم بكثير من مجموع الأقســاط المدفوعة ، وهذا التفاوت في العوضين يجعل التأمين على الحياة من قبيل « القمــار » ، وإن كان يحصـــل التساوي في بعض الأحوال ، إلا أن ذلك نادر بالنسبة لعدم التساوي ، فحصول المساواة في بعض الأحوال لا يصلح مبررا للقول بجواز التأمين لأن الأحكام إنما تبني على الكثير الغالب ولا عبرة بالقليل النادر .

ثالثا : أن المستأمن حين يجري عقد التأمين إنما يرجو ان يبذل مقدارا يسيرا من المال وأن يحصل على مبلغ كبير من المؤمن وهذا هو الحال في القمار ، ومعلوم أن في المقامرة لا بد أن يخسر احد المتقامرين ويربح الآخر على حسابه ، ومــن المستحيــل ان يربحا معا او يخسرا معا ، ثم إن ربح أحدهما بعينه قبل انتهاء العمليــة محتمل ، ولا ريب أن هذه الخصائص توجد في التأمين وعلى هذا فهو اشبه بالقمار في حقيقته إن لم يكن هو ، ومعلوم أن القمار محرم فوجب تحريم ما الحق به واعتبــار التأمــين من المراهنة راجع إلى أن مقتضى تامين

حياتـه والأمـوال مثـلا ضمـان السلامة ، وضمان السلامة في مثل هذه الأحـوال ليس إلا ضربـا من المراهنات ، على معنى أن المؤمن يتفق مع المستأمن على تأمين الحياة أو المال بمعنى أنه إن وقع تلف او خسارة أو هلاك للشخص أو للشيء المؤمن عليه ، كان عليه تعويض تلك الخسارة بدفع ما التزم به من المال وفي ذلك استحقاق مال بغير عوض حقيقي من عين او منفعة ، وفي ذلك اكل لأموال الناس بالباطل ، والتأمـين تتحقـق فيـه أوصاف القمار والمراهنة ، فضلا عن أنه يعود الانسان على الكسل وانتظار الرزق من الأسبـاب الوهميـة ، ، ويضعف القوة العقلية بترك الأعمال المفيدة من طرق الكسب المشروعـة كالزراعة والتجارة والصناعة وغيرها مما يدوم بها العمران .

الأمر الخامس : الجهالة :

تعريف الجهالة :

الجهل : ضد العلـم ، ومـن كلام العرب جهلت الشيء إذا لم تعرفه ، تقول : مثلي لا يجهل مثلك ، ، وجهل عليه ، اظهر الجهل ، يعني أرى من نفسه انه جاهـل ، وجـاء في تاج العروس الجهل على ثلاثة اضرب .
الاول : هو خلو النفس من العلم ، وهذا هو الأصل .
الثاني : اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه .
الثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل ، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أم فاسدا ، كتارك الصلاة عمدا .

وقال الفقهاء : لا يجوز بيع المجهول المطلق أو المعين المجهول جنسه أو قدره كقوله : بعتك عبدا ، أو بعتك ما في بيتي ، أو بعتك عبيدي ، وكذلك لا يجوز بيع الغائب الذي لم يوصف ولم تتقدم رؤيته لجهالته .

صلة التأمين بالجهالة :

إن ما يدفعه المستأمن للمؤمـن : مجهول القدر بالنسبة لكل من الدافع والقابض ، وأيضا لا يدري المستأمن أو وارثه : هل سيقبض شيئا من المؤمن أم لا ؟ فيضيع على المستأمن ما دفعه من غير فائـدة وذلك شيء مجهول ، وعلى افتراض انه يقبض شيئا ، فما قدر ذلك المقبوض ؟ وذلك مجهول ايضا ، وعقد التأمين ينطوي على جهالة ، لأن الأقسـاط التـي يدفعها المستأمن على حياته ـ مثلا ـ إلى حين وفاتـه ، لا تعـرف ، كم ستبلغ ، اذا كان عقد التأمين غير محدد بمدة وبعبارة أخرى : قد لا تطول حياة المستأمن فلا يدفع إلا مقدارا يسيرا من الأقساط ، وتلحق المؤمن حينئذ الخسارة ، وقد يحدث العكس فتطول حياته فيدفـع قدرا كبيرا من الأقساط وبذلك يحصـل المؤمن على ربح كبير من وراء ذلك .
فالجهالة الحاصلة في التأمين تنطبق على ما يدفعه كل من طرفي العقد للاخر فأصبح كل منهمـا قابـلا للقلـة والكثرة ، بل إن الاحتمال قوي فيما يدفعه المؤمن باعتبار أن العقد معقود

لأجله ، فان المستأمن لم يقبل على التعاقد مع المؤمن إلا طمعا فيه ، وأكثر من هذا : أن كون ما يدفعه المؤمن محتملا للقلة والكثرة ، بل إنه ليس في طريق التحقق فهو مجرد احتمال عادي ، ولا مرجح لوجوده في المستقبل على العدم ، على أن (الواقع) « والاستصحاب » يرجحان العدم على الوقوع ، فعدم وقوع الحادث اقل من وقوعه نسبيا ، مما جعل المؤمن اقرب للربح منه للخسارة .

فالاستصحاب ينبيء عن نتيجة ، وهي أن وقوع الحوادث هو الأصل ، وأن وقوعها عارض لهذا الأصل ، وهو المرجح ما دام العارض غير واقع فعلا ، وهذه جهالة مفسدة للعقود : لأنها تفضي إلى التنازع ، ولأن من شرط صحة العقود ان يكون محل العقد معلوما ، وهذا ما اتفق عليه الفقهاء في عقود المعاوضات وإن كانوا يختلفون في اشتراطه في عقود التبرعات .

ولما كان معنى الجهالة ــ في اللغة وعند الفقهاء ــ متوافر في التأمين وهو عقد من عقود المعاوضة التي يلزم فيها توافر العلم لأطراف العقد ، مع أن المؤمن والمستأمن يتعامل كل منهما به ولا يدري نتيجة عمله رابح هو أم خاسر ، وقد يقبل الجهل في العقد إذا كان غرضه التبرع والتعاون ، ولكن التأمين على النقيض من ذلك : ــ فقد أصبح من العقود المشبوهة بل الفاسدة ، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (دع ما يريبك الى ما لا يريبك » رواه احمد وفي القواعد الفقهية « الحظر مقدم على الأباحة) ولذلك نقول : إن التأمين لا يتفق وقواعد الفقه الأسلامي .

الأمر السادس : أكل أموال الناس بالباطل :

تعريف الباطل :

الباطل : ضد الحق ، وهو ما لاثبات عند الفحص عنه ، وقيل : هو الضياع والخسران ، ومنه قوله تعالى **(وبطل ما كانوا يعملون)** الاعراف/١١٨ وقولهم : ذهب دمه بطلا أي هدرا ، وقال بعض المفسرين : هو ما لم يكن في مقابلة شيء حقيقي يعتد به ، أو : هو ما لا يحل شرعا : كالسرقة والغصب والربا والقمار والغش والتدليس وغير ذلك من المحرمات ، قال تعالى **(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)** البقرة/١٨٨ ، وأكلها بالباطل : أكلها من غير الوجه الذي أباحه الله تعالى ، والاسلام لا يحصر وسائل الكسب وطرق استعمال المال إلا في مبدأ عام ، وهو ان يكون من طريق حلال وفي طريق حلال لا يضار به احد ، ولا يجور على حق أحد ، كما انه يأمر بالسعي والعمل ليحصل الانسان على حاجياته التي تساعده في حياته وتوفر له اسبابها ، وذلك بالطرق المشروعة وبالقيود الموضوعة .

أما الطرق : فمنها العمل الشريف والوصية والهبة والقرض الحسن

والعارية والايجارة والبيوع والشركة والمضاربة والمزارعة والمساقاة وغير ذلك من أنواع المعاش التي رغب فيها الشارع .
وأما القيود الموضوعة على طرق الكسب ، فمنها : ما يعود إلى كسب المال واستعماله ومنها ما يعود إلى مصلحة الغير : عامة كانت أو خاصة .
فمن القيود التي تعود إلى كسب المال واستعماله ، تجنب الربا والاحتكار والغش والتقتير والأسراف والرشوة ، واستغلال المكانة المالية في حيازة نفوذ سياسي لأغراض مادية والبيوع الفاسدة كبيع الميتة والنجس والدم ولحم الخنزير وبيع السمك قبل اصطياده ، وغير ذلك كبيع الطير في الهواء ، وما ليس بمملوك للبائع او معجوز عن تسليمه .
أما ما يعود إلى مصلحة الغير : فمنها النفقات والصدقات والنذور والكفارات .

صلة التأمين بأكل أموال الناس بالباطل :

يعتبر التأمين من قبيل أكل أموال الناس بالباطل ، وذلك لما يلي :
أولا : أن المستأمن قد لا يحصل على القسط الذي دفعه للمؤمن بما إذا كان الخطر لم يصب المستأمن ، اي : إنه لم يتحقق وحينئذ يكون ما أخذه المؤمن من المستأمن حقا خالصا له وبدون مقابل له .
ثانيا : أن المؤمن قد لا يحصل من المستأمن اقساطا تساوي ما دفعه للمستأمن في حالة وقوع الخطر وذلك كما إذا دفع قسطا واحدا مثلا ثم وقع الخطر ، فان المستأمن يأخذ المبلغ المؤمن عليه جميعه ، وهذا أكل لأموال الناس بالباطل .
ثالثا : أن المستأمن إذا مات بعد ابرام العقد مباشرة ؛ أو بعد أن دفع قسطا واحدا مثلا ؛ فانه يستحق المبلغ المؤمن عليه بكامله ، وأخذه قبل أن يدفع قيمته اقساطا ؛ أكل لأموال الناس بالباطل ، وإن أخذ زيادة على ما دفعه من الأقساط ... يعد ربا ، وهو حرام ايضا .
رابعا : أن دفع مبلغ التأمين يكون مشروطا بحدوث « خطر » معين ، كما أنه يسقط من على عاتق المؤمن إذا لم يقع الخطر المؤمن عليه وفي هذا : تحقق لمعنى القمار .
خامسا : أن عقد التأمين يشتمل على شروط فاسدة ، وكون هذا العقد يترتب عليه تحقق ربح ، وهو بهذه الشروط الفاسدة لا يخرج على كونه باطلا ، فان مناط الاباحة في كل ما أباحه الله تعالى ، ليس بترتب ربح او فائدة ، فكل عقد افسده الشارع لا يخلو في ظاهره من فائدة ، ونهى الشارع عنه يدل على إلغاء هذه الفائدة لعدم اعتباره لها ، ولأنه سبحانه وتعالى هو الذي يقدر ما ينفع وما يضر ، فمناط كونه منفعة إباحة الشارع له ومناط كونه مفسدة نهي الشارع عنه ، وقد نهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، والتأمين ، أكل لأموال الناس بالباطل .

مائدة القارئ

الله مولاكم

قال الله تعالى : (يا أيها الذينَ آمَنُوا إن تُطيعُوا الذينَ كفَرُوا يَرُدوكُمْ على أعقابكم فتنقلِبُوا خاسِرين . بل اللهُ مولاكُم وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرينَ) الآيتان ١٤٩ وَ ١٥٠ من سورة آل عمرَان .

حسن التخلص

يقال إن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ــ ولى رجلا من قريش عملا ، فبلغه أنه قال :

اسقني شربة الذ لديها واسق بالله مثلها ابن هشام

فأمر عمر بعزله عن عمله ، فلما قدم عليه قال له : ألست القائل (وأنشده البيت السابق) .

فقال الرجل : نعم يا أمير المؤمنين ، وقد قلت بعده :

عسلا باردا بماء سحاب إنني لا أحب شرب المدام

فقال أمير المؤمنين : أكذا قلت ؟ . قال : نعم . فرده عمر الفاروق إلى عمله .

الفتوحات الاسلامية

قال أمير الشعراء احمد شوقي في قصيدته المشهورة نهج البردة مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قالوا :

غزوت ، ورسل الله ما بعثوا لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم

جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفوا كل ذى حسب تكفل السيف بالجهال والعمم

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعا ، وإن تلقه بالشر ينحسم

دعوة إلى الجنة

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى .**
قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ . قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » . أخرجه البخاري .

قد نسيت

قيل إن زيادا ـ أمير البصرة وحاكمها ـ أمر بقتل رجل ، فقال الرجل : أيها الأمير : إن لي بك صلة . قال : وما هي ؟. قال : إن أبي كان جارا لك بخراسان ، فقال زياد : ومن أبوك ؟ قال الرجل : قد نسيت الآن ـ وأنا في هذا الكرب ـ اسم نفسي . فكيف لا أنسى اسم أبي ؟!

فضحك زياد ، وعلم أنه أديب احتال في خلاص نفسه فعفا عنه .

حسن البديهة

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عندما قدمها واليا عليها ، فسقطت العصا من يده ، فتشاءم من ذلك ، فقام أعرابي فأخذ العصا ومسحها وناوله إياها ، وقال : أيها الأمير ، ليس الأمر كما ظن العدو ، وساء الصديق ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

فسر الأمير بما قاله الأعرابي ، وذهب عنه ما كان يجده .

هذا هو المقياس

كان زين العابدين علي بن الحسن يناجي ربه ويبكي ، فرآه رجل فقال له : ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ؟ أليس الله تعالى يقول : « **إنما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم تطهيرا** »

فقال علي بن الحسن ـ رضي الله عنهما : إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا . أليس الله تعالى يقول : « **فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فلا أنسابَ بينَهم يومئذٍ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون** » .

أَلَا إِنَّ الإِسْلَامَ هُوَ دِينُ العِلْمِ

للدكتور احمد شوقي ابراهيم

ظل العلم البشرى حينا من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا .. وظل في المهد يحبو زمنا طويلا .. وكان يتأخر تارة .. ويتقدم أخرى .. ويسير في الظلام حينا .. وفي النور حينا آخر .. وظل الأمر كذلك حتى بلغ العلم البشرى سن الرشد في العصر الحديث واستطاع أن يبنى على منهج علمى سليم .. ويقوم على أصول علمية صحيحة وبذلك سار قدما بخطى سريعة الى الأمام ..

والعلم الحديث قرآنى في منهجه .. قرآنى في طريقته .. فطريقة العلم الحديث في تناول العلم والمعرفة ، هى نفس الطريقة التى جاء بها القرآن الكريم في تناول القضايا كلها مما يدل على أن العلم البشرى استطاع أن يصل الى الأساس العلمى الصحيح .

أولا :

العلم قديما كان يقبل كثيرا من الآراء ويصدقها على أساس بعض المشاهدات التى تفتقر الى الدليل العلمى .. أما العلم الحديث فهو لا يقر رأيا إلا إذا قام عليه البرهان العلمى .. كذلك القرآن الكريم لا يعتبر أى شئ حقا الا إذا قام الدليل المنطقى عليه بوضوح .. ولنقرأ عن ذلك المنهج العلمى في القرآن الكريم في سورة البقرة/١١١ في قوله تعالى : **(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)** وفي سورة الانعام/١٤٨ يقول تعالى : **(كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون الا الظن وإن أنتم الا تخرصون)** ويبين الله تعالى المنهج العلمى الصحيح في قوله تعالى في سورة النمل/٦٤ : **(أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).**

ويبين الله تعالى أن أى حقيقة لابد أن تستند الى علم وتقرأ في سورة الأنعام/١٤٣ قوله تعالى : **(نبئونى بعلم إن كنتم صادقين).**

والعلم قديما كان ينزل الظن منزلة اليقين في كثير من الأمور .. أما العلم الحديث فلا ينزل الظن منزلة اليقين أبدا .. وإذا بنيت الآراء على الظن صارت « نظريات علمية ».. أما إذا بنيت على دليل منطقي وبرهان علمى صارت « حقائق علمية ».. فالحقائق

العلمية لا تبنـى على نظريـات أو ظنون .. وإنما تبنى على اليقين .. وهذا هو المنهج الذى نزل به القرآن الكريم للناس جميعا .. وبين اللـه تعالى هذا المنهج العلمى في مواضع كثيرة في القرآن الكريم فنقرأ في سورة النجم/٢٨ قوله تعالى : **(وما لهم به من علم إن يتبعون الا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا)** وفي سورة يونس/٣٦ يقول تعالى : **(وما يتبع اكثرهم الا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا)** وفي سورة الجاثية/ ٢٤ يوضح الله تبارك وتعالى القضية في قوله سبحانه : **(وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)**.

ثانيا :

كان منهج العلم البشرى وقت نزول القرآن الكريم وقبلـه وبعـده بقرون حتى العصور الوسطى ، أن يبنى حقائقه العلمية على أساس النقل والتقليد من العلماء القدامى أو من الآباء والأجداد .. فآراء أرسطو مثلا كانت تعتبر في مستوى اليقـين .. وآراء غيره من العلماء القدامى كانت تعتبر حقائق علمية لا تناقش .. وأما ما كان عليه الآباء والأجداد فكان ينزل منزلة اليقين الثابت الذى لا يرقى إليه أى شك ..

لكن العلم الحديـث يرفض كل ذلك .. ويخضع كل قضية لمناقشة العقل ولا يقبل أى رأى بدون دليل .. ولا يعتقد في أمر إلا إذا قام عليه البرهان .. وهذا تماما هو الأسلوب العلمى في القرآن الكريم .

فالقرآن الكريـم رفض أسلـوب العلم البشرى الذى كان سائدا وقت نزوله وبعد نزوله بقرون .. وقـرر الاحتكام الى العقل والمنطق السليم في فهم الأمور ورفض التقليد عن الغير بدون فهم أو نقاش .. ورفض النقل عن الآباء والأجداد من غير دراسة وعلم .. وأخضـع كل قضيـة من القضايا .. وكل مسألة من المسائل لمناقشة العقل والعلم .. وبين المنهج العلمى الصحيـح ورفض التقليـد الأعمى والنقل بدون فهم عن الغير وذلك في قولـه تعـالى في سورة البقرة/ ١٧٠ : **(وإذا قيـل لهـم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئـا ولا يهتـدون)** ويناقش نفس القضيـة في سورة المائدة/ ١٠٤ بقوله تعـالى : **(وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنـا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)**.

وظل العلم البشرى زمنا طويلا يتبع التقليد الأعمى لآراء القدامى ويعتبر ما صدر منهم حقا وصدقا لا يتطرق إليه أى شك ، حتـى جاء العلـم الحديث وأثبت أن النقل والتقليد عن الغير في العلم البشرى كان خطأ .. فلم تكن كل آراء العلماء القدامى صحيحة .. ولم تكن كل نظرياتهم منزهة عن الخطـأ .. فهـذه آراء

« أرسطو » في نظرية التطور اختلف معها « داروين » الذى جاء بعده بقرون كثيرة وزعم أن آراء أرسطو كانت مخطئة .. وخالف كذلك ما جاء بالقرآن الكريم في بعض نواحى نظريته حتى جاء العلم الحديث بحقائق علمية ثابتة خطأت كلا من نظريات أرسطو وداروين وأثبتت أن ما جاء به القرآن الكريم كان حقا وصدقا ..

ثالثا :

من أهم الأصول العلمية التى يتمسك بها العلم الحديث أصلان ثابتان :

أولا : لا تناقض بين الحقائق أبدا .

ثانيا : ما ثبت أنه حق في زمن من الأزمان سيظل حقا على مر الأيام .

وهذه الأصول العلمية الحديثة هي أصول نزل بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ، مغايرا بذلك أصول كل العلوم البشرية المعاصرة لنزوله .

وحين يذكر القرآن الكريم الحقائق العلمية فانه يبين استحالة تبدلها أو تغيرها ونقرأ عن ذلك في سورة الأحزاب/٦٢ قوله تعالى : **(سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)** وفي سورة فاطر/٤٣ يقول تبارك وتعالى : **(فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا).**

ويذكر القرآن الكريم فطرة الله ـ والفطرة هى كل ما خلق الله تعالى ـ وفطرة الله هى الحق .. ولا يتبدل الحق ولا يتغير .. وهو مستقل عن الزمان والمكان .. ونقرأ في سورة الروم/٣٠ قوله تعالى : **(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله).**

وهكذا نرى أن أصول العلم الحديث من توافق الحقائق وثباتها واستقلالها عن الزمان والمكان .. إنما هى أصول قرآنية نزل بها نور العلم الالهى قبل أن ينشأ العلم البشرى الحديث بقرون عديدة .. ويؤكد الله جل وعلا هذه الأصول العلمية في مواضيع كثيرة في القرآن الكريم .. فنقرأ في سورة الملك/٣و٤ قوله سبحانه : **(الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير).**

فالاسلام إذن دين العلم .. يدعو الى العلم ويحث الناس عليه .. وينادى بحرية الفكر والاجتهاد في البحث والمعرفة .. ويقرر تكريم العلم والعلماء .. ويقرن الايمان بالعمل الصالح .. فلا إيمان بدون عمل صالح ..

والاسلام دين الحق .. فلا خرافات ولا خزعبلات .. فكل قضية أخضعها القرآن الكريم لمناقشة العقل والفهم السليم . ونهى الاسلام نهيا تاما عن تقليد معتقدات الآباء والأجداد دون إعمال العقل فيها .. ونهى عن النقل عن الغير دون تحكيم العلم في كل شئ ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على العلم ويحذر من تركه وفي ذلك أحاديث شريفة كثيرة .. ولقد رأينا أن العلم الحديث إنما هو قرآني في منهجه وقرآني في طريقته .. وما دام طريق الاسلام هو طريق العلم والنور والفهم والصدق وطريق الحق والعقل .. فان الذى لا يؤمن به .. لنا أن نعجب من أمره .. فبأى شيً يؤمن بعده إذن ؟.. ويقول الحق تبارك وتعالى في سورة الأعراف/ ١٨٥ : **(فبأى حديث بعده يؤمنون)** وقال تعالى في سورة الجاثية/ ٦ : **(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون)** وفي سورة المرسلات/ ٤٩ ، ٥٠ يقول سبحانه : **(ويل يومئذ للمكذبين . فبأى حديث بعده يؤمنون).**

والآن وقد وضح كل شيً .. ما رأى الملحدين الذين يزعمون أن الاسلام ضد العلم ؟ وأن الاسلام يعتمد على الجهل والخرافات شأنه في ذلك شأن أى دين آخر ؟..

ما رأى « فرويد » في زعمه أن المعتقدات الدينية قد بنيت على وهم .. وأن العلم عندما يتقدم سيثبت أن كل دين كان على خطأ ..

إذا كان هؤلاء الملاحدة الذين عاشوا بالأمس ويعيشون في عصرنا الحاضر ، قد بنوا أفكارهم على كتب دينية قرأوها في أوروبا .. وعلى أساس هجوم رجال الكهنوت على العلم والعلماء في عصرهم .. فلهم اعتقادهم في ذلك .. ولا نجادلهم في هذه القضية .. أما اعتقادهم أن الاسلام يحارب العلم فاننا نرفض ذلك تماما .. ولا ينبغى أن يقبل حكم من شخص على قضية يجهلها تماما .. فالملحدون الذين وضعوا نظرياتهم في التطور الاجتماعي أو غير ذلك وأنكروا وجود الله . واتهموا الاسلام بما ليس فيه .. هؤلاء لم يعرفوا القرآن الكريم ولم يدرسوه .. فكيف إذن نقبل حكمهم عليه ؟.. بل وكيف يقبل تلامذتهم هذه النظريات الالحادية التى بنيت على جهل بالاسلام ؟ إنهم بموقفهم هذا رجعوا الى الوراء كثيرا دون أن يشعروا .. فلقد اتبعوا أسلوب التقليد الأعمى كما كان يفعل الناس قديما .. إنهم يرددون آراء « ماركس » و« انجلز » وغيرهما دون أن يناقشوا كل ذلك بعقولهم هم .. ودون أن يجتهدوا بفكر حر مفتوح فلعلهم يصلون الى شيً اكثر صحة وصدقا مما جاء به هؤلاء من ظنون . لماذا لا يخضعون كل شيً للعلم الحديث ؟ لماذا لا يتداركون الخطأ المميت الذى وقع فيه أساتذتهم قديما بعدم معرفتهم للاسلام وعدم دراستهم للقرآن الكريم ؟. لماذا لم يدرسوا هم القرآن ويفهموه جيدا .. كما فعلنا نحن حين درسنا نظريات أساتذتهم .. وأدركنا بعد ذلك مبلغ ما فيها من خطأ وضلال .. فليدرس هؤلاء القرآن بعقل علمى مفتوح .. ولينظروا الى ما فيه من حجج وبراهين علمية وآيات وعلوم .. ولو فعلوا ذلك لتبين لهم أنه هو الحق .. وأنه هو العلم .. وأنه هو النور واليقين .

لُغَوِيّاتٌ

يقولون

يقولون : سافر خالد ثم سافر زيد بعد نلك، والصواب أن يقال سافر خالد ثم زيد بحنف الفعل (سافر) الثاني جوازا لدلالة الاول عليه وحنف (بعد نلك) وجوبا لان حرف العطف الذي هو « ثم » يفيد المعنى نفسه .

ترتيب النوم

اول النوم النعاس، وهو أن يرغب الانسان في النوم ، ثم الوَسَنُ : وهو ثقل الرأس ، ثم الترنيق : وهو مخالطة النعاس للعين ، ثم الكرى : وهو ان يكون الانسان بين النائم واليقظان ، ثم التغفيق : وهو النوم وأنت تسمع كلام الناس ، ثم الاغفاء : وهو النوم الخفيف ، ثم التهويم : وهو النوم القليل ، ثم الرقاد : وهو النوم الطويل .



○ المسجد الكبير في الدوحة

قطر

للأستاذ : عبدالغني محمد عبدالله

سبق لنا الطواف معكم على صفحات مجلتنا بدولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وقبلها صاحبتكم مجلتكم (الوعي الاسلامي) في جولة داخل البحرين .. وفي الحقيقة فان ساحل الخليج العربي الغربي يتميز الآن بقيام دول فتية تنمو بسرعة ملحوظة

تسابق الزمن وتغير وجه الحياة فيها من الشكل القديم .. الى شكل حديث يساير التطور الواقع على كل الأنشطة في الدول المتقدمة .

واليوم لنا جولة معكم على دولة خليجية أخرى هى (دولة قطر) هذه الدولة العربية الواقعة على ساحل الخليج العربي فوق شاطئه الغربي . وتمثل شبه الجزيرة الممتدة كلسان برى داخل مياه الخليج . جزءا من أرض شبه الجزيرة العربية يزخر بالحياة ويتدفق بالنشاط مما يدل على إصرار العربي على تطوير نفسه وحياته وذلك برغم صغر المساحة التي تبلغ ٤٠٠٠ ميل مربع .. وعدد السكان القليل نسبيا ١٨٠ ألف نسمة يتمركز ٨٠٪ منهم في العاصمة (الدوحة).

ويتبع شبه جزيرة قطر ، عدد غير قليل من الجزر المتناثرة داخل الخليج العربي ، منها جزيرة حالول مركز تخزين وتعبئة ناقلات النفط ،وجزيرة حوار ،وشراعوه . وهذه الأخيرة غير مأهولة بالسكان وان كانت تشتهر بسكنى أكثر من مليون طائر على أرضها .

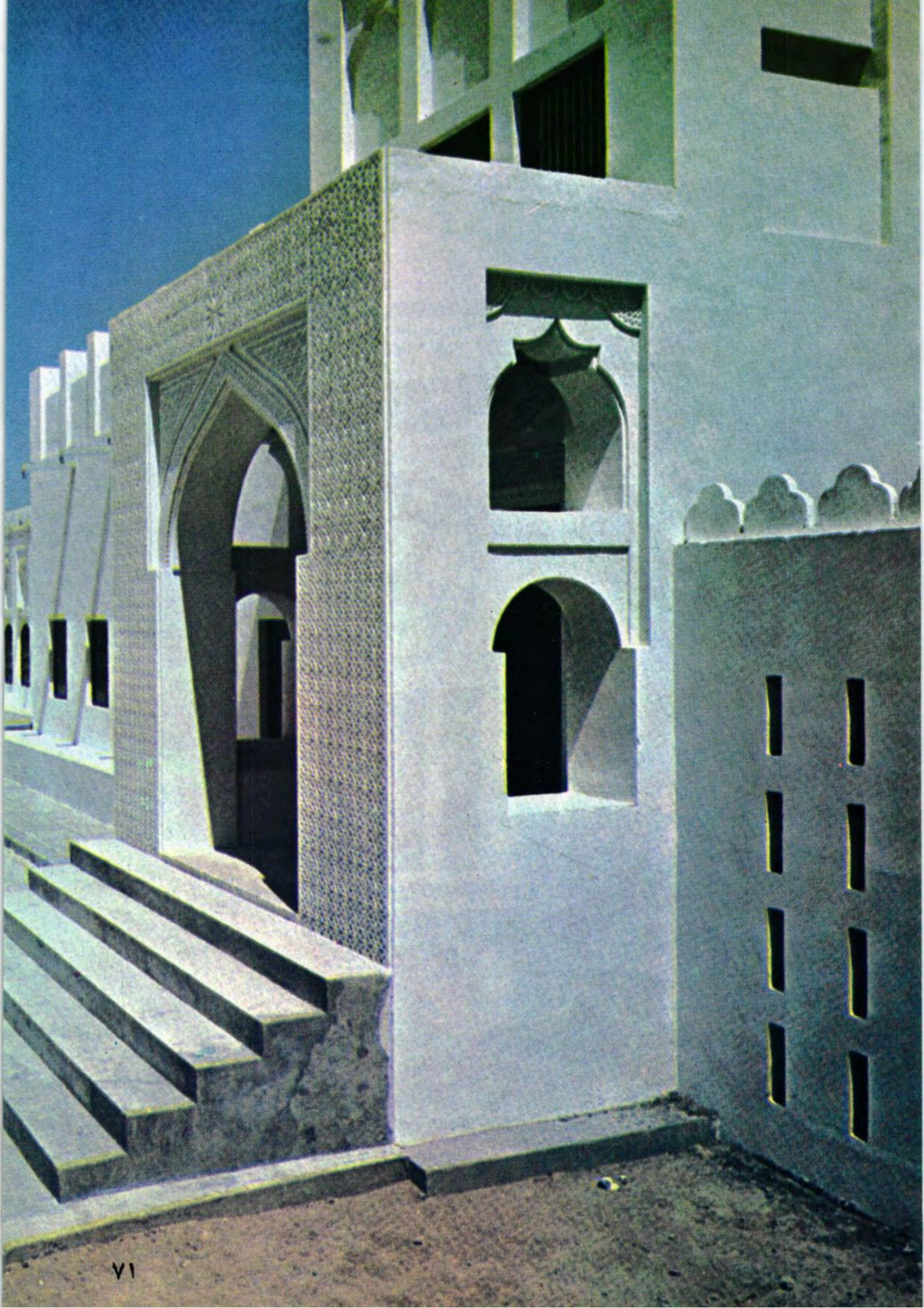
وهناك جزر أخرى تتبع قطر مثل الأسماط والسافلية والعالية ، وجنان وراكان ،وابروق ، والبشيرية .

وتحيط بها مياه الخليج العربي الزرقاء من الشمال والشرق والغرب وتتصل بالبر من الناحية الجنوبية بالمملكة العربية السعودية .

حاضرة قطر هى مدينة (الدوحة) واحدة من أجمل المدن العربية على ساحل الخليج العربي وتقع على الساحل الشرقي لشبه جزيرة قطر ، وتتركز بها الادارة الحكومية للدولة . ويعيش بها أغلب سكان دولة قطر الذين يشقون طريقهم في الحياة بنشاط وهمة .

والمتتبع لتاريخ دولة قطر القديم قد يتصور أنها كانت مستقرا لهجرات بشرية مختلفة ما تلبث أن تهجر مرة أخرى خصوصا في هذه الأزمنة البعيدة في التاريخ . الا أنه ومع الكشوف الأثرية الحديثة التي شملت منطقة الخليج العربي أثبتت حفريات بعثة الآثار الدانمركية التي أجرتها ما بين الأعوام ١٩٥٦ ـ ١٩٦٤ أن قطر كانت مأهولة بالسكان خاصة في حوالي الألف الرابع قبل الميلاد ، وذلك ثابت بموجب المخلفات التي عثرت عليها البعثة المذكورة . وفي الحق ان تأخر الحفريات في منطقة الخليج ترتب عليه تأخر الوضوح لصورة الحياة في منطقة الخليج العربي وخاصة على ساحله الغربي وهذا لا يعني بالتأكيد انعدام وجود صور الحياة في هذه الأزمنة السحيقة والضاربة في عمق التاريخ .

وفي تاريخ قطر الحديثة ، يعود تاريخ نزول آل ثاني في قطر الى القرن الثامن عشر ، هذه الأسرة التي تحكم قطر والتي ارتبط اسمها باسم عميدها (ثاني بن محمد). وأسرة آل ثاني فرع من بنى تميم الذين يتصل نسبهم بمضر بن نزار . وقد تولى صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مسئولية الحكم في دولة قطر



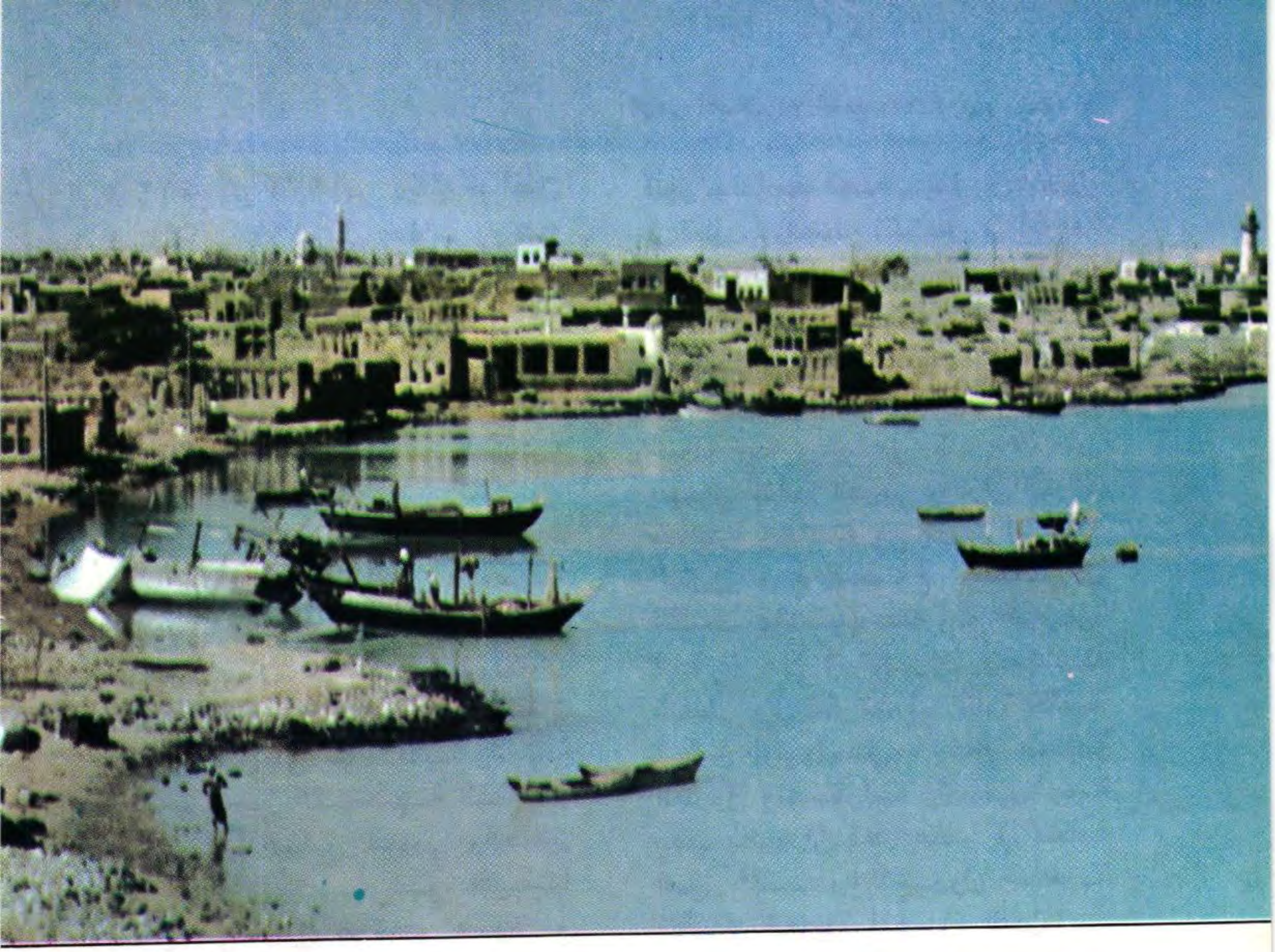


في ٢٢ فبراير ١٩٧٢م . وكان قد أعلن في ١/٩/١٩٧١م في خطاب وجهه بالتلفزيون استقلال دولة قطر وانهاء المعاهدة مع انجلترا والتي سبق أن وقعها الشيخ عبدالله بن جاسم آل ثاني سنة ١٩١٦م ، وانضمت بعد ذلك الى عضوية الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة وهى تشارك مشاركة فعالة في نشاطات هذه الهيئات المختلفة والمتنوعة الاختصاصات . ويتميز هذا كله بالاضافة الى النشاط الزائد في كل المجالات من تخطيط وانشاء وتقنين وتطوير . وخلق حياة جديدة واضحة المعالم لتمييز الشخصية القطرية كجزء من الخليج العربي والعالمين العربي والاسلامي . فهي خليجيا تعمل على توثيق علاقات الأخوة مع الشقيقات الخليجيات ايمانا منها بوحدة الهدف والمصير . وعربيا هى واحدة من الدول العربية . لها سهم كبير في هذا العالم العربي الممتد من الخليج الذي تقع عليه دولة (قطر) الى المحيط الاطلسي هناك في اقصى الغرب . وعلى الصعيد الاسلامي فهي تزيد من علاقاتها مع الدول الاسلامية الشقيقة . وتعمل قدر طاقتها في دعم التضامن والتعاون مع وبين مجموعة الدول الاسلامية . ونشاط كثيف .. في المجال الافريقي في النضال والكفاح وفي طلب الحرية . وفي المجالات الأخرى العديدة والتي تغطى العالم كله . نجد لدولة قطر دورا بارزا فيه .

والبترول ـ مادام الحديث عن قطر ـ لنا معه قصة ـ قبل أن نتجول في قطر ـ وقصته تتلخص في أنه بدأ انتاجه بكميات متواضعة هناك في عام ١٩٤٩م وبدأ الانتاج يتزايد ، قد يصعد وقد يهبط أحيانا . ولكنه على أي حال يؤمن ٩٥٪ من ايرادات الدولة وما يربو على الـ ٧٥٪ من اجمالي الناتج القومي ومازال التزايد مستمرا وخاصة مع تزايد اسعار البترول ومع النجاح المستمر في الكشف والتنقيب عنه ومع السيطرة الوطنية على استخراج وصناعة النفط . وفي قطر تشرف ادارة خاصة لشئون البترول على ما يخص صناعة البترول واستخراجه وتصديره ومما يجب ذكره أن قطر عضو في منظمة الدول المصدرة للبترول ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ـ وفي الهيئات المماثلة . وتعمل عدة شركات في مجال البترول في قطر (نفط قطر) ـ (شل قطر) ـ البندق (بين قطر وأبو ظبي) ـ ونترشال ـ هولكار . وهناك شركة البترول الوطنية للتوزيع ـ نوركو ـ.

وتستغل قطر الغاز الطبيعي من حقل دخان فقد أنشأت الحكومة خطا لنقل الغاز الطبيعي من (فحيحيل) الى أم سعيد لامداد مصنع الأسمدة الكيميائية وامداد الدوحة العاصمة بالغاز لتوليد الكهرباء . وبدىء العمل في تسييل الغاز لانتاج البروبين والبيوتان .

هذا وقد صدر في ٤ يوليو ١٩٧٤ قرار بتأسيس المؤسسة القطرية للبترول وهى ملك للدولة بالكامل . ثم



○ مدينة الخور

قرار آخر في اكتوبر ١٩٧٦ بانشاء الهيئة القطرية لانتاج البترول وهى تتبع المؤسسة القطرية للبترول وبعد حرب ١٩٧٣ عملت قطر على أن تسيطر بالكامل على قطاع البترول وأن يؤول للدولة كل حقوق وأموال شركتي نفط قطر ، شل قطر ، وفي هذا العام زاد انتاج قطر من البترول زيادة ملحوظة .

الدوحة :

وقد كانت قبل عقدين من الزمن تقريبا صغيرة توفر الحياة بصورة رئيسية لصيادي الأسماك أما الآن وهى عاصمة قطر تعتبر واحدة من المدن الحديثة تنمو باطراد نموا يتناسب مع وضع البلاد دوليا والمدينة تمتاز بشوارعها المتسعة النظيفة وبناياتها الحديثة المتناسقة ، وتمتاز بالشوارع التي تحيط بالمدينة كلها ، وعلى ساحل الخليج نجد شارع الكورنيش الذي يلتقى في الشرق بشارع رأس أبو عبود ثم يدور مع الساحل متجها الى الغرب مارا بالميناء وبدار الحكومة ووزارة الداخلية وبمجموعة من البنوك . وتنقسم الدوحة الى عدة أحياء : الدوحة الجديدة ، الرميلة ، المشيرب ، روضة الخيل . وشوارع كثيرة متعددة مثل : طريق المطار ، شارع رأس أبو عبود ، طريق الاحمد ، وطريق سلوى ، طريق ريان



○ من المنازل العربية القديمة

والعديد من مباني البنوك والميادين والفنادق والمستشفيات والحدائق . ومن أروع مناطقها : المناطق التي تحتل الوزارات أجزاء منها ومصالح الخدمات العامة . الى جانب قصر الدوحة ، واستاد الدوحة ، ودار الكتب ، وقصر الضيافة ، والقلعة التي تقع في غرب المدينة ومتحف قطر الوطني . وأيضا في الغرب ضاحية الريان الجديدة .

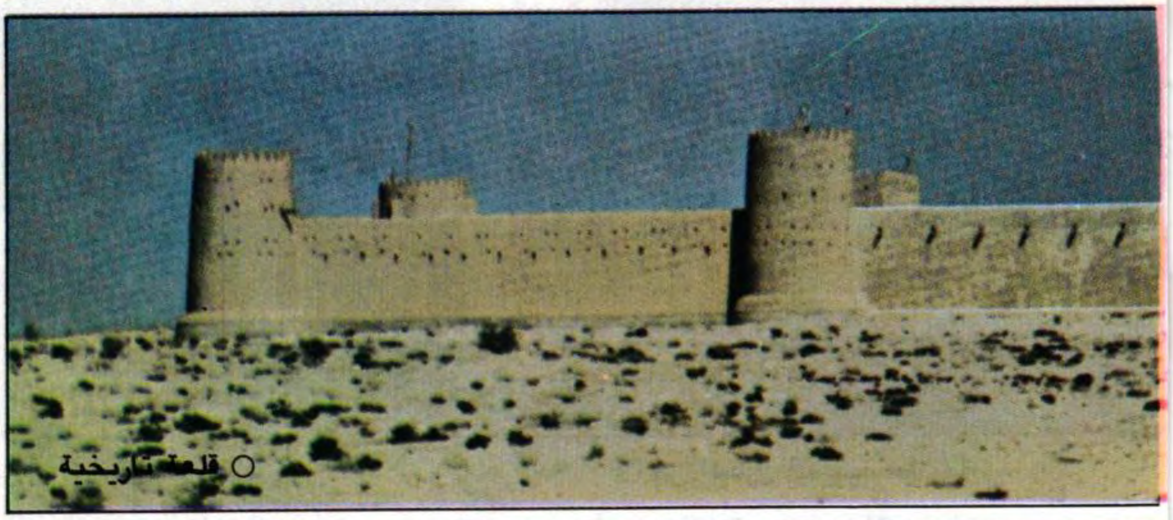
ويغلب على مدينة الدوحة هذا الهدوء العجيب والنظام البديع والنمو المطرد والتخطيط الذي أعد للمستقبل عدته .

والى جانب أن الدوحة هى العاصمة فهي أيضا ميناء يخدم قطر وينفتح معها على العالم من خلال هذا الميناء كاتصال بحري ومن الميناء الجوي أيضا ومن خلال مركز للهاتف والبرق واللاسلكي أي أنه بمعنى أوضح هناك اتصال بكل ما يعنيه الاتصال (بحري – جوي – بري – سلكي – لاسلكي) مع العالم كله طوال الأربع والعشرين ساعة في اليوم .

على أي الأحوال يمكن لنا القول بكل اطمئنان ان الدوحة هى مقر الحكومة تعتبر مركزا تجاريا وماليا . وقد أصبحت الآن مدينة مزدهرة ذات شوارع وطرقات متسعة على جانبيها المتاجر والحدائق وتتخلل المدينة – ميادين كبيرة ومباني ضخمة الى



○ شارع السفارات بالدوحة



○ قلعة تاريخية



جانب الفيلات الجميلة ـ وتضم عددا كبيرا من المساجد الى جانب المتحف والمسرح ودور السينما وحديقة للحيوانات .

مدن اخرى :

تجئ مدينة الخور في شمال الدوحة وهى ميناء صغير . ثم مدينة أخرى هى أم سعيد التي تبعد عن الدوحة حوالي ٤٥ كم وهى بحق مركز تجمع الصناعات الثقيلة في قطر .

ومدينة دخان وهى أهم مراكز انتاج النفط وتقع على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر . وفي غرب الدوحة وفي خلال عشر دقائق تقريبا بالسيارة تستطيع الوصول الى مدينة خليفة (٦ كم فقط) تستطيع ان ترى هذه المجموعة الرائعة من البيوت التي أقامتها الدولة ووزعتها على افراد الشعب .

التعليم :

وفي قطر نهضة تعليمية تسير على خطة تربوية مدروسة . وتبدأ سن التعليم في قطر من السادسة ويمر الطالب بثلاث مراحل (ابتدائية واعدادية وثانوية) ثم يلتحق الطالب بعد نلك بالتعليم العالي وهناك كليتان للتربية تم إنشاؤهما عام ١٩٧٣ للمعلمين والمعلمات . الى جانب انشاء الجامعة القطرية الجديدة .

وبها أيضا مدارس ثانوية فنية ومعاهد متخصصة ومركز للتدريب المهني مع الاهتمام بالشباب ورعايته اهتماما كبيرا وفي سبيل نلك يتم تشجيع الأندية الرياضية والمؤسسات الكشفية . وفي الدوحة مدينة رياضية (مدينة خليفة الرياضية) وهى مدينة مصممة بشكل عصري ومتقدم وتضم مختلف حقول الألعاب والسباحة بالاضافة الى جناح اداري مخصص لرعاية الشباب .

خدمات أخرى :

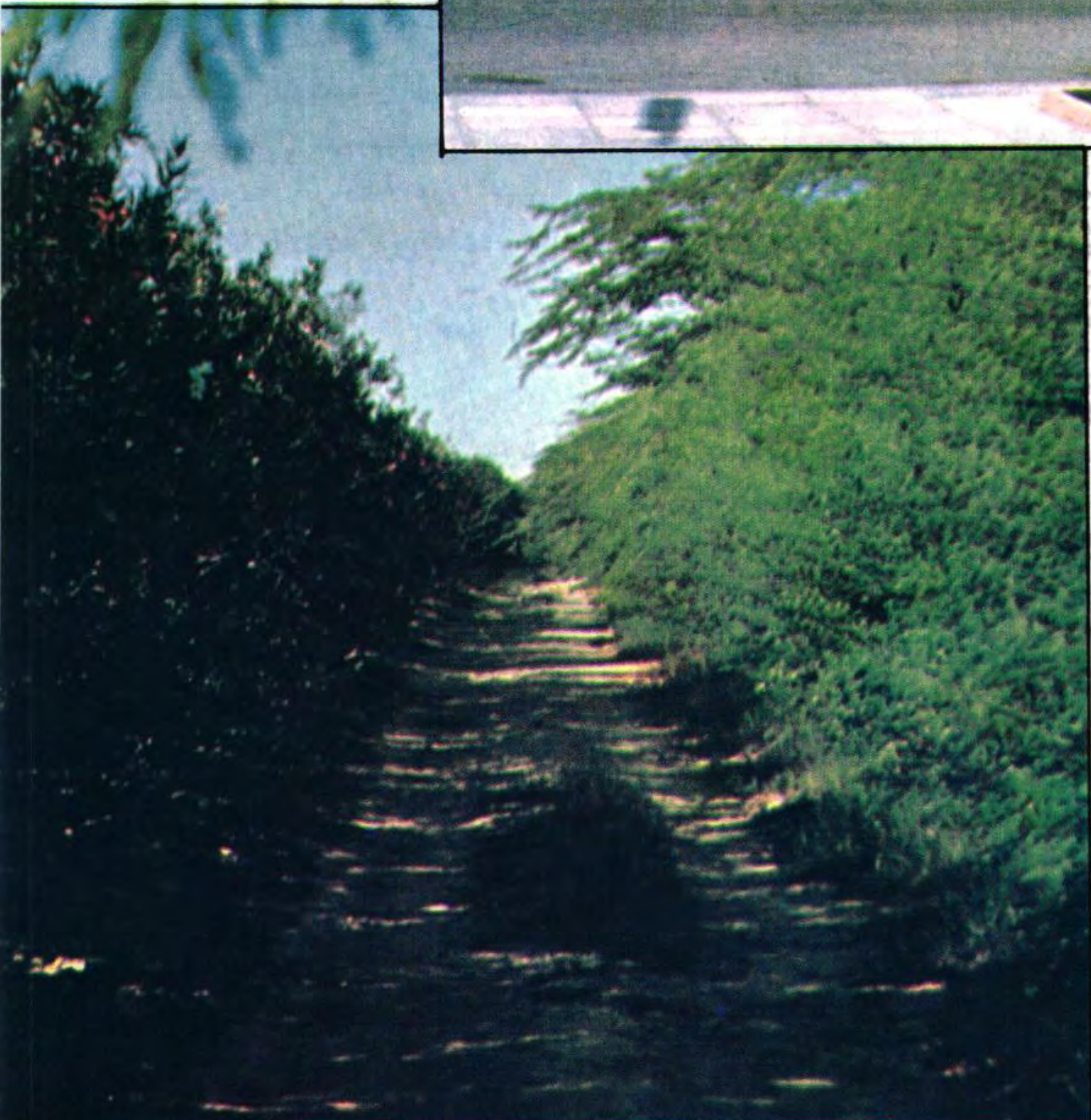
الرعاية الصحية والخدمات الطبية تحتل المكانة الأولى في قطر وهى معممة بشكل مجاني فهناك الكثير من المستشفيات مثل (مستشفى الرميلة ، الولادة ، الدوحة القديم ، الأمراض المعدية ، ومستشفى الدوحة الجديد ، هذا الى جانب المستوصفات والعيادات المنتشرة في كل أرجاء قطر مع تزويد نلك كله بالأطباء والمساعدين والأدوية والأجهزة المتطورة مع ما يلزم نلك كله من تحاليل وأشعة واقامة .. الخ . مع خدمة صيدلية حكومية وأهلية واسعة . الى جانب الاهتمام بالطب الوقائي والبيطري . وقد أنشئ مركز للتدريب الصحي يضم ثلاثة معاهد أحدها للاناث والباقيان للرجال).

والاهتمام بالشئون الاجتماعية واضح .. فالمساكن التي تقدم لذوى الدخل المحدود كثيرة . وتغطي كل الضواحي في البلاد تقريبا .. وتراعى الدولة في تخطيط المساكن أن تكون صحية بالاضافة الى الأناقة والراحة والاتساع مع شمول المسكن على حديقة جميلة وملعب صغير للأطفال .

والنهضة الصناعية في قطر تقوم



○ قصر الدوحة



○ مزرعة تجريبية

على قدم وساق فهناك مصانع للأسمدة الكيماوية والاسمنت ، ومطاحن الدقيق ، وشركات صيد الأسماك وتصنيعها وصناعات الورق ، والبلاستيك للتعبئة ، ومواد التنظيف ،وانتاج الالمونيوم ، ومشاريع كثيرة للبتروكيماويات والحديد والصلب . ويمكن ملاحظة التقدم الصناعي بكثرة المداخن التي تعلو في سماء قطر العظيمة .

والزراعة أيضا برغم الطبيعة الصعبة الا ان الاصرار على دق باب العمل الزراعي كان اصرارا كبيرا حيث ان مصادر المياه قليلة فمياه الأمطار لا تكفي مما دفع الى الاعتماد على المياه الجوفية . وعلى بعد ٨٠ كم من الدوحة نجد محطة التجارب الزراعية حيث تشغل ما يقرب من ٨٠٠دونم . وهناك مشروع مشترك لاستغلال المياه ـ قامت بتنفيذه منظمة الأغذية والزراعة التابع للأمم المتحدة وانتهت مرحلته الأولى سنة ١٩٧٣م واختتم نشاطه سنة ١٩٧٧م وفي أم قرن مشروع للدواجن على بعد ٣٥ كم من الدوحة . والمشاريع الزراعية كثيرة متعددة النواحي .

وتهتم الدولة بالتجارة والاقتصاد . وقطر عضو في صندوق النقد الدولي . والعملة في قطر هى الريال القطري الذي يحتوي على مائة درهم .

والنشاط التجاري والاقتصادي كبير والبنوك متوفرة بشكل يدل على مدى التقدم الاقتصادي في هذه الدولة الفتية .

الاسلام في قطر :

وقطر دولة عربية اسلامية . تعمل على بث الوعي الاسلامي وتوثيق علاقة الفرد مع خالقه . والنشاط الاسلامي كثيف جدا فالمساجد منتشرة على نحو واسع يؤمها الكثير من المصلين تحت قيادة روحية رشيدة من الأئمة والخطباء . ولعل أجمل المساجد في الدوحة هو المسجد الكبير بعظمته واتساعه .

والتربية الدينية لطلبة المدارس تأخذ نصيبا كبيرا من اهتمام وزارة التربية والتعليم من أجل تنشئة جيل مسلم ومؤمن يعتصم بالاسلام الحنيف ، ويلتزم منهجه ، فهو دين الله الذي ارتضاه لعباده وجعله صالحا لكل زمان ومكان (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**).المائدة / ٣

رحلات العرب التجارية وأثرها في نشر الإسلام

كان للرحلات التجارية التي قام بها التجار العرب آثارها الاقتصادية القوية ، ولكن كان لها أيضا في نفس الوقت آثارها الدينية العميقة ، ذلك لأن هذه الرحلات أدت إلى نشر الدين الاسلامي في جهات متعددة ، لم تطأها قدم جندي عربي واحد .

أقام العرب علاقات تجارية ناجحة مع الهند والصين ، ومع مختلف أجزاء أفريقيا الشرقية والغربية والشمالية ، وكذلك مع الروسيا وشمال غرب أوروبا بما في ذلك السويد

للأستاذ/محمد ابراهيم الصيحي

والدانمرك ، وحملت بغداد والاسكندرية لواء هذه النهضة التجارية ، بل لقد تمكنتا ــ كما يقول برنارد لويس/الاستاذ بجامعة لندن ــ « من تحديد أسعار كثير من البضائع في العالم ، فتدفقت الأموال على العرب ليعم الشراء والرخاء ومظاهر الترف حياتهم » .

وفي هذا الوقت نفسه الذي امتد فيه نشاط العرب إلى معظم دول العالم المعروف إذ ذاك كانت أوروبا كما يقول العالم الفرنسي المحقق « جوستاف لوبون » . « تشك حتى في وجود بلاد الشرق الأقصى ، ولا تعرف من أفريقيا سوى بعض شواطئها الساحلية » .

كانت سفن المسلمين التجارية تتحرك من موانئ الخليج العربي وخاصة سيراف والبصرة التي كانت تسمى باب بغداد الكبير ، وكذلك من عدن ومن موانئ البحر الأحمر إلى الهند وجزر الهند الشرقية وسيام والصين ، حاملة معها المتاجر العربية في رحلة بحرية مريحة ، تستغرق من ساحل الخليج حتى ساحل الهند فترة تتراوح بين الشهر أو الشهرين حسب مدى مواتاة الأحوال الجوية ، كما وصلت القوافل التجارية برا إلى الهند أيضا عن طريق بري سلكوه مارا بشرق فارس وكشمير ، وكانوا يحملون معهم للهند السكر والزجاج والأقمشة والزيوت والعطور وماء الورد والحبوب ويعودون من الهند بالحرير والقصدير وأنواع من الأواني والأطباق والمقاعد وخشب الساج المشهور بصلابته وقوته ، وقد كان من أجود ما استخدم في المساجد والبيوت وصنعت منه الأدوات الخشبية الثمينة ، وكذلك الخشب الأحمر الصافي الذي لا يؤثر فيه السوس ، وهو الذي صنع منه كل ما احتاج إليه مسجد قرطبة من أبواب وغيرها .

ــ والى جانب ذلك كله كان المسلمون يعودون محملين بخليط من البضائع نذكر منها : الجلود والياقوت والفضة التي كانت تستخرج من مناجم هند كوش ، ويروى الرحالون العرب أنهم كانوا يشاهدون أكثر من ١٠٠,٠٠٠ عامل يتناوبون العمل في استخراج الفضة منها ، ووصفوا المعاملة الطيبة التي لاقوها طوال رحلتهم سواء من الأهالي أو من حكام الهند ، وقد حدا هذا ببعض العرب إلى استيطان بعض أجزاء الهند مما كان له أثره فيما بعد في نشر الاسلام هناك .

وقد وثق التجار العرب علاقاتهم أيضا بشبه جزيرة ملقا (الملايو) واتخذوا من مدينة (كله) مركزا لنشاطهم وهي ميناء هام يقع على خط الاستواء ، وكانت محطا للتجار

القادمين من الصين أو العراق على السواء ، وكانت أسواقها عامرة بأخشاب الصندل وجوز الطيب وجوز الهند .

وكانت الهند هي همزة الوصل بين العرب والصينيين ، فلما وصل المسلمون إلى الهند بحرا وشعروا باتقانهم لفنون البحر ، وسيطرتهم عليه ، لم يترددوا في المخاطرة بسفنهم في رحلات توصلهم إلى الصين بطريق البحر ، ونجحوا فعلا في تحقيق بغيتهم ، وذلك عن طريق السير بمحاذاة شاطئ الهند حتى ملبار ، ثم الاتجاه مباشرة نحو الصين ، فوصلوا "كانتون" ولكن نظرا لما كانوا يلاقونه من مخاطر أحيانا ، فقد كانوا دائما يفضلون الطريق البري الذي كانت تسلكه قوافلهم في أربعين يوما أحيانا إذا لم تصادفهم عقبات ، وهو المعروف بطريق الحرير العظيم ويمر بسمرقند وتركستان ، وسمي بهذا الاسم نظرا لأن القوافل كانت تحرص على جلب الحرير بصفة خاصة من الصين ، ويؤكد لنا « آدم متزن » أن الصلة التجارية زادت توثقا بالصين بعد أن قبل نصر بن أحمد الساماني حاكم بخارى أن يتزوج ابنة ملك الصين سنة ٣٣١ هـ (٩٣٤ م) ففتحت أبواب الصين للتجار المسلمين على مصاريعها ومنحوا جوازات سفر تسمح لهم بالتوغل في داخل البلاد بقصد الاتجار مع المواطنين .

وقد ساعد ذلك على إغراء بعض التجار العرب بالبقاء في الصين ، والاستقرار فيها ، وحينما حملوا — عصا الترحال وألقوها هناك ، حملوا معهم دينهم الاسلامي ، ونشروه في بعض الجهات وخاصة في بكين التي تضم وحدها الآن قرابة ربع مليون مسلم ، ولهم فيها أحد عشر مسجدا ، كما تمركز عدد كبير منهم في خانفو KHANFOU جنوبي شنغهاي حتى بلغوا اليوم قرابة العشرين مليونا وقد حمل التجار العرب إلى الصين الحجارة الثمينة والمرجان والمنسوجات الصوفية والتمور والسكر والسيوف والآنية الزجاجية وغيرها ، وعادوا محملين منها بالورق والمنسوجات الحريرية بوجه خاص والقيشاني والشاي والمسك والكافور والتوابل والقرفة وبعض المستحضرات الطبية .

كما وطد المسلمون صلاتهم التجارية بأجزاء متعددة في أفريقيا لم يدخلها أجنبي من قبل ، ووصل بعضهم إلى أصقاع مجهولة في قلب القارة الأفريقية وحطوا هناك رحالهم ، وترتب على ذلك بطبيعة الحال نشر الدين الاسلامي هناك ، وفي أماكن يتعذر اليوم على الكثيرين الوصول إليها إلا بمشقة بالغة ، مما يدل على مدى تغلغل التجار المسلمين في أنحاء القارة .

وكان العرب يلقون دائما أطيب معاملة من الأهالي الذين كانوا يقدمون لهم الذهب والعاج وجلود النمور وظهور السلاحف لصنع الأمشاط الممتازة ، هذا إلى جانب الرقيق ، وذلك مقابل المنتجات العربية من أدوات معدنية وزجاجية وسكر

وسيوف وزجاجات عطور عن طريق المقايضة ، وهو نظام التعامل الشائع والمألوف إذ ذاك في أفريقيا حيث لم تكن تعرف العملة .

ومد العرب منطقة نفوذهم التجاري إلى أوروبا أيضا ، وكونوا علاقات قوية مع سكانها ، وساعدهم على ذلك أنهم ـ أي العرب ـ كانوا سادة البحر المتوسط الذي ظل فترة طويلة بحيرة إسلامية تجوبها السفن في أمان وبانتظام ، وكانت تحمل الانتاج العربي وخاصة النسيج بأنواعه والحلى والآنية المنقوشة والبسط إلى جانب المسك والعود والكافور ، وتعود محملة بالفراء والخز وجلود الثعالب والسيوف والدروع والقلانس والخشب الخاص ببناء السفن ، هذا إلى جانب الجواري .

وكانت محطات السفن في قادش ومالقة وقرطاجنة مراكز نشاط تجاري هام في الحوض الغربي للبحر المتوسط كما كانت الاسكندرية هي المركز الرئيسي المماثل في الحوض الشرقي .

وقد امتدت العلاقات التجارية بين العرب وأوروبا إلى شمال هذه القارة ، وقد عثر على الآلاف من العملات العربية في منطقة البحر البلطى والسويد وخليج فنلندا مما يؤكد وصول العرب إلى هذه الجهات ، ويرجح أنهم سلكوا في رحلاتهم طريق نهر الفولجا إلى مدينة بلغار وهي المعروفة الآن باسم (سنبرسك) وكانت مركزا تجاريا هاما وحلقة اتصال بين آسيا وأفريقيا ، ويعلق « برنارد لويس » الأستاذ بجامعة لندن على العثور على العملات الاسلامية في شمال غرب أوروبا بقوله : « إنها تعني ازدهار التجارة العربية وتؤكد قيامها بين الامبراطورية الاسلامية وبلاد بحر البلطيق عبر بحر قزوين والبحر الأسود » .

وفي أفريقيا كانت الطرق التي سلكها التجار العرب إلى قلب القارة هي نفسها الطرق التي دخل منها الاسلام لافريقيا ، وكان في مقدمة القبائل التي اعتنقت الاسلام قبائل الطوارق التي تعيش في قلب الصحراء الكبرى ، وأصبحت الآن من أشد المسلمين تعصبا لدينهم وإيمانا به ، ولم تكتف هذه القبائل باعتناق الاسلام ، بل بذلت مجهودا إيجابيا ضخما لنشر الدين الجديد بين القبائل المجاورة والقريبة وفعل نفس الشي أبناء قبائل المرابطين الذين اعتنقوا الاسلام على يد عالم مسلم هو « عبد الله بن ياسين » وكان لهذه الجماعة فضل نشر الدين في أنحاء واسعة ممتدة في السنغال وغرب أفريقيا ، ثم تمكنت من تأسيس دولة المرابطين التي تميزت بقوتها ونفوذها وسطوتها في شمال أفريقيا والأندلس . وظلت هذه الدولة تنشر دعوتها الدينية في آفاق أخرى جديدة وبجهدها وحدها تمكنت من مد الرقعة الاسلامية إلى أطراف السودان وأصبحت مدينة « تمبكتو » الواقعة على طريق التجارة بين السودان وشمال أفريقيا مركزا إسلاميا هاما ، كما أصبحت الممالك

الواقعة على نهر النيجر وشاطئ بحيرة تشاد الغربية والشمالية تدين بالاسلام .

وفي الحبشة استقرت أعداد كبيرة من التجار المسلمين في المنطقة الساحلية وهذه الأعداد هي التي نشرت الدين الاسلامي بين الأهالي الذين أقبلوا عليه ، ومن الساحل توغل المسلمون إلى الداخل .

وتبلغ نسبة المسلمين في الصومال ١٠٠٪ مع أن هذه المنطقة لم يدخلها جندي عربي واحد ، ولكن قوة الاسلام الذاتية هي أيضا التي فرضت نفسها كما أن هذه النسبة أو ما يقاربها نجدها في أكثر من جهة على الساحل الغربي للقارة أيضا . أما في آسيا فقد انتشر الاسلام مع التجار العرب القادمين من الجزيرة العربية والذين استقروا في أجزاء مختلفة من جنوب آسيا وغربها ، وقد رأينا كيف وصل المسلمون إلى شواطئ الهند وجزر الهند الشرقية والهند الصينية والصين يحملون معهم الأقمشة والسكر والقطن والعاج ولكنهم حملوا معهم في نفس الوقت ما هو أهم من ذلك كله وهو الدين الاسلامي .

وفي جزر الهند الشرقية ـ أندونيسيا الحالية ـ تغلغل المسلمون في المناطق الساحلية والداخلية على السواء ، ونشروا الدين الاسلامي بين السكان الذين أقبلوا بدورهم عليه طائعين وكان تزاوج التجار العرب المسلمين من السيدات الوطنيات من أكبر عوامل نشر الدين إذ أدى إلى استقرارهم وتكوين أسرات كبيرة إسلامية ، ثم إلى اتساع نطاق الدعوة الجديدة التي لاقت ترحيبا من الوطنيين وأدى ذلك إلى خلق أجيال متوالية من العائلات الاسلامية ، وأخذت أعدادها تتزايد على مر السنين حتى آل إليها الحكم نفسه ، وأصبحت البلاد إسلامية .

وتحمس كل من اعتنق الاسلام لنشر الدين الجديد بين ذويه وأقاربه ، ومواطنيه ، فكانت الدعوة دائما في مد متواصل في كل مكان .

وما حدث في « جاوة » مثلا حدث مثله في « سومطرة » ، إذ أقبل المسلمون الجدد على تلقي تعاليم دينهم الجديد وتفهم دقائقه ، وبدأوا يقنعون الآخرين بما اقتنعوا هم به ، وفي شبه جيزرة الملايو امتد الاسلام من الساحل إلى الداخل ، وأقبل الملاويون على الدين الجديد بحماسة بالغة ، وامتد منها إلى الهند الصينية ، هذا عدا الملايين الأخرى التي عاشت في الصين .

ويقصد بذلك أنه انتشر بقوته الذاتية كدين ، عن إقناع واقتناع ، وإيمان عميق مما أدى إلى اعتناق آلاف الناس ثم ملايينهم له بمحض اختيارهم دونما ضغط أو تهديد ، في بلاد لم يدخلها جيش إسلامي بل لم تطأها قدم جندي عربي واحد ، وفي هذا ما يدحض التهمة التي يحاول بعض مؤرخي الغرب المتعصبين إلصاقها بالاسلام فيعلنون دائما أنه انتشر بحد السيف .

ألا يكفي ذلك للرد على ادعاءاتهم ؟!

قالوا في الأمثال

○ جاءوا بالقَضّ والقَضِيضِ :

القض الحصى أو كبار الحصى ، والقضيض ما تكسر من الحصى أو الصغير منه . فاذا كلف امرؤ احضار حصى فجاء بالصغير والكبير ، فقد جاء بالقض والقضيض فاذا شبت الحرب فنفرت لها الأمة ، صغارها وكبارها ، أو أنفق الرجل كل ما لديه من المال أو تناول آكل كل ما قدم له من زاد ، أو أحاط امرؤ بكل صغيرة وكبيرة في عمله وفنه ، أو جنى صاحب البستان قطاف بستانه ، فلم يدع فيه صغيرة ولا كبيرة إلا قطفها ، أو التهمت النار متزلا فاتت عليه ، أو فاض نهر فلم يترك شيئا إلا ناله ، أو جاء الخصم بكل حجة لديه ، أو أرسل امرؤ في أمر فقتله بحثا وجاء بكل ما يمكن أن يسأل عنه فيه ، أو أدى الرسالة ولم تفته فيها صغيرة ولا كبيرة .

ففي كل نلك وأمثاله يقال : « جاء بالقض والقضيض » أي لم يدع شيئا ولم يقصر في شيء .

إن الرائدَ لا يَكذِبُ أهلَه

إذا سار الجيش إلى أعدائه ، قدم أمامه روادا يكشفون له الطريق ، ويحددون مواقع العدو ، حتى يتقدم الجيش على بصيرة ، فلا يؤخذ بما قد يكون العدو أعد له من خدعة . وإذا سارت القافلة أرسلت أمامها روادا يرتادون لها أمن الطريق . وهؤلاء الرواد يختارون من الأذكياء المجربين الأمناء المخلصين الذين لا يكذبون ، لأن حياة الجيش او القافلة او القوم معلقة على أخبارهم وما ينقلون من معلومات .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه الجملة في أول موقف له في الدعوة إلى الله ليبين لقومه أن من تصدى لهداية أهله ، فانه لا يكذبهم ولا يخدعهم .

من مصطلح الحديث

نحن في عصر كثر فيه نتاج العقول ، وتضاربت النظم ، وتعارضت ، وكثرت التعاليم البشرية ، وتنوعت ، ومع هذا فلم يجد الناس الأمان والرخاء في ظلها جميعا .

ومهما تكن العيوب الكثيرة التي أوجدت هذا الاضطراب ، وساعدت في خلق هذا الجو الذي لم ينعم الفرد فيه باستقرار ، فلا ريب أن الأسباب المباشرة المؤثرة حقا هي أن هذه النظم وتلك التعاليم لم تثبت قدرتها في مواجهة المشاكل بالشكل الذي يريح الانسانية بل على العكس من ذلك عاشت الدنيا تتخبط في ظلام دامس ، وهمجية قاتلة ، وظلم قاتم ، وخراب مدمر عاصف ، وشقاء وحروب تلو الحروب ، لم تهدأ الدنيا لحظة ، بل ظلت لاهثة وراء سراب خادع هو الاستقرار الذي لن تناله ما دامت هذه قوانينه ، وتلك شرائعه التي في ظلها يأكل القوى الضعيف .

والشريعة الاسلامية واضحة النهج جاءت لتقيم موازين القسط ، وتحقق المجتمع الراقي ، فهي للدنيا الدستور الوافي الذي يجمع الناس على كلمة سواء ، تلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وفي كل عصر ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وفي السنة النبوية الركن الثاني في التشريع الاسلامي التي بسطت تعاليم الله في كتابه في يسر وسهولة ــ الملاذ لكل باحث ومقنن .

ومهما حاول المغرضون النيل من هذا الركن المتين الوارف الظلال ليهدموا بمعاولهم الهشة شريعة الله في الأرض فان الاسلام باق ، وسترتد على سفوحه الرمال والأعاصير الهوجاء بغير مغنم .

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) .

وأيضا ستظل المعركة قائمة ما دام الاسلام والحق يدحضان زيف أعداء الله والحق الذي لا يثبت أمام النقد البناء دون هوى .

ولن ينال المشوهون للسنة ما يبغون فهي قوية الدعائم قد تحطمت على صخرتها الشبهات والهجمات الشرسة ، لأن المسلمين الأوائل اعتنوا عناية فائقة بتدوينها .

وعلى هذه الصفحات نستعرض مع السادة القراء نموذجا حيا على حسن الفهم ودقة البحث وعظمة التدقيق ، وسنقوم بتقديم نماذج من مصطلح الحديث للتعريف بهذا الفن الدقيق الرفيع ، ليكون القراء على بينة من مغزى الاشارة لكل حديث ينكر عنه المحدثون انه صحيح وحسن .. الخ ونسأل الله التوفيق والسداد في خدمة السنة المطهرة .

الحديث المتواتر :

هو الصحيح الذي يرويه جمع يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم في أول السند ووسطه وآخره .

وعلى هذا فالمتواتر عند أغلب العلماء هو ما رواه جمع اشتهروا بالصدق ، ولم يعرف عنهم اجتماعهم على كذب عن مثلهم يتميزون بالصدق مجتمعين من أول السند يعني من بداية الرواية الى منتهاها ، ويقول ابن حجر : « لا معنى لتعيين العدد على الصحيح » .

ولقد كان شأن الصدر الأول من الصحابة الأجلاء التقوى والورع واعتزال الضلالات والبدع ثم سار على هذا النهج عدد ليس بالقليل من التابعين ، وكان من هؤلاء وهؤلاء رواة المتواتر وغيره من الصحيح .

والأدلة كثيرة على صدق تحري هؤلاء السادة الصدق والتشدد والحرص والتروى فيما يؤدونه من الحديث وصيانته من الشوائب والدخيل .

واشتراط المطابقة اللفظية في المتواتر من كل وجه عند أكثر العلماء يستحيل تحققها في غير القرآن الكريم .

والمتواتر في السنة ليس بالقليل ، كما أنه لا تشترط المطابقة اللفظية في المتواتر المعنوي وإنما يكتفي فيه بأداء المعنى ، وهذا النوع كثير جدا ليس في وسع أحد إنكاره فقد اشتهر واستفاض حتى اكتسب التواتر مع اختلاف الروايات في بعض الألفاظ .

ومن العلماء من لا يرى بأسا في أن يكون المتواتر المعنوي آحاديا يعني يرويه واحد من الصحابة ثم يشتهر ويروى من طرق كثيرة ومتعددة ، وذلك مثل ما روى عن عمـــر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات .. » .

والمتواتر لفظا أو معنى قطعي الثبوت لا خلاف في هذا بين أهل العلم .

وعليه فالمتواتر لا يبحث عن رجاله بل يجب العمل به متى ثبت تواتره لأنه ليس من مباحث علم الاسناد ، فعلم الاسناد الغرض منه اثبات صحة الحديث أو ضعفه ، وذلك غير وارد في المتواتر .

ومثال المتواتر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن كذبا على ليس ككذب على أحد ، من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

الإسراء والمعراج في معرض البحث والنظر

للشيخ : حسيني عرابي حسن عطوه

لقد كان امتداد البحث في إمكان الاسراء والمعراج ومناقشة ثبوتهما بالروح والجسد تساهلا من كتاب المسلمين ، وتفريطا في الحقائق الاسلامية الثابتة وفتح باب للتشكيك ، فيما لا ينبغي الشك فيه ، لأن الحقائق ما دامت لبست ثوب المعجزات ، وصانع المعجزات هو الله دون سواه ، وأنه لا دخل لنبي في معجزة يجريها الله على يديه دعما لرسالته وتحديا لمن يعارضه ، فطرح مثل هذه الأمور في إطار الامكان وعدمه ، إستهلاك لوقت القارئ والكاتب ، وإتاحة فرصة لأعداء الاسلام في بث سمومهم ، وطرح أفكارهم التي لا يكون لها حصاد سوى الزيغ والالحاد .

ولو دفع الشك في معجزة منسوبة لنبي الاسلام صلى الله عليه وسلم ، لجاز بحكم المماثلة وقوع الشك في معجزات الأنبياء جميعا ، ولدخل العالم في مضلات الفتن ومتاهات البعد عن دين الله سبحانه .

ولا ينبغي كذلك ترضى كبرياء الكافرين ، ومروق المنافقين ، بمحاولة تقريب إمكانية الاسراء والمعراج بالروح والجسد ، بالانجازات العلمية الحديثة لأن قدرة الله أكبر من ذلك كله ، وهي فوق الشك ، وأجل من المساومات الفكرية الرخيصة .

فوق ذلك فان الانجازات العلمية مرتبطة بقوانين ، تقوم على الأسباب والمسببات ، والمعجزات من طراز آخر ونمط مغاير ، فهي خوارق ربانية لا تخضع للمألوف والمعروف يتحدى بها

الله سبحانه أعداء النبيين وخصوم المرسلين وكل هذه التساهلات خلفت جوا من الغربة بين بعض المسلمين ودينهم لذلك أصبح من الواجب على علماء الاسلام الكتابة في الاسراء والمعراج بالمنهج الذي يجلي العبرة ، ويوضح آثار الآية الكبرى .

فالاسراء والمعراج كانا تجديدا لصمود الداعي إلى الحق ، ومسحا شاملا لكل ما مس نفسه من أوجاع ومآسي تشق على عزائم أهل الأرض والسماوات ، لأنه ما كاد يستريح من حصار المقاطعة الشرسة التي استمرت ثلاث سنوات كاملة عزلت النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن تابعه وناصره عن التعامل الشامل مع أهل مكة والوافدين عليها حتى فوجىء بوفاة عمه أبى طالب الذي كان يمثل الصخرة الشماء العاتية التي تكسرت عليها سيوف الحاقدين على النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا يعتقدون بأن التمكين للاسلام هو تصفية لجاههم وسلطانهم ، بل لوجودهم ، والذي كانت نفسه تفيض إبان محنة العزل والحصار الاقتصادي بما يسجل التصميم الصادق على مناصرة ابن أخيه مهما فدح الثمن وتعاظم البذل وذلك شيء مما كانت تتفجر به مشاعره من صادق العزم وعظيم الاباء .

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا
لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى
إذا طار أرواح الكماة من الرعب

ويكفي أن نتصور الأثر الدامي في نفسه ، والصدمة العنيفة على تحمله من قوله الذي يدل على عمق الأسى ونفاذ الألم : « ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » سيرة ابن هشام . ولم تكد الأعصاب تفيق من كارثة أبي طالب حتى صدمت بوفاة أبر زوجة ، وأصدق شريكة قاسمته الحياة حلوها ومرها ، وشدت من أزره ووقفت إلى جواره بعقلها وسداد رأيها ووافر مالها ، وهي التي قالت له عند أول إشراقة من فيض الوحي حينما قال لها خشيت على نفسي « والله لن يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق » سيرة ابن هشام ، وذلك أكبر برهان على سعة عقلها وصادق حبها ، لأنها عللت لعدم الخزى بما ذكرته بعد ذلك من خلال الخير المنبثقة عن سجاياه وهي التي قال فيها صلى الله عليه وسلم في مواجهة نسائه الأخريات « لقد آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » .

وبوفاتهما تمهد لقريش أن يزداد نيلها منه ومن المسلمين معه ، وسنحت لهم الفرصة أن تطيش أحلامهم في قسوة التحدي والتنكيل الذي جاوز المدى ، وصار فوق التحمل ، مما جعله يلتمس موقعا آخر لجهاده ، وقاعدة جديدة لكفاحه ، فاختار الطائف لمكانة ثقيف في العرب بعد قريش ،

ولكن أهل الطائف كانوا دون مستوى رجائه وأمله ، فقابلوه أسوأ ما يقابل به داع إلى الحق ، وكانوا معه على مضرب المثل القائل « أريد حياته ويريد قتلي » وكان ما كان من عدوان آثم ، وحقد شرس تمثل في تلك المواجهة القاسية ، من ضرب بالحجارة أدمت قدميه ، ومطاردة بشعة ما كان ينحدر إليها صعاليك الآدميين وذئاب البشر ، حتى ناءت بتحمل الاهانات الخطرة قواه فقال وقد تمثل في ذهنه الأسى كله « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » سيرة ابن هشام ، والعتبى هي الرضا .

ورجع إلى مكة فوجد قوى الشر تقف في وجهه مانعة له من الدخول ، وأخيرا دخل في جوار المطعم بن عدى المشرك ، وطاف بالبيت ثم انصرف إلى منزله في حراسة المطعم وأولاده ، ليستأنف الكفاح من جديد ، في الجو العاصف ، الملبد بالأخطار والمخاوف ، وبين هذه العواصف الخطيرة ، والمخاوف المريرة ، تمتد إليه يد الله سبحانه بالعون والتأييد ، وتمده قدرته بالرعاية والتكريم ، وإذا بالعطاء والمدد ، والتأييد والسند ، والرخاء بعد الشدة والمنحة بعد المحنة ، وتلك سنة الله سبحانه مع رسله صلوات الله عليهم وسلامه **(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)** يوسف/ ١١٠ وهنا لا بد لنا من الطواف بالتوقيت الزمني للاسراء والمعراج ، وترجيح ما نجده متمشيا مع مسيرة الأحداث التي وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل السابقة من السابقين المخلصين .

التوقيت الزمني للاسراء والمعراج : قد اختلف السلف في التوقيت الزمني للاسراء والمعراج بحسب اختلاف الأخبار الواردة ، فمنهم من ذهب إلى أن الاسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم بعد المبعث وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل .

نعم جاء في بعض الأخبار ما يخالف بعض ذلك فجنح لأجل ذلك بعض أهل العلم منهم إلى أن ذلك كله وقع مرتين مرة في المنام توطئة وتمهيدا ومرة ثانية في اليقظة ، كما وقع نظير ذلك في ابتداء مجيء الملك بالوحي .

وقد أشار صاحب فتح الباري إلى

ما ذكره ابن ميسرة التابعي الكبير وغيره أن ذلك وقع في المنام وأنهم جمعوا بينه وبين حديث عائشة بأن ذلك وقع مرتين ، وإلى هذا ذهب المهلب شارح البخارى وحكاه عن طائفة وأبو نصر القشيري ومن قبلهم أبو سعيد في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم معاريج منها ما كان في اليقظة ومنها ما كان في المنام ، وحكاه السهيلي عن ابن العربي واختاره ، وجوز بعض قائلي ذلك أن تكون قصة المنام وقعت قبل المبعث لأجل قول شريك بن عبد الله ابن أبى نمر: « سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحي إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ، فقال أوسطهم هو خيرهم ، وقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء » رواه البخارى ، ومعنى ذلك أنه لم يقع في تلك الليلة غير ما ذكر من الكلام ، حتى جاءوا إليه ليلة أخرى ، أي بعد ذلك ومن هنا يحصل ، رفع الاشكال في قوله : قبل أن يوحي إليه بأن ذلك كان مناما ولم يكن في اليقظة بجسده وروحه : « الامام الحافظ بن حجر في كتابه فتح الباري الذي شرح به أحاديث البخارى الجزء السادس والسابع » .

وذكر صاحب فتح الباري في كتابه بالصفحة/ ١٤٠ من الجزء السابع ما نصه « وقد اختلف في وقت المعراج فقيل كان قبل المبعث وهو شاذ إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ في المنام كما تقدم ، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث ثم اختلفوا في تحديده فقيل كان قبل الهجرة بسنة قاله ابن سعد وغيره وبه جزم النووى وبالغ ابن حزم فنقل الاجماع فيه ، وهو مردود ، فان في ذلك اختلافا كثيرا يزيد على عشرة أقوال .

منها ما حكاه ابن الجوزى أنه كان قبلها بثمانية أشهر وقيل بستة أشهر كما قال أبو الربيع بن سالم وقال ابن حزم بالتحديد : إنه كان في رجب سنة أثنتي عشرة من الهجرة ، وقيل بأحد عشر شهرا ، وجزم به إبراهيم الحربي ، وبه جزم ابن المنير في شرح السيرة لابن عبد البر ، وقيل قبل الهجرة بسنة وشهرين حكاه ابن عبد البر ، وقيل قبلها بسنة وثلاثة أشهر حكاه ابن فارس ، وقيل بسنة وخمسة أشهر قاله السدى ، وأخرجه من طريقه الطبرى والبيهقي وبه جزم الواقدي ، وقال ابن قتيبة فيما حكاه ابن عبد البر ، أنه كان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وقال مثل ذلك ابن سعد ، وقيل كان في رجب حكاه ابن عبد البر ، وجزم به النووى في الروضة وحكى ابن الأثير أنه كان قبل الهجرة بثلاث سنين وحكى عياض وتبعه القرطبي والنووى عن الزهري أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ،

ورجحه عياض ومن تبعه وقال لاخلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ، ولا خلاف انها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو نحوها ، وإما بخمس ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الأسراء .

ورد صاحب فتح الباري على قول ابن عياض ومن تابعه في قولهم « ولا خلاف بأن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة » بردود منها أولا إن الرواية اختلفت في وفاة السيدة خديجة فالعسكري حكى أنها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين ، وقيل بأربع ، وعن ابن الأعرابي أنها ماتت عام الهجرة فمن أين يأتي الاتفاق بأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث أو نحوها وإما بخمس كما يقولون وثانيا ، إن فرض الصلاة اختلف فيه ، فقيل كان من أول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ، والذي فرض ليلة الاسراء الصلوات الخمس ، وثالثا ، جزمت السيدة عائشة بأن السيدة خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلاة ذكر نلك ابن حجر في ترجمته للسيدة خديجة على حديث السيدة عائشة في بدء الخلق .

وبالتوفيق بين قولهم وقول السيدة عائشة فيما يتعلق بصلاة السيدة خديجة معه صلى الله عليه وسلم يقال بأن السيدة خديجة صلت معه ركعتي الغداة وركعتي العشى ولم تصل معه الصلوات الخمس التي فرضت ليلة الاسراء والمعراج ويحمل قصد السيدة عائشة على نلك .

ومن هذا الذي تقدم كله نستطيع أن نقول بأن حديث شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن أنس بن مالك « قبل أن يوحي إليه » هو الذي أخذ به من قال بوقوعهما قبل المبعث ولكن نلك القول رده صاحب فتح الباري وأزال الاشكال فيه برواية شريك بن عبد الله نفسها « فكانت تلك فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى » ومعنى نلك أن هذه الليلة المقيدة بقوله قبل أن يوحي إليه » لم يقع فيها شئ حتى جاءوا ليلة أخرى ، ويحمل بأن الذي وقع تلك الليلة كان في منامه كما يوضحه ما في الحديث بقوله « فيما يرى قلبه ، والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه » وتلك خصوصيته للأنبياء جميعا كما جاء في الحديث « وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم » ولنلك قال صاحب الفتح وهو شاذ إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ في المنام .

ومسيرة الأحداث التي وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم ، من الحصار الاقتصادي والمقاطعة الشرسة وموت عمه وزوجه ، والمضايقات الخطرة التي تعرض لها ، وذهابه إلى الطائف ومقابلة أهلها له وما وقع منهم ، وما تسبب عنه من شكواه إلى ربه بضعف القوة وبقلة الحيلة ، وانحسار النصرة ، وتلبد السماء بالغيوم ، وانعكاس نلك على نفسه ، ودخوله مكة في جوار رجل مشرك .

كل نلك يؤيد ما ذهب إليه الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة من أن الاسراء والمعراج

وقعا بعد المبعث وقبل الهجرة بسنة قد تزيد شهرين أو تنقص حسب اختلاف الروايات وتم ذلك في شهر رجب في ليلة واحدة وفي اليقظة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه ..

فلسفة الاسراء والمعراج ! وبذلك يكون الاسراء والمعراج مسحا شاملا لآلام نفسه وعلاجا حاسما لجروح قلبه ، وتعويضا له عما فاته وفقده ، وكشفا له عن مكانته عند ربه ، ومنزلته بين أنبيائه ورسله ، وكأن ترجمة المعجزة أو المعجزتين ، إنك العظيم القدر المرفوع الأمر ، فلست بالضعيف القوة ، ولا بالقليل الحيلة ، فالأرض مسراك ، والسموات معراجك ، وجبريل الأمين رفيقك ، وموجه مركبك ومؤنس رحلتك .

الدليل عليهما ! الاسراء والمعراج ثابتان بالكتاب والسنة ، ودليل الاسراء من الكتاب قول الله سبحانه : **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)** الاسراء/١ والعبد مجموع الروح والجسد .

ودليل المعراج : كما استنبط المرحوم الشيخ يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء **(ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى)** النجم/١٣ ـ ١٨ والرائي هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمرئي هو جبريل عليه السلام ، والبصر من مستلزمات الذات وليس من متعلقات الروح كما يقول العلامة ابن كثير ، ولو وقع أحدهما بالروح أو هما معا ، لما كان هناك من داع لوجود البراق في الاسراء ، والمعراج في الروح ، لأن الروح لا تحتاج لشيء من تلك الوسائل ، إنما هذا من مستلزمات الأجساد ولو كانا بالروح لما كان محل للموجات العاتية من إنكار قريش ، والتي رد عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالادلة العملية القاطعة المدونة في الحديث الذي ثبت به الاسراء والمعراج بالروح والجسد ورواه جمع كبير من الصحابة وأما رواية شريك ابن عبد الله بن نمر عن أنس بن مالك بأنها كانت مناماً لم تقابل بانكار لأنها كانت بالروح وكانت قبل الوحي وادعاء النبوة لذلك لم تقابل بصيحة أو نكير .

مقدمات الرحلة الميمونة ، وقبل بدء الرحلة المباركة شق جبريل صدره ، وغسل أو صاب نفسه ، وصب الله في قلبه من الشحنات الروحية ما يعينه على تلقي الامداد الربانية .

صورة المجتمع الجديد مع الاسراء والمعراج : وقد رسم الله له بالاسراء والمعراج الأسس القويمة لانشاء الأمم وإقامة الشعوب ، بما أراده من الآيات الكبرى ، فأراه الله الصورة الحقيقية للدنيا حتى يحذر أصحابه الافتتان بها ، وأطلعه على

جزاء الجهاد في سبيل الله حتى لا يثاقل المسلمون إلى الأرض ، ويرضوا بالحياة الدنيا من الآخرة ، ولكي يعلموا بأن وجودهم مرتبط بجهادهم ، « **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل • إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير** » سورة التوبة/٣٨ ، ٣٩ .

ولن يخلع المسلمون ثوب الجهاد ولن يلقوا عدته حتى تقوم القيامة فهو بالنسبة لهم قدر ومصير ، وأراه صورة الجهاد بالكلمة ممثلا في ماشطة ابنة فرعون ، التي تحدت فرعون وأنكرت ألوهيته ، فقتلها حرقا وأولادها ، وقد سبقها أولادها ورأت جثثهم وقد تحولت إلى فحم داكن فجزعت فقواها الله وأعانها وأنطق طفلها الرضيع فقال : « قفي يا أماه ولا تقاعسي إنك على الحق المبين » قص عليه جبريل تلك الصورة حينما قابلتهم نسائم عطرة من الوادي الذي دفنوا فيه .

وأراه الله الجنة وسمع صوتها وهي تتحدث عن أهلها والمتنعمين بها .

وفي الصورة المقابلة أراه الله مصير المعتدين على المال والعرض والدم ، وكشف له عن وضع الزناة وآكلة الربا وأموال اليتامى ، وجاحدي الأمانات ، وخطباء الفتنة ومروجي الاشاعات القاتلة ، والمتثاقلين عن الصلاة ، كما أراه النار وأسمعه صوتها الرهيب ومن سيكون وقودا لها من المشركين والكافرين والجبابرة الظالمين .

وجملة فقد أراه الله الصورة المشرقة لمجتمع الايمان والمبادىء الكريمة والمثل السامية والصورة القاتمة للمجتمعات المنحلة الضالة لينشىء خير أمة أخرجت للناس . فتجدد صموده ونضاله ، وامتلأت نفسه بواسع آماله ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هدفه ، لا يعبأ بمخاوف ، ولا تهزه عواصف ، لأنه عاين بنفسه ونقله الله سبحانه من مقام علم اليقين ، إلى مقام عين اليقين .

فأرسى معالم أمة ، وصنع أنصع تاريخ ، وأسس أطهر مجتمع ، وصاغ أنقى النفوس وأتقى القلوب من خلال كتاب حفظه الله وحماه (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر / ٩ يرفض الباطل ويتحداه وينصر الحق ويحتضن قضاياه (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/٤٢ .

ومن هنا نعلم أن الاسراء والمعراج كانا أكبر نعمة وأعظم فضل من الله سبحانه على نبيه ، استرد بهما النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، واستأنف جهاده وهزم قوى الشرك في كل مكان ، وأسس دعوة الحق والايمان والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الكشف عن موقع أصحاب الكهف

معجزة قرآنية كبرى تبرز في هذا العصر

معلومات وبينات وقرائن جديدة

للاستاذ محمد تيسير ظبيان

لقد أبهجني وأثلج صدري تلك البحث القيم الذي نشره الدكتور حسن فتح الباب في العدد (١٥٥) من مجلتكم الزاهرة حول (الكشف عن أصحاب الكهف والدراسات التاريخية في الاسلام) واسترعى انتباهي بنوع خاص تعليقه على نتائج أعمال الحفر والتنقيب التي أجرتها دائرة الآثار الأردنية في الموقع الذي تم العثور عليه في جبل (الرقيم) على قيد بضعة كيلومترات من العاصمة الاردنية (عمان) وما قمت به انا وزملائي من الدراسات والتتبعات حتى توصلنا الى تلك النتائج الباهرة التي أزاحت النقاب عن **معجزة قرآنية كبرى برزت في هذا العصر** . واني اذ أشكر (للوعي الاسلامي) ولكاتب المقال عنايتهما بهذا الحدث الجلل ، وإبداء



○ واجهة كهف الرقيم من الناحية القبلية وقد ظهر بابه الرئيسي . وفوق الكهف المسجد الوارد ذكره في القرآن الكريم . وظهر محراب المسجد وبعض الأعمدة الرومانية . وقد التقطت هذه الصورة بعد إجراء الحفريات التي قامت بها دائرة الآثار الأردنية . أما النقوش والزخرفة التي تظهر على جوانب باب الكهف فقد صنعت في العهد البيزنطي بعد أن أمات الله أجسامهم .

بعض الملاحظات والاقتراحات حوله ـ أود أن أشير إلى انني في سبيل استيفاء هذا الموضوع حقه من البحث العلمي بعد ان استكملنا الدراسات التاريخية والدينية والأثرية فقد شددت الرحال الى أرض الكنانة للاتصال برجال الفكر وعلماء الدين وأرباب الاختصاص ولا سيما في علوم الآثار والجيولوجيا والطبوغرافيا واتخاذ ما يلزم من الترتيبات والتحليلات للتأكد من صحة تلك النتائج ، ولتتجلى عظمة الاله وقدرته ومعجزاته في آياته الكبرى مصداقا لقوله تعالى : **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)** فصلت / ٥٣ وهذا الكشف آية من آياته (جل شأنه) التي كشفنا عنها في هذا العصر .

على أنه لا بد لي وأنا أخوض هذا الغمار ، وأقتحم هذه اللجج ، أن أزود قراء مجلتكم ببعض البيانات والمعلومات والقرائن التي استندنا اليها ، واعتمدنا عليها في هذا المضمار ، وهي في جملتها تلقي الأضواء على تساؤلات الأخ الكريم صاحب المقال ، وغيره من المتسائلين :

(١) ان وجود الكهف الوارد ذكره في القرآن الكريم في ذلك الموقع بالذات (أي في منطقة البلقاء وعلى مقربة من عمان) تحدث عنه بعض الصحابة

(رضوان الله عليهم) الذين مروا من تلك الاراضي اذكر منهم :
عبد الله بن عباس ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وعبادة بن الصامت ، وحبيب بن مسلمة ، وسعيد بن عامر ، وقد روى الأخير قصة مثيرة عن وصوله الى جبل الرقيم وصلاته مع المقاتلين من رجاله في موقع الكهف (قرب عمان) وتعتبر هذه القصة التي وردت في كتاب (فتوح الشام للواقدي) من أقوى الأدلة والبينات على أن هذا الموضع كان معروفا في صدر الاسلام .

(٢) إن ما ذهب إليه بعض المفسرين من ان (الكهف) موجود في بلدة أفسوس (في تركيا قرب مدينة ازمير) قد نقلوه واقتبسوه من الروايات النصرانية (دون غيرها) ومصادر هذه الروايات تركز على أن أصحاب الكهف أووا الى ذلك المكان لأسباب دينية لها صلة بالدعوة النصرانية لا مجال لذكرها . ومع ذلك فان دائرة الآثار الاردنية كتبت الى سفارة الجمهورية التركية في اوائل الستينات وطلبت منها موافاتها بكافة المعلومات عن كهف (افسوس) وقد اتصلت السفارة المذكورة بالجهات المختصة في تركيا وحصلت على بعض المعلومات والصور عن الكهف المذكور وبعد المقارنة والتدقيق تبين ان الأدلة الدينية والبينات التاريخية والأثرية لا تنطبق على ذلك الكهف بوجه من الوجوه ، وقد أيد هذا القول خبير أثري من خبراء هيئة الأمم المتحدة زار ذلك الموقع ونقب فيه وقدم بذلك تقريرا الى دائرة الآثار الأردنية حول هذا الموضوع .

(٣) إن آية الشروق والغروب **(وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه)** الكهف / ١٧ . تنطبق كل الانطباق على (كهف الرقيم) دون غيره فالشمس حينما تشرق تطل على هذا الكهف دون أن تنفذ أشعتها إلى داخل الكهف وتستمر كذلك حتى الغروب ، وقد علل بعض المفسرين هذه الظاهرة لحفظ أجسادهم من البلى والفناء .

(٤) عثر على المسجد الوارد ذكره في قوله تعالى **(قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا)** الكهف / ٢١ وهو المعبد الذي تحول الى مسجد في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان ، وقد ظهرت بعد أعمال الحفر والتنقيب سبعة أعمدة (من العهد البيزنطي) وأنقاض المسجد بما فيها المحراب (من العصر الاسلامي)

(٥) عثر على القبور التي يعتقد أنها قبور أولئك الفتية ، واما العظام والجماجم التي عثر عليها داخل هذه القبور فقد احتفظت بها دائرة الآثار في مكان خاص لاجراء الكشف العلمي عليها ولا يمكن الزعم بأنها عظام وجماجم أصحاب الكهف حتى تظهر نتائج الكشف .

(٦) إن طراز البناء في واجهة الكهف وفي داخله ، والنقود والزخرفة والنقوش التي عثر عليها تدل دلالة قاطعة على أنها من العهد البيزنطي (الروماني) الذي وجدوا فيه كما



○ جبل الرقيم وقد احتضن أصحاب الكهف

تؤكد ذلك جميع الروايات الاسلامية والمسيحية التي وردت بهذا الصدد .
(٧) إن القرية المجاورة للكهف تدعى (الرجيب) بلغة البدو ومن عادة الأعراب تحريف الالفاظ وقلب الحروف وهي واقعة في جبل الرقيم الذي يحتضن أصحاب الكهف ، وقد وافقت الحكومة الاردنية على اعادة الاسم القديم لهذه القرية .
(٨) في البادية التي تتاخم جبل الرقيم توجد قصور أموية كثيرة وكان الخلفاء الأمويون يتخذونها كمشات (جمع مشتى) في فصل الشتاء ، ويرسلون أبناءهم اليها للتدرب على الفروسية وركوب الخيل والرماية والحفاظ على التقاليد واللهجات العربية الأصيلة ، وبين هذه القصور التي ورد ذكرها في اشعار العرب قصرا (الرقيم والموقر) وقد جاء ذكرهما في قصيدة للشاعر كثير عزة ، يبشر فيها يزيد بن عبد الملك بالخلافة إذ يقول :
يزرن على تنائيه يزيدا
باكناف الموقر والرقيم
(٩) اما المفسرون والمؤرخون المسلمون فقد تضاربت آراؤهم في تحديد مكان الكهف وان كان أكثرهم ذهب الى أنه في (افسوس) نقلاً عن المصادر المسيحية (كما ذكرنا) ولكن هناك طائفة أخرى من أولئك المفسرين والمؤرخين أكدوا وجوده في جبل الرقيم قرب (عمان) نذكر منهم : الطبري في تفسيره وابن خردانبة (في السلسلة الجغرافية) والمقدسي (في أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) والبيروني في كتاب (الآثار الباقية) والثعلبي في (قصص الأنبياء) وياقوت الحموي في (معجم البلدان) ومن الذين تناولوا هذا البحث من المؤرخين الأجانب في العصور الأخيرة : جيبون في كتاب (انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية) وجمعية التنقيب الفلسطينية ومركزها لندن ، وكليرمونت غانو المستشرق الفرنسي وقنصل فرنسا في القدس فقد زار هذا



○المسجد الذي يجري بناؤه بجوار الكهف

الكهف (في جبل الرقيم) قرب عمان وأيد آراء المفسرين والمؤرخين العرب في آرائهم حول وجود الكهف في ذلك الموقع . ومن الذين أولوا هذا الموضوع عناية فائقة ايضا المستشرق الفرنسي المعروف (لويس ماسينيون) فقد وضع كتابا باللغة الفرنسية عام (١٩٦١) باسم (النائمون السبعة Les sept Dormants) وتناول هذا البحث باسهاب وتمحيص ، وان كنا نختلف معه في كثير من الآراء الخاصة التي أثبتها في كتابه المذكور والتي تتسم بالتعصب الديني .

(١٠) وبالاضافة الى هذه القرائن والبينات وغيرها ايضا فهناك مساع تبذل لتحليل تربة ذلك الموقع وما يكمن فيها من مواد كيميائية غريبة نوه بها ولفت الأنظار إليها أحد العلماء الجيولوجيين الذين زاروا ذلك الموقع في العام الماضي .

منارة شامخة تطل على العالم

على أن مهمة رابطة العلوم الاسلامية في عمان التي يعود اليها الفضل في الكشف عن معالم هذا الموقع الديني التاريخي ، الأثري العظيم لما تنته بعد فهي دائبة (بجد ونشاط) على تجديد تلك المعالم ، وإعداد الموقع إعدادا كاملا للزيارة والتفقه والعبادة ، فقد انشأت مسجدا فخما بجوار الكهف بالاضافة الى المسجد القديم الذي رأت أن تحافظ على أنقاضه وأعمدته ، كما أخذت تقيم منشآت أخرى تضم غرفا للمكتبة والمطالعة وتدريس القرآن الكريم والعلوم الدينية واستراحة للزائرين ومتحفا للآثار التي كشفت عنها الحفريات في ذلك الموقع بالاضافة الى حديقة وساحات واسعة بحيث يغدو هذا الموقع منارة شامخة تطل على العالم الاسلامي (باذن الله) وتذكر المؤمنين بعظمة الله وقدرته وحكمته في تدبير الكون ، والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

في الخندق حتى الموت

للاستاذ/احمد العناني

ـ ١ ـ

القطار يهدر تحت الأرض
كتل من الخشب والحديد تحمل ألوفا من الآدميين
وتنطلق بهم كمارد عات تحت جسور وهياكل من الصلب ويمتلئ جوف المارد في كل محطة ثم يلفظ منهم ما يجيش به صدره في المحطة الأخرى .
عشرات من الأبواب تنفتح تلقائيا فيتدفق منها الآدميون سراعا متلاحقين تحت الأرض ليصعدوا إلى سطحها وسرعان ما يأخذ أمكنتهم صفوف من المنتظرين وتنغلق الأبواب وينطلق المارد كالسهم ، وتسمع من أسفل منك صرير الحديد على الحديد .
فأين نحن ـ معاشر المسلمين ـ من هذه الأنفاق وهذه المردة ومن تلك الهياكل والجسور ..؟؟
وتسرح العينان في الجماهير التي في القطار
قليلا ما ترى بينهم من هو أشعث أو ممزق الثياب ..
وقليلا ما ترى من أهل العلل أو أصحاب المسكنة والمتربة ..
نادرا ما تسمع سائلا عن طريق او مستفسرا عن مشكلة فكل شئ منظم ومنسق وواضح .
وما قد يخفى على الخرائط التي في الأيدي مشروح على جدران الانفاق قبل كل محطة وبعدها ..
ومن كانت مسافة رحلته طويلة وجدت عينيه مسمرتين إلى كتاب أو مجلة أو جريدة .
ومن كانت رحلته قريبة تراه يجلس في

هدوء ، فلا يغرس عينيه في وجه أيا كان شأنه ، ولا يدخل في امـر لا يعنيه .. حتى اذا اقترب مكان نزوله طوى صحيفته ، وأعد حقيبته ونهض لا يزاحم أحدا على دوره ، ثم نزل بسرعة ومضى الى غايته .

ـ ٢ ـ

إنجازات هائلة هذه التي حققتهـا أوروبا بالتعامل بالعقـل والبحـث العلمي مع الحديد .
حضارة من الفكر والنظام والنظافة وحسن التنسيق والعمران ..
حضارة بناها الجد فلم تكن هزلا ، وشادها الصبـر والعمـل ، ألهـب وجدانهـم الخـوف من الميـكروب والعدوى وحب للحياة بلا حد فوصلوا إلى ما يبهر البصر ويخلـب اللـب ويستنهض العجب ..
هذا حق ويجب أن يقال الحـق ، وشهادة ولا ينبغي في الشهادة غير الصدق .

ـ ٣ ـ

كل شئ معجب مدهش إلا الانسان نفسه .
المدارس والكليـات ، الشـوارع والبنايات ، نظام المرور وتسهيلات القطارات ، الحواسب الآلية والنظم والبيانات ، كل شئ نظيف منظـم ومنسق .
إلى أن تنتهي إلى الانسان نفسه ، وهناك يعتريك الذهول ..
ليس الانسان في اوروبا ناسيا خالقه ومصيره ، ولكنه يجتهد كل الاجتهاد للاغراق في نلك النسيان .
انه مثقل الوجدان ، تاعس الضمير ، قلق الخطى زائغ حائر غير متأكد من شئ ..
لم يعد متأكدا من ديـن ، ولا من أسرة ، ولا من نظام ، ولا من حزب ، ولا من حكومة .
وهو يمعن في الهـروب إلى وديـان الضياع .
الناس يتساقطون كالذبـاب حـين يواجه موجة السم المرشوش في الهواء من أمامه ومن خلفه .

ـ ٤ ـ

الناس ينتقمون من عذاب الحـيرة وسـكرات الضيـاع بالاغـراق في الفحش الجنسي ، وفي الشـذوذ المقرف ، وفي بركة واسعة منتنة من أفـلام الجنس وكتبـه ورواياتـه ، ونواديه وحاناته وجرائده ومجلاته ، وهم يتهافتون صرعى البحث عن كل ما يحرض عليه في حوانيت الأدوية ، ودكاكين الملابس المفحشة وأشكال المخدرات وأماكن اللهو والخلاعة ..

ـ ٥ ـ

والحيرة واضحة في صرخات المضربين عن العمل ومظاهراتهم وصخبهم وفي المتعطلين عن العمل بمحض اختيارهم الغارقين في فراغ إجرامي آثم ..
والكنائس تتثاءب من الكسل وندرة الرواد وخمود الحوافز والأسر في كل يوم تزداد تفككا وعمقا ، وليس شئ اسوأ من حال الكبار والعجائز حيث لا ولاء ولا شكران ولا تعاطف .
والمرأة التي تحولت الى مجرد سلعة

أنثوية نالت حرية البوار وشقاء الدفع وسط الزحام بغير مطمح إلى أمومة أو شرعية أو كرامة ..

والأولاد في أول سنـوات المراهقـة يمارسون صنوف الخنا والجريمـة حيث لا ولاء ولا ارتباط ولا آباء ولا بيوت ولا شرف على أي مستوى أو من أي نوع .

ـ ٦ ـ

الله الله ما أشد حاجة هؤلاء الناس للاسلام وكم يستطيع الاسلام أن يفعـل ليعيـد هؤلاء المسـاكين الى الصواب .

وانهم والله لمساكين برغم المصانع ونظام الشوارع ، وسائـر مظاهـر الحياة الحديثة

انهم يعرفون أن في حياتهم معنى ضخما مفقودا وهم يعرفون أن حياة الشك عذاب وأن الموت أفضل من حياة تقوم على الارتياب .

ـ ٧ ـ

فيا أيها المسلمون : ثباتا في خندق الاسلام حتى الشهادة أو الموت ..

أيها المسلمون : ثباتا على اليقين الذي ينتظم الدنيا والآخرة ، ثباتـا على سعادة التأكد من الذات ومن الخط الفارق بين الحلال والحرام .

ثباتا على الدين الذي يفصل العلاقة بكل إنسان وبكل شئ وبالوجود كله ، وبالموجد جل جلاله ، وبالموت وعقباه ويوم الفصل ومسيرته ، والوزن الحق لكل شئ ..

ثباتا على دين اليقظة التي لا تفتر ولا يدركها وهن تعالجه المخدرات .

ثباتا على الولاء لله وللوالدين ولذوي القربى .

ثباتـا على الأسرة والأنسـاب الواضحة ..

ثباتا على دين العون والبذل والحسنى والمحبة .

ثباتا على منهج البيـوت الطاهـرة والأعراض النقية .

ثباتا على كل السعادات الماثلة في دين الحق والهدي .

فانكم تتمتعـون برؤيـة واضحـة مطمئنة .

وتدبون على الأرض بأقدام مستيقنة راسخة ، وتجدون المستقبـل أمـلاً وبشائر وحوافز وتستقبلـون الموت بأمن ورضا وطمأنينة .

ـ ٨ ـ

أيها المسلمون إن الفرصة متاحـة دائما للانشـاء والعمـران والعلـم والنظافة والطب والصناعة .

ولكن لأمن الأرواح ، وري القلوب العطـاش وسيلـة واحـدة في هذا العصر .

إنها القرآن وسنة أكرم إنسان .

إن بأيديكم الضوء لمدلجين في الأرض يخبطون في عماية فآمنوا أنتم بدينكم حق الايمان .

ثم انظروا فان العالم سوف يأتيكم مضطرا ليبحث عندكم عن نور فانه ليس لهم نور مهمـا اشتعلـت في حضارتهم الهلوك المشاعل .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

الحدود زواجر ام جوابر

السؤال ــ إذا أقيم الحد على الزاني ، هل هذا الحكم يكفي لمحو الذنب عنه أم أن الله يعاقبه عليه في الآخرة ؟
محمد احمد حسين ــ السوق الشعبي بالخرطوم سودان

الجواب : روى البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت في حديث المبايعة على عدم الشرك والسرقة والزنى والقتل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له » وروى مسلم حديث الجهنية التي أقيم عليها حد الزنى ، وصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وقال جوابا عن استفهام : « لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله » وروى الترمذي والحاكم وصححه حديث : « من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا فالله أكرم من أن يثنى العقوبة على عبده في الآخرة » .
بناء على هذه الأحاديث رأى أكثر العلماء ان الحدود كفارات للذنوب أى جوابر لا يعاقب الله عليها بعد ذلك ، ولكن قال بعض التابعين والمعتزلة وابن حزم : الحدود زواجر لا جوابر ، وعلى من أقيم عليه الحد أن يتوب الى الله توبة نصوحا حتى يكفر الله ذنبه . وتوقف جماعة في الحكم بناء على حديث رواه الحاكم وقال عنه الحافظ ابن حجر : إنه صحيح على شرط الشيخين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا أدري : الحدود كفارة لأهلها أم لا » .
ولكن الرأى الأول أرجح ، لأن أدلته أقوى ، وهذا كله في الحق الخالص لله ، الذي ليست له علاقة بحقوق العباد ، أما ما فيه حق للعباد فمع الحد والتوبة لا بد من رد هذه الحقوق أو طلب العفو والتنازل عنها ، فان لم يفعل ذلك طالبه أهل الحقوق بحقوقهم يوم القيامة ، وإن كان صادق التوبة في الدنيا مع الله ، وحاول رد الحقوق لأصحابها ، أو طلب العفو منهم ولم يستطع فالمرجو من الله ، ورحمته واسعة ، أن يطلب له العفو منهم ، والله أعلم .

مرض الصرع

السؤال ـ لي طفل تنتابه أحيانا حالة عصبية ويتشنج ثم يفيق ، وقيل لي : اقرئي عليه قرآنا ليحفظه الله من هذا الصرع ، فهل هذا صحيح ؟
م.ع ـ المنامة بالبحرين

الجواب : هناك أمراض عصبية ترجع إلى مؤثرات جسمية أو نفسية يعرفها الأطباء بالفحص ويعالجون مصدرها بالعقاقير والأدوية الحديثة أو الوسائل الأخرى التي يعرفها أهل الذكر ، ولا بد من عرض المريض عليهم أولا ، فان شفي فبها ، والا كان الصرع له مصدر آخر ، وهذا المصدر الآخر يشك فيه كثير من الناس ، وإن كانت الأحوال النفسية والروحية حقيقة واقعة لا مجال للشك فيها ، ولها مدارسها المتخصصة الآن ، وقد تحدث ابن القيم في كتابه « زاد المعاد » عن الصرع فقال : الصرع صرعان ، صرع من الأرواح الأرضية الخبيثة ، وصرع من الأخلاط الرديئة ، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء ، في سببه وعلاجه ، واما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه ، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدفع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها . ثم قال ابن القيم : لا ينكر هذا النوع من الصرع إلا من ليس له حظ وافر من معرفة الأسرار الروحية ، وأورد بعض الحوادث التي حدثت أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأثر قوة الروح وصدق العزيمة في علاجها ، وأفاض في النعي على من ينكرون ذلك .

هذا ، وإذا كانت للصرع عدة أسباب ، منها مادية ومنها نفسية أو روحية أو أخرى ، فلا ينبغي أن ننكر ما نجهل ، فالعالم مملوء بالأسرار ، وقد بدأ العلم يكشف بعضها ، وفي الوقت نفسه لا ينبغي أن يتخذ ذلك ذريعة للدجل والشعوذة واستغلال جهل الناس أو سذاجتهم ، فلنلجأ إلى الوسائل المادية أولا ، وهي كثيرة وسهلة التناول ، فان عجز المخلوق فلنتوجه إلى الخالق بالايمان به وصدق الاستغاثة والثقة به ، كما استغاثه الأنبياء فكشف عنهم الضر ونجاهم من الغم ، والقرآن خير شاهد على هذه الحقيقة والله أعلم .

○ **السيد / حامد شافع عساف ـ الفروانية بالكويت :** امساك السموات وهى كل ما علاك معناه حفظها من السقوط كما تنص الآية ، وكيفية خلق الانسان في رحم أمه ثابتة في سورة « المؤمنون » وقررها العلم الحديث وأثبت إعجاز القرآن فيها وأن الله يعلم أكثر مما يعلم المختصون في هذا الشأن .

السيد/عبدالسلام يعقوب (ع . آدم) المدينة المنورة : ينبغي الأذن في أخذها ، ولا مانع من الانتفاع بها على أن ترد الى المسجد .

○ **السيد/الأمين محمد احمد ـ نيالا ـ السودان :** إذا رضعت الطفلة من عمتها في أثناء الحولين خمس رضعات معلومة حرم زواجها على كل أولاد عمتها الكبار منهم والصغار ، لأنها صارت أختهم جميعا .

○ **السيد/السر الصقر محمد صقر النور ـ الخرطوم سودان :** الحلف بالمصحف حلف بكلام الله فهو صحيح وليس بدعة ، والمرأة الملاعنة لا تعود لزوجها الأول أبدا بنص الحديث « المتلاعنان لا يجتمعان أبدا » وعليه جمهور الفقهاء ، وروى عن أبي حنيفة وصاحبه محمد أن اللعان طلاق رجعى فيحل للرجل ان يتزوجها بشرط أن يكذب نفسه في اتهامه لها « نيل الأوطار للشوكانى ـ كتاب اللعان ».

○ **السيد/محمد عبدالحميد الصايغ ـ المحلة الكبرى مصر :** يطوف الناس بالحجر الأسود ويقبلونه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وقبله عمر وقال : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ».

○ **السيد/م . س . م . الكويت :** الأغاني في عدد ذى الحجة ١٣٩٨ ، ومجرد الحديث الشريف الذي لا خلوة فيه ولا كشف عورة لا مانع منه مادام لم يؤثر تأثيرا سيئا .

○ **السيد/حسن المؤذن ـ دمشق داريا :** الزواج قد انفسخ حيث تبين أنها بنت أخيه من الرضاع المستكمل لشروطه كما ذكرت . ويحرم عليه معاشرتها ، والأولاد أولاده يرثهم ويرثونه .

○ **السيد/محمد سعدي عامر ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الرياض :** القنوت نشر في ذى القعدة ١٣٩٦ وتلقين الميت في جمادي الأولى ١٣٩٨ ، القراءة أو القربات للميت في ذى الحجة ١٣٩٧ ولا دليل على مدة معينة من الوفاة ، والتلفظ بكلمة أصلى ليست بدعة والمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يتلفظ بها ، لكن قال بعض الفقهاء لا مانع منها لمساعدة القلب .

○ **قارئ من البحرين :** الورقة التي أمرت بتوزيعها لا أصل لها في الدين ، ولا حرج عليك دينا ولا دنيا إذا أنت لم توزعها وأغلب الظن أن الذي ابتدع ذلك ليس بمسلم .

مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

جاءتنا من الشاب محمد عاطف الوكيل بشركة الشرق للتأمين بسوهاج جمهورية مصر العربية . رسالة يقترح فيها انشاء منظمة عالمية باسم (منظمة مساعدات الأقليات الاسلامية) تسهم فيها الدول الاسلامية ولا سيما الغنية منها ، وكذلك الأفراد كل بما يستطيع ، ولا شك أن هذا يجمع مالا لابأس به حتى يشعر كل مسلم بأنه أدى واجبه نحو دينه .

ويقول أرى أن فكرة تحديد النسل فكرة تخدم الأعداء ، وتضر بالمسلمين ، واستشهد بقول الله سبحانه (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها).

ونقول له : اقتراحك جيد نرجو له أن يتحقق فلا شك أن كل ما يؤلف بين قلوب المسلمين وفئاتهم يدعو اليه الاسلام ويحث عليه الدين ونحن معك في وجهة نظرك بالنسبة لتحديد النسل .

كما أن تحديد النسل أيا كانت دوافعه فانه ما لم تكن هناك أسباب صحية تضر بالمرأة وتحول دون القيام بواجباتها نحو أسرتها فان تحديد النسل لا يجوز فالله سبحانه يقول : (**ورزقكم في السماء وما توعدون . فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون**) . والرسول صلى الله عليه يقول : (تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم) فاذا كان التحديد خوف الفقر والحاجة فذلك ليس من شأن الناس أبدا وما كان الله ليخلق عباده ويتركهم فرحمته وسعت كل شيء .

السيد مجدي أحمد حموده ـ طب الاسكندرية مصر .

وصلت رسالتك ونحن نجيب على ما ورد فيها من استفسارات ونقول :

جراحة التجميل لا شيء فيها اذا كانت ستزيل عيبا يسبب ضيقا وحرجا وألما لصاحبه وانه نوع من العلاج . ولا يجوز الاجهاض للجنين الا إذا كان في وجوده خطر محقق على الحامل وأن يصدر القرار والشهادة من طبيب حاذق مسلم ، واذا كان الاجهاض خوفا من الفقر أو الحاجة أو عدم التمكن من رعاية الاطفال فان ذلك حرام والآية صريحة في ذلك : يقول الله سبحانه : **(ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا)** . وفي آية أخرى يقول الله سبحانه **(ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم).**

وأيضا تنظيم النسل جائز اذا كان في كثرة الولادة خطر على صحة الأم وهذا أيضا يقرره الطبيب المسلم .

كما أنه يجوز للطبيب أن يعالج المرأة ويطلع على جسمها حسب ما تدعو اليه ضرورة العلاج أو الولادة اذا لم توجد طبيبة في براعة ومستوى الطبيب الرجل ، وأيضا اذا كانت حالة الحامل تستدعي اسعافا أو اتمام ولادة ، وغير متيسر وجود طبيبة في هذه الفترة الحرجة ، فلا شك أن انقاذ المرأة على يد طبيب رجل ضرورة تستوجبها الحالة .

ولا يجوز للرجل أن يختلي بامرأة أجنبية الا اذا عقد عليها عقدا صحيحا فانها تكون زوجة له عندئذ .

والى الطالب أ ـ أ ـ ح ـ كيفان ـ الكويت .

يمكن التخلص مما تشكو منه بالقراءة ، وقضاء وقت فراغك في المذاكرة ، ومزاولة أنواع من الرياضة في الأندية المختلفة مع مراعاة الالتزام بزي مناسب لا يجسم عورة ، ولا يكشفها ، فكما أن جسم المرأة كله عورة إلا وجهها وكفيها فان للرجل أيضا عورة لا يجوز كشفها ، وهي ما بين السرة ومنتهى الركبة .

واستعن بالله وتعوذ من الشيطان حتى يعينك ، ويقوى ارادتك اذا صح عزمك ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

ولا شك أن استقرار الأسرة وترابطها عامل مهم في تهيئة الجو الخلقي المناسب للشباب ولاهمية ذلك وأثره في المجتمع وجهت الأديان السماوية نحوه قسطا كبيرا من العناية والرعاية .

وقد جاءت بالمبادئ والنظم التي تدعم الأسرة وتنفي عنها شوائب الضعف والاضطراب وتكفل لها حياة الاستقرار والقوة لتظل دائما تنعم بالحياة وتعد الشباب وفق منهج الله سبحانه ، ونود أن تتحلى الاسر الاسلامية بذلك حتى لا يحدث ما يفت في عضد الشباب ويتركهم نهب الهواجس والآلام .

بأقلام القراء

أرسل الينا الاستاذ / محمد نعيم عكاشه كلمة تحت عنوان

شمس الاسـلام في اوروبـا ... ولكن !!

قال فيها :

اصعب ما يواجه الأقليات الاسلامية في العالم هو تنشئة أبنائهم في جو الغربة على مبادىء الاسلام : عقيدة وسلوكا وعلما ، والمحافظة على الأصول والتقاليد الدينية الواجبة .. وتزداد حدة هذه المشكلة داخل المجتمعات الشيوعية ، فالدين محظور تماما ، والالحاد مفروض على كافة طوائف الشعب ، وأطفال المسلمين يلحقون قسرا بمدارس الدولة حيث يلقنون في صغرهم أفكار ماركس ولينين ، ونبذ حقيقة الوجود الالهي وكل صوره ومعانيه الروحية . ونتيجة لهذا الضغط المقوت ذابت أجيال المسلمين الشابة في محيط الفكر الشيوعي الملحد ولم يبق سوى الأجداد والآباء الذين لا حول ولا قوة لهم وذلك باستثناء قلة شابة من ... كوادر الحزب الشيوعي تتسمى بالاسلام ... كهدف سياسي .. فقط !!

ويقابل ذلك الواقع المؤلم في المعسكر الشيوعي ... المادية الطاغية في مجتمعات أوروبا الغربية وأمريكا التي تغرق افرادها في السموم والأهواء والشرور .. حقيقة إن الدين موجود ، وحرية العبادة مكفولة للجميع ، ولكن المجتمع الانساني معدوم بالمرة .

ووسط الخضم من المادية بجانب الغزو الفكري الصهيوني المتغلغل في جميع أجهزة الاعلام من : صحف ومجلات وتلفزيون وإذاعة وسينما وغيره .. تتأثر حياة الطفل التربوية والثقافية بدرجة كبيرة ويتعرض بالتبعية مستقبل ناشئة المسلمين للخطر حتى بات من الضروري أن تمد الدول الاسلامية يد العون والمساعدة الى الأقليات المسلمة في العالم لحماية أبنائهم من هذا الخطر الزاحف ، ويتمثل العون المطلوب في :

إنشاء مدارس إسلامية داخلية حيثما توجد أقليات مسلمة يتلقى فيها الطالب المسلم تعليمه الابتدائي والثانوي حسب المناهج التربوية المعمول بها في كل دولة ، بالاضافة الى الدراسات الاسلامية ولغات المسلمين من عربية وفارسية وتركية وملاوية وأوردية لمن يشاء من الطلاب ...

وبهذا تتوفر إقامة الطلاب في جو دراسي إسلامي ، وتعويدهم في الوقت

نفسه على آداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، وكذلك تنظيم برامج ثقافية في أوقات الفراغ للتعريف بالبلاد الاسلامية وتقاليدها .

١) دعم المراكز الاسلامية بالخارج ، وتزويدها بالعلماء لتعليم اللغة العربية ومبادئ الاسلام .

٢) تقوية الصلات بين أفراد الأقليات المسلمة وأشقائهم بالدول العربية ، وتبادل الزيارات والمطبوعات الدينية والثقافية .

٣) تكوين جمعيات « أصدقاء الاسلام » ، في شتى أنحاء العالم واستقطاب المفكرين الاسلاميين للمحاضرة بها ، وعقد اللقاءات الفكرية وإنشاء المدارس الاسلامية مهما تكلفت من بلايين الجنيهات وبخاصة إذا علمنا أنه توجد بجانب المدارس الأوروبية والأمريكية مدارس لجميع الأديان والملل فيما عدا الاسلام ؟!

٤) كما تشتد الحاجة الى تأسيس مراكز للبحوث الاسلامية في عواصم العالم الكبرى ، وتزويدها بالعلماء ورجال الفكر الاسلامي للرد على الشبه والافتراءات التي تثار ضد الاسلام من وقت لآخر ، وتعريف القارئ والسامع والمشاهد في أقطار العالم بالمعلومات والحقائق عن الاسلام والمسلمين .

.. والدعوة إلى أين ؟!

ويجرنا الكلام عن الداعية المسلم بالخارج . وأهم الخصائص التي يجب توافرها فيه لأداء رسالته على خير وجه ... وأقول : إنه لا بد بالبدء في تطوير أسلوب الدعوة بصورة تتفق واحتياجات العصر ، وتواجه التحديات التي تعوق انتشار الاسلام ، كما ينبغي ترجمة معاني القرآن الكريم الى مختلف اللغات الأجنبية مع التركيز على توضيح المعاني والمفاهيم الاسلامية في مختلف قضايا هذا الزمان .

وبالضرورة تأسيس معهد عالمي للدعوة الاسلامية لتخريج جيل جديد من الدعاة المزودين بسلاح العقيدة القوية ، ومعطيات العلم الحديث .. جيل يجيد اللغات الأجنبية ، وقادر على مخاطبة الأوروبيين بلغة العصر فالاسلام بنوره المشرق يستطيع أن يغزو العالم لو توفرت له الأداة الجيدة التي توصله إلى العقول والقلوب : عقيدة وفكرا وسلوكا ...

وقد ذكر لي عدد كبير من مفكري أوروبا أثناء لقاءاتي المتعددة معهم .. أن معظم الشباب الأوروبي بدأ يلفظ الالحاد والمادية ، ويبحث الآن عن دين جديد ينقذه من الغرق والتمزق ، ويوفر له الأمان والطمأنينة ... وإن الطريق مفتوح وممهد أمام الاسلام اذا تيسر له الرجال الأكفاء الذين يحملون عبء الدعوة اليه بعلم وقدرة واقتدار ...

فعلينا أن نبدأ ونتحرك في كل مكان ... والله الموفق والمستعان : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة / ١٠٥ .

بريد الوعي الاسلامي

العلاقات الأسرية في الاسلام

هل استمرار العلاقة الزوجية هو الأصل في الاسلام والطلاق طارىء ، واذا كان استمرار العلاقة هو الأصل فما الفرق بين هذا الوضع والعلاقة الزوجية في المسيحية ؟

نور الدين رزق ــ السودان

الأصل في الحياة الزوجية الاستمرار لتدوم سنة الله في الأرض ولتعيش المجتمعات في عفاف وطهر على أن يكون ذلك بالمعروف والحسنى ، فالمرأة ما هي الا انسان له حقوق وعليه واجبات ، وما دامت قائمة بما أمر الله فليكن من حقها أن تعيش في استقرار ، ولا يجيز الاسلام تأقيت عقد الزواج بمدة ، ولا يغمض عينيه عن طبائع الناس ، وما يمكن ان يقوم بين الزوجين من خلاف منشؤه اختلاف الأمزجة والأخلاق ، أو اختلاف المصالح في بقاء الحياة الزوجية او انحلالها ، كما أنه أيضا راعى امكان المصالحة بينهما قبل وقوع الفرقة ، ولذلك يدعو القرآن الكريم الزوج الى حسن المعاشرة فيقول الله سبحانه : (**وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) .

ولذلك كان الطلاق على مراحل لأنه طارىء على الحياة الزوجية حتى تكون هناك فرصة لمراجعة النفس ، ونسيان الأخطاء المثيرة التي تخلق في النفس الضيق من الحياة الزوجية ويحث الاسلام الزوجين على أن يشعر كل منهما بمسئوليته تجاه الآخر ، وتجاه الأولاد ، وحول هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... الى أن يقول صلى الله عليه وسلم : والرجل راع ومسئول عن رعيته والمرأة راعية ومسئولة عن رعيتها » .

كذلك دعا الاسلام الى التحكيم بين الزوجين عند وقوع الخلاف مصداق ذلك قول الله سبحانه : **(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) .**

على هذا تكون العلاقة الزوجية واستمرارها هي الأصل في الاسلام والطلاق عارض لأسباب يمكن أن تزول فتعود العلاقة مرة أخرى الى سالف عهدها الطيب المرجو ، وقد حث الاسلام على الزواج لصيانة الأخلاق وعفة النفس ، والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم » .

ويخاطب الشباب فيقول صلى الله عليه وسلم : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » . وبقدر ما حث على الزواج أيضا حث على حسن العشرة ورعاية شأن الأسرة التي يجب أن يكون قوامها الدين والخلق حتى تنجب جيلا مؤمنا لأن الأم لها الفضل الأكبر في تنشئة الجيل الصالح .

وليس هناك علاقة بين الزواج في الاسلام والزواج في المسيحية ، فالاسلام أعطى حقوقا لكل من الزوجين ، ودعا الى توثيق العلاقة ، وفي الوقت نفسه ترك الباب مفتوحا أمام كل منهم اذا لم يتحقق الاستقرار وفي هذا يقول الله سبحانه : **(الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) .**

أما في المسيحية فالزواج أبدى لا ينفصم إلا في حالة حدوث خيانة زوجية . فانظر معي سماحة الاسلام ، ويسر تشريعاته ، وسلامة تقنينه ورعايته مصالح الناس ، وحرصه على بقاء الأسر داخل المجتمع المسلم متماسكة برغبة وحب في إطار اسلامي متين .

وفي رسالة للسيد/محمد أحمد عبدالوهاب عبدالله صفط الحرية بحيرة ـ مصر : يشكر المجلة على ما تقدمه من موضوعات دينية ، تثبت في النفوس الايمان بالله ، وتوقظ الروح الاسلامية الصادقة .

وتلك جهد مشكور وعمل صادق مواكب لروح الدعوة الاسلامية المدروسة ، نرجو المزيد منها .

ونتمنى أن يستفيد منها النشء المسلم حتى لا يحيد عن الجادة وينحرف عن الصواب .

ونحن ندعوه انطلاقا من تأثره هذا الى اتباع المسلك المعهود ، واتخاذ الخطوات السليمة للوصول الى هدفه المنشود ، وتحقيق أمله المرجو .

ونسأل الله سبحانه أن يهيىء له من أمره رشدا .

مع صحافة العالم

قرارات وتوصيات مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية الاول

أوصى مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية بالعمل على تحرير القدس وحماية المقدسات الاسلامية بها كما أوصى المؤتمر بانشاء مركز خاص مرتبط برابطة العالم الاسلامي للرد على حملات التشكيك ضد الاسلام .
واتخذ المؤتمر عدة قرارات تحدد علاقة المسجد بالمجتمع والعمل من أجل تطوير رسالته .
وكان مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية الأول قد عقد في مكة المكرمة من الفترة من ٢٢ ـ ٢٤ ربيع الثاني الماضي بدعوة من وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية ورابطة العالم الاسلامي وحضر المؤتمر وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية في ٣٧ دولة عربية واسلامية بالاضافة الى ممثلين عن الجمعيات الاسلامية الدولية واخرين عن الاقليات الاسلامية في العالم .
واصدر المؤتمر في نهاية انعقاده عددا من القرارات والتوصيات حول المسائل التي نوقشت في الاجتماعات وهي وضع القدس وعلاقة المسجد بالمجتمع وعدد من المسائل الاخرى .

قضية القدس :

اكد المؤتمر على عروبة القدس والأراضي الفلسطينية وضرورة العمل على تحريرها من قبل الشعوب الاسلامية كلها وحماية المقدسات الاسلامية بالاراضي المحتلة وإعداد الشباب المسلم عامة والفلسطيني خاصة للجهاد في سبيل تحرير فلسطين العربية ومساعدته بكل الوسائل المادية وغير المادية في سبيل تحقيق هذا الهدف كما اكد المؤتمر على ضرورة تنفيذ القرارات الصادرة عن المؤتمرات الاسلامية السابقة حول قضية القدس . كما قرر المؤتمر استغلال موسم الحج القادم لزيادة توعية المسلمين بقضية القدس وذلك بطبع النشرات بكل اللغات لتوضيح هذه القضية الاسلامية وحث وسائل الاعلام على ابرازها واقامة الندوات والمحاضرات اثناء موسم الحج لشرح هذه القضية للمسلمين .

الرد على الشبهات

ودرس اعضاء المؤتمر حملات التشكيك الغربية حول ديننا الاسلامي الحنيف والجوانب السلبية

التي تنشأ عن تلك الحملات وقرر المؤتمر انشاء مركز يلحق برابطة العالم الاسلامي يرصد تلك الحملات ويوزع التقارير على وزارات الاوقاف بالعالم الاسلامي ليمكن الرد عليها .
كذلك اوصى المؤتمر بالتنسيق بين الرابطة والدول الاسلامية للرد على هذه الحملات وحماية المسلمين من هذه الهجمات الشرسة على عقولهم .

المسجد والمجتمع

واهتم المؤتمر ايضا باهمية دور المسجد في المجتمع والعمل على تطويره وذلك باعداد الأئمة والدعاة وضرورة ان تتوفر بهم شروط وصفات خاصة والتوسع في انشاء كليات الدعوة الاسلامية وتمحيص مناهجها وتطويرها وعقد الدورات للأئمة وتنويع وسائل الدعوة بالكلمة المكتوبة والمسموعة وغيرها والتوسع في انشاء المساجد كذلك جذب قطاعي الشباب والمرأة الى المسجد .
كما اصدر المؤتمر عدة توصيات عامة اخرى فقرر منع استيراد اللحوم المذبوحة على غير الشريعة الاسلامية ومنع استيراد المأكولات والمعلبات التي يدخل في صنعها دهن الخنزير كذلك اوصى المؤتمر بعدم استيراد الخمور والاعلان عنها في الدول الاسلامية .

أخطار التبشير

وحول أخطار التبشير أوصى المؤتمر بوقف اقامة الكنائس والحد من انتشار التبشير خاصة في منطقة الخليج العربي وغلق الاندية التي تتعارض مع مبادىء الدين الاسلامي كالروتاري والماسونية والتصدي للافكار المتطرفة كالشيوعية والبهائية والقاديانية باعتبارها عقائد ملحدة خارجة عن الاسلام .
هذا وقد شكل المؤتمر لجنة من اعضائه تعمل في نطاق رابطة العالم الاسلامي وذلك لمتابعة تنفيذ قراراته وتوصياته .

احتجاج إسلامي عام ضد افتراءات الاعلام الياباني

احتجت الكويت رسميا لدى اليابان لسماحها بعرض أفلام تلفزيونية تسيء إلى الدين الاسلامي وتروج للموقف الاسرائيلي حول مدينة القدس وتدعم مواقف الصهيونية .
وقد استدعت وزارة الخارجية سفير اليابان لدى الكويت وسلمته احتجاجا بهذا المعنى .
وكان (٢٣) سفيرا عربيا وإسلاميا قد قدموا احتجاجا مشابها لوزارة الخارجية حول بث التلفزيون الياباني أفلاما تشوه الدين الاسلامي الحنيف .
وكانت محطة التلفزيون اليابانية الرسمية (N.H.K) قد عرضت مؤخرا فيلما طوله ١٦٠ دقيقة على حلقتين يتهجم على الاسلام ومقدساته ، ويدعو لتهويد القدس ، وقد أظهر الفيلم الذي أعد وأنتج في اليابان ،

الصخرة المقدسة على أنها يهودية بل وجزء من حائط المبكى ، وذهب الفيلم الذي شاهده أكثر من ٥٠ مليون ياباني ، إلى حد الادعاء بأن القرآن الكريم مشتق من التوراة ، وأن الاسلام مقتبس عن اليهودية ، وأدعى الفيلم أن فلسطين أصلها إسرائيلية ، وأن آثارها يهودية ، وصور الفيلم الآثار الفلسطينية وقد ظهرت عليها نجمة داود .

وكان التلفزيون الياباني قد دأب في الفترة الأخيرة ، على عرض مثل هذه الأفلام التي تسيء إلى ديننا الحنيف والقضية الفلسطينية . وقد نددت الأوساط الشعبية الاسلامية بهذه الافتراءات ، ودعت الصحف العربية والاسلامية حكوماتها إلى اتخاذ الوسائل المناسبة والكفيلة بوقف هذه الافتراءات عن ديننا الاسلامي ، والتي تصدر من دولة تعتبر صديقة وهي اليابان .

مذكرة إلى الأوقاف من المجلس الاسلامي الأوروبي

تلقت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، مذكرة رئيس المجلس الاسلامي الأوروبي سالم عزام تحتوي المذكرة على قرارات وتوصيات المؤتمر الاسلامي الدولي للدفاع ، الذي عقد في لندن مؤخرا . وجاء في هذه التوصيات ، توصية بتوحيد الفكر العسكري للأمة الاسلامية ، وصياغة قانون عسكري موحد وتشكيل لجنة من الخبراء العسكريين المسلمين لاعداد دراسة شاملة حول المسائل الآنفة الذكر ، ومجالات تطبيقها . وتضمنت توصيات المؤتمر توجيه الدعوة لجميع الحكومات والشعوب الاسلامية إلى إعادة بناء المجتمع الاسلامي من جديد ، والمحافظة على العقيدة ، والتعاون فيما بينها والمشاركة في مواردها ، والدعوة لتطبيق التكنولوجيا الحديثة ، وإقامة مشروعات مشتركة ، والتركيز على حاجة الدول الاسلامية إلى التعاون في مجالات الدفاع والأمن ، وأن الاسلام ليس دينا فقط بل هو ناموس حياة . ومنهج سلوك وقد رحب المؤتمر بانشاء المعهد الاسلامي للدفاع والتكنولوجيا وتبني برامج ودراسات خاصة بالدفاع والأمن وتعيين لجنة من الخبراء المسلمين لدراسة أوجه التعاون بين البلدان الاسلامية ، كما حيا المؤتمر جهود الباكستان في تطبيق الشريعة الاسلامية . وحذرت مذكرة المجلس الاسلامي الأوروبي من موقف الاعلام الغربي الذي يحاول العزف على نغمة الخلاف بين السنة والشيعة .

مؤتمر اسلامي لمكافحة المخدرات

تنظم الجامعة الاسلامية بالمملكة العربية السعودية هذا العام ، إن شاء الله مؤتمرا يعقد في المدينة المنورة . يبحث المؤتمر موضوع المسكرات والمخدرات وأفضل السبل لمكافحتها والعمل الحازم للقضاء عليها

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	[illegible]	[illegible]	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الأحد	١	٢٧	٨ ٣٧	١٠ ١٠	٥ ٥	٨ ٤٠	١ ٣٠	٣ ١٨	٤ ٥٠	١١ ٤٥	٣ ٢٠	٦ ٤٠	٨ ١٠
الاثنين	٢	٢٨	٣٦	٩	٥	٣٩	٣٠	١٧	٥٠	٤٥	٢٠	٤١	١٠
الثلاثاء	٣	٢٩	٣٥	٩	٥	٣٩	٣٠	١٧	٥٠	٤٥	٢٠	٤١	١١
الأربعاء	٤	٣٠	٣٤	٨	٤	٣٨	٣٠	١٦	٤٩	٤٥	٢٠	٤٢	١٢
الخميس	٥	٣١	٣٣	٧	٤	٣٨	٣١	١٦	٤٩	٤٦	٢٠	٤٢	١٢
الجمعة	٦	يونيو	٣٢	٦	٣	٣٧	٣١	١٥	٤٩	٤٦	٢٠	٤٣	١٣
السبت	٧	٢	٣٢	٥	٣	٣٧	٣١	١٥	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٤
الأحد	٨	٣	٣١	٤	٢	٣٧	٣١	١٥	٤٨	٤٦	٢٠	٤٤	١٥
الاثنين	٩	٤	٣٠	٤	٢	٣٦	٣١	١٤	٤٨	٤٦	٢١	٤٤	١٥
الثلاثاء	١٠	٥	٢٩	٣	٢	٣٦	٣١	١٤	٤٨	٤٦	٢١	٤٥	١٦
الأربعاء	١١	٦	٢٨	٣	٢	٣٦	٣١	١٤	٤٨	٤٧	٢١	٤٥	١٦
الخميس	١٢	٧	٢٧	٢	١	٣٥	٣١	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٦	١٧
الجمعة	١٣	٨	٢٧	٢	١	٣٥	٣١	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٦	١٨
السبت	١٤	٩	٢٦	١	١	٣٥	٣٢	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٧	١٨
الأحد	١٥	١٠	٢٦	١	١	٣٤	٣٢	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٧	١٩
الاثنين	١٦	١١	٢٦	١	١	٣٤	٣٢	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٧	١٩
الثلاثاء	١٧	١٢	٢٥	٠٠	٠٠	٣٤	٣٢	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٨	٢٠
الأربعاء	١٨	١٣	٢٥	٠٠	٠٠	٣٤	٣٢	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٨	٢٠
الخميس	١٩	١٤	٢٤	٩ ٥٩	٠٠	٣٣	٣٢	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٩	٢١
الجمعة	٢٠	١٥	٢٤	٥٩	٠٠	٣٣	٣٢	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٩	٢١
السبت	٢١	١٦	٢٤	٥٩	٠٠	٣٣	٣٢	١٣	٤٨	٤٩	٢٢	٤٩	٢١
الأحد	٢٢	١٧	٢٤	٥٩	٠٠	٣٣	٣٢	١٣	٤٨	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
الاثنين	٢٣	١٨	٢٣	٥٨	٤ ٥٩	٣٣	٣٣	١٣	٤٨	٤٩	٢٣	٥٠	٢٢
الثلاثاء	٢٤	١٩	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٥٠	٢٢
الأربعاء	٢٥	٢٠	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٥٠	٢٣
الخميس	٢٦	٢١	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٢	٤٩	٥٠	٢٣	٥٠	٢٣
الجمعة	٢٧	٢٢	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٤	٤٩	٥٠	٢٤	٥١	٢٣
السبت	٢٨	٢٣	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٤	٤٩	٥٠	٢٤	٥١	٢٣
الأحد	٢٩	٢٤	٢٣	٥٩	٥ ٠٠	٣٣	٣٣	١٤	٥٠	٥٠	٢٤	٥١	٢٣

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

د : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٦ ○ شعبان ١٣٩٩ هـ ○ يونيو ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

الجامع المحمدي في نيروبي عاصمة كينيا وهو واحد من أجمل المساجد المنتشرة في جميع أقاليم كينيا .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٦ ○ شعبان ١٣٩٩ هـ ○ يونيو ١٩٧٩ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج القرآن الكريم في الدعوة الى الله

الدعوة إلى الله مهمة الرسل، ووظيفة الأنبيــاء، ومسؤوليــة العلماء، وهي في حقيقتها نداء الحق للخلق، وتنوير البصائر، لتتفتح على عظمة الاسلام، وتعب من رحيقه العذب، وهي دعوة للناس بالحكمة والموعظة الحسنة، لينضموا تحت راية الاسلام، إخوة متعاونين لا متعادين، ومتراحمين لا متزاحمين، ومؤتلفين لا مختلفين، وهي نصيحة بغير فضيحة، وتصحيح بلا تجريح، ومن آداب القرآن، أنه إذا أراد أن ينهي قوما عن منكر فعلوه، لا يذكرهم بأسمائهم، ولكن يتحدث عن أفعالهم مجردة. لينفر منها ويحذر من الوقوع فيها، وكثيرا ما يقول القرآن الكريم: (ومن الناس ..) ثم يعرى أفعالهم، ويستر أسماءهم. وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، كان يخطب الناس ويعظهم، وفيهم من قارف ذنبا، أو خالط معصية، فلا يقول: إن فلانا هذا الجالس بينكم قد فعل كذا وكذا، ولكن كان يقول: « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا .. » أو « لينتهين أقوام عن كذا وكذا، أو ليسلطن الله عليهم عقابا من عنده .. » وهذا من أدب سيد الدعاة، أرسله في أمته، ليكون منارها الهادي، وقدوتها الراشدة.

ولقد رسم القرآن الكريم، منهج الدعوة إلى الاسلام، في آيات بينات، توضح أبعادها، وتضع المعالم الواضحة على طريق الدعاة إلى الله، حتى لا تنقلب الموازين في أيديهم، فيصيروا دعاة فوضى وعبث، وحتى لا يجرفهم تيار الغرور والاستعلاء، فيصبحوا عتاة متجبرين، لا هداة ناصحين!

ولا تتشعب المسالك أمامهم، فيضلوا السبيل، ويسيئوا إلى دينهم، من حيث أرادوا أن يحسنوا إليه !!..

من منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله، قول الحق تبارك وتعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).

فالدعوة إلى سبيل الله ، لا لشخص معين ، ولا لمذهب بذاته ، ولكنها دعوة وجهتها الله ، وغايتها إعزاز الدين ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) .

والدعوة تكون بالحكمة ، بالأدلة الكاشفة للحق ، الداحضة للباطل ، والتي تتناسب ومقتضيات الأحوال ، فلا تستبد الحماسة بالداعية ، فيفقد توازنه وصوابه . وبالموعظة الحسنة ، لا بالتأنيب في غير موجب ، ولا بفضح الأخطاء بغية التشفي وحب الظهور .

وبالجدل بالتي هي أحسن ، بالحجة والاقناع ، لا بالتحامل والاندفاع .

ومن منهج القرآن في الدعوة ، الحوار الهادف ، بغية الوصول إلى الحق ، والله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ومع هذا فان قضايا العقيدة ، عولجت في القرآن الكريم ، بالحوار الجاد ، والمحاجة البينة ، ولم تفرض على الناس فرضا . ومن ذلك الحوار بين ابني آدم ، وبين موسى وفرعون ، وبين الذين اتبعوا والذين اتبعوا ، وبين أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون .

هذا ومن أقوى وسائل النجاح للداعية ، التلطف في الدعوة ، وإفساح الصدر ، ولين الجانب : لقد أرسل الله جل شأنه موسى وهارون ، إلى فرعون الذي حشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى ، فأوصاهما أن يتلطفا معه : (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) هذا ، مع أن الله قادر على أن يخسف بفرعون وقومه الأرض ، إن لم يؤمن بمن خلقه ، ولكنها سياسة الدعوة ، فاللين في القول ، يفتح مغالق القلوب ، ولا يثير العزة بالاثم ، ولا يهيج كبرياء المستكبرين على الحق . وهكذا الناس في كل عصر ، في حاجة إلى كنف رحيم يسعهم ، وإلى قلب كبير يمنحهم الرعاية والحب ، وإلى حلم لا تضيق ساحته بغلظة سائل ، أو جفوة جاهل ، وإلى خلق سمح كريم ، يعطى ولا يأخذ ، يمنح الأسوة الحسنة ، ولا يسأل الناس عليها أجرا .

وهكذا كان الداعية الأول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، ملك قلوب الناس بالبشاشة والود ، والرحمة واللين : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) .

رئيس التحرير

أحمد البيومي

القرآن الكريم

٢

التفسير في دور التخلف :
كما أن الصحيح يأكل الطعام فيزداد قوة ، فان المريض يأكل الطعام فيزداد مرضا .
وفي عهد التقليد والجمود تحول التفسير إلى مماحكات لفظية أو بحوث في قواعد النحو والاعراب أو البلاغة والبيان ، أو آراء الفرق والرد عليها ، وغير ذلك من الاصطلاحات والفنون ، التي تصرف الناس عن هدى القرآن إلى ما كتبه المفسرون من علوم وفنون .

رأى صاحب المنار :
يقول السيد رشيد رضا في مقدمة تفسير المنار :
« كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية ، وهدايته

للدكتور عبد الله محمود شحاته

السامية ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان ، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين ، واستنباط الفقهاء والمقلدين وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات ، وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات . وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن ، هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية ، وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين بايراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة ، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة ـ بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض ـ من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ، فكانت الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن ، على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وضعه ، وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح .

ثم إلى العناية بمقتضى حال العصر ، في سهولة التعبير ومراعاة أفهام صنوف القارئين ، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها » .

أنواع التفسير :

يمكن أن نقسم التفسير إلى نوعين على وجه الاجمال :

أحدهما : تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ واعراب الجمل ، وبيان ما يحتويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية ، واشارات فنية ، وهذا النوع أقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير ، وبيان مراد الله من هداياته .

والنوع الثاني : تفسير يجاوز هذه الحدود ، ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن ، وتعاليم القرآن ، وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن على وجه يجتذب الأرواح ، ويفتح القلوب ، ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله ، وهذا هو الخليق باسم التفسير . وفائدة هذا التفسير هي التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، ليفوز الأفراد والجماعات بخير الدنيا والآخرة .

التفسير في العصر الحديث :

كان جمال الدين الأفغاني من أسس النهضة الحديثة ، والدعوة إلى اليقظة الفكرية والدينية .

وقد حمل راية الاصلاح من بعده الأستاذ الشيخ محمد عبده ، وكان إصلاحه دينيا اجتماعيا ، وقد اهتم بتفسير القرآن الكريم ، وجعله أساسا لنهضته الدينية ووسيلة لبث أفكاره التربوية ، وآرائه الاصلاحية .

وانتقل الامام محمد عبده إلى رحمة الله ، ولكنه فتح الطريق لمن جاء بعده من المفسرين ، الذين تابعوا مسيرته ، ومن هؤلاء الأعلام في التفسير : السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ، الذي أتم تفسير المنار إلى سورة يوسف في أسلوب علمي « سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي » . ويعتبر هذا التفسير مرجعا هاما ، وموسوعة إسلامية ، في الفقه والأصول والتشريع ، والسياسة الشرعية ، والتاريخ والسيرة ، وكثير من العلوم الأنسانية .

ومنهم الأستاذ أحمد مصطفى المراغي ، وله تفسير كامل يسمى تفسير المراغي ، ومنهم فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ، وقد فسر سورا مختارة مثل سورة الحجرات والحديد وغيرها ، ونهج منهجا علميا عصريا ميسرا .

ومن المفسرين المحدثين جمال الدين القاسمي ، وله تفسير مطول جمع فيه نماذج مختارة من آراء المفسرين السابقين ، ويعتبر تفسيره موسوعة منتقاة تعرف القارىء بما طرقه السابقون حول تفسير القرآن الكريم ، وكان القاسمي أمينا في النقل ، ملما بأطراف الفنون والبحوث المتنوعة التي تناولها تفسيره .

ومن المفسرين فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وقد قدم تفسير القرآن الكريم بطريقة جديدة ، تدور حول بيان الفكرة العامة للسورة ، والموضوعات التي تناولتها ، والروح العامة التي تسرى في آياتها ، وقد أتم تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم على هذا النمط ، وطبع هذا التفسير أكثر من مرة .

ومن المفسرين الأستاذ الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر ، وقد فسر عددا من السور منها سورة النساء والأنعام وكان يعرض الأفكار العامة للسورة ، ويوضح السمات الغالبة عليها ، ويذكر بعض المباحث المتعلقة بها ، في أسلوب رشيق وعبارة سلسة ، وقد أشرف على رسالتي للحصول على الماجستير ووجدت فيه أخلاق العلماء ، وعطف الآباء ، وسماحة الأتقياء ، وورع الصادقين ، عليه رحمة الله .

في ظلال القرآن :

ومن المفسرين في العصر الحديث الأستاذ سيد قطب ، وله دراسات متصلة بالقرآن مثل : مشاهد القيامة في القرآن ، والتصوير الفني في القرآن . وقد ترك تفسيرا في ثلاثين جزءا هو تفسير « في ظلال القرآن » . يعرض فيه للافكار العامة للسورة ، ويوضح المقاطع التي تتكون منها

والأفكار التي تشتمل عليها ، ويتمتع رحمه الله بنظرة ثاقبة ، وفكرة ناضجة وبصيرة متفتحة في الوصول إلى أهداف القرآن ، والتسلل إلى مراميه ، وبيان إعجازه ، ونسقه الفني وبراعة أسلوبه وجميل تركيبه ، وسائر ضروب البيان التي اشتمل عليها القرآن الكريم . وللأستاذ سيد قطب ذوق فني في تقسيم السورة إلى فقرات ، كل فقرة تكون وحدة أو وحدات متناسقة ، ويوضح أولا الفكرة العامة للفقرة وما بين آياتها من تناسق ، ثم يشرح كل مجموعة من الآيات شرحا وسطا بين الاجمال والتفسير ، وربما أفاض في بحوث أو تعليق طويل حين يجد في نفسه استعدادا لهذه الافاضة ، وهي إفاضة لأدنى ملابسة كان دافعه فيها الرغبة الصادقة في بعث روح النهضة الاسلامية الحقة ، واعادة مجد الاسلام ، وتذكير المسلمين بواجبهم حيال دينهم وحيال دعوتهم .

وتفسير في ظلال القرآن له طعم خاص ومذاق متميز ، وسر يربط القارىء بالقرآن ، ويفتح مغاليق الألفاظ ، ويهدى القلوب إلى عظمة القرآن ، ويشرح للانسان معاني الآيات في يسر وسهولة ، فهو تفسير العامة والخاصة .

وربما مرت ألفاظ صعبة تحتاج إلى شرح أو توضيح ولم يوضحها ، ذلك أنه لم يشأ ان يجعله تفسيرا كاملا ، ولكنه استروح فيه معاني القرآن وتفيأ ظلاله ، واكتفى منه بشم عبيره وتنسم ظلاله ، دون أن يصل إلى طرق معاني المفردات فيه .

وقارىء هذا التفسير ربما احتاج إلى تفسير مبسط يهتم بمعاني المفردات وشرح التراكيب ، مثل تفسير الجلالين أو المصحف المفسر للأستاذ محمد فريد وجدي ، فان كان القارىء متخصصا أو راغبا في المزيد ، فانه يضم إليه تفسيرا متوسعا مثل تفسير الطبري أو النيسابوري أو ابن كثير أو الكشاف للزمخشري ، او التفاسير المتوسطة مثل تفسير النسفي ، والبيضاوي ، والخطيب الشربيني ، وتفسير القنوجي ملك بهوبال بالهند المسمى : فتح البيان في تفسير القرآن .

وقد طبع تفسير في ظلال القرآن ست طبعات متتابعة ، في مطابع دار الشروق في بيروت ، عدا طبعات متعددة في جهات أخرى .

وينتشر انتشارا واسعا في سائر البلاد العربية والاسلامية ، ذلك أنه يخاطب العقل والفكر ، ويناجي الوجدان والقلب ، ويربط القرآن بحياة المسلمين ، ويمزج الماضي بالحاضر ، ويوضح الأسباب الكامنة وراء قوة المسلمين في الصدر الأول ، ويذكر حكما وأسبابا لم تتيسر لمن سبقه من المفسرين .

وسيد قطب معتدل في فهمه للاسلام ، عميق في فهم الروح العامة للقرآن ، لا يميل إلى تأويل الآيات إرضاء لذوق عصري .

بين الامام محمد عبده والاستاذ سيد قطب :

ظهر الامام محمد عبده في فجر

النهضة ، والعالم الاسلامي يرزح تحت أعباء الاحتلال ، وقد امتد ظلام التقليد والجمود ، فحارب الامام محمد عبده التقليد والمقلدين ، وحث على الاجتهاد ، وعرض الأحكام الفقهية عرضا مناسبا ، وبين أنه ينبغي ان تكون للفقهاء جمعيات يتدارسون فيها الفقه ويذكرون الرأى الراجح مع دليله ، واذا كانت بعض الأحكام قد رجحت لأسباب خاصة فليبينوا ذلك ، فان من قواعد الأصول أن المشقة تجلب التيسير ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وان الأحكام تتغير بتغير الأزمان ، وأنه يتحمل الضرر الأصغر في سبيل دفع الضرر الأكبر ، وأنه أينما توجد المصلحة فثم شرع الله ، ومن فهم كلام أئمة الفقه حق فهمه ألفاه لا يتعدى هذه القواعد .

تحكيم العقل :

أول الامام محمد عبده بعض الآيات والمعجزات تأويلا مجازيا حتى يخضعها لقانون الأسباب والمسببات بدلا من ان تكون داخلة في دائرة المعجزات . فذكر ان الملائكة قوى ترشد إلى الخير وتهتف به في نفس الانسان ، واول سجود الملائكة بخضوعها وامتثالها لأمر الله . وذكر ان معصية آدم حين أكل من الشجرة رمز لقدرته على فعل الخير والشر .

وقد فسر الامام السحر والجن والحسد وغيرها تفسيرا عقليا أثار ضجة بين العلماء .

وقد رد عليه العلماء وأثبتوا حقيقة هذه الأمور من جهة النقل ومن جهة العقل .

قصة الفيل :

قال تعالى في سورة الفيل : (**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول**) سورة الفيل .

وقد فسر الامام محمد عبده السورة بأن الله أرسل عليهم ميكروبات فنشرت بينهم وباء الجدري ، مما قضى على جيش أبرهة وصرفه مخذولاً عن الكعبة .

والأستاذ سيد قطب يرى ان ذلك التأويل العقلي من الامام كانت له أسباب ودوافع ، منها هجمات المستشرقين وادعاؤهم أن الاسلام دين خرافة ، فحاول الامام ان يفسر هذه الظاهرة تفسيرا مقبولا لهم .

ويرى الأستاذ سيد قطب أن الوباء الذي أرسله الله على أصحاب الفيل لو كان مرضا فتاكا ، لم يكن معجزة ملموسة ، وأن سياق السورة يفيد أن الله أرسل طيرا مكونة من جماعات متتابعة رمت الجيش بحجارة من طين منتن ففتكت به . وذلك أظهر لقدرة الله أمام أهل مكة ، وأدعى إلى انتشار خبر هذه الحادثة حتى أرخ العرب بها ، وحتى لو كانت وباء فتاكا ، فان انتشار الوباء بين جيش أبرهة ، وعدم إصابة أحد من أهل مكة به رغم مخالطتهم لهم وقربهم منهم ، دليل على المعجزة الالهية التي أرادت صد أصحاب الفيل عن البيت الحرام . وأن يكون ذلك معجزة تمهد لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

الإسلام دعوة دين وعلم

للأستاذ عبد الرزاق نوفل

إن من ضمن ما يتميز به الاسلام ـ ولا نهاية لميزاته ـ وما يتصف به ـ ولا أفضل من صفاته ـ اليسر في مبادئه .. والوضوح في عقائده .. والسماحة فيما يدعو به .. والسمو فيما يهدف إليه .. فليس به تعقيد أو ايهام .. ولا غموض او ابهام ... بل إن كل ما جاء به .. يقبله العقل ـ ويستوعبه الفكر .. ولما كان العلم هو سبيل الفكر لاظهار الحق للعقل فقد وجدنا ان أول ما نزل من الاسلام وهي الآيات الاولى للقرآن الكريم كانت :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق/ ١ ـ ٥

وإنها لدعوة الى الدين بالعلم .. ودعوة الى العلم بالدين .. فليس معنى لفظ **(اقرأ)** يقتصر على مجرد الأمر بالقراءة ـ كما كان يظن ـ أو الحث على العلم .. بل إنه دعوة إلى التعلم والى التعليم وأيضا لمتابعة العلم والارتباط به .. فالانسان يقرأ على غيره ليتعلم .. ويقرأ لغيره ليعلمه .. ويقرأ ليزداد علما ومعرفة بكل ما هو حديث في العلم أو جديد عليه ... وكذلك يقرأ ليبلغ الناس بهذا الجديد والحديث ... ولذلك فان هذا اللفظ الكريم **(اقرأ)** ... لا يعادله في

معناه الواسع .. وأفقه الشاسع اي تركيب من جمل وأبيات .. ولا اى سطور أو صفحات .
وارتبط الأمر بالقراءة باسم الله .. اى لا قراءة إلا باسم ربنا .. ولا يقتصر معنى ذلك كما قد يظن على التوجيه للتيمن والاستفتاح باسم الله .. فهذا أمر واجب ومفروض على كل انسان .. ان يبدأ به .. كل عمل .. وليس فقط في القراءة .. بل إن النص ليشير إلى ان القراءة هي من عطاء الله .. وبعض فضله .. وبالغ رحمته .. وجميل صنعه ... وعظيم قدرته .. يؤيد ذلك أن الأمر بالقراءة وقد تكرر في الآيات بعد ذلك جاء مقرونا بربك الأكرم .. اى انها من مظاهر كرم الله على عباده .. وبذلك لا بد للانسان وهو يستجيب لهذا الأمر الكريم أن يتأمل ويتدبر كيف يقرأ ... أنها سلسلة من العجائب والغرائب وكلها تشير الى بعض قدرة الله سبحانه وتعالى .. فعملية التقاط الصورة المقروءة بالعين ودخولها مقلوبة الى المخ ثم تعدل دون تدخل من الانسان ولا حتى ملاحظته .. ثم كيف يتحرك اللسان .. وعديد من الخلايا والعضلات .. ويتوزع الهواء لتهتز الأحبال الصوتية ذات البصمات التي ينفرد بها كل انسان ... فلا تتطابق البصمات الصوتية في متحدثين اطلاقا .. وغير ذلك مما يطول شرحه ... ويستفيض بيانه .. اما الكتابة والتعلم ... واختزان المعلومات في الذاكرة ... التي اثبت التشريح عدم وجود ما يصلح أن تسجل عليها . فهو أمر فوق التخيل وأبعد من التصور ... وقد تسنح الفرصة لنفرد لبعض معجزات القراءة والكتابة والعلم قولا مستقلا اذا أراد الله .. حيث لا يقع الا ارادته .... وان شاء .. فلا راد لمشيئته .
وبالقراءة .. ودراسة كل جوانبها .. فلقد تأكد الانسان أن وراء هذه المعجزات مبدعا ... ولهذا الانسان خالقا ... وبهذا فان الآية الشريفة التي أمرت بالقراءة باسم الله اكتملت بذكر الحقيقة .. حقيقة وجود الله الذي خلق .. خلق الانسان من علق .. بما يستوجب ان يبحث الانسان عن العلق .. ثم في العلق ـ هكذا كانت أول آيات كتاب الاسلام العظيم ـ القرآن الكريم ـ إعلانا لوجود الله وعن طريق العلم ... ودعوة الى العلم عن طريق الدين .
وتأكيدا على أن الحقيقة الأولى التي يقوم الوجود بها ... وعليها .. ولها .. هي وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته فانها أول اركان الاسلام وعقائده .. وأساس دعوته وأصل مبادئه .. وكما جاء في القرآن الكريم . فقد قال بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « بنى الاسلام على خمس » وأولها شهادة ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله » . البخاري ومسلم .
والنص بالشهادة لا يحتمل من معنى غير الرؤية البصرية ... والمشاهدة النظرية فمن رأى فقد شهد .. ومن لم ير .. فقد يكون علم .. أو سمع ..

دون أن يرى .. هكذا فرض الاسلام على الانسان ان يرى ان لا إله إلا الله .. وبالرغم من أن هذه الحقيقة هي أمر فطري .. إذ ينبعث من فطرة الانسان منذ طفولته والى مماته اليقين بوجود الله .. ولكن قد لا يحسها لفترة .. ولسبب او لآخر .. وهي ايضا أمر عقلي .. إذ لو تفكر الانسان من خلق الخلق .. حيث أنه لم يخلق نفسه ولم يخلق غيره .. كما أن غيره ممن يعرف ويعايش لم يخلقوه ولم يخلقوا غيره .. فلا بد من خالق خلق كل من خلق .. وهذا أيضا أمر منطقي .. فانها أمر علمي وجه به واليه الاسلام .. حيث بدأت به آيات القرآن الكريم .. في القراءة والكتابة والعلم .. وخلق الانسان من علق .. وكل ما في جسم الانسان من اجهزة ومعجزات كشف ويكشف عنها العلم إنما كلها آيات مشاهدات .. وأدلة بينات على وجود الله وصدق سبحانه وتعالى :

(وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات / ٢١ .

هكذا يرى الانسان آيات الله المرئية .. فيشهد بوجوده .. على وجوده . ووحدانيته ..

فالانسان يرى السماء بما فيها .. فيسأل من يمسك السماء حتى لا تقع على الأرض . وكذلك سأل من خرجوا الى الفضاء من العلماء وغيرهم من الرواد .. حينما شاهدوا الأرض معلقة في السماء .. فرائد الفضاء الروسي تيتوف الذي كان أول من عقد مؤتمرا صحفيا في الفضاء قال : إنه شاهد في السماء من الألوان ما لا يعرف .. ولا يستطيع ان يصف .. حتى لو كان له لسان شاعر او قلم أديب .. وأنه سأل نفسه وهو يرى الأرض كرة معلقة في السماء .. ترى من يمسكها فلا تقع .. إنه لم يتفكر في الأمر ـ كما لم يبلغه قول القرآن الكريم :

(ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه) الحج / ٦٥

(إن الله يمسك السماوات والأرض ان تزولا) فاطر / ٤١ .

اما « جيمس ايروين » رائد الفضاء الامريكي وقائد مركبة « ابوللو » وأحد القلائل الذين أتيح لهم أن يسيروا باقدامهم على سطح القمر يقول في مذكراته التي نشرت أخيرا :

« ليس هناك أجمل ولا اغرب من أن يرى الانسان منظر الأرض من ذاك البعد السحيق وهو على سطح القمر . عندما رأينا الأرض لأول مرة ونحن في رحلة الصعود كأنها كرة معلقة في الهواء وكلما اخذ حجمها يصغر شيئا فشيئا حتى اصبحت في حجم الزيتونة .. كنا نتخيل أهلنا وأولادنا وأصدقاءنا وأحبابنا وآمالنا تعيش كلها على سطح هذه الزيتونة ، إن هذا الاحساس بهذا المنظر يؤثر في الانسان تأثيرا عظيما .. ففي هذه الأثناء يعرف الانسان أنه ليس الا ذرة .. مجرد ذرة تسير في هذا الكون .. والأرض التي تضم ملايين البشر ليست سوى ذرة من ذرات هذا الكون العظيم . إن هذا الشعور يجعل الانسان يرى الله) .

لقد استقال جيمس ايروين بمجرد عودته من القمر .. وتفرغ للنشاط الديني .. فان رحلته الى الفضاء ورؤيته لمجرد ذرة من ذرات هذا الوجود وهي عالقة في الفضاء .. لا يمسكها ويمسك غيرها إلا الله .. تحركت في أعماقه .. الحقيقة الوحيدة والأكيدة في هذا الكون .. وجود الله .. الذي يجب ان يتجه الانسان إليه بالايمان والعبادة .. والتسليم .

ولا يقتصر أمر المشاهدة على السماء وما فيها .. بل يمتد إلى الأرض .. وكل ما عليها – بل وما تحتها – فالانسان يشاهد النبات ويراه يشق الأرض ليخرج زرعا مختلفا .. ملايين الانواع والأصناف .. مختلفة الألوان والأشكال والصفات .. متعددة الأحجام والروائح والمذاقات .. كلها تخرج من طين واحد .. وماء واحد .. ويشاهد الدواب وما فيها من عديد الآيات .. بل يشاهد تعاقب الليل والنهار .. وآياتها أكثر من ان تحصى وتعد .. او تذكر وتحد .. صدق القرآن الكريم اذ يوجه الانسان إلى هذه الآيات المرئية فيقول :

(إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) الجاثية/ ٣ ــ ٥

وحتى يجتهد الانسان في البحث عن هذه الأدلة المرئية .. والمشاهدات البصرية .. فلا بد أن كل جديد في البحث سيحمل للانسان الجديد من الآيات .. يقول الله سبحانه وتعالى :**(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم)** فصلت/ ٥٣

اى أنه ستستمر الشواهد متصلة متواصلة .. والآيات متواكبة متعاقبة .. إذا فلقد أكد العقل والمنطق والعلم والفكر .. وجود الله .. بل لقد شاهد الانسان ذلك .. فشهد به .. له .. ولكن .. أشركاء لله معه .. او أبناء له .. لقد قال البعض بما لا يقبل عقلا .. ولا يسمع اصلا – وهم في حقيقتهم يرفضونه فعلا .. ويتجنبونه حقا .. ولكنهم وقد وجدوه في آبائهم .. يحاولون تفسيره ولكن بما يزيده تعقيدا فقالوا : إنه تعدد في واحد .. وواحد في تعدد ... وانه لأمر يخالف العقل .. اى عقل ... ويناقض العلم اى علم .. فعلوم المنطق والاجتماع والفلسفة وما شابهها من علوم عقلية .. كلها تؤكد حقيقة أعلنتها وقدرتها .. وقامت التجارب العملية بمباشرتها فأيدتها ... الا وهي وحدانية الله سبحانه وتعالى وانتفاء الشرك معه او البنوة منه ... او المماثلة له .. إذ أنه ما من جمع كبر او صغر إلا ولا بد من ان يتسيده واحد .. يظهر على الآخرين ويتفوق على الباقين ... بل إنه ما اجتمع فرد مع آخر إلا ولا بد ان تكون الرياسة لأحدهما ، والا لاختلط الأمر .. وتعدد الرأى .. وفسد الحال . هذا ما يقرره العلم في كافة

قطاعاتـــه العقليـــة والسلوكيـــة والنفسية .. فكيف يقال بالتعدد في الألوهية .. وقبل أن يصل العلم إلى ذلك فلقد قرره القرآن الكريم في النص الشريف :

(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العـرش عمـا يصفون) الأنبياء/٢٢ .

حقا وصدقا لو كان في السماوات والأرض آلهـة غـير الله سبحانـه لفسدت .. إذ لا شك أن كل إله .. سيستأثر بما خلق .. ويحاول كل إله ان يعلو على الآخر .. أو الآخرين .. وهذه البديهية قال بها القرآن الكريم في النص الكريم :

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) المؤمنون/٩١

ولا يقتصر ايراد هذه الحقيقة والتدليل عليها علميا على العلوم العقليـة .. وانما أيضا العلـوم الطبيعيـة من كيمياء ونبات وحيوان .. وطبيعـة وفلك وذرة وخلق الانســان .. فان وحدة الخلق وتماثله .. وتطابقه في طريقة الخلق .. تشير إلى وحدانية الخالق .. والفردية في الانســان .. حيث لم تتكرر بصمة من بصمات أصابعه على طول الزمان .. رغـم صغرهـا .. وتشابـه خطوطهـا .. وكذلك نبـــرات الصـــوت .. اى بصماته .. وأنماط بروتين الدم .. بل وشكل وجه الانسان ... فرغم اتفاق كل الناس في أجهزة الوجه في شكلها ومكانها وهيئتها .. فالعين هي العين وكذلك الأنف والفم والأذن وكل هذه نجدها بعيدا عن الوجـه متماثلـة ومتشابهة ولكنها في الوجه .. بهـا يختلـف الانســان عن الآخـر ولا يتكرر ... ان عدم تكرار البصمـة وهي الواضحة التي تم تسجيلهـا ومتابعتها ـ وحاليا يوجد على الأرض ٤٠ الف مليون بصمة .. فكم عدد من سبقوا .. ومن سيلحقون ـ أمر يشير ويؤكد وجود خالـق واحـد .. قادر عليم .. خبير حكيم .

صدق القرآن الكريم الذي يقول :

(بديع السماوات والأرض انـى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم . ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهـو على كل شئ وكيل) الانعام/١٠١ ، ١٠٢ .

وبـذلك فان عقيـدة الألوهيـــة في الاسلام .. أمرها واضح وسليم .. ودعا إليها كل علم وعليم .. وقد شهد بها هذا الكون العظيم .. وهي بداية ونهاية كل صراط مستقيم ... هي حق منطوق .. ومنطوقهـا .. لفـظ جميل وكريم .. **لا إله إلا الله ..**

وانها لشهادة منه سبحانه وتعـالى به .. ومن الملائكة .. كل الملائكة وممن اوتوا العلم .. له جل شأنه .. تكررت في آية للتأكيد والاعتبار .. وترديدها والعمل بها ما سجى ليل او لاح نهار .

(شهد الله أنـه لا إلـه إلا هو والملائـكة وأولـوا العلـم قائمـا بالقسط لا إلـه إلا هو العزيـز الحكيم) آل عمران/١٨ .

من وحي النبوة

القرآن والسنة معًا

تخريج الحديث : رواه أبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ باب لزوم السنة ، وسنده صحيح ، وقد سكت عنه المنذري فهو صالح للاحتجاج به ورواه الترمذي في جامعه بسنده عن المقدام بن معد يكرب ولفظه ! قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني ، هو متكئ على أريكته ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله ، كما حرم الله » قال الترمذي : هذا حديث حسن .

« الشرح والبيان »

قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إنني أوتيت الكتاب ، ومثله معه » ألا : أداة استفتاح ، وهي تفيد التنبيه الى ما يجئ بعدها فيأتي وقد تشوقت إليه النفس ، فيتمكن فيها فضل تمكن ، و« أوتيت » بمعنى أعطيت من « آتى » بمعنى أعطى ، والمراد بالكتاب : القرآن الكريم ، وقد صار علما على القرآن الكريم

للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة

روى الامام أبو داود في « سننه » بسنده عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ألا إنني أوتيت الكتاب ، ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه ».

بالغلبة ، واذا أطلق لفظ الكتاب في لسان الشرعيين انصرف الى القرآن ، وهو في الأصل مصدر كتب ، ثم استعمل الكتاب في المكتوب ، استعمال المصدر في اسم المفعول ، ثم صار علما بالغلبة كما ذكرت ، وقد كرر هذا الاسم « الكتاب » أو « كتاب » في القرآن الكريم في مواضع كثيرة يطول الكلام لو تتبعناها .

ومثله معه : المراد به السنن والأحاديث النبوية ، ومن القرآن الكريم والسنة النبوية يكون خير الهدى وهو هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي الكتاب الكريم قول الله تبارك وتعالى (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقرة/ ١٨٥ وفيه ايضا قول الله تعالى : (**إن هذا القران يهدي للتي هي أقوم**) الاسراء/ ٩ .

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه « إن خير الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم » [انظر صحيح البخاري ـ كتاب الأدب ، وصحيح

مسلـم ـ كتـاب الجمعـة ـ باب الخطبة] وهذا الـكلام النبـوي ، الموجز ، البديع ، يحتمل وجهين !

أنه صلى الله عليه وسلم أوتى من الوحي الباطن غير المتلو ، مثل ما أعطى من الوحـي الظاهـر الجلى المتلو .

أنه أوتى الكتاب وحيا يتلى بلفظه كما أنزله الله ، من غير تبديل ، ولا تحريف ، ولا قراءة بالمعنى ، وأعطي من البيان مثله أي أذن له صلى الله عليه وسلم أن يبين ما في الكتاب الكريم : القرآن فيعـم ، ويخص ، ويقيد ، ويشرح الغامض ، ويفصل المجمل ، ويزيد عليه ، ويشرع ما ليس في الكتاب ، فيكون في لزوم قبوله ووجوب العمل به كالظاهر المتلو من القـرآن والوجهـان متلازمـان وفي الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قول الله تبارك وتعـالى « **ومـا ينطـق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحي** » النجم/٣ و٤ . قوله صلى الله عليه وسلم « ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ».

يوشك مضارع أوشـك بمعنـى قرب ، والمراد بقوله : شبعان أنه ممن يعيش لبطنه لا لعقله وروحه ، وبقوله صلى الله عليه وسلم « متكئ على أريكته » أنه من أهل الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم من مظانه ، ويرتحلـوا في سبيـل الحصول عليه كما هو الشـأن في المحدثين والعلماء ، و « الأريكة » هى السرير في الحجلة ـ بفتح الحـاء المهملة والجيم ، واللام ـ وتجمع على حجال ، والمراد بالحجلة : الخيمـة التي تزين بالستائر ، والبسط ، وفي معنى الحجلة الحجرة المزينة بذلك ، وقيل : هى كل ما اتكئ عليه من سرير أو وسادة ، أو حشية ونحوها .

والمراد بقول هذا الرجل المتنعم الذي ليس من أهل العلم والفقه : « عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » الاستغناء بالقرآن العظيم عن السنة النبوية ، وهو جهل وحماقة ، وإلحاد في الدين ، فالسنة هى الأصل الثاني من أصول التشريع والقرآن والسنة كلاهما بوحي إلا أن القرآن وحي متلو ، والسنة وحى غير متلو ، والأول بوحي جلي عن طريق جبريل عليه السلام ، والسنة بوحي ولكنه أعم من أن يكون بطريق جبريل أو من غير طريق جبريل كالالهام ، والمنام ، والقذف في القلب وغيرها من أنواع الوحي .

قوله صلى الله عليه وسلم في رواية الترمذي « وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » هو رد على هؤلاء الهدامين الجهلاء ، الذين افتجـروا هذا الافك المبين ، وكذلك نقول : وإن ما أحل رسول الله مثل ما أحل له » وكلتا القضيتين لازمـة للأخـرى ، ولكنه الايجاز الممدوح المطلوب في كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما حرم بالسنة ولم يحرم

بالقرآن فقال صلوات الله وسلامه عليه : « ألا لا يحل لكم الحمــار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع ، ولا لقطة معاهــد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ».

أما الحمار الأهلى فهــو الانسى بخلاف حمار الــوحش فان أكلــه حلال ، كما في الأحاديث الصحاح ، والحسان ، وفي صحيح البخاري عن أبي قتاده رضي الله عنه أنه صاد حمارا وحشيا ، وأفضل منه فأكل منه النبي عليه السلام ويحرم كل ذى ناب من السباع كالأسد ، والنمر ، والدب وأمثالها التــي تعتمــد على أنيابها ، وفي بعض الروايات الأخرى « ولا كل ذى مخلب من الطير » وذلك كالنسر ، والصقــر ونحوهمــا من جوارح الطيور ، وكواسرهــا « ولا لقطة معاهد » لقطة ـ بضم اللام ، وفتح القاف أو سكونهــا ، وفتــح الطاء ـ وهــى كل ما يلتقــط من الطريق ، ولا يعرف صاحبه والمعاهد هو من كان له عهــد وذمــة عنــد المسلمين ، ولقطة المسلم كذلك لابد من تعريفها حتى ييأس من وجود صاحبها ، ولكنه صلى الله عليه وسلم خص لئلا يظن بعض من لا يعلم أن لقطة الذمى حلال ، ولا تعرف كلقطة المسلم وهو يدل على حرمة أموال أهل الذمة كحرمة أموال المسلمين ، فانظر ايها القارئ المتبصر الفطن ـ الفرق ما بين تشريع الاسلام ، وبين مزاعم اليهود الكاذبة في قولهم (**ليس علينا في الأميين سبيل**) آل عمران/٧٥ ومرادهم ليس علينا حرج ولا إثم في أكل مال الأميين وهم العرب ، وذلك لأنهم يستحلون ظلــم من خالــف دينهم ، وزادوا في التبجح فزعموا أن هذا التشريع من الله بقوله (**ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**) الآية السابقة .

قوله صلى الله عليه وسلم « إلا أن يستغنى عنها صاحبها » لتفاهتها أو لعدم حاجته إليها ، وعدم طلبها فله أخذها والانتفاع بها أما قوله صلى الله عليه وسلم « ومن نزل بقــوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه ».

القرى ما يقدم للضيف من نزل وطعام ، وهل هذا القرى على الوجوب أم هو على الندب لأنه من محاسن الأخلاق ؟ خلاف بين العلماء فمنهم من قال بالوجوب ، ومنهم من قال بالندب ، ومنهم من فصل : إن كان في بلاد ليس فيها بيع طعام ، ولا فنادق فقراه واجب ، والا فهو مندوب وكلمة « على » تشعر بالوجوب لما فيها من الالزام ، والتحتيم « فان لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه ».

روى لفظ « يعقبهم » بروايتين : الأولى بالتخفيف يعنــى يعقبهــم ـ بضم الياء ، وسكون العين ، وكسر القاف « من أعقب ، وروى بالتشديد يعنى « يعقبهم » بضم اليــاء وفتح العــين وكسر القاف المشددة » من المعاقبة يعني يأخذ من أموالهم بقدر قراه ، وما يحفظ عليه حياته ويبلغه مقصده .

وقد حمل بعض العلماء هذا الحكم على حالة الضرورة الملجئة ، لانه لا

يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه ، وبعضهم عمم ، فحمله على حالة الضرورة وغيرها ، لانه من الارتفاقات التي تكون بين المسلمين ومن محاسن الاخلاق التي ينبغي ان تكون .

ما يؤخذ من الحديث من الاحكام ، والآداب :

لقد دل هذا الحديث على معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بمغيب ، فوقع كما قال ، فقد ظهرت فئة في القديم ، والحديث تدعو الى هذه الدعوة الماكرة الخبيثة ، وهي الاكتفاء بالقرآن العظيم عن الاحاديث والسنن ، وغرضهم هدم نصف الدين ، أو إن شئت فقل : هدم الدين كله ، لانه إذا أهملت السنة فسيؤدي ذلك ولا ريب الى استعجام معظم القرآن على الامة وعدم معرفة المراد منه ، واذا اندرست السنن والاحاديث ، واستعجم على الامة فهم القران وتدبره فقل : على الاسلام العفاء !!!

وهذا لن يكون أبدا مادام في الامة الاسلامية فئة قائمة على الحق يعيشون له ، ويصدون الغارات عنه ، ولا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وصدق الله **(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)** التوبة/٣٢ .

التمسك بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية عقيدة ، وعبادة ، وشريعة وعلما ، وعملا وسلوكا ، ومنهجا فان في التمسك بهما خير الدنيا والآخرة وفي الحديث الشريف « تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم في المستدرك وإسناده حسن ، ورواه الامام الجليل مالك في « الموطأ » بلاغا ، والبلاغات من قبيل المنقطع والمرسل ولكن الحديث الأول يعتبر شاهدا له .

منزلة التكافل الاجتماعي في الاسلام ، وان الاسلام العظيم بلغ في التكافل الاجتماعي ما لم يبلغه دين من الاديان لانه الدين العام الباقي ، الكامل ، الخالد ، وما لم يبلغه قانون من القوانين الوضعية قديما وحديثا ، وذلك من قوله صلى الله عليه وسلم « ومن نزل على قوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه » .

إن القرآن والسنة كليهما بوحي من الله إلا أن الاول أوحى بلفظه ومعناه والثانية أوحيت بالمعنى ، فمن ثم جاز رواية الأحاديث والسنن بالمعنى لعالم خبير بالألفاظ ، ومدلولاتها ، واللغة العربية وعلومها . والشريعة ، ومقاصدها ، وهذا من رحمة الله بالأمة ، حيث لم يجعل الموحى به من القبيل الأول حتى لا يشق على الامة ، ولا من القبيل الثاني حتى لا يدعو ذلك الى التهاون في حفظ القرآن الكريم ، وهو الكتاب الوحيد التي أوجب الله على الامة حفظه ، بحيث يحفظه عدد كثير يثبت بهم التواتر ، فان فرطت الامة في حفظ كتاب ربها فهي آثمة ، والله الهادي الى سواء السبيل .

حركة التنقية اللغويّة

للدكتور أحمد جمال العمري

عاشت اللغة العربية – بلهجاتها المتعددة – في بيئتها .. الجزيرة العربية عاشت في قلوب أصحابها، وعلى ألسنتهم، تعبر عن حاجاتهم، وما تجود به قرائحهم، أو يجري في مخيلاتهم من صور المعاني، فما كانوا يستشعرون نقصا في لغتهم وهي الغنية، وما كانوا يحسون خوفا عليها وهم حماتها، وصونة أصولها وقواعدها، وحفظة آثارها وتراثها، بل كانوا يطلقون فيها أعنة الشعر فخرا ونسيبا، مدحا وهجاء، يصبون معانيهم المحسوسة أو المعقولة في قوالبها. ففي أشعارهم ومحاوراتهم ما يدل على جودة تصرفهم في المعاني، وحسن سبكهم للألفاظ، وأنهم كانوا يرسلون الفكر إرسالا، ويطلقون الخيال إطلاقا، ويصوغون ما شاءوا من النظم، واجدين في لغتهم وأساليبها الشعرية ثروة ضخمة لا تنفد، تغنيهم وترضيهم، تسعدهم وتطربهم .. ثروة تنميها قرائح العرب الخلص، بما تخترعه وتستحدثه من ألفاظ، وما تتواضع عليه من معان، بعد أن ارتقت لغتهم رقيا كبيرا، وتطورت لهجاتها، واستطاعت اللهجة القرشية أن تهيئ لنفسها كل عوامل الزعامة والسيادة، فتكون اللهجة الأدبية الراقية. «فما بين أيدينا من شعر جاهلي يدل دلالة قاطعة على ذلك، حيث اصطلحت القبائل العربية الشمالية فيما بينها على لهجة أدبية فصحى، كان الشعراء على اختلاف قبائلهم، وتباعدها وتقاربها، ينظمون فيها شعرهم. فالشاعر حين ينظم شعره يرتفع عن لهجة قبيلته المحلية، الى هذه اللهجة الأدبية العامة، ومن ثم اختفت جملة الخصائص التي تميزت بها كل قبيلة في لهجتها، فلم تتضح في شعر شعرائهم إلا قليلا جدا ..»

في هذه البيئة العربية، كانت الفصاحة إرثا متجددا، يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولم يكن هناك ما يهدد هذه اللغة أو يشوبها، أو يدعو إلى الخوف عليها، على الرغم من صلات المجتمع العربي القديم

بالشعوب الأجنبية المجاورة ، والوافدة على الجزيرة العربية من الحواضر الأجنبية المحيطة ، لأن اللغة تعيش في بيئتها البدوية ، وتنمو في رعاية مجتمعها ، يربطها بهذه البيئة وهذا المجتمع وشائج متينة من وحدة الثقافة والمعرفة ، والتراث والتقاليد . فاللغة لغة القوم ، بها يتعلقون ، وينظمون ويتناشدون ، يصبون في قوالبها أشعارهم ومثلهم العليا ، وقيمهم المتوارثة ، ويجعلون من صدورهم أوعية لها ، ويتواصون بحفظها وتوارثها في الأعقاب ، إشباعا لرغبة منهم ، وتمجيدا لقبائلهم ، وإحياء لعصبيتهم ، وظلت هذه الآثار تحمل ألفاظ العربية وتراكيبها وطريقة القول عند أصحابها ، حتى دعت الدواعي إلى ابتعاثها وانطلاقها ، فخرجت تجاهد في سبيل الله مع المجاهدين .

ثم بدأت حركة الفتوح الاسلامية ، وخرجت اللغة العربية من بيئتها البدوية ، ساعية في أرض الله ، حاملة كلمته ، ناشرة دعوته ، فكانت هذه الفتوح إيذانا بعهدجديد للعرب ، وبداية لطور جديد في حياة لغتهم .

لم يكن عتاد العرب المجاهدين سلاحهم فقط ، وإنما حملوا أيضا دستورهم وعقيدتهم ، ولغتهم العربية ، وتراثهم الشعري بكل قيمه ومثله وذخائره ، لذلك كان فتحهم إسلاميا عربيا ثقافيا ، ولم يكن توسعا إقليميا .

انطلقت اللغة العربية في مواكب الفتح الاسلامي تغزو الآفاق مع الغازين ، وتفتح الأمصار مع الفاتحين ، ومضت تشق طريقها وسط مجتمعات الأمصار المفتوحة ، متعقبة انتصارات أصحابها الفاتحين في معاركهم الضارية ، التي قوضوا بها صرح أعظم امبراطوريتين في التاريخ القديم .

لقد أدت حركة الفتح الاسلامي الى رفع الروح المعنوية للعرب أنفسهم ، وتوحيد لهجاتهم ، وبث روح القوة في لغتهم البدوية ، وكان للسياسة الحكيمة التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أكبر الأثر في الحفاظ على اللغة العربية من الاضمحلال والانحلال ، والحفاظ أيضا على القومية العربية من التلاشي في جماهير الشعوب المفتوحة ، التي تفوقهم بكثرة العدد ، « حرم عليهم أن يمتلكوا الضياع في الأقاليم الجديدة ، أو أن يتخذوها لهم وطنا ومقاما ، كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة في البلدان المفتوحة .. فأسكنهم في معسكرات من الخيام كانت نواة للمدن العظمى في العالم الاسلامي ، التي نشأت في بضع عشرات من السنين ، كالبصرة ، والكوفة ، والفسطاط ، وغيرها . وبينما كانت تقيم هنا مختلف القبائل والعشائر في جوار قريب ، اكتسبت أيضا لهجاتهم قوة وفتوة ، ونشأت لغة بدوية مشتركة ، وضعت الأساس لعربية القرون المتأخرة الفصحى » . بيد أنه سرعان ما تخفف هذا الحرص بمرور الزمن ، نتيجة لاستخدام

الجماعات غير العربية ، واتخاذ العبيد والخدم والاماء ، وتدفق المهاجرين الذين يبغون استقرارا معيشيا في هذه الأمصار المفتوحة ، بعيدا عن بيئتهم القديمة ، واتساع الدولة اتساعا هائلا ، فانتشرت اللغة العربية في هذه الأمصار ، بانتشار العرب فيها ، وفرضت وجودها ، واستحوذت على القلوب والعقول .

حقا .. إن العامل الأساسي ، في انتشار اللغة العربية في الأقطار المفتوحة بهذه السرعة هو أنها لغة الدين ، ولغة العرب المسلمين ، الذين سرت دعوتهم في المجتمعات الجديدة سريان النور في الظلام ، فآمن سكان الأقاليم بدعوتهم ، وأقبلوا على اعتناقها في حماسة وقوة . ولكن دخول سكان الأقاليم المفتوحة في الاسلام ، خلق دوافع كثيرة ، وحفزهم الى تطلعات جديدة ، فقد وجدوا أنفسهم محتاجين إلى تعلم اللغة العربية ، للتوسل إلى هذا الدين الجديد ، وفهم تعاليمه وأحكامه ، هذا من ناحية ـ ومن ناحية أخرى للتفاهم مع هؤلاء العرب المسلمين ، ومن ناحية ثالثة للتوصل الى مناصب الدولة العليا في هذه الامبراطورية العربية الاسلامية . كل هذه العوامل شجعت الشعوب الأجنبية للتقرب من هؤلاء العرب ، والتعامل معهم ، فنشأت بالضرورة لغة للتفاهم والتعامل ، ليست باللغة العربية ، وليست باللغة المحلية ، وإنما هي خليط متمازج من اللغات المختلفة ، لكن ذلك لم يثنهم عن التمسك بلغتهم القومية ، تماما كما تمسك العرب بلغتهم ، واعتزوا بها ، فعاشت اللغات المحلية جنبا الى جنب مع اللغة العربية ، وكان ذلك سببا في نشأة نوع من الصراع اللغوي على غرار الصراع الاجتماعي ، الذي دارت رحاه بين العرب والأجناس الأخرى .

« وسرعان ما لقيت العربية على لسان غير العرب من اللحن ما هدد بالمسخ صورة وقعها وجرسها ، وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصميم ، بحيث كان العربي يدرك من ذلك التبديل ما إذا كان الناطق فارسيا أو نبطيا ، وقبل كل شيء نجد التعارض مع قواعد النحو والتصريف العربي للأسماء والأفعال كثير الذكر في الأخبار ، دليلا على أن ترك الأعراب كان من أول السمات على الخطأ في طريقة التعبير » وقد أطلق العرب على هذا الخطأ « اللحن » .

إذن ـ فقد كان اختلاط العرب بالأعاجم ـ بالمجاورة والمصاهرة ، وصعوبة النطق على الموالى المتعربين ـ سببا في نشوء اللحن في المدن والحواضر ، حتى لقد ظهر بين العرب الناشئين أنفسهم ، وسرعان ما فشا فشوا ظاهرا في العصر الأموي ، ولم يحل شيء دون الوقوع فيه ، وقد أدى هذا الأمر إلى قيام « **حركة التنقية اللغوية** » ، التي كانت انتفاضة أيقظت الأذهان ، وألهبت العقول ، وألهمت الأفكار ، ودفعت المحافظين على اللغة إلى التصرف ، صيانة لها ، وحفاظا على أصولها وتراثها ، وأدى ذلك كله إلى خلق أنواع جديدة من

العلوم اقتضتها الحياة الأدبية في الأقاليم والأمصار ـ خاصة في العراق ـ لتطهير اللغة العربية وتخليصها من الشوائب الأجنبية ، بعد أن تغيرت البيئة ، وتنوعت الثقافة ، وتباينت الأوضاع السياسية والاجتماعية .

سار أصحاب « مبدأ التنقية اللغوية » في طرق متعددة ، ومسارات متوازية ، كلها تؤدي إلى الهدف المنشود ، وهو محاربة اللحن بأنواعه وظواهره ، وحماية اللغة ، والرجوع بها إلى العهد الذهبي حيث الفصاحة والجزالة ، وكانت وسيلتهم في ذلك : الارشاد والتقويم ، ثم التأليف والتصنيف فيما يقوم اللسان ويصلح النطق ، وأخيرا التربية والتعليم .

كان اللحن في شريعتهم اللغوية ، مخالفة العربية الفصحى ـ اللغة البدوية ـ في الأصوات ، أو في الصيغ ، أو في تركيب الجمل وحركات الاعراب ، أو في دلالة الألفاظ ، وهذا المعنى بهذا التحديد متأخر عن المعاني الأخرى للحن ، وربما كان ذلك ناتجا عن تأخر ظهور اللحن في كلام العرب أنفسهم ، فنحن لا نملك نصوصا تدل على هذا المعنى بهذا المفهوم قبل العصر الأموي ، يدل على ذلك قول ابن فارس : « فأما اللحن ـ بسكون الحاء ـ فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية ، يقال لحن لحنا ، وهذا عندنا من الكلام المولد ، لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة ، الذين تكلموا بطباعهم السليمة » .

وعبارة ابن فارس « إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية » إنما يقصد بها مخالفة الفصحى بوجه من الوجوه السابقة . ويبدو ان العرب لم يتنبهوا لهذه الظاهرة ، ولم يلتفتوا الى الخطأ في لغتهم ، أو يحسوا به إلا حين اختلطوا بغيرهم من الشعوب الأجنبية ، لذلك ظهر اللحن متأخرا على ألسنتهم ، ويؤيد هذا الرأي ـ الزبيدى بقوله :

« ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها ، وماضي جاهليتها ، حتى أظهر الله الاسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجا ، وأقبلوا إليه أرسالا ، واجتمعت الألسنة المتفرقة ، واللغات المختلفة ، ففشا الفساد في اللغة العربية » والظاهر أن نوعية اللحن اختلفت باختلاف الأجناس ، وطبيعة الألسنة ، ذلك أن ظهور اللحن عند العرب كان يختلف عنه عند الموالى ، فقد ظهر اللحن عند العرب في الأعراب أولا ، نتيجة للبعد عن البادية ، وضعف السليقة العربية ، وقلة تمرين اللسان على نطق النماذج العربية الفصيحة من الشعر ، يؤيد ذلك قول أبى الطيب اللغوي : « واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب ، فأحوج إلى التعلم الاعراب » ويتابعه الزبيدى فيقول : « ففشا الفساد في اللغة العربية ، واستبان منها في الاعراب الذي هو حليتها والموضح لمعانيها . ونتيجة لهذا ولد الدافع في نهاية القرن الأول إلى دراسة قواعد اللغة ضمانا لسلامتها من هذا الخلل والفساد

الـذي كان يهددهـا في أصولهـا وحركاتها وأصواتها . أمـا لحـن الموالى ، فقد كان أكثره في نطـق الأصوات العربية التي لا توجد في لغاتهم ، مثل نطق العين همزة ، ومثل النطق بالحاء هاء ، وكذلك كانـوا يخطئون في الصيغ .

كان على القائمين بحركة التنقية أن يجدوا علاجا لهذا اللحن بأنواعه ، واتخـذ نشاطهـم في سبيـل ذلك مظهرين : المظهر الأول هو **ضبـط اللغة ، أما** المظهـر الثانـي فهـو **نشاطهم الأدبي** . واتخذ الطريق الى ضبط اللغة مسارين :

ـ مسـار يتصـل بضبـط أواخـر الكلمـات ـ أي إعرابهـا لمحاربـة اللحن .

ـ وآخر يتصل باعجام الحروف ـ أي بوضع النقاط التي تميز حرفا عن حرف لمحاربة التصحيف . وكانـت اللبنة الأولى للمسـار الأول ، هي أساس النحو العربي ، حيث عالج أبو الأسود الـدؤلى ـ إن صح ذلك ـ قضية النطق الصحيح لآيات القرآن الكريم معالجة عملية ، وذلك بوضع نقاط من مداد أحمـر على أواخـر الكلمات ، تميز المرفوع والمنصـوب والمجرور ، محددا بهذا النقط معالم النطق العربي أمام الأعاجم الأجانب عن اللغة .

أما المسار الثاني ، فهو تمييـز الحـروف الهجائيـة ، وكان هذا النشاط اللغوي محاولة تالية ، أعقبت المحاولة الجادة التي قام بها ، وسبق إليها أبو الأسود في تبيين إعـراب الكلمات وضبط أواخرها ، وكانـت محاولة تمييز الحروف الهجائية أو إعجامها هي صنيع نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) بدعوة من الحجاج بن يوسف الثقفي وفي خلافة عبد الملك ابن مروان ، وقد عرف هذا العمل بنقط الاعجام ، أي تمييز الحروف الهجائية بعضها عن البعض الآخر ، بحيث يتميز رسم الصوت الهجائي عن رسم صوت آخر .

وكانت هاتان العمليتان تمثلان أولى الخطوات التي اتخذها زعماء حركة التنقية اللغويـة ، في سبيـل غايتهم ، وكانتا بمثابة الحافز القوي والملح في نفس الوقت لهم ، بصفتهم المشرفين على شئون اللغة العربية كي يتدبروا أمر لغتهم ، ويمهدوا سبيل قراءة نصوصهـا قراءة سليمـة ، وكتابـة تلك النصـوص كتابـة مستقيمة ، غير معتمدين على الفطرة والسليقة ، كما كان شأنهم معها من قبل ، بل على المعالم ، الواضحة ، والضوابط البينة ، رغبة في تطويعها وتعبيد الطريق أمام من يريـد أن يتعلمها من الأجانـب ، ثم تبعـت عمليات الاعراب والاعجام محاولات تكميلية في النحو وقضاياه ، وفي اللغة وتصاريفها ، هذه المحاولات هي التي كانت إرهاصا لنشأة النحو العربي .

ومما يجدر ذكره ـ في هذا المقام ـ هو أن هذه المحاولات لضبط اللغة العربية قراءة وكتابة ، تمت بوحي وشعور من أولى الأمر من العرب ، وعلى أيدي شخصيات عربية بارزة في المجتمع العربي الاسلامي .

بين إيمان وكفران

للاستاذ : احمد مظهر العظمة

كان للكنيسة في الغرب سلطان كبير تجاوز نووها به نطاق حدودهم الدينية الصحيحة باعتبار أن المسيحية ديانة تعبدية ، وبنلك السلطان جمعت الكنيسة بين السلطتين الزمنية والروحية فكانت تأمر وتنهي وتعطي وتمنح ، وتحيى من تحبه وتميت من تكرهه ، كما كانت تملك الأملاك الشاسعة وتتصرف بالأراضي الواسعة دون اعتراض ولا ضريبة .
ودارت الأيام ، وزادت الآلام ، وآن ان تتحقق الاحلام بالخلاص من هذا الطغيان ، طغيان الكنيسة الذي لا يطاق ، وقد ظهر جماعة من الأدباء الموجهين ، في مقدمتهم « مونتسكيو » و « فولتير » و « ديدرد » و « جان جاك روسو » ، فكانت لهم حملات موجهات ، أيقظت النيام وهزت الغافلين من الحكام ، واستمرت في سبيلها وانضم أليها ما انضم من عوامل الاصلاح ، حتى فقدت الكنيسة السلطة الزمنية بعد ثورة ملوك اوروبا على البابا ، ودعوة العقل التي أخذت تجتاح المجتمع الفرنسي خاصة وتسيطر في الغالب على الشباب ، وحجتها دعوة العلم التي جعلت الحقائق ما تقره المشاهدة والتجربة والاختبار .

ومع نلك فقد بقي من علماء الطبيعة من لا تغره جوانب محدودة كشفت عنها المعرفة ، مثل « نيوتن » الذي صرح قبل وفاته بما يعتقده فيما وراء الطبيعة إذ قال : إن علمنا ليس سوى قطرة من محيط المعرفة اللانهائي .
وقال : إني مع شعوري بنقص ذاتي أحس في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة ، وأراني مضطرا إلى اعتقادي بأن هذا شعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال وهي الله .
وقال : لا تشكوا في الخالق ، فانه مما لا يعقل أن تكون المصادفات هي قاعدة هذا الوجود .
ومثل هذه الأقوال المنصفة كثير ، حتى أن الكاتب الفرنسي « انطونين اميو » ألف كتابا في مجلدين نكر فيه أسماء العلماء وأبحاثهم كان منهم ١١٠ من العلماء والمؤمنين ، و ١٤ من

الملحدين .
أما في عصرنا هذا فقد تضاءلت دعوة الالحاد والشك في الغرب نفسه فضلاً عن الشرق وظهرت كتب تدعو إلى الايمان ككتاب (العلم يدعو إلى الايمان) للأستاذ « موريسون » رئيس مجمع علمي أمريكي ، وكتاب (الله يتجلى في عصر العلم) لجماعة من العلماء الامريكيين المختصين وبحث كل منهم في ضوء اختصاصه بحثا علميا انتهى به إلى وجود الله تعالى ، قال مثلا أحد أولئك الباحثين مستر جون زمرمان : (وهو أخصائي في التربة (وفسيولوجيا) النبات ، وأستاذ الزراعة والرياضيات في كلية جوشن ، وعضو الجمعية العليا لدراسة التربة في أمريكا ، قال : (... فمن الذي قدر وأوجد تلك القوانين العديدة التي تتحكم في وراثة الصفات وفي ثمر النبات ؟ وسوف يقودنا هذا السؤال إلى سؤال آخر أشد تعقيدا وأكبر عمقا ، وهو من أين جاءت النباتات الأولى ؟ وبعبارة أخرى : كيف خلق النبات الأول ؟ ونحن لا نستطيع أن نصل بعقلنا الطبيعي ومنطقنا السليم الى أن هذه الأشياء قد أنشأت نفسها بنفسها ، أو نشأت هكذا بمحض المصادفة ، ولا بد لنا من البحث عن خالق مبدع ، ويعتبر التسليم بوجود الخالق أمرا بدهيا تفرضه عقولنا علينا ..) .
واعتماد الملحدين على العقل والعلم صحيح في أمور وغير صحيح في أمور أخرى ، لأن لهما مراحل حتى يصل صاحبهما الى معرفة ما يريد ، فالذرة مثلا هي أساس المادة ، وكان الماديون يعرفونها حتى منتصف القرن الحالي معرفة ناقصة ، وكانوا يظنونها كالحبة الصلبة ، ولم يخطر على بالهم أن يردوها الى الكهرباء ، فلما ردت اليه ، ورأى الناس آثار القنبلة الهيدروجينية الرهيبة في هيروشيما عرفوا خطأ اعتمادهم في الماضي على علم ناقص وثقوا به ، وخرست أبواق مادية الحياة وميكانيكيتها المزعومة ، وأصبحت المخابر تراقب الذرة كأنها المعابد اذ تسبح فيها الذرات بلسان حالها الذي لم يكن متوقعا كما ظهر ، ويسبح فيها العلماء الذين دلتهم الذرة على الله العظيم الذي تسبح له السموات والأرض وكل شيء ، وأصبح الفضاء والذرة شغل المخابر والمراصد التي تشاهد فيها الكواكب في فضاء السماء العجيب ، الفضاء الجميل العظيم الذي ضاقت أوقاتنا عنه بالمشاغل المادية الخاصة وصرفتنا عن التأمل فيه .
إن الجهل بالشيء لا يقضي بانكاره ، وما لا يعرف اليوم قد يعرف غدا ، والعالم الحق لا يجزم قبل أوان الجزم ، فللعمل المنطقي مراحل ، وللعلمي مراحل ، وللماديات أدلة حسية ، ولغيرها أدلة منطقية أصلية أو تبعية إن لم تكن لها أدلة مادية أيضا . و **(لكل أجل كتاب)** الرعد/٣٨ .
فكم أضلت مثلا « نظرية النشوء والارتقاء » لدارون حتى أن أن يعلم

زيفها و (لكل كاذبة الخضاب نصول) .
ونحن بعقائدنا الدينية الثابتة أغنياء لا نحتاج إلى أوربا أو أميركا لكي تعطينا إلحاد ملحديه ، فالقرآن الكريم هو المصدر الفياض العذب للحقائق ، حبا المؤمنين عقائدهم الراسخة وقال لهم ما خلاصته : آمنوا بالله تعالى رب العالمين ، واعبدوه ، فهو الذي يستحق العبادة وحده ، واستقيموا كما أمرتم وفكروا أحرارا ، وتعلموا ما ينفعكم حيثما وجدتم ، واستمتعوا بالطيبات التي شئتم ..
إن عقيدة الماديين تتأرجح بين الوقائع ، فاذا مالت الى الايمان الصحيح جاءتها الوسوسة من جهة أخرى كبلوغ البشر القمر مثلا ومحاولتهم بلوغ المريخ . فصدتهم الوساوس لأنهم لم يروا الله تعالى في رحلتهم الفضائية ، وهم يريدون ان تتوافق الأشياء والوقائع وماديتهم ، فاذا مال امرؤ مادي إلى الايمان كما كان لرائد الفضاء « تينوف » اذ رأى الكرة الأرضية (تمكسها قوة كالقوة التي تتحدث عنها الأديان) - كما قال - رده الملحدون وحذروه أن يعود لمثلها كرة أخرى . ولو كان الماديون منصفين لآمنوا ولزادتهم رحلات الفضاء إيمانا ، وهم يعلمون أن ما وصلوا إليه خطوة من خطوات الكون المديد ، الرهيب ، البديع ، الرائع ، المذهل ..
ان الله سبحانه يقول لمن يريد ان يهتدى الى الحق في عقيدته وعبادته وحياته : **(قل انظروا ماذا في السموات)** يونس/١٠١ وليس هذا النظر الذي أمرنا به نظر (فرجة) إنه نظر تأمل وتفكر واستنتاج وإيمان ، ويقول : **(لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** غافر/٥٧ .
يقول العالم الامريكي الدكتور كليمنشو أحد علماء مرصد كريفت في ولاية كاليفورنيا لتخيل سعة الكون بشكل مبسط :
تستغرق الطائرة التي تطير بسرعة الضوء (١٨٦,٠٠٠) ميل في الثانية ثماني دقائق للوصول الى الشمس ، واذا استمرت في رحلتها بعد أن تغادر نظامنا الشمسي قضت أربعة أعوام ونصف عام قبل ان تصل الى أقرب نجم إلى الشمس .
ووصف هذا العالم - كما قال الأستاذ صروف - المرصد القائم على قمة بجبل بالرمو بولاية كاليفورنيا بأنه يستطيع أن ينفذ الى مسافة ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية في أعماق الفضاء ، وأن هذه الأجرام على بعد كبير منا بحيث تظهر للعين المجردة كأنها نقاط في الضوء ، على حين انها في الواقع مجموعات من النجوم (عشرات الآلاف في كل مجموعة) يفصل بين كل منها مسافة أطول من المسافة التي تفصلنا عن أقرب الكواكب إلينا .
فانظر أيها الانسان ثم انظر في السماء **(ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)** الملك/٤ .
اما رؤية الله تعالى فسوف تكون في

جنات الآخرة قال تعالى : (**وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة**) القيامة/ ٢٢ ، ٢٣ اما في الدنيا فلا ، فان للعين والقلب والدماغ طاقات محدودة وقد طلب هذه الرؤية كليم الله موسى عليه السلام فقال : (**رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين**) الأعراف/١٤٣ .

نحن في غنى عن كل دعوة لا تؤمن بالله ، وعلينا ان نجتنب كل تقليد أعمى ، ما دامت لدينا هداية من لدن رب العالمين ، فيها العقيدة الراسخة والعبادة الخاشعة ، والأخلاق الكريمة والنظام الحكيم .

قال الأستاذ عباس محمود العقاد في مقدمة (الفلسفة القرآنية) : (لم يكن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية ، لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ، ولأن الحاجة النوعية (بيولوجية) تتحقق أغراضها في كل زمن ، وتتوافر أسبابها في كل حالة ، ولا يزال الانسان بعد تحقق أغراضها ، وتوافر وسائلها في حاجة إلى الدين .

وغرائز الانسان النوعية واحدة في كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته ، ولكنه في الدين يختلف أكبر اختلاف ، لأنه يتجه من الدين الى غاية لا تنحصر في النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها ، وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى ، بل تقرير مكانه في هذا الكون أو في هذه الحياة ، فالانسان يتعلق من النوع بالحياة ولكنه يتعلق من الدين بمعنى الحياة ، ولن يوجد إنسان ليس له نوع او غريزة نوع أو آداب نوع ، لأن وشيجة النوع ليست مما ينفصل عنه باختياره ولكن قد يوجد إنسان يفوته معنى الحياة ، وقد يوجد إنسان يفهم معنى الحياة على أنه إعراض عن الحياة الفردية وعن الحياة النوعية ، وتتوجه إلى ضرب آخر من الحياة ..) .

(وليس مقياس العقيدة الصالحة مقياس الدروس العلمية والحيل الصناعية ، وإنما حسب العقيدة الصالحة من صلاح أنها تنهض بالعقل والقريحة ولا تصدهما عن سبيل العلم والصناعة ، ولا تحول بين معتقديها وبين التقدم في الحضارة وأطوار الاجتماع ..) .

ألا إن مساجدنا لله فهو سبحانه الذي حلل وحرم وأرسل المرسلين ليبلغوا عنه عباده .. وكتابنا الالهي مرجعنا في طلب العلم ، وقد رغبنا في طرق أبواب المعرفة في الطبيعة وغيرها بقوله : (**ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور**) فاطر : ٢٧ ، ٢٨ .

خصائص التربية الاسلامية

تمهيد :

لقد أقام الاسلام نظاما فريدا لتربية أبنائه على أساس تكوينهم تكوينا يحفظ عليهم كيانهم ، ويحقق التوازن الكامل بين طاقاتهم ، بحيث لا تدمر فيهم طاقة من الطاقات بل تعمل كلها في انسجام تام بلا طغيان ولا ضعف .

وهذا النظام جعل الغربيين ينظرون إليه بعين الاعجاب حتى إن رجلا كالدكتور « سيزل » عميد كلية الحقوق بجامعة « فينا » قال في مؤتمر عالمي عام ١٩٢٧ : « إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، فانه على أميته ، قد استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع ، سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إليه بعد ألفي عام » .

ونحن لا نجد غرابة في هذا ، فان الله الذي خلق الانسان ، هو الذي أتى بهذا التشريع الذي شمل حياة الانسان ، كما شمل التربية بجميع خصائصها ، فهو بمن خلق أعلم : **(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** الملك/ ١٤ .

ومن هنا جاء هذا المنهج شاملا لكل الخصائص التي تتفق مع حاجات الانسان في كل أطوار حياته .

وحدانية المعبود :

وأول خصائص التربية الاسلامية الايمان بالله وحده لا شريك له ، وعن طريق هذا الايمان ينشأ إدراك حقيقة هذا الوجود وأنه من صنع الله ، وبذلك

للأستاذ : علي القاضي

يستطيع الانسان أن يعرف طبيعة الكون الذي يعيش فيه ويتعامل معه على هذا الأساس ، ويمضي مع الوجود كله إلى خالق الوجود في طاعة وحب وسلام .

والايمان بالله وحده لا شريك له ، هو حجر الزاوية في التربية الاسلامية لأنه يبعث في النفس الطمأنينة والثقة بالطريق السليم ، وعدم الحيرة أو الخوف أو اليأس – وفي الوقت نفسه يجعل المسلم متجردا عن الهوى والغرض الشخصي وتحقيق المغانم الخاصة ، ذلك لأن القلب البشري يصبح متعلقا بهدف أبعد من ذاته وهو الدعوة إلى دين الله لتحقيق خلافة الله في الأرض .

والعبادة بمعناها الحقيقي : كل ما يعمله الانسان فهي تشمل الشعائر والمعاملات والحرب وما يلي ذلك ، ما دام يقصد بذلك كله وجه الله تعالى ، وحين يدرك المؤمن أن العبادة بهذا المعنى هي غاية وجوده الانساني ، فانه سيرتفع ، يرتفع شعوره وضميره ، فلا يغدر ولا يطغى ولا يتجبر ، ولا يتخذ وسيلة غير مشروعة لبلوغ هذه الغاية ، لأنه يحس بأنه بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة لله بالعمل في حدود الطاقة البشرية ، وبذلك تتسرب العبادة حتى تصل إلى قلب المسلم وعقله ، وهذه هي الدرجة العليا التي ينبغي أن يصل إليها المسلم .. ومن هنا فانه لا تثور في نفسه المخاوف والمطامع ، ولا يستبد به القلق في أية مرحلة من مراحل حياته ، فكل أعماله يجزى عليها من الله تعالى ، ولذلك فقد طلب الاسلام من المسلم أن يكون محسنا في عمله ، وشرح الرسول الكريم الاحسان بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » . من حديث للشيخين .

الانسان مزيج من الروحانية والمادية :

ومن خصائص التربية الاسلامية اعتراف الاسلام بأن الانسان مزيج من الروحانية والمادية . والطاقة الروحية هي أكبر طاقات الانسان ولذلك يحرص الاسلام على المحافظة عليها ، وذلك بعقد الصلة الدائمة بينها وبين الله في كل لحظة ، حتى يرتفع المسلم دواما إلى المستوى اللائق به ، وفي الوقت نفسه يعترف الاسلام بمواطن الضعف والقصور في الانسان ، بما فيه من مادية ، ويحاول أن يرتفع به عن ضعفه وأن يجعله قادرا على أن يخفف من ضغوط البيئة التي يعيش فيها : **(يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)** النساء/٢٨ ومن هنا فقد كان تعامل الاسلام مع الانسان من خلال توجيهاته وشرائعه ، مراعيا ألا يعلو عن مستوى طبيعته ، وألا يهبط عنها : **(لا يكلف الله نفسا إلا**

وسعها) البقرة/ ٢٨٦ .

وقد قامت تكاليف الاسلام كلها على الاعتدال في الطلب من ناحية والتيسير على الناس من ناحية أخرى ، وأوساط الناس يقوون على التكاليف الاسلامية ، فاذا ما قصر مسلم عن شيء منها ثم رجع إلى نفسه ، فهذا شيء طبيعي ، والله يقبل توبته « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » أحمد والترمذي ، بل إن الاسلام يطلب من المسلم أن يكون معتدلا في كل شيء فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ...

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة فما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، فانه كان أبعد الناس عنه كما تقول السيدة عائشة .

التوازن :

والتوازن من خصائص التربية الاسلامية ، وهو القاعدة الكبرى في المنهج الاسلامي ، والاسلام يرى أن الغلو كالتفريط : يخل بالتوازن ، وهو يعترف بقيمة الفرد ، ويحمله مسؤولية فردية : **(وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)** مريم/ ٩٥ . والمجتمع يتكون من أفراد ذوي اهتمامات وذوي شعور اجتماعي ، وهم مسئولون عن المجتمع الذي يعيشون فيه ، وعن عمارة الكون وإحقاق الحق ، وإهمال بعض أفراد المجتمع قد يؤدي إلى هلاك الجميع ، كما يبين هذا الحديث الذي رواه البخاري :

« مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فان تركوهم وما أرادوا : هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم : نجوا ونجوا جميعا » .

فالاسلام لا يسحق الفرد ولا يهمل وجوده كما أنه لا يتطرف في الفردية على حساب الجماعة ، فالفرد شخصية مستقلة ، ولكنه عضو في جماعة متحدة في الهدف وفي العمل وترتبط في النهاية بالله سبحانه وتعالى : **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** . المائدة/ ٢ .

ويتمثل التوازن أيضا في السلبية بالنسبة لله تعالى ، والايجابية بالنسبة للبشر ، والسلبية بالنسبة لله تعالى ميزة بالنسبة للانسان ، ذلك لأن الله هو الخالق وهو الرحيم ، والتسليم له والطاعة هو تسليم الحب والاجلال : **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)** آل عمران/ ٣١ . بل إن الاسلام يستمد إيجابيته الكاملة تجاه الأشخاص والأحداث والأشياء من دعوته إلى التسليم لله تعالى ...

وفي الجهة المقابلة الايجابية للبشر طبقا لتعاليم الله ورسالة المسلم ، وهي تظهر في سلوك المؤمن في

العبادات بمعناها الاسلامي الذي يتمثل في أن الدنيا كلها معبد للمؤمنين ويظهر هذا في قوله عليه السلام : « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » متفق عليه ، ومن مظاهر الايجابية في المجتمع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصيحة والجهاد في سبيل الله . فالايجابية في حقيقتها التقاء النظام الواعي الذي يستهدف السيطرة على الحياة ويوجهها طبقا لحاجة الفرد وحاجة المجتمع البشري .

ومن التوازن أن يكون الانسان وسطا في كل أعماله ، فالاسلام مثلا ينهى عن السرف كما ينهى عن التقتير : **(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا)** الاسراء/ ٢٩ و٣٠ وهكذا في كل ناحية من النواحي .

والتربية الاسلامية تأخذ الانسان كما هو ، فتعني به من الناحية الجسمية ومن الناحية الروحية ومن الناحية العقلية ، حتى يكون صالحا لأداء رسالته في الأرض لأنه مستخلف فيها ، وبذلك يكون صالحا للاتصال بالله تعالى ، وصالحا للتعرف على أسرار الكون ، وصالحا لعمارة الأرض ، واستخدام هذه الطاقات كلها يحدث توازنا في الانسان ومقوماته : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)** البقرة/ ١٤٣ .

شمول المنهج وتكامله :

يقصد بالشمول : أن تعاليم المنهج تشمل الفرد في حياته الخاصة وفي حياته العامة ، وهي التي تتصل بغيره من أفراد المجتمع ، كما تشمل المجتمع في صلة أفراده بعضهم ببعض وفي صلتهم بالعالم الخارجي .

ويقصد بالتكامل أن توجيهات المنهج في مجال العقيدة أو السلوك الفردي أو التشريع الاجتماعي ، ترتد كلها في وحدة محكمة وفي صورة شاملة للحياة كلها ، ويرجع ذلك إلى وحدة المصدر : وهو الله خالق الكون بما فيه ومن فيه كما يرجع إلى وحدة الموضوع وهو الانسان – وقد تولى الاسلام تربية المسلم من جميع جوانبه ، وعقيدة التوحيد تمتاز بأنها منهج كامل في التفكير ومذهب في الاصلاح وأساس في التشريع ، تستجمع مشاعر الولاء والخضوع في عقل الانسان نفسه ويردها إلى الله الواحد ، وتستنقذ في نفس الوقت هذه المشاعر من أي مخلوق من الناس أو قوة من قوى الطبيعة ، ثم إن عقيدة التوحيد تستنقذ الانسان من تبعات الولاء المشتت الذي نشاهده في الحضارة الغربية .

وموقف الانسان من الناس : أساسه الحرية ، وقوامه المساواة ، وإعلان الايمان بالله : إعلان للأخوة الانسانية عن طريق الاقرار لله سبحانه وتعالى بالربوبية .

المنهج العلمي :

ومن خصائص التربية الاسلامية الاهتمام بالمنهج العلمي والاعتماد على العقل ، ولذلك فلا يوجد في الاسلام صراع بين العقل والدين كما وجد في الغرب .

والمنهج العلمي في الاسلام يقوم على أساسين : يقوم أولا على أساس إطلاق العقل ليعمل في الكون كله ، ويقوم ثانيا : على فهم أن الكون محكوم بقوانين ، وقدرة الله ومشيئته لا تسقط عمل القوانين – والاسلام لذلك يحارب التقليد وينعي على المقلدين : **(أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)** البقرة/ ١٧٠ . ويدعو إلى الفهم والتدبر : **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** يونس/ ١٠١ ، ويلفت نظر الانسان إلى الكون ليدرك أن له نظاما وقواميس مقررة وانه لم يخلق عبثا : **(خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم)** لقمان/ ١٠ .

والانسان بتفكيره السليم يمكنه أن يدرك الصلة بينه وبين سائر المخلوقات وأن الله مكن له في الأرض وسخر له الكثير من المخلوقات ومن القوى الطبيعية لمنافعه المشروعة : **(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)** الأنعام/ ٩٧ ، ثم يمكنه أن يتوصل عن طريق العقل ودراسة الطبيعة إلى الايمان بالله تعالى خالق الطبيعة : **(فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** الشورى/ ١١

ومن هذا المنطلق يطلب الاسلام من المسلم أن يستخدم عقله في التثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها ، يقول تعالى : **(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)** الاسراء/ ٣٦ . فالى جانب المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثا ، يقيم الاسلام استقامة القلب ومراقبة الله تعالى ، وهذه ميزة من ميزات التربية الاسلامية . ومتى استقام القلب والعقل على منهج الله ، لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة ، ولم يبق مجال للظن والشبهة في الحكم والقضاء والتعامل بين الناس ، بل لم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم .

والأمانة العلمية التي يشيد بها الغرب في العصر الحديث ، ليست سوى طرف من الأمانة العقلية والقلبية التي يقيمها القرآن في نفوس المؤمنين ، ويجعل الانسان مسئولا عن سمعه وبصره وفؤاده أمام الله ، فهي أمانة الجوارح والحواس ، والعقل والقلب ، وفي الحديث الشريف : « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » رواه احمد وغيره .

ثم إن الاسلام يوجه العقل البشري إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلهـا لخدمة الانسان : **(كلوا من طيبات ما رزقناكم)** البقرة/ ١٧٢ ، وقـد وجه روحه من قبل إلى الارتباط بالله وخشيته ، والمذهب التجريبي مذهب إسلامي يقول بعض الكاتبين في هذا المجال : « أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمـون ، قد ساعدت على تقدم المعرفة العلميـة مساعدة مادية للمدرسة التجريبيـة وأنه عن طريق هذه الملاحظة وصل المنهج التجريبي إلى أوربا في العصور الوسطى » كما يقول « بريفولت » في كتابه بناء الانسانية « لقد كان العلم أهــم ما جاءت به الحضـــارة الاسلامية ، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي ، إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثـرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة ، وكانت أظهـر ما تكون في العلـوم الطبيعية ، وروح البحث العلمي » .

المساواة :

ومن خصائص التربية الاسلامية : أنها ترد البشرية كلهـا إلى أصـل واحد ، فلا عصبية للغة ولا جنس ولا لون ، وهي بذلك تزيـل الحواجـز الجغرافية والنفسية ثم ان رسالـة الاسلام للبشرية كلها ، والله سبحانه وتعالى ليس بينه وبين عباده صلة الا التقوى ، ولقد أعجب بهـذا المؤرخ الانجليـزي « تومـاس كارليــل » الأستاذ بجامعة كامبردج الذي قال « وفي الاسلام صفة أراهـا أشرف الصفات وأعظمها : وهي المساواة بين الناس ، وهذا يدل على صدق النظرة وصواب الرأي » .

والعلاقة بين المؤمنـين بعضهـم بعضا ، علاقة مودة ومحبـة فهـم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمـى والسهر ، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، والعلاقة بين المؤمنين وغيرهم علاقة مودة ومحبة ما داموا راغبين في ذلك ، حتى ولو لم يكونوا أهل كتاب ، فقد طلب النبي عليه السلام أن يعاملوا معاملـة أهـل الكتاب ، والعدل يكون بين الناس جميعا لأن الذي سيحاسب هو الله تعالى : **(يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامـين بالقسـط شهـداء لله)** النساء/ ١٣٥ .

التميز :

والتميز من خصـائص التربيـة الاسلامية ، وقـد أقـام الاسـلام شعائره التعبدية كلها بصورة تميز المسلمين عن غيرهم ، فهي تتخـذ شكلا ظاهرا سواء في العمل أو التوجه إلى الكعبة وبذلك ينشئ في المسلـم شعورا بالتميز .

وقد نهى الاسلام عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصه التي هي تعبير عن مشاعر باطنة كالنهي عن طريقتهم في أي شئ ومن ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله عليـه السـلام : « إن اليهـود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » متفق عليه ، ومن ذلك قوله عليـه

السلام : « لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا » . أحمد وأبو داوود ، وإذا كان الأعاجم يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا فقد أمر النبي عليه السلام بمخالفتهم بقوله : « خالفوا المشركين . وفروا اللحى واحفوا الشوارب » رواه البخارى ، ذلك لأن المشابهة في الظاهر تورث محبة وموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وفوق ذلك فالمشابهة في الظاهر سبب للمشابهة في الأخلاق وقد تصل الى المشابهة في المعتقدات .

وقد جعل الاسلام أعياد المسلمين مرتبطة بالشعائر الاسلامية ، وحين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد الأنصار يلعبون في يومين قال : « ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، قال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » النسائى وابن حبان .

وحتى في الهزيمة يتميز المسلمون عن أعدائهم ، فلا وهن ولا ضعف ، وهم الأعلون وهم في مكان القيادة : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء)** آل عمران/ ١٣٩و ١٤٠ ، ويقول لهم القرآن الكريم : **(إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون)** النساء/ ١٠٤ .

والأمة الاسلامية اليوم في حاجة إلى التميز بشخصية خاصة لا تتلبس بشخصيات الغرب ، والتميز بأهداف واهتمامات مع تلك الشخصية وهذا التصور طبقا للمفاهيم الاسلامية ، فيكون المسلم إنسانا خيرا يستخدم حياته وعلمه في الخير ، ويتعلم العلم من أجل استخدامه في الخير : **(ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)** آل عمران/ ٧٩ فيكون التعليم والدراسة لله رب العالمين أولا ، لا لنيل الأغراض الدنيوية .

ولا بد من الالتزام بالعلم : يقول الرسول عليه السلام : « لن تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وعن جسمه فيما أبلاه ؟ » رواه الترمذي .

عدم اختزان الطاقة :

والاسلام لا يختزن الطاقة الكامنة في الانسان بل إنه يملأ النفس والجسم بشحنات مختلفة ويفرزها إفرازا طبيعيا فطريا ــ ثم تنطلق هذه الشحنات في عمل إيجابي إنشائي لتعمل في سبيل البناء والتعمير والخير ، والمهم ألا يختزنها الانسان أكثر مما ينبغي ، فالاختزان الطويل بلا غاية يضر بكيان الانسان ، وهو لذلك يفرغ طاقة الحب في حب الله ورسوله ، والمؤمنين والجهاد وعمل الخير ، كما يفرغ طاقة الكره في كره الشيطان الذي يعمل دواما على إبعاد

الانسان عن الله وعن طرق الخير ، ويفرغها أيضا في كره الشر والمنكرات وفاعليهما .

كما أنه لا يترك الانسان يستهلك جهده في تحقيق مطالب الجسد الحيوانية ، حتى لا تستعبده ، بل يضبطها ويهذبها وينظفها ، ولكنه لا يلغيها ولا يكبتها ـ والاسلام صريح في معالجة الأمور الجسدية ، ومن ذلك الحديث الشريف : « وفي بضع أحدكم صدقة » مسلم والآية : **(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض)** البقرة / ٢٢٢ وقوله تعالى: **(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)** البقرة / ١٨٧ .

والاسلام يبرز الطاقة الحيوية واللازمة لتحقيق أهداف الحياة ، ويعمل على تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة الأظافر ، وذلك يأتى من ربط القلب البشري بالله وخشيته ومراقبته ومن ربط المرء باليوم الآخر : **(قل متاع الدنيا قليل)** النساء / ٧٧ .

والاسلام يوجه طاقة الانسان إلى العمل المنتج المفيد الذي هو ثمرة الايمان بالله ..

والقرآن الكريم يؤكد تأكيدا شديدا على العمل الصالح الذي يذكره في عشرات الآيات : **(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم)** يونس / ٩ : **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** آخر الكهف .

والعمل الصالح يشمل كل ما يقوم به الإنسان نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه الاسلامي ، بل والمجتمع الانساني كله .

وهكذا تتميز التربية الاسلامية بهذه الخصائص التي تجعل طريقها واضحا ثابتا ، يعطى للطفل الأسس السليمة التي تكفل تربيته من جميع نواحيه في كل فترة من فترات حياته ، كما تعده لأداء دوره في هذه الحياة باعتباره خليفة لله في الأرض اختاره وكرمه ورسم له أسلوب التربية والعمل ، وزوده بكل القوى الداخلية والخارجية التي تكفل له الحياة المطمئنة ، بحيث يعيش سعيدا في مجتمع سعيد عاملا للدنيا وعاملا للآخرة ، قادرا على أداء رسالته في هذه الحياة ، وما أصدق الدكتور « هوكنج » أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الأمريكية حين يقول في كتابه روح السياسة العلمية « إنى أشعر بأني على حق حين أقرر بأن في الاسلام كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة » وهكذا عكس الفلسفات البشرية فهي متأثرة بقصور الانسان للانسان وملابسات حياته ، فهي لذلك تقصر عن الاحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد وقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء ، يؤدي بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد ، لأن الفلسفات الحديثة تقصر عن الاحاطة بالنفس البشرية في كل أطوارها وأحوالها .

لماذا دَارت عجلة المسلمين الى الوراء

حقيقة الوجود الانساني

إن معنى أن يكون الانسان خليفة في الأرض ، هو أن يحمل أمانتها ، أي مسئولية تعميرها ، لا لأن الاستخلاف في الأرض يعود على الله سبحانه بمثل وزن جناح بعوضة في ملكوته ! حاشا لله .. وإنما لأن الأرض وما فيها وكل ما سخر للانسان إنما ذلك كله مواد اختبار .. وحقل تجارب وتدريب لقدراته ولانطلاق طاقاته ، لأنه بقدر ممارسته على الأسلوب الذي أمر به واجتهاده في ذلك يكتسب الدرجة التي يستحقها في العالم الآخر بعد فترة هذه الحياة الموقوتة العابرة التي لا تزيد على أنها فترة إعداد لما بعدها ـ كل بقدر ما بذل وما اكتسب ، كطالب العلم الذي ينال الوظيفة التي يؤهله لها اجتهاده .

وعلى هذا الأساس فان الاتجاه السليم هو أن يعد كل إنسان نفسه ليكون عضوا مكملا لجماعة يتعاون معهم فيها بدفع حركة الحياة إلى الأمام في الطريق المستقيم ، وعلى كل جماعة أن تضيف في فترة وجودها الأرضي شيئا إيجابيا ما إلى ما سبق ، وبذلك يكون الخير حين يكون كل عصر أفضل مما سبقه علما وفضلا واستعمارا سليما للأرض وما سخر لنا منها ، وهذا هو ما يجب أن يكون الطريق الحقيقي للتقدم ، وقد أعطينا المنهج السليم الذي نسير عليه

للدكتور/ محمد لبيب البوهي

لتحقيق ذلك .

وعلى كل جماعة حين ترث عمن سلف هذه المسئولية ، أن تعمل على تنمية ما ورثته ماديا وحضاريا ، والجماعة الفاشلة هي التي تسلمت هذا الميراث فتوقفت به ، أو استنفدته دون أن تضيف إليه ، أو عادت به إلى الوراء وعندئذ ينفرط عقد الجماعة ، ويسود التخلف والتفكك ، ويبدأ كل إنسان في التماس منافعه العاجلة فحسب ، وتحتجب القيم والمعاني الروحية وتسود الأنانية .. ويعلو شأن المادية وشهواتها الحسية . والتاريخ الحضاري العالمي والاسلامي حافل بمثل هذه العبر .

الخطوة الثانية في الطريق المنحدر

والنهج السليم في الحياة لا يسير بطريقة تلقائية ، فالناس لا يتوارثون القيم والفضائل كما يتوارثون حطام الدنيا ، وإنما القيم والفضائل تحتاج إلى الترشيد الدائم والتواصي بها وحمل الناس عليها بالحكمة ، والصبر المستمر على ذلك ، فالآلة لا تستمر في دورانها إلا أن نواليها بالوقود ، وأن يكون هذا الوقود الذي هو غذاء لاستمرارها مناسبا لطبيعتها ، وصافيا نقيا من الشوائب ، وكذلك الحياة الطيبة زادها الأمر بالمعروف أو التعريف به ، والنهى عن المنكر ، والتباعد عنه ، وهذا هو التواصي بالحق ، والصبر عليه ولذلك فانه متى انفرط عقد الجماعة ، وسادت الأنانية لا يلتمس أحد عند أحد ترشيدا ولا توجيها ، وتختلط صور الحق بالباطل ، بل يلبس الباطل ثوبا أكثر جاذبية فيتسابق الجميع نحوه ، وقد ضعف وازع الحلال من الحرام أو أهمل .

ويكون طبيعيا بعد ذلك ألا يكون اختيار الحاكم على الأساس الأفضل والأقوم ، لأن مقاييس الفضائل لم تعد ذات موضوع ، فينفسح الطريق أمام حاكم قوي ظالم ليسود ، وهو لن يعبأ بأن يكون قدوة للناس في التقوى ، بل كثيرا ما تتميع مقاييس التقوى وتزول ، ولقد توعد عبد الملك ابن مروان ناصحيه في بيت الله بأنه سيقطع رقبة من يقول له : اتق الله .

المزيد من التمزق والمزيد من الشهوات

إننا ما زلنا بصدد استعراض صور العبر من التاريخ ، لدراسة أسباب الانحراف عن الطريق القويم ، والهبوط إلى الدون ، إنه في الأوقات التي يسود فيها التمزق وتستعلى الأنانية ، ويكون التسابق إلى الشهوات ، فان الحاكم القوي الظالم الذي يقفز إلى القمة ، أو تدفعه هذه الظروف إليها ، سوف يعمل على استمرار هذا الوضع للتمكين لنفسه في الأرض ، ولأهله من بعده ، لذلك

فقد كان هذا النوع من الحكام يعملون على تحويل قومهم إلى مجرد أشباح حتى يزدادوا هوانا على هوان ، وكثيرا ما يكون ذلك بطرق شتى خبيثة ، منها إرهاب الناس ، حتى يحاول كل منهم النجاة بنفسه ، وكان هذا الصنف من الحكام يوجهون أشد قسط من الارهاب لمن يحاول ترشيد الناس ، أو إحياء سنة الأمر بالمعروف ، فيتوارى كثيرون ممن يحاولون ذلك ، ويضعف شأن العلم ، وتسود أنواع من الجهالة ، أو الضحالة العلمية التي هي الحقل الطبيعي لنشأة وانتشار الخرافات .

كيف تبدأ الخرافات وكيف تنتشر ؟

إنه في طبيعة الانسان التطلع إلى ما وراء حياته ، سواء أحس ذلك ام لم يحسه ، فالفطرة مركوزة في أعماقه ، ومتى ضعف سلطان العلم وتميعت صور الحقائق الدينية ، فان الأفكار الضحلة التي توارى عنها النور المبين سوف تفقد القدرة على التمييز بين الأبيض والأسود وتستهويها الصور التي يبالغ في وصفها ، فالعامي يستهويه أن يقال له إن آدم عليه السلام كان طوله أكثر من ألف ذراع ، إن ذلك يسره ويسعده لأنه يرى في هذه الصورة تعويضا خياليا عن الهوان الذي يعانيه ، إذ تشبع الصورة ذهن العامي المطحون فترضى كبرياءه الزائفة في تصوره لعظمة الأصل البشري الذي ينتمي إليه .

والذين وضعوا هذه الخرافات سواء من أعداء الدين أو غيرهم من المستعمرين إنما كانوا يهدفون إلى شقين ، الشق الأول : بلبلة نفوس جمهور العوام وهم الكثرة الكاثرة وإبعادهم عن حقيقة الدين القوى المتين الذي يدعوهم إلى القوة بهذه التهويمات المخدرة ، والشق الثاني : إدخال الشك في نفوس ذوي العقول والنهى حين تساق لهم هذه الخرافات التي يرونها في كتب تنسب إلى الدين فلا تقبلها عقولهم فينصرفون عن دينهم ... وفي مثل هذا الجو الذي تكرر في مدار أجيال كثيرة نشأ الجمود الديني من ناحية وانصراف أكثر الناس عن حقائقه من ناحية أخرى .

فقد عناصر الايمان الحق

فمما تقدم نرى أن الأمور سارت كالآتي : عندما تفرق المسلمون ، هانوا وضعف شأنهم وأصبح الناس شيعا وفرقا ، أكثر حكامهم في ناحية لا يبالون بهم ، والناس إما غير مبال بدينه ، أو متجه فيه إلى غير طريق الحق . ومن هنا ابتعد المسلمون عن أن يكونوا كما أراد لهم ربهم أمة واحدة ، وبدلا من أن تكون رسالة هذه الأمة أن تنهض بمسئولية قيادة المجتمع الانساني وعلاج مشاكله وأمراضه ، تسللت إليهم أمراض المجتمعات الأخرى ، وإنها لكارثة أن يصبح الأطباء مرضى ، وزاد الأمر أنهم لم يحسوا كثيرا أنهم ساروا في طريق المنحدر ، بل ظنوا أنهم على طريق الهدى ، وهكذا يمكن أن

نقول : إن الكارثــة بدأت بسببــب التمزق قبل كل شئ ، ذلك التمزق الذي أشار إليه النبي عليه صلوات الله وسلامه بأن الأمة سوف تفترق إلى بضعة وسبعين فرقة لا تنجو منها غير فرقة واحدة ، وكل الذين تفرقوا ظنوا أنهم الفرقة الناجية فأخذت تحارب أخواتها ، ونشأ لكل فرقة من الفرق المتمزقة أساطين يدعون الى زيــادة شقة الخلاف ، فعظمت البلبلة ، ولم يعد جمهور النــاس يجــدون غذاء لنفوسهم ، وتحول الظمأ الروحي إلى فراغ أفسح المجال إلى أفكار ومذاهب مستوردة .

حقيقة المذاهب المستوردة

نحن لا نقول : إن الأمة التي تمزقت شيعا قد اعتنقــت بأجمعهــا هذه المذاهب ولكن المهم أنهــا وجــدت الطريق للتسلل لزيادة الاضطــراب والبلبلة ، وهذه المذاهب إن لم يكن أكثرها هداما ، فانها قد نشأت من تفكير فلسفي فردي في ظروف بيئات لا تناسب بيئتنــا وظروفنــا ، ولــكن الاقبال عليها كان بعد قطع خيــط الاتصال الصحيح بيننا وبين الينبوع الأصلي لغذاء أرواحنا ، والأدهى من ذلك والأمر ، أنه قام من بيننا دعاة متحمسون لهذه المذاهب والفلسفات الغريبة المستوردة ، التي سيقت إلينا في قوالب معسولة وسارع إليها من كنــا نرى فيهــم ـ لمستواهــم وثقافتهم ـ غير ذلك ، ولكن الجائع يلتهم أى طعام .

كيف ينظر إلينا الآن ؟

إن الأمم التي أصبحت تعاني من الافلاس الروحي ، والتي لم تقــم حضارتها الأولى إلا بعد أن أخذت أقباسا من حضارتنا يوم كنا نعض على فضائلنا وقوتنا بالنواجذ ، هذه الأمم التي كان يجب أن تستمر في أخذ عناصر صلاح أمرها عنا ، قد انقلب الحال معها ، فانها بعد أن شاهدت منا أسباب الضعف عملت على تقويته فجعلت تتعاون فيما بينها ولو بطريق غير مباشر في وضع تخطيط لنا لتوريد مشاكلها وأمراضها التي تعاني منها . بل إنه في الوقت الذي تجاهد هي فيه للخلاص من بعض أمراضها أخذنا نحن نعــب منهــا ونغترف ... وأصبح الأمر في أحيان مضت مهينا ومخزيا بعد أن نخــر سوس التخلف في العظام .

ووصل الأمر إلى أن الذين أخذوا من قبل حضارتهم عنا ، والذين كانوا يتطلعون إلينا بمنتهى التقدير ، فاننا بعد أن التهمنا الطعم الذي أعدوه لنا في مهارة ورأوا الضعف والتمــزق والتخلف راحوا ينشرون في بقــاع الأرض أن التخلف طبيعة فينا ، وأننا مصدر الشغب والمتاعب للعالم حتى لقد أدخلت الصهيونية في وقت ما في أذهان العالم أن العربي ـ والمقصود طبعا المسلم ـ هو جرثومة فســاد وشر ، وأن دينه لا يصلح لتقويــم سلوكه وأن خير الانسانية في الخلاص من هؤلاء ، وكانوا في بعض حملاتهم يحملون لافتات كتب عليها (ادفع

دولارا لتقتل عربيا) وهم يعنـون بالطبع ـ مسلما ـ أي أنهم كانوا يوهمون العالم أن الخلاص من العرب هو الطريق لاستقامة أمور الحياة ، ويشتد عداؤهم حين يرون بعض أولى النهى من المسلمين يطالبون بالعودة الى الدين .

وماذا يرون في الاسلام ؟

أعداء الاسلام الآن يزعمون أن ما سبـق نكره ، ناشئ من تعصـب المسلمين الديني ، وأنهـم يريـدون تحكيم الدين في زمان انتهى فيه أمر الأديان كقوة في بناء المجتمعات ، وأن حياة الأمم أصبحت علمانية لا تتقيد حركتها بتوجيه ديني ، فالمسلمـون إذن في زعم هؤلاء الأعداء هم عقبة في سبيل الحضارة المعاصرة ، وهم قد يساندون قولهم هذا بما يرونه من تخلف المسلمين واندفاع الكثير منهم نحو الأهواء الدنيوية فيعلنون أن ذلك بسبب تعاليمهم الدينية .. ومما لا شك فيه أن هذا منطق أعداء الاسلام الـذي يخططـون بذكاء شيطانـي للقضاء عليه ، بل هم أيضا يعمدون إلى إقناع كثير من المسلمين غـير المتدينين بهذا المنطق المعكوس ، وهذا القول منهم قد يكون منطقيا لو أن الأمر أمر دين لا يتنـاول قضايـا المجتمع بالتفصيل كالدين المسيحي مثلا ، إذ لا وجه إطلاقا للمقارنة بين المجتمع الاسلامي كما يجب أن يكون بتوجيهات دينه ، وبين مظاهر التخلف الحاضر ، فالدين الاسلامـي عنصر أساسي في حياة المسلم ومنه يأتي النسيج الحضاري الذي يشمل كيانه كله في الفكر والشعور والسلوك ، في المنزل والشارع وكل مكان .

حقيقة يعلمها مفـكرو وفلاسفـة أعداء الاسلام

وهذه الحقيقة يعلمها كثير من الذين يخططون للخلاص من الاسلام نهائيا للحيلولة دون عودة الاسلام الحق ، إذ لو حدث هذا لأصبح المسلمون الورثة الحقيقيين للمجتمعات المنهارة كلها .
والعجيب أن منا من يقع فريسة لهذا التخطيط لعدم إلمامهم بشئون دينهم غافلين عن الحقيقة المستتـرة عن بصيرتهم وهـي أن تجريـد حيـاة المسلمين من الدين بدعوى العلمانية تنتهـي بتدمـير شخصيـة الفـرد وشخصية الجماعة ، لأن كل القيم الاجتماعية وكل منابع الفعل المستقرة في كوامن النفوس تستمد قوتها من هذا التـراث المشتـرك القائـم في عمومياته وهيكله على الدين ، وغافلين أيضا عن حقيقة دعوة دينهم الى العلم حيث كان فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو إلى طلب العلم ولـو في الصين ، وهي أبعد بقعة في تقدير الناس في ذلك الزمان ، ولم يكن في الصين علم ديني لنا ، وإنما التوجيه إلى طلب العلم والعمل به حيث كان ، ولكن هذا المعنـى تقلص في زمـن التخلف والانحطاط ، والتيه الـذي اعقب انهيار دولة الاسلام ، حيث أصـاب الجفـاف موارد الفـكر ،

وأصول الحياة ومقوماتها ، وتسلط على المسلمين طغـاة من الفـرس ، والأتراك ، والتتار وغيرهم ، وعملوا بكل عزم على وجود فصام بين الدين والمجتمع ، وأصبحت هنـاك دنيـا منفصلة عن الدين ، وتـم إغـراق دنياهـم في الجهـل والتمـزق والخرافات . ليصبح المسلمون مجرد أشباح ، ولينتهوا إلى ما صاروا إليه الآن .

بعض نماذج مما يخطط للاسلام

ولا يتسع المجال لذكر أنواع كثيرة من التخطيط الاجرامي الذي يحدث الآن فانه بالاضافـة الى نشر المبـادئ المستـوردة ، وأكثرهـا هدام ، والاغراء بالمشهيـات الدنيويـة فان تخطيطا يوضع للبلاد النائية التي يخشى أن يصل الاسلام إليها ومن ذلك مثلا ما ذكره لي أحد رجال بعثة وزارة التربية والتعليم إلى سيراليون في أفريقيا أنه قرأ في كتاب هناك يوزع على التلاميذ أن سبب تحريم القرآن لأكل لحم الخنزير أن النبي محمدا تعرض في حياته وهو نائم للاغتيال وكان بقرب المكان الذي ينام فيـه خنزير يرعى فأسرع إلى النبي محمد وأيقظه ، ومن ذلك صار الخنزيـر صديقا للنبي فمنع ذبحه وأكل لحمه تكريما له ، وهذا معناه أن محمدا هو الذي وضع القرآن على هواه .

وفي استراليا نحو ثلاثة ملايين من المسلمين والغالبية العظمى منهم لا يعرفون شيئا عن دينهم ولما أرادت وزارة المعارف في استراليا تدريس الدين في مدارسها استبعدت التلاميذ المسلمين وقالت إنهم طوائف لا دين لهم وفي أندونيسيـا التـي تعـداد مسلميها نحو مائة مليون مسلم هناك تخطيطات منظمة ومثابـرة وجـادة لتغيير أكبر عدد منهم .. وغير هذا كثير وكثير .

إرهاصات النهضة المرجوة

ولا يمكن أبدا أن يدعونا هذا الى اليأس ، فلا يأس مع الايمان ، وإن هذا الافلاس الروحي المنتشر في بقاع العالم ، والذي يراد دفعنا اليه ، إنما هو دليل على أنه لا بد أن ينشأ بناء جديد فوق هذه الأنقاض ، إذ لا بد لسنة الله على الأرض أن تستمر وهي أن يرثها عباده الصالحون ، ونود أن نختتم بكلمة قالها العلامة أبو الحسن الندوى : إن العرب قد آن لهم أن يكتشفوا أنفسهم وطاقاتهم وأن هذا الاكتشاف سيكون له ما بعـده في مصير هذه الأمة العربية الاسلامية وفاتحة عهد جديد ـ لو استقام العرب على هذا العزم ـ الذي بدت فيه روح المغامـرة ، والجـد ، والصمـود ، والاعتماد على الله ، وادراك الأمة أنها على الحق ، وأن تعمـل به ، وأن تتلاشى كل أسباب الوهن ، والخلاف والتنازع بين الصفوف ، والاستهانة بلذات الدنيا وشهواتها الهابطة في سبيل تحقيق مثلها العليا ، والتمسك بأهداب الدين قولا وعملا وسلوكا ، والله المستعان .

التأمين وبديله في نظر الإسلام

الحلقة الرابعة

كفالة الشريعة الإسلامية وتأمينها مصالح العباد

للدكتور شوكت عليان

يظن كثير من الناس ان التأمين يحقق للناس منافع لا نظير لها ، وقد فات هؤلاء الناس بل اخذتهم الغفلة عن ان يتدبروا ان الشريعة الاسلامية كفيلة بتحقيق مصالح اكبر من تلك التي يظنونها في التأمين ، فضلاً عن درئها للمفاسد التي تزيد في تحقيق المصالح ، وانها لم تقف حائرة ولا جامدة امام مشكلة او حادثة ، بل وجدت فيها الحلول العادلة لكل ما جد وما يجد من احداث في كل مكان وفي كل زمان ، فهي تفصل في كل دعوى ، وتحكم في كل قضية ، وتفتي في كل حادثة ، وهي بذلك تستطيع ان تواجه كل مشكلة ، وتحل كل عقدة ، فمهما تطورت العلوم والفنون وتشعبت مذاهب الحياة ومهما تجددت الحوادث وتعقدت المشاكل وتنوعت الوان المدنيات ، فان في شريعة الاسلام ما لو تولته يد الصياغة الامينة ، لكفانا عن النظر الى تلك القوانين الوضعية والنظم المستوردة كنظام التأمين .

ولما كانت الشريعة الاسلامية قائمة على مراعاة الفضائل العامة من الحق والعدل والصدق والامانة والوفاء ، تسعى بذلك الى تكوين المرء على مثال حسن من الاخلاق الحميدة والى توثيق العلاقة بين المرء واخيه ، وبين المرء وخالقه على افضل وجه ، فقد بدأت بتحرير النفس البشرية من عبادة احد غير الله ، ومن الخضوع لأحد غيره سبحانه ، وأنه ما من احد يملك له نفعا ولا ضرا غير الله وما من احد يرزقه من شيء في الارض ولا في السماء غير الله تعالى ، فاذا تحرر الانسان من شعور العبادة والخضوع لعبد من عباد الله ، وامتلأ قلبه بالشعور الصادق إيمانا بالله ، وأنه على اتصال به ، لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة ، او الخوف على الرزق ، فالحياة بيد الله وليس لانسان قدرة على ان ينقص هذه الحياة ساعة او بضع ساعة : **(وما كان لنفس ان تموت إلا باذن الله كتابا مؤجلا)** آل عمران / ١٤٥ وخوف الفقر والعوز ، إنما هو من ايحاء الشيطان ليضعف النفس ويصدها عن الثقة في الله **(الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم)** البقرة / ٢٦٨ على هذا الضمير الحي الذي رباه الاسلام ، وعلى هدى التشريع الذي جاءت به شريعته الخالدة ، نجح في إنشاء وتكوين مجتمع إنساني متوازن متناسق : **(كنتم خير أمة اخرجت للناس)** آل عمران / ١١٠ .

ولما اختلفت طرق الكسب من تجارة وصناعة وزراعة وغير ذلك من أمور المعاش واحتاج كل فرد إلى ما عند الآخر ، وضعت : الأثمان لتقدير

مطالب الناس ، ولما كانت المبادلة قد ترد على عين بعين ، فقد شرع : البيع او على عين بمنفعة شرعت الايجارة ، ثم رغب الشارع على العمل الشريف وحث عليـه ، ودعـا الى التعـاون بمختلف صوره والوانه تأكيدا للترابط بين الناس ، فكانـت : التبرعـات والصدقـات والهبـات والاعـارات والقرض الحسن وأكد ذلك تفـاوت الناس في الغنى والفقر ، وترتب على الاحتياج ان وضعـت : المداينـات والوديعة ، وتبادل الخبـرات ، لأن بعض الناس قد يستنكف عن بعض الصناعات والحـرف ، ولما كانـت الخيانات تتطرق إلى نفـوس بعض الناس وكان الجحود ، فقد اقتضى : الاشهاد والكتابة ولما رغـب بعض الناس في التوثق على أموالهم او على ديونهم التي لهم عند الآخرين شرع : الرهن والكفالة والحوالة .

ولم تقف الشريعة الاسلامية عند بيان هذا الحد ، **بل إنها تؤمن رزق كل إنسان فهي تحقق الأمان للمجتمع الاسلامي على خلاف المجتمعـات الاخرى** التي احتاجت إلى تأمـين القانون ، فلقد دعـا الاسـلام إلى معاونة القادر للعاجز ومساعدة الغنى للفقير ولم يقتصر دوره على وضـع مبادئ وسـن قوانـين لا ترتبـط بالواقع ، بل دعا إلى التطبيق وحث عليه وجعل ذلك أمرا متصلا بكيان الأمة من الناحيتين المادية والمعنوية ، لهذا فقد بنى الاسلام شريعته وأقام نظامه على أساس قوي من عزة النفس الانسانيـة وكرامتهـا فوضـع من الأنظمة المالية والجزاءات التأديبية ما جعل الفقير وذوي الحاجة والعاجز عن الكسب يعيش في مأمن من الخوف والضيق ، ووصلهم بعون مادي لا ينقطع ، ما دامت روح الاسلام تملأ قلوبهم وتسيطر على نفوسهم وتتغلغل في المجتمع ، فكان التعاون الذي يشير إليه القرآن الكريم:(**وتعاونوا على البر والتقوى**) المائدة / **٢** .

والتكافل في الاسلام ، تجده موفورا في كل نواحي الحياة ففي محيـط الأسرة مثلا فرضت : النفقات وجعل كل قادر فيها مسئولا عن العاجـز والفقير فيها ، ولهذا فقد كان نظام : العاقلة وان الوصية في حدود الثلث وأنها لا تجوز لوارث تمكينا لرابطة الأسرة ، وفي محيط البيئة كالقرية او المدينة الكبيرة ، قرر الرسول صلى الله عليه وسلم : التكافل فيما بينهم ، يوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أيما اهل عرصة اصبح منهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله » رواه احمد فالبيئة الواحدة يفرض عليها التكافـل والتسانـد ، فيتعـاون القـادرون منهـم في حل مشـاكل المحتاجين منهم ولو ان القادرين منهم اهملوا هذا التكافل فأهمل الفقـير حتى اصبح جائعا وتعرض للهلاك فقد برئ الله منهـم وفي القواعـد الفقهية : حق العادم على الواجد ، قال ابن حزم : من تركه يجوع ويعرى وهو قادر على إطعامه وكسوته ، فقد اسلمه .

ومن ذلك يعلم ان التشريع الاسلامي في الذروة العليا من الحكمة والعدل

وأن تطبيقه يغني عن كل ما سواه ، وليت الذين غرتهم القوانين الوضعية المتأثرة بالزمان والمكان والتي تخضع للتقلبات والألوان .. ليتهم يتفقهون تعاليم الاسلام ، ليروا ان دينهم جاءهم باعلى أنواع التشريع في الأرض ، ولو فقه المسلمون أحكام دينهم ورجعوا إلى استنباطها من أصولها وما ارشدت إليه تلك الأصول ، وعملوا بما تأمرهم بها تلك النصوص : لكانوا بذلك سادة الأمم وقادتها ، وبلغوا أرقى انواع الحضارة التي تتطلع أيها البشرية ، ولو فقه الأغنياء : لعلموا ان اول ما يحفظ عليهم أموالهم إسداء المعروف للفقراء ، بل القيام نحوهم بما اوجبه الله على الاغنياء منهم .

والتكافل في الاسلام متحقق بالنسبة للناس جميعا ، يدل لذلك مشروعية الزكاة ، وهي الركن الاجتماعي البارز من أركان الاسلام ، والحق المعروف من أموال الأغنياء بحسب أنصبتها وشروطها المعروفة في كتب الفقه ، وقد ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة والاجماع ، وهي تعتبر وقاية اجتماعية ، وضمانة للعاجز الذي يبذل طاقته وجهده ثم لا يجد الحاجة او يجد مجرد الكفاف او دونه ، وهي تطهر النفوس وتزيل ما بها من علة البخل والشح ، وقد وعد سبحانه وتعالى فاعلها بالنجاح والفلاح في اعماله : **(قد افلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون)** المؤمنون / ١/ ٤ ، وللزكاة ــ غير تطهير النفس من رذيلة البخل وتحليتها بصفة الجود والسخاء ــ من الفوائد والمنافع ما به عمارة الكون ، ونظام الهيئة الاجتماعية ، وذلك لأن الله تعالى لم يخلق جميع الخلق متساوين لحكمة عجيبة وسر غريب ، بل خلق منهم القوي والضعيف والغني والفقير ، وكل تطالبه الحياة بضرورياتها ولوازمها فيضطر الفقير القوي ــ اذا لم يكن صرف للزكاة اولم يصبه منها شيء ــ ان يأخذ حاجته من الغنى الضعيف ، او من القوي الغني بالسؤال إن أمكن او بالقوة فيقتل او يقتل ، ولا يتم مع ذلك بقاء العالم ولا يحفظ نظام الكون ، ولذا اقتضت حكمته جل شأنه ان يخفف رأفة به ، فجعل في مال الغنى حقا معلوما له يدفع اليه في كل عام يسد به حاجته ويخفف بلاءه ويكفي حاجته الضرورية وبذلك يعم الأمن ويستريح العالم ، فالغني يتمتع بماله آمنا ، والفقير يكفي المؤنة والعوز ، فيكفي الناس شروره ، فان كثيرا من أنواع الشرور كالسرقة والغصب والغش والخديعة ينشأ من اضطرار الفقراء وضيق ذات يدهم ، فاذا دفع الأغنياء زكاة اموالهم ، كان ذلك سببا في دفع الشرور ، وتثبيتا لدعائم الأمن وتقليلا لمتاعب الدولة ، وفي تحقيق الزكاة ايضا إيجاد روح الاتحاد بين المسلمين ، لأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يجمع المسلمين ويربط قلوبهم بعضها ببعض ، بحيث يكون الجميع كعائلة

واحدة ويكون الأغنياء منهم بمثابة آباء ورءوس لتلك العائلة فيحسنون إلى فقرائهـم ، ويوسعـون على من ضاقت بهم الحياة ، حتى يكفوهم تكففهم النـاس ويمنعـون من ذل السؤال ، وهي بهذا المعنى تعتبـر ركنا من أركان المدنية ، وفضيلة من أكمل الفضائل الانسانية التي تدعو إلى الارتباط والاتحاد والتعاون .

ولو وفق الله جميع الأغنياء لدفع زكاة أموالهم ما وجدنا فقيرا ينن من الم الفقر ولا جائعا يشكو الم الجوع ، ولرأينا الوفاق سائدا بين الأغنيـاء والفقراء ولقام الفقراء بخدمة الأغنياء بصدق واخلاص .

وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم من تصرف إليهم هذه الزكاة : فقال تعـالى : (**انمـا الصدقـات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفـة قلوبهـم وفي الرقـاب والغارمين وفي سبيـل الله وابـن السبيل**) التوبة/ ٦٠ .

اما الفقير : فهو الذي لا يجد ما يقع موقعا من كفايته بكسب ولا غيره ، وأما المسكين : فهو الذي يجد ذلك لكنه لا يكفيه ، فيعطي كل واحـد منهما ما تتم به كفايته وقيل الفقير : من لا يملك قوت عامه ، والمسكين : من لا يملك شيئا وهو اشد حاجة من الفقير وقيل هما بمعنى واحد .

وأما العاملون عليها ، فهم سعاتها ، أى الذين يبعثهم الامام لجبايتها ، ويلحق بهم القائمون على قسمتهـا وتوزيعها وحراستها وهؤلاء يعطون بقدر اعمالهم وكفايتهم بالمعروف ، وقيل يعطون « الثمن » لأنهم احد الأصناف الثمانية المنصوص عليهم في القرآن . وأما المؤلفة قلوبهم : فهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألفهم ويتودد إليهم بسياسة حكيمة رشيدة ، وغرض سام نبيـل ، ذلك اتقاء شرهم وعداوتهم ، وأن يكونوا عونا للمسلمين ودعاة للخير ورسلا للسلام إلى قومهم وعشائرهم في إظهار سماحة الدين وبيان محاسنـه من إصلاح النفوس وتطهير القلوب ، هذا إن كانوا مسلمين ، وان كانوا غير ذلك : يعطون من أبواب المصارف الأخرى كالغنائم ، وقيل : يعطون جميعا من الزكاة لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان بن أمية يوم حنين قبل إسلامـه ترغيبـا له في الاسلام .

ونحن إذا نظرنا إلى الحالة الراهنة وما عليه الأمم في العصور الحديثة من تسابق إلى نشر اديانها ومذاهبها ، وتنظيم سبل الدعاية لها والترغيب فيها ، ومحاربة الديـن الاسلامـي بانتشـار المبشـرين في الاقاليـم الاسلامية ونشاطهم في ألقاء اباطيلهم الزائفة وعقائدهم الباطلة ، يؤيدهم في ذلك الاستعمار ودعاته ، إذا نظرنا إلى هذا المعنى : لما بقي عندنا ادنى تردد في عدم زوال سهم هؤلاء الناس وانه باق الى يومنا هذا فيجب ألا نبخل بالمال فيما يستدعيه واجب الاسلام وما تتطلبه مصلحة المسلمين ، وذلك بالموعظة الحسنة وببذل الأموال لذوي النفوذ من الديانات الأخرى لاظهار سماحة الاسلام ونشر مبادئه العادلة

واذا كان إمام المسلمين : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رأى حرمان المؤلفة قلوبهم : ثقة بعز الاسلام وقوة سلطانه في عصره ، فان الحالة اليوم قد تغيرت عن ذى قبل وأننا في حاجة ماسة الى التأليف .

وأما الرقاب فيقصد بها : اعانة المكاتب ، قال الامام مالك ، هم العبيد يعتقهم الامام ، ويكون ولاؤهم للمسلمين ، وقال الشافعي وابو حنيفة واحمد : هم المكاتبون ، ولا تشترى بها رقبة لتعتق عند الحنفية خلافا لمالك وأحمد في رواية ، ولم يبق من هذا المصرف الآن الا فك اسارى المسلمين .

وأما الغارمون فيراد به : كل مدين استدان لمصلحة نفسه في مباح ، ولمصلحة اجتماعية كتحمل ديات الصلح بين المسلمين ، ولا تدفع الزكاة لمن استدان سرفا وتبذيرا او بسبب المقامرة ونحوها .

وفي سبيل الله : المراد به المجاهد في سبيل الله ، وانما يستحق ذلك إذا كان من المتطوعين ، أى ليس من الجيش النظامي ، اذ ان هذا الأخير يتقاضى راتبا شهريا من قبل الدولة ، فيعطي المتطوع ولو غنيا ، لأنه لحاجة المسلمين وقد ظن البعض ان كلمة « في سبيل الله » تعني كل الأعمال الخيرية ، ولكن لو كان الأمر كذلك لما كان للتخصيص بالاصناف المذكورة في الآية معنى ، ويلحق بهذا الصنف ايضا : الفقير الذي يريد الحج فيعطي ما يحج به الفرض ويعتمر لحديث « الحج والعمرة في سبيل الله » رواه احمد .

واما ابن السبيل ، فهو من انقطعت به الأسباب ، وكان في سفر بحيث لا يستطيع الانتفاع بماله ، وان كان غنيا في بلده ، فيعطى مؤنة سفره إلى بلده شريطة أن يكون سفره في مباح فيعطى الجميع من الزكاة بقدر الحاجة ، فيعطي الفقير والمسكين ما يكفي حوائجهما الضرورية ، والغارم والمكاتب ما يقضيان به دينهما ، والغازي ما يحتاج لغزوه ، وابن السبيل ما يوصله الى بلده ، والمؤلف ما يحصل به التأليف ، والعامل يعطي بقدر أجرته ولو كان غنيا .

ولم تقف الشريعة الاسلامية الخالدة عند هذا الحد في سبيل الوصول بالمجتمع الاسلامي إلى السعادة المادية والكفاية المالية والتضامن الاجتماعي ومحاربة الفقر والحرمان ، وعلى ذلك فقد اخضعت « الأموال الخاصة » لقيود تعود الى « مصلحة الغير » ، هذه القيود إما لمصلحة الغير على التعيين واما لمصلحة الغير « على الاطلاق » والأولى تتناول « النفقات » ، والاخرى تتناول « الصدقات » والصدقات : إما صدقات اختيارية ، واما : صدقات واجبة ، واعتبار الصدقات الاختيارية قيدا على الأموال الخاصة ليس تناقضا ، حقا إن الانسان بمجرد أداء الزكاة المفروضة : يخرج من العهدة ، ولكن كثرة النصوص في الحث على الصدقات الاختيارية : يرفعها إلى درجة اللزوم في حق المؤمن الصادق الذي ينطبق عليه قوله

تعالى : (**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة/ ٢٧٤ وقد وعد الله سبحانه وتعالى عليها احسن الجزاء ، والنصوص في هذا لا تنتهي ، وهي أعظم أبواب القربات إلى الله ، وهي بعد الزكاة ميدان فسيح ، ينبغي ان يتسابق فيه الأغنياء لمصلحة الفقراء ، إذ تجب معاونة من يطلب المعاونة وتضطره الحاجة أن يطلبها ، اما لعجزه عن الوصول إلى بيت المال أو لأن الزكاة تخطئه او لا تسد حاجته ، يقول تعالى : (**ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون**) البقرة/ ١٧٧ وذهب العلامة ابن حزم إلى انه إذا كانت الزكاة لا تسد حاجة الفقراء في قرية او مدينة : وجب على أهل المدينة او القرية ان يسد القادر منهم حاجة العاجز ـ وان لم يفعلوا : كانوا آثمين ، وكان لولي الأمر ان يعزرهم وفي الحديث « حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واعدوا للبلاء الدعاء » رواه احمد ، وللطبراني عن عبادة بن الصامت قال « اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد في ظل الحطيم بمكة فقيل يا رسول الله اتى على مال لي بسيف البحر فذهب به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة فحرزوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا عنكم طوارق البلاء بالدعاء فان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فما نزل يكشفه وما لم ينزل يحبسه ، وعن أنس مرفوعا (ما عولج مريض بدواء افضل من الصدقة) وقد اعتبر القرآن الكريم الصدقة قرضا لله مضمون الوفاء (**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون**) البقرة / ٢٤٥ . وكذلك يبين القرآن الكريم ان الصدقات تنمو في المجتمع : لأنها تعود على صاحبها وعلى الناس بأكمل الخير فهي تطهير للنفس والمال : (**وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين**) سبا / ٣٩ وقال سبحانه وتعالى : (**ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين**) البقرة / ٢٦٥ وصرح سبحانه وتعالى : بان عدم الانفاق يؤدي إلى التهلكة ، لأنه يؤدي إلى ضعف الأمة وتفرق الجماعة (**وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة**) البقرة / ١٩٥ .

ومن الصدقــات الاختياريــة التــي استهان بهــا المسلمــون أخــيرا : الوقف ، ولكنه اختص بميزة عن كل الصدقــات لأن له صفــة الــدوام والاستمرار في الجملة لأن موضوعه : التصدق بالمنفعة المستمرة للعقار .
والوقف نوعان : نوع يتجه إلى ابواب الخير مباشرة ، ونوع يتجه إلى من يحب الواقف افادتهم بمنفعته .

واما الصدقات الواجبـة فمنهـا : صدقة الفطر ، ومنها الكفــارات ، وهي : عقوبــات قدرهــا الشــارع الحكيم عند ارتكاب شئ فيه مخالفة لأوامر الله تعــالى ، وكذلك النــذر ايضا ، من قبيل الصدقات الواجبة ، فمن نذر صدقة معينة مطلقة او معلقة على حدوث امر فانه يكون واجــب الوفاء لقوله صلى الله عليه وسلم « من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » وكذلك من الصدقات الواجبة ، هدى المتمتــع والقارن وكذا دم الجنايات في الحج وهناك دماء وصدقات لا تجب بسبب الجنايات على اعمال الحج وانمــا بسبــب الاخــلال بهــا او بسبــب الاحصار والهدف من ذلك كله : هو التوسعة على المحتاجــين والفقــراء بالاضافة إلى تربية النفس وتهذيبها ، وتعاليم الاسلام دائما تهــدف إلى تحقيق المصالح العامة واعداد الافراد إلى تكافل اجتماعي واضح في جميع نواحي الدعوة ، فالفرد في المجتمع الاسلامي جزء من كل ، الفرد مسئول عن الجماعة والجماعة مسئولة عنه ،

وهذا التقابل هو أول وسائل التكافل الاجتماعي في الاسلام ، وأســاس مقاومة الآفات الاجتماعية (كلــكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في اهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته) . الشيخــان (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) مسلم (مثل المؤمنــين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثــل الجسد ، اذا اشتكى منــه عضــو تداعى له سائر الجســد بالسهــر والحمى) مسلــم (المسلــم اخــو المسلم) مسلم .
بهذا الشعور وبهذا الايمان : تغلب المؤمنون الأوائل على ما صادفهم من أزمات وضائقات ، وحل الرخاء محل الجدب بفضل ذلك التعاون والايثار ، **فبات كل مؤمن آمنا على ماله من مسكن او اثاث او ماله الذي وضعه في التجارة ، ثقة وايمانا بالله جل جلاله حيث كفل لعباده الرزق : (وفي السماء رزقكم وما توعدون)** الذاريات/٢٢ **(وما من دابــة في الأرض إلا على الله رزقها)** هود/٦ .
فهذا بيان لكفالة الله وضمانه لأمر مهم في الحياة ، ألا وهو : **الرزق ، فهل بعد هذه الضمانــة وهــذه الشريعة الخالدة وما احتوته من هدى وتعاليم ـ كلهــا لصالــح الانسان ـ نحتاج إلى البحث عن ضمانة اخرى او قوانين وضعية تنظم لنا أمور معاشنا ؟**

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها .

ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

(حب الوطن من الايمان)
موضوع .

قال السخاوي في المقاصد لم أقف عليه .
وقال الصغاني : **موضوع .**
وقال القارى : موضوع إذ لا تلازم بين حب الوطن وبين الايمان يقول الله سبحانه: **(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم)** فانها دلت على حبهم وطنهم مع عدم تلبسهم بالايمان ، وعقب القارى ولا يخفى أن معنى الحديث حب الوطن من علامة الايمان وهي لا تكون إلا إذا كان الحب مختصا بالمؤمن ، فاذا وجد فيه وفي غيره لا يصلح أن يكون علامة .
ويقول العجلوني في كشف الخفاء المراد الوطن المتعارف بشرط أن يكون سبب الحب هو صلة الرحم ، أو الاحسان الى أهل بلده من الفقراء والأيتام ، ومع هذا لا يلزم أن يكون حب الوطن من الايمان على الاطلاق .
وقال السيوطي في الدرر المنتثرة لم أقف عليه .
ونعيد نشر هذا القول مرة ثانية لطلب السادة القراء ، وكثرة السؤال حوله .

(من أكل طعام أخيه ليسره لا يضره) .
موضوع .

قال السخاوي في المقاصد أورده ابن عساكر في ترجمة أحمد بن سباع من تاريخه ، وقال : إنه من كلام عبد الرحمن بن أحمد بن عطية أبو سليمان الداراني .

شهر شعبان بين العادات والتقاليد

للأستاذ سعد صادق محمد

ليلة النصف في اعتقاد الناس :

شهر شعبان من الشهور العربية التي لها منزلتها في الاسلام ، ولها قدرها في حياة المسلم ، وهو شهر يسبق شهر رمضان المعظم .

ولقد اعتاد المسلمون المتأخرون — في بعض البلاد الاسلامية منذ وقت طويل — أن يحتفلوا بليلة النصف من شهر شعبان ، حين تهل عليهم كل عام من هذا الشهر ، فهم يعتقدون أن ليلة النصف هذه لها مكانة خاصة عند الله ، وأن الاجتماع لاحيائها بالاذكار والعبادة ، أمر يحبذه الشرع ، يجتمعون في المساجد بعد صلاة المغرب ، ويقيمون احتفالا دينيا ، ويصلون فيه صلاة خاصة ، تعرف باسم صلاة النصف من شعبان يتلون فيه سورة يس ويقرأون دعاء خاصا مشهورا يطبعونه ويوزعونه .

ماذا يقول هذا الدعاء :

ونص الدعاء الذي يدعونه به هو « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ، ياذا

الجلال والاكرام ، ياذا الطول والانعام ، لا اله إلا أنت ظهر اللاجئين ، وجار المستجيرين ، وأمان الخائفين ، اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا أو محروما ، أو مقترا على في الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي واقتار رزقي ، واثبتني عندك في أم الكتاب سعيدا ، مرزوقا ، موفقا للخيرات ، فانك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، الهي بالتجلي الأعظم ، في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم ، أن تكشف عنا من البلاء ما نعلم ، وما لا نعلم ، وما أنت به أعلم ، انك أنت الأعز الأكرم » .

يدعون بهذا الدعاء مع ما فيه من التواء في المعنى ويكررونه ثلاث مرات احداها : بنية طول العمر ، وثانيها : بنية رفع البلاء المترقب وقوعه ، وثالثها : بنية الاغناء عمن سوى الله .

ماذا يطلبون :

وإذا أمعنت النظر في هذا الدعاء ، تدرك أنهم يطلبون من الله : تبديل الشقاء بالسعادة والفقر بالاغناء ، والحرمان بالعطاء ، ويتجلى هذا الرجاء في قولهم « اللهم ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا ، أو محروما ، أو مقترا على في الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني واقتار رزقي .. » .

حيثيات الطلب :

وحجة الداعين في هذا الطلب ، وحيثيات رجائهم هو ما استنبطوه من قوله تعالى في أول سورة الدخان : **(حم . والكتاب المبين . انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا أنا كنا مرسلين . رحمة من ربك انه هو السميع العليم)** الدخان/ ١ ـ ٦

وما استنبطوه كذلك من قوله تعالى : **(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)** الرعد/ ٣٩ أما اعتقادهم بأن الليلة المباركة التي وردت في آية سورة الدخان ، بأنها « ليلة النصف من شعبان ، وان فيها يفرق كل أمر حكيم ، فهو اعتقاد خاطئ ، يجافي المعاني الحقيقية للآية ولا أساس له من الصحة ، فان الليلة المباركة الواردة في سورة الدخان هي إحدى آيات ثلاث ، وردت بشأن « ليلة القدر » وهي إحدى ليالي شهر رمضان . الآية الأولى ، هي ما جاء في قوله تعالى :**(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)** البقرة/ ١٨٥ وهذه الآية تتحدث عن إنزاله والزمن الذي أنزل فيه .

والآية الثانية هي قوله تعالى :**(إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين)** وهذه الآية تصف الليلة التي أنزل فيها القرآن بأنها « ليلة مباركة » ، والبركة هي النماء والزيادة والفيض .

والآية الثالثة : هي قوله تعالى في

أول سورة القدر: **(إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهـر)** القدر/ ١ـ٣ وهذه الآية تصف هذه الليلة « ذات قدر » وهو الشرف وعلو المكانة ، وانها ليلة تعدل ألف شهر في ثواب العبادة وأجرها ، وفي هذا حث للمسلمين ودفع لهم على الاكثار من عمل الصالحات ، والتعبـد في هذه الليلة .

من هنا يتضح لنا أن الآية الواردة في سورة الدخان والتي يتخذونها حجة لما يطلبون ليست خاصة بليلة النصف من شعبان ، إذ لم يرد نص قاطع ولا خبر متواتر عن ذلك ، بل هي والآيتان الأولى والثالثة السابق ذكرهما ، هي خاصة بليلة القدر التـي تأتـي في رمضان في العشر الأواخر منه ، وقد جاءت الأحاديث النبوية تحث المسلم على التماسها في الليالي الوتر ، لما فيهـا من الخـير والبـر والهـدى والثواب .

آية المحو و الاثبات :

أما الآية (يمحو الله ما يشاء ويثبـت وعنـده أم الكتـاب) الرعد/ ٣٩ وهي الآية التي يذكرونها في الدعاء تبريرا لطلبهم حين يطلبون : محو الشقاء وتبديلـه بالسعـادة ، والفقر وتبديله بالغنى ، والحرمـان وتبديله بالعطاء ، هم حين يفعلون ذلك يحرفـون الكلـم عن مواضعـه ، ويصرفونها عن مرادها التي أنزلت له ، فهذه الآية سيقت لتقرير أن الله ينسخ من أحكام الشرائع السابقة ، ما لا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة ، أي أن الله يمحو من شريعة موسى ما يشاء ويثبـت في شريعـة عيسى ما يشاء ، وكذلك يمحو من شريعة عيسى ما يشاء ، ويثبت في شريعة محمد ما يشاء ، وهكذا بحسب ما تقتضيه سنة الله في تغيـير أحـوال البشر وتطورها ، بنسخ الله منها ما يستحق نسخه ويلـزم محـوه ، ويثبـت ما تقتضيه حكمته ويراه عدله ورحمته بالبشرية صوابا وخيرا وهدى . ان ما يطلبه المحتفلون والداعون في ليلـة النصف من شهر شعبان ، وهو من الأصول الثابتة في حيـاة البشر ، كالتوحيد والاحياء والاماتة والبعث وتحريم الفواحش .. هي من الأصول الثابتة والأحداث الكونية التـي لا مجال فيها للتغيير والابدال .

يطلبون المستحيل :

وهم حين يطلبون تبديل الشقاء بالسعـادة ، والفقـر بالاغنـاء ، والحرمان بالعطاء انما يطلبون من الله تبديل كلماته وتعديـل قضائـه ونسخ قدره .

ولنأت بدليل واحد ، نبين به أنهم يطلبون المستحيل ، فنحن نعلم أن الانسان قد قدر له رزقه وأجلـه ، وعمله وشقاؤه أو سعادته وهو في بطن امه ، كما يدل على ذلك الحديـث المروي عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلـم ، قال : ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم

يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . رواه البخاري في بدء الخلق وأخرجه مسلم ايضا بروايات متعددة في باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه .

فهل يدخل في نطاق المنطق والعقل أن الله يغير ما أمر الملك أن يكتبه من الرزق ، والأجل والعمل والشقاء أو السعادة ، فيبدل شيئا مما كتب ؟ ان هذا ضرب من المستحيل فالله تعالى يقول: **(لا تبديل لكلمات الله)** يونس / ٦٤ ويقول: **(ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد)** ق / ٢٩ .

آراء الفقهاء في ليلة النصف :

ذكر الامام السيوطي في كتابه « الدر المنثور » في تأويل قوله تعالى في سورة الدخان : **(إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم)** ان الحديث المتصل بهذه الليلة أخرجه ابن أبى شيبه ، وورد فيه أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لكل شيء الا لرجل مشرك أو رجل في شحناء » .

وأخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل يصلي . فأطال السجود ، حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك ، فرجعت ، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من الصلاة قال « يا عائشة ظننت أن النبي قد خاس بعهدك » قلت : لا والله يا نبي الله ولكنني ظننت انك قد قبضت لطول سجودك ، فقال « أتدرين أي ليلة هذه ؟ » قلت الله ورسوله أعلم .. قال « هذه ليلة النصف من شعبان ، يغفر الله فيها للمستغفرين ، ويرحم الله المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

ويقول الشيخ محمد عبده في تفسيره لجزء عم عن الليلة المباركة .. « أما ما يقوله الكثير من الناس من أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان ، وأن الأمور التي يفرق فيها هي : الأرزاق والأعمار وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك في ليلة القدر فهو من الجرأة على الكلام في الغيب بغير حجة قاطعة ، وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشيء من ذلك ما لم يرد به خبر متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ومثل ذلك لم يرد لاضطراب الروايات وضعف أغلبها ، وكذب الكثير منها ومثلها لا يصح الأخذ به في باب العقائد ، فانه لا يجوز أن يدخل في عقائد الدين لعدم تواتر خبره عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه ، والاكثار من الذين :(إن يتبعون إلا الظن) نعوذ بالله .

وقد وقع المسلمون في هذه المصيبة .. مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله وبعد عن عقائد المسلمين ، وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل ،

فاحذر أن تقع فيه مثلهم .

ويتحدث الشيخ محمود شلتوت عن الليلة المباركة في كتابه « الفتاوى » فيقول « ... والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفظت روايته عن أصحابه ، وتلقاه أهل العلـم والتمحيص بالقبول ، انما هو فقط فضل شهر شعبان كله ، لا فرق بين ليلة وليلة وقد طلب فيه ــ على وجه عام ــ الاكثار من العبادة وعمل الخير وطلب فيه الاكثار من الصوم على وجه خاص ، تدريبا للنفس على الصوم واعدادا لاستقبال رمضان حتى لا يفاجأ الناس فيه بتغيير مألوفهم ، فيشق عليهم . فقد روى أبو داود ان عبد الله بن ابى قيس ، سمع عائشة رضي الله عنها تقول : « كان أحب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصومه : شعبان »

وقد سئل النبي صلى الله عليـه وسلم : أي الصـوم أفضـل بعـد رمضان ..؟ قال « شعبان لتعظيـم رمضان » .

وتعظيم رمضان انما يكون بحسن استقباله ، والاطمئنان اليه بالتدريب عليه وعدم التبرم منه .

أما بخصـوص ليلـة النصـف والاجتماع لاحيائها ، وصلاتهـا ، ودعائها ، فانه لم يرد فيهـا شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرفها أحد من الصدر الأول » .

الطريق الصحيح للعبادة :

وبعد .. فان الثابت من واقـع الكتاب والسنة النبوية أن « الليلة المباركة » المذكورة في سورة الدخان هي احدى الليالي العشر الأواخر من رمضـان وليسـت ليلـة نصـف شعبان » .

وأن آية المحو والاثبات الواردة في سورة الرعد لا شأن لهـا بتغيـير الارزاق والفقر ، والشقاء ، وإنمـا هي خاصة بالشرائع التي تنزل من عند الله فيصير نسخهـا طبقـا لما تقتضيه حالة كل أمة وما تتطلبه من تطور .

ان على المسلم أن يتحرى الطريق الصحيح لعبادة الله والطريـق الى العبادة هو ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بين للناس ما نزل اليهم ، فاذا فعل الانسان ذلك أمكنه أن يميز بين التقاليد الموروثـة فلا يجري وراءها مهما كثر الآخذون بها وبين ما صح عن رسول الله .

فالمسلم مسؤول وحده أمام الله ، عما يأخذ وما يدع من دينه ، لأنه بهذا الأخذ والترك وطبقا لهذا التعامـل يحدد مصيره في الآخرة بنفسه وهو مسؤول عما كسبت يداه كما يقول الله عز وجل : **(كل نفس بما كسبت رهينة)** المدثر/٣٨

كما أن نفسا لا تتحمل وزر نفس أخرى ، وليست مسؤولـة عمـا كسبت كما يقول تعالى:(ولا تزر وازرة وزر أخرى) الاسراء/١٥ .

والله نسأل أن يبصرنا ــ بأمور الدين والدنيا وبالطريق المستقيم حتى نكون في عداد من أنعم الله عليهم من النبيـين والصديقـين والشهـداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ..

مائدة القارئ

غض البصر

قال تعالى : (قُلْ للمؤمنينَ يَغضوا من أبصارهم ويَحفظُوا فروجَهم ذلك أزكى لهم إن اللهَ خبيرٌ بما يَصْنعون . وقل للمؤمناتِ يغضضن من أبصارِهن ويحفظنَ فروجَهن ولا يُبدينَ زينتهنّ إلا ما ظهر منها) الآيتان ٣٠ و ٣١ من سورة النور .

كلهم سواء

خصص أحد كبار الأغنياء مبلغا كبيرا من المال لعلاج المرضى الفقراء من كل جنس ودين وطائفة . فقال له رجل : كان يجدر بك أن تخصص هذا المبلغ الضخم لمرضى ديانتك وحدهم .
فأجاب المحسن : لا يا أخي ، فليس هناك ــ مثلا ــ طاعون مسيحي ، ولا سرطان يهودي ، ولا آخر إسلامي ، فكل المرضى عندي سواء .

ما ذنب السيف ؟

ورث ولدان عن أبيهما سيفا ، وحيث أنه لا يمكن قسمة السيف بينهما ، فقد اتفقا على أن يستعمله أحدهما وقتا والآخر وقتا مثله .
فكان أحدهما يستعمله في قطع الطريق ، والاعتداء على الناس .
والآخر : كان يجاهد به في سبيل الله .
فما ذنب السيف ؟!

القناعة

قال الشاعر :

عزيز النفس من لزم القناعة ... ولم يكشف لمخلوق قناعه
نفضت يدي من طمعي وحرصي ... وقلت لخالقي سمعا وطاعة

حرمة البيوت

روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو اطلعَ في بيتك أحدٌ ولم تأذن له ، خنفته بحصاةٍ ففقأتَ عينَه ، ما كان عليك من جُناح » أخرجه البخاري .

الحجاب

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجتين من أزواجه ، فوجد عندهما عبد الله بن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ فرآهما تقرآن عليه القرآن .
فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعاتبهما ، وقال لهما : احتجبا عنه .
فقالتا : إنه أعمى يا رسول الله لا يبصرنا ، ونحن نتعلم منه .
فقال رسولنا المعلم : أفعميا وان أنتما ؟ ألستما تبصرانه .

الامبراطور .. والشاعر

كان الامبراطور الكبير يحب الشعر ، وكان ينظم قصائد ركيكة . ثم يعطيها للشاعر لينقحها له . فلما غضب الامبراطور على الشاعر طرده قائلا : « إننا نلقى قشر البرتقالة ، بعد أن اعتصرناها » .

فسمع الشاعر ما قاله الامبراطور مشيرا الى تنقيحه لشعره . فقال الشاعر :
« لقد كنت أغسل للامبراطور ثيابه القذرة » .

الناس والحاكم

لما استخلف عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ أرسل إلى سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب .. فقال لهما : أشيرا علي .
فقال سالم : اجعل الناس أبا وأخا وابنا . فبر أباك ، واحفظ أخاك ، وارحم ابنك .
وقال محمد بن كعب : أحبب للناس ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك .

هل يعود الإسلام لبلاد المسلمين

للاستاذ محمد عزة دروزة

مقال قيم ، وسؤال صحيح بعيد المدى ، ويثير مع الاسف اشد المرارة والألم ، فمعظم المسلمين في بلادهم مسلمون جغرافيا او رسميا وحسب ، ومعظم الذين يمارسون الشعائر الدينية منهم لا يتجاوز أثرها حلاقيهم أى لا تنعكس على أعمالهم وسلوكهم مع أنها هدفت إلى ذلك كما يبدو من كثير من آيات القرآن وهذا بعضها :

١ ــ يا أيها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (البقرة/١٨٣) .

٢ ــ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (التوبة/١٠٣) .

٣ ــ وآذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام (الحج/٢٧و٢٨) .

٤ ــ اتل ما أوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر . (العنكبوت/٤٥) .

ومعظم ناشئتهم ومثقفيهم بالثقافة الحديثة منقطعو الصلة عن دينهم فهما وتعبدا واهتماما بل وعدم مبالاة

بالانتساب إليه . وقد سميتهم في كتابي (القرآن والملحدون) بالملحدين ممارسة ..
والحاجة شديدة الالحاح إلى الدعوة إلى الاسلام الصحيح في بلاد المسلمين في الدرجة الأولى من أجل ذلك كله ، ولا يفيد الاسلام أن يكسب خارجها بالدعوة — مع التسليم بوجوب ذلك — معتنقين جدا بينما هو غريب في عقر داره . وهذه الدار هي عدة الدعوة إليه خارجها فيكون الداعي كالطبيب الذي يحاول أن يداوي غيره وهو عليل .
وكل منا يعرف أن بعض المخلصين الصادقين في ايمانهم الفاهمين للاسلام الصحيح الذين رأوا غربة الاسلام في بلاد المسلمين ورأوا عدم فهم معظم المسلمين لدينهم فهما صحيحا وعدم تمسكهم بمبادئه وواجباته التعبدية والسلوكية وعدم انعكاسه على سلوكهم واخلاقهم أنشأوا في الثلاثينيات من هذا القرن بل قبلها ثم بعدها تنظيمات للدعوة إلى الاسلام الصحيح ومبادئه السامية وبثها في نفوس المسلمين بسبيل إعادة الاسلام إلى بلاد المسلمين . ولقد استجاب الآلاف من شباب المسلمين وكهولهم من ذكور وإناث ومنهم كثير من المثقفين إلى هذه الدعوة الخيرية وأخذوا يعودون إلى الاسلام الصحيح عقيدة وسلوكا وممارسة شعائر وأخذت هذه الحركة المباركة تبشر بأحسن الآمال والنتائج كلما اتسع نطاقها وساعد على هذه الاستجابة ما في مبادئ الاسلام وتوجيهاته من بعد مدى ونفوذ وسمو وبخاصة كون الاسلام وسطا لا إفراط فيه ولا تفريط ولا تزمت ولا ميوعة ولا جمود ولا تهافت ولا تقتير ولا إسراف ولا حرمان للطيبات وزينة الله ولا استغراق ولا إجبار ولا إحراج . وكونه يساوي بين جميع الناس والألوان والاجناس في كل الحقوق والواجبات ولا يفضل احدا على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح . وكونه ذا مرونة عظيمة تجعل توجيهاته وتعليماته ومبادئه ووصاياه منطبقة في كل ظرف ومكان ويجد فيه كل الناس في كل وقت حلا لمختلف مشاكلهم وسؤالا لكل أسئلتهم ومسائلهم العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والانسانية والشخصية والأسرية (العائلية) ويمنحهم الحرية الواسعة ويفتح أمامهم الآفاق الواسعة في كل أمر وبحث وعلم وفكر غير محدودة إلا بحدود الايمان بالله وحده واليوم الآخر وكتبه ورسله ومكارم الأخلاق وعدم الاثم والبغي والعدوان ..
ولكن تلك التنظيمات لم تلبث مع الأسف الشديد أو لم يلبث زعماؤها أن أدخلوا السياسة فيها فبدت وكأنها معادية للسلطات القائمة . ساعية داعية ضدها بحجة انحرافها عن الاسلام . ووصل الأمر الى تثبيط الناس عن الجهاد ضد الأعداء والمعتدين تحت راية هذه السلطات اذا دعت إليه . وعن دفع الضرائب لها وعدم الالتزام بقوانينها . وأخذت تدبر وتسعى لقلبها واستلام زمام الحكم مغترين بالآلاف الذين

استجابوا للدعوة رغم أنهم ما يزالون قلة ضئيلة جدا .

وقد يكون كثير من القائمين على السلطة ورجالها في معظم بلاد العرب والمسلمين منحرفين عن الاسلام الصحيح وقد يكون لانحرافهم أثر كبير فيما طرأ على الاسلام من إهمال وغربة . وقد يكون من الضروري والحق والواجب أن تكون السلطة في بلاد الاسلام في الأمناء المخلصين من المؤمنين الصادقين . وقد يكون صحيحا أن هذه التنظيمات وزعماءها الذين بدوا متصفين بهذه الصفات أقدر على إنجاح الدعوة إلى الاسلام وإعادة الاسلام إلى بلاد المسلمين إذا ما وصلوا إلى الحكم وأمسكوا بزمام البلاد .

ومهما يكن من أمر فان السلطات تنبهت مبكرا إلى ما في حركة هذه التنظيمات ونشاطها وتطلعاتها السياسية من خطر عليها إذا ما اتسق أمرها واتسع نطاقها وصلب عودها فوقفت منها موقف المحاصرة والمطاردة والقمع فكان ذلك سببا لتعثر الحركة وانحسارها وخسر الاسلام الصحيح بذلك خسارة عظمى .

ولقد تنبهت إلى ما في تسبب هذه التنظيمات من خطر على الدعوة . وما في هذا الخطر من خسارة عظمى للاسلام والمسلمين لأن الدعوة اخذت تبشر بأحسن النتائج ويتسع نطاقها ونلمس آثارها في المستجيبين إليها ايمانا وشعائر وسلوكا واخلاقا وحرارة وحماسا وتحررا من البدع والضلالات . فنبهت إلى ذلك واهبت بزعمائها إلى الاقتصار على الدعوة بدون سياسة في مراحل نموها على الأقل في كتابي (مشاكل العالم العربي) سنة ٩٥٣ وقلت إن الفرصة لم تفت لأن ذلك لم يكن قد بلغ مبلغ التورط والعمق والتقيت ببعض زعمائها من أصدقائي وناقشتهم وسلموا بما قلت ، ومع الأسف فان ذلك الذي كان يشاركني غيري فيه أيضا لم يجد نفعا .

ومما كان من هذه التنظيمات وكان من أسباب الانقباض عنها مناوأتها للدعوة الى الوحدة العربية بحجة ان الواجب يقضي بالدعوة الى الوحدة الاسلامية غافلين عن أن الوحدة العربية هي في حد ذاتها وحدة اسلامية لأن ٩٥٪ من العرب مسلمون ، وغافلين كذلك عن ان الدعوة إلى الوحدة الاسلامية لا بد لها من داع مؤثر . وان العرب أولى الناس بذلك وأنهم إذا اتحدوا وصاروا دولة عظمى قوية صارت دعوتهم للدولة الاسلامية الى الاتحاد او الوحدة مستجابة ولا سيما إنه ليس في الدول الاسلامية غير العربية من هو في قوة ومنعة وبروز ونفوذ تستطيع ان تدعو الى وحدة اسلامية ويستجاب إليه .

كذلك مما كان من هذه التنظيمات وكان من أسباب الانقباض عنها . وليس له مبرر ولا معنى مهم في الوقت نفسه هو تحريم الانتماء القومي أي نسبة المسلم نفسه بأنه عربي أو مالاوي أو باكستاني الخ . والاصرار على الاكتفاء بانتمائه الى الاسلام

غافلين عن أن ذلك من طبيعة الأشياء وليس من شأنه ان يفيد انكار المنتمي لاسلامه اذا ظل الأمر على سجيته . وحينما يخرج عن هذه السجية الى انكار المنتمي لاسلامه يصبح الأمر مختلفا ولا يكون المنتمي مسلما يجب معاملته في نطاق ذلك .

والى هذا وذاك فان بعض دعاة بعض هذه التنظيمات بل وأفرادها يعنفون في دعوتهم ويكونون فظاظا في تقريرها والدعوة اليها ويغلون في تثريب من يظنونه منحرفا عن الاسلام الصحيح ويلصقون الكفـر والفسق بالنـاس بالحق وبالباطل حتى لقد وصل الأمر الى اعتبار بعضهم حلق الذقن كفرا لأنه تبديل لخلق الله ... فكان ذلك مما أثار ويثير الانقباض عنها أيضا .

ولقد كان ينبغـي على التنظيمـات وزعمائها ان يكون لهم في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقينات القرآن الكريم الأسوة والقدوة والمنهج الصحيح . فرسول الله صلى الله عليه وسلم مكث ثلاث عشرة سنة يدعو الى الله وحده ومكارم الاخلاق ويحارب الشرك وسيئات الاخلاق والأفعـال بصورة عامة والقرآن الذي نزل عليه فيها يدور حول ذلك . ولقد رسم الله لرسوله والمؤمنين خطة مثلى للدعوة . **(ادع الى سبيل ربـك بالحكمـة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيلـه وهـو أعلـم بالمهتدين)** (النحل/ ١٢٥) . وقد أمر الله رسولـه والمؤمنـين بعـدم الاصطدام بالمشركين وعدم الرد عليهم إذا ما تحرشوا بهـم واستفزوهـم وايكال امرهم إلى الله : **(قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجـزي قومـا بمـا كانـوا يكسبون . من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكـم ترجعون)** (الجاثيـة/ ١٤و١٥) . والاكتفاء بعدم مجالستهـم إذا ما خاضوا في آيات الله خوضا فيه سوء أدب : **(واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعـرض عنهـم حتـى يخوضوا في حديث غـيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكـرى مع القـوم الظالمـين** (الانعام/٦٨) . وقد ذكرهـم الله بهذا العهد المدني حتى لكأنه يوجبه عليهم في هذا العهد أيضا : **(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخـوضوا في حديث غـيره** (النساء/ ١٤٠) . وأمر الله رسوله والمؤمنين بالتبعيـة بالصبر وعدم الاستجابة للاستفزاز وفي تقرير كونه منذرا وليس مسئولا عنهم في آيات عديدة هذا بعضها :

١ ـ **(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى عليها ومـا أنـت عليهـم بحفيـظ** (الانعام/ ١٠٤) .

٢ ـ **(قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل . واتبع ما يوحي إليك واصبر حتى يحكم الله وهـو خـير الحاكمـين)**

(يونس/١٠٨و١٠٩) .
٣ ـ **(واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)** (النحل/١٢٧و١٢٨) .
٤ ـ **(فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)** (الروم/٦٠) .
٥ ـ **(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)** (فاطر/٨) .

ولقد أمر الله جل وعز المؤمنين بعدم سب آلهة المشركين مع ان محاربة الشرك من أهم المسائل الرئيسية التي دار عليها القرآن المكي زيادة في الحرص على عدم استفزازهم : **(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)** (الانعام/١٠٩) .

وأسلوب ما في القرآن المكي من الدعوة إلى صالح الأعمال والاخلاق والنهي عن سيئاتها اسلوب عظة ونهي وتنويه وتنبيه دون تشريع لأن التشريع بدون سلطان ينفذه ، يظل بدون جدوى وليستعرض القارىء لفهم مدى ذلك مجموعات سورة الانعام : **(تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ... الخ)**١٥١ وسورة الاسراء : **(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه .. الخ)**/٢٢ .

ولم يكتب الله على المؤمنين الجهاد في هذا العهد . وكل هذا متصل بالحكمة التي نبهنا عليها كما هو المتبادر .

وقد التزم النبي صلى الله عليه وسلم بكل ذلك وربي المؤمنين الأولين عليه . فلم يتخلوا عن هذه الخطة إلا بعد أن صار بيئة منيعة جمهورها مسلمون مخلصون مستعدون للحياة ومقتضياتها في نطاق الدولة .

بل إن شيئا من الخطة ظل مرعيا في العهد المدني وفي عهد السلطان الاسلامي وقوته . فقد قرر القرآن كفر المنافقين ومحاصرتهم وأمر بمجاهدتهم وتقتيلهم ولكنه ربط ذلك بعدم انتهائهم وتوبتهم : **(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير)** (التوبة/٧٤) **(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا)** (الاحزاب/٦٠و٦١) .

ولم يؤثر على النبي صلى الله عليه وسلم أن قتل أو أمر بقتل منافق رغم أن بعضهم ظل في نفاقه ومحاصرته إلى النهاية .

والى هذا فان شيئا من هذه الخطة ظل مرعيا بالنسبة للمؤمنين غير المنافقين الذين كان منهم بعض المواقف المؤذية او الخطرة على ما يستفاد من آيات

كثيرة مدنية اكتفت بالتنديد والتثريب دون العنف والصرامة والتنكيل ، هذا بعضها :

١ ـ (**ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شئ قل إن الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا**) (آل عمران / ١٥٤) .

٢ ـ (**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**) (آل عمران / ١٥٦) .

٣ ـ (**ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله**) (النساء / ٨١) .

٤ ـ (١ ـ **يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا**) (الاحزاب / ٦٩) .

٥ ـ (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل**) (الممتحنة / ١) .

٦ ـ (**يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**) (الصف / ٢و٣) .

ومهما يكن من أمر فان الدعوة إلى الاسلام الصحيح واعادته إلى بلاد المسلمين شديدتا الالحاح والوجوب على المخلصين الصادقين . وهما فرضان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما تضمنته آية آل عمران / ١٤٤ (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**) بحيث إن إثم التقصير في ذلك يلحق جميع المسلمين فضلا عن بقاء ما هو قائم راهن من غربة الاسلام في بلاد المسلمين وما ينتج عن ذلك من وهن وهوان لجميع المسلمين . وكل ما ينبغي هو أن يستمد المخلصون الصادقون الذين يجب عليهم الأضطلاع بهذا الواجب خطة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهات القرآن معا واجتناب استعداء السلطات وغيرهما وحملهما على التوجس من دعوتهم قبل أن تصبح كاسحة ومنيعة .

ومجال دعوة المسلمين إلى الاسلام الصحيح واسع جدا بدون حاجة إلى اظهار العداء للسلطات واستعدائها .

١ ـ فكثير من المسلمين وبخاصة ناشئتهم ومثقفيهم يهملون شعائر الدين او اركانه من صلاة وصيام وزكاة .

٢ ـ وكثير منهم يتعاطون المسكرات والمخدرات والفواحش .

٣ ـ وكثير منهم فظاظ شرس في معاملاتهم مع غيرهم .
٤ ـ وكثير منهم يغتابون غيرهم ويمكرون بهم ويكيدون لهم ويلمزونهم بالالقاب ويسيئون الظنون بدون سند ويفسدون بين الناس بالوشاية والنميمة .
٥ ـ وكثير منهم لا يبالون بما عليهم ازاء غيرهم من واجبات متنوعة .
٦ ـ وكثير منهم يسيئون استعمال رخصة تعدد الزوجات .
٧ ـ وكثير منهم يسيئون معاملة نسائهم واولادهم بدون حق وموجب .
٨ ـ وكثير من الموسرين لا يبالون بما يقاسيه الفقراء والمساكين من عوز وحرمان وفاقة .
٩ ـ وكثير منهم يجورون على مزارعيهم وعمالهم ولا يعطونهم ما يستحقون ولا يحسنون معاملتهم .
١٠ ـ وكثير منهم يحتالون لأكل اموال الناس بالباطل بمختلف الاساليب .
١١ ـ وكثير منهم يهملون فرض الوصاية للمحتاجين من اقاربهم والفقراء المساكين ومشاريع الخير والبر والتعليم المتنوعة .
١٢ ـ وكثير منهم لا يكترثون لنظام ونظافة ويخالفون في سلوكهم الآداب والاذواق العامة المستحبة .
١٣ ـ وكثير منهم يتساهلون في موضوع حشمة النساء والاختلاط المنكر المحرم الذي لا يقره ذوق ولا أدب فضلا عن الدين .
١٤ ـ وينتشر بين المسلمين كثير من البدع والضلالات والخرافات التي تسهم في تخلفهم وفي عدم فهمهم للاسلام الصحيح .
١٥ ـ الأمية متفشية في المسلمين حتى لتبلغ نسبتها في بعض بلادهم التسعين في المائة وهذا يسهم في تخلفهم وتعثرهم وعدم فهمهم للاسلام الصحيح . وقد فرض الله العلم وطلبه على كل مسلم ومسلمة .
وبين المسلمين خلافات مذهبية وطائفية وعقائدية تسهم في فرقة المسلمين وفي جعلهم يساوى بعضهم بعضا ويسى بعضهم الظن في بعض حتى لتبلغ احيانا درجة العداء . .
ففي كل هذا وما من بابه مما لم نذكره مجال واسع للدعوة الى الاسلام الصحيح واعادته إلى بلاد المسلمين والنهوض بهم الى ما أراده الله ورسوله لهذا الدين وأهله من رفعة وظهور وتحقيق كون المسلمين أمة وسطا داعية للناس وشهيدة عليهم وخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله وتغدو بذلك أهلا لاستخلاف الله إياها في الأرض وتمكن دينها الذي ارتضاه لها عبر تنظيمات عديدة . ودون أن يكون ضرورة ولا محل للسياسة والعنف واستعداء السلطات والناس . وحينما يتحقق كل ذلك في المسلمين أو في قطاع كبير منهم فان السياسة تأتي الى الدعاة تجر أذيالها .

١ ـ هذا المقال نشر في عدد رجب ١٣٩٨ يونيو ١٩٧٨ من الوعي الاسلامي بقلم الدكتور عبد السلام الهراس .

لغويات

يقولون ....

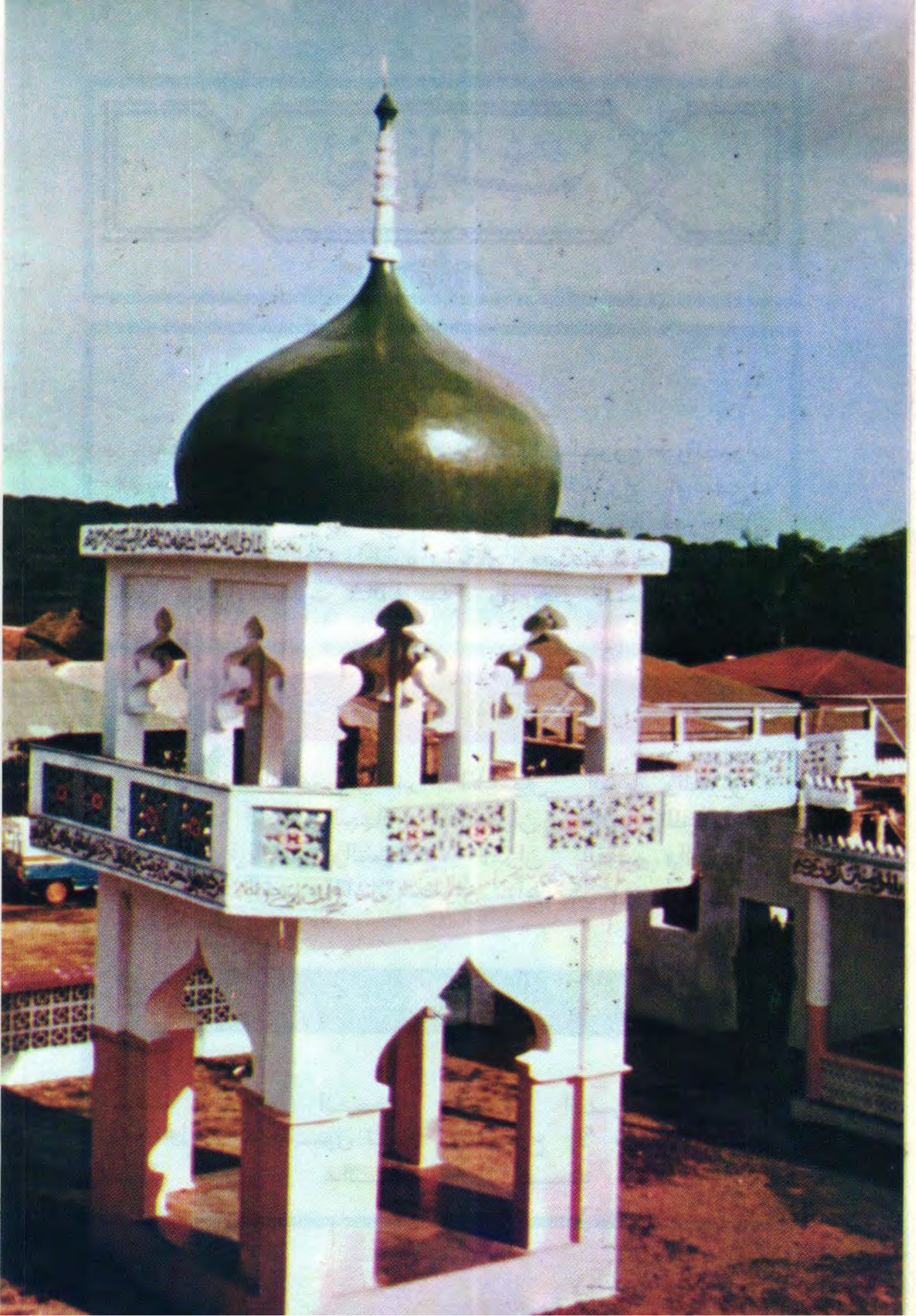
يقولون : « مراقب الادارة صرح لفلان بالخروج » والصواب أن يقال : اذن لفلان في الخروج ، أو أباح له الخروج ، أو سمح له بالخروج .. أما الفعل صرح فله معان كثيرة .. يقال صرح فلان بما في نفسه أي كشفه وأظهره ، ويقال : صرحت الخمر أي انجلى عنها زبدها فصارت خالية منه ، وصرحت السنة أي ظهرت جدوبتها ..

مثنى يدل على شيئين غير متشابهين

القمران : الشمس والقمر : الأعميان : السيل والحريق ، الكريمان : الحج والجهاد ، الأصغران : القلب واللسان ، الحسنيان : النصر والشهادة ، الأمَرَّان : الفقر والهرم ، الأسودان : التمر والماء ، العمران : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ..

(أبيات جميع حروفها بدون نقط)

الحمد لله الصمد ... حال السرور والكمد
الحول والطول له ... لا درع إلا ما سرد
كل سواه هالك ... لا عدد ولا عدد



كينيا

للأستاذ : عبد الغني محمد عبدالله

عرف العرب سواحل هذه البلاد واستقروا عليها قبل اكثر من ثلاثة الاف سنة كما عرفها البرتغاليون في العصر الحديث . فقد وصل من المحيط الهندي الى سواحل كينيا أسد البحر شهاب الدين احمد بن ماجد وهو يقود سفن الملاح البحري المكتشف فاسكودا جاما البرتغالي ونزل في مدينة مالندي عام ١٤٩٨ م .

وبالرغم من أن كينيا تقع في المنطقة الاستوائية ، إلا أنها لا تملك من الصفات الاستوائية الا الموقع . فالمناخ والنبات فيها بعيدان كل البعد عن صفات مناخ ونبات المنطقة الاستوائية ، هذا فيما عدا السهل الساحلي المنخفض ، الذي تظهر عليه بعض السمات الاستوائية . أما الأقسام الباقية المرتفعة منها فتغطيها السافانا والشجيرات لذلك يمكن اعتبار الجزء الاكبر من كينيا منطقة صحراوية .

وتبلغ مساحة كينيا (٥٦٩.٢٥٢) كيلو متر مربعا أي أنها اكبر قليلا من مساحة فرنسا .

ويحدها شرقا المحيط الهندي والصومال ، وجنوبا تنزانيا وغربا



○ مسجد الحنفاء .

اوغندا والسودان وشمالا أثيوبيا وليس في كينيا سوى نهر واحد هو نهر تانا .. ومعظمه غير صالح للملاحة وأهم جبالها جبل (كينيا) التي سميت البلاد باسمه ويبلغ ارتفاعه (١٧) ألف قدم وجبل الجون على حدود اوغندا ويبلغ ارتفاعه (١٤) ألف قدم وكذلك سلسلة جبال (ابراديما) وفي هذه الجبال منحدرات وعرة ذات أشجار وغابات كانت مأوى لجماعات الماو ومركزا لشن غاراتهم ضد الاستعمار الانجليزي .

وكينيا حاليا جمهورية مستقلة عاصمتها نيروبي استقلت بعد حكم استعماري استمر حوالي ٧٠ سنة فقد استولى الانجليز عليها عام ١٨٣٢ م وأعلنوا حمايتهم عليها رسميا عام ١٨٩٥ م . وفي سنة ١٩٢٠ م جعلوها مستعمرة بريطانية وتحت ضغط الأعمال الفدائية التي قامت بها جماعة الماوماو استطاعت كينيا الحصول على استقلالها عام ١٩٦٣م .

وتخضع كينيا لحكم نظام الحزب الواحد وهو (الاتحاد الوطني لكينيا) ومجموع سكانها يبلغ الآن حوالي (١٣) مليون نسمة ويعيش فيها أكثر من خمسين قبيلة إفريقية بجانب السكان العرب والأوروبيين والهنود والباكستانيين وقد قسمت كينيا الى أقاليم ثمانية هي :



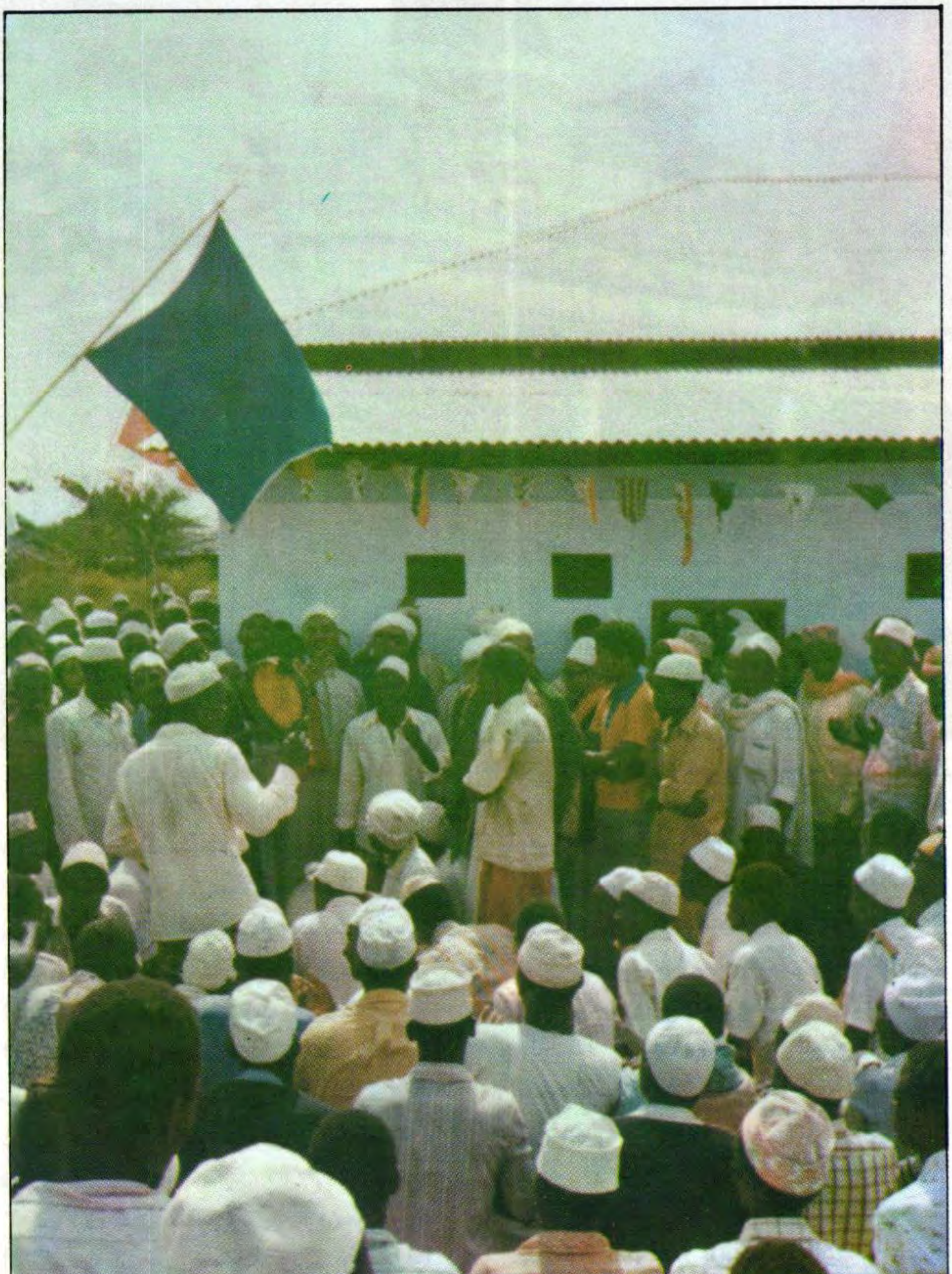
○ مسجد ممبروى قرب مدينة مالندى .

١ ـ **اقليم الساحل** : ويسكنــه في الشمال ابتداء من مدينة ممباسا إلى حدود جمهورية الصومال مجموعة من العرب والأفريقيــين وجميعهــم من المسلمين ، وفي الجنوب من ممباسا الى حدود تنزانيا تسكن عدة قبائل نسبة المسلمين فيهم ٨٠٪ أما قبائل غرب هذا الاقليم فنسبة المسلمــين فيهم ٢٠٪ .

٢ ـ **الاقليم الشرقي** : وأهم مدنه الرئيسية ، هي ماجاكوس وكينوى وسكانه من القبائل ونسبة المسلمين فيهم ٣٠٪ ومساجدهم متفرقة تبعا للمناطق التي يعيشون فيها .

٣ ـ **الاقليم الشمــالي الشرقــي** : معظم سكانه من الصوماليين ونسبة المسلمين فيهم ٩٩٪ وأقلية ضئيلة من المسيحيين وطبيعة هذا الاقليم جافة ، وأرضه غير صالحة للزراعة بسبب الحرارة والجفاف ويعيش سكانه على تربية المــواشي كالأبقــار والأغنــام والجمال ومعظمهم من البدو الرحل الباحثــين عن المــاء والأعشاب لمراعيهم .

٤ ـ **الاقليم الأوسط** : أرض هذا الاقليم رطبة وصالحــة للزراعــة ، خاصة الفواكه والخضروات والبــن ونسبة المسلمين فيه ١٠٪ وللمسلمين هناك جمعية واحدة كبيرة تسيطر على جميع المناطق التي يسكــن فيهــا المسلمون وتعــرف باسم (جمعيــة البلدية الاسلامية) .



○ حفل افتتاح مسجد ومدرسة النصر .



○ مسجد الشيخ الجنداني في ممباسا .

٥ ـ **اقليم مدينة نيروبي** : وفيه عاصمة البلاد ، وهي مدينة جميلة في تنظيمها وشوارعها وتعتبر أجمل مدن شرق افريقيا ومعنى كلمة نيروبي في لغة (الملساي) الماء الحلو .

٦ ـ **اقليم رفت فالي** : سكان هذا الاقليم من قبيلة (الكالجيني) ثاني أكبر القبائل الكينية فاركورو وكريتشو ونسبة المسلمين فيه ٦٪ وهو مركز تجمع للأوروبيين وللمسيحيين فيه نشاط كبير .

٧ ـ **الاقليم الغربي** : مناخه رطب ويعيش معظم سكانه على الزراعة ونسبة المسلمين فيه ٧٪ .

٨ ـ **إقليم النيانزا** : إقليم صالح للزراعة ويعيش سكانه على صيد الأسماك من بحيرة فكتوريا المحيطة بهم ، وفي هذا الاقليم آثار اسلامية يعود تاريخها الى بداية القرن الحالي ونسبة المسلمين في هذا الاقليم لا بأس بها .

النشاط الاسلامي في كينيا :

لقد انتشر الدين الاسلامي في الاقليم الساحلي من كينيا ، منذ عهد الفجر الاسلامي ، ولقد عرف الاسلام شرق افريقيا ، قبل أن تعرفه المسيحية ، ويقول بعض المؤرخين ان النشاط الاسلامي بلغ ذروته في أيام الخلافة الأموية ، وخاصة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وقد نزح كثير من المسلمين أثناء خلافته من سوريا الى مقاطعة لامو في اقليم



○ مشروع مدرسة الحنفاء الذي تتــولاه وزارة الأوقــاف الكويتية .



○ شاطئ مدينة مالندى .

الساحل ولا تزال آثارهم باقية الى الآن .

ان ابن بطوطة الرحالة عندما زار ممباسا التقى بعدد كبير من المسلمين وقد ذكر كل هذا في كتابه رحلات ابن بطوطة لافريقيا .

وعدد المسلمين في كينيا يصل إلى أربعة ملايين مسلم من بين مجموع السكان البالغ عددهم ثلاثة عشر مليونا ، وتتكون العناصر المسلمة من العرب الأصليين الذين جاءوا إلى هذه البلاد في بداية هذا القرن ، من جنوب الجزيرة العربية ، وخاصة حضرموت ومن العرب الأوائل الذين جاءوا الى هذه البلاد من مختلف العالم العربي . وامتزجوا هنا بالتصاهر مع قبائل البانتو وغيرها من الباجون الذين جاءوا من الهند والباكستان ومن الشرازيين الذين جاءوا من إيران ثم من الأفارقة الأصليين من كافة القبائل التي تعيش في مختلف أنحاء كينيا .

ولقد نص دستور كينيا لعام ١٩٦٣ م على حرية الأديان بل إن حكومة كينيا بعد الاستقلال توسعت في نظام القضاء بحيث شملت المحاكم الشرعية إقليم الساحل والاقليم الشمالي واقليم رفت غالي ، والاقليم الغربي وعينت قضاة شرعيين يرأسهم رئيس المحاكم الشرعية ، ومهمة المحاكم الشرعية النظر في مسألة الزواج والطلاق والمواريث وتعيين أيام الأعياد الرسمية .

ولقد وافقت الحكومة على أن يكون عيد الفطر عطلة رسمية في البلاد كلها . أما الأعياد الأخرى فهي عطلة خاصة بالمسلمين فقط ، ومعظم المسلمين من العرب والأفريقيين يقلدون مذهب الامام الشافعي في عباداتهم وشؤون مواريثهم وأنكحتهم وطلاقهم الا قلة منهم يقلدون المذهب الحنفي . ويشترك جميع المسلمين في صلوات الجمعة والأعياد معا ولا يوجد أي خلاف مذهبي بينهم .

إلا أنه توجد في كينيا جماعات أخرى تدعى أنها مسلمة ، مع أنها بعيدة عن المسلمين ، بل ولا تشاركهم في المناسبات الاسلامية العامة ، كذكرى الهجرة والاسراء والمعراج وغيرها من المناسبات .

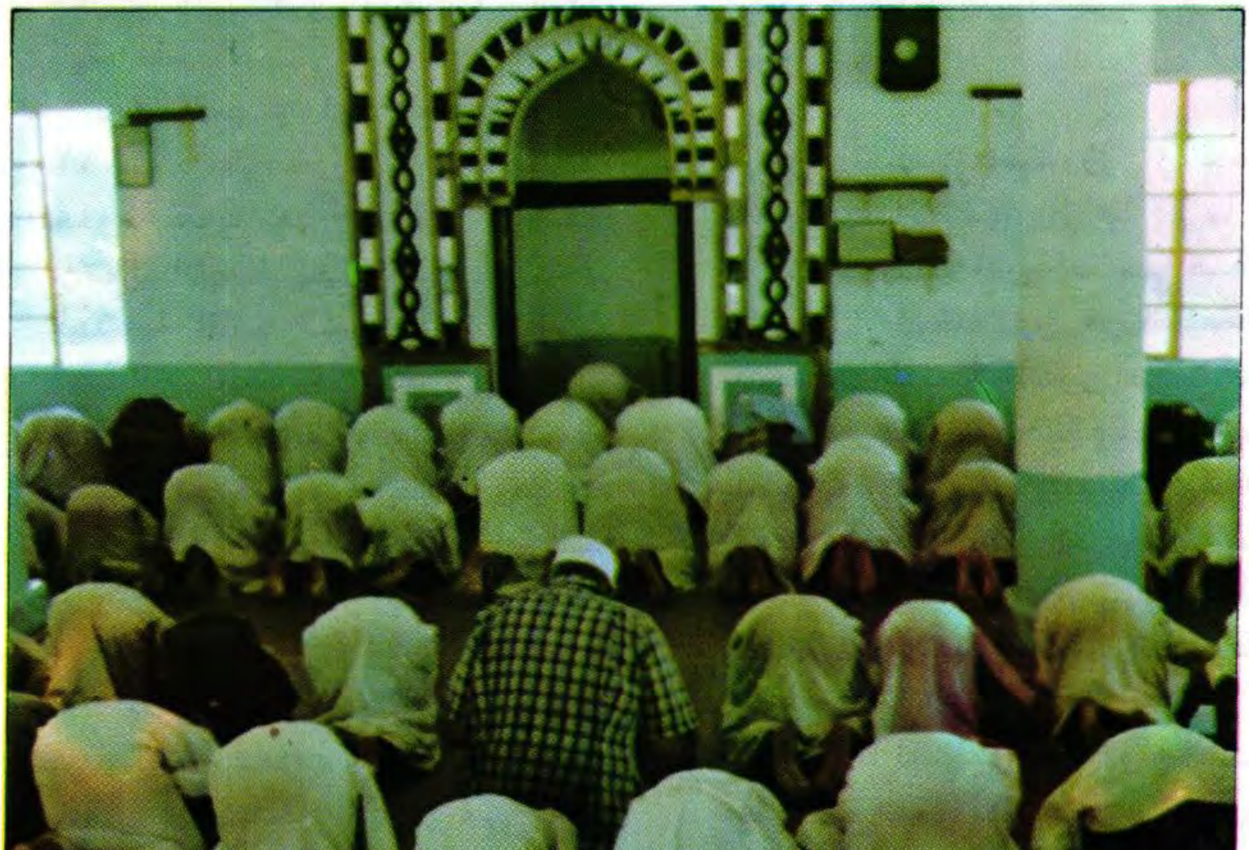
وهذه الجماعات هي : البهرة والاسماعيلية والقاديانية . علما بأنه لا يوجد إلا عدد قليل فقط من أبناء كينيا الافريقيين ، يوالون هذه المذاهب المنحرفة على الرغم من الامكانيات المادية الواسعة لدى أرباب هذه المذاهب وسبل الاغراءات المتوفرة لديهم .

ان المسلمين منتشرون في جميع أقاليم كينيا ومدنها وقراها . كما أن لهم في كل مدينة وقرية مسجدا صغيرا وكبيرا ، يجتمعون فيه للصلاة والحفلات الدينية الأخرى ، كما أنهم أسسوا رغم امكانياتهم المالية الضئيلة ، الكتاتيب لتدريس أولادهم كيفية قراءة القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين الاسلامي ولوازم العبادات والوضوء والطهارة وغير ذلك من المبادئ الاسلامية .

وقد بدأ المسلمون في الآونة الأخيرة بمساعدة الدول الاسلامية الأخرى في



○ مدينة مالندى يتوسطها المسجد الجامع .



○ طلبة مدرسة النور الاسلامية يؤدون الصلاة .



○ المسجد الجامع في نيروبي .

انشاء مدارس لا بأس بها ، إذا قورنت بغيرها مثال نلك المعهد الاسلامي في ماجاكوس ومدرسة الرياضة في نيروبي والمدرسة الاسلامية ، ومدرسة الفلاح ، ومدرسة التهذيب الاسلامي في ممباسا .

ان المسلمين قبل أن تنال كينيا استقلالها كان يسودهم الانقسام الطائفي ، وكانت كل طائفة لا تهتم الا بنفسها وبشؤونها الخاصة ، وقد بلغت الجمعيات الاسلامية التي أنشئت آنذاك اكثر من مائة جمعية ، وكانت كل واحدة منها تدعى أنها الممثلة للمسلمين مما أدى الى اتساع هذه التفرقة بين المسلمين وساعد على بعثرة جهودهم وضعفهم .

غير أن هذه الأوضاع ما لبثت أن انقلبت بعد أن حصلت كينيا على استقلالها الكامل فأخذ المسلمون والقادة منهم من شتى القبائل يعقدون الاجتماعات العديدة ويبذلون المحاولات الكثيرة لجمع كلمة المسلمين وتوحيدهم والعمل على إنقاذ أوضاعهم وظلوا يعملون على إنشاء هيئة إسلامية واحدة لهم ، قوية قادرة على رفع مستواهم ، وتوحيد كلمتهم ، والحفاظ على حقوقهم ومصالحهم ، وعلاج مشاكلهم .

وظلت هذه الجهود والمحاولات طوال أربعة أعوام بعد الاستقلال تعمل في استمرار لتحقيق هذا الأمل

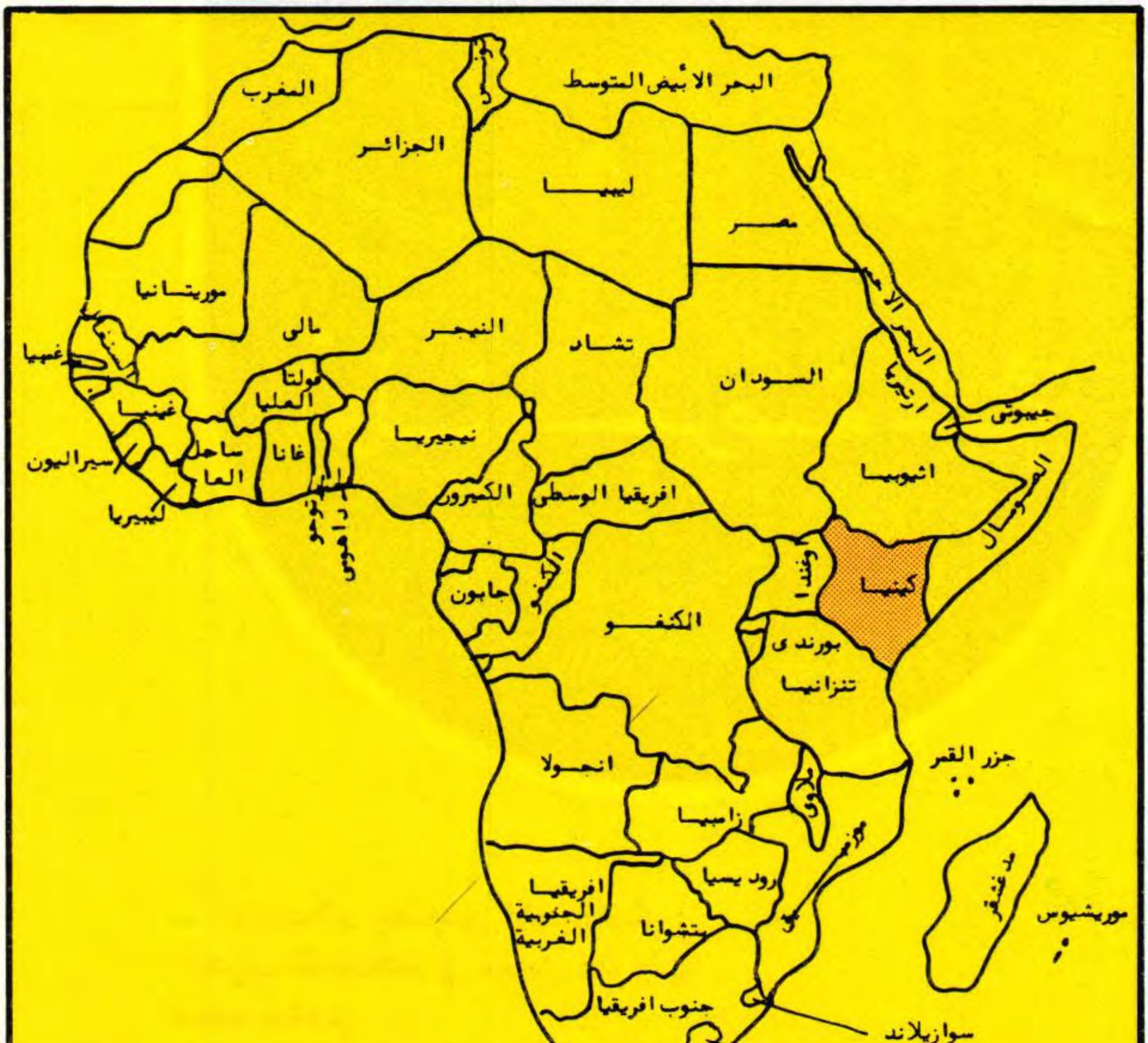


○ المسجد الجامع في مالندى .

الكبير ، وأخيرا وفي عام ١٩٧٣ تمخضت هذه الجهود عن إنشاء (المجلس الأعلى لمسلمي كينيا) وهذا المجلس في الواقع هو منظمة للمنظمات الاسلامية والهيئات الرسمية العاملة بشتى أقاليم كينيا . اذ لا يصح للفرد أن يكون عضوا فيه بل العضوية للمنظمات الرسمية ، والهيئة الادارية للمجلس الأعلى انتخبت من شخصيات منتدبة رسميا يمثلون الجمعيات والهيئات الاسلامية من جميع مقاطعات وأقاليم كينيا .

ويضم المجلس الأعلى مسلمين من كل العناصر الغيورة ، وكلهم يسودهم روح الاخلاص والاخاء الاسلامي ، ويوجد في كينيا الآن أكثر من خمسمائة مسجد ومدرسة أهلية ، تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة ، كما تقوم هذه المدارس بتعليم أبناء المسلمين العلوم الاسلامية والقرآن الكريم واللغة العربية .

ففي بلدة لامو يوجد مسجد



○ موقع كينيا من القارة الافريقية .

الروضة ، ومعهد الصفا ، وهما من الأماكن التي لها أهمية كبرى وحركة فعالة في تثقيف المسلمين .

وفي غرسين ومجدوى ومالندي وممباسا وغيرها من مدن إقليم الساحل مساجد كثيرة كمسجد الرياض ، والمسجد الجامع ، ومسجد الشيخ الجنداني ، ومسجد الحنفاء ، كما يوجد في غير هذا الاقليم أيضا الكثير من المساجد الفخمة والمدارس المتعددة ، والذي يزور كينيا حاليا يجد المسلمين في كافة الأقاليم ينشطون لتعمير وإقامة المساجد والمدارس .

ومن الناحية الاقتصادية والتجارية ، فان أرض كينيا غنية بالمعادن كالماس ، والكوبالت ، والذهب ، والمنجنيز ، والفوسفات ، والنحاس ، والنيكل ، واليورانيوم ، والفحم ، والحديد ، وبها ثروة حيوانية ومعالمها السياحية ذات شهرة عالمية لما اشتهرت به من مناظر خلابة وطبيعة ساحرة .

رفيدة الأنصارية

أول ممرضة في الإسلام

ـ الإسلام يعتبر المرضة في الحرب كالمجاهد في سبيل الله ولها سهم جندي

ـ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعطي المرضة قلادة شرف تكريما لجهادها

من هي ممرضة الاسلام :

ـ هي رفيدة بنت سعد الأسلمية من قبيلة بنى أسلم إحدى قبائل الخزرج وقد جاء في أحد المراجع أن اسمها كعيبة بنت سعد .

ـ ولدت رفيدة في يثرب وعاشت بها قبل الهجرة ، وكانت من السابقين الى الاسلام من قبيلتها بنى أسلم ...

وعندما أذن الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالهجرة كانت بين نساء الأنصار اللاتي استقبلنه بالمزاهر والزغاريد وبذلك النشيد الخالد (طلع البدر علينا) .

ـ وعندما استقر الأمر بالاسلام في المدينة تفرغت رفيدة لمهنة التمريض

للدكتور احمد شوقي الفنجري

التي ورثتها عن آبائها ، فكانت في السلم : (تحتسب بنفسها على من به أذى من المسلمين) أي علاج المرضى وأقامت لذلك خيمة للتمريض بجوار مسجد الرسول .

ـ وعندما ابتدأ القتال وغزوات الرسول اشتركت رفيدة في علاج وإسعاف الجرحى في بدر وأحد والخندق وخيبر وسائر المغازي .

ـ ففي غزوة الخندق عندما حاصر الاحزاب المدينة أقامت رفيدة خيمتها قرب ميدان القتال ... وتذكر كتب السيرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أمر بنقل الصحابي الجليل « سعد بن معاذ » الى خيمة رفيدة لكي تسعفه عندما أصيب بسهم غائر في جسده وقد قامت رفيدة باسعافه وأخرجت السهم وأوقفت النزيف واشرفت على تمريضه ... وكان رسول الله يمر على الصحابي الجريح في خيمة رفيدة عدة مرات في اليوم ، ويقول له : « كيف أصبحت وكيف أمسيت » فيجيبه عن حاله إلى أن توفاه الله بعد غزوة بني قريظة .

ـ وفي غزوة خيبر وبينما جيش الرسول يتأهب للزحف جاءت رفيدة إلى رسول الله على رأس فريق كبير من نساء الصحابة ، قامت رفيدة بتدريبهن على فنون الاسعاف والتمريض ، واستأذن رسول الله قائلات : ـ « يا رسول الله أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا (أي الى خيبر) فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين ما استطعنا فقال الرسول لهن : « على بركة الله ... » سيرة ابن هشام .

ـ وفي هذه الغزوة أبلى فريق التمريض بلاء حسنا ، وقمن بجهد عظيم ، مما جعل رسول الله (يقسم لرفيدة من الغنائم) بسهم رجل شأنها في ذلك شأن الجندي المقاتل بسيفه وفرسه ، كما أعطى المتفوقات منهن قلادة شرف وعلقها بيده الشريفة في عنقها ... وكانت الواحدة منهن تعتز بهذه القلادة وتقول : « والله لا تفارقني أبدا في نوم ولا يقظة حتى أموت) ثم توصي إذا ماتت بأن تدفن معها ..

ـ وبذلك تكون رفيدة الأنصارية أول من أقام مستشفى ميدان متنقل تشرف عليه ممرضات متدربات في تاريخ الانسانية كلها ـ وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم إذا جرح أحد أصحابه يقول : « انقلوه إلى خيمة رفيدة لكي تسعفه ريثما أعوده » طبقات ابن سعد .

وبذلك اشتهرت خيمة الاسعاف في عهد رسول الله باسم خيمة رفيدة ، كما اتفق كتاب التاريخ الاسلامي على تسمية رفيدة « ممرضة الاسلام الأولى » وما أجدرنا في عصرنا هذا أن نطلق اسم رفيدة على كل معهد تمريض في عالمنا العربي والاسلامي تخليدا لذكراها وأعمالها .

ـ ولـم يقتصر جهـاد رفيـدة على التمريض والاسعاف ... بل كان لها نشاط اجتماعي واسع ... يلخصه لنا ابن كثير في اسد الغابـة ص ١١٠ ـ بقوله : ـ

« كانت تحتسب بنفسها على خدمة من به ضيعة من المسلمين » والقصد بمن به ضيعة هو كل محتاج للعون والمساعدة سواء أكان فقيرا أم يتيما أم عاجزا عن العمل ..

فكانت تقوم على تربية يتامى المسلمين وتعليمهم الدين ورعايتهم وهو عمل كانت نساء الصحابة يتسابقن على القيام به استجابة لأمر رسول الله : (ومن آوى يتيما أو يتيمين ثم صبر كنت أنا وهو في الجنة كهاتين) ثم ضم اصبعيه (رواه مسلم) .

الطب والتمريض في عهد رفيدة : ـ

تعتبـر رفيـدة الأنصاريـة من المخضرمين ... أي الذيـن عاشـوا حياة الجاهلية والاسلام معا .. وقد يتصور الانسان لأول وهلة أن الطب في جزيرة العرب كان بدائيا جدا غير متطور شأنه في ذلك شأن كل شيء في حياة العـرب في تلك المرحلـة من تاريخهم ، وربما ساعـد على هذا التصور أن المؤرخين العرب لم يهتموا إلا بالجانب العقائدي وكل ما له صلة بدين العـرب في الجاهليـة ثم في الاسلام . أما الطب والأطباء في تلك الفترة فلم يهتم المؤرخون بحياتهم ولا أعمالهم . وأبسط مثل على ذلك أن ما نعرفه عن حياة ممرضة الاسـلام الاولى وجهودها في التمريض لا تزيد عن بضعة اسطر .

ولكن هناك عدة حقائق هامة يمكن ان تنير لنا طريق البحث والمعرفة : ـ

اولا : فالطب العربي لم يكن متخلفا عن علوم ذلك العصر وأطباء الجاهلية المتأخرة وصدر الاسلام لم يكونوا بمعزل عن الدنيا ، بل كانوا يزورون بلاد الفرس والروم والشام والهند ، وكانوا ينقلون من علوم هذه الشعوب فنون الطب المعاصرة لهم . يدلنا على ذلك اسماء الادوية التي نجدها في الأحاديث النبوية وكتب السيرة مثل (الحلوق الهندي) وهو دواء يستورد من الهند ويستعمل كدهون أو مس للحلق ولعلاج التهاب اللوزتين كما يستعمل كدهون للصدر في الالتهابات الرئوية ... ومثل (السنا والسنوت والشونيز والمرزنجوش) وهي أسماء فارسية لأدوية ذكرت في الأحاديـث النبوية وغير ذلك كثير ...

ثانيا : طب الجاهلية كان مزيجا من الكهانة والعرافة إلى جانب الطـب وكان الطبيب يسمى الكاهن وكان الكهان يخلطون الطـب بالطقـوس الدينية للأصنام ويستعملون التعاويذ والسحر والتمائم وسجع الكهان الى جانب العلاج بالادوية ... فاذا شفى المريض بفضل الدواء أوهموه ان الذي شفاه هو هذه الطقـوس والهدايـا والقرابين التي يقدمها للأصنام عن طريق الكاهن ..

وكان ذلك يزيد نفـوذ الكاهـن في المجتمـع الجـاهلي فكان المرضى يطيعونهم إلى حد التضحية بأولادهم

وبناتهم قربانا للالهة .
ثالثا : وعندما أشرق نور الاســلام ألغى الكهانة والعرافة واعتبرها نوعا من الشرك بالله . وأعلن الرسول : « من أتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد » (البخاري) .
وقد نهى الاسلام عن كل ما له علاقة بالاصنام من طقوس وخرافات وتمائم ثم اعلن أول قانون عرفته الانسانية لحماية مهنة الطب من المشعوذيـن وأدعيـاء الطـب وفي ذلك يقــول الرســول ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ : ـ
« من داوى ولم يعرف منه طب قبل ذلك فهو ضامن » « رواه النسائي وابو داود وابن ماجه أى أنه مسئول مسئولية جنائية عن أخطائه ...
رابعا : ـ وفي نفس الوقت فقد شجع الاسلام على الاستعانة بالاطباء وعلى الاستفادة من الأدويـة والعلـم ... واعتبر الطبيب والمرضة كالمجاهد في سبيل الله ... وأن الملائكةتحف به وتدعو له وهو يؤدي عمله في خدمة مريضه ورعايته . ورغم ان الاسلام قد شجع على التداوي فقد حرم على المسلمين التداوي بالمحرمات كالخمر والخنزير والدم وغير ذلك . وبــذلك أحدث الاسلام ثورة علمية في الدواء لأن الخمر كانت تستعمل بصـورة رئيسية في الطب للتخدير قبل الجراحة وعلاج الأمراض مثل المغص بأنواعه وكمدر للبول . وهذا المنع أو التحريم جعل أطباء المسلمين يبحثـون عن البديل من الأدوية عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعـل شفاءكم فيما حرم عليـكم » رواه البخاري .

أمثلة من تقـدم الطـب في هذه المرحلة : ـ

من أهم مراجعنا عن طب العرب في هذه المرحلة أي على عهد الرسول هو كتب السيرة والأحاديث النبوية ففي البخاري وصحيح مسلم أحاديـث كثيرة تبين لنا ان العرب كانوا يعرفون الكثير عن الأمراض والجراحة فقد ذكر الرسول المغص الكلوي وسماه (عـرق الكليـة) وذكر الالتهـاب الرئوي أو البلـوري باســم (ذات الجنب) .
وذكر التهاب الصدر والحلق تحـت اسم مرض (العذرة) . والى جانب ذلك تكلم الرسول عن (الحجامة) كعلاج للصداع الناجم عن ارتفــاع الضغط ، وتكلمت كتب التشريح عن شق بطن الأم لاخراج الجنين الحي حتى لو كانت الام ميتة ... وعن كثير من الأمراض ...
وقد عرف العـرب في تلك الفتـرة الجراحة وخاصة جراحــة الحـرب لكثرة الجروح والحروب . وأن خير شهادة لتفوق الطب العربي في هذا الميدان ما كان يروي عن أصحاب الرسول من أن الواحد منهم كان يصاب بأكثر من عشرين جرحا ما بين طعنة رمح أو ضربة سيف في المعركة الواحدة ومع ذلك فقد كان يشفي من كل هذه الجراح ويعود الى القتال من جديد . وقد قال خالد بن الوليد عند وفاته تلك الكلمة المشهورة : « لقد

قاتلت في سبيل الله وما في جسمي موضع الا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح ومع نلك فها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير » .
ومثل هذه القصص الكثيرة عن أبطال الصحابة تعطينا دليلا قاطعا على أن الجراحة والتمريض في تلك الفترة قد بلغت شأوا عظيما من التقدم بحيث تعطي هذه النتائج التي قد يعجز الطب الحديث عن بلوغها في كثير من الأحيان ، وقد لا يصدق الانسان أن العرب قد عرفوا الأطراف الصناعية وصنعوا أطرافا صناعية لمن فقدوا أعضاءهم في الحروب وتحضرنا في نلك قصة الصحابى (عرفجة بن أسعد) الذي قطعت انفه في الحرب فصنع له الاطباء أنفا نحاسية فكان يصدأ عليه ... فأشاروا عليه بصناعة أنف من الذهب ولكنه أبى نلك الا أن يأذن له الرسول ، لأن الاسلام يكره على الرجال التحلي بالذهب . ولكن الرسول أذن له بنلك طالما فيه ضرورة طبية وليس لمجرد التحلي والمباهاة . كما أنن الرسول أيضا بتركيب أضراس من الذهب أو تغطية الأسنان به للضرورة فقط .
كل هذه الحقائق تبين لنا كيف اصبح طب العرب على عهد الرسول متقدما وكيف ساير النهضة الاجتماعية التي اوجدها الاسلام في الامة العربية .

لماذا اعتبرت رفيدة ممرضة ولم تعتبر طبيبة :

من المعروف في تاريخ الطب في العصور القديمة انه لم يكن هناك فاصل كبير بين الطبيب والممرض إذ لم يكن هناك هذا النوع من التخصص الدقيق في المهنة . فكانت الممرضة تكشف على المرضى وتشخص المرض وتعطيهم الدواء ... وتقوم بالاسعاف في الحرب وإذا اقتضى الأمر تقوم بالعمليات الجراحية الكبيرة كالبتر مثلا، شأنها في نلك شأن الطبيب المتخصص وفي نفس الوقت كانت تقوم بكل وظائف الممرضة من رعاية المرضى وخدمتهم وتقديم الدواء والطعام بيديها إلى جانب القيام بالولادات العسرة والسهلة والاسعاف في ظروف الحرب ونقل الجرحى ودفن القتلى والشهداء .
غير أن كتاب التاريخ الاسلامي اتفقوا على تسمية رفيدة باسم « ممرضة الاسلام » لأن صفة الممرضة هي التي غلبت على عملها وخاصة أثناء المعارك ... فقد كانت تلازم المرضى منذ لحظة وصولهم إلى لحظة خروجهم وكانت تشرف على تمريضهم وطعامهم والعناية بهم .
واذا كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد قسم لرفيدة الممرضة من الغنائم في الحرب بسهم رجل . فنلك خير دليل على تقدير الاسلام لمهنة التمريض ولدور الممرضة المسلمة المؤمنة في الجهاد الى حد مساواتها بالجندي الذي يقاتل بسيفه ودمه في سبيل الله . وهذا التقدير في الدنيا يقابله تقدير اعظم في الآخرة وثواب عند الله الذي لا يضيع عنده اجر من أحسن عملا .

قالوا في الأمثال

○ شنشنة أعرفها من أخزم :

كان لرجل من العرب ولد عاق يقال له أخزم ، وكان نلك الولد يؤذي أباه ولا يرى له حقا ، ثم مات أخزم وترك بعض البنين .

وذات يوم وثب أولاد أخزم على جدهم وضربوه حتى أدموه فقال :

إن بنــي ضرجــونــي بالــدم شنشــنــة أعــرفهــا مــن اخــزم

أي أنهم اعتدوا عليه كما كان يحدث من أبيهم ، وفعلوا ما اعتاد أبوهم أن يفعل فأشبهوه في عقوقه . والشنشنة العادة والطبيعة ، فطبيعتهم مثل طبيعة أبيهم ، وشذوذهم مثل شذوذه .

وهكذا يشبه المرء أباه كرما ولؤما ، لأنه مطبوع على مثاله ، فاذا تم الشبه في الخير كأن يجيء الولد مثل أبيه نادر الذكاء ، ويسير مثل سيرة والده في الكرم والرحمة بالناس ويكون من خلقه التجرد والمحبة للعدل والانصاف كما كان والده ، قيل : « **شنشنة أعرفها من أخزم** » أي اشبه الفرع الأصل .

وكذلك إذا تم شبه الولد بأبيه في الشر فيقال في الحالين : شنشنة أعرفها من أخزم .

الصبي أعلم بمضغ فيه

مثل يضرب لبيان أن كل إنسان أدرى بما عنده وأخبر به .. فاذا وضع الصبي الصغير في فمه شيئا حلوا استطابه ، وظهر عليه أثر سروره به ، وربما استزاد منه .

وإذا وضع في فمه شيئا مرا نفر منه ولفظه ، وظهر عليه أثر ألمه منه ، وقد لا يعرف غيره لم لفظ هذا أو استطاب ذاك ، لأن الصبي أعرف بما فيه من غيره . فالتاجر أعلم بأمــور تجارتــه .. وكذا الصانــع ، وصاحــب السياسة .. والوالد أعرف بأبنائه .. وبطانة المرء أعلم بأموره من غيرهم وهكذا يضرب هذا المثل في معرفة الرجل بأمور نفسه ، وخاصة شأنه ، فهو يتصرف في الأمور تبعا لهذه المعرفة .

هيا إلى

للشيخ محمود ابراهيم طيرة

هيّا إلى الإسلامِ هيا — لن تخسروا يا قوم شيئا
أنا ناصِحٌ ، أنا مرشِد — فقِفوا ، وأصْغُوا لِي مَليا
هيا إلى الاسلامِ ، إن — تبغُوا المجادة ، والرقيا
فيه الصلاحَ لعالَـم — ضل الهدى ، فغدا شقيا !
فيه الحياةَ لكل نفسٍ — هو حَسْبُها شِبَعًا وريا
وبدونه الأحياءُ موتى — وبه يعودُ الميْتَ حيا !!
غدت الحياة كريهة — وسلوك أهليها زريا
والعيشُ فيها لم يَعُد — ـ واحسرتا ـ عيشًا هنيا
وتكاد عينك لا ترى — الا الكذوب ، أو الغويا !
والهم يُضْنِي ، والجَوَى — قد صيَّر الخالي شَجيا !
خُرِسَ اللسانُ ، وأطلق القومَ الحسامَ السمهريا
فالقوةَ الرَّعْناءَ أضْحَت مَنْطقا لَهُمو قويا !
كم دبَّ فوقَ الأرض ظلامٌ ، وكم أشْقى تقيا !
ومَعمَرٍ في الظلم يَعْتَامَ المصائبَ ، عبقريا
وحديثُ عهدٍ في المظالم ، سوف يغدو عَصْلبِيا !
ظلم تضِجُ الأرضُ منه ، وتشتكي الدمعَ العصيا !
غزوا الكواكبَ ، ليتَهم — رأوا الالهَ ، بها جَليا
يا ليتَهُمْ غزوا النفو — سَ ، ليدركوا السرّ الخفيا
هو قدرة جلت فَسَوّت — كلّ امرئ بَشَرا سَويا
هو قدرة تعنو لها — كلّ القوى الكبرى جِثِيا

الإسلام

هـو قـوة ُ الخـلاق ، مـن   لا تعلمـون له سميـا !!
بعـث الالــهُ محمـدًا   خـيرَ الـورى فينـا نبيـا
هـو خاتـم للأنبيـا   ومقـامـُـه فــوق الثريـا !
وبشرعـه تمـت شـرا   ئعهـم ، فكـان السرمـديا
وكأنـه زهــر الربـى   في الـروض ، فواحـا نديـا
أو دوحـة يدنـو جنـا   ها ، ناضجا ، حلوا ، شهيا !
ولقـد توعـد ديننـا   مَنْ كـان جبـارا عتيـا
سَلْمٌ ، ولـكـن سلمـه   لا يرتضى الضيـمَ الزريـا !
وبـدت سمـاحتـه كوجـه   الصبـح ، وضـاحـا جليـا
تكسـو روائـعَ حكمـه   ثوبـا جميـلا سندسيـا !
كفـل السيـادة ، فليعش   كـلُّ امـرئ حـرا ، أبيـا
واسى الفقير ، ومـن ترى   غـير الفقير بهـا حريا ؟
بالجار أوصى ، فالالـه   بجاره أوصى النبيا
والنـاسُ اخـوانٌ ، فـلا   عربـيَّ يفضـل أعجميـا
لا فضـلَ الا للـذي   لـزم الهُـدى ، بـرا تقيـا
هـذى سواسيـةٌ ، فمـا   حابـت شريفـا أو غنيـا !
هـذا هـو الاسـلامُ نهجـا ، واضـحـا ، سمحـا ، بهيـا
وكتـابنـا قـد شعَّ نـو   را ، ساطعـا ، أبـدا قويـا
والـديـنَ هـدًى للعبـاد   وغيرهـم أضحـى شقيـا
إن الهـدى سِمـةُ الرضـا   مَنْ حـازه يغـدو وليـا !

من مصطلح الحديث

نحن في عصر كثر فيه نتاج العقول ، وتضاربت النظم ، وتعارضت ، وكثرت التعاليم البشرية ، وتنوعت ، ومع هذا فلم يجد الناس الأمان والرخاء في ظلها جميعا .

ومهما تكن العيوب الكثيرة التي أوجدت هذا الاضطراب ، وساعدت في خلق هذا الجو الذي لم ينعم الفرد فيه باستقرار ، فلا ريب أن الأسباب المباشرة المؤثرة حقا هي أن هذه النظم وتلك التعاليم لم تثبت قدرتها في مواجهة المشاكل بالشكل الذي يريح الانسانية بل على العكس من ذلك عاشت الدنيا تتخبط في ظلام دامس ، وهمجية قاتلة ، وظلم قاتم ، وخراب مدمر عاصف ، وشقاء وحروب تلو الحروب ، لم تهدأ الدنيا لحظة ، بل ظلت لاهثة وراء سراب خادع هو الاستقرار الذي لن تناله ما دامت هذه قوانينه ، وتلك شرائعه التي في ظلها يأكل القوى الضعيف .

والشريعة الاسلامية واضحة النهج جاءت لتقيم موازين القسط ، وتحقق المجتمع الراقي ، فهي للدنيا الدستور الوافي الذي يجمع الناس على كلمة سواء ، تلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وفي كل عصر ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولن ينال المشوهون للسنة ما يبغون فهي قوية الدعائم قد تحطمت على صخرتها الشبهات والهجمات الشرسة ، لأن المسلمين الأوائل اعتنوا عناية فائقة بتدوينها .

وعلى هذه الصفحات نستعرض مع السادة القراء نموذجا حيا على حسن الفهم ودقة البحث وعظمة التدقيق ، وسنقوم بتقديم نماذج من مصطلح الحديث للتعريف بهذا الفن الدقيق الرفيع ، ليكون القراء على بينة من مغزى الاشارة لكل حديث ينكر عنه المحدثون انه صحيح وحسن .. الخ ونسأل الله التوفيق والسداد في خدمة السنة المطهرة .

الحسن

الحديث الحسن (**هو ما اتصل إسناده بنقل عدل خف ضبطه عن مثله الى منتهاه دون شذوذ أو علة ..**

بهذا التعريف نخرج بنتيجة مؤداها وجود رابطة بين الصحيح والحسن وحتى يرتفع هذا الالتباس بين الصحيح والحسن ، فان اشتراط أن يكون الراوي عدلا فيهما ، ولزوم سلامتهما من الشذوذ والعلة ، والقول بصحة الاحتجاج بهما ، لا يثبت الا بهذه الشروط .

الا ان الصحيح يكون راويه عدلا تام الضبط أى مسلما ثقة متيقظا حافظا سليما من أسباب الفسق في الدرجة العليا من الاتقان .

والحسن كالصحيح الا أن راويه خفيف الضبط وهذا هو ما يسمى بالحسن لذاته وهو قريب من الصحيح .

وهناك نوع آخر قريب من الضعيف لا يمتنع العمل به لأنه يتقوى برواية أخرى مماثلة له باللفظ أو المعنى ويمكن أن يرتقى الحسن لذاته ليصبح صحيحا لغيره اذا روى من وجه آخر .

ويعتبر الترمذي أول من قسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، وكان ينقسم الى صحيح وضعيف . والحديث الذي يوصف بأنه (حسن صحيح) يعتبر أعلى مرتبة من الحسن وأقل من الصحيح

ويمكن أن يقال انه روى باسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن فصح أن يقال : حسن باعتبار المتن وصحيح باعتبار السند أو حسن باعتبار السند صحيح باعتبار آخر .

واذا قيل (حديث حسن صحيح غريب) فهذا التعبير يدل على أن الصحيح قد روى من وجه واحد فكان غريبا ، وبالتالي يكون الحسن الذي تقل مرتبته عن الصحيح أجدر أن يوصف بالغرابة أيضا اذ المعروف أن الغريب هو ما تفرد بروايته واحد ثقة .

وعلى هذا فكل صحيح حسن وليس كل حسن صحيح .

عن قبيصة بن هلب عن أبيه رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنا فينصرف على جانبيه جميعا على يمينه وعلى شماله) رواه الترمذي في سننه وقال حديث حسن .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (اذا استيقظ أحدكم من الليل فلا يدخل يده في الاناء حتى يفرغ عليها مرتين أو ثلاثا فانه لا يدري أين باتت يده) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وروى سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له ذنبه) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب .

ابن حجر العسقلاني

للأستاذ: محمد كمال الدين علي يوسف

يزخر التاريخ الاسلامي والعربي بالعديد من الشخصيات البارزة الذين اضافوا إليه الكثير من علمهم وفكرهم، ومن هؤلاء من اشتهر فدرسته جامعات العالم ، وأصبحت آراؤه مبادىء ونظريات مسلما بها ، ومنهم من لا تزال شهرته محدودة ، رغم علمه الغزير ، ولا نعرف من تاريخه إلا النذر اليسير ، ومن هؤلاء صاحب هذه الترجمة ، وهو : المفكر الاسلامي ، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد ، العسقلاني الأصل ، المصري المولد والنشاة ، الشافعي المذهب ، وقد عرف باسم « ابن حجر » ، وهو لقب بعض آبائه .

وقد ولد ابن حجر في القاهرة ، وعلى ضفاف نيلها في شهر شعبان من سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة هجرية وماتت امه بعد مولده بزمن قصير ، ثم مات والده وهو ابن أربع سنوات : (٧٧٧ هـ) ، فكفله احد اقربائه ،واسمه : « الزكي الخروبي » وكان من كبار تجار مصر في ذلك الوقت ، ولقى منه العناية

وحسن التربية ، نشب على الاقبال على العلم ، والمعرفة ، فكانت له منهما حصيلة كبيرة ، وتراث ضخم زاد على المائة وخمسين مؤلفا ، غير الدروس التي كان يلقيها على طلبته ومريديه طوال سني عمره ، منذ احترف الكتابة والتدريس ، ولو جمعت لأضافت إلى تراثه عشرين كتابا أخرى على الأقل .

بدأ ابن حجر العسقلاني حياته العلمية وهو ابن الخامسة ، حيث دخل الكتاب ، وحفظ القرآن الكريم كله وهو في التاسعة من عمره ، وكان يتسم بالذكاء الحاد والحافظة الواعية القوية ، وسرعة البديهة والفهم ، ومما يؤثر عنه في تلك السن المبكرة : أنه حفظ سورة مريم في يوم واحد ، وكان من عادته ان يقرأ ما يود حفظه مرة واحدة ، ثم مرة أخرى بصوت أحد زملائه، ثم يسمعه — محفوظا — في المرة الثالثة ، وبهذه الطريقة وعت ذاكرته الآلاف من قصائد الشعر ودواوينه ، واحاديث البخاري جميعها ، فضلا عن القرآن الكريم ، وكثير من كتب الحديث والسنة ، وكان العسقلاني حجة لا تقارن في هذا المجال حتى لقد أطلق عليه بعض المؤرخين لقب : « مرجع العلماء ، وحجة الفقهاء ، ولسان الحكماء » وقد جمع من المعارف الوانا كثيرة ، فقد تفقه في الدين ، ودرس أصول اللغة والأدب والفلسفة ، وكان يطوف بأكثر من بلد ليقف على العلم الصحيح ، ويقوم ما شك فيه من حديث أو تضاربت فيه الآراء .

كان « الخروبي » — مربيه وكافله بعد موت ابيه — يصحبه في أسفاره بقصد التجارة ، ولا يبخل عليه في التزود بالعلم عند أكبر العلماء ، وفي عام ٧٨٤ هـ صحبه معه إلى الآراضي الحجازية ، فحج لأول مرة — وهو ابن الحادية عشرة — ثم جاور مكة عام ٧٨٥ هـ ومكث فيها اثني عشر عاما ، حيث حفظ صحيح البخاري على مسند الحجازي عفيف الدين عبد الله النشاوري ، وحفظ بعد ذلك مختصرات العلوم ولازم أحد أوصيائه، وهو الشيخ شمس الدين القطان المصري ، فحضر دروسه ، وحبب إليه النظر في التواريخ ، فعلق بذهنه شيء كثير من احوال الرواة ، وفي مكة أيضا : حضر مجالس بعض الشعراء ورواة الشعر امثال نجم الدين بن رزيق ، ونظر في فنون الأدب فقال الشعر ، ونظم المدائح النبوية ، وبعد ذلك تلقى علم الحديث واتقنه على يد زين الدين العراقي ، ويبدو أن الصحبة مع ذلك العالم اعجبته وافادته ، حتى لقد لازمه عشرة اعوام كاملة ، حبب إليه فيها فن الحديث ، واخرج لأستاذه كتاب « مسند القاهرة » ، ثم تفقه على يدي « البلقيني » ، و « ابن الملقن » وغيرهما ، حتى اذنوا له بالافتاء والتدريس ، وأخذ الأصلين وغيرهما عن : العز بن جماعة ، ثم سافر إلى اليمن بعد ذلك ، وأخذ اللغة عن إمامها مجد الدين بن الشيرازي وتناول منه بعض تصنيفه المشهور المسمى « القاموس في اللغة » ، وبعد ذلك حضر مجالس العلم والعلماء ، فأخذ العربية عن « الغماري » ،

والأدب والعروض عن « البدر البشتكي » ، والكتابة عن «جماعة»، وقرأ بعض القرآن بالسبع عن « التنوخي » ، وتصدى لنشر الحديث ، وعكف عليه مطالعة وتصنيفا وإفتاء ، ثم رحل إلى الشام وأقام بدمشق مائة يوم ، وزار العديد من المدن والقرى ، وحصل فيها الكثير من المعرفة ، وقرأ مئات الكتب ، ومن أهمها : « المعجم الأوسط » للطبراني ، « ومعرفة الصحابة » لابن منده ،

أخذ العسقلاني بعد ذلك يتنقل في عديد من البلاد حتى استقر به المقام بالديار المصرية ، وولى فيها مشيخة الحديث وتدريس الفقه بأماكن كثيرة، وخطب : بجامعي عمرو بن العاص والأزهر ، وأملي ما يزيد على ألف خطبة من حفظه ، وانتفع به كثير من الشيوخ ، وتخرج على يديه كثير من طلبة الحديث وغيره ، ومن أشهرهم: الأمام السخاوي ، والبرهان البقاعي، والحافظ تقي الدين بن فهد ، وشيخ الاسلام زكريا الأنصاري .

ثم أخذ العسقلاني فى التصنيف ، فأملى « الأربعين المتباينة » بالشيخونية سنة ٨٠٨ هـ ، ثم أملى « عشاريات الصحابة » في نحو مائة مجلس طوال عدة سنين ، ثم ولى تدريس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة ، واشتغل عام ٨١٤ بالتصنيف ، وولى مشيخة البيبرسية، ثم تدريس الشافعية بالمدرسة المؤيدية ، وفي عام ٨٢٧ هـ فوض إليه الملك الأشرف « برسباي » القضاء بالقاهرة وما معها (اي ضواحيها) ، فباشر ذلك بحكمة ونزاهة ، وظل يتنقل في وظائف القضاء إحدى وعشرين سنة ، ثم انقطع للعلم فبرز فيه، وبعد صيته، ورحل الأئمة إليه، ونزح التلامذة من كل قطر للتزود منه بالعلم والمعرفة ، فكان رئيس العلماء في كل مذهب ، وبكل قطر ، وانتشرت جملة من مؤلفاته فى حياته ، وأقرىء الكثير منها ، وسمعها الملوك والشخصيات البارزة ، وانتشرت آراؤه فى كل مكان ، وقد بلغت مؤلفاته اكثر من مائة وخمسين كتابا نذكر :

— أنباء الغمر بأبناء العمر .
— رفع الأصر عن قضاة مصر .
— تبصير المنتبه لتحرير المشتبه .
— فتح الباري فى شرح البخاري، وله مقدمة فى كتاب مستقل بعنوان « هدى الساري لمقدمة فتح الباري »
— اتحاف المهرة بأطراف العشرة.
— الأحكام لبيان ما في القرآن .
— الاستدراك في تخريج أحاديث الأحياء .
— نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ... الخ .

ولعل من أهم ما كتب العسقلاني: تأريخه لعدد كبير من الشخصيات البارزة فى شتى أنحاء الفكر الأنساني خلال القرن الثامن الهجري — وهو القرن الذي عاش ربعه الأخير وكذلك النصف الأول من القرن التاسع — وهو كتاب « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » ،

وقد حوى هذا الكتاب تأريخا أمينا لحياة أربعة ومائتين وخمسة آلاف من أبرز شخصيات ذلك القرن، ويعد دائرة معارف شاملة للقرن الثامن ، ووثيقة فكرية لما شمله من أحداث وآراء .

ولقد كان العسقلاني أديبا متمكنا،

وشاعرا وهب صفاء الطبع والتعبير، ويدور شعره حول موضوعات كثيرة منها : الأخوانيات ، والمــــدح ، والألغاز والاحاجي ، والفكاهـــة ، والوصف ، والغزل ، وله شعر كثير متفرق في عدة كتب من مؤلفاته ، أو مؤلفات غيره ، أمثال حسن المحاضرة للسيوطي ، وتأهيل الغريب ، وثمار الأوراق ، وخزانة الادب للحموي ، وله كذلك ديوان مخطوط بدار الكتب المصرية ، كتبه العسقلاني في حياته، ورتبه كاتب آخر بعد وفاته ، وفى مقدمة ذلك الديوان يقول العسقلاني: « سئلت غير مرة أن اجرد من منظومي طرفا مهذبا ، وأن افرد من مقاطيعي التي تلهى عن المواصيل ما يكون منها مرقصا ومطربا ، فكتبت في هـــذه الأوراق سبعة أنواع ، من كل نوع سبعة أشياء ، وافتتحت بالنبويات ثم الملوكيات ، ثم الاخوانيات ، ثـم الغزليات ، ثم الأغراض الأخـــرى المختلفة مثل الموشحات ثم المقاطيع. »

ومن أمثلة شعر العسقلاني في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

هو رحمة للناس مهـداة فيـــا
ويح المعانـــد إنـــه لا يرحـــم
نال الأمان المؤمنـــون بـــه إذا
شبت وقودا بالطغـــاة جهنـــم
الله أيده فليس عـــن الهـــوى
في أمـــره أو نهيـــه يتكلـــم
فليحذر المـــرء المخالـــف أمـــره
من فتنة أو من عـــذاب يؤلـــم

ويقول في مدح سلطان مصر فى ذلـك الوقت « المؤيد شيخ » ويذكر مدرسة بناها :

شهـــد الأنـــام بأنـــه
ما مثلهـــا عربـــا وعجمـــا
ويصـــدق الخبـــر العيـــا
ن دعـــوا حديـــث الظـــن رجما
نهـــي الفريـــدة فى الجـــوا
هر لا تـــذوق الدهـــر يتمـــا
جمعت فنـــون العلـــم والتحقيـــق
والتـــوفيق فهمـــا

ومـــن قصيـــدة يرثـــي العسقلاني بها شيخه الحافـــظ العراقي الذي توفي عام ٨٠٦ هـ ، ونشرت في كتاب « حسن المحاضرة »:

مصـــابا لم ينفس للخنـــاق
أصـــار الدمـــع جـــارا للمآقي
فروض العـــلم بعد الزهر زاو
وروح الفضـــل قـــد بلغ التراقي
وبحـــر الدمع يجـــري باندلاق
وبدر الصبر يسري فـــي المحـــاق
وللأحزان بالقـــلب اجتمـــاع
ينادي الصبر حي على افتـــراق

ومن شعره في الغـــزل :

طيـــف لمن اهـــوى ألمـــا
يطـــوي ذيـــول الليـــل لمـــا
اهـــلا به لـــو أن طـــرفي
للمنـــام يـــذوق طعمـــا
ونعـــم لقـــد أعييت فى
طلـــب الخيـــال خيـــال نعمـــى
نأعجـــب لصب يدعـــى
علمـــا يحـــاول فيـــه خصمـــا
حتـــام يا ريق الحبـــيب
اراك مـــورودا واظمـــا
والام يا قلـــب الـــكئيب
بأسهـــم الالحـــاظ ترمـــي
هلا صـــحوت من الغـــرا
م فلم اراجـــع فيـــه عزمـــا
وصـــبرت عمن لا يطـــا
وع مـــا تشابهنـــا وغرمـــا

وديوان ابن حجر له مخطوط في باريس ذكر فيه بعض الأشعـــار

الوطنية التي تنم عن حبه لوطنه مصر، ولوطنه العربي كله ، ففي شعره عن نيل مصر يقول :

تركت شراب النيل حلوا وباردا
فكم خدعـة لـي بعـده بسـراب
وفارقت من لا طاق لي بفـراقه
فما طرق السلوان ساحـة بابـي

ومن شعره يتشوق لمصر وهـو بالشام :

دمشـق الغـادة الحسـنى
لوصـف النهـر بالصـب
على مصـر زهت حسـنا
ولكـن موطنـي حبـي
وقالـوا انهـا أدنى
نعـم أدنـى الـى قلبـي

ويبلغ حبه لمصر الذروة في قوله :

متى يتجلى أفق مصر بأقمـاري
وأروي عن اللقيا أحاديث بشار
إلى مصر ، اشواقا لمصر واهلهـا
تشوق صب للنوى غير مختـار
مرابع لذاتـي ، وملهـى شبيبتي
ومبدأ أوطاني ، وغاية أوطـاري
ومنزل أحبابي ، ومنـزه مقلتـي
ومطلع أقماري ، ومغرب أفكاري

هذه لمحات من أدب شيخ الأسلام، الحافظ ابن حجر العسقلاني المؤرخ الرحالة ، والأديب الشاعر، والقاضي المتفقه ، والمحدث الاستاذ ، وقـد وصفه « البقاعي » في مقال لـه ــ وهو احد تلامذته ــ في كتاب لـه بعنوان : « عنوان الزمان » فقـال عنه : « كان العسقلاني حسـن الشكل ، جميل الوجه ، منـور الشيبة من كثرة صلاته بالليل ، حسن وجهه بالنهار ، كثير الوقار ، قليـل الكلام، نافعه بديعه ، شديد الاتباع للسنة في الهيئة والطهارة والملبس ، حلو الشمائل ، بديع القول ، ظريف النادرة ، مجلسه كأنه البستان فيه من جميع ما يشتهي الانسان ، العلم والأخبار الحسان ، والنوادر اللطاف، وأحوال الناس في زمان ، من غـير خروج في ذلك عن السنة ، إذا رأى من بعض جلسائه ما يسوؤه قطـع المجلس وقام إلى الصلاة أو دخـل إلى البيت ، قل أن يواجه أحدا بما يكره ، يؤدب بأحواله ، ويهـذب بأقواله ، يكرم جليسه غاية الأكرام، مع الاقتصاد في المدح والذم وتنزيل الناس منازلهم ، له الخبرة التامـة بذلك ، من معرفة أحوال الدهـر واخبار ابنائه ، فاق أهل زمانه في العقل الوافر والاحتمال العظيـم والشفقة على عباد الله ، والرحمة لهم ، على شدة اليقظة والحـزم ، وسرعة الكتابة والكشف والفهـم ، وقوة الحافظة ، وصحة الجسـم وبسط البنان ، فهو عجب من العجب، كرمه متوالي ، على سائر الأنـام وكر الليالي ، ولم ير في أزماننا أكرم منه » . لا غرو بعد ذلك كله أن يظل ابن حجر العسقلاني على شهرتـه وعلمه ، وادبه وفضله ، حتى توافيه المنية مساء اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة عام اثنتين وخمسين وثمانمائة من الهجره ، في منزلـه بالقرب من باب القنطرة ، أحـد أبواب القاهرة ، بالغا من العمـر تسعة وسبعين عاما ، وقد سار في جنازته السلطان الملك الظاهـر « جقمق » وأتباعه ، وحمل نعشـه السلطان ثم الرؤساء والعلمـاء ، نظرا لعلو قدره ، وما أسداه للعلم والعلماء من أياد كثيرة طبقت منزلتها الآفاق ، وخلدت آثارها الأزمان .

كتاب الشهر

الفلسفة التربوية في القرآن

تأليف / د . محمد فاضل الجمالي

عرض وتلخيص/ احمد بن عبد العزيز ابو عامر

في المقدمة تحدث عن حيرة المسلمين وتلفتهم يمنة ويسرة ولما يهديهم من آراء وتفاوتهم بين الافراط والتفريط فيما بين أيديهم من فلسفات التربية والتعليم .. فلا عجب أن كان نتاج مدارسنا من الاجيال هزيلا في اخلاقه ، وأن تكون أوضاعنا السياسية والاجتماعية غير مستقرة ، وأرجع ذلك الى نسيان المسلمين لدينهم ، وتقليدهم لغيرهم ، واستيرادهم المبادئ المتطرفة ، ناسين أو متناسين أن في قرآنهم من كنوز المعرفة والحكمة ما يجعله اكبر كتاب في التربية والتعليم وفي جميع مجالات الحياة .. وبين المؤلف أن كتابه هذا كان من محاضرات الجامعة التونسية التي كان يلقيها تحت عنوان (فلسفة التربية القرآنية) ثم أعاد طبعها ضمن كتابه (تربية الانسان الجديد) وهي وحدة فكرية قائمة بذاتها تمثل محاولة تستهدف استنباط فلسفة تربوية كاملة من القرآن . راجيا ان تكون ممهدة لبحوث أوسع في بابها ، وأن يستفيد منها معلمو التربية الاسلامية .

١ ـ فبدأ المؤلف / بفلسفة التربية في القرآن .. وبين أن هذا مما سيعجب منه من لم يقرأوا القرآن بتفهم لمعانيه وإحاطة بمحتوياته الشاملة ... الى ان قال .. واذا كانت الفلسفة تعني بدايات الأمور ونهاياتها ، ودرس العلاقات بين الانسان وأخيه الانسان ، وبين الانسان والكون ، وبينه وبين خالقه فهذا ما نجده في القرآن ... بل إنه قد عني بتنشئة الفرد ونموه في الجنس البشري ... ولذلك نقرأ يوميا : **(الحمد لله رب العالمين)** الفاتحة/١ أى مربيهم .. بل مربي الخليقة كلها ... ومن هنا

نجد فلسفة القرآن تمتاز بالشمول والتوحيد .
ـ الشمول/ الذي يتناول الوجود كله وما فيه من كائنات : شمولا زمانيا ومكانيا .. وهو يتوج الوجود بالاعتراف بخالقه جل وعلا .
ـ والتوحيد / فهو موفق أكمل توفيق ومتزن أفضل اتزان ، حيث يربط بين المادة والروح ، والايمان والعقل ، والدين والدنيا ، والفكر والعمل ـ والقرآن لا يقبل فلسفة اجتماعية تفصل بين الدين والدولة بل يربط بين الفرد والمجتمع ، والفرد والوجود ، والوجود وخالقه ، مما يتجسم معه الشمول والتوحيد .. في أجلى صورة .

ـ اهداف التربية في القرآن/
ولخصها المؤلف فيما يلي :
١ ـ تعريف الانسان بمكانته بين الخليقة ، وبمسؤولياته في الحياة ٢ ـ تعريف الانسان بعلاقاته الاجتماعية ومسؤولياته ضمن نظام اجتماعي إنساني ٣ ـ تعريفه بالخليقة (الطبيعة) وحمله على إدراك حكمة الخالق في إبداعها وتمكينه من استثمارها ٤ ـ تعريفه بخالق الطبيعة جل وعلا ليعبده بما يستحقه من العبادة .
والاهداف الثلاثة الأولى تؤدي للهدف الرابع وواسطة لبلوغه .. فالهدف الاعلى للتربية الاسلامية اذن هو معرفة الله وتقواه . وما معرفة النفس والمجتمع ومعرفة النظام الكوني الا وسائل ترتقي بنا الى معرفة الخالق جل جلاله . ثم تحدث عن كل هدف حديثا مستفيضا على ضوء الآيات القرآنية ويمكن تلخيصه فيما يلي :
١ ـ الانسان في القرآن مكون من مادة وروح معا . وهما مرتبطتان متفاعلتان فليس هو بالحيوان الحقير الذي ينتهي بالموت ، كما انه ليس بالمخلوق الأسمى المبرأ من العيوب ... فعلا انه مفضل وله كرامته ومنزلته ولكن إذا عرف نفسه واتصف بالعلم والعقل ، أما إذا انحط إلى الحضيض فانه يفقد إنسانيته : **(إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)** ص/ ٧١ ، ٧٢
ـ وهو خليفة الله في الأرض بما زود من قابلية العلم والتعلم : **(واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة)**البقرة/ ٣٠ وتكريمه وتفضيله يتجلى في قوله تعالى : **(ولقد كرمنا بني آدم)** الاسراء ٧٠ ـ والمسؤولية الفردية للانسان تتمثل في قوله تعالى : **(ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)** الأنعام/ ١٦٤ **(وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه)** الاسراء / ١٣ .
٢ ـ ثم تحدث عن (نظرة القرآن الى التربية الاجتماعية) حيث يستهدف نظاما اجتماعيا مؤسسا على مبادئ الوحدة والاخاء والتعاون والشورى ... وتثبيت النظام الأسري على أسس قويمة من التكافل الاجتماعي وباختصار . فان المجتمع الاسلامي كما يصوره القرآن ..

مجتمع متراص البنيان معتدل النزعة الفكريـة فلا إفـراط ولا تفريـط : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطـا)** البقرة ,١٤٣ ثم استعرض المؤلـف بعض الآيات مما يتبين معها أهداف القرآن في التربية الاجتماعية ، مثل قوله تعالى : **(وإن هذه أمتكم أمة واحدة)** المؤمنـون / ٥٢ لبيـان الوحـدة الاجتماعيـة . وفي بيـان الاتحاد والتضامن قولـه تعـالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** آل عمران / ١٠٣ . وفي بيان المساواة بين العناصر والأجناس قوله تعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات/ ١٣ وفي بيـان ان المسؤوليـة الاجتماعيـة تضامنية قوله تعالى : **(كنتم خير أمـة أخرجـت للنـاس تأمـرون بالمعـروف وتنهـون عن المنـكر وتؤمنون بالله)** آل عمران / ١١٠ .

٣ ــ ونظرة الانسان للكون وحمله على ادراك حكمة الخالق في بديع صنعه ليتمكن من استثمارها ، وهذا الهدف ليتوصل من ورائه الى الآتي :

أ ــ معرفة ان الكون مؤسس على الحق وعلى حكم سامية وله نواميس مقررة فهو لم يخلق عبثا .

ب ــ ضرورة دراسة محتويات الكون ونظامه على قدر استطاعته .

جـ ــ الصلة بين الانسان وسائـر المخلوقات مما قد سخرها الله له بلا تبذير أو إسراف .

د ــ التوصل إلى معرفة الله والايمان به عن طريق العقل .

ــ والقرآن ليس كتاب علوم طبيعية كما يريده بعضهم وانما هو يسمو فوقها ويدعو الى ما ورائها . فالحقائق العلمية انما وردت فيه كوسيلة لا غاية . ثم أشار المؤلـف الى بعض الآيات الدالة على خلق الكون وما فيه من روائع وحكم وأسرار . مثل قوله تعالى : **(خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسى أن تميد بكم)** لقمان/ ١٠ . **(خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصـير)** التغابن/ ٣ .

٤ ــ تعريف الانسان بخالقه . وهذا هو الهدف الأصلي ليعرف الانسان ربه ويعبده بما شرع ، ووصفه بما هو مستحق من الصفـات الحسنـى ، وتنزيهه من كل صفات المخلوقين .. ومما هو جدير بالذكر أن طريقة أهل السنـة والجماعـة في أسمـاء الله وصفاته . إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييـف ولا تمثيل ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسولـه ، مع اعتقاد ثبوت كمال ضده لله تعالى ... وفيما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع فيه الناس كالجسم والحيز والجهة ونحوه فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا ينفونه لعدم ورود ذلك . وأما معناه فان اريد به باطل يتنزه الله عنه ردوه وان اريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه وهذه الطريقـة الواجبـة والقول الوسط بين المعطلة والممثلة .

ـ ثم تحدث عن محتويات التربية القرآنية/ وما هو المنهج الذي يحويه القرآن لتربية الانسان فأجاب بما خلاصته :

١ ـ إن التربية القرآنية تتضمن تربية الانسان في كل نواحي حياته حاضرا ومستقبلا مع اعتبار هذه الحياة ما هي إلا استعداد لحياة أفضل هي (الأخرى) وهذه التربية يمكن تحليلها إلى اربعة عناصر هي : (الايمان ، والخلق ، والعلم ، والعمل) وهذه العناصر تشكل وحدة مترابطة متفاعلة . فالايمان هو الينبوع الذي نستقي منه الأخلاق الفاضلة . والأخلاق هي سبيل الانسان لمعرفة الحق والحقيقة وهذا هو العلم بعينه ، والعلم يقود إلى العمل الصالح ، ثم تحدث عن معاني هذه العناصر بايجاز على ضوء القرآن الكريم . فالايمان أركان ستة : (الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . وباليوم الآخر وبالقدر) وقال بأن الايمان هو التصديق والتصديق قناعة فكرية وعاطفية معا ـ

والمعروف لدى اهل السنة والجماعة ، ان الايمان هو إقرار القلب المستلزم للقول والعمل . فهو اعتقاد وقول وعمل . اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل القلب والجوارح والدليل على دخول هذه الأشياء في الايمان قوله صلى الله عليه وسلم : (الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) البخاري وقوله صلى الله عليه وسلم : (الايمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان) مسلم . فالشهادة قول اللسان ، وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجوارح ، والحياء عمل القلب .

ـ والقرآن يدعو لاستعمال العقل والبصيرة ويشجب التقليد واتباع الخرافات والشعوذة . والايمان يحل النظام محل الفوضى ، والوحدة بدل الفرقة ، والأمل بدل اليأس ، وهذه عناصر أساسية في ضمان سعادة الانسان ، وطمأنينته الدائمة ، وهي تلقي على عاتق المربين مسؤوليات جسيمة لاشاعة هذه المفاهيم الايمانية في أوساط الجيل ليتشرب بها ويؤمن بها ومن ثم يتخذها منهج حياة يجاهد في سبيلها .

والأخلاق : قسم أساسي من المنهج القرآني فأورد بعضا من الآيات الدالة على بعض الأخلاق والحاثة على التمسك بها مثل « **كظم الغيظ** » : **(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)** آل عمران / ١٣٤ و« **الرحمة واللين** » : **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)** آل عمران / ١٥٩ . و« رعاية الامانة والعدل » **(ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** النساء / ٥٨ . و« الاتحاد » **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** آل عمران /

١٠٣ و« الصبر » : **(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحـون)** آل عمران / ٢٠٠ و « الصدق » : **(قال الله هذا يوم ينفـع الصادقــين صدقهم)** المائدة/ ١١٩ و « العفو والصفح » : **(فاعفوا واصفحـوا حتى يأتي الله بأمره)** البقرة / ١٠٩ ... ثم أورد آيات مما شجب القرآن من الصفات غـير اللائقـة بالمسلم . ومـن ذلك « الظلـم » : **(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبــون)** الشعــراء/ ٢٢٧ و« النفـاق » : **(ان المنافقـين في الدرك الأسفل من النار)** النساء / ١٤٥ . و « العدوان » **(ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)** البقرة / ١٩٠ و« الكذب » : **(ثـم نبتهـل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)** آل عمــران / ٦١ . و « التجسس والغيبـة » : **(ولا تجسســوا ولا يغتب بعضكم بعضا)** الحجرات / ١٢ . و« الكبرياء » : **(ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)**الاسراء/٣٧.

ــ ثم تحدث عن العلم في القرآن/ حيث اكد ضرورة المعرفة وأهميتها . ومكانة العلماء بمـا هو معـروف للجميع .

و « العمل » بين فيه تأكيد القرآن الشديد على العمل الصالح . وهـو ثمرة العلم . والعمل الصالح يتناول ما يقوم به الانسان نحو خالقه ونفسه وأسرته ومجتمعـه ونحـو الخليقـة بأسرها فأورد الآيات الدالة على مكانة العمل الصالح كقوله تعالى : **(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحـات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم)** يونس / ٩ . فالمربي المسلم لا يجعل من تربيته لفظية وحفظية فقط فلا بد له من تأكيد أن التطبيق واقع في الحياة بالمساهمة في كل عمل صالـح في الحياة الفردية أو الأسرية أو المجتمع أو المحيط الانساني . لا بد من العمل بروح إيمانية هدفها إيجاد الحياة الراضية والمطمئنة .

ــ ثم تحدث المؤلف (عـن طبيعـة الانسان في القرآن) وبين فيه دور التربية القرآنية منذ الطفولة حتـى الشيخوخة . وطبيعة هذه التربيـة وفحواهـا . وتطرق لتأكيد القرآن على حمايـة الطفـل وضمـان حياتـه بالاهتمام بالرضاعة : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)** البقرة/ ٢٣٣ والعناية خاصة بالطفل اليتيم : **(ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم .)** البقرة/ ٢٤٠ مما يؤكد العناية به وحسن رعايته وتربيته ، وتحريم قتل الاطفال بسبب الفقر كما كان سائـدا في الجاهليـة : **(ولا تقتلوا اولادكم خشيـة إمـلاق)** الاسراء/ ٣١ وحـرم وأد البنـات : **(وإذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت)** التكوير/٨ ، ٩ .

ــ تم تحدث عن الفطرة والمواهب/ وأن المقصود بالفطرة هو : الطبيعة الأصلية للطفل أي القابليات والميول لكل فرد . حيث تولـد بسيطـة ثم

تتفاعل مع المحيط فتنمو في اتجاهات صحيحة او خاطئة .
ولذلك أكد القرآن على التربية والتعليم ووهب الله الانسان العقل ، ووهبه قابلية التمييز بين الخير والشر فعلى التربية يتوقف توجيه العقل واستعماله في طريق الخير ، واستعرض بعض الآيات في هذا الباب فمما يدل على أن الأصل في الانسان الخير كما هي طبيعته الأصلية : **(فطرة الله التي فطر الناس عليها)** الروم/ ٣٠
- والاكتساب بالتربية **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)** النحل/ ٧٨ - ومما يدل على قابلية الاختيار : **(وهديناه النجدين)** البلد/ ١٠ و : **(إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)** الانسان/ ٣ .
- ثم تحدث عن مواطن الضعف في الانسان والتى يجب تلافيها ، ولذا عرف القرآن الانسان بنفسه وحللها بكل وضوح ووصف له أسلوب معالجة ضعفه وقرر له فرديا واجتماعيا العلاج والوقاية من الشرور ، فاما ان يعمل فينجو وإما أن يهمل فيهلك لذا نجد في هذا الباب من الآيات : **(إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي)** يوسف/ ٥٣ **(إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا)** الاسراء/ ٥٣
ثم بين بعض التحليل لنفسية الانسان على ضوء الآيات القرآنية ومنها :
(وخلق الانسان ضعيفا) النساء/ ٢٨ **(وكان الانسان كفورا)** الاسراء/ ٦٧ : **(وكان الانسان أكثر شئ جدلا)** الكهف/ ٥٤ ثم بين تهافت فكرة الخطيئة .. وان ما في النفس البشرية من ضعف لا يعنى ان الانسان يولد في الخطيئة كما يزعم ذلك الضالون ، فالطفل يولد بريئا وخاليا من كل جريرة . وتوجيهه نحو الخير والشر يرجع الى تربيته ومحيطه الذى يتلقى منه . مما يلقى على عاتق أولياء الأمور والمربين المسؤوليات الجسام نحو الأجيال في تربيتهم وتعليمهم على مراعاة طبيعة الطفل وميوله ، وإقصاء مؤثرات السوء والشر عنه .
ثم بين أن التربية القرآنية : يتفاوت فيها الأفراد في المواهب والمؤهلات كما هي العادة . كما يتفاوتون في الظروف التي ينشأون فيها نجد ذلك في الآيات المبينة للفروق في الخلقة والعمل والظروف ، ولا شك أن وراء ذلك حكما جليلة . مما يدفع الانسان والمجتمع في السير نحو الحياة الأفضل في كل المستويات ، وفيها أيضا امتحان: هل يستخدم الانسان هذا التفوق للخير العام أم يعتريه الغرور والكبرياء والأنانية ؟
ومن آيات هذا الباب قوله تعالى : **(وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم)** الانعام/ ١٦٥ : **(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق)** النحل/ ٧١ وهذه الفروق تلقي التبعة

لملاحظة كل فرد حسب مواهبه وقابلياته لا سيما مع الطلاب ومع هذا نجد القرآن يبين أن كل نفس لا تكلف الا ما في وسعها : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** البقرة/ ٢٨٦ ثم تحدث أخيرا عن أساليب التربية في القرآن بما ملخصها :

سلك القرآن من الأساليب التربوية الكثير مما لم تتوصل اليه التربية الحديثة الا مؤخرا . ومن ذلك :ـ

١ ـ **أسلوب التربية بالعمل :** (او الطريقة الفعالة) وهى مما توصل اليه مؤخرا بينما سلكه القرآن قبل ذلك ومنذ نزل على الرسول عليه السلام وتكوين اخلاق الانسان وروحياته وعلاقاته الاجتماعية تحتاج الى أفعال يمارسها الفرد لتكوين هذه الخلال العظيمة عمليا فنجد في الفرائض الاسلامية وسائل لتربية الانسان وتوجيهه نحو الاهداف السامية المرجوة . حيث نجدها تعلم الطاعة لله تعالى والشكر له ، وتقوية الارادة وتعويده ضبط النفس والصبر والتزام النظام . والتكافل الاجتماعى والايثار وما الى ذلك من جميل الخلال .

٢ ـ **التذكير والتواصي :** حيث تفترض أن أفراد المجتمع يربي بعضهم بعضا ولذلك يحث القرآن على ضرورة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)** آل عمران / ١١٠ـ **(فذكر إنما أنت مذكر)** الغاشية/ ٢١.

٣ ـ **أسلوب الوعظ والنصح :** فالانسان قد يصغي ويرغب في نصح محبيه مما له أثره الطيب في نفسه مما قد يغير مجرى حياته . ولذا نجد مواعظ القرآن لها أثرها في النفوس عند قراءتها أو سماعها كموعظة لقمان لابنه (لقمان الآيات ١٣ ـ ٢٩).

٤ ـ **أسلوب القصة/**وهو من الأساليب المؤثرة إذا وضعت في قالب مؤثر . والقصة ذات المغزى الأخلاقي . لها أثرها الملموس ولذلك نجد القرآن حافلا بالقصص ذات الأهمية والحافلة بالعبر والدروس ، ومن ذلك قصة ابنى آدم في المائدة حيث تصور فظاعة الحسد والحقد والعدوان من احد الأخوين والتسامح والرحمة من الآخر . وقصة يوسف تصور حسد إخوانه وكيدهم وصبره وثباته أمام مراودة المرأة وكيف استعصم بالله فانتصر على حوافز الشهوة . وكيف دخل السجن وخرج ظافرا .

ومما هو جدير بالذكر أن بعض الكتاب تطرق لقصص القرآن وبيان الحكمة فيه ومن ذلك (التصوير الفني في القرآن) « لسيد قطب » رحمه الله (وبحوث في قصص القرآن) لعبد الحافظ عبد ربه و(القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) لعبد الكريم الخطيب .

٥ ـ **القدوة والصداقة** ، وهى من أهم العوامل المؤثرة في التربية . ولذا نجد القرآن يؤكد على أهمية القدوة في

تقرير مصير الانسان فقد قال تعالى : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)** الأحزاب/٢١ ونجد آثار القدوة السيئة تتمثل في قوله تعالى : **(ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا)** الفرقان/٢٧ و ٢٨ .

٦ ـ أسلوب العبر التاريخية : وقد نكر القرآن كثيرا من القصص التاريخية للأمم والشعوب لما فيها من العبر فنجد الكفر والطغيان والفساد مما يعمل على تقويض المجتمعات وإنزال عقوبات الله عليها . مما يصلح التحذير منه دائما لعدم الوقوع فيه في كل زمان ومكان .

٧ ـ أسلوب المحاكمة العقلية/ حيث يجعل من العقل والمنطق موجها للانسان نحو الخير والحق والتمييز بين الصالح والطالح ولذلك يدعو القرآن لاتباع أحسن الأساليب في الدعوة : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** النحل/١٢٥ : **(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن)** العنكبوت/٤٦ ومن أمثلة هذا الأسلوب ما ورد على لسان نبي الله ابراهيم . حيث ناقش أباه ثم نظر الى الكواكب ثم الى القمر ثم الى الشمس فيجدها آفلة زائلة فيرفض عبادتها فيتجه بفكره وقلبه الى الخالق العظيم المستحق للعبادة إقرأ (الأنعام) الآيات ٨٤ ـ ٨٩ وكذا (الأنبياء الآيات ٥١ ـ ٧١)

٨ ـ أسلوب الاستجواب/ وهو عبارة عن توجيه أسئلة للمخاطب تقوده لأن يتوصل بنفسه الى الحقيقة وهى طريقة قديمة الا أن القرآن استعملها بشكل جميل ومعجز ومقنع في نفس الوقت . إقرأ إن شئت (النمل الآيات ٥٩ ـ ٦٤) و(المؤمنون) الآيات ٨٤ ـ ٩٠ .

٩ ـ أسلوب ضرب الأمثال/ حيث نجد تأثيرها العميق لمناسبتها .

ولذلك يقول تعالى : **(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)** العنكبوت/٤٣ . ومن أمثال القرآن على سبيل التمثيل : **(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)** ابراهيم/٢٤ - ٢٦ .

١٠ ـ اسلوب الترغيب والترهيب/ وهومن الأساليب الطبيعية التى لا يستغني عنها المربي ... إذ لابد أن يعرف الانسان صغيرا أو كبيرا ما وراء عمله وسلوكه من نتائج مسرة أو مؤلمة . ولذا نجد القرآن يبين أن نتائج العمل الصالح طيبة في الدنيا والآخرة . ونجده يصور أهوال الجحيم والعذاب المقيم للكفار والطغاة والمفسدين . فالانسان محاسب على كل عمل يقوم به والجزاء مطابق للعمل فلا ظلم ولا عدوان : **(من عملا صالحا فلنفسه ومن**

أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) فصلت/٤٦

١١ ـ اسلوب التربية والغفران (التوبة): فالقرآن بعد كل الجهود التى يبذلها مع الانسان لا يسد الباب في وجه من عموا وضلوا . بل يفتح لهم البـاب على مصراعيـه للعـودة الى الصراط المستقيم . وذلك بأن يتوبوا ويستغفروا ربهم ليبدأوا حياة جديدة نقية ومما جاء في القرآن دالا على ذلك قوله تعالى : **(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم)** المائدة/ ٣٩ ـ **(قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن اللـه يغفـر الذنـوب جميعـا)** الزمر/٥٣ : **(ورحمتى وسعت كل شئ)** الأعراف/١٥٦ .

وفي الختام قال المؤلف : إنه لا يعرف كتابا قديما او حديثا يحوى هذه الثروة التربويـة العظمـى في الاهـداف والمحتويـات والأساليـب مقرونة بالتسامي والواقعية والشمول والاتزان كالقرآن الكريم) وحسبه أنه كلام الله جل وعلا .. ومما يجدر التنبيه عليه ويعتبر مأخذا على المؤلف ـ عفا الله عنه ـ ما جاء في ص ١٨ عند حديثه عن النظرة القرآنية للتربية الاجتماعية حيث أخذ ما هو سائد من المصطلحـات الأجنبيـة وألصقهـا بالاسـلام كمـا هو شأن بعض المنهزمين حيث يسمون الاقتصـاد والتكافل الاجتماعـى (اشتراكيـة) والشورى (ديمقراطية) خصوصا وان لهذه المصطلحات الاجنبية أصـولا تصادم الاسلام ولقد نشـأت هذه الافكار لظروف معينة لا يمكن معها مطابقة مبادئ هذا الدين ولئلا نطيل فعليك أخى القارئ . وحتى تعرف خطـأ فكرة زعـم « اشتراكيـة الاسلام » ارجع الى « حكم الاسلام في الاشتراكية » لعبدالعزيز البدري رحمه الله « واكذوبة الاشتراكية » لاحمد باشميـل و « اشتراكيتهـم وإسلامنا » لمعروف الدواليبي ولمعرفة خطأ زعم (الديمقراطية والصاقهـا بالاسلام) اقرأ « مفاهيم اسلامية » لمحمدحسين آل ياسين . وفي موسوعة « سماحة الاسلام » لمحمد الصادق عرجـون حديـث عن « اسطـورة الديمقراطية » .

ونشرت مجلة المجتمع مقالة تحت عنـوان « أفـكار مستـوردة » عن الديمقراطية ومخالفتها للاسـلام في العدد (٥٣) من السنة الأولى وهي من احسن ما قرأت في هذا الباب ويستحسن الرجوع اليها لازالة كل الشبه لدى من يستعمل هذه الكلمة ويلصقها بالاسلام بحسن نية . ومما يجـدر ذكره أن فكرة استعمـال المصطلحات الأجنبية خاطئة وقد نبه عليها (محمد اسد) في كتابه القيم « منهـاج الاسـلام في الحـكم » . والاستـاذ محمـد الحسنـي في (الاسلام الممتحن) والاستاذ محمد المبارك في كتابه (الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية) ص ٧٤ .

وفق الله الجميع لما فيه الخيـر والصلاح .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

الحاكم وتوحيد المذاهب

○ السؤال : إذا قامت وحدة المسلمين في العالم كله وأصبح لهم خليفة أو إمام واحد ، فهل المسلمون كلهم يتقيدون بأراء ذلك الامام في المسائل الفرعية التي اختلف فيها الفقهاء والأئمة المجتهدون ؟ وهل يجب حينئذ على المسلمين الذين تقيدوا بآراء إمام مذهبهم قبل الوحدة أن يتركوا مذهبهم وإلا فما معنى وحدة المسلمين حينئذ ؟

محمد سعدى عامر ـ كلية اللغة العربية بالرياض ـ السعودية

ـ **الجواب** : وحدة المسلمين الآن وقيام خليفة عليهم افتراض أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ، ونحن نرى الصور المخزية تعرض علينا في شريط طويل من زمن بعيد ملئ بمآسي التفرق والتناحر بين الدول التي تنتمي إلى الاسلام بعضها مع بعض ، وبين أفراد كل دولة بعضهم مع بعض أيضا بآرائهم المتعددة ومذاهبهم المتخالفة وتعصبهم المقيت للأهواء والجنسيات ، والطبقات .

وكنت أود الامساك عن ذكر أحكام وتنظيمات لشئ متخيل حتى تبدو في الأفق علامات تبشر بوقوعه ، وساعتها نضع الجواب على السؤال وهو ميسر في كتب الاسلام التي لم تدع صغيرة ولا كبيرة إلا تحدثت عنها في النظم السياسية والاقتصادية والقضائية والدولية ، إلى جانب العبادات والعقائد وأصول الدين عامة .

وهذه المسألة من الفقه السياسي الذي ظهرت مسائله على مسرح الحياة الاسلامية عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل ، ووجد من المسلمين من رفضوا بعض الأئمة وخرجوا عن طاعتهم ، وكانت الاحتكاكات التي راح ضحيتها بعض من خيرة الصحابة والتابعين ، ولم يمض على الخلافة الاسلامية في الشرق وقت طويل حتى قامت خلافة أخرى تناهضها في الأندلس ، ثم دب الضعف إلى هذه الخلافات وقامت دويلات مستقلة انفصلت عن الخلافة شكلا وموضوعا ، وانتهت إلى الانقضاض عليها أو التآمر على تصفيتها مما وعاه التاريخ وامتلأت به بطون المؤلفات ذات الوجهات المختلفة والآراء التي داخلها كثير من الهوى .
ومهما يكن من شئ فان من المؤلفات الاسلامية ما عني بنظام الدولة ككتاب

الأحكام السلطانية للماوردي وكتب الحسبة التي ألفها علماء أجلاء ، ومما جاء فيها : أن الامام يلزمه حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة ، فان نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة أوضح له الحجة وبين له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود .

وأهم ما يعنى به الامام هو العلاقات الاجتماعية والدولية ، أما المعتقدات والآراء الخاصة والعبادات ذات الطابع الشخصي فليس للامام دخل فيها إلا بمقدار أثرها على الجماعة ، على حد القول المعروف : من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ، فان من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد . فمن له رأيه ومعتقده فالله حسيبه ما دام لا يحدث به فتنة بين الناس ، وهنا يتدخل الحاكم لحفظ الأمن ووحدة الصف .

وجاء في كلام المتحدثين عن الحسبة وهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، أن المحتسب هل يجوز له حمل الناس فيما ينكره من الأمور التي اختلف الفقهاء فيها على رأيه واجتهاده ؟ فيه وجهان لأصحاب الشافعي ، أحدهما له حملهم على رأيه ، وعلى هذا يجب أن يكون عالما من أهل الاجتهاد في أحكام الدين ، والثاني ليس له حمل الناس على رأيه « الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٤١ » .

ثم تكلموا عن المعروف وقسموه إلى ما يتعلق بحق الله ، وما يتعلق بحق الآدميين ، وما هو مشترك بينهما ، وذكروا أحكام كل بالتفصيل ، ويؤخذ من كلامهم أن للامام والمحتسب حمل الناس على المجمع عليه وبخاصة فيما يتعلق بحق المجتمع كاقامة الجمعة عند توافر شروطها المتفق عليها ، وأنه لا يجوز له حمل الناس على اعتقاده هو ، ولا أن يأخذهم في الدين برأيه مع تسويغ الاجتهاد فيه ، وكذلك في النهي لا ينهاهم عما فيه خلاف .

هذه بعض فقرات مما جاء في كلامهم لا تعطى الاجابة الكافية على السؤال ، وإنما أردت بذكرها أن أبين أن في الاسلام وكتب المسلمين حلا لكل مشكل وحكما لكل قضية ، ولا فائدة من بيان ذلك هنا والكتب مملوءة به وليست الحاجة ماسة إليه وإنما الفائدة أو ما ينبغي أن نهتم به هو واقعنا الحالي ومحاولة حل مشاكله ، وما أكثر هذه المشاكل التي إن وجد لها حل فهو نظري لم يأخذ حظه من التطبيق .. ويوم أن تحل المشاكل السياسية والاقتصادية بالذات يمكن التفكير في وضع نظام للخلافة العامة والحكومة الواحدة بعد بذل الجهد الجبار في جمع الناس على عقيدة واحدة في نظرتهم الى الامامة ومن هو أحق بها ، وأنت تعلم أن أربعة عشر قرنا مضت وما يزال الخلاف على الخلافة يزداد سلطانا على كثير من المسلمين ، كلما حاول بعض الغيورين على الوحدة الاسلامية أن يقربوا فيها بين وجهات النظر أغرق بعض المتعصبين في التعصب لرأيه ، والعدو بدوره يزيد الهوة اتساعا ، ويسد المنافذ على الوحدة إن لاحت بعض بوارقها في الأفق ، ومع كل ذلك فلا أفقد الأمل في رحمة الله .

مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض افكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

في ردنا على مطلب الأخ غسان بن عبدالحميد دبس من سوريا بشأن الاشتراك في المجلة نقول له : ان الاشتراك عن طريقنا غير معمول به ، ويفضل ان تحصل عليها من مكتباتكم ان وجدت أو تيسر وصولها عندكم وان لم يتيسر لك الحصول على المجلة فاكتب لنا لنرسلها لك هدية .

الى السيدة : ف ـ أ ـ خ : تسلمنا رسالتك ، ونؤكد لك أن الاسلام لا يبيح للفتاة أن يختلي بها الرجل الأجنبى عنها متعللاً بخطبته فان الخطبة لا تعني أي رباط إذ الرباط هو العقد والخطبة ليست عقدا ولا تعتبر الفتاة بها زوجة .

وما حدث في أثناء الخطبة ، وقبل العقد مما ذكر في رسالتك يعتبر حراما ، واثما يرتكبه كل من الخاطب وخطيبته وكذلك الأهل الذين يسمحون بذلك ، ويحدث دون اعتراض منهم .

وعن سؤالك عن ما تفعلينه وقد حدث لقاء بينكما قبل العقد وقولك أنه لم يحدث ما يغضب الله فنؤكد لك أن الخلوة أيضا تغضب الله لأنها تمت بطريق لا يقره الشرع ، فتوبا الى الله توبة ندم واستغفار ، وليكن ذلك عبرة لكما يدفعكما لتطبيقه والعمل على تحذير من يلوذ بكما منه ولتكونا قدوة طيبة لغيركما .

والله يرعاكما ويوفقكما لطاعته ، ويباعد بينكما وبين ما يغضبه .

وليست الحاجة أو الفقر أو اليتم من الأسباب التي تدفع الانسان الى البحث عن الزواج من أي رجل ، وبأي شروط ، وتحت أي ظروف تخلقها هذه الأسباب ، فما دمنا مسلمين فلابد أن نعي معنى قول الله سبحانه وهو العليم بنفوس الناس

الخبير بأحوالهم : **(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم).**

ولا شك أن الآية الكريمة تحث على الزواج من النساء الصالحات وعليه فالالتزام بتعاليم الاسلام ، ورعاية الأخلاق من شأنهما أن يرغبا في الزواج ، ويكونا سببا من أسبابه .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : تنكح المرأة لأربع : « لمالها وجمالها وحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ».

ويحث القرآن الكريم أيضا الشباب على الاعتصام بالدين ، والتحلي بالعفة والتصون يقول سبحانه : **(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله).**

وتمشيا مع ما توحي به هذه النصوص يدعو الاسلام الى التعقل ،والأخذ بالأساليب المشروعة ، ورعاية العفة ، والحرص على الآداب ، والتمسك بأهداب الفضيلة ، وحماية الأخلاق ، فتلك تعاليم الاسلام ، وهذه غاياته فليسعد الناس في ظلها ماداموا على الطريق السليم يسيرون .

الى السيد عبدالرحمن بن عبود ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ:

اطلعنا على رسالتك التي تتضمن تفسيرك لآيات من القرآن الكريم ، ونحن نشجعك على المزيد من الاطلاع والاقبال على معرفة اللغة العربية بكل أقسامها ، ومعرفة علوم القرآن ـ الناسخ والمنسوخ . والمتشابه ، وعلم القراءات وأيضا الالمام بالسنة ، والاحاطة بما تحمل من آداب وقواعد للسلوك ، لأن المشتغل بعلم التفسير لابد أن يراعى قواعده ، وبذلك نجنب أنفسنا القول بما يخالف مراد الله سبحانه وما تهدف اليه الآية الكريمة من أحكام أو تشريع ، ولا شك أن الدين متين ، والموغل فيه لابد أن يترفق بنفسه ، ويرعى الأسس التي عليها يسير ، فخير للانسان أن يقرأ القرآن الكريم ، ويعيش جوه الروحي الذي تحضره الملائكة ، وتتنزل فيه رحمة الله سبحانه من أن يخوض غمار التفسير فيخطىء القصد ، ويكفينا قدوة الامام مالك رضي الله عنه فانه كان إذا سئل عن شيء لم يعلمه قال : (لا أدري).

والبحث عن المعرفة والأخذ بالأسباب قبل الادلاء برأي ليس عيبا ولا نقصا ، إذ فوق كل ذي علم عليم ، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ولا تخلو بلاد المسلمين من العلماء والعارفين والموجهين فسر بتوجيه سليم ملتزما الأسس والقواعد لأن أشرف العلوم معرفة كتاب الله وما يذخر به من معان .

بأقلام القراء

جاءنا من الاستاذ محمد عبد الحافظ كلمة قيمة تحت عنوان (من أسرار القرآن) ننشر منها ما يلي :

ما أكثر الأسرار التي يحتويها القرآن الكريم ... وما أكثر الالهامات التي سنظل ــ ما حيينا ــ نستلهمها ونغترف منها ، فلا يغيض معينها ، ولا نسبر غورها لأنها تنزيل رب العالمين . ومن تلك الأسرار . ان الله سبحانه حين ينادي رسله السابقين فهو يناديهم بأسمائهم مجردة من صفة النبوة أو الرسالة ، فحين ينادي نبيه (آدم) ــ عليه السلام ــ يقول : **(يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) .**

وفي سورة (هود) يخاطب أبا الأنبياء (ابراهيم) عليه السلام : **(يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) .**

وينادي نبيه (يوسف) عليه السلام : **(يوسف أعرض عن هذا) .**

وفي سورة (ص) يخاطب نبيه (داود) عليه السلام : **(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) .**

وفي سورة (مريم) : **(يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) .**

وينادي سبحانه وتعالى (عيسى) عليه السلام في سورة (المائدة) : **(يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله).**

وفي سورة (النمل) : **(يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) .**

فاذا ما انتقلنا الى مخاطبته ــ سبحانه وتعالى ــ لنبينا (محمد) صلوات الله وسلامه عليه ــ وجدنا الامر يختلف كثيرا ... فهو يناديه بصفته لا باسمه ، ففي سورة الأنفال : **(يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)** وفيها أيضا : **(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) .** وفي سورة الاحزاب : **(يأيها النبي انا أحللنا لك أزواجك) .** حتى في لحظات العتاب والمساءلة ــ إن جاز التعبير ــ نجد الحق ــ تبارك وتعالى ــ ينادي رسوله بصفة النبوة ، ففي سورة التحريم : **((يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك)** وفي السورة نفسها : **(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)** وعندما يأمره ربه بتبليغ الرسالة : كما في سورة المائدة : **(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) .**

وعندما يواسيه ويسري عنه كما في سورة المائدة أيضا : **(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) .**

ان الله سبحانه وتعالى ـ يريد أن يعلمنا في كتابه الأقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ أن نبينا محمدا صلوات الله وسلامه عليه ـ هو ـ وحده نو الرسالة الخالدة ، التي لا تنتهي بنهاية حياته كغيره ممن سبقه من الرسل ، فرسالة (محمد) هي الباقية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وحتى تقوم الساعة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ومن الخرطوم عاصمة الجمهورية السودانية جاءنا مقال كتبه الأخ الفاضل تاج السر السنجكابي تحت عنوان : (حقا عرفنا الله) وننشر منه المقتطفات الآتية : ـ

عرفنا الله في تكوين الانسان من طين لازب ثم خلقه من حيوان صغير ضعيف لا يرى بالعين المجردة الى جنين يسرح ويمرح في رحم أمه . فتتسع له تلك الرحم فيعيش فيها حنانا ودفئا . وهو في عالم رحب بلا حدود ولا سدود !

عرفنا خالق الكون ومجدناه بلسان رطب يذكره في أكثر من مجال ولا سيما في صورة هذا الانسان العجيب بعد أن خرج للوجود حيا يتغذى لبنا أبيض من ثدى أم غذاء جسمها يعتمد كلية على دم احمر فكيف للبن الأبيض أن يظهر ؟؟؟ تلك أخرى تقود بلا نزاع الى معرفة الله وجودا ... وايمانا واستسلاما .

عرفنا الله في نوعية هذا الطعام المتباين الذي ينتظره الجسم ليتحول اليه عن طريق الفم ليتمركز عن المعدة خلاصة نقية ليوزع على خلايا الجسم المتعددة المعقدة المختلفة شكلا وتركيبا كل بما تشتهي ! تلك المواد التي يحتاجها الجسم بالفعل من الأملاح والحديد وغير ذلك من الغذاء المتكامل لحياة أنسجة وخلايا وعموميات هذا الجسم العجيب فيتفاعل وينمو متجاوبا مع الحياة في مجابهة لمسئولياته المتصاعدة ...

عرفنا الله ... مؤمنين صادقين في خلق هذا الانسان العجيب التركيب الذي أعجز الأطباء على مر العصور صعودا في عالم البحث والمعرفة من شرايين مختلفة وأوردة متعاقبة وغضاريف وعظام وعصب وماء ودم وهيكل واطراف تتفاعل مع الحياة .

عرفنا الله في وحدانية سرمدية ... في أنفاسنا هذى التي تعلو وتهبط ... تسكن وتتردد تباعا ... من أين جاءت ؟ وكيف تتوزع ؟

عرفنا الله في عيوننا التي تنظر وفي آذاننا التي تسمع وفي السنتنا التي تنطق ، التي تذوق فتفرق بين هذا او ذاك ثم تنطق بأفانين جذابة بحمدك على الدوام تسبح .

رباه نعرفك في لغة الكلام حيث يخرج صوت مسموع تارة اجش وأخرى طروب فيسمع غيرنا حديثنا منطلقا من حناجرنا . لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين .

بريد الوعي الاسلامي

القرآن المكي والمدني

هل القرآن المكي يختلف عن القرآن المدني .
وما فائدة معرفة المكي والمدني مع أن الكل نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا كان هناك خلاف فما هي ثمرته ، وما فائدة ذلك بالنسبة للمسلمين ؟
سالم اليوسف ـ الشارقة ـ الامارات العربية المتحدة

القرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على فترتين وفي مكانين وزمنين ، وقد اشتمل القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني على الشدة والعنف ، لأن ضرورة التربية الاسلامية التي يراد لها أن تكون قواعد أمة راسخة تقتضي أن يمزج الترغيب بالترهيب والشدة باللين ، وليس هناك انفراد للمكي كلية بالعنف والشدة دون المدني بل امتزج كل منهما باللين والشدة .

والقول الراجح ان القرآن المكي ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وان كان نزوله بغير مكة .

والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة ، وان كان نزوله بمكة .

على أن هناك أقوالا تقول : ان المكي هو الذي نزل بمكة ، ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة ، أو المكي ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة .

ولا شك أن معرفة المكي والمدني من القرآن الكريم تحتوى على فوائد جمة منها أن المكي حمل حملة شديدة على الشرك والوثنية ، وأنه فتح اعينهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق ودعاهم الى التوحيد والايمان بالبعث ، وناداهم بالكف عن العادات السيئة كالقتل ، ووأد البنات وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وحبب اليهم الايمان ، وقص عليهم من أنباء الرسل ، والأمم السابقة ما فيه تنبيههم وعبرتهم ، وكان الأسلوب الذي تميز به القرآن المكي موجزا لأنهم كانوا أهل فصاحة وبيان الى غير ذلك من الخواص التي تجعلهم يستقبلون القرآن الكريم بفهم ناتج عن قوة إدراكهم لمعاني الألفاظ ومدلولاتها

اما المدني فقد نزل وفيه كثير من البسط والاسهاب مبينا تفاصيل الأحكام والقوانين بكل أنواعها وسائر العبادات ، والمعاملات مع استخدام العقل والحكمة في مناقشة أهل الكتاب ، ودعوتهم الى الاسلام ، ونعى عليهم تحريفهم لكتب الله المنزلة على الرسل من قبل

وبعد فهذه بعض الوجوه التي تتعلق بكل من القرآن المكي والمدني ومنهج القرآن الكريم في كل فترة منها وميزته في تنويع الأسلوب وصيغ الأداء .
ومن الأمور المسلم بها أن معرفة المكي من المدني يترتب عليها أمور أبرزها تمييز الناسخ من المنسوخ ، فيما اذا وردت آيتان او آيات في موضوع واحد فان الحكم يكون بالآيات المدنية لأنها متأخرة في النزول ، ومن أبرزها أيضا معرفة تاريخ التشريع ، وتدرجه بوجه عام ، والذي يؤكد الثقة على ان القرآن الكريم قد وصل الينا سالما من التغيير والتبديل هو اهتمام المسلمين به ومعرفة في اى مكان نزل في سهل أو جبل في سفر أو اقامة ، ومتى نزل في الصيف او الشتاء ، ذلك لأن الله قد تكفل بحفظ كتابه من التغيير والتبديل لتظل كلمة الله هي العليا .

(فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين) .
فما معنى هذه الآيات وما المراد منها ؟
هلال مصلح الامارات العربية

فلولا إذا بلغت الحلقوم أي فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم وانتهى أجل صاحبها فانه يتوفاه ملك الموت وذلك الوصف لحال الانسان وقت الاحتضار كما قال تعالى:« **كلا إذا بلغت التراقي.وقيل من راق.وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ المساق** » .. ولهذا يقول الله سبحانه هنا « **وأنتم حينئذ تنظرون** » أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت:(**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**) ولا ترون كما قال الله سبحانه:﴿ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** ﴾ فماذا أنتم فاعلون وأنتم تقفون في مفرق الطريق المجهول في هذه اللحظة وقد فرغت الروح من أمر الدنيا وخلفت ما وراءها تستعد لاستقبال عالم آخر ولا تملك إلا ما اخرت من عمل:﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون.إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ لا يملك الانسان الحديث عن الذي نحسه ولا يراه الناظرون إليه ولا يستطيعون تغيير شيء وتقف قدرتهم وعلمهم البشرى عند حد العجز وتنفرد القدرة الالهية ويخلص الأمر كله لله فلو كان الأمر كما يظن غير المسلمين من أنه لا حساب ولا جزاء فأنتم غير مدينين فأرجئوا الروح وقد بلغت الحلقوم وامنعوها عما هي صائرة إليه من الحساب وأنتم تنظرون وتجلسون وتشاهدون .
ويسير السياق القرآني الكريم مؤكدا عجز الانسان أمام قدرة الله سبحانه وتلك صورة حية تثبت ذلك .
تلك لمسات خفيفة لمعاني الآيات الكريمة تنعي على المنكرين للبعث واللاهين العابثين من بني البشر نسيانهم يوم لقاء ربهم ولا يخشون عذابه ، وتحث المؤمنين على طلب المزيد من رحمة الله والاستزادة من الخير ليوم المعاد .

مع صحافة العالم

تطبيق الشريعة الاسلامية يقلل معدلات الجريمة

في محاضرة ألقاها الدكتور جيرارد موللر رئيس قسم العدالة الجنائية ومنع الجريمة التابع للأمم المتحدة ــ في جامعة الكويت اوضح ان أقل نسب لمعدلات الجريمة ، توجد في الدول الاسلامية ولا سيما السعودية ، بينما ترتفع نسب معدلات الجريمة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة حيث أصبحت تشكل خطرا كبيرا على أمن المجتمع والأفراد . وعلل الدكتور موللر انخفاض معدل الجريمة بالدول الاسلامية الى تمسك الناس بروح الشريعة الاسلامية وقال : إن تطبيق الشريعة الاسلامية يؤثر في انخفاض معدل الجريمة ودلل على ذلك بالمملكة العربية السعودية .

مصحف مترجم بالفرنسية

صدرت في باريس ترجمة جديدة باللغة الفرنسية للقرآن الكريم تتكون من جزأين ، يضم كل جزء ألفا ومائة صفحة ، ويحتوي هذا المصحف الذي قام بترجمته الشيخ حمزة أبو بكر شيخ مسجد باريس جميع الآيات القرآنية ، ومعها ترجمتها على نفس الصفحة بينما تتضمن الصفحة المقابلة ترجمة وشرحا لبعض الألفاظ والعبارات القرآنية ، كما يتضمن المصحف أيضا بعض التعليقات التاريخية وكل ما يتعلق بالاسلام من تقاليد وعادات وقيم وعلوم .

عن اهمية العقل في الاسلام كتب الدكتور سيد الطويل هذا المقال في مجلة « اكتوبر » المصرية يتحدث فيه عن دور العقل كمحور للعقيدة والايمان وشرطا من شروط التكليف وقد جاء بالمقال :

القرآن .. ينتصر للعقل

ان العقل في الاسلام محور العقيدة . ومناط العبادة وسند الشريعة .. والايمان الصادق بالله . الخالص له وحده . بكل ما فيه من معاني السمو لا يصل الى مستواه الا ذو عقل صريح ... والتقوى اعلى مراتب الايمان عندما ما يدعو القرآن اليها . قال لي محدثي : كل الاحاديث التي تمتدح العقل . وتثني عليه لم يصح منها شئ !! وفي غمرة عجبي بدقته في التحديث ، وحرصه على التمييز بين الصحيح والسقيم من الحديث أدركت

انه بهذا الحكم يريد ان يسلب العقل حقه . ويحول بينه وبين ما خلق لاجله من التأمـل والنظـر . والمقارنـــة والموازنة . والتمحيص والتحقيق .
ولئن كانت احاديث العقل موضوعة فواضعها عشاق فلسفة اليونان الذين يريدون ان يسبغوا على فكرهم الوافد من ارض الاغريق لونا من الشرعية الاسلامية !! ليحملوا المسلمين على مدارستها . ومتابعة ما يترجم منها ، ولينظروا الى حركة التوفيق بين الدين والفلسفة نظرة تقدير وتوقير .
فالمقصود بالعقل ـ إذن ـ ما أنتجه العقل اليوناني من آراء في الطبيعة وما وراءها . وعندما تكلم ابن رشد عن التوفيق بين الدين والعقل ، فانمـا يعني بالعقل فلسفة اليونان .
فالقول بأن أحاديث العقل موضوعة إنما هو محاولة لوقف تغلغل الفكر اليوناني في تراث المسلمين . وهذا أمر نشجعه ونؤيده . أما أن نسوقه لنرد الناس عن الفكر السليم . والنظـر القويم ، أو لنوقع في روعهم أن في الاسلام أمورا كثيرة غير معقولة . وأنه ليس من حق العقل النظر في كتب التحديث . أو التوقف أمـام بعض الاحاديث فتلك قضية بالغة الخطورة تسيء إلى التراث أكثر مما تحسـن إليه . وتدفع إلى هدمه أكثر مما تعمل على صيانته .
إن العقل في الاسلام محور العقيدة . ومناط العبادة ، وسند الشريعة ، وها هي ذى البراهين .
إن القرآن يدعو العقل ليمارس دوره ، فيحثـه حثـا قويـا على النظـر ، والتفكير ، والسير والتأمل ، ليصل بصاحبه إلى الايمان الواعي الذي يخلق العزم القـوي ، والتضحيـة البالغة . يقول تعالى :
(قل انظـروا ماذا في السمـوات والأرض) (أولم يتفكروا في ملكوت السمـــوات والأرض) (او لم يسيروا في الأرض فينظروا كيـف كان عاقبة الذين من قبلهم) (قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) .
بل إن القرآن يعد الانتفاع بآياته مقصورا على العقلاء وحدهم يقول تعالى : **(إن في ذلك لآيات لقـوم يعقلون) . (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد) . (اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتـم تتلـون الكتاب أفلا تعقلون) . (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إلـه واحـد وليـذكر اولـــو الألباب) .**
والايمان الصادق بالله . الخالص له وحده بكل ما فيه من معاني السمو لا يصل إلى مستواه إلا ذو عقل صريح . يقول تعالى : **(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الألباب) .**
والتقوى وهي أعلى مراتب الايمان عندما يدعو القرآن إليها . يوجـه دعوته للعقـلاء . فيقـول تعـالى : **(واتقون يا أولى الألباب) .**
وتعطيل العقل آفة او نكبة تنتهـي

بصاحبها إلى الضلالة . إذ تجعله كالحيوان الذي لا يدرك قيمة النعم . ولا فضل المنعم . يقول تعالى : **(والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم)** كما يقول تعالى : **(ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون)** .

كرامة الانسان

والانسان ــ حينذاك ــ مسئول عن هذه النعمة التي ضيعها ، والكرامة التى اهدرها **(إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا)** وها هم اولاء أهل النار ، وهم في غمرة العذاب يتحدثون عن سبب خسرانهم فيقولون : **(وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)** .

وفي مجال العبادة نرى العقل شرطا من شروط التكليف . فالصلاة والصيام والزكاة والحج لا تكون لغير العقلاء بحال من الأحوال . وذلك لأن العبادة ضراعة واعية . وارتباط خاشع حكيم برب العالمين ولا تتسنى تلك لغير من صحت عقولهم . وصفت قرائحهم . ونقيت فطرهم .

ومن هنا نؤكد انه لاعداء بين الدين والعقل . ولا تناقض بينهما . وكلما قام العقل بدوره عزز الايمان والتدين الحق في أعماق صاحبه . وهذه قضية قررها شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » . فالنص الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح . لأن كليهما من نعم الله كما يقول الشيخ محمد عبده . ولا يمكن أن تتناقض النعم .

واذا وجد تعارض بين عقل ونص فمرجعه إما هوى أو تعصب منع العقل من القيام بدوره . واما زيف لحق بالنص جعله بعيدا عن قدسية الدين الحق وسموه .

واذا نظرنا إلى التشريع الاسلامي من جوانبه المتعددة نجد الحكمة والاحكام . كما نجد العقل الواعي يخر ساجدا امام سمو التشريع ، وسداد التحكيم ، فلا نجد في هذا التشريع حكما واحدا يخفى على العقل الناضج سره . او تلتبس عليه حكمته .

والحياة الراشدة التي كشف القرآن الكريم أسبابها . رائدها عقل راشد . تحرر من أوزار الوهم والخرافة .

ولا ينبغي إذن أن نحول بين العقل وبين مدارسة القرآن وفهمه ، فلا حجة لنا بعد قوله تعالى : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** وقوله تعالى : **(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها)** .

ولا ينبغي ان نحول بينه وبين التراث ينقيه ويصفيه على هدى من الكتاب الحق الذي **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** .

إن القرآن الكريم بهذه الصورة ينتصر للعقل . ويسانده على النهوض بدوره الحتمي في هذا الوجود في ظلال الدين الحق ، وعلى نور من هديه وهداه .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان	يونيو	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاثنين	١	٢٥	٨ ٢٣	٩ ٥٩	٥ ٠٠	٨ ٣٣	١ ٣٣	٣ ١٤	٤ ٥٠	١١ ٥٠	٣ ٢٤	٦ ٥١	٨ ٢٣
الثلاثاء	٢	٢٦	٢٤	٥٩	٠٠	٣٣	٣٣	١٥	٥٠	٥١	٢٤٠	٥١	٢٤
الاربعاء	٣	٢٧	٢٤	١٠ ٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
الخميس	٤	٢٨	٢٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٢	١٦	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
الجمعة	٥	٢٩	٢٥	٠٠	٠٠	٣٤	٣٢	١٦	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
السبت	٦	٣٠	٢٥	١	١	٣٤	٣٢	١٦	٥١	٥١	٢٥	٥٢	٢٤
الاحد	٧	يوليو	٢٦	١	١	٣٤	٣٢	١٧	٥٢	٥٢	٢٦	٥٢	٢٣
الاثنين	٨	٢	٢٦	١	١	٣٤	٣٢	١٧	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٣
الثلاثاء	٩	٣	٢٧	٢	١	٣٥	٣٢	١٨	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٣
الاربعاء	١٠	٤	٢٧	٢	١	٣٥	٣٢	١٨	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٣
الخميس	١١	٥	٢٨	٣	٢	٣٥	٣٢	١٩	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٣
الجمعة	١٢	٦	٢٩	٣	٢	٣٦	٣٢	٢٠	٥٤	٥٣	٢٧	٥١	٢٣
السبت	١٣	٧	٢٩	٣	٢	٣٦	٣١	٢٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥١	٢٢
الاحد	١٤	٨	٣٠	٤	٢	٣٦	٣١	٢١	٥٥	٥٣	٢٧	٥١	٢٢
الاثنين	١٥	٩	٣٠	٤	٢	٣٧	٣١	٢١	٥٦	٥٣	٢٧	٥١	٢٢
الثلاثاء	١٦	١٠	٣١	٥	٣	٣٧	٣١	٢٢	٥٦	٥٣	٢٨	٥١	٢١
الاربعاء	١٧	١١	٣٢	٦	٣	٣٨	٣١	٢٣	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١
الخميس	١٨	١٢	٣٣	٧	٤	٣٨	٣١	٢٣	٥٧	٥٣	٢٨	٥٠	٢١
الجمعة	١٩	١٣	٣٤	٧	٤	٣٨	٣٠	٢٤	٥٧	٥٤	٢٨	٥٠	٢٠
السبت	٢٠	١٤	٣٥	٨	٤	٣٩	٣٠	٢٥	٥٨	٥٤	٢٨	٤٩	٢٠
الاحد	٢١	١٥	٣٦	٩	٥	٣٩	٣٠	٢٦	٥٨	٥٤	٢٨	٤٩	١٩
الاثنين	٢٢	١٦	٣٧	١٠	٥	٤٠	٣٠	٢٦	٥٩	٥٤	٢٩	٤٩	١٩
الثلاثاء	٢٣	١٧	٣٩	١١	٦	٤٠	٣٠	٢٧	٥٩	٥٤	٢٩	٤٨	١٨
الاربعاء	٢٤	١٨	٤٠	١٢	٦	٤١	٢٩	٢٨	٥ ٠٠	٥٤	٢٩	٤٨	١٧
الخميس	٢٥	١٩	٤١	١٣	٧	٤١	٢٩	٢٩	١	٥٤	٢٩	٤٨	١٧
الجمعة	٢٦	٢٠	٤٢	١٤	٧	٤٢	٢٩	٢٩	١	٥٤	٢٩	٤٧	١٦
السبت	٢٧	٢١	٤٣	١٥	٨	٤٢	٢٩	٣٠	٢	٥٤	٢٩	٤٧	١٥
الاحد	٢٨	٢٢	٤٥	١٦	٨	٤٣	٢٩	٣١	٢	٥٤	٢٩	٤٦	١٤
الاثنين	٢٩	٢٣	٤٦	١٧	٩	٤٤	٢٨	٣٢	٣	٥٤	٣٠	٤٦	١٣

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

ية العدد : براعم الايمان
ورسالة الصيام والزكاة

الوعي الاسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٧ ○ رمضان ١٣٩٩ هـ ○ يوليو ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

عمان : عاصمة الأردن والمدينة الرئيسية فيه ويتوسطها الجامع الحسيني الكبير وهو هنا بمئذنتيه القديمة والحديثة وقد امتلأ بالمصلين .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٧ ○ رمضان ١٣٩٩ هـ ○ يوليو ١٩٧٩ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

لعلكم تتقون

في كلمة واحدة ، كشف الله تبارك وتعالى عن حكمة الصوم وثمرته ، وفي هذه الكلمة المضيئة ذات الأحرف الأربعة ، (تقوى) يتجمع كل ما يرجى للصائم من ألوان الخير ، والهدى ، والبر ، كما يفهم من قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

وان هذه الكلمة الجليلة تتسع على قلة حروفها فتشمل الاسلام عقيدة وعبادة ، ومنهجا وسلوكا . وهي مع خفتها على اللسان ، ثقيلة في الميزان ، وبها يرجح الناس عند الله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وهي صمام الأمن في المجتمع ، والحارس اليقظ في داخل الضمائر ، وطوايا السرائر ، فاذا ثارت الشهوة ، وجمحت الغريزة ، وعربدت نوازع الشر ، جاءت التقوى ، فكبحت الجماح ، وشدت الوثاق ، وردت الهوى الشارد ، وصدت النفس الأمارة بالسوء ، لأن التقوى في حقيقتها ، حساسية القلب وشعوره بالخوف ورجفته من غضب الله .. وهي بهذا المعنى اذا اكتملت صورتها في قلب المؤمن ، أقبل على صيام رمضان إيمانا واحتسابا ، وإيثارا لما عند الله من أجر ومثوبة ،

وهي التي تحرس الصوم فتحميه من غوائل الرفث ، والفسوق ، وقول الزور والعمل به ..

وإذا أردنا أن نبني مجتمعا فاضلا تظلله السكينة ، وتسوده الحياة المطمئنة ، لما أمكن تصوره الا في ظلال (التقوى) عندئذ نرى فيه الحاكم العادل ، والقاضي الراشد ، والعالم العامل ، والكاتب العف ، والتاجر الصدوق ، والزارع القنوع ، والصانع الأمين ، ورب البيت الذي يدرك أنه راع لشؤون زوجه وأولاده ، وكل راع مسؤول عن رعيته .

وإذا استطعنا أن نتصور مجتمعا تجرد من تقوى الله ، وتعرى من خشيته ، لهالنا ما نرى من انفراط عقد النظام ، واختلال موازين القيم ، وحنيئذ تصبح الحياة حصيدا خامدة كأن لم تغن بالأمس .

ولعظيم اهتمام الاسلام بالتقوى ، وعنايته بها ، تردد لفظها في آيات القرآن الكريم في أكثر من مائتي مرة ، في صورة الحديث عنها ، أو الأمر بها ، أو الترغيب فيها .

فهي طوق النجاة من سوء الدنيا وعذاب الآخرة : (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء) .

وهي أكرم زاد ينتفع به الانسان في عاجل أمره وآجله : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) .

وهي خير لباس يصون المرء ويزينه : (ولباس التقوى ذلك خير) .

وهي تصاحب الفضائل جميعها ، وتدور في فلكها .

إنها مع العدل : (اعدلوا هو أقرب للتقوى) .. ومع الوفاء والنبل : (بلى من أوفى بعهده واتقى) ومع التواضع : (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ومع الصبر والاحسان : (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) .

وحسب المتقين شرفا أنهم أولياء الله ، وهو معهم بعونه ونصره : (إن أولياؤه الا المتقون) (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

ومهما تحالف أعداء الاسلام عليه ، وتآمروا على إطفاء نوره ، وتصفية كيان اتباعه المؤمنين به ، فالغلبة في النهاية للحق : (والعاقبة للمتقين) .

رئيس التحرير

أحمد البيومي

ويسألونك عن ذي القرنين

للدكتور محمد رجب البيومى

تكثر الروايات التاريخية في كتب التفسير شرحا لبعض الأحداث، وتكملة لما يتضمن كتاب الله عز وجل من قصص يحمل العبرة البالغة والعظة النافعة وفي هذه الروايات ما يصدقه النظر المتئد، ويقبله العقل المتأمل، كما أن فيها ما يجب أن نتريث كثيرا في تدوينه، وقد كان قدماء المفسرين معذورين كل العذر في تسطيره، إذ أن منهم من يكتفي بذكر السند وكأنه يخرج من التبعة إذ أحال الخبر الى سواه تاركا فحص الوقائع لذوى الاختصاص من رجال التاريخ، وقد يكون حديث القرآن الكريم عن رجل لم يأت في إيضاحه أثر نبوى صحيح كذى القرنين مثلا، وهنا نتوقع كثيرا من الشطط لدى بعض القدماء من المفسرين لأن معرفتهم بالتاريخ العالمي البعيد عن مواقف الاسلام قليلة، وقد تكون معدومة لدى بعضهم، فيتورطون في نقل أراجيف تسيء ولا تحسن، ولعل في هذا المقال ما يقدم المثال.

إن تاريخ الاسكندر المقدونى جبار اليونان وطاغية العهد القديم لم يكن من الوضوح لدى بعض المفسرين القدماء كما هو اليوم بعد أن كثرت عنه المؤلفات من أبناء جنسه، وممن عاشروه في عهده البائد، وكتبوا عنه ما صار اليوم موضع دراسة فاحصة ومراجعة مستنيرة لدى من تحققوا من الروايات واطمأنوا الى الوثائق ومدونات الآثار الحجرية في الشرق والغرب حتى استقامت له صورة صحيحة تدل على سلوكه النفسي وطموحه الحربى، وجبروته الدكتاتورى، وقد أجمع مؤرخوه دون أن يشذ أحد، حتى غلاة المتعصبين من بني قومه ممن يعتبرونه ميراثا وطنيا للأحفاد ومثالا للبسالة الفائقة والفتح المبين، والغزو الناطق بعزة اليونان في القديم، أجمع هؤلاء

المؤرخون على أن الاسكندر الشاب المتهور كان جبارا عنيدا يسرف في سفك الدماء دون مبرر ، وأنه كان يضحي بمئات القرى والمدن ليرضي شهوات جنوده في السبي والهتك والابادة والاستئصال ، وعلى أنه كان غادرا لا يفي بعهد ، ماكرا يضع الدسائس المنكرة ليوقع بالأبرياء حتى من أخلص خلصائه الذين يتوهم فيهم طموحا الى منزلة ، أو تطلعا الى قيادة ، كما أن الخمر كانت لذته الأولى فاذا عصفت برأسه جن جنونه وحمل السيف ليفتك بندمائه ومن يوقعهم الحظ الأشأم في متناوله ، وهو يهيئ المجلس لذلك محتفيا محتفلا ، داعيا من لا يرضى عنهم من كبار الجنود ليكونوا طعمة السيف ساعة الهياج ثم يعتذر لدى الصحو بالشراب ، وقد تآمر ودبر وقدر ونفذ ، كما تحدث المؤرخون جميعا عن غصبه للنساء ثم إعدامه لهن عقب أن تشفى نزوته الطائرة منهن ، وقد خضعن له كرها دون طوع وفوق هذه الشرور جميعها فقد كان الرجل وثنيا غير موحد لا يؤمن برب فرد ، وقد زار معبد سيوه عند غزوه لمصر ، فاحتال الكهنة لينجوا من شره فزعموا أنه ابن الاله آمون ، وأنه ورث سلطانه في الأرض ، ودونوا ذلك في بعض آثارهم الحجرية التى لاتزال لدينا اليوم ، ونحتاج الى صفحات كثيرة لنستقصي دواهيه ، وقد ملئت بها المجلدات في القديم والحديث ! فليت شعري أيكون هذا الطاغية الجبار هو الملك العادل الموحد المؤمن الذى عناه الله عز وجل في سورة الكهف حين قال :

(ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شئ سببا . فأتبع سببا . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا . وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا . ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا . كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا . ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) الكهف/ ٨٣ ــ ٩٥ .

فالآيات الكريمة تتحدث بوضوح سافر عن إنسان عادل مؤمن موحد يستغيث به المقهورون من الضعفاء ، لينقذهم من بطش الطغاة ، وهو في صميم شعوره عابد ورع يضع الموازين بالقسط فيعلن ــ كما حكى عنه كتاب الله ــ أن من ظلم الناس شيئا فسيجد عقابه منه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ، أما الذى عدل وآمن وعمل الصالحات فله جزاء

الحسنى وسيلقى الترحيب واليسر من ذى القرنين ! هذا المؤمن الموحد العادل الذى بذل جهده الجاهد ليبنى سدا منيعا يحمى الضعفاء من شر الأقوياء ، وقد سخر جهده وقوته وماله وأعوانه زمنا طويلا ليرفع هذا السد الشامخ حماية للمستجير ، وأمنا للهيف ، هذا المؤمن الموحد العادل ـ سواء كان ملكا عادلا أو نبيا كريما كما تقول بعض الروايات ـ لا يمكن أن يكون الاسكندر الأكبر المقدونى بحال ، وهو الذى كان يهجم على الدولة الآمنة ليذبح الأطفال ويستأصل الشيوخ ويأسر الشباب ويغتصب النساء ليكن متعة هنيئة للجنود ، ثم يبحث عن المال ذهبا أو فضة ليحمله جميعه حين يرحل عن المدينة المنكودة تاركا لها شتى الأوبئة من يتم وفقر وعرى وجوع مما لا يقوم به غير طاغية جبار لم يستشعر إيمانا يدفعه الى العدل والاحسان .

إننا إذا عذرنا قدماء المفسرين في حملهم هذه الآيات الكريمة من سورة الكهف على الاسكندر المقدونى فلن نعذر من يفسرون اليوم كتاب الله من المحدثين فيذكرون ما تعورف في التراث التفسيرى من الروايات المتناقضة ، ومن بينها تعيين الاسكندر المقدونى وترجيحه على سواه ، وهم يعلمون أن ما ذكره المتقدمون من أمثال الطبرى والمسعودى والثعلبى من مؤرخى العرب عن الاسكندر لا يعدل في صدقه ما ذكره أبناء جلدته وعارفو تاريخه من المعاصرين ، لأن مؤرخى العرب لم يكونوا في عهودهم البعيدة ممن يستطيعون تدوين التاريخ العالمى على وجهه الصحيح ، فأين هم من تواريخ الرومان واليونان والهنود والفرس والترك والصين في أحقابهم السحيقة ، وآمادهم المتطاولة ، وإذا كان تاريخ العرب أنفسهم في العصر الجاهلى ، لم يخل للآن من اضطراب يختلط فيه الخطأ بالصواب ، والروايات متوالية ، والأشعار شاهدة ، والأنساب مدونة ، والوقائع متناقلة ! إذا كان تاريخ العصر الجاهلى العربى لايزال موضع دراسة وفحص وترجيح فلن يكون تاريخ الاسكندر قد وصل الى هؤلاء المؤرخين على وجهه الصحيح فنقلوه واثقين !

لقد كتب المرحوم الاستاذ عبدالمتعال الصعيدى فصلا طويلا تحت عنوان (الحضارات القديمة في القرآن) نشره مسلسلا بمجلة الرسالة ثم جمعه في كتاب خاص ، وقد تحدث عن الحضارات الفرعونية واليمنية واليهودية ، والكلدانية بما يصلح أن يكون موضع أخذ ورد كبيرين لوجود فجوات في حديثه ينبغى أن تملأ في ضوء ما وصلت اليه الاكتشافات الأثرية الحديثة من نتائج ، ثم ختم كلامه بفصل عن الحضارة اليونانية في القرآن متحدثا عن الاسكندر الأكبر المقدونى وما ذكره القرآن ـ في زعمه ـ عنه بسورة الكهف ، وقد تورط الباحث الفاضل حين قال عن الاسكندر : إنه مؤمن عادل موحد لأن القرآن الكريم ذكر

ذلك عنه ! وما أظن باحثا معاصرا قرأ ما كتبه المتخصصون عن الاسكندر في الحديث والقديم يلج هذا المولج ، وهو يرى تاريــخ الرجــل طافحــا بالشرور وأخذ الاستاذ الصعيــدى يروى عن الطبرى والرازى وابن كثير والقرطبى ما يؤيد وجهة نظره حين اعترضه ناقد فاضل يستبعد ان يكون ذو القرنين القرآنى هو الاسكنــدر المقدونى ، ونحن في عصر حضارى ثقافي تمحصت فيه فنون شتى من مسائل التاريخ ومن بينها تاريــخ الاسكندر فكيف نأتى البيوت من غير ابوابها لنجعل روايات الطبرى دافعة لكل ما كتبه مؤرخو الغرب عن الغازى الخطير .

ليس من غرضى الآن أن أحــدد المقصود من ذى القرنين في كتــاب الله ، فأجعله فارسيا أو يمنيا ، كما انتهى الى ذلك بعض الدارســين ، ولكنى أمنع أن يكون هو الاسكندر المقدونى اذ من المحال أن يكون طاغية من عتاة الطغاة مصلحا أمينا عادلا ، وما جاء في كتب التفسير من الروايات لا يخرج عن قصص بدائى يرتفع الى وهب بن منبه في بعض أسانيده ، وقد انتشر هذا القصص في بلاد إسلامية ، من بينها فارس التــي اصطلت بنار الاسكندر فقتل ملوكها وخرب ديارها وترك خلفه أساطــير دامية تتحدث عن خوارقــه ، وقــد استمرت هذه الأساطير متداولة على النطاق الشعبى حتى جاء الشاعر الفارسى المسلم (نظام الكنجوى) فحلا له أن يضع قصة (اسكندر نامة) مستعينــا بمــا تداول على الألسنة ، وقد شاء له خياله أن يجعل من الاسكندر نبيا مرسلاً وأن يبعث به الى مكة ليطوف البيت الحرام حاجا معتمرا ، ثم يوالى سيره لليمن فالهند فبلاد الأرمن فالعراق ثم يتحول الى منطقة الظلام بأرض الصين فيقابل الخضر ويحارب يأجــوج ومأجــوج وكأنى بالشاعر الفارسى وقد وجــد قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح مجاورة لقصة ذى القرنين في سورة الكهف فجعل القصتين قصة واحــدة هكذا كمــا شاء خيالــه الشاعــر !! وانتقلــت القصــة الى العربية فاستعان بها المفسرون دون تمحيص وصارت مددا آخر يضاف الى ما يعرفون ، ولا نظلم جميــع المفسرين فمنهم من تحرز واحتــاط ومنهم من تقبل كل قول فحكاه .

نعلم أن كثيرا من الأعلام التى تحدث عنها كتاب الله الكريم مثل ذى القرنين وجالوت وهاروت ومــاروت وطالوت وعزير كانت موضع التكثر والتزيــد لدى بعض الكاتبــين وفي الروائيين من استمــد من روايــات المفسرين خيوطا كثيرة ليجعل من فنه تهاويل ذات بريق ، وموضع الخطورة في هذا الصنيع أن قارئ القصــة الروائية ذات الخيال البعيد يظــن المؤلف يتابع الحقيقة وحدهــا دون تلفيق ، لأنه يتحدث عن علم من أعلام القرآن الكريم ، ويستمد خيوطه من كتب التفسير ، لذلك كان من الواجب أن نمحص الحق وأن نميط الأذى عن كتاب الله قدر ما نستطيع .

دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ

للشيخ احمد عبد الواحد البسيوني

عندما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة ، كان يخطب فيه قائما على الأرض مستندا إلى جذع نخلة ، وظل كذلك إلى السنة الثامنة من الهجرة ، فلما شق عليه القيام ، أشار عليه أحد صحابته أن يضع له منبرا يرقى عليه إذا خطب ، ويستريح عليه إذا جلس قبل الخطبة ، أو بين الخطبتين ، روى أبو داود وغيره عن ابن عمر أن تميما الداري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كثر لحمه : ألا نتخذ لك منبرا يحمل عظامك ؟ قال : بلى ! فصنع له المنبر من أثل الغابة، والأثل : شجر كالطرفاء لا شوك له ، وخشبه جيد ، والغابة : موضع بعوالى المدينة ـ والذي صنعه مولى امرأة من الأنصار يقال له « ميمون » وكان نجار المدينة ، وقد جعله من ثلاث درجات ، وبقيت له درجاته بهذا العدد إلى أن زاده مروان في خلافة معاوية ست درجات ، فصارت درجاته تسعا ، وفي اليوم الذي تحول فيه النبي صلى الله عليه وسلم من الجذع إلى المنبر ، انبعث من الجذع صوت سمعه كل من في المسجد وكان كحنين المشتاق ، المتألم

عن كعب بنِ عُجرةَ رضي الله عنه أنه قال : قال رسولِ الله صلىَ الله عليه وسلم :
« أُحْضُروا المنبرَ ، فلما ارتقى درجةً قال : آمين ، فلما ارتَقَى الدرجةَ الثانيةَ قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجةَ الثالثةَ قال : آمين ، فلما نَزَل قُلنا : يا رسولَ اللهِ ، لقد سَمِعْنَا مِنْكَ اليومَ شيئاً ما كُنا نَسْمَعُه ! قال : « إنَّ جبريلَ عليه السلامَ عَرَضَ لي فقال : بَعُدَ مَنْ أدركَ رَمضانَ فلم يُغْفَرْ له ، قلتُ : آمين ، فلما رَقيْتُ الثانيةَ ، قال : بَعُدَ من ذُكِرْتَ عِندَه فلم يُصلِّ عليكَ ، فقلتُ : آمين ، فلما رقيتُ الثالثةَ قال : بَعُدَ من أدرَكَ أبويه الكِبَرُ عنده أو أحدَهُما فلم يُدخِلاه الجنةَ ، قلت : آمين » .
رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد كما رواه أيضا الطبراني وابن حبان .

عند الفراق ، فرجع النبي الكريم إلى الجذع الباكي فوضع يده عليه فسكن ، روى البخاري عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال : « كان جذع يقوم إليه النبي صلى الله عليه وسلم فلما وضع له المنبر ، سمعنا من الجذع مثل أصوات العشار .. وهي الناقة الحامل حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه » وعند النسائي « اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج » ــ والخلوج بفتح الخاء المعجمة ، وضم اللام الخفيفة اخره جيم : الناقة التي انتزع منها ولدها ــ

وظل النبي صلى الله عليه وسلم يخطب على هذا المنبر حتى التحق بالرفيق الأعلى ، وخطب عليه الخلفاء الراشدون من بعده ، غير أن أبا بكر نزل عن درجة النبي إلى التي تليها تأدبا منه أن يجلس مكان الرسول الكريم ، ونزل عمر عن درجة أبى بكر تواضعا منه أن يرتفع إلى مكان الصديق والخليفة الأول ، فلما جاء عثمان رضي الله عنه لم ير بدا من أن يعود إلى المكان الأول .

وبقيت سنة الخطابة على المنبر ماضية في المسلمين هديا كريما ، وسنة متبعة ، بيد أن خطبة الرسول على المنبر ، لم تكن قاصرة على خطبة الجمعة ، بل كان يخطب عليه كلما أراد أن ينفذ بعثا ، أو يدعو إلى جهاد ، أو يفضي إلى المسلمين بأمر خطير ، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ، وكان آخر مجلس جلسه متعطفا ملحفة على منكبيه ، قد عصبت رأسه بعصابة دسمة ـ اي سوداء كلون الدسم وهو الزيت ، ولعلها كانت متغيرة اللون من كثرة ما يوضع عليها من الطيب .. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس إلي ، فثابوا إليه ثم قال : « أما بعد : فان هذا الحي من الأنصار يقلون ويكثر الناس فمن ولى شيئا من أمة محمد واستطاع أن يضر فيه أحدا ، أو ينفع فيه أحدا ، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم » . وقوله صلى الله عليه وسلم إن الأنصار يقلون وتكثر الناس هو من إخباره بالغيب فان الأنصار قلوا وكثر الناس من غيرهم .

وفي الحديث الذي رواه كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعا أصحابه ذات يوم إلى أن يجتمعوا حول المنبر ، فنادى فيهم قائلا : احضروا المنبر ، فاجتمع الأصحاب الكرام من كل صوب وحدب حتى ضاق بهم المسجد على رحبه ، ثم تحول الرسول الكريم إلى منبره ليستقبل المسلمين بما اعتاد أن يستقبلهم به من الموعظة الحسنة ، والقول البليغ ، وليلقى في سمع الزمان ما أعتاد أن يلقي من هدى ، أو يسدي من نصح ، كيما تجد فيه الانسانية رشدها وصوابها .

فلما وضع رجله على الدرجة الأولى ، سمعه الصحابة يقول « آمين » وعهدهم بهذه الكلمة أن تقال عقب دعاء ، رجاء أن يستجيب الله لمن دعا به ، فلم قالها الرسول في هذه اللحظة التي يعتلي فيها منبره ؟ وعلام يؤمن ولم يروا داعيا ، ولم يسمعوا دعاء يتردد في أرجاء المسجد ؟

ومما زاد في حيرتهم ، أن الرسول لم يقلها مرة واحدة ، ولكنه لما ارتقى درجة قال: آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال : آمين ، فما كاد يفرغ من خطبته حتى اكتنفه الصحابة يسألونه في لهفة .. يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه .

فبين لهم أنه أمن على دعاء سمعه من جبريل عليه السلام حين عرض له وهو يرقى درجات المنبر ، فهتف عند كل درجة بدعاء ، سمعه الرسول ولم يسمعه غيره ، فقال عقب كل دعاء : آمين .

وهذه الكلمة المباركة مفتاح الاجابة للدعاء ، وهي مثل الخاتم يختم به الكتاب فيصونه ويمنحه الثقة والقبول ، فاذا ختم بها الدعاء فتحت له أبواب السماء ، فقد روى عن أبى زهير النميري قال : خرجنا مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فأتينا على رجل قد ألح في المسألة فوقف النبي صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال الرسول الكريم « أوجب إن ختم » فقال له رجل من القوم : بأي شيء يختم ؟ قال : « بآمين فانه إن ختم بآمين فقد أوجب » فانصرف الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأتى الرجل فقال له : اختم يا فلان وأبشر » رواه ابو داود .

وهي اسم فعل معناه : اللهم استجب ، فعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معنى آمين : قال « رب أفعل » .

ولما كانت فاتحة الكتاب مشتملة على دعاء يردده المؤمنون في صلاتهم مرات كل يوم ، كان من السنة أن تختم بآمين يقولها القارئ بعد سكتة على نون « ولا الضالين » ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن ففي الخبر : « لقنني جبريل آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال : إنه كالخاتم على الكتاب » .

وقد ذكر العلماء أن هذه الكلمة من خصائص هذه الأمة ، ولم تعط لمن قبلنا إلا لموسى وهارون عليهما السلام .

فقد روى أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطى أمتي ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم : السلام وهو تحية أهل الجنة ، وصفوف الملائكة ، وآمين إلا ما كان من موسى وهارون » رواه الترمذي .

فقد ورد أن موسى دعا على فرعون فقال هارون « آمين » فقال الله تعالى « قد أجيبت دعوتكما » . فسمى هارون داعيا لمجرد قوله : « آمين » .

وكان من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذا أقبل شهر رمضان ، دعا أصحابه إلى الحفاوة به ، واستنهض هممهم ، ليقبلوا على صيامه وقيامه في قوة وعزم ، حتى يفوزوا بأوفى نصيب من بركاته وخيراته ، فكان يقول : أتاكم شهر رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فان الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت .

إن رمضان معين عذب للروحية الصافية ، ورصيد ضخم للانسانية المسلمة الرفيعة ، ومدرسة ربانية للتربية العالية ، يسمو بنفوس المسلمين وأرواحهم ، إلى أفق الملائكة ، ويمزج بين قلوبهم بما يعلمهم من إخاء ومساواة ، ويركز في أذهانهم معنى الأخوة الصادقة بما يدعوهم إليه من تكافل وتعاون ، ولكن بعض المسلمين ـ ويا للأسف ـ قد يفهمون أن رمضان مجرد شهر يمتنعون خلال أيامه عن شهوتي البطن والفرج « وكفى » يستقبلونه استقبالا تقليديا ، ويودعونه كذلك ، يصومون حين يصوم الناس ، ويفطرون كما يفطر الناس ، وحسبهم

انهم بذلك قد أدوا الفريضة ..

أما أن يعيشوا في ظلالــه ، أو يتجاوبوا مع خلاله ، أو يستوعبوا معانيه الخالدة ، فذلك ما لا يعنيهم لأنهم حرموا في الشهر الكريم رحمة الله عز وجل ، وحقا : « بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له » .

هذا ، وليس لأحد بعد الله تعالى فضل ومنة ، على كل مسلم ومسلمة ، إلا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه . إن صورته في قلوب اتباعه المسلمين لتحتل مكانة عميقة مكينة ، إنهــم يعيشون معه وإن لم يدركوا زمنه !

فهم يحسون أنه وإن غابت ذاته عنهم في عالم الحس ، فهو حي في ضمائرهــم ووجدانهــم بتعاليمــــه ونهجه . والانسانية ليست مدينــة لأحد في بقائها وحضارتها ، بقدر ما هي مدينة لهذا النبي العربي الأمي ، إنه لها السنـــا المشرق ، والشعـــاع المتألق ، والروح السارية ، والطاقة البناءة الخلاقة ، ومن ثم فقد فرض الله أن يصلى على هذا النبي الكريم ، وزاده الله شرفا ورفعة فصلى عليه ـ سبحانه ـ مع المصلين . يقول الله عز وجل : **(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليـــه وسلمـــوا تسليمـــا) .** الأحزاب/٥٦ .

وصلاة الله على النبي ذكره بالثناء الجميــل في الملأ الأعلى ، وصـــلاة الملائكة دعاؤهم له عند الله سبحانه ، وصلاة الأمة الدعاء له وعرفان فضله وتعظيم قدره .

يا لها من منزلة عالية ، يشرق الكون كله علويه وسفليه بالصلاة على سيد الوجود ! إنه لا نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة ، وذلك التكريم .

ولكن أين تذهب صلاة البشر مع صلاة الله وملائكته ؟ غير أن الله تعالى أراد أن يشرف المؤمنين ، بأن قرن صلاتهم بصلاة خالقهم ، وصـــلاة الملائكة المطهرين ، وبذلك يرتفعون بالصلاة على النبي إلى أفق علوي كريم .

ولا خلاف في أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : فرض في العمر مرة .

وفي كل حين تعتبر من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يتركها إلا محروم ، ولا يغفل عنها إلا من لا خير فيه ، وهي من أفضل القربات وأعظم الطاعات ، بل قال سهل بن عبد الله : الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الطاعات لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ، ثم أمر بها المؤمنين ، وسائر العبادات ليس كذلك .

والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة بين المؤمن وبين هذا النبي الكريم، فكلما هتف باسمه ، وتحرك لسانه بالصلاة عليه ، ذكر فضل هذا النبي الذي أخرج الناس من الظلمات الى النور والذي هدى الخلق إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، والمنة الكبرى من الله على عبـــاده المؤمنين : **(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلـــو عليهــم آياتـــه ويزكيهــم**

ويعلمهم الكتــاب والحكمــة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران/ ١٦٤ .

وإنها لعبادة جليلة ، تصفو بها النفس ، ويزكو بها الضمير ، وهي بعد القرآن الكريم خير ما يرطب به الذاكر لسانه ، وخير ما ينفق فيه نفيس وقته وعمره ، بها يسمو المؤمن إلى أعلى درجات عند الله تبارك وتعالى وترد له صلاته على الرسول الكريم ، صلاة من الله لها الأجر المضاعف والمثوبة العظمى .

روى النسائي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه ، فقلت : إنا لنرى البشر في وجهك ؟ فقال : « إنه أتاني الملك ، فقال : يا محمد إن ربك يقول لك : أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد ، إلا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا » .

والمصلون على رسول الله كثيرا ، إنما يصلون أرواحهم بروحه ، وإن صلاتهم لتبلغه حيث كانوا فقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام رواه النسائي . وهم أقرب النــاس منــه مجــالس يوم القيامة ، ففــي الحديــث الشريــف « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وإذا نزلــت بالمؤمــن شدة ، أو استعصت عليه حاجة ، فان صلاته على الرسول صلى الله عليه وسلم لمن أقوى أسباب النصر ، وأوسع أبواب اليسر . قال أبو سليمان الدارانــي رضي الله عنه : « من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يسأل الله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فان الله تعالى يقبل الصلاتين ، وهو أكرم من أن يرد ما بينهما » .

ولقد علم الرسول الكريم صحابته كيف يصلون عليه .

روى مالك عن أبــي مسعــود الأنصاري قال : أتانا رســول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليــه وسلم : حتى تمنينا أنه لم يسأله ! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم ، وعلى آل ابراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد والسلام ما قد علمتم » رواه مسلم .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : فلما رقيت الدرجة الثالثة قال : جبريل بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قلت : آمين .. ونلك أن الله سبحانه قد ربــط بر الوالدين بعبادته ، إعلانا لقيمة هذا البر عند الله ، وأنه في منزلة تلي عبادة الخالق فقال عز وجل : **(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيــاه وبالوالديــن**

إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) الاسراء/٢٣ ، ٢٤

بهذه الآية الكريمة يستجيش القرآن الكريم قلوب الأبناء . لتتفجر رحمة وتفيض برا وعطفا على الآباء ، « فالآباء لا يحتاجون الى توصية بالأبناء ، لأنهم يندفعون إلى رحمة أبنائهم والبر بهم ، بمقتضى الفطرة المركوزة فيهم ، وبدافع الحنان الغرزي الذي صبه الله في قلوب الآباء نحو أولادهم .

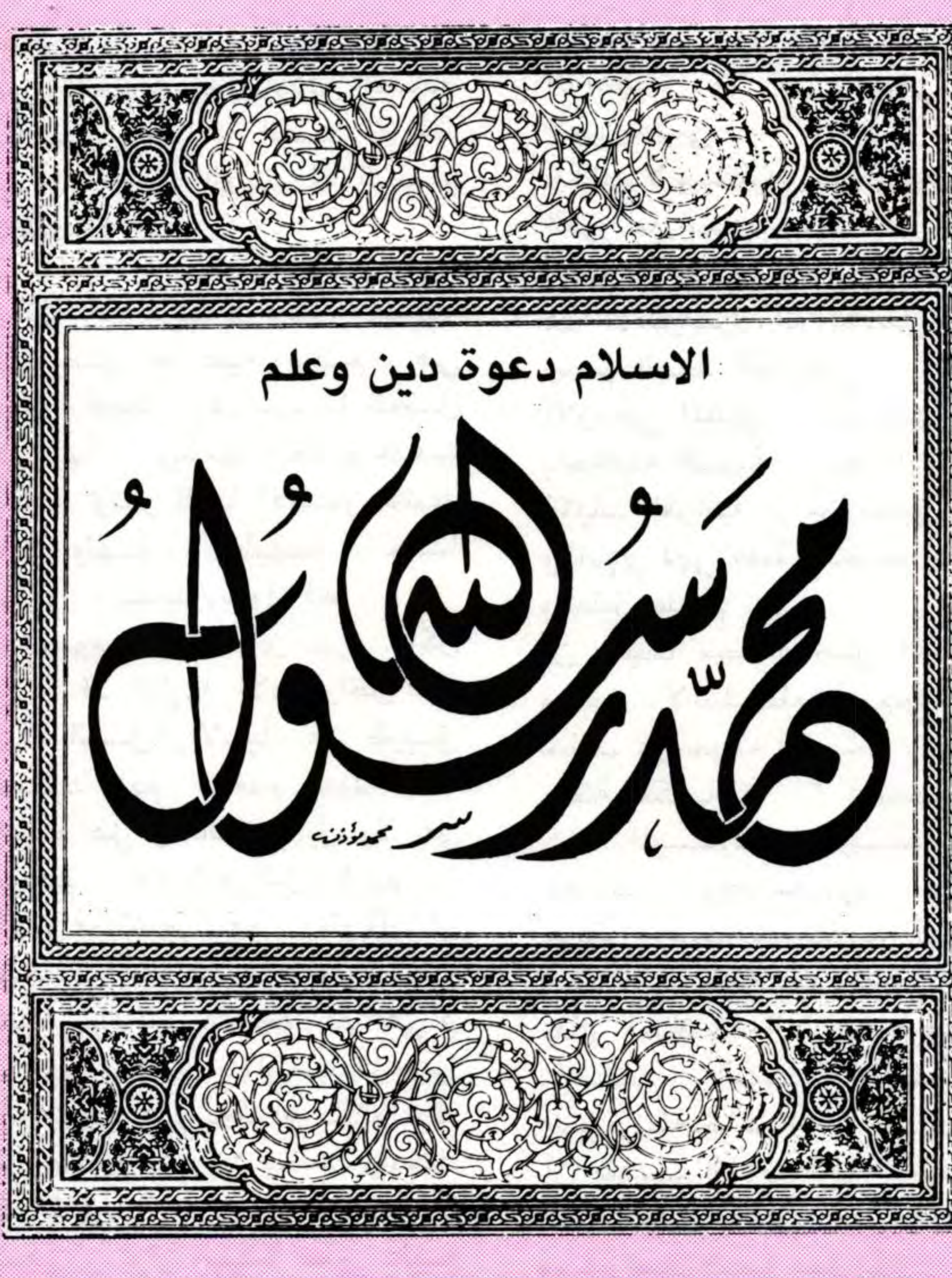
ولكن الأبناء في حاجة دائما إلى تذكيرهم بفضل الأبوين ، وتحريك وجدانهم بقوة ، ليذكروا واجبا مقدسا نحو جيل أنفق عصارة حياته في تربية ذريته حتى أدركه الجفاف ، ولحق به الضعف ، ذلك أن الحياة وهي تسير بالأحياء في طريقها الطويل ، توجه اهتمامها دائما إلى الأمام ، إلى الناشئة والأجيال المقبلة ، وقلما توجه اهتمامها إلى الأبوة المدبرة ، والحياة الذاهبة ، ومن هنا نرى الأبناء في حاجة إلى التذكير بفضل الآباء ، لينعطفوا إلى الخلف ، ولا يشغلوا عمن مضى بمن هو آت » .. وبر الوالدين فريضة في جميع الأوقات ، غير أنه في حالة كبر الوالدين وضعفهما أوجب وألزم ، وكلمة « عندك » في قول الله سبحانه وتعالى : **(إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما)** تفيد معنى الاحتماء والالتجاء ، فيجب على الولد رعايتهما في هذه الحالة رعاية تامة يحوطها الأدب والتسليم ، فلا يبدر منه ما يدل على الضيق والضجر ، بل يقول لهما قولا كريما وذلك جزاء ما بذلا من دم وعافية مما لا يقدر معه الولد أن يوفيهما حقهما مهما فعل ، قال الحافظ أبو بكر البزار باسناده عن بريدة عن أبيه : إن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم : هل أديت حقها يا رسول الله ؟ قال : لا ولا بزفرة واحدة ..!!

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يجزى ولد والده ، إلا أن يجده مملوكا فيشتريه ليعتقه » رواه مسلم وأبو داود .

وعن عمر بن مرة الجهني رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالي ، وصمت رمضان ، مالي : أي ما يكون لي من الأجر على ذلك ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من مات على هذا كان مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء يوم القيامة ، هكذا ـ ونصب أصبعيه ـ ما لم يعق والديه .. رواه احمد والطبراني .

فعقوق الوالدين يحبط العمل ، ويذهب بالأجر . يقول النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « ثلاث لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف .. رواه الطبراني في الكبير .



للاستاذ / عبدالرزاق نوفل

إن أول ركن من أركان الاسلام التي يقوم عليها ... وأهم أصل من أصوله التي يدعو إليها ... شهادة ان لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ... هذه الشهادة لا يصح إسلام الانسان إلا بها .. ولا يدخله في زمرة المسلمين غيرها ..

وحقيقة وجود الله ووحدانيته .. أمر قد أثبته العلم .. وشهد به الكون بكل ما فيه .. وقرره العقل ودعا إليه الوجود بكل ما يحتويه .. فقد شهد كل من رأى آثار وجود الشاهد

والمشهود جل وعلا .. ورأى كل من تبصر وتحقق في جميل صنع الصانع العظيم ... ان لا الـــه الا الله الموجود .. دائم الوجود له الـدوام والخلود ..

ورسالة الله سبحانه وتعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلـم ، هي حقيقة واقعية .. قد تدبرها العقـل فآمن بها .. وبحثها العلـم فدعـا اليها .. ونظر اليها الانسان فشهد بها .. ولهـا .. وعليهـا .. حقـا وصدقا .. محمد رسول الله ..
إن خصوم الدين .. اى دين .. وكل دين .. قد أثاروا الاعتـراض على رسالة الرسل والانبياء عن طريـق التشكيك فيهم .. لعدم وجود الادلة الماديـة على رسالتهـم بل ولا على وجودهم .. فلا آثار تدل عليهم ... ولا شواهد تشير اليهم .. فلو قلنا ان سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم الذي ارسله الله بالصحف قد القى في النار ولم يحترق .. وان سيدنا موسى عليه السلام الذي بعثه الله بالالواح قد ألقى عصاه فتحركت وسعت وأبطلت كيد الماكرين ... وهزمت السحـرة أجمعين .. وأن سيدنا عيسى عليـه السلام قد انزل الله عليه الانجيل .. وكان يشفي المرضى بل ويحيي الموتى باذن الله الذي ارسله .. لو قلنا لهم ذلك لقالوا .. وقد فعلوا .. ما رأينا أعمالهم .. وما شاهدنا أحوالهم .. ولم نر آثارهم ـ بل وما وجدنا من دليل على وجودهم ... لا حياتهم ولا مماتهم ... فما عثرنا على صحف ابراهيم .. ولا ألواح موسى .. ولا انجيل عيسى .
ولكنهم لا يستطيعون أن يسحبوا هذا القول على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. ولا أن يعترضوا عليه بمثل هذا الاعتراض ، فان له صلى الله عليه وسلم السند التاريخي .. والدليـل الايجابي المادي .. وان شهادته هو باحاديثه النبوية .. وبمـا تلاه من الآيات القرآنية .. عن سابق الرسل والنبيين لهي فقط السنـد لهـم .. والدليل عليهم ..
إن سيدنا محمـد صلى الله عليـه وسلم .. لا شك قطعا في وجوده .. ولا خلاف عن حياته أو مماته .. فقد ولد بمكة المكرمة في ٢٠ أغسطس عام ٥٧٠ الميـــلادي .. ولـــد من آب معروف .. وجد معلـوم .. وعائلـة عريقة ، ودوحة مباركة ومن أم طاهرة مطهرة .. سليلة مجد وشرف وعفة .. يذكر أساتـذة التاريـخ وعلمـــاء الانساب .. السلسلة الشريفة الطيبة التي تربطه بما توغل من أجداد .. الى أن يتعـب التاريـــخ .. وتخلـــق الصفحات .. عاش صلى الله عليه وسلم فملأ الدنيا بما قال .. وساد البشر بما كان .. ومات .. ودفن .. وهذا قبره نشد الرحال اليه .. ونصلى ونسلم عليه ، أما الدليل الـذي لا يباري .. والاثر الذي لا يجاري .. والذي لا جدل حوله ... ولا خلاف عليه .. فهو رسالة الله التي أنزلها وحيا له وعليه .. ألا وهي القرآن

الكريـم .. كامــلا بالنص .. غــير مشوب بزيادة أو نقص .. تتداولــه الأيدي .. فتنعم به الأبصار وتسعد العقــول ، وتهــوى اليــه الأفئــدة والقلوب .. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهــذا دليــل نبوتــه ورسالته .. حقا وصدقا فان محمدا رسول الله .

وقبل أن يتلو على الناس قرآن ربه .. فلقد اتفقت دراســات العلمــاء .. والتقت كل الآراء على أن محمدا بن عبد الله عندما بلغ طور الشباب ... لم يتصرف كما يفعل الشبــاب .. وفي فتوته لم يقترف إثما ولم يأت ذنبا مما تساعد على إتيانه نزوات الفتوة .. وحرارة القوة ، بل تجمع المراجــع التاريخية على اختلاف نزعاتهــا .. وتباين جنسيات وأديان كتابهــا .. على أن الصفة التي أطلقت على اليتيم محمد بن عبد الله .. هى الأمانة .. وبلغ من التصاقها به .. وانطباقها عليه .. أنه كان إذا قيل الأمين .. عرف السامع انه محمد بن عبدالله .. ولذلك فان خديجة بنت خويلد والتي كانت تجارتها تعدل نصف تجــارة قريش .. سعت اليه وكررت عليه ان يخرج على تجارتها بضعف ما يخرج الناس .. وما ذلك الا لصفته التي انتشرت فكانت اسما على مسمى .. وفي شبابه فلقد أضيفت صفته له .. كانت معروفة عنه منذ طفولته وهي الصدق .. فكان لا يذكر اسم محمد الا قيل الصادق الآمين ..

هكذا عرفه من خالطه .. وتأكد منه من عايشه ـــ وتيقن من ذلك من لم يعرفه .. من تكرار ما سمعه .. فمن كان هذا أمره في طفولته وشبابــه وفتوته .. ألا يكون يعد لشئ ليس له من بد .. وأيضا ليس له فيه يد .. ومن الذي يأمر فيكون الأمر فورا بين الكاف والنون ويشاء فتكون مشيئته بلا شك أو ظنون .. إنه الله الذي لا اله الا هو .. الذي حفظه ورعاه وأدبه ، ومنعه من أن يطوف بصنم او يقترب من وثن .. بل شاء فجعله هو الذي يرفع الحجر الأسود في اعادة بناء الكعبة الشريفة المشرفة ... فهل يصطفى الله سبحانه وتعالى ـ كما فعل بمحمد ـ إلا من أراده جل شأنه ليكون من النبيين .. وهل يختار الله من عباده إلا كما اختار محمدا ليكون من المرسلين .. لذلك فان ورقة بن نوفل وهو ابن عم السيدة خديجــة زوجة محمد عندما روت له ما حدثها به زوجها من رؤيته لملك ملأ ما بين السموات والأرض قد أمره وفي يده صحيفة ليقول له .. اقرأ .. فــيرد محمد ما اقرأ .. ويكرر الأمر ثم يقول الملك :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقــرأ وربــك الأكرم . الذي علم بالقلم . علــم الانسان ما لم يعلــم) (١ ـ ٥ سورة العلق) .

فانه شهد برسالة محمد فكان اول من اعلن اسلامه من الخلق قاطبة اذ قال لخديجة : (قــدوس قدوس والــذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا

خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى .. وانه لنبي هذه الأمة .. فقولي له فليثبت) .. ثم أعلن شهادته به .. وتصديقه له .. عندما لقيه وهو يطوف بالكعبة اذ قال ورقة لمحمد : (والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة .. ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى .. ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه) .

وهكذا كان ورقة أول من شهد أن محمدا رسول الله .. مما عرفه وسمعه عنه .

ثم تلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الناس قرآنا ... من حروف ألفاظهم وكلمات أقوالهم .. ولكنه لا يشكل نثرا ، ولا يقيم شعرا ، إنه كلام ولكن ليس من كلامهم .. وانه لقول ولكن ليس كقولهم .. لذلك فقد انقسمت اللغة بعد القرآن .. الى نثر .. وشعر .. وقرآن .. وان العرب الذين نزل القرآن بينهم .. كانوا أرباب الأقلام وأصحاب جوامع الكلام .. فاعترفوا بأن القرآن ليس قطعا من كلام بشر .. ويقينا ليس من عمل جماعة .. قل جمعهم او كثر ، هكذا شهد ويشهد وسيشهد كل من يعرف لغة القرآن ان تراكيبه وآياته .. بديعه وبلاغته وبيانه وفصاحته هي معجزته التي بدأ بها .. والتي ستستمر الى آخر الزمان .. وان بها .. يكون محمد حقا وصدقا .. رسول الله .

وعندما قامت في العالم حركة كبرى تدعو الى قيام التشريع .. وثورة عظمى تطالب بالتقنين .. فان دراسات المفكرين ، وابحاث المتخصصين قد التقت الى أن القرآن الكريم قد أوضح كافة الحقوق .. وحدد كل الواجبات ، ولم يترك علاقة بين العبد وربه .. ولا القريب وقريبه .. ولا المواطن ومواطنيه .. ولا الانسان والعالم الذي يعيش فيه إلا وحددها .. وأوضحها .. حتى قالت مؤتمرات التشريع العالمية كما حدث في لاهاى عام ١٩٣٧ وباريس عام ١٩٥١ ان القرآن لهو الدستور المثالي بل هو المرجع الذي لا بد أن يكون لكل اللوائح والدساتير والتشريعات والقوانين .

وجاء عصر العلم .. وتفوق الانسان وحقق ما كان يعتبر حلما ... فلقد تابع رحلة الخلايا للتزاوج والاخصاب ... وصور خطوات الحمل والانجاب .. في الحيوان والانسان .. وحطم الذرة وشاهد اسرارها .. وسخر طاقة النواة بعد أن حررها من إسارها .. جاب الفضاء ورصد افلاكا لا يدركها البصر .. وغزا السماء بل وهبط على القمر .. ووجد العلماء والبحاث من مسلمين وغيرهم ان كل ما وصل اليه العلم من حقائق .. أوردها القرآن الكريم . إما بنصها او منطوقها .. أو وجه النظر الذي يتصل بها .. أو يهدى اليها .. فخطوات خلق الانسان منذ ان كان نطفة في الذكر وأخرى في

الانثى .. وتطورات خلقه في الرحم قد سبق بها القرآن الكريم .. بل حتى لفظ القرآن كالنطفـة .. والمضغـة والعلقة هي الالفاظ التي لم يجد العلم غيرها ليدلل على حقيقتها ويشير الى صفتها .. والذرة وما فيها وما حولها وعنها ... بل إن اسرار السماء وغزو الفضاء قد اورد القرآن الكريم ما سيحاوله الانسان فيهـا .. وحـدد مساره وما سيصل اليه ولا يتجاوز الحد عنه .

ان العلم قد اثبت ان بالقرآن الكريم ما يزيد على سبعمائة آيـة اوردت حقائق كل العلوم وفروعها ، وأصول كل المعارف وألوانها سابقا العلم كل العلم .. بأربعة عشر قرنا من الزمان فيما اكتشف حتى الآن .. وأكثر من ذلك فيما سيصل اليه العلم بعد هذا الأوان .

وفي أيامنا هذه .. اجتهد العلماء .. فيما عرف بالتخطيـط القائـم على الارقـام .. واخترعـوا لذلك الآلات الحاسبة وأجهزة العد والاحصاء .. وفقني الله سبحانه وتعالى الى الكشف عن معجزة جديدة من أوجه اعجاز القرآن العديدة ... الا وهي الاعجاز العددي ... بما يناسب لغة العصر ويتمشى مع أسلوب الجيل .. فكل لفظ في القرآن قد تكرر بمرات معينة لحكمة وبحكمة .. فيتساوى أو يتضاعف أو يتناسب مع غيره بميزان دقيق ... فمثلا تكررت لفظ الدنيا ١١٥ مرة بقدر ما تكررت لفظ الآخرة .. رغم اختلاف معظم الآيات التي وردت فيها كل منهما .. والشياطين والملائكة قد تكرر كل من اللفظين ٨٨ مرة .. بل إن لفظ الشهر تكرر ١٢ مرة أى بعدد أشهر السنة .. وكذلك تكرر لفظ اليوم ٣٦٥ مرة بعدد أيام السنة . ولفظ قالوا وهو يجمع كل ما قاله الخلق جميعا من ملائكة وبشر وجان تكرر ٣٣٢ مرة بعدد ما تكرر لفظ قل . اى ان الأمر بالقول تســاوى بالقـول فعلا ، والجزاء قد تكرر ١١٧ مرة .. بينما المغفرة قد تكررت ضعف الجزاء تماما اى ٢٣٤ مرة .. الا يشير الى ذلك قول القرآن الكريم :

(الله الذي أنزل الكتاب بالحـق والميزان)

(١٧ سورة الشورى)

والحق هو الصدق واليقين في كل ما جاء في القرآن . اما الميزان فهو هذا التساوى والتناسب والتوازن الذي يربط كل الفاظه بل كل حروفه بميزان قائم .. واعجاز دائم .. وقد شاء الله فأصدرت بتوفيقه ثلاثة كتب في هذا الوجه من الاعجاز .. ولعل الفرصة تسنح لتناوله في مقال مستقل اذا اراد الله وشاء .. فمنه الفضل وله الحمد وعليه الثناء .

فكل من نظـر وتفـكر .. وتأمـل وتدبر .. في اى آية من آياته .. يشهد بعينه وعقله وقلبه ان من جاء بهذا لا يمكن الا أن يكون قد اوحـاه الله عليه .. واختاره له .. فحقا وصدقا ما يقوله كل مسلم وما يجب ان يشهد به كل متكلم ... اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

حرمان

ولكنه عافية وعلاج

اعتاد الناس أن يقفوا أمام كلام الحكماء وقفة تأمل وإعجاب قد تدفعهم الى الاستشهاد به في مناسبات متعددة وقد يتجاوز بعضهم مرحلة الاستشهاد النظري الى مرحلة التطبيق العملي في حياته عسى أن يصيبه خير يرجوه ويسعى إليه .. ولكن حينما يكون الكلام هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي زكى الله عقله فقال **(ما ضل صاحبكم وما غوى)** النجم/٢ . وزكى منطقه فقال **(وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى)** النجم ٣ ـ ٥ ، فان الأمر بالنسبة للمسلم الصادق جد خطير !! لأن عليه أن يستجيب لله وللرسول إذا دعاه لما فيه حياته عملا بقول الله تبارك وتعالى **(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون)** الأنفال/٢٤ ، ومن علامات هذه الاستجابة أن يتجاوز التأمل والاعجاب والاستشهاد النظري الى مرحلة الالتزام العملي واثقا أن الخير جزاؤه والفلاح رائده في الدنيا والآخرة . أما الذين يشغبون على السنة النبوية فعليهم أن يصححوا إيمانهم أولا وأن يخلصوا النية لله ثانيا وحينئذ سوف لا يكون هناك حرج في أنفسهم مما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم بل

للكتور : غريب جمعه

وسيسلمون تسليما .

ومن منطلق التأمل والاعجاب والاستشهاد النظري والالتزام العملي نشرف بتناول هذا الحديث النبوي الشريف وهو : « صوموا تصحوا » (رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف) لأنه يلقى ضوءا كاشفا على آثار الصيام من الناحية الصحية والله المستعان على تبيان هذه الآثار .

١ ــ الصيام والسمنة والتهابات المفاصل المزمنة :

تستبد شهوة الطعام بكثير من الناس حتى يكون أكبر همهم هو التهام ما يقع تحت أيديهم من طعام في نهم عجيب وكأنهم لم يخلقوا إلا للأكل والشرب ويؤدي نلك الى زيادة أوزانهم عن المعدل الطبيعي زيادة تهددهم بالاصابة بأمراض مختلفة منها على سبيل المثال : ضغط الدم المرتفع ــ تصلب الشرايين ــ التهابات الحوصلة المرارية ــ والسكر ويرحم الله الرصافي القائل :

طعام الناس أعجب ما أحبوا
فمنه حياتهم وبه الحمام

وقد يكون لعامل الوراثة دخل في زيادة الوزن لدى بعض الأشخاص ، وينصح الأطباء من يعاني من زيادة الوزن بالسير على نظام « رجيم » غذائي معين من الطعام يتضمن الحرمان أو الاقلال من النشويات والدسم والملح ولا شك أن الصيام الذي يتضمن الحرمان من كافة الأطعمة والأشربة هو خير علاج لزيادة الوزن إذا ما راعى الانسان الاعتدال في الافطار والسحور ولم تعلن حكومات المسلمين ومعها ربات البيوت حالة الطوارئ بمناسبة رمضان ورمضان برئ من هذه الطوارئ وبانقاص الوزن تتحسن التهابات المفاصل اكثر من أي شهر آخر وبأقل علاج فهل يفهم نلك الذين يعانون من هذه الالتهابات بدل الاسراف في تعاطي أدوية الروماتيزم .

٢ ــ الصيام وضغط الدم :

يؤدي الصيام الى هدوء الدورة الدموية وانخفاض ضغط الدم المرتفع ولذلك يلاحظ أن نسبة المرضى الذين يترددون على عيادة الضغط تنخفض في شهر رمضان .

٣ ــ الصيام والذبحة الصدرية :

لما كان المريض الذي يعاني من الذبحة الصدرية أحسن حالا في ساعات الصيام ولما كان قلبه يعمل

بهدوء فان النوبات لا تنتابه ويكون أكثر احتمالا للمجهود . ويفيد الصيام أيضا في أمراض القلب المصحوبة بالتورم .

٤ ـ الصيام ومرض السكر « البول السكري »

ينتشر هذا المرض في بعض العائلات بسبب عامل الوراثة كما أنه شائع بين اليهود ـ أكثر الله من أمراضهم ـ وذلك لانغلاقهم على أنفسهم ، وغالبا ما يكون هذا المرض مصحوبا بزيادة الوزن قبل ظهوره في مراحله الأولى ولذلك يفيد الصيام في علاجه إذ إن معدل السكر في الدم ينخفض مع انخفاض السمنة . وينخفض هذا المعدل في الدم بعد الأكل بخمس ساعات الى اقل من الحد الطبيعي في الحالات الخفيفة من مرض السكر وبعد عشر ساعات الى أقل من الحد الطبيعي بكثير . ونحب أن نلفت نظر مرضى السكر الى أن الصيام مع اتباع النظام الغذائي الخاص بهم هو أهم علاج حتى بعد ظهور أدوية السكر مثل « الأنسولين » الذي لم يكن هناك علاج قبل ظهوره إلا الصيام .

٥ ـ الصيام والجهاز العصبي :

لما كان الصيام يدرب الانسان على الصبر وتحمل المشاق وكظم الغيظ والعفو عن المسئ والحلم على السفيه وعدم مجاراته ، ولما كان رمضان شهر القرآن والقرآن ربيع القلوب وحياتها لمن أراد لها الحياة وهو معراج الأرواح الى جو ملائكي وأفق طهور بل إن الملائكة لتتنزل من عليائها لتستمع الى قارئ القرآن فرحة بما يصنع « روى البخارى عن أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت ، فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكتت ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه (يحيى) قريبا منها فأشفق أن تصيبه فلما اجتره (يعني أبعده عن هذا المكان) رفع رأسه الى السماء فاذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت الى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم قال : وتدري ماذاك ؟ قال : لا . قال تلك الملائكة دنت لصوتك (أي لقراءتك القرآن) ثم قال صلى الله عليه وسلم له : لو قرأت لأصبحت تنظر الناس اليها لا تتوارى منهم » وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم « تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب » وفي رواية البراء قال : « تلك السكينة تنزلت للقرآن » (رواه النسائي ويحيى بن بكر وغيرهما وقد اتفق نحوه لثابت بن قيس أيضا).

كل هذه الأجواء تجعل الانسان في صفاء روحي وهدوء نفسي ينعكس على جهازه العصبي فلا انفعال ولا صخب بل راحة وهدوء ويهدأ الجسم كله تبعا لذلك . وعلى المرضى بالقلق والتوتر والاكتئاب والوسواس أن يجعلوا من شهر الصيام مصحة لهم يخرجون

منها وقد أبدل الله همهــم فرحــا وضيقهم فرجــا وقلقهــم طمأنينــة ووسواسهم توكلا على الله وثقة فيه سبحانه .

٦ ـ الصيام والمعدة والأمعاء :

يستريح الجهاز الهضمي أثنــاء ساعات الصيام من إفراز العصارات الهاضمة وحركة الأمعاء الكثيرة .. الخ ولذلك يفيد الصيــام في علاج اضطرابات الأمعاء المزمنة المصحوبة بتخمر المواد النشويــة والبروتينيــة خصوصا وأن بين الأفطار والسحور فترة طويلة ولهذا يعتبر الصيام من خير الوسائل لتطهير الأمعاء . أما تأثير الصيام على قرحة المعدة والاثنى عشر فقد كثر اللغط فيه ولا أحب أن أجهدك أيها القارىء الكريم بسرد أراء ونظريات تشتت الذهن اكثر ممــا تجمعه .. بل إن الأمر على حالين :

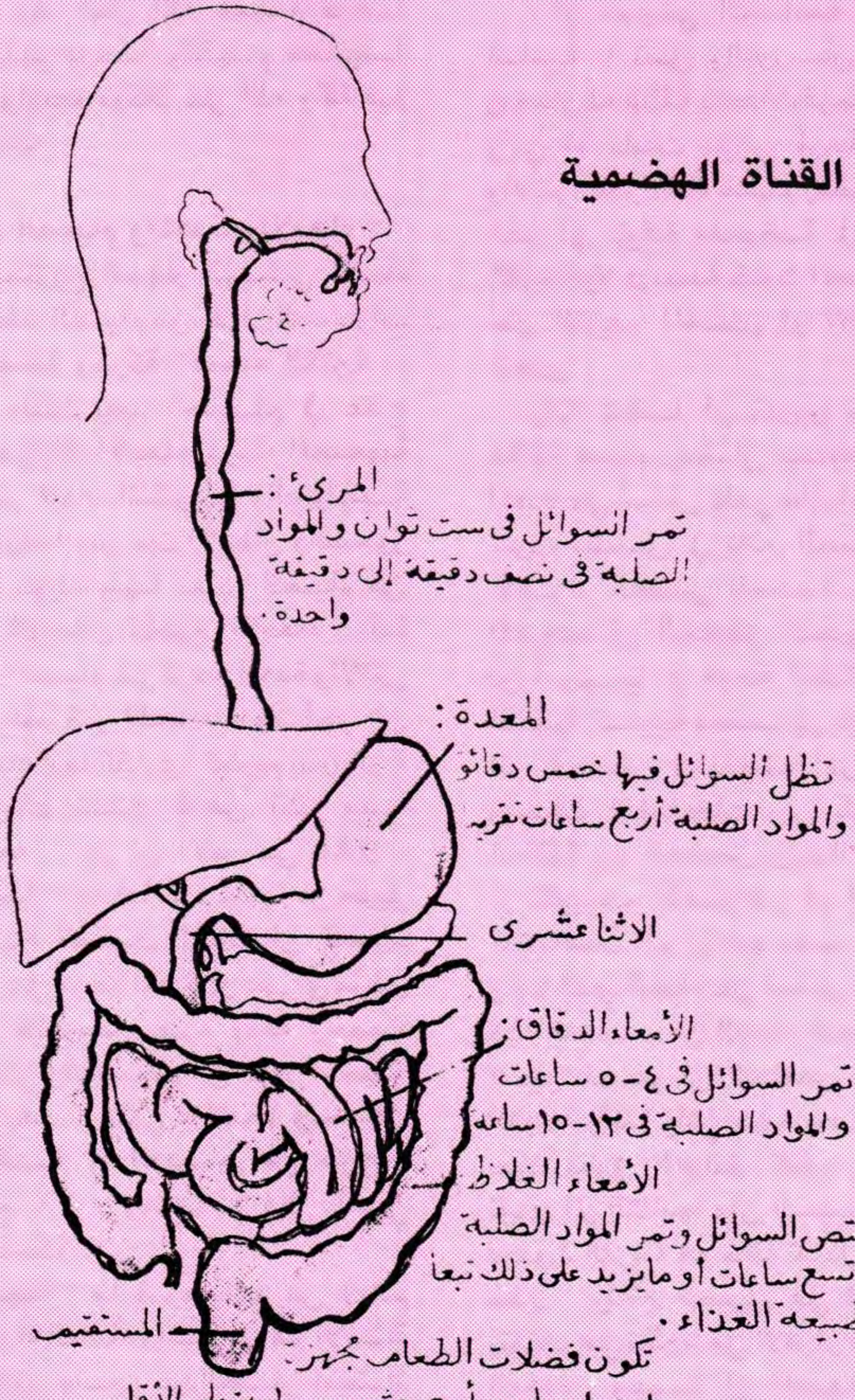
أولهما : أنه اذا ثبت علميا عن طريق الأطباء المسلمين الثقات أن الصيام يؤثر على قرحة المعدة أو على أي مرض آخر فللمريض عذره ومعه رخصته بالفطر والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتي عزائمه **(وما جعل عليكــم في الديــن من حرج)** الحج /٧٨ ، ومــن ثم فلا داعــي للمماحكة .

ثانيهما : ما قرره واحد من أعلام الأطباء العلماء والمسلمين هو الاستاذ الدكتور ياسين عبدالغفــار استــاذ ورئيس قسم الأمراض الباطنية بكلية الطب جامعــة عــين شمس يقــول سيادته :

« إن تجربتي الخــاصة في هذه الناحية لا تتفق والقول بأن صيام رمضان له علاقة باحداث قرحة المعدة وإني قد تابعت مرضى قرحة المعدة والاثنى عشر أثناء صيام رمضان فلم أجد أي زيادة ملحوظــة في نشاط القرحة ولا في نسبة حدوث المضاعفات مثل النزيف المعــدى أو الانثقــاب المعدى .

وإذا شئنــا ان ندرس موضوع علاقة صيام رمضان بحدوث قرحة المعدة على أساس علمي فان الموضوع سوف يتلخص في تأثير الصيام على الافــراز الحمضي للمعــدة ، إذ أن المعروف أن الحامض المعدي يلعب دورا رئيسيا في قرحة المعدة لا من الناحية السببية فحسب بل من ناحية أثر الحامض في تكييف أعراضهــا وإحداث المضاعفات وإن كان كنه العلاقة بين الحامض وإيجاد القرحة أو تكييــف الأعــراض أو إحــداث المضاعفات لم يتحدد بعــد .، وأن رأينا الذي أقمناه على أساس علمي في هذا الصدد ـ من البحث التجريبي في الحيوانات هو أن الحامض لا يوجد القرحة وإنما يأتي دوره بعد حدوثها حيث يعوق العوامل الطبيعية التي تؤدي الى التئامها وأن السبب المباشر لحدوث القرحة هو حالة تفاعل مناعي معين . وتأثير الصيام على القرحــة يتوقف على تأثيره على الافراز الحمضي للمعدة ، وحيــث إن المعــدة تفــرز افرازها الحمضي على اثر الوجبة التي تصلها وأن كمية الحامض ودرجته تختلفان باختــلاف الوجبــة كمــا

القناة الهضمية



(الفترات التي يستغرقها الطعام للمرور في القناة الهضمية)

ونوعا ، فانه من الواضح أن طول فترة الصيام حين لا تكون هنـاك وجبات تبعث المعدة على الافراز فان القرحة لا تتعرض لمزيد من الحامض ومن هنا فان الصيام لا يضر القرحة بل على النقيض قد يفيدها . رب قائل يقول كيف يتأتى هذا ونحن نعلم أن علاج القرحة يقوم أساسا على تناول وجبات متعددة بحيث يأخذ المريض وجبة إضافية أو أكثر بين كل وجبتين أساسيتين ، وذلك لكي يتعادل الافراز الحمضي مع الطعام في كل وجبة أي أن تعدد الوجبات سوف يؤدي الى عدم ارتفـاع الحـامض ارتفاعـا يؤذي القرحة والحقيقة أن المقصود من وراء تعـدد الوجبـات ليس هو تعـادل الحامض بالطعام فحسب وإنما وهذا هو الأهم أن نحول دون إفراز المعدة كمية كبيرة من الحامض إذا وصلتها الوجبة الكبيرة المعتادة ، فعن طريق الوجبات الصغيرة سوف يبقى افراز الحامض قليلا وصغر حجم الوجبة يتطلب تكرارها كثيرا حتى يعوض العدد الكثير من الوجبات الحجـم الصغير لكل وجبة وبذلك توفى حاجة الجسم من التغذية اللازمة له يوميا وعلى ضوء هذا التفسير نستطيع أن نتبين لماذا لا يضار مريض القرحة بالصيام كما أثبتت الدراسات التي أجريناها على مريض القرحة » (من باب الأمانة العلمية أن نقول إن هذا الرأي نشر على صفحات هذه المجلة في عدد رمضان ١٣٨٦هـ ونحن نعيد كتابته للاستشهاد به لأنه رأي لكل الأعداد ولكل القراء) ومن الطريف أن الداعية الاسلامي الكبير/المهندس محمد توفيق أحمد مؤسس « دار تبليغ الاسلام » ورئيس تحريـر مجلــة « البريد الاسلامــي » حدثنــي أن الشيخ محمد عبداللطيف دراز وكيل الأزهر الشريف رحمه الله أرسل اليه مندوبا عن إحدى الجمعيات التــي تكونت في المانيا للعلاج بالصيام فقط ودار الحديث بينهما بالألمانية وقال المندوب : إنني في دهشة لأننا نعالج المرضى بالصيام فكيف يبيح الاسلام للمريض أن يفطر ؟ فقال له المهندس محمد توفيق : لو تأملت الآية الكريمة التي تبيح الفطر للمريض لوجدت أن آخرها يرغب في الصيام . قال تعالى « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكـم لعلكـم تتقـون . أيامـا معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصومـوا خـير لكـم إن كنتـم تعلمون** » البقـرة/١٨٣ ، ١٨٤ . فتهللت أسارير ذلك المندوب وقال : أمنت بأن الاسلام دين عظيم .

ولا يفوتني أيها القارئ الكريم أن أحدثك عن أثر الصيـام بالنسبـة للحامل والمرضع لتدرك رحمة اللـه بعباده فقد أباح الفقهاء للحامل أن تفطر اذا كان الصيام يضر بها أو بجنينها كما أباحوا للمرضع ـ ولو مستأجرة ـ أن تفطر أيضا إذا كان الصيـام يضر بهـا أو بالطفـل الرضيع ..

الصيام والحامل :

قد يفيد الصوم أو يضر الحامل وجنينها وقد تجتاز الحامل فترة الحمل بغير إرهاق ولا مشقة وقد يصاب بعضهن بأعراض تزيد أو تنقص خصوصا في الأشهر الأولى من الحمل ومن هذه الأعراض : سيلان اللعاب ، والغثيان في الصباح ، القيء المتكرر وبعض الأعراض العصبية والنفسية مثل الوهم والأرق والصداع ويحتاج كل ذلك الى علاج وأدوية تؤخذ على فترات متقاربة يتعذر معها الصيام وفي الأسابيع الستة الأخيرة يجب أن تعفى الحامل من الصيام (إذا كانت قد صامت في حمل سابق قبل الأسابيع الأخيرة) وذلك لأن كبر حجم الرحم وارتفاعه في البطن يضغط على المعدة مما يقتضي تناول وجبات صغيرة على فترات متقاربة ، كما أن ارتفاع الرحم يزيح الحجاب الحاجز الى أعلى فيضيق الصدر على ما يحتويه من أعضاء هامة كالقلب والرئتين فتصبح الحامل سريعة التعب . أما الجنين ذلك المغمور في رحمات الله فانه يستمد غذاءه من غذاء والدته بعد هضمه وامتصاصه ومن العجيب أن الغذاء الذي يطلبه الجنين لا يتجاوز عشرة جرامات !! من كل المواد البروتينية والنشوية والدهنية وهذا لا يرهق الأم من أمرها عسرا ولهذا لا يؤثر الصيام على نمو الجنين . أما إذا كانت الحامل قد تعرضت للاجهاض أو أجهضت فعلا في حمل سابق أو مات جنينها أو ولد معيب التكوين أو كان ضعيفا معتل الصحة فعليها أن تفطر خشية أن يصيبها ما أصابها في الحمل السابق .

الصيام والمرضع :

تزيد حاجة المرضع الى الغذاء أكثر من حاجتها الطبيعية حتى تعوض ما تفرزه في اللبن الذي يقدر بحوالي نصف كيلو جرام عقب الولادة (أي حوالي سدس وزن الطفل) يزداد تدريجيا حتى يبلغ كيلو جراما واحدا عندما يصبح عمر الوليد ستة أشهر ، ويستخلص اللبن الذي يفرزه الثدى من دم المرضع بصرف النظر عن كمية الغذاء التي تتناولها ولذلك فاذا لم يكن الغذاء كافيا فان ذلك يكون على حساب صحتها . ويؤثر العطش طول اليوم على كمية اللبن لدى الأمهات وعلى ذلك فاذا كان الطفل يعتمد في تغذيته على ثدى أمه ــ وهو الأفضل كما أشرنا في مقال سابق على صفحات هذه المجلة الغراء ــ فالأولى بها أن تفطر .

وأختتم كلمتي اليك أيها القارىء الكريم بهذه « التذكرة الغذائية » لشهر رمضان أو بتعبير مألوف لدى الأطباء « روشتة غذائية » فقد تكون نافعة لك باذن الله .

أولا : عليك أن تبدأ إفطارك بتناول قليل من الحساء الدافىء أو قليل من منقوع البلح أو عصير الليمون على أن تكون غير مثلجة ويعلق الاستاذ الدكتور أنور المفتى رحمه الله على بدء الافطار بمادة سكرية بقوله :

« إن الأمعاء تمتص الماء المحلى

بالسكر في أقل من خمس دقائـق فيرتوي الجسم وتزول أعراض نقص السكر والماء فيه في حين أن الصائم الذي يملأ معدته مباشرة بالطعام أو الشراب يحتاج الى ثلاث أو أربـع ساعات حتى تمتص أمعاؤه ما يكون في إفطاره من سكر وعلى هذا تبقى عنده أعراض ذلك النقص ويكون حتى بعد أن يشبع كمن لايزال يواصل صومه » وبهذا تبدو لنا حكمة التوجيه النبوي الكريم في الافطار على التمر أو الماء حين قال :

« إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فانه بركة ، فان لم يجد تمرا فليفطر على الماء فانه طهور » رواه احمد وبالاضافة الى إسعاف الجسم بجزء مما يحتاجه من المواد السكرية فان ذلك ينبه المعدة لكي تستعد لملاقاة « معركة » وجبة الافطار .

ثانيا : بعد أداء صلاة المغرب تناول وجبة الافطار التي يفضل أن تحتوي على كثير من الخضر وقليل من الأرز وبعض اللحوم المسلوقة أو السمك أو الطيور وعليك أن تقلل من الأطعمة الدسمة والمحمرة في السمن والزيت لأن كثرة الدهون تعوق عملية الهضم وتشكل عبئا ثقيلا على المعدة .

ثالثا :

يجمل بك بعد الافطار بحـوالي ساعة أن تقـوم ببعض الريـاضة الخفيفة وما أحسن هذه الرياضة وما أنفعها للبدن والروح إذا كانت هى أداء صلاة التراويـح والمشى حوالي نصف ساعة .

رابعا :

عليك أن تمتنع عن تناول المواد الغذائية ـ بقدر المستطاع ـ حتـى وقت السحور ويفضل تناول ما يقدم في الزيارات من السوائل التي تساعد على الهضم كالمياه الغازية مع عدم الاكثار منها حتى لا تسبب امتلاء المعدة وتمددها وعلى ذلك تكون المعدة مهيأة لاستقبال وجبة السحور بشهية ومن أنسب الأطعمة لهذه الوجبـة « الفول المدمس » الذي يمكـث في المعدة مدة طويلة وما أحسن أن يكون معه مقدار من اللبن الزبادي والعسل الأبيض ويتميز اللبن الزبادي بأنه ذو تأثير ملطف ومرطب بالاضافـة الى احتوائه على نسبة عالية من المواد الغذائية في صور بسيطة سهلة الهضم والامتصاص والتمثيل .

خامسا :

إذا كان ولابد من تناول بعض الأطعمة التي تصر ربات البيوت على أن يميزن رمضان بها مثل : القطائف والكنافة وبعض الحلوى فمن الأفضل أن يكون ذلك في وجبـة السحـور وبكميات معتدلة حيث إنها تبقـى طويلا في المعدة لاحتوائها على مواد دهنية .

وبعد :

فيا أيها القارئ الكريم ذلك ما فتح الله به من الحديث عن آثـار الصيام الصحيـة الطيبـة ولكنـه الحرمان !! في نظر الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنـار مثوى لهم أما في نظر الذين أخلصوا دينهم لله فهو العافية والعلاج .

الصيام

في

القرآن الكريم

للاستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلى

يقول المولى تبارك وتعالى في كتابه الكريم : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون)** الآيات ١٨٣/١٨٧ : البقرة .

معاني الآيات

ان الصيام من أعظم الذرائع لتهذيب النفوس ، وهو من أقوى العبادات في كبح جماح الشهوات ، ومن ثم كان مشروعا في جميع الملل حتى الوثنية ، وقد فرضه المولى تبارك وتعالى علينا ، ولتأكيد فرضيته والترغيب فيه أخبرنا جلت حكمته أنه كتبه على الذين من قبلنا ، وما جاء تأكيده والترغيب فيه بأنه كتب على من سبقنا من الأمم الا لأنه عبادة شاقة ، والأمور الشاقة اذا عمت كثيرا من الناس سهل تحملها ، ورغب كل واحد في عملها ، وهذا ما يدل عليه قوله عز وجل : **(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)** .

وقوله جل شأنه (**لعلكم تتقون**) فيه بيان لفائدة الصوم وحكمته ، فالصيام إنما فرض ليعد النفوس لتقوى الله عز وجل إعدادا عظيما مكتسبا من تركها للمباح من الشهوات ، امتثالا لأمره ، واحتسابا للأجر عنده ، وبترك المباح تتربى العزيمة وتقوي الارادة على ضبط النفس ، وترك الشهوات المحرمة والصبر عليها ، وقد جاء في حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « الصيام نصف الصبر » ، رواه ابن ماجة ، ومن هنا ندرك أن الصيام ما كتب علينا الا لمنفعتنا نحن ، ولا فائدة منه تعود على الله جل شأنه ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا .

(**اياما معدودات**) ، أي : قليلات معينات بالعدد ، وهي أيام شهر رمضان المبارك ، ورحمة من المولى تبارك وتعالى بعباده لم يأمرهم بصيام الدهر كله ، وإنما كلفهم بصيام أيام معدودات .

(**من كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**) ، العدة من العد ، بمعنى : معدود ، ولم تقدر الآية الكريمة المرض الذي يؤذن لصاحبه بالفطر في شهر رمضان ، وذلك لاختلاف الأمراض ونوعها ، والأجسام وتحملها .

وقد اختلف العلماء في المرض المبيح للفطر على ثلاثة أقوال :

الأول : وهو قول أهل الظاهر ، أي مرض كان ، وهو ما يطلق عليه اسم المرض .

الثاني : أن هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة ، تنزيلا للفظ المطلق على أكمل أحواله .

الثالث : وهو قول أغلب الفقهاء ، أن المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس ، أو زيادة علة غير محتملة .

وللعلماء في السفر الذي يبيح للصائم أن يفطر آراء متعددة ، فقال بعضهم : أي سفر كان ولو كان فرسخا ـ والفرسخ ثلاثة أميال ـ ، وقال بعضهم : السفر المبيح للفطر هو ستة عشر فرسخا أو مسيرة يومين .

وقال الامام أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ وأصحابه : أقل السفر المبيح للفطر مسيرة ثلاثة أيام .

وقد سئل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن الصوم في السفر فقال : « ان شاء صام ، وان شاء أفطر » رواه أحمد وجمهور المسلمين على هذا ، فهو رخصة لا عزيمة ، وقد قرر الأئمة الثلاثة أن الصوم في السفر أفضل لمن قدر عليه واستطاعه ، بينما يرى الامام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ ومعه بعض العلماء أن الفطر أفضل عملا بالرخصة .

(**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له**) فالذين يطيقون الصيام بمشقة ومجاهدة كالشيخ الكبير ، والمرأة العجوز ، والانسان الضعيف البنية ، والمريض مرضا مزمنا لا يرجى برؤه ، والأشغال الشاقة

الدائمة ، والحمل والارضاع ، كل هؤلاء لهـم أن يفطـروا في شهـر رمضان ، وعليهم أن يطعموا مسكينا عوضا عن كل يوم ، بقدر ما يشبع الرجل المعتدل الأكل .

(وأن تصوموا خير لكم) أيها المسافرون والمرضى والذين يطيقون الصيام بمشقة ومجاهدة خير لكم من الفدية ، وذلك لما في الصوم من رياضة للنفس والجسد ، وتغذيـة الايمـان بالتقوى ومراقبة الله عز وجل .

روى أن أبا أمامة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال للنبي صلى الله عليه وسلم : مرني بأمر آخذه عنك . قال : « عليك بالصوم فانه لا مثل له » .

(ان كنتم تعلمـون) ، وجـه الخيرية في الصوم وكونه لمصلحـة المكلفين ، فصومكم خـير لكم لأن المولى تبارك وتعالى غني عن العالمين ، وأما ما روى من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس من البـر الصوم في السفر » ، رواه البيهقي والنسائي .. فقد خصص بمن يجهده الصوم ويشق عليه حتى يخاف عليه من الهلاك .

(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينـات من الهدى والفرقان) ، وفي وصف شهر رمضان المبارك بانزال القرآن الكريم فيه بيان لحكمة الصوم فيه دون غيره من الشهور ، وذلك أنه لما كان الصوم معدا للتقوى ناسب أن يفرض الصوم في الشهر الذي أنزل فيه القرآن الكريم هدى للمتقين .

والقرآن اسم لكتاب المولى تبارك وتعالى ، المنزل على المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وهو يطلق على جميعه وعلى بعضه ، ولم ينزل دفعة واحدة ، بل ابتدأ نزوله في شهـر رمضان ، أي : نزل بعضه في شهر رمضان ونزل الباقي منجما في ثلاث وعشرين سنة كما هو معروف ، وعلى وجه التحقيق كان نزوله في اثنتين وعشرين سنـة ، واثنـين وعشريـن يوما ، تبدأ من ليلة القدر في شهر رمضان سنة واحد وأربعين من مولد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، حيث نزل قول الحق جل وعـلا : (اقرأ) **وتنتهي بالتاسع من شهر ذى الحجة من السنـة الثالثـة والستين من مولده عليه الصلاة والسلام ، حيث نزل قول المولى عز وجل : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسـلام دينـا)** ـ المائـدة/٣ ـ وبعضه مكي وهو الخاص بتثبيـت العقيدة ، والدعوة إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، وبعضه مدني وهـو الخاص بالأحكام .

(فمـن شهـد منـكم الشهـر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أي : من شهد استهلال الشهر ، أو علم برؤيته من غيره فليصمه وذلك اذا كان مقيما وليس مسافـرا ، والمستيقـن من مشاهدة الهلال بأية وسيلة أخرى يجب عليه الصيام كمن شاهده .

وكرر ذكر المرض والسفـر والترخيص للمريض والمسافر تأكيدا لذكرهما في الآية السابقة ، وتقريرا

لهما في ذهن المؤمن ، حتى لا يتوهم أحد أن الرخصة بالفطر غير محمودة بعد تعظيم أمر الصوم ... المناقب والمزايا.

(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) : اليسر في اللغة : السهولة ، ومنه التيسير ، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « بعثت بالحنيفية السمحة » رواه البخاري .

ان المولى تبارك وتعالى قد رخص بالفطر في المرض والسفر لأنه يريد بتشريعه ألا يكون فيه جهد مقلق للنفس ، ومشقة تخرج عن العادة المستمرة ، بل يريد التيسير على عباده والرأفة بهم ، وتسهيل طرق الهداية والعبادة ، حتى يأخذ بيد الانسان الى طريق الفلاح والرشاد ، وفي الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » .. رواه أحمد بن حنبل .

(ولتكملوا العدة) ، أي : عدة صوم رمضان ، فيتدارك المسلم ما فاته من صيام رمضان بقضاءالأيام التي أفطرها خلال الشهر .

(ولتكبروا الله على ما هداكم) اليه من الأحكام التي فيها سعادتكم وراحة نفوسكم في حياتكم الأولى وحياتكم الآخرة ، ولا تنسوا عظمة ربكم جل شأنه وحكمته في اصلاح حال عباده ، بتربيتكم بما يشاء من الأحكام ، وتفضله عليكم عند ضعفكم بتخفيف التشريع مراعاة لظروفكم ورحمة بكم .

(ولعلكم تشكرون) ، أي : أن يشعر الصائم فضل المولى عز وجل عليه ونعمته وتوفيقه ، فيفيء قلبه الى خالقه عز وجل ، راغبا حامدا معترفا له بالربوبية ، شاكرا له نعمته وتوفيقه وهدايته .

وبعد أن طلب المولى تبارك وتعالى من عباده صيام شهر رمضان واكمال العدة والتكبير على ما هداهم اليه وشكره عز وجل ، عقب بهذه الآية الكريمة : **(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)** ، وذلك ليستلهم منها الصائم قربه من ربه عز وجل ، لأن الصيام لا يطلع على حقيقته الا الله جل شأنه ، ومتى لاحظ الانسان قرب ربه عز وجل منه ملكه الحياء ، وخجل وابتعد عن انتهاك حرمة صومه ، والله جل جلاله منزه عن القرب المكاني ، وعن كل ما يتصوره العباد ، وقديما قالوا : كل ما خطر ببالك فالله جل شأنه بخلاف ذلك .

ولما كان قربه تبارك وتعالى لا يدركه الناس قال : **(إني قريب)** بحيث أسمع دعاء الداعي وأستجيب دعاءه ، وحسبنا أن الله عز وجل قال : **(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)** ـ ١٦ : ق ـ ودعوة الداعي فسرها البعض بطلب الحاجات ، وفسرها آخرون بالعمل بما ندب المولى سبحانه اليه وأمر به ، فالدعاءعلى هذا معناه العبادة ، بدليل قوله جل شأنه : **(وقال ربكم**

ادعوني أستجب لكم إن الذيــن يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) غافر/٦٠ ، وفي هذا يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « الدعــاء هو العبــادة » ، وقرأ : **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** » رواه البخاري وفي الآية حث على الدعاء .

وقد روى أن سبب نزول هذه الآية الكريمة أن المصطفى صلى الله عليه وسلم سمع المسلمين يدعون الله عز وجــل بصــوت مرتفــــع في غزوة « خيبر » ، فقــال لهــم : « أيهــا الناس : اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنــكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم » .. البخاري .

ويستفاد من هذه الآية الكريمة أنه لا ينبغي رفع الصوت في العبادات إلا بالمقدار الذي حدده الشرع في الصلاة الجهرية ، وهو أن يسمعه من هو بالقرب منه ، فمن تعمد المبالغة في الصياح حين الدعاء كان مخالفا لأمر الله عز وجل ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، يقول المولى تبارك وتعالى : **(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)** ــ ١١٠ : الاسراء .

والدعاء المطلوب هو الدعاء بالقول مع التوجه إلى الله عز وجل بالقلب ، وذلك أثر الشعور بالحاجة إليــه ، وتذكر عظمته وجلاله ، ومن ثم سماه الرسول الكريم : « مخ العبادة » ، واجابة الدعاء تقبله ممن أخلص له وفزع إليه ، وإذا عرفنا أن الله عز وجل أقرب الى الانسان من حبــل الوريد فلا داعي الى رفع الصوت في الدعاء ، ولا الى الواسطة بينهم وبينه في طلب الحاجات ، كما كان يفعل المشركون من التوســط والتوســـل بالوسطاء .

(فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) ، أي : فلينقــادوا لي وليفوضــوا الى أمورهــم ، وليقبلــوا على طاعتــي مستسلمين وليؤمنوا أنى لهم من وراء طاعتهم أثيبهم وأجزل لهم الكرامة ، وأضاعف لهم الأجــر ، والطاعــة والايمان موضع الرشد ، وهو طريق معرفة الحق .

وهنا شبهتان :

الأولى : أن الأقدار سابقة ، أي : الأمور مقدرة ، والدعاء لا يزيد فيها ، وعدم الدعاء لا ينقص منها ، فما قيمة الدعاء ؟

وللاجابة على هذه الشبهة نقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر من الدعاء ، وله في ذلك أدعية مشهورة مأثورة ، وكان الصحابة يدعــون ، واستمر الدعاء منذ ذلك الزمان البعيد الى يومنا هذا في أجياله المتعاقبة ، والتشكيك فيه إنــكار لضروري من ضروريات الديــن ، فنحــن نؤمــن بالدعاء وفائدته ، ونؤمن بالقــدر ، ونعترف بالعجز عن التوفيق .

الثانية : أن وعد الله عز وجل حق ، وقد وعد بالاستجابة عند الدعاء ، ومع ذلك فاننا نرى الكثير من الناس يبالغون في الدعاء ثم لا يستجــاب لهم .

وللاجابة على هذه الشبهة وجوه

عند العلماء افضلها ، أن الداعي الذي تتحقق فيه صفات الداعي وهي : الاخلاص للمولى تبارك وتعالى ، والتفاني في الاخلاص له ، ومراقبته في الأعمال ، لا بد وأن يعينه الله عز وجل على ما غاب عنه من الأسباب ، وأن ينيله بعد الأخذ في الأسباب ما يتمناه ويرجوه ، والاخلاص لله عز وجل ومراقبته يدفعان الانسان الى الابتعاد عن الحرام وترك المشبوه ، لأن المولى تبارك وتعالى لا يقبل دعاء من في بطنه الحرام .

وهناك سبب آخر لنزول هذه الآية الكريمة ، وهو أن أعرابيا قال : يا رسول الله : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟.. فسكت عنه الرسول الكريم ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

وقيل : ان الناس حين نزل قول الله عز وجل : **(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)** ، قالوا : لو نعلم في أية ساعة ندعو ؟.. فنزل قوله جل شأنه : **(واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)** .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني » ، رواه البخاري ويقول عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى : أنا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه » ، رواه البخاري ، وهذا كما قال المولى جل شأنه : **(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)** النحل/١٢٨ ، وقوله عز وجل لسيدنا موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ **(إنني معكما أسمع وأرى)** طه/٤٦ .

والمراد بهذا أن الله عز وجل لا يخيب دعوة داع ولا يشغله عنه شيء لأنه سميع الدعاء ، ففي ذلك ترغيب في الدعاء ، وأنه لا يضيع لديه عز وجل ، كما جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى ليستحيى أن يبسط العبد اليه يده يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبتين » ، وفي حديث آخر يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس بها اثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال : اما ان يعجل له دعوته ، واما أن يدخرها له في الأخرى ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها » احمد بن حنبل .

وفي ذكره تبارك وتعالى هذه الآية الكريمة الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة وعند كل فطر ، فقد روى عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : « قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » رواه الحاكم

إن الدعاء في حقيقته ما هو إلا مظهر من مظاهر العبادة الحقة ، لأنه اعتراف من العبد لله عز وجل بالربوبية

وأنه قادر على كل شيء .

ويسن الدعاء في جوف الليل ، وعقب كل صلاة من الصلوات المكتوبة ، وبين الآذان والاقامة ، وعند السحر في الثلث الأخير من الليل ، وهو الوقت الذي تغار فيه النجوم وتنام العيون ، ويبقى الله الواحد القهار .

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) ، أي : أحل المولى تبارك وتعالى مباشرة النساء في ليالي رمضان ، وعبر عن ذلك بالرفث ، وهي كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من زوجته أحل الله عز وجل ذلك ليلا في رمضان بعد أن كانوا لا يستطيعون ذلك لتحريمه عليهم ، لعلمه جلت حكمته أنهم ما كانوا يستطيعون الامتناع ، فكانوا يخونون أنفسهم بفعله ، وسمى من يفعل ذلك خائنا لنفسه من حيث كون الضرر عائدا عليه ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأباح لهم ما كان قد حرمه عليهم منه .

(فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) ، أي : قد أحل لكم ما حرم عليكم ، وأمرهم بأن يبتغوا منه ما كتبه لهم وهو النسل ، لا مجرد قضاء الشهوة .

(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) ، أباح المولى تبارك وتعالى لعباده أن يظلوا ليالي رمضان يأكلون ويشربون الى الفجر ، حيث يبدو نور الصباح ممتدا مع غبش الليل كأنهما خيطان : خيط أبيض ، وخيط أسود ، ثم قال لعباده المؤمنين : وبعد ان تنووا الصيام من أول الفجر ، أتموا الصيام إلى الليل الذي أوله غروب الشمس .

(ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) ، ولا تباشروا نساءكم وأنتم ملازمون للمساجد بنية العبادة تقربا الى الله عز وجل ، وهذا هو ما يسمى بـ « الاعتكاف » ، وهو في اللغة : الملازمة ، يقال : عكف على الشيء اذا لازمه مقبلا عليه .

ولما كان المعتكف ملازما للعمل بطاعة المولي عز وجل مدة اعتكافه لزمه هذا الاسم .

(تلك حدود الله) أي : هذا الذي فرضناه وبيناه وحددناه من الصيام وأحكامه ، وما أبحنا فيه وما حرمنا ، وذكر غاياته ورخصه وعزائمه حدود الله ، أي : شرعها الله وبينها **(فلا تقربوها)** ، أي : فلا تجاوزوها وتعتدوها .

(كذلك يبين الله آياته للناس) ، أي : كما يبين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفاصيله ، كذلك يبين سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(لعلهم يتقون) ، أي : يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون ، كما قال تبارك وتعالى : **(هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور)** ٩/الحديد .

حركة الفتح الإسلامي
أسباب نجاحها

للاستاذ / احمد عادل كمال

في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر خرجت جيوش المسلمين من شبه جزيرة العرب الى ما حولها ، شرقا إلى العراق وفارس وما بعدهما وشمالا إلى الشام ثم غربا إلى مصر والشمال الافريقي . كانوا رجالا يحملون السيف ليفتحوا الأرض ويحملون الكتاب الكريم ليفتحوا القلوب والعقول . هذه الحركة عرفت في التاريخ باسم الفتوح الاسلامية . ولقد اكتسبت نجاحا مذهلا حتى أنه في سنوات قلائل تعد على أصابع اليدين تمت أعظم منجزات تلك الحركة . تلك النجاح لم تتوج بمثله حركة قط ظهرت على سطح كوكبنا منذ كان إلى يومنا هذا ، وكان من آثاره الباقية قيام العالم الاسلامي فوق خير رقعة على وجه الأرض وظهور العالم العربي في بقعة كبيرة من هذه الرقعة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وإلى الآن وحتى ينصب الميزان . حركة هذا شأنها حرى بها أن تدرس عوامل نجاحها وأسباب فوزها ، فان في هذه العوامل سر تفردها الذي لم يتكرر .

ونحن إذا ذهبنا نبحث وراء تلك الأسباب وجدناها تكمن تفصيلا في كل معركة خاضتها جيوش الصحابة والتابعين وفي كل خطوة خطتها . ولقد شرد بعض الكتاب في تعليل تلك الظاهرة الوحيدة ، وذهبوا مذاهب خاطئة فزعم بعضهم عوامل بعيدة عن الصواب ، وبالغ بعضهم في تقدير عوامل أقل شأنا ان تكون هى الحاسمة .

يقول بعضهم : إن عرب الشام

وعرب العراق ـ ولم يكونوا قد أسلموا بعد ـ كانوا يشعرون بانتمائهم إلى العرب ، فأعانوا عرب شبه الجزيرة المسلمين بما مكن لهم في الأرض ، وما أبعد قولا عن الصواب من هذا . فان المتفحص لمعارك الفتوح ليذهله أن يتبين أن عرب العراق كانوا يقاتلون المسلمين إلى جانب الفرس أحيانا ومنفردين أحيانا أخرى ، وكذلك كان عرب الشام من الغساسنة وغيرهم يساندون الروم . وإن مصادر الفتوح الاسلامية لتزخر بأخبار ذلك بما لا يسمح بهذا القول إلا جهلا أو مغالطة ، ومن شاء فليقرأ معارك الولجة وأليس والحيرة والأنبار وعين التمر والمصيخ والثنى والزميل والرضاب والفراض وليقرأ أخبار جبلة بن الأيهم . ولا يساند هذا القول أن عرب العراق وعرب الشام قد دخلوا في الاسلام بعد أن ظفر المسلمون وانتصروا واستتبت لهم الأمور . فذلك حدث لاحق لا يعتبر سببا لحدث سابق .

ويقول كثير من المستشرقين : إن العامل الأساسي في تيسير الفتوح إنما كان في ضعف القوات التي وقفت في طريقهم ، وبذلك أيضا سار في ركابهم المقلدون من الكتاب العرب الذين ينقلون ما يكتبون عن كل وجه . نعم لقد كانت الأحوال الداخلية في فارس سيئة ، وكانت ملوكهم هدفا للانقلابات . غير أنه باستقراء معارك فتح العراق لا نجد لتلك العوامل الداخلية دخلا في هزائم الدولة ، حتى أنه بولاية « يزدجرد الثالث » خمدت الخلافات الداخلية ، وتبارى الجميع في طاعته وثار رعاياه من أهل السواد بالمسلمين ... حينذاك جاءت أقسى هزيمة تجرعتها الامبراطورية الساسانية في القادسية ، ودحر « سعد بن أبي وقاص » بثلاثين ألف مقاتل « رستم بن فرخزاز » في مائتين وأربعين ألفا من المجوس ، ثم سقطت المدائن واستولى المسلمون على إيوان كسرى وتاجه وثيابه .. وجاءت بعد ذلك هزيمة « جلولاء » وهزيمة « نهاوند » .. الخ . وفي الشام كانت حروب الروم مع سائر أعدائهم قد هدأت والتفوا حول هرقل حامي الامبراطورية ومنقذ المسيحية ، ثم كانت هزائمهم في أجنادين وفحل ودمشق وحمص حتى جاءت قاصمة الظهر في « اليرموك ». لقد كان حشد الجيوش الضخمة وتجهيزها وسوقها إلى الميدان يتم على وجه لا يمكن معه التعلل بالأسباب الداخلية .

ومادمنا قد تعرضنا للأحوال الداخلية في فارس والروم كسبب من أسباب الهزيمة فان هناك جانبا لا يمكن إغفاله لأنه يخرب أي كيان يحل عليه ، ذلك هو الظلم . كان المجتمع الفارسي يقوم على الطبقات ، طبقات مميزة تتمتع بكل شيء وطبقات مستضعفة كانوا عبيد من غلب ! كان جيش فارس يتكون من قيادة عليا من أعلى الطبقات وفرسان من الأسر الممتازة من ملاك الأراضي المترفين الذين هم من أحرص الناس على الحياة ، ومشاة من الفقراء البائسين الذين لا حق لهم في شيء فمن الطبيعي

أن يشعروا أن لا صالح لهم في الموت فداء للأسياد المنتفعين . تلك كان تكوين الجيش وتلك كانت خاماته !

عقوبات الخروج على الدين المجوسي او معارضة الملك كانت تصل إلى تقطيع الأوصال وصلا وصلا أو سلخ جلد الوجه أو سمل العيون بابر محماة بالنار . تلك العقوبات كانت رادعة مخيفة أخضعت رقاب الناس لسلطان الأكاسرة ، ولكنها أيضا قد قتلت إيجابية الناس وأزهقت روح الشعب فما عادت فيه حياة ... لقد تحول إلى شعب من الأشباح التي تروح وتجيء والدمى التي يحركها من يحركها . هذا الأسلوب في الحكم يتكرر على مر الأزمان وفي أكثر من مكان فيصل في كل مرة إلى ذات النتائج دون أن يتعظ به طاغية ، تلك أن الطغاة جهال لا يدرسون ولا يقرأون التاريخ أو يتوقفون عند العبر . إن أسوأ الحكام هم أشدهم نكاية بشعوبهم ، وشتان في مجال الدفاع عن الأوطان وطن يسود فيه العدل وآخر يسود فيه الاستبداد . ما أبعد الفرق بين ديار يحكمها السجن والكرباج وديار يقال لسلطانها « عدلت فأمنت فنمت ». لقد داس أكاسرة فارس وقياصرة الروم العدالة بالأقدام وأهدروا حرمات الناس : **(وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)** العنكبوت/ ٤٠ . فحق عليهم قوله تعالى : **(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد)** هود/١٠٢ . **(وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين)** الأنبياء/١١ . **(وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون)** القصص/٥٩ . ويقرر ابن خلدون في مقدمته : إن الظلم مؤذن بخراب العمران . تلك كانت فارس والروم ، فماذا كان المسلمون ؟ كانوا عند قوله تعالى : **(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين)** القصص/٨٣ . كانت نتيجة تلك المعارك هزيمة النظام الداخلي في فارس والشام في مواجهة شرع الله الذي جاء محررا للبشر .. قائد غير مسلم هو « مونتجمري » كتب في كتابه (الحرب عبر التاريخ) يقول : « لقد وصلت الفتوحات الاسلامية مدى لم تصله في أي عهد سابق ... لأنهم كانوا يستقبلون في كل مكان يصلون إليه كمحررين للشعوب من العبودية ».

هذا في حين يرى بعض المؤمنين أن انتصار المسلمين في تلك الفتوح يرجع إلى أن جيوشهم قد اشتملت على كثير من الصحابة اكتسبت بهم « بركة » استحقت أن يصنع الله لها معجزة ، وأن الفتوح كانت حربا في سبيل الله فلا غرابة أن يمنح الله تلك المعجزة . وفي القرآن الكريم الذي نحن به مؤمنون ما يفيد تأييد الله لعباده المؤمنين مثل قوله : **(إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور)** الحج/٣٨ . وقوله : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات**

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) النور/ ٥٥ .

وهنا أحذر أن يفهم أحد من ذلك أن النصر حق للمسلمين على الله ! فيوم أحد كانت الغلبة للمشركين وهم يحملون وثنهم ويصرخون : « اعل هبل » ، ويوم يؤمل المسلمون في نصر لم يعدوا له أسبابه نسوق لهم قوله تعالى : **(ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون)** الحجر/ ٣ . إن الله سبحانه وتعالى لا يجامل أحدا من خلقه .

إن الربط بين المقدمات والنتائج من سمات هذا الدين . ومن المأثور عن عمر : « لا تميتوا علينا ديننا أماتكم الله ، ولا تقعدوا عن طلب الرزق تقولوا يارب وتعلمون أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة »، كما نعى القرآن الكريم على بني إسرائيل قولهم لنبيهم موسى : **(فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)** المائدة/ ٢٤ . لقد أنزل الله على نبيه قوله : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/ ٦٠ . وكان من تطبيقاتهم حفر الخندق حول المدينة دفاعا عن مدينتهم أمام جحافل لا طاقة لجيشهم بها ولجوؤهم إلى العمل السياسي للتفريق بين المشركين واليهود في غزوة الأحزاب وإرسالهم الى جرش بالشام لاستيراد بعض الدبابات في حصار ثقيف بالطائف .

هذا الفهم كان يستطرد في جميع معارك الفتوح التي خاضها المسلمون الأوائل ، فهم يخططون لاخراج الأفيال من المعركة في القادسية ، ويتخذون من خيلهم مركبات برمائية لعبور دجلة في فتح المدائن ، ويحتالون على جيش الفرس لاغرائه على الخروج من قلاعه في « نهاوند » ليتمكنوا منه خارجها .. الخ .

لقد نظرنا إلى حركة الفتح شرقا وغربا كحرب شاملة ، ونظرنا إليها معركة معركة فوجدنا أن السبب الحقيقي **كان الكفاءة الحربية للمسلمين وعمق النظر لقادتهم .** كان لكل من الفرس والروم ثقافته في الحرب وأسلوبه فيها ، فخرج المسلمون إليهم وكان لهم أيضا أسلوبهم وتفكيرهم وطريقة تخطيطهم ، فكانت جديدة على الامبراطوريتين العجوزتين . كان الروم والفرس يعتمدون على الجدران البشرية من الجيوش كثيرة العدد ثقيلة الوزن فنتج عن ذلك بطء الحركة وانعدام المرونة وانخفاض مستوى التدريب وزيادة الأعباء الادارية والعناية بالمظاهر وكثرة القتلى والوقوف غالبا موقف الدفاع دون الهجوم . هذا في حين تميز المسلمون بخفة الحركة والسرعة واعتياد الكفاف وهوان المؤونة فحازوا المرونة وأمسكوا بعنصر المفاجأة . كان جيش الفرس أو الروم يعتمد على التجنيد الاجباري وكان جيش المسلمين عماده التطوع ، لا ارتزاقا وطمعا ولكن جهادا في سبيل الله

وابتغاء ما عنده . كان الجندي المسلم أكثر كفاءة في الفروسية والمبارزة ، أكثر احتمالا للمكاره وصبرا عليها ، تحركه نوازعه المؤمنة وعقيدته المسلمة والآخرون كانوا يتحركون خوفا من كسرى أو قيصر . كان المسلمون يتميزون حتى في عيون أعدائهم بالخلق الكريم وكان الروم وهم يرمقونهم يلحظون أنهم يعدلون فيما بينهم ويعفون عن المحارم ويحسنون العبادة .

ثم كان مما شهدت به معارك الفتوح تألق القائد المسلم وتفوقه على قرنه الفارسي أو الرومي . كان القادة المسلمون يعرفون متى يتقدمون ومتى ينسحبون ومتى يستعملون الخيل ومتى يسوقون المشاة ، متى يحملون على الابل ومتى يحملون على البغال ، في أي أرض ينتظرون عدوهم وبأي خطة يلقونه ، كانوا يعرفون متى يحاصرون ومتى يكمنون ومتى يستدرجون ومتى يلتحمون ... الخ .

كانت عقيدة المسلم أعظم عدته ، بها يعتصم ومنها يستمد قوته فكانت سبب ثباته واستماتته ، لقد وقر في قلبه أنه إن انتصر فذاك وإن قتل فهي الشهادة وهو إلى جنة عرضها السماوات والأرض . الايمان بالقضاء والقدر جعل المسلم يدرك أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، لقد توالت على المسلمين بعد ذلك عصور من تخلف الفكر كان التوكل على الله عندهم هو التواكل والكسل ، والتوى عليهم الفهم فاتخذوا التوكل في المقدمات وتركوه في النتائج والآثار وهم بذلك قد عكسوا مواضع الايمان بالقضاء والقدر . المسلم مطالب بالأخذ بالأسباب ما استطاع ثم أن يترك النتائج بعد ذلك لمدبر الكون سبحانه وتعالى وأن يرضى بقضائه . فلم يكن المسلم ليتهيب النتائج المؤلمة إن وقعت ، فرأينا نمطا من البشر لا يضيره تحرج الأمور ولا يبطره الفوز والظفر ، ورأى التاريخ بطولة وشجاعة وفداء واستبسالا لم ير له نظيرا ، ولم تر الأمة هوانها إلا يوم جانبت هذه الصفات .

كان لدى المسلمين العقيدة الحافزة في الحرب والسلام على السواء ، وتوفرت لهم القضية العادلة التي جاهدوا في سبيلها وهي نشر الدعوة الى الله في مواجهة الطواغيت التي كانت تصد عن سبيل الله . لقد صنع الاسلام من العربي النموذج المثالي للجندي المحارب عقيدة وصلابة وتدريبا ومهارة وخلقا وعفة ، وظهر أعلى مستوى من القادة الأكفاء على مر العصور دون أدنى مبالغة ، وإنجازاتهم خير شاهد على ذلك ، وتم توحيد شبه الجزيرة في وحدة سياسية وحربية فبات ميسورا حشد الحشود وتجييش الجيوش بعد أن كان ذلك مستحيلا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

الحق نقول : لن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الرعد/١١ . صدق الله العظيم .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الأحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع ، فأوتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولت ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب** »

(رواه مسلم)

الرطب : ثمر النخل وهو البسر إذا صار رطبا ، وأرطب النخل : صار ما عليه رطبا .
وابن طاب : رجل من أهل البادية ، ينسب إليه نوع من التمر .. وقال النووي : هو رجل من أهل المدينة . وفي نسخة : ابن طاب ــ بفتح الباء ــ
وعن أم العلاء الأنصارية قالت : رأيت لعثمان بن مظعون في النوم عينا فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **ذلك عمله يجري له** »

(رواه البخاري)

عن أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : « **رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة ، أو هجر ، فاذا هي المدينة يثرب . ورأيت في رؤياي هذه : اني هززت سيفا فانقطع صدره ، فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هززته أخرى فعاد احسن ما كان ، فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين** »

(متفق عليه)

وهلي : أى ظني وهو أول ما يخطر بالبال يقال : لقيه أول وهلة أى أول شئ .

رمضان شهر الإسلام

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) آل عمران/٨ .
(ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) آل عمران/١٩٣ .
(ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) آل عمران/١٤٧ .

.. هذا رمضان شهر الانابة والدعوات المستجابة .. « أوله رحمة وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار » كما قال نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه . رواه ابن خزيمة . وقد أطل هلاله ، وغمر الحياة سناه ، وارتفعت أصوات الأبرار في رضى واستبشار تقول في استقباله (اللهم سلمه لنا ، وتسلمه منا ، هلال خير

للشيخ : معوض عوض ابراهيم

ورشد ، آمنت بالذي خلقك ، ربي وربك الله ، اللهم أهله علينا باليمن والأمن والايمان والتوفيق لما تحب وترضى يا رحيم يا رحمن ..

وشهر رمضان خليق بالفرحة به ، وتبادل المحظوظين التهاني بمقدمه ، فهو يعود عليهم كل عام في أبانه وأوانه منذكرا بالرسالة الخاتمة التي قامت فيه ، والأمة التي انطلقت منه توحد الله ربها ، توحيد عبادة مخلصة له .. فتلك هي الغاية التي استهدفها المرسلون رسولا وراء رسول حتى جاء محمد بن عبدالله صلوات الله عليه بالحنيفية السمحة مجددا العهد بما استهدفت الرسالات الأولى ، مجردا العقيدة من كل ما شابها وخالطها من عبادة غير الله ، من خلقه ومخلوقاته ، فما لغير الله مع الله شيء من التصرف : (**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**) الأعراف / ٥٤ .

أجل يعود رمضان ، فيجدد العهد بأنه كان ميقات اصطفاء رسول ، وابتداء رسالة ، وقيام أمة هي خير أمة أخرجت للناس .

ويثير رمضان في الأذهان ، ليلة القدر ، التي نزل فيها جبريل بأمر مولاه على الانسان الكريم ، محمد صلوات الله عليه ، وهو يتعبد في غار حراء بعيدا عن مجتمع مكة ، بعد أن خب في الكفر ووضع ، وخر في الفساد الى الأذقان ، وغلب عليه من الشرور ما غلب على مجتمعات الدنيا يومئذ .

يرى الرسول ذلك كله يستطيل أمره ، ويتفاقم خطره ، فيأسى أنه لا يملك له دفعا ، ولا يستطيع له تحويلا ، وحسبه أنه بتوفيق الله قد سلم من هذه الغواشي ، ولم يصب فطرته الخيرة صلوات الله عليه شيء من نوازع الشر المستعلن في قومه .

وأخلق به صلوات الله عليه ان لم يستطع دفع الآثام ، أن لا يكون لها غرضا ، وأن يفر منها جهده ، على تلك الصورة التي كان يلم فيها بغار حراء حينا بعد حين فيتعبد فيها الليالي ذوات العدد متفكرا في خلق السموات والأرض ، ناظرا في الليل اذا عسعس ، والصبح اذا تنفس ، وفي النجوم تؤنس المدلج السارى ، وفي الجبال ومنها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود .

ومحمد صلوات الله عليه في خلواته تلك ، كان يبحث عن الطريق الى الله ، كيف يعبد المعبود بحق وحده ؟! وتزيد الأيام من هذه الرغبة الخيرة ، وتنمو في أعماقه كما ينمو النبات

الطيب في الأرض الخصبة .

حتى كانت ليلة تفضل العمر ، وترجح في الميزان الدنيا بأسرها .. انها ليلة الاسلام .. ليلة السلام .. وهل يوضع شئ في دنيا الناس في الميزان أمام الاسلام والسلام ؟!

وبالاسلام امتن الله في آخر آيات الأحكام نزولا فقال (**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/٣ .

وبالسلام قوة ، يقول الحق تباركت آلاؤه . (**لا يلاف قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**) قريش .

وقال : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا**) النور/٥٥ .

لقد صنع الله رسوله محمدا على عينه (**ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى**) الضحى/٦ : ٨ .

وقوله تعالى (**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) النساء/١١٣ .

وكان رمضان نقطة انطلاق الى رحاب الدعوة الى الله .. فقد جاءه الملك في غار حراء بقوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) الآيات . من سورة العلق .

ويالها من كلمات برة حانية ، يتكرر فيها ويتقرر حق الله في العبودية ، فهو (**ربك الذي خلق**) .. وهو (**ربك الأكرم . الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**) !!

وكانت الكلمات إشارة البدء باصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم ، لاخراج الناس من الظلمات الى النور ، وردهم الى الله (**وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين**) الجمعة/٢ .

ألم تستعبدهم الأهواء والشهوات والانانيات ، فجاء الرؤوف الرحيم ، يحكم بالاسلام وثاقهم ، ويشد عرى أخوة في الله الذي أراد أن يتعارفوا ويتآلفوا ، لا أن يتدابروا ويتخالفوا ، ألم يبين الله ذلك كله وهو يضع لهم معه ميزان التفاضل فيقول : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات/١٣ .

.. ورمضان وهو شهر الاسلام كله ، هو شهر العبادة الخاصة ، عبادة الصيام التي هى إحدى قواعد الاسلام ، ويالها من عبادة نسبها الحق تعالى إلى نفسه .. وكل العبادات له سبحانه فقال في الحديث القدسي : (كل عمل ابن آدم له الا الصوم ، فانه لي وأنا أجزى به ..).

ولقد أجمل الله الكلام عن

الصـوم ، ايجابـا له ، وبيانـا لحكمته ، وتحديدا لميقاته ، وتفصيلا لأعذار الناس فيه ، وماذا يباح لنا في لياليه ، ويبرز ذلك وغيره من نزول القرآن في رمضان في آيات من سورة البقرة لم تتكرر أغراضها في غيرها يقول تعالى :

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلـكم لعلـكم تتقـون . أيامـا معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصومـوا خـير لكم ان كنتـم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منـكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد اللـه بكم اليسر ولا يريـد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا اللـه على ما هداكم ولعلـكم تشكرون . وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . أحل لكم ليلـة الصيام الرفث الى نسائـكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيـط الأبيض من الخيـط الأسـود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهـن وأنتـم عاكفـون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) ١٨٣ ـ ١٨٧ .

وما أجل التقوى ، وهى مراد الله من كل ما افترض على عباده حين يبدأ الله بها ويختم تلكم الآيات **(لعلكم تتقون)** و **(لعلهم يتقون)** بعد أن جعلها ثمرة التكاليف والعبادات كلها فقال : **(يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذيـن من قبلـكم لعلكم تتقون)** البقرة/٢١ .

وجعلها بمكانها بين آيات الحج من سورة البقرة فقال : **(وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب)** ١٩٧ .

ان الصوم مدرسة التقوى ، بما يثيره في الأنفس من ملكة المراقبة ، وتربية الارادة الخيرة في أنفس الذين يدركون مغـزى هذه الجملـة من الحديث الجامع (والصوم لي وأنا أجزى به) . وبقدر ما يثمر فينـا الصوم من ثمراتـه ، تصلـح كل عباداتنا وتصرفاتنا مع الذين تجمعنا واياهم فرصة زمان ، وبالصـوم ، نأبى الضيـم ونـرفض الهـوان ، فنجاهد أعداء العقيدة والطامعين في مقدرات الأوطان ، وندعم بأنفسنـا وأموالنا كل أخ في الله ، يصطلح عليه الاعداء ويتداعى المبطلون ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ..

وكم في الصوم من أسرار وحكم وجوانب تجتلى .. ولعلنا نلتقى على شىء من ذلك .

والله المستعان على كل خير .

دور الشباب

الحديث عن بدر وأهل بدر حديث عن التضحية والبطولة والفداء . وغزوة بدر مفخرة من مفاخرنا . وصفحة مشرقة في تاريخنا . ومجد رائع من أمجادنا . وذكراها يذكر الأحفاد بروائع الأجداد .

غزوة بدر تذكر المسلمين بشدة بأسهم وقوة إيمانهم . وعمق محبتهم لدينهم ونبيهم كانت غزوة بدر تحولا في تاريخ الاسلام ، وبدءا لعهد جديد ، عهد المصاولة والدفاع ، عهد التضحية والفداء ، عهد مقارعة السيف بالسيف ، والذود بالقوة عن مبادئ الاسلام ورسالة الاسلام ، قال الشاعر :

كانت على الاسلام بدء تحرر ... من رقة الأصنام والأوثان
الحق فيها بالحقيقة ناطق ... والسيف فيها ساطع البرهان
لا خير في حق إذا لم يحمه ... حلق الحديد وألسن النيران
من لم يصنه من العداوة سلمه ... صانته قوته من العدوان

كان دور الشباب في غزوة بدر عظيما رائعا يستحق العناية والتسجيل ، يقف الانسان أمام عظمة هذا الشباب وقفة إجلال واكبار .

عجيب أمر هذا الشباب ، وقد كشرت لهم الحوادث عن أنيابها ، وصبت عليهم قريش نيرانها فما ضعفوا وما استكانوا .

نحن لا نفضل شباب بدر على شيوخها . فلكل منزلته ودرجته ، للشباب جرأتهم واقدامهم ، وللشيوخ نصيحتهم وتربيتهم ، وحسن توجيههم ، وترجيح العقل على العاطفة .

كل من اشترك في بدر يستحق الدراسة والتأمل ، حسبهم ان الله رفع ذكرهم وغفر ذنبهم . صدقوا الله في اللقاء ، فمنهم من أكرمه الله بالشهادة ففاز بخير الدنيا

للاستاذ علي احمد علي

في غزوة بدر

والآخرة ، ومنهم من طال به العمر ، فما غير ولا بدل وصدق الله العظيم إذ يقول .. **(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)** الأحزاب/ ٢٣ .

في هذه العجالة لا نخص شباب بدر ولكننا نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

١ **ـ علي بن أبى طالب** : كان رضي الله عنه سهما من سهام الاسلام ، وسيفا مسلولا من أسيافه ، يدوخ الجيوش ويحاصر المدن ، ويلقى الرعب في قلوب الأعداء ، كان رضي الله عنه من الرجال الذين لا تهزهم قواصم المحن ، ولا ترهبهم ملاقاة الرجال ، ولا يفت في عضدهم السيف . اشترك في جميع المعارك وكان يخوضها غير هياب ولا وجل .

في غزوة بدر : كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ١) بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنهم جميعا إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر ، فأتوا بأسيرين قدموهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٢) عندما بدأت المعركة خرج عقبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، ودعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم رجال من الأنصار ، فرفضوا قتالهم ، وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم أكفاءهم من قومهم ، فأخرج لهم الرسول صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبى طالب ٣) وانتصر المسلمون ، وتخضبت الأرض بدماء المشركين ، فكان أول الغيث ، والضربة الأولى نصف المعركة . رواه الطبري في التاريخ .

٢ **ـ عمير بن أبى وقاص** : يعجب الانسان وهو يطالع تاريخ هذا الشباب ، كيف استطاعوا أن يحولوا مجرى التاريخ وأن يسطروا أروع سطوره . ويشيدوا

أضخم صرح شيدته الانسانية قام على الايمان والتقى ؟!!
هؤلاء الشباب الذين لاقوا السيوف بصدورهم ، والنبال بنحورهم ، وكان الموت أحب اليهم من الحياة . وهذا شاب أكرمه الله بالشهادة ، شاب سما الايمان في قلبه فاستهان بالحياة ، وأقبل على الموت بثغر باسم وصدر منشرح ، ولنستمع إلى قصته من أقرب الناس اليه قال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه : رأيت أخي عميرا يتوارى عن الناس ، فقلت : مالك يا اخي ؟ قال : أخشى أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني فيردني ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة !! فلما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم استصغره فرده ، فبكى ، وتوسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجازه ، يقول سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه ، فكنت اعقد له حمائل سيفه لصغر سنه فقاتل وقتل وسنه يومئذ ١٦ سنة . ذكره ابن حجر في الاصابة .
جدير بشبابنا أن يقف أمام هذه النماذج الرائعة ، وأن يقلب صفحات هذا التاريخ المشرق ، ليأخذ منه العظة والعبرة ، والقدوة الصالحة ، وليرى كيف كان الشاب يفتح البلاد ، ولم يبلغ العشرين من عمره ، ويقود الجيوش وما خط له شارب ، ويأتي بما يشبه المعجزات ، وما يزال غض الاهاب .
٣ ـ **مصعب بن عمير :** شاب في زهرة الشباب ، وميعة الصبا ، عريض الأمل . واسع الرجاء ، تجرى الحياة في عروقه ، يطوى مباهج الحياة ، ويغضى عن زهرة الدنيا . ويضرب المثل الكريم للشجاع الأبي ، ولا عجب إنها تربية النبوة وغرس الاسلام وشمائل الدين الحنيف .
ولد مصعب بن عمير في بيت من بيوت سراة عبد الدار ، وشب بين الترف واللهو ، كان أعطر أهل مكة وأجملهم ، يفيض تيها ودلالا ، يمر بين أحياء مكة فترمقه عيون فتيانها ، ويسترعى منظره ساكنيها .
كان رضي الله عنه من الرعيل الأول ، أسلم والدعوة في مهدها في دار الأرقم بن أبى الأرقم ، فأصابه شظف العيش ولأواء الحياة ، وجهد جهدا شديدا حتى بدا عليه الضعف والهزال ، فلم يضق بالحياة بل تحمل ذلك صابرا أجمل صبر .
يقول بن عبد البر في الاستيعاب : كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وتيها ، وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب . اوذى مصعب وتبدل حاله من نعيم إلى بؤس ومن غنى إلى فقر ، ومن ملبس فاخر وركاب مرفه إلى ثوب مرقوع !!
يقول الامام علي بن أبى طالب كرم الله وجهه : جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست إليه في المسجد ، وهو مع عصابة من أصحابه ، فطلع علينا مصعب ابن عمير في بردة مرقوعة بفروة غنم ، وكان أنعم غلام بمكة ، وأرفههم عيشا فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ما كان فيه من النعم ، ورأى حالته التي هو عليها ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انظروا إلى هذا

الذي نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة اشتراها بمائتي درهم ، فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون » ذكره ابن الأثير في أسد الغابة .
لما جاء وفد المدينة في موسم الحج ، وعرض عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم الاسلام فأسلموا ، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يفقههم في الدين ، ويقرئهم القرآن ، فلم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم أمامه لهذه المهمة إلا مصعب بن عمير ، فكان أول مبعوث لرسول الله صلى الله عليه وسلم خارج مكة ، وكان مصعب رضي الله عنه صالحا : فأثمرت دعوته ، مخلصا : فالتقى الناس حوله . كان يسمى « المقرئ » و « مصعب الخير » ، وتتابعت حياته في صحائف ناصعة من التاريخ الاسلامي ، وأعلن الجهاد فحمل السيف مدافعا عن دعوة الاسلام ، ولكن الحياة لم تطل به فقد استشهد في أحد رضي الله عنه .
وجاءت غزوة بدر وكانت خيرا وبركة على المسلمين ، قتل المسلمون فيها من قتلوا ، وأسروا من أسروا ، وغنموا ما غنموا ، وكان في الأسرى عزيز بن عمير أخو مصعب ابن عمير وشقيقه ، وكان موقف مصعب المؤمن من أخيه المشرك موقف المؤمن الذي لا يعرف إلا الاسلام رابطة .
قيل انه كان صاحب اللواء يوم بدر .
قال الطبري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأساري فرقهم في أصحابه وقال : « استوصوا بالاسارى خيرا » قال : وكان أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ــ وكان الذي أسره يسمى ابا اليسر ــ قال أبو عزيز : مر بي أخي مصعب بن عميرو رجل من الأنصار يأسرني فنظر إليه أبو عزيز ، فقال مصعب لمن أسر أخاه : شد يديك به ، فان أمه ذات متاع لعلها ان تفديه منك . الطبري وابن هشام .
٤ ــ **أبناء عفراء :** ربى الاسلام الشباب تربية عظيمة ، وتعهده بالعناية والرعاية : تعهده منذ نعومة أظفاره ، فشب على العزة والكرامة والتضحية ، شب في أحضان الاسلام مصونا من أقذار الجاهلية ، نظيفا من أدران الوثنية .
إن أهل بدر لم يقاتلوا طمعا في مال ، ولا رغبة في جاه ، ولا طلبا للرئاسة ، ولا حبا للدنيا ، إنما عملوا لله وفي سبيل الله ، فنصرهم الله : **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)** الروم/ ٤٧ .
يعجب الانسان من أمر هذا الشباب فيتساءل : في أى مدرسة درجوا ؟ وفي أى معهد درسوا ؟ وفي أى جامعة تخرجوا ؟
هؤلاء الذين انقضوا على أعدائهم كالصواعق المحرقة ، او الريح المدمرة ، إيمانهم في قلوبهم ، يتقدم أحدهم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .
عن عبد الرحمن بن عوف قال : إنى لواقف يوم بدر في الصف ، فنظرت عن يميني وشمالي ، فاذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، فتمنيت أن أكون

بين أظلع منهما ، فغمزني أحدهما ، فقال : يا عم أتعرف أبا جهل ؟؟ قلت : نعم ، وما حاجتك به ؟؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده : لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال لي ايضا : مثلها ، فلم أنشب أن نظرت الي أبى جهل وهو يجول في الناس فقلت : ألا تريان ؟؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفهما حتى قتلاه ! ثم انصرفا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال : « أيكما قتله » فقال كل منهما : أنا قتلته ، قال : « هل مسحتما سيفيكما » قالا لا ، قال : فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال : « كلاهما قتله » فقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والآخر معاذ بن عفراء . رواه ابن كثير .

وقال صاحب الفتح : وهما معاذ بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء ، ثم قال : وعفراء والدة معاذ ، واسم أبيه : الحارث ، وأما ابن عمرو بن الجموح فليس اسم أمه عفراء ، وانما أطلق عليه تغليبا .

إن غزوة بدر هزت المشركين واليهود والمنافقين هزا عنيفا : قلبت أوضاعهم ، وحطمت قوائمهم ، وجعلتهم يراجعون تفكيرهم .

يا شباب : هذه نماذج من أجداداكم ، وامثلة من آبائكم .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

يا شباب : اربطوا ماضيكم بحاضركم ، وحاضركم بمستقبلكم ، حتى تكونوا أمة مهيبة الجانب ، عزيزة المنال .

يا شباب إن غزوة بدر كانت المقدمة لانتشار الاسلام في جزيرة العرب ، بل مقدمة لتلك الامبراطورية الاسلامية التي امتدت من أقصى بلاد الاندلس غربا إلى حدود الصين شرقا .

يا شباب : ادرسوا تاريخ أسلافكم : فهم المثل العليا ، والقدوة الفاضلة : إنهم عباقرة التاريخ الذين أخضعوا رقاب الجبابرة ، وأرغموا أنف الحوادث ، وساسوا الشعوب على أعدل نظام ، وأصلح حكم .

يا شباب : إن اسلافكم رخصت عليهم أنفسهم فخاضوا المخاطر ، وذللوا الصعاب ، وهدموا صرح الأعداء .

جدير بشبابنا أن يأخذوا من أسلافهم العظة والعبرة .

أذكروا اهل بدر ، رجالها . شبابها . شهداءها . ورحم الله الشاعر :

شهداء بدر انتم المثل الذي ... بلغ المدى بعد المدى فتناها
علمتم الناس الكفاح فأقبلوا ... ملء الحوادث يدفعون أذاها
أما الجهاد فقد قضيتم حقه ... وتركتموه شريعة نرضاها
من رام تفسير الحياة لقومه ... فدم الشهيد يبين عن معناها

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

(من أكل فولة بقشرها أخرج الله منه من الداء مثلها) . موضوع .

قال ابن عدى حديث باطل لا يرويه غير عبد الله بن عمر الخراساني ، وهو شيخ مجهول وقد تفرد بهذا الحديث أيضا بكر عن الليث فأما بكر ، فقال يحيى عنه : إنه ليس بشيء .

ومن رواته عبد الصمد بن مطير وقال عنه الدارقطني انه متروك ، وقال ابن حبان لا يحل ذكره إلا على وجه القدح .

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة فيما يرويه عن ابن حبان عبد الصمد شيخ يروى عن ابن وهب ما لم يحدث به ، ثم ذكر هذا الحديث بعينه وهو موضوع .

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال عبد الصمد كذاب وحديثه باطل .

وقد ذكر البيهقي في مناقب الامام الشافعي أنه قال « **الفول يزيد في الدماغ والدماغ يزيد في العقل** » .

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة بوضعه ، وقال رواه الطبراني عن عائشة مرفوعا ، وليس بصحيح لأن في اسناده عبد الصمد بن مطير وهو متروك الحديث .

وقال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة بوضعه ، وتحدث عن طريقين تسببا في وضعه ، الأول فيه بكر بن عبد الله .

والثاني فيه عبد الله بن عمرالخراساني ، وتابعهما عبد الصمد بن مطير ، وكأنه سرقه وغير اسناده ، وحكى الكناني قول الذهبي في ميزان الاعتدال عن ابن عدى أنه باطل ، وقال في ترجمة عبد الصمد حديثه باطل .

وقال ابن حجر في اللسان هذا الحديث أخرجه بقى بن مخلد في مسنده عن زهير بن عباد من حديث عبد الله بن عمر الخراساني وهو مجهول .

الانسان والحضارة

للدكتور : عبد الحليم عويس

○ **معنى الحضارة :**

يختلف المفكرون ـ كعادتهم ـ في تحديد معنى واضح محدد للحضارة ، وكما أن النزعات تختلف في فهم الانسان تحت تأثير الزمان والمكان والوراثة والثقافة .. فانها كذلك تختلف في تحديد النظرة إلى الحضارة .. فحيث تكون هناك نهضة روحية في فترة ما .. ينشط الناس إلى الرقي الروحي مركزين عليه ، متجاهلين الجوانب المادية المتعلقة برقي الحياة وتطورها ، مقتنعين بأن الروح هي خصيصة الانسان وأنها هي « الحضارة » .. وعن هذا التقدم الروحي تنشأ الفنون والآداب وصياغة المثل العليا .. لكن ـ في الجانب الآخر ـ يهبط المستوى المادي للحياة ..

وحيث يعمل العقل وحده .. وتتقدم بالتالي وسائل الرفاهية في الحياة .. ويرتفع مستوى الآلة .. ومستوى ما تؤديه هذه الآلة من خدمات .. يقتنع الناس بأن الحضارة هي « مقدار ما يتمتع به الفرد من تسهيلات ، وما يستهلكه من وسائل الرفاهية كالكهرباء والسيارات والتليفونات والملابس والأطعمة .. الخ » .. على أن دائرة المعارف البريطانية ترى أن الحضارة « هي طريقة حياة جماعة إنسانية ، وأنها بذلك تتضمن كل أنماط السلوك المكتسبة التي يتبعها المرء ويتوقعها سائر أفراد جماعته ويقرونها » .. وابن خلدون يرى أن الحضارة « أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرقة وتفاوت الأمم في

القلـــة والــكثرة تفاوتا غـــير منحصر » ...

لكـن كل هذه التعـــريفات .. صحيحة في جانب من الجوانب ، وناقصة في جوانب أخرى من جوانب الحياة الانسانية الضرورية ..

ما الحضارة ؟.. إن الحضارة مستوى أرقى عن المستوى البدائي للانسان تحققت فيه للانسان جوانب السعادة التي ينشدها ..

هذه هي خلاصة ما يمكن أن يقال حول كلمة حضارة ... والقاعـــدة الأساسية التي ترتكز عليهـا هذه الحضارة انطلاقا من هذا التصور هي نقطتان :

أولا : الانسان .. **ثانيا** : السعادة أو الرفاهية ..

وإن تحقيق مزج ملائم بين هـاتين النقطتين هو السبيل الوحيد لتحديد معنى الحضارة .. فلـو أننا ذهبنا نتحدث تجريديا عن الانسان دون أن نتفهم لكيان ولمتطلبات هذا الكيان ، ولو أننا حددنا للانسان مستوى من الـرفاهية لا ينسجم مع كيانه ولا يحقق المـلاءمة المنشودة بينه وبين كيان الانسان .. لو أننا فعلنا هذا أو ذاك لأخفقنا في تحديد المعنى المناسب للحضارة .. حتى لو سقنا آلاف النظريات والتحديدات ...

... لقد سار الانسان مسيرته التاريخية .. وهو يلهث في الحقيقة بحثا عن السعـــادة المـلائمة لكـل متطلبات كيانه .. وتحقق له على امتداد المسيرة اشباع لبعض الجوانب وبقيت جوانب .. تلـح في طلـب الاشباع قبـل أن يسعفهـا الاسلام ـ كما بينا ـ باشباعه لكل الجوانب وباحداثه توازنا وإرتباطا بين كل متطلبات الكيان الانساني المختلفة ...

ونحن نستطيع أن نلمح تغلـب عنصر على عنصر حين نتتبع مسيرة الانسان الحضارية .. « وانظر إلى المصريين قبـل كل شيء تر الآداب عندهم ضعيفة جدا في كل وقت ، وتر فن التصوير عندهم هزيلا جدا ، وتر فن البناء وصنع التماثيــل أسفر عندهم عن أنفس الآثار .. ويصلح ما تركوه لنا من التماثيـل كتماثيـل الكاتب وشيخ البلد وراحوتب ان يتخذ نماذج حتى في زماننا » .

« وبجانب المصريين نذكر الرومان الذين مثلوا دورا كبيرا في التاريخ (..) والرومان لم يستطيعـوا أن يبتدعوا فنا خاصا بهـم .. ومـن المحتمل أنك لا تبصر أمة أبدت من قلة الابداع ما أبداه الرومان في منتجاتهم الفنية (..) بيد أن أمة الرومان أوجبت نهـــوض ثلاثة عناصر من عناصر الحضارة .. فقد كان عندها من النظم الحربية ما سيطرت به على العالـم ، وكـان لديهـا من النظم السياسية والقضائية ما لا نزال نسير على غراره حتى اليوم ، وكان لها من الآداب المبتكـرة ما استوحيناه في قرون كثيرة » .

... وهكذا نستطيع أن نتتبع سير الحضارة عند الانسان .. حتى وصل الانسان إلى « الاسلام » .. فوجد فجأة دينا يقول له : **(وابتغ**

فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص/٧٧ .. ويحدد له بوضوح كاف كيف يتمكن من إشباع كل الجوانب وبالتالي كيف يحقق لانسانيته سعادة ملائمة ..

○ الانسان والحضارة :

هل يمكن أن يعيش الانسان بلا طعام ؟ وهل يمكن في ظل « فيتامينات ناقصة » و « ملابس لا تقي من الحر أو البرد » و « مسكن لا يستطيع أن ينام فيه الانسان ليلا ويأوي إليه بعد سعيه نهارا » .. هل يمكن في ظل حال كهذه أن يفكر الانسان وأن يمنح الحضارة شيئا من التقدم والازدهار ؟.. إننا لا يمكن أن نخدع أنفسنا ونتوقع حدوث معجزات من هذا النوع ..

وإذن .. فليست الحضارة حالة من الرقي مستغنية أو رافضة لهذه الأساسيات ، وإنما هي حالة رقي ترتفع فوق هذه الأساسيات .. ولا تستغنى عنها كما أن الطابق الثاني من المنزل لا يقوم بدون وجود طابق أول .. وإن كان سكان الطابق الأول يتعبون من وجود كثير من الآفات والمنغصات ويتمنون الارتفاع إلى الطابق الثاني « الحضارة » ..

... وهذا التقدم الآلي المدهش : هل يمكن أن يعود الانسان القهقرى ويتخذ قرارا بالبدء من الصفر وبالاستغناء عن معطيات الحضارة المادية .. هل يمكن أن يرفض الانسان كفاح العقل البشري عبر آلاف السنين من أجل امتطاء الطائرة أو المركبة الفضائية فوق طبقات الجو والسيارة أو القطار الكهربائي تحت الأرض .. أو يرفض استعمال اللاسلكي والتليفون .. أو يضرب بالراديو والتليفزيون عرض الحائط ..

ألا يمكن أن يكون هذا ضربا من الجنون .. ولغطا في حكم العقل البشري نفسه .. لكن .. ألا يمكن لهذا الحصاد الذي أنعم به علينا هذا العقل البشري أن يكون وسيلة تخلف ؟.. هل يتحتم بالضرورة أن يكون راكب الطائرة إنسانا راقيا ؟.. هل راكبو الطائرات حاملة النابالم والقنابل والكيماويات السامة والمستعملون لها ظلما وعدوانا .. هل هؤلاء حقيقة أناس متحضرون ؟.. هل كل هؤلاء الذين استعملوا وسائل الحضارة الحديثة في الدمار خير وأفضل حضاريا من كل أتباع موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ؟..

ونحن لا ننكر أنه في الجانب المادي من الحياة يعتبر هؤلاء أكثر تمتعا من كل أتباع الأنبياء ـ مع تحفظ شديد فيما يتعلق بنبي الله سليمان وأتباعه لكننا بمقياس الحضارة الكامل اللائق بالانسان .. يمكننا اعتبار هؤلاء حيوانات ذات مخالب قوية .. تأكل من أطيب لحوم غيرها ..

إن الآلات في الحقيقة كما يقول « ت . جود » في السطور الأخيرة من كتابه « قصة الحضارة » ليست هي الحضارة بل هي عون على الحضارة .. فبدون الآلات قد تتحقق الحضارة .. ومع وجودها قد لا

تتحقق الحضارة ..

فما هو ـ أخيرا ـ الفيصل الهام في الحضارة ؟..

إن الحضارة في الحقيقة .. هي إشباع لكل جوانب الانسان .. إنها نفسها تحقيق الانسانية العليا في أفضل صورة ممكنة .. وإذا إستطعت أن تجد تعريفا محددا للانسان .. فأنت تستطيع أن تلائم بين هذا التعريف وبين الحضارة .. إن الحضارة هي الماء الذي يملأ الوعاء الانساني بكل فراغاته ....

● فالانسان .. جسم .. يحتاج إلى الغذاء .. والملبس والمسكن .. وما يمكن الحصول عليه أكثر من ذلك .

● والانسان ـ كذلك ـ عقل .. يحتاج إلى السيطرة على الطبيعة المحيطة به .. وإلى التقدم المستمر في صنع الوسائل التي تخضع هذه الطبيعة لارادته .

● .. لكن الانسان ـ كذلك ـ وهذه اهم خصائصه .. روح .. ضمير .. أخلاق .. مثل عليا .. تحتاج إلى انتهاج نهج معين في الحياة مع الآخرين .. وإلى تنظيم لقضية وجودها ، وفهم مركزها فيه .. وإلى إشباع لغرائز السمو والرقي فيها .. وهي تلك التي يرتفع بها الانسان عن الحيوان ، وتلك التي ركبت فيه تماما كما ركبت غرائز الأكل والجنس ، وكما ركب العقل ...

يقول غوستاف لوبون :

« وأول ما يجب أن يبحث عنه المجتمع هو إيجاد حال نفسية تجعل الانسان سعيدا ، وإن لم يفعل المجتمع ذلك لم يكتب له طويل بقاء ، وقد استندت جميع المجتمعات إلى مثل عال قادر على إخضاع النفوس ، وهذه المجتمعات قد اضمحلت بعد أن عاد ذلك المثل الأعلى لا يخضعها .. » .

« ومن أكبر أغاليط العصر الحاضر أن يعتقد وجود السعادة في الأمور الخارجية وحدها ، فالسعادة تقيم بنا ، وهي مما نوجده ، وهي لاتكون خارجة عنا تقريبا » .

« والمحسنون الحقيقيون لبني الانسان ، وهم الذين يستحقون أن تقيم لهم الأمم الشاكرة تماثيل فخمة من ذهب ، هم أولئك السحرة الأقوياء المبدعون للمثل العليا ، هم أولئك الذين يحدثون فوق سيل الظواهر الباطلة وفوق دولاب الدنيا الجامد أوهاما قوية مهدئة ، هم أولئك الذين يقيمون للانسان منازل عامرة بالآمال والأحلام .. » .

وأخيرا : إن الحضارة هي مجموع منسق لكل رغبات الانسان وحاجاته ، وإن الحضارة التي تشبع جانبا على حساب جانب هي « جانب من التحضر » وليست حضارة .. أما الحضارة الحقة فهي هذا البناء التام المنسجم الذي يستوعب الكيان الانساني من كل زوايا احتياجاته ، وبكل تطلعاته وآماله .

○ الاسلام والحضارة :

الانسان في الاسلام .. هو مركز حركة الكون .. هو محور الدائرة .. هو خليفة الله في الأرض ..

وتحقيق أسمى لون من التحضر

هو الهدية التي يريد الاسلام أن يزفها إلى الانسان ..

والاسلام ديـن الفطرة السليمة النظيفة التي لم تخضع لرواسب أو تأثيرات خارجية .. ولذا يقوم الاسلام بحصر شامل لكـل جوانب الفطرة الانسانية وإعطاء كل جانب منها حقه من الحضارة .. وفق خط مستقيم ينسق بين كل الجوانب .. ويجعلها – ليست فقط غـير متعـارضة – بل منسجمة ومتساوقة ..

يقول القرآن العظيم :

(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكـم نعمه ظاهـــرة وباطنة) لقمان/ ٢٠ .

(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكـــرون) الجاثية/ ١٣ .

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهـــم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء/ ٧٠ .

إن الانسان في الاسلام .. هو خليفة الله في الأرض .. ويجب أن تكون الحياة كلهـا مسخرة لخدمة خليفة الله ...

وما دام الانسان حريصا على أداء حق سيده الذي استخلفه فانه بالتالي يظل جديرا بكل ما يريد من حقوق .. حق الجسم ، وحق العقـل ، وحق الروح

وعمل الاسلام الأساسي أنه يهيئ للانسان كل الـــطرق السليمة المستقيمة لنيل حقوقه على كل هذه المستويات .

.... فلا تعارض إذن بين الاسلام وبين الحضارة .. بل إن عمل الاسلام هو عمل الحضارة الصحيحة .. بل إن الاسلام في الحقيقة – وليس هذا مجرد تدرج منطقي – هو الحضارة الصحيحة .. ولن تكـون الحضارة جديرة باسمها هذا الا إذا استوعبت كل جوانب الانسان .. أي إنها لن تكون حضارة إلا إذا عملت عمـل الاسلام في خدمة الانسان .. أي ان الحضارة في الحقيقة هي الاسلام .. والاسلام في الحقيقة هو الحضارة .. وكلاهما يعمل عملا واحدا في حياة الانسان و « ينبغي أن يكون الانسان مقياسا لكل شيء ، ولكن الانسان في الواقع غريب في عالم خلقه هو .. إنه لم يعـرف كيف ينظم هذا العالـم لنفسه ، لأنه لم تكن في حوزته معرفة موضوعية بطبيعته الخاصة » .

فالله وحده – من خلال مبادئ الاسلام – ينظم هذه الفطرة باعتباره العالم الوحيد بطبيعـة الانسان .. أكثر من علم الانسان بنفسه : **(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** الملك/ ١٤ .

أما التقدم المادي وحده .. والنظر إلى الانسان من خلالـه ، وإشباع جوانب الجسم والعقل .. وتجاهـل الروح والضمير والجانب الانساني في الانسان .. فهو قتل لمعنى الانسان وهو بالتالي علاج بعيد عن أن يكون حضارة .

و« كثيرا ما يحدث أن نعطي أهمية

مبالغا فيها لجزء على حساب أجزاء أخرى ، فيتعين علينا أن ننظر إلى الانسان من مختلــــف جوانبه ـ الفيزيو ـ كيمائية ، والتشريحية ، والفيسيولــوجية ، والـــــروحانية ، والعقلية ، والأخلاقية ، والفنية ، والـــدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .. الخ .

إن الانسان غير قابل للتقسيم إلى أجزاء ، فلــو أننا فصلنا أعضاءه بعضها عن بعض لكف عن الوجود . على أنه بالرغم من عدم قابليته للتجزئة فان له جوانب منوعة . هذه الجوانب هي التعبير المتغير الذي يعبر به عن وحدته في أعضاء الحس » .

لكـــن الحضارة الحديثة .. قد نظرت الى الانسان من خلال ما قدمته للبشرية ، وهي لم تقدم للبشرية شيئا ذا بال من علم الانسان .. أي في سبيـــل إحراز تقدم نفسي وخلقي يتوازى مع التقدم التكنولوجي الذي قدمته للانسان الحديث !!.. وهــذه الحقيقة هي التي جعلت الانسان من الغرب إنسانا تائها ضائعا تنتاب حياته نواحي التشاؤم والقلق وكل أمراض العصر برغم التقدم الهائل من العلــوم التطبيقية ، ذلك لأن هذا الانسان لم تحسن حضارته احداث الانسجام بين كل الجوانب الانسانية ، بل اقتصرت على رد الفعل الذي تولد عن عدائها للــكنيسة .. ونظرت إلى الوجود بعــين واحدة .. وهذه وفق تعبير الفيلسوف والطبيب الألماني « ألبرت شفيتزر » في كتابه فلسفة الحضارة : « الخاصية المروعة في حضارتنا » ولكن الحقائق بدأت تدعونا إلى التفكير .. إنها تقول بلسان حاد : إن الحضارة التي لا تنمو فيها إلا النواحي المادية دون أن يواكب ذلك نمو متكـــافئ في ميدان الروح ، هي أشبه ما يكون بسفينة اختلت قيادتها ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة التي ستقضي عليها ، ذلك أن الطابع الجوهري للحضارة لا يتحدد بانجازاتهـــا المـــادية ، بل باحتفاظ الأفراد بالمثل العليا لكمال الانسان وتحسين الأحوال الاجتماعية والسياسية للشعـــوب وللانسانية في مجموعها .

وهذا هو عمل الحضارة الصحيحة في الحياة ..

وهــو نفسه عمـــل الاسلام في الحياة .. كما أوضحناه في الصفحات السابقة التي تحدثنا فيها عن « الاسلام » .. بوضوح معقول ..

وليس عمل الاسلام في الحياة ! بايجاز ـ « سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الانسانية . وإنـــك لترى هاتين الوجهتين من تعاليم الاسلام تتفقان في أنهما لا تدعان تناقضا أساسيا بين حياة الانسان الجسدية وحياته الأدبية فحسب ، ولكن تلازمهما هذا وعدم افتراقهما فعـــلا أمر يؤكــده الاسلام إذ يراه الأساس الطبيعي للحياة » .

وهذا نفسه عمل الحضارة حين تكون نابعة من الانسان ومتجهة في الوقت نفسه إلى الانسان .

مائدة القارئ

دعوة من الله

قال الله تعالى :
(واللهُ يدعو إلى دارِ السَّلامِ ويَهْدِي من يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم . للذين أحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادَةٌ ولا يَرْهَقُ وجوهَهم قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ أولئك أصحابُ الجنةِ هم فيها خالدون) .
الآيتان ٢٥ و ٢٦ من سورة يونس .

أنت أعلم

كان أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ إذا مدحه أحد من الناس ، قال : اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم .
اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون .

مفاليس

استفتى رجل الحسن البصري في أخذ راتبه ، لأنه يرى أن ما في خزائن الدولة من مال قد جمع من ظلم .
فقال للحسن : أترى أن آخذ عطائي ، أو أدعه حتى آخذه من حسناتهم يوم القيامة ؟فقال له الحسن : ويحك ! قم فخذ عطاءك ، فإن القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة .

هو حسبي

قال حكيم :
نظرت إلى الخلق فرأيتهم متوكلين : هذا على بضاعته وهذا على تجارته ، وهذا على صنعته ، وهذا على صحته ، وهذا مخلوق متوكل على مخلوق .
فرجعت إلى قول الله عز وجل : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فتوكلت عليه سبحانه ، فهو حسبي ونعم الوكيل .

حلاوة الايمان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من كن فيه وجدَ حلاوةَ الايمان أن يكونَ اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذَفَ في النار » أخرجه البخارى .

في مجال السياسة

كان صاحبنا يخطب في اجتماع سياسي ، وقد قويت ضده المعارضة ، فقام أحد المعارضين يقاطعه ويصيح به :

لا تنس أصلك ، فقد كان أبوك يبيع الخضار على عربة يجرها حمار .

فقال صاحبنا : نعم . لقد كان أبي فقيرا جدا ، كما تقول ، ولكن العربة التي كان أبي يبيع عليها الخضار قد تحطمت ، ولم يبق أمامي الآن إلا الحمار .

حب الناس

قال أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف ببابه يطلب الاذن بالدخول فحجبه حينا ، ثم أذن له ، فلما مثل بين يديه قال : إن هذا الأمر الذي صار إليك وفي يدك قد كان في يد غيرك ، فأمسى والله حديثا ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فان حب عباد الله موصول بحب الله ، وبغضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله .

العافية

قال الشاعر :

بقدر الصعود يكون الهبوط
فاياك والرتب العاليه
وكن في مكان اذا ما سقطت
تقوم ورجلاك في عافيه

ليلة القدر

ليلة القدر احدى ليالي شهر رمضان . هي الليلة التي ابتدأ الله فيها انزال القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

هذه فترة من الزمان نعمت بالخلود ، وصفحة من تاريخ بني الانسان ظفرت بأسمى معاني الوجود ، وشعلة الهية لمعت في الكون ، فأنارت القلوب وأضاءت العقول وهدت النفوس ، وقد بين القرآن أول وقت أذن الله فيه لهذه الشعلة المقدسة ان تخترق طبقات السموات ، فتتجلى لنفس النبي عليه الصلاة السلام ، وأول لحظة ارسل فيها تلك الغيث الهامي من سحائبه العلوية ليحيى به الطبائع الجامدة ، والقلوب الغلف ، والنفوس الهامدة فقال عز وجل في سورة البقرة ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ وقال في صدر سورة الدخان ﴿ **حم . والكتاب المبين . انا انزلناه في ليلة**

للشيخ سليمان التهامي

مباركة انا كنا منذرين﴾
وقال في سورة القدر ﴿ **انا انزلناه في ليلة القدر** ﴾ السورة . فدل بهذه الآيات على أنه ابتدأ انزال القرآن في شهر رمضان وفي ليلة من لياليه لم يعينها بذاتها بل عينها بأوصافها التي نطقت بها الآيات السابقة . فليلة القدر اذن نعمة مهداة الى البشر بل هي أجل نعم الله عليهم ورحمة شاملة للعالمين بل هي اكرم منح الله اليهم .

والقدر بالسكون مصدر ويراد به ما يقضيه الله في ليلة القدر بالفتح ، يؤاخي القضاء ويراد به تقدير الاشعار وتحديدها في الأزل ويطلق على معان .

الاول : يراد به العظمة والشرف من قولهم فلان له قدر اى شرف ومنزلة ومن قوله تعالى (**وما قدروا الله حق قدره**) ٦٧/الزمر وقيل سميت ليلة القدر لأنه أنزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذى قدر على أمة ذات قدر ولعل تكرير لفظ القدر في السورة يرمز الى ذلك .

الثاني : يراد به تقدير الأمور ، ويكون معناه ان الله ابتدأ تقدير دينه ورسم الخطة لرسوله في هذه الليلة وهو رأى فريق من العلماء . ويرى المتقدمون ان التقدير ليس قاصرا على امر الرسالة والدين ، وانما هو كذلك تقدير الآجال والارزاق والأقوات وضبط شئون سائر الكائنات ويؤيده ابن عباس رضي الله عنه وليس المراد انشاء هذه المقادير فذلك أزلي قديم ولكن اظهارها للملائكة بأن تكتب لهم في اللوح المحفوظ . ونكتفي بهذين القولين . والقرآن الكريم يؤكد عظم شأن ليلة القدر فقد خصها بسورة مكية عدد آيها خمس هي « إنا أنزلناه في ليلة القدر » السورة . ووصفها بأوصاف ثلاثة :

الوصف الأول :

قوله تعالى ، « **ليلة القدر خير من الف شهر** » والتعبير القرآني يقصد به الزمن الطويل لا العدد المحدود فذلك قد استند الى رواية عن رجل من بني اسرائيل جاهد في سبيل الله الف شهر والى ما ورد من رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمته وأنها قصيرة فأعطاه الله ليلة القدر عوضا عن ذلك .

وأذا قلنا ان المقصود بألف شهر ، الزمن الطويل ، فذلك لأن درجات

الزمان لا تتفاوت بطولها وقصرها وانما تتفاوت بآثارها ونتائجها ، فهذه الليلة المباركة كانت اول الغيث ، وفاتحة الخير للحياة الانسانية فبنزول القرآن فيها ، أبصرت العيون معالم الهداية بعد أن كانت في عمى ، وسمعت الآذان دعوة الحق بعد ان كانت في صمم ، وفقهت العقول سنن الله في الانفس والآفاق بعد ان كانت في جهالة . واشرقت القلوب بنور الله بعد ان كانت في ضلالة .

فما قيمة الأيام تمر ، والليالي تكر ، والأعوام تمضي ، والدهور تنقضي ، والانسانية تسير في جهالة جهلاء وضلالة عمياء وإحن واحقاد تنتابها من كل جانب ، وبغي وطغيان يطبق عليها كلما جن ليل وأشرق نهار ؟ فليلة القدر خير للناس من الف شهر ، بل من آلف عام تمر في ضلال وظلام .

وهي كذلك من حيث مضاعفة الأجر عليها ، فقد رفع الله قدرها وأجزل المثوبة على العمل فيها وأضفى عليها البركة والقبول .

كيف يفضل العمل القليل العمل الكثير ، مع ان المعروف الأجر على قدر المشقة والنصب ؟ ولا شك ان العمل في الف ليلة أشق من العمل في ليلة واحدة .

من العلماء من أجاب بان الافعال تختلف آثارها في الثواب والعقاب . لأختلاف وجوهها والنيات فيها ، فلا يبعد أن تكون الطاعة القليلة في الصلاة ، مساوية للطاعات الكثيرة ، ألا ترى ان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة مع انها كلها صلاة واحدة ؟ وقال بعض العلماء : حكمة الله في ذلك ، ترغيب المكلف في الطاعات وصرفه عن الاشتغال بالدنيا وشهوات النفس ، فتارة يجعل ثمن الطاعة ضعفين ، فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا ، ومرة (**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**) ١٦٠/الانعام ومرة سبعمائة (**مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة**) ٢٦١/البقرة .

ويضاعف العمل أيضا بحسب الأزمنة والأمكنة ، فالبلد الحرام ، يرجح العمل فيه على سائر البلاد ، ورمضان على سائر الشهور ، والجمعة على سائر الايام ، وليلة القدر على سائر الليالي ، ووقت السحر على سائر الأوقات « قال صاحب الكشف : سبب ارتقاء فضل ليلة القدر الى هذه الغاية ، هو ما يوجد فيها من المصالح الدينية من تفضيل كل أمر حكيم» وتعيين الطريق المستقيم .

الوصف الثاني :

(تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم) تعبير القرآن بلفظ (تنزل) يفيد المرة بعد المرة اى انهم بين نازل وصاعد ، كالحجيج الى الكعبة ، بين داخل وخارج ، والملائكة جند الله في ملكوته الاعلى ، والروح هو جبريل عليه السلام ، وهم ينزلون بأمر الله

من أجل كل امر يريد الله بيانه للعباد وهم ينزلون الى مجالس الذكر كما دلت الاحاديث فحصول نلك في ليلة القدر أولي .

الوصف الثالث :

(سلام هي) أى ان ليلة القدر ليلة سلام وأمان من كل سوء وشر ، لأنها فاتحة عهد النور والخير والسلام ــ او سلام للرسول والمسلمين والناس اجمعين ، لأنها مبدأ حياة انسانية كريمة تقررت فيها مبادئ العدل والآخاء والمساواة .

وهناك اسئلة ترد على ذهن الباحث ، هل يمكن تحديدها وتعيينها ؟ وهل تتكرر في كل عام ؟ هل لها شرف قديم او اكتسبت شرفها من نزول القرآن فيها ، ولماذا اخفيت ؟ وما معنى لقاء الملائكة لبني آدم فيها ؟ وما فضلها ؟

اختلف العلماء في تعيينها ، والتحقيق أنها في العشر الأواخر في الليالي الأحادية منها (٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ وهكذا) فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » وما ورد غير نلك لا تقوم به الحجة كالعشر الأواسط أو ليلة ١٧ او ليلة ١٩ وقد نقل عن الامام الشافعي ان ما ورد من الروايات كان جوابا لسؤال سائل انلتمس ليلة القدر في ليلة كذا وكذا ؟ فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم » .

هل تتكرر كل عام ؟ المتقدمون يقولون بأنها تتكرر كل عام ، مستدلين بأن فعل المضارع في قوله (تنزل) يراد به الاستقبال لا الماضي ــ وان عمل الرسول واجتهاده في طلبها ، وامر المسلمين بتحريها ، يدل على انها تتكرر ، وفسر ابن عباس قوله تعالى « وابتغوا ما كتب الله لكم » ١٨٧ / البقرة بأن المقصود ليلة القدر ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال : (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) رواه البخاري . وغير نلك ، والملائكة والروح فيها ينزلون تكريما لهذه الليلة المباركة ، واحياء لذكرى الامر الحكيم وعلى هذا الرأى هي باقية .

وفريق من العلماء ومنهم الامام محمد عبده يرون أنها غير باقية ، ولا تتكرر ، وكانت ليلة واحدة في الدهر ، هي ليلة نزول القرآن الكريم ، واحتفال المسلمين بها هو في الحقيقة احياء لذكرى نزول القرآن الكريم ويميل الى رأى المتقدمين من أنها ليلة باقية تتكرر كل عام ، ولها شرف سابق اكتسبته من الأزل وليس من نزول القرآن وحسب ، ولها وجود مستقل ، والتقدير فيها لم يقتصر على أمر الرسالة والدين والاحكام ، بل يشمل كنلك تقدير الآجال والارزاق والأقوات وضبط شئون الخلائق على سنن الحق والحكمة ، وفي إخفائها اسرار وحكم افاض فيها العلماء قال الرازي اخفاها كما اخفى رضاه في الطاعات ، وقال غيره أخفاها رحمة بالناس حتى لا تدفع الشهوة المكلف

على المعصية فيها وهو عالم بهـا فيستحق غضب الله الشديد ، وقيل اخفاها ليجتهد المسلم فيها فيكتب له ثواب الاجتهاد ، وكان النبي يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ، وفي العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها التماسا لليلة القدر ، واذا اجتهد المسلم فيها ، باهى الله ملائكته به كأنه يقول لهم : هذا هو اجتهادهم في ليلة غير معلومة لهم ، فكيف لو جعلتها معلومة ؟ وهنا يظهر سر قوله تعالى للملائكة :(**اني اعلم ما لا تعلمون**) وردا على قولهم حين خلق آدم وأمرهم بالسجود له :(**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**) .

اما لقاء الملائكة ، وتنزلهم فيها والتقاؤهم ببني آدم ، فهذا ترغيب في الطاعة ، واعلام بنزول الرحمات ، وقيل لما وعد الله الطائعين في الآخرة بأن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، قائلين : « **سلام عليكم** » فكأنه يقول وفي الدنيا اذ اشتغلتم بعبادتي ، نزلت الملائكة وسلمت عليكم ، وقيل نزولهم كناية عن نزول الرحمات على العباد ، ومن فضل الله انهم حين ينزلون ، لا يرون من الناس إلا طاعاتهم اما معاصيهم ، فقد ارخى الستر عليها ، وقد روى أنهم حين يطالعون اللوح ، ويرون الطاعات مفصلة والمعاصي يرخى الستر عليها فلا يرونها ، يقولون : سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح !

فضل ليلة القدر: الآيات والأحاديث بينت فضلها ، فها هي سورة القدر كما ذكرنا تشيد بها ، وتسمو بمكانتها والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (متفق عليه) وقيامها احياؤها بالصلاة والقراءة والدعاء والتفكير وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم عائشة ان تقول في دعائها « اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » والله تعالى كما يعفو عن عباده ، يحب منهم أن يعفو بعضهم عن بعض ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في ليالي رمضان يجمع في عبادته بين الصلاة ، والقراءة ، والدعاء ، والتفكر ، والجود ، والاعتكاف ، وبعد : فليلة القدر ليلة دعاء وعبادة ، وعمل صالح ، يعتمد على الاخلاص والخشوع لله تعالى وما يتخيله الناس فيها من خيالات ، ليس له حقيقة في الدين ، وهو بعقول الأطفال أجدر من عقول الراشدين من الرجال ، هي موسم من أكبر المواسم الاسلامية ، ومغنم من افضل المغانم الدينية ، هي احياء لذكرى النعمة الكبرى ، نعمة الحق والدين ، فاذا كانت ليلة صلة بالله ، وتعلق باسبابه التي لا تنقطع ، واستمساك بعروته الوثقى التي لا تنفصم ، فهي كذلك ليلة مجاهدة ومحاسبة للنفس على ما أدت وتؤدي من شكر هذه النعم والله يقول : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**) العنكبوت /٦٩ ويقول جل شأنه : (**لئن شكرتكم لأزيدنكم**) ٧/ابراهيم .

لغويات

يقولون

يقولون : « صادق الوزير على تعيين فلان » والصواب : أجاز الوزير تعيين فلان أو أمضاه أو أقره أو وافق عليه . لأن معنى صادق ، أنه كان صديقا له وصدق به ، وصدقه تصديقا وتصداقا أي اعترف بصحة كلامه ويدل على نلك قوله تعالى : **(وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين).**

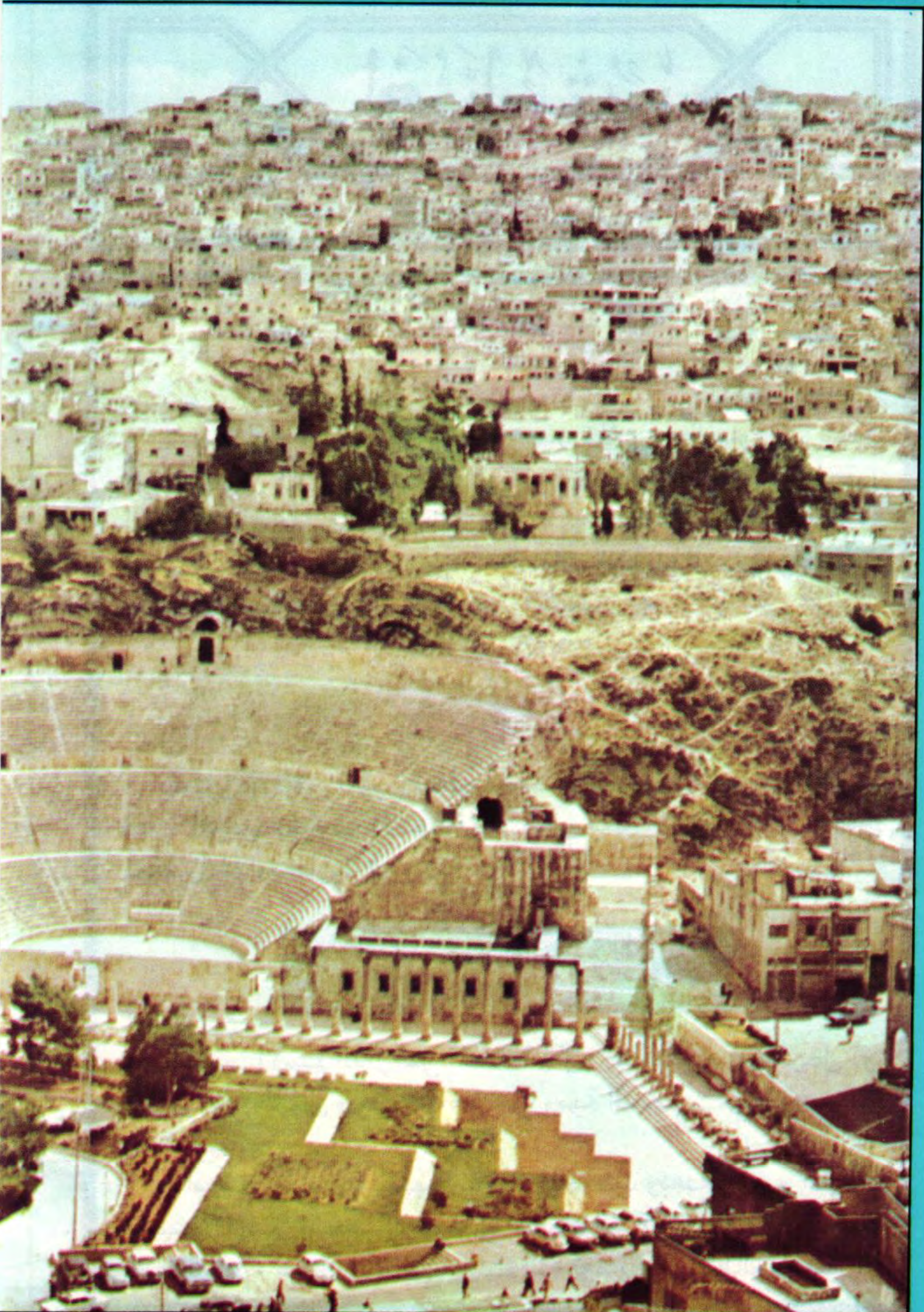
يقولون

يقولون (فلان المؤمن يحارب ضد الالحاد) والصواب أن يقال فلان المؤمن يحارب الالحاد لأن الذي يحارب ضد الشيء يكون مناصرا له ومحاربا في جهته .

من غرائب نصب الاسماء

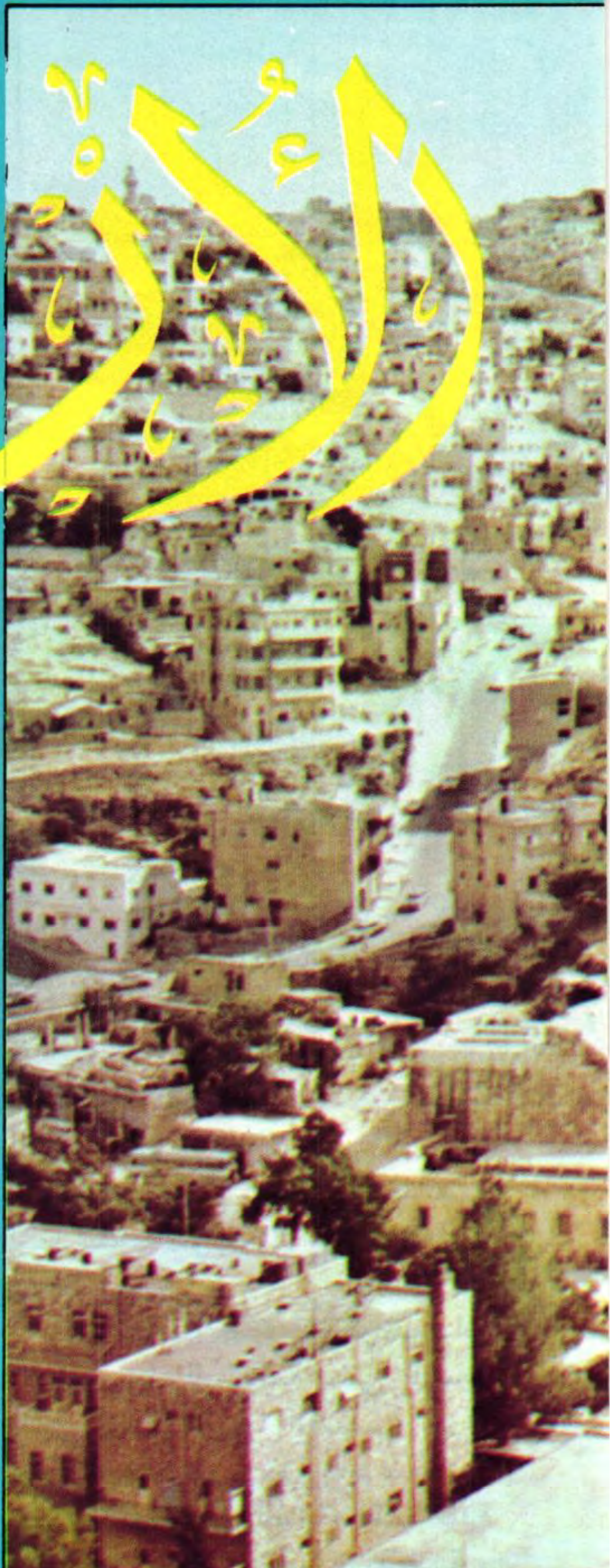
١ ـ نصب الاسم الدال على المسافة مثل : هو مني دعوة الرجل أي على مسافة الرجل وأيضا : هو مني رمية السهم . أي على مسافة رمية السهم .

٢ ـ اسماء منصوبة منتهية بكاف المخاطب وبعدها اسم الجلالة منصوبا : مثل نشدك الله بمعنى أنشدك الله أي سألتك أو أقسمت عليك بالله ، عمرك الله أي سألت الله تعميرك أي إطالة عمرك ..



○ عمان : المدينة الحديثة والمدرج الروماني

الأردن



للاستاذ عبدالغني محمد عبدالله

يعتبر الأردن من أعظم الأقطار التاريخية في العالم فهو مهد الحضارة وموطن الأنبياء وملتقى طرق المعالم الأثرية .

فمنذ أقدم عصور التاريخ كانت هذه البلاد بسبب موقعها بين البحر الأبيض المتوسط وشبه الجزيرة العربية ملتقى طرق الشعوب المهاجرة وجيوش الغزاة . ولهذا السبب فهي اليوم أشبه ما تكون بمتحف يضم آثار الشعوب التي مرت بها أو أقامت فيها ، فمن العصر الحجري الى العهد الاسلامي ، ترى الأردن يحفل بمعالم الشعوب الأخرى وآثار العصور السالفة ، فمازالت بقايا المدن الكنعانية المسورة باقية الى الآن كما أن آثار اليونان والرومان من قصور ومسارح وقناطر وكذلك أديرة



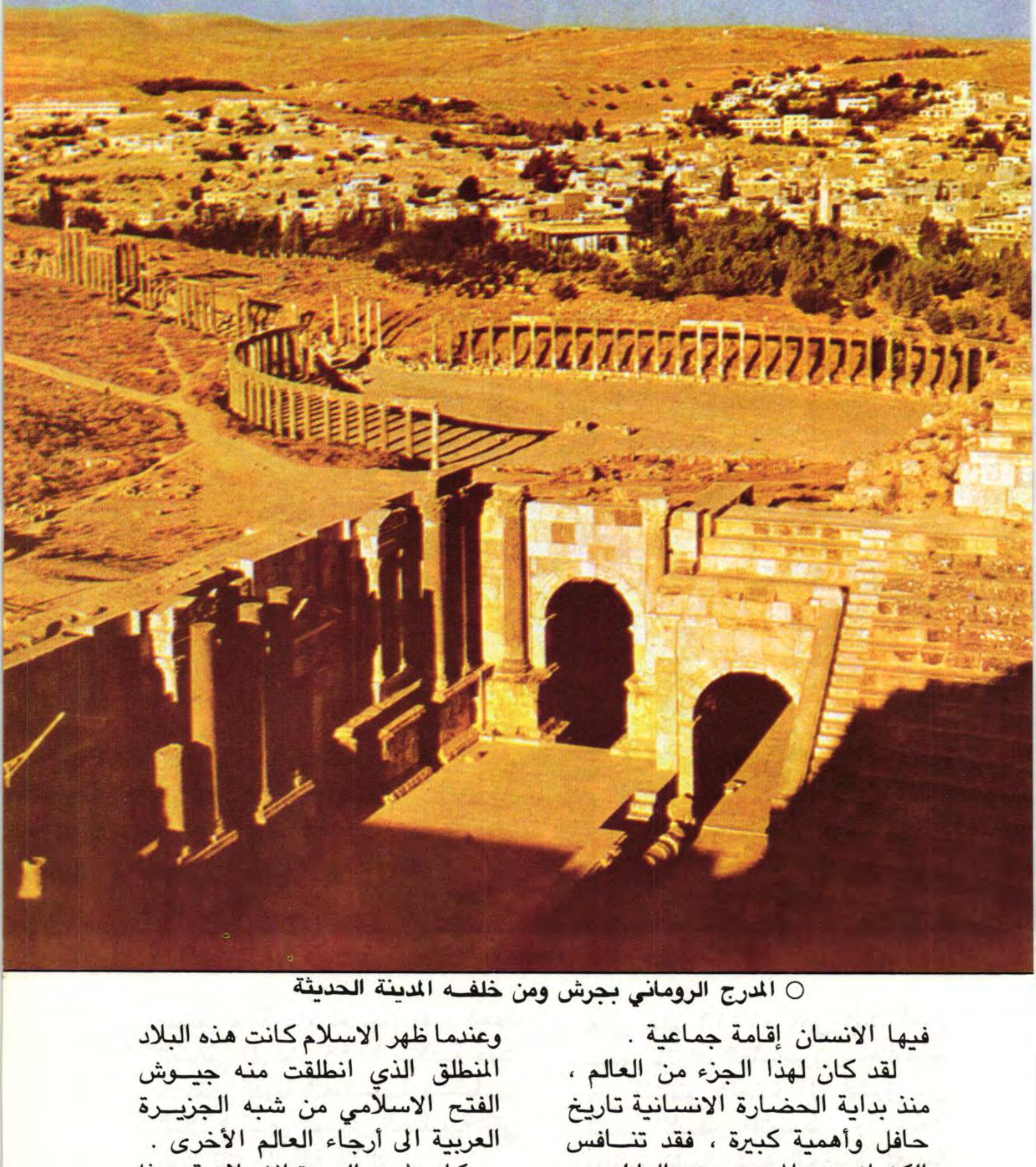
○ العقبة على شاطئ البحر الأحمر

البيزنطيين وقلاع الصليبيين منتشرة هنا وهناك وفي الأودية العميقة والجبال العالية تكثر الجوامع والمساجد الفخمة والآثار الاسلامية الرائعة .

تاريخ الأردن

قبل اكثر من عشرة آلاف عام كان وادي الأردن هو الموقع الذي نشأت فيه واحدة من أوائل التجمعات السكانية المنظمة ، ففي نلك المكان تحول الانسان الذي كان يحيا حياة الصيادين ، الى انسان اجتماعي اتخذ لنفسه دار إقامة ، وأخذ يعمل في زراعة الأرض .

وإن بقايا هذه المستوطنات الأولى ، ماتزال قائمة حتى اليوم داخل أسوار أريحا القديمة ، وفي نفس الوقت تقوم على بعد مسافة ساعة واحدة من البتراء بقايا بلدة (**البيضا**) ذات الأدراج المتعددة ، وهي كنلك واحدة من اقدم المستوطنات في العالم ، التي أقام

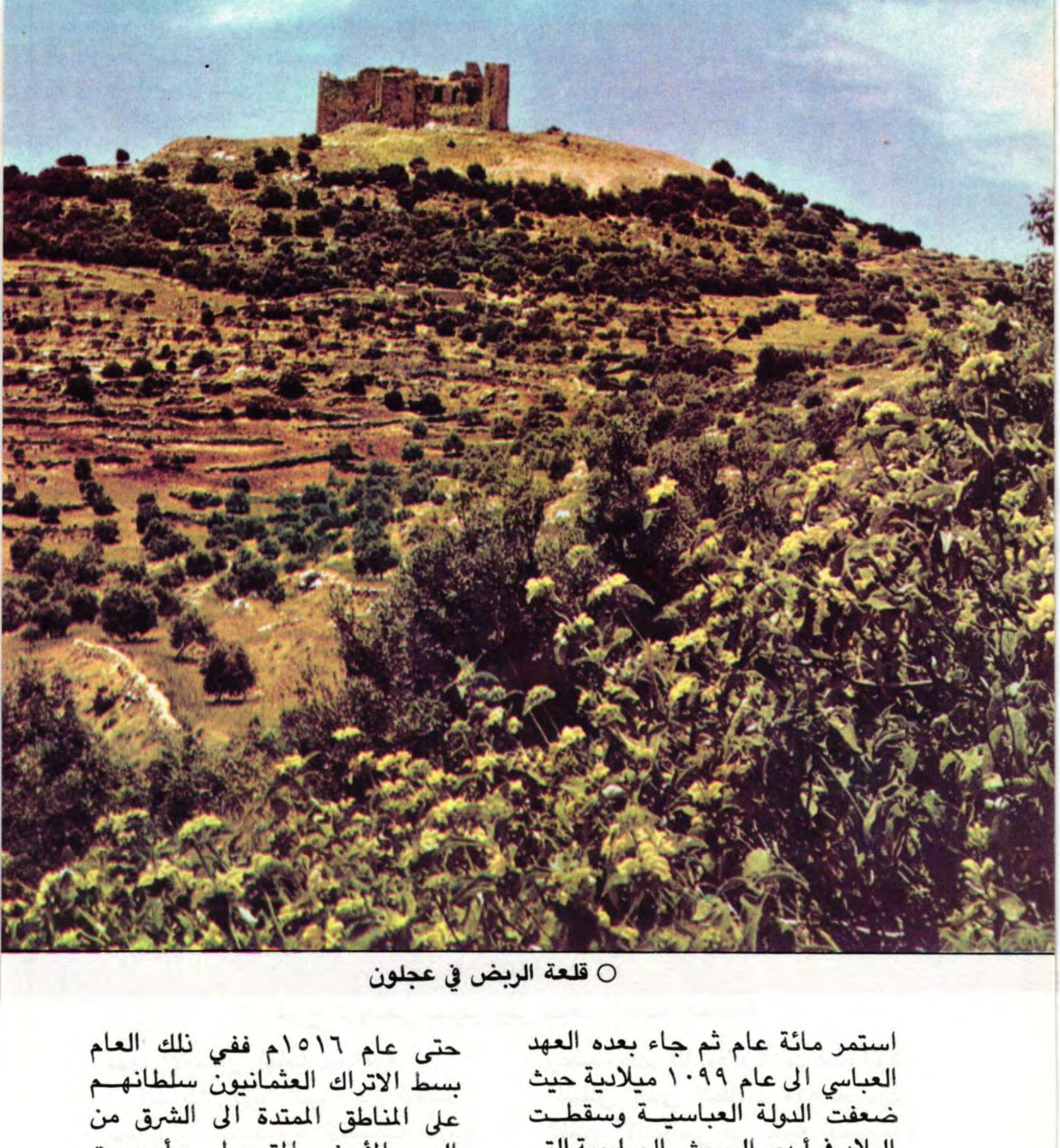


○ المدرج الروماني بجرش ومن خلفه المدينة الحديثة

فيها الانسان إقامة جماعية .

لقد كان لهذا الجزء من العالم ، منذ بداية الحضارة الانسانية تاريخ حافل وأهمية كبيرة ، فقد تنافس الكنعانيون والمصريون والبابليون والفرس واليونان والرومان والبيزنطيون والصليبيون ، وشعوب اخرى غير هذه الشعوب ، على اخضاعه والسيطرة عليه في عهود مختلفة ، ثم قدر له أن يشهد دعوة أنبياء العهد القديم وتعاليمهم ، وعندما ظهر الاسلام كانت هذه البلاد المنطلق الذي انطلقت منه جيوش الفتح الاسلامي من شبه الجزيرة العربية الى أرجاء العالم الأخرى .

كان ظهور الدعوة الاسلامية حدثا عظيما في تاريخ الشرق ، ففي عام ٦٣٦ ميلادية دخلت جيوش الفتح الاسلامي الديار الأردنية وانتهى حكم دولة الروم البيزنطيين ، وبدأت فترة امتازت بالرخاء والحضارة ، وخصوصا في عهد الدولة الأموية الذي



○ قلعة الربض في عجلون

استمر مائة عام ثم جاء بعده العهد العباسي الى عام ١٠٩٩ ميلادية حيث ضعفت الدولة العباسية وسقطت البلاد في أيدي الجيوش الصليبية التي غزت تلك المنطقة آنذاك .

ولكن الدولة التي أنشأها الصليبيون لم تعش طويلا منذ عام ١١٨٧م أنتصر الأيوبيون على جيوش الافرنج وبعد فترة من الزمن تولى المماليك حكم البلاد محل الأيوبيين وظلوا يسيطرون على الأردن وسوريا حتى عام ١٥١٦م ففي ذلك العام بسط الاتراك العثمانيون سلطانهم على المناطق الممتدة الى الشرق من البحر الأبيض المتوسط ، وأصبحت دولتهم تشمل شبه الجزيرة العربية وسوريا والعراق وشمال افريقيا . وقد ظل الاتراك العثمانيون يحكمون هذه البلاد أربعة قرون انتهت مع نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م .

خلال فترة الأربعمائة سنة في عهد



○ البتراء .

العثمانيين لم يشهد الأردن من معالم العمران والتطور سوى انشاء خط سكة حديد الحجاز الذي أنشيء لتسهيل سفر الحجاج المسلمين الى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة لآداء فريضة الحج .

وفي صيف عام ١٩١٦م تزعم العرب الشريف حسين بن علي أمير الحجاز واتصل بدول الحلفاء ووقف ضد الأتراك العثمانيين بعد أن تعهد له الحلفاء باستقلال العرب بعد نهاية الحرب العالمية .. لكن الحلفاء بعد مؤتمر السلام الذي عقد في باريس بعد انتهاء الحرب تحولوا الى وضع التسويات التي تلائم مصالحهم . وهكذا لم يحصل العرب على الاستقلال الذي كانوا يطمحون اليه والذي وعدوا به ، بل فرضت بريطانيا وفرنسا انتدابهما على مناطق مهمة من بلادهم .

وكان الأمير عبدالله من قادة هذه الثورة واليد اليمنى لأبيه الشريف



○ مسجد الأشرفية في عمان

○ مدينة عمان



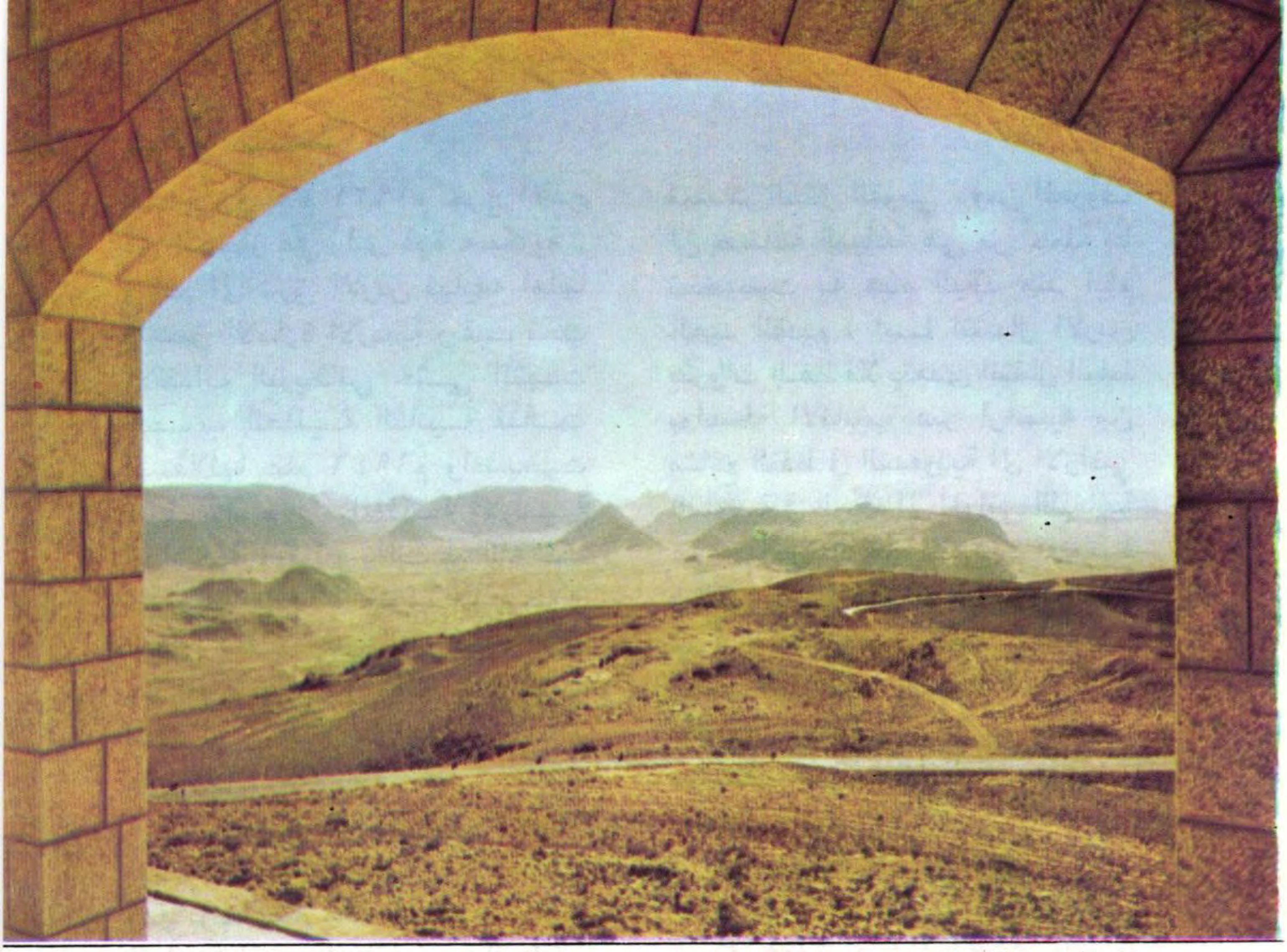
حسين وفي عام ١٩٢١م خرج الأمير من الحجاز على رأس قوة عسكرية . وتقدم الى شرق الأردن فبايعه أهلها واسس الامارة الاردنية وبقيت تحت الانتداب البريطاني حتى انتهت الحرب العالمية الثانية فنالت استقلالها عام ١٩٤٦م وأصبحت تعرف باسم : « المملكة الأردنية الهاشمية » ونودى بالملك عبدالله ملكا دستوريا عليها ، وتولى الملك طلال الحكم بعد اغتيال والده الملك عبدالله . ثم تنازل الملك طلال لابنه الملك حسين الذي مازال يحكم البلاد حتى الآن .

وتبلغ مساحة الأردن ٣٧,٥٠٠ ميلا مربعا وسكانه حوالي ثلاثة ملايين وهو بوجه عام بلاد جرداء تقل فيها المياه وتؤلف الصحارى الرملية والجبال القاحلة نحو ٨٠٪ من مساحة أراضيه وتتألف ثروته المعدنية من الفوسفات والبوتاس وتعتبر صادرات الأردن من الفوسفات ، العنصر الرئيسي في ميزانه التجاري أما الزراعة فأهمها القمح والشعير وفي وادي الأردن الخصيب تكثر اشجار الفاكهة والحمضيات وكذلك الخضروات التي تستعمل محاصيلها للاستهلاك الداخلي وللتصدير .

أما الصناعة في الأردن ، فمازالت حديثة العهد وصغيرة غير أن عدد المصانع ازداد بصورة ملحوظة خلال السنوات الماضية فتضاعف عدد مصانع الغزل والنسج ثلاث مرات بينما تطورت صناعة الدباغة تطورا علميا حتى أصبحت مصدرا جيدا من مصادر الدخل القومي ، ومن المعروف ان صناعة الدباغة هى من جملة ما تخصصت به هذه البلاد منذ أيام العهد القديم ، اما اتصال الأردن بثروات النفط فلا يتعدى انتقال النفط بواسطة الأنابيب عبر أراضيه من منابع النفط في السعودية الى الاراضي السورية في طريقه الى الموانى اللبنانية على ساحل البحر الأبيض المتوسط ويتلقى الأردن عائدات عن مرور النفط في أراضيه بعضها نقدا وبعضها الآخر من النفط الخام الذي تقوم مصفاة البترول في الزرقا بانتاج مشتقات الوقود النفطية بما يكفى لتغطية حاجة البلاد .

وعاصمة البلاد (**عمان**) : وقد كانت في العهد القديم تعرف باسم (**ربة عمون**) كما أطلق عليها الرومان اسم (**فلادليفيا**) وهى تقوم على سبع تلال تتناثر فيها هنا وهناك آثار من ايام العمونيين والمؤابيين واليونان والرومان والبيزنطيين والمسلمين وفي المدينة يوجد جبل القلعة وبه المتحف التاريخي الذي يحتوي على معروضات اثرية تمثل تطور الاحداث التاريخية في البلاد منذ اقدم العصور .

والى الشمال من عمان تقع مدينة (**جرش**) في المنطقة التي كانت تعرف قديما باسم (**جلعاد**) ويمكن قطع المسافة بين المدينتين في ٤٥ دقيقة فقط على طريق يخترق سلاسل من التلال ولدخول مدينة جرش لابد من المرور تحت البوابة الأثرية العظيمة التي بنيت عام ١٢٩ ميلادية احتفالا



○ راس النقب كما يبدو من الاستراحة المطلة على وادي رم

○ قصر « عمره » الذي بناه الأمويون في البادية الأردنية



بزيارة الامبراطور هادريان الى المدينة ومدينة جرش غنية بالآثار الرومانية والهيلينية حيث انها كانت من اغنى حواضر هذين العهدين .

ومن جرش يسير طريق باتجـاه الغرب في التفافات متصاعدة ليصل الى جبال منطقة عجلون المـكسوة بالأشجار والغنية بغابات الصنوبر التي تحيط بقلعة (**الربض**) وهى موقع تاريخي نادر يقوم فيه حصن اسلامي انشئ كي يقف حاجزا ضد تقدم الصليبين وهو حصن متين ذو جدران متداخلة وخنـادق وبوابـات وأبراج .

أما مدينة **اربد** الحديثة فهي من أكبر المدن الأردنية وعلى مقربة منها قرية (**ام قيس**) التي كانت تعرف باسم (**جدارا**) وهى مدينة تاريخية لايزال جزء كبير منهـا مدفونـا في الأرض كما توجد فيها آثار رائعة لقصور وشوارع معبدة تمتد حتـى حدائق الزيتون كما توجد بالقرب منها الحمامات الحـارة في (**الحمـة**)



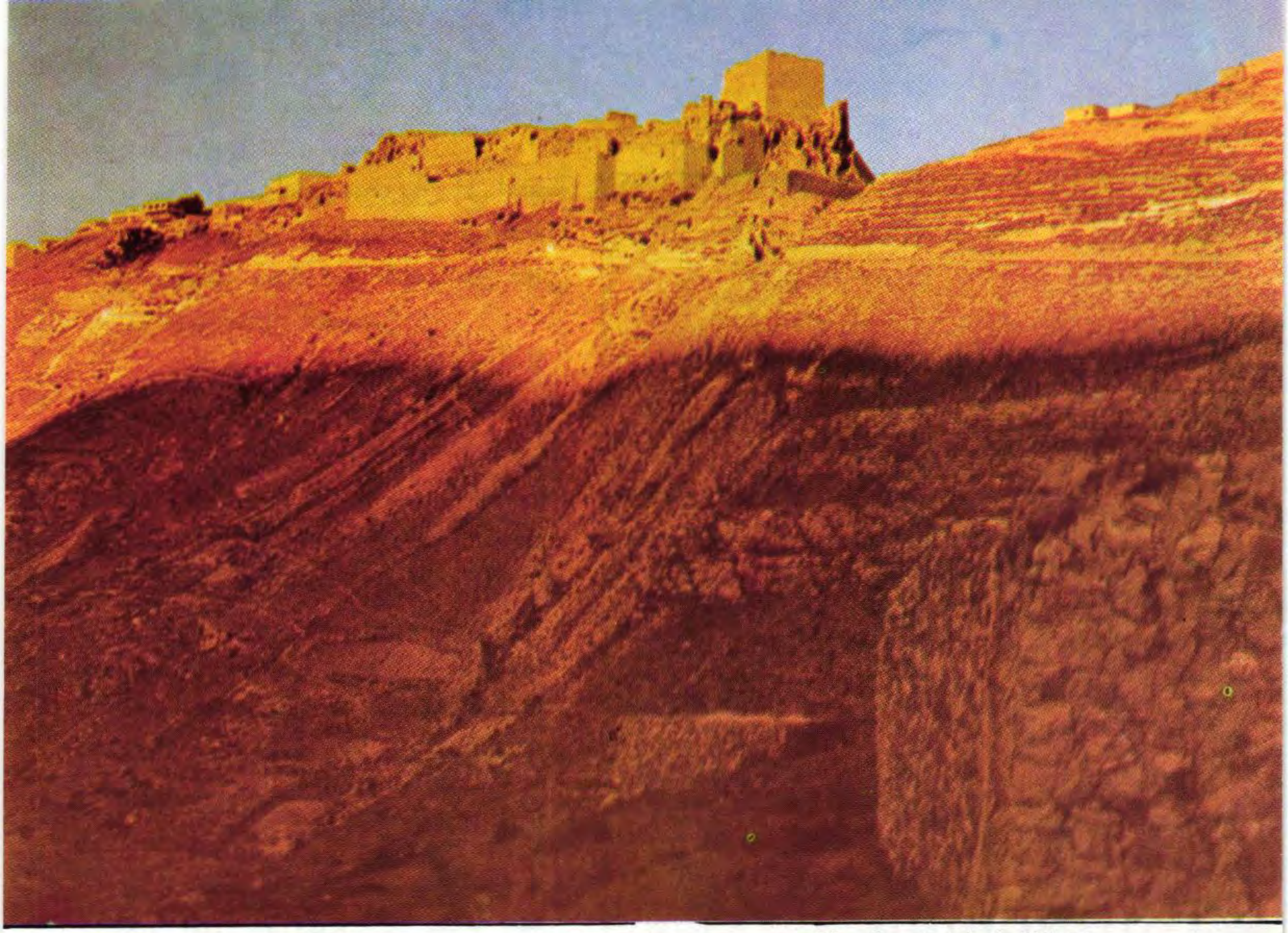
○ الجامع الجديد في البيرة

○ المملكة الاردنية الهاشمية



الشهـيرة بمياههـا المعدنيـة ذات المميزات العلاجية .

وفي جنوب عمـان تقـع مدينـة (**مادبـا**) وليست مادبـا التـي نشاهدها اليوم إلا مدينة حديثة تقوم على أنقاض وآثار مدن عديدة كانت تقوم مع تعاقب العصور ، اما الطبقة التي تقوم مباشرة تحت المدينة الحالية فتتألـف من آثـار وبقايـا العهـد البيزنطي في القرن السادس للميلاد



○ القلعة الصليبية بالكرك

○ وادي رم



اما بلدة **الكرك** في وادي الموجب ففيها قلعة الكرك البالغة الضخامة والتي تعود الى ايام الصليبيين والتي حاصرها المسلمون حتى سقطت وبسقوطها انتهى عهد الصليبيين في الأردن . وتظل أبراج القلعة على منحدرات سحيقة تصل في انحدارها الى البحر الميت على مسافة ٩١٤ مترا .

اما سهول مؤته التي شهدت احدى المعارك الهامة في التاريخ الاسلامي فقد سقط على ارضها اول شهداء الاسلام خارج الجزيرة العربية .. الحارث بن عمير الاسدى .. وبعده سقط ثلاثة من قادة المسلمين في معركة مؤته الشهيرة « زيد بن حارثه وعبدالله بن رواحه وجعفر بن ابي طالب »

وبلدة (**البتراء**) التي تعتبر أعظم كنوز الأردن والمنحوتة في صخور الجبال الصماء الوردية اللون ، وكانت البتراء في الأصل معقلا قبليا للأنباط « تلك القبيلة العربية » التي جاءت من شمال الجزيرة .

والى الجنوب من البتراء تنبسط مسافات من الأرض تمتد من سفوح الهضبة الجبلية عند رأس النقب الى وادي « رم » الذي يتدفق الماء من بين صخوره العالية والتي تتخللها عروق النحاس .

واذا ما تركنا « رم » وجدنا الطريق يمر بين مضائق جبلية تنفرج أمام شاطئ العقبة المزدان بأشجار النخيل ، والعقبة ميناء الأردن ومنتجعه الوحيد على البحر الأحمر وهى خط الحياة بالنسبة لصادرات الأردن ووارداته .

وتعتبر العقبة مكانا للنزهة والترويح عن النفس على مدار فصول السنة وفي مياهها مجال ممتاز لصيد الأسماك بجميع الأنواع من الجمبري الى سمك التون الذي تزن الواحدة منه ٢٥ كيلو جراما .

ويوجد في الأردن كذلك مجموعة من المعالم التاريخية منتشرة فوق أراضيه كالقصور الأموية التي بناها الخلفاء الأمويون عندما كانوا يتربعون على سدة الخلافة الاسلامية بدمشق في القرن الثامن الميلادي ، إن « قصر المثنى » هو أقرب تلك القصور الى الطريق الرئيسي المؤدي الى عمان اذ لا يبعد عنها اكثر من خمسة اميال وتتألف بقايا هذا القصر من ثلاث قاعات ذات عقود ، لعبت ايدى الزمن بها فلحقها التآكل ، ذلك لأن البناء كله أنشئ من قوالب الآجر ، ثم غطى بطبقة من الملاط نقشت عليه زخارف اسلامية دقيقة رائعة أشبه ما تكون بتطريز الابرة وبخلاف قصر المثنى يوجد قصر « الحرانة » الذي يشبه القلعة الحصينة وهو بناء مربع بالغ الضخامة ، وهناك أيضا قصر « عمره » الذي يحتوي على قاعات ذات سقوف مثلثة وحمامات بخار و« قصر الحلابات » و« قلعة الأزرق » وغير ذلك من الآثار الاسلامية والرومانية .

هذا هو الأردن بمعالمه القديمة والحديثة شعب ناهض ينشئ ويعمر وبلاد عريقة حافلة بذكريات التاريخ وأمجاده الخالدة .

الاسلام والضوضاء

الاسلام برىء من مظاهر الضجة في بلادنا العربية ولو أحسنا اتباعه لقضينا على الضجة

لا شك أن الضوضاء هي من أسباب التوتر والقلق في المجتمعات الحضارية الحديثة .... ولم تعد الضوضاء قاصرة على المدن الصناعية الكبرى التي تعج بالآلات والمصانع ووسائل النقل والمواصلات . ولا على المدن التجارية حيث الاعلانات والمنافسة التجارية وازدحام الطرق والملاهي والمكاتب .. بل لقد زحفت الضجة أيضا إلى الضواحي والأرياف النائية بفضل ظهور وسائل الاعلام الحديثة السهلة الانتقال كالراديو والتليفزيون والميكروفون إلى جانب تصنيع الريف وانتقال المصانع والآلات والضجة إلى القرى والحقول ..

ومن أخطر الأمور على حياة الانسان ألا يأخذ قسطه من الراحة والنوم متى أراد بسبب الضجة أو أن يحاول استجماع أفكاره في عمل

للدكتور : احمد شوقي الفنجري

ذهني فيجد دائما ما يشتت ذهنه .. فالضجة احدى عوامل الاجهاد الذهني والعصبي واحدى معوقات العمل والانتاج .. وقد ثبت طبيا أنها أحد عوامل انتشار الأمراض العصبية والنفسية والعقلية إلى جانب الأمراض العضوية التي يسببها التوتر .

وأكثر الناس تأثرا بالضجة هم المثقفون وأصحاب الأعمال والمهن الفنية الذين يكدحون بعقولهم لا بأجسامهم ...

فالانسان المثقف يكون دائما مرهف الحس سريع التأثر والحساسية للجو المحيط به ... وكلما زاد علم الانسان ... وثقافته كلما انخفض صوته وقل صياحه وزاد وقاره .. وكلما ثقلت رأس الانسان بالمعرفة والعلوم والأفكار كلما كان أكثر حاجة من غيره إلى الهدوء والراحة حتى ينتج للوطن من علمه وأفكاره .. وبذلك يصبح من حقه على الوطن ان يتيح له هذا القدر من الهدوء ..

وفي نفسه نجد أن الشخص الجاهل الفارغ الرأس هو وحده الذي يحدث حوله أكبر قسط من الضجة والازعاج للآخرين .. ومن حكم الأقدمين في هذا المجال قولهم : « ان الصوت المرتفع ليس دليلا على رجاحة العقل ولا على قوة الشخصية فالحمار صوته مرتفع ولكنه لا يعتبر من الحكماء .. والصرصار صوته مرتفع ولكنه لا يعتبر من ذوي الشخصية » .

ولخطر الضجة على المجتمع المتحضر فقد خصصت هيئة الأمم المتحدة أسبوعا في العالم كله لمحاربة الضوضاء تماما كما خصصت أسبوعا لمحاربة المرض وغيره لمحاربة الجوع .. وقد جعلت شعارها في ذلك الأسبوع « الهدوء ذوق وأخلاق والضجة جهل وتخلف » .

وفي أكثر البلاد الراقية الناهضة يحتفلون بهذا الأسبوع فيمنعون أي سائق سيارة من استعمال آلات التنبيه على الاطلاق وبذلك يضطر إلى التأني في السياقة وعدم السرعة ويوقعون غرامة مالية على أي بيت أو محل تجاري أو مقهى يفتح جهاز الراديو بصوت مرتفع . وحتى الأطفال يعلمونهم التعاون مع المجتمع ومراعاة مشاعر غيرهم بعدم احداث الضوضاء في الشوارع والبيوت أثناء اللهو واللعب .

وبمثل هذه التعاليم مع الكثير من الدقة والتنظيم استطاعت اوروبا وأمريكا إلى حد كبير أن تتخلص من آفة الضجة ولكن بقيت الضجة للأسف الشديد في مدننا العربية والاسلامية إلى حد أن بعضهم يعتقد ان لهذه الضجة علاقة بديننا وهو

منهـا براء .. فلننظـر في تعاليـم الاســلام الحقيقيــة وكيــف حارب الضجة .

الاسلام يحارب الضوضاء :

لقد حارب الاسلام الضجة والجلبة في كل صورها وأسبابها :

وإذا كانت وسائل الضجة الحديثة كالسيارات والميكريفونات والراديـو والتليفزيـون لم تعــرف في عصر الرسالــة .. فقــد جاء الاســلام بالتعاليم والمبادئ العامة التي تصلح لكل عصر ومكان والتي تبين أن من يحدث الضجة او يزعج غيره ، انسان قد انعدمت لديه مبـادئ التراحـم والتعاطف مع الناس والمراعاة لمشاعر غيره ..

وقد جاءت آيات القــرآن تأمــر الناس بالسكينة والوقار وتشبه من يرفع صوته بالحمار فيقول تعالى :

(واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان / ١٩ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره من يرفع صوته في الحديث أو النداء سواء كان نلك في البيوت والمجالس .. أم في الشوارع .. بل وأيضا في الخلاء .

ذات يوم رفع بعض الصحابـة أصواتهم في مجلس الرسول، حتــى غطت على صوته واستحيا الرسول ان يسكتهم لأنهم كانوا في بيته ولكن الله لا يستحيي من الحق ونزل القرآن كأنه سيف قاطع حاسم يقول :

(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبـي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذيـن يغضـون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) . الحجرات ٢ و ٣ .

وجاء بعض الأعراب يوما إلى بيت الرسول وأخذوا ينادونه من الشارع بصوت مرتفع فنزل القرآن الكريم :

(إن الذين ينادونـك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهـم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم). الحجرات / ٤و٥

إن بعض الناس في عصرنا هذا قد يستعمل مكبرات الصوت بصـورة مزعجة لجيرانه أثناء تلاوة القرآن في المآتم أو في الحفلات والخطب الدينية أو يفتح المذياع بأعلى صوته عند تلاوة القرآن .. وقد يتصور هؤلاء أنهـم بذلك يدعون إلى سبيل الله وان من يعترض سبيلهم أو يطلب منهم عدم إحداث الضجة إنسان فاسد أو غير متدين .. وقد تفشت هذه الظاهرة المؤلمة في كثير من البلاد الاسلامية حتى أصبح كثـير من الأوروبيـين والأجانـب يتصـورون ان ظاهـرة الضجة هي من صميم تعاليم الاسلام وهي في الواقع سوء استغلال للدين وهي بعكس تعاليمه وتسئ إليه ..

فان أول مكان يشترط الاسلام فيه السكينة والوقـار هو دور العبـادة والصلاة ونلك لكي يجعل الله المسجد قدوة لغيره في محاربة الضجة ..

فقد منع الاسلام إحداث الضجة والصوت المرتفع سواء كان ذلك من داخل المسجد أم خارجه ، حتى لو كانت هذه الضجة لتلاوة القرآن .. فالله تعالى يقول :

(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) .
الاسراء/ ١١٠

وعندما أراد رسول الله أن يختار وسيلة لنداء الناس للصلاة جاء بعض الصحابة يقترحون عليه استعمال الأبواق كاليهود . أو استعمال الأجراس كالنصارى واقترح بعضهم أن تقرع الطبول كعادة القبائل في الحرب ولكن الرسول الملهم لم يستحب هذه الآلات المزعجة العالية الصوت .. وفضل أن يكون الاذان بصوت الانسان الطبيعي الذي ينبه ولا يزعج فاختار بلالا للاذان .. ولم يكن بلال جهير الصوت بل كان صوته خفيضا ، رخيما ترتاح له النفوس وتستجيب له القلوب .

ويكره الاسلام أيضا إحداث الضجة والجلبة خارج المسجد أو في الطريق إليه ولو كان ذلك استعجالا للصلاة :

عن أبى قتادة قال : « بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة خارج المسجد فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : استعجلنا إلى الصلاة .. فقال الرسول : « لا تفعلوا .. إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما سبقكم فأتموا » .

ومن هذه الأمثلة الحية والتعاليم السماوية التي جاء بها الاسلام نجد أنه يحرم الضجة ولو كانت في قراءة القرآن .

فما بالك بهؤلاء الذين يحدثون الضجة بغير هدف ولا غاية الا متعتهم الشخصية كسائق السيارة الأحمق الذي لا تفارق يده آلة التنبيه ولو لم يكن في الطريق أحد .. أو صاحب الهوى الذي تعجبه اغنية في المذياع فيرفع صوت المذياع ليفرضها على جيرانه .. أو أصحاب الحفلات الماجنة والساهرة أو المقاهي والملاهي الذين يركبون الأبواق الكهربائية الضخمة لكي يعلنوا عن أنفسهم ـ أو التاجر الذي يريد أن يعلن عن بضاعته فيركب أبواقا مزعجة ويستغل الدين ويذيع من دكانه القرآن أو الأغاني ليل نهار ..

أو الآباء الذين يطلقون أطفالهم في الشوارع والبيوت يحدثون الضجة والصراخ دون حدود أو مراعاة للجيران ، وهم يتصورون أن هذا حق للطفل ولا يجادل فيه أحد ..

ألا يعلم هؤلاء كم من مريض في البيوت يريد أن يرتاح ..

وكم من شيخ كبير مسن يريد هدوء البال .

وكم تلميذ يستذكر دروسه وكم طبيب أو مهندس أو شرطي يسهر طوال الليل لخدمتهم ويريد قسطا من الراحة والنوم بالنهار .

إن مثل هذه الضجة لا تتنافى فقط مع الذوق السليم والاحساس بالمسؤولية بل هي ضد الدين والمبادىء والاخلاق ..

من مصطلح الحديث

نحن في عصر كثر فيه نتاج العقول ، وتضاربت النظم ، وتعارضت ، وكثرت التعاليم البشرية ، وتنوعت ، ومع هذا فلم يجد الناس الأمان والرخاء في ظلها جميعا .

ومهما تكن العيوب الكثيرة التي أوجدت هذا الاضطراب ، وساعدت في خلق هذا الجو الذي لم ينعم الفرد فيه باستقرار ، فلا ريب أن الأسباب المباشرة المؤثرة حقا هي أن هذه النظم وتلك التعاليم لم تثبت قدرتها في مواجهة المشاكل بالشكل الذي يريح الانسانية بل على العكس من ذلك عاشت الدنيا تتخبط في ظلام دامس ، وهمجية قاتلة ، وظلم قاتم ، وخراب مدمر عاصف ، وشقاء وحروب تلو الحروب ، لم تهدأ الدنيا لحظة ، بل ظلت لاهثة وراء سراب خادع هو الاستقرار الذي لن تناله ما دامت هذه قوانينه ، وتلك شرائعه التي في ظلها يأكل القوى الضعيف .

والشريعة الاسلامية واضحة النهج جاءت لتقيم موازين القسط ، وتحقق المجتمع الراقي ، فهي للدنيا الدستور الوافي الذي يجمع الناس على كلمة سواء ، تلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وفي كل عصر ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولن ينال المشوهون للسنة ما يبغون فهي قوية الدعائم قد تحطمت على صخرتها الشبهات والهجمات الشرسة ، لأن المسلمين الأوائل اعتنوا عناية فائقة بتدوينها .

وعبر هذه الصفحات نستعرض مع السادة القراء نموذجا حيا على حسن الفهم ودقة البحث وعظمة التدقيق ، وسنقوم بتقديم نماذج من مصطلح الحديث للتعريف بهذا الفن الدقيق الرفيع ، ليكون القراء على بينة من مغزى الاشارة لكل حديث يذكر عنه المحدثون انه صحيح وحسن .. الخ ونسأل الله التوفيق والسداد في خدمة السنة المطهرة .

الحديث الضعيف

(ما دخل سنده شىء من الانقطاع ، أو كان أحد رواته غير عدل ، أو كان غير ضابط ، أو كان فيه شذوذ أو علة قادحة خفية ، ولا يقبل الجبر) .

....

بعد أن عرفنا الحديث الحسن ، يهمنا أن نبين الفرق بين الحسن والضعيف اذ لم يكن هناك فرق واضح بينهما قبل أن يقسم الامام الترمذي الحديث الى أقسامه الثلاثة : الصحيح ، والحسن ، والضعيف .

ولما كان الحسن له شروط الصحيح لكنه لخفة ضبط راويه أصبح يليه في الاستدلال والصحة .
والضعيف : هو ما دون ذلك لأنه فقد شروط الصحيح والحسن .
نستخلص من هذا أن الضعيف ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن ، وفقد شرط من شروطهما أو بعضها يهبط بالحديث الى درجة الضعيف ويقدح في صحته . فعدم سماع الرواية وعدم فهمها فهما دقيقا وروايتها عن طريق ثقة يخالف الثقات بروايته رواية ضعيفة لا يعمل بمضمونها .
وهناك رأى يقول باباحة الأخذ بمضمون الضعيف عند الامام أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك إذا لم يرد في الباب غيره ، فقد أثر عنهم أنهم قالوا : (إذا روينا في الحرام والحلال شددنا وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا) فانهم يعنون بالضعيف ، الضعيف الذي يقبل الجبر ، وهو ما يرقى الى مرتبة الحسن لغيره إذا روى من طريق آخر . والأخذ بالحديث الذي لم يصل الى درجة الصحيح كان معمولا به في زمن الامام أحمد ، ولم يكن التقسيم في عصره مستقرا واضحا بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث إلا بالصحة أو الضعف فقط ، ثم أصبح الضعيف بعد ذلك هو ما دون الحسن .
والحكم بالضعف يكون على الاسناد غالبا ، ولا يحكم بضعف المتن إلا إذا قال بذلك إمام من الحفاظ المطلعين على طرق الحديث .
وينقسم الضعيف باعتبار فقد واحدة من صفات الصحيح أو الحسن أو أكثر الى أنواع كثيرة سنعرض لها في أعداد قادمة إن شاء الله .
وكمثال لضعيف السند ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحب اللهو الى الله تعالى إجراء الخيل والرمى) فهو ضعيف جدا .

استدراك : تأسف المجلة لوقوع خطأ في الآية الكريمة الواردة بالصفحة ١٠٦ باب مع الشباب العدد (١٧٥) رجب ١٣٩٩هـ وصحة الآية (**وفي السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون**) الذاريات ٢٢ ، ٢٣ ـ فلزم التنويه .

الإسلام والتربية الغذائية

للأستاذ علي القاضي

تمهيد :

يقصد بالتربية الغذائية تكـوين سلوك صحي يترتب عليه اختيار الفرد للغذاء الذي يوفر له كل امكانيات النمو والحيوية والانتاج فالغذاء الكامل من العوامل الرئيسية لتحقيق الصحة الكاملــة وهذا يتطلــب من المسلم أن يكون على علم بحاجات الجسم الغذائية حتى يعد الوجبات الكاملة التي تغطي احتياجاته طبقا لسنه ، وللأعمال التي يقوم بها .. وكل جسم يحتاج إلى الآتي :

١ ـ المواد البروتينية :

وهي لازمة لبناء الجسم ولتجديد ما يتلف من الخلايا ومن هنا فاننا نجد أن الصغير أكثر حاجة إلى هذه المواد من الكبير وإن كانت العادة قد جرت على غير ذلك . وهي تنقسم إلى بروتينات حيوانية وإلى بروتينات نباتية .

٢ ـ مواد الطاقة :

وهي لازمة لتزويد الجسم بالطاقة التي يحتاج اليها وهي موجودة في الدهنيات والنشويات والسكريات ، والـكمية التي يحتاج إليها الجسم تختلف حسب السن ونوع العمل الذي يقوم به .

٣ ـ المواد الواقية من الأمراض :

وهي الفيتامينات والأملاح المعدنية ، وهي إلى جانب أنها تقي الجسم من الأمراض فان الجسم لا يستفيد استفادة كاملة من باقي المواد إلا وهو ذائب في الفيتامينات والأملاح المعدنية .

والاسلام يريد أن يكون المسلمون أقوياء الجسم إلى جانب قوة الروح وفي ذلك يقول النبي الكريم : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » رواه البخارى ، وجعل من مميزات القيادة صحة الجسم وقوته وفي ذلك يقول الله تعالى في طالوت : **(إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم)** البقرة /٢٤٧ كما يمدح موسى لقوته وأمانته فيقول على لسان ابنة شعيب **(يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين)** القصص/٢٦ .

الطعام الحلال :

حارب الاسلام سوء التغذية وطلب من المؤمنين ألا يحرموا شيئا مما أحله

الله لهم **(يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)** المـــائدة/٨٧ وشجع المسلمين على تناول كل أنواع الطعام الحلال التي تفيد الجسم **(أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكـــم وللسيارة)** المـــائدة/٩٦ وهو يمثل البروتين الحيواني وفيه كل ما يحتاج إليه الانسان من الأحماض الأمينية تقريبا ، ومن ذلك اللبن الذي يعتبر غذاء كاملا للطفل وغذاء مفيدا للكبار وقد ذكره الله تعالى في قوله **(من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين)** النحل/٦٦ ومن ذلك التمر الـــذي له فوائد غذائية جمة لاحتوائه على عناصر متعددة إلى جانب أنه مفيد للنساء اللاتي يلدن ولذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم لمريم : **(وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلي واشربي وقري عينا)** مريم/٢٥ ، ٢٦ وقد ذكر في القرآن الكـــريم أنواعا من الـــزروع والثمار التي يحتاج اليها الجسم وذلك في قوله تعالى : **(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات)** .. ويقول بعد ذلك : **(كلوا من ثمره إذا أثمر)** الأنعام ١٤١ .

وقد لوحظ أن البروتينات النباتية لا تكفي احتياجات الجسم إذ أن أي نوع منها لا يوجد به إلا بعض الأحماض الأمينية ، ولهذا ينصح خبراء التغذية أن يأكل الانسان أكثر من صنف حتى يحدث بذلك تكامل في الغذاء .. ولكي يحصل الانسان على ما يلزمه منها فلا بد وأن يأكل كمية كبيرة منها مما قد يجهد جهازه الهضمي لأن أمعاء الانسان قصيرة بالنسبة لأمعاء الحيوانات آكلـــة العشب .. ولهذا نعي على بني اسرائيل قولهم لموسى لن نصبر على طعام واحد وطلبوا منه أن يدعو ربه لتخرج لهم الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها وقال لهم : **(أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)** البقرة/٦١ لأنهم كانوا قبل ذلك يأكلون المن والسلوى .. وقد لحظ بعض الباحثين ان الطفل المولود في الشعوب النباتية لا يزيد وزنه عادة عن ٣ كيلو بينما وزنه في الشعوب التي تأكل الحيوانات ٢ كيلو وهذا يعني أن البروتين الحيواني اكثر فائدة لنمو الجسم من البروتين النباتي .

عسل النحل :

ومن الأغذية المفيدة للانسان عسل النحل فهو غذاء وشفاء في الوقت نفسه يقول الله تعالى : **(يخرج من بطونها شراب مختلف ألـــوانه فيه شفاء للناس)** النحل/٦٩ وقد قام العلماء في جميع الدول المتقدمة بعمل أبحاث على عسل النحل ـ وقد اكتشفوا أن عسل النحل به سكر الجولوكوز : وهو أهم السكريات فائدة للمريض والسليم إذ أنه أسهل امتصاصا في الأمعاء وأقل قابلية للتخمر ولـــذلك يعطى كغذاء أساسي لمرضى الحميات وللأطفال وتصنع منه حقن في الوريد بعد العمليات والحوادث . وعسل النحل يحتوي على ١٣ فيتامينا منها

فيتامين ب ومركباته وهو يساعد على النمو ، ويستطيع الجسم بوساطته ، أن يقاوم الأنيميا والأمراض الجلدية والعصبية والبلاجرا كما يساعد على هضم المواد النشوية ـ كما يحتوي على قدر من فيتامين ج الذي يقاوم أمراض الـدم والاسقربوط ، ويمنع العدوى من بعض الأمراض كما أنه ضد النزف والتسمم كما يحتوي على المركبات البروتينية التي تبني خلايا الجسم وتعوض ما يتلف من أنسجته كما يحتوي على كمية ملحوظة من أحماض الفواكه التي لها قيمة غذائية كبيرة ثم هو مطهر للأمعاء والمعدة ، وهو من الملينات القوية المفعول ويعاون على تنشيط الكبد ـ وله قدرة كبيرة على قتل كثير من المكروبات التي تسبب الأمراض ـ ثم أنه يحتوي على معادن تعطي للجسم حيويته مثل الحديد والبوتاسيوم والصوديوم والكبريت والماغنسيوم والفسفور وقد تكونت شركـات للأدوية في انجلترا والمـانيا وسويسرا تستعمل العسل علاجا أساسيا في جميع مركباتها للسعال والالتهابات الصدرية والتهابات الحلق والأمراض الجلدية واللثة وغذاء الأطفال ـ وغذاء ملكات النحل تصنع منه حبوب لكبار السن لكي يستردوا نشاطهم وحيويتهم .

الطعام الحرام :

ولـما كان الاسلام يحرص على الصحة الجسمية بالنسبة للمسلمين فانه حرم عليهم من الأطعمة والأشربة ما يؤثر على صحتهم تأثيرا سيئا وقد ذكـر بعض هذه الأشياء في الآية الكريمة (**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والمـوقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم**) المائدة/٣ . وسبب تحريم لحم الميتة أن الموت يحدث إما بسبب الشيخوخة أو بسبب المرض ففي حالة الشيخوخة نلاحظ أن الحيوان الذي يهرم يصاب بتليف في جميع أنسجة جسمه فيفقد قيمته الغذائية ويصبح عسر الهضم في الأمعاء . وفي حالة المرض قد يتعرض الانسان للعدوى إما عن طريق انتقال الميكروب مباشرة من اللحم إلى الانسان إذا لم يكن قد طهي جيدا .. وإما عن طريق السميات التي يفرزها مكروب المرض والتي لا يقتلها الطهي وهذه تسبب التسمم الغذائي .

وحرم الاسلام أكل الدم إذ أن وظيفة الدم أن ينقل جميع المـواد الغذائية التي تمتص من الأمعاء إلى أعضاء الجسم وعضلاته إلى جانب حملـه للفيتامينات والهرمونات والأكسوجين وجميع العناصر الحيوية والضرورية . وللدم وظيفة أخرى فهو يحمل إفرازات الجسم إلى خارجه عن طريق البول والعرق والبراز .. وبذلك يتخلص منها الانسان .. وإذا كان الانسان مريضا فان الميكـروبات تتكاثر عادة في دمه ، أو تستعمل الدم وسيلة لانتقالها من عضو إلى آخر .. كما أن إفرازات الميكروب وسمياته تنتقل عن طريق الدم أيضا . ولذا حرم الاسلام أكل الدم ، وحتم الذبح

الشرعي الـــذي يقوم بتصفية دم الحيوان بعد ذبحه فلا يضار الانسان به .. وحرم الاسلام أيضا أكل المنخنقة لأن الكائن الحي إذا اختنق فان الأكسوجين لا يدخل رئتيه ويتراكم ثاني أكسيد الكربون السام وجميع الافرازات السامة التي تخرج عادة مع التنفس في عملية الزفير ـ وهذه المـــادة إذا احتبست عادت لتمتص في الجسم وتحدث التسمم في كل أنسجته ثم الوفاة .

وحرم الاسلام أيضا أكل الموقوذة : وهي الحيوان الذي يضرب ضربا يؤدي الى الموت بعد أن يتلف الضرب أنسجة الجسم وعضلاته ... كما حرم بقايا ما أكل السبع .. والسباع هي كل حيوان ذى ناب من آكلات اللحوم كالكلب والثعلب ... والحكمة في تحريم هذه الحيوانات أنها قد تكون مصابة في فمها ولعابها وتبقى آثاره على اللحم فتؤذي من يأكل منه .

وحرم الاسلام كذلك لحم الخنزير وسبب ذلك كثرة إصابته بأنواع خطيرة من الديدان وأهمها الـدودة الشريطية وهي حين تصل إلى الأمعاء تكمل دورة حياتها في جسم المريض إذ ينتقل البيض إلى الـدورة الـدموية ويتوزع على الأجهزة الحيوية للجسم حتى تتحول الدودة في غلاف سميك الجدار يصل إلى حجم حبة الفول فاذا كانت في المـــخ أصابت الانسان بالجنون وإذا كانت في العين أصابتها بالعمى ، وإذا وصلـت إلى القلـب أصابته بالهبوط ، والتجلط ولا تتأثر بالأدوية العادية لأنها مغطاة بجدار سميك عازل . وطهي لحم الخنزير سريع لا يعطي فرصة كافية لقتل الطفيليات ... ونسبة الكولسترول في لحم الخنزير أكثر من عشرة أضعاف ما في البقر ، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الـــطبيعي تترسب في الشرايين وبخاصة شرايين القلـب ، وتسبب ارتفاع الضغط ، وتصلـب الشرايين ، وكذلك فان نسبة الذبحة الصدرية ، وتصلـب الشرايين ، في أوروبا تعادل خمسة أضعاف النسبة في العالم العربي والاسلامي ، ودهن لحم الخنزير عسر الهضم ، ويزيد احتمال الـذبحة الصدرية وتصلـب الشرايين ، ونوع الدهن يحتوي على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة ، وقد لوحظ أن دهن الخنزير عند تناوله يصبح مادة غريبة لا تتفق في تركيبها مع دهون الانسان مما يؤدي إلى اختلال في دورات التمثيل الغذائي في الجسم ، وكذلك دورات الكولسترول الذي يتسبب تغييرها في إحداث أمراض خطيرة داخل جسم الانسان .

وقد أثبت الأستاذ (دام) الأستاذ بجامعة كوبنهاجن والحاصل على جائزة نوبل أن دهن الخنزير بالذات يتسبب بشكل قاطع في إحداث حصوات مرارية ، ولا تزال الأبحاث العلمية تثبت على مر الأيام أخطارا جديدة لشحوم الخنازير ولحومها .

كما حرم الاسلام على المسلمين أكل أشياء أخرى وردت في قول النبي صلوات الله عليه : « حرم على أمتي

كل ذى مخلب من الطير ، وكل ذى ناب من السباع » رواه أبو داوود وسبب ذلك أن الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التي تأكلها لاحتواء لحومها على إفرازات داخلية تجول في الدم ، وفي العضلات وتنتقل إلى من يأكلها فتؤثر في أخلاقهم ثم إن الحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسة تفرز في جسمه هرمونات ومواد تساعده على غريزة القتال ، واقتناص الفريسة ، يقول الدكتور ليبج أستاذ علم التغذية في بريطانيا : « إن هذه الافرازات تخرج في جسم الانسان حتى وهو حبيس في قفص عندما تقدم له قطعة لحم لكـــي يأكلها » . ولا تقتصر الأضرار على الناحية الجسمية ، بل تتعداها إلى الأخلاق فقد لوحظ أثر ذلك على بعض القبائل التي تأكل هذا اللحم إلى حد أن بعضها يصاب بالضراوة فيأكل لحوم البشر ، بل أكثر من هذا فقد لوحظ على هذه القبائل التي تأكل هذا اللحم أنها تصاب بنوع من الفوضى الجنسية ، وانعدام الغيرة على الجنس الآخر وعدم احترام نظام الأسرة والعرض والشرف ، ولعـل لحم الخنزير أحد أسباب إنعدام الغيرة الجنسية لدى الأوربيين وظهور الكثير من الظواهر الشاذة مثل تبادل الزوجات والزواج الجماعي التي تظهر في البيئات الغربية .

الخمر :

كما حرم الاسلام شرب الخمر وذلك لسببين أولهما : أنها تغيب العقل وهو نعمة من الله ويترتب على ذلك أن يتصرف الشارب تصرفات لا تليق وأن يأتي أفعالا قد تدخل في باب المنكرات والكبائر . وثانيهما : أنها تؤثر تأثيرا قويا على الكبد وغيره من أجهزة الجسم الداخلية ، إلى جانب أنها تضعف الجسم وتهتك قوته فلا يستطيع أن يكون عضوا نافعا في المجتمع ، وقد كان تحريمها باتا بل لقد قرنت في الحرمة بالميسر والأنصاب والأزلام وذلك في قوله تعالى :(**يا أيها الـذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكـم تفلحون**) المائدة/ ٩٠ . بل جعله من الكبائر التي تستوجب إقامة الحد .

عادات غذائية :

وبعد أن بين الاسلام أنواع الطعام التي تصلح لصحة الجسم فأباحها والتي تعود عليه بالضرر فمنعها حرص على أن يكون لدى المسلـم عادات غذائية تحفظ عليه صحته وتعود عليه بالفائدة منها عدم الاسراف في تناول الطعام وقال في ذلك : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنـــه لا يحـــب المسرفـــين**) الأعراف/ ٣١ ذلك لأن الاكثار من الــطعام يصيب المعدة بالارهاق والكسل عن الهضم وتخمر الأغذية وقد تحدث القرحة والالتهابات في المعدة والمرئ وفي الاثنى عشر كثيرا بسبب زيادة الطعام يقول الرسول الكريم : (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن

صلبه ، فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) رواه أحمد والترمذي ويقول في حديث آخر منفرا من الأكل بشراهة : (المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء) متفق عليه ـ وقد كره النبي صلوات الله عليه الجشاء أو التكرع إذ أنه ظاهرة مرضية لا صحية لأن سببه إرهاق المعدة بالطعام بحيث لا تستطيع أن تهضمها هضما جيدا فيتخلف في المعدة ويحدث له تعفن وتخمر وتخرج منها الغازات ـ وفي ذلك يقول النبي صلوات الله عليه : « كف عنا جشاءك فان أكثركم شبعا في الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة) رواه الترمذي .

ومن العادات الغذائية التي طلبها الاسلام غسل اليدين قبل الطعام وبعده وذلك ليتخلص من الميكروبات والطفيليات التي قد تحملها اليد يقول الرسول صلوات الله عليه : « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » رواه أحمد والترمذي . كما طلب أن يكون تناول الطعام باليد اليمنى لأن اليد اليسرى قد تكون حاملة للميكروبات والديدان مثل دودة الاسكارس وفي ذلك يقول الرسول الكريم : « يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » البخارى ومسلم .

وقد نهى الرسول الكريم عن الأشياء التي تتسبب في ضعف الجسم وإن كانت طاعة مثل موالاة الصيام وموالاة القيام ليلا وقال في ذلك حديثه المشهور : « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا ومع ذلك فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر » رواه البخارى .

خاتمة :

من هنا يتبين لنا أهمية أن يسير المسلم على نظام الاسلام في التربية الغذائية فيأكل من الطيبات التي أحلها الله له ويشكر نعمة الله عليه ويبتعد عن الأشياء التي حرمها عليه في الطعام والشراب ، وأن يحافظ على العادات الغذائية السليمة فانه بذلك يكون صحيح الجسم قوي البنية يستطيع أن يؤدي رسالته في هذه الحياة ، والاسلام يطلب من المسلم أن يكون دائما مستعدا للدفاع عن دين الله ولا يقوى على ذلك إلا إذا كان كامل الاستعداد من جميع النواحي ومنها الصحة الجسمية والصحة المعنوية يقول الله تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** الأنفال / ٦٠ .

وقد لحظ الطبيب الروسي « بدحر لينز » صاحب الأبحاث في إعادة الشباب : أن إحدى القبائل المسلمة في يوغسلافيا يزيد متوسط العمر فيها على مائة عام ـ وقد وجد أن السبب الرئيسي في ذلك أن هذه القبيلة تعتمد على لحم الغنم وتأكل عسل النحل ولبن الماعز ولا تأكل لحم الخنزير ولا تتناول الخمر فاذا ما استطاع المسلمون أن يتفهموا هذا المنهج في التربية الغذائية وأن يسيروا عليه فانهم بذلك يحققون لأنفسهم ولمجتمعهم ولدينهم ما يريدون .

قالوا في الأمثال

رب أكلة تمنع أكلات

مثل يضرب للذة القاتلة أي قد يدفع المرء حرصه على الطعام أن تقدم له أكلة فيلتهمها دون أن يتبين ما فيها ، مدفوعا بشهوة الطعام والاقبال عليه وقد تسبب له هذه الأكلة مرضا لا يستطيع معه أن يتناول الطعام وحينئذ يقال له :

« **رب أكلة تمنع أكلات** » ..!!

ليس هذا بعشك فادرجي

مثل يضرب للزوم المرء بيته ووسطه ليستريح . وذلك أن الطائر يصنع عشه على قدر حجمه ، ويبنيه له لا لغيره ، فلو أن اليمامة أرادت أن تسكن عش العصفور لضاق بها ، ولو أن العصفور أراد أن يسكن عش اليمامة لوجده واسعا لا يصلح له ، فلا بد لمن نزل بعش غيره أن يتحول عنه إلى عشه الذي لا يضيق به ، ولا بد له ان يدرج من عش سواه .

ولو أن رجلا وضع نفسه في بيئة غير بيئته ، لوجد نفسه غريبا في تلك البيئة ، وأحس بأنه متعب في غير موضعه وحينئذ يقال له : « **ليس هذا بعشك فادرجي** » ..!!

غثك خير من سمين غيرك

مثل يضرب لتوضيح أن ما في يدك خير مما في أيدي الناس والغث من الأشياء : الردئ غير الجيد ، فمن اشترى البالي أو أعطى النصيب القليل فقد نال الغث ، ونال غير السمين ومعنى المثل أن ما عند المرء ولو كان قليل النفع ، أقرب له نفعا مما عند غيره ولو كان كثير المنفعة لأن ما بيده أقرب له وأجدر أن يجده إذا احتاج إليه ، أما ما عند غيره فبعيد إذا طلبه .

أصحاب بدر

رمضان شهر البر قد وافانا ... ينس الهموم ويذهب الأحزانا

نسترجع الأمجاد تحت ظلاله ... فتهزنا ، ونرتل القرآنا

ونعيش بالأرواح عند بطولة ... لمحمد يتقدم الفرسانا :

فرسان بدر والسماء تظلهم ... وملائك تتنزل اطمئنانا

في عز أيام الهجير لواؤهم ... يعلو ويخفق ظافرا فرحانا

والمسلمون الصائمون لسبعة ... من بعد عشر ودعت رمضانا

أرواحهم في الحرب فوق أكفهم ... لم يتركوا للمعتدى الميدانا

رمضان شهر البذل ما أحرانا ... أن نشهد الاقدام والايمانا

قد كان للأجيال فيهم آية ... إذ صارعوا الأشرار والفيلانا

يستعذبون الموت حتى أنهم ... يلقون طعن رماحها إحسانا

لله در السابقين إلى الذرا ... ذكراهمو نشدو بها ألحانا

لما دعا داعي الجهاد إلى الفدا ... خف الجميع إلى الوغى ظمآنا

والله ناداهم وعزز جمعهم ... لما استغاثوا كلهم إعلانا :

إذ تستغيثون الاله لنصركم ... ومؤملين لحلمكم تبيانا :

ها نحن انزلنا الملائكة الألى ... جاءوا ألوفا رافعين لوانا

جاءوكمو بشرى لكم كي تثبتوا ... ولتطمئنوا أنفسا وجنانا

لكنما النصر المؤزر قد اتى ... من عند من قد انزل الفرقانا

قد كان للأبطال فيهم آية ... في أهل بدر كابدوا شجعانا

غلبوا العدو وهم قليل عنهمو ... والخصم أعظم عدة ومرانا

الثأر آت لا مناص من اللقا ... سنحيلها من تحتهم نيرانا

الثأر آت يا عروبة فاصمدي ... في وجه من يحتل طهر ثرانا

لتكون عدتنا اوان لقائهم ... الله والايمان والقرآنا

كتب القتال على الرجال فمرحبا ... بالمدفع الرشاش فيه شفانا

لن يمكث الخصم الدخيل بارضنا ... فغدا يغادر يائسا خذلانا

وغدا قلاع الظلم تهوي مثلما ... تاتي الرياح فتجرف الكثبانا

للاستاذ احمد محمد عبد الهادي

هذى فلسطين الحبيبة دنست ... فغــدا يفور ترابهــا بركانا
ويروح يقتلــع الخفافيش التي ... سمح الــزمان فرفرفت أحيانا
أصحاب بدر ينظرون لجندنا ... عند القناة يرابطون الآنا
أوليس فيهــم أسوة لرجالنا ... فليذكـــروا الأشياخ والفتيانا
وليذكـروا «المقداد» فارس بدرنا ... يعلي اللـــواء ويسأل الربانا
هل جئت طه كي نخوض غمارها ... ام قد كرهت مع العدو لقانا ؟
إن كنت تبغي الحرب فاعلم أننا ... لن نترك الميدان مثــل سوانا
مثل الذيـن نفوا لموسى سؤله ... قالـوا : لتغش وربــك الميدانا
كلا فانا لن نقول كقولهم ... لا ليس فينا من تراه جبانا
فاضرب قريشا والكماة جميعهم ... انا سنضرب لو ضربت الجانا
وليذكروا ابن معاذ سعدا عندما ... نادى النبي مطمئنا جذلانا
يا ايهـا المبعـوث بالحق الذي ... بعنا له ارواحنا ودمانا
والله لو خضت البحار جميعها ... سنخوضها كي نغلب الشيطانا
ولقد خبرت القوم : قومي إنهم ... صبر اوان البأس فامض أخانا
وليذكـــروا قول النبي لصحبه ... اني ارى التأييد قد وافانا
فلتثبتوا عند اللقاء فانني ... شاهــدت ما يبغــونه بهتانا
الحق جاء لكـى يزيـل هراءهم ... هذى مصارع من أتوا للقانا
تالله إن جالــدتمو اعداءكم ... يساقطوا واستبشروا شهدانا
وليذكـروه حين اجهش باكيا ! ... رباه حزبـــك جابه الطغيانا
رباه إن نهلك جميعـا ها هنا ... لا عاش من قد يرفع القرآنا
نادى فحفته السكينة والرضا ... واستنصر الوهــاب والمنانا
فرأى ملائكـــة كراما اقبلت ... ترمي رؤوسا اينعــت وبنانا
صلى عليه اللــه دوما كلما ... هب النسيم فحرك الأغصانا
أبلى ببدر صابرا مستشعرا ... نصر الالـــه ومؤمنا ايمانا
قد كان فيه اسوة لجيوشنا ... وبنهجه سنحرر الاوطانا

عسل النحل

الدواء والغذاء

إن هناك تشابها غريبا يمكن تتبعه بين عادات الانسان العصرى وسلوكه واقتصادياته وبين مثيلاتها في الحشرات الاجتماعية ومنها نحل العسل ، هذه الحشرة التى يسرها الله سبحانه وتعالى لما خلقت له فقد تحورت اجزاء فمها وارجلها وآلة وضع البيض فيها لاداء وظائف تخالف الوظائف التى تؤدى في الحشرات الاخرى بهذه الاجـزاء من الجسم . والمتتبع لحياة هذه الحشرة وسلوكها وطبائعها وغرائزها وفوائـد منتجاتها يدرك على الفور عظمة الخالق جل علاه ، ويرى معجزة وآية من آيات القدرة الالهية . يرى مجتمعا عجيبـا يعيش داخل مدينة رائعة التنظيم تحكمه نظم بديعة دقيقة راقية ، واعجب من ذلك ان يكون لمنتجات النحل من عسل وغذاء ملكى كل هذه المعجزات الباهرة في شفاء الامراض وصدق الله الخالق المبدع الذى يقول : « **وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخـرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيـه**

للدكتور/ابراهيم سليمان عيسى

شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » الايتان/٦٨ و٦٩ من سورة النحل . وفي هاتين الآيتين عرض موجز معجز لطباع النحل في المسكن والمأكل ، بل تناولت منتجات النحل بوصف دقيق وتصنيف علمي يحير العقول بدقته ، ثم ذكرت الآية من فوائد هذه المنتجات حدوث الشفاء للناس من امراضهم وهو ماتوصل اليه العلماء في السنين الاخيرة فظهرت في المكتبات كتب عالمية تتناول تحليل العسل وتركيبه والامراض التى يساعد على شفائها باستعماله ، وتتعدد منتجات النحل في العسل والغذاء الملكى والشمع ، وفي الأعوام الاخيرة أضيف خبز النحل الى المنتجات الواردة من النحل لانه غذاء ممتاز يحتوى على الزلاليات والفيتامينات . وفوائد كل من هذه المنتجات اقتصادية وهامة وجليلة الاثر في حياة الناس وغذائهم وصحتهم حتى في سمه (سم النحل) الترياق والعلاج لكثير من الامراض والعلل . وفي هذا المقال سوف نتناول عسل النحل واستعمالاته في علاج كثير من الامراض ، والجدير بالذكر ان اكتشاف الانسان ما للعسل من أهمية غذائية وعلاجية كان منذ أقدم العصور . فالاهرامات والمسلات وهى من بقايا قدماء المصريين تحمل رموزا هيروغليفية تصف استعمالات العسل كغذاء ودواء . وفي بردية أدوين سميت الطبية أيضا توجد حقائق تثير الاهتمام عن الجراحة وعلاج الجروح وفيها يأخذ العسل دورا بارزا كعنصر علاجى وفي الاساطير الهندية القديمة نسب الناس الى العسل كثيرا من المزايا الشفائية والعلاجية وكان العسل يعتبر اهم ترياق ضد السموم المعدنية او النباتية او الحيوانية . وفي اليونان القديمة كان العسل يعتبر اغلى منح الطبيعة ولقد نسبوا لآلهتهم الخلود لانها في نظرهم أكلت طعاما يحتوى على العسل . وقبل هذا القرن بتسعة قرون كان هوميروس يتغنى بمدائح العسل وبخصائصه الممتازة في ملحمته الالياذة والأوديسة وفي الالياذة يصف بالتفصيل كيف جهزت أجاميدا شرابا منعشا من العسل لمحاربى الاغريق . وكل علماء الحضارات القديمة لاحظوا الخواص العجيبة التى للعسل كغذاء ودواء .

وكان ابن سينا العالم الكبير ينصح باستعمال العسل للحيوية وحفظ القدرة على العمل في سن متأخرة . ثم جاء الاسلام على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى وانزل عليه القرآن الكريم ليؤكد مرة أخرى ان العسل فيه شفاء للناس ، وتحدث

الرسول عن العسل واهميته الطبية والعلاجية لشفاء الامراض .

فعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال : **سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان كان في شئ من ادويتكم . او يكون في شئ من ادويتكم خير ففى شرطة محجم او شربة عسل او لذعة بنار توافق الداء . وما احب ان اكتوى » رواه البخارى ومسلم . واللفظ للبخارى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم او شربة عسل او كية بنار وأنهى أمتى عن الكى » رواه البخارى . وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال انى سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ » رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم وهناك روايات عديده لهذه الحادثة وردت بألفاظ مختلفة كذلك روى عن ابى سعيد : « ان ملاعب الاسنة بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله الدواء من وجع بطن ابن اخ له فبعث اليه النبى صلى الله عليه وسلم علة عسل فسقاه فبرأ »** رواه البغوى باسناد صحيح عن قتادة عن ابى المتوكل عن ابى سعيد . كما في الاصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى في ترجمة عامر بن مالك (ملاعب الاسنة)، وغير ذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التى تتناول العسل كعلاج لكثير من الامراض والتى لم انكرها لوصف علماء مصطلح الحديث لها بالضعف او لعدم ورودها في كتب الحديث الصحيحة كالبخارى ومسلم وغيرهما . ويجب الاشارة الى ان ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لفوائد العسل العلاجية يؤكد معجزة الرسول حيث انه نبى امى لم يقرأ ما كتبه علماء الحضارات القديمة عن استعمالات العسل في علاج الامراض واهميته الحيوية في التغذية ، كما يؤكد أيضا السبق العلمى لكل الأبحاث والاكتشافات والنشرات الطبية الحديثة المتعلقة بنجاح استعمال العسل في علاج الأمراض الخطيرة والعلل المستعصية ومن المعروف ان العسل يحتوى على (الجلوكوز) سكر العنب وهو سكر أحادى لذلك نجد أن عسل النحل لا يحتاج الى عملية هضم لانه يمتص مباشرة في الدم ويتم الاستفادة منه بسرعة فائقة والجلوكوز من أهم مركبات عسل النحل ويستعمل في الطب الحديث لعلاج امراض الدورة الدموية وزيادة التوتر والنزيف : (خصوصا المعدى) وقرح المعدة وأمراض الامعاء في الاطفال والامراض المعدية المختلفة مثل التيفوس والدوسنتاريا والملاريا والتهاب الحلق والحمى القرمزية والحصبة والتسمم ، والجلوكوز علاج ناجح جدا لحالات التسمم المختلفة بالاضافة الى أنه يعتبر مصدرا من مصادر الطاقة في جسم

الانسان ولابد منه لعمليات بناء الانسجة والتمثيل الغذائى . وأهم الامراض التى يستعمل العسل في علاجها هى :

١) **علاج الجروح المتقيحة :** منذ ٢٥٠٠ عام استعمل ابو قراط العسل بنجاح في علاج الجروح ، كما أوصى الحكيم العربى ابن سينا باستعمال لبخة من العسل المخلوط بالدقيق في علاج الجروح السطحية ، وحديثا يستعمل الأطباء الروس مزيجا من العسل وزيت كبد الحوت في علاج القروح المتقيحة ، وفي خلال الحرب العالمية الثانية استعمل العسل في علاج الجروح الناتجة عن الاصابة بالرصاص وكانت النتيجة مذهلة من حيث سرعة التئام الجروح وشفائها . كما استعمل بعض الاطباء لعلاج الجروح المستعصية الشفاء التى فشل في علاجها بالاشعة وسائر المضادات الحيوية مرهما مكونا من ٨٠ جم عسل نحل + ٢٠ جم زيت كبد الحوت + ٣ جم زيروفورم ، وتوجد كثير من الامثلة والحالات والتقارير الطبية التى تشيد بنجاح استعمال العسل في علاج الجروح السطحية والالتهابات خاصة الخراريج الموجودة بالفم .

٢) **علاج الزكام :** العسل علاج عالمى ناجح للزكام اذا كان ممزوجا بأغذية وعقاقير أخرى ، وكثير من الاطباء ينصحون باستعمال العسل مع اللبن الدافئ او العسل الممزوج بعصير الليمون (نصف ليمونة أو ليمونة كاملة في ١٠٠ جم عسل) كما ان الدكتور (سفيكيول) نجده يعتبر المزيج المكون من العسل وعصير الفجل البرى أو الفجل الحار علاجا ناجحا للزكام . كما ان العسل ممزوجا بعقاقير أخرى كثيرة يوصف كعلاج حديث للزكام . كما يستعمل العسل في علاج أمراض الجهاز التنفسى ويستعمل في هذه الحالة استنشاقا وتوجد عدة تقارير طبية تؤكد النجاح الكبير الذى حدث باستعمال العسل .

٣) **علاج السل :** أوصى العالم ابن سينا بتناول مزيج من العسل وأوراق زهرة الورد لعلاج الأطوار الأولى للسل وقد تأكد اطباء العصر الحديث من ان العسل له اثره في زيادة مقاومة الجسم لمرض السل ومازالت التجارب مستمرة لبيان مدى تأثير العسل على ميكروبات هذا المرض الخطير .

٤) **استعمال العسل في علاج أمراض القلب :** لعدة قرون خلت استعمل العسل علاجا لأمراض القلب المختلفة وكان ابن سينا ينصح بأخذ العسل مع الرمان يوميا لمرضى القلب ويستعمل الطب الشعبى في كثير من البلاد العسل لضعف القلب والذبحة الصدرية وغيرها من الامراض ونظرا لأن الجلوكوز أهم مكونات العسل كما أنه مصدر للطاقة في الانسان فان تأثير العسل على عضلات القلب مفيد وناجح وتشير كل التقارير الطبية الحديثة الى وجوب ادخال العسل في الغذاء اليومي لمرضى القلب .

٥) **العسل وأمراض المعدة والأمعاء والكبد :** للعسل تأثير كبير في تقليل الحموضة كما دلت على ذلك الابحاث العلمية الحديثة ويقرر العلماء الامريكيون والروس ان العسل علاج قوى لقرح المعدة والاثنى عشر كما أنه علاج لنقص الحموضة في العصارة

المعدية" ويستعمل على نطاق واسع في علاج امراض الكبد حيث يزيد مخزون الكبد من السكر الحيواني وتقوم الكبد بعمل المرشح فتكون ترياقا لسم البكتريا ويزيد سكر الجلوكوز من أثرها في هذه الناحية وهذا هو السبب في استعمال الجلوكوز على نطاق واسع في الطب حقنا في الوريد وتشير معظم التقارير الطبية الحديثة على ان الانتظام في تناول العسل يوميا يسبب شفاء للمرضى المصابين بالتهاب الكبد والحويصلة المرارية .

٦) **علاج الأمراض العصبية** : تناول جرعات قليلة من العسل لها تأثير في علاج حالات الارق وكان ابن سينا يرى ان تناول جرعات كبيرة من العسل تسبب تهيج الجهاز العصبى وقد اتضح حديثا ان عسل النحل المذاب في الماء الدافئ علاج ناجح للامراض العصبية وتشير تجارب على ان استعمال العسل اعطى نتائج مرضية واختفى الصداع والارق .

٧) **تحسين حال مرضى السكر** : لوحظ في تجارب كثيرة ان عددا من مرضى السكر استفادوا من تعاطى العسل حيث تنخفض نسبة السكر في الدم فتصبح متقاربةً لنسبتها الطبيعية ويرجع ذلك الى ان العسل يجعل تمثيل السكر أكثر سهولة في الجسم فلا يظهر بنسبة مرتفعة في الدم وذلك لاحتواء العسل على نسبة مرتفعة من البوتاسيوم ويجب ان يقوم مرضى السكر بتحليل دمائهم قبل تناول العسل وبعده لتحديد الكمية التى يسمح بتناولها وذلك تحت اشراف طبيب . لأن استعماله في هذه الحالة سلاح ذو حدين .

٨) **استعمال العسل في علاج أمراض العيون** : أثبت الطب الحديث فاعلية العسل العظيمة في علاج التهاب الجفون والملتحمية والقرنية وقد استعمل احد الاطباء مرهما يحتوى على عسل النحل مضافا اليه ٣٪ سلفيدين في علاج قرح القرنية البطيئة الالتئام وكانت النتائج مذهلة وتشير التقارير الطبية انه في حالات كثيرة عولجت التهابات القرنية وتقرحها بالعسل منفردا وغير مخلوط بشئ وأعطت نتائج ممتازة .

٩) **علاج الأمراض الجلدية ودمامل الوجه والخراريج** : حتى الآن يستعمل الصينيون لبخة مكونة من أوراق الشيح والثوم المطحونة مع قليل من الملح والخل والعسل في علاج الدمامل المؤلمة وحديثا يستعمل العسل عالميا في امريكا وروسيا والمانيا في علاج الدمامل خاصة التى لم يفلح في علاجها المضادات الحيوية والأشعة ـ كما تجرى الآن تجارب في بعض مستشفيات انجلترا لعلاج المصابين بادمان الخمور والتسمم الكحولى وتشير النتائج الى أن العسل له تأثير منشط للقلب كما ان مكونات العسل من مجموعة فيتامين ب تؤكسد وتهدم بقايا الكحول الموجودة في دم المريض .

على ان العسل لا يعتبر علاجا لكثير من الامراض فحسب بل يستعمل في مراهم تطرية لبشرة الوجه وازالة التجاعيد منها كما ان قلوية العسل تعطى فائدة علاجية للاضطرابات الفسيولوجية في الجسم لذلك فان للعسل اثرا عظيما في ايجاد توازن قلوي في الجسم وتخليصه من الأحماض التى تقلل حيويته وتصيبه بالفتور والملل . على أن الأمثلة السابقة بشأن نجاح العسل

في التداوى ليست شاملة لكل الامراض التى يكون استعمال العسل سببا في شفائها باذن الله تعالى . على ان ذلك مرهون بعدم وجود حساسية لدى الشخص المعالج بالعسل حيث ان هناك اشخاصا توجد لديهم حساسية عند تناول العسل مثل ارتفاع درجة الحرارة او القئ او الارهاق وقد اجريت الابحاث التى اكدت وجود حساسية للعسل لدى بعض الاشخاص كما اختلفت آراء العلماء في أسباب هذه الحساسية وان اتفقوا جميعا على وجوب منع تعاطى مثل هؤلاء الاشخاص للعسل في علاج الامراض التى تصيبهم ولعل في اكتشاف هذه الحساسية ما يلقى الضوء على الحديث السابق : « **صدق الله وكذب بطن أخيك** » على انه يجب في النهاية التأمل في ختام آيتى النحل بتلك الجملة « **إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** » على أنهما مسوقتان لتنبيه العقل ودعوته الى التفكير والتأمل في حياة النحل العجيبة ليشهد كل متأمل الآيات البينات على وجود الخالق المريد القدير . ففى الآية دعوة للتأمل في حياة النحل في مساكنها وبيوتها وعملها الجماعى وفي غذائها وجمعها للرحيق ، وفي عودتها الى خليتها واهتدائها اليها مهما طال طريق طيرانها وتعرج ومهما طمست الريح في هبوبها على الاعشاب والاشجار كل دليل يرى . وفي صنعها للعسل ذلك الغذاء الشهى والشراب اللذيذ والعلاج المفيد . على أنه من المقرر ان الآية قالت : « **يخرج من بطونها شراب** » لتشمل كل المنتجات السابقة من عسل وشمع وغذاء ملكى وخلافه وإن التفكير في كل ذلك ليشد الانتباه إلى أن المزايا الخلقية والغرائز المودعة في ذلك الحيوان الصغير الضعيف لعظيمة جدا . ولكنها تستدعى الاسئلة التالية . كيف تميز النحل عن باقى الحشرات بهذا التكوين الذى تحورت فيه كل أجزاء جسمها لأداء وظائف اخرى حتى تناسب صناعة العسل ؟؟ وكيف تقوم هذه الحشرة الاجتماعية بتلك الاعمال المنظمة الدقيقة ؟؟ كيف اصبحت هذه الحشرة مصنعا دقيقا لما لو اردنا اقامته وتقليده لاحتجنا الى مصنع كبير ؟؟

كيف تعددت وتطورت مع عمر الشغالات الوظائف والأعمال المنوطة بها . وكيف مهرت فيها ؟؟ وكيف اكتشفت يرقات الملكات ان للغذاء تأثيرا على حياة الفرد من الخلية حيث تغذى بغذاء غير التى تتغذى عليه يرقات الشغالات والذكور ؟؟ والأسئلة كثيرة جدا في هذا المقام وحياة النحل واحدة من عجائب الطبيعة الدالة على وجود الخالق المريد . قال : كريسبى موريسون في كتابه : (العلم يدعو للايمان): ان استعراض عجائب الطبيعة ليدل دلالة قاطعة على ان هناك تصميما وقصدا في كل شئ . وان ثمة برنامجا ينفذ بحذافيره طبقا لمشيئة الخالق ، وما دامت عقولنا محدودة فاننا لا نقدر ان ندرك ما هو غير محدود وعلى ذلك لا نقدر الا ان نؤمن بوجود الخالق المدبر). ا.هـ . والكتاب فيه ذكر لعجائب الكون وعالم الحيوان مما ينفى الصدفة في تنوع المخلوقات وتميز الخصائص ووجود التنظيمات المحكمة ويشير الى وجود الخالق سبحانه عز وجل .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

الوضوء ولمس المرأة

السؤال ــ هل ينتقض الوضوء بلمس المرأة ؟

صالح علي المطيري ــ الكويت

الجواب ــ قال الله تعالى « **أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا** » وفي قراءة « أو لمستم » فسر جماعة الملامسة باللمس بدليل القراءة الثانية ، والمراد باللمس التقاء جلد الرجل بجلد المرأة فيما دون الجماع . وبذلك قالوا : إن لمس الرجل للمرأة الاجنبية بغير حائل ينقض الوضوء ، سواء في ذلك أن يكون اللمس باختيار أو بغيره بلذة أو بغيرها ، والى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر والزهري ، واختاره الشافعي وأصحابه ، ويؤيد هذا الرأي تصريح ابن عمر بأن من قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء ، رواه عنه مالك والشافعي ورواه البيهقي عن ابن مسعود بلفظ : القبلة من اللمس وفيها الوضوء ، واللمس ما دون الجماع . واستدل الحاكم على أن المراد باللمس ما دون الجماع بحديث عائشة : ما كان اوقل يوم الا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا فيقبل ويلمس ، الحديث ، وبحديث عمر القبلة من اللمس فتوضأوا منها . كما استدل القائلون بنقض الوضوء باللمس بحديث الترمذي والحاكم والبيهقي واحمد والدارقطني عن معاذ بن جبل ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما تقول في رجل لقى امرأة يعرفها فليس يأتي الرجل من امرأته شيئا الا قد أتاه منها غير أنه لم يجامعها ، قال فأنزل الله هذه الأية : « **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات** » فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « توضأ ثم صل » .

وفسر جماعة الملامسة في الاية بالجماع ، وعلى هذا لا ينتقض الوضوء باللمس العادي حتى لو كان عمدا وبشهوة أي بلذة ، وإلى هذا ذهب علي وابن عباس وعطاء وطاووس ، واختاره ابو حنيفة وأبو يوسف حيث قالا : إلا إذا تباشر الفرجان وأنتشر وإن لم ينزل منه مذى . والذي حملهم على تفسير الملامسة بالجماع وصرفها عن معناها اللغوي وهو الجس إلى المعنى المجازى ، أنه روى عن عائشة

رضي الله عنها انها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل بعض أزواجه ثم يصلي ولا يتوضأ ، رواه أبو داود والنسائي وغيرهما . وكان إذا أراد أن يوتر وهي معترضة بين يديه مسها برجله ، رواه النسائي وهو صحيح . وأنها وضعت يدها على باطن قدميه وهو يصلي ، رواه مسلم والترمذي وغيرهما .

وأجاب الأولون على هؤلاء بأن صرف الملامسة عن معناها الحقيقي وهو اللمس والجس لا داعي له وما تعللوا به مردود بأن حديث عائشة في التقبيل مرسل وضعفه البخارى . وقال ابن حزم لا يصح في الباب شيء وإن صح فهو محمول على ما كان عليه الأمر قبل نزول الوضوء من اللمس . وقال الحافظ ابن حجر روي من عشرة أوجه أوردها البيهقي في الخلافيات وضعفها .

كما ردوا عليهم بأن مس النبي صلى الله عليه وسلم لرجل عائشة وإن كان صحيحا لكن يحتمل أنه كان بحائل ، وكذلك مسها لباطن قدمي النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل أيضا أنه كان بحائل ،

ثم إن القائلين بعدم نقض الوضوء بمجرد المس ردوا على الأولين بأن قول ابن عمر وابن مسعود في أن المس ينقض هو قول صحابي ولا حجة فيه ، وبأنه معارض بقول صحابي آخر وهو ابن عباس في أن المراد باللمس في الآية هو الجماع ، كما ردوا عليهم بأن حديث الرجل مع النبي صلى الله عليه وسلم في إتيانه من المرأة ما دون الجماع حديث ضعيف .

نرى من هذا العرض أن كلا من أدلةالفريقين مناقشة وبخاصة في الأحاديث والآثار ، فليس لقول ترجيح على قول اخر ، وإن كان قول الأولين وهو النقض بمجرد المس معتمدا على حمل اللفظ وهو اللمس على معناه الحقيقي لأن هناك روايات تبين المراد منه . ففي قصة ماعز « لعلك قبلت أو لمست » فاللمس هنا ليس الجماع ، وهي قصة صحيحة وفي مرور النبي على أزواجه في أكثر الأيام يقبل ويلمس دليل على أن اللمس دون الجماع ، وكذلك حديث البيهقي « اليد زناها اللمس » ، فهذه ترجح أن اللمس في الآية هو ما دون الجماع .

ولذلك رأى قوم التوسط في الحكم للجمع بين هذه الأحاديث وقالوا : لا ينقض المس إلا لشهوة ، وعليه مالك واحمد رضي الله عنهما .

فهناك في حكم المسألة ثلاثة اتجاهات فقهية .

الاتجاه الأول النقض باللمس مطلقا ولو بغير قصد ولا لذة وهو مذهب الشافعية ، وجاء في تفصيلاتهم أنه يشترط أن يكون بدون حائل ، وأن تكون المرأة الملموسة أجنبية أي ليست محرما محرمة عليه تأبيدا ، ومنها زوجته وأخت زوجته وعمتها وخالتها ، كما يشترط أن تكون المرأة بلغت حد الشهوة عند أرباب الطباع السليمة ، واستثنوا من بدن المرأة شعرها وسنها وظفرها ، فلا ينتقض الوضوء بلمس ذلك حتى لو كان بشهوة ، ويستوي في النقض كون المرأة حية أو ميتة .

والاتجاه الثاني عدم النقض باللمس مطلقا حتى لو كان بلذة ، وهو مذهب

الاحناف ، واستثنوا من نلك المباشرة الفاحشة ، وهي تلاصق الفرجين من شخصين مشتهيين بلا حائل ، فانها تنقض الوضوء حتى لو كان التلاصق بين امرأتين ، فاذا كان بين رجل وامرأة انتقض وضوؤها مطلقا وانتقض وضوؤه عند الانتصاب فقط ، وإن كان بين رجلين لا ينتقض الوضوء الى إذا كان اللامس منتصبا .

والاتجاه الثالث ربط النقض بالشهوة ، وهو مذهب المالكية والحنابلة ... قال المالكية في تفصيل مذهبهم : ينتقض الوضوء إذا كان اللامس بالغا وقصد اللذة أو وجدها بدون قصد ، بشرط عدم الحائل بين البشرتين أو وجود حائل خفيف ، أما إن كان الحائل كثيفا فلا ينتقض الوضوء إلا إذا كان اللمس بالقبض على عضو منه وقصد اللذة أو وجدها . واشترطوا أن يكون الملموس ممن يشتهي عادة ، فلا نقض بلمس الصغيرة والعجوز التي انقطع أرب الرجال منها ، وأن يكون الملموس امرأة غير محرم ، وغير شاب أمرد ، وقالوا : لو تلذذ بلمس المحرم وكان قاصدا باللمس اللذة انتقض وضوؤه ، كما قالوا بالنقض بالقبلة . على الفم مطلقا ولو لم يقصد اللذة أو يجدها أو كانت باكراه ، ما لم تكن لوداع أو رحمة .

وهذا كله بالنسبة للامس ، أما الملموس فان كان بالغا ووجد اللذة انتقض وضوؤه ، فان قصد اللذة فانه يصير لامسا يجري عليه حكمه السابق .

وقال الحنابلة في تفصيل مذهبهم : ينتقض الوضوء بلمس المرأة بشهوة بلا حائل ولا فرق بين كونها أجنبية أو محرما ، او حية أو ميتة أو شابة أو عجوزا أو صغيرة تشتهي عادة ، ومثل الرجل في نلك مثل المرأة ، بحيث لو لمست رجلا انتقض وضوؤها بالشروط المذكورة ، واستثنوا ـ كالشافعية ـ السن والظفر والشعر .

وهذا في اللامس ، أما الملموس فلا ينتقض وضوؤه ولو وجد شهوة ، ولا ينقض لمس الرجل الرجل ولو كان أمرد جميلا ، ولا لمس امرأة لامرأة . « انظر نيل الاوطار للشوكاني والفقه على المذاهب الأربعة » .

القبلة في رمضان

السؤال ـ تبادلت القبلات واللمس مع امرأة أجنبية ، وحصل ما حصل ، ولكن بدون أن نشارك الفراش أو أتناول أي طعام ، وكان ذلك في يومين فما الحكم ؟

عبد الله بن الاسلام ـ مراكش ـ المغرب

الجواب ـ إذا حدث من هذه المداعبة نزول منى بطل الصيام ولا بد من قضاء

هذين اليومين ، ومع القضاء لا بد من كفارة عظمى عند الأحناف والمالكية ، لأن الافطار كان بتعمد وبدون عذر .
والكفارة الآن صيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا وجعلها بعضهم على التخيير لا على الترتيب . فالذي يستطيعه يفعله يعني إما أن يطعم وإما أن يصوم وتكفي كفارة واحدة عن اليومين عند الاحناف وأحمد في رواية عنه ، أما المالكية والشافعية وفي الرواية الأخرى عن أحمد لا بد من كفارتين .
ومع كل ذلك لا بد من التوبة النصوح القائمة على الندم والعزم الأكيد على عدم العودة الى المعصية ، والله أعلم .

إجابات قصيرة

○ **السيد/محمد صلاح احمد ـ المطرية القاهرة :** غناء المرأة وقراءتها القرآن في عدد ذى الحجة ١٣٩٨ .

○ **السيد/ سعيد مرعى ـ المنزلة دقهلية مصر :** سبق حكم ذهاب المرأة الى الكوافير وهو حرام إن كان الرجل هو الذي يتولى تزيين المرأة ، وعلى زوجها منعها من ذلك ، وتأديبها بما شرع الله للناشز ـ واحتكار التجار للسلعة مع شدة الحاجة إليها حرام .

○ **السيد/ س . ب . د من السعودية :** البيضة من أدوات الحرب غطاء من المعدن يوضع على الرأس ، والمال المودع في المصارف يجب على صاحبه أن يزكيه ، أو يوكل المصرف في إخراج زكاته ، ولو دخل المسجد يسن له أن يصلى تحية له ، والتحية تحصل بأي صلاة ، إما بركعتين مستقلتين ، أو بركعتين سنة الظهر القبلية مثلا ، أو بصلاة الظهر نفسها ، والنية محلها القلب ، واللسان مساعد فقط ، ولو غلط فالعبرة بما في القلب .

○ **السيد/الطالب بمدرسة الثانوية للبنين ـ الزرقاء الأردن :** حكم الغناء سبق نشره في عدد ذى الحجة ١٣٩٨ .

○ **السيد/عبدالسميع عبدالحميد ـ مَعهد السكرتارية والادارة ـ القاهرة :** الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض ليست هى أيام الدنيا فلم يكن هناك شمس ولا ليل ولا نهار ، وإنما هى من أيام الله ، ولا داعى للخلاف فيها فهى ليست من العقائد .

مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط آمالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

من عجائب صنع الله

تحت هذا العنوان أرسل الأخ عبد الرحمن غريب هيكل ـ مصر رسالة يقول فيها :

اقترح انشاء باب جديد تحت اسم « من عجائب صنع الله » ويكون هذا الباب علميا ثقافيا دينيا في وقت واحد .

تتناول فيه المجلة مع عدد كل شهر أحدث ما توصل اليه العلم من حقائق ، واكتشافات عن أسرار صنع الله في البر والبحر والسماء .

تنفرد به المجلة على أن يكون كل موضوع من هذه الموضوعات على حدة ، فآيات الله في البر تتضمن أحدث ما توصل إليه العلماء من أسرار الاكتشافات في عالم النبات والحيوان ، والحشرات ، والمعادن ، والزلازل ، والبراكين .

وآيات الله في البحر تتضمن أحدث ما توصل إليه العلماء من اكتشافات في عالم الأسماك ، والحيوانات المائية الأخرى المنتجة للؤلؤ ، والمرجان ، والعنبر وغيرها ، والقواقع المائية المختلفة ، وفوائدها للبشرية ، والأعشاب البحرية ، والشعب المرجانية الموجودة في عالم البحار ، والمحيطات .

وآيات الله في السماء ، تتضمن أحدث ما توصل إليه العلماء من اكتشافات في عالم الفضاء ، والكواكب ، وعالم الطيور ، مع ذكر الآيات القرآنية الكريمة التي وردت حول هذه الموضوعات مثل قول الله سبحانه : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**) .

ويسعدنا أن نؤكد أن هذه الاقتراحات جيدة ، ومثمرة ، وهادفة ، وقد ظلت المجلة فترة طويلة تقدم الموضوعات للسادة القراء بأقلام المتخصصين من العلماء

في كل لون من ألوان الثقافة والعلوم .
ولا شك أنها موضوعات حازت رضا عدد ليس بالقليل من القراء ، مما حدا بهم أن يطلبوا المزيد منها ، وذلك على سبيل المثال ما كان يقدمه الدكتور الفاضل جمال الدين الفندي تحت عنوان (القرآن وعلم الفلك) في أعداد كثيرة سابقة من المجلة وغيرها الكثير من الموضوعات العلمية التي تشغل بال الناس .
ومن هذا القبيل نشرت المجلة سلسلة تحت عنوان (سبحان الذي خلق الأزواج كلها) للدكتور عبد المحسن صالح ، وهي موضوعات علمية نشرتها المجلة في أعدادها الأخيرة .

تقدير وتهنئة

ونرسل للأخت فاطمة عبدالجليل علي عماشه ـ مدرسة الناصر الابتدائية المشتركة ببورسعيد ـ مصر تهانينا على فوزها في مسابقة براعم الايمان (وقد أرسلت المكافأة منذ فترة طويلة) ولا شك أنها تقدير لمجهودك ، وحسن تتبعك ، وقراءتك باهتمام لما يكتب عن القضايا والثقافة والتاريخ الاسلامي .

وردا على الأخ أحمد مصطفى محمد رضوان في موضوع المكافأة ، نؤكد له أننا حريصون على تقديرنا له ، واهتمامنا به ، فالمكافأة قد أرسلت اليك منذ فترة طويلة ، وقد يكون سبب التأخير راجع الى خطأ في العنوان فراجع البنك عندكم .
والمكافأة عبارة عن أسلوب من التقدير ، ونوع من الاهتمام بأجيالنا ، وربطهم بعجلة الثقافة الاسلامية لأنها السبيل الذي لا سبيل غيره ، لتقويم الخلق ، وانشاء جيل مؤمن بقيمة الثقافة الاسلامية ومدى تأثيره على سلوكه ، وليس هناك خير من مداومة قراءة كل ما يمت للثقافة الاسلامية بصلة ، وفي مقدمة ما يقرأ المسلم ليصله بدينه القرآن الكريم ، ففيه جماع الخير .
روى البخاري ومسلم عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكتت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق ان تصيبه فلما اجتره رفع رأسه الى السماء حتى يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال « اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير » قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي فانصرفت اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال : « وتدري ما ذاك » قال لا قال : « تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم ».
هذا مثل حى على ما يحققه الانسان من الفضل باقترابه من القرآن ، وأنت تعلم أن الثقافة الاسلامية تستمد بقاءها ، وقوتها من القرآن ، والسنة فاقترب منها تنل ما تريد من الخير في الدنيا والرضوان في الآخرة .

بأقلام القراء

جاءنا من الاستاذ محمود الكولي محرر الشئون الاسلامية بجريدة الاهرام تحت عنوان (الحياة التشريعية قبل الاسلام) نقتطف منها ما يلي :

سلطة التشريع والتنفيذ : كان زعيم القبيلة هو الذي يضع لها الأحكام والقوانين التي يسيرون عليها . وكانت الأحكام تنفذ بالغلبة والقوة لمن يقدرون عليهم .

قوانينهم وخضوعهم لها : ولم يكن للعرب قبل الاسلام قانون موحد يخضع له الجميع . لأنهم قبائل متفرقة وعصبيات متنافرة يرون الخضوع لقوانين الآخرين مذلة وهم أبدا في حروب طاحنة لأتفه الأسباب .

وقد أخذوا بعض قوانينهم من شريعة أبيهم ابراهيم ومن الشرائع السابقة .

وأخذوا عن بعض حكماء العرب كـ (قس بن ساعدة) و (ورقة بن نوفل) و (أمية بن أبي الصلت) و (عدى بن زيد). فلهم نكاح وطلاق وظهار يتزوجون اكثر من أربعة ، وعرفت عندهم القسامة والديات .

التشريع في عصر النبوة والصحابة :

اعتمد التشريع في (عصر النبوة) على أصلين كريمين : (الكتاب والسنة)، الوحي بقسميه متلو وغير متلو (الكتاب والسنة). وأما الأصل الثالث وهو الاجتهاد في عصره منه صلوات الله عليه ومن الصحابة باذن منه صلى الله عليه وسلم فمرده الى السنة قولا وفعلا او إقرارا او إنكارا ، وقد كان ذلك لتمرين الصحابة خاصة والمسلمين عامة على الاجتهاد في كل عصر الى يوم الدين وان للمخطىء أجرا وللمصيب أجرين .

وأما في (عصر الصحابة) فمصادره : كتاب وسنة واجتهاد واجماع .

وقد كانوا في عصر الخلفاء يعرضون الأمر على (الكتاب) فان وجدوا نصا فيه ـ والا رجعوا الى السنة يعرضون الأمر على المسلمين لعل احدا علم شيئا في المسألة عن النبي صلى الله عليه وسلم . والا جمعوا (أهل الرأي والفتوى) فتصدر الفتوى عنهم مجتمعين فيكون اجماعا ان اتفقوا على الحكم ولم يعلم له مخالف والا فيكون مصدر الحكم الاجتهاد .

المصدر الأول : القرآن الكريم :

أما تعريفه فهو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان

عربي مبين ، المنقول الينا بالتواتر ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المنتهي بسورة الناس ، المتحدي بأقصر سورة منه والمتعبد بتلاوته .

وقد تكفل الله تعالى بحفظه الى يوم الدين : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).**

وهو المرجع الأعلى للناس قاطبة في امور دينهم ودنياهم : **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** لا تنتهي عجائبه ولا يسأم قارئه وسامعه من كثرة ترداده ، بل في كل مرة ان اصغى اليه بقلبه تتفتح له آفاق جديدة من المعاني والمعرفة والاتصال بربه والاطمئنان **(ألا بذكر الله تطمئن القلوب).**

كيف كان ينزل : كان القرآن الكريم ينزل منجما : فتارة تنزل (سورة بأكملها) كما في (الفاتحة) (وعشر آيات) كالآيات التي نزلت في الافك .

وكان ينزل ــ غالبا ــ جوابا عن سؤال أو استفتاء أو بيانا لحكم حادثة أو لوقائع ــ او أحكاما ولهذا كان لابد من الوقوف على اسباب نزوله ، وطريقة كتابته وحفظه .

مازالت الدوائر العلمية في العالم كله مهتمه بالتجربة الفذة التي قام بها العالمان البريطانيان « باتريك ستيبتو وروبرت ادواردر » بالجمع بين البويضة الانثوية والحيوان الذكري . مما نتج عنه طفلة جميلة تنعم الآن بالحياة .. وعن هذا الموضوع ورد من المهندس نبيل فتح الله المدرس المساعد بجامعة الأزهر تعليق قال فيه :

« اذا جاز لبعض الصحفيين الأجانب أن يتوهموا أن هناك حربا ضروسا بين الدين والعلم فانه لا يجوز بحال من الأحوال أن يندفع الصحفيون المسلمون في هذا المجال لأن الله عز وجل أمرنا بالبحث والتدبر ، والتعلم والتبصر ، والدراسة الجادة لاستكشاف الكون وما فيه من خبايا وأسرار .

ثم استطرد الكاتب فقال « ان ما نجح فيه العالمان هو أنهم جمعوا بويضة أنثويةوحيوانا ذكريا في أنبوبة لمدة أربعة أيام وهى المدة التي تسمح باندماجهما معا ، ثم اعادوا البويضة الملقحة بالحيوان الذكري المأخوذ من زوج المرأة الى رحمها ، وبعد تسعة أشهر تمت ولادة قيصرية لفتاة سموها « فتاة الانانبيب » فعملية الخلق متروكة لله وحده لأنه هو الذي خلق الحيوان الذكري والبويضة الانثوية . أما العالمان فقد انحصر دورهما في عملية الجمع بين الاثنين مدة أربعة أيام بعدها نقلوا البويضة الى رحم الأم .

وهذا النجاح جاء بعد تجارب فاشلة لمدة سنوات وسنوات في كلّ من ايطاليا وأمريكا والمانيا وانجلترا . ولا يمكن تطبيقه على جميع حالات العقم ، وانما في حالة واحدة هى انسداد قناة فالوب التي توصل البويضة الى الرحم .

ليس بقرآن

ما حكم قول المصلين آمين بعد قراءة الفاتحة وهل يترتب على تركه شيء ؟
موسى الكاظم ـ العراق

حول هذه المسألة أقوال منها أنه يسن لقارىء القرآن الكريم أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتة بسيطة (آمين) ليميز بين ما هو قرآن مما ليس بقرآن .

يروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قال الامام (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، فقولوا : آمين ، فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه . فترتبت المغفرة للذنب على مقدمات أربع تضمنها هذا الحديث الأولى : تأمين الامام ، والثانية تأمين من خلفه ، والثالثة تأمين الملائكة ، والرابعة موافقة التأمين للاخلاص ورجاء الاجابة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ». وبتركه يكون قد ترك سنة ، ورد فيها نص صحيح ، ومن لا يرضى بأن يغفر الله له ذنبه وأن يوافق قوله قول الملائكة ؟

عودوا أبناءكم على الصلاة

ان الاسلام قد أمر الآباء بتعليم أولادهم الصلاة ، فلماذا لا يوجد في كل مسجد من يحاول جذب الأولاد الى المسجد ، وتشجيعهم على الصلاة ، وهل هناك سن لذلك ؟

رياض ومحمد بن مصطفى ـ تونس

لا شك أن الصلاة ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وهى عبادة مهمة ذات أثر فعال في نفوس المصلين ، فهى الصلة الوثقى للناس بربهم تطهرهم وتزكيهم ،

يقول الله سبحانه : **(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).**

والآيات والنصوص التي تحث على أداء الصلاة كثيرة كثرة توحي بأهميتها ولعظم شأنها في الاسلام فرضها الله سبحانه في السماء في ليلة الاسراء والمعراج .

وهي لازمة لا تسقط عن المسلم إلا إذا فقد الوعي ، وأصبح غير مميز ، ولا فرق في ذلك بين الرجل ، والمرأة ، والصبي الذي كلف بالصلاة .

وعلى الآباء واجب تعليم أبنائهم الصلاة في مقتبل عمرهم ، حتى يشبوا وقد تعودوا الالتزام بتعاليم الاسلام ، فلا شك أن الصلاة يلزمها فهم الاسلام بشكل مبسط ، يتناسب وعقلية الطفل حتى يستطيع الاستيعاب ، ويلزمها الطهارة للثوب والبدن والمكان ، وتلك أخلاق وعادات تخلق في الأولاد مثلا جيدة ، وما أجمل أن ينشأ الولد ، وقد عرف تعاليم دينه فان ذلك سيكون عاصما له من السقوط والضياع الذي يصيب الشباب في هذا الجيل ، لأن الفراغ وضغوط أسباب اللهو كثيرة يصعب الوقوف أمامها دون تسلح بالايمان ، والعمل ، والفهم ، والادراك الاسلامي ، الذي يكون صمام الأمان في كل الأوقات .

والصلاة تبدأ « عادة » من سن السابعة ، و (تعويدا) على الالتزام بها من سن العاشرة و (تكليفا) من الله سبحانه وتعالى بعد ذلك عند الاحتلام أو ظهور علاماته .

وعلى هذا يكون سن التكليف بالعبادات مرتبطا بالاحتلام .

فان تأخر الاحتلام ولم تظهر له علامات فجمهور العلماء على ان سن التكليف عند بلوغ الصبي خمسة عشر عاما هلالية ويرى ابو حنيفة أن سن التكليف للذكر ثمانية عشر عاما وللأنثى سبعة عشر عاما هلالية أيضا . ولا يجوز أن يترك الطفل حتى يبلغ دون صلاة فمتى تعود ترك العبادة ، ونشأ بعيدا عن جوها التقطه شياطين الانس والجن ، وعبثوا بعقله ، وفكره لأن أصحاب الأهواء ، المترسمين خطى المدنية الحديثة ، المارقين من الدين يعتبرون ذلك صيدا سمينا ، وليس من المعقول ان نقدم أبناءنا فريسة سهلة ، وندفعهم الى الحياة دون حماية ، ونزج بهم في هذا العالم دون تحصين ، والله سبحانه يحكي شعور الآباء ، ويؤكد حرصهم الشديد على أبنائهم في قوله **(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وأجعلنا للمتقين إماما) ولا تقرر العين أبدا إلا إذا كان الأبناء يلتمسون الحماية من الاسلام ، والتمسك به ففي ظل الاسلام يجد الانسان ما يبتغيه من الأمان لنفسه ولأبنائه ، وخير مكان يعد الشباب اعدادا اسلاميا سليما ، المسجد لا شك في هذا .**

فرسالة المسجد لا تقتصر على أداء الصلوات فحسب ، ولكنه المكان المناسب الخصب الذي يقدم الزاد لكل راغب يريد التزود في نقاء وحكمة ، وهي معدة لذلك ، واقترب من جو المسجد ترى ذلك واضحا ، فلا يبخل القائمون عليه بالنصيحة ، والتوجيه السليم ، والتعليم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله .

مع صحافة العالم

موسوعة الفقه الاسلامي

عقد السيد يوسف جاسم الحجي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن مشروع موسوعة الفقه الاسلامي التي تقوم باعدادها الوزارة .
وقد تناول سيادته بالشرح طريقة عمل الموسوعة وأهدافها والاسباب التي دعت الى إعدادها . والابحاث التي تم إنجازها ثم أجاب بعد ذلك على أسئلة الصحفيين حول هذا الموضوع .

وموسوعة الفقه الاسلامي هي تجميع وصياغة للفقه الاسلامي بأسلوب عصري واضح معزز بالاستدلالات والتوجيهات مع سلوك طريقة العرض المجمع للمواقف في صورة اتجاهات تندرج تحتها الآراء ، أي ستكون الموسوعة بمثابة معجم للفقه الاسلامي وسيتم ترتيب محتوياتها وفقا للترتيب الهجائي الالف بائي .

فكرة اعداد الموسوعة

وترتبط فكرة اعداد الموسوعة الفقهية بأهداف اسلامية نبيلة وهامة فهي ستساهم بدور كبير في تيسير العودة الى التراث الاسلامي كما أنها ستوفر امكانية استنباط الحلول للحاجات المستجدة وفقا للشريعة الاسلامية ، وتوفير الوقت على المختصين والباحثين في أبحاثهم التشريعية والافادة من التراث الفقهي الاسلامي في الدراسات الدولية الحقوقية المقارنة حيث تعتبر هذه الموسوعة بمثابة المدخل

الحقيقي لتطبيق الشريعة الاسلامية ، ولا يخفى أن هذا الامر أصبح مطلبا لكثير من الهيئات الشعبية والدينية في العالم الاسلامي .
وقد نبتت فكرة انشاء الموسوعة الفقهية في دولة الكويت عام ١٩٦٧ م استجابة لأمل اسلامي قديم عبر عنه خلال العديد من المؤتمرات واللقاءات الاسلامية والفقهية وذلك لما يحققه هذا المشروع من ايضاح لمناهج الشريعة الاسلامية ، والعدل الاسلامي ، وهو منهج سبق كل المناهج التشريعية التي ظهرت في العصر الحالي .

موسوعات اسلامية أخرى

والحقيقة ان هناك محاولات لانشاء موسوعات فقهية في دول اسلامية مختلفة ، فهناك موسوعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بمصر وموسوعة جامعة دمشق وعدة محاولات متشابهة لتجميع التشريع الاسلامي التي تشرف عليها الهيئات الاسلامية . ولا شك أن اختلاف طرق البحث والعرض في كل هذه المشروعات سيساهم مساهمة جمة في اثراء الفقه الاسلامي واظهاره .

الاستعدادات الفنية للموسوعة

وقد استمرت الدورة الاولى لمشروع الموسوعة الفقهية خمس سنوات تم فيها وضع خطة عمل لها وتكوين معجم للفقه الحنبلي وانتهى الجهاز العلمي حينئذ من كتابة خمسين بحثا من حروف متفرقة كتجربة لأعمال الموسوعة ، الا أن نقص الكفاءات الفقهية أدت الى توقف مشروع الموسوعة عام ١٩٧١ م . وقد استغلت الاجهزة المشرفة على اعداد الموسوعة فترة التوقف هذه في دراسة أعمال الفترة السابقة ووضع خطة عمل نهائية ، كما حرصت على توفير الخبرات الفنية من مختلف أنحاء العالم الاسلامي نظرا لكون الموسوعة عملا اسلاميا بالدرجة الاولى فيجب أن يساهم فيه كل مسلم قادر على المساهمة في هذا العمل الاسلامي الضخم . كما قامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتزويد الموسوعة بمكتبة فقهية مزودة بالكتب اللازمة والمخطوطات وتم استحداث وسائل الحفظ الحديثة كالميكروفيلم والميكروفيش وذلك لتسهيل عمل الباحثين .
وقد بدأت المرحلة الحالية في أعمال مشروع الموسوعة عام ١٩٧٧ م لاستكمال حرفي الالف والباء بعد تذليل العقبات التي أدت توقفها لفترة .
والجدير بالذكر ان العمل يجري بالموسوعة الفقهية بتنسيق واتصال مستمر بكثير من الهيئات الاسلامية المتخصصة في هذا المجال ، وبالمعاهد الاكاديمية ،

وكليات الحقوق والشريعة كما يجري الاستعانة بالاساتذة غير المتفرغين وذلك للخروج بالعمل على أفضل وجه .

طريقة العمل في الموسوعة

وطريقة العمل في الموسوعة الفقهية تتميز بالدقة المتناهية فيقوم الباحثون بجمع المصطلحات الفقهية (رؤوس المواضيع التي سيجري بحثها) من المراجع الفقهية المختلفة ثم ترفع الى اللجنة العلمية للموسوعة التي تتولى تصنيفها واستبعاد غير الصالح منها ، ثم تحدد اللجنة مخططات لكل مصطلح ، وهي عناصر الموضوع ويرسل المصطلح بمخططه بعد ذلك الى أحد الخبراء سواء في الداخل أو في الخارج حيث يقوم بالكتابة حول المصطلح ويرسل بحثه الى اللجنة العلمية التي ترسله مرة أخرى الى أحد العلماء في الفقه لمراجعته وبعد التأكد من صلاحيته تقره اللجنة وتستغرق هذه العملية أشهرا كثيرة قد تقترب من العام وذلك حتى يخرج البحث دقيقا وصحيحا وجديرا بتصنيفه داخل الموسوعة ولتنقية التشريع الاسلامي من آراء غير العالمين والمستشرقين . وقد تم حتى الآن تحديد أربعة آلاف مصطلح سيجري العمل فيها تباعا .

متى تنجز الموسوعة ؟

ومن المنتظر أن تخرج الاجزاء الاولى من الموسوعة الى حيز الوجود في العام القادم ان شاء الله . حيث يرجى أن ينتهي العمل في الموسوعة كلها خلال عشر سنوات وهي فترة وجيزة بالنظر الى ضخامة وصعوبة العمل في هذا المشروع الفقهي الضخم .

ترجمة الموسوعة

ومن المقرر أن يتولى جهاز الموسوعة ترجمة الأجزاء التي يصدرها الى اللغات الرئيسية في العالم لتكون الفائدة جامعة .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجـلاء .

السودان : الخرطـوم ـ دار التوزيـع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيــا : طرابلس ـ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .

المغـرب : الدار البيضـاء ـ الشركـة الشريفة للتوزيـع .

تونـس : الشركـة التونسـيـة للتوزيـع .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعوديه :
جـدة : مكتبـة مكـة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ـ ص.ب : (٧٦)
الطائـف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جـدة
المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـيـاء .

مسـقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحريـن : دار الهلال .

قطـر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبـي : مكتبة دبـي .

الكويـت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رمضان	يوليو	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	٢٤	٨ ٤٧	١٠ ١٨	٥ ٩	٨ ٤٥	١ ٢٨	٣ ٣٣	٥ ٣	١١ ٥٤	٣ ٣٠	٦ ٤٥	٨ ١٣
الاربعاء	٢	٢٥	٤٨	١٩	١٠	٤٥	٢٨	٣٣	٤	٥٤	٣٠	٤٥	١٢
الخميس	٣	٢٦	٥٠	٢١	١١	٤٦	٢٨	٣٤	٥	٥٤	٣٠	٤٤	١٢
الجمعة	٤	٢٧	٥٢	٢٢	١١	٤٧	٢٧	٣٥	٥	٥٤	٣٠	٤٣	١١
السبت	٥	٢٨	٥٣	٢٣	١٢	٤٧	٢٧	٣٦	٦	٥٤	٣٠	٤٣	١٠
الاحد	٦	٢٩	٥٥	٢٤	١٢	٤٨	٢٦	٣٧	٦	٥٤	٣٠	٤٢	٩
الاثنين	٧	٣٠	٥٦	٢٥	١٣	٤٨	٢٦	٣٨	٧	٥٤	٣٠	٤٢	٨
الثلاثاء	٨	٣١	٥٧	٢٦	١٣	٤٩	٢٦	٣٨	٧	٥٤	٣٠	٤١	٧
الاربعاء	٩	أغسطس	٥٩	٢٨	١٤	٥٠	٢٦	٣٩	٨	٥٤	٣٠	٤٠	٦
الخميس	١٠	٢	٩ ١	٣٠	١٥	٥١	٢٦	٤٠	٩	٥٤	٣٠	٣٩	٥
الجمعة	١١	٣	٢	٣١	١٦	٥١	٢٥	٤١	٩	٥٤	٣٠	٣٩	٤
السبت	١٢	٤	٤	٣٢	١٦	٥٢	٢٥	٤٢	١٠	٥٤	٣٠	٣٨	٣
الاحد	١٣	٥	٦	٣٣	١٧	٥٣	٢٥	٤٣	١٠	٥٤	٣٠	٣٧	٢
الاثنين	١٤	٦	٧	٣٥	١٨	٥٤	٢٥	٤٣	١١	٥٤	٣٠	٣٦	١
الثلاثاء	١٥	٧	٩	٣٧	١٩	٥٤	٢٥	٤٤	١٢	٥٤	٢٩	٣٥	٠٠
الاربعاء	١٦	٨	١٠	٣٨	١٩	٥٥	٢٤	٤٥	١٢	٥٤	٢٩	٣٥	٥٩
الخميس	١٧	٩	١٢	٣٩	٢٠	٥٥	٢٤	٤٦	١٣	٥٤	٢٩	٣٤	٥٨
الجمعة	١٨	١٠	١٤	٤٠	٢٠	٥٦	٢٤	٤٧	١٣	٥٤	٢٩	٣٣	٥٧
السبت	١٩	١١	١٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٤	٤٨	١٤	٥٣	٢٩	٣٢	٥٦
الاحد	٢٠	١٢	١٧	٤٣	٢٢	٥٨	٢٤	٤٨	١٤	٥٣	٢٩	٣١	٥٥
الاثنين	٢١	١٣	١٩	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤	٤٩	١٥	٥٣	٢٨	٣٠	٥٤
الثلاثاء	٢٢	١٤	٢١	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤	٥٠	١٦	٥٣	٢٨	٢٩	٥٣
الاربعاء	٢٣	١٥	٢٣	٤٨	٢٤	٩ ٠٠	٢٣	٥١	١٦	٥٣	٢٨	٢٨	٥١
الخميس	٢٤	١٦	٢٥	٥٠	٢٥	١	٢٣	٥٢	١٧	٥٢	٢٨	٢٧	٥٠
الجمعة	٢٥	١٧	٢٦	٥١	٢٦	١	٢٣	٥٢	١٧	٥٢	٢٧	٢٦	٤٩
السبت	٢٦	١٨	٢٨	٥٣	٢٧	٢	٢٣	٥٣	١٨	٥٢	٢٧	٢٥	٤٨
الاحد	٢٧	١٩	٣٠	٥٤	٢٧	٣	٢٣	٥٤	١٨	٥٢	٢٧	٢٤	٤٧
الاثنين	٢٨	٢٠	٣٢	٥٦	٢٨	٤	٢٢	٥٥	١٩	٥١	٢٧	٢٣	٤٥
الثلاثاء	٢٩	٢١	٣٤	٥٧	٢٩	٤	٢٢	٥٦	١٩	٥١	٢٦	٢٢	٤٤
الاربعاء	٣٠	٢٢	٣٥	٥٩	٣٠	٥	٢٢	٥٦	٢٠	٥١	٢٦	٢١	٤٣

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

هدية العدد : براعم الايمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٨ ○ شوال ١٣٩٩ هـ ○ اغسطس ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

منظر فريد لمدينة مولاى ادريس بالمغرب وقد ظهر في وسطها المسجد الكبير بفنائه وصومعته ، والمدينة مقامة على صخرة فوق وادي نهر خومان بالقرب من فاس .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٨ ○ شوال ١٣٩٩ هـ ○ اغسطس ١٩٧٩ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

من هدى الاسلام في العيد

الأعياد في الاسلام ليست مجالات لهو آثم ، أو عبث يضيع به الوقت ، ويذهب معه الحياء ، ولكنها مواقف خالدة تستجمع فيها النفس قواها ، وتجدد عزمها ، ويجعل منها المؤمن نقطة انطلاق إلى الجد النافع ، والعمل المثمر .
واذا كانت أعياد الناس في دنياهم ، ترتبط بأمجاد شخصية ، أو ذكريات خاصة ، فان الأعياد في الاسلام ، ترتبط بقيم خالدة ، ومثل عليا ، تلقي الضوء على طريق الدعاة إلى الله ، وبناة الحياة ، والرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وحملوا أمانة الاصلاح ، فعيد الفطر ابتهاج باتمام فريضة الصوم ، وشكر لله على ما أفاء على عباده المؤمنين الصائمين من التوفيق لطاعته ، واستجابة أمره : (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكـرون) ، وعيـد الأضحى ، مشاركة للحجاج في فرحتهم الكبرى ، باتمام مناسك الحج ، وبالأمل الكبير ، في أن يكونوا من أهل الرضى والقبول ، ومن الذين يظفرون بالجزاء الطيب ، الوارد في قول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق عليه والذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) ، وفي حديث رواه مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من يوم أكثر من ان يعتق الله فيه عبدا من النار ، من يوم عرفة) .
وللاسلام منهجه في أيام العيد ، وللمؤمن خلقه وسلوكه في تلك الأيام المباركة ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كان يشارك أصحابه سرورهم بالعيد ، وحفاوتهم به ، وكـان يزور القريـب والبعيد ، ويمسح على رأس اليتيم ، ويتعهد جيرانه ، ويواسي الأرملة والمسكين ، ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق .
والاسلام يرغب في زيارة الناس وصلتهم في جميع الأوقات والحالات

لاسيما في أيام العيد التي يضاعف فيها الأجر ، ويثقل فيها ميزان المؤمن . بالكلمة الطيبة ، والبسمة التي يشرق بها الوجه .. والخطوة على طريق يوصلك إلى بيت أخ لك في الله ، تجبر خاطره ، وتجدد الصلة به ، فقد روى مسلم عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ـ أى بعث له ملكا في صورة إنسان ينتظره على الطريق وهو يمضي لزيارة أخيه ـ فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه ؟ ـ يعنى هل تقصد بزيارتك له منفعة عاجلة تطلبها منه ؟ ـ قال : لا غير أني أحببته في الله تعالى قال : فاني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) .

ومن هنا رغب الاسلام في استحباب الذهاب إلى صلاة العيد من طريق ، والرجوع الى بيته من طريق آخر ، ليمر على أكبر عدد من إخوانه المؤمنين ، ويصافح ويسلم على طائفة كبيرة من الناس ، في غدوه ورواحه ، يقول جابر رضي الله عنه فيما رواه البخاري : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق) أى ذهب من طريق ، ورجع من طريق آخر .

والاسلام دين التراحم والتكافل ، يدعو إلى ملاطفة اليتيم ، والبر به ، لا سيما يوم العيد ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا : وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما) وكافل اليتيم : القائم بأموره ، يرعاه ، ويعلمه ، ويحسن إليه .

كما يدعو الاسلام الى تحري مواضع الصدقة لتصل إلى أهلها المستحقين لها ، لا الذين يحترفون التسول وهم أغنياء ، ففي الحديث المتفق عليه يقول صلى الله عليه وسلم : (ليس المسكين الذي يطوف على الناس ، ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غني يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس) .

هذا ومجلة (الوعي الاسلامي) إذ تقدم لقرائها الكرام التهنئة خالصة بالعيد السعيد ، لتسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين على الحق ، وأن يوجههم وجهة الخير ، وأن يهيىء لهم من أمرهم رشدا ، وأن يردهم إلى دينهم ردا جميلا . إنه سميع مجيب الدعاء .

رئيس التحرير

أحمد البسيوني

التفسير العلمي للقرآن الكريم

يزعم بعض المفكرين المسلمين في عصرنا الحاضر أن الآيات الكونية في القرآن الكريم لا يجب أن تفسر على ضوء العلم الحديث فان القرآن أسمى من كل هذه العلوم وأن النظريات العلمية مهما كانت قوتها فستظل قاصرة عن فهم كل المعاني في النصوص القرآنية الكريمة . وعلى ذلك ينبغي أن يظل القرآن الكريم في موضعه الصحيح من القدسية ويظل العلم البشري في موضع آخر .

وأغلب الظن أن مثل هذا الاحتراس من هؤلاء المفكرين المسلمين إنما ينبع من قلب مخلص خوفا من أن تكثر التفاسير وتكثر الآراء ، فتكثر الأخطاء ونحمل القرآن الكريم ما هو برئ منه .

ومع تقديرنا لهذه الآراء إلا أنني لا أوافق أصحابها على النتيجة التي وصلوا إليها .. وإننا نعتقد أنها دعوة لا تخدم القرآن الكريم في شئ ..

أولا : لهذه الدعوة جذور تاريخية ما كان يجب أن تخفى عليهم .. فلقد فوجئ فلاسفة الغرب بأن كتبهم الدينية المحرفة قد تناقض بعض ما جاء فيها مع ما اكتشفه العلم الحديث .

ففي التوراة مثلا ذكر أن عمر الأرض بضعة آلاف من السنين في حين اكتشف العلم الحديث على وجه اليقين أن عمر الأرض حوالي خمسة آلاف مليون سنة .. وما ذكرته بعض الكتب الدينية المحرفة أيضا أن الأرض مركز الكون وأن كل ما في الكون يدور

للدكتور احمد شوقي ابراهيم

حولها .. وما إلى ذلك من الخرافات التي خطأها العلم الحديث .. كل ذلك في الوقت الذي وجدوا فيه أن القرآن سابق بالحقيقة في كل شئ .. وما وصل العلم البشري إلى حقيقة علمية إلا ووجدوا أن القرآن قد ذكرها وبينها .

حينئذ استشعر فلاسفة الغرب الخطر على دينهم وكتبهم فكان أن قرروا العمل على إخفاء نور العلم القرآني وصرف النظر تماما عما جاء في كتبهم من أخطاء أظهرها العلم الحديث .. هنالك أوعزوا للمسلمين بدعوة في ظاهرها البراءة وفي باطنها الكيد والدهاء ألا وهي إن القرآن هو كلام الله ويجب أن يوضع موضع التقديس فلا ينبغي إذن أن تتطاول عليه علوم البشر بالتفسير .. والقرآن — والكتب الدينية جميعا — شئ ، وعلومنا البشرية شئ آخر لا يلتقيان .

وللأسف خدع بعض المفكرين المسلمين بهذه الدعوة وساروا وراءها يدعون إليها .

ثانيا : الاعجاز البلاغي كان له التأثير الأقوى قديما .. أما في العصر الحاضر فان التفسير العلمي هو الأعظم تأثيرا في نفوس الناس .. فالناس في عصرنا الحاضر لا تؤمن إلا بالأدلة العلمية ولا تثق إلا بالبراهين المنطقية . والاسلام يتعرض لتيارات فكرية معادية ، وبيان الاعجاز العلمي في القرآن أمر ضروري وملح في عصرنا الحاضر ، لأنه هو الوسيلة الأقوى لافحام أعداء الدين ، ولصد الموجة الالحادية العاتية التي تستهدف الجيل الجديد من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . وقد بين القرآن الكريم حقائق علمية كثيرة لم يكتشفها العلم إلا في العصر الحديث .. مثل الحقائق في علم الأجنة .. وحقائق علم الوراثة الحديث وعلم النبات .. وعلوم البحار والفلك وغير ذلك ..

ولا شك أن في إظهار ذلك دليلا على أن القرآن لا يمكن أن يكون من عند بشر ، لأنه لو كان من عند بشر لتحدث عن النظريات العلمية التي كانت سائدة في عصره .. أما أن يأتي بحقائق علمية لم يكتشفها العلم إلا بعد قرون عديدة من الزمان فان ذلك يضع المتشكك أو المكذب بالقرآن أمام أحد خيارين لا ثالث لهما : إما أن يصدق أن القرآن ليس من عند بشر وإنما هو من عند الله تعالى .. وإما أن يلغى عقله ويتخلى عن الفهم السليم ..

ثالثا : إن القرآن الكريم لم ينزل للعرب القدامى فحسب .. ولكنه نزل إلى كل العصور إلى يوم القيامة .. مصداق قوله تعالى في سورة الأنعام /١٩ (**وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**) أى إن القرآن نذير لكل من بلغه .. وحجة عليه يسأل عنه إذا كذب به .. وقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله » رواه أحمد .. من هذا نفهم أن القرآن الكريم نزل للناس كافة في كل زمان ومكان .. وما دام الأمر كذلك فلا يجب أن نكتفي بما جاء في التفاسير القديمة من تفسير الآيات الكونية والعلمية .. هذا مع احترامنا وتقديرنا لكل ما جاء في تلك التفاسير .. والقرآن الكريم خاطب الناس في كل العصور على قدر علومهم .. فأجاب العرب القدامى مثلا على تساؤلهم عن الأهلة في الآية الكريمة في سورة البقرة / ١٨٩ **(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)** . أما للناس في العصر الحديث فجاءت الآيات الكونية في علوم الفلك والطب وغير ذلك من العلوم .. ونقرأ في علم الفلك مثلا قوله تعالى في سورة فصلت / ١١ **(ثم استوى إلى السماء وهي دخان)** والسماء الدخانية لم يعرفها إلا العلم الحديث فحسب .. وقوله تعالى في سورة يس / ٣٨ ــ ٤٠ : **(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)** وهي حقائق علمية لم يعرفها العلم البشري إلا في العصر الحديث فحسب ..

وهكذا فقد خاطب القرآن الكريم كل عصر من العصور على قدر أفهامهم من غير مخالفة للحقائق العلمية التي تخفى عليهم .. فاذا جاء الزمن الذي يصل العلم فيه إلى فهم البعض من هذه الحقائق العلمية .. وجد التعبير القرآني موجودا ودالا عليها إما تصريحا وإما إشارة وتلميحا .

رابعا : ليس الأمر في الكونيات من الآيات الكريمة مثل الأمر في الشرعيات منها .. فالشرعيات من الآيات كان لا بد أن يتضح فيها التفسير تماما قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .. أما الكونيات فقد ترك بعضها للاجتهاد البشري على قدر طاقة الناس العقلية والعلمية في أى عصر من العصور مصداق ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت / ٤٣ : **(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)** وقوله تعالى في سورة العنكبوت / ٢٠ : **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** وقوله تعالى في سورة يونس / ١٠١ : **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** .

والمفسرون للآيات الكونية من العلماء يحاولون تلمس الصواب على ضوء ما لديهم من العلوم .. ولقد طرق الامام الشيخ محمد عبده التفسير العلمي للقرآن الكريم عندما جعل من قوانين الجاذبية لنيوتن أساسا لتفسير الآية الكريمة **(والسماء وما بناها)** الشمس / ٥ .

خامسا : أن تفسير الآيات الكونية والعلمية على ضوء العلوم الحديثة من اهم غاياته الاستمتاع بالنظر في كتاب الله نظرة الاجلال والايمان العميق والاعجاب مما يزيد الطمأنينة

وتعميق الايمان حتى في قلوب المؤمنين .. فهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام وهو الواثق والعارف بربه يقول في سورة البقرة / ٢٦٠ : **(وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)** .. وسيدنا موسى كان يريد أن يرى الله وذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف / ١٤٣ : **(قال رب أرني أنظر اليك)** .

سادسا : على أنه ينبغي الاحتراس في التفسير العلمي للقرآن الكريم : فلا يجب أن يعتبر أي تفسير علمي تفسيرا حتميا للنص القرآني الكريم فقد يكون النص القرآني يعني ما توصلنا إليه من تفسير وقد يعني شيئا آخر لم تصل إليه علومنا ولا أفهامنا بعد .

كما لا يجب الاسراع في محاولة المطابقة بين مدلول النص القرآني وبين النظريات العلمية بقصد إظهار الاعجاز العلمي للقرآن الكريم .

كما لا يجب أن ننسى أن القرآن الكريم لم ينزل كتابا في الطب أو الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء أو غير ذلك من العلوم .. وإنما نزل القرآن الكريم علاجا شافيا للانسانية كلها .. وهدى للناس كافة يعطيهم النهج الصحيح في كل أمر من امور حياتهم .. لذلك لا يجب أن نحاول أن نستخلص من كل آية نظرية علمية .. ومن يفعل ذلك لا يكون عالما وإنما يكون إنسانا عاطفيا لا يستند إلى علم متين .

ولا يجب أن يكون التفسير العلمي إلا على أساس **الحقائق العلمية الثابتة** وحدها .. وليس **النظريات العلمية** .. فالنظريات العلمية تتعرض للخطأ والصواب .. والتغيير والتبديل .. فلا يجب أن نحملها على القرآن الكريم او نحمل القرآن الكريم عليها .

سابعا : وحتى مع الاعتماد على الحقائق العلمية في التفسير العلمي ، لا يجب استبعاد احتمال الخطأ في التفسير العلمي .. فلا يوجد أى مفسر معصوم من الخطأ .. فالعصمة كانت للرسول صلى الله عليه وسلم فقط وليس لغيره من البشر .. ولو أننا امتنعنا عن التفسير العلمي خشية الوقوع في الخطأ لكان من الضروري أن يمتنع كل مفسر للقرآن عن التفسير بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

من أجل ذلك نرى أن المسلمين في عصرنا الحاضر ينبغي عليهم أن يستعملوا كل ما آتاهم الله من علم في خدمة القرآن وإظهار ما فيه من كنوز المعرفة كل ذلك مع اتباع كل خطوات الحذر والاحتراس التي ذكرناها .

ولقد وعد الله تعالى عباده بأن يؤتيهم من العلم في العصور المختلفة ما يتيح لهم فهم بعض ما في القرآن من بيان كل حسب فهمه وعلمه مصداق ذلك قوله تعالى في سورة النحل / ٨٩ : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)** وقوله تعالى في سورة القيامة / ١٨ و١٩ : **(فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه)**

والله سبحانه الموفق لما فيه الخير والرشد والسداد .

مِنْ وَحْيِ النُّبُوَّةِ

موعظة بليغة

للدكتور/محمد بن محمد أبو شهبه

تخريج الحديث : اخرج الحديث ابو داود واخرجه ايضا الترمذي في جامعه ، ولم يذكر الصلاة وفي آخر تقديم ، وتأخير : واسناده صحيح انظر [جامع الترمذي ـ كتاب العلم ـ حديث رقم ٢٢٦٨].
واخرجه أيضا الامام احمد في المسند [المسند جـ ٤ ص ١٣٠ ، ١٣١] وأخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن ـ باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [سنن ابن ماجه حديث رقم ٤٢].

« الشرح والبيان »

« قالا : أتينا العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ وهو ممن نزل فيه : « ولا على الذين اذا ما أتوك

روى الامام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني بسنده عن عبدالرحمن بن عمرو السلمى ، وحجر بن حجر قالا : أتينا العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وهو ممن نزل فيه : « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه » فسلمنا ، وقلنا : أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومقتبسين ، فقال العرباض : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب فقال رجل يارسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد الينا ؟ فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع ، والطاعة وان عبدا حبشيا ، فانه من يعش بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون » العرباض بن سارية صحابي جليل ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وغزا معه ، وجاهد في سبيل الله ، وقد أراد بقولهما : وهو ممن نزل فيه « ولا على الذين ... » بيان منقبة من مناقبه ، وقد كان هذا في غزوة تبوك ، وكانت في السنة التاسعة للهجرة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم يجمعون الجموع لغزو المدينة ، فأراد أن يغزوهم قبل أن يغزوه ، وكانت هذه من سياسة رسول الله في الحروب ، وهى حكمة عالية بالغة الغاية في الصواب حتى لا يتجرأ الأعداء ـ وما أكثرهم ـ على غزو بلاد الاسلام ، وليبين لهم أن سلطان

الله في الأرض لا يخاف أحدا .

وكان مما حدث أن جماعة من المسلمين لم يكن عندهم ظهر يركبون عليه ، ولا نفقة ينفقون منها على الجهاد ، فجاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر لهم بعدم وجود الظهر الذي يركبون عليه ، فرجعوا وهم يبكون حزنا على ما فاتهم من شرف الخروج في الجهاد في سبيل الله فليع المسلمون والعرب اليوم ذلك ، وليعلموا أنه لا يمكن استرجاع عزتنا المفقودة ، وقوتنا المرهوبة إلا بأن نتخلق بأخلاق هؤلاء السادة الأبرار ، حبا في الجهاد ، ورغبة في الاستشهاد وهذا المذكور في الحديث جزء من الآية الثانية والتسعين من سورة التوبة .

« قلنا أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومقتبسين ».

والزيارة من حق المسلم على المسلم ، وكذلك العيادة من حق المسلم على المسلم كما في الأحاديث الصحاح في الصحيحين وغيرهما ، والظاهر أنه كان مريضا ، وإلا تكون العيادة بمعنى الزيارة ، ويكون الكلام من قبيل عطف التفسير ، ومعنى « ومقتبسين » يعني من علمك ومروياتك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالعلم نور ، وما سيأخذانه منه من العلم قبس من هذا النور ، وهو تعبير بليغ وقد كان الرجلان بليغين حقا حيث قدما الزيارة ، والعيادة ، على الاقتباس ، فهو من قبيل تقديم الوسيلة بين يدى المطلوب وهو يدل على ما كان يتمتع به الصحابة من البلاغة ، والذكاء ، والكياسة « فقال العرباض : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ».

وكان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ما صلى بالناس صلاة جماعة استدار اليهم .. وواجههم ، ليعظهم ويذكرهم ، أو ليسأله سائل فيجيبه ، والموعظة البليغة هى المطابقة لمقتضي الحال ، وللظروف والملابسات التي كانت تدعو اليها آنذاك ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كله فصيح بليغ ، فوصف « الموعظة » بالبليغة من قبيل التوضيح ، لا التخصيص لأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مواعظ غير بليغة ، نعم فيها البليغ والأبلغ .

ومعنى « ذرفت » اي سالت وجرت من تأثيرها الدموع من العيون ، « ووجلت » يقال وجل القلب ـ بكسر الجيم في الماضي ـ يوجل ـ بفتح الجيم في المضارع ـ من باب سمع يسمع اذا خاف وفزع والوجل : خوف ممزوج بخشية الله ، والاشفاق على النفس من عقابه ، ومثل هذا تظهر آثاره بذرف الدمع من العين .

« فقال رجل : يارسول الله كأن هذه موعظة مودع !! فماذا تعهد الينا ».

الظاهر أن هذه الموعظة كانت في أخريات حياة النبي صلى الله عليه

وسلم ومعنى « مودع » أي للدنيا ولنا ، وقد كان الصحابى القائل لهذه المقالة على غاية من الدقة في التعبير ، فلم يقل : انها موعظة مودع مثلا ، وانما قال « كأن هذه ... » لأن اليقين في مثل هذا غير ممكن ، لأن الأعمار بيد الله ، والآجال لا يعلم حقيقتها الا الله تبارك وتعالى وصدق الله : **(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير)** لقمان / ٣٤ .

وقد فهموا كونها موعظة مودع ، من الموعظة ، ومن القرائن والأحوال التي كانت حينئذ .

« فماذا تعهد الينا » يعني توصينا : يقال : عهد اليه بكذا يعهد ، اذا أوصى اليه .

فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبدا حبشيا فان من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ».

وقد كانت الوصاة بتقوى الله لازمة من لوازم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواعظه ، والتقوى لها معنيان : معنى قلبي نفسي ، وهو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « التقوى ههنا ــ ثلاثا ــ واشار الى صدره الشريف » ومعنى يتعلق بالجوارح والسلوك وأحسن ما تعرف به : امتثال المأمورات ، واجتناب المنهيات ، وهى بهذا المعنى شاملة لكل هدى ، وحق ، وخير ، فمن ثم ظهر السر في توصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بها دائما في خطبه ، ومواعظه ، والتقوى ما لم تكن نابعة من القلب فانها لا تدوم ، وسرعان ما تزول .

وقد كان رسول صلى الله عليه وسلم على حق حينما أتبع التوصية بالتقوى بالتوصية بالسمع والطاعة للخليفة والأمير وان كان عبدا حبشيا وعبدا منصوبة على أنها خبر كان المحذوفة مع اسمها ولذلك نظائر في الأحاديث الصحيحة ، ففي حديث بدء الوحي المروى في الصحيحين عن السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ قول ورقة بن نوفل : « يا ليتني فيها جذعا » أي أكون جذعا .

وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه سيكون هناك خلاف على الخلافة والامارة ، فكانت الوصية بالسمع والطاعة أمرا لابد منه وليس أدل على ذلك من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجاور الرفيق الا وقد بدأ الخلاف على الخلافة ، ولولا فضل الله على هذه الأمة وتوفيقه لقادتها فبايعوا الخليفة الأول الصديق أبا بكر ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ ثم صار اجماعا فيما بعد ، لكانت فتنة في الأرض ، وفساد كبير ، ثم كان بعد ذلك من الخلاف على الخلافة ، بعد سيدنا عثمان رضي الله عنه ، ما أحدث صدعا في وحدة الأمة الاسلامية حينذاك ووقعت وقائع عظيمة سالت فيها الدماء بلا حساب ، ولسنا نخوض فيما وقع ، فتلك دماء طهر الله منها أيدينا ، فلنطهر منها السنتنا ــ والله تبارك وتعالى ــ يغفر لنا ، ولهم ، والله

المستعان ، وعليه التكلان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها ، بالنواجذ » السنة المراد بها هنا الطريقة المشروعة في الدين ، فتشمل الاعتقاديات ، والعبادات واجبة كانت ام مندوبة ، والمعاملات والاخلاقيات ، والجنائيات ، والسياسات ، والمعاهدات وغيرها « وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ».

السنة : هى الطريقة ايضا والخلفاء الراشدون : هم السادة الاخيار ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضوان الله عليهم أجمعين .

والراشد : اسم فاعل من رشد ، يرشد ، من باب : فرح يفرح ، ورشد ـ بفتح الشين ـ يرشد ـ بضم الشين ـ من باب : نصر ينصر رشدا ، ورشدا ، ورشادا ، والرشد ضد الغى ، والرشد : الاستقامة على الدين ، والالتزام بتكاليفه .

و« المهديين » جمع مهدى ، يقال : هداه ، يهديه فهو مهدى ، والله هاديه ، والمهدى : هو الذي هداه الله ، وأوصله الى الحق ، ووفقه الى الدوام عليه .

« والنواجذ » جمع ناجذ ، وهى الأضراس التي بعد الأنياب ، وهذا مثل لشدة الاستمساك بالأمر ، والحرص عليه ، لأن العض بالنواجذ يلزم منه العض بجميع الأسنان ، أو بمعظمها على الأقل .

« وإياكم ومحدثات الأمور » هذا تحذير من الوقوع في البدع المضلة والمحدثات : جمع محدثة ، وهى البدعة ، والبدعة : هى كل ما استحدث وليس لها أصل ودليل في الشرع من كتاب ، أو سنة ، أو إجماع ، أو قياس أما ما يكون لها أصل في الشرع فلا يعتبر بدعة فكتابة القرآن في صحف مجموعة في عهد الصديق رضي الله عنه ، والمصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه لا يعتبران بدعة لأن لهما أصل في الدين ، وهو وجوب المحافظة على القرآن الكريم ، وما أدى الى الواجب فهو واجب ، وكذلك فقط المصاحف ، وشكلها لصيانة القرآن من اللحن ، والتحريف لا يعتبران بدعة أيضا بل هما من الأمور الواجبة ـ « وكل محدثة بدعة » وما دمنا عرفنا البدعة بأنها ما ليس لها دليل ، ولا أصل فلزم أن تكون كل محدثة بدعة ، وأما ما له أصل في الدين فهو بمعزل عن البدعةوالعلماء المحققون على هذا ، وعليه فلا يقسمون البدعة الى الأحكام الخمسة ، وأما الذين قسموا البدعة الى الاحكام الخمسة فهم يريدون بالبدعة كل ما استحدث سواء أكان لها أصل في الدين أم ليس لها وعند التحقيق نجد أن الخلاف لفظي ، وليس حقيقيا ، وأنه اختلفت العبادات لاختلاف الاعتبارات .

« وكل بدعة ضلالة »

وحق للبدعة أن تكون ضلالة ، لأن ما ليس مشروعا ، ولا دليل له في الشرع يعتبر ضلالة ، إذ ليس بعد الحق المشروع إلا الضلالة ، ونعوذ

بالله من الضلالة ، والعمل بها ، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفي رواية للامام مسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » يعني مردود عليه ، وغير مقبول لمخالفته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه .

ويؤخذ من الحديث الاحكام والآداب الآتية :

وجوب الاستمساك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطريقته ، وهديه وهى شاملة لما ثبت بالقرآن الكريم الذي هو أصل الدين ، ومنبع الصراط المستقيم ، ولما ثبت بالسنة والأحاديث ، التي تعتبر الأصل الثاني من أصول التشريع في الاسلام ، والاعتصام بها في كل شأن من شؤن ديننا ودنيانا .

وجوب السمع والطاعة لمن تولى أمور المسلمين وان كان عبدا حبشيا كأن رأسه زبيبة كما في الأحاديث الأخرى ، مادام مطيعا لله ، قائما بحقوقه ، وحقوق الرعية التي شرعها الاسلام ، فان عصى الله أو أمر بشيء فيه معصية الله فلا طاعة له ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الطاعة في المعروف ».

وقد كان الشارع الحكيم حكيما غاية الحكمة حينما أمر بالسمع والطاعة للأمراء لأن لو فتحنا باب المخالفة والمحادة ، والمحاربة لأية مخالفة تبدر من الولاة لأصبحت حياة المسلمين ، حروبا متواصلة ، وفي ذلك فتنة في الأرض وفساد كبير واي وال لا يمكن أن يرضي جميع الرعية !! لأن الكثرة الكاثرة من المسلمين تتحكم فيهم الاهواء والشهوات النفسية ، وصدق الله : **فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** » التوبة/٥٨ .

أن سنة الخلفاء الراشدين الأربعة كسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه شهادة لهم ، وتزكية بأنهم على الحق ، ولا يتطرق لأعمالهم الا بتداع وأنهم متبعون ، وليسوا بمبتدعين ، ونعوذ بالله أن يطعن فيهم طاعن أو يحكم عليهم بالعصيان ، أو الكفر زنديق ملحد ، بعد شهادة الله تبارك وتعالى لهم في غير ما آية ، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كما سمعت .

إن الخير كل الخير في الاتباع : اتباع ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الصحابة الكرام ، ولا سيما الخلفاء الراشدون الأربعة والشر كل الشر في الابتداع ، والبدعة أحب الى الشيطان من كذا وكذا معصية لأن المبتدع يفعل البدعة وهو يعتقد حسنها ، والتقرب الى الله بهما أما العاصي فهو يفعل المعصية ، وهو يعلم أنها معصية ، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المتبعين ، ونعوذ بالله من ان نكون من المبتدعين .

الصراع بين

بداية ونهاية

- ١ -

الانسان مادة وروح ، او بمعنى آخر ، هو جسم من لحم ، ودم ، وعظم ، وروح تبعث الحياة في هذا الجسم ، فاذا زايلت الروح هذا الجسد ، همد وسكن ، واحتواه الموت !

هذا ما يشهده الانسان ، فيما يرى من الموتى ، الذين يرون ، وكأنهم نيام ، ولكن لا حس ، ولا حركة ، ثم لم يلبثوا إلا قليلا ، حتى تتحلل أجسادهم ، وتتعفن .. ثم لا يكون لوجودها أثر !!

فالجسد والروح من طبيعتين متغايرتين ، ولكن الله تعالى ألف بينهما بقدرته وحكمته ، فكان منهما هذا الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، واقامه خليفة على هذه الارض .

وكل طبيعتين مختلفتين ، إذا جمعتهما جامعة ، لا بد أن يكون بينهما صراع ، يريد كل منهما ان يستولى على الآخر ، وتكون له السيادة عليه ..

وكما يكون بين الناس هذا الصراع ، الذي يغلب فيه بعضهم بعضا ، ويعلو فيه بعضهم على بعض ، كذلك يقوم مثل هذا الصراع في ذات الانسان نفسه ، بين مطالب جسده ، وأشواق روحه .. فيكون في الناس من قوي فيه سلطان جسده ، حتى ليكاد يكون حيوانا لا أثر لعالم الروح فيه ، كما نشهد ، ذلك في كثير من أصحاب المذاهب المادية ، وما يدور في فلكها ، من وجودية ، وماركسية ، وغيرهما ، على حين يكون في الناس من علا فيه سلطان روحه ، حتى كاد يكون روحا

المادية والروح

للاستاذ / عبدالكريم الخطيب

بلا جسد ، كما نرى ذلك في بعض المذاهب الهندية ، وعند اغبياء المتصوفة وأدعياء التصوف !! وقليل هم اولئك الذين اخذوا طريقا وسطا ، فألفوا بين مطالب الجسد ، وأشواق الروح ، وأعطوا كلا منهما حقه ، وأقاموهما على ائتلاف ، ووفاق ، بحيث يخدم الجسد الروح ، وتعلي الروح من شأن الجسد ، وتحرره من كثير من قيود شهواته وأهوائه .

– ٢ –

ونحن اذ ننظر الى الماديين الذين أعلوا سلطان الجسد ، وغالوا في مطالبه – من جهة ، والى الروحيين الذين سلطوا الروح على الجسد حتى احرقته بنارها ، أو أحالته شبحا لا ظل له بين الأحياء – من جهة اخرى ... نحن اذ ننظر الى هؤلاء واولئك ، نرى عالمين متناقضين ، يزدرى كل منهما الآخر ، ويحقره ، ويفر منه كما يفر السليم من المجذوم !! وكلا الفريقين اعور بأى عينيه شاء .. يرى جانبا من الحقيقة فيحسبها كل الحقيقة ، وينكر الجانب الآخر منها .. وهذا مزلق الى كثير من الأخطاء التي وقع فيها كثير من أصحاب المذاهب والمعتقدات ، اذ لا يرون الحق الا فيما وقع في تصوراتهم ، وان كان من واردات الأوهام ، ووساوس الشياطين !!

ولو انك ذهبت تسأل أيا من الماديين أو الروحيين ، عما وجد في المذهب الذي تمذهب به ، لأسمعك كل منهما من الحجج والبراهين ، ولاقام لك من الأدلة المنطقية بناء شامخا ، يغريك باللجوء اليه ، والاحتماء به ، لتجد في

ظله الحياة الطيبة الآمنة .

– ٣ –

يستطيع المادي ان يقول لك : إنه وقد تعامل مع الواقع المحسوس ، وضرب صفحا عن التصورات والخيالات التي تزحف على أصحاب العقول الضعيفة ، مما وراء المادة .. إنه إذ فعل هذا فقد امتلأت دنياه بمحصول وفير من كل ما يريد ... لقد اجتمع له المال ، والثراء ، والترف .. فسكن القصور الشامخة ، وركب السيارات الفاخرة ، واعتلى متن الهواء بالطائرات ، واخترق اعماق البحار بالغواصات ، وسخرت له قوى كل شئ ، حتى أصبح سيد هذا الكوكب الأرضي .. ثم صعد في السماء يبحث عن كوكب جديد ، يسخره بسلطانه ، ويقيم لنفسه خلافة عليه ، وها هوذا الآن قد وضع قدميه على القمر !!

ثم ان هذا المادي ، يستطيع ان يقول لك ، ويقيم الشواهد من الواقع على ما يقول : ان الغنى ، والجاه ، والقوة والسيادة كلها في يد العالم المادي .. وان الأمم التي آمنت بالمادة ، وعاشت عليها ، هي الأمم التي تدير سياسة العالم اليوم ، وتمسك بزمامه !!

فاذا هو رأى منك شيئا من الشك فيما يقول ، أو التردد في التمذهب بمذهبه ، فتح لك نافذة يطل بك منها على العالم الروحي ، ثم يقول لك : انظر إلى هذا العالم ، هل ترى فيه إلا أمساخا من الناس ، بين أعمى ، ومقعد ، وبين مخبول ومجذوب ، وعريان وشبه عريان ، ومريض ومتمارض ، ومتكفف يسأل الناس ، ومحتال يمتص الدماء !

ثم يقول لك : وانظر إلى تلك الامم والشعوب التي ظلت على وفائها للعالم الروحي ، وتمسكها به – لقد مسها الضعف ، وأصابها الكبر ، واستبد بها الفقر ، وتمشى في ربوعها الجوع والحرمان ، والمرض والجهل ! وكل هذا قد صار بها إلى أن تصبح تابعة للأمم المادية ، مسخرة لها ، متعلقة بركابها ..

ثم يدعوك إلى ان تنظر فيما حولك من هذا العالم ، قائلا لك : هل رأيت انسانا من هذه الأمم وتلك الشعوب المتعلقة بأشباح الروحية – هل رأيت رجل فضاء ؟ وهل رأيت قنبلة ذرية او هيدروجينية ؟ بل هل رأيت مكتشف دواء لمرض ، أو علاجا لعلة ؟

إن الأمر – يا صاحبي – كما ترى ، لا يحتاج إلى كثير من البحث والفحص ، لتدرك هذا الفرق البعيد الشاسع ، بين الحياة التي يحياها الناس ، افرادا وأمما ، في العالم المادي ، وبين تلك الحياة التي يحياها الناس – افرادا وشعوبا – في العالم السابح في سراب الروحية ... فهناك في العالم المادي ، حياة « تزخر بالقوة والنشاط ، وبكل مباهج الحياة ، بلا استثناء ... وهنا في عالم الأرواح ، او الأشباح ، موات يسري في كل شئ ، من عوالم الجماد ، والحيوان ، والانسان .. فكل القوى معطلة ، وكل الموجودات عقيم لا تلد شيئا !!

إن العالم المادي ـ كما يحكى هذا المتحدث عنه ـ هو مهبط قلوب الأمم الروحية ، ومبعث أشواقها .. اليه يحج طلاب العلم والمعرفة ، واليه يسعى طلاب الرفه والمتعة ، واليه ينزح أصحاب الهمم ، وعشاق المجد .. فمن لم يستطع أن يحيا في أوطان المادية بجسده ، عاش فيها بعقله وقلبه ، وهفا اليها بأشواقه وأحلامه ، وجلب إليه كل ما اثمرت الحياة المادية ، فعاش ماديا في أرض روحية ، لا صلة له بها الا صلة المولد والموطن ! أما العقل ، وأما القلب ، فمع الحياة المادية على أى حال !!

ـ ٤ ـ

ولعله إذا استمع الروحي إلى هذا المنطق من الماديين ، زوى عينيه ، وزم شفتيه ، واستعاذ بالله ، من همزات الشياطين ، وضلالات الضالين ، وربما خاف على نفسه الفتنة ، فوضع اصبعيه في اذنيه ، وولى هاربا ، لا يسمع ولا يرى !!

ولو أراد الروحي هنا أن يقول ما يرد به على المادي مقولته ، لوجد مجال القول متسعا بين يديه ... إنه قد يقول : إن دنياه ، وان خلت من كثير مما يزخر به العالم المادي من زخرف الحياة وزينتها ، فان لديه رصيدا لا ينفد من القناعة بالقليل الذي بين يديه ، ومن الرضا بالزاد الذي يحفظ البدن ، ويبقى الرمق ، وبالثوب الذي يغطى الجسد ، او يستر العورة ! ان قلبه عامر بالسكينة والرضا ، لا تفزعه مصائب الحياة ، ولا تكربه همومها ، ولا تؤرقه طوارق احداثها ، التي يواجهها الماديون بالانتحار !!

حقا ، إن العالم المادي قد عمرت دنياه بماديات الحياة ، وشهوات الأنفس ، ولكن ذلك كان على حساب انسانية الانسان ، الذي قوى جسده ، وضمرت روحه .

إن الانسان المادي ، أشبه بالتمثال الجميل ، تظهر عليه سمة الأحياء ، ولكنه في واقع الأمر جماد لا يتحرك ..

« وماذا ينفع الانسان لو ربح العالم وخسر نفسه ؟ وماذا يعطى الانسان عن نفسه ؟ هكذا يقول السيد المسيح عليه السلام » !

إن العالم المادي هو مثار هذه الأعاصير ، ومهب هذه العواصف التي تهب على الانسانية ، فتعصف بأمنها ، وتؤجج نار الحروب المدمرة التي تحصد ملايين الأرواح ، وتخرب كل عامر ، وتهدم كل صالح !!

ـ ٥ ـ

وندع الماديين يقولون ما يقولون عن ماديتهم ، وما ينعمون به في جهنمها ، او جنتها .. وندع الروحيين يقولون ما يقولون في الماديين وسوء مصيرهم الذي يلقونه على يديها .

إن كلا الفريقين ـ في شريعة الاسلام ـ على غير الطريق السوى ـ وكلاهما نصف عريان ، لا يستر إلا نصف جسده الأسفل أو الاعلى !!

فليست المادية ـ في نظر الاسلام ـ شرا محضا ، ولا خيرا خالصا ، وليست الروحية ـ في شريعة الاسلام ـ خيرا مطلقا ، ولا شرا محضا !

إن الاسلام ، لا يرضى عن المادية المجردة من الروح ، كما لا يحمد الروحية الخالصة من المادة .. والذي يرضاه الاسلام ، ويحمده من الانسان ، هو أن تلتقي فيه المادة مع الروح ، وأن يأتلفا ائتلاف النور بالظلام عند الشفق او الغسق ..!! حيث لا تستطيع أن تقول عن هذا المشهد : إنه نور ، كما لا تستطيع ان تقول عنه : إنه ظلام .. بل هو نور وظلام معا .. كذلك الشأن فيما ينبغي أن يكون بين الروح والجسد في الانسان .. ومن هنا ينبغي أن يكون منهج الانسان السوى في سياسة نفسه قائما على التوازن بين الروح والجسد ، وان تكون مطالبه دائرة في مدار الجسد والروح معا !

وليس ضبط هذا المنهج ، وتحديد تلك المطالب بالأمر الهين واليسير ، بل إنه لأشق عمل يواجه الانسان في مسيرة حياته ، وأعقد مشكلة تقتضيه بذل كل ما في كيانه ، من عقل ، ووعي ، وارادة ، وحيلة ، وحكمة ، كي يمكنه ان يعطي كلا من الروح والجسد ، حقه ، وأن يقيم أمره على صراط مستقيم !

إنها عملية جراحية دقيقة ، يحاول فيها الانسان ان يزاوج بين طبيعتين مختلفتين : الروح ، والجسد ، الماء والنار ، النور والظلام .. الخير والشر .. الملك والشيطان .. الانسان والحيوان !

إنها عملية تحتاج حصافة ، وحكمة ، وصبرا ... وبغير هذا يختل التوازن ، ويفسد الأمر ، ويشتد الصراع ، ويهلك أحد الخصمين خصمه ، او يهلكان معا .

أرأيت الى الطبيعة ، وما فيها من عناصر مختلفة متباينة ؟ ثم أرأيت كيف ارادها الخلاق العليم ، ان تؤلف بين عناصرها المتنافرة المتباينة ، فيتولد منها ما يتولد من نعم لا تحصى ، ومن خير لا ينفد ؟ من الطين الميت الهامد ، يخرج الزهر مختلف الألوان ، والاصباغ ، والطيب ؟ ومن الطين الميت الهامد تخرج الفواكه ، متباينة المذاق ، مختلفة الطعوم ؟

ثم انظر .. هذا الماء الذي تحيا به الأحياء ، والذي نشأت منه الأحياء ، بتدبير الخالق ، وحكمته .. انه من عنصرين مختلفين طبيعة وكونا ، الأوكسجين والأيدروجين .. جزء من الأوكسجين ، وجزءان من الأيدروجين ، ومع هذا فقد كان من امتزاجهما الماء .. ولكن أى امتزاج ذلك الذي قام بينهما ؟ إنه بحساب وتقدير ، وبغير هذا الحساب الحكيم ، وذلك التقدير الدقيق ، لا يتم بينهما الامتزاج ، ولا يولد منهما الماء !

والمزج بين الروح والجسد ، والمزاوجة بينهما ، يحتاج الى حكمة بالغة ، والى تقدير حكيم ، لا في نسبته : وانما في الغاية التي يقصد اليها

منه .. إذ لا مقياس محدد هنا ، يمكن ان يضبط به الانسان الكمية اللازمة من الجسد ، والكمية المطلوبة من الروح ، كي يتم المزج السليم بينهما .. ولوكان هناك مقياس مادي محدد ، لما احتاج إليه الأمر ، بين الروح والجسد ، اذ الحقيقة انه لا روح الابجسد ، وانما هما كيان واحد ، مزجتهما القدرة الالهية ، وزاوجت بينهما ، وأخرجتهما على الصحة والسلامة ، كما يخرج الماء من عنصريه : (**فطرة الله التي فطر الناس عليها**) الروم/ ٣٠ ولكن مداخل الهوى ، ووساوس الشيطان ، هي التي تبذر بذور العداوة بين الروح والجسد ، وتوقد نار الحرب بينهما ، فيقتل احدهما الآخر ، كما وقع ذلك بين الأخوين ابني آدم !! والله تعالى يقول : (**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) التين/ ٤ ــ ٦ .

ــ ٦ ــ

فالذي يطلب من الانسان ــ في الحقيقة ــ ليس هو المزج او المزاوجة ، بين جسده وروحه ، وانما هو المحافظة على هذا الكيان الانساني ، روحا وجسدا ، وحراسته من الآفات العارضة ، التي تغير طبيعته ، وتفسده ، كما يتغير الماء ويفسد ، إذا عرض له عارض ، يحوله من حال الى حال .. فقد تحوله الحرارة إلى بخار وهواء ، وقد يحيله البرد الى ثلج وجمد ، وقد يقف فيركد ويتعطن ، وقد يجري محتكا بالأحجار والتراب ، فيعكر ، ويتغير لونه وطعمه !!

المطلوب من الانسان اذن ، هو ان يكون حارسا أمينا على كيانه الانساني ، وفطرته السليمة التي ولد عليها ، وان يتفقد دائما طبيعته ، فان وجد ان هذا الكيان هو مجرد جسد ، يطلب ، ويشتهي ، ولا يكف عن الطلب والاشتهاء ، او هو مجرد روح يتعالى وينقطع عن الطلب والشهوة ، عرف انه ليس انسانا على الصحة والسلامة ..

فالانسان السوى ، هو الذي يجد في كيانه ، جسدا يطلب ويشتهي ، وروحا تكفكف من غرب هذا الطلب وذاك الاشتهاء .

وان شر الناس ، واشقاهم ، من كان له جسد معربد ، شارد ، لا زمام له ، ولا راعي يقوم عليه ، ولا حاجز يحجزه عن حرام ، وانه لا خلاص له من هذا البلاء ، إلا اذا بحث عن روحه ، وهتف بها ، وايقظ لها كل قواه ، لتمسك بهذا الحيوان الشارد ، قبل ان يقع فريسة للذئاب .

وان اخف الناس وزنا ، واقلهم قدرا ، من امرض جسده بالرياضات العنيفة ، والحرمان المتصل ، حتى افسده ، وقتل دواعي الشهوة فيه ، واذا هو لا جسد ، ولا روح .. لأن الروح اذا لم يكن لها جسد تسكن اليه ، شردت ، وضلت .. وانه لا دواء له من هذا الداء ، الا ان يحسن سياسة جسده ، ويمده بما يمسك

عليه الحياة ، ويسبغ عليه من نعم الله ، ما يحرك لسانه بالحمد والشكر ، لله رب العالمين .

ـ ٧ ـ

وقد يظن بعض الناس انه لا سبيل الى التوفيق بين مطالب الجسد ، وأشواق الروح ، اذ يبدو له ان ما يرضى أحد الطرفين ، فيه جور على الطرف الآخر ، وان في اشباع حاجات الجسد ، انتقاصا من حق الروح ، كما ان في اشباع اشواق الروح ، جورا على الجسد !

والأمر وان بدا في صورته الظاهرة ، على هذا التصور فانه في واقعه على غير هذا الفهم الخاطئ ، اذ ليس الجسد والروح عدوين ، ولا متخاصمين ، وانما هما كيان واحد ، وفي سلامة احدهما سلامة الآخر ، وفي العدوان على احدهما عدوان على صاحبه ...

وغاية ما في الأمر ، ان اهمال احدهما ، والالتفات الى الآخر وحده ، هو الذي يفسد العلاقة بينهما ، ويفضي الى الاختلال الذي يؤدي الى العداوة بينهما .

وانك لا ترى مثل هذا في الأشياء المختلفة طبيعة وتركيبا ، وحسب ، بل تراه في الأشياء ذات الطبيعة الواحدة .. فأنت إذا اعتدت ان تفتح احدى عينيك لرؤية الأشياء ، على حين انك تذر الأخرى وتغمضها ، فان ذلك ينتهي آخر الأمر الى ان تظل العين الاولى سليمة ، تزداد على الايام قوة ، على حين تتناقص قوة الابصار في الاخرى شيئا فشيئا ، حتى ينطفئ نورها تماما .

يقول الفيلسوف : « والتر ليبمان » مصورا هذا الاختلال الذي يفسد طبيعة الانسان ، اذا هو مال الى احد جانبيه ، الجسدي ، او الروحي ..

يقول هذا الفيلسوف الغربي المعاصر :

« هناك اصحاب مذهب اللذة الذين ينسحبون بكليتهم الى داخل مملكة الوجود ، ليأكلوا ، ويشربوا ويمرحوا ، بعيدا عن الآلام والاشجان التي تصاحب الحنين الى حياة الخلود ..

« وهناك المتقشفون الذين يؤثرون الانسحاب من مملكة الوجود ، في انتظار نهاية العالم ، والخلاص من دنيا الفناء »

ثم يعقب الفيلسوف على هذا بقوله :

« ويرجع الخطأ عند الفريقين الى مصدر اساسي ، وهو نكران ان المملكتين لا يمكن المزج بينهما ، كما لا يمكن الفصل بينهما ، على حين ان الحق هو انه يمكن ايجاد توازن وتصالح بينهما » .

ـ ٨ ـ

وفي شريعة الاسلام ، وفي أحكامها الحكيمة ، المنزلة من حكيم عليم ، يجد الانسان ما عجز عنه العلماء ، والحكماء والفلاسفة والمصلحون من تقرير المصالحة بين الجسد والروح ، بما يحفظ على الانسان وجوده الانساني الكريم الذي يضع قدميه

على الأرض ، ويرتفع بهامته الى السماء ، فهو ابن المملكتين : جسده من الأرض ، وروحه من الملأ الأعلى ، وعلى الأرض مبتداه ، وفي الملأ الاعلى منتهاه !

فكانت شريعة الاسلام وسطا ، تعطى ما للجسد للجسد ، وما للروح للروح ، فليس في الاسلام ولا في المسلمين ، من تستولى عليهم المادة ، وتأسرهم شهوات الجسد ، فهؤلاء في حساب الاسلام من عالم الحيوان : **(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)** الفرقان/ ٤٤ .

وليس في الاسلام ، ولا في المسلمين ، اولئك الأشباح ، الذين خرجوا من الطبيعة الانسانية ، وأرادوا ان يطيروا باجنحة الملائكة ، فكانوا اشبه بالغراب ، الذي استهواه الطاووس ، فلبس ريشه ، فلم يكن غرابا ولم يصبح طاووسا ، بل هو مسخ لحيوان لم تعرفه الحيوانات !

لقد دعا الاسلام الى الاخذ من كل ما في الحياة من طيبات ، ولكن في غير اسراف ، مفسد للصحة ، والخلق ..

يقول الله تعالى : **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين•قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** الاعراف/ ٣١و٣٢ .

ومن يستمتع بطيبات الرزق ان لم يستمتع بها المؤمنون بالله ، القائمون على خلافة الارض ؟ الم يقل سبحانه : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)** النور/ ٥٥ وهل تقوم خلافة في الارض بغير تمكن منها ، واستخلاص لكل ما فيها من خير ، حتى تكون القوة التي تحوط الخلافة وتحفظها ؟

ـ ٩ ـ

وننظر في عالمنا الاسلامي اليوم ، فاذا اهله فريقان :

فريق : وهو الكثرة الغالبة ، قد جذبته الدنيا اليها ، والبسته ثوبها ، فوق او تحت ، ثوب مهلهل ممزق من الدين .

وفريق آخر : هو الذي يراه ، الناس في فرق المتصوفة ، وطرقها ، التي تعج بتلك الاخلاط الغريبة من الناس ، في ازيائها ، وشاراتها ، وطقوس عباداتها واذكارها ، قد خلت ايديهم من ثمرات الاعمال التي يجدها العاملون في ايديهم ، الا من السبح الطويلة ، المدلاة من الايدي ، او المعلقة في الصدور !!

وقلة قليلة بين هؤلاء واولئك هم الذين استقاموا على الطريق الوسط ... ومن هؤلاء يرجى الخير للاسلام ، لو انهم ندبوا انفسهم ونذروها لهداية الضالين الذين نأت بهم غربة بعيدة عن الاسلام ... نسأل الله تعالى ان يرد غربتهم ، ويهديهم صراطا مستقيما .

معركة النبوّة وأهل الكتاب

للأستاذ : محمد عزة دروزة

أولا : في العهد المكي النبوي :

ـ ١ ـ

لم يكن معركة بين النبوة وأهل الكتاب في هذا العهد . فلم يكن في مكة كتلة كتابية ذات عدد كبير ومركز سياسي واقتصادي ومصالح متشعبة . وإنما كان فيها أفراد من النصارى واليهود . والأولون كانوا أشتاتا منهم الأقباط المصريون ، ومنهم الأحباش ، ومنهم الروم ومنهم السوريون ، ومن هؤلاء من كان مملوكا لبعض زعماء مكة وأغنيائها يعملون لحسابهم . ومنهم من كانوا أحرارا لاجئين يعملون في الحدادة والنجارة . أما اليهود فكانوا مرابين يتسربون الى مكة من يثرب (المدينة المنورة) وضواحيها حيث كان هناك كتل كبيرة منهم صار لها مع الزمن صلات متشعبة مع العرب وصار لها مزارع وحقوق ، وبساتين وتجارة الخ . وكان الى هذا وذاك بعض أفراد من العرب المتنصرين من أشهرهم ورقة بن نوفل ابن عم خديجة رضي الله عنها أولى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يروي أنه الذي تولى تزويجها لرسول الله .

ـ ٢ ـ

ومن المحتمل أن يكون النبي صلى الله

عليه وسلم بعد أن غدا صهره صار يتردد عليه ويسمع منه وهو ما يزال في شبابه . وهناك حديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في أولية الوحي فيه ذكر لورقة وموقف له حيث جاء فيه بعد أن ذكر نزول جبريل عليه بالآيات الخمس الأولى من سورة العلق (فرجع بها النبي صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا . إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وأنطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي ابن عم خديجة . وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية . وكان يكتب الكتاب العبراني . فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟؟ فأخبره رسول الله بخبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى . يا ليتني فيها جذعا . ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله أو مخرجي هم ؟؟؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي . وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى) .

ـ ٣ ـ

وكان بين أفراد النصارى الأجانب من هو ذو علم واطلاع . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتردد عليهم قبل بعثته . وكان رجال مكة يرون ذلك حتى إن صناديدهم الذين تولوا مناوأة الرسالة استغلوا ذلك فأخذوا يقولون إنهم يعلمونه ويعاونونه في ما يفترى من قرآن كما جاء في هذه الآيات التي فيها تأييد للصلة بينه وبينهم بقطع النظر عن كذب دعوى المدعين .

١ ـ (**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**) سورة النحل ١٠٣ .

٢ ـ (**وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا**) سورة الفرقان ٤/و٥ .

٣ ـ (**أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون**) . سورة الدخان ١٣/١٤ .

ـ ٤ ـ

وأولى آيات قرآنية مكية ذكر فيها أهل الكتاب والله أعلم هذه الآية في سورة المدثر التي هي في ترتيب نزول السور المروي الثالثة أو الرابعة : (**وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب**

الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) المدثر/٣١ .

والأسلوب الذي ذكروا فيه يفيد ـ والله أعلم ـ أن الله سبحانه يعلم أن الذين أوتوا الكتاب يعرفون مدى ما جاء في الآية وأن ذكره سوف يكون سببا لاستيقانهم بأن القرآن منزل من الله تعالى على نبيه .

وفي سورة سبأ هذه الآية التي تفيد ـ والله أعلم ـ نفس المعنى (**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد)** سبأ/٦ .

ومثل هذا في آية في سورة الحج التي نرجح انها مكية هي هذه (**وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم)** الحج/٥٤ .

ـ ٥ ـ

والمتبادر أن النبي صلى الله عليه وسلم اخبر من كان يتردد عليهم من أهل الكتاب بأمره وقرأ عليهم ما أنزله الله سبحانه اليه .

ومن المتبادر كذلك أنهم كانوا لمحوا فيه عمق الايمان بالله ، وشدة العزوف عن عقائد وتقاليد قومه ، وشدة الرغبة في ملة ابراهيم الحنيفية السمحاء التي أمره الله باتباعها واعلانها في آيات سورة الأنعام هذه : **(قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين)** الأنعام/١٦٣ .

وفي آية سورة النحل هذه **(ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)** النحل/١٢٣ .

كما لمحوا فيه صفاء الذهن وعظمة الخلق والصدق والبعد عن التبجح .

وكانوا يرون في التوراة والانجيل صفات نبي يبعث من الأميين وكلمة الأميين كانت تعني العرب على ما تلهم آية سورة الجمعة هذه : **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** الجمعة/٢

ويوحيان ـ التوراة والانجيل ـ عليهم اتباعه حينما يبعث على ما جاء في آية سورة الأعراف هذه : **(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)** الأعراف/١٥٧ .

فكان موقفهم بسبب ذلك منه إيجابيا جدا عبرت عنه آيات عديدة في السور المكية تعبيرا قويا كما ترى في هذه

الآيات :

١ ـ **(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** الأنعام / ٢٠

٢ ـ **(افغير الله ابتغى حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)** الأنعام / ١١٤ .

٣ـ آية سورة الأعراف التي أوردناها آنفا .

وهذه الآيات كانت تتلى على ملأ من أهل الكتاب في مكة وغيرهم . وهي تؤكد ان صفات رسول الله مذكورة في التوراة والانجيل ، وأن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويعترفون بأن القرآن منزل من الله ، وقد اتبعوه وآمنوا به وعززوه ونصروه لمطابقة صفاته على ما في التوراة والانجيل . ولا يمكن أن يكون ذلك ـ ونقول هذا للمساجلة ـ إلا حقا وصدقا كل الحق والصدق .

٤ ـ **(فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)** يونس / ٩٤

وبعض المفسرين يقولون إن الكلام موجه للسامعين . وبعضهم يقولون ان الآية للتثبت والتطمين وليست لازالة التردد والمراء في نفس النبي لأنه لم يكن فيها شيء من ذلك . وعلى كل حال فان فيها امرا للنبي أو للسامعين بالاستشهاد بأهل الكتاب على صدق كون ما ينزل على رسول الله من قرآن هو وحي ورباني . وقد سجلت آية سورة الأنعام المذكورة في الرقم (٢) اعترافهم بذلك فتكون الآية للاستشهاد بهم مع اليقين بأن شهادتهم ستكون إيجابية ، وسورة الانعام سابقة في النزول لسورة يونس .

٥ ـ **(والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك)** سورة الرعد / ٣٦ .

وهذا يعني أنهم رحبوا بالنبوة المحمدية والقرآن وانضووا اليهما .

٦ ـ **(ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)** سورة الرعد / ٤٣ .

وفي الآية استشهاد بالاضافة الى إشهاد الله بالذين عندهم علم الكتاب . ولا يكون هذا الا باليقين بأنهم سيشهدون بصدق رسالة الرسول وقد آمنوا بها .

٧ ـ **(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)** سورة النحل / ٤٣ .

والخطاب موجه للمشركين الذين كانوا ينكرون ويستنكرون أن الله يمكن أن يبعث رسولا من البشر على ما حكته بعض الآيات ومنها آية سورة الاسراء هذه : **(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا)** / ٩٤ وطلبت منهم الآية أن يسألوا أهل الكتاب والذكر في القرآن يعني في بعض مقاماته (الكتاب) مع اليقين بأنهم سوف يشهدون أن رسالة الرسول حق

وصدق وقد آمنوا بها ...

٨ ـ **(قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)** .سورة الاسراء/١٠٧ ـ ١٠٩ .

وفي الآية مشهد إيماني رائع لأولى العلم بالقرآن وبالرسالة المحمدية . وفيها تحد قوى للمشركين .

٩ ـ **(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . اولئك يؤتون أجرهم مرتين بماصبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين)** سورة القصص / ٥٢ ـ ٥٥ .

والمتبادر أن الآية الأخيرة نزلت بسبب لوم زعماء المشركين للكتابيين وتوبيخهم لهم لايمانهم بالقرآن ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم حيث انطوى فيها رد عليهم بأنهم غير عابئين باللغو الذي يسمعونه وغير آبهين بالجاهلين .

ولقد روى بعض المفسرين بدون توثيق أن هذه الآيات مدنية . والآيات من سلسلة منسجمة في سورة مكية . والآية الأخيرة دليل حاسم على مكيتها . لأن توبيخ المؤمنين بالقرآن والرسالة المحمدية لا يكون الا في مكة ولا يمكن أن يكون في العهد المدني الذي كان السلطان فيه للنبي والاسلام .

١٠ ـ **(وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)** سورة العنكبوت /٤٧ .

١١ ـ **(قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)** الاحقاف/١٠ .

والخطاب في أول الآية للمشركين . وفيها تحد مشابه للتحدي في آيات الاسراء . فالشاهد الاسرائيلي العالم بالكتاب قد شهد بصدق القرآن والرسالة المحمدية وآمن . وإن كفرهم به لا تأثير له في الجوهر .

ـ ٦ ـ

والآيات تمثل مختلف أدوار التنزيل القرآني المكي . ولو كان من فرد أو اكثر من الكتابيين موقف سلبي تجاه القرآن والنبوة المحمدية لما تحرج القرآن المكي عن ذكره كما كان شأنه في إيراد كل ما صدر من المشركين والكفار في العهد المكي والعهد المدني معا من أقوال حتى ما كان منها سفيها فيه نسبة الكذب والافتراء ، والسحر والكهانة ، والشعر والاتصال بالجن والشياطين الخ ... مما هو مثبوت في السور المكية .

وفي هذا مصداق لما قلناه انه لم يكن في العهد المكي معركة بين أهل الكتاب والنبوة . حيث كان موقفهم إيجابيا كل الايجابية ، اندماجيا كل الاندماج ، تصديقيا كل التصديق ، غير عابيء بما يسمعون من تثريب أو يتعرضون له من أذى .

وهي شهادة عيانية عظمى للقرآن والنبوة ، وعلى صدق اعلام النبوة والقرآن وشمول رسالة الرسول وهدايته للناس جميعا كتابيين وغير كتابيين ، وعرب وغير عرب في ظرف كان النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته عرضة لأشد مواقف المناوأة والأذى . وكان المسلمون قليلين مستضعفين حتى لقد اضطروا الى ترك وطنهم الى الحبشة أولا ثم الى المدينة المنورة أخيرا . وكل موقف سلبي من الكتابيين خاصة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته والى يومنا هذا والى آخر الدهر بعد هذه الشهادة العيانية الرائعة من أولى العلم والكتاب هو باطل داحض . ومكابرة تدفع اليهما المنافع والمصالح والأنانية والانحرافات وسوء النية وعدم الاذعان للحق والصدق .

ـ ٧ ـ

ولقد كان عالم الجن مما يشغل جزءا كبيرا في أذهان البشر على اختلاف أجناسهم وأقطارهم وأديانهم ومن الجملة أذهان أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد ردد القرآن ذلك كثيرا . وكان من العرب من يعوذون بالجن ويتعبدون لهم تفاديا من اذاهم وشرهم ، وكان لهم في أذهانهم صورة من القوة والقدرة على الأعمال الخارقة من صعود الى السماء ، وتسمع أخبارها ، وغوص في البحار ، وبناء جسم المدن والمنشآت ، واحتلال أجساد البشر وصرعهم ، والوسوسة لهم وإيذائهم أشد الأذى ، وإغوائهم واستهوائهم وخطفهم . كما كان الناس والعرب منهم يعتقدون انهم كانوا أمما مختلفة . وعلى أديان ونحل وطرائق متنوعة مما أشارت اليه آيات قرآنية مكية كثيرة لا يتسع المقال لايراد نصوصها ويستطيع القارىء أن يقرأها من المصحف ونكتفي بايراد ارقامها وسورها كما يلي : (الأنعام : ٧٠ و١٠٠ و١١٢ و١٢٨ ـ ١٣١ ـ والأعراف ٢٧ و٣٨ والحجر ١٧ و١٨ و٢٦ و٢٨ والاسراء ٦١ ـ ٦٤ والكهف ٥٠ ـ ٥١ والأنبياء ٨١ ـ ٨٢ وسبأ ١٢ ـ ١٤ و٤٠ ـ ٤١ ـ والصافات ٦ ـ ١٠ و١٥٨ ـ ١٥٩ وص ٣٤ ـ ٣٨ و٤١ والرحمن ١٤ ـ ١٥ و٣١ ـ ٣٦ والجن ١ ـ ١٥) . فاقتضت حكمة التنزيل أن يوحي الى النبي بآيات سورة الجن هذه : **(قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جد ربنا مااتخذ صاحبة ولا ولدا)** الجن /١ـ٣ وبآيات سورة الأحقاف هذه : **(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه**

قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين .قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) الاحقاف/ ٢٩ ـ ٣١ .

وتفيد الآية الثالثة من آيات الجن والله أعلم أن الجن الذين يحكي عنهم ما جاء في الآيات هم على النصرانية المعتقدين ببنوة المسيح لله وكون الله قد نفخ من روحه في فرج أمه فولدته له فصارت بمثابة صاحبة له . كما تفيد آيات الأحقاف أن الذين تحكي قولهم هم على الديانة الموسوية والتوراة .

وتبدو خلال ذلك حكمة التنزيل بايذان سامعي القرآن وبخاصة المشركين أن دعوة النبي قد شملت الانس والجن معا ، وأنه كما استجاب لها من كان في مكة من أهل الكتاب من يهود ونصارى استجاب اليها وآمن بها يهود من الجن ونصارى من الجن ايضا الذين لهم في أذهان السامعين ما لهم من صورة ضخمة .

ونقف عند حد ما جاء القرآن الذي هو من المتشابهات بدون تزيد ولا تكلف ونستشف منه الحكمة التي نرجو أن تكون هي ما ذكرناه . ونقول آمنا به كل من عند ربنا .

ـ ٨ ـ

وفي سورة العنكبوت والشورى المكيتين آيات قد تبدو في ظاهرها مناقضة لما نقول من أنه لم يكن للكتابيين موقف سلبي في العهد المكي . غير أن التروى فيها يزيل الاشكال . ففي السورة الأولى هذه الآيات **(اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون . ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين أتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)** العنكبوت/ ٤٥ ـ ٤٧ .

والآية الثانية هي التي نقصد . وقد احتوت أمرا بصيغة الجمع بعدم مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وأمرا بنفس الصيغة بقوله لهم ما جاء في الآية . وقد يفيد هذا ظاهرا أن من أهل الكتاب من جادل وبالتالي من لم يؤمن . غير أن الامعان في الآيات الثلاث يفيد شيئا آخر هو المتفق مع ما جاء في القرآن المكي من تسجيل إيمان الكتابيين جميعا في الآية الأولى بصيغة المفرد وفيه خطاب للنبي .

والآية الثالثة كذلك . ويتبادر لنا ما دامت الآية الثالثة تسجل إيمان أهل الكتاب بدون استثناء أن الآية الثانية موجهة الى النبي والمسلمين معا كخطة ربانية تجاه أهل الكتاب عامة دون أن يكون فيها صراحة قطعية بأن ما

حكته كان واقعا من أهل الكتاب ومن المسلمين .

ونأتي الآن الى آيات سورة الشورى وهي : **(شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير)** الشورى/ ١٣ ــ ١٥ .

والآية الأولى عامة ... وفي الثانية اشارة الى تفرق الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم تقريرا لواقعهم الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ممتدا الى ما قبله في مختلف الأنحاء التي هم فيها . ثم خطة موجهة للنبي والمسلمين مماثلة للخطة التي في الآية الثانية من سورة العنكبوت . وليس فيها شيء صريح أو ضمني يفيد وقوف فريق من الكتابيين في مكة موقفا سلبيا من الرسالة المحمدية والقرآن ، ثم فيها أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالاستمرار في دعوته ، والاستقامة عليها ، وعدم اتباع أهواء المتفرقين بصورة عامة كخطة للنبي صلى الله عليه وسلم . وتفرق أهل الكتاب بغيا بينهم أشير إليه في آيات مكية أخرى منها آية سورة الجاثية هذه : **(فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)** الجاثية/١٧ و ١٨ وآية سورة النمل هذه : **(إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون)** النمل/٧٦ وآية يونس هذه : **(فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)** يونس/٩٣ .

ـ ٩ ـ

وليس هناك أي رواية تذكر أن أحدا من الكتابيين كان موجودا في مكة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة الى المدينة أو حينما تم فتح مكة فيصبح تقرير كون كل الكتابيين في مكة قد استجابوا للدعوة واندمجوا فيها ، ومنهم من تعرض في سبيل ذلك للأذى الشديد مما ذكرته الروايات صحيحا صادقا كل الصحة والصدق . ويلفت النظر الى ما في الآيات من جمع شامل : **(الذين آتيناهم الكتاب)** و **(الذين أوتوا العلم)** حيث يكون فيها دلالة أيضا على كون الاستجابة كانت تامة بدون اي استثناء والحمد لله رب العالمين .

الحياد
سمة التشريع الجنائي الاسلامي

للدكتور : احمد علي المجدوب

للتشريع الجنائي الاسلامي سمات كثيرة يتميز بها على القوانين الجنائية الوضعية ، إلا أن الحياد يعد أهم هذه السمات . خاصة بعدما تبين أخيرا من الدراسات التي أجريت والمناقشات التي ثارت في الندوات والمؤتمرات وقاعات البحث ، ان الموضوعات التي كانت تعد في الماضي ذات أهمية قصوى ، مثل مبدأ المساواة أمام القانون ، ومبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، ومبدأ عدم رجعية القوانين الجنائية وغيرها من المبادئ التي كانت تستحوذ على اهتمام الفقهاء ورجال القانون والقضاء ، بل وعلماء الاجتماع والسياسة وغيرهم ، لا أهمية لها بالمرة طالما أن القانون يفتقر الى الحياد ، فبدون حياد حقيقي يعجز القانون عن بلوغ هدفين أساسيين من الأهداف التي وضع من أجلها وهذين الهدفين هما : العدالة والمساواة ، حتى مع النص فيه على المبادئ التي أشرنا إليها .

وعلى الرغم من أن مشكلة حياد القانون الجنائي ليست جديدة ، وانما هي مشكلة قديمة قدم القانون الوضعي ذاته ، إلا أنها لم تظهر إلا في وقت متأخر بالقياس إلى الوقت الذي ظهرت فيه مشكلات أخرى أقل أهمية بكثير من مشكلة الحياد . ولعل ذلك يرجع إلى مسألة ترتيب الأولويات ففي أول الأمر كان اهتمام رجال التشريع والفقهاء ورجال القانون والمفكرين منصرفا إلى صياغة المبادئ الفلسفية التي تتكلم عن الحرية والعدالة والمساواة والتي سبق أن نادى بها الفلاسفة أمثال روسو ، ومونتسكيو ، وفولتير ، وغيرهم ، في نصوص تتضمنها القوانين الوضعية .

وبطبيعة الحال فقد رحب الناس على اختلاف مذاهبهم بهذا الاتجاه ، وأيدوه باخلاص اعتقادا منهم أنه إيذان بانقضاء عهد كان الظلم فيه هو القاعدة ، والعدل هو الاستثناء . فالقوى سواء أكانت قوته تكمن في ماله ، أم في جاهه ، أم في سلطانه دائما على حق ، ولذلك فان العدالة ممثلة في القانون تقف في صفه ضد

الضعيف سواء أكان ضعفه يكمن في فقره أم يرجع الى افتقاره الى الجاه أم بعده عن السلطان . وهكذا انعدمت المساواة أمام القانون ، فالضعيف هو وحده الذي يخضع له دون القوي مما جعل المساواة تنحصر في إطار خضوع الأغلبية الضعيفة للقانون وعدم خضوع الأقلية القوية له .
وكان أهم ما يشكو منه الناس هو عدم وجود قانون ثابت ومحدد ومعروف للكافة ، يحدد لهم سلفا ما يعد جريمة ، وما لا يعد كذلك . فقد كان الحكام يعاقبون على الأفعال دون أن يكون هناك قانون سابق يجرمها .
كذلك كانوا يصدرون القانون اليوم ليطبق على أفعال وقعت بالأمس ، كما كانت القوانين تصدر وتطبق دون أن يتم إعلام الناس بصدورها ، فكانوا يفاجأون بها تطبق عليهم .
لذلك فانه لما تمخضت دعوات المفكرين والفلاسفة والفقهاء عن وضع القوانين التي تنص على المبادىء المشار إليها قوبل ذلك بالترحيب والتأييد والسرور البالغ الناشىء عن إحساس الناس بأنهم لن يؤخذوا على غرة ، بعد أن التزم الحكام بمبدأ عدم تجريم فعل أو العقاب عليه إلا إذا كان هناك قانون سابق يقضي بذلك ، وهو ما يسمى بمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات . وعدم تطبيق القوانين التي تجرم فعلا على فعل مماثل وقع قبل صدورها وهو ما يسمى بمبدأ عدم رجعية القوانين وهكذا .
ومع ذلك فان هذه المبادىء التي توصلت إليها عقول المفكرين ، وصاغها الفقهاء والمتشرعون في نصوص قانونية لم تكن بالشىء الجديد ، فقد سبقت إليها الشريعة الاسلامية بالآيات التي نصت على أنه لا يعاقب على أفعال قبل صدور القوانين التي تحرمها واعلام الناس بها بواسطة الرسل : **(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء/١٥ . **(وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا)** القصص/٥٩ وقوله تعالى : **(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)** النساء/١٦٥ . ولا يعاقب على الأفعال التي وقعت في وقت سابق على التجريم : **(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون)** البقرة/١٣٤ وغير ذلك من المبادىء التي جاءت بها الشريعة الاسلامية ولم تعرفها القوانين الوضعية إلا أخيرا ، مثل مبدأ شخصية العقوبة ، ومبدأ « الشك يفسر لصالح المتهم » ، ومبدأ الضرورات تبيح المحظورات « حالة الضرورة » إلا أنه لم تكد تنقضي فترة زمنية قصيرة على صدور القوانين الوضعية متضمنة المبادىء المشار إليها ، حتى بدأ الناس وبالذات علماء القانون والاجتماع والسياسة والاقتصاد يدركون أن تلك المبادىء ليست كل شىء ، بل أدركوا بالأحرى أنها ليست شيئا بالمرة بدون المبدأ الأهم والأخطر ألا وهو حياد القانون ، أى عدم تحيزه لفئة أو

طبقة ، او جماعة في المجتمع . لأنه بدون هذا الحياد بين الفئات والطبقات والجماعات يصبح القانون غير عادل ، ويفتقر إلى المساواة ، حيث يقدم مصلحة فئة أو طبقة أو جماعة على مصلحة المجتمع كله .
وعندئذ ظهرت مشكلة أخرى مختلفة تماما . هذه المشكلة هي : من الذي يضع القوانين ؟ هل هي السلطة التنفيذية . أو السلطة القضائية ؟. وكيف نضمن أن تراعى إحداهما مصالح المجتمع ؟ أو أنه يجب أن توكل مهمة وضع القوانين إلى سلطة تختص بوضع التشريع ، وبالتالي تسمى السلطة التشريعية ، يتم اختيار أعضائها بطريقة تكفل تمثيلهم لفئات الشعب المختلفة ، وتراعى عند وضعها للقوانين توفير الحماية بقدر يتناسب مع أهمية كل فئة ومصالحها مع الأخذ بعين الاعتبار المصلحة العامة للمجتمع .
وهو ما أدى إلى إثارة مشكلات أخرى شديدة التعقيد تتعلق بكيفية اختيار أو انتخاب أعضاء السلطة التشريعية . وما هو السبيل إلى كفالة تمثيلهم للفئات المختلفة بحسب نسبة كل منها إلى إجمالي المجتمع . وما هي الشروط التي يجب أن تتوفر فيهم . وما علاقتهم بالسلطتين الأخريين ، أى التنفيذية والقضائية ؟.
وعلى الرغم من كل ما بذله علماء القانون وفقهاؤه من وقت وجهد في وضع النظريات ، وصياغة المبادىء ! وتقعيد القواعد التي تنظم الأوضاع المشار إليها ، وتكفل في النهاية قيام السلطة التشريعية بوظيفتها على خير وجه ، بحيث تصدر قوانين مستوفية لشرط الحياد . إلا أن ذلك لم يتحقق بأى شكل من الأشكال . بل لعل تحيز القوانين أصبح هو القاعدة وحيادها هو الاستثناء . واذا كانت هناك حقيقة يتفق بشأنها العلماء في الشرق والغرب على السواء ، فهي التي تتعلق بتحيز القوانين مع اختلاف في المبررات . فالماركسيون وإن كانوا يعترفون بأن القانون المطبق في الدول الشيوعية هو قانون الطبقة « البروليتاريا » . الا أنهم يبررون ذلك بأنه من مقتضيات المرحلة لا أكثر ، وانه عندما تستقر الأوضاع بانتصار الماركسية في العالم أجمع فسوف تزول قوانين الطبقة ، بل القوانين كلها ، لأن الناس سيتخلصون من الحاجة إلى قوانين تنظم العلاقات فيما بينهم ، حيث سيسود الرغد وتتوفر السلع ، إلى درجة تقضي على أى فرصة لوجود الصراع أو قيام المنافسة من أجل المسكن أو المأكل أو الملبس أو الجنس .
وهو كما نرى زعم نظري خيالي يفنده الواقع العملي والتجربة الفعلية فضلا عن ضعفه الشديد الذي يجعله يتهاوى أمام أى نقد علمي موضوعي سليم .
في حين أن كثيرين بين علماء الغرب ومفكريه ، ولا نقول كلهم ، يعترفون ، بل ويرددون اعترافهم في كل ما يكتبونه بأن القوانين المطبقة في المجتمعات الغربية ليست محايدة بأي

حال من الأحوال ، بل هي متحيزة لفئة من الناس تتكون من محترفي السياسة ورجال الاقتصاد والمال ومن يدور في فلكهم ممن ترتبط مصالحهم بمصالحهم ولا نقصد بالقوانين المتحيزة قوانين الاقتصاد والمال والتجارة وغيرها بل نقصد بها القوانين الجزائية أو قوانين العقوبات أى القوانين التي تحدد الأفعال المعاقب عليها والجزاءات التي توقع على من يرتكبون هذه الأفعال . فالسلطة التشريعية الخاضعة لنفوذ تلك الفئة تصدر تشريعات تجرم فيها أفعالا لا يعد تجريمها متعارضا مع مصالح الفئة المسيطرة ، بينما تدع أفعالا أخرى مباحة على الرغم مما تنطوي عليه من أخطار أو يترتب عليها من أضرار تصيب المجتمع لأن إباحتها تتفق مع مصلحة هذه الفئة .

فبيع الأسلحة النارية وحيازتها لا يعد عملا غير مشروع ولا يخضع لأي ضوابط على الرغم مما يترتب عليه من ارتفاع مستمر في معدلات جرائم القتل والجرح والسطو المسلح وغيرها . لأن أصحاب مصانع السلاح وتجار الأسلحة يرون أن فرض قيود على بيع الأسلحة وحيازتها فيه إضرار بمصالحهم فيجب ألا يصدر قانون ينظم هذه الأمور حتى ولو كان نلك يتعارض مع أمن المجتمع واستقراره .

وكذلك بالنسبة للبغاء والشذوذ الجنسي وأفلام الجنس وكتبه ومجلاته وأنديته فهي جميعا تعد مصدرا خياليا لأرباح تفوق الوصف لفئة من الناس ، فهم يجندون الكتاب ويشترون بعض المفكرين بمئات الألوف من الدولارات والجنيهات الاسترلينية لكي يكتبوا عن حرية الفرد في أن يفعل ما يشاء بجسمه طالما أنه لا يسيء إلى غيره ويسوقون مبررات أبعد ما تكون عن العقل والمنطق لاقناع الناس بأن حرية الفرد يجب أن تكون مطلقة لا ترد عليها أي قيود لصالح المجتمع . وهكذا أباحوا الشذوذ الجنسي والعلاقات الجنسية واعترفوا للشواذ بالحق في المجاهرة بشذوذهم والاعلان عنه في مجلات وكتب وأفلام ومسرحيات تعود أرباحها إلى تلك الفئة التي تتدخل في عملية التشريع فتفقد القانون حياده .

وما قيل عن الجنس يصدق على المخدرات التي استشرى تعاطيها في المجتمع الغربي وخاصة في محيط الشباب ولكن كلما حاولت الأصوات المخلصة أن ترتفع محذرة ومنذرة باغتتها الأصوات المأجورة مدوية تندد بها لتدخلها في حرية الفرد واستقلاليته وهو ما لا يجوز للمجتمع أن يفعله .

ويقول الباحث الأمريكي جوزيف جارفيليد : إنه حين يكون المنحرفون جماعة صغيرة تفتقر إلى القوة السياسية ، فانها لا تستطيع أن تحمي نفسها بواسطة التأثير في عملية التشريع بتوجيهه وجهة معينة ، أما حين يكون نوع من الانحراف متفشيا في جماعة صغيرة ولكنها ذات قوة سياسية ملحوظة فانها تستطيع أن تؤثر في القانون وتوجهه الوجهة التي

تريدها ، تماما مثلما حدث في انجلترا بشأن مشكلة الشذوذ الجنسي ، حيث تبين مما نشرته الصحف أن عددا من أعضاء اللجنة التي شكلت للنظر في عدم تجريمه واضفاء صفة الشرعية على العلاقات الجنسية التي تقوم بين شخصين من نفس الجنس ، كانوا من المصابين بالشذوذ الجنسي (المثلية الجنسية) .

والملاحظ أن مشكلة حياد القانون الجنائي تزداد تعقيدا مع اطراد التقدم الحضاري ، فهي لم تعد كما كانت بالأمس مسألة سلطة تشريعية تتوفر في أعضائها شروط معينة أو تخضع في علاقاتها بالسلطتين الأخريين لضوابط محددة وإنما أصبحت مسألة صيرورة هذه السلطة هدفا سهلا لمجموعة من المؤثرات التي يراد بها جميعا تجريد السلطة التشريعية من حيادها ودفعها إلى التحيز إلى هذه الفئة او إلى تلك باستخدام عدد من الأسلحة التي لا يخيب تأثيرها مثل المال والنساء والجاه وفي بعض الأحوال التهديد بالفضيحة إذا استلزم الأمر . من أجل إصدار قوانين تجرم أفعالا قد لا تقتضيها مصلحة الغالبية أو إسقاط صفة التجريم عن أفعال فيها إضرار بالمجتمع وهو ما جعل بعض علماء الاجرام يقولون : إن تفسير السلوك الاجرامي لا يجب أن يعتمد على الفروق الفردية بين الأفراد سواء أكانت فروقا تكوينية أم مكتسبة نظرا لأن الجريمة أصبحت ظاهرة سياسية وفقا لها يوصف بعض السلوك بأنه إجرامي وبعض الناس بأنهم « مجرمون » أو « منحرفون » أو « مرضى » ويقول وليم شمبليس : « إن دراسة الجريمة أصبحت ببساطة لا تهتم بالاختلافات الاجتماعية النفسية بين « المجرمين » و « غير المجرمين » ولكنها أصبحت دراسة نسقية للقانون الجنائي باعتباره نظاما حتى يتم من خلاله عمل القرارات السياسية الأساسية والتي يكون من نتائجها النهائية تعريف بعض السلوك بأنه إجرامي وبعض الناس كمجرمين » ويستطرد قائلا : إن القول بأن الجريمة ظاهرة سياسية يبرز مشكلة الجريمة في صورة جديدة فبدلا من أن يكون السؤال : لماذا يرتكب بعض الناس الجرائم والبعض الآخر لا يرتكبها ؟ يصبح السؤال هو : لماذا توصف بعض الأفعال بأنها إجرامية بينما لا يوصف البعض الآخر كذلك ؟ وبدلا من أن نسأل : لماذا ترتكب الجرائم غالبا في هذا الجزء من المدينة أكثر مما ترتكب في ذلك الجزء ؟ فاننا نسأل : لماذا تقوم الهيئات والمنظمات الموكول إليها بتطبيق القانون باجراء عمليات قبض على الأشخاص « هنا » أكثر مما تجريه « هناك » ؟!

وهكذا وضع هذا الباحث يده على أساس المشكلة وهو افتقار القانون إلى الحياد وانحيازه السافر إلى فئة من المجتمع دون بقية الفئات ، ليس في مرحلة التشريع فحسب ، بل وفي مرحلة التطبيق أيضا .

ولقد انتقلت إلينا هذه المشكلة ضمن

ما نقلناه إلينا من مشكلات عندما استعرنا من الغرب قوانينه وتشريعاته وأصبحنا نبحث بدورنا عن حل لمشكلة انحياز القانون بينما أن الحل بين أيدينا وتحت نظرنا أى في التشريع الاسلامي الذي لا يمكن وصفه بالانحياز لسببين : أولهما : أنه من عند الله سبحانه وتعالى الذي يستحيل تصوره طرفا له مصلحة في كون التشريع على هذه الصورة أو على تلك ، فهو يوجه خطابه إلى الناس كافة فيبين لهم الحلال من الحرام ثم يدع لهم الخيار ولن يضيره أن يسلك زيد من الناس سبيل الطاعة أو يسلك بكر سبيل المعصية فكل محاسب على ما سوف يفعل ، دون أن يزيد ذلك أو ينقص في ملك الله شيئا .

وثانيهما : أن تشريع الله سبحانه وتعالى بما فيه من أوامر أو نواه تبدو فيه مصلحة الناس واضحة فالأمر بالمعروف يحقق الخير للفرد وللجماعة والنهي عن المنكر مهما قلت درجته أو تضاءلت قيمته يحمي الفرد والجماعة من الشرور والهلاك ، وفضلا عما نعانيه اليوم من مساوىء الانحلال الجنسي وما نشاهده من أضرار الخمور والمخدرات مما تتضمنه الاحصاءات الخاصة بالجرائم التي ترتكب تحت تأثيرها فان الله سبحانه وتعالى قد بين لنا في كتابه العزيز مصائر الأمم والمجتمعات التي سلكت هذا السبيل ونهجت ذلك النهج وكيف كان مآلها الهلاك والدمار واذا كانت حجتنا في عدم استيعاب تلك الدروس طول العهد بيننا وبين تلك الأمم فما بالنا والدراسات الأقرب عهدا للحضارات التي سبقتنا مباشرة كالحضارة الساسانية في فارس والحضارة الرومانية في روما ثم القسطنطينية تبين لنا بكل جلاء أن الانحلال الأخلاقي لشعوب هاتين الحضارتين كان العامل الأول والأهم في سقوطها ثم دمارها على أيدي أمة صغيرة بينها وبين المستوى الحضاري المادي الذي بلغته هاتان الحضارتان بونا شاسعا ولكنها تفوقت عليهما بتقدمها الحضاري المعنوي المتمثل في عقيدة صحيحة وتشريع محايد لا يحابي فئة على حساب فئة ولا يميل إلى فريق لمصلحة فريق ، ولا يمالىء الأغلبية لمجرد كونها أغلبية بل إنه يصم هذه الأغلبية في بعض الأحوال التي تنقاد فيها لشهواتها بالضلال : **(وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)** الأنعام/ ١١٦ ولا يقر لفئة بالفضل أو يمنحها وصفا متميزا تتسلط به على التشريع وإنما يضع معايير موضوعية خالصة إذا توفرت في فئة كانت هي الأقرب إلى الله أى الأتقياء أو أهل التقوى ، وهؤلاء بعكس من يسمون في الفكر السياسي الحديث بأهل الصفوة يتحملون أعباء ينوء بها غيرهم ولا يحصلون على مزايا دنيوية وإنما ثوابهم كله في الآخرة .

فهل آن لنا أن نستوحي ديننا الحنيف حلولا نواجه بها مشكلاتنا ومن بينها بل وفي مقدمتها مشكلة حياد القانون ؟!

عبر مستلهمة من غزوة حنين

للدكتور حسن فتح الباب

قطعت الدعوة الاسلامية شوطا كبيرا بفتح مكة وإذعان قريش لسلطان المسلمين بعد مكابرة عنيدة ، وصد عن سبيل الله ، وإفساد في الأرض بلغ حد إشهار السيف في وجه النبي وأصحابه تهديدا لهم ، ثم شن الحروب الضارية عليهم تريد أن تقتحم عليهم المدينة لتخضعهم لجبروتها ، ولتوقف مسيرة العقيدة الجديدة وتخمدها في مهدها . ولكن نصر الله كان عظيما ، فخرج الحق من صراع الباطل قويا رافعا رايته المقدسة على ذرى مكة معقل المشركين ومجمع مصالحهم .

وانطلق بلال يؤذن للصلاة في البيت الحرام . واشرقت الأرض بنور ربها وانتصر المستضعفون فيها ، وتطهرت قلوب الرجال في بلد كانت تعبد الحجارة من دون الله . وغمر البشر وجوه المؤمنين وفاضت بالأمن والسكينة قلوبهم . وانصرف الرسول الكريم ، وهم من حوله : ينظم شئون الدولة الناشئة ، ويفقه رجاله في الدين ، ويرسى دعامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وما كان أعظم لقاء المهاجرين بآبائهم وأبنائهم وإخوتهم وذوي قرباهم ممن تركوا في مكة في أيام وليال عصيبة بلا وداع ، مضحين في سبيل العقيدة العصماء بوشائج القربى وروابط الانتماء ، ناجين بما آتاهم الله من نعمة الاسلام ، مؤثرين ضياء العقل والوجدان على عرض الحياة الدنيا . لكم قرت عيونهم ، وطابت نفوسهم ، بالعودة الى الموطن الأم كرماء منصورين بعد أن كانوا قلة تعصف بهم رياح الشرك وتستبد بهم ظلمات الجهلاء .

العدوان يطل برأسه :

بيد أن العدوان الذي قضى عليه في مكة ، قد بدا يطل برأسه من حولها عاديا متحديا ، ذلك أن قبيلة هوازن ــ وكانت تقيم في الجبال المحيطة بمكة في جنوبها الشرقي ــ ظلت على شركها مستعزة بجاهليتها لائذة بأصنامها . فلما بلغها فتح المسلمين مكة خشيت ان يدركها ما أدرك قريشا فتفقد نفوذها وتضعف شوكتها . هناك بادرت الى حشد قواها تناصرها قبائل ثقيف ونصر وجشم وقد اجتمعت على القتال ، وبلغ من حماسها لخوض الحرب وفزعها

من قوة المسلمين في نفس الوقت أن محاربيها قد ساروا الى ساحة الوغى يسوقون معهم نساءهم وأطفالهم وأموالهم حتى يستميتوا في المعركة دفاعا عن العرض والمال والنفس .

اعتصام هوازن بقمم حنين :

وعقدت هوازن راية جيشها لمالك بن عوف النصري قائد ثقيف فوضع خطته على أساس الاعتصام بمرتفعات جبل حنين والترصد للمسلمين حتى اذا نفذت جموعهم من واديه انقض عليهم المحاربون تحت إمرة مالك بالسهام والنبال مطبقين عليهم من قمم الجبل كأنهم القضاء المحتوم ، فيستولى عليهم الذعر ويتشتت شملهم ويولون الأدبار مثخنين بالجراح .

وتمت الخطة المرسومة كما أعدها مالك ، وصحت توقعاته في مبدأ الأمر ، اذ انطلق جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت قيادته ، ولما يمض غير اسبوعين على المقام في مكة ، وكان جيشا لم يحتشد للمسلمين مثله من قبل اذ بلغت قوته اثني عشر ألفا من المقاتلين الأشداء الذين فتحوا مكة . وكانت تلك الوفرة في العدد والعدة مثار فخار الجنود وعزتهم وباعثا على تحفزهم وحماستهم وثقتهم في النصر المبين . وكيف لا تزخر جوانحهم بالبشر والاعجاب ، وقائدهم رسول الله ! وفيهم كبار الصحابة وبينهم خالد بن الوليد .

مفاجأة في بكرة الفجر :

وفي وادي حنين نزل الجيش العظيم في مساء يوم من أيام التاريخ الخالدة . وكانت ساعة الصفر في بكرة الفجر ، ولم يكد يتحرك زاحفا في أعماق الوادي حتى ناشته نبال العدو من كل جانب كأنها المطر المنهمر لا يستطيع لها دفعا . فدب الذعر في النفوس من هول تلك العاصفة المفاجئة ، وتفرق الجميع وولى من ولى من المسلمين بعد أن أخذت هوازن زمام المبادرة ، وملكت القدرة على الحركة واستغلت الموقع الاستراتيجي الحصين ، والوقت المناسب لها وهو بكرة الفجر التي تختلط فيها المرئيات . وبلغ من فرط ما أصاب المسلمين في تلك العملية أن أبا سفيان بن حرب وكان قد أعلن الاسلام عند الفتح ولما يدخل الايمان قلبه وسار في جيش رسول الله ـ قال متشفيا : « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر » وقال منافق آخر هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وكان أبوه قد قتل في غزوة أحد : « اليوم أدرك ثأري من محمد » . وقال ثالث من أهل النفاق والرجعية : « هو كلبة بن ضبل » « ألا بطل السحر اليوم » فرد عليه أخوه صفوان : « اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربني ـ يقودني ـ رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن » .

ثبات الرسول في موقعه :

وكان موقفا عصيبا واجهه محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم مواجهة قائد مناضل عظيم . فلم تكن هذه أول محنة في تاريخ الرسالة ، فمن قبلها كانت أحد وكان النصر في أعقاب الهزيمة . والاسلام دين الثبات في الشدة والمقاومة حتى آخر نفس ، وكل نفس ذائقة الموت ، والموت حق ، والله قد وعد الشهداء بالجنة خالدين فيها أبدا ، فليثبت المسلمون وليفتدوا دينهم بأرواحهم فان لهم عند الله منزل صدق . وما نفع الحياة اذا عادت دولة الجاهلية وظفرت عصابة الافك والبهتان ، وغلب الاستبداد الحرية ، وانتصر الذل والمهانة على العزة والكرامة ، والجهل على العلم ، والظلم على العدالة !

لقد جابه النبي العدو ثابتا لا يتزحزح عن موقعه ، وحيدا الا من قلة من المهاجرين والأنصار حوله ، ووقف وما في الموت شك لواقف ، ضاربا بذلك أعظم المثل للمسلمين ممن صاحبوه ، والذين يأتون من بعده في البطولة الخارقة ، والروح القوية المؤمنة ، والارادة الصلبة التي تستهين بالخطر دفاعا عن قضية الحق للبشرية كلها ، ونادى جنوده وهم يمرون أمامه مولين لا يلوون على شئ : « أين أيها الناس » ! ولم يلبث حين رأى تفاقم الخطب بعد ارتداد المسلمين ان حزم أمره على الاندفاع بنفسه وسط المعمعة لولا أن أدركه أبو سفيان بن الحارس بن عبد المطلب فحال بينه وبين اقتحام صفوف العدو الهادر كالموج .

عودة الروح :

وكان لهذه المواجهة أثرها العميق في نفوس المسلمين ، فسرت فيها من نفس رسول الله روح الفداء والتضحية فعادوا الى المعركة يفدون قائدهم الحبيب ، ويدافعون عن عقيدة الحق والحرية والكرامة ، فالموت أحب اليهم من أن تهزمهم فلول الشرك الذي سقطت رؤوسه في مكة . واندفع الأبطال الى ساحة القتال في مقاومة باسلة وقوة معنوية عارمة جعلت الواحد منهم يعدل عشرة بل مائة . وعلا صوت النبي يحفزهم الى مزيد من الاستبسال ويذكرهم بالجزاء الأوفى . وارتفع هتاف العباس بن عبد المطلب : « يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا . يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة . إن محمدا حي فهلموا !! وثارت الحمية في صدور المؤمنين ورددت الأرض والسماء أصداء النداء » .

ولاحت بشائر النصر القريب عند مطلع أول خيوط الشمس . ومال ميزان القوى لصالح الاسلام وجنوده . فقد استردت القلوب ثقتها وأعاد صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها ذكريات الماضي ، ذكريات النصر بعد الصبر والعزة بعد الصمود ، والوفاء بما عقدوا من عهود ، وتطلعت الى المستقبل المأمول ، مستقبل العقيدة الالهية الحقة ، ودولة المؤمنين الصادقين في الجهاد وما كتب للمستشهدين في سجل الخلود .

النصر أو الشهادة :

وكبت أصحاب الجحيم حين رأوا المسلمين يهاجمونهم بقلوب لا تتهيب الموت بل تطلبه ، ولا تخشى الكثرة بل يزيدها ذلك إصرارا على الثبات ، وتزايد عدد المقاتلين من المسلمين فأصبحت العشرات الصامدة مئات ، ثم أصبحت المئات آلافا بينهم محمد رسول الله . ودب اليأس في النفوس المحتمية بالعدد والعدة ، المستنصرة بالباطل والمستعزة بغير الله ، المتطلعة الى المال والبنين . ودارت عليها الدائرة وردعها اقتحام المسلمين غمرات الموت صفوفا متراصة كأنهم جبل عملاق ينقض عليهم وهم لا يملكون من أمرهم شيئا ، فغشاهم الفزع ، وتخاذلت أقدامهم عن حملهم ، وعجزت أيديهم عن امتشاق السيوف ، فسارعوا الى الفرار فرادى وجماعات ناجين بأنفسهم مضحين بأعراضهم وأبنائهم وأموالهم .

الآن حمي الوطيس :

وكلما ازداد جند الرسول واستهانوا بالموت ازداد المشركون رعبا وخارت عزائمهم ، وأدركوا أن استغلالهم فرصة الظلام لم يجدهم شيئا ، فها هو النهار قد غمر المعركة بأنواره ، فذهبت الغشاوة عن عيون المسلمين ، وأصبحوا أمامهم وجها لوجه . وها هو محمد صلى الله عليه وسلم ما زال يقودهم ويبعث فيهم رؤيته وهتافه بهم قوة لم يعتدها البشر من قبل . وها هم الأنصار يعلو نداؤهم بعضهم لبعض : « يا للأنصار ــ يا للخزرج » . ويطمئن رسول الله وقد أجيب دعاؤه فعاد المسلمون يوجهون أشد الضربات الى أعداء الله فارتفع صوته قائلا : « الآن حمي الوطيس . إن الله لا يخلف رسوله وعده . ثم تناول حفنة من الحصى ملقيا بها في وجوه الأعداء قائلا : شاهت الوجوه ؟» .

مصير محتوم :

وبدا المصير المحتوم مجسدا في عيون المشركين ، فجدوا في الفرار ، والمسلمون وراءهم يطاردونهم هاتفين : (الله أكبر ، الله أكبر) وها هوذا النبي الكريم يتحقق على يده النصر العزيز من الله بما صابر وناضل . وها هم أولاء يصدقون ما عاهدوا الرسول عليه . وها هي القيم الاسلامية التي ثبتها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم تحبب اليهم الظفر باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة . اما العدو فقد حقت عليه لعنة الهزيمة بما غوى وأفسد وبغى في الأرض .

درس أحد :

ورغم كثرة الغنائم التي تركتها هوازن وثقيف في انسحابها ، فقد أوغل المسلمون في تعقب العدو دون أن يشغلوا أنفسهم بالاستيلاء على هذه الغنائم ، مستفيدين من درس غزوة

أحد . ولم يزالوا في مطاردتهم أعداءهم حتى أدركوهم في أوطاس فأجهزوا على البقية الباقية منهم وأوقعوا بهم هزيمة مرة ، ثم انصرفوا الى ما خلفوا من أموال وذخائر يستولون عليها ، وكان الرسول قد أعلن أبان المعركة حفزا لهم على القتال أن من قتل مشركا فله سلبه .

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة :

وكتب النصر لجيش الحق وزهق الباطل . وصدق الله العظيم : **(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم . يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم) .** التوبة/ ٢٥ ـ ٢٨ .

دروس مستلهمة :

والدروس التي نستلهمها من هذه المعركة تفتح أعيننا على طريق النصر ومتطلباته . فقوة العقيدة التي وهبها الله لرسوله كانت الدافع الأكبر الى ثباته . والتعبئة الروحية التي أودعها ، صدور رجاله من طريق القول المطابق للعمل ، ورعايتهم واقامة العدل بينهم ، والارتفاع بمستواهم الفكري والخلقي وفقا لمنهج الشريعة القويم كانت الباعث الى عودتهم الى ساحة الحرب واستماتتهم في مقاتلة العدو .

والقدرة على مغالبة المحنة التي منوا بها حين انقضت عليهم هوازن في عملية الصبح فقتلت منهم الكثيرين ، أنكيت في قلوبهم بفضل تجارب المقاومة التي اكتسبوها خلال صراعهم الطويل وجهادهم الدائب في سبيل العقيدة . والحوافز التي أثارها النبي في نفوس أصحابه كان من شأنها رفع روحهم المعنوية وإصرارهم على الانتصار مهما بلغت التضحية .

وكان انتصارهم عزيزا مؤزرا ، لم ينالوه رخيصا ، بل دفعوا فيه أغلى الثمن ، دفعوا فيه حياة كثير من الأحباب الذين استشهدوا في المعركة ، حتى لقد فنيت أو كادت قبيلتان من المسلمين كما تروى بعض كتب السيرة . لقد مات هؤلاء الأبطال في أشرف معركة ، ماتوا ليعيش إخوانهم من بعدهم يرفعون راية الاسلام في كل مكان . ماتوا لتحيا أعظم القيم التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية ، ماتوا لنعرف نحن الذين خلفناهم أن ثمن النصر غال ، ولا بد أن يدفعه الفرد لتبقى الجماعة حرة كريمة ، ولتمضي حركة التاريخ الى الأمام في سبيل غد مشرق للانسان .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقـدم باقـة من الاحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسـلم أكـرم زاد مـن الهـدى المحمدي .

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فانه لي وأنا أجزى به ، للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، واذا لقى ربه فرح بصومه » .

رواه البخارى

معلوم أن ما يتولى العظيم إعطاءه لا يكون الا عظيما ، وفرق بعيد ــ ولله المثل الأعلى ــ بين ما يعطيه الملك بنفسه ، وما يعطيه على يد وزير مثلا .. والصائم يفرح فرحا جزئيا عند إفطاره بعد غروب الشمس ، لأنه سيرد جوعته ، ويروي ظمأه ، ويفرح يوم العيد لأنه سيقبض جائزته بعد اداء صومه على الوجه الأكمل . والفرحة الكبرى حين يلقي ربه أي يراه بلا كيف ولا انحصار ، والمؤمنون يرون ربهم كل على قدره حتى إن لله لرجالا لو حجبوا عنه طرفة عين لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار ولكنها رؤية بلا كيف ولا انحصار ــ تعالى من خلق الزمان والمكان أن يحويه مكان او زمان وتعالى رب البرية ان يتكيف بكيفية ....

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **إني حاملك على ولد ناقة** » فقال : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وهل تلد الابل إلا النوق** » ؟
استحمل رسول الله : طلب منه أن يحمله على دابة . (رواه الترمذي وأبو داود بسند صحيح)

فيه شفاء للناس (٢)

عسل النحل الدواء والغذاء

للدكتور/ابراهيم سليمان عيسى

في المقال السابق تعرضت لبيان الاستعمالات العديدة لعسل النحل في شفاء كثير من أمراض البشرية وعللها . من واقع التقارير والابحاث الطبية الحديثة التى تثبت السبق العلمى والاعجاز القرآنى فيما وصف هذا الشراب الذى يخرج من بطن حشرة نحل العسل بقوله تعالى « **فيه شفاء للناس** » وفي هذا المقال نتكلم عن الأهمية الغذائية العظمى لعسل النحل ، ويتكون عسل النحل أساسا من سكرى العنب والفواكه وعدد كبير من الأملاح المعدنية والخمائر والفيتامينات والمركبات النباتية الفعالة ونسبة من الماء . والمعروف أن سكر العنب والفواكه لا يحتاج في الجسم الى عملية هضم بل يمتص مباشرة في الدم ويستفاد منه فورا .

خمائر العسل :ـ

وجد بالتحليل الكيماوى أن عسل النحل يحتوى على عدة خمائر هاضمة ، والمعروف أن الخمائر والانزيمات مركبات فعالة في تحليل المكونات الغذائية بكفاءة عالية مذهلة تعجز عنها أعظم

المعامل الكيميائية وأضخمها ، ويعزى بعض العلماء الخواص الممتازة للعسل على ما يحويه من خمائـر متعـددة ، والخمائر الموجودة بعسل النحل تقوم بتحويل النشا الى سكر ثم بتحويل هذا السكر الى سكر أحادى ، كما توجد به خمائر تحطم الأكاسيد الفعالة وخمائر تهضم المواد الدهنية ، وللعسل القدرة على ازالة عسر الهضم وشفاء أمراض الجهاز الهضمى كما سبق .

الأملاح المعدنية في العسل :

يوجد بالعسل عدد كبير من الاملاح المعدنية منها أملاح الكالسيوم والحديد والكلور والفوسفور والكبريت واليود ، وبعض أنـواع العسـل يحتـوى على الراديوم وتكاد نسبة الأملاح المعدنية الموجودة بالعسل تعادل نسبتها في مصل الدم البشرى ويتضح ذلك من الجدول التالى :ـ

العنصر	الدم البشرى	عسل النحل
المغنسيوم	٠١٨,	٠١٨,
الكبريت	٠٠٤,	٠٠١,
الفوسفور	٠٠٥,	٠١٩,
الحديد	آثار	٠٠٠٧,
الكالسيوم	٠١١,	٠٠٤,
الكلور	٣٦٠,	٠٢٩,
البوتاسيوم	٠٣٠,	٣٨٦,
اليود	آثار	آثار
الصوديوم	٣٢٠,	٠٠١,

وظهر أيضا من التحليل الطيفـى للعسل احتواؤه على أمـلاح وعنـاصر المنجنيـز والسليـكون والالومنيـوم واليورون والكروم والنحاس والليثيوم والنيكل والرصاص والقصدير وغيرها ، والجدير بالذكر ان الامـلاح المعدنيـة بالنسبة للجسم هامة جدا اذ اوضحت التجارب ان الحيوانات التى تتغذى على مواد واطعمة غنية بالزلاليات والنشويات والدهون والفيتامينات ولكنها تفتقر الى الاملاح المعدنية تموت بعـد مدة من الزمن ، وبجانب كل ما ذكر فان العسل به عدد من الاحماض العضوية الهامة مثل احماض **الاسكوربيك والترتريـك والليمونيك واللبنيك والاوكساليك** .

فيتامينات العسل :ـ

رغم وجـود الفيتامينـات بكميـات ضئيلة في طعام الانسان فان لها أهمية ضخمة في انتظام العمل في اعضـاء الجسم المختلفة ووقايتها من الامراض . وهناك كثير من الامراض التى تصيب الانسان اذا ما اقتصر غذاؤه الى أنواع معينة من الفيتامينات ، واتضـح من التحليل للعسل ان الكيلو جرام الواحد منه يحتوى على كثير من الفيتامينات مثل فيتامين ب ١ ومقداره ٠,١ مليجرام وفيتامين ب ٢ ومقداره ١,٥ مليجرام الذى قرر **الأطبـاء** دوره في التمثيـل الغذائى والهضم للنشويات والسكريات والدهون والزلاليات ، كما أنه يساعد في تحسين القدرة على الابصار ويزيد من المقاومة للميكروبات العنقودية وغيرها ، ونقصه يؤدى الى حدوث قرح الامعاء وتهيج الجهاز العصبى وظهور البثور الجلدية في الوجه وامراض العيـون ، وفيتامين ب ٣ ومقداره ٢,٠٠ مليجزام والذى يعمل على منع التهابات الجلد كما أن له أثرا كبيرا في منع الشيب وتحول الشعر الى اللون الأبيض ، كما يوجد به

فيتامين ب ٥ بنسبة ١,٠٠ ملـيجرام وفيتامين جـ بنسبة ٣٠ ــ ٥٤ ملليجرام الذى يزيد من مناعة الجسم ضد العدوى ، ويساهم في التكوين العادى للدم بالاضافة الى آثار من فيتامين ك ، وفيتامين هـ الخاص بهضم الدهون والزلاليات والمساعدة في بناء الجسم وحفظه من الاصابة بامراض الاكزيما والقوباء والدمامل والصدفية وغيرها من الامراض الجلدية ، والمتأمل يجد ان العسل غذاء ووقاية من الامراض وعلاج لها ، ولا يسعنا بعد بيان قيمة العسل غذائيا وعلاجيا وثبوت السبق العلمى للقرآن بالأدلة المادية والتجارب المعملية الا ترديد قوله تعالى :

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) الاسراء الآية ٠٩

سم النحل سم وترياق :ــ

لعل الناس من قديم الزمان قد قصروا إدراكهم على ما تخرجه النحلة من عسل لنيذ فيه شفاء للناس ولم يتطرق الفكر البشرى الى ما تخرجه النحلة من سم لاسع مؤلم هو ايضا ترياق شاف لكثير من امراض الناس التى استعصت على غيره من العقاقير وصنوف الأدوية المختلفة ، والقارئ للقرآن الكريم يجد ان الشفاء وصف لكل ما تخرجه النحلة من بطنها ولم يحدد الشفاء بالعسل ولم يقصره عليه كما أن المراد بالبطن في الآية الكريمة كل تجويف في داخل جسم الحشرة . الا ترى أنهم يقولون بطون الدماغ ويعنون بها تجاويف الدماغ وكذلك ههنا يخرج من بطونها اى من تجاويف جسمها وغددها المتعددة والمتباينة في إفرازاتها ووظائفها . وسم النحل سلاح ناجح تستعمله الحشرة في الدفاع عن نفسها ، ولا تبدأ أبدا بالتعدى لأنها تفقد حمتها (stinj) بعد استعمالها في لسع الانسان او الحيوان ، ويترتب على ذلك موتها بعد فترة قصيرة ، والحمة في الاصل هى آلة وضع البيض التى زودت بها إناث الكثير من انواع الحشرات وتحورت في نحلة العسل الى سلاح للدفاع بعد أن اوكلت مهمة وضع البيض في الطائفة الى ملكة النحل . ويتركب سم النحل من سائل شفاف عطرى الرائحة مر الطعم يحتوى على احماض الفورميك والايدوكلوريك والارثوفوسفوريك والهستانين والكولين والتربتوفان والكبريت ومواد اخرى بالاضافة الى كمية كبيرة من البروتينات والزيوت الطيارة التى يعزى اليها أنها سبب الألم الذى يشعر به الانسان بعد لسعه ويحتوى هذا السم على نوعين من الانزيمات التى تكسب الجسم مناعة وتكون به أجساما مضادة . وجدير بالذكر ان هذا التركيب لسم العسل لم يعرف الا منذ فترة وجيزة . ويشعر الانسان بألم شديد بعد لسعه ويتورم ويلتهب المكان الملسوع وقد يؤدى ذلك الى الوفاة في بعض الاشخاص ذوى الحساسية لهذا السم ، ومن لطف الله عز وجل ان نسبة ٢٪ فقط من الناس عندهم الحساسية الشديدة لهذا السم ، ويتعود مربو النحل والنحالون على اللسع بعد تكراره ، وتخف الآثار المرتبة عليه ، ويكتسب المربى مناعة ضد التأثر بهذا السم بعد تكرار لسعه عدة مرات تختلف باختلاف الأشخاص . وهذا هو الجانب المؤلم لسم النحل ولكنه في نفس الوقت

ترياق وعلاج لكثير من الأمراض .

استخــدام سم النحــل في علاج الأمراض :ـ

١ ـ يستخدم بعض الاطباء سم النحل كطريقة للعلاج منذ زمن ليس ببعيد وذلك لعلاج أمـراض الروماتـزم والتهـاب المفاصل ويلسع المريض بنحلة أو نحلتين تبعا لقدرته على تحمل اللسع مع قياس ضربات قلبه باستمرار ، ويتزايد عدد اللسعات فيما بعد تدريجيا ، ونتيجـة لهذا اللسع يحدث نزيف دموى قوى من تأثير سم النحل .

٢ ـ قامت بعض معامل الأدوية بانتاج عبوات مقفولة من سم النحل ، ويحتوى كل منها على سم مقداره يعادل السم الناتـج عن ١٠ لسعـات على شكل مسحوق يضاف اليه ١ سم٣ ماء عند الاستعمال مع وجوب مراعاة العـلاج تحت إشراف الطبيب .

٣ ـ هذا ويستعمل سم النحل في علاج كثير من الأمراض كالحمى الروماتزمية الحقيقية وبعض الأمـراض الجلديـة والتهاب قزحية العيون والتهاب الجسم الهدبي وضغط الدم المرتفع حيث ان له تأثيرا مهبطا وعلاجا لتضخم الغـدة الدرقية المصحوبة بجحوظ العينين ، كما يستعمل علاجا في التهاب الأعصـاب وآلامهـا ، وتقـوم شركات الأدويـة ومعاملها الآن بمحاولة تصنيـع المادة الفعالـة في سم النحـل كيميائيـا لاستعمالها في العلاج ، ويجب الامتناع عن استعمـال سم النحـل في بعض الأمراض كالسـل والسـكر وتصلـب الغشاء الهلامى وفى الامراض التناسلية وامراض القلب ، كما يجـب ايقـاف العلاج فورا اذا حدث ان شعر المريض بعد لسعه بضعـف عام أو بالحمـى والصداع والارتكاريا والطنين في الأذن والاسهال وغير ذلك من الاعراض . كما أنه من المعروف أن المرضى الذين يفيدهم سم النحـل لا يصابـون بأورام ولا يشعرون بأى ألم بعد اللسع .

٤ ـ وتوجد طرق طبية للعلاج بسم النحل كما توجد أجهزة متنقلة لهذا العلاج مذكورة في الابحاث والنشرات الطبيـة والصيدلانية ، ومن أهم هذه الطـرق الحقن بسم النحل في الجلد . وتحت الجلد والاستعمال من الظاهر وهى طرق شائعة ولكنها محل تجريب وغير موثوق بها تمام الثقة كذلك يستعمل دهان سم النحل الذى يحضر من سم النحل النقى وزيت البارافين وحمض الساليسليك ، كما يستعمل سم النحل استنشاقا من بخار ماء مسحوب من جهاز استنشاق عادى ويحمل معه أبخرة سم النحل الذى يستنشقها المريض خلال انبوبـة من الصيني ، وتفاصيل هذه الطريقـة ما زالت حتى الآن محل بحث وتجريب .

٥ ـ وفي حالة التسمم بسم النحل يجب اسعاف الملسوع بنزع الحمة من جسمه على أن تكون الأيدى نظيفة حتى لا يتلوث الجرح ، وينصح الاطباء بدهان مكان اللسع بمحلول مكون من الكحول بتركيز من ٧٠ ـ ٩٦٪ ومحلول واحد في الالف من برمنجنات البوتاسيـوم والنشـادر واليود والعسل الذى لم يتجمد .

الغذاء الملكى ومفعوله السحرى في شفاء الأمراض .

على أنه تجب الاشارة الى الغـذاء الملكى ومفعوله السحـرى في شفـاء

الامراض ، والغذاء الملكى سائل بنى تنتجه الشغالات الصغيرة وعمرها يتراوح ما بين ٥ ـ ١٤ يوما من غدد في مقدمة رأسها ، ويستعمل هذا الغذاء في تغذية الملكة ويرقات النحل الصغيرة ، ومنذ فترة وجيزة اكتشف المفعول السحرى لهذا الغذاء واصبح مطلب بلاد كثيرة ووصل سعرا أغلى من الذهب مما دفع بعض اصحاب المناحل الى التخصص في انتاج المركب وامداد الصيدليات والمعامل بحاجتها منه ، وتوجد طرق عديدة لحفظ الغذاء الملكى في الصيدليات ، كما يستعمل الغذاء للعلاج بطرق متعددة عن طريق الفم أو الحقن ويستعمل الغذاء الملكى في الوقاية من الامراض وعلاج الكثير منها .

١ ـ استعماله في كريمات التجميل والمراهم

بنسبة ١ : ٥٠,٠٠٠ ومن مزاياه أنه يعيد الشباب على خلايا البشرة ، ويمحو التجاعيد الدقيقة ، وينبه الدموية السطحية .

٢ ـ الاسراع في سرعة النمو وعلاج الأقزمة والضعف الجنسى .

ثبت ان تعاطى جرعات الغذاء الملكى أو الحقن به تزيد من سرعة النمو ، وتعالج به الآن امراض الأقزمة وامراض الضعف الجنسى كما تعمل هذه الجرعات على تجديد الشباب وشفاء النوراستانيا .

٣ ـ والغذاء الملكى أيضا علاج لأمراض سوء التغذية والانهيار العصبى والشيخوخة والضعف الجنسي والتهابات البروستاتا ، ومع كل نلك فمازالت الخواص العلاجية والوقائية للغذاء الملكى في المراحل الأولى ، ولسوف تظهر التجارب القيمة الغذائية والوقائية والعلاجية للغذاء الملكي .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد قدما سبقا علميا في الحديث عن حشرة نحل العسل وطبائعها وغرائزها ومنتجاتها .

شمع العسل والخواص الشفائية له :

شمع العسل احد منتجات المناحل وتفرزه شغالات عسل النحل من غدد خاصة وهو مادة معقدة التركيب تتركب من حوالى ١٥ عنصرا بالاضافة الى ما يحتويه من اصباغ ومواد عطرية يرجع اليها السبب في لون الشمع ورائحته ، ولشمع العسل قدرة علاجية كبيرة فتشير المخطوطات القديمة الى أن الشمع يزيل كل القروح واذا استعمل مع زيت البنفسج الحلو يريح القلب كما يشفى الدمامل والجروح ، ويستعمل شمع العسل في الطب الشعبى لكثير من الشعوب والأمم في علاج امراض كثيرة خصوصا مرض الثعلبة ، وقد أشار (د . رابو بورت) الى أن الدهان المكون من شمع العسل والزبدة له أثر فعال في علاج مرض الثعلبة ، كما انه لا يحوى اى مواد مهيجة ولا يترك آثارا في الجلد بعد العلاج بعكس العقاقير الأخرى التى تستعمل في علاج هذا المرض ، ويدخل ويشيع استعمال شمع العسل في الطب في عصرنا هذا في كثير من الادهان والكريمات وجميع اللزق وفي كثير من المراهم المستعملة في الطب البشرى والبيطرى على حد سواء .

له الأسماء الحسنى

الجبار

« الجبار » هو أحد أسماء الله الحسنى .

واللغة تقول : الجبر ضد الكسر ، والمادة موضوعة لاصلاح الشئ بلون من القهر ، يقال : جبر العظم من الكسر ، وجبرت الفقير أغنيته ، وقيل : إن المادة مأخوذة من قولهم : نخلة جبارة إذا فاتت الأيدي . فالنخلة اذا طالت وعلت ، وقصرت الأيدي عن أن تنالها ، أو تنال أعلاها ، سميت نخلة جبارة ، لأن الجبار من النخيل هو الطويل الذي فات يد المتناول . ومن هنا قالوا : إن الجبار في اللغة هو العالي العظيم . والجبار صيغة مبالغة من جبر ، إذا أغنى الفقير ، وأصلح الكسير ، وجبر الشئ أصلحه .

ويقول الغزالي : إن الجبار في حق الله تعالى هو الذي تنفذ مشيئته على سبيل الاجبار في كل أحد ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، والذي لا يخرج أحد عن قبضته ، وتقصر الأيدي دون حمى حضرته ، فالله تعالى هو الجبار المطلق ، لأنه يجبر كل احد ، ولا يجبره أحد ، فهو قاصم ظهور

للدكتور أحمد الشرباصي

الجبابرة .
ويقول عبد الله بن عباس : الجبار هو الملك العظيم . ويقول ابن الأنباري : الجبار في صفة الله تعالى هو الذي لا ينال . وقيل : الجبار الذي لا تناله يد جائرة ، ولا ينازعه معارض . وقيل : الجبار هو المتكبر ، والتكبر في حق الله وصف محمود ، وفي حق العباد وصف مذموم . وقيل : الجبار بمعنى المجبر ، اى المكره من جبرته على الأمر وأجبرته ، فهو سبحانه لا يكون من خلقه إلا ما يريد : شاءوا أو أبوا ، او الجبار بمعنى المصلح من قولك : جبرت الكسر إذا أصلحته ، والشاعر يقول :
« قد جبر الدين الاله فانجبر »
وجاءت في « تاج العروس » هذه العبارة : « الجبار هو الله عز اسمه ، وتعالى وتقدس : القاهر خلقه على ما أراد من أمر أو نهي . قال الأزهري : جعل جبارا في صفة الله أو صفة العباد من الاجبار ، وهو القهر والاكراه ، وقيل الجبار العالي فوق خلقه ، ويجوز أن يكون الجبار في صفة الله تعالى من جبره الفقر بالغنى ، وهو تبارك وتعالى جابر كل كسير وفقير ، وهو جابر دينه الذي ارتضاه ...
وقال بعض العلماء : إن الجبار هو الذي تنفذ مشيئته جبرا ويظهر أحكامه قهرا ، ولا يخرج أحد عن قبضة تقديره ، ولا ينفذ أحد من مشيئته في تقديره وأحكامه . ــ وليس ذلك إلا لله ــ لا يجبره أحد ولو كان عظيما في همته ، وقد أشار إلى ذلك العارفون فقالوا : همة الرجال لا تخرق أسوار القدر في أى حال .
وقد جاءت كلمة الجبروت وهي فعلوت من القهر والقسر والكبرياء والعظمة ، وورد في الحديث : « سبحان ذى الجبروت والملكوت » . والملكوت من الملك ، كالرحموت من الرحمة ، والرهبوت من الرهبة ، والرغبوت من الرغبة . وقد جاء في حديث الامام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه : « جبار القلوب على فطرتها » كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته ، والاقرار به شقيها وسعيدها .
والله يقهر الناس على ما يريد . هكذا قرر العلماء ، وأنكر جماعة من المعتزلة ذلك ، من حيث المعنى ــ كما في مفردات القرآن للأصفهاني ــ فقالوا : يتعالى الله عن ذلك ، وليس ذلك بمنكر ، فان الله تعالى قد أجبر الناس على أشياء لا انفكاك لهم منها ، حسبما تقتضيه الحكمة الالهية ، لا على ما تتوهمه الغواة الجهلة ، وذلك كاكراههم على المرض والموت والبعث ، وسخر كلا منهم لصناعة يتعاطاها ، وطريقة من

الأخلاق والأعمال يتحراها ، وجعله مجبرا في صورة مخير ، فاما راض بصنعته لا يريد عنها حولا ، وإما كاره يكابدها مع كراهيته لها ، كأنه لا يجد عنها بدلا ، ولذلك قال تعالى : **(فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)** المؤمنون / ٥٣ وقال عز وجل : **(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا)** الزخرف / ٣٢ .

وعلى هذا الحد وصف بالقاهر ، وهو لا يقهر الا على ما تقتضي الحكمة أن يقهر عليه .

والجبرية طائفة تقول : إن الله أجبر العباد على الذنوب ، اى اكرههم . ومعاذ الله أن يكره أحدا على معصية . وهم فرقة أهل أهواء ، يقولون : ليس للعبد قدرة ، والحركات الارادية بمثابة الرعدة والرعشة ، وهؤلاء يلزمهم نفى التكليف . وقد ورد اسم « الجبار » صفة لله عز وجل مرة واحدة في القرآن الكريم ، فذلك حيث يقول الله تعالى في سورة الحشر / ٢٣ : **(الجبار المتكبر)** .

وقد تطلق كلمة الجبار على العبد مدحا له ، وذلك هو العبد المحبوب لله الذي يكون جبارا على نفسه ، شديدا على الكفار والعصاة ، لا يلين لنفسه ، وينفذ همته فيها ، ويكون جبارا على الشيطان ، محترسا من العصيان ، متيقظا في دقائق الأمور ، متنبها عند وساوس الصدور .

ويرى الشيخ أحمد العقاد : أن الجبار من العارفين هو المنكسر في الظاهر والباطن ، قد جبر الجبار كسره ، ورفع قدره ، ونشر ذكره ، وحلاه بالحال ، وجمله بالمقال ، فكل من رآه جبرته حالته على أن يصغى اليه ، لأن حالته الظاهرة جذابة للقلوب ، وسريرته معمورة بأسرار الغيوب .

وللغزالي عبارة عن معنى الجبار من الناس يقول فيها بلغته : « الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ، ونال درجة الاستتباع ، وتفرد بعلو رتبته ، بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به ومتابعته في سمته وسيرته ، فيفيد الخلق ولا يستفيد ، ويؤثر ولا يتأثر ، ويستتبع ولا يتبع . لا يشاهده احد الا ويغنى عن ملاحظة نفسه ، ويصير متشوقا إليه غير ملتفت إلى ذاته ، ولا يطمع أحد في استدراجه واستتباعه . وانما حظى بهذا الوصف سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » . رواه الترمذي وأبو داود .

وقد تكلم القشيري عن الأدب الذي ينبغي ان يتحلى به من يذكر اسم الجبار ، فقال : « من آداب من عرف أنه سبحانه لا تناله الأيدي لعلو قدره ، أن يتحقق أنه لا سبيل إليه ، ولا بد من أمره ، ولا نصيب للعبد منه إلا لطفه وإحسانه : اليوم عرفانه ، وغدا غفرانه .

ومن آداب من عرف أنه مصلح الأمور أن يتوخى أموره اليه ، ويتوكل في جميع أحواله عليه ، إن أصابه خير علم أنه مسديه ومتحفه ، وإن أصابه ضر علم أنه يزيله ويكشفه ، فلا

يخاف من اختلال أحواله ، وقلة ماله مع كثرة عياله ، وضعف احتياله ثقة بلطفه وأفضاله » .

ومن أدب ذاكر هذا الاسم انه يقبل على تربية نفسه ، فيجبر نقائصها ، ويحملها على ملازمة التقوى والطاعة ، حتى لا تزلزله الحوادث ولا تهزه النوائب . وقد ناجى بعض الصالحين ربه فقال : يا جبار ، عجبت لمن يعرفك كيف يستعين بأحد غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يرجو أحدا غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يلتفت الى غيرك ؟

وقد تأتي صفة « الجبار » في وصف الناس على أنها صفة مذمومة ، لأن الجبار من الناس كما تقول اللغة كل عات متمرد ، ومنه قولهم : ويل لجبار الأرض من جبار السماء . وقد جاء في الحديث : « إن النار قالت : وكلت بثلاثة : بمن جعل مع الله إلها آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين » .

وقيل إن الجبار هو الذي يقتل على الغضب ، وقيل إن الجبار من الناس هو المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا ، والقلب الجبار هو الذي لا تدخله الرحمة ، فهو ذو كبر لا يقبل الموعظة ، والجبار هو الباغي في غير حق ، وقد جاء في سورة الشعراء / ١٣٠ **(وإذا بطشتم بطشتم جبارين)** وفي سورة القصص / ١٩ . **(إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين)**

وقد روى الترمذي الحديث الذي يقول : « بئس العبد عبد تجبر واعتدى »

وفي اسم « الجبار » يقول الشاعر مخيمر مناجيا ربه تبارك وتعالى :

يا من له عنت الوجوه تضرعا
والليل داج ، والظلام سكون
رحماك يا جبار ، حكمك نافذ
وإذا أردت تقول : كن فيكون

○○○

إنا عبيدك أيها الجبار
عنت الوجوه إليك والأبصار
واليك منك يلوذ خلقك ، مالهم
فوق الحياة إذا غضبت قرار
رحماك أنت على الوجود مسيطر
وإذا انتقمت فقاهر جبار

وهناك دعاء لاسم الجبار يقول فيه الشيخ العقاد :

إلهي ، أنت الجبار الذي تنفذ مشيئتك في جميع العوالم ، وأنت القهار لكل عدو ظالم ، فتسلط جبروت الانتقام على كل مسئ لبني الاسلام . أمدنا بالقوة النافذة العالية حتى نتجبر على أنفسنا ، ونتعالى على الكفار وأهل الشرور ، ونتخلص من الشيطان الرجيم . وامنحنا الانكسار لجنابك حتى تجبر كسرنا ، واعطنا التمسك بالشرع حتى ينصلح أمرنا ، إنك على كل شئ قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اما بعد فيا رب الأرباب . ويا واصل الأسباب ويا واهب القوى والقدر ، لجأنا إلى بابك ، وعذنا بجنابك ، وأنت القاهر فوق عبادك ، وأنت جابر كل كسير ، وأنت المسهل لكل عسير ، فكن لنا ، ولا تكن علينا ، فانك أنت الرءوف الرحيم .

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

(ارحموا من الناس ثلاثة : عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما بين جهال) .

موضوع .

قال ابن حبان من رواته عيسى بن طهمان وكان يتفرد بالمناكير ويزيد الرقاشي لا يجوز الاحتجاج بخبره .

وقال الخطيب علته سمعان بن مهدى ، وهو مجهول لا يكاد يعرف ، ألصقت به نسخة مكذوبة .

وقال ابن حبان عن وهب بن وهب أحد رواة هذا القول أيضا : إنه من الكذابين .

وقال ابن الجوزي في الموضوعات إنه موضوع ، وانما يعرف من كلام الفضيل بن عياض .

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة إنه موضوع ، وفي أسانيده كذابون ومجهولون .

وقال السيوطي في الدرر المنتثرة أسانيده واهية ، وعن السيوطي أيضا في اللآلئ المصنوعة انه موضوع ، فوهب كذاب ، وسمعان مجهول ، وعيسى ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، ولا يحتج به .

وقال العجلوني في كشف الخفاء إنه موضوع لوجود بعض المجاهيل من رواته .

الرافعي ودفاعه عن الاسلام

للاستاذ : انور الجندي

ما يزال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي وقد مضى على وفاته أربعون عاما ـ حيا في النفوس بفكره وحياته جميعا ، وما تزال الآراء التي قدمها في مجال الفكر الاسلامي والأدب العربي حية متألقة بل ما تزال المعضلات والتحديات التي واجهها الرافعي وكشف عن وجهة النظر الاسلامية والعربية فيها قائمة ، متجددة ، وما تزال آراؤه وكلماته ـ ذات الأصالة والعمق ـ بمثابة الضوء الكاشف أمام الباحثين والمفكرين والأدباء إزاء هذه القضايا .

ولا ريب كان الرافعي في مقدمة أهل جيله قدرة على التنبه مبكرا الى التحديات والأخطار التي واجهت الفكر الاسلامي والثقافة العربية تحت اسماء متعددة كالغزو الثقافي والتغريب والشعوبية ، في صورة تلك الحملات التي وجهت الى اللغة العربية الفصحى والى القرآن الكريم والى تاريخ الاسلام ، وخاصة تلك التي حاولت أن تفرض على النقد الأدبي أسلوبا وافدا يستمد مقوماته من المناهج الغربية التي تقوم في مجموعها على أساس أن الانسان أسير المودة والجنس (ماركس وفرويد) مع تجاهل تكامله في إطار جامع بين الروح والمادة والقلب والعقل والدين والعلم والدنيا والآخرة .

كذلك فاننا نجد الاستاذ الرافعي ـ رحمه الله ـ من أوائل من تنبهوا للدعوة العامية التي حمل لواءها لطفي السيد صاحب الجريدة في محاولة لاعلاء شأن اللهجات العامية والكلمات العامية ودفعها لتكون لغة الكتابة ، وكان هذا العمل خطوة تالية

لما قام به ولكوكس وولمور وغيرهم من دعوة الى إحـلال العاميـة مكـان الفصحى . وقد كشف الرافعي في هذا الوقت المبكر هدف هذه المحاولة الخطيرة وأشار الى أنها تستهـدف القرآن الكريم نفسه وانها تعمل على الفصل بين الاداء العربي في الأسلوب الحديث وبين مستوى البيان القرآني من أجل تعميق الفوارق بينهما على النحو الذي يقضي على أسلوب البيان القرآني ويمزق اللغـة العربيـة الى لهجات اقليمية . كان ذلك عام ١٩١١ عندما انتفض الرافعي انتفاضتـه المؤمنة القوية في وجه هذه المحاولة فكتب مقاله الخطير في مجلة البيان التي كان يصدرها صهره الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي والتـي كان يتـولى هو الاشراف على تحريرهـا واقرار ما ينشر فيها مما كان يقدمه اليها أمثال المازني والعقاد والسباعي وغيرهم ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف الرافعي عن متابعة هذه القضيـة والوقوف في جانبها على هذا النحو الواضح الصريح : بل لعله فيما نعلم أول من ربط بين القرآن واللغة العربية في هذا العصر وفهم في غيرة مؤمنة عميقة هذا الهدف الخطير الذي طواه النفوذ الأجنبـي وراء الدعـوة الى النهضة والحضارة والتقدم حين دعا ولكوكس المصريين الى اتخاذ العامية لغة لهم ، مقدما لهم تجربة اللغات الاوروبية التي انفصلت عن اللغـة اللاتينية في دعـوى عريضة لفصل اللهجة المصرية عن اللغة العربيـة سواء بسواء . وهي خدعة كبـرى امتدت مع الاحتلال البريطاني حين دعا خبراء الاحتلال الى التخلص من العربية الفصحى ومن القرآن وأعدوا مناهج الدراسة على هذا الأساس . فكان للرافعـي وقفتـه الصريحـة الواضحة إزاء كل من هاجم اللغة العربية الفصحى من أمثال جبران خليل جبران وسلامة موسى وغيرهما .
هذا هو الامر الاول الذي سبق به الرافعي في مجال مقاومة التغريـب ومواجهة التحديات التـي طرحتهـا خطط الاستعمار والغزو الثقافي ثم جاء العاملون في هذا الحقـل من بعده ، أمـا الأمـر الثانـي فهـو « القرآن » الكريم نفسه فقد تناثرت أقوال حول إعجاز القرآن وتـرددت أقوال كانت تثير الشكوك حول هذا الاعجاز سواء في الندوات الخاصة أو في كتابات غامضة ، ومن هنا كان هذا العمل الضخم الـذي قام به الرافعي وهو إنشاء كتابه الرصين « اعجاز القرآن » الـذي نسب إلى سعد زغلول قوله عنه : (كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم) .

وقد وجد هذا الكتاب إبان ظهوره محاولة خطيرة لتجاهله تحت لواء ما كان يطلق عليه « مؤامرة الصمت » ولكن الاجيال التي تلت من بعد ، عرفت قدر هذا العمل وعرفت هدفه وغايته واستطاع هذا العمل العظيم أن يكشف للأجيال الجديدة عظمة القرآن الخالد ويبـين مدى اتساع وعمق وكمال هذا الاعجاز .

وفي ميدان ثالث كان سبق الرافعي

لأهل جيله من كتاب وأدباء ، ذلك هو عمله الذي يطلق عليه (تأديب التاريخ) فقد قدم فصولا من التاريخ الاسلامي في أسلوب رائع وبيان خصب كشف بها عن عظمة الاسلام وبطولة رجاله ، وجدد بها من حياة الاسلام وتراثه مواقف وأبطالا ومواقع ، مليئة بالعبرة كاشفة عن عظمة الاسلام وفضله ، وذلك قبل أن يكتب العقاد وتوفيق الحكيم وطه حسين وهيكل ما كتبوه عن الرسول وصحابته (وكل هذا فيه نظر) فقد ظل ما كتبه الرافعي متميزا بذلك الايمان العميق الذي صاغه في اسلوب العصر ، بينما وجه إلى تلك الكتابات كثيرا من النقد حول منهج الكتابة أو بعض الجزئيات فكان الرافعي رائدا في هذا المجال وكان أشد أصالة .

ومن ثم وفي ضوء هذا كله : كان الرافعي هو أول من يتصدى لكل المحاولات التي أرادت أن تصيب من اللغة العربية أو القرآن أو تاريخ الاسلام ، أو إدخال مناهج وافدة على الأدب العربي ، وكان من أكبر المدافعين قوة لسان وارتفاع صوت وكان أقوى من كل العاملين في هذا الحقل ، ذلك لأنه كان بطبيعة تكوينه أقدر على ذلك فهو قد كون نفسه في إطار الاسلام وتعمق القرآن والسنة والبلاغة النبوية منذ صباه ، وجرد نفسه للعمل الخالص لله وهو قبل ذلك وبعد ذلك قد حرر نفسه من القيود التي قد تحول بين الكاتب وبين أداء الرسالة الحقة ، فقد قبل أن يحتجب وراء عمله المحدود وأجره القليل في محكمة طنطا ليكون قادرا على أداء هذه الرسالة ، وكان في مقدوره أن يعمل في محيط الصحافة في القاهرة وأن ينافس هذه الأسماء اللامعة في صحف الأهرام والبلاغ والسياسة وكوكب الشرق وغيرها وأن يحصل على المكانة اللامعة والاجر المضاعف ولكنه عزف عن ذلك كله لأنه كان يؤمن بأنه لن يستطيع اذا فعل ذلك أن يقول كلمته حرة طليقة خالصة لوجه الله ، بل سيكون مقيدا بحزب أو هيئة أو جهة أو مفهوم قد يعيقه عن امانة التبليغ ويلزمه بشيء من اللياقة أو المجاملة ، وكان يرى أن هذا كله خطر على صاحب الرسالة الذي يقول ما يريد هو لا ما يفرض عليه ، ولذلك فقد كان يهاجم خصوم الاسلام واللغة العربية في الصحف المعارضة لهم ، فاذا انتقلوا الى تلك الصحف أو غيروا أحزابهم هاجمهم في الصحف الأخرى المقابلة لها ، وقد كان على كل حال متمكنا من أن يقول كلمته حرة خالصة لله كاشفة لوجه الحق دون خشية لأي حائل أو معطل .

ومن هنا كان موقفه واضحا ازاء مؤامرة « الشعر الجاهلي » فقد عرف أبعادها وحمل لواء الدفاع عن القرآن وكشف عن تلك الزيوف والشبهات التي وجهها طه حسين إلى الاسلام والقرآن وتاريخ الاسلام وكان كتابه (تحت راية القرآن) هو أقوى تلك المدافعات التي حمل لواءها : فريد وجدي ولطفي جمعة والخضر حسين والدكتور محمد أحمد الغمراوي ولقد كان أسلوبه في « الأدب العربي »

متميزا بخواصه التي يعرف بها في (الأداء) ومعالمه التي لا يشابهه فيها اسلوب آخر في (المضمون) وقد عاش على رأس مدرسة جمعت العريان وكامل محمود حبيب ومحمد محمود شاكر ومخلوف وهي مدرسة ما تزال حية قوية ممتدة ، أبــرز معالمهــا الايمان بأخلاقية الأدب وإسلاميــة الفكــرة والارتفــاع فوق اساليــب الانحلال والنفاق ، وقد صور الدكتور الغمراوي هذا المعنى تصويرا واضحا حين قال : « إن الفطرة كلها منشئها واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والديــن كلاهمــا قد اجتمعــا على استحالة التناقض في الفطــرة فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجــب ألا تخالــف أو تناقض دين الفطرة ، دين الاسلام ، في شيء ، فاذا خالفته في أصوله ، ودعت صراحة او ضمنا الى رذيلة من أمهات الرذائل التي جاء لمحاربتها وعاقت الانسان أن يعمل بالفضائل التي جاء الدين لايجابها على الانسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقي في النفس والروح ، واذا خالفت الفنون الدين في شيء من هذا أو في شيء غير هذا فهي بالصــورة التــي تخالــف بهــا الدين ، فنون باطلة ، فنــون جانبــت الحــق ودابــرت الخــير ، وأخطأت الفطرة التي فطر الله عليها الناس والخلق ، والتي تريد الفنون أن تكون فيها في الصميم ، فاذا كان من شأن بعض من يعمل أو يكتب باسم الفن أو الادب أن يتجاوز في تأثيره فيحول بين الانسان وبين ربه ، ويدخل عليه الشك في دينه بأي صورة من الصور ولأي حد من الحدود ، كان بذلك البعض المعمــول به أو المكتوب باسم الفن أو باسم الأدب زورا وإفكا فالمسألة في الأدب ليست مسألة لفظ ومعنى فقط ، ولكنها في صميمها مسألة روح ، فريق يريد أن يجعل روح الادب روحا شهوانيا بحتا يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل لا يفرق بين معروف ومنكر ، ثم يصف ما لقي من ذلك من لذة أو ألم أو غيرها من ألوان الشعور ويخرج ذلك للناس على أنه هو الأدب . وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة في حدودهــا الواسعة التي حدها الله وبمظاهرها المختلفة في الفطرة كما طهرها الله لا كما دنسها الانسان والمقياس الذي انتهينا إليه في الفن والأدب ، ليس من البعد عن الفن والأدب كما يصور ، بل هو روح الفن والأدب في الصميم ، كيف يمكن أن يكون للأدب المكشوف نصيب من روح الجمال الانساني يستهوي النفس التي فيها بقية من الفضيلة والخير » .

هذا هو مفهوم الرافعــي للأدب الذي عاش يدافع عنه ويؤمن به كما عبر عنــه الدكتــور محمــد احمــد الغمراوي وسجله في ابان المعركــة التي ثارت على صفحات الرسالة اثر وفاة الرافعي بين أنصاره وخصومه ، وهذه الكلمة التي أوردناها هي التي حسمت المعركة الطويلة التي امتدت ووضعت لها نهايتها .

* * *

وهكذا وضع (الرافعي) اساس مدرسة الاصالة في الأدب العربي المعاصر ، وربط الأدب بالفكر الاسلامي باعتباره حلقة من حلقاته ، وحماه من النزعة الوافدة الداعية إلى الكشف والاباحة التي أثارها بعضهم والتي اخذت تتفشى وتفسد القصة والقصيدة والمقالة جميعا ولقد عايشنا هذا التاريخ منذ قرأنا للرافعي في مطالع الصبا وحين غدا مبكرا الى ربه فترك مكانه خاليا وحين حاول سعيد العريان التأريخ له جاء من افسد هذا التاريخ وحاول ان يفسر حياة الرافعي وتاريخه تفسيرا ماديا ثم شاء الله ان يكتب للرافعي النصفة والتبرير وان يدمر كل ما حاكه الماركسيون والعلمانيون والشعوبيون ضده حين جاء « مصطفى نعمان البدري » فقدم رسالته الضخمة على منبر دار العلوم وحصل بها على درجة العالمية عن حياة الرافعي وأدبه ــ بعد أن حصل على الماجستير عنه أيضا ، فعايشه اكثر من عشر سنوات فاستقصى هذه الحياة وهذا الفكر حتى انه لم يدع شاردة أو واردة . وكنت رفيق رحلته تلك اتابع معه عمل الرافعي الضخم الواسع العميق ، فأرى كيف جاهد في سبيل ارساء قيم الاصالة في الأدب العربي في مرحلة من أدق المراحل حين جاءت رياح التغريب والغزو الثقافي على أيدي أساطين الصحافة وقادة الجامعة ، واستطاع الرافعي الفرد المعتزل ان يواجه ذلك كله وأن يترك بصماته على حركة الأدب العربي في هذه المرحلة وأن ينمي مدرسة ما زالت تنافح في سبيل إرساء قيم الايمان والاصالة والحق .

* * *

لقد ودع « الرافعي » دنيا الأدب مبكرا ، ودعها قبل عدد من أعلام جيله : سبق المازني وهيكل والعقاد والزيات ــ وان كان اكبر منهم سنا ــ وبقى بعض هؤلاء بعده عقدا أو عقدين من السنين يكتبون وتتعرف إليهم الأجيال ، ومع ذلك فان اصالة « الرافعي » استطاعت أن تقاوم اللغو والنسيان وظلت آثاره وما تزال تطبع وتقرأ وتتحدى تلك الدعوات المادية والملحدة التي تنكرت للفكرة الاسلامية والأدب العربي والفصحى لغة القرآن وما زالت كتابات الرافعي هي طلائع هذا المجال بالسبق إلى كشف الشبهات ومواجهة التحديات وبالعطاء الذي قدمته للباحثين السائرين على الطريق فما تزال القضايا التي واجهها الرافعي قائمة بالتحدي وما تزال المعركة المستمرة وما تزال كتب الرافعي قمة في التعرف على هذا الخطر وكشفه وتقديم الردود الحاسمة في دحض هذه الشبهات وكشف زيفها . وسيظل أدبه كالمنار يهتدى به كل سائر على هذا الطريق الى الحق .

رحم الله الرافعي رحمة واسعة واجزل مثوبته .

مائدة القارئ

أولياء الله

قال الله تعالى :
(ألا إن أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البُشرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ لا تبديلَ لكلماتِ الله ذلك هو الفوزُ العظيم) الآيات ٦٢ ـ ٦٤ من سورة يونس .

طريق العلم

قال أحد الحكماء لابنه :
يابني خذ العلم من أفواه الرجال ، فانهم يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويقولون أحسن ما يحفظون ،

لكعاب الضيفان

قيل إن الحطيئة كان من البخلاء ، فقد مر به إنسان ، وهو على باب داره ، وبيده عصا ، فقال : ضيف .
فأشار الحطيئة الى العصا وقال : لكعاب الضيفان أعددتها .

كريم .. ولئيم

قال الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

الأيدي ثلاث

قال أحدهم :
الأيدي ثلاث : يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء :
فاليد البيضاء : هي الابتداء بالمعروف .
واليد الخضراء : هي المكافأة على المعروف .
واليد السوداء : هي المن بالمعروف .

العمل

روى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « يتبع الميتَ ثلاثةٌ. فيرجعُ اثنان ويبقى معه واحد . يتبعه أهلُه ومالُه وعمله ، فيرجعُ أهلُه ومالُه ، ويبقى عملُه » . أخرجه البخارى .

دواء القلوب

قال ابراهيم الخواص :

دواء القلوب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلو البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

الخير للجميع

قال الشاعر :

ولو أني حبيت الخلد فردا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت علي ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

حكمة

قال حكيم :

ربما أصاب الأعمى رشده ، وأخطأ البصير قصده .

لك الحمد

قال الشاعر :

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ... على نعم ما كنت قط لها أهلا
أزيدك تقصيرا تزدني تفضلا ... كأني بالتقصير أستوجب الفضلا

لماذا بُنيتَ الكوفة

للاستاذ مصطفى محمد الحديدي الطير

كان سعد بن ابي وقاص قائـــدا لجيوش المسلمين فى فتح بلاد الفرس ولما اكرمه الله تعالي بفتح المدائن ــ عاصمة الفرس ــ وفتح جلولاء وغيرها من بلادهم ، ارسل وفدا بخبر هذه الفتوح تفصيلا الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، فلما رآهم وشاهد تغير الوانهم وحالهم ، سألهم عن سبب ما اصابهم ، فأخبروه بان جو البلاد التي فتحوها في بلاد الفرس لا يناسبهم ، فتغيرت بسببه الوانهم ، وضعفـــت صحتهم ، وثمت رواية اخرى جاء فيها ان حذيفة بن اليمان كان مع سعد في فتوحاته ببلاد الفرس ، وانه كتب الى عمر ان العرب قد رقت بطونهم ، وجفت اعضاؤهم ، وتغيرت الوانهم ،

فكتب عمر الى سعد : اخبرني . ما الذي غير الوان العرب ولحومهم ؟ .
فكتب اليه سعد ان الذي غيرهم وخومة البلاد، وان العرب لا يوافقهم الا ما وافق ابلهم من البلدان .

وسواء اصحت الرواية الاولى ام الثانية أم هما معا ، فان عمر رضي الله عنه، اهمه امر المجاهدين وشغلته حالتهم الصحية ، فكتب الى قائده سعد بن ابي وقاص ان ابعث سلمان الفارسي وحذيفة ، ليرتادا مكانا بريا بحريا ، بحيث لا يفصله عن عمر بحر ولا جسر ، فاذا وفقا اليه ، فليجعله منزلا للمسلمين ومدينة لهم :

فخرج سلمان الفارسي حتى اتى الانبار ، ثم سار في غرب الفرات ، فلم يعجبه شيء من الأرض التي مر بها ، حتى اتى ارضا ذات رمل أحمر فاستقر عندها .

وسار حذيفة في شرق الفرات لا يرضيه شيء مما مر عليه ، حتى اتى هذه الأرض التي وقف عندها سلمان الفارسي فأعجبتهما تلك البقعة ، فصليا عندها ودعوا الله تعالى ان يجعلها منزل الثبات .

وذكر الطبري من دعائهما : اللهم رب السماء وما أظلت، ورب الأرض وما اقلت ، والريح وما ذرت، والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، بارك لنا في هذه الكوفة واجعلها منزل الثبات .

والكوفة في اللغة الرملة الحمراء المستديرة ، او كل رملة تخالطها حصباء ، وقد كانت الأرض التي اختاراها كذلك ، فلذا اطلقا عليها اسم الكوفة ، ثم رجعا ، الى سعد يخبرانه بما وقع اختيارهما عليه .

الانتقال من المدائن الى الكوفة

لما علم سعد بصلاحية المكان الذي اختاراه لنزول المجاهدين ، ارتحل بهم من المدائن حتى نزل بالكوفة في المحرم سنة سبع عشرة ، وكان بين نزولهم الكوفة ووقعة القادسية سنة وشهران ، وكان بين مبدأ خلافة عمر والنزول بالكوفة ثلاث سنين وثمانية اشهر ، ولما نزلها سعد بالمجاهدين ، كتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب : اني قد نزلت منزلا فيما بين الحيرة والفرات بريا وبحريا ، ينبت الحلفاء والنصي — نوع من النبات — وخيرت المسلمين بين المدائن وبين الكوفة ، فمن اعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة —الجنوب—ولما استقر المجاهدون بالكوفة عرفوا انفسهم ، ورجع اليهم مافقدوه من قوتهم ، واستأذن الناس سعدا في بناء بيوت لهم من قصب — نوع من النبات يشبه الانابيت —يأوون اليها ، فذكر لهم ان الاقامة في المعسكر اشد لهم في حربهم ، واكثر تذكيرا لهم بالاستعداد للقاء العدو ، وقال : ولكني لاأحب ان اخالفكم .

فابتنوا البيوت التي ارادوها ، ولكن الحريق شب فيها في شهر شوال فأتى عليها ، فبعث سعد الى عمر يستأذنه في بناء بيوت باللبن ، ويخبره بالحريق الذي اصابهم ، فأذن لهم ، ولكنه نهاهم عن أن يزيد احدهم على ثلاث غرف ، وان يتطاولوا في البنيان ، وامرهم أن يلزموا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتبقى دولتهم ولا تزول صولتهم .

وقد جعل سعد عرض الشـــارع بين دورها سبعة اذرع ، واول مابنى فيها مسجدها ، وجعل امامه ظلة فوق اساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة .

قصر سعد والأسواق بالكوفة

امر سعد ببناء دار له أمام المسجد، وجعل بينها وبينه طريقا عرضه مائتا ذراع ، وجعل بيوت الأموال في هذا الطريق ، وقد بنى ذلك كله بالآجــر الأحمر كعادة الفرس بالحيرة ، ولم يبنه باللبن كما فعل باقي المجاهدين وفقا لعادتهم في بلاد العرب ، وأمر بانشاء اسواق عامة يجلس فيهـــا التجار للبيع ، وجعل الحق فيها على نظام المساجد ، فمن سبق الى مكان يجلس فيه للبيع فهو له حتى يرجع منه آخر اليوم الى بيته بعد أن يفرغ من بيعه ، وشأنه في ذلك شأن من سبق الى مكان بالمسجد فهو أحق به حتى يخرج منه .

عمر يامر بحرق باب القصر

كان عمر ــ رضي الله عنه ــ حريصا على بقاء المسلمـــين علـــى منهاج النبوة من الزهد فى الدنيـــا والتواضع ، وان لا يحتجب امراؤهم عنهم ضمانا لمصالحهم ، فلما بلغه أن سعدا بنى دارا عظيمة ، وان الناس يسمونها قصر سعد ، وانه حين يسمع في قصره أصوات الناس وجلبتهم في الأسواق ، يأمرهم بخفض اصواتهم، ــ لما بلغه ذلك ــ بعث محمد بن مسلمة الى الكوفة ، وامره ان يحرق باب القصر ثم يرجع ، ففعل :

فلما علم سعد بن ابي وقاص بما حدث من محمد بن مسلمة لم يتغيظ ولم ينفعل ، ولكنه قال : « هذا رسول ارسل ليصنع ما صنع » ، ثم استدعاه سعد فأبى أن يدخل اليه ، لأن أمير المؤمنين لم يأمره بذلك ، فكان عند حدودالمهمة التي اوفد من اجلهـــا ، ولهذا لم ير سعد بدا من أن يخرج اليه ، فسلمه كتاب عمر ــ وقد جاء فيه ــ : « بلغني انك اتخذت قصرا جعلته حصنا ويسمى قصر سعد ، وبينك وبـــين الناس بـــاب ، فليس بقصرك ، ولكنه قصر الخبال ، انزل منه مما يلي بيوت الأموال ، واغلقه اولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت »فحلف سعد بن ابي وقاص لمحمد بن مسلمة انه لم يحدث منه ما قالوه عنه ، من تسميته لداره قصرا واتخاذه اياه حصنا، ومن نسبة هذا القصر الى نفسه ، ومن أنه كان يأمر اهل السوق أن يخفضوا اصواتهم ، الى غير ذلك مما تقولـــوه عليـــه ، واوغروا به صدر أمير المؤمنين، فرجع محمد بن مسلمة من فوره ، حتى اذا قرب من المدينة فنى زاده ، وكان سعد قد عرض عليه نفقة فأبى ان يأخذها تعففا وورعا ، فاضطره الجوع بعد فناء زاده أن يأكل لحاء الشجر ــ اي قشره ــ ثم وصل المدينة فأبلغ أمير المؤمنين ما قاله سعد فصدقه وقال : هو أصدق ممن روى عليه ومن ابلغني » .

واستمر سعد في ولاية الكوفة بعد انشائها ثلاث سنين ونصفا ، غير ما كان له قبلها بالمدائن .

الحكمة في أمر عمر بحرق باب القصر

قد يقول قائل : كيف يأمر عمر رجلا من المسلمين ، أن يرتحل من المدينة الى الكوفة ويتجشم الصعاب ليحرق باب قصر سعد ؟ واي مانع من أن يتخذ سعد أو غيره له قصرا ، وأن يكون لهذا القصر باب يغلقه عليه عندما يرى حاجة الى اغلاقه ، ويفتحه عندما يرى حاجة الى فتحه ؟ أليس الله تعالى يقول : **« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق»** الاعراف/٣٢ وكيف لا يبنون بيوتهم باللبن في الكوفة الا بعد استئذانه ؟ وكيف يوصيهم أن لا يزيد أحدهم عن ثلاث غرف فى داره ولا يتطاولوا في البنيان ؟ في حين ان المسلمين نزلوا بلادا عامرة بالقصور الفاخرة والعجائب النادرة والثروات الطائلة ، فهل يستطيع أن يعيش المسلمون بينهم ، ويحفظون فيهم مكانتهم وهم على هذا النحو الذي أراده عمر من التقشف ورقة الحال

والجواب على ذلك أن عصر عمر ابن الخطاب ، امتاز بالفتوحات العظيمة،والقضاء على ملك الأكاسرة، واستيلاء المسلمين على بلادهم وأموالهم وسلطانهم ، الى جانب ما فتحه الله عليهم من ملك الروم ، فلهذا خشي عمر أن يغيرهم هذا الجاه العريض ، والثراء المفاجيء ، وأن يشغلهم عن ميراثهم العظيم من مباديء القرآن المجيد وأخلاق النبوة ، فكان حريصا على توجيههم والابقاء على تراث الاسلام في نفوسهم ، وأخذهم بالشدة ان اقبلوا على دنياهم ، وتساهلوا في دينهم ، وتخاذلوا عن نصرته .

ولقد ضرب لهم المثل بنفسه في التقشف والزهد والسهر على مصالح الرعية حتى يكون قدوة لغيره ، ولم يكتف بذلك ، بل كان يوجه الأمراء ويرشدهم ويحاسبهم على تقصيرهم ، وقد جعل على كل أمير عيونا يحصون عليه تصرفاته ، حتى كان كل أمير يخشى من أصدقائه أن يكونوا عيونا عليه ، ولهذا كانت تأتيه أخبارهم صباحا ومساء ، وكان علمه بمن بعد عنه من عماله ، كعلمه بمن بات معه على مهاده ، فلهذا استقام عماله على الجادة ، ولم تغرهم الحياة الدنيا في عهده ، ولا غرهم بالله الغرور .

ادرك عمر بسريرته الصافية ، أن ملك الأكاسرة ولى عنهم لتعاليهم على الرعية ، واشتغالهم عنهم بالقصور الفاخرة ، والمصانع الشامخة ، والخيول المطهمة ، والجنود الكثيرة ، والأموال الوفيرة ، غرتهم مظاهر النعمة والجاه ، فسوغوا لأنفسهم استعباد الرعية ، وتسخير الكافة فى توفير لذاتهم وشهواتهم ، فادال الله منهم للمسلمين ، لأنهم في طاعة الله وهم على حال أخوة وتعاون فيما بينهم ، لاميزة لأحدهم على غيره الا بحسن البلاء ، اكرمهم عند الله وفيما بينهم اتقاهم ، فلهذا وأمثاله خشي عمر أن يغمس سعد بن أبي وقاص ومن على شاكلته من الأمراء أيديهم ونفوسهم فيما انغمس فيه أهل فارس والروم ، فيديل الله من أهل الاسلام لغيرهم كما ادال الله من غيرهم لهم .

ثم ان اتخاذ الأبواب بين الرعية وبين الأمير أمر لا تعرفه عادات العرب ولا طبائعهم ، ولهذا كان المظلوم يدلف الى رئيس قبيلته في الجاهلية ، وأميره في الاسلام ، دون أن يحجبه عنه باب،

او يصرفه عنه جندي شاكي السلاح ، فيقص عليه ظلامته فيقضي له بما يراه حقا ، ولقد كان المظلوم يستطيع أن يصل الى عمر بسهولة ولو كان من اهل الكتاب ، فكان ينصفه من عماله وولاته ، قال أنس بن مالك : بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قاعدا اذ جاءه رجل من اهل مصر فقال : ياأمير المؤمنين . هذا مقام العائذ بك ، فقال عمر : لقد عذت بمجيب فما شأنك ؟ قال : سابقت على فرسي ابنا لعمرو بن العاص ــ وهو يومئذ أمير على مصر ــ فجعل يقمعني بسوطه ــ اي يضربني به ــ ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمرا أباه ، فخشى ان آتيك فحبسني في السجن ، فانفلت منه وهذا حين أتيتك ، فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص . اذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم ــ اي موسم الحج ــ أنت وولدك فلان ، وقال للمصري أقم حتى يأتيك ، فقدم عمرو فشهد الحج مع ولده ، فلما قضى عمر الحج ــ وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ــ قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة ، قال أنس : ولقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع ــ اي يكف عن الضرب ــ من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين ، قال : يا أمير المؤمنين. قد استويفت واشتفيت ، قال : ضعها في صلعة عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين . قد ضربت الذي ضربني ، قال : اما والله لو فعلت لما منعك أحد ، حتى تكون انت الذي تنزع ، ثم قال : يا عمرو . متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، فجعل يعتذر عما حدث .

وبعد فقد حرص عمر بن الخطاب أن يبقى لأمراء المسلمين هذا الخلق بعد هذه الفتوح التي أدخلت عليهم الدنيا بزخارفها من أبواب كثيرة ، وخشى أن يقترف سعد ذنب الحيلولة دون أصحاب الحقوق بسكناه فى هذا القصر ، واتخاذ باب يمنع الضعيف عن الوصول اليه والاجتراء عليه ، فكان من أمره معه ما سبق الحديث عنه ، رغبة في بقائه على المنهاج الذي تركه النبي صلى الله عليه وسلم لحكام المسلمين ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

فائدة الجنون

خرج الحجاج يوما للتنزه . فلما فرغ من تنزهه صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه . فاذا هو بشيخ من بنى عجل . فقال له : من أين أنت أيها الشيخ ؟ قال : من هذه القرية . قال : كيف ترون عمالكم ؟ قال: شر عمال ، يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال : كيف قولك فى الحجاج ؟ قال : ذاك ماولى العراق شر منه ، قبحه الله ، وقبحمن استعمله. قال: : أتعرف من أنا ؟ قال : لا قال : أنا الحجاج قال : جعلت فداك ، أو تعرف من أنا ؟ قال :لا . قال : أنا فلان بن فلان المشهور بمجنون بنى عجل،أصرع فى كل يوم مرتين .

فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

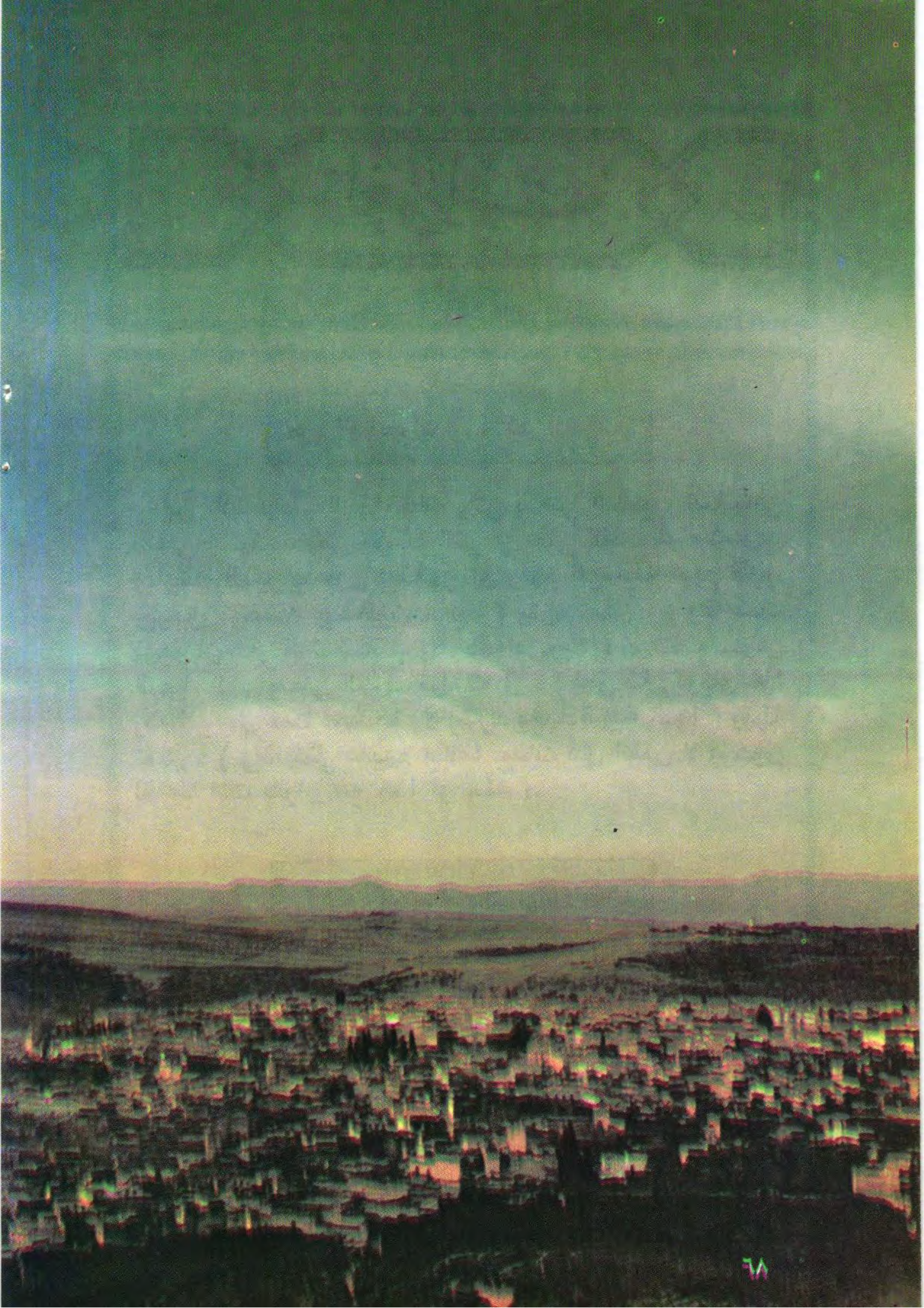
لغويات

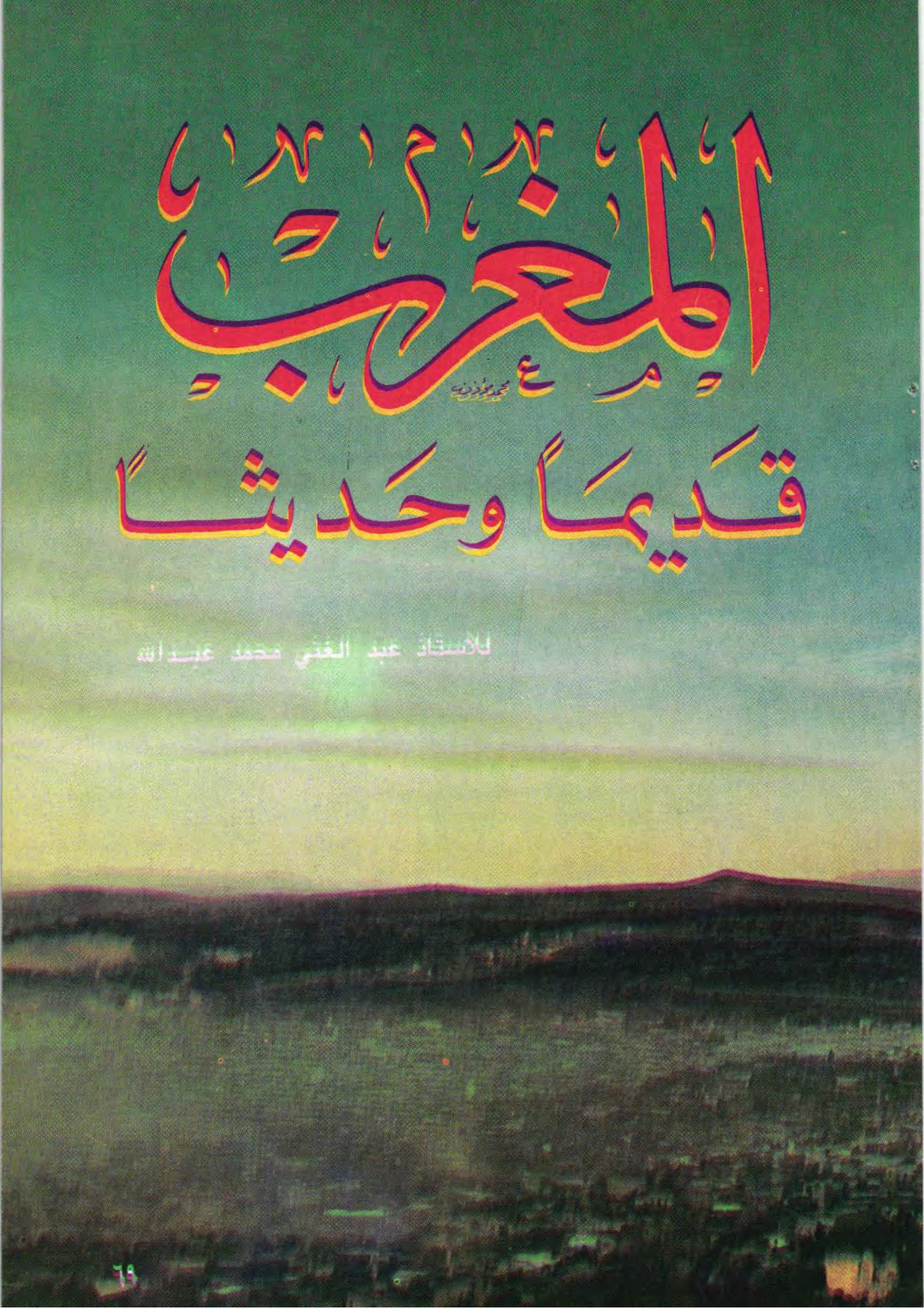
من الاضداد في كلام العرب

من الأضداد : الرجاء فانه يأتي بمعنى الطمع ، كما يأتي بمعنى الخوف ، ومن الأمثلة التي في معنى الطمع قوله تعالى : **(أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه)** وقوله تعالى : **(وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك)** أي تطمع ــ ومن الرجاء الذي بمعنى الخوف قوله تعالى : **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** وقوله تعالى : **(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله).**

معاني أسماء بعض الأعلام

أكثم : الكبير البطن ، الأعشى : السيء البصر ، الحطيئة : القصير القبيح الوجه ، العقاد : صانع الأزرار والخيوط أو بائعهما ، المبرد : المريض ، النضر : الذهب ، النعمان : الدم ، أوس : عطية ، جرير : زمام دابة ، حنين : مصغر حن وهو نوع من الجن ، دريد : الذي ذهبت أسنانه ، عبلة : سمينة ، عكرمة : انثى الحمام ، نزار : مصدر نزر أي قل خيره ، مازن : مشرق الوجه ، نواس : نسيج العنكبوت .





المغرب

قديماً وحديثاً

للاستاذ عبد الغني محمد عبدالله



○ مدينة فاس ليلا

كان وقوع المغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط تجاه أوربا ، سببا في تبادل سكانه حضارة الأمم المجاورة ، إلى جانب أن حضارتهم ، وتقاليدهم العريقة التي يرجع تاريخها الى أيام الفينيقيين الذين عرفوا المغرب قبل ميلاد المسيح بنحو ألف سنة .
وقد قدم الفينيقيون الى تونس عام ٨١٣ قبل الميلاد ، وبعدهم تأسست دولة قرطاجنة في تونس ، وقد انتشر القرطاجانيون في شمال افريقيا الى أن وصلوا الى الشواطئ « المغربية » ـ الشمالية والغربية حيث أسسوا مراكز تجارية لهم ومحطات لرسو سفنهم ، وكان هدفهم الأساسي منصبا على النشاط التجاري لا غير .
وبعد أن سقطت دولة قرطاجنة سنة ١٤٦ قبل الميلاد على يد الرومان خضع المغرب للحكم الروماني ، الموجه من روما ثم من القسطنطينية . وذلك بعد سقوط روما أمام زحف قبائل الجرمان .
ولما ظهر الاسلام وامتدت فتوحه إلى فارس والشام . تم للعرب فتح مصر ، ومنها امتدت فتوحاتهم الى بلاد المغرب . وقد هيأ تأسيس مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع عام ٥٠هـ للعرب مركزا حصينا . اتخذوه قاعدة لنشر الاسلام في شمال القارة الافريقية وغربها .
لكن عقبة وجد صعوبة في فتح بقية افريقيا لأن « البربر » كانوا يتحصنون في الجبال ويتخذونها معاقل تحميهم من غارات العرب .
إلا أنه استطاع ان يقضي على مقاومة البربر في المغرب الأوسط وتدفق بقواته الى المغرب الأقصى فكان أول فاتح مسلم تطأ أقدامه هذه البلاد ثم توغل في اقليم الساحل حتى بلغ (طنجه) وبدأت قبائل (صنهاجة) بالمغرب تدخل في الاسلام ، وتتصل بالفاتحين ، وتكللت جهود عقبة في نشر الاسلام في المغرب بنجاح .
ثم اتجه بعد ذلك الى اقليم السوس وانتصر على قبيلة (المصامدة) ومضى قدما حتى بلغ مدينة (نول) على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى بلاد المغرب . وكانت قبائل الملثمين تنزل هذه البلاد ، فقاومت عقبة أول الأمر دفاعا عن كيانها ، ولكنه هزمهم ، وأخضعهم لسلطان الاسلام وبني في مدينتهم مسجدا ، ترك فيه من يعلم الناس مبادئ الاسلام ولكن عقبة قتل أثناء عودته في منطقة تعرف باسم (تهوده) ـ سيدي عقبة بالجزائر الآن . وضاعت افريقيا من المسلمين وارتدت قبائل البربر وزحفت الى الشرق بقيادة زعيمها (كسيلة) . واسترد الرومان قوتهم .
وفي المرحلة الثانية لفتح المغرب جاء (زهير بن قيس) الذي استطاع أن يقتص لمقتل سلفه وحطم قوة البربر والرومان ولكنه استشهد في معركة مع الرومان وضاعت افريقيا للمرة الثانية .



○ الخط العربي المغربي كما يبدو على صفحة مصحف كتب فيها دعاء الخاتمة



○ الساحة الداخلية للمسجد الكبير بمدينة فاس





○ سوق الحرير

ثم خلف (زهير) (حسان بن النعمان) ، وكان حريصا على نشر الدين فكسر شوكة الروم ، الذين قويت عزيمتهم بعد مقتل زهير وانبعث فيهم الأمل في استرداد بلاد المغرب من أيدي المسلمين . فقاتلهم حسان قتالا مريرا ، وأنزل بهم الهزيمة الساحقة كما استطاع أيضا أن يهزم قوات البربر الذين اجتمعوا تحت لواء امرأة عرفت بالكاهنة (واهية بنت ماتيه بن تيغان ملكة اوراس) والتي كانت قد استطاعت هزيمة حسان في معركة (نهر البلاء) إلا أنه استطاع أن يهزمها هزيمة ساحقة سنة ٨٠هـ ـ ٦٩٩م ـ ولا يزال المكان الذي قتلت ودفنت فيه يعرف باسم بئر الكاهنة . وهكذا دان المغرب الأدنى والأوسط كله لحسان بن النعمان بعد أن استطاع أن يطرد الروم نهائيا من قرطاجنة سنة ٨٢هـ ـ ٧٠١م .

وبدأت مواهب حسان تظهر في نشر الاسلام وفي تدوين الدواوين باللغة العربية . وقد ساوى بين العرب والبربر ، وكادت تفتح على يديه صفحة جديدة في تاريخ المغرب الاسلامي ، ولكن القدر عانده فخلع من منصبه وخلفه موسى بن نصير .

ولم يكن موسى بن نصير ـ الذي قاد المرحلة الرابعة والأخيرة في فتح شمال افريقيا ـ لم يكن قائدا فحسب ، بل كان مصلحا وسياسيا أيضا ، فقد قرب البربر اليه ، وحببهم في الحكومة الاسلامية وولاهم الأعمال واشركهم مع العرب في ادارة البلاد ، فأقبلوا على الاسلام اقبالا شديدا . وأخذ موسى يفقه الناس في الدين وينشئ المساجد في البلاد التي يفتحها . ولقد اتيح للبربر أن يجنوا ثمار الثقافة الاسلامية بعد ذلك .

ولعل من اهم أعمال موسى بن نصير أنه في أول الأمر قد توجه لفتح (طنجة) آخر معقل اعتصم به بقية البربر وافتتحها وولى عليها جنديا عظيما هو طارق بن زياد . ثم انه بنى دارا لصناعة السفن على مقربة من مدينة قرطاجنة وأنشأ أسطولا ضخما لحماية الثغور الاسلامية من غارات الرومان البحرية . الا أن من أعظم أعمال موسى هو فتح الأندلس سنة ٩٢هـ بعد ان وجه اليها حملة بقيادة طارق بن زياد . وكان فتح الأندلس فتحا للاسلام في المغرب والأندلس معا . ذلك أن معظم الجيش الذي فتح هذه البلاد كان من البربر . وقد شعر البربر لأول مرة بمساواتهم بالعرب .

وبدأت شخصية المغرب الاسلامي تدخل في دورها الفعال . اذ شعر البربر بعد فتحهم الأندلس ، أنهم اضحوا حماة الاسلام في هذه البلاد . وأن عليهم مهمة نشر هذا الدين .

وقد نجحت سياسة موسى بن نصير نجاحا بعيد المدى فانقاد له المغرب

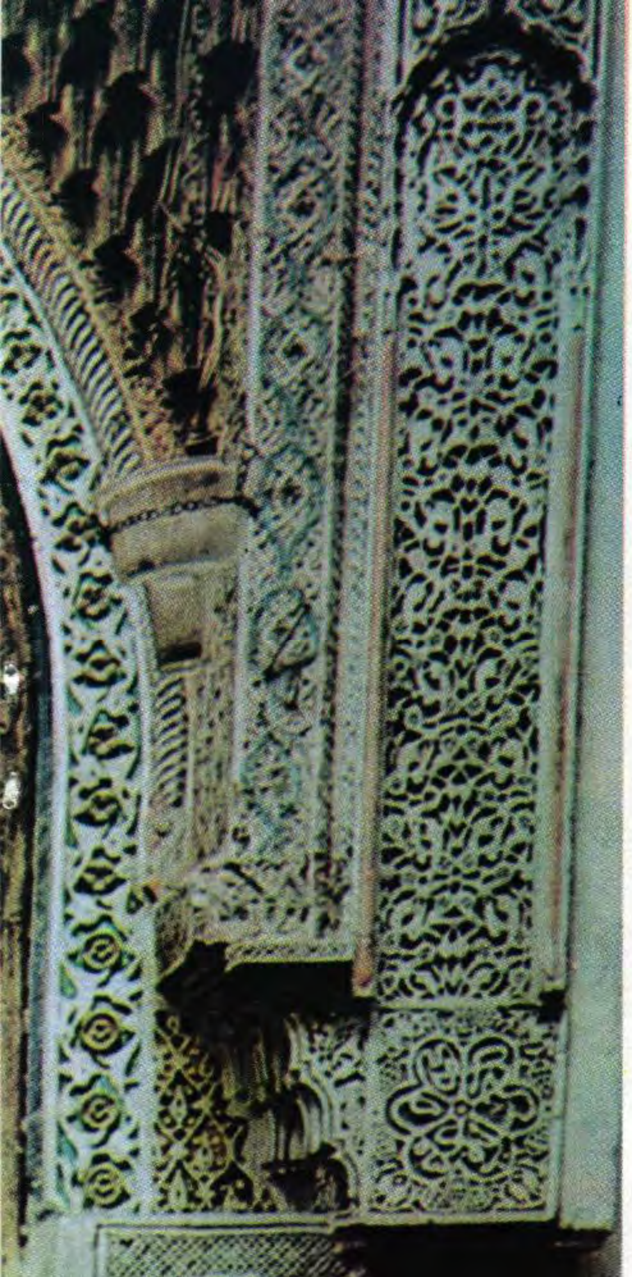


○ مدينة تيوليت تحيط بها أسوار أثرية



○ مدينة تطوان





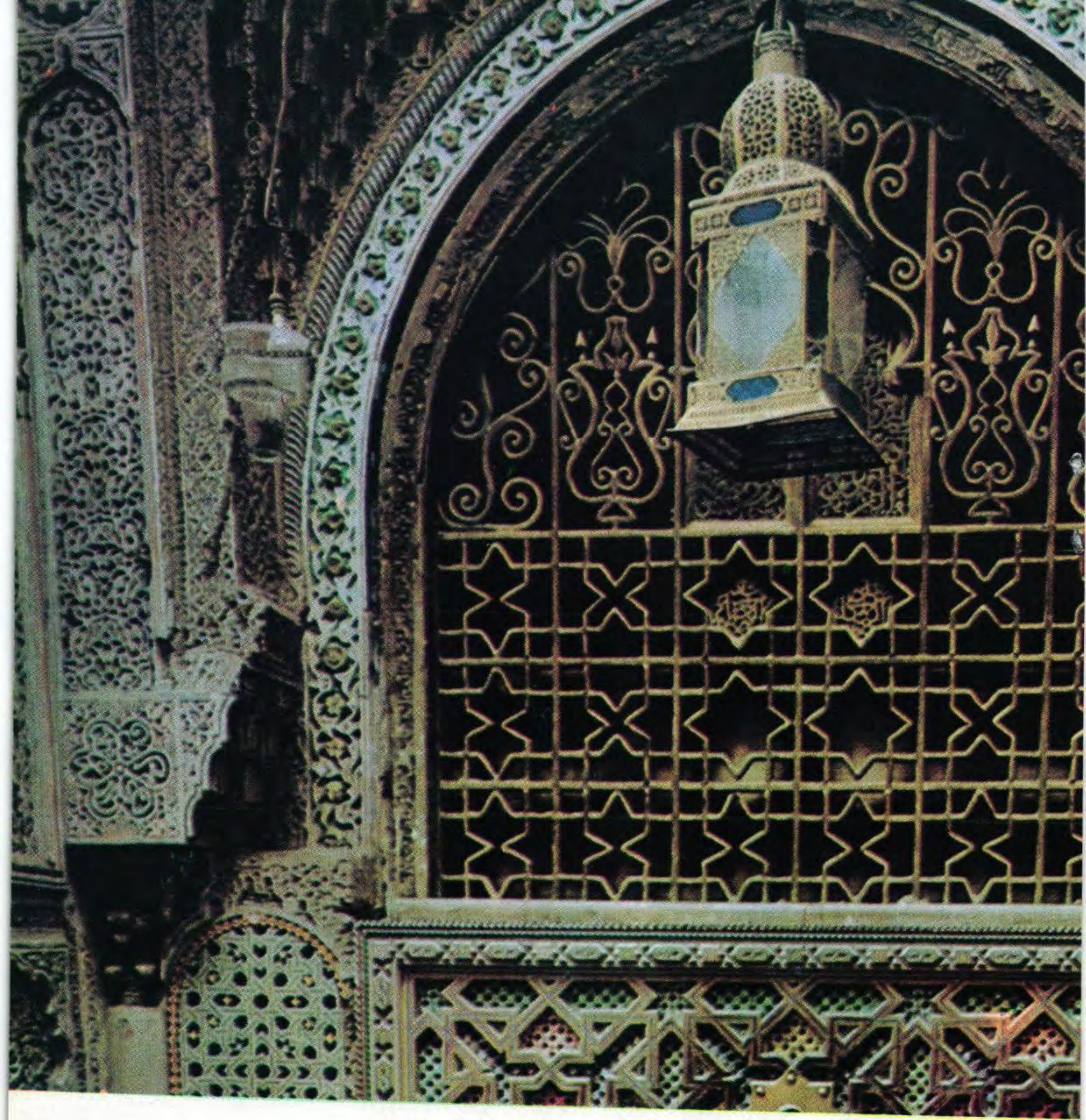
الأقصى بشعوبه وقبائله ، وأخذت قبائل البربر تتدفق إليه حبا في الجهاد .

ومن ذلك الوقت نستطيع أن نقول أن الاسلام قد توطدت أركانه في بلاد المغرب الأقصى ، وأنه بسط ظله على السكان وأن التحالف قد تم بين العرب والبربر ، وكانت هذه خطوة هامة في سبيل تدفق الاسلام الى غرب افريقيا .

وقد حرص الخلفاء على اختيار طائفة من الفقهاء ، ليعلموا البربر فرائض الاسلام ، ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم وأظهر بعض ولاة المسلمين ولا سيما الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز حماسة في اعلاء شأن الاسلام فقد أرسل مع واليه على شمال افريقيا عشرة من الفقهاء ليفقهوا مسلمي المغرب .

على أن ثقة البربر بالدولة الأموية بالمشرق قد تزعزعت بسبب تسرب بعض فرق الخوارج كالأباضية بينهم ، وقيامهم بنشر الدعاية ضد الحكم الأموي .

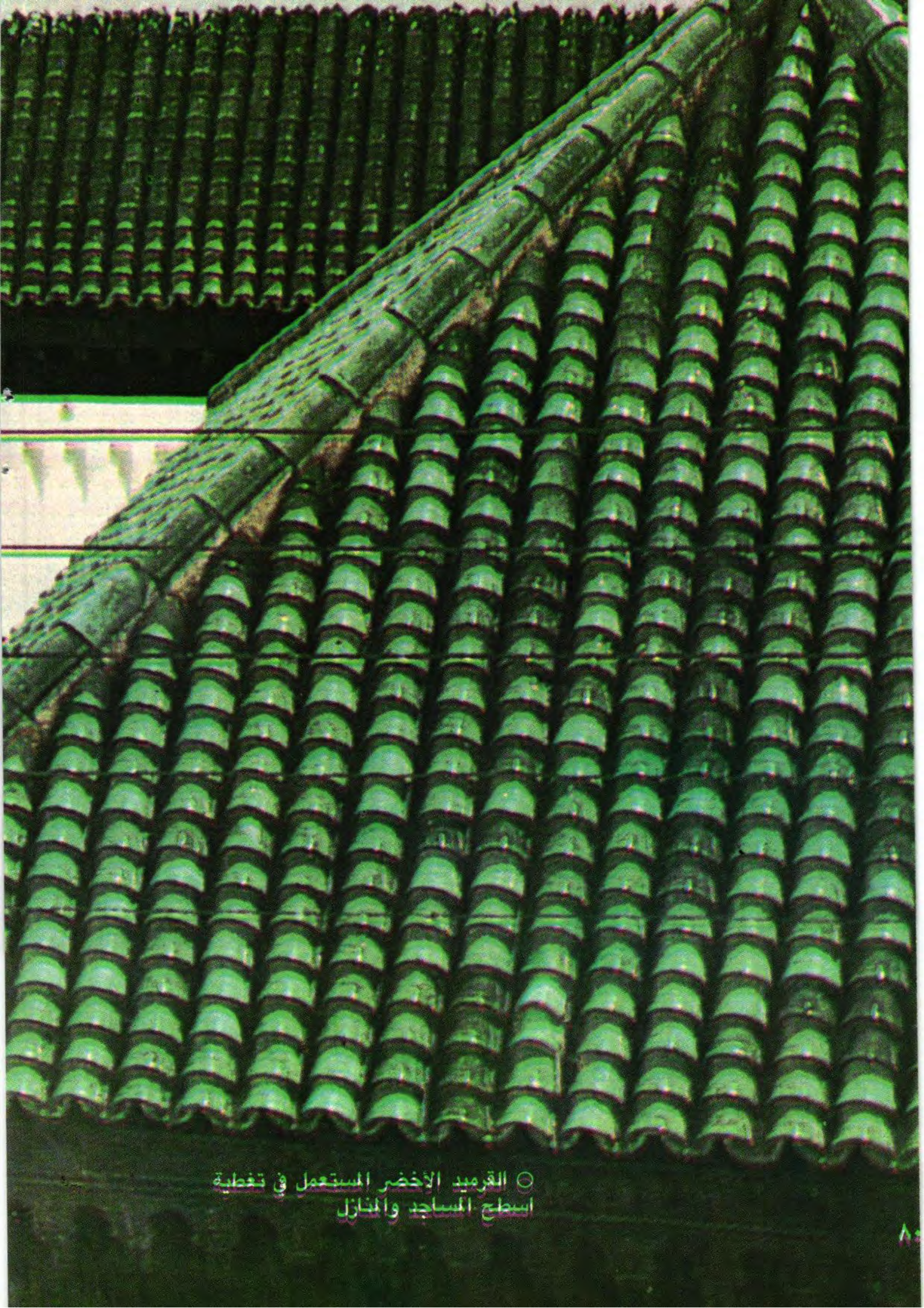
وفي العصر العباسي الأول ١٣٢/٢٣٢هـ . غدا شمال افريقيا مسرحا للفتن والقلاقل مما أدى الى قيام بعض زعماء البربر بالاستقلال عن الدولة العباسية وتأسست في المغرب ولايات مغربية مستقلة . وفي سنة ١٨٢هـ ـ حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي قامت دولة الأدارسة على يد المولى (إدريس بن عبد الله) الذي قدم من الشرق أثر الخلاف مع العباسيين . فاتجه الى المغرب مارا بليبيا فتونس فالجزائر . حيث أسس دولة الأدارسة التي حكمت أكثر من قرنين . وقد عملت هذه الدولة جهدها على نشر الاسلام في ربوع هذه البلاد . وقد جاوز نفوذ الأدارسة منطقة المغرب الأقصى الى



○ داخل مسجد مولاى ادريس

الصحراء الكبرى . وكان تأسيس مدينة (فاس) على يد ابن مولاى إدريس فاتحة عهد جديد في تاريخ الثقافة العربية في المغرب الأقصى ، فقد أصبحت هذه المدينة التي أسسها الأدارسة ، مثابة للعلم يقصدها العلماء والتجار من كل

حدب وصوب ، وأخذت معاهدها تنشر الدين الاسلامي واللغة العربية في تلك البلاد ، وقد بلغت هذه الثقافة التي كانت تشع من مدينة فاس الى ديار الملثمين ، لأن الأدارسة بسطوا نفوذهم على البلاد كلها تقريبا ، وتخطى نفوذهم



○ القرميد الأخضر المستعمل في تغطية
اسطح المساجد والمنازل



○ آثار قلاع قديمة جنوب المغرب

جبال أطلس الكبير وانتشروا في اقليم الواحات ، وازدهرت الحياة الاقتصادية في عهدهم ازدهارا لم تعرفه البلاد من قبل ، كما استطاع الأدارسة القيام بحركة جهاد مقدس بقصد اتمام نشر الاسلام في افريقيا ، ومحاربة العقائد الشاذة ، والقضاء على بقايا الديانات السابقة بين قبائل المغرب .

وفي سنة ٤٦٦هـ ـ ١٠٥٦م ـ انهارت دولة الأدارسة . وحكم بعدهم (المرابطون) وتعتبر أول دولة وحدت المغرب الأقصى والأوسط . وقامت بدور خطير في نشر الاسلام على الساحل الافريقي الغربي . ويجمع المرابطون في المغرب بين الجهاد والثقافة الدينية معا . وقد أسس هذه الدولة يوسف بن تاشفين الذي أعاد فتح الاندلس بعد انتصاره في معركة الزلاقة عام ١٠٨٥م . وقد دام حكم هذه الدولة لبلاد المغرب حوالي ٩١ عاما .

وفي سنة ١١٢١م ظهرت دولة الموحدين التي يرجع أصلها الى جنوب المغرب وقضت على دولة المرابطين ، وكان أشهر ملك فيها هو يعقوب المنصور الذي أعاد هيبة المسلمين الى الأندلس . وكان ذلك في معركة العقاب المشهورة .

وفي سنة ١٢٦٩م قدم (بنومرين) من الجنوب المغربي . وأسسوا دولة بني مرين . على أنقاض دولة الموحدين وكان أشهر ملك فيها هو أبو الحسن المريني . وفي عهد هذه الدولة سقطت دولة المسلمين في الأندلس ـ تقريبا ـ .

ومن المعلوم أن كل هذه الدول السابق ذكرها كانت تحكم امبراطورية مغربية كبيرة تشمل معظم شمال افريقيا (المغرب ـ والجزائر ـ وتونس ـ وليبيا) بالاضافة الى مد نفوذها على الأندلس قبل سقوطها في يد الأسبان والصليبيين .

وفي مستهل القرن الرابع عشر الميلادي تأسست دولة السعديين بعدما تغلبت على دولة بني مرين . وهي دولة ذات أصل مغربي كبقية الدول السالف ذكرها . ويعتبر الملك المنصور أعظم ملك فيها . وقد أمتدت امبراطوريته في الجنوب الى نهر السنغال .

وفي بداية القرن السادس عشر الميلادي تأسست دولة العلويين بعد انهيار دولة السعديين . وقد قدم العلويون من جنوب المغرب ، ويعتبر السلطان المولى اسماعيل أحد كبار السلاطين العلويين ، ولا زالت هذه الدولة تحكم البلاد الى يومنا هذا .

وفي سنة ١٩١٢ م بسط الفرنسيون حمايتهم على المغرب وكان ذلك في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ ، وفي سنة ١٩٥٦ م اعلن استقلال المغرب وأصبحت دولة حرة مستقلة تحت اسم « المملكة المغربية » .

للموضوع بقية في العدد القادم

قصص لا تنسى:

الصورة الأخرى

للاستاذ/محمد المجذوب

لم أستغرب زيارته ، لانها ليست الأولى ، ولعلها لا تكون الأخيرة ، فالرجل من أبناء بلدي الأول ـ طرطوس ـ وقد عرفته منذ كان عاملا في مزارع الآغاعلي ، ينقل نتاج مزارعه الكثيرة الى السوق في تلك العربة التي قلما رئى منفصلا عنها ، حتى باتت فرقعة سوطه فوق عنق البغل الذي يجرها ، فارقا مميزا يعرفه به سامعوه من قبل ان يطل عليهم ..

وقد اعتاد معاودة الحج في كل موسم منذ عدة سنوات ، ولا ينسى ان يجدد صلته بي كل مرة قدم فيها لزيارة المسجد النبوي ، أثناء مروره الى البلد الحرام ، أو عودته منه في الطريق الى الشام .

ولا انسى كذلك أن استوضحه عن أحوال بلده الذي فارقته قبل أربع وعشرين سنة ، وعن مصير بعض الناس ، وبخاصة الذين كان يعمل في خدمتهم ، فيتبسط في الجواب بما يوقظ الذكر ، ويثير العبر .. ولا سيما بالنسبة الى الآغا ، الذي أخبرني انه ملازم بيته منذ قيام الحكم الذي جرده من معظم أملاكه .

وقال زائري وهو يعيد كأس الشراب الى المنضد : الأغا يسلم عليك ..

وسرعان ما ردتني هذه العبارة الى حديث الموسم الماضي ، فوصلت ما بين المناسبتين ، ولم أتمالك أن أسأله : أولا يزال حبيس بيته ؟.. فأجاب : لاول مرة منذ عشر سنين يغادر منزله .. ولكن .. الى الحج ..

وأرسل كلماته الأخيرة في تقطع كأنه يختبر أثرها في نفسي .. فلم أتمالك ان صحت : الى الحج ؟! وأردف ببساطته المألوفة : الى الحج . وهو رفيقنا ، وينزل معنا على مقربة من المسجد النبوي .. وقد حملني تحياته اليك ، وأنبأني انه يود القيام بزيارتك لولا الارهاق الذي يعانيه ..

وما أدري كيف استطاعت هذه العبارات ان تصرفني عن متابعة الحديث لأدع لبصري ان يتأمل أناملي وهي تحرك القلم على الورقة التي كنت قد بسطتها على مكتبي ، دون ان أخط به شيئا يقرأ .

لقد وجدتني فجأة تلقاء ألواح شتى من صور لا أعلم اين كانت تختبئ ، ومن أين جعلت تتسرب ..

* * *

بدأ ذلك بنهاية الحرب العالمية الأولى ، يوم وطئت أقدام الفرنسيين شاطئ طرطوس الذي طالما تطلعوا الى اقتحامه ، وكثيرا ما حاولوا التسلل اليه ، من أرواد التي استطاعوا ان يفرضوا سلطانهم عليها منذ بداية الحرب ، فتردهم بنادق الجنود الذين عهد اليهم بحراسته ، حتى ليصبغوا ، الأمواج بدمائهم ، على الرغم من تفوقهم على هؤلاء الحراس بالحديث عن هروب الاسلحة التي ما كان جنود الدولة العثمانية ليحلموا بامتلاكها ، الا ان سقوط الجبهة التركية بعد انهيار حلفائها من الالمان ، قد فتح الطريق أمام الفرنسيين ، فتدفقوا على الشواطئ الشامية وما وراءها كالوباء الكاسح . وكان ذلك منعطفا جديدا في حياة الشام كلها ، وبخاصة طرطوس ، تلك البليدة الساذجة ، التي تأخرت عن ركب الحياة منذ قرون ، فلم يبق فيها من آثار الحضارة سوى الاطلال التي تمتزج فيها مخلفات الفينيقيين بأسوار الصليبيين ، لترسم الأهمية التاريخية التي يمثلها هذا الثغر ، مع الجزيرة المقابلة له ، في نظر هؤلاء وأولئك .

كانت طفرة واسعة تلك النقلة التي واجهتها طرطوس من خلال ذلك الاحتلال .. فليس بالأمر السهل أن يقفز الناس من نطاق الحرمان والجوع وأزيز القذائف الهابطة عليهم من قبل الزوارق الفرنسية بين الحين والحين .. الى منطلقات الرخاء والعمل والمشاهد الاجتماعية الجديدة التي حملها اليهم ذلك الاحتلال ..

لقد شرع كل شئ يتغير ..

هذه الفرق الراقصة .. من أين سقطت على طرطوس ، فلا تكاد تودع واحدة حتى تستقبل الأخرى !.

هذه الخمارات .. كيف برزت هنا وهناك .. وأين كانت من قبل !..

أمن هنا إذن كان ذلك الشقي المسكين (يوسف الكعاك) يحصل على زاده من الخمر عصر كل يوم ، فلايزال به حتى يفقده الوعي ، فيتراكض اليه

الصغار يرجمونه بالحجارة حتى يلقى بنفسه في البحر !..

ولكن عهد الكعاك هذا قد انطوى الى غير رجعة ، وها هي ذي قطعان الشباب الفارغ من أبناء الأغوات واشياعهم ينطلقون وراء هذه المفاتن دونما رادع ولا زاجر ..

* * *

ويتركز بصري من خلال هاتيك الصور على ذلك الفتى الذى كانت فورته الصاخبة في هذا المسلك سببا في جر الكثير من أشباهه اليه ..

لقد اقبل هؤلاء في اندفاع ضرير على ممارسة كل ما كان يعد من المنكرات في نظر آبائهم ، حتى المخدرات التي لم يسمع بها الناس في هذا البلد قط قد اتخذوها عملا يوميا ، يجتمعون عليه في الدور أو الحقول ، فاذا ما اخذتهم الغمرة انطلقوا في الشوارع يعربدون ويصخبون ، دون أن يجرؤ احد على معارضتهم أو نصيحتهم .. وسرعان ما ألف السكان هذا التصرف ، حتى بات من المغريات التي تستهوي المراهقين من ابناء الفقراء والأغنياء على السواء ..

وها هم أولاء .. إني لألمح طيوفهم من وراء السنين ؟!..

شباب يستبيحون كل شيء في سبيل هذه المغويات .. حتى بيع المأمول من تركات آبائهم الذين لم يموتوا بعد ..

مرابون ظماء يلهثون وراء هؤلاء ، ليمدوهم بكل ما يعوزهم ، مقابل توقيعهم على أسناد بيضاء يملئونها بما يشاؤون ..

أغرار يتنافسون على التفاهات ، حتى ليشعل أحدهم دخينة الراقصة باحراق ورقة الخمسين جنيها .. وهو يعلم أولا يعلم أن الجنيه الواحد يفوق قيمة الدينار الذهبي !..

ثم .. ماذا ؟!.

ثم هذا الفتى ..

لقد مات والده المزارع المتواضع .. فقبض على ثروته كلها .. وفرض وصايته على ورثائها جميعا ، فله أن يفعل بها ما يشاء ..

لم يكن الفتى غبيا .. ولكنه وضع كل طاقاته في خدمة الشيطان ..

لقد تعلم من تجاربه اليومية أن للمال سلطانه المطلق ، به يحقق متعته ، وبه يسيطر على شركائه في هذه المتع .. وبه يسخر قوة المسئولين عن الأمن لحماية كل ما يمكن ان يقوم به من عدوان .

وها هو ذا يبسط يديه على الكثير من العقارات التي تجاور أملاكهم .. والويل لأصحابها اذا هم اعترضوا سبيله !..

ولكن أبناء طيارة وحدهم يرفضون سلطانه على أملاكهم .. وها هم أولاء في ساحة البلد ، يصرخون بالرفض .. على الرغم من العصى التي تصبها

عليهم أيدي المرتزقة ، الذين استأجرهم الأغا لهذا الغرض ..
وما أهوله منظرا .. ذلك الذي أشاهده في هذه الساحة !..
انه طوني اللبناني ، الذي جاء به الأغا خصيصا لمثل هذه الملحمة .. أنه ليشهر مسدسيه بكلتا يديه ، ويصوبهما نحو هؤلاء ، الذين جرؤوا على التشبث بحقهم في أملاكهم التي يريدها صاحبه !.
وما أغربه مشهدا .. أن يستمر هؤلاء الرافضون في تظاهرتهم لا يصدهم وقع العصي ، ولا يخفت أصواتهم قرب المسدسات من صدورهم !..

* *

وبغتة ينقطع شريط هذه التصورات لاستمع الى صوت زائري وهو يقول :
ان الطرطوسيين يترقبون زيارتك كما عودتهم في كل موسم .. وانهم لمجتمعون كلهم في بناء واحد قريبا من باب السلام .
قلت : تلك فرصة طيبة لرؤيتهم والاطمئنان على أحوالهم ..
ومضيت بزائري الى السيارة ليدلني على مقر القوم .
وفي غرفة بسيطة وجدت الرجل الذي أثار ذكرياتي فقفز بي فوق حواجز نصف قرن من الزمان ..
كان متجمعا على أحد المفارش المطاطية ، وقد القى عليه أحد الأغطية فلم يبد لي سوى وجهه ، الذي لا يبرح محتفظا بملامحه الفارقة على الرغم من أعباء الثمانين ، عيناه الواسعتان الشهلاوان ، وبشرتـه البيضـاء الوردية ، وأنفه الذي يتميز بشكله الأقنى سائر أبناء أبيه . ثم جاء صوته الذي انطلق يرحب بي في نبرته التي تمزج الخشونة بالنعومة ..
وحاول أن ينهض على قدميه وهو يرد تحيتي بأحسن منها ، فأبيت عليه ، وأسرعت للجلوس بجانبه .. وجعل يسمي لى من معه من أهله .. وشد ما أسعدني منظر زوجه ، التي كانت أنموذج الترف في طرطوس ، وقد احتوتها الشيخوخة ، وأكبت على خدمته تمسح وجهه ، وتقدم اليه القهوة ، وتصلح وضع الوسادة وراءه ..
حتى شعره لم يختلف على منظره ، الا استطالته اكثر مما ألفت ، والا لونه الذي استقر على البياض .. وحتى اهماله اياه على هذه الصورة التي تواجه عيني ، لم يكن جديدا علي ، فما أذكر أني رأيته قط معنيا بترجيله وتصفيفه كما يفعل أقرانه ، ولعل هذه هى الميزة الوحيدة التي ورثها من طبيعة والده ، الذي كثيرا ما كنت أشاهده جالسا على حافة الرصيف هنا أو هناك ، حيث وجد حاجة للجلوس مع ذوى العلاقة به ، فاذا ما فرغ من أمرهم نهض ونهضوا ينفضون سراويلهم من آثار التراب .. وها أنذا أراه الآن على الطريقة نفسها التي لم يستطع عنها فكاكا حتى أيام قوته ، يرسل

نفسه على سجيتها ، فلا تصنع ولا تكلف .

وأشعل الدخينة من عقب أختها ، وغلبه السعال ثم مسح فمه بالمنديل الورقي ، وجعل يقول وهو يشير الى دخينته الملتهبة : انها الوحيدة التي بقيت من أوزار الماضي ..

قلت : ولعل الله يريحك منها أيضا ..

وتساءلت في نفسي : أحقا لم يستبق من أوزار الماضي سوى هذه الدخينة ؟.. وهل يعقل ان يفارق الحشيش ، وهو الذي به عرف ، وعنه انتشر في طرطوس !!

ورأيت صدره يرتفع وينخفض ، وهو يرسل مثل الحشرجة المتقطعة .. ومع ذلك لا ينفك يرفده بالدخان الذي يعود الى امتصاصه بين الفينة والفينة ..

ودعوته ومن معه للغداء فاعتذروا .. فلم يبق الا أن أحملهم بالسيارة لأمر بهم على المشاهد التي تتصل بتاريخ الاسلام .. وساعدته زوجه الوفية حتى استقر على المقعد المجاور لي .. ومن ثم انطلقت بهم نحو أحد ، فسلع ، فالمساجد السبعة ، فبئر رومة .. حتى انتهينا الى مسجد قباء الذي تعدل الصلاة فيه عمرة .. وكنت أقص عليهم ذكرى كل واحدة من هذه البقاع الناطقة بأنباء الوحي والمجد ..

وكان الوقت قد قارب الزوال ، وأوشك الأذان أن يرتفع لصلاة الظهر ، عندما وقفت بهم مقابل باب عمر من المسجد النبوي ..

وهبطت النسوة الثلاث من المقعد الخلفي ، ثم أقبلن نحو الرجل يساعدنه على النزول .. وكأنه كان في معزل عما حوله تماما ، فما إن فتح له الباب حتى تنبه الى شأنه ، فنظر الي بعينين مغرورقتين ، وجعل يتمتم بكلمات الشكر ، في لهجة لم يستطع تصفيتها من وهج الانفعال ، ثم قال وكأنما يخاطب نفسه : ما اكثر ذنوبي .. وما أثقلها من ذنوب !!..

وأطرق قليلا ثم تابع : ترى .. هل لمثلي من أمل بعفو الله ؟ـ!

وكدت أقول له : لابد أولا من رد المظالم الى أهلها ..

ولكني تذكرت ان الاشتراكية قد التهمت كل شيء ، فلم تدع لمثله حلالا ولا حراما يتسع لأداء الحقوق ..

وسرعان ما وثبت الى ذهني هنا تلك الصورة الأخرى لهذا الرجل .. صورته وهو يوزع على فقراء بلده حصصهم من الزيت ، في كل موسم يطل عليه من خلال الغابات الواسعة التي يسيطر عليها من حقول الزيتون ، فلا يتصرف بشيء منها قبل أن ينال كل محروم نصيبه من ذلك الخير .. فلم أتمالك أن آخذ بيده أشق له الطريق الى المسجد ، وأنا أتلو على مسمعه قول الله : (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ..) الزمر / ٥٣ .

معركة الإسلام

مع الفكر الملحد

للدكتور : محمد أحمد العزب

ـ ١ ـ

قضية القضايا في كل دين هي الايمان بوجود الله ، وما عداها يتفرع عنها وينبثق منها ، لأن الايمان بوجود مصدر كلي شامل يستتبع الايمان بكل مفردات الظاهرة الوجودية ، وفي الاسلام بخاصة يتميز وجود الله بمنطق طبيعي لا يصادم في جزئية من جزئياته سواء الطبيعة ولا منهج الفطرة ، ولذلك . فان براهين هذا الوجود تبدو على جانب قطعي من اليقين والجزم ومعقولية المقولات .. فالله من الوجهة الاسلامية واجب الوجود لذاته ، ومتصف ـ ضرورة ـ بالقدم والبقاء ونفي التركيب .

ـ ٢ ـ

هو واجب الوجود لذاته تأسيسا على قطعية برهان الخلق .. « وخلاصته أن الموجودات لا بد لها من موجد ، لأننا نرى كل موجود منها يتوقف على غيره ونرى غيره هذا يتوقف على موجود آخر دون أن نعرف ضرورة توجب وجوده لذاته ، ولا يمكن أن يقال إن الموجودات كلها ناقصة وأن الكمال يتحقق في الكون كله ، لأن هذا كالقول بأن مجموع النقص كمال ، ومجموع المتناهيات شيء ليس له انتهاء ، ومجموع القصور قدرة لا يعتريها القصور . فاذا كانت الموجودات غير واجبة لذاتها فلا بد لها من سبب يوجبها ولا يتوقف وجوده على وجود سبب سواه .. ويسمى هذا البرهان في أسلوب من أساليبه المتعددة : ببرهان المحرك الذي لا يتحرك ، أو المحرك الذي أنشأ جميع الحركات الكونية على اختلاف معانيها ، ومنها الحركة بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان ، والحركة بمعنى الانتقال من حال إلى حال ، والحركة بمعنى الانتقال من حيز الامكان إلى حيز الوجود ، أو من حيز القوة إلى حيز الفعل . وفحوى البرهان أن المتحرك لا بد له من محرك ، وأن هذا المحرك لا بد أن يستمد الحركة من غيره ، وهكذا إلى أن يقف العقل عند محرك واحد لا تجوز عليه الحركة لأنه قائم بغير حدود من المكان أو الزمان ، وهذا هو « الله » .

ـ ٣ ـ

وهو متصف ـ ضرورة ـ بالقدم والبقاء ونفي التركيب « لأنه لو لم يكن كذلك لكان حادثا ، والحادث ما سبق وجوده بالعدم ، فيكون وجوده مسبوقا بعدم ، وكل ما سبق بالعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود ، وإلا لزم رجحان المرجوح بلا سبب ، وهو

محال ، فلو لم يكن الواجب قديما لكان محتاجا في وجوده إلى موجد غيره ، وقد سبق أن الجواب ما كان وجوده لذاته ، فلا يكون ما فرض واجبا واجبا ، وهو تناقض محال . ومن أحكامه أن لا يطرأ عليه عدم وإلا لزم سلب ما هو للذات عنها ، وهو يعود إلى سلب الشيء عن نفسه وهو محال بالبداهة ... ومن أحكامه أن لا يكون مركبا ، إذ لو تركب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته التي هي ذاته ، وكل جزء من أجزائه غير ذاته بالضرورة ، فيكون وجود جملته محتاجا إلى وجود غيره ، وقد سبق أن الواجب : ما كان وجوده لذاته ، ولأنه لو تركب لكان الحكم له بالوجود موقوفا على الحكم بوجود أجزائه ، وقد قلنا إنه لذاته من حيث هي ذاته ولأنه لا مرجح لأن يكون الوجوب له دون كل جزء من أجزائه بل يكون الوجوب لها أرجح فتكون هي الواجبة دونه .. ونفى التركيب في الواجب ، شامل لما يسمونه حقيقة عقلية أو خارجية ، فلا يمكن للعقل أن يحاكى ذات الواجب بمركب ، فان الأجزاء العقلية لا بد لها من منشأ انتزاع في الخارج ، فلو تركبت الحقيقة العقلية لكانت الحقيقة مركبة في الخارج ، وإلا كان ما فرض حقيقة عقلية اعتبارا كاذب الصدق لا حقيقة .. وكما لا يكون الواجب مركبا ، لا يكون قابلا للقسمة في أحد الامتدادات الثلاث : أي لا يكون له امتداد ، لأنه لو قبل القسمة لعاد بها إلى غير وجوده الأول ، وصار إلى وجودات متعددة وهي وجودات الاجزاء الحاصلة من القسمة ، فيكون ذلك قبولا للعدم أو تركبا وكلاهما محال كما سبق » .

ـ ٤ ـ

وهكذا يلوح الفكر العقيدي في قضية وجوب الوجود فكرا متوازن المنطق ، صحيح المقدمات والنتائج ، بحيث يبدو الفكر الملحد إلى جواره عبثا من العبث وتجديفا بلا جدوى ، لأن هذا الفكر الملحد في تطوافه العابر أو المتأنى حول هذه القضايا ، لا يتصدى لبناء منهج فكري متوازن الأبعاد والأعماق ، ولكنه يتكئ على منطق الرفض الذي يطيقه الصغار ، فلا يكلف أحدهم نفسه غير أن يقول : « لا » في وجه كل : « نعم » ... وإذا كان الفكر العقيدي في مواجهة هذا الفكر العابث يحرص على بناء مقولاته بناء فلسفيا ملتزما بأخلاقيات المنهج العلمي ، فلأن لديه ما يحرص عليه من قضايا حقيقية يريد توصيلها الى الناس .. ولأن ما لديه من هذه القضايا يمتلك اقتدارا ذاتيا على العطاء والاتساق ، وإقامة بناء فلسفي يدعم مضامينه الخالدة في مواجهة أعتى الرياح وأعتى التحديات .

ـ ٥ ـ

فاذا تأكد بالبرهان الجازم واليقين القطعي أن الله واجب الوجود لذاته ،

وأنه متصف ـ ضرورة ـ بالقدم والبقاء ونفي التركيب ، استتبع ذلك على الفور قضية أخرى هي قضية وحدانية الواجب ، وقد حسم القرآن الكريم هذه القضية بنوع من الاستدلال المنطقي القاطع فقال : **(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)** (الأنبياء/٢٢ وقال : **(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)** المؤمنون/٩١ وقال :(**أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)** يوسف/٣٩ .. وقد سمى علماء التوحيد هذا البرهان ببرهان التمانع ، وقد اختلفوا فيه ، ولكنه اختلاف لا موجب له مع فهم البرهان على معناه الصحيح الذي لا ينبغي أن يطول الجدل عليه كما يقول العقاد .

« وصواب الأمر أن وجود إلهين سرمديين مستحيل ، وأن بلوغ الكمال المطلق في صفة من الصفات يمنع بلوغ كمال آخر في تلك الصفة ، وأن الأثنينية لا تتحقق في موجودين كلاهما يطابق الآخر ولا يتمايز منه في شيء من الأشياء ، وكلاهما بلا بداية ولا نهاية ولا حدود ولا فروق ، وكلاهما يريد ما يريده الآخر ويقدر ما يقدره ويعمل ما يعمله في كل حال وفي كل صغير وكبير ، فهذان وجود واحد وليسا بوجودين ، فاذا كانا اثنين لم يكونا إلا متمايزين متغايرين ... فلا ينتظم على هذا التمايز والتغاير نظام واحد ، وإذا كانا هما كاملين ، فالمخلوقات ناقصة ، ولا يكون تدبير المخلوق الناقص على وجه واحد بل على وجوه .. وعلى هذا : فبرهان القرآن الكريم على الوحدانية برهان قاطع ، وليس ببرهان خطاب أو إقناع ... وشأن القرآن في عالم الدين والعقيدة معروف ، وهذا شأنه في عالم الحكمة الالهية إذ يتناول وجود الله ووحدانية الله » .

ـ ٦ ـ

ومتى استقرت في أخلاد الأجيال قضيتا وجود الله ووحدانيته ، فكل قضايا الذات والصفات والرسالات بعد ذلك تكون محلولة بلا جدال ، لأن الذي يتلقى قضية الوجود والوحدانية ، ويرسو منهما على شاطىء يقيني ، يستطيع بقليل من التفكر والادراك السديد ، أن يعطي اعترافه الكامل لذاتية الموجود ، وتعالى هذه الذاتية بصفاتها وكمالاتها عن التحديد والتجسيد والتشبيه ، كما يعطي اعترافه الكامل لضرورة الرسالة ، وذلك لحاجة العقل الانساني في قيادة القوى الادراكية والبدنية إلى معين من بني جنسه يفهم عنه ، ويحس فيه بامتياز خاص يؤهله للحديث عن الله ، فان هذا المعين ـ وهو النبي أو الرسول ـ يقرب أمام العقل الانساني قضايا الذات والصفات والغيب على سوائها الحقيقي ، فينقذ هذا العقل من وهدة التخبط الغاشم في أودية ما لا يستقل بفهمه من القضايا

والمقولات .

ـ ٧ ـ

وإذن فالايمـــان بوجـــود الله ووحدانيته يشكل الأســاس الــذي يرتكز عليه الوعي الانساني في لقائه المثير بعناصر الوجود ، لأنه يدعــم مركز الانسان في الكون كخليفة لله ومخلوق على صورة خالقه ، وكلما أوغل الانسان في عرفانه بخالقه ، وتنزيهــه عن المحدوديــة والمثليــة والزمانية والمكانيــة ، كلمــا ازداد رسوخا في قلب الحركة التاريخية ، وارتفاعا بهــا من مراغــة الخبــط والتشويه إلى قمم الحكمة والوسامة ، لأن قيادته للواقع التاريخــي تكون مقيسة حينذاك إلى هدف واضح ، ومشدودة إلى مثال تصدر الجماليات عنه كما يصدر الضوء عن الفجر ، والحركة عن الطاقة ، والعبــير عن حدائق الورود .

« وقد تخيل بعض المتكلمــين في الأديان أن هذا التنزيه البالغ يعزل الخالق عن المخلوقات ، ويبعد المسافة بين الله والانسان .. وإنه لوهم في الشعور وخطــأ في التفــكير .. لأن الكمال ليســت له حدود ، وكل ما ليست له حدود فلا عازل بينه وبين موجود .. وفي القرآن الكريم (**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**) البقرة/١١٥ (**ونحــن أقرب إليــه من حبــل الوريــد**) ق/١٦ » .

ـ ٨ ـ

فاذا كانت القضية الايمانية على هذا النحو من التغور في صميم الذات المخلوقة ، وعلى هذا النحو من التناغم المنطقي الــذي تفضى مقدماتــه إلى نتائجه ، فلمــاذا يستطيــع الفــكر الملحد ـ في كل العصور ـ أن يجد له جيوشا وألوية وأرضا يقاتل من فوقها الفكر العقائدي ؟!!..

أغلب الظن أن هذا الفكر الملحد يسقط على ما في الكون من إعضال وتناقض ظاهري يبدو أمام الطاقة الانسانية المحدودة تناقضا في صميم البناء الوجودي ، وليس في محدودية الرؤية البشرية لهذا البناء ، ليؤكد من خلاله أن كونا يتضمن مغاليق لا تفهم من جهــة « كقضيــة الموت » ... وتشوشا ينبثق من تعانق النقيضين في نفس هذا الكون من جهة أخرى : « كقضية الشر الحادث في العالم مع فرضية عدالة الخالق ورحمته » : هو كون مخلوق للصدفة والعبث والطبيعة الصماء !!..

وأغلب الظن كذلك أن هذا الفكر الملحد يسقط على قضية وجود الله وماهيته وانحسار العقل البشري ـ بالضرورة ـ في محدودية التصور دون الاندفــاع في مطلــق المشاهــدة والاحتواء ، ليقيم من هذه الوضعية « المحكومــة بقوانــين الخالقيــة والمخلوقية » مصادرة يواجــه بهــا الفكر العقائدي ويحــاصره في جدل قياس الالهيات بالبشريات ، وهنــا

تكمن حقيقة المأساة .

ومن واجب الفكر العقائدي في كل من القضيتين ، أن يتصدى لمقولة الرفض بمقولة الاثبات ، ولجدل المادة بجدل المادة والروح ، ولثقافة العصر بثقافة كل العصور .. أما أن يتخفى وراء أقنعة التعقل البارد ، أو اللامبالاة الكسيحة ، فتلك محنة تجرم بطلها وتنفيه من خرائط الفكر الايماني المقتحم الجسور .

ـ ٩ ـ

إن الفكر الملحد حين يسقط على قضية « الموت » زاعما أنها فناء غير مبرر لمخلوق كان من الممكن أن لا يوجد أساسا . أما وقد وجد فان من حقه أن لا يفنى على هذه الصورة القاسية .. ينسى تماما بسائط القانون الطبيعي القائل بأن المادة لا تفنى ، وأن الموت في ضوء هذه الحقيقة الطبيعية لا يعد فناء مطلقا ولا غيابا مطلقا ، ولكنه مجرد صيرورة يستحيل بها من وضعية طارئة في كون تتسم كل ظواهره الطبيعية بالاستحالة والطروء ، إلى وضعية خالدة حيث تعود العناصر لترتمي بكاملها في أحضان صدرها الأول الذي انبثقت عنه فتكتسب خلودها من خلوده ، وديمومتها من ديمومته ، ويصبح « الموت » عبورا من الطارئ إلى الخالد ، وانسيابا طبيعيا من وضعية الانفصال إلى وضعية الاتصال .

ـ ١٠ ـ

أما قضية الشر التي يسقط عليها الفكر الملحد ويجسد منها تحديا لعدالة الخالق مع فرضية تسليمه بوجوده . أو تحديا لوجوده في ضوء التناقض الشامل الذي يزعمه هذا الفكر بين حدوث الشر في العالم ـ وهو حادث بالمشاهدة ـ وبين الوجود الراحم لاله حكيم ، مما ينتفى معه الوجود غير المحس ـ وهو وجود الله ـ أمام حلول الوجود المحس ـ وهو وجود الشر ـ لانتفاء وجودهما معا .. فان الخطل كامن في أساس الحكم على القضية وفي طريقة الحكم عليها جميعا ، لأن من المسلم به أن الظاهرة الوجودية ليست آنا واحدا وليست جغرافية واحدة ، وإنما هي نهر متواصل التدفق ، ومسافات تفضى بلا نهاية إلى مسافات ، وما دام ذلك كذلك فان طاقة الرؤية الانسانية المحدودة بالضرورة أعجز من أن تحيط بكل الظاهرة الوجودية لتحكم لها أو عليها .. إن قصاراها : أن تحكم على الآن الزماني الذي تعيشه ، وعلى المساحة الجغرافية التي تمارس فوقها نشاطاتها الحيوية ، فاذا وقع في آنها المحدود أو مكانها المحدود ما يصادم لذاذاتها الشخصية الضامرة أطلقت حكمها العشوائي بخطل المعادلة الكونية ، مع أن الخطل كامن في قصورها الذاتي عن احتضان كل الكون والوجود والحكم من خلال هذه الرؤية الشمولية على النظائر والأضداد .. إن ما تحسبه الذات الانسانية شرا هو جزء من ظلال

الصورة الكلية المحكومة في النهاية بالخيرية المطلقة ، لأن ما هو شر بالنسبة إليك ، قد يكون خيرا بالنسبة إلي . فأي الجانبين نرجح في موازين الحكم والتقدير .. ولو أن هذه الذات عاشت كلية الصورة ـ وهي بالضرورة لن تكون ـ لأدركت حكمة الظل في جانب والضوء في جانب آخر ، ولعرفت أن عمرا زمانيا أو مكانيا لا يمكن أن يخول الحكم المطلق على كل الأزمنة والأمكنة بلا حدود !!..

ـ ١١ ـ

وتتصل قضية الفكر الملحد في ضلاله مع قضية وجود الله وماهية هذا الوجود بمحدودية الطاقة البشرية المتلقية ، ربما انطلاقا من مسلمة : أن الجزء لا يطيق أن يستوعب الكل ، وربما انطلاقا من ضرورة حصر العلاقة بين الخالق والمخلوق في مسافة عرضية المخلوق ولا نهائية خلود الخالق ، وربما انطلاقا : من كون القدر الادراكي المفاض على البشر محكوما بنوعية المعرفة الانسانية وتخومها الضاغطة ، وربما انطلاقا : من فرضيات أخرى كثيرة ومتنوعة ، إلا أنها في النهاية تقف من عجز الطاقة وقصورها الذاتي على عتبات فهم الوجود الالهي ، وكان جديرا بها منذ البدء أن تنصرف عن هذا الطموح الفادح إلى تأمل روعة ما يحيط بها من إبداع معجز في ظواهر الطبيعة ، وآفاق الكون ، ورحائب النفس والوجود .

ـ ١٢ ـ

هذه نوعيات من سقوط الفكر الملحد الغابر والمعاصر على قضايا الاثارة والتناقض الشكلي ، ومحاصرة الحس العقيدي تحت وطأة وضع هذه القضايا في مقولات فلسفية ، أو رؤى فنية ، أو بناءات فكرية ، مما يضفي عليها طابع الخلابة والفتون في غياب المفسرين لفكرنا العقائدي من وجهة معاصرة تعيش أزمة المرحلة وتعبر عن همومها بلغة العصر ولغة ما تستريح إليه أجياله من أشكال الفن والفكر والجدل الحضاري على السواء .

إن الصمت لا يعني الامتلاء بقدر ما يعني الخواء ، وقد كان أسلافنا الكبار يعيشون قضية الفكر الاسلامي في مرابطة دائمة ، كلما سمعوا هيعة طاروا إليها ، فاستطاعوا من خلال هذه الجسارة الفكرية أن يتركوا أهرامات من الابداع في كل الحقول ، تطاول أروع ما تفتق عنه العقل البشري في كل العصور والبيئات ، وأن يثبتوا دائما أن الذهنية العربية والمسلمة قادرة بكل ما تملك من عطاءات مواريثها أن تقود وأن تناجز وأن تنتصر ..

فمتى .. متى نشعل في هشيم حياتنا الناضبة شرارة البدء ؟

ومتى نستعيد ممالك الفتح الأولى ، ونضيء شموس الفكر العقائدي فوق خرائب ما يعانيه العالم اليوم من فكر ملحد بلا تبرير ؟؟!!..

قالوا في الأمثال

○ من يمدح العروس إلا أهلها :

كل امرىء يعجب بما عنده ولو لم يكن يستحق الاعجاب .
يعد التاجر بضاعته أجود بضاعة وإن لم تكن ، ويجعل المرء أهله وعشيرته وشعبه أعظم الناس وأفضل الشعوب وإن لم يكونوا ، يخفي عوراتهم ويظهر مفاخرهم ، ويرد من حاول تحقيرهم ، ويباهي بهم ، ، لان خيرهم خيره وقوتهم قوته ، وتحقرهم تحقيرله ، إذا عزوا عز وإذا ذلوا ذل ، وإذا نفقت بضاعة تلك التاجر عاد رواجها عليه ، أما بضاعة غيره فلا يناله منها شيء ـ
وكذلك يمدح المرء نفسه ، ويشيد بأعماله ولو كانت ضئيلة ، لا يعترف بالغباء إذا كان غبيا ، ولا يظهر بمظهر الضعف إذا كان ضعيفا ، بل يتكلف الظهور بمظهر الذكي المفكر القوي ، وان لم يعترف للناس بما يدعى وإن كذبه للعيان .
ومثل ذلك يصنع أهل العروس ، يبرزون الجوانب المشرفة فيها ، ويخفون الجوانب المظلمة ، يعرضون محاسنها ويصفونها بأكثر مما فيها أو بما ليس فيها حتى تحلو في عين الخاطب : أما غيرهم فلا يهمه من امرها ما يهم أهلها .

صدرك أوسع لسرك

مثل يضرب للحث على كتمان السر ، فالعاقل يحتفظ بسره ، ويجعل صدره وعاءه ، ولا ينقله إلى صدر آخر ، لأن الصدور الأخرى أوعية لا تبقى عليه ، وتضيق به فتلقيه وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : أنا لحده أي قبره الذي لا يخرج منه .
وقال الشاعر :

إذا جاوز الاثنين سر فانه يبث وتكثير الحديث ضمين

الحريات في الإسلام

مَفهومهَا.. مَوقفه منهَا.. ارتبَاطهَا بالمسئولية

للشيخ سليمان التهامي

الحرية : هى التحرر من العبودية والظلم . وتطلق في اللغة كما جاء في « أساس البلاغة » وغيره : على العبودية والاسترقاق . فيقال : هو حر : أي غير مسترق ، وتطلق على الخلوص من القيد ، فيقال : هو حر اي غير أسير ، وعلى الخلوص من كل شيء فيقال : فرس حر : اي اصيل ليس في نسبه هجنة ،كما يقال: ارض حرة : أي لاسبخة فيها ، وطين حر : اي لارمل فيه . وتطلق على : الشرف ، وطيب الارومة ، وكرم المنبت . فيقال : هو حر : أي كريم شريف طيب ، وسحابة حرة : اى كريمة المطر ، وهو من حرية قومه : أي من أشرافهم .

والحرية حق من الحقوق الطبيعية وهبها الله للانسان وقد استحقها بفضله وفطرته وانسانيته كحق الحياة والعلم وسائر الحقوق الأخرى ذلك أن الاعتبار الانساني لايقوم الا بالحرية ، والحريةمفهوم يختلف تماما عما وقر في أذهان كثير من الناس في هذا الزمان . هؤلاء الذين يفهمون أن الحرية : انطلاق من كل قيد وراء الاهواء والشهوات ،وانفلات من كل نظام ، وخروج على العرف والقانون ، والعادات الصالحة والتقاليد القويمة بحيث يقول المرء ماشاء ويفعل مايريد ، ويتصرف حسب مايزين له هواه وشيطانه ونفسه الأمارة بالسوء ، فتلك هى الفوضى والعبودية للشهوات والغرائز . وقد مضت سنة الله في

الحياة أن كل شيء يسير وفق قانون يضبط أمره،قال تعالي: ﴿ **ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل تري من فطور** ﴾ الملك /٣ وما جاءت الشرائع ، ووضعت القوانين ، وصيفت الدساتير الالبيان تلك السنن وعلى هذا فليست هناك في الحياة حرية مطلقة غير مقيدة بقانون بل ان حرية الفرد لا تصان الا حين تقيد ببعض القيود لتسلم حريات غيره في المجتمع . فليس من حق احد أن يتخذ من عدو وطنه أو دينه وليا يلقي اليه بالمودة ، ويفضى اليه بالأسرار ،ويطلعه على العورات التى تهدد أمن الدولة ، وتدمر سلامتها دون أن يتعرض لعقاب الله ومؤاخذة القانون : وهو مايفهم من قوله تعالى: (**يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة**) المتحنة /١ ومن مؤاخذة الرسول صلى الله عليه وسلم لحاطب بن أبي بلتعة ــ وهو صحابي جليل وممن حضر بدرا ، ومن المبشرين بالجنة ــ حين كتب كتابا الى نفر من قريش يبلغهم نبأ قدوم الرسول عليهم بجيش ــ وصفه بأنه يسيل كالسيل ــ لفتح مكة . وكاد عمر رضي الله عنه يقتله ، لولا أن علم الرسول عليه السلام صدق ايمانه وحسن قصده في حفظ بعض ذوى قرابته المستضعفين بمكة وقال لعمر : « ومايدريك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقدغفرت لكم »سيرة ابن هشام

وليس من حق أحد كذلك أن يستعبد احدا يساويه في الانسانية أويكون أدني منه ، فتلك عبودية لاتليق بكرامة الانسان . والله عز وجل قضي على هذه العبودية حين بين أن الناس خلقوا من نفس واحدة في قوله :(**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**) النساء /١ وانهم خلقوا للتعارف لا للتخالف، أكرمهم اتقاهم في قوله : (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات /١٣ والرسول عليه السلام في خطبته الجامعة في حجة الوداع وهو يعلن حقوق الانسان نادى قائلا : (ايها الناس ان ربكم واحد وأباكم واحد لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى) سيرة أبن هشام .

ان الاسلام هو الثورة الانسانية الكبرى لتحرير الانسان وكان الاستبداد طابع المجتمعات التى سبقته وعاصرته، فالتاريخ يحدثنا أنه قد وجد الحر والعبد والسيد والرقيق منذ أقدم الأزمان وذهبت أحلام الفلاسفة عبثا في اقامة مجتمع لا تسود فيه الطبقية ولا العنصرية، حتى ذهب بعضهم الى أن أرواح العبيد ليست من جنس أرواح السادة. وبعد عصر أفلاطون قامت في العالم مجتمعات ــ ومنها المجتمع الجاهلى قبل الاسلام ــ على أسس من العنصرية والعصبية والقومية انعدم

في ظلها الروح الانساني الذي يوحد بين البشر حيث لايكون هناك سيد ولامسود . وذاب الضمير الاجتماعي أمام هذه الجيوش من العبيد الذين بلغ عددهم في بعض بلاد العالم القديم ثلاثة أرباع السكان ، وقدكان للسيد في هذه العصور الحق المطلق في بيع العبد أو قتله ، وليس للعبـد قبل سيده أي حق تلزمه بـه الأعـرأف السائدة ، بل كان عليه كل التبعات

لقد حرم الانسان الحريات بأنواعها المختلفة فلا حرية مدنيـة لأن الرق كان سائدا ، ولاحرية سياسية لأن الملوك والطواغيت كانوا يقضون في شئون الناس بماشاءت أهواؤهم ، ولاحرية اجتماعية لأن نظام الطبقات كان يمنح الشـرف والحياة للسادة وحدهم دون الموالي والعبيد ،ولاحرية فكرية لأن العبوديـة الجـاثمـة ، والطبقية المتربصة لاتدع لأحد حريـة ابداء الراي في شئونه الخاصـة فضلا عـن شئونـه العامـة ، بل لاتدع لأحد حتى مجرد التفكير في شيء

والاسلام حين أعطى الانسـان الحرية قيدها بالفضيلة حتى لاينحرف وبالعدل حتى لايجور ، وبالحق حتى لا يزيغ مع الهوى ، وبالخير والايثار حتى لا تستبد به الانانية ،وبالبعـد عن الضرر حتى لاتستشرى فيه غرائز الشر ، وفي ذلك يقول الله تعالـى :

(ان هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم) الاسراء / ٩ ويقـول الـرسول عليه السلام:«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» رواه الترمذي وقال حديث حسن .

والأمم الحديثة التى يسود فيها النظام الديمقـراطـى تدعـى أن الانسانية مدينة لها بمبدأ الحرية . ادعى الانجليز أنهم أعرق الشعوب في الدعوة اليها ، وزعم الفرنسيون أن الحريـة ثمرة مـن ثمار الثورة الفرنسية ولهذا أتخذوها شعـارا ورمزا لجمهوريتهم ، ونصوا في المادة الاولى من اعلان حقوق الانسان :

« ولد الناس أحرارا ومتساوين في الحقوق » وادعى غـير الانجليـز والفرنسيين ذلك في الوقت الذي نرى فيه هذه الدول تحمل لواء الاستعمار وتستبد بأقدار الشعوب ، وتدوس الحريات بأقدامها فاذا نادت البلاد المستعمرة بالحرية ، وهبت للخلاص منأغلالها جردت لها قواها العسكرية وشنت عليها حربا عاتية لا تزر من شيء الا أتت عليه .

وما الحروب المشبوبة في العالم المعاصر ، والدماء المراقة على أديم الأرض الابسبب المطالبة بالحرية . فالحرية في مفهوم المستعمـريـن شعارات تعلن ، وعبارات تـردد بالألسن ، وغير هذه الدول من أعضاء هيئة الامم تقف مكتوفة اليدين أمـام طغيان أمريكا في الشرق الأقصى ، وعدوان اسرائيل في الشرق الأوسط ومجازر الدول العنصرية في البرتغال واثيوبيا وروديسيا وجنوب أفريقيا وزحف الشيوعية على بلاد كثيرة في قارات الدنيا . وهذا كله يحدث من قوىكبرى تتزعم هيئات الأمم المتحدة، وقد جاء في ميثاق حقوق الانسان الذي وضعته وتحتفل بذكراه كـل عام . « الناس يولدون أحرارا متساوين »

واذا كانت الحرية في رأى الفلاسفة الأقدمين ، والمشرعين المحدثـين ،

والسياسيين المحترفين شعارات تعلن وعبارات تردد كما ذكرنا فهي في الاسلام شريعة مقررة ، ومبدأ ملزم ونظام ثابت في العقائد والعبادات والمعاملات ونظام الحكم وأساس العلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض وبينهم وبين المجتمع الذي يعيشون فيه ، وبينهم وبين الدولة التى يستظلون بظلها .

الحرية في الاسلام علم وعمل ، وأخلاق وسلوك ، ومفهومها انموذج رفيع بين المفاهيم الأخري، فلا هي بالاباحية المغرقة التى تغلو في الانطلاق غير عابئة بما تبث من فتنة ، وتنشر من فوضي ولا هى بالمستبدة المفرطة التى تمجد القيد وتشرع الوأد ، ولكنها تحقق الوسطية التى سارت شريعته عليها وتميزت أمته بها قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ البقرة / ١٤٣ وقال عليه السلام : « ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الاغلبه .فسددوا وقاربوا» رواه البخاري،كما ان الحرية في الاسلام تحقق الوسطية التى قامت شريعته عليها ، فهي كذلك تحقق المسئولية التى الزم اتباعه بها ، والمسئولية الفردية لا يحملها الا الاحرار ، وبقدر ما تنتقص الحرية تنتقص المسئولية ، وهو ما يفهم من قوله تعالي : ﴿ **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا** ﴾ الاحزاب /٧٢ وقوله عليه الصلاة والسلام : «ان الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان ومااستكرهوا عليه» رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرها عن ابن عباس رضي الله عنه .

وعلى هذا فالانسان الحر مسئول : لأن الحرية والمسئولية صنوان متلازمان ، ولأنه بطبيعته يميل الى التحرر ، وفطرته التى فطر عليها ، وعقله واستعداداته التى ميزه الله بها على سائر مخلوقاته وخلافته في الأرض التى خلق من اجلها ، وهذا الكون العظيم الذي سخره الله له ليكون ميدان نشاطه ، ومجال تأملاته وحقل تجاربه ، ومرمى اماله ورغائبه ـ تجعله ملتزما بهذه المسئولية ، وقد وجب عليه هذا الالتزام لأنه عضو في المجتمع ، وحر في اتخاذ قراراته ، وانفاذ تصرفاته، ولاقيد على ارادته بأي صورة من الصور . وهو مسئول عن ذلك مسئولية كاملة في الدنيا والآخرة ، فهو في الدنيا مأخوذ بالقوانين والأعراف التى تحكم مجتمعه ، وفي الآخرة مسئول أمام الله عز وجل: ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ المطففين / ٦ .

وقد سجل القرآن هذا الالتزام في كثير من آياته ومنها قوله تعالى : ﴿ **ولتسألن عما كنتم تعملون** ﴾ النحل /٩٣ وقوله : ﴿ **وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ الاسراء /١٣ ، ١٤ واكد الرسول عليه السلام هذه المسئولية في كثير من الأحاديث واجمعها لأنواع المسئوليات ماروا الشيخان في قوله عليه السلام:« كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل في أهله راع ومسئول

عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجهــا راعية ومسئولة عن رعيتها ، والعبد في مال سيده راعومسئول عن رعيته. ألا فكلكم راع ومسئول عن رعيته ».

الحريــة الانسانيــة : فالانسان يولد حرا ، وهذه الحرية مطلقـــة من كل قيد حتى تصطدم بمصلحـة الفرد نفسه أو مصلحة المجتمع فتقيد حينئذ ، لتدفع الشر والأذى عنهــما قال تعالى :**(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مـا اكتسبـوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا)** الاحزاب /٥٨ وقال عليه السلام في الحديث الصحيح: «لاضرر ولاضـرار » رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما .

والانسان الحر لايكون عبـدا الا لله وحده ، وهذا ما تفيده كلمة «لا اله الا الله وهي كلمة التوحيد وشعار الاسلام الذي يردده المسلم صـباح مساء في ذكره وعبادته ، وسائر عمله أي لا معبود بحق الا الله . ووصف العبودية أشرف الأوصاف والقرآن الكريم في غير ما آية يصف به رسل الله قال تعالى :**(واذكر عبدنا داود ذا الأيد)** ص /١٧ وقال عن أيوب عليه السلام :**(واذكر عبدنا أيـوب)** ص /٤١ . وقال في وصف محمد عليه الصلاة والسلام حين أسرى بـه : **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا مـن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى)** الاسراء /١ واذا طبع الفرد على هذه الحرية أصبح حـرا ، وتكـون منه المجتمع الحر ، وتكون من المجتمـع الحر الأمةالحرة التى تتعشقالحرية، وتأنف المذلة والهوان ، وتحيا حياة العزة والكرامة .

ان رضا الانسان بالذل لغير الله وحده ، وخنوعه لأحد من خلقــه ، وجموده على ضعفه ، وهوانه على نفسه ، واستكانته عن تحقيق حريته. نكسة في الفطرة يأباهــا الاسلام ، وينعي على أصحابها . وقــد توعد الله بعقابه مـن انتكس في فطرته ، وارتكس في حمأة ضعفه الانساني ، وفقد آدميته بالاخلاد الى الأرض قال تعالى : **(ان الذين توفاهم الملائكـة ظالمـى انفسهم قالوا فيـم كنتـم قالوا كنا مستضعفـين في الارض)** النساء / ٩٧ .

لقد أوجب الاسلام على المسلـم المستعبد أن يحطم القيـود ويكسر الأغلال ، وأذن له في القتال دفاعـا عن حريته ،وذودا عن عقيدتـه ، واستنقاذا للمستضعفين من اخوانه قال تعالى : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حـق الا أن يقولوا ربنا الله)** الحج /٣٩و٤٠ بل لقد أمر بالنفير العام لدرء هـذا الخطر قال تعالى : **(انفروا خفافـا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيـل الله)** التوبـة / ٤١ واذا قعدت الأمة عن اداء هذا الـواجب عوقبت بالتغيير المدمر والعـذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى : **(ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** الرعـد / ١١ وتغيـير مـابالنفس هو الرضا بالعبودية بعد الحريـة ، وبالهوان والمذلـة بعـد العزة ، وبالخضوع للشهوات والانغماس في المحرمات ، والتكالب على الحطـام ومتاع الحياة بعد الطاعة والاستقامة أما اذا هي ذادت عن حماها،وضحت في سبيل حريتهـا بالنفس والنفيس كانت جديرة بوعد الله في قـولـه :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الـذيـن مـن قبلهـم) النور /٥٥ .

لقد احتمل المسلمون في الصدر الأول الم العذاب ، وصبروا على الأذي الى حد بذل الروح ، ولم يفرطوا في انسانيتهم وحريتهم ولو بكلمة واحدة من كلمات الكفر يرضون بها جلاديهم حتى رخص لهم رسول الله في ذلك ولم يكن هناك اذن بالقتال وبعد الاذن بالقتال وضعوا أرواحهم على أكفهم فداء لعقيدتهم ، وحفاظا على انسانيتهم ، وموقف عاصم بن ثابت « يوم الرجيع » معروف حيث لم يقبل عهد المشركين بتأمينه ورجال سريته — وحمل السيف عليهم حتى استشهد هو وبعض رفاقه رضي الله عنهم ، وقبول رسول الله عليه الصلاة السلام جوار مشرك حين منع من دخول مكة بعد رجوعه من الطائف لما ردته ثقيف ورفضت دعوته — هو من قبيل الحكمة التى أمر بها قبل الاذن بالقتال في قوله تعالى: **(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** النحل /١٢٥ وسياسة تأليف القلوب التى انتهجها : كأعطاء المؤلفة قلوبهم، ومواقف الصفح والعفو التى عرف بها وطبع عليها . فالحرية الانسانية هي طابع العقيدة الاسلامية ، وقد عرف به كل مسلم ولم يكن مقصورا على أفراد معروفين : بل كان خلقا عاما لكل من اسلم وجهه لله والتاريخ شاهد على ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده وأمراء المسلمين الذين ازدهرت بهم حضارة الاسلام، وكان الناس تبعا لهم .

والحريـة السياسيـة : هي أن يشترك كل فرد توفر له الرشد العقلى في اختيار رئيس الدولة وادارة شئونها عن طريق انتخاب ممثلين لها ممن توفرت له الأهلية الشرعية انتخابا حرا أو بطريق الاستفتاء العام . وقد كان الحكم في الصدر الأول شوري نتيجة بيعة حرة . وقد تولى أبوبكر الخلافة نتيجة بيعة المهاجرين والأنصار له في سقيفة بنى ساعدة ، وتولى الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلى الخلافة علىصورةقريبةمنهذه البيعة .

والشوري التى قررها الاسلام هى مايسمى بالديمقراطية في العصر الحديث ، ولم يحدد الاسلام نوعا معينا لها بل ترك الأمر لحاجات الناس في العصور المختلفة حتى تكون صالحة لكل زمان ومكان .

وكان خليفة المسلمين ومن يعاونه في تصريف شئون الخلافة وهم بلغة العصر الحاضر السلطة التنفيذية القائمة على ادارة شئون الدولة — لايبرمون أمرا هاما ، حتى يجمع المسلمين ويأخذ رأيهم كما يحدث في عصرنا من عمل استفتاء عام عند الأحوال الطارئة أو الأمور التى يرتبط بها مصير الدولة ، وكل خروج عن مبدأ الشورى في نظام الحكم يعتبر بعيدا عن روح الاسلام .

وماصنعه معاوية بن أبى سفيان من أخذه البيعة لابنه يزيد بطريق الترغيب أو الترهيب بعيد كل البعد عن الشوري .

وتوكيدا للحرية السياسية والأخذ بمبدأ الشورى أمر الله نبيه وهو

ــ المعصوم ــأن يشاور المسلمــين والايستبد بأمورهم قــال تعــالى : **(وشاورهم في الأمــر فــاذا عزمت فتوكلعلى الله ان الله يحب المتوكلين)** آل عمرأن /١٥٩ وقد نفذ الرسول أمر ربه وطبقه في سلمه وحربه وكان يأخذ بما اجمع عليه اصحابه ولوكان خلاف رأيه فان اختلفوا فبما اتفقت عليه اغلبيتهم ، فقد اخذ برأى الحباب ابن المنذر في غزوة بدر ونهض بالجيش الى اقرب ماء من العدو ، وبــراى الصحابة اجمعين في الأسرى ، ولما مال الى راي من يقول باخذ الفدية عوقب في قوله تعالي :**(ماكان لنبي أن يكون له اسري حتى يثخن في الأرض)** الأنفال / ٦٧ وأخــذ برأي سلمان الفارسى في حفر الخــندق حــول المدينة في غزوة الأحــزاب ، وبراي الشباب في خروجه لغزوة احد ولبس عدة الحــرب ، فلمــا اعتذروا اليه وتركوا له حرية الراي قال كلمتــه الخالدة : « ماينبغي لنبي لبس عدة الحرب أن يخلعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » وغير ذلك مما وعته كتب السير والتاريخ .

وكان أبو بكر يستشير الصحابة رضي الله عنهم فيما يعرض من شئون المسلمين ، وعمر بن الخطاب كــان يمنع كبار الصحابة من الهجرة الــى الأمصار بقدر استطاعته لأنهم كانوا أهلمشورته ، ولما عاب الصحابــة بعض التصرفات على عثمان رضي الله عنه قال : « انى لا اعود لشيء عابه المسلمون ، والله لئن ردني الحق عبدا لأذلن ذل العبيد » وغيرهم من الخلفاء والامراء ساروا علــى نهجهم .

وتشمل الحرية السياسية عــدا اختيار الخليفة أو رئيس الدولة وابداء الراي الشوري في كل الأمــور التى تقتضيها مصلحة المسلمين ــحريــة النقد وحريــة التظلم فكــل فرد في المسلمين له الحق في نقد من يولون الأمرفيحدود الأدب والمصلحة العامة، وذلك بمقتضى الطاعة الواجبة لهم في الرقاب . فليس في الاسلام طاعة مطلقة ولاحكم مقدس كما كان يفهــم كثير من الملوك والرؤساء في العصور الوسطى وغيرها . والأمر بالطاعة في قوله تعالى : **(يأيها الذين آمنــوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمــر منكــم)** النســـاء / ٥٩ مقيد بالتزام الحاكم بمبــادىء الحق والعدل والبعد عن الجور ومناصرة الباطل ولهذا قال النبى عليه السلام: « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه احمد والحاكم ، وقال : «افضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر »رواه أبو داوود وقال ابوبكر بعد توليه الخلافة«اطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لــى عليكم » ولما قال عمر رضي الله عنه « ان اخطأت فقوموني » قال رجــل من القوم نقومك بسيوفنا » فقــال عمر:« الحمد لله الذي جعل في أمــة محمد من يقوم عمر بسيفــه » .

وحرية التظلم لرئيس الدولــة مــن تصرفات الحكام والولاة ولوكانوا في أعلــى مستوياتهم كان كذلك موضع اهتمام الرسول وخلفائه فهو لم يقبل الشفاعة في المراة المخزومية حــين سرقت ، واقــــام عليهــا الحــد ، وعمــــر بــن الخطــــاب رضي الله عنــه كان يجمــع الــولاة في موسم الحج وينادي في الناس « من كانت له مظلمة عند احد مــن الولاة فليرفعها » وشكوي المصري اليه من

ابن عمرو بن العاص والى مصر وانصافه معروفة . ولتأكيد هذه الحرية أنشىءديوان المظالم في بعض العصور الاسلامية لهذا الغرض وديوان المظالم موجود في عصرنا الحاضر في بعض البلاد العربية والاسلامية وتمثله ادارات الشكاوي بالوزارات والمصالح في بعضها الآخر.

والحرية الاجتماعية : ويعبر عنها بالاشتراكية في التعبير الحديث ، وبالعدالة الاجتماعيةفيلسان الاسلام، وهدفها تذويب الفوارق بين الطبقات، وتفتيت الملكية ، ومنع تراكم الثروات في أيد قليلة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية في أسمي معانيها . وقد رسم الاسلام الخطوط العريضة لها حتى تكون بمنأى عن غلو الشيوعية وتطرف الرأسمالية ، وحتى تقوم على أساس من التوازن بين حرية الفرد وحرية المجتمع .

وكان من أظهر ماخطه الاسلام في شأنها أن أقر الملكية الفردية الخاصة لتبقى للانسان شخصيته المستقلة وارادته الحرة ونزعة حبه للتملك فهي نزعة فطرية وضرورية لا طراد النمو الاقتصادى . وقد غفل من يقول بانكار حرية التملك أو تعريفها بأنها وظيفة اجتماعية عما يفضي اليه قولهم من تعطيل للغريزة فضلا عن أنه لا يستند الى أساس طبيعي ، وما أشبه رأي من يقول بانكارها أصلا بمن يقول بتقديسها بحيث لاتمس ،ولو اقتضت ذلك مصلحة المجتمع .

فحرية التملك جوهر الحرية الاجتماعية وتبقي مصونة مالم تصادم حق الغير أو تعارض خير المجتمع . وقد بين القرآن في قوله تعالى : **(سخر لكم ما فيالأرض)**الحج /٦٥ وقوله عزوجل : **(وسخر لكمما في السموات)** الجاثية /١٣ وبين الرسول في قوله « الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار » وفي رواية أخري «والملح»رواه الامام احمد. أن الناس متساوون في الاستفادة من هذه الخيرات ، وليس النص في الحديث للحصر بل كل ماكان ضروريا لحياة المجتمع فانه يوجه لخير الجميع ولا يحتكره فرد أو أفراد كما تقضي بذلك قواعد الشريعة .

والاسلام حين أقر الملكية الخاصة حفاظا على شخصية المسلم جعل يد المالك على المال يد استخلاف لأنه مال الله قال تعالى : **(آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** الحديد / ٧ وأحاط هذه الحرية بطائفة من التشريعات لأرساء نظام المجتمع ودعم قواعد العدالة بين أفراده . فقد أعطى المسلم حق العمل وحق العلم وحق الرعاية في المرض والشيخوخة ، وفرض الزكاة وجعلها الزامية وتنظيما اجتماعيا لاعطاء فرديا ، وشرع الميراث بين جميع الورثة بحيث لا ينفرد واحد منهم بالتركة كما تقضي بذلك بعض التشريعات الحديثة . وقرر مبدأ التكافل بأنواعه المختلفة ، كما حرم الربا والاحتكار والاستغلال بجميع صوره اللهم الا ما تلجأ اليه الحكومات من احتكار الأقوات في زمن الحروب والأزمات صيانة للشعوب من اضطراب الاسعار وتلاعب الجشعين من التجار ، وهي ضمانات من شأنها أن ترد عن الحقوق العدوان ،وتحفظ كرامة الانسان .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

الحياة على الكواكب الأخرى

○ السؤال : يقول الله سبحانه « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » سورة الشورى ، ألا تدل هذه الآية على أن هناك كائنات حية في غير الأرض التي نعيش عليها ؟

محمد علي محمود ـ تلا منوفيه مصر

ـ **الجواب** : لقد نشط البحث عن الحياة في الكواكب الأخرى خلال الأربعين سنة الماضية ، واستخدمت منذ ثمان عشرة سنة الموجات اللاسلكية لهذا الغرض ، ومنذ ستة أعوام اهتم الفلكيون بالتسمع على الكون لالتقاط الاشارات الصادرة منه ، وذلك في مختبر الدفع النفاث في « باسادونا » ومركز الأبحاث « آميس » التابع لمؤسسة « نازا » بكاليفورنيا .

ومؤسسة « سيتي » وهي رمز لمشروع البحث عن المخلوق الذكي الموجود خارج الأرض والذي يضم أكثر من مليون يد عاملة تعاون فيه الخبراء الأمريكيون والروس على تحليل ألف ساعة من الاشارات التي تم استقبالها من الفضاء الخارجي بأجهزة اليكترونية معقدة وشديدة الحساسية .

وقد قرروا أنه لا يتم لهم النجاح إلا إذا إستطاعوا إرسال إشارة يمكن للعالم الخارجي التقاطها . لكن النجوم الهائلة العدد لا يمكن أن تسلط أشعة على نجم منها مرة ثانية إلا بعد مرور مائة ألف عام على المرة الأولى ، وهذا كله في نجوم مجرتنا فقط « التبانة » فكم من الزمن يكفي لتسليط أشعة على نجوم المجرات الأخرى وما أكثرها ؟

ذكرت هذه المقدمة لترى أيها القارئ أن سعة الكون وتعدد نجومه والاكتفاء مرة واحدة بتسليط الأشعة على كل نجم ، كل ذلك لا يكفي للاعتقاد أو غلبة الظن أن في الكون حياة من جنس حياتنا البشرية ، أو من جنس آخر .

ومهما يكن من شئ فان هذه الأبحاث متروكة لعقل الانسان ، وموقف الاسلام منها موقف المشجع على النظر في ملكوت السموات والأرض ، ونصوصه أشهر من أن تذكر ، والانصاف في البحث سيؤدي إلى تعميق الايمان بالله ، كما قال سبحانه في ختام الآيتين اللتين تتحدثان عن النظرة في الكون أرضه وسمائه بمائه

ونباته ومعادنه وحيوانه وإنسانه « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » فاطر / ٢٨ .

والقرآن يكفيه أن يضع دستور البحث ويشجع عليه ، وليس من شأنه أن يدون جزئيات العلوم في أكثرها ، وعلى امتداد الحياة البشرية ستكشف أمور تتطلبها حاجة الانسان في نموه المطرد ، وما دام الله هو الحق ، وهو خالق العالم على هذا النظام البديع فان كلامه لا يتعارض مع قوانينه أبدا ، وإذا توصل الباحثون إلى ما يوهم التعارض مع القرآن فلا يجوز أن نسرع بالشك أو التأويل ما دامت النتائج لم تصل إلى مرتبة الحقائق العلمية التي لا يتطرق إليها الشك ، ولست موافقا على مسلك بعض الكتاب الذين يسرعون إلى الربط بين القرآن والعلم كلما لاح في الأفق كشف جديد ، وقد يسرفون في التأويل والتوفيق ثم تظهر البحوث التالية فساد ما سبق من نتائج ظلمنا القرآن بحمل آياته عليها . ومع إحسان ظني بأن كثيرا من الباحثين عندهم غيرة دينية حملتهم على هذا الربط فاني أدعوهم إلى التريث ، أو إلى جعل الأمر محل الاحتمال بعيدا عن القطع والجزم به .

والمفسرون للقرآن سلكوا في مثل هذه المواقف مسلك الحيطة والحذر فلجأوا إلى القول بالاحتمال وعدم المانع ، يقول النسفي في قوله تعالى « **ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير** » :

الدابة تكون في الأرض وحدها ، لكن يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور ـ أي السموات والأرض ـ وإن كان متلبسا ببعضه ، كما يقال : بنو تميم فيهم شاعر مجيد ، وإنما هو في فخذ من أفخاذهم ، ومنه قوله تعالى : « **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** » وإنما يخرج من الملح ، ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشي الأناسى على الأرض أو يكون للملائكة مشي مع الطيران ، فوصفوا بالدبيب كما وصف به الأناسى ـ ا.هـ.

انظر إلى قوله : ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات .. هذا هو الموقف العلمي الصحيح من كل ما لا يجزم به الانسان ، فاذا تحقق أن في السموات كائنات حية فظاهر الآية « **وما بث فيهما من دابة** » لا يتعارض مع هذه الحقيقة ، وإذا لم يتحقق وجود كائنات حية فيها فالآية باقية على معناها على النحو الذي وضحه المفسر من أن النسبة الى الجزء نسبة إلى الكل ، وهو أسلوب معروف عند العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، ففي مجموع السماوات والأرض دواب ، وفي مجموع المياه العذبة والملحة لؤلؤ ومرجان ، وإن كانت الدواب في الأرض واللؤلؤ والمرجان من البحر الملح .

وبعد ، فان الموضوع ليس عقيدة نحاسب عليها ، ولا يترتب على الجهل بها شيء ، ونحن لم نحل مشاكل الأرض ولم نأت على نهاية العلم بأسرارها حتى نهتم بأسرار الكائنات العليا ، ويكفينا أن القرآن وهو أصدق خبر يحدثنا عما يهمنا منها ، والقرآن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فان وجد كشف جديد يزيدنا يقينا بصدقه فذاك وإلا فهو صادق على الرغم من عجزنا نحن

مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

الثقافة الاسلامية أين هى ؟

بعث الينا الشاب **عبدالجواد محمد الخضر** برسالة ضمنها هذه المعاني متسائلا عن الثقافة الاسلامية .

ولماذا خلت الساحات الأدبية منها ، وذخر أدبنا العربي المعاصر بكل الانحرافات ، والتميع ، والضياع ، وعم العالم مذاهب لا تليق بالفطرة الانسانية ، وقد حولته الى حيوان لا يفهم الا الوحشية ، وقد خلا من كل معاني الأدب ، وبدلا من أن يكون الأدب ثقافة ، وبناء ، وتدعيما للشخصية الانسانية ، وابرازا لمواهب الانسان جعلوه رمزيا ، وسرياليا ، ووجوديا الى آخر ما يعم عالمنا من ثقافة هابطة لا تقوم معوجا ، بل تزيده اعوجاجا ، ثم في نهاية المطاف ظهر فن اللامعقول ، أهذه ثقافة ، هل هذا منطق ؟.

ويقول لقد تعمقت في كل مذهب من هذه المذاهب ، فخرجت بنتيجة أتحمل تبعتها هى أن هذه المذاهب مجتمعة ، او متفرقة ، معاول هدم للاسلام والمسلمين كيف ؟

ان أهل الأدب الذين أسسوا هذه المدارس (إن صح التعبير) ليسوا من المسلمين ، بل هم اعداء الدين ، وأعداء القيم الانسانية انهم دعاة للجاهلية الأولى ، واقرأ معى ما يقوله أحد زعمائهم :

الى الذين سمائى فوق عالمهم ... وفوق كل عظيم فوقهم قدمى
العائشين مع الموتى مناصفة ... كالحلم في العين بل كالدود في الرمم

حقا لقد وصل الى درجة لم يصل اليها الشاعر الجاهلي القائل :

ونشرب إن وردنـــا المـــاء صفوا ويشرب غيرنـــا كدرا وطينا

ويضيفون جهلا ، ونكرانا ، والحادا في بعض من آدابهم المعاصرة دعوة الحادية يروج لها بعض المثقفين على موائدهم بحجة الثقافة .

لا يا قومنا : ثقافتنا في إسلامنا ، وتقدمنا في ديننا ، ومن لم يجد في الاسلام الزاد الفكري لوجدانه ، فليعش مع أعداء الحق ، والعدل ، والضمير ، ولقد شهد عالم الثقافة والمعرفة بأن الاسلام زاد لمن لا زاد له .

واذا كنا قد أخذنا مجال الأدب ، فان هناك الكثير ألا ترى الصبغة الصليبية التلمودية الممثلة في فلسفة ماركس وهيجل وسارتر وسيمون ، خبرونا بربكم الى متى هذه السذاجة ، والى متى هذه المغالطة العلمية ، والعلوم الانسانية أغلبها على طريقة الصليب ، والمطرقة ولا علم الا وفرويد حاميه ، ولا فكر الا وسوبنسر راويه .

أين العلوم الانسانية الاسلامية قد نسى الناس أو تناسوا عمالقة الفكر الاسلامي الانساني :

ابن سينا والفارابي والخازن وابن الهيثم والغزالي وابن رشد وابن النفيس بل نسى العالم أيضا في عالم القيادة ، وحسن الادارة ، وقمة التفاني في السهر على مصالح الناس المتمثلة في الخليفة عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبدالعزيز ، وصلاح الدين ، وغيرهم من العظماء ، وتغنوا بنابليون وهتلر وماركس .

وهم لا يمثلون شيئا يذكر إذا عقدت أدنى مقارنة ، مع العلم انها مقارنة لا تقوم أصلا ولا يصح أن تعقد فالبون شاسع .

يا قوم إسلامنا هو الفكر ، هو الثقافة ، مهما نسى الناس ، وجهل الخلق ، وقوادنا سيظل التاريخ الانساني يفخر بهم مادام في العالم إنصاف وحسن تقدير .

وكتب الينا الشاب صالح فريرة بالجمهورية التونسية يقول :

انا تلميذ في السنة السابعة آداب بالمعهد الثانوي ابن رشيق .

لقد اعجبت اعجابا لا حد له ، بالمواضيع التي تتناولها مجلة الوعي الاسلامي والتي اعتبرها اولى المجلات الاسلامية انتشارا وسعيا نحو الهدف الاسلامي العظيم ... ولكن المجلة تصل الينا متأخرة عن موعد صدورها . ونرغب في تلافي هذا التأخير . واني ارغب في التزود بالثقافة الاسلامية ولقد وجدت ضالتي في العدد ١٦٤ عندما اعلنت المجلة عن قرب افتتاح معهد للدراسات الاسلامية بالكويت في العام القادم وأمل أن تتاح لي فرصة الالتحاق بهذا المعهد وانا شاب مسلم ابحث عن منهج اسلامي يشبع رغبتي في تعلم مباديء الاسلام الحنيف .

بأقلام القراء

جاءنا من الاستاذ عبدالله شحاته مقالة تحت عنوان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) نقتطف منها ما يلي :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/١١

وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس الحياة الاسلامية وأرسى معالم التوحيد فقضى على مظاهر الشرك والوثنية وحرر الانسان من العبودية لغير الله وقدم للبشرية امة مثالية في صدق العقيدة وقوة اليقين وحسن التربية وجلال العبادة وجمال السلوك . فكانت بحق خير امة اخرجت للناس ، ومن خصائص هذه الأمة ، الأمر بالمعروف والحث على الفضائل ، والنهي عن المنكر والتحذير من الرذائل ، واقامة الحق والعدل .

وكان القائد العظيم والنبي الكريم مثلا اعلى ونموذجا رائعا في حسن سيرته ونزاهة حكمه ، وعدم خشيته في الله لومة لائم .

وربى النبي أتباعه على الجهر بالحق والدعوة اليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، محافظة على ذوق الأمة ان يفسد ، ودفاعا عن كيانها ان ينهار ، وذكر النبي اصحابه بما اصاب الأمم السابقة من فساد وكساد حين تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضرب الله قلوب بعضهم ببعض وسجل عليهم الاثم واللعنة ، قال تعالى : **(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)** المائدة / ٧٨ ، ٧٩ .

ولم يكف النبي عن تعليم أمته وتهذيبها طول حياته ، وامتدت وصاياه الى ما بعد وفاته ، فحذر المسلمين من الطغيان على امر الله والخروج عن طاعته ، وترك الجهاد في سبيله ، وبين ان الامة التي تهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفسد اذواقها فلا تنكر شرا ولا تأمر بخير ، ثم ينشأ فيها جيل واجيال تألف المنكر لطول مشاهدته ، وتنكر المعروف لقلة ألفه ، وعندما تفقد الأمة اخص خصائصها ، وأسباب رقيها وعوامل وجودها عندئذ تتتابها معاول الهدم ونذر الكساد ، فيقف المصلحون حيارى امام الداء العضال والمرض الخطير .

فاذا تنبهت الأمة من غفلتها وثابت الى رشدها ، واستهدت بهدى ربها وتمسكت بالجهاد ، ونبذت الفساد والطغيان ، فحرى بها ان تتبوأ منازل الشهداء ، وان تعيش عيش السعداء ، قال تعالى : **(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون)**الانبياء/١٠٥ .

وليس شرطا ان يكون المنتصر أقوى سلاحا وأقوى عتادا وانما واجب المؤمن هو بذل قصارى جهده في الاعداد المادي والمعنوي ، والمعرفة العلمية والعملية بأحدث اساليب الحرب وأنجح فنونها حتى يتم تفوقه على خصمه قال تعالى : **(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين)** الانفال/٦٥ ، ٦٦

ولما تولى خالد بن الوليد امرة جيوش المسلمين في حرب الروم سمع رجلا يقول : ما اكثر الروم وما أقل المسلمين . فغضب خالد وقال : بل قل ما اقل الروم وما اكثر المسلمين انما تقل الجيوش بالهزيمة ، وتكثر بالنصر ، والله لوددت أن الاشقر برأ من مرضه وانهم اضعفوا في العدد).

فهو يتمنى ان يكون فرسه سليما من المرض وان الروم ضعف عددهم .

حقا لقد كان قتال سلفنا قتال الأتقياء الأوفياء ، الذين باعوا انفسهم لخالقهم ، وتطلعوا الى علياء الجنان ونصروا شرع الله ودينه ، فنصروا على اعدائهم ، ورزقوا عز الدنيا وشرف الآخرة .

(وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) الانفال/١٠

وجاءنا من الاستاذ عبدالله الجار الله كلمة بعنوان : (من فضائل القرآن) ننشر منها ما يأتي :

من فضائل القرآن .. انه يشفع يوم القيامة لمن قرأه وعمل به في الظاهر .. قال صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه » رواه مسلم : وقال عليه الصلاة والسلام « يؤتى يوم القيامة بالقرآن واهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما » رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري وقال « يجيء القرآن يوم القيامة فيقول (يارب حله) يعنى قارئه العامل به فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له : ارق وارق فيزداد بكل آية حسنة » رواه الترمذي .

وقال عليه الصلاة والسلام « من قرأ القرآن فاستظهره (اي حفظه عن ظهر قلبه) فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار » اخرجه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشرة امثالها رواه الترمذي .

الأحاديث الصحيحة

وفي رسالة من الأخ رياض بلقيس الطرابلسي تونس ـ يطلب فيها الاكثار من ذكر الأحاديث الصحيحة في المجلة مع شرحها .
ويطلب زيادة عدد صفحات المجلة .
وتلخيص كتب اسلامية والحديث عن شخصيات اسلامية .

نقول له :

إن الأحاديث الصحيحة ننشرها ، ونقوم بشرحها ، ونقدم كل شهر حديثا تحت عنوان : « من وحي النبوة » .

نتحرى أن يكون من كتب الصحاح ، واقرأ المجلة فستجد بغيتك من هذه الأحاديث .

والمجلة بحجمها الحالي أعتقد أنها مناسبة ، وليست العبرة بعدد الصفحات ، وانما العبرة بما يقدم فيها من فائدة علمية جليلة ، واسلامية ثقافية مفيدة تفيد الشباب والشيوخ ، وتعايش كل المستويات على اختلاف ثقافاتهم وتنوعها ، فكل همنا تثقيف جيل يؤمن بدينه عن علم ووعي وفهم وبصيرة .

وأيضا المجلة تقدم كتابا للشهر ، وتراعي أن يكون بحثا اسلاميا ، وهو باب موجود نحرص عليه .

ويقدمه أساتذة متخصصون أصحاب أقلام ودراية ، يعرضونه بطرق جيدة يحرصون أن يكون ذلك هادفا مؤثرا ، ولا يغفلون الجوانب التي تستحق النقد حتى يكون الموضوع مكتملا من حيث إبراز النواحي الهامة في الكتاب ، وتوضيح الجوانب الخافية ، أو التي تحتاج إلى بيان .

ومن حين لآخر تقدم المجلة شخصيات إسلامية لها في تاريخ الاسلام أثر واضح وهم أصحاب أخلاق فاضلة يقتدى بهم ، فهم مضرب الأمثال في كل عصر ، نقدم هؤلاء ليكونوا أسوة ولنأخذ بيد الشباب دائما ، ونشدهم لاستقراء تاريخ عظمائهم ، واحياء سيرة أمجادهم ، فالتاريخ عبرة وعظة .

وبسط سيرة هذه الشخصيات إنما هو تقريب ، وإيضاح لما خفى من سمو شخصياتهم ، وعرض لما مضى من قوافل الأبطال الأمجاد الذين يزخر تاريخنا

بهم ، ففيهم المقاتل والشهيد وفيهم العالم الشعلة المضيئة لجوانب الحياة .. وهم سر تاريخ حافل مجيد .

هذا وانا نشجع فيك حسن ملاحظتك ، وحرصك على القراءة والبحث عما يفيدك ، ويفيد غيرك .

فالتزم هذا المنهج فسيكون دليلك للخير ، وهاديك على الطريق ، وصراطك المستقيم ، والنور الوضاء ، والحق المبين ، فتلك هي الحقيقة الباقية ، ويا ليت قومي يعلمون .

ليس هناك اختلاف

لماذا تختلف المذاهب الاسلامية في بعض العبادات ، مع أن القرآن الكريم ما زال موجودا وصحيحا لم يدخله التحريف ، وهو الأصل في الأحكام ؟

عبدالرحمن عيسى ابراهيم ـ السودان

مذاهب أهل السنة لا تختلف في الأصول ، بمعنى أن الكل ثبت عنده أن أركان الاسلام خمسة بنص الحديث الصحيح « بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج وصوم رمضان » متفق عليه .

وأكد هذا المعنى القرآن الكريم ، وعمل به المسلمون دون اختلاف ، وانك لا تجد إماما واحدا قال بأن أوقات الصلاة المفروضة أربعا بدلا من خمس أو أن أحدهم قال بصوم رجب بدلا من رمضان .

ولكن الاختلاف الموجود هو في الفروع والسنن والمستحبات ، فمن قائل بأن وقت القنوت في وتر العشاء لأن مصدر اثباته عنده هكذا ، وآخر يقول بل في الفجر ، وكون القنوت في وتر العشاء ، أو في الفجر لم يخرج القنوت عن الغرض منه وهو الدعاء .

وكما تقول فان القرآن الكريم لم يدخله التحريف ، ولن يكون لأن الله سبحانه قد حماه ، من هذا يقول الله سبحانه : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .**

وما دام الله قد حماه من التغيير والتبديل فلن تجد الأمة الاسلامية قد غيرت الأصول الاسلامية أبدا ، وأيضا هناك من السنة ما ثبت واتفق علماء الحديث على صحته والمعروف أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع .

والمذاهب الاسلامية اجتهدت في الفروع ، والاجتهاد ليس ممنوعا ، وقد اباحه الاسلام ، ولكنه وضع قواعد لهذا الاجتهاد لا بد من رعايتها دون الخوض في الحديث عن الأحكام بدون خلفية علمية اسلامية .

ندوة الاسراء تدعو لانشاء صندوق إسلامي لتحرير القدس

عقدت في العاصمة الأردنية عمان في شهر شعبان الماضي « الندوة العالمية للاسراء والمعراج » والتي نظمتها وزارة الأوقاف والمقدسات الاسلامية هناك . حضر الندوة ممثلون عن عدد كبير من الدول والمنظمات الاسلامية وكبار العلماء والمفكرين الاسلاميين . وقد خصص الجانب الاكبر من الندوة لمناقشة قضية فلسطين ووضع القدس الشريف كما بحثت الندوة في عدد من الأمور التي تهم المسلمين في المجال السياسي والاقتصادي والتربوي كما ناقشت دور الاعلام في تطوير الدعوة الاسلامية .

وفي نهاية اللقاء قدم الحاضرون عدة توصيات وقرارات حول المسائل التي بحثت في الندوة .

وقد تركزت توصيات الندوة حول قضية القدس ، والأراضي العربية المحتلة ، فدعت الى انشاء صندوق خاص باسم « صندوق الاقصى » يتاح للمسلمين من خلال دعمه أن يجاهدوا بأموالهم وأوصت بانشاء مركز للدراسات والبحث والاعلام خاص بالقدس لتوضيح هذه القضية امام العالم ومكانتها لدى المسلمين كما وجه الحاضرون نداء الى الحكومات والعالم الاسلامي كله يحثهم فيه على ضرورة العمل على استرداد القدس والحفاظ عليها لما لها من مكانة في نفوس المسلمين وتعبئة الجهود المادية والبشرية من اجل هذا الغرض واستنكرت الندوة تدنيس السلطات الاسرائيلية لمقدسات المسلمين في الاراضي المحتلة لاسيما المسجد الاقصى والحرم الابراهيمي .

كما اصدرت الندوة توصية بضرورة الاتصال بين جميع الحركات والجمعيات والمراكز الاسلامية وتعزيز التنسيق والتكامل بينهم لخدمة الدعوة الاسلامية .

وفي مجال الاعلام اوصت الندوة الحكومات والجهات المعنية بضرورة استخدام التطور الذي حدث في وسائل الاعلام في نشر الدعوة في العالم الاسلامي وخارجه . كما لاحظت اللجنة بأسف مدى خروج وسائل الاعلام في الدول الاسلامية عن الخط الديني في مضمونها .

وقد القى السيد يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت كلمة امام الندوة اكد فيها على ضرورة وضع استراتيجية عامة وتفصيلية لانقاذ مدينة القدس ومقدساتها الشريفة وحث على تضافر جهود الدول الاسلامية جميعها من اجل هذا الغرض كما اكد على ان الكويت تضع كل امكانياتها وطاقاتها في سبيل انجاح هذا العمل الجليل والوصول الى الغاية المرجوة بعون الله .

* *

المعرض الخامس للكتاب الاسلامي

اقيم في الثلث الأول من شهر رمضان الماضي المعرض الخامس للكتاب الاسلامي الذي نظمته جمعية الاصلاح الاجتماعي بالكويت ، وقد ضم المعرض عددا كبيرا من الكتب والمؤلفات والدوريات في مختلف جوانب الحياة الاسلامية من بينها مؤلفات في السيرة النبوية الشريفة والعبادات والسياسة والحكم والطب والاخلاق ومؤلفات في السلم والحرب بالاضافة الى مجموعة فاخرة من المصاحف الكريمة وشرائط تسجيلية للقرآن الكريم ومحاضرات دينية لكبار العلماء وقد شهد المعرض اقبالا جماهيريا كبيرا بالمقارنة الى الأعوام السابقة مما جعله ملتقى فكريا هاما لتعميق الوعي الاسلامي ونشر الثقافة والتربية الاسلامية الحقة .

وقد شارك في المعرض عدد كبير من دور النشر والتوزيع المحلية والاسلامية وكان السيد يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية قد قام برعاية حفل افتتاح المعرض والقى كلمة اثنى فيها على نوعية الكتب المعروضة وجهود المشرفين على اقامة المعرض . ودعا الى الاقبال على هذه الكتب والافادة منها ، ففيها مجال رحب للاطلاع والثقافة العلمية والدينية .

السعودية تعلن التعليمات المنظمة لشؤون الحج هذا العام

أعلنت وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية التعليمات الجديدة الخاصة بتنظيم شؤون الحج لهذا العام .

وتقضي التعليمات الجديدة بأن يكون للحاج حرية اختيار المطوف الذي يريده

من المطوفين المعتمدين وان يقيم عند المطوف الذي يختاره على ان يدفع له مباشرة مقابل السكن . كما حددت التعليمات اجور الخدمات التي تقدم للحاج على النحو التالي :

(٢٧٤) ريال سعودي مقابل اجور خدمات المطوفين بمكة المكرمة والأدلاء بالمدينة المنورة والوكلاء بجدة واجور حمل الأمتعة في منافذ الدخول بالسعودية ومقابل السكن بمدينة حجاج الجو والبحر بجدة وينبع . ويتم تسديد هذا المبلغ بموجب شيك معتمد لامر مكتب الوكلاء الموحد على احد البنوك المعتمدة ، كما يمكن تسديده نقدا بالريال السعودي .

(٢٩٥) ريال سعودي اجور نقل الحاج من جدة الى المدينة المنورة ثم مكة او العكس بالاضافة الى مصاريف نقل الحاج من مكة الى عرفات ومن المزدلفة ومنى والعودة ويدفع الحاج هذا المبلغ نقدا لدى النقابة العامة السعودية للسيارات او لدى اي من ممثليها المعتمدين .

ـ بالنسبة لاجور السكن تتراوح قيمتها كما ذكرت التعليمات ما بين (٤٥٠) الى (٧٥٠) ريال سعودي للحاج وذلك عن كل المدة التي يقضيها في مكة المكرمة لاداء الفريضة الى ان يعود الى بلاده ، وان يتراوح السكن في المدينة المنورة ما بين (١٥٠) الى (٢٥٠) ريال للحاج وان يكون اجر الخيمة في عرفات ومنى مائة ريال سعودي .

وتمنع التعليمات الجديدة كافة الحجاج من السكن والاقامة في الحرم او الشوارع والأرصفة في كل مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وذلك حفاظا على الصحة العامة .

* *

اذاعة اسلامية من اوربا

يجرى الآن الاعداد لانشاء محطة إذاعة إسلامية من اوربا يكون مقرها لندن . يقوم بالتمويل والاشراف على اقامة هذا المشروع الاسلامي الكبير عدد من الجمعيات والمراكز الاسلامية بأوربا الغربية ، بالاضافة الى مساعدات مادية وعينية من الدول الاسلامية .

من المنتظر أن تقوم الاذاعة الجديدة بتوسيع نطاق البث بحيث تشمل مختلف انحاء اوربا . وستشمل برامج الاذاعة الجديدة بث تلاوة من القرآن الكريم تنقل ترجمتها باللغة الانجليزية والفرنسية والاسبانية للوقوف على معاني القرآن الكريم كما تشمل برامج دينية وثقافية واجتماعية الى جانب نشرة اخبار عالمية ومقابلات وسيكون البث بعدة لغات منها الانجليزية والفرنسية والروسية والصينية .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية :
جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال	أغسطس	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الخميس	١	٢٣	٩ ٣٧	١١ ١	٥ ٣١	٩ ٥	١ ٢٢	٣ ٥٧	٥ ٢١	١١ ٥١	٣ ٢٥	٦ ٢٠	٧ ٤٢
الجمعة	٢	٢٤	٣٩	٢	٣١	٦	٢٢	٥٨	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠
السبت	٣	٢٥	٤١	٤	٣٢	٧	٢١	٥٩	٢٢	٥٠	٢٥	١٨	٣٩
الاحد	٤	٢٦	٤٢	٥	٣٣	٧	٢١	٥٩	٢٢	٥٠	٢٤	١٧	٣٨
الاثنين	٥	٢٧	٤٤	٧	٣٤	٨	٢٠	٤ ٠٠	٢٣	٥٠	٢٤	١٦	٣٦
الثلاثاء	٦	٢٨	٤٦	٨	٣٤	٨	٢٠	١	٢٣	٤٩	٢٣	١٥	٣٥
الاربعاء	٧	٢٩	٤٨	١٠	٣٥	٩	٢٠	١	٢٤	٤٩	٢٣	١٤	٣٤
الخميس	٨	٣٠	٥٠	١٢	٣٦	١٠	٢٠	٢	٢٤	٤٩	٢٣	١٢	٣٣
الجمعة	٩	٣١	٥٢	١٤	٣٧	١١	٢٠	٣	٢٥	٤٨	٢٢	١١	٣١
السبت	١٠	سبتمبر	٥٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠	٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠
الاحد	١١	٢	٥٥	١٧	٣٩	١٢	٢٠	٤	٢٦	٤٨	٢١	٩	٢٩
الاثنين	١٢	٣	٥٧	١٨	٣٩	١٣	١٩	٥	٢٦	٤٧	٢٠	٨	٢٧
الثلاثاء	١٣	٤	٥٩	٢٠	٤٠	١٣	١٩	٦	٢٧	٤٧	٢٠	٧	٢٦
الاربعاء	١٤	٥	١٠ ١	٢٢	٤١	١٤	١٩	٦	٢٧	٤٧	١٩	٥	٢٥
الخميس	١٥	٦	٢	٢٤	٤٢	١٥	١٩	٧	٢٨	٤٦	١٩	٤	٢٣
الجمعة	١٦	٧	٥	٢٦	٤٣	١٥	١٩	٨	٢٩	٤٦	١٨	٣	٢٢
السبت	١٧	٨	٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩	٨	٢٩	٤٦	١٨	٢	٢١
الاحد	١٨	٩	٨	٢٩	٤٥	١٦	١٨	٩	٣٠	٤٥	١٧	١	١٩
الاثنين	١٩	١٠	١٠	٣١	٤٦	١٧	١٨	١٠	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٩	١٨
الثلاثاء	٢٠	١١	١٢	٣٣	٤٧	١٨	١٨	١٠	٣١	٤٥	١٦	٥٨	١٧
الاربعاء	٢١	١٢	١٤	٣٤	٤٧	١٨	١٨	١١	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٥
الخميس	٢٢	١٣	١٦	٣٦	٤٨	١٩	١٨	١٢	٣٢	٤٤	١٥	٥٦	١٤
الجمعة	٢٣	١٤	١٨	٣٨	٤٩	١٩	١٨	١٢	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣
السبت	٢٤	١٥	٢٠	٤٠	٥٠	٢٠	١٨	١٣	٣٣	٤٣	١٣	٥٣	١٢
الاحد	٢٥	١٦	٢١	٤١	٥١	٢١	١٨	١٣	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠
الاثنين	٢٦	١٧	٢٣	٤٣	٥٢	٢١	١٨	١٤	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩
الثلاثاء	٢٧	١٨	٢٤	٤٥	٥٣	٢٢	١٨	١٥	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٧
الاربعاء	٢٨	١٩	٢٦	٤٧	٥٤	٢٢	١٨	١٥	٣٥	٤٢	١١	٤٨	٦
الخميس	٢٩	٢٠	٢٨	٤٨	٥٤	٢٣	١٨	١٦	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥
الجمعة	٣٠	٢١	٣٠	٥٠	٥٥	٢٣	١٧	١٦	٣٦	٤١	٩	٤٦	٣

طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٩ ○ ذو القعدة ١٣٩٩ هـ ○ سبتمبر ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

يمتاز فن البناء المغربي بأنه يجمع بين الفنون البيزنطية والاسلامية والفارسية . وهذا أحد مساجد المغرب الفخمة وهو مركز للدعوة الاسلامية ومنار الاسلام الخالد .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٩ ○ ذو القعدة ١٣٩٩ هـ ○ سبتمبر ١٩٧٩ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

العبادات في الإسلام

دعوة الى جمع الكلمة ووحدة الصف

الاسلام دين الله العام الخالد ، بعث به خاتم رسله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ليهدي للتي هي أقوم ، ويجمع الناس على كلمة سواء ..
ولقد دعا الاسلام الى وحدة انسانية عامة ، تجعل الناس جميعا إخوة ، اذا فرقتهم الألوان ، والأوطان ، والأنساب ، فان لهم أصلا واحدا يجمع شملهم ، ويؤلف بينهم ، فكلهم من آدم ، وآدم من تراب .
وان في القرآن الكريم آية ، تعتبر دستور الاخاء الانساني ، وهي تقرر في وضوح ، أن اختلاف الناس شعوبا وقبائل ، لم يكن ليتقاتلوا ويختلفوا ، ولكن ليتعارفوا ويتعاونوا : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) .
والتعاون الذي دعا إليه الاسلام بين البشر جميعا ، تعاون بناء ، في سبيل الخير العام ، الذي تزدهر به الحياة ، وليس التعاون الذي يقوم على العصبية الظالمة ، التي تحمل الانسان على نصرة قومه وهم ظالمون . أو تحمل دولة من الدول ، أو جماعة من الناس ، على ظلم قوم آخرين ، والتعدي على حرياتهم ، وحقوقهم ، ولكنه التعاون القائم على البر والتقوى ، لا على الاثم والعدوان ، يقول الحق سبحانه : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .
ان الاسلام يقوم على ركنين أساسيين : كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، فكلمة التوحيد ، هي الباب الكبير الوحيد ، الذي يدخل منه الناس إلى ساحة الاسلام .. وتوحيد الكلمة ، ونبذ الخلاف ، وجمع الصفوف ، هو التطبيق العملي لكلمة التوحيد ، فالناس جميعا في ظل هذه الكلمة الجليلة ، يعبدون ربا واحدا ، ويتبعون نبيا واحدا ،

ويصلون إلى قبلة واحدة ، ويحكمهم دستور واحد ، هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

ولو ترجمنا العبادات التي كلفنا الله بها ، لوجدناها جميعا ، تحمل روح الجماعة ، وتهدف إلى تآلف القلوب ، وتناسق الجهود ، وانتظام الصفوف .

وصلاة الجماعة دعوة موجهة من الله للمؤمنين ، ليجتمعوا في ساحة المسجد في مواعيد منتظمة ، يعلنها المؤذن ، حين ينادي بأمر الله لكل صلاة ، حي على الصلاة حي على الفلاح .. وفي المسجد يجتمع المسلمون مرات في اليوم ، تتلاقى وجوههم ، فتتلاقى آمالهم ، وتتصافح أيديهم ، فتتصافح قلوبهم ، تستقيم صفوفهم ، فتستقيم مناهجهم في دنيا الناس ، وتتوحد قبلتهم ، فتتوحد في الحياة غاياتهم وأهدافهم .

والصوم تدريب على المساواة والمواساة ، وابراز الجماعة الاسلامية ، في صورة الأسرة الواحدة ، التي تتناول طعامها على مائدة واحدة ، يأكلون جميعا ، إذا غربت الشمس ، ويمسكون عن الطعام والشراب ، حين يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

والزكاة ، تقارب بين الأغنياء والفقراء ، باعطاء الحق المعلوم ، للسائل والمحروم ... وهي مظهر فريد للتكافل الاجتماعي ، الذي يحمي الجماعة ، ويصد عنها عوامل الفرقة ، ونوازع التحاسد والتباغض .

والحج ، مؤتمر المسلمين الأكبر ، يفد الناس إليه من كل جهة وصوب ، رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، وما أعظم تلك المنافع التي تدعم الوحدة الاسلامية ، وتشد كيانها ، فالحج ، قوة سياسية بالتشاور والتحالف ، وقوة اجتماعية بالاتحاد والتعارف ، وقوة اقتصادية بالبيع والشراء ، وقوة روحية ، بأداء المناسك وذكر الله (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

وهكذا تجئ الدعوة الى التضامن ، في كل ما شرع الله لعباده ، ليعيشوا حياتهم إخوة متعاونين لا متعادين ، ومؤتلفين لا مختلفين ، ومتراحمين لا متزاحمين ، حتى يكونوا كما أراد الله لهم في قوله الحق : (إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

رئيس التحرير

أحمد البيومي

في نور الحق

قال الله تبارك وتعالى :
(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) .
الآية ١٧ من سورة الرعد

اشتملت الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه ، والباطل في اضمحلاله وفنائه .

المثل الأول : المطر النازل من السماء ، تسيل به الأودية ويأخذ كل واحد منها بحسبه وبمقدار طاقته وحاجته ، فهذا كبير يسع كثيرا من الماء ، وهذا صغير يسع بقدره : **(ذلك تقدير العزيز العليم)** يس/٣٨ .

وكذلك القلوب تتفاوت في تقبل الحق والعلم ، فمنها ما يسع علما كثيرا ، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم ، بل يضيق عنها . والسيل الذي ينطلق في الأودية يصادف في طريقه غثاء ، فيطفو على وجه الماء في صورة الزبد الذي تتكاثر رغوته ويتراكم حتى يحجب الماء الذي تحته احيانا ، وهذا الزبد وهو حميل السيل من أعواد ، وأوراق ، ودمنة ، ويابس ورطب ، وهو شيء تافه غير متماسك ، يبدو نافشا منتفخا ، ولكنه لا يعدو أن يكون غثاء هشا ضعيفا .

المثل الثاني : ما يسبك في النار من ذهب أو فضة أو نحاس ، أو حديد طلبا لأن يصنع منها حلى أو أواني وأدوات يستعملها الناس ، ويتمتعون بها في معالجة شؤونهم ، وان هذا الذي يوقد عليه في النار من المعادن ، اذا صهرت يعلو فوقها

خبث ، وقد يتكاثر هذا ايضا فيحجب المعدن الأصيل ولكنه لا يعدو ان يكون خبثا يذهب جفاء اي مرميا مطروحا ، لا حقيقة له ، ولا غناء فيه .

كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك ، وكذلك الهدى والحق جاءا من عند الله فمن عمل بالحق كان له ، وبقى كما يبقى ما ينفع الناس في الأرض نعم : هذا مثل الحق والباطل في هذه الحياة ، فالباطل يتطاول وينتشر ، وتصاحبه ضجة وبهرج ولكنه لا يلبث أن يتضاءل ثم يتلاشى جفاء تائها ضائعا ، لا حقيقة له ، ولا غناء فيه ، والحق يسلك طريقه في الحياة في هدوء وسكينة وربما ظن بعض السطحيين قصار النظر ان الحق قد انزوى او ضاع ولم يعد له وجود ، ولكنه هو الباقي في الأرض الراسخ في أعماق الحياة ، الساري في كيانها ، يعمل عمله في حفظ القيم ، وضبط الموازين . واذا كان يوم القيامة ، واقيم الناس ، وعرضت الأعمال ، زاغ الباطل وهلك ، وانتفع اهل الحق بالحق وهكذا يضرب الله الأمثال لينتفع الناس بها ، ويعتبر بها العقلاء اهل البصيرة المستنيرة : **(وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)** الاسراء/٨١ يقول بعض السلف : كنت اذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه ، بكيت على نفسي لأن الله تعالى يقول : **(وما يعقلها إلا العالمون)** العنكبوت/٤٣ .

ومن فضل الله تعالى على هذه الأمة المحمدية ، أن جعل القرآن الكريم كتابها الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ولا يزال كتاب الله مجلى الخواطر ، ومسرح الأنظار ، وصقال القلوب الصدئة ، وان فيه لمغانم كثيرة لمن سرح الطرف ، وأجال الفكر وجاهد في البحث عن أسراره ، واستنباط درره ونفائسه .

وقد شدني من معاني القرآن الكريم كلمات لها خطرها ، وبريقها واشراقاتها ولها ما تشير اليه من أهداف وغايات .

من هذه الكلمات : كلمة الحق ، الكلمة المضيئة المشرقة التي جذبت انظار العلماء والباحثين عن الحق والحقيقة . وقد تتبعت هذه الكلمة الجليلة متقصيا لمواقعها في الجمل ، وحكمت السياق الذي جاءت في معرضه فأنبأ عن المراد منها .

واني مهيئ للقرآن معرضا وحداته الحق ومشتقاته ، وقطوفا من آي الذكر الحكيم ، فيها متعة للأرواح ، وزاد لأهل التقى ، وبشريات لمن أحسن عملا ، ونذر وازعة ، وصيحات قارعة لمن تنكب الجادة ، واتخذ غير سبيل الله سبيلا ، وراعيت في تقريب هذا من الأذهان ، وخلطه ببشاشة القلوب ، ان تكون الآيات القرآنية بارزة الشخصية بدءا وانتهاء ، موحية بما تضمنت معبرة بسياقها عن المقصود بالحق ، في مختلف وجهاته ميسرة لمن قرأها الاحاطة بأهدافها

وأكنافها .

هذا وقد ذكرت كلمة « الحق » ومشتقاتها في القرآن الكريم ، فيما يقرب من الثلاثمائة موضع ، وكلها تؤلف نسقا رائعا بديعا ، وستجد من ذلك النسق القرآني المعروض لهذا الشأن حلاوة وطلاوة ، واعجازا وصدقا ، يسمو بنا الى أفق وضيء رفيع .

والحق في أسمى معانيه ، هو الله الذي لا إله الا هو ، لاراد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فكل ما خطر ببالك ، فالله بخلاف ذلك ، وهو الذي في السماء إله ، وفي الأرض إله ، جلت صفاته ، وتنزهت أفعاله ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

في القرآن الكريم وفي سورة « الحج » يسوق الله تبارك وتعالى الى عباده ، دلائل البعث المنبثقة من تتبع أطوار الحياة في جنين الانسان من تراب ، الى الحيوان المنوي الموجود في المني المعبر عنه بالماء الدافق ، الى علقة — وهي القطعة المتماسكة من الدم ، الى قطعة لحم بقدر ما يمضغ ، الى مخلوق سوى تام الخلق والتصوير ثم يخرج الى الحياة طفلا — وهو الولد من حين ولادته الى بلوغه . ثم الى انسان متكامل بلغ أشده .

وتأتي دلائل البعث ايضا من نمو النبات حين تهتز الأرض الهامدة بالمطر النازل عليها من السماء ، فاذا عناصر النبات تتحرك في جوفها ، فاذا بها تخرج كل صنف رائع الحسن ، باهر الجمال ، ذلك كله يتمّ بقدرة الله الذي لا شك في وجوده وقدرته .

(ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير) الحج / ٦ .

وفي يوم البعث ، يلقى الناس ربهم ، ويردون اليه وهو الحق العدل ، مالك يوم الدين لينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد .

(هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون) يونس / ٣٠ .

وهنالك أيضا لا يستطيع أحد أن ينكر بين يدي الله ما اجترح من سيئات ، فان فعل شهدت عليه أعضاؤه ، لسانه ، ويده ، ورجله ، ثم يفضي الى ما قدم ويلقى جزاءه : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة / ٧ و ٨ .

(يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) النور / ٢٥ .

والله سبحانه هو ولي النعم ، يرزق عباده من خزائنه ويدبر أمورهم بحكمته .

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله

قل أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) يونس ٣١ و٣٢ .

ودلالة « الحق » على المولى تبارك وتعالى جاءت في آيات كثيرة من آي الذكر الحكيم ، وكلها تثبت أن الله هو الحق ، وأنه تعالى متصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص .

يقول تعالى : **(هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون)** يونس/٣٠ .

(ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا) الكهف/٤٣ و٤٤ .

(فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه وقل رب زدني علما) طه/١١٤ .

(ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير . ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) الحج/٦١ و٦٢ .

(ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) الانعام/٦٢ .

(فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) المؤمنون/١١٦ .

وقد ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في سياق الذكر الحكيم بأنه الحق ، كما ذكر بأنه البرهان ، والنور ، والبشير ، والنذير ، والسراج المنير ، والرحمة المسداة ، والمنة ، والنعمة ، وخاتم النبيين ، وبالمؤمنين رءوف رحيم ، وانه أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم ، وأنه رسول الله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، وانه المطاع ، وأن من يطع الرسول فقد أطاع الله .

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) الاحزاب/٣٦ .

ومما يدل على ان الرسول حق ، موضوع الميثاق الذي أخذه الله على النبيين من قبله أن يعزروه وينصروه ، ويعلنوها كلمة في أعقابهم أن يتبعوا هذا النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم .. فهؤلاء الاعقاب الذين شاء الله ان يكونوا اخلافا لأسلافهم ، موصون من قبل انبيائهم وصية مسجلة في كتبهم ان نبيا عربيا تختم به الرسالات ، ومصدقا لما بين يديه من الكتاب يقول الحق تبارك وتعالى :

(واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) آل عمران/٨١ و٨٢ .

من وحي النبوة

كلوا من طيبات ما رزقناكم

اعداد : الشيخ احمد عبد الواحد البسيوني

هذا الحديث خرجه مسلم من رواية فضيل بن مرزوق عن عدى بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة ، وخرجه الترمذي وقال : حسن غريب . وفضيل بن مرزوق ثقة وسط ، خرج له مسلم دون البخاري . وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى طيب) . والمعنى ان الله سبحانه وتعالى مقدس منزه عن النقائص والعيوب كلها ، وهذا كما في قوله تعالى : (**والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم**) النور/٢٦ . والمراد : المنزهون من أدناس الفواحش وأوضارها أي أقذارها ، والأوضار : جمع وضر (محركة) وأصله وسخ الدسم واللبن . وقوله (لا يقبل إلا طيبا) قد ورد معناه في حديث الصدقة ولفظه (لا يتصدق أحد بصدقة إلا من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيبا) والمراد ، أنه تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان طيبا حلالا . وقد قيل : إن المراد في هذا الحديث الذي نتكلم فيه الآن بقوله (لا يقبل إلا طيبا) أعم من ذلك ، وهو أن لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا طاهرا من المفسدات كلها ، كالرياء

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » الآية . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » . ثم ذكر الرجل ، يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأني يستجاب لذلك ؟) .

رواه مسلم .

والعجب ، ولا من الأموال إلا ما كان طيبا حلالا ، فان الطيب يوصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات ، وكل هذه تنقسم إلى طيب وخبيث ، وقد قيل : إنه يدخل في قوله تعالى : **(قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)** المائدة/١٠٠ ، هذا كله ، وقد قسم الله تعالى الكلام إلى طيب وخبيث فقال : **(ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة)** ابراهيم/٢٤ **(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة)** ابراهيم/٢٦ ، وقال تعالى : **(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)** فاطر/١٠ ، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يحل الطيبات ويحرم الخبائث . وقد قيل انه يدخل في تلك الاقوال والأعمال والاعتقادات أيضا ، ووصف الله تعالى المؤمنين بالطيب بقوله تعالى : **(الذين تتوفاهم الملائكة طيبين)** النحل/٣٢ . وأن الملائكة تقول عند الموت : اخرجي أيتها النفس الطيبة ، التي كانت في الجسد الطيب ، وإن الملائكة تسلم عليهم عند دخولهم الجنة ويقولون لهم سلام عليكم طبتم . وقد ورد في الحديث « من عاد مريضا ناداه مناد

من السماء : طبت وطاب ممشـاك وتبوأت من الجنـة منـزلا » رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه .

فالمؤمـن كلـه طيـب ، قلبـه ، ولسانه ، وحبه ، بما يسكن في قلبه من الايمان ، وظهر على لسانه من الذكر ، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة ، التي هي ثمرة الايمان ، وداخله في اسمه في هذه الطيبات كلها يقبلها الله عز وجل . ومن أعظم ما يحصل به طيبة الأعمال للمؤمن من طيب مطعمـه وأن يكون من حلال فبذلك يزكو عمله . وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال ، وأن أكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله ، فانه قال بعد تقريره (إن الله لايقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمـر به المرسلين فقال تعـالى : **(يا أيهـا الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)** المؤمنون/٥١ وقال : **(يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبـدون)** البقـرة/١٧٢ . والمراد بهذا ، أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبـات ، التـي هي الحلال ، وبالعمل الصالح ، فما كان الأكل حلالا فالعمل الصالح مقبول ، فاذا كان الأكل غير حلال ، فكيف يكون العمل مقبولا ؟ وما ذكره بعد ذلك من الدعاء ، وأنه كيف يتقبل مع الحرام ؟ فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام . وقد خرج الطبراني باسناد فيه نظر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : **(يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا)** البقرة/١٦٨ فقام سعـد بن أبـي وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده ، إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنـار أولى به » . وفي مسند الامام أحمد رحمه الله باسناد فيه نظر أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهـم حرام ، لم يتقبل الله له صلاته ما كان عليه ، ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال : صمتا ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلـم » ويروى من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا معناه أيضا ، خرجه البزار وغيره باسناد ضعيف جدا . وخرج الطبراني باسناد فيـه ضعـف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك وزادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور ، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لا لبيك لا لبيك ولا

سعديك زادك حرام ونفقتـك حرام وحجك غير مبرور ـ والغرز بعـين معجمة مفتوحة ، ثم راء ساكنة ثم زاي ـ ركاب من جلد أو خشب أو من غيرهما يضع الراكب فيه قدمه عند الركوب على الراحلة ـ

ويروى من حديث عمر رضي الله عنه بنحوه باسناد ضعيف أيضا . وروى أبو يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لا يقبل الله صلاة امرىء في جوفه حرام) .

وقد اختلف العلماء في حج من حج بمال حرام ومن صلى في ثوب حرام هل يسقط عنه فرض الصلاة والحـج بذلك ؟ وفيه عن الامام أحمد رحمه الله روايتان ، وهذه الأحاديث المذكورة تدل على أنه لا يتقبل العمل مع مباشرة الحرام ، لكن القبـول قد يراد به الرضا بالعمل ، ومدح فاعله والثناء عليه بين الملائكة والمباهاة به ، وقد يراد به حصول الثواب والأجر عليه ، وقد يراد به سقوط الفرض به من الذمة ، فان كان المراد هنا القبول بالمعنى الأول أو الثاني لم يمنع ذلك من سقوط الفرض به من الذمة كما ورد : « أنه لا تقبل صلاة الآبق ولا المرأة التي زوجها عليها ساخط ولا من أتى كاهنا ولا من شرب خمرا أربعين يوما » والمراد والله أعلم نفى القبول بالمعنى الأول أو الثاني ، وهو المراد والله أعلم من قوله عز وجل : **(إنما يتقبل الله من المتقين)** المائدة ٢٧ . ولهذا كانت هذه الآية يشتد منها خوف السلـف على نفوسهـم فخافوا أن لا يكونوا من المتقين الذين يتقبل الله منهم . وسئل أحمد عن معنى المتقين فيها فقـال : يتقـى الأشياء فلا يقع فيما لا يحل . وقال ابو عبد الله الباجي الزاهد رحمه الله : خمس خصال بها تمـام العمـل : الايمان بمعرفة الله عز وجل ، ومعرفة الحق ، واخلاص العمل لله ، والعمل على السنة ، وأكل الحـلال ، فان فقدت واحدة لم يرتفع العمل ، وذلك اذا عرفت الله عز وجل ، ولم تعرف الحق ولم تنتفع ، وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع ، وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع ، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تنتفع ، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع . وقال وهب ابن الورد : لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلال أو حرام . وأما الصدقة بالمال الحرام فغير مقبولة كمـا في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » ـ والغلول بضم الغين المعجمة ، الأخذ من الغنيمة على سبيل الخيانة ـ وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مـا تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه » وذكر الحديث . وفي مسند الامام أحمد رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال : (لا يكتسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك فيه ، ولا يتصدق به فيتقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، ان الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث) . ويروى من حديث دراج عن ابن حجيرة عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كسب مالا حراما فتصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه) - والاصر : الذنب الثقيل - خرجه ابن حبان في صحيحه . ورواه بعضهمَ موقوفا على أبى هريرة . وفي مراسيل القاسم بن مخيمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه وتصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك جميعا ثم قذف به في نار جهنم) وروى عن أبى الدرداء ويزيد بن ميسرة أنهما جعلا مثل من أصاب مالا من غير حله فتصدق به مثل من أخذ مال يتيم وكسا به أرملة . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عمن كان على عمل فكان يظلم ويأخذ الحرام ثم تاب فهو يحج ويعتق ويتصدق منه فقال : ان الخبيث لا يكفر الخبيث . وكذا قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الخبيث لا يكفر الخبيث ، ولكن الطيب يكفر الخبيث ، وقال الحسن : أيها المتصدق على المسكين ترحمه ، ارحم من قد ظلمت .

وأعلم أن الصدقة بالمال الحرام تقع على وجهين : أحدهما أن يتصدق به الخائن أو الغاصب ونحوهما على نفســه ، فهـذا هو المراد من هذه الأحاديث أنه لا يتقبل منه ، يعني أنه لا يؤجر عليه بل يأثم بتصرفه في مال غيره بغير إذنه ، ولا يحصل للمالك بذلك أجر لعدم قصده ونيته ، كذا قاله جماعة من العلماء منهم ابن عقيل من أصحابنا . وفي كتاب عبد الرزاق من رواية زيد بن الأخنس الخزاعي أنه سأل سعيد بن المسيب قال : وجدت لقطة أفأتصدق بها قال : لا يؤجر أنت ولا صاحبها . ولعـل مراده ، فاذا تصدق بها قبل تعريفها الواجب ، ولو أخذ السلطان أو بعض نوابه من بيت المال ما لا يستحقه فتصدق منه أو أعتق أو بنى به مسجدا أو غيره مما ينتفع به الناس فالمنقول عن ابن عمر أنه كالغاصب اذا تصدق بما غصبه ، كذلك قيل لعبد الله بن عامر أمـير البصرة وكان الناس قد اجتمعوا عنده في حال موته وهم يثنون عليه ببره وإحسانه ، وابن عمر ساكت ، فطلب منه أن يتكلم ، فروى له حديثا (لا يقبل الله صدقة من غلول) ثم قال له وكنت على البصرة . وقال أسد بن موسى في كتاب الورع حديث الفضيل ابن عياض عن منصور عن تميم بن مسلمة قال : قال ابن عامر لعبد الله ابن عمر أرأيت هذه العقاب - اي الطرق الوعرة - التـي نسهلهـا ، والعيون التي نفجرها ألنا فيها أجر ؟ فقال ابن عمر : أما علمت أن خبيثا لا يكفر خبيثا قط ؟ حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن أبى مليح عن ميمون بن مهران قال : قال ابن عمر لابن عامر

وقد سأله عن العتق فقال : مثلك مثل رجل سرق إبل حاج ثم جاهد بها في سبيل الله فانظر هل يقبل منه ؟ وقد كان طائفة من أهل التشديد في الورع كطاوس ووهيب بن الورد يتوقـون الانتفاع بمـا أحدثـه مثـل هؤلاء الملوك . وأما الامام أحمد رحمه الله فأنه رخص فيما فعلوه من المنافع العامـة كالمساجـد والقناطـر والمصانع ، فان هذه ينفق عليها من مال الفيء ، اللهم إلا أن يتيقن أنهم فعلوا أشياء من ذلك بمـال حرام كالمكوس والغصـوب ونحوهمـا ، فحينئذ يتوقى الانتفاع بما عمل بالمال الحرام ، ولعل ابن عمر رضي الله عنهما إنما أنكر عليهم أخذهم لأموال بيت المال لأنفسهم ، ودعواهم أن ما فعلوه منها بعد ذلك فهو صدقة منهم ، فان هذا شبيه بالغصوب ، وعلى مثل هذا يحمل انكار من أنكر من العلماء على الملوك بنيان المساجد . قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله : رأيت بعض المتقدمين يسأل عمن كسـب حلالا أو حراما من السلاطين والأمراء ثم بنى الأربطة والمساجـد هل له ثواب ؟ فأفتى بما يوجب طيب قلب المنفق ، وأن له في إنفاق ما لا يملكه نوع سمسرة لأنه لا يعرف أعيـان المغصوبين فيرد عليهم . قال : فقلت واعجبا من متصدريـن للفتـوى لا يعرفون أصول الشريعة ينبغـي أن ينظر في حال هذا المنفق أولا ، فان كان سلطانا فما يخرج من بيت المال فقد عرفت وجوه مصارفه فكيف يمنع مستحقيه ويشغله بما لا يفيد من بناء مدرسـة أو ربـاط ؟ وإن كان من الأمراء أو نواب السلاطين فيجب أن يرد ما يجب رده إلى بيت المال ، وان كان حراما أو غصبا فكل شيء يصرف فيه حرام ، والواجب رده على من أخذ منه أو ورثته ، فان لم يعرف رده إلى بيت المال يصرف في المصالـح وفي الصدقة ولم يحظ آخذه بغير الأثم انتهى . وإنما كلامه في السلاطين الذين عهدهم في وقته الذين يمنعون المستحقـين من الفـيء حقوقهـم ويتصرفون فيه لأنفسهم تصرف الملاك ببناء ما يبنونه اليهم من المدارس والأربطة ونحوهما مما قد لا يحتاج إليه ، ويخص به قوما دون قوم ، فأما لو فرض امام عادل ، يعطى الناس حقوقهم من الفيء ثم يبنى لهم ما يحتاجون اليه من مسجد أو مدرسة أو يبنى لهم دارا لعلاج المرضى ونحو ذلك ، كان ذلك جائزا ، فلـو كان بعض من يأخذ المال لنفسه من بيت المال بنى بما أخذ منه بناء محتاجا إليه في حال ، فيجوز البناء فيه من بيت المال لكنه ينسبه إلى نفسه ، فقد يتخرج على الخلاف في الغاصب اذا رد المال إلى المغصوب منه على وجـه الصدقة والهبة هل يبرأ بذلك أم لا ؟ وهذا كله إذا بنى على قدر الحاجة من غير سرف ولا زخرفة . وقد أمر عمر بن عبد العزيز بترميم مسجد البصرة من بيت المال ، ونهاهم أن يتجاوزوا ما تصدع منه وقال : اني لم أجد للبنيان في مال الله حقا . وروى عنه أنه قال : لا حاجة للمسلمين فيما أضر بيت مالهم .

الاقتصادُ الإسلاميّ

للاستاذ عبدالله كنون

ينكر بعض المستشرقين أن يكون للاسلام كشريعة نظام اقتصادي معروف ، ويتواطأ وإياهم بعض تلامذتهم من الباحثين الشرقيين ، وهذا هو السر في بقاء العالم الاسلامي برغم استقلاله يدور في فلك الاقتصاد الغربي ، لأن المشرفين فيه على مقادير الأمور مقتنعون بهذه الفكرة ، وبكل فكرة تأتي من هناك ، اعتقادا منهم أنها فكرة مبنية على البحث العلمي التقني .

ولا شك أن هذا رأي خاطئ ، وهو لا يخلو إما أن يكون ناتجا عن جهل وإما عن غرض ، وفي كلتا الحالتين يكون الكتاب المسلمون الذين يجنحون اليه ملومين أشد اللوم ، لأنهم لم يرجعوا الى المصادر الاسلامية التي هي مظنة تحقيق المناط في هذا الموضوع المهم ، وإنما اكتفوا بما يقدمه لهم الكتاب الاجانب على ما فيه من قصور أو تحوير .

والواقع ان الشريعة الاسلامية أعطت للاقتصاد أهمية خاصة ، ووضعت له أسسا وقوانين جعلت منه نظاما قائما بذاته ، متميزا بسمات تتفق وروح العدل والانصاف ورعاية المصلحة العامة التي تميز بها التشريع الاسلامي في كل باب .

ومن أعظم تلك الميزات منعه للمعاملات الربوية كيفما كانت ، ومهما تكن الصفة التي توصف بها مغرية مثل الفائدة والربح والمردود وغيرها ، اعتبارا بأن القرض لا يكون الا في حالة ضعف فاثقاله بالربا استغلال وإثراء على حساب المقترض المسكين ، وهذا في القرض الاستهلاكي ، اما في القرض الاستثماري فيجب ان يكون المقرض شريكا في الربح والخسارة معا ، والا تحول الى استغلال جهود المقترض وارهاقه بما قد يؤدي الى افلاسه واعساره ، في حين انتفاع صاحب المال واحتفاظه بحقوقه كاملة كيفما كان الحال ، وكل ذلك ينافي ما ينبغي ان تكون عليه علاقة الانسان بأخيه الانسان من الرفق والرحمة والاحسان .

ومنها منعه للاحتكار سواء كان المحتكر فردا او جماعة لما يؤدي اليه من سيطرة على المادة او الانتاج المحتكر ، والتصرف فيه بما يوافق مصلحة المحتكر ويضر بالمستهلك كرفع ثمن البضاعة او تسويقها الى الجهة التي تدفع مقابلا اكثر فتقل في محل انتاجها ، وهنا تدخل مسألة التأميمات التي غالبا ما تكون لجر

النفع الى السلطة المؤممة ، فبينما تكون المادة ، وهي حرة بثمن لا يرهق ميزانية المستهلك ، تصبح وهي مؤممة بثمن يضطر معه المستهلك الى الاقتصاد في استعمالها ومن السخرية بالمواطنين أن يسمى هذا العمل في الأنظمة التي تأخذ به (اشتراكية) .
ومنها منعه للغش والغرر ، وهو باب تدخل تحته جزئيات ومسائل كثيرة مبينة في كتب الفقه وكلها تدور على نفي الضرر بالغير في المعاملات المالية والتجارية وما اليها .
ومنها حمايته للملكية الفردية سواء كانت مالا ناضا أم عقارا ام ارضا فلاحية ام غيرها ، كبرت أو صغرت بشرط ان تكون متأتية من وجه شرعي ، وبهذا يختلف التشريع الاسلامي في الملكية عن التشريع الذي يهتضمها بدون حق ، والتشريع الذي يحميها ولو دخلتها الشبهات .
ولما كان المال هو عصب الاعمال في كل نظام اقتصادي فان المشرع الاسلامي اولاه عناية فائقة ونظم طرق تحصيله والمحافظة عليه والتعامل به ، بقواعد غاية في الانضباط والتحري لمصلحة العموم ، وحسبنا ان نشير الى ما ألف فيه من كتب قيمة مثل كتاب (الخراج) لأبي يوسف وليحيى بن آدم ولقدامة ، وكتاب (الاموال) لأبي عبيد وغيرها ، ولعلها اول ما ألف من نوعها او من اوله .
وهناك تآليف وكتابات في مسائل فرعية مثل النقود او ما يسمى بعلم النميات ، وفيه عدة تآليف قديمة ودور السكة اى ضرب النقود وقوانينها والسفتجة وهي الحوالة المالية ، والصك ، ومنه أخذت كلمة الشيك (cheque) فهي عربية الأصل ، وكفى بهذا دليلا على عراقة نظام الاقتصاد في الاسلام وشموليته .
واليوم تدرس مادة الاقتصاد الاسلامي باستقلال في بعض جامعات الشرق ، وكانت من قبل تدرس ولا تزال في ضمن احكام المعاملات في كل معهد اسلامي ، وعما قريب يفتح البنك الاسلامي الدولي ابوابه للمعاملات البنكية بدون فائدة في عدة عواصم عربية وقد انشئ فعلا في دبي بنك عربي على هذا الأساس ، واعلنت التعاونية الاسلامية اللاربوية في احمد آباد بالهند عن نجاح تجربتها النجاح الكامل .... وبهذا نرد على من ينكر ان يكون هناك اقتصاد اسلامي وعلى الذين يقولون ان التقدم الاقتصادي مرهون بالنظام الرأسمالي الربوي .
واذا كانت الدعوى الأولى من البطلان بحيث لا تستحق الاستماع لها ، فان الدعوى الثانية كثيرا ما يغتر بها من لا علم له بحقائق الأمور ولذلك ينبغي الوقوف عندها قليلا لتمحيصها وبيان ما فيها من مغالطة وانكار للواقع وايحاء بما يضمن استمرار التبعية المفروضة على الاقتصاد الاسلامي للاقتصاد الغربي .
وأعظم ما نرد به على هذه الدعوى هو ما كان عليه اقتصادنا من ازدهار ونمو ايام ترعرع الحضارة الاسلامية

في دمشق وبغداد وقرطبة والقيروان ومصر وفاس ، وكان محور المبادلات التجارية والمالية والانتاج الصناعي يرتكز على هذه العواصم والدنيا تبع لها حتى كان ذلك سببا في قيـام الحروب الصليبية التـي ظاهرهـا العداء الديني وباطنها الاستيلاء على مصادر الثروة والتخلص من التبعية الاقتصادية للشرق واستمرت المقاومة للهيمنـة الاسلاميـة على الغــرب اقتصاديا حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية وكان من ابرز الاحداث في ذلك اكتشاف طريق الرجاء الصالح للوصول الى الهند والاستغنــاء عن الوساطة الاسلامية في النقل والتجارة الدولية .

واذا كانت مداخيل الدولة تعرف من رصيدها الذي يفضل عن النفقات الاجمالية لدفاعها وتسيير مصالحها العامة فان اعطاء بعض الأمثلة عن هذا الرصيد ، يدلنا على ما بلغتـه الثروة في البلاد الاسلامية عهدئذ من وفرة وسعة ، وذلك فيما يحدثنا عنه الصابي صاحب كتاب الوزراء ، مثل رصيد بيت المال الذي تركه هرون الرشيد عند وفاتـه ويبلـغ ثمانيـة وأربعين ألف ألف دينـار ، ومثـل رصيده أيام المعتضد وقد بلغ تسعة آلاف الف دينار ، ومثل رصيده ايام المكتفي وكان اربعة عشر الف الف دينار .

وكان مستفاد بيت المال في قرطبة على عهد المروانية من دار السكة بحسب الضريبة التي تفرض عليها مائتي الف دينار في السنة .

وفي المغرب كانت مدينة أغمات في القرن الثالث والرابع الهجري تمتاز بحركة تجارية عظيمة وكان اهلها ذوي اموال ويسار حتى انهم كانوا يجعلون على ابوابهم علامات تدل على مقادير اموالهم مما يشبه المؤسسات والمصاريف المالية الكبرى اليوم ، وفي القـرن العـاشر كان بدار السـكة للسلطان احمد المنصور الذهبي اربعة عشر مائة مطرقـة لضرب الدينـار الذهبي الوهاج .

وهذه المقادير التي ذكرناها على سبيل المثال اذا اعتبرت بعملة اليوم ارتفعت قيمتها الى ما يفوق عشرات المئات كما لا يخفى ، ومن ثم نعرف مبلغ الرفاه الذي كان المسلمون يعيشون فيه هم ونزلاء بلادهم من اهل الاديان والملل والجنسيات الأخرى ، وكل ذلك مما يدل على ارتفاع منسـوب الثـروة الوطنية والدخل الفردي ، والرفاهية التي كان المجتمع الاسلامي ينعـم بها . وهو امر تعكسه قصص الف ليلة وليلة التي صارت مثلا يضرب في هذا الباب ، بالنسبة الى المشرق ، وما يجري على الألسنة من التمثل بحياة أهل غرناطة في خفض العيش وبلهنيته بالنسبة الى المغرب .

والجدير بالذكر ان هذا الواقع لم يكن فيه للربويات أثر ، وان اسلافنا الذين عاشوه وتمتعوا بخيراته لم يكونـوا يعرفون الربا الا فيما يتدارسونه من حرمة التعامل به واهدار ما يحصل منه من غير قصـد في صفقـة من الصفقـات ، او صورة من صور المعاملات ، ولقد بلغ من حرصهم على

سلامة بيوعاتهم ومعاملاتهم من ان تشوبها شائبة منه انهم كانوا يأمرون باقصاء من يجهل احكام البيوع عن اسواقهم خوفا من الوقوع في شيء من الربا فهل منعهم هذا من ان يزدهر اقتصادهم ويبلغ ما اشرنا اليه من النماء والاتساع ؟

وما بالنا نذهب بعيدا ، وهذه دول المعسكر الاشتراكي قد منعت التعامل بالربا بتاتا ، ولا أحد يقول ان اقتصادها بسبب ذلك قد تدهور ، وانها ليست في تقدم ، ومنها من ينافس اكبر دول العالم التي يقوم اقتصادها على النظام الرأسمالي بربوياته واحتكاراته ، ويكاد يبزه في مجالات العلم والاختراع ولا سيما في الانتاج الحربي وغزو الفضاء . ومن العار علينا نحن المسلمين ان نستدل على عبقرية تشريعنا وصحة ديننا بمن لا يؤمن به ولا يألو جهدا في محاربته ، كما انه من السخرية بأنصار الرأسمالية الذين يروجون للربا بأنه لا غنى عنه للاقتصاد العصري ان نبطل دعواهم بما عليه الاقتصاد الاشتراكي من نمو وازدهار .

ثم ان منع الاسلام للربا وتحريمه لكثيره وقليله يهدف لغاية انسانية نبيلة ، وهي عدم استغلال الانسان لاخيه الانسان ، سواء كان من ملته او من ملة اخرى ، وتكوين مجتمع فاضل يقوم على أساس التعاون والتعايش ومجانبة اسباب العداوة والبغضاء ولذلك جعل بديل الربا هو القراض الذي تقتسم فيه المنافع والمضار ان وجدت ولا يستبد الجانب الذي يعطي المال ، بالمنفعة دون الذي يأخذه كما هو الحال في الربا .. وهذه الغاية لم يتوخها اى من النظامين الرأسمالي والاشتراكي اما الرأسمالي فأمره ظاهر وبناؤه على الحسابات المدققة والتقديرات المتوقعة ، يجعلنا لا نشك في انه انما وضع لمصلحة صاحب المال وفائدته الخاصة من غير نظر لما يتعرض له المقترض من ضرر ، ودون مبالاة بالنتائج التي تترتب على التزاماته ، فكأن الشاعر الذي قال : (مصائب قوم عند قوم فوائد) إنما عنى حالة الطرفين المتعاملين بالربا .

واما الاشتراكي فانه رأى الفوائد الجمة التي يحصل عليها اصحاب الأموال والمصارف في النظام الرأسمالي من المعاملة بالربا فحولها لنفسه ولحسابه ، حين أمم المصارف ومنع التعامل بالربا اطلاقا سواء بين الأفراد أو بين المؤسسات المالية من مصارف وغيرها وبين الناس ، فليس غرضه هو غرض الاسلام ، ولا حرصه على الصالح العام ، ولكنه امر ينطبق عليه المثل القائل : (لنفسه بغى الخير) .

وبيان ذلك بعبارة مبسطة ان فكرة المصارف تقوم على انشاء جماعة من أصحاب المال او ممول منفرد لمصرف بمبلغ معين ، وحسب الأنظمة المتبعة في ذلك ، وهي انظمة كلها في صالح اصحاب المصرف ، وتتمتع بحماية الدولة والقضاء ، فاذا كان المبلغ مائة مليون مثلا والودائع مائة اخرى بأقل تقدير ، فان استثمار هذا المال ولو في القرض فقط يدر على أصحاب المصرف

اضعافا مضاعفة من رأس مالهم ، علما بان الفائدة التي يعطونها لاصحاب الودائع لا تتعدى الواحد او الواحد ونصف في المائة ، والتي يأخذونها من المقترضين لا تقل في الغالب الأعم عن ١٠٪ فكيف اذا زادت ؟ وهذا بقطع النظر عن الاستثمارات الاخرى التي يكون مردودها اكثر من ذلك .

فغاية الأمر ان ما كان يأخذه جماعة مخصوصة من ارباح المصرف في النظام الرأسمالي ، اصبحت الدولة هي التي تأخذه في النظام الاشتراكي وهذا إن أبقت لأصحاب الودائع على شيء وإلا فالأمر أدهى وأمر .

ويتشابه أمر المصارف وشركات التأمين ، بل ان هذه يكاد امرها يكون ربحا بلا رأس مال ، فطلبات التأمين تتوارد عليها بدون انقطاع ، وهي اموال لا يعلم احد ما عند الشركات في مقابلها ، الا الواجهة والتجهيزات المكتبية .

والتعويضات التي يطالب بها المؤمن عند وقوع موجبها انما تخرج من ثقب الابرة وبعد التي واللتيا . وهكذا يتمثل استغلال هذه الشركات لزبائنها المضطرين في أبشع المظاهر ، ولذلك يحرم الاسلام كل انواع التأمين من هذا القبيل ، لا يجيز الا التأمين التعاوني الذي لا استغلال فيه ولا ربا .

ان الاثراء الفاحش على حساب المقترض المسكين ولو كان فيما يظهر غنيا هو الغرض من عملية الربا الخطيرة في جميع صورها ، ولو انحصر خطر هذه العملية في الاثراء لهان الأمر ، ولكن لنتذكر ما يتبع ذلك من رفع فائدة القرض كلما عجز المقترض عن الدفع ثم المحاكمات فالحجز فالتفليس .. وقد ذكرنا آنفا ان الأنظمة والقوانين والحكم تعتبر في خدمة صاحب المال وتعمل على حمايته .

ومن دون أن ندخل في التفاصيل ولا أن نستعمل الالفاظ الاصطلاحية التي تخول لصاحب المال الحق في هذه المعاملة المتعفنة نشير الى أن الربا قل او كثر لا ينفصل عن هذه النتيجة ، ويخطىء الذين يفرقون بين الفائدة القليلة والفائدة الكثيرة ولا سيما الاسلاميون الذين يستندون الى الآية الكريمة القائلة : **(يأ أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)** آل عمران / ١٣٠ فالاسلام حرم الربا قليله وكثيره وهذه الآية تقابلها آيات أخر مثل قوله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة/٢٧٥ فأطلق ولم يقيد بكثير ولا قليل ومثل قوله عز وجل : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين)** البقرة/٢٧٨ فعبر بما التي تصدق بأقل شيء وجعلها مكتنفة بأمر وشرط لتحقيق الايمان الذي يتنافى مع التعامل بالربا .

على ان ذكر الأضعاف المضاعفة في الآية انما هو لمزيد التشنيع والتقبيح لهذا النوع من الربا وليس لأن غيره جائز فهي شبيهة بآية : **(ولا تقتلوا أولادكم من إملاق)** الانعام/١٥١ او

(**خشية إملاق**) الاسراء/٣١ اذ ان قتلهم لغير ذلك هو من المنهى عنه ايضا ولا يجوز بحال . والربا يدخله التضعيف بكل وجـه من التأخير ونحوه ... وقد كان عندنا بطنجة دار لأحد الأجانب يرهن الأشياء بفائدة قرش أى نصف درهم حسنى في الشهر لكل ريال ، وفي الريال عشرون قرشا كما هو معلوم ، فيجئ من ذلك ٦٥٪ في العام . وغالبا ما كانت الرهونات تغلق عنده ، وفي آخر السنة يبيعها بأى ثمن كان فيحقق ارباحا طائلة من ذلك . فانظر الى تفاهة هذا الرسم في الظاهر الذي كان يشجع المحتاجين على رهن أمتعتهم كيف تضاعفت نتيجته في النهاية ولذلك كان سببا في خراب عدة بيوت !..

وكما رأينا في هذا المثال فان الربا غير قاصر على القرض ، بل يدخل كثيرا من المعاملات ، ولذلك حرم الفقهاء الجمع بين عقد البيع وعقود القرض والصرف والشركة والجعل والمساقاة والقـراض والنـكاح وذلك لتنـافي أحكامهـا ، فان القـرض سبيلـه الاحسـان ، والصرف حكمـه المناجـزة ، والشركـة بقـاء تصرف البائـع والجعـل عدم اللـزوم ، والمساقاة والقراض جهل العوض ، والنكاح مبني على المكارمة ، بخلاف البيع في جميع ذلك وأصل هذا كله حديث : « لا ضرر ولا ضرار » متفق عليه ـ الـذي عليـه تدار أحـكام الشريعة الاسلامية كما يقول العلماء وفي تأمل الفروع المختلفة التي الحقها الفقهاء بالربويات كبيع نقد بنقد او طعام بطعام مع النساء مطلقا ، ومع الفضل ان اتحد الجنس وفي الفروق الدقيقة بين بعض المسائل كجـواز استغلال الرهن ان كان في دين من بيع لا من قرض لان هذا سلف جر نفعا وهو ممنوع ، وهكذا نجد احكام المعاملات في الاسلام تحتاط للحقوق بما لا مزيد عليه ، وتقيم لها ميزانا قسطا حتى لا يطغـى جانـب من المتعاملين على جانب وجماع ذلك هو منع جميـع أنـواع الغش والضرر والمضارة والاستغلال .

ومن ثم حرم القمار ومنه اليانصيب فان فيه من الغرر المفضى الى التلف ما لا يخفى ، والفائز فيه إنمـا يأكل اموال الناس بالباطل ، وكل من له همة وخلق وديـن يأبـى ان يكون كذلك . وبما ان الأمر في سياسة الأمة وبناء المجتمع يرتكز على القولة المروية عن عثمان بن عفان رضي الله عنه إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فان المشترع الاسلامي لم يدع هذه الأحكام لتصرفات الناس بل حررها تحرير الجوهر وألزم المتعاملين بها إلزاما لا ترخص فيه . وهو يرمي من وراء ذلك الى حفظ الحقوق واقامة ميزان العدل بين الناس مع التربية الخلقية ومراعاة الجانب الانساني الذي لا خير في قانون ينسلخ منه .

ومن هنا يظهر الفرق العظيم بـين النظام الاسلامي والانظمة الاخرى ، فبينما نجد النظام الرأسمالي يهدر جانب الأخلاق ولا يهتم بمصلحـة الفرد متمثلة في الربح الفاحش الذي تجره له المعاملات الربوية المحميـة

بالانظمة الجشعة وسلطة القانون ، والنظام الاشتراكي يتجاهل مسألة الأخلاق اذ يفسر الحياة بما فيها من اقتصاد وغيره تفسيرا ماديا يجعله يبسط اليد بكيفية تعسفية على اموال النـاس وارادتهـم ، نرى النظـام الاسلامي يتسم بالرحمة والعطـف والرفق فيقاوم الاستغـلال بجميـع انواعه ويدفع الظلم والحيف والضيم عن المحتاج والمعسر والمضطر ناظرا اليه نظرة انسانية تحول بينه وبين التسخير من طرف القوى المعتد بماله وأعوانه ولا تجعل له عليه من سبيل .

وبذلك عاش المسلمـون في مجتمـع تطبعه الأخوة والمودة والصفاء ، لم يعرف حرب طبقات ولا اقطاع ، لأن هذه الحرب انما تنشأ عن الاستئثار والاستغلال وتسخير الضعفاء لفائدة الأقوياء ، وهو امر لم يحصـل في تاريخ الاسلام ولا أقره المسلمـون قط ، فقد كان العلماء والمصلحون بالمرصاد لكل طاغية تحدثه نفسـه بالخروج عن شريعة الله ومحاولـة التسلط والقهر للجماهير الشعبية ، بأخذ اموالها من غير حق ، انهم لم يقروا في وقت من الاوقات ، ضريبة الأسواق المعروفة بالمكس ، وكثيرا ما قامت الثورات عليهـا من العامـة بتحريض من الفقهاء فيؤول الأمر الى إبطالها . ولنا في فرض الزكاة أعظم دليل على حرص الاسـلام وعملـه للاشـاة الفـوارق بـين الأغنيـاء والفقراء ، إضافـة الى ما يسمـى بفرض الكفاية ، من سد حاجـات الطبقات الضعيفة في الأكل والملبس والسكنى ، الى تجهيز أمواتهـم في النهاية .

ذلك الغرض الذي يتوجه الخطاب فيه الى ولاة الأمر ، فان لم يقوموا به فالى جماعة المسلمين فان ضيعوه أثموا جميعا .

ولا غرو ، فالاسلام رسالة السماء التي أتى بها الأنبياء والمرسلون من عند الله عز وجل ، وأيدها الحكماء والمصلحـون من جميـع الأمـم والشعوب . اما الانظمة التي تحاربه فهي من وضع سماسرة السياسـة واقطاب الاحتكار والمرابين اليهود ، ومن كان على دينهم في عبادة المال وخراب الذمم والأخـلاق ، فكيـف تقاس به وبينها وبينه ما بين السماء والأرض !..

ولعلنا ونحن انما اردنا ان نبين ان الاقتصاد الاسلامي حقيقة ثابتة لا مرية فيها قد تجاوزنا ذلك الى بيان انه اقتصاد متميز ، لا يسفل الى درك الاستغلال والابتـزاز الـذي عليـه الاقتصادان المتنافسان الرأسمـالي والاشتراكي ، وأنه يعلـو ولا يعلى عليه ... فليخرس الذين يقولون بعدم وجوده ، وليخجـل المنتسبـون الى الاسـلام الذيـن يقولـون انهـم اشتراكيون اقتصاديا لا عقائديا .

وأما الذين يتوهمون ان لا ازدهار لاقتصادنا الا باتباع اساليب الغرب وانشاء المصارف الربوية ، فعساهم ان يكونوا قد رجعوا عن وهمهم ولهم في البنك الاسلامي الذي ينتشر اليوم في البلاد العربية خـير بديـل والله الموفق .

هــؤلاء الذين لا يؤمنون كيف هم في هذه الحياة الدنيا

(٢)

ـ ١ ـ

كثير من الناس ـ قديما وحديثا ـ ينكرون أن هناك حياة آخرة بعد هذه الحياة الدنيا ، التي يعيشون فيها ، ويتعاملون معها بحواسهم ، بصرا ، وسمعا ، وذوقا ، وشما ، ولمسا .. أما ما وراء هذا العالم المحس وما تأتيه حواسهم بأنباء عنه ، فهو عندهم مجرد أوهام وخيالات ، مثلها لهم الخوف مما وراء الموت الراصد لهم .. فلو طرح الانسان هذا الخوف المتوهم ، وعاش بالواقع وللواقع الذي هو فيه .. لما دخل عليه شيء من هذا العالم المجهول :

للأستاذ/عبد الكريم الخطيب

هكذا يهرب أولئك الذين لا يؤمنون بحياة آخرة ، بعد هذه الحياة ، من مواجهة هذه الحقيقة التي آمن بها المؤمنون بالله ، واليوم الآخر ، وما في هذا اليوم من حساب ، وجزاء وجنة ، ونار ، وذلك ليحلوا أنفسهم من كل قيد خلقي ، وليتحللوا من كل رباط يربطهم بالله ، أو بالمجتمع ، حتى يخلص لهم عالمهم الذاتي ، وما تمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم ، وهم لا يدرون أنهم وقعوا في أسر قاهر ، ملازم لهم ، على كل نفس من أنفاس حياتهم ، وكيف لهم بالفكاك منه ، وأنفسهم هي الآسرة لهم ، المتسلطة عليهم ، في أي مكان يحتويهم ، وفي أي زمان يمر بهم ؟

ـ ٢ ـ

وهؤلاء مشركو العرب ، كانوا يؤمنون بإله قائم على هذا الوجود ، وإن دخل على هذا الايمان ما طمس على معالمه ، فخيل إليهم من ضلالهم أن الله تعالى أبعد من أن يسمع دعاءهم ونداءهم ، وصور إليهم جهلهم بالله أن يقيموا بينهم وبينه شفعاء ، ووسطاء ، يرفعون إلى الله ما يرجون ، من جلب خير ، أو رفع ضر ، فعبدوا الأصنام ، والأوثان ، وقالوا كما ذكر القرآن الكريم عنهم : **(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)** يونس/١٨ .. ويقول سبحانه كاشفا عن ضلال هؤلاء الضالين : **(والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار)** الزمر/٣ .

هكذا كان مشركو العرب مع إيمانهم بالله ، هذا الايمان المشوب بالشرك ، فانهم كانوا يكفرون باليوم الآخر كفرا عنيدا ، وينكرون أشد الانكار أن تبعث الأجساد من القبور بعد أن يأكلها التراب ، وكان من مقولاتهم في هذا ما ذكره الله تعالى عنهم ، في قوله سبحانه : **(وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا)** الاسراء/٤٩ .

وهذا الاستفهام منهم على سبيل الاستبعاد والانكار .. وقد توعدهم الله سبحانه على هذا الانكار بقوله جل شأنه : **(ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا)** الاسراء/٩٨ .. ويقول سبحانه على لسان هؤلاء المنكرين للبعث : **(وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل**

ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد . أفترى على الله كذبا أم به جنة) سبأ/ ٧ و ٨ .. وقد أبطل الله تعالى منطقهم السفيه هذا بما توعدهم به من عذاب ، وما رماهم به من ضلال ، فقال تعالى بعد قولهم هذا : **(بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد)** سورة سبأ/ ٨ .. وقد جاء أحد هؤلاء المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل في يده قطعة من عظم قد بلي وتفتت ، ثم قال : يا محمد .. أتقول إني اذا مت ، وتفتت عظامي كهذا العظم .. ثم فتت قطعة العظم ونفخ (لعنه الله) ذراتها في وجه رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أتقول إن ربك يبعثني إذا صرت هكذا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم ، يبعثك ويدخلك النار » ! رواه البخاري .. ثم نزل في هذا قوله تعالى : **(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم)** يس/ ٧٨ .. فكان جواب الحق سبحانه : **(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)** يس/ ٧٩ ـ ٨٢ .

فانكار مشركي العرب للبعث ، والحياة الآخرة ، كان هو مركز الموقف العنادي ، الذي وقفوه من الدعوة الاسلامية ، في حين أن موقفهم من الايمان بوحدانية الله ، وترك معبوداتهم من الأوثان والأصنام كان أقرب إليهم من الايمان بالبعث ، إذ لم تكن صلتهم بمعبوداتهم تلك قائمة على أي منطق من عقل ، وإنما كانت عن وراثة كعادة من العادات ، ولهذا كان من دعاواهم الباطلة المتهافتة ما ذكره الله تعالى في قوله سبحانه : **(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)** الزخرف/ ١٩ ـ ٢٣ إنها مجرد عادة متوارثة عند هؤلاء المشركين في عبادتهم تلك المعبودات التي يصنعونها بأيديهم ، وكان منها ما يصنع من التمر ، فاذا جاع عابدها أكلها !!..

ومن هنا لم يكن لهذه المعبودات مكان في عقل العربي أو وجدانه ، أكثر مما نراه عند كثير من عوام المسلمين في كثير من أقطار الاسلام ، في طوافهم حول الأضرحة ، متمسحين بها ، مقبلين جدرانها ، ضارعين في ذلة وانكسار لأولئك الجاثمين

تحتها .. فهؤلاء وأولئـك في ضلال مبين .

يـذكر التاريـخ الجـاهلي ، أن أعرابيا ، ولى وجهه نحو الصنم الذي اعتاد الشكوى إليه ، والتماس الخير منه ، فوجد ثعلبا ، قد سلح عليه وبال ، فوقف مليا ينظر ويعجب ، فلم يلبث حتى استيقظت فيه فطرتـه ، فنفض عنه شبح الوهم الذي كان مستوليا ، وهنـا أعطـى الصنـم ظهره ، وهو يرميه بقوله :

أرب يبـول الثعلبـان بوجهه ؟
لقد هان من بالت عليه الثعالب !

— ٣ —

وضلالة الكفر بالحياة الآخرة أو التشكك في هذه الحياة ، وبعث الناس من قبورهم إلى تلك الحياة ـ ضلالة قديمة ، قامت إزاء الايمان بهـذه الحياة ، منذ كان في النـاس من يؤمنون بها ، ويعملون لها .

فالفراعنة مثلا كانوا في جملتهم من المؤمنـين بالبعـث والحسـاب والجزاء ، حتى لقد أضافوا حياتهم كلها لحساب الآخرة ، فلم يبنـوا القصور لسكناهم ، وإنمـا كانـت مبانيهم العظيمة الرائعة ممثلـة في الهياكل والمعابـد ، والأهرامـات ، التي خيل إليهم أنها تظل حافظـة أجسادهم إلى أن تعود إليها الروح التي فارقتها !!..

وعلى الرغـم من هذا الاعتقـاد الراسخ عند قدماء المصريين في الحياة الآخرة ، فان هذا الاعتقاد لم يعدم من قدماء المصريين من يشجبـه ، ويخرج عليه ، خروجـا سافـرا ، فينادى في الناس : ألا بعث ، ولا حياة بعد هذه الحياة الدنيا !!..

فهناك قصيدة فرعونية ، منقوشة على لوح محفوظ ، في متحف (ليدن) يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢٠٠ ق . م .. تقول هذه القصيدة ، أو يقول صاحبها ، مخاطبا الانسان :

« لقد سمعت ألفاظ (أمحوتب) و (هارديف) !!

« وهي ألفاظ ذائعة الصيت .. نطقا بها ..

« انظر إلى مكانيهما !!..

« إن جدرانهمـا قد جردت .. ومواضعهما قد اندثرت .. كأن لم تغن بالأمس !!

« إن أحدا لا يأتي من هناك ، ليحدثنا عما حل بهما .. حتى يرضي قلوبنا !!

« وإلى أن يحين وقت ارتحالنا إلى المكان الذي ذهبا إليه .. شجع قلبك على نسيان الموت

« واجعل من أسباب سرورك أن تسير وراء رغباتك .. ما دمت حيا ترزق !!

« وانعم بوسائل الترف العجيبة ..

« وزد في مباهجك أكثر من ذى قبل .. وسر وراء رغباتك وما فيه المتعة لك !!

« واحتفل بيوم السرور ، ولا تمـل منه !!

« انظر .. ليس ثمة من يأخذ أمتعة معه !!

« أجل .. ولا يعود من ذهـب إلى هناك !!

ونسأل :

أليست هذه دعوة أسبق من بدعة

« الوجودية المعاصرة ، التي تقوم على المجون ، بل الجنون المطلق ، الذي يطلق فيه الانسان الوجودي ، العنان لشهواته ، دون أي قيد من خلق أو حياء ؟

أو ليست هذه دعوة أبرع تصويرا وأكثر إغراء بالانحلال الخلقي ، والانسلاخ من عالم الناس إلى عالم البهائم والأنعام ، مما تقوم عليه الوجودية في يومنا هذا ؟

إنه لا جديد على الأرض ، ولا جديد فيما يخرج من العقل الانساني من هوس وجنون .

والليالي من الزمان حبالى
مثقلات يلدن كل عجيبه !!

ـ ٤ ـ

وفي الهند التي يكاد يطير بعض أحيائها في هذه الدنيا ، طيرانا إلى ما وراء هذا العالم المادي ، حيث يفنى الهندي عمره في تلك الرياضات العنيفة التي يريد بها إفناء جسده ، حتى يصبح روحا لا يثقله شيء من كثافة المادة ، وعندئذ تأخذ الروح مكانها في « النرفانا » أو المطلق !.

نقول : في الهند ـ وهذا إيمان أهلها بما وراء الحياة الدنيا ـ نجد أصواتا صادرة من بعض الهنود ، تصرخ في الناس : أن أفيقوا من سباتكم ، وارفعوا غشاوات الوهم عن أعينكم ، لتروا أنكم مخدوعون في هذا العالم الذي ترون أشباحه مطلة عليكم من وراء عالمكم الذي تعيشون فيه !!..

لقد قامت في الهند قديما جماعات من الملحدين تحت اسم : « بريهاشياتي » .. ومما حفظ من مقولاتها التي تصور بها موقفها مما وراء الحياة ـ هذا النص :

« ليس للجنة وجود .. وليس هناك خلاص أخير .. فلا روح ، ولا آخرة !!

كيف يمكن لهذا الجسد إذا ما أصبح ترابا أن يعود للظهور على الأرض ؟

وإذا كان في وسع الشبح أن يمضي إلى عوالم أخرى ، فلماذا لا يجذبه الحب الشديد لمن يخلفهم وراءه فيرجع اليهم ؟

ومن مقولات هذه الجماعة الملحدة ، المنكرة للحياة الآخرة ، قولهم :

« إن الحمقى وأرباب الحكم يتشابهون ، إذا ما تحلل الجسد .. فكلاهما يزول وينعدم ، ولا يكون لهم وجود بعد الموت !!..

كلا « يا راما » .. ليس هناك حياة آخرة .. كلها أباطيل » !!..

ـ ٥ ـ

وممن أنكر الحياة الآخرة ، والبعث بعد الموت ، الفيلسوف اليوناني « أبيقور » صاحب المذهب الابيقوري المعروف .. يقول أبيقور :

« ليس هناك إله واحد .. وانما آلهة متعددة ، لها أشكال الانسان ، لأن شكله أجمل شكل في الوجود » .

وهؤلاء الآلهة ، يأكلون

ويشربون ، ويتكلمون اليونانيـة !!
ولهـم أجسـام تتـكون من عنصر
كالضوء .. وهم يعيشون عيشة أبدية
سعيدة .. وهم لا يتدخلون في شؤون
العالم .. إنهم في سعـادة .. فلـم
يزجون بأنفسهم في ضوضـاء هذا
العالم ، ليحملوا عبء حكمه ؟

« فلا خوف إذن من الآلهة ، ولا
خوف من الموت ، ولا شيء على
الانسان إلا أن يبحث كيف يعيش
سعيدا في أيامه التي يعيشها على ظهر
الأرض !! »

إن إنـكار البعـث ، والحيـاة
الآخرة ، تصـور واقـع في تفـكير
النـاس ، في مختلـف الأزمنـة ،
والأمكنة ، وذلك إما لاستبعـاد أن
يكون في مقدور أي ذى قدرة ـ ولو
كان الاله ـ أن يقيـم الموتـى من
قبورهم بعـد أن ضلـت في تراب
الأرض .. وهذا هو ما وقع في تفكير
مشركي العرب ، كما يذكر القرآن
الكريم هذا عنهم : (**وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلـق جديد**) السجدة/ ١٠ .. يقولون هذا
إنكارا ، واستبعادا .

وإما أن يكون هذا الاستبعـاد
والانكار للبعث وللحيـاة الآخـرة ،
واردا على المستبعدين المنكرين ، من
أهواء أنفسهم ، وإملاء شهواتهم ،
فيحملهم هذا على التشكك أولا ، ثم
على الانكار ثانيا ، وبهذا ينفسـح
أمامهم المجال للتحرر من أي خوف
يستشعره المؤمنون بالآخرة عندمـا
يواجهون منكرا ، أو يأتون منكرا ..

ـ ٦ ـ

ومن عجب أن اليهود ـ وهم أهل
كتاب سماوي ـ هو التوراة ـ قد
غلبتهم طبيعتهم المادية الغليظـة ،
حتى حرفوا التوراة ، وبدلوا فيهـا
الكلم عن مواضعه ، وذلك ليقيموا
أحكامها وتعاليمها على الوجه الذي
يستجيب لطباع الحيوان الراقد في
أعماقهم .. وكان من هذا أن أقام
اليهود وجودهم على هذه الحياة الدنيا
وحدها ، دون التفـات إلى حيـاة
آخرة ، بعد هذه الحياة ، وأن الجنة
والنار ـ إذا كانت هناك جنة ونار ـ
فهما في هذه الحياة الدنيا ..

يقول المؤرخ الانجليـزي ، « ول
ديورانت » صاحب موسوعة « قصة
الحضارة » فيما صارت اليه عقيدة
اليهود بعد أن ألقوا بكل أهوائهم في
نصـوص التـوراة ـ يقـول « ول
ديورانت » :

« لم يكن في هذا الدين ، المنسوب
إلى شريعة موسى ، جحيم يخصص
لعقاب المذنبين ، ولكن « شيول » أو
أرض الظلام ، التي تحت الأرض ،
حيث يلقى فيها المـوتى جميعهم ،
الطيب منهم والخبيث » .

وهذا التصور لما بعد الموت عند
اليهود ، لا يعدو أن يكـون صورة
مشوهة ممسوخة ، لما يقع في بعض
النفوس من مشهد المـوتى ، وهم
يدفنون في القبور .. حيث ينظر الحي
الى الميت ـ أيا كان من الطيب أو
الخبث ـ على أنه تعس شقي ، وأن

أشقى الأحياء هو في سعادة غامرة ، بل وفي جنة نعيم ، إذا هو نظر إلى ميت يهال عليه التراب !.

ومن هنا كان « شيول » أو أرض الظلام ، هي الجحيم التي يساق إليها الأموات جميعا .. لا فرق بين ميت وميت ، ولا بين مؤمن وكافر ، ولا بين صالح وفاسد ، بل الجميع إلى مصير واحد .. هو القبر !! وعلى هذا ، فلا جنة ولا نار عند اليهود ، حيث صار الناس جميعا إلى مصير واحد ، هو الموت !

يقول « ول ديورانت » :

« على أن اليهود قلما كانوا يشيرون الى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود ، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا .. ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض » .

إن اليهود يتعاملون مع الله بهذا الخبث الممتزج بالمكر والرياء .. فاذا كانت لهم قوة واستعلاء في الأرض ، نسوا الله ، وأغلقوا كل باب بينهم وبينه .. فاذا أصابهم بلاء ، وحل بهم ضعف ، جاءوا إلى الله مؤمنين به ، وهم يضمرون في أنفسهم قطع صلتهم به لأول بادرة من بوادر القوة تعود إليهم !!..

— ٧ —

وندع هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث وبالحياة الآخرة ، أو أولئك الذين يتشككون في هذا ، وحسبهم ما ابتلوا به من قلق دائم ، وخوف مزعج مرعب ، من شبح الموت الذي يصحبهم صحبة ملازمة ، لينقض عليهم في أية لحظة ، وليلقي بهم في عالم الفناء ، ليكونوا ترابا في هذا التراب إلى أبد الآبدين .

فأي شقاء يحيط بمثل هذا الانسان الذي لا يؤمن ببعثه بعد موته ، وبحياة آخرة تصل حياته الدنيا ؟ إن مثل هذا الانسان يموت كل يوم مائة مرة ، بل مئات المرات !! فأي حياة تلك الحياة التي يتجرع المرء كؤوس الموت فيها قطرة قطرة ، منذ أن يعقل إلى آخر نفس يتنفسه في الدنيا ؟

ندع هؤلاء المنكرين للحياة الآخرة والمتشككين فيها ، ليعيشوا حياتهم النكدة مع هذا المعتقد الفاسد ، وإن كنا نرجو لهم الهداية ، ليخرجوا من هذا البلاء ، وليتخلصوا من هذا الأسر الذي أوقعوا فيه أنفسهم مختارين .

ندع هؤلاء المنكرين للحياة الآخرة ، والمتشككين فيها ، لندخل عالم المؤمنين بالحياة الآخرة ، وما يلقي الناس فيها من حساب وجزاء ، وجنة ونار ، ثم لننظر في أنماط هذا العالم — عالم المؤمنين — وما لهم من تصورات عن هذه الحياة ، ومن مواقف منها ..

فما هي وجوه هذه التصورات ؟ وما هي أنماط تلك المواقف ؟

ذلك ما نرجو الاجابة عليه في مقال تال ، إن شاء الله .

معركة النبوّة وأهل الكتاب

(٢)

للأستاذ : محمد عزة دروزة

ثانيا : في العهد المدني :

لقد اختلف الأمر المدني في صدد موقف أهل الكتاب عنه في العهد المكي . لأنه كان في يثرب وجوارها كتلة كبيرة من الاسرائيليين لها مركز قوي سياسي واجتماعي واقتصادي ولها مصالحها الدنيوية نتيجة لذلك مما جعلها تصطدم بالدعوة النبوية حينما اصبحت يثرب (المدينة المنورة) مركزها . ولم يستطع الا نفر قليل منهم أن يتغلب على المصالح ويستجيب اليها .

وكان فيما بين يثرب وبلاد الشام قبائل نصرانية كثيرة . وكانت النصرانية هي السائدة في بلاد الشام وتحت هيمنة الروم العليا والفعلية وتحت سلطات الغساسنة الخاضعين بدورهم لتلك الهيمنة فلمحوا أن في الدعوة الاسلامية التي صار يصل اليهم صوتها ونشاطها تهديدا لمركزهم فأدى ذلك الى الاصطدام معهم أيضا .

ولقد كان في اليمن كتلة نصرانية قوية في مقاطعة نجران قادتها مصالحها الخاصة الى موقف سلبي من الدعوة

أيضا ، ولقد كان لمطامع وأنانيــة رجال الدين اليهود والنصارى أثر كذلك في ضيق الاستجابة للدعــوة عبرت عنه آية سورة التوبة هذه :
(يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أمــوال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) آية / ٣٤ .
فكان كل هذا مما جعل الاستجابة للدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ضيقة النطاق كما قلنا . وان كانت النبوة قد سجلــت انتصــارا سياسيا حاسما على الاسرائيليــين اليهود وانتصارا سياسيا ودينيا ولو كان الأخير في نطــاق ضيــق على النصرانية في مشارف الشام الممتدة بين يثرب وبلاد الشام . ثم سجل خلفاء النبي صلى الله عليه وسلــم انتصارا سياسيــا ودينيــا في بلاد الشام وما وراءها وفيما يلي شرح وجيز لذلك :
اولا : المعركة بين النبوة واليهود :

— ١ —

غيرهم في مصر وبعد خروجهم من مصر . في حين أن الآيات المدنية كانت بأسلوب الخطاب المباشر للذين هم في يثرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مع الدعوة والجدل والحجاج والتقريع والتذكير والتنديد بسبب ما قام من معركة بينهم وبين النبوة في مختلف صورها .
والمقال والمجلة لا يتسعان للنصوص القرآنية الكثيرة جدا التي تمثل صور هذه المعركة . ولذلك سوف نكتفي بايراد ارقام وسور الآيــات . وعلى القارىء أن يرجــع الى المصحــف ليقرأها اثناء قراءة هذا المقال .
ونقول بعد هذا ان صور هذه المعركة في العهد المدني قد شغلت جزءا كبيرا من القرآن المدني وبخاصة في سورتي البقرة وآل عمران حتى لقد كان ثلث البقرة وربع آل عمران فيهم بالاضافة الى فصول كثيرة عنهم في سورتي النساء والمائدة تم في سور الاحزاب والحشر والصف والجمعة .

— ٢ —

لقد ورد ذكر اليهود وبني اسرائيل وأنبيائهم وتاريخهم وكتبهم في القرآن مسهبا أو متوسطا او مقتضبا في اكثر من ستين سورة مكيــة ومدنيــة . وأسلوب الآيات المكية مختلف عن أسلوب المدنية نتيجة لتبدل الموقف . حيث خلت الأولى من العنف والجدل المباشر ، واكتفــت بذكر تاريخهــم وأحوالهم وما كان فيما بينهم وبين

والمستلهم مما جاء عن أحوالهم في القرآن المدني أنهم اسرائيليون وأنهم جاؤوا الى الأنحاء الحجازية من أمد بعيد قبل البعثة المحمدية واستقــر أكثرهم في يثرب وقرى اخــرى في جوارها على طريق الشام . وقد تعلموا اللغة العربية مع احتفاظهم بلغتهم العبرانية واشتركوا في حياة العرب وتقاليدهم وصار لهم أنصار وحلفاء ومركز قوي . وقد نشروا عن أنفسهم

علما واسعا في الأديان والشرائع وأخبار الأمم وسنن الكون والدين السماوي الذي يدينون به والكتاب المنسوب الى الله ورسله الذي يتداولونه . وكانوا يزهون بذلك على العرب ويفخرون ويستنفحون بل ويدلسون في كل ذلك عليهم فينسبون الى الله وكتبه أشياء كثيرة كذبا وتبجحا . ويزعمون أنهم أولياء الله وأحباؤه وذوو الحظوة لديه . وقد أثر كل ذلك في العرب تأثيرا غير قليل فكان لهم بسببه بينهم مكانة ممتازة صاروا بها مرجعا لهم في كثير من مشاكلهم ومسائلهم ومعارفهم بل وصاروا لهم مرشدين وقضاة .

وكان لهم كيان طائفي ديني ، وكان لهم معابدهم ومدارسهم وأحبارهم وربانيوهم . وكان لهؤلاء تأثير كبير على أبناء طائفتهم كما كانوا قضاتهم ، وكان منهم من يتخذ منصبه ونفوذه وسيلة الى ابتزاز المال الباطل . وكان منهم من يتعاطى السحر والشعوذة ايضا . وكانوا جاليات كثيرة العدد منهم بل اكثرهم استقروا في أحياء خاصة لهم في يثرب لها الأسوار والحصون والقلاع .

ومنهم من سكن في مزارع وقرى خارج المدينة منها القريب ومنها البعيد وحصنوها كذلك بالقلاع والحصون والأسوار . وكانوا يقتنون مختلف انواع السلاح وبكمية كبيرة من سيوف ورماح وقسى ونبال وحراب ودروع .

ولم يكونوا متحدين في كيان سياسي وعسكري وديني . بل كانوا فرقا واحزابا وكانوا على خلاف ونزاع وعداء فيما بينهم نتيجة تصارع مصالحهم القبلية المتميزة . وكان في المدينة قبيلتان عربيتان هما الأوس والخزرج . وكان بينهما نتيجة لتصادم المصالح بدورهما نزاع وعداء وحروب . فكان فريق من اليهود متحالفا مع احداها وفريق اخر متحالفا مع الاخرى . وكان كل فريق يقاتل مع حليفه ، الفريق الاخر ، مع حلفائه من اليهود . ولقد كان طابع الذلة والمسكنة والجبن والشعور بالغربة والفزع يطبعهم جميعا فكانت محالفاتهم مع العرب بالاضافة الى حصونهم وقلاعهم وسلاحهم وسيلتهم الى الاستمساك والبقاء . وكانوا لأجل ذلك يحرصون على أن يبقى النزاع والعداء قائمين بين القبيلتين العربيتين . وكانت لهم حقول ومزارع وبساتين واموال وأملاك . وكان منهم من يشتغل بالتجارة والربا والصناعات فكان كثير منهم نتيجة لذلك اغنياء واصحاب ثروات ، وكان ذلك يساعدهم على النفوذ والتأثير في العرب أيضا .

ـ ٣ ـ

ولقد ربطت الآيات القرآنية في وصف اخلاق ومواقف اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب وما جاورها بما كان من آبائهم من اخلاق ومواقف كجبلة واحدة يرث الخلف عن السلف جميع اخلاقه وسلوكه

ومواقفه .
ولقد وصفتهم الآيات بالكفر والجحود واللجاج والأنانية والزهو وقسوة القلب والتبجح والترفع عن الغير ، واعتبار أنفسهم فوق الناس ، وعدم الاندماج الصادق مع أحد ، وعدم الولاء الصادق لأحد ، بالتضليل والتدليس والدس والشره الشديد الى ما في أيدي الغير ، والحسد الشديد لهم ولو تمتعوا هم انفسهم بأوفر النعم . ومحاولة الاستيلاء على الكل والتأثير بالكل واللعب في وقت واحد على كل حبل وفوق كل مسرح واستحلالهم لما في أيدي الغير ، وضنهم على الغير بأي شيء اذا قدروا وملكوا ، وعدم مبادلتهم للغير في ود وبر ومحبة . واندماجهم في كل موقف غير شريف وغير كريم وغير حق مهما دنؤ وفجر ومهما كان فيه كفر وفسق وخيانة وغدر في سبيل النكاية بمن يناوئونه .
وبنقضهم لمبادئ دينهم في سبيل مكايدته . وبعدم تقيدهم بأي عهد ووعد وميثاق وحق وعدل وواجب وأمانة . وتشجيعهم لكل حاقد وفاسد ومنافق ودساس ومتآمر في سبيل التهديم وشفاء لداء الحسد والحقد والخداع المتأصل فيهم .
والآيات وان كانت في صدد وصف أخلاقهم في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم فان روحها وفحواها يلهمان انهما أخلاق اليهود عامة .
(اقرأ هذه الفقرة والفقرة السابقة آيات سورة البقرة ٤٠ ــ ١٧٦ وسورة آل عمران ١٤ ــ ٢٨ و٦٤ ــ ١٢٠ و١٨١ ــ ١٨٦ وسورة النساء ٤٤ ــ ٥٥ و١٥٢ ــ ١٦٢ وسورة المائدة ١١ ــ ٣٤ و٤١ ــ ٨٣ وسورة الجمعة ٥ ــ ٨ .
وإنه لمن العجيب المثير أن المرء ليراهم اليوم في أخلاقهم على اختلاف منازلهم وبيئاتهم وجنسياتهم ــ لأن طوائف كثيرة من غير أصل اسرائيلي اعتنق الدين اليهودي عبر الأحقاب المتتابعة ــ صورة طبق الأصل لما وصفهم به القرآن من صفات وأخلاق ام امتدادا لما حكته أسفارهم عنهم منذ القديم وردده القرآن . لم تزدهم الايام فيها الا رسوخا . مما هو مصداق لما قرره القرآن من الجبلة الراسخة المتوارثة من الآباء للأبناء ، ومما لمسه وما يزال يلمسه جميع أجناس البشر الأخرى فيهم في كل زمن ومكان حتى صاروا في ذلك كله العلم المفرد بين البشر أو الفصيل البشري الشاذ المجمع على شذوذه في كل ذلك عن سائر البشر .

ــ ٤ ــ

ومع أنهم كانوا يعرفون أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم حق وصدق ، وكانوا يبشرون به ويقولون للمشركين العرب انهم سيكونون معه حزبا واحدا (اقرأ آيات سورة البقرة ٨٩ وآل عمران ٨٦) ومع أن النبي حين حل في المدينة كتب بينه وبينهم عهدا أمنهم فيه على حريتهم الدينية وطقوسهم ومعابدهم وأموالهم . وأبقاهم على محالفاتهم مع الأوس

والخزرج وأوجب لهم النصر والحماية ومشترطا عليهم ان لا يعينوا عدوا ولا يمدوا يدا بأذى وأوجب عليهم نصر المؤمنين والاتفاق معهم كحلفاء على ما ذكرته روايات السيرة (انظر ابن هشام ج٢ ص١١٩ ـ ١٢٣) فانهم لم يلبثوا أن تطيروا من هجرته الى المدينة واستقراره فيها ، وأخذوا ينظرون بعين التوجس الى احتمال رسوخ قدمه ، وانتشار دعوته ، واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموي الذي كانوا يستغلونه في تقوية مركزهم ، وخشوا على هذا المركز والامتيازات الكبيرة التي كانوا يتمتعون بها ويجنون منها اعظم الثمرات ولقد كان ظنهم على ما يبدو أن يجعلهم النبي خارج نطاق دعوته . معتبرين أنفسهم أهدى من ان تشملهم ، وأمنع من اي يأمل في دخولهم في دينه وانضوائهم الى رايته . بل لقد كانوا يرون أن من حقهم أن ينتظروا انضمامه اليهم ، ويتبجحون أنهم الأهدى أصحاب الحظوة عند الله على ما حكته عنهم بعض الآيات (انظر آيات البقرة ١١١ و١٣٠ و١٣٥ والمائدة ١٨ (وننبه على أن سياق الآيات هو في صدد اليهود وذكر النصارى فيها جاء استطرادا من قبيل التعميم أو لسان الحال) ولا سيما حينما رأوه يصلي الى قبلتهم ويعلن ايمانه بأنبيائهم وكتبهم بلسان القرآن ويجعل ذلك جزءا لا يتجزأ من دعوته على ما جاء في آيات قرآنية (اقرأ البقرة ١٣٦ و٢٨٥ والانعام ٩٠ والسجدة ٢٤ والدخان ٢٦و٢٧ والجاثية ١٥ ـ ١٧) . فخاب ظنهم ورأوه يدعوهم في جملة الناس بل يخصهم بلسان القرآن أحيانا بالدعوة لأنهم اولى الناس بالاستجابة اليها لأنها متطابقة لما عندهم ، ويندد بهم لعدم مسارعتهم الى الاستجابة ، ولموقفهم منها موقف الانقباض ثم موقف الكفر والتعطيل على ما تفيده آيات عديدة (البقرة ٤٠ ـ ٤٤ و٨٧ ـ ٩١ والنساء ٤٧ والمائدة ١٥و١٩) فكان هذا كما هو المتبادر باعثا على تنكرهم للدعوة وحقدهم على صاحبها منذ الخطوات الاولى من العهد المدني . ثم رأوا الناس قد اخذوا ينصرفون عنهم ويتخذون النبي صلى الله عليه وسلم مرجعهم الأعلى ومرشدهم الأعظم وقائدهم المطاع فاستشعروا بالخطر الشديد يحدق بمركزهم الذي يتمتعون به بين العرب ، وامتيازاتهم التي كانوا يستغلون العرب بها اذا تم النجاح والاستقرار للنبي ودعوته فكان هذا عاملا على اندفاعهم في خطة التنكر والحقد والتعطيل والتآمر الى النهاية .

وفي بعض الآيات التي أوردنا أرقامها مفاهيم صريحة لسبب هذا الموقف تعبر عن غيظهم من نبوة النبي العربي ، وما كان يوحي اليه من قرآن عربي ، ولمحهم ان ذلك سيكون سبب تدهور حالتهم الاقتصادية والاجتماعية (اقرأ آيات البقرة ٨٧ ـ ٩٧) والمائدة ٦٢ ـ ٦٤) . ولقد أصبحوا نتيجة ذلك أشد أعداء الاسلام والمسلمين المتربصين بهم

السوء الذين ملأ الحقد والغيظ قلوبهم منهم مما عبرت عنه آيات سورة آل عمران ١١٨ ــ ١٢٠ والنساء ٤٤ ــ ٥٢ والمائدة ٦٢ ــ ٦٤ و٨٢) .
ولم يستطع ان يتغلب على انانيته ومصلحته الدنيوية والشخصية الا قليل منهم استجابوا الى الدعوة وكان منهم راسخون في العلم على ما سجلته آيات سورة آل عمران ١٩٩ والنساء ١٦٢ وكتب الحديث والسيرة .

ــ ٥ ــ

ولقد كانت مواقفهم متنوعة . منها ما كان تجاه الدعوة الاسلامية اساسا . وكانت أولى الآيات التي تعبر عن هذا الموقف هي آيات سورة البقرة ٤٠ ــ ٤٤ ثم تتبعها السلسلة . ومنها خاصة الآيات ٤٧ ــ ٥٣ و٥٥ و٥٨ و٥٩ و٦١ ــ ٦٣ و٧٢ و٨٠ ــ ٨٩ و٩٣ و٩٩ ــ ١٠٠ .
وفي الآيات افحام دامغ وفضح لهم وتدليل على كذبهم وافتراء على الله وتنديد قارع بهم .
ومنها مواقفهم الحجاجية حول ابراهيم عليه السلام وملته وقولهم انهم واياه على ملة واحدة وان ملتهم خير الملل . وتمثل اقوالهم هذه والرد القارع الفاضح المفحم عليهم آيات عديدة منها آيات البقرة ١١١ ــ ١١٣ و١٢٠ و١٢١ و١٣٠ ــ ١٤٠ وآل عمران ٥٦ ــ ٦٨ ومنها حجاجهم في صدد نبوة النبي والقرآن ... وتمثل اقوالهم والرد القارع الفاضح المفحم عليهم آيات عديدة منها آيات البقرة ٨٩ و٩٠ وأيات الجمعة ٢ ــ ٧ .
ومنها ما كان فيه سوء ادب نحو الله تعالى ورسوله وسخرية وتحد وتعجيز ويمثل ذلك والرد عليهم الرد القارع الفاضح المفحم أيات عديدة منها آيات سورة آل عمران ١٨٠ ــ ١٨٣ والنساء ٤٤ ــ ٤٦ و١٥٣ ــ ١٦٩ والمائدة ٦٢ .
ومنها مواقفهم الحجاجية حول الكعبة وتهويشهم وتشويشهم ودسائسهم بين المسلمين حينما امر الله رسوله بالتحول من المسجد الاقصى الى الكعبة البيت الحرام وجعلها قبلته . وتمثل هذه المواقف مع الرد القارع الفاضح المفحم آيات البقرة ١٠٥ ــ ١٥٢ وآل عمران ٩٣ ــ ١٠٠ .
ومنها ما كان من دسائس بين المسلمين بسبيل تشكيكهم في ايمانهم وتدليسهم عليهم مع تواصيهم فيما بينهم بعدم الاعتراف بما عندهم من صفات رسول الله والمطابقة بين التوراة والقرآن وافترائهم على الله وزعمهم ان ما يقولونه هو من كتاب الله كذبا . ويمثل ذلك مع الرد القارع الفاضح المفحم آيات عديدة منها آيات البقرة ٧٥ و٧٦ و١٠٤ و١٠٥ وآل عمران ٦٩ ــ ٧٣ و٧٧ و٧٨ و٩٩ ــ ١٠٣ و١١١ ــ ١٢٠ والنساء ٤٤ ــ ٤٦ والمائدة ٥٧ ــ ٦٣ . ومنها دسائسهم بين الاوس والخزرج ومحاولة اثارة الاحقاد القديمة بينهم وحملهم على الاقتتال ويمثل ذلك مع التنديد القارع آيات سورة آل عمران ٩٩ ــ ١٠٣ .

ومنهـا تآمرهـم وتضامنهـم مع المنافقين . وأول آية ذكر ذلك فيها آية سورة البقرة : **(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلـوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)** البقرة/١٤ والمفسرون مجمعـون على أن شياطينهـم هم اليهود . والوصف يفيد ان اليهـود كانوا يوسوسون للمنافقـين . وذكر اختلاء المنافقين بهم يدل بصراحة على الاثر الكبير الذي كان لليهود في حركة النفاق والمنافقين . وعلى التضامـن الوثيق بين الفريقـين ضد الدعـوة الاسلامية .

ولقد احتوت سلسلة الآيات حملة قوية على المنافقين والمتبادر ان توافقهم مع اليهود من الأسباب المباشرة لهـذه الحملة . والآية وبقية السلسلة من أبكر ما نزل من القرآن المدني . وهذا يدل كما هو المتبـادر على ان ذلك التوافـق والتضامـن قد قام بـين الفريقين منذ عهد مبكر من الهجرة النبوية ثم استمر الى ان مكن الله نبيه من تطهير المدينة من اليهود في اواسط العهد المدني ، وكان لهم خلال هذه المدة مواقف وحركات شديدة الأذى والكيد للنبـي والمسلمـين والدعـوة الاسـلاميـة مـن المنـافقـين بوسوستهم ... ولقد كانت محالفات بين اليهود والأوس والخزرج قبـل الاسلام على ما ذكرناه قبل فلما اشتد اذى اليهود وغدرهم ونقضهم للميثاق المبرم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم اقتضت حكمة التنزيل ان يوحي بآيات تأمر المسلمين بعدم الاستمرار في محالفاتهم معهم فكان المنافقون من حلفائهم لا يستجيبـون للأمـر الرباني ويعتذرون بوجـوب الوفـاء بالعهد وبالخطر الذي يمكن ان يحيق بهم اذا نقضوا هذا العهد مما تمثله آيات سورة آل عمران ٢٨ و١١٧ ـ ١٢٠ والنساء ١٣٨ و١٣٩ و١٤٤ ، والمائدة ٥١ ـ ٥٣ والمجادلـة ١٤ والحشر ١١ .

ومن مواقفهم تآمرهم مع المشركين . يمثل ذلك آيات سورة النساء ٥١ و٥٢ التي يروي المفسرون في صددها ان وفدا منهم ذهب الى مكة لتحريض زعمـاء المشركين على غزو المدينـة واستئصال شأفة الاسـلام فيهـا وعرض التحالف معهم على ذلك . وذهابهم مع المشركين الى اصنامهم وتبركهم بها وحلفهـم عندهـا على صدقهم في عرضهم وتعهدهم وقولهم حينما سألهم المشركون عن من هو الأهدى ، انهـم هم الأهـدى من محمد . وكان ذلك أشنـع موقـف يهودي اندفعوا إليه بالحقد والحسد والعداء واندفعوا به بوصمة عار لا تمحى .

ومما يمثله كذلك آيات سورة الاحزاب ٢٥ ـ ٢٧ التي فيها نص صريـح بمظاهرة اليهود للمشركين في وقعة الاحزاب التي كانت الآيات السابقة لهذه الآيات وهـي (٩ ـ ٢٤) في صددها . وفي سورة المائدة الآية ٨٢ التي تذكر تحالفهم وموالاتهم للكفار المشركين وكان هذا منهـم اثنـاء الصراع بين النبي صلى الله عليه وسلم وزعماء قريش .

الدين الإسلامي دين البشرية

محمد مؤذن

صلاحية الدين الاسلامي لكل البشر وفي كل العصور حقيقة ثابتة بحكم إلهي والله عز وجل هو خالق البشر وهو الذي يعلم أسرارهم ويدرك رغباتهم ونزعاتهم وأمزجتهم ويعلم الغيب وما يأتي في غد فاختار هذه الشريعة السمحة الباقية لتكون دينا للبشرية في كل مكان وزمان ..

وسنورد هنا بعض الدلائل الموجودة في هذه الشريعة لنصل إلى هذه الحقيقة :

أولا : إن دين الاسلام جاء من عند الله ونقل عنه بالتواتر بلغه جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وحفظه رسول الله وبلغه لأصحابه فحفظه جماعة يبعد عنهم الخطأ واستقر أخيرا في هذا المصحف الذي أقره جميع من سمعه من رسول الله فهي الشريعة المحفوظة التي لا يختلف عليها اثنان من حيث ثبوت نصوصها وأحكامها وأنظمتها .. ومعنى ذلك أنها ثابتة بعيدة عن أهواء ونزعات البشر واختلاف آرائهم حسب المناسبة والحوادث وبعيدة عن التغيير والتبديل واجتهاد الحكام والكتاب ..

للأستاذ : عبد العزيز المسند

وما دامت هذه الشريعة ارتفعت إلى مستوى الألوهية فلا مجال للبشر في الاعتداء عليها أو تحميلها ما ليس منها أو استخدامها لأغراضهم وتعتبر الشريعة الاسلامية طاعة البشر في الاعتقادات والتحريم والتحليل خطأ لا يصلح من بعضهم لبعض .. ومن ذلك أن عدى بن حاتم ابن اكرم العرب كان يدين بالنصرانية ولم يقبل الاسلام في أول عهده .. ولما أسلم قومه هرب إلى الشام ثم عاد بأمان محمد رسول الله بواسطة أخته التي أسلمت ومن عليها رسول الله بالاكرام والتقدير فذهبت إليه في الشام وأمنته وأقنعته بوجوب العودة إلى بلاده ومقابلة رسول الله ولما قابل رسول الله ورأى فعله وسيرته ومعاملته لأصحابه أعجب به وقال في نفسه إن هذا ليس بملك وكان من حديثه معه ان رسول الله قد ترك له فرصة التفكير وجعله يستمع إلى القرآن في المسجد مع الناس . فسمع رسول الله يتلو هذه الآية (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**) التوبة/٣١ هنا تقدم عدى وقال : يا محمد إنهم لم يعبدوهم . فقال : بلى . اليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقال عدى بلى . قال فتلك عبادتهم .

ولما قام رسول الله من المسجد قام معه عدى فقابلت رسول الله عجوز واستوقفته فانتحى معها جانب الطريق تحدثه ويجيبها .. قال عدى فقلت في نفسي : إن هذا خلق الأنبياء . ولما دخل رسول الله إلى بيته لم يكن به سوى حصير ووسادة فجلس رسول الله على الحصير وقدم لضيفه الوسادة .. وهناك ألقى عدى عديدا من الأسئلة ، وجرى حوار اقتنع معه عدى بأن الاسلام دين البشرية فأعلن اسلامه ومن بقي من قومه . ومن تلك الساعة صار عدى واحدا من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم ..

ثانيا : أن هذه الشريعة قصدت مصلحة البشرية وتحقيق عيشها بأمن وسلام وتعاون وخدمة للمصلحة العامة . فركزت على الضروريات الخمس المتعارف عليها في كل العصور . وهي « الدين والعقل والنسل والنفس والمال » وأبانت ذلك بتفصيل وتنظيم موجود لمن أراد أن يطلع عليه بنصوصه وأحكامه . واحترمت النفس البشرية وجنس الآدمى من حيث هو وأكدت على وجوب التعاون على الخير والتعاون في القضاء على الشر وحددت المسئولية في ذلك ..

كما عنيت بالأخلاق الكريمة التي يقرر أسوياء الناس وعقلاؤهم أنها

أخلاق كريمة ترتفع بالنفس البشرية إلى أعلى المنازل وتبعد بها عن الرذائل والمهانة وتميزها عن الحيوان .. ومن شذ عن هذه المبادئ فهو تصرف شخصي أراده لنفسه وخالف به أحكام الشريعة الاسلامية وقوانينها .

ثالثا : هذه الشريعة شريعة وسط تناسب الحياة وتسايرها . فليست متزمتة جامدة وليست متطرفة شاذة فهي دين ودولة ، ودنيا وآخرة . وروح ومادة ، وقرب من الواقع لا خيال فيها ولا أحلام وعلى المؤمن بها أن يؤمن بالله ويوازن بين الأمور فلا يتكالب على المادة ولا يعتزل الحياة بل سلوك وسط تقرره مثل هذه الآية : **(وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض)** القصص/٧٧ فالمرء المسلم متعايش مع من حوله ومع نفسه وتصرفاته تنبع من نلك فان أراد ان يشذ بفعل شيء مضر بالمجموعة قيل له : قف إن هذا فساد في الأرض وضرر على الآخرين ، وهذا لا يجوز في الشريعة الاسلامية ، فعدل سلوكك ، فان اعتدل من نفسه فذلك خير ، وإلا فان على المجموعة أن ترده .

ولعل الكثير يدرك ما أصاب الحضارة الحالية من ويلات بسبب التطرف المتمادى الذي بلغ حدا أذهب طعم الحياة وأفلت الزمام من أيدي العقلاء والمخلصين ، وصاروا يتلمسون الطريق للعودة إلى الوسط ولكن الصعوبات كبيرة والطريق طويل فقد انساق كل العالم إلى التطرف ظنا منهم أنه خير له فلما وصل إلى نهايته وعرف الحقيقة لم يستطع العودة إلى مكانه الأول . وتلكم حقيقة أدركها بسطاء المفكرين فكيف بالعقلاء . إن الشريعة الاسلامية قد جعلت وقاية وحواجز دون الاندفاع إلى الهاوية عن طريق التزمت أو التطرف ولا غرو فانها من عند رب البشرية الذي يعلم ما سيكون وما هو كائن .

رابعا : الأحكام والتكاليف الواردة في الشريعة الاسلامية أحكام متوازنة مناسبة للبشر على اختلاف أهوائهم ضامنة للتعايش وللتعاون واستقرار الحياة . وهي في شرعيتها للأحكام تضعها موضعها من حيث الالزام والضرورة والاختيار ، وتحدد كيفية تطبيقها ومن يطبقها . وعلى مر القرون السابقة كانت الأحكام الشرعية محل التطبيق والتنفيذ وقد اقتنع بها المسلمون والعقلاء من غير المسلمين ، وفي القرن العشرين يرتفع صوت غير المسلمين مطالبين بتطبيق الأحكام الاسلامية متنسمين بردها وعدلها وحيادها .. وقد سجلوا آراءهم في كتبهم وفي المؤتمرات الدولية وفي المناسبات فمن نلك ما اتخذه مؤتمر قانوني عقد في (لاهاي) عام ١٩٣٨م وبعد المداولات ودراسة أحوال العالم قرر المؤتمر ما يلي :

« **تعتبر الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام وهي شرع قائم بذاته ليس مأخوذا عن غيره ، وتعتبر حية قابلة للتطور** » وقد اعتبر نلك من وثائق

المؤتمر الأساسية وفي لاهاي أيضا وبعد عشر سنين من هذا المؤتمر ينعقد مؤتمـر المحامـين الـدولي ويحضره محامـون عن ٥٣ دولـة وينتهـي اجتماعهم مقررين ما يلي « نظرا لما في التشريع الاسلامي من مرونة ولما له من شأن هام يجـب على جمعيـة المحامين الدولية أن تتبنى الدراسة المقارنة لهذا التشريع العظيم وتشجع عليها » وبعد عشر سنين أخرى يقرر مؤتمر حقوقي في باريس ما يلي « إن المبادئ الفقهية في الاسلام ذات قيمة تشريعية لا يمارى فيها وإن الفقه الاسلامـي بمذاهبـه يستطيـع أن يستجيب لجميـع مطالـب الحيـاة الحديثة » .

ويؤكد هذه القرارات واقع الاسلام ومبادئه ونظامه حتى ارتفعت أصوات من مختلف البلدان تطالب بتطبيق أحكـــام الاسلام في الطـــلاق والحدود ..! ولسنا في شك من ديننا ولكنا نورد مثل هذه الأمور ليعلم بذلك من لا يعلم ولنعيد إلى أذهـان من قرروها آراءهم في وقت هم أحوج ما يكونون لها .

خامسا : حفظ هذا التشريع وبقـاؤه خالدا مدى الحياة .. يحفظـه الله تعـالى متميـزا لا يدخلـه التغيـير والتبديل . وقد أكد الله تعالى ذلك في قوله : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/٩ وقد ثبت ذلك على مر الأحداث التي عصفت بالمسلمين وبكتبهم وعلمائهم ومع ذلك لم يفقد حرف واحد من القرآن لأنه في الصدور مع الكتب .. وتحضرني بهذه المناسبة قصة ذكرها المؤرخـون ، خلاصتها أن عدوا للاسلام فرغ نفسه واتفق مع قومه على أن يزور في القرآن بزيادة أو نقصان فدرس القرآن فترة طويلة من الزمن حتى حفظه وعرف معانيـه ، وأجـاد فهـم آياتـه ومقاطعه .. وعندما أذن له مدربوه بخوض أول تجربة . جلس إلى تاجر في بغداد وكانت تجارته أنواعا من المكيلات والموزونات متعددة مختلفة فهو يقوم تارة ويمشي تارة ويكلـم المشترين كثيرا ، وكان له ابن جالس في وسط الدكان يقرأ القرآن فكان كلما أسقط حرفا رده وصححـه ، وكلما خفض أو رفع في غير موضعه عدله وأخبره بالصحة . وما زال كذلك لا يلتفت إلى ابنه وإنما يرده وهو سائر في بيعه وشرائـه لا تفوتـه حركـة واحدة .. وطال الوقت لم يلحظ ذلك الرجل غفلة من صاحب الدكان للحظة واحدة .. فقام من توه وعاد إلى من أرسلوه وقال لهم : لا سبيل لكم إلى ما أردتم ولا يمكن أن يتحقق شيء منه ، وحدثهم عما رأى وسمع فيئسوا من كيدهم وخاب أملهم والله قادر على ما يشاء وهو الحكيم العليم ..

وبعد : فهذه بعض ملامح تدل على صلاحية الشريعة الاسلامية للعالم ، ويجب أن ننبه إلى أنه لا ينقض ذلك تخلف تطبيقه في الحياة فتـرة من الزمن فان الذهب لا يتغير والحقيقة واحدة . وعمل الأشخاص لا يكون سببا في الحكم على الحق بضده .. ولا بد أن يحق الله الحق مهمـا طال الزمن .

الاجتهاد
وقضايا
الحياة المعاصرة

للدكتور : وهبة الزحيلي

يعشق الناس في عاداتهم وألبستهم وأفعالهم كل جديد ، وقد شغف الانسان بالجديد من القدم ، لأن النفس البشرية تمل بطبعها القديم وتألف وتستهوي الجديد ، إلا أن التجديد لا يكون في الواقع وبالمنطق السليم مرغوبا في كل شيء ، لأن سلطان الأعراف والبيئات لا يجد له تأثيرا في أصول الأشياء ومركوز الفطرة ، وإنما يؤثر عادة في بعض نظم المعيشة ، مما يلمس الانسان له فائدة ، أو يجد فيه محاكاة وتشبها بالأقوى منه ـ إرادة وفكرا وطراز حياة ، فليس إذا كل جديد نافعا ، كما أنه ليس كل قديم ضارا .

وهذا هو شأن تشريع الاسلام في أصوله ومبادئه ، فقد نص صراحة على أصول الاعتقاد وأسس الأحكام ، وقرر أحكاما عامة لا مجال للاجتهاد والتجديد فيها ، ووضع مبادىء العلاقات والمعاملات الاجتماعية ، وترك أمر التفصيل والتطبيق فيها لعقول المجتهدين ، تكريما من الله لهذه الأمة ، حتى لا يهمل عقول أبنائها ، ومنعا من تعطيل فاعلياتها ، ولئلا يحكم على الشريعة بالجمود ، ولتظل بقواعدها المرنة متجاوبة مع ظروف الحياة وتطوراتها النافعة الصحيحة ، وبخاصة في عصرنا حيث أوجدت المدنية في القرن العشرين أوضاعا وأنظمة سريعة ومعقدة ومتشابكة اقتضتها ظروف الحياة المعاصرة واختراعاتها التي ملأت البر والبحر والجو .

والعقل البشري هو وحده الميزان في اصطفاء واختيار النافع المفيد وترك البالي العتيق ، في ضوء الهداية الالهية ، ولا يكابر عقل سوي في أن المعتقدات والعبادات لها صفة القداسة والدوام والبقاء ، فجاء الاسلام موضحا الأصول العامة ، ومحددا نطاقا من الأحكام الشرعية لا مجال للاجتهاد فيها ، وهي الأحكام الأساسية المتعلقة بأصول الاعتقاد والدين ، وأركان الاسلام الخمسة من فرضية الصلوات الخمس ، والصيام والزكاة والحج والشهادتين المتضمنتين إعلان مبدأ وحدانية الاله ، والاقرار بجميع رسل الله الكرام وبخاتمهم محمد رسول الله ، والأحكام التي تمس مقاصد الشريعة الخمس وأصولها الكلية ، وهي الحفاظ على الدين الحق والنفس الانسانية ، والعقل البشري ، والنسب (أو العرض) قوام الأسرة ، والمال عصب الحياة وعماد

الاقتصاد ، مما اقتضى تحريم الردة ، وجهاد الأعداء ، وتحريم جرائم الزنا والسرقة وشرب الخمر وغيره من سائر المسكرات ، والقتل وعقوباتها المقدرة شرعا لها ، ومثلها أيضا كل العقوبات والكفارات المقدرة في الاسلام ، فانه لا مجال للاجتهاد فيها . لكن هذه المصالح والمقاصد التي صانها التشريع تعد محور الاجتهاد فيما يجوز فيه الاجتهاد في نطاق المعاملات .

كما لا اجتهاد فيما دل عليه النص صراحة أو قطعا : « لا مساغ للاجتهاد في مورد النص » مثل توزيع عبء الاثبات بجعل البينة على المدعي ، واليمين على المدعي عليه ، في قول النبي عليه الصلاة والسلام : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » رواه البخاري فلا يسوغ لأحد أن يعكس هذا التوزيع ، فيقبل البينة من المدعي عليه ، ويرفضها من المدعي ، أو يجعل الخيار للحاكم في تكليف أحد الخصمين بالبينة أو اليمين .

وفيما عدا ذلك تظل دائرة الاجتهاد خصبة واسعة في النصوص الظنية التي تحتمل أكثر من معنى ، وفي الحوادث التي لا نص ولا إجماع فيها ، لأن الاجماع القطعي في حكم النص ، بل دلالته أقوى أحيانا .

والاجتهاد فرض كفائي في الاسلام ، مارسه النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعون من بعده ، والتزمه المجتهدون طريقا نيرا للحياة ودفعا للحرج أمام المسلمين وتحقيق اليسر والسماحة ، ورعاية الحاجات والضروريات والمصالح الطارئة لهم ، إخلاصا منهم لشريعة الله ، وتجاوبا مع تطلعات الناس ، وإثباتا لصلاحية الشريعة الدائمة . وهذا وضع طبيعي تجاه كل قانون أو تشريع تكون نصوصه عادة محدودة متناهية ، وحوادث الناس وأقضيتهم غير محدودة ولا متناهية ، والمحدود لا يحيط عادة بغير المحدود ، إلا من طريق الاجتهاد ، ومن المعلوم أن الفقهاء مطالبون شرعا بتعريف الناس أحكام الله ، إذ ما من نازلة أو حادثة إلا وللاسلام حكم فيها إيجابا أو تحريما ، كما قرر الامام الشافعي . وإن لم يجتهد الفقهاء كانوا جميعا آثمين معطلين بلا تردد ، فالاجتهاد حياة التشريع ، ولا بقاء لشرع ما لم يظل الفقه والاجتهاد فيه حيا مرنا مفتوح الباب ، ذا فعالية وحركة ، فالاجتهاد في الوقائع الجديدة التي تتطلب موقفا شرعيا محددا فيها ، هو من أعظم القرب التي نتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ، لأنه نقطة الارتكاز التي يقوم عليها الحكم بصلاح شريعة الاسلام لكل زمان ومكان : **(ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)** النساء/٨٣ .

لكن الاجتهاد : وهو بذل الجهد في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها ، ليس كلمة سهلة يحلو تردادها لبعض الناس المتمجهدين ، فهو اختصاص لفئة من الناس الأثبات علميا قادرة عليه .. وكما لا

يقبل قول غير مختص في أفق غير اختصاصه ، فلا يقبل قول أدعياء الاجتهاد ومدعي التجديد ومظهري الغيرة فيما ليسوا أهلا له ، ذلك أن الاجتهاد فن علمي أيضا يتطلب القدرة الكافية على فهم النصوص العربية في القرآن والسنة ، والناسخ منها والمنسوخ ، والتعرف على مسائل الاجماع ووجوه القياس الصحيح ، وشرائطه المعتبرة ، ولا يصير المرء مجتهدا إلا بعد أن يفهم أساليب العرب في كلامهم وعاداتهم في استعمال المفردات والتراكيب ، ويعلم بعلم أصول الفقه لأنه عماد الاجتهاد ، ويدرك مقاصد الشريعة والمصالح التي يستهدف الشرع حمايتها ، والمفاسد والمضار التي يتجه الشرع إلى محاربتها والقضاء عليها . ومعيار المصلحة والمفسدة هو الشرع الالهي ، وليس مجرد ما يراه العقل المحض مصلحة ، فقد يرى الانسان ما هو ضار نافعا وبالعكس ، وقد يتأثر بمصالحه وأهوائه وشهواته : **(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)** المؤمنون/٧١ .

وبما أن المعاملات قائمة على رعاية المصالح البشرية ، فهي المجال الطبيعي للاجتهاد ، ونحن اليوم أشد الناس حاجة لبيان حكم الله في المعاملات التي جدت في سوق العقود ، وأعمال المصارف مثل خصم السند وتحصيل الأوراق التجارية « الشيك والكمبيالة .. الخ » وفتح الاعتمادات ، وأعمال الجمعيات التعاونية مثل إقراض المزارعين للمصالح الزراعية ، وأمور الاقتصاد وسياسة المال ، والشركات بأنواعها المختلفة ، وعلى التخصيص شركات التأمين ، وسياسة الحكم وأصوله ، ونظم وقواعد حكم الأمة ، والعلاقات الدولية العامة في ظل الأنظمة الجديدة للمجتمع الدولي كهيئة الأمم المتحدة وفروعها ومجلس الأمن وصلاحياته وغير ذلك من شؤون الحياة . فما موقفنا من كل ذلك ؟ والفقهاء يقررون عادة : « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » ويرددها بعض الناس دون تقدير لمضمونها أو تحديد لمداها وشمولها .

هذه دعوة للتجديد والاجتهاد نجدها ـ من الناحية النظرية ـ على لسان وأقلام كل المشتغلين والمهتمين المعتنين بالفقه الاسلامي ، ولكن مع ذلك للأسف ما يزال الأمر في حيز التأكيد والترغيب الفكري والارادي ، دون أن أجد لأحدهم إلا ما ندر نصيبا بارزا في هذا المجال .

ويجدر معرفة سبب الاحجام أو الاقلال ، وهو يتلخص في أمرين :

أولهما ـ عدم توفر الاستعداد الكافي لتطبيق الشريعة من قبل السلطة الحاكمة ، وتظل المبادرة أحيانا في حيز تكوين اللجان لوضع القوانين المستمدة من الفقه الاسلامي في النواحي المدنية والجنائية والأحوال الشخصية ، كما هو الشأن في مصر والسودان ، ولعل الجدية تكون أوضح في الكويت ودولة الامارات

العربية ، ونأمل أن تحظى الباكستان بالتوفيق فيما عقدت العزم عليه الآن من توطيد دعائم مجتمع اسلامي عن طريق تبديل القوانين الوضعية وإحلال القوانين الاسلامية محلها ، واستخدام الوسائل الاعلامية في إصلاح المجتمع . وحينئذ يمكن تفسير الخطب والتصريحات التي تدعو أحيانا لتطبيق الشريعة بأنها ـ في حدود الظن ـ لمجرد الاستهلاك الداخلي ، بدليل تجميد أعمال اللجان المكونة لوضع القوانين المستقاة من الشريعة ، وعدم اعتماد مقترحاتها أو إصدار تشريعات نافذة بها ، مما أشاع اليأس لدى أعضائها ، وفتور الهمة والرغبة في تجدد اجتماعاتها ، واستمرار جلساتها .

ثانيهما ـ عدم توفر الوعي والادراك العقلي والتجريبي لدى النشء بعامة ، والخصوم الجاهلين بالشريعة بنحو خاص ، بأن في الشريعة وثروة الفقهاء وآراء السلف ما يحقق الغاية المنشودة ويزلزل أركان الضعفاء المتطفلين على القوانين الأجنبية ، كما أنه ينبغي على المجتمع المسلم ـ وبخاصة فئة التجار ـ الاعتقاد والاهتمام بضرورة العمل بالشريعة ، وألا يعمل أحد منهم في الخفاء للوقوف أمام محاولات استمداد القوانين والأنظمة من مهاد الشريعة التي قد يرون فيها ـ جهلا وعنادا منهم ـ تهديدا لمصالحهم غير المشروعة ، والحد من أهوائهم وتطلعاتهم غير المتزنة ، فعلى صعيد التجربة والمحاولة الجدية حورب العلماء من نفس المسلمين التجار أو المثقفين بثقافة الغرب المحضة ، وذلك عند محاولة النص في الدساتير الحديثة على أن الشريعة الاسلامية هي مصدر التشريع والتقنين ومعارضتهم إما عداء للشريعة ، أو مراعاة لمصالحهم وأهوائهم الخاصة ، أو مجاملة وتملقا لأهل الذمة (الأقليات) ، أو استضعافا وشعورا بالنقص أمام الدول الكبرى ، وتيارات الحضارة المعادية .

فاذا تمكنا أولا من القضاء على مساعي هؤلاء الخصوم المعارضين لتطبيق الشريعة ، وسددنا المنافذ أمام دعاوى وتيارات الاستغراب والاستشراق ، وبددنا المخاوف التي قد يثيرها غير المسلمين المواطنين في ديارنا ، عندئذ نتمكن من إحلال شريعة الله المحل اللائق الواجب لها .

وعندها أيضا يمكن ترجمة الدعوة إلى الاجتهاد إلى واقع فعلي ، إذ من العبث فتح صيدلية أدوية نافعة جدا مثلا ، دون أن نجد أحدا يشتري منها ، أو يساوم على الأقل فيها .

ومع أني أرى ضرورة الاجتهاد في قضايا الحياة المعاصرة فما هي المبادئ أو الأطر العامة لحل مشكلات الحياة الحديثة ؟ وقبل الكلام عن هذه المبادئ ، أرى ضرورة توضيح فكرة عامة حول مدى تقديرنا لثقافات الأمم الأخرى . ويمكن القول بأن الاسلام لا يرفض كل ما جاءت به القوانين والحضارات الحديثة والثقافات الجديدة ، وإنما يقر المسلمون ويعترفون بأغلب ما

فيها من نظم نافعة ، ويرفضون بعض جوانبها السلبية أو عثراتها وأخطائها ونظمها غير المفيدة أو الضارة بمصلحة الانسان ، وإن كانت محققة لمصلحة دولة أقوى مثلا . لأن الاسلام فوق المصالح ، والقيم المادية المحضة غير الانسانية . وعليه فلا يصح شرعا اللجوء الى سياسة الترقيع والحشو لاختلاف المناهج والتصورات والغايات ، وبالتالي ليس من المرغوب إبقاء القوانين والأنظمة الوضعية لمجرد اتفاقها مع الاسلام ، فهي غير إسلامية الصبغة والنهج والهدف ، وينبغي الأخذ كليا بما هو إسلامي محض مبدأ وأسلوبا وغاية وتصورا وتطبيقا .

وبامكاننا أن نجد في صيدليات الفقه الاسلامي بمعناه الأوسع ــ فقه الصحابة والتابعين وفقه المذاهب السائدة والنادرة كل ما يغطي حاجة التشريع في الوقت الحاضر ، بما تمخضت عنه أقوال فقهائنا من ثروة فقهية خصبة لا مثيل لها في العالم . فتعدد الأقوال الفقهية واختلاف النظريات والمبادىء وطرق استمداد الأحكام وتقريرها ، كل نلك يجعلنا في غنى عن استيراد واستجداء القوانين الأجنبية التي هي من أهم آثار الاستعمار . وإن الأخذ بقول ضعيف في نطاق الفقه الاسلامي أولى وأجدر من أخذ حكم من قانون أجنبي . وقد أصبح جليا أن الاجتهادات الاسلامية تتناول كل ما اشتملت عليه القوانين الوضعية ، بل قد تفوقها وتسمو عنها أحيانا في رعاية الحقوق والمصالح ، والتزام ميزان العدل .

وإذا لم نجد في فقهنا ما يغطي الحاجة التشريعية الملائمة للتطور والمدنية ، فان من الممكن الاجتهاد والتجديد ، وليس نلك أمرا متعذرا على كثير من أساتذة الجامعات ، فقد هيأ الله تعالى لعلماء العصر ما لم يكن متوفرا في الماضي من وجود المطبوعات المتعددة ، والبحوث المقارنة ، والدراسة المستفيضة ، سواء في مجال التفسير أم الحديث أم الأصول .

إلا أن الاجتهاد في نطاق الشريعة لا يعني العمل بالرأي المحض ، والعقل المجرد ، والهوى الخاص ، وإنما لا بد من الاهتداء بقواعد الشرع الكلية ومقاصد التشريع العامة ، والأعراف الصحيحة التي لا تصادم النصوص القطعية أو الخاصة بأمر معين ، فان قاعدة « تغير الأحكام بتغير الأزمان » لا تعني تغير أحكام الشرع الأصلية ، وإلا كنا معطلين للشريعة مباشرة ، وإنما الذي يتبدل بتبدل الزمان والتطور وأخلاق الناس هو الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصلحية ، أي التي قررها الاجتهاد بناء على القياس أو على دواعي المصلحة ، بسبب فساد الأخلاق وضعف الوازع الديني (فساد الزمان) ، أو بسبب حدوث أوضاع تنظيمية وترتيبات إدارية تحقق الهدف الحقيقي للحكم الشرعي ، حتى لا يكون هناك عبث ، ولا عبث في الشريعة ، وهذا هو المسمى بالتطور ، مثل قبول شهادة الأمثل فالأمثل من الناس بدل وصف العدالة الكاملة المطلوبة شرعا في

الشهود ، ومثل التسعير بسبب كثرة الطمع والجشع وقلة الورع ، وكالتسجيل في السجل العقاري بدل التسليم الفعلي أو الحكمي ، والاكتفاء برقم المحضر ، بدل ذكر حدوده الأربعة ، ونحو ذلك مما يدخل تحت مبدأ المصالح المرسلة ، وليس مجرد العرف وحده .

ومن مبادئ الاجتهاد في فروع القانون ما يلي : في العلاقات الدولية الخارجية يمكن أن تكون « الحرب » أصلا والسلم استثناء ، عملا بظواهر آيات القتال ، وهو رأي أغلبية الفقهاء ، وعليه قامت أبواب فقه الجهاد والسير ، مما ترتب عليه تقسيم العالم إلى دارين : دار كفر ، ودار إسلام ، وأن الحروب دائمة بين الدارين ، وأن المعاهدات ما عدا معاهدة أو عقد الذمة مؤقتة . والاتجاه الحديث للعلماء وهو رأي الثوري والأوزاعي وغيرهما اعتبار السلم أصل العلاقات جمعا بين آيات القتال وآيات الصفح والعفو والدعوة إلى السلام ، وذلك يتفق مع منطق الدعوة الاسلامية التي تستهدف نشر العقيدة وإقرارها في أصائل النفوس ، وأن الباعث على القتال كما قرر أغلب فقهاء المذاهب هو الحرابة والمقاتلة ، وليس الكفر ومجرد المخالفة في الدين .

وفي النظام الدستوري مجال خصب للاجتهاد على أساس احترام الكرامة الانسانية ، ورعاية الحقوق والحريات الأساسية ، والتزام النصوص القرآنية في الشورى وطاعة الرعية للحاكم في المعروف لا في المعصية ، ومساواة الحكام والمحكومين أمام الشريعة ، واقتصار صلاحية المجتهدين في دائرة التنظيم الأمثل ، لا في إنشاء أحكام مبتكرة لا تلتقي مع روح الشريعة ومبادئها العامة ونصوصها الواضحة .

وفي النظام الجنائي في غير الحدود الشرعية (العقوبات المقدرة) سعة جلية للاجتهاد باقتراح عقوبات تعزيرية تتفق مع أوفى ما تتطلع إليه القوانين الجزائية الوضعية لتأمين مصلحة الدولة وتوفير الأمن والطمأنينة والسعادة للجميع حتى الغرامات المالية التي لم يكن يجيزها أغلب الفقهاء خشية تسلط الظلمة من الحكام على أموال الناس ، يمكن الحكم بها الآن لأنه صار من المؤكد وصول الغرامة إلى خزينة بيت المال ، ويمكن أيضا إلزام الجاني بدفع غرامة لخصمه عملا بمبدأ مضاعفة الغرم على سارق الثمر المعلق ، ومعاقبة مانع الزكاة بأخذ شطر ماله ، ومضاعفة الدية على المسلم الذي قتل ذميا عمدا ، ومضاعفة الغرم على كاتم الضالة أو (اللقطة) ونحو ذلك مما أخذ به الامام أحمد ومالك وغيرهما .

والاقتصاد العام قائم في الاسلام على أساس الحرية الاقتصادية ومبدأ التوازن بين مصالح الفرد والجماعة (الوسطية) وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتجنب كل أسباب النزاع والخصام بين الناس ، والحرص على إشاعة

روح المودة والتعاون بين الأفراد ،وعدم المساس بمبدأ تحريم الربا أو الفائدة حفاظا على مبدأ الرحمة ومنع الاستغلال . وإقامة المعاملات على أساس المصلحة المتفقة مع جنس المصالح التي أناط الشرع الأحكام التفصيلية بها . وعلى هذا يمكن إباحة كل أعمال المصارف غير الربوية على أساس دفع الأجر أو العمولة ، والقول بمشروعية كل أنواع الشركات الحديثة المساهمة وغيرها على أساس عقد شركة المضاربة أوالعنان أحيانا وإباحة شركات التأمين التعاوني ، لا التي تقوم على أساس القسط الثابت لاشتمالها على الغرر أو الاحتمال . وإقرار كل أنواع التأمينات الاجتماعية عملا بمبدأ كفالة الدولة لحقوق ومصالح العجزة ، والاعتراف بحقوق العمال على أساس قاعدة « الغرم بالغنم » ومبدأ « الأجر العادل » . وتأمين مصلحة الدولة بفرض الضرائب المباشرة على الأغنياء عند الحاجة ، وحل بعض أنواع البورصات عملا برأي ابن تيمية الذي يجيز بيع غير الموجود ، وبرأي الحنفية والمالكية الذين يجيزون البيع بالصفة ، وبرأي الحنابلة المبيحين البيع بسعر المثل أو سعر السوق وعدم الحاجة لتحديد الثمن وقت البيع . ومن المعلوم شرعا حرمة الاحتكار والغبن والتدليس والاستغلال ، ومشروعية التسعير .

وفي الأحوال المدنية أو المعاملات يمكن إقرار كل ما يحقق المصالح بايجاد عقود جديدة أو اشتراط شروط عقدية لم ينص الشرع على منعها أخذا بمبدأ حرية الاشتراط وحرية الارادة عند ابن تميمة من الحنابلة . ويجوز التعويض ــ من ناحية المبدأ ــ على كل ضرر مادي أو أدبي عملا بعموم حديث « لا ضرر ولا ضرار » حتى في حالة الضرر نتيجة التعسف في استعمال الحق وممارسته . ولا مانع ــ أخذا برأي القاضي شريح ــ من اشتراط ضمان مالي على من يتأخر في تنفيذ التزامه في حينه ، وهو المسمى قانونا بالشرط الجزائي .

وفي نظام الأسرة أو الأحوال الشخصية يمكن الاجتهاد على أساس الحفاظ على كل مقومات الأسرة ودعمها ، ومنع تصدعها لأن الزواج أحب الحلال الى الله ، والطلاق أبغض الحلال إلى الله ، وإذا كان الطلاق شرعا بيد الرجل فمن الممكن للمرأة اللجوء إلى القضاء لفسخ الزواج لعدة أسباب منها الغيبة سنة فأكثر ، أو الضرر وسوء العشرة ، أو الأمراض المنفرة كالجذام والبرص والجنون والعنة ونحو نلك .

والخلاصة أن الاجتهاد في كل نواحي الحياة أمر جائز وممكن وضروري في العصر الحاضر ، ولكن نلك لأهل الاجتهاد المتخصصين ، وفي ضمن ما تسمح به الشريعة ، وفي حدود نصوص الشرع وقواعده الكلية ومقاصده التشريعية ، ومن أجل رعاية المصلحة والحق والعدل في المعاملات لا في العبادات والاعتقادات وأصول الدين والأحكام الأساسية لشرع الله .

ليس من الحديث النبوي

(اربع لا يشبعن من أربع : أرض من مطر ، وأنثى من ذكر ، وعين من نظر ، وعالم من علم) .

موضوع .

قال ابن الجوزى في الموضوعات روى هذا الحديث من طريقين : الأول انفرد به محمد بن الفضل بن عطية ، وقال عنه أحمد بن حنبل انه ليس بشئ ، وحديثه حديث أهل الكذب .

وقال يحيى عنه أيضا ليس بشئ كان كذابا ، وكذلك قال السعدي والفلاس .

وقال النسائي : إنه متروك الحديث .

وقال ابن حبان يروى الموضوعات عن الأثبات ، ولا يجوز كتابة حديثه الا على سبيل الاعتبار .

والطريق الثاني فيه ابن زبالة قال عنه يحيى ليس بثقة ، وقال النسائي متروك الحديث .

وقد روى هذا الحديث أيضا وفيه عباس بن الوليد قال عنه ابن حبان يروى العجائب ولا يجوز الاحتجاج به بحال ، وفيه عبد السلام ، وهو يروى الموضوعات ولا يجوز الاحتجاج به والحديث موضوع بالكامل .

وقال ابن عدى في الكامل عبد السلام بن عبد القدوس لا يروى الا عن هشام ، وهو منكر لم يروه غيره .

وقال العقيلي لا يروى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه من جهة تثبت .

وقال السخاوي في المقاصد رواه عن هشام حسين بن علوان الكوفي ، وكان يضع الحديث ولعل عبد السلام سرقه منه .

وقال العجلوني في كشف الخفاء إنه منكر روى بطرق متعددة كلها متروكة .

وقال المنوفي المشهور أنه من كلام الحكماء .

وقال النجم : اشتهر على كثير من الألسنة بلفظ « وسمع من خبر » بدل « وعالم من علم » ولا أصل له أيضا .

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

قال السيوطي في الدرر المنتثرة : إنه منكر وقد آكد إنكاره الحاكم في التاريخ ، وابن عدى من حديث عائشة ، وحكم عليه السيوطي في اللآلئ المصنوعة بالوضع لأن بعض رواته اتهم بالكذب ، وبعضهم رمى بأنه منكر الحديث لا يتابع على هذا الحديث .
وقال ابن طاهر في تذكرة الحفاظ : إنه موضوع .
وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة قيل : إنه موضوع لم يثبت من أسانيده ما يدفع عنه الوضع ، ومتنه منكر ، فان كان له أصل فمن حكاية كعب الأحبار .

*****

(من بان عذره وجبت الصدقة عليه)
موضوع .

قال السخاوى في المقاصد لا اصل له .
وقال العجلوني في كشف الخفاء لا أصل له كما قال السخاوي وتبعه في الحكم عليه بذلك علماء الحديث .

* * *

(من تزيى بغير زيه فقتل فدمه هدر) :
موضوع .

قال السخاوي لا أصل له يعتمد عليه ، ويحكى فيه حكايات منقطعة وكلها لم يثبت منها شيء . وقد أيد العجلوني رأي السخاوي واعتبره لا أصل له .

* * *

الإمام الأوزاعي

اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، هذا ما اتفق عليه المؤرخون من كتاب التراجم وطبقات الرجال ، غير انه جاء في بعض المصادر : « كان اسم الاوزاعي عبد العزيز فتسمى بعبد الرحمن . لانه اختار ان يضيف نفسه الى اسم الله تعالى (الرحمن) لتشمله الرحمة . اذ رأى حاجة الى الرحمة ولم ير الانتساب للعز ، تواضعا منه » .

قال المسعودي في مروج الذهب « ويكنى (ابا عمرو) » على ان ما وصل الينا من اخباره ليس فيه ما يدل على انه كان له ولد يسمى « عمرا » فلعله اكتسب هذه الكنية مما درج عليه العرب بان يكنوا الابناء باسماء ابائهم ، حتى ولو لم يكن لهم ولد ، او لم يتزوجوا بالفعل وقد غلب عليه لقب الاوزاعي حتى كاد الناس يجهلون اسمه الحقيقي ، قال ابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » : والاوزاعي ... هذه نسبة الى بطن من ذي الكلاع من اليمن ، وقيل : بطن من همدان ... وقيل : الاوزاعي قرية بدمشق على طريق باب الفراديس ، ولم يكن ابو عمرو منهم ، وانما نزل فيهم ، فنسب اليهم » .

اما المحدث الدمشقي ابن جوجي فقال : « انما قيل له الاوزاعي لانه من اوزاع القبائل » .. اي من اخلاط الناس الذين لا تعرف لهم قبيلة ينتمون اليها ...، وهو اقرب الى الواقع ، لان اغلب المصادر التي تحدثت عنه قالت : انه من الموالي ، فلقد جاء في طبقات الحفاظ للذهبي : « ... واصله ، اي الاوزاعي ، من سبي السند » . وعلى هذا

للشيخ : طه الولي

فمن المرجح ان يكون إمامنا من ولد عائلة هندية ، قدم احدهـا في جملة الاسرى الذين حملتهم اليمن ، واستقر به المطاف في احدى ضواحي دمشق ، في المحلة التي كانت تضم امثاله من اشتات الناس ، وعرفت كما اسلفنا باسم « محلة الأوزاع » .

وقد ابصر الاوزاعي النور في بعلبك ، وكان نلك في سنة ٨٨ هجرية على ارجح الاقوال ، وكان ابوه قد مات قبل مولده ، فجاء يتيما ليس يحوطه في الوجود الا عطف امه عليه . وفي هذا يقول العباس ابن الوليد احد تلاميذه : « ما رأيت ابي يتعجب من شيء مما رآه في الدنيا تعجبه من الاوزاعي ، كان يقول : سبحان الله يفعل ما يشاء . وكان الاوزاعي يتيما فقيرا في حجر امه ، فخرجت به امه من بلد الى بلد الى ان بلغته حيث رأيته » .

واول ما ارتحلت الام بوليدها كان الى بلدة الكرك ــ في سهل البقاع بلبنان ، وفي هذه البلدة أصاب الأوزاعي نصيبا من العلم ، حتى اذا اصبح في سن الشباب وعنده من الثقافة ما يمكنه من معاطاة صناعة القلم ، بادر الى معاناة الرسائل والمكاتبة عند من يحتاج اليهما ، في دواوين الحكومة او المؤسسات الخاصة .

على أن الامر لم يطل به على هذه الحال ، لأن الدولة جندته في بعث الى اليمامة مما أتاح له أن يتصل بنفر من أهل العلم ، ورواة الحديث الشريف ، حتى اذا انتهت خدمته العسكرية في اليمامة ولى وجهه شطر البصرة في العراق ، طامعا بالاجتماع الى من فيها من كبار العلماء ، ليستزيد بما عندهم من المعرفة ، ثقافته الدينية والفقهية ، ثم عاد الى دمشق واقام بها ، ما شاء الله له أن يقيم ، حتى اذا اكتهل وشارف على نهاية العقد الخامس من عمره ، نزعت نفسه الى التقرب من الله تعالى بالجهاد في سبيله .

وكانت بيروت في ايامه تستقطب اولئك النفر من المسلمين ، الذين يرون في المرابطة في هذه المدينة عملا دينيا يقربهم الى الله زلفى ، فشد الامام رحاله اليها وكان نلك حوالي سنة ١٣٣ من الهجرة .

وفي بيروت ، وجد الاوزاعي مجتمعا اسلاميا تربط بين افراده وشائج الايمان بالله ، والتعاون على البر والتقوى .

ومما نقل عن لسانه قوله :

« أعجبني في بيروت ، أنني لما مررت بقبورها ، رأيت امرأة سوداء ، فقلت لها : اين العمار يا هنتاه ، (اي يا اختاه) فقالت : ان اردت العمار ، فهذه ، مشيرة الى القبور ، وان اردت الخراب ، فأمامك ، مشيرة الى البلدة ، فعزمت على الاقامة فيها » .

وقد بقي الاوزاعي مرابطا في بيروت الى ان ادركته الوفاة سنة ١٥٧ هجرية ، في آخر ايام ابي جعفر المنصور . ولقد كانت وفاة الاوزاعي في ظروف اقرب ما تكون الى المأساة ، اذ يحدثنا عقبة بن

علقمــة المعافــري من اهــل طرابلس الغرب ، وكان من طالبي العلــم على الاوزاعي فيقــول : « اختضــب ، اي الاوزاعي ، في داره ودخل الحمــام ، وادخلت امرأته كانونا فيه نار وفحم ، واغلقت عليه الباب ، فلما هاج الحمام ، صغرت نفسه (اي ضاق نفسه) وعالج الباب ليفتحه ، فامتنع ، فالقى نفسه ، فوجدناه موسدا ذراعيه الى القبلة . » وقال غيره : « كان الذي اغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام . اغلقه وذهب لحاجة له ، ثم جاء ففتح الباب ، فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده ، وهو مستقبل القبلة » وايا ما كانــت الاقوال في ظروف موت الاوزاعي ، فانها تتفق جميعا ، على انه رحمه الله ادركه الاجل المحتوم وهو في الحمام ، لسبب او لآخر !...

ودفن الاوزاعي في قرية « حنتوس » التي اصبحت تعرف اليوم باسم « محلة الاوزاعي » وتقع الى جنوب مدينة بيروت عند سيف البحر ، وما يزال قبره موجودا حتى اليوم ، ويقصده الزائــرون من سكان البلاد والاجانب ، وقد اعتبرت الحكومة اللبنانية هذا القبر والمسجد المتصل به ، من المؤسســات الاثريــة واحاطته باسباب العناية والرعاية .

والمسلمون من اهل بيروت يتواصون بان يدفنوا بعد الوفاة الى جوار هذا القبر ، تبركا بالقرب من صاحبه ، الذي يعتقدون فيه الولاية والصلاح .

وفي أواخر العهد العثماني جدد بناء الضريح ، الذي يطلق عليه الناس اسم : مقام الاوزاعي ، ونصب عليه شاهد ، يحمل الكتابة التالية :

بســم الله الرحمــن الرحــيم

هذا ضريح امام العلم الاوزاعي
فيه يجيب الهي دعوة الداعي
بشرى لزائره حاجاته قضيت
وقال ذو السقم فيه برء اوجاع
وعام سبع وخمسين وواحدة
من المئين توفي غير مرتاع
فاقصده يا طالب الخيرات . ان له
بكل ما تبتغيه طولة الباع
عليه رحمة ربي ما بدا قمر
او طاف بالبيت عبد او سعى ساعي

لقد كان الاوزاعي واحدا من الاعلام الذين احاطهم التاريخ بهالة من التعظيم والاجلال ، وبرز اسمه بين ائمة التشريع الاسلامي ، كصاحب مذهب مستقل ، الى جانب المذاهب الفقهية الاخرى ، ولقد جاء في التذكرة التيمورية نقلا عن طبقات الشافعيــة للسبــكي : « كان القضاء بمصر للمالكية ، وفي الشــام للاوزاعية ، ثم للشافعية بعد انتشــار مذهب الشافعي ، وفي الغرب للمالكية ، وفيما وراء النهر لابي حنيفة . » .

ويتبــــين من كلام المؤرخـــين ان الاوزاعية بقيت مذهب اهل الشام في الفقه ، نحوا من مئتين وعشرين سنة . فقد جاء في كتاب خطط الشام لمحمد كرد علي ، انه عمل بمذهب الامام الاوزاعي في الشام نحو مائتي سنة ، وآخر من عمل بمذهبه احمــد بن سليمــان بن جندلم ، المتوفي سنة ٣٤٧ هجرية وكانت له حلقة كبيرة بالجامع الاموي بدمشق ، وفي ايام الملك الظاهر بيبرس (٦٢٥ –

٦٧٦ هـ) اضيف مذهب الاوزاعي الى القضاء الحنفي ، والحنبلي ، والمالكي .

ولم يقتصر العمل بمذهب الاوزاعية على المشرق العربي ، بل ان هذا المذهب بسط رواقه على بلاد الاندلس قرابة اربعين عاما ، الى زمن الامير هشام بن عبد الرحمن الاموي « اذ غلب مذهب مالك على تلك الديار ، وذلك في اوائل المائتين للهجرة . على يد زياد بن عبد الرحمن اللخمي ، المعروف بشبطون المتوفي سنة ٢٠٤ هجرية » .

على ان مذهب الاوزاعي لم يقيض له البقاء لاسباب خارجة عن نطاقه ، وفي تعليل غياب بعض المذاهب الفقهية عن مسرح الحياة الاسلامية ، يقول المرحوم محمد كرد علي :

« اشتهر من ارباب المذاهب الدينية من عاضد الملوك دعوتهم ، ومن هام بها من العوام وهضمتها نفوسهم ، وهناك مذاهب جماعية ، لا تقل عن غيرها شأنا كمذهب الظاهري والاوزاعي والطبري ، ضعفت شهرتها اذ لم تجد لها من يعضدها من الملوك ، ولا من يهيم بها من الخاصة او العامة . كما وقع لمذاهب الحنفية والشافعية والحنابلة اوسع مذاهب اهل السنة انتشارا » .

ولم يكن حظ الاوزاعي في كتبه باوفر من حظه في مذهبه . اذ لا يراودنا اي شك في ان هذا الامام الذي كانت له مدرسته الخاصة في ميدان التشريع ، قد ترك لنا اكثر من كتاب في حدود هذه المدرسة . حتى ان بعضهم يعتبر الاوزاعي من اوائل الذين صنفوا الكتب في الاسلام . قال عبد الرزاق ابو بكر بن همام بن نافع الصنعاني المتوفي سنة ٢١٩ للهجرة : اول من صنف الكتب ابن جريج ، وصنف الاوزاعي . وقال احد تلاميذه ، واسمه ابو الفضل بن الوليد بن مزيد ، سمعت ابا شعيب يقول : ومن نظر في كتب الاوزاعي ، يظن انه كان صاحب كلام ، وما رأيت قط رجلا اطول منه سكوتا .

بيد انه لم يصل الينا من هذه الكتب اي شيء ، والسبب في ذلك ان زلزالا اصاب بيروت في ايام الاوزاعي ، فاتى على جميع مصنفاته ، وفي ذلك يقول ابن حجر العسقلاني في روايته عبر الوليد بن مسلم عن ابي عوانة في صحيحه :

« احترقت كتبه ، اي الاوزاعي ، في زمن الرجفة « الزلزال » فاتى رجل بنسخها ، وقال له : اصلاحك بيدك ، فما عرض لشيء منها حتى مات » .

على انه ـ اذا فاتنا ادراك مؤلفات الاوزاعي ، فانه لم يفتنا الاطلاع على منهجه في اصول التشريع والبحث الفقهي ، وذلك فيما بقي من اجتهاداته في بطون الكتب ، لا سيما ما يتصل من هذه الاجتهادات بباب السير ، وهو ما نسميه اليوم بالقانون الدولي العام ، ونجد في كتاب الام للشافعي خمسا وثلاثين مسألة رد بها الاوزاعي على ابي حنيفة رأيه واجتهاده ، ثم رد ابو يوسف على الاوزاعي انتصارا لصاحبه ابي حنيفة .

وبعد ،،

انها عجالة من القول ، قدمنا بها شيخ الاسلام ، وامام اهل الشام عبد الرحمن الاوزاعي بشكل عام . ولعلنا نعود اليه في حديث آخر بما يفيه حقه من الدرس والتحقيق ، ان شاء الله .

رجال ونساء اسلموا

عبد الصبور بيلار
أميركا

للأستاذ عرفات العشي

هذه هي قصة إسلام شاب أميركي زار الكويت مؤخرا ، وأجريت معه الحديث التالي . إنه يبدأ قصته بقوله : أنا شاب أميركي اهتديت إلى الاسلام قبل عامين في مدينة عمان بالأردن أمام المحكمة الشرعية هناك . وقد جئت الى الكويت لأول مرة لمحاولة تعلم اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن ، وأرجو أن تتاح لي الفرصة لذلك هنا في الكويت البلد العربي المسلم عن طريق الالتحاق بأحد المعاهد مع تأمين الاقامة والسكن لي .

إن والدي وأخي كلاهما قسيس في انديانا بأميركا ، وقد حصل أخي داود على الماجستير في علم اللاهوت

من جامعة هارفارد ، وهو كاتب نصراني متحمس ، وذكي ، وسأعمل بحول الله على دعوة أخي وكسبه إلى الاسلام ، وقد سبق أن دعوته هو وأبي إلى الاسلام فاعتذر والدي لكبر سنه ، ولي أمل كبير في هداية أخي .

ويضيف الأخ عبد الصبور ، « أنا من مواليد ، نوفمبر عام ١٩٣٨ م ، وقد التحقت بجامعة اوهايو لمدة ثماني سنوات حصلت خلالها على الماجستير في علم الحيوان والأحياء وعملت مدرسا ثانويا لمدة عام واحد ثم مدرسا في جامعة وست شسترستيت لمدة ثلاث سنوات ، وذلك من عام ٦٤ حتى عام ٦٧ .

بدأ اهتمامي بالاسلام من حرب فيتنام عندما أحسست بالعطف والحزن على الآخرين ، ووقعت عدة قلاقل في أميركا بسبب ذلك ، وسافرت إلى المانيا بعد ذلك بعام واحد ، وأتيحت لي فرصتان للحصول على إجازة الدكتوراه إلا أنني تركتهما وعزمت على السفر إلى العالم الخارجي للبحث عن وسيلة فعالة لتخفيف آلام الناس . وقضيت في المانيا ست سنوات عشت خلالها حياة الزهاد كنت أعيش بالايمان ، وتجولت بالدراجة في جنوب المانيا ، ودرست الانجيل وأحببت الآيات التي تتحدث في التوراة ، عن الانبياء . وكان جل اهتمامي في الحديث عن الأصنام ومحاولة كشفها . وأصبحت خبيرا في التوراة الى درجة سبقت فيها والدي الخوري .

وفي أحد فصول الشتاء في المانيا ، كنت فقيرا جدا لأنني لم أكن أعمل إلا لزيادة الايمان في قلوب الناس . وكنت أوزع الأوراق التي أكتبها من التوراة وأضعها في صناديق البريد . وكنت أكتب الملصقات حول دراسات عن الأنجيل . كان ذلك في ميونيخ . وسألني الألمان من أنا : فقلت لهم : أنا بطرس الاميركي .

وقضيت شتاء كاملا في إحدى الغابات بالمانيا كنت أسكن في غطاء من البلاستيك . وعرفني الناس . وقد ساعدني رجل أميركي هناك في الحصول على عمل فعملت سائقا لشاحنة لتوزيع الصحف . كان ذلك عام ٧٣ . وأعتقد أنه تدبير من الله أن قابلت هذا الأميركي وزوجته اللذان كانا لديهما شيء من الايمان . وكان يعمل جنديا . كنت أقود الشاحنة من الساعة الثانية صباحا حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، وقضيت وقت فراغي في ممارسة هوايتي . وكسبت بعض المال .

ثم حدث تغير كبير في حياتي . فذات صباح وأنا أؤدي عملي ، كان

الوقت فجرا ، كان الضوء خافتا والجو سيئا جدا ، كنت أشاهد طلوع الشمس كل يوم وأنا أقود الشاحنة من ميونيخ إلى سالزبورج في النمسا . وقد أحببت هذا العمل لأنه يطلعني على الطبيعة الجميلة في المانيا وكنت أحمد الله على ذلك . لم أكن في ذلك الحين متمسكا بالنصرانية كل ما في الأمر أنني ولدت نصرانيا وكان أبي خوري .. وكنت أعتقد أن ما افعله من توزيع الآيات من التوراة عن الأنبياء ، هذا العمل كان في نظري افضل من الذهاب إلى الكنيسة .. وأعتقد أن هذا سيرضي الله . وبينما كنت أفعل ذلك ذات يوم قبيل الفجر صدمتني سيارة فأحسست أن ما أفعله لا يرضي الله . وظن الجميع أنني لا بد أن أموت لكثرة الكسور في عظامي ، ولكنني شفيت بحمد الله بعد أسبوعين . كان ذلك لحسن حظي ، وأحسست أن الله قد أحياني للقيام بمهمة معينة لأن نجاتي كانت معجزة تحدث مرة في الألف . وهنا فكرت جديا في أمر المصير إلى الجنة أو النار . وهنا بدأت أعمل على البحث عن الطريق الصحيح إلى الجنة . فأشتريت جهاز تلفزيون ووضعته في غرفتي في المستشفى وكان علي الجلوس هناك لمدة عام كامل . فرأيت صورة مكة من التلفزيون والمسلمون يصلون ورأيت الملك فيصل يصلي . فقلت لنفسي هذا هو الطريق .

لكنني في ذلك الحين لم أكن أعرف شيئا عن الاسلام ، وكان انطباعي بأن هؤلاء القوم ليسوا متكبرين لأنهم يضعون جباههم على الأرض ساجدين لله . فقلت هذا هو أفضل سبيل للعبادة . وكان عندي نسخة من الانجيل في المستشفى فبدأت أقرؤها وأسجل ملاحظات عليها . كانت هذه القراءة بنفسية مختلفة عن ذي قبل . قرأتها بصورة جدية . وتعلمت كعالم من العلماء في الجامعة أن أختار ما يفيدني وأدع ما يضرني ، فقررت أن أطبق ذلك على قراءتي للانجيل . فأدهشني أن أكتشف أخطاء في الأنجيل . فقرأت الانجيل خمس مرات خلال ذلك العام بالمستشفى وسجلت الملاحظات الكافية عليها . وذات يوم كنت أقرأ الانجيل ، الآيات الأخيرة من الأنجيل كتاب مارك الفصل الثالث/الآية الثلاثون ، وهي تقول بأن عيسى كان يعلم طلابه أمور الدين وجاءت السيدة مريم لزيارته وقال أحد الطلاب للمسيح لقد جاءت أمك لرؤيتك ؟ فقال له المسيح : ومن هي أمي وأخي . وأشار إلى الطلاب قائلا هؤلاء هم أمي واخوتي وأخواتي هؤلاء الذين يريدون أن ينفذوا ارادة الله . أي ان المسيح يقول للنصارى أنا أخ لكم . ففكرت في هذه العبارة بتمعن . وقلت إذا كان عيسى هو أخ الناس فلن يكون ربا لهم بل مثله كمثل موسى وغيره نبيا من الانبياء .

كذلك قرأت في الأنجيل أن عيسى يقول : أنا لم آت لأغير الدين ولا أتيت بدين جديد ، وأنا أتيت لأكمل ما بدأه غيري . ودليل آخر على أن عيسى ليس ربا أنني قرأت أنه ذات مرة لقى عيسى

وكان معه اثنان من حوارييه ، لقى على جبل موسى وإليـاس في شكل روحاني ووقـف معهمـا يتحدثـون كاخوة أصدقاء . والنصارى يسمون ذلك التحول من الآدمية إلى الألوهية .
وأنا أقول : لا أبدا . انما كان عيسى يتحدث مع هذين الاثنين كواحد منهم إذ لو كان إلها لسجدا له . فهو إذن ليس باله . وهذا هو الدليل الثاني لعبودية عيسى .

والدليل الثالث أننـي قرأت عن عيسى أنه كان يصلي طول الليـل ويسجد كالمسلم . فقلت لو كان عيسى إلها فلماذا يصلي لنفسه .

كذلك وجدت في إنجيل لوقا أن عيسى سئل مرة : أيها الاستاذ : ما هو أعظم شيء يتعلق بالله . فأجاب بقوله : أعظم شيء عن الله هو : لا اله إلا الله .

لهذه الأسباب كلها لم أستطع أن أستمر نصرانيا . فرغت من خطوة ولكن لم أعلم عن الخطوة التالية . فخرجت من المستشفى وعدت لعملي لمدة عام آخر . وأردت أن أعمل شيئا لوجه الله فأخذت نقود التعويض من الحـادث وأعطيتهـا للقسـيس الكاثوليكي في القريـة التـي وقـع الحادث عندها . وقلت له وزع هذه النقود على الأطفال الفقراء في هذه القرية .

وذات يوم وبينما كنت جالسا في الغابة وحدي ، بعد ستة أشهر من خروجي من المستشفى ، كنت جالسا أقرأ . فخطر في بالي : هناك كتاب لم تقرأه وهو القرآن . فبحثت عن نسخة ووجدت ترجمة القرآن بالانجليزيـة وقرأتها ، وطالعت سورة الاخلاص وقلت : هذا هو ما أعتقده . وقرأت الآية : (**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**) المائدة/ ٧٣. فجلست في المكتبة وقرأت القرآن طوال نهار كامل

وهنا سافرت بالقطـار إلى بون ذهبت إلى السفارة السعودية وطلبت المزيد من المعلومات عن الاسلام . فاعطاني كتابا عن الاسلام باللغة الألمانية فأخذته إلى البيت وقرأته ، وقررت اعتناق هذا الدين والحمد لله أنني الآن مسلم . لم أكن أعرف كيف أصلي في البداية فكنت أركع لله في غرفتي . بعد ذلك بأسبـوع غادرت ألمانيا ولقيت عددا من الطلبة الأردنيين في اثينا ، فأرشدني الطلاب الأردنيون للسفر إلى عمان بالأردن ـ عدت إلى أميركا لمدة عام بعد إسلامي وكتبت كتابا انتقدت فيه الفصول الخمسة الأولى من التوراة .. ودعوت أخي ووالدي إلى الاسلام وآمل أن يهتدي أخي .

ولا أزال عزبا ..

وقد لقيت الكثير من المضايقات بسبب عداوتي لليهود في المانيا وفي أميركا .

وبعد فقد حاول الأخ عبد الصبور الاستقرار في الكويت والعمل حسب مؤهله العلمي إلا أنه رغم مساعدات الكثير من الاخوة له لم يكتـب له التوفيق في ذلك فتوجـه إلى دولـة الامارات العربية الشقيقة لعله يجد مكانه المناسب في جامعتها الناشئة . والله الموفق لكل خير .

مائدة القارئ

الانسان هكذا

قال تعالى :
(ولئن أذقنا الانسانَ منا رحمةً ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماءَ بعد ضرّاءَ مسّته ليقولنّ ذهب السيئاتُ عني إنه لفرحٌ فخور . إلا الذين صبروا وعمِلوا الصالحاتِ أولئكَ لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ) الآيات ٩ ـ ١١ من سورة هود .

الملوك .. والعلماء

صلاح الناس مرهون بصلاح حكامهم ، وعلمائهم .
فقد قال عبد الله بن المبارك : صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسدا فسد الناس .
قيل : من هم ؟
قال : الملوك والعلماء .

مستجاب دعاؤهما

هناك صنفان من الناس مستجاب دعاؤهما لا محالة :
دعاء المضطر : قال تعالى : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » .
ودعاء المظلوم : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دعوة المظلوم مستجابة » .

خدعه غلام

قال المغيرة بن شعبة : لم يخدعني غير غلام من بنى الحارث بن كعب ، فاني ذكرت امرأة منهم لأتزوجها . فقال : أيها الأمير ، لا خير لك فيها . فقلت : ولم ؟ قال : رأيت رجلا يقبلها . فأعرضت عنها ، فتزوجها الفتى ، فلمته على ذلك ، وقلت له : ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ قال : نعم . رأيت أباها يقبلها .

قدر .. وعمل

روى عمران بن حصين .. رضي الله عنه .. أن رجلا قال : يا رسول الله ! أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « نعم » قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال : « كل يعمل لما خلق له ، أو لما يسر له » . أخرجه البخارى .

لا تعاد أحدا

قال حكيم : لا تعاد أحدا ، فانك لا تخلو من معاداة عاقل أو جاهل ، فاحذر حيلة العاقل ، وجهل الجاهل .

مثال الجمع .. والتفرق

قال الشاعر :

كنا جميعا والدار تجمعنا مثل حروف الجميع ملتصقة
واليوم جاء الوداع يجعلنا مثل حروف الوداع مفترقة

الروح .. والجسد

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ .

شر الناس

قال الشاعر :

وما الدنيا بمثوى للعباد فكن ضيف الرعاية والوداد
فلا تستكثرن من الأعادي وشر الناس اكثرهم خصوما

الحضارة في المجالات الزراعية

في المقال السابق وجدنا أن القرآن الكريم وضع أساسا فكريا وحضاريا في مجالات الزراعة ونواحيها المختلفة ، وجاءت السنة النبوية المطهرة . فكانت المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم . جاءت السنة بايحاء من الله لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم توضيحا لما اجمل من القرآن ، وبسطا لما فيه من ايجاز ، وتفسيرا لما غمض منه . وكانت بحق أساسا فكريا إضافيا تنير الطريق ، وتوضح المعالم ، وتنشر الحضارة الاسلامية في مختلف مناحي الحياة المتعددة ، ومنذ بدأ الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ دعوته حض على تعلم العلوم المختلفة ، من شرعية ولغوية ، وأدبية وزراعية ، وتجارية وصناعية ، مستهدفا توفير أسباب القوة المادية والروحية للمسلمين جميعا ، كما جاء في الحديث : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » متفق عليه . وجاء فيه أيضا : « مجلس علم خير من عبادة ستين سنة » كما تعددت أحاديث الرسول تأمر بكل تأكيد على تحصيل العلوم الأساسية والتطبيقية ، وكان هذا بداية للحضارة الاسلامية التي اتسع نطاقها ، وتربع على عرشها كثير من جهابذة العلماء الأفذاذ المسلمين ، في وقت كان الجهل يسود العالم كله إبان العصور الوسطى التي اطلق عليها وسميت (عصور الظلام) فحمل العلماء المسلمون مشعل الحضارة ومضوا ينيرون الطريق ، وينشرون المعارف والعلوم ، ويوقظون البشرية من نومها العميق وبفضلهم وقيادتهم أظلت الحضارة الاسلامية مساحات

دكتور ـ ابراهيم سليمان عيسى

شاسعة من الأرض ، وشملت اقطارا وبلادا كثيرة امتدت من الصين والهند شرقا ، الى المحيط الأطلسي غربا ، ومن بلاد القزوين وروسيا والأناضول شمالا الى اواسط افريقيا والمحيط الهندي جنوبا ، وصهرت الحضارة الاسلامية هذه المجتمعات المتباينة والمختلفة في العادات والسلوك ، والمعيشة والبيئة واللغة في بوتقة واحدة ، وقدمت بذلك الدليل المادي والواقعي على صلاحية تعاليم الاسلام وحضارته لكل زمان ومكان وشعب وأمة .

والسنة النبوية الشريفة مليئة بأحاديث الرسول وأقواله وأفعاله التي تدعو الى اكتساب المعارف ، والتي تتصل بالحيوان والنبات والوراثة ، وانتاج المحاصيل والخضروات ، وفلاحة الأرض وتربية الحيوان ، واستغلال منتجاته ، فعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ ما يلي : ـ

١ ـ فضل الغرس والزرع : فقد روى الامام مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « ما من مسلم يغرس غرسا ، او يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة » وفي هذا الحديث الشريف بيان لأهمية الزراعة وتوضيح لمثوبة الزارع والغارس عند الله تعالى ، بل ان منزلة هذا العمل تتضح بصورة رائعة وعظيمة حين نعلم أن مثوبة الزرع أو الغرس ممتدة الى ما بعد الموت ، وصدقة جارية الى يوم القيامة ففي رواية : ـ

« .... فلا يغرس المسلم غرسا ، فيأكل منه انسان ولا دابة ولا طير الا كان له صدقة الى يوم القيامة » .

وهكذا نجد ان صاحب هذا العمل أخذ تلك المنزلة من الأجر والمثوبة لأنه بهذا شارك في عمارة الحياة وحضارتها ، فلم يعش لنفسه فقط ، وانما عمل لمجتمعه وقدم الخير ما استطاع ، وسواء حصل من زرعه على شئ أم لم يحصل ، وسواء عاش ليأكل منه أم لا ، فلقد روى الامام أحمد عن ابى الدرداء رضي الله عنه أن رجلا مر به وهو يغرس غرسا بدمشق فقال له أتغرس هذه وأنت شيخ كبير ، وهذه لا تطعم الا في كذا وكذا عاما ؟؟ فقال : « ما على ان يكون لي أجرها ويأكل منها غيري » فالزراعة في ضوء هذا الحديث يرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مستوى العمل فيها حتى يجعل منه عملا خالصا من أعمال البر ، بحيث تصبح غاية في ذاتها ، لا وسيلة من وسائل الكسب والمعاش فحسب يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « اذا قامت الساعة وفي يد احدكم غسلة فليغرسها » رواه احمد : والغسلة هي ما يقطع من صغار النخلة أو ما يجتث من الأرض .

٢ ــ نبه ونصح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخصوص توريث الصفات بالتربية الخارجية وبين انها تفضل التربية الداخلية ، وقد ثبت هذا بالبحث العلمي في تربية الحيوان والنباتات أيضا ، ونعنى بالتربية الداخلية في أبسط معانيها زواج الأقارب وصفات النسل الناتج عن هذا التزاوج ، فلقد أثبت البحث العلمي أن زواج الأقارب يعطى نسلا ضعيفا ، لأن زواج الأقارب ــ خاصة شديدي القرابة ــ يوصل الصفات الوراثية الرديئة ، وعلى العكس من نلك تماما فزواج الأباعد أو الأغراب يجمع الصفات الوراثية الجيدة في النسل الناتج من هذا التزاوج ، ويعطى نسلا له من صفات القوة والجودة ومقاومة الأمراض ما لا يتوفر في نقيضه ، ولقد سبق رسول الله هذا الاكتشاف العلمي حيث يقول المعلم الأول للبشرية (صلى الله عليه وسلم): « تخيروا لنطفكم » البخاري وابن ماجه ثم جاءت القوانين الوراثية بعد ذلك والخاصة بانعزال الصفات الوراثية وانتقالها من الآباء الى الأبناء لتؤكد السبق العلمي ، ومعجزة الرسول الكريم في هذا المضمار وصدق الله اذ يقول : **(وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى)** النجم / ٣ و ٤ .

٣ ــ وردت أحاديث نبوية كثيرة لها اتصال وثيق بنواحي زراعية متعددة منها : ــ
أحاديث كثيرة توضح طريقة نبح الحيوان « النكاة » ونهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن تعذيب البهائم عند النبح ، كما أمر باراحة النبيحة ، وحد الشفرة ولقد سبق العلم الحديث في نلك ، حيث أثبتت الأبحاث أن هذه التعليمات النبوية الشريفة لها علاقة بحفظ اللحوم ونكهتها وطيبها وأثرها على الصحة والتغنية وغير نلك .

● أضافت السنة أنواعا من اللحوم يحرم أكلها مثل لحوم كل ذى ناب من السباع ورخصت عند الحاجة فقط أكل لحوم الخيل ، كما حددت المأكولات وغيرها من كل حيوانات الأرض .

● أحلت السنة النبوية أكل ميتتين هما السمك والجراد ، ودمين هما الكبد والطحال كما أباحت السنة استعمال جلود ميتة الحيوانات ــ بعد دبغها ــ واستعمال أصوافها وأشعارها كأساس ومتاع وملابس ، وما زال العلم يكتشف هذه الحقائق التي تكلم عنها ونصح بها وأمر باتباعها سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منذ أربعة عشر قرنا وسوف يظل العلم يقدم الدليل تلو الدليل على صدق رسول الله ومعجزاته حتى يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

● كذلك دعا رسول الله الى الاجتهاد في الزراعة واتقان العمل فيها وطلب الرزق من خبايا الأرض ، ووصل بدعوته الى أن جعل من الزراعة بأنشطتها المختلفة ــ كما سبق ــ عملا يطلب لذاته ولما له عند الله عز

وجل من مثوبة وأجر ، فضلا على انها احد مقومات بناء الحضارة الاسلامية .

٤ ـ وكان من الطبيعي والتسلسل المنطقي بعد أن دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين فضل الزرع والغرس ان توضح السنة النبوية العطرة ، مع القرآن الكريم كثيرا من الأمور التي تتصل بالمعاملات الزراعية بل وغير الزراعية ولقد زخرت كتب الحديث النبوي والفقه الاسلامي ببيان هذه المعاملات وأدلتها وحكمها وآراء العلماء فيها ، وشملت موضوعات ومعاملات كثيرة مثل زكاة الزروع والثمار ـ وذكاة الحيوانات (ذبحها) والبيوع والقرض والربا والمساقاة والمزارعة والوكالة والحوالة والضمان واجارة الأشخاص (الكراء) والجعالة والرهن والشفعة والحيازة والوقف والهبة والوصية والمواريث وغيرها . وعددت السنة المتاح من الطعام والشراب وأحكام الصيد والمصيد وغير ذلك من المعاملات ومن أمثلة أحاديث المعاملات ما رواه الامام الزبيدي زين الدين أحمد الشرجي المتوفى سنة ٨٩٣ هجرية .

ـ عن المقدام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » . رواه البخاري .

ـ عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا . فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » متفق عليه

ـ عن أبى بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب الا سواء بسواء والفضة بالفضة الا سواء بسواء . وبيعوا الذهب بالفضة والفضة بالذهب كيف شئتم » رواه البخاري .

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أمسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث أو ماشية » . رواه البخاري .

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العائد في هبته كالعائد في قيئه » صحيح ومتفق عليه .

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » . صحيح ومتفق عليه .

وما ذكر مجرد أمثلة لأحاديث نبوية شريفة عن البيوع والربا والهبة وحب العمل والأحاديث كثيرة جدا لا يفي بها مقال أو مؤلف مهما كبر حجمه في هذا الشأن .

وعموما ، فلقد عبر رسول الله عن ذلك حينما حدد مهمته وجعل الغاية من بعثته ارساء مكارم الأخلاق بقوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم

حسن الاخلاق » ـ موطأ ومكارم اخلاق لا يمكن تصورها الا في مجتمع حضاري . تأصلت فيه عناصر وقواعد الحضارة في نواحيها المختلفة نظرية وتطبيقية وارساء أحكام المعاملات ، وبيانها وشرح أنواعها ، وايجاد الحلول لمسائلها عنصر من العناصر المهمة لنشر مكارم الأخلاق ، والا كيف تكون الأخلاق حميدة في مجتمع تضطرب فيه قواعد التعامل أو ينقصه تشريع ما في دينه أو دنياه ؟ وكيف تكون الأخلاق حميدة في مجتمع لا تتوفر له تشريعات ووسائل نشر الحضارة وتوفير القوة المادية الانتاجية زراعية أو صناعية أو غيرها ، بل ان الأساس السليم للقوة الروحية والعقائدية تتمثل في توفير مقومات ومستلزمات القوة المادية فالمؤمن القوي خير من الضعيف ، وفي تشريعات الاسلام الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر ، كما فيه الحث على الأخذ بأسباب القوة في شئون الحياة كلها ، ولكل غاية وسيلة ولا شك ان غاية مقدسة كنشر وتنمية الأخلاق الحميدة واتمامها لا تتأتى الا بوسيلة التشريع والتطبيق ونشر الحضارة في مجالات الحياة المختلفة وهو ما حدث في الحضارة الاسلامية .

٥ ـ ولقد التزم المسلمون بهذا الأساس الفكري الذي أخذوه عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وظهر منهم الأساتذة للحضارة في العالم كله فالمسلمون هم الذين احتفظوا بالتراث العلمي القديم الذي جمعوه وترجموه عن الاغريق والرومان ، ولولاهم لاندثر هذا التراث وضاعت حقبة من تاريخ البشرية . والمسلمون هم الذين ابتكروا علوما تخدم الزراعة والتجارة كالكيمياء والجبر ، وبديهي أن الحضارة الاسلامية كانت الأساس القويم ـ ان لم يكن الأساس الوحيد ـ لبناء النهضة العلمية الحديثة التي بدأت منذ القرن السادس عشر الميلادي فعلى أساس التراث العلمي الذي احتفظ به المسلمون عامة والعرب منهم خاصة ، وجمعوه من شتى مصادره ، وعلى العلوم التي ابتكروها أساسا قامت النهضة العلمية الحديثة ، ولقد تم ذلك بداهة بفضل التعاليم التي أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولولا ان الحضارة الاسلامية نهضت بهذا العبء وفتحت الأقطار العديدة ومزجت شعوبها وثقافاتها وصبغتها جميعا بالطابع الاسلامي ، لما توفر للنهضة العلمية الحديثة المناخ الطيب والأرض السليمة التي بدأت ثم ترعرعت فيها ، بفضل رعاية علماء العرب والمسلمين لها .

وكان لهذه العوامل أثرها الكبير في زيادة الأنشطة الزراعية ، وفلاحة الأرض وانتاج المحاصيل المختلفة في هذه الأقطار الاسلامية ، وبالتالي انتشار التجارة واتساع نطاقها خاصة ، وان المسلم يعرف من دينه انه خليفة الله في الأرض ، وأنه مأمور

بالاصلاح والاعمار ، وأن الله جعل له الأرض ذلولا ، وأمره بالبحث والتنقيب ابتغاء رزق الله وفضله ، وأن الدين الاسلامي يقدس العمل ، بل ان هناك من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا السعي وراء الرزق .

وتطبيقا لذلك فقد برز علماء مسلمون في المجالات الزراعية وان كانوا في العادة غير متخصصين في مجال واحد ، فقد كان العالم يسهم في فروع العلوم المختلفة فالعالم الاسلامي كان ضالعا في الفلك والتشريح ، والرياضيات والموسيقى في آن واحد ، وكان ذلك استجابة لمتطلبات المجتمع الاسلامي في عهدهم ، حيث الفتوحات الاسلامية اتسعت في وقت قصير وشملت أقطارا وبلادا متعددة ، وأصبحت تتطلب هذه المجتمعات من المفكر والعالم والباحث الاسلامي أن يسهم كل بامكانياته العلمية والعملية لكى يرفع شأن هذه المجتمعات علميا وثقافيا وماديا وحضاريا . وكان العلميون المسلمون يرون ان ذلك مسئوليتهم الحقيقية وان علمهم يجب ان يكون في خدمة المجتمع العالمي عامة والاسلامي خاصة ، وكانوا قادرين على الاجادة والبحث والتطبيق في اكثر من مجال علمي . وهم في مسعاهم المحمود يتخذون شعارا « لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل » ومضى هؤلاء العلماء في طريقهم واثقين ان الدين موجه العقل وراعيه وعينه البصيرة فيه ، ولهم نظرياتهم وابحاثهم في كثير من مجالات الأنشطة الزراعية التي تتعلق بانتاج المحاصيل والخضروات وأنواع الحيوانات وصفاتها ، وسلوكها ومواطنها المختلفة وأصلها وأنواعها ووسائل الاستفادة من منتجاتها وكيفية مكافحة ومقاومة الضار منها ، كما تكلموا عن الجغرافيا الحيوانية وتغذية وتربية الحيوان ودراسة فسيولوجيته (وظائف أعضائه) . وتشريحه وصحته ومرضه وعلاجه وغير ذلك من فروع المجالات الزراعية المختلفة ، وفي مقدمة هؤلاء العلماء كان أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) ، وابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، والعالم الكبير ابن خلدون والادريسي والرازي وابن مسكوفيه وابن العوام الذي يعتبر كتابه « الفلاحة » المرجع الأساسي والأول للعلوم الزراعية ، وقد ترجم هذا الكتاب الى لغات عديدة ، منها الفرنسية واليونانية ، بالاضافة الى علماء كثيرين أخر كالبغدادي والقزويني ووهبة بن منبه والهاشمي وابن سيده . وسوف نتناول مجهود كل منهم ونهجه وأثره في الحضارة الاسلامية وتأثره ومؤلفاته وأبحاثه ونظرياته وتطبيقاته بالتفصيل فيما بعد ، لنقول للعالم أجمع : هذا هو الاسلام نظرية وتطبيقا ودعاة وعلماء وحضارة ، دين الدنيا والآخرة ولنسهم في كشف سذاجة وخبث دعوى القائلين بتعارض الدين مع العلم ، وانها دعوة باطلة تقوم ضد بديهيات اعترف بها أعداء الاسلام وخصومه قبل معتنقيه ومؤيديه .



○ تبادل التهاني بعد صلاة العيد

المغرب

قديماً وحديثاً

للاستاذ عبد الغني محمد عبدالله

٢

نكرنا في العدد الماضي تاريخ المغرب قديما . وبينا أن أول من عمر الأراضي المغربية هم قبائل البربر ، الذين هم سكان البلاد الأصليون والذين لا يزالون يعيشون في السهول والقرى المغربية ، ثم التجار الفينيقيون الذين بدأوا في التوافد على البلاد قبل الميلاد بفترة طويلة . ثم أصبح المغرب مقاطعة رومانية واستمر كذلك الى أن دخله الاسلام .

وقد دخل العرب بلاد المغرب أول مرة في القرن الثامن الميلادي وحملوا الى البربر الدين الاسلامي ، واستمر كذلك حتى حل عليه الاستعمار الفرنسي والأسباني في العصر الحديث حتى استقل عام ١٩٥٦ م .

وهو الآن مملكة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط حيث يقع في شماله وفي شرقه الجزائر وفي جنوبه الغربي تقع موريتانيا والصحراء وفي غربه المحيط الأطلسي .

وهناك في المغرب سلسلتان منفصلتان من الجبال ، الأولى جبال الريف التي توازي ساحل البحر الأبيض المتوسط مسافة ٢٤٠ كم والثانية جبال أطلس التي تمتد من



الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي . وتنقسم جبال أطلس إلى ثلاثة سلاسل الوسطى في الشمال والعليا في الوسط وجبال أطلس الصحراوية في الجنوب . أما أنهار المغرب فمعظمها ينبع من جبال أطلس ، وتصب في المحيط الأطلسي وأهمها نهر (سيبو) الذي يستمد مياهه من الينابيع والثلوج الذاتية فوق قمم جبال أطلس وبالقرب من مصبه تقع مدينة (بورت لبوتي) وهو مرفأ كبير يحمل اسم احد القواد الفرنسيين ، ونهر (الربيع) وهو أطول أنهار المغرب اذ يبلغ طوله ٥٥٢ كم وهناك أيضا نهر (الملوية) وطوله ٤١٢ كم ويصب في البحر الأبيض المتوسط . كما يوجد كذلك أربعة أنهار أخرى تصب جنوبا في الصحراء ، حيث تختفي ثلاث منها إما بالبخر وإما بالتسرب في رمال الصحراء ، واثنان آخران لا يجريان إلا بعد سقوط الأمطار .

والمغرب قطر زراعي ، والحبوب من أهم حاصلاته ، وتحتل نصف مساحة أرضه المزروعة ، وإلى جانب الحبوب تزرع أصناف عديدة من الفواكه والخضروات كما يوجد النخيل بكثرة في الجنوب .

وتوجد في البلاد رواسب معدنية هامة كالفوسفات ، والحديد والرصاص والمنجنيز والكوبالت والنحاس والزنك والفضة والفحم . وقد أظهر التنقيب عن البترول وجود كميات كبيرة منه بالقرب من مدينة فاس .

وقد استخدمت المواد الخام في



○ منارة المسجد الكبير في الحي القديم بمراكش

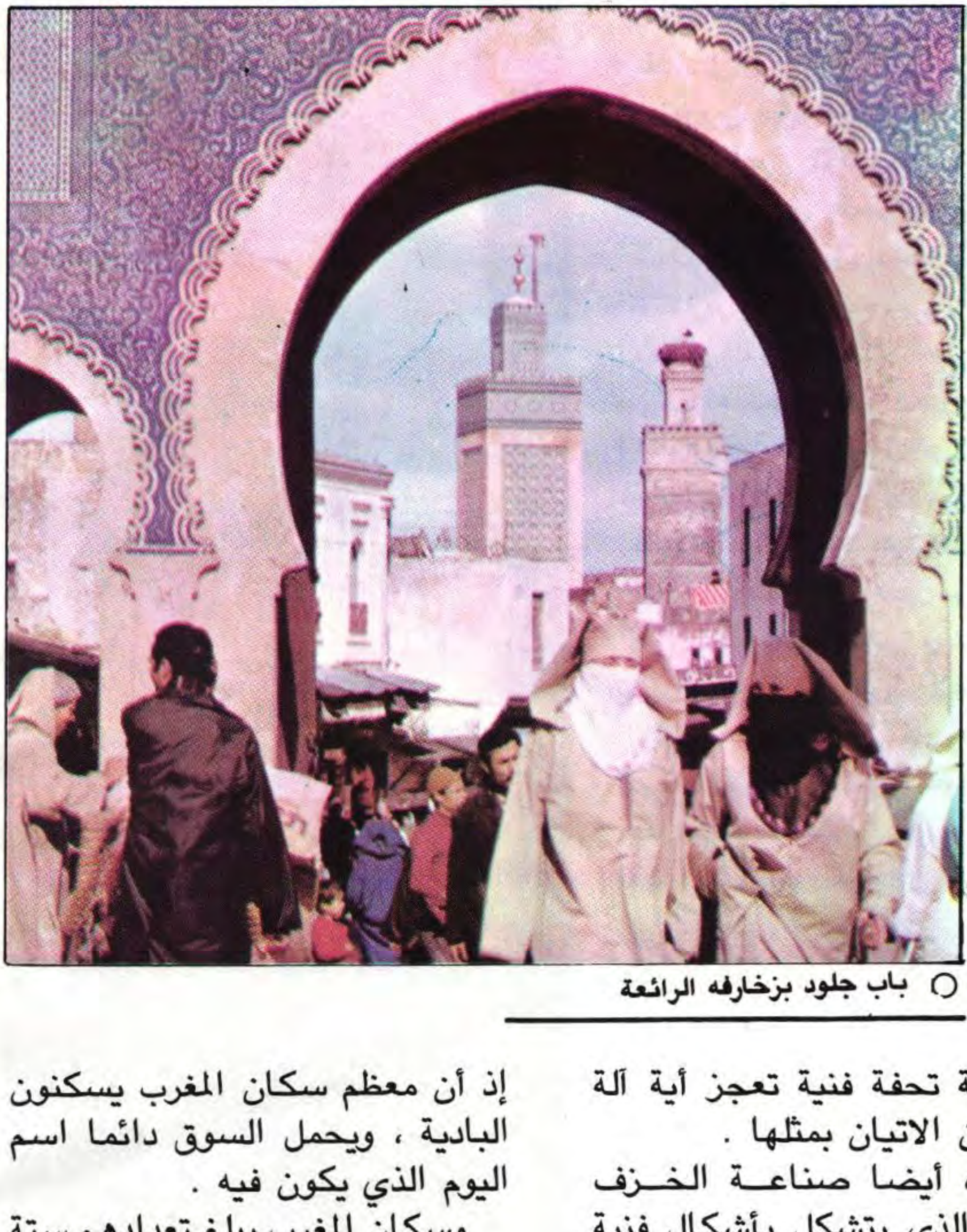


○ صباغة الحرير بالطرق القديمة

المغرب استخداما حسنا فانشئت مصانع الأسمدة الكيمائية ومصانع تعليب الفواكه والأسماك ومصانع الأسمنت والصناعات المعدنية .

والمغرب بلد الجلود ، وهي تدبغ بأشكال كثيرة وألوان متعددة بالطريقة التقليدية القديمة وتتركز مدابغ الجلود في مدينة (تطوان) وجبال الريف ويتفنن أهل الرباط في زخارف الجلود بالألوان الزرقاء والحمراء والصفراء أما أهل فاس فيزخرفون جلودهم بالتهديب وخيوط الفضة وحلقات اللباد ذات الألوان الساطعة .

وفي مراكش تأخذ زخرفة الجلود شكلا جديدا باضافة حبائل الحرير اليها وتصنع من كل هذه الجلود على انواع زخرفتها الحقائب والأحزمة واطارات الصور والأرائك والسيور والنعال . وتشتهر المغرب كذلك بالصناعات النحاسية وتحتل المشغولات النحاسية معظم البيوت تقريبا . وتشمل هذه المصنوعات القلايات وأباريق الشاي والصواني والمباخر والفوانيس وثريات الجوامع وقناديل الزيت ويؤتى بخام النحاس ليصقل ويطرق ويرصع ويحفر ويفصل كل ذلك بالطرق اليدوية القديمة ليخرج



باب جلود بزخارفه الرائعة

في النهاية تحفة فنية تعجز أية آلة حديثة عن الاتيان بمثلها .

وهناك أيضا صناعة الخزف والفخار الذي يتشكل بأشكال فنية وزخارف هندسية . كما يصنع القرميد الأخضر بكثرة في فاس ومكناس ويستخدم لتغطية أسقف البنايات والمساجد .

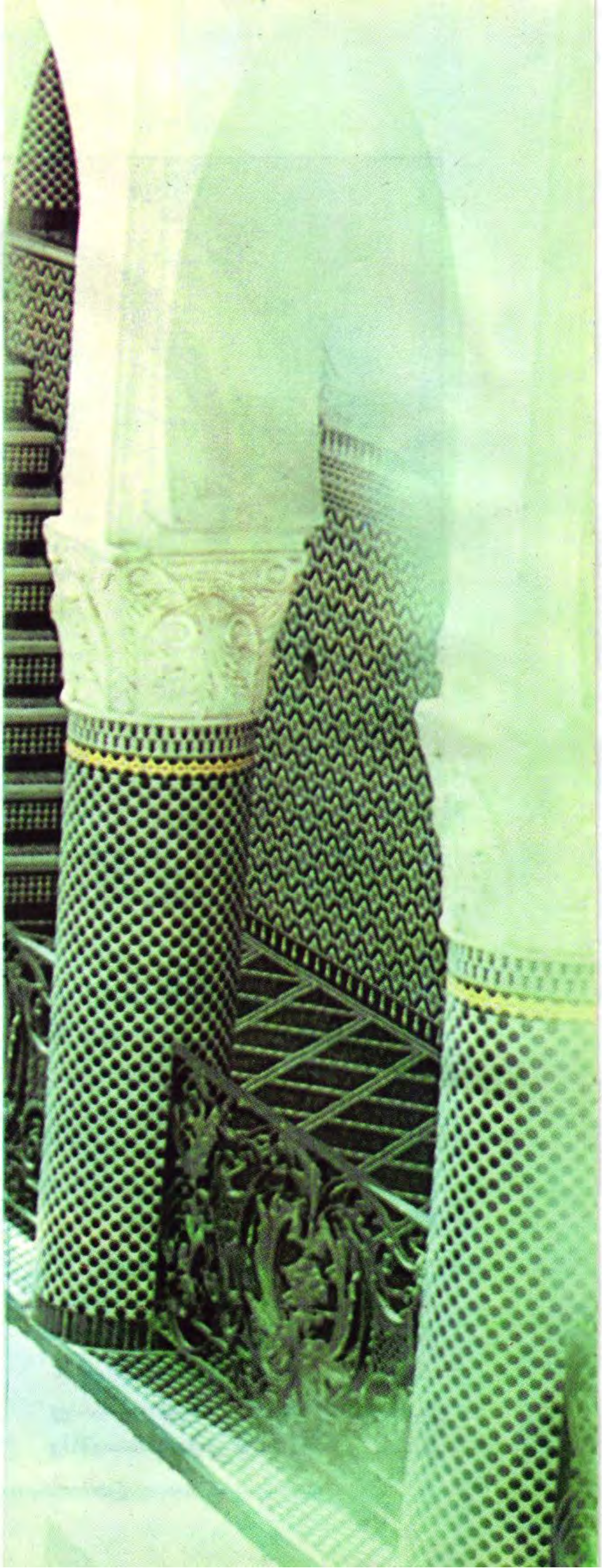
والأسواق من المظاهر المميزة لحياة الأهالي لأنها المكان الوحيد والوسيلة السهلة لتسويق المنتجات التقليدية والمحلية ، ولكل قبيلة عدد من الأسواق تقام عادة في الخلاء ، داخل سور مخصص لذلك الغرض ، إذ أن معظم سكان المغرب يسكنون البادية ، ويحمل السوق دائما اسم اليوم الذي يكون فيه .

وسكان المغرب يبلغ تعدادهم ستة عشر مليونا ونصف المليون وقبائل البربر هم العنصر الغالب ، وينقسمون الى ثلاث سلالات رئيسية هي « مصمودة » ، « زناته » ، « صنهاجه » . وهم موزعون في معظم السهول والقرى . أما سكان جبال الريف فهم من قبائل أهل الريف ويسكن جبال الأطلس الكبير والمتوسط وسوس قبائل تسمى بقبائل الشلوح .

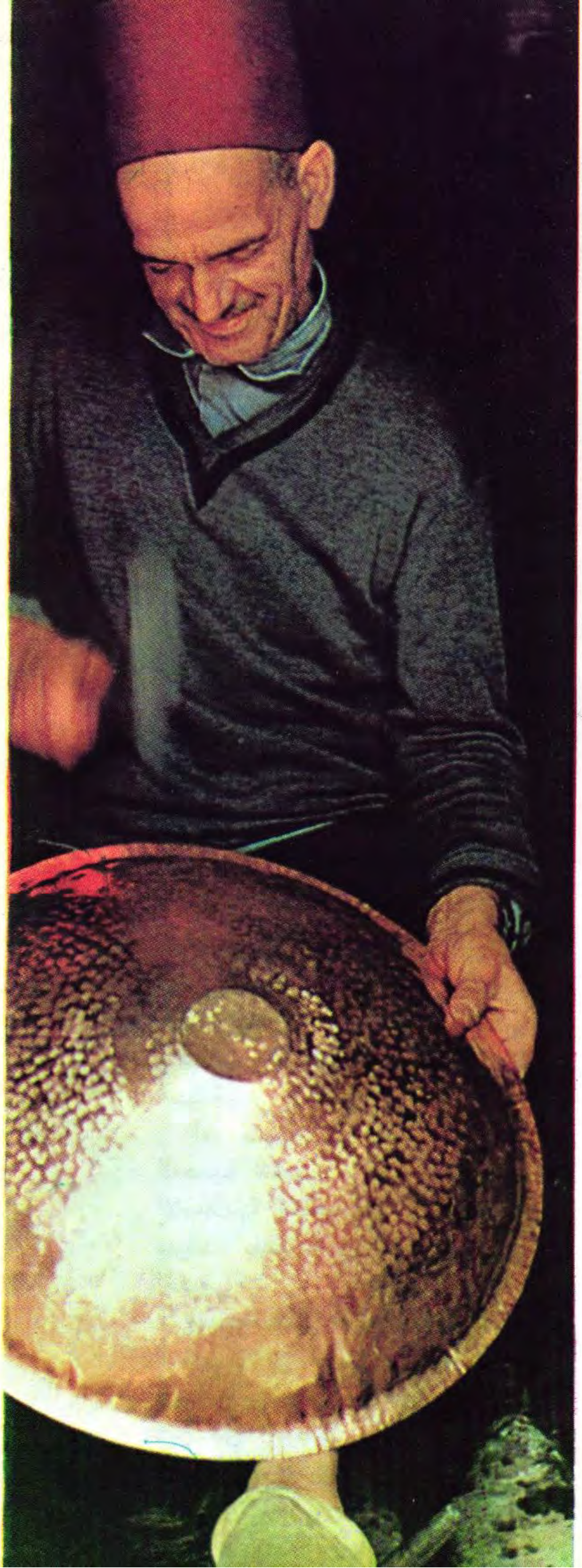
وهناك أقوام من درعه يسمون قبائل (دراوه) سمر البشرة ويعتبرون من أبناء الأحرار والعبيد الزنوج الذين تزاوجوا فيما بينهم ، ويعرفون بـ (الحراطين) ويؤلفون القسم الأكبر من سكان الواحات المنتشرة في الجنوب وعلى سفوح الأطلس الكبير . أما العرب فأن أول من جاء منهم إلى المغرب كان مع القائد عقبة بن نافع عام ٦٨٣ م ، ثم في عام ٧٠٧ مع القائد موسى بن نصير ، وكان عددهم قليلا في أول الأمر ، وقدم نفر آخر من العرب في القرن السادس عشر وقد اختلطوا بالبربر في كثير من الأماكن . أما الزنوج وهم كثيرون الى حد ما ، إلا انهم لا يكونون قبائل مستقلة الذات ، وقد عاشوا مبعثرين عبيدا وأحرارا ، وقد اصطحب المرابطون جزءا منهم إلى الشمال ، وفي القرن السادس عشر اتخذ السلطان السعدي لنفسه حرسا منهم .

أهم المدن المغربية :

مدينة الرباط هي العاصمة الحالية للمملكة المغربية ، وتقع على بعد ٩٦ كيلو مترا من الدار البيضاء وبها مقر الحكم الملكي ، وتبدو المدينة وكأنها مدينة حديثة رغم السبعمائة عام التي مرت على انشائها ، وللرباط حيها القديم المسمى بـ « المدينة ذات المنازل الصغيرة » ومنازل هذه المدينة اسقفها مسطحة ومتلاصقة وطرقاتها ضيقة وأشهر مساجدها مسجد حسان ومسجد السنة . وقد تأسست



○ الفسيفساء على جدران واعمدة احد المساجد المغربية



في النصف الثاني للقرن الثاني عشر ويرجع الفضل في ذلك للملك الموحدي عبد المؤمن . اذ كانت هذه المدينة في الأصل قلعة يسكنها البربر ، وتمتلئ المدينة بالأسواق والحدائق والملاعب الرياضية .

أما الدار البيضاء فهي من اكبر المدن المغربية . وتعتبر العاصمة الصناعية والتجارية للمغرب ومعظم صادرات المغرب ووارداته تمر عن طريق هذا الميناء الكبير على المحيط الأطلسي والذي يعتبر أيضا من أهم الموانئ الافريقية . وتصله السفن من كل أنحاء العالم .

والمدينة تكاد تكون كلها حديثة ، فمعظم مبانيها رائعة . ومشيدة على الطراز المعماري الحديث . ولا يزال الجزء القديم من الدار البيضاء بطرقه الضيقة ومبانيه الأثرية ودروبه الملتوية باقيا الى اليوم ـ يعطي للمدينة رائحة التاريخ ـ ومن أشهر مساجد الدار البيضاء « المسجد المحمدي » .

و « فاس » المدينة ذات التاريخ الديني وبها « الجامع الأغر » ، وجامعة القرويين مركز الدراسات الاسلامية . وغير ذلك وبها من مدارس ومساجد اسلامية اخرى الكثير . وتعتبر فاس عاصمة الشمال . وقد تأسست في القرن التاسع الميلادي على يد مولاي ادريس الثاني . وقد بلغت هذه المدينة أوج مجدها زمن المرينيين . ودور فاس الديني الاسلامي والثقافي لا ينكر .

○ طرق النحاس بالطريقة اليدوية



○ فن الحفر على الخشب

والفضل في ذلك يرجع إلى جامعة القرويين التي تعتبر مركز اشعاع روحي وثقافي ، كما تنتشر المدارس والمساجد انتشارا كبيرا في تلك المدينة .

أما مدينة تطوان وبها جامع القصبة الشهير والآثار التاريخية الاسلامية الكثيرة فقد تأسست قرب مدينة طنجة في اقصى الشمال المغربي .

وطنجة التي دفن فيها الرحالة العربي « ابن بطوطة » ــ وتعتبر بابا من أبواب المغرب وتحتوي على عدد كبير من المساجد والدور الأثرية ــ مثل المسجد الكبير ومسجد عبساوه .

ومدينة مراكش التي تقع بالأطلس الكبير وقد أسسها المرابطون وهي واحدة من أجمل المدن المحملة بأجمل الآثار الاسلامية جنبا إلى جنب مع البنايات الحديثة والحدائق الغناء .

ومدن مكناس ــ اغادير ــ بورت لبوتي ــ الصنوبرة ــ صافي ــ القنيطرة ــ المحمدية ــ آزمور ــ وكثامة .. مدن كثيرة جميلة رائعة تربط بينها شبكة كبيرة من الطرق المهدة . والسكك الحديدية .

والبحر من حول المغرب ــ الأبيض المتوسط في شماله ــ والمكيط الأطلسي في غربه يعطي المغرب ثروة سمكية كبيرة من اسماك السردين والتونة



○ ساحة الأحباس بمدينة كازابلانكا

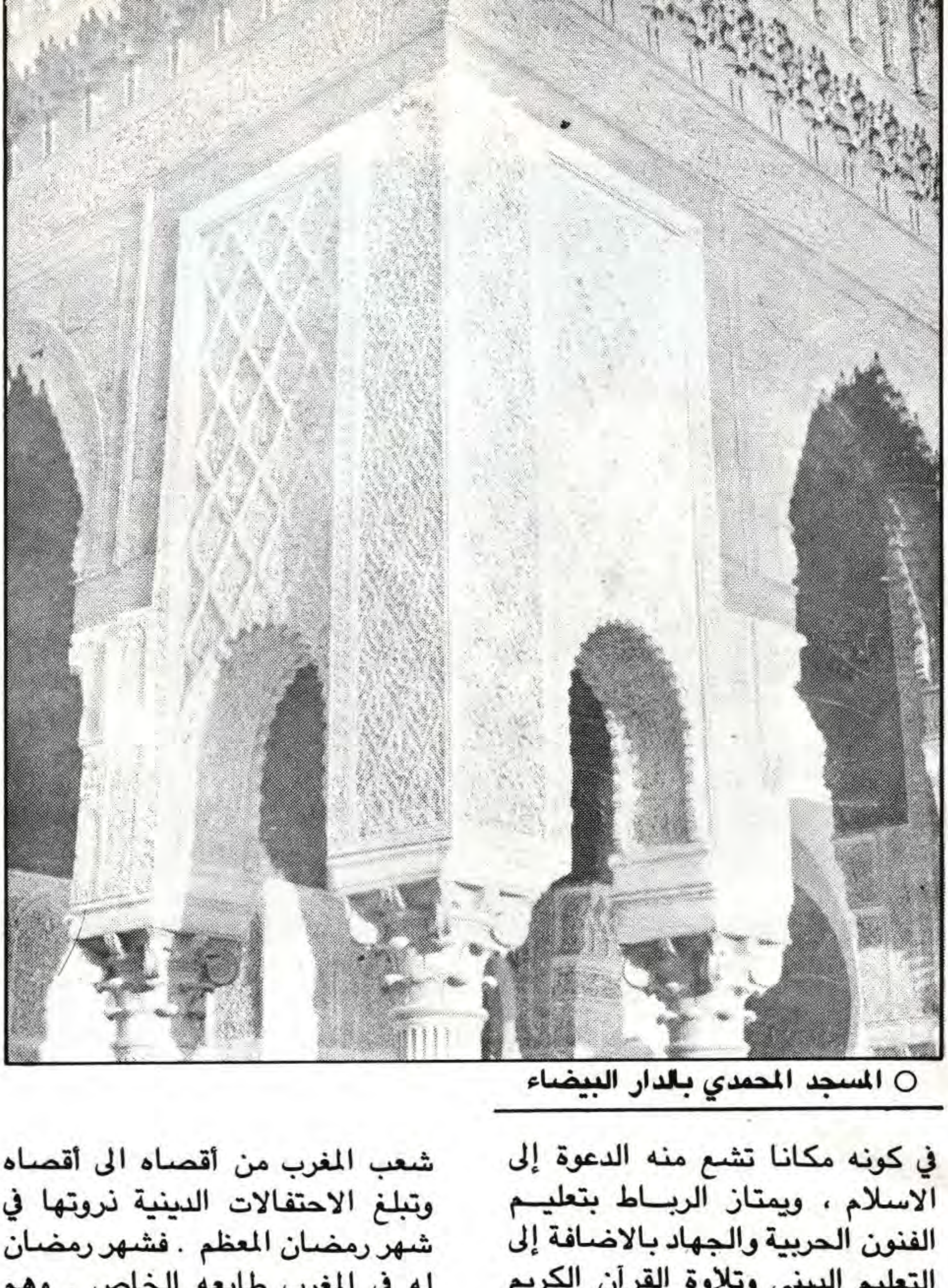
وسمك موسى والبوري والمحار .. وتعتبر مدينة صافي من أهم مدن تصنيع الأسماك وتعليبها .. وتصديرها أيضا لكونها أحد الموانئ الهامة .

مراكز الدعوة الاسلامية :

تشتهر المغرب بكثرة المراكز الاسلامية وهي تنحصر في أماكن ثلاثة هي (المسجد والزاوية والرباط) وهذه الأماكن الثلاثة انشئت منذ بدء تاريخ المغرب الاسلامي ولا تزال باقية الى الآن وتعتبر من أهم الأماكن التي اتخذت لبث الدعوة الاسلامية منها .

فقد اتخذ الدعاة المسجد مكانا للوعظ والارشاد ومنتدى للاستفسار عن كثير من المسائل الدينية وايضاحها . كما أن الزاوية وهي أبنية صغيرة ملحقة بالمساجد ، أو منفصلة عنها كانت مقرا لمعاهد العلم ، وقد انتشرت الزوايا في المغرب وتطورت لتكون مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم الدين ومبادئ العلوم وتكثر الزوايا في القرى وبعض المدن وخصوصا مدينة فاس ومن أشهر الزوايا زاوية العياشة التي لا تزال محتفظة بمكتبتها التي تزخر بكثير من الكتب إلى اليوم .

والرباط لا يقل أهمية عن المسجد



○ المسجد المحمدي بالدار البيضاء

في كونه مكانا تشع منه الدعوة إلى الاسلام ، ويمتاز الربــاط بتعليــم الفنون الحربية والجهاد بالاضافة إلى التعليم الديني وتلاوة القرآن الكريم والتفقه في الدين .

الاحتفالات الدينية :

تشتهر المغرب بكثرة احتفالاتها الدينية في معظم أيام السنة تقريبا ، فبداية السنة الهجرية والمولد النبوي الشريف والاسراء والمعراج وموالــد أولياء الله الصالحين وغير ذلك من المواسم والأعياد التي يحتفل بهــا شعب المغرب من أقصاه الى أقصاه وتبلغ الاحتفالات الدينية ذروتها في شهر رمضان المعظم . فشهر رمضان له في المغرب طابعه الخاص . وهم يحتفلون فيــه بثلاثــة أعيــاد هي (شعبانه وليلة القدر وعيد الفطر) . فشعبانه هي عشية اليوم الأول من الصيام ، وفيها تدوى سبع طلقات مدفعية احتفــالا بمقــدم رمضــان واستبشارا به . ثم ترصع السماء بالألعاب النارية المتعددة الألــوان . وتسمع المفرقعات الى مطلع فجر أول



○ دباغة الجلود وتجفيفها بالطريقة القديمة فوق السهول الخضراء

يوم من أيام رمضان .

وعند الأفطار يحتسى الناس « الحريره » التي لا تكاد تخلو منها اي دار في المغرب وهي عبارة عن (حساء العدس المخلوط بقطع اللحم وحبات الحمص والفول) وفي مساء كل يوم رمضاني تكثر الحركة في الشوارع ، وتبدو كل مدينة وكأنها في يوم عيد ، وتصدح الصوامع بالموشحات الدينية والمدائح النبوية ، ويجتمع الأصدقاء باصدقائهم ، والأقرباء مع أقربائهم ، يتناولون شراب الشاي الأخضر المخلوط بالنعناع الى أن يحين وقت السحور .

أما ليلة القدر ففيها يهرع الناس إلى المساجد المضاءة ليقضوا ليلتهم يتعبدون ويصلون حتى الصباح .

وعيد الفطر هو خاتمة نلك الشهر المبارك وفيه تعطى الفطرة للفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، وفي صباح هذا اليوم يجتمع الناس في المصلى لاقامة صلاة العيد ، ثم يعودون إلى منازلهم ليتبادلوا الزيارات والتهاني بهذا اليوم المبارك .

وأخيرا فهذه هي المغرب قديما وحديثا ـ تلك الدولة التي استقبلت الفاتحين المسلمين بكل ترحاب . وتبنت نشر الدعوة الاسلامية في معظم أقاليم القارة الافريقية .

وهي اليوم دولة اسلامية عريقة لها اصالتها ، ولها مكانها المرموق في الساحة الاسلامية وتقف على قدم المساواة مع بقية دول العالم الاسلامي الأخرى .

مقاصد العبادات في الإسلام

للاستاذ مسعود عامر

الفلسفة في معناها الأصيل هى محبة الحكمة والبحث عنها .. والحكمة ضالة المؤمن .. ولا يملك عاقل ـ أيا كان ـ أن يدعى القدرة على الاحاطة التامة بحكمة الخالق ـ عز وجل ـ وراء كل ما فرضه علينا من فرائض .. فأنى للعقل الانساني المحدود أن يدرك المقاصد الالهية في مداها اللانهائي ؟! وقد آثرنا هذا العنوان « فلسفة العبادات في الاسلام » تعبيرا عن عجزنا عن الاحاطة الكاملة بالحكمة الالهية من فرض العبادات ، وأن غايتنا القصوى هى (محاولة) التفسير ، أو تقديم (رؤية عقلية) ـ في ضوء الكتاب والسنة ـ للعبادات في الاسلام ..

وأجتهد فأقول : إن الله ـ جلت حكمته ـ قد فرض على المسلمين ـ بعد الاقرار بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ـ عددا من العبادات أو التكاليف الدينية كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، ونلك ـ في اعتقادي ـ لأسباب نجملها فيما يلي :

أولا : تحقيق الغاية من الوجود الانساني ذاته .. فالانسان لم يوجد في هذا الكون عبثا أو لغير هدف محدود (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**) المؤمنون/١١٥ .. والوجود الانساني سواء في جانبه المادي ـ وهو مجرد التواجد والبقاء على ظهر الأرض ـ أم في جانبه المعنوي .. وهو الغاية القصوى لهذا الوجود المادي .. رهن بأداء رسالة كبرى هى الاقرار والممارسة للعبودية المطلقة للخالق وحده عز وجل (**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**) الذاريات/٥٦ .. وليس في هذا التعبد إذلال للانسان أو انتقاص لقدره .. بل على العكس فانه ـ فضلا عن كونه اتساقا مع الوضع الطبيعي للخلائق جميعا أمام الخالق (**إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا**) مريم/٩٣ .. فهو إقرار لمبدأ أسمى وهو إحقاق الحق وتحقيق العدالة بين الخالق والمخلوق .. فالانسان العاقل القوي النفس لا يقبل الظلم ولا يسلم بانتقاص حق من حقوقه كما لا يرضى بأن يجور على حق من حقوق الغير .. فالعدالة هى أن يأخذ كل ذى حق حقه .. وهذا هو المعنى العميق للعبادات .. فالعبادة إقرار بالعبودية عن وعى كامل وإيمان عميق بأن الله الذي خلق فسوى وصور الانسان وركبه في أحسن صورة وأعطاه من النعم ما لا يعد ولا يحصى ، له على الانسان حق الخضوع لمشيئته والانقياد لمنهجه والاقرار بعظمته وتفرده وكماله .. والعبودية أمر واقع بمجرد خضوع الكيان المادي للانسان لفطرة الله وسنته في خلقه شأنه في نلك شأن سائر المخلوقات .. ولكن الانسان كائن عاقل له إرادته الخاصة ، وهى

هبة من الخالق ميزه بها على غيره من المخلوقات .. فلتكن عبوديته لها مظهر إرادي ليكون منطقيا مع نفسه ، فهو قد اختار ـ في الأزل ـ أن يكون أمينا على نفسه مسئولا عن أفعاله ـ وإن جهل في ذلك مصلحته الحقيقية ـ (**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا**) الأحزاب/٧٢ .. فهو قد آثر حرية الارادة ومسئولية الاختيار اعتزازا بتفرده دون المخلوقات بالعقل والعلم .. ومن أول مقررات (**الأمانة على النفس**) عقلا أن نلزمها بالحق ونجنبها الوقوع في الظلم .. وحق على المخلوق ـ مادام واعيا بقيمته وماهيته وحدوده ـ أن يقر بعظمة الخالق ويسلم أمره إليه بأسلوب عملي واضح هو العبادات .. فالتسليم بقبول الأمانة هو إقرار بالمسئولية والاستعداد لتلقي التكليف .. وأداء التكاليف هو موقف يعبر عن تحرر الارادة من كل شهوة أو نقص وإقرارها باعطاء الحق لصاحب الحق .. وفي هذا تشريف للنفس الانسانية وارتفاع بها إلى أعلى المستويات الفكرية والروحية .. إلى مستوى استشراف الحق المطلق والانضواء تحت لوائه عن إرادة ويقين ..

والانسان ـ وهذه وظيفته الأساسية ـ مستخلف في الأرض من قبل الله (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**) البقرة/٣٠ .. ومن المنطقى أن يسلك الخليفة نهج من استخلفه ويلتزم بالوفاء بحقوقه وإلا كان خائنا للعهد غير أمين على الخلافة ذاتها ومن ثم يفقد أحقيته في الاستمرار في هذه الوظيفة ..

والله قد أنعم على الانسان بنعم لا تحصى ولا تعد ، فحق له أن نشكره على نعمه .. والعبادات مظهر عملي من مظاهر الشكر وتقدير النعمة والوفاء بحق المنعم في الحمد له والثناء عليه ..

ثانيا : والله مع كونه غنيا عن العالمين ولا يحتاج في ذاته إلى شئ من أعمال خلقه .. له الكمال المطلق فلا تفيده طاعة ولا تضره معصية .. إلا أنه لا يرضى من خلقه مجرد الايمان القلبي أو التصديق العقلي بعبوديتهم له .. إذ (ليس الايمان بالتمنى بل ما وقر في القلب وصدقه العمل) .. أي لابد مع الايمان من الالتزام العملي والممارسة الفعلية للارادة الانسانية نفيا لسلبية الموقف الاعتقادي وتعبيرا عن الوعي بحقيقة الايمان ، فهو ليس مجرد فكرة عقلية أو شعور وجداني وإنما هو منهج متكامل لتحقيق الحياة المثلى بأن يبقى الانسان في كل أعماله وسلوكه العام مرتبطا بالله محكوما بشريعته وهديه .. وليس ذلك مصادرة لحرية الانسان واختياره .. فحرية الاختيار إنما تكون بين (الايمان) و (الكفر) .. بين طريق الله وطريق الشيطان .. فاذا ما اختار الانسان طريق الله وأسلم أمره إليه ، فان المجال الوحيد لتصريف

الارادة الانسانية حينئذ إنما يكون بتوجيهها للالتزام بشريعة الله وأداء التكاليف .. وهو موقف منطقي أشبه بلزوم النتائج الصحيحة عن المقدمات الصحيحة .. ولذلك فالبيان القرآني الحكيم يقرن في معظم آياته بين الايمان والعمل الصالح (**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) البقرة/٢٥ .. تأكيدا لحتمية ترجمة الايمان القلبي إلى عمل وسلوك .. وأعلى مستويات (العمل الصالح) الالتزام بالتكاليف الشرعية وأداء العبادات .

ثالثا : وليس ثمة قيمة حقيقية للانسان بغير (العمل) .. ولا يمكن أن تتحقق الارادة الانسانية ومن ثم تتحدد المسئولية والجزاء إلا من خلال الفعل والسلوك وليس مجرد النوايا والتمنيات ..

ولذلك فقد شرع الله العبادات لتكون ميزانا دقيقا للتفاضل بين البشر تحقيقا للعدل الالهي وحتى لا يكون للناس حجة على الله يوم القيامة ..

حقا إن الله عليم بذات الصدور ولا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء .. ويوم القيامة والحساب سيتحدد مصير البشر أجمعين .. فريق في الجنة وفريق في السعير .. ولكن لو اقتصر الحساب الالهي على علمه ـ سبحانه وتعالى ـ بالنوايا وما يعتمل في الصدور لخفيت الأسباب على خلقه ، فيجادل أهل النار : لم يارب أدخلتنا النار وأدخلت هؤلاء الجنة ؟.. بأي شئ امتازوا علينا ؟ هل كلفتنا بشئ وعصيناك فيه ؟.. والانسان بطبيعته لا يقنع إلا بما هو كائن مشخص ، وقد تخفى عليه أحيانا حقيقة نواياه ولا يستبين خطرات النفس وخفقات الفؤاد .. فحتى لا تكون لهم هذه الحجة أمام الله يوم القيامة .. وحتى يكون الميزان (موضوعيا) مشخصا ـ إن جاز هذا التعبير ـ و (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة**) فان الله قد فرض العبادات تكليفا لنا وميزانا لتقوانا له ، وعلى قدر الوفاء بالتكليف والنكوص عنه يكون الثواب والعقاب .

رابعا : إن الجماعة المؤمنة لابد وأن يكون لها خصائصها العقلية الفريدة وسماتها النفسية المميزة .. والطاقات العقلية والنفسية إن لم تجد المجال العملي للتعبير عن ذاتها فانها تضمحل وتهبط إلى مستوى الضرورات الحيوية لاغير .. وهذا شأن الدهماء والعوام من غير المؤمنين .. ولذلك تعمد الأيدلوجيات الوضعية إلى استقطاب هذه الطاقات وتوجيهها من خلال ما تصطنعه من برامج وتنظيمات ..

والعبادات في الاسلام هي المجال العملي لتحقيق الطاقات العقلية والنفسية والتعبير عن القوى الخيرة في الانسان ، فضلا عن أنها تحقق الوحدة النفسية والفكرية وتبرز الشخصية المتميزة للمسلمين .. فمن خلال السلوك الجمعي للجماعة المؤمنة المرتبط في مبادئه وتطبيقاته بمنهج الله الواحد تتحدد شخصية

الأمـة الاسلاميـة .. ومـن خلال صراعها مع قوى الشر في العالم ـ وهى متمسكة بشريعة الله ـ يتحدد مسار الفكر الاسلامـي ولا يضـل (العقل) المسلم في متاهـات هذا الصراع العنيف ..

خامسا : والانسان كائن محـدود محـكوم ـ بالضرورة ـ باطـــاري المكان والزمان .. ولكل منهما تأثير جذري عميق في تشكيل حياة الانسان وشخصيته ومثله العليا وتقاليده .. فالانسان بطبيعته لا يحيـا إلا في مجتمع .. والمجتمع أو الأمة أو الدولة مفهومات ترتبط جذريا بالمكان .. كما أن المجتمع أو الأمة ـ فضلا عن الأفراد ـ يخضع الجميـع لحـركة (التاريـخ) وعوامـل (التطـــور الاجتماعي) بجوانبـه المختلفـة .. وهذا هو عنصر الزمن ..

والمسلم الحق لابد أن يكون واعيا بقيمة المكان والزمان وأثرهما على شخصيته وأفكاره .. ولابد أن يرسخ في وعيه الظاهر والباطـن أهميـة (الحركة) و (التاريخ) ومعنـى (الفناء) و (الخلود) وأن يستوعب المفهـوم الاسلامـي لاصطلاحـات (الوطن) و (القومية) و (الحدود السياسية) الخ .. ولا يخفـى أن العبادات الاسلامية كلها : الصلاة والزكاة والصوم والحج ، مرتبطـة بالمكان والزمن لأنها كما قلت منهج حياة متكامل لا ينصب على الجوانب الروحية في آفاقها العلوية فحسـب وإنمـا يعالـج ـ أيضـا وبصفـة أساسية ـ الجوانب المادية في حياة الانسان ..

فالعبادات الاسلامية تجعل المسلم في وعي دائم وشامل بالمكان والزمان وما يرتبـط بهمـا من (قيـم) و (مفهومـــات) تشـــكل حيـــاة الانسان ..

فالصلاة ـ مثلا ـ تجعل المسلم مرتبطا بالزمن حريصا على الوقـت واستثمار ساعات يومه وعمره كله في العمل الصالح لأن (أجله) محدود وهو (فان) ولابـد من أن يكون (الحـاضر) أو (الآن) طريقـــا (للمستقبـــل) أو الحيـــاة (الأبدية) .. وليس (الزمن) كله صالحا للصلاة فثمة أوقات تكره فيها الصلاة .. ولا تتم الصـلاة إلا في (المكان) .. و (الأرض) كلهـا جعلت للمسلم مسجدا وطهـورا . ولابد من الاتجاه الى (القبلة) تأكيدا لوحـدة الهـدف والاتجـاه بـــين المسلمين ..

والزكاة والصوم مرتبطان أيضا بالمكان والزمن .. بالحـول ومولـد الهـلال .. بالشروق والغـــروب .. بالاقامة والسفر ..

ولعل الحج هو أكثر العبـادات معالجة لقيم المكان والزمان في حياة الانسان المسلم .. فهو مرتبط بمكان وزمان معينـين ولا يصـح إلا من خلالهما .. وفي الطواف (حـول) الكعبة ـ فضلا عن الاتجاه إليها في الصلاة ـ تجسيد لمعنى هام هو أنه مهما اتسعت دائرة العالم الاسلامي وانتشر المسلمون في بقـاع الأرض فستبقى الكعبة ـ أول مكان مارس

فيه الانسان عبادة الله الواحد ــ هى مركز الدائرة وقطب الحركة ومهوى النفوس والقلوب التي تنطلق من عقيدة التوحيد ..

سادسا : والعبادات ــ في الاسلام ــ منهج تربوي متكامل يهدف إلى تزكية النفس وترويض الشهوات وتهذيب الغرائز الحيوانية والارتقاء بالعواطف والسمو بالأخلاق وتعديل السلوك ..

والله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى قد جعل العبادات سياجا لاستقامة الفطرة وإطارا تنمو من خلاله الشخصية السوية ..

ولأن الاسلام يتعامل دائما مع (الواقع الانساني) فهو لا يتجاهل الطبيعة البشرية وما ركب فيها من غرائز وطاقات ..

ولذلك فقد وكلت العبادات ــ كما أسلفت ــ بتهذيب الغرائز وترويض الشهوات وتنظيم الطاقة الحيوية لدى الانسان ..

ولنتناول دور كل عبادة في هذا المجال بشيء من التفصيل :

١ ــ فالصلاة عبادة موكولة بتهذيب نزعة الانسان الفطرية إلى الحرية المطلقة والانفلات التام من كل القيود .. ولا تستقيم الحياة بغير (النظام) و (القانون) وكل منهما قيد على حرية الانسان .. ولكنه قيد ضروري لأمن الانسان والحفاظ على حقوقه ، بل وحماية (حريته) من عدوان الغير ..

والصلاة تربى في الفرد المسلم حب النظام والشعور بالمسئولية والالتزام والامتثال للشريعة والقانون .. فضلا عن أن ثمرتها الكبرى هى تكوين الضمير الحي أو (النفس اللوامة) التي تراقب الله في كل الأمور .. ومن ثم فهى تكبح هذا الميل الغريزي إلى التحرر من كل القيود فيرتبط السلوك الانساني بقيم الحلال والحرام ويسير على صراط الله المستقيم ..

وليس الانسان كيانا ماديا فحسب ، بل إنه روح ترتبط في جوهرها بالخالق عز وجل .. وفي الانسان نزوع فطري لاستشراف الملأ الأعلى والقرب من الله .. والصلاة ــ في صورتها الكاملة ــ إنما تحقق هذا النزوع فهى معراج روحي يحقق الاتصال الدائم بالله والقرب منه **(واسجد واقترب)**..

والنفس الانسانية تعاني بطبيعتها من القلق والخوف من المجهول .. وليس كالصلاة نبع للسكينة والأمن والصفاء ..

٢ ــ والزكاة عبادة موكولة بتهذيب شهوة من أعتى الشهوات في النفس البشرية وهى شهوة الكنز والشح والاستئثار بالخير دون الآخرين ..

فالزكاة تربى في الانسان المسلم الغيرية والايثار وحب الآخرين وتحرره من الأنانية والشح وعبادة المال ، وتعوده على العطاء ورعاية حقوق الغير **(والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)** .. فضلا عن أنها تقوى الروابط الانسانية والتضامن الاجتماعي وتحقق المودة والتعاطف بين أفراد المجتمع فيسود بينهم الوفاق والمحبة والتراحم بدلا

من الكراهية والتناحر والصراع ..
٣ ـ والصوم عبادة موكولة بتهذيب أقوى شهوتين في الانسان : شهوة البطن وشهوة الفرج .. فالصوم يضع الانسان المسلم في حالة جهاد مع هاتين الشهوتين فيربى فيه قوة الارادة والقدرة على تحمل الصعب من الأمور والصبر على المكاره والسيطرة على النفس والتخلص من عبودية المادة ، ويتعود الالتزام بالحلال والحرام فيصل الى التقوى وهى حجر الزاوية في شخصية الانسان المؤمن ..
٤ ـ والحج عبادة موكولة بتهذيب شهوة من أقوى الشهوات وأشدها تأثيرا على النفس الانسانية وهى شهوة الاستعلاء والتفرد والامتياز .. وكل إنسان ينزع إلى الاستعلاء والتمايز اعتزازا بجنسه أو قومه أو طبقته أو ماله أو علمه أو قوته الخ .. والاسلام **يرفض الاستعلاء القومي** أو **الطبقي أو التمييز** العنصري .. ولا تمايز بين الناس إلا على أساس واحد **هو** الايمان وتقوى الله عز وجل **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** .. وفي الحج يخلع المسلمون كل (مظاهر) الاستعلاء **ويقفون** جميعا أمام الخالق متساوين في المظهر والسلوك لا فرق بين غني وفقير ولا بين الملك والرعية ولا بين العالم والأمي ولا بين الأبيض والأسود ولا عربي أو أعجمي .. الكل أمام الله متجردون إلا من تقوى الله .. وعلى قدر إخلاص القلب لله والتجرد من الشعور بالاستعلاء والتمايز تكون المثوبة والجزاء ..

والنفس ـ بطبيعتها وضعفها الغريزي ـ أمارة بالسوء كثيرة الزيغ والعصيان .. والحج توبة ورمز للهجرة .. هجرة المعاصى والكف عن الحرام .. و (التجرد) الارادي من الذنوب والآثام ..

سابعا : والعبادات ـ أخيرا ـ هى الاطار التنظيمي للمجتمع الاسلامي سياسيا واقتصاديا وفكريا .. وهى المجال التربيبي للعلاقات الاجتماعية والسلوك الجمعي .. فمن خلال الصلاة في الجماعة تبرز (وحدة الصف) والهدف و (قوة التنظيم) والتماسك الاجتماعي ، وتتحقق المساواة ـ بمعناها العميق ـ بين أفراد وفئات المجتمع وتتكسر الحواجز النفسية بين الطبقات .. والزكاة مورد اقتصادي يحقق الاستقرار الاجتماعي والوفاق **الطبقي** ويمنع احتكار المال .. **والصوم** يحقق فائضا في المواد **التموينية** وترشيد الاستهلاك ويكبح الاسراف والتبذير .. والحج مؤتمر عام تبرز فيه وحدة الأمة الاسلامية في الفكر والعقيدة .. وفيه تبادل للمنافع الاقتصادية وتنمية لموارد بيت المال الذي يتكفل بعلاج المشكلات الاقتصادية في حياة المسلمين ..

وبعد .. فهذه ـ كما قلت ـ (رؤية عقلية) أو محاولة فكرية لاستشراف حكمة الخالق عز وجل من وراء فرض العبادات .. فعسى أن أكون وفقت .. والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

شمس الحقيقة

شعر : محمد عبدالله قولي

هل ترسل الطرفَ في الأكوان تسألها ... عمن براها وأهداها الى البشر ؟
هذي السماواتُ من أغنى مجاهلها ... وهَيّأ النجمَ والأفلاكَ للسفر
من دَوَّرَ الأرضَ حول الشمس دائبةً ... وأولجَ الليلَ في الاصباح بالأثر
من حددِ السيرَ للأجرام من أزل ... فما تحيدُ ولا تهوى إلى خطر
من سخّر الريحَ للأمطار تحملها ... تحيي المواتَ فمن أرض الى شجر
فالماءُ يدهشني في الزرع مصنعُه ... والنبْتُ مختلفٌ في الذوق والصورَ
من أمسك الأرضَ في شمس تجاذبها ... وقدّر النورَ بين الأرض والقمر ؟
من أكسب الشمسَ زيتا نستضيءُ به ... أليس ينفد هذا الزيتُ في دهر ؟
إنْ ترغب الشمسُ يوما أنْ تقاربنا ... أو تَبتعِدْ هل تَرى للخلقِ من أثر ؟
من قيّد الشمسَ في بعد تلازمه ... فليس تطغى ولا تودي الى ضرر ؟
ماء البحار أما خيرٌ مُلوحَته ... من قدّرَ الأمر في بحر وفي نهر ؟
والراسياتُ تراها أوجدت عبثا ... اذ تحفظ الأرضَ من رجف بلا قدر
من أبدع الناسَ في جسم بدا عجبا ... في دقةِ الخلق والاحساس والصور ؟
تلك العلومُ فكيف العقلُ يحفظها ... مدى السنين ويبقيها لمدّكر
والعينُ تبصر هل تدري طبيعتَها ... فالشكلُ يدرك في لمح من البصر
العين تنقله فورا الى عَصب ... واللبُّ يفهم كنهَ الشكل في النظر
والأذنُ تفهم لو أبصرتَ صنعتها ... بخيط سمع من الأعصاب منتشر
والشمُّ والذوقُ والاحساسُ وَالهَفي ... وغيرُ ذلك معروضٌ لمعتبر !
عن سُكّرِ الدم قد قالوا لنا كبدٌ ... يحدد الأمرَ لا نخشى من الخطر
فكيف يحسبُ هذا الجسمُ حاجتَه ... فلا تزيدُ ولا تدنو الى قصر ؟
من نوّع الخَلقَ من أنثى ومن ذكر ... كي يستقيم نظامُ الكون للبشر
أم من حوى الرزقَ في حق يقدره ... فالخلقُ يُطعَمُ حتى الدودُ في الحَجَر
أكلُّ هذا الصغيرُ الشأنِ تحسبه ... وتستعيض سواه تافهَ الفكر ؟ !
قالوا الخلائقُ جاءت من مصادفة ... اذ ولد الماءُ جسما دقّ في الصغر
وأنتج الجسمُ أشكالا منوعةً ... تجري الحياةُ بها من غير ذي أثرَ
وأحكمت لا تَرى فيها مفارقةً ... من دون ربٍّ على الابداع مقتدر
لو أنصفوا العلمَ ما جاؤوا بكذبتهم ... أو حكّموا العقلَ لانقادوا مع البصر
وآمنوا بالاله الحق خالقِهم ... شمسُ الحقيقة لا تخفى لذي نظر

دعائم البيت السعيد

للشيخ/مصطفى محمد الحديدي الطير

لبيت أساس المجتمع ، فاذا صلح
صلح المجتمع كله ، واذا فسد فسد
لمجتمع كله ، فلهذا يجب ان يهتم
لدعاة والمصلحون بعلاج أمـراضه
إصلاح شؤونه ، حتى تظل امتنا في
كان العزة والأسوة الخلقية للناس
جمعين .

لقد بدأ العرب حركة واثبة نحو بناء
جتمعهم بعد أن مسهـم الضر في
كافحة المستعمريـن وصنائعهـم ،
صاحب تلك النهضة وفود تيارات
كرية وخلقيـة مختلفـة الأشكـال
الألـوان ، قدمـت علينـا من كل
جانب ، فعلينا أن نفتح لها عيونا
واقـظ وقلوبـا رواشد ، فمـا لم
يتعارض منها مع ديننا اقررناه ، وما
خالفه وجافاه حملنا عليه ورددناه .

البيت إذا أسس على التقوى كان
عونا لنا على رد تلك التيارات عن
جتمعنا ، فاذا انحرف من الأسرة
عضو عن الجادة ، رده إليها عضو
خر منها ، امتلأ قلبه إيمانا وخشية
له رب العالمين ، بما يبذله في نصحه
ن قول رشيد ، وتوجيه سديـد ،
أسلوب يدنيه من الحق ولا ينفره
نه .

للدعاة والمرشدين أثر فعال في نشر
الفضيلـة بـين أفـراد الأمـة
جماعاتهم ، ووصولهم إلى أعمـاق
البيوت سهل « ميسر » في جيلنا الذي
نعيش فيه ، فعن طريق الصحـف
والمذياع ـ الراديـو والتليفزيـون ـ
يستطيع الداعي الرشيد أن يبلغ دعوة
الحق إليها ، وأن يكون لدعوته أثر
ايجابي ينفذ إلى اعماق أهلها ، إذا
أداها في أساليب مبتكرة جذابـة ،
ترطب القلوب وتجتذب الأرواح وتمتلك
المشاعر .

وقد ربحت تلك الوسائل حتى الآن
نسبة غير قليلة من سيدات المجتمع
الاسلامـي وأنساتـه وشيوخـه
وشبابه ، ومثل ذلك يحدث عن طريق
المنبر في المساجد والمجتمعات وأكثر
منه إذا اهتم الدعاة بتوجيه الرجال
الى مسئولياتهم في بيوتهم وتنبيههم إلى
الأثر الجليل الذي يترتب على عنايتهم
بأخلاق ذويهم ، وتوجيههم إلى عبادة
ربهم بالقـدوة الحسنـة ، والوعـظ
الرشيـد ، وكلمـا جدد الدعـاة في
أساليبهم وأحسنوا العرض لما لديهم
من القيم الدينية والخلقية ، ارتفعت
نسبـة أرباحنـا من بنـي قومنـا
وبناتهم ، شيبهم وشبابهم .

المرأة أساس البيت

والمرأة أساس هام للبيت ، ومدرسة
عظيمة الأثر في ناشئتنا ، ففي جوها

ينبتون ، ومنها يتعلمون ، وبأخلاقها يتخلقون ، فاذا كانت مستقيمة عاقلة مدبرة ، نشأ اولادها على خلالها ، وتأثروا بأخلاقها وطباعها ، وكانوا في مستقبلهم نافعين لأنفسهم وأمتهم ، وان كانت غير ذلك انعكس الحكم بالنسبة لأولادها ، وكلما انتشرت الاستقامة في أبناء الأمة قوى بنيانها ، وعز شأنها ، وامتدت هيبتها ، والعكس بالعكس لهذا كان اختيار الرجل لشريكة حياته وأم أولاده ، من أعظم مسئولياته نحو نفسه ونحو ذريته وأمته .

أساس اختيار الزوجة

والناس من قديم يتفاوتون في دواعي اختيارهم لزوجاتهم ، فمنهم من يختارها لجمالها ، ومنهم من يختارها لمالها ، ومنهم من يختارها لحسبها ، ومنهم من يختارها لدينها وخلقها ، وقد أجمل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأغراض في قوله : « تنكح المرأة لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » أخرجه البخاري ، وقد استحدث الناس أغراضا اخرى مثل كونها مثقفة أو موظفة ، لتساعد زوجها بدخلها من وظيفتها ، ومن الممكن رجوعها إلى الأغراض التي تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث الهدف وان لم ترجع اليها من حيث الصورة والعبارة .
والحديث دال على ان المرأة المتدينة يعتبر الحصول عليها مغنما يستحق ان يوصي النبي صلى الله عليه وسلم بالظفر به بقوله « فاظفر بذات الدين » وأن ينبه إلى خطورة تركه بقوله « تربت يداك » أى ان لم تظفر بذات الدين تربت يداك » وهذا إما كناية عن الفقر ، أو عن تلوث الشخص إن تزوجها غير متدينة ، لأنها إما ان تحمله بطيشها على التبذير فيفتقر ، او ان تتمرغ في الرذيلة لضعف دينها وخلقها فتدنس عرضه .
استمع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحذر من اختيارها لغناها او لجمالها وحده إذ يقول : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن ان يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن ان تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين افضل » ابن ماجه .
فاختيار المرأة لجمالها او مالها من غير نظر إلى عفة ودين أمر محفوف بالخطر ، لأن صمام الأمان غير موجود معهما ــ وهو الدين والخلق ــ كما ان اختيارها للحسب وحده أو مع أى غرض آخر سوى الدين والخلق ، قد يكون سببا في التفاخر على الزوج ، وتنغيص عيشه ، فعليك ان تجعل الدين والخلق أساس الاختيار ، فاذا ضممت إليه الجمال أو المال أو الحسب فقد زدت خيرا ، وان جمعت ذلك كله في شريكة حياتك ، فقد اخترت امرأة مثالية اجتمعت فيها مباهج الحياة وأسباب السعادة وراحة النفس ، وان كان اجتماع هذه الصفات من الندرة بمكان .
وخير النساء المتدينات من اجتمع فيها

الجمال والطاعة ، قال صلى الله عليه وسلم : « خير النساء من تسر إذا نظرت وتطيع إذا امرت » ابن ماجة فان جمالهـا يحبس نظـر الـزوج عليها ، فلا يحاول أن يمد عينيه إلى سواها عمدا ـ إن كان له خلـق ودين ـ وطاعتهـا له تعصمـه عن التطلع إلى سواها ، وتجعل العيشة معها هنيئة لا غصة فيها .

ولكون الجمال مما يطلب في المرأة بعد الدين ، شرع النظر إلى وجهها وكفيها قبل الزواج ، سواء أذنت به ام لم تأذن ، ولهذا كان بعض الصالحين لا يزوجون بناتهم إلا بعد النظر اليهن ـ احتـرازا من الفسق والجهالـــة ؛ وينبغي أن يكون الوجه خاليا من الطـلاء والمساحيـق ، ليبـدو على حقيقته ، حتى لا يكون في العرض خداع يخفي قبحا ودمامـة يكـون وراءهما الهم والغم ، وكان الأعمش الفقيه يقول : كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم .

وكما ينبغي ان ينضم الجمال إلى الدين ، ينبغي ان يصاحبهما طيب المحتد وعراقة النسب ، بان تكون المرأة من آل بيت عرفوا بالمكارم فان العرق دساس ، وكل إناء ينضح بما فيه ، أما المرأة الحسناء التي نشأت في بيت سيء فانها غير مأمونة في أمرها كله ، فلذا ينبغي العدول عنها .

المرأة الغريبة

ينبغي اختيـار الزوجـة من اسرة غريبة ، فان ابـن القريبـة يخلـق ضاويا ـ اى ضعيفـا ـ غالبـا ، لضعف اشتهائها بسبب الالـف ، بخلاف الأولى فان اشتهاءها والرغبة فيها اقوى لعدم الالف واختـلاف الدم ، ولقد اثبت الطب تلك الحقيقة .

المرأة البكر

تفضل البكر الثيب لخلو قلبها من رجل آخر ، وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم جابرا رضي الله عنه على الزواج من البكر بقوله له : « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » البخـاري وذلك حين اخبره انه تزوج ثيبا ، فان وجدت أسباب ترجحها على البكـر كانت اولى منها ، فقد اقر النبـي جابرا ، لما اخبره انه تزوجها لترعى اخواته الصغيرات لوفاة امهن .

وللبكر ثلاث فوائد (١) خلو قلبها من التعلق بزوج سابق ، وسرعة إلفها لزوجها وحبها له بسبب ذلك (٢) ان قلب الزوج يسارع إلى حبها وطبعه لا ينفر منها ، لان الطبع ينفر غالبا من التي مسها غيره (٣) أنها لا تنغص عيشه بذكـر مآثـر زوجهـا الأول انتقاصا لمآثره هو ، وحنينـا لأول عهدهـا بالـــزواج ، على حد قول القائل : ما الحب إلا للحبيب الأول .

ما يطلب في الزوج

وكما أن الدين يحض الرجل على ان يتزوج ذات الدين والخلق ، فانــه يحض ولي المرأة على ان يختار لها الزوج المتديـن ، ليعيش الزوجـان سعيديـــن بتجانسهمـــا ، ويشب

أولادهما في جو من المودة بينهما وفي ظل تقوى الله تعالى ، فيكونـوا في مستقبلهم على منهجها خلقا ودينا ، فان اختاره لها فاسقا فقد أخطأ في حقها وقطع رحمهـا ، قال رجـل للحسن : خطب ابنتي جماعة فممن أزوجها ؟ قال : ممن يتقي الله ، فانه إن أحبها أكرمها ، وان كرهها لم يظلمها .

ويعتبر الولي آثما بتزويج وليته من فاسق ، لأنه عرضها للتأثر بفسقه والعيشة الكريهـة معـــه ، ونشأة اولادها في جو غير اسلامي على الوجه المرتضى .

وينبغي ان يختاره ذا نسب ، فكما أن العرق دساس في الزوجة ، فهو كذلك في الزوج ، فان صفات الوالدين ترثها الذرية عنهما ، وهذا مبدأ مقرر عند علماء النفس ، كما انه معروف في طبائع البشر ، قال الله تعالى حكاية عن قوم مريم حين جاءتهم بعيسى ـ عليه السلام ـ من غير زوج (**يـا أخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا**) مريـم/٢٨ فاشارت إلى عيسى ليكلموه في ذلك ، فأنكروا ان يكلموا طفـلا وقالـوا (**كيف نكلـم من كان في المهـد صبيا**) مريم/ ٢٩ فسارع إلى تبرئة أمه وقال في مهده :(**إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلنـي نبيـا**) مريم/٣٠ .

وينبغي ان يختاره لها ذا وسامـة وحسن إن أمكن ، فكما ان الرجل يختار زوجته ذات حسن ليعف عن التطلع إلى غيرها ، فكذلك العكس ، فان قسم الله لها زوجا دميما ، فعليها ان ترضى به ما دام صاحب خلق ودين ـ كما يرضى بها الـزوج إن كانت كذلك ـ قال **الاصمعي** : دخلت البادية فاذا انا بامرأة من أحسن الناس وجها ، متزوجة رجـلا من اقبحهم وجها ، فقلت لها أترضين أن تكوني زوجة لمثله ، فقالت : يا هذا لقد اسأت في قولك ، لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ، ولعلي اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي ، أفلا ارضى بما رضي الله لي ؟قـال الأصمعـي : فأسكتنـي جوابها .

وكما أبيح للرجل ان ينظر إلى وجه المرأة وكفيها يباح للمرأة ان تنظر منه الى مثل ذلك قال تعالى : « **ولهن مثل الـذي عليهـن بالمعـروف** » البقرة/٢٢٨ ، وكما يجب على المرأة ان لا تطلي وجهها بالمساحيق حتى يبدو وجهها على حقيقته ، يجب على الرجل ان يمتنع عما من شأنه ان يظهره على غير حقيقته ، روى ان رجلا تزوج على عهد عمر وكان قد خضب شعره بالحناء ، فلمـا زال خضابه بدا شيبه ، فرفع اهل زوجته امره إلى عمر وقالوا حسبناه شابا ، فأوجعه ضربا وقال : غررت القوم .

كيف تعرف اخلاق الخطيبين ؟

اعتاد بعض الناس في العصر الذي نعيش فيه أن يسمحوا للخطيبيـن بالمجالسة والخروج وحدهما ، بحجة ان يعرف كلاهما الآخر على حقيقته ،

وقد ترتب على هذا السماح شر كثير لا داعي هنا لتفصيله ، ومـا هكـذا يتعرف على أخلاق الخطيبين ، وما مثل هذا يسمح به الشرع الشريف الذي يحرص على سلامة العـرض والشرف ، إن اخلاق الزوج وطباعه تعرف بالسؤال عنه من جيرانـه ، وممن يشركونه في العمل ، كما تعرف بمناقشة ولي امر الفتاة له قبـل الارتباط به ، وبمعاشرته بعض الوقت حتى يتبين حاله ، فاذا بدا صلاحه ارتبط معه ، والا عدل عنه .

وتعرف أخلاق الزوجة بالسؤال عنها من جيرانها ومعارفها الذين لا عداوة بينهم وبين ذويها ، فان عرفت بالطهر والعفاف ، وحسن فيهـا القـول ، فليتقدم لخطبتها وليتوكل على الله ، والا عدل عنها إلى سواها في صمت وسكون ، والله يختار لكليهما ما فيه خيره وسعادته .

المغالاة في المهور والأثاث

الاسلام لا ينظر إلى الزواج باعتباره عملية تجارية فيها بيع وشراء ومزايدة في الثمن ، بل يعتبره رابطة مقدسة لحفظ النوع البشري وتأسيس الأسرة السعيدة ، وما الصداق إلا نحلـة وعطية أوجبها الله على الأزواج إظهارا لرغبتهم في زوجاتهم ، وايذانا بأنهن لم يهبن أنفسهن كما كان يحدث قبل الاسلام ، الأمر الذي يسقط منزلة الزوجة في المجتمع وكذا عند زوجها بعد حين ، فلذا شرع الله الصداق عطية من الله ومن الأزواج تعزيزا لمنزلة المرأة عند زوجها وأسرتـه ، وايذانا بانه بذل لها هذا المهر احتراما واكراما لها ، وفي تشريع نلك يقول الله تعالى :(**وأتوا النساء صدقاتهـن نحلـة**) النساء/٤ أى وأعطـوا الزوجات مهورهـن عطيـة من الله بتشريعها ، وعطيـة منكـم ببذلهـا اعزازا للزوجات وتوددا لهن .

واذا كان الزواج رابطة مقـدسة ، وليس تجارة ولا اجارة ، فينبغي أن يكون الذي يفرض على الزوج لا يثقل على الـزوج ولا يرهقـه في حاضره ومستقبله مع زوجته ، والتيسير في الصداق سنة السلف الصالح تيسيرا للزواج واكثارا للمتزوجين ، وابعادا للجنسين عن الانحراف ، أما المشاقة فيه فانها تؤدي أإلى تعجيز الشباب وصرفهـم عن الـزواج ، فتبقـى الزوجات عوانس أو منحرفات ، وشر نلك على المجتمع أشد من شر الحروب والأمـراض ، قال صلى الله عليـه وسلـم : « اذا خطـب إليكـم من ترضون دينه وخلقه فزوجـوه . إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » مسلم .

لا تكلف الزوجات بأثاث البيـت شرعا

وكما يوصي الاسلام أولياء الفتيات ان لا يبالغوا فيما يطلبونه من الصداق ، يوصي الراغبين في الزواج أن لا يطلبوا أثاثا معينا ، وأن لا يسألوا عما جاء به أصهارهم من أثـاث ، ولا عن شئون الزوجة المالية ، فان نلك مخل

بالمــروءة ومسقــط للكرامــة ، قال الثوري : إذا تزوج الرجل وقال : اى شئ للمرأة فاعلم انه لص .
وقد نهى القرآن الكريم الأزواج عن أن يأخذوا مما أعطوهن شيئا بقوله : **(ولا يحل لكم أن تأخذوا ممــا آتيتموهن شيئا)** البقرة/ ٢٢٩ واذا كان الاسلام بهذا النص وأمثاله يمنع الزوج من التحكم في صداق المرأة مع انه هو الذي اعطاه فكيف يسمح الزوج لنفسه أن يتحكم في مال وليها أو مالها هي ، فيفرض عليهما أو على أحدهما أثاث البيت بأية صورةمن الصور ، والأصل في أثاث البيت ان يكون على الــزوج ، فان تطوعــت الزوجة أو وليها به فهولها ، ولا شأن لزوجها به .
واذا علمت ما تقدم في المهر وحكمه والأثاث ووجوب امتناع الزوج عن التدخل فيه ، فاعلم ان النبي صلى الله عليه وسلــم قال : « خــير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا » رواه احمد والحاكــم والبيهقــي .
وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه بعشرة دراهم وأثــاث بيت ــ اى انه صلى الله عليه وسلم هو الذي اثث بيت الزوجية وكان اثاثه من جملة الصداق ، وكان رحى يد وجرة ووسادة من جلد حشوها ليف .
وكان عمر بن الخطاب يقول : ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من اربعمائــة درهم ، ولو كانت المغــالاة بمهــور النساء مكرمة ، لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي وداعة السهمي على درهمين ــ مع أنه كان من اغنياء المسلمين ، ومن كبار التابعين ــ ثم حملها إليه ، وأدخلها من الباب وانصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ، وينبغي ان لا يقل الصداق عن عشرة دراهم ، خروجا من خلاف من أوجــب هذا القدر .

آداب المعاشرة الزوجية

على الزوجين ان يتعاشرا بالمعروف ، وان يجعلا التسامح أساسا فيمــا بينهما ، وأن يؤدي كلاهما الحــق الشرعي والعرفي لصاحبه ، وسنذكر فيما يلي آداب كليهما وحقوقه بالنسبة للآخر .

حقوق الزوج

من حق الزوج على زوجته ان لا تعطي شيئا من بيته أو ماله أو زراعته ، أو محل تجارته إلا باذنه او علمها أنه يرضى به ، فان أعطت بغير ذلك كان الوزر عليها والأجر له .
ومن حقه أن لا تخرج من بيتها إلا إذا اذن لها بالخروج ، فان خرجت بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع ، ــ كما جاء في السنة ــ وان لا تصوم تطوعا إلا برضاه ، فان لم يرض جاعت وعطشت ولم يتقبل صومها ، اما الصوم الواجب عليها فلا يتوقف حله على إذنه لها ، فان حق الله اولى من حقه ، فلا يحل له ان يمنعها منه

ومن حقه عليها ان لا تخونه في نفسها أو ماله ، وان لا تأذن في بيته لأجنبي ولا لقريب لا يود دخوله ، وان تطيعه في غير معصيـة ، وأن تكـون قليلـة الكلام ، وأن لا تكثر من الصلـة بجاراتها ، فان ذلك قد يفسد الصلة الزوجية بينهما ، وان يعف لسانها عن سب أولادها وغيرهم ، وان لا تفخر عليهم بمال اوجمال أو حسب أو شهادة دراسية أعلى من شهادته ، وان لا تزدريه لقلة وسامته ، أو فقر أسرته ، وان لا تمتنع عن التزين له بحجة اشتغالها بتقوى الله تعالى أو خدمة بيتها ، فان التزيـن للـزوج مشروع ، قال تعالى: **(ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن)** النور/ ٣١ .

قال الأصمعي : رأيـت امـرأة في البادية عليها قميص أحمر مختضبة وبيدها مسبحة ، فقلت ما أبعد هذا من ذاك ، فقالت :

ولله مني جانب لا أضيعه
وللهو منـــي والبطالـــة جانب

قال الأصمعي : فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له .

(وصية امرأة عظيمة لابنتها)

لما تزوج الحارث بن عمر ملك كندة ابنة عوف بن محلـم الشيبانـي ، أوصتها امها عند توجهها وصيـة نافعة لكل فتاة ، وقد رأيت ان أنكرها في هذا المقال ، فانها قانون نافع للحيـاة الزوجيـة ـ كلمـا أمـكن تطبيقه ، فانها قد عملت بها فعزت منزلتها عند الملك ، وأنجبت منه الملوك السبعة الذين حكموا اليمن بعده قالت الأم لابنتها :

عليك بالصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهـد لموقع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيب ريح ، والكحل احسن الحسن ، والمـاء أطيـب الطيـب المفقـود ، وعليـك بالتعهـد لوقـت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مبغضة ، والاحتفـاظ ببيتـه وماله ، والارعاء على نفسه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال جميل التدبير ، ولا تفشى له سرا ، ولا تعصي له أمرا ، فانك إن افشيت سره لم تأمني غدره ، وان عصيت امره اوغرت صدره ، ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحا ، والاكتئاب عنده إن كان فرحا ، فان الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له اعظاما ، يكن أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مرافقة ، واعلمي انك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثـري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببـت أو كرهت ، والله يخير لك .

(حقوق الزوجة على زوجها)

من حقها عليه أن يعاشرها بالمعروف وان كان يكرهها ، لقوله تعـالى : **(وعاشروهـــن بالمعـــروف فان**

كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) النساء/١٩ ، وقد اعظم الله حقهن في حسن العشرة بقوله « **واخذن منكم ميثاقا غليظا** » النساء/٢١ ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الله الله في النساء ، فانهن عوان في أيديكم ، اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله « البخاري ومعنى عوان اى مقصورات عليكم أصبحن أمانة لديكم وفي رعايتكم بعد مفارقة اهلهن .

وحسن العشرة يتمثل في لين القول ، وبسطة الوجه ، والمشورة ، والدعابة اليسيرة التي لا تفقده وقاره ومنزلته كزوج ، والاعتدال في الغيرة عليها ، فلا تكون منه في غير موضعها ، قال صلى الله عليه وسلم « ان من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل ، وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة ، رواه ابو داود والنسائي . وقال علي (رضي الله عنه) : « لا تكثر الغيرة على اهلك ، فترمي بالسوء من اجلك » فان رأيت منها ما يريبك ، فلك حق مراقبتها والغيرة عليها في حكمة حتى تكفها عن بواعث الريبة قال صلى الله عليه وسلم : « فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة » فان تحققت ريبتك فيها فانفصل عنها بتطليقها من غير تلويث لسمعتها وسمعة اهلها ، حفاظا على كرامة أولادك منها ، وسترا لعرضها وعرض ذويها ، ولك أجر عظيم على هذا الستر .

ومن حق الزوجة على زوجها أن يطعمها ويكسوها حسب حاله ودخله ، والاعتدال في ذلك مشروع ، قال تعالى : **(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)** الاسراء/٢٩ والنفقة على الأهل عظيمة الثواب ، قال صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لأهله » رواه البخاري .

ومن حقها وحق الله عليه ان لا يدخل عليها الغرباء ، وان لا يسمح لها بالاذن لهم في غيبته ، وان يهيئ لها سكنا بين جيران صالحين ، وأن لا يسلبها مالها أو مصوغاتها او راتبها ، فان ساعدته طواعية فذلك كرم منها وليس واجبا عليها .

ومن حقها عليه أن يساعدها في شئون البيت ، وبخاصة في هذا الوقت الذي قل فيه الخدم ، وعملت فيه الزوجات في المصالح والشركات ، وليس ذلك نقصا في حقه ، بل هو أمر مشروع ، قال تعالى **(وتعاونوا على البر والتقوى)** المائدة/٢ وكان صلى الله عليه وسلم يقم بيته ــ اى يكنس قمامته ، والقمامة الكناسة ــ وكان يخصف نعله ويرقع ثوبه بيده الشريفة .

ومن حقها عليه ان يعلمها ما تجهل من الأحكام الشرعية ، وان يسأل لها العالم عما يجهلانه من الأحكام الخاصة بالنساء .

تلك هي اهم حقوق الزوجين ، فان عملا بها رفرفت على بيتهما السعادة ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الأحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن عبدالله بن عامر قال : « دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطيك . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما أردت أن تعطيه ؟** » قالت : اردت ان أعطيه تمرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة** »

(رواه أبو داود والبيهقي في شعب الايمان)

ها : للتنبيه ، او اسم فعل بمعنى خذ
تعال : بفتح اللام أى أقبل نحوي وجئ إلى مكاني
اعطيك : اى أنا أعطيك فهو خبر لمبتدأ محذوف . وفي نسخة « **أعطك** » بغير ياء على أنه مجزوم . قال الطيبي : هو بالجزم في بعض نسخ المصابيح جوابا للأمر .
تعطيه : الياء هي ياء المؤنثة المخاطبة .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لم يبق من النبوة إلا المبشرات** » قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « **الرؤيا الصالحة** » (رواه البخاري) وزاد مالك برواية عطاء بن يسار : « **يراها الرجل المسلم أو ترى له** »

عن جابر رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : رأيت في المنام كأن رأسي قطع قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « **إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس** »
(رواه مسلم)

مع صحافة العالم

لماذا تزوج النبي تسع نساء ولكل مسلم اربعة فقط ؟

يتعرض الدين الاسلامي الحنيف لحملة عنيفة من الكذب والافتراء والتضليل حول تشريعاته ومبادئه وهى حملة تقودها وتوجهها جهات مشبوهة تعمل جاهدة على طمس حقائق الاسلام ومبادئه العادلة امام العالم . وكثيرا ما يتعرض العلماء والمفكرون الاسلاميون في تجوالهم بأوربا لاسئلة من المواطن الاوربي المنقاد لوسائل اعلامه تتعلق بقوانين الأحوال الشخصية والمواريث ووضع المرأة في الاسلام وتعدد زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الى ذلك من الموضوعات التي تتخذها اجهزة الدعاية الهدامة مادة للتهجم على الاسلام وطمس حقائقه والغاية النبيلة من احكامه .

وفي رحلته الى المانيا الغربية تعرض العلامة الشيخ محمد متولي الشعراوي الى سؤال من هذه الأسئلة حول جمع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بين تسع نساء بينما حدد الاسلام للمسلم اربعا فقط .

ونحن نقدم اجابة فضيلة الشيخ الشعراوي كما نشرت في جريدة « السياسة » ليستعين بها المسلم على مواجهة مثل هذه الأسئلة والدفاع عن السنة المطهرة امام العالم الغربي .

يقول الشيخ الشعراوي :

لم يجىء الاسلام بمبدأ التعدد لأنه جاء والتعدد امر قائم في الصلة بين الرجل والمرأة ، فقد كان التعدد قائما قبل الاسلام بلا حد فكأن الاسلام جاء بحد التعدد وقصره على اربع بالنسبة لغير الرسول حتى ان الرسول خاطب من كان عنده اكثر من اربع بقوله (امسك اربعا وفارق سائرهن) مما يدل على ان الواقع كان اكثر من اربع فالذين لا يفهمون هم الذين يرمون الاسلام بأنه جاء بالتعدد والحق انه جاء بوضع حد للتعدد ، ولكن خصوم الاسلام ينتقلون الى شىء اخر ، وهو ان الرسول لم يلتزم بقوله (امسك اربعا وفارق سائرهن) .

ليس حرمانا

والسبب ان امساك الاربع استبقاء لحقوقهن الزوجية كلها ولكن مفارقة البقية هي التي تحرم عددا من النساء من زوجية كانت قائمة ، ولكن هذا الحرمان يقطعه الا تمنع اي امرأة من هذا النوع من ان تجد لها زوجا آخر في حد الوحدة او الاربع .

ولكن بالنسبة للرسول لو انه امسك اربعا وفارق خمسا ، لأن زوجاته وقت هذا التشريع كن

تسعا وزوجات الرسول امهات المؤمنين ويحرم على اي مؤمن ان يتزوجهن فمعنى ذلك انه سيفارق خمسا لا الى عوض ، لهذا استبقى الله كل نساء الرسول ساعة التشريع له ويلاحظ ان الرسول لم يستثنه الله عددا ولكن استثناءه معدودا بمعنى ان الرسول عنده تسع بخصوصهن بحيث لو ماتت واحدة او متن جميعا لا يحل له ان يتزوج فالله يقول (**لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن**) .

ليس توسعة عليه

اذا ، فللرسول هؤلاء المعدودات بذواتهن ، وليس له عدد تسع بحيث ان طلق يستكمل ، او ان توفيت واحدة يستكمل ، اذا فالرسول لم يوسع عليه في ذلك كما يظن حمقى الخصوم وانما ضيق عليه فللواحد من اتباعه ان يدير عدد الاربعة فيما يشاء من معدودات بالموت او بالطلاق .

حاباة للمرأة

اما عن المرأة في الميراث ، فقد كانت اسئلتهم تنحصر في التفرقة التي وضعها الاسلام بين المرأة والرجل اذ جعلها على النصف منه في التركة .

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي :

الذين يحاولون ان يدخلوا على المرأة بأسلوب ان الاسلام هضم حقها في الميراث فاتهم ان يعرفوا ان ذلك خاص بالأخت مع الاخ ويجب ان يتنبهوا الى ان الاسلام كان يجب ان يسأل سؤالا عكسيا :

لماذا حابى الاسلام المرأة في الميراث ؟! لان المرأة لا تكلف في امر معاشها شيئا والرجل هو المسئول عن التزامات هذا المعاش فحين تأخذ الاخت نصف اخيها فانها ان ظلت بدون زوج فذلك كافيها ، واخوها سيتزوج امرأة يعولها وان تزوجت هي فستذهب الى رجل يعولها ويظل ما ورثته بدون التزام مصرفي .

فلو نظرنا الى قضية الاسلام في ذلك وجدناها قضية عادلة فالابن ذو الحظين مطلوب له امرأة يقوم بكل التزاماتها ، والبنت ذات الحظ الواحد ستكون في رعاية رجل لا يكلفها من امر الحياة اي شيء اذا فكان من الواجب ان نسأل لماذا حابى الاسلام المرأة .. لا لماذا هضم حقها ..

برامج احتفالات الكويت بالقرن الخامس عشر الهجري

أقر مجلس الوزراء الكويتي توصيات اللجنة الوطنية للاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري والتي من المنتظر أن تستمر لمدة خمس سنوات .

وكانت اللجنة التي تتكون من ممثلي وزارات التربية والأوقاف والاعلام والشئون الاجتماعية وممثل عن جامعة الكويت قد رفعت توصياتها بشأن شكل الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري الى مجلس الوزراء للموافقة عليها .

ووفقا لتوصيات اللجنة فان احتفالات الكويت بالقرن الخامس عشر الهجري ستجرى على الشكل التالي :ـ

أولا : في مجال النشر :

ـ تصدر المجلات والدوريات الحكومية أعدادا خاصة لهذه المناسبة وهي مجلات « العربي » و « الوعي الاسلامي » وعالم الفكر وعالم المعرفة والكويت والمجلات الحكومية المرتبطة بالمؤسسات .

ـ نشر سلسلة مقالات في الصحف والمجلات المحلية تتصل بالاسلام في ماضيه وحاضره ومستقبله .

ـ اصدار عدد من الكتب الدينية منها « قاموس القرآن الكريم » و « اشهر الأحداث في تاريخ الاسلام »، « وتاريخ تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ».

ثانيا : في مجال المعارض :

ـ اقامة معرض للخط العربي .

ـ اقامة معرض للفنون المعمارية العربية والاسلامية .

ـ اقامة معرض للكتاب الاسلامي .

ـ المشاركة في المعارض التي تدعى اليها الكويت .

ثالثا : في مجال المسرح :

ـ تخصيص جوائز للأعمال المسرحية الجيدة التي تتعلق بهذه المناسبة .

ـ اقامة ندوات لمناقشة دور المسرح في التوجيه نحو القيم الاسلامية .

رابعا : في مجال المؤتمرات :

ـ عقد المؤتمر الدولي للطب الاسلامي في الكويت .

ـ تعقد الكويت الندوة العلمية الثالثة للتراث العلمي العربي سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

خامسا : في مجال المحاضرات :

يستدعي عدد من المحاضرين المرموقين لالقاء محاضرات خلال فترة الاحتفالات .

ـ يطلب من الجمعيات والنوادي الثقافية اقامة مواسم ثقافية حول هذه المناسبة ويجرى طبع تلك اللقاءات في كتب .

هذا وتقوم اللجنة بتوجيه الوزارات الحكومية للاحتفال بهذه المناسبة كل في اختصاصها مثل اصدار طوابع بريد وبطاقات معايدة لهذه المناسبة وبرامج توعية وتكثيف البرامج الدينية في وسائل الاعلام واصدار تقويم خاص يشمل أهم الأحداث والمناسبات الاسلامية .

كتاب الشهر

الحق في الشريعة الاسلامية


الحق
في الشريعة الإسلامية

تأليف
دكتور محمد طموم
أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بكلية البنات الإسلامية
جامعة الأزهر
والمعار لكلية الحقوق والشريعة — جامعة الكويت

١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

تاليف الدكتور : محمد طموم
تلخيص الاستاذ : منذر شعار

صدر كتاب للدكتور محمد طموم ، سماه : « الحق في الشريعة الاسلامية » ، والدكتور محمد طموم هو الاستاذ المساعد للفقه الاسلامي المقارن في كلية البنات الاسلامية بجامعة الأزهر ، والمعار لكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت .

يقع الكتاب في عشرين ومائتي صحيفة ، من القطع المتوسط ، جرى فيه المؤلف مجرى حقوقيا اسلاميا أحاط بجوانب (الحق) كلها تبيانا وشرحا وتفصيلا ، فبدأ فاستعرض ــ بايجاز ــ أطوار الفقه الاسلامي ولا سيما فيض التواليف القديمة ، ثم بسط فصلا في المقصود من كلمة (حق) ، فعرض للكلمة لغة ثم اصطلاحا ، فالحق اسم من اسماء الله تعالى ، وهو ايضا لفظ يقع صفة ، فنقول : قول حق ، اي قول صحيح ، والحق أيضا الثواب ، وكل شيء ثابت قطعا فهو حق ، فالموت حق والبعث حق والحساب حق ، والحق ضد الباطل ، والحق النصيب ، والحق اخيرا الملك .

ثم بين المؤلف (الحق) عند علماء الأصول ، عارضا مع آرائهم رأيه ، ثم عند الفقهاء ثم عند أهل العصر ، ثم خلص الى تعريف ارتضاه في هذا الزمن ، تعريف فقهي حقوقي شرعي ما هو إلا تلخيص وترتيب لكل ما عرض ممزوجا بطرح المؤلف .

ثم عقد المؤلف فصلا لأنواع الحق ، فبين أن الحق في الشريعة الغراء نوعان : لازم وغير لازم .

فاللازم هو ما يقرره الشرع على جهة الحتم .

وغير اللازم هو ما يقرره الشرع على جهة الندب والاستحباب .

واللازم اذا فرضه الشرع وأنشأه وأوجده جعل في مقابله واجبا ، وفرض هذا الواجب على من اذا قاموا به قام ذلك الحق خير قيام ، وضرب المؤلف مثلا العملة ، فان لها وجهين لا تكون ولا تخرج الا بهما ، ولكل وجه شكل ومعنى فهما يوجدان معا ، فكذلك الحق اللازم والواجب ، لكل معنى ، ولا غنى لأحدهما عن الآخر ولا انفكاك ، لكن تلازم ووثيق ارتباط .

وذلك كما لو تزوج رجل امرأة ، فانه يكون صاحب حق عليها ، فقد نشأ له حق في الشرع ، ونشأ معه فورا واجب على مجتمع الناس ، ألا يهدروا حق الرجل ، وأن يمكنوه من الحصول على حقه ، كذلك ومن استأجر منزلا للسكن كان المستأجر صاحب حق في الانتفاع بهذا المنزل في سكناه حسب الشرع والعرف ، وفي الوقت نفسه وجب على مالك المنزل أو المؤجر والمجتمع تمكينه من الانتفاع بحقه ، وأن يمنعوا عنه الاعتداء كليا أو جزئيا .

أما الحق غير اللازم ، فاذا قرره الشرع وأوجده وأنشأه أوجد في مقابله ندبا واستحبابا ، فيستحب أداؤه لمن أراد القيام به ، وهو فرعان :

أ ــ حق مؤدي لله تعالى ، أو لنائبه كالفقير والمسكين ، وشرع فيه المسلم فقد اصبح الواجب حتما بعد ان كان ندبا واستحبابا ، وانما كان كذلك

قبل ان يشرع فيه ، فلو تطوع مسلم بصلاة لله ، فهي مستحبة مستحسنة ما لم يشرع فيها ، فاذا شرع فيها فلم يعد ، يجوز له التراجع ، وعليـه . إتمامها حتما ، فان قطعها وجب عليه قضاؤها ، وكمثـل ذلك صدقـة التطوع ، هي استحباب وندب وخيار قبل ان يشرع فيها ، فاذا شرع فيها وأخرجها وأداها للفقير فلا يجوز له التراجع فيها .

ب ـ وإن كان هذا الحق للناس ، غير الفقـير والمسكـين ، فالنـدب والاستحباب في مقابله مستمر بعد البدء فيه ، وبعد إتمامه أيضا ، ولا يتحول الحق الى لازم في مقابله واجب إلا في ظروف معينة وبشروط محددة ، ومثاله الهدية ، فالاسلام قررها من غير إلزام ، لايجاد المحبة والألفة بين الناس ، وعدم الالزام مستمر معها بعد الأداء ، ولـذلك جاز للمهـدي الرجوع في هديته ، ما لم يمنع من ذلك مانع ، والمانع المشار اليه كما لو باع المهدي له الهدية ، فليس للمهـدي الحق حينئذ في استرجاعها .

ثم عرف المؤلف الواجـب لغـة واصطلاحا . وعرف المندوب ثم أوغل في البحث وخاض خوضا شديدا في خضم الموضوع ، مكتشفا لمجاهله ، غائصا على لآلئه ، مستعرضا ما قيل من سابق ومدليا برأيه ، وقد تكلم ، فأحسن ، في الحق الوسط بين المباح والملك ، فبين الفرق بين الحقين : حق التملك وحق الملك ، ثم أشار الى حق لطيف بينهما ، هو الحق الوسط ، والشرع قد جعل له احكاما خاصة به ، فلم يجعله مساويا لحق التملك وهو المباح ، كما انـه لم يجعلـه مساويا لحق الملك وهـو المنعقـد ، والحق المباح او حق التملك ، هو ان كل انسان له ان يشتري ـ مثلا ـ ذاك العقار .. يحق له ذلك لو عرض للبيع ودفع الثمن .. فاذا كان ذلك واشتراه ووقع الايجاب من البائع فقد صار له حق الملك الكامل .. فالحق الوسط هو اذن بين هذين ، فالانسان له الحق المباح ، حق التملك ، لذلك العقار مثلا .. فاذا عرض ذلك العقار للبيع ، وجلس الرجـل والبائـع في مجلس العقد ، ووقع الايجـاب من البائع .. في هذه اللحظـة ـ صار للرجل المريد للشراء حق وسط بين التملك والملك ، بحيث إنه بارادته ـ وحده ـ أن يرتقي الى حق الملك ، لو قال : قبلت ... وهذا الحق الوسط سموه الحق الثابت أو الواجـب . فصاحب هذا الحق ، فوق حق التملك المباح .. وهو في الوقت نفسه دون حق الملك ، لأنه لم يملك بعد .

والكتاب كما عرضنا من نماذج كتاب علم وحقـوق وشريعـة ، قد اصطنع فيه المؤلف أسلوب العلماء المسلمين ، فهو مكثف وموسع ، قد أعطى الموضوع (حقه) وهو يدور على الحق ، وما يخدم الشريعة في كل زمن كالعلم والبحـث ، وأن ترفـع الخيمة الاسلامية أعمدة علميـة ، وتشدها الى الأرض أطناب من بحث وتقعيد ، ومقارنة وتنقيـب ، فقـد عرضنا عمودا من عمدها ، وطنبا من أطنابها ، وننتظر المزيد ...

الفتاوى

الصلب والترائب

السؤال ـ يقول الله تعالى في سورة الطارق « فلينظر الانسان مم خلق* خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » فكيف يتفق هذا مع ما هو معروف أن الماء الدافق هو في الخصية ؟

عادل شفيق وهدان ـ منطقة الأهرام بالجيزة مصر

الجواب ـ هذه الآية من الآيات العلمية التي ما كان العرب يعرفون عنها شيئا ، وبالتالي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم عنها شيئا لولا نزول القرآن عليه من الله « **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » وذلك من أدلة صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعواه الرسالة .

وقد ظل الناس قرونا طويلة يجهلون كيف يتخلق الجنين في بطن أمه حتى نزل القرآن فبين ذلك بدقة في سورة « المؤمنون » ووضحه النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه ، وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، وبين أن الانسان يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم أربعين يوما علقة ثم أربعين يوما مضغة ...

والمفسرون للقرآن والشارحون للأحاديث كانوا يوضحون ذلك حسب المعلومات التي كانت عندهم مع استعانتهم بمعاني الالفاظ العربية التي نزل بها القرآن ،

والترائب هى عظام الصدر ، وهل المراد صدر الرجل ، أو صدر المرأة الذي يقابله الصلب في الرجل ؟ رأيان . وإليك نموذجا من التفاسير :

أ ـ جاء في تفسير القرطبي أن الانسان يخلق من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب ، ومن ماء المرأة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدم ، وقيل من صلب الرجل وترائبه ، ومن صلب المرأة وترائبها . ولم يوضح كيف تم الخلق بهذه الصورة .

ب ـ جاء في تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري معتمدا فيه على ما في تفسير الفخر الرازى : أن الدماغ مركز الادراك وخليفته في الجسم النخاع الشوكي المخزون في الصلب ، والنخاع له شعب كثيرة تصل الى جميع أجزاء الجسم .. ولن يتم اجتماع الرجل بالمرأة إلا بقوة الحس عن طريق الدماغ والنخاع الذي في

الصلب ، وكذلك بوجود زينة المرأة التي يغلب أن تكون على ترائبها ، أي على صدرها ، ولذا عبر عن الرجل بالصلب وعن المرأة بالترائب وهذا فحوى كلام الرازى وجوهرى ، وهو تفسير سطحي لعملية تكوين الجنين .

جـ ـ وجاء في تفسير القاسمي : أن المنى باعتبار أصله وهو الدم يخرج من شئ ممتد بين الصلب ـ فقرات الظهر في الرجل ـ والترائب أي عظام صدره ، وذلك الشئ الممتد بينهما هو الأبهر « الأورطى » وهو أكبر شريان في الجسم يخرج من القلب خلف الترائب ويمتد إلى آخر الصلب تقريبا ، ومنه تخرج عدة شرايين عظيمة ، ومنها شريانان طويلان يخرجان منه بعد شريانى الكليتين وينزلان الى أسفل البطن حتى يصلا الى الخصيتين فيغذيانهما ، ومن دمهما يتكون المنى في الخصيتين ويسميان بشريانى الخصيتين أو الشريانين المنويين ، فلذا قال تعالى عن المنى « **يخرج من بين الصلب والترائب** » لأنه يخرج من مكان بينهما وهو الأورطى أو الأبهر .

د ـ هذا بعض ما جاء في كتب التفسير ، وهى محاولات لتقريب المعنى المعهود الآن مما وصل إليه العلم ، ولا شك أن الكشوف العلمية تتقدم يوما بعد يوم ، ثم رأينا في حديث للأستاذ الدكتور أحمد شوقي ابراهيم بمستشفى الكويت أن الغدد التناسلية في الجنين تكون أصلا في المنطقة الواقعة بين عظام الظهر « الصلب » وعظام الصدر « الترائب » وهذا ما يدل عليه قوله تعالى « **يخرج من بين الصلب والترائب** » سواء منه الذكر والأنثى ، فهى تخلق في نفس المكان ، ولعل مما يؤكد ذلك قوله تعالى « **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم** » فكلمة « **بنى آدم** » تشمل الذكر والأنثى . وتفصيل ذلك يرجع فيه إلى المختصين ، وبخاصة في علم الأجنة .

هذه صور من محاولات تفسير ما ورد في القرآن من الأمور العلمية . ولعل في الكشوف المستقبلة ما يوضح ذلك أكثر وأكثر ، مصداقا لقوله تعالى « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ».

إجابات قصيرة

○ **السيد/صبري محمود ـ بغداد** : ليس هناك دليل صحيح على تفضيل هذه البقعة على غيرها ، ابحث في القرآن وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه . وما وراء ذلك فأنت في حل من قبوله أو رفضه .

○ **السيد/مصطفى موسى ـ الكويت** : تقبيل من يحل له الزواج بها حرام ، وعذاب القبر ثابت وربما أفردنا له فتوى خاصة .

مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

الحرب الفكرية

وأرسل الينا الشاب أحمد عبدالمقصود على عجيلة من الاسكندرية رسالة يقول فيها :

إن أخطر ما يحاط به المسلمون اليوم من ألوان الحرب موجة فكرية خطيرة تسمى بالغزو الفكري والثقافي يدير هذه الحرب الغرب والشرق على السواء للقضاء على الاسلام ، والمسلمين بل على كل ما نتحلى به من عاداتنا وتقاليدنا وتعاليم اسلامنا الحنيف .

والمطلوب من المسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها وخاصة الأخوة الشباب أن يحذروا هذه الحرب الخطيرة التي يتسلح أعداء الاسلام فيها بالفكر ، وتركيزهم منصب على الشباب المسلم بالذات لأن الشباب هم عدة المستقبل ، وحكام الغد ، ولا يتورع هؤلاء عن الحرب في الخفاء والعلانية ، فينشرون كتبهم وأفكارهم الخبيثة ، وسط الشباب المسلم ، محاولين بذلك إضعاف العقيدة الاسلامية الراسخة في نفوسهم ، وصدهم عنها بشتى الطرق ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة فمن طريقة في اللبس الى أخرى في الشكل العام وهكذا .. وللأسف اقتدى بعض الشباب بهم وساروا على طريقتهم ، ورموا وراء ظهورهم التقاليد والمثل الاسلامية .

فيا شباب الاسلام في كل مكان التمسوا الفضل والاتباع والتقليد والهدى من دينكم .

ونحن نشد على يدى الأخ ونقول إن الهدف من هذه الدعوات الهدامة واضح لا

يحتاج الى بيان ، وقد وضح الاسلام كل نلك ، ولم يغفل نوعا من الحياة الكريمة الا حث عليه ، وندب إليها ، واقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثياب ، وكيف يتم اختياره فعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال يارسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد اذا قدموا عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة » ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حلل فأعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه منها فقال عمر يارسول الله كسوتنيها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني لم أكسكها لتلبسها » فكساها عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخا له بمكة مشركا . متفق عليه .

وقد روى عن علي رضى الله عنه قال : أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم حلة سيراء فلبستها فرأيت الغضب في وجهه فشققتها بين نسائي . متفق عليه ، وكما هو معروف أن السيراء يعني الحرير .

أرأيت ان الاسلام قد ربى أتباعه على الجميل من الأخلاق ، وعلى حسن اختيار الثياب حتى لا يترك فرصة لنا نبحث فيها عن ارتداء ما لا يناسب اخلاقنا .

وهكذا كان المسلمون فسيروا سيرهم ، واقتفوا أثرهم ، وحصنوا أنفسكم لصد التيارات الملحدة الخبيثة المقصد ، وكل ما يبتغيه المسلم في حياته الفاضلة يناله من أيسر طريق ، وأفضل منهج في الاسلام بتعاليمه التي لم تترك شيئا فيه صلاح المؤمن .

العلم خير وسيلة

وأرسل الينا الشاب محمد عبد المنعم محمد العطار معهد المنصورة الديني ـ مصر .. رسالة طويلة يشرح فيها حبه للقراءة والاطلاع وقدرته على الفهم والاستيعاب والبحث وخصوصا كتب التفسير والحديث والأدب .

ونحن نحيي فيه هذا الاتجاه ونشد على يديه بقوة لنؤكد له حسن اختياره وسلامة منهجه فهل هناك خير من إنسان جعل كل همه فهم كتاب الله وسنة رسوله والغوص في الأدب ، ولتعلم يا أخي ، أن هذا الأسلوب لم يتجه إليه طالب علم إلا وكان في الذروة وبلغ المراد . ولقد حث الاسلام على طلب العلم والاستزادة منه ولقد شرح الله صدر رسوله وعلمه ما لم يكن يعلم والقرآن الكريم يحض على طلب العلم يقول الله سبحانه: **﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾** وقوله سبحانه: **﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾** .

وقوله سبحانه: **﴿ وقل رب زدني علما ﴾** ولقد حض الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب العلم فقال: « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » ولا شك أن العلم النافع لا ينقطع أجره ، بل دائما يشبع نهم الطالبين ، ويشيع في نفوسهم اليقظة والحرص على ما أراد الله والمهم أن يعمل الانسان بما يعلم فسيتفيد ويفيد .

بأقلام القراء

جاءنا من الاستاذ عبدالله الجارالله كلمة تحت عنوان
(من آداب قارئ القرآن)
نقتطف منها ما يأتي :

لتلاوة القرآن آداب ينبغي مراعاتها والعمل بها لتكون القراءة مقبولة ومثابا عليها فمنها :

- ان يخلص لله في قراءته بأن يقصد بها رضى الله وثوابه (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين).
- ان لا يمس المصحف الا وهو طاهر من الحدث الاكبر والاصغر (لا يمسه الا المطهرون)
- أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم
- أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم اذا بدأ من اول السورة .
- ان يرتل القرآن فيقرأه على تؤدة وتمهل لان المقصود بالقراءة التدبر ولا يحصل مع السرعة قال تعالى « ورتل القرآن ترتيلا ».
- ان يسأل الله عند آية الرحمة ويتعوذ عند آية العذاب ويسبح عند آية التسبيح ويسجد اذا مر بسجدة .
- ان يلازم الخشوع عند تلاوته .
- ان يقرأه على قواعد التجويد .
- أن يتعهد القرآن بالمواظبة على قراءته وعدم تعريضه للنسيان .
- ان يحسن صوته بالقرآن ما استطاع وفي الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم ».
- يجب الاستماع والانصات لقراءة القرآن لقوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون).
- ان يحترم المصحف ولا يضع فوقه شيئا ولا يرمى به لصاحبه اذا اراد ان يناوله إياه ..

تفسير القرآن وشرفه

التفسير :
كشف معاني القرآن وبيان المراد منه وهو اجل العلوم الشرعية لان

موضوعه كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة .. والنبي صلى الله عليه وسلم بين للامة معاني القرآن كما بين لهم الفاظه وكان الصحابة رضى الله عنهم .. اذا تعلموا عشر آيات من النبي صلى الله عليه وسلم .. لم يتجاوزوها حتى يتعلموا معانيها ويعملوا بها ..

المذعورون

رد على الخائفين من تطبيق الشريعة الاسلامية

للاستاذ/ محي الدين عطية

أذعــر من الفجــر لما ظهر — أترعبــكم قطــرات المطر ؟
أمن طلعة الشمس فوق الربى — أمن دفقــة النــور لما انتشر ؟

—

أفي كل أرض هداهــا الاله — لهدى الشريعــة درب وعر ..؟
كأن الــذي خلــف كل الطبول — خبــير عتيــد يشــد الوتر ..!

—

رويدا ، فماذا يضــير العفيف — إذا ألجمــت نزوات البشر ..؟
وما رهبة الطير فوق السحاب — من الليث في الغاب مهما زأر ..؟
لئــن كان جهــلا ، فمــا عذره — ضرير ، وإن صح منه البصر .
وإن كان فسقــا ، فذا حده — وذا طهــره علــه يزدجر ..
وإن نازع الله في ملكه — فحــكم للشريعــة أن قد كفر

—

هنيئــا لكم أيهــا المؤمنون — غرستم قديما ، وهاك الثمر ..
فمــا من فسيــل ذرتــه الرياح — وما من بنــاء هوى واندثر ..
ولكن طريق الهــدى ما انتهى — ففــي غدكم منجــزات أخر ..
فليس المراد الــذي يبتغي — قوانــين تتلى ومــا من اثر ..
ولــكن سلــوك يحيــل الحياة — سبيلا إلى الله ، كي ننتصر ..

—

ولا تأبهــوا أيهــا الحاكمون — لمن قولــه بالهــوى يختمر ..
ولا بالــذي يتحــدى السما — ء فذاك أنين الــذي يحتضر ..

—

ولا تجعلوا امركم في الضعيف — وأمــا إلقــوى فلا يأتمر ..
فهدى الرســول لنــا أن ندور — مع الحق أنى جرى واستقر ..
ومــن يتخــذه شراعــا له — فزورقــه قد رعــاه القدر ..

البسملة..

نسمع بعض الأئمة يجهرون بالبسملة ، وآخرون يسرون بها عند قراءة الفاتحة .
فما توجيه ذلك . وما سبب تسميتها الفاتحة ؟
صالح بن سعيد ـ عجمان

قد ذهب جمع من العلماء كما يقول القرطبي ، الى الاسرار بها مع الفاتحة ، منهم أبو حنيفة والثوري ، وروى نلك عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وعمار ، وابن الزبير ، وبه قال أحمد بن حنبل ، وأبو عبيد .
وروى مثل نلك عن الأوزاعي حكاه ، أبو عمر بن عبدالبر في (الاستنكار) واحتجوا من الأثر في نلك بما وراه منصور بن زاذ ان عن أنس بن مالك قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعنا قراءة (**بسم الله الرحمن الرحيم**).
يقول القرطبي هذا قول حسن وعليه تتفق الآثار عن أنس ولا تتضاد .
وقد اختلف العلماء حول كونها آية من الفاتحة أو ليست بآية .
يرى عبدالله بن المبارك أنها آية من كل سورة .
وقال الشافعي هى آية في الفاتحة في بعض أقواله .
ولا خلاف بين العلماء في أنها جزء آية من القرآن في سورة النمل .

ومن أهل المدينة من يقول : انه لابد في الصلاة من (**بسم الله الرحمن الرحيم**) منهم ابن عمر وابن شهاب ، وبه قال الشافعي ، وأحمد ، واسحاق ، وأبو ثور وأبو عبيد .

وعلى هذا فانه يمكن أن تقرأها سرا وأن تقرأها جهرا كما هو واضح من الآراء السابقة . وقد أجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات . كما أجمعوا على أن البسملة من القرآن الكريم . والفاتحة أم القرآن العظيم وهى فاتحة الكتاب من غير خلاف بين العلماء ، وسميت بذلك إذ تفتتح بها قراءة القرآن لفظا ، وتفتتح بها الكتابة في المصحف ، وتفتتح بها الصلوات ، وهى أيضا المثانى ، وهى القرآن العظيم .

وهناك قول يرى أن الفاتحة من أول ما نزل من القرآن الكريم .

وقد استدل القائل بعدم الجهر بالبسملة بما رواه أنس رضى الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بـ (**الحمد لله رب العالمين**) متفق عليه .

فاتلوها سرا أو جهرا فان ذلك لا يختلف مع ما ورد من السنة .

البقشيش

هل البقشيش حرام وهل هو نوع من التسول ؟
وهل قبول القادر للصدقة أو الزكاة يعتبر مخالفا للشريعة الاسلامية ؟
فرج سليم فرج ـ مصر

البقشيش نوع من الهدايا لا يدخل تحت الصدقة أو الزكاة ، ولا بأس من قبوله مادام قد جاء دون ضغط ، وبكامل الاختيار والحرية من دافع البقشيش على سبيل التكريم وليس على سبيل الحاجة والمصلحة .

اما الصدقة والزكاة فانهما يعطيان للفقراء والمستحقين الذين عناهم الله بقوله (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله**) فهؤلاء هم الذين يستحقون الزكاة .

وما دام الانسان قادرا على العمل والكسب الحلال لا يصح أن يأخذ من الزكاة شيئا فانه يكون قد أخذ حق الفقير ، والمحتاج ، والسائل ، والمحروم ، وهو ليس كذلك .

وأيضا لا يجمل به أن يأخذ من الصدقة شيئا اذ كيف يرضى أن يضع نفسه هذا الموضع الذي لا يليق به ، وهو أصلا ممن يجب أن يدفعوا الزكاة ، وأن يقدموا للمحتاجين الصدقات ، وذلك التصرف يعتبر مخالفا للشريعة بلا شك .

فادفع الزكاة إذا ملكت النصاب ، وخذها من دافعها اذا كنت من الأصناف التي وردت في الآية الكريمة السابقة والتزم العفة في الأخذ والخلق في العطاء رعاية لشعور المحتاجين يجزك الله الخير وينم مالك ويشف مريضك .

مشروع هيئة الوقف الاسلامي في اسبانيا

تلقت الوعي الاسلامي رسالة من الدكتور احمد طريف الدباغ ـ الأمين العام المؤقت لهيئة الوقف الاسلامي باسبانيا .. يعرض فيها مشروع هيئة الوقف الاسلامي ـ ونحن بدورنا نستعرض على صفحات « الوعي الاسلامي » هذا المشروع الذي جاء في عدة مواد موزعة على عدة أبواب :

الباب الأول : التسمية والهدف :

المادة الأولى :

تقول ان هيئة الوقف الاسلامي لجنة مكونة من العاملين في الحقل الاسلامي ، وهي الهيئة التأسيسية المشرفة على شئون الوقف في اسبانيا .
ومركزها الرئيسي : شارع الميرديانا ـ برشلونه ـ رقم ٣٢٦ الطابق الأول ٦ .

المادة الثانية :

تتحدث عن أهداف الهيئة فتقول : إن أهدافها الجوهرية هي :
أ ـ الاشراف على جميع الشئون المتعلقة بتسيير نشاطات الوقف في اسبانيا .
ب ـ المحافظة على أملاك الوقف ، وتنميتها بالطرق المشروعة لدوام استمرارها ، ومن ثم إفادة مجموع المسلمين منها ، وخدمة النشاطات الاسلامية بواسطتها .
ج ـ رعاية شؤون الجالية الاسلامية في اسبانيا من خلال نظامها الداخلي .
د ـ إيجاد الروابط والعلاقات الاسلامية مع مؤسسات وجمعيات وقفية أخرى ، وتقديم الامكانات لدعم نشاطات الجالية الاسلامية في اسبانيا .

الباب الثاني : مالية الوقف :

مادة ٣ : يتكون رصيد الوقف من عقارات ، وأموال ، وأثاث ، وسيارات ، وديكورات ، ومكاتب . كما يشمل أموالا نقدية ، وسندات واوراقا مالية .
مادة ٤ : تتحدث عن تغطية النفقات عن طريق الهبات والمساعدات والتبرعات ، وكذلك عن تنمية أموال الوقف الخاصة به .
مادة ٥ : وفيها أن الأرصدة والأموال خاصة غير المنقولة تسجل في السجلات الحكومية الاسبانية .

الباب الثالث : أعضاء هيئة الوقف :

مادة ٦ : تقول :

أ ــ الهيئة تتكون من أحد عشر عضوا ، يشكلون (الجمعية العامة) .

ب ــ شروط العضوية تتمثل في :

١ ــ أن يكون العضو مسلما .

٢ ــ أن يكون كبير السن عاقلا .

٣ ــ أن يكون ملتزما بالتعاليم الاسلامية .

ج ــ أن يشارك شخصيا ويلتزم بمهام وأعمال هيئة الوقف الاسلامي حسب الأهداف .

والمادة السابعة والثامنة تتحدثان عن فقد العضو لعضويته في الهيئة والأسباب التي تؤدي الى ذلك .

الباب الرابع : التشكيل الاداري للهيئة :

مادة ٩ : تتكون من :

أ ــ الجمعية العامة .

ب ــ الهيئة التنفيذية .

مادة ١٠ : الجمعية العامة هي الهيئة المشرفة على الوقف الاسلامي ، ويمكن لجميع الأعضاء الاشتراك في التصويت والانتخاب .

مادة ١١ : تجتمع الجمعية العامة بشكل عادي مرة في العام ، وقد تجتمع بصورة استثنائية .

مادة ١٢ : في الاجتماع السنوي يتم مراجعة التقرير المالي ، ومختلف النشاطات الأخرى والموافقة عليها ، كذلك يتم اعتماد الخطة المالية والادارية للسنة الجديدة .

مادة ١٣ : تتم الموافقة على جميع القرارات بموافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة .

ثم تتعرض المواد بعد ذلك وحتى المادة التاسعة عشرة الى الحديث عن زيادة أعضاء الجمعية ، او استقالة عضو أو تنحيته ، وعن تسجيل الاجتماعات في سجلات ملائمة لها .

وأن الهيئة التنفيذية تتكون من أعضاء ثلاثة : رئيس ، وأمين سر (الأمين العام) وأمين الصندوق (المحاسب) ، ثم بينت المواد مهام الرئيس ، ومهام أمين السر ، ومهام المحاسب .

الباب الخامس : نصوص عامة :

مادة ٢٠ : في حال حدوث أمر طارئ غير اعتيادي يستلزم نقل الوقف ، يتم نقله

جمعيه ووضعه في هيئة وقفية آخرى في أى بلد اسلامي تحدده الجمعية العامة للوقف الاسلامي في اسبانيا ، آخذة بعين الاعتبار ظروف الحالة .
مادة ٢١ : الجمعية العامة لهيئة الوقف هي العنصر الوحيد الذي يمكنه تعديل أو توسيع مواد نظام الوقف ، ويتم ذلك بموافقة ثلثي الأعضاء الحاضرين للاجتماع والمكونين على الأقل الأغلبية البسيطة للجمعية العامة .
مادة ٢٢ : الهيئة التنفيذية يمكنها تنظيم المسائل المتعلقة بمواد هذا النظام ـ عندما يكون ذلك ضروريا ـ مع ضرورة اطلاع الجمعية العامة عليه لأجل اقراره .
وبعد أن استعرضنا بايجاز مشروع هيئة الوقف الاسلامي في اسبانيا ، نقول : ان الدافع وراء ظهور هذا المشروع هو المحافظة على النشاط الاسلامي في اسبانيا ، وضمان استمرارية وجوده وتطويره . فبدلا من أن تكون الممتلكات بأسماء أشخاص قد يتركون البلد أو يرحلون الى جوار ربهم ، وتنشأ عقبات في طريق العمل الاسلامي فكر العاملون بالحقل الاسلامي هناك في إنشاء هذه الهيئة ، وطلبت الهيئة رأى لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكويتية ، فأجابت اللجنة بأن المشروع موافق للشرع الاسلامي .
والهيئة تعتبر هي المحرك للنشاط الاسلامي هناك ، لذا فاننا نهيب بالمسلمين جميعا على امتداد وطننا الاسلامي الكبير أن يبذلوا كل جهد مستطاع في سبيل الدعوة الى الله ، وأن يتعاونوا مع الهيئة ، ويزودوها بما لديهم من معلومات وآراء ، وأن يتصلوا بها ، في عنوانها بمدينة برشلونة ، ويقدموا ما بوسعهم لدعم النشاط الاسلامي الذي تقوم به على العنوان التالي :

Banco Central , Agcia . n⁰ .45 - Gta .c.n⁰. 12 - 16 Barcelona — espana.

والهيئة تهيب بكل غيور على دينه الاسلامي ، وحريص على أن تسطع شمس الاسلام في أرجاء المعمورة ألا يألو جهدا في الدعم الثقافي ، حيث تنقصها الكثير من المراجع والكتب والمصاحف الكريمة الى جانب الصحف والمجلات الدورية وغير الدورية .
هذا ... وإن « الوعي الاسلامي » لترجو أن يتفاعل المسلم مع أخيه المسلم في أى مكان تواجد فيه ويحس بمشكلاته ، ويكون معه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . بهذا تنهض أمتنا الاسلامية من جديد ، وتأخذ طريقها الى فجر جديد يستمد ضياءه من أمجاد الاسلام الخالدة . وكما علمنا الرسول الكريم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » وفي الوقف الاسلامي تتمثل الصدقة الجارية . فلا تدخر وسعا أخي المسلم في مساندة إخوة لك يعملون في الحقل الاسلامي ، وفي موقع هم فيه يتوقعون مساهمتك لأنهم في حاجة الى هذه المشاركة النبيلة .. وكان الله في عون الجميع . وبالله التوفيق .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ – الشويخ – الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة – مؤسسة الاهرام – شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم – دار التوزيع – ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس – الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء – الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة – ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية – ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر – ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع – الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف – ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف – ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

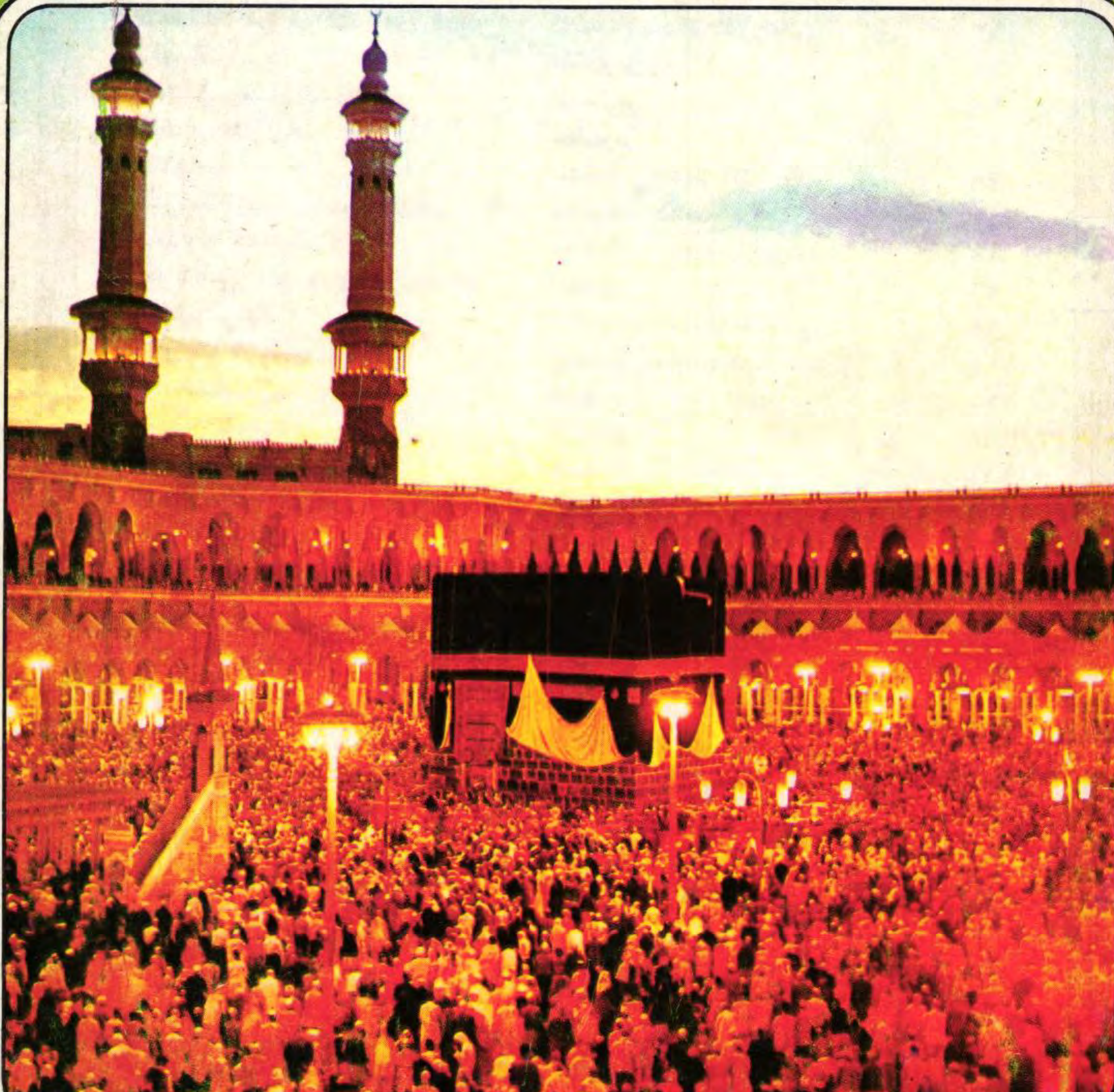
أيام الأسبوع	ذو القعدة	سبتمبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
السبت	١	٢٢	١٠ ٣٢	١١ ٥٢	٥ ٥٦	٩ ٢٤	١ ١٧	٤ ١٧	٥ ٣٦	١١ ٤١	٣ ٨	٥ ٤٥	٧ ٢
الاحد	٢	٢٣	٣٤	٥٤	٥٧	٢٤	١٧	١٨	٣٧	٤١	٨	٤٣	١
الاثنين	٣	٢٤	٣٦	٥٥	٥٨	٢٥	١٧	١٨	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠
الثلاثاء	٤	٢٥	٣٨	٥٧	٥٩	٢٥	١٧	١٩	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٨
الاربعاء	٥	٢٦	٤٠	٥٨	٥٩	٢٦	١٧	١٩	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٧
الخميس	٦	٢٧	٤١	١٢ ٠٠	٦ ٠٠	٢٦	١٧	٢٠	٣٩	٣٩	٥	٣٩	٥٦
الجمعة	٧	٢٨	٤٣	٢	١	٢٧	١٧	٢٠	٣٩	٣٩	٤	٣٧	٥٥
السبت	٨	٢٩	٤٥	٤	٢	٢٧	١٧	٢١	٤٠	٣٩	٣	٣٦	٥٣
الاحد	٩	٣٠	٤٧	٦	٣	٢٧	١٧	٢٢	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٢
الاثنين	١٠	اكتوبر	٤٨	٧	٤	٢٨	١٧	٢٢	٤١	٣٨	٢	٣٤	٥١
الثلاثاء	١١	٢	٥٠	٩	٥	٢٨	١٧	٢٣	٤٢	٣٨	١	٣٣	٥٠
الاربعاء	١٢	٣	٥٢	١١	٦	٢٩	١٧	٢٣	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩
الخميس	١٣	٤	٥٤	١٣	٧	٢٩	١٧	٢٤	٤٣	٣٧	٢ ٥٩	٣٠	٤٧
الجمعة	١٤	٥	٥٥	١٤	٧	٣٠	١٧	٢٤	٤٣	٣٧	٥٩	٢٩	٤٦
السبت	١٥	٦	٥٧	١٦	٨	٣٠	١٧	٢٥	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٥
الاحد	١٦	٧	٥٩	١٧	٩	٣٠	١٧	٢٦	٤٤	٣٦	٥٧	٢٧	٤٤
الاثنين	١٧	٨	١١ ٠٠	١٩	١٠	٣١	١٧	٢٦	٤٥	٣٦	٥٦	٢٦	٤٣
الثلاثاء	١٨	٩	٢	٢١	١١	٣١	١٧	٢٧	٤٦	٣٥	٥٥	٢٤	٤٢
الاربعاء	١٩	١٠	٤	٢٣	١٢	٣٢	١٧	٢٧	٤٦	٣٥	٥٥	٢٣	٤٠
الخميس	٢٠	١١	٦	٢٥	١٣	٣٢	١٧	٢٨	٤٧	٣٥	٥٤	٢٢	٣٩
الجمعة	٢١	١٢	٧	٢٦	١٣	٣٢	١٧	٢٨	٤٧	٣٥	٥٣	٢١	٣٨
السبت	٢٢	١٣	٩	٢٨	١٤	٣٢	١٧	٢٩	٤٨	٣٤	٥٢	٢٠	٣٧
الاحد	٢٣	١٤	١١	٣٠	١٥	٣٣	١٧	٣٠	٤٩	٣٤	٥٢	١٩	٣٦
الاثنين	٢٤	١٥	١٢	٣١	١٦	٣٣	١٧	٣٠	٤٩	٣٤	٥١	١٨	٣٥
الثلاثاء	٢٥	١٦	١٤	٣٣	١٧	٣٣	١٧	٣١	٥٠	٣٤	٥٠	١٧	٣٤
الاربعاء	٢٦	١٧	١٥	٣٥	١٨	٣٣	١٧	٣١	٥١	٣٣	٤٩	١٦	٣٣
الخميس	٢٧	١٨	١٧	٣٦	١٨	٣٤	١٧	٣٢	٥١	٣٣	٤٩	١٥	٣٢
الجمعة	٢٨	١٩	١٨	٣٨	١٩	٣٤	١٧	٣٣	٥٢	٣٣	٤٨	١٤	٣١
السبت	٢٩	٢٠	٢٠	٣٩	٢٠	٣٤	١٧	٣٣	٥٢	٣٣	٤٧	١٣	٣٠

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٨٠ ○ ذو الحجة ١٣٩٩ هـ ○ اكتوبر ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

الكعبة المشرفة في مكة المكرمة

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٨٠ ○ ذو الحجة ١٣٩٩ هـ ○ اكتوبر ١٩٧٩ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

لبيك اللهم لبيك

التلبية شعيرة من شعائر الحج ، يبدأ بها المحرم من وقت الاحرام ، إلى رمي جمرة العقبة يوم النحر بأول حصاة ، ثم يقطعها ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يزل يلبي حتى بلغ الجمرة ، أو يلبي حتى يرمي الجمرات جميعَها ، ثم يقطعها ، أو يلبي حتى تزول الشمس من يوم عرفة ثم يقطعها ، هذا بالنسبة للحج ، أما المعتمر ، فيلبي حتى يستلم الحجر الأسود . وتستحب التلبية في مواطن كثيرة : عند الركوب ، أو النزول ، وكلما ارتقى مكانا مرتفعا ، أو هبط واديا منخفضا ، أو لقى ركبا ، وفي أعقاب الصلوات ، وبالأسحار ، أو كما يقول الشافعي : ونحن نستحِبها على كل حال ..

وللتلبية فضلها عند الله ، وثِقلها في ميزان الثواب والأجر ، لأنها عهد على الطاعة ، والتزام بمنهج الاسلام ، فقد روى ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَا مِن مُسلِم يَضحِّي يومَه ، أي يظل يومه ـ يلبي حتى تغيبَ الشمس ، إلا غابَتْ ذنوبُه ، فعاد كيومَ ولدته أمه) ، وروى الطبراني وسعد بن منصور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أهل مهل قط ، الا بشر ، ولا كبر مكبر قط ، الا بشر) قيل يا نبي الله : بالجنة ؟ قال : « نعم » .

وليس من غرضي هنا أن أتناول التلبية من جهة أحكامها الفقهية ، أو أخوض في تفاصيلها مع آراء الفقهاء فيها ، فمجال ذلك كتب الفقه ، ولكني أردت أن نعيش في معنى (التلبية) ونزج بأنفسنا في نورها ، وندرك أبعادها ، ونقف على أسرارها ، ونطبق ذلك على واقع المسلمين وحياتهم ، فان كثيرا من المسلمين يؤدون عباداتهم وهم غافلون عن حكمتها ، ويرددون ألفاظا لا يفقهون معناها ، ويرون الدين ثوابا بلا عمل ، ونصرا بلا جهاد ، وثمرة بلا غرس ، وجنة بلا سعي ! ومن ثم تحولت المجتمعات الاسلامية في بعض صورها ، إلى أناس محصورين في حدود أنفسهم ، ونطاق أنانيتهم ، ودائرة منافعهم الذاتية ،

وانعكس ذلك على عملهم بنصوص الاسلام فلا يأخذون منها الا ما يشتهون !!

ان أصواتَ الحجاج تتردد أصداؤُها في فجاج الأرض ، وآفاق الدنيا ، تهتف بما أثر عن نبيها صلى الله عليه وسلم فيما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : انَّ تلبيةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : (لبَّيْك اللهمَّ لبيكَ ، لبَّيكَ لا شَريكَ لك لبيك ، ان الحمدَ والنعمةَ لكَ والملْكَ لا شريكَ لك) .

وتقول لغتنا العربية : معنى لبيك ، تلبيةٌ لك بعد تلبية ودواما على طاعتك ، واذعانا لحكمك ، واقامة على ما يرضيك واستجابة لأمرك مرةً بعد مرة ، فهل يستشعِر الحجاجُ هذا المعنى الجليلِ ، وهم يرفعون عقيرتهم بهذا النشيد الباهر !!

لقد كانت الأممُ السابقة على الاسلام ، تعرفُ اللهَ معرفةً يشوبُها القصور والخطأ (وما يُؤمنُ أكثرُهم باللهِ إلا وَهُمْ مُشركون) كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ، الا شريكا هو لكَ ، تملِكُه وما مَلَك !!

فجاء الاسلامُ ليصحح هذا التعبير ، ويُغَيِّرَ الفهمَ الذي أوْحى به ، فحول التلبيةَ إلى دعوة خالصةٍ للتوحيد ، وضراعةٍ تعلن الحمدَ لله ، وتفرده بالملك ، والإقرار بأنه مصدر النعم ، ومنبع الخير والفضل ، فما بالُ المسلمين يُعْرِضُون عن شرعِ الله ، وهم يقولونَ له : لبيك لبيك ؟!

وما بالُ المسلمين يختلِفون وربُّهم واحد ؟ وقبلتَهُم واحدة ، ودستورُهم القرآن ، ودينُهُم الاسلامُ ، ونبيهم محمدٌ عليه الصلاة والسلام ؟!

وما بالُهم يعبدون مع اللهِ أموالَهم ، وثرواتِهم ، وجاهَهم ، وسلطانَهم ، وهم يقولون له : (لبيك لا شريكَ لك لبيك) ؟!

إن كل ما نبغي ، أن يتحول الكلامُ إلى عمل ، وأن يَحُلَّ مكانَ الخصامِ وئامٌ ، ومكانَ التصدع التئامٌ ، ومكانَ الحاضرِ المعتمِ ، مستقبلٌ يتألقُ فيه نورُ الحق ، ونحتكِمُ فيه الى شرع الله .

وَمنْ غيرُ الله يستطيع أن يحولَ حالنا الى أحسن حال ؟!

وَمَنْ للمسلمين بَعْدِ الله ، يفزَعُون إليه ، كلما أحاطت بهم شِدَّة ، أو نزَل بهم كربٌ ، أو مَرُّوا في حياتهم بمنعطف صعب ؟!

كلهم سائلٌ وأنت مجيبٌ تلكَ نُعْمَاك ما لَها من نَفاد

رئيس التحرير

أحمد البيوني

ظلال في سورة الحجرات

للشيخ/عبد الحميد بلبع

سورة الحجرات إحدى سور القرآن الكريم ، تدعو إلى ما يدعو إليه القرآن ، وتهدف إلى ما يهدف إليه القرآن ـ ومعلوم أن القرآن هدى ونور ، وشفاء لما في الصدور ، وأنه نعمة الله الكبرى على البشرية يهديها إلى معالم الخير والبر ، ويعالج فيها ما نزغه الشيطان من بواعث الشرور والفتن ، فإن فيه العقيدة الفطرية التي يقرها العقل ـ ويطمئن إليها القلب ، ويستريح إليها الضمير فيه ، أسس التشريع الحكيم العادل ، يحقق للناس مصالحهم ويقيم العدل بينهم ، ويرفع الحرج عنهم ، فيه أمهات الأخلاق الكريمة ، تهذب النفس ، وتطهرها من نزغات الشيطان والرجس ، وتكفل الحياة الطيبة لمن تحلى بفاضلها ، وتخلى عن سيئها ـ إذ يقول وهو أصدق القائلين: **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** الاسراء/٩ ويقول : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)** المائدة/١٥و١٦ .

وسورة الحجرات كذلك ، تهدي إلى الحق ، وتوجه إلى معالم العدل والصدق ، وهي أوائل السور المسماة بالمفصل قيل سميت بذلك لكثرة الفصل فيها بين السور ، وهي التاسعة والأربعون من سور القرآن وعدد آياتها ثماني عشرة آية وهي مدنية بالاجماع ـ وقد وضع بعض العلماء ضابطا للمكي والمدني من سور القرآن يتلخص في أنه اذا كان الخطاب بيا أيها الناس فالسورة مكية ـ واذا كان الخطاب بيا أيها الذين آمنوا فالسورة مدنية ـ ولكن يبدو ان هذا ضابط غير مطرد وليس سببه المكية والمدنية كما يقول ـ ولكن سببه اقتضاء المقام فاذا اقتضى المقام مطالبة الناس بما تقتضيه إنسانيتهم ويتطلبه شعورهم بنعم الله عليهم ـ من الثناء والحمد لله تعالى وشكره على ما أنعم به عليهم ـ يخاطبهم بيا أيها الناس ـ ففي سورة البقرة وهي مدنية « **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** » وفي سورة النساء وهي مدنية **(يا أيها الناس اتقوا ربكم)** النساء/١ وغير ذلك ـ وإذا اقتضى المقام مطالبتهم بما يقتضيه الايمان

من امتثال الأوامر واجتناب النواهي يخاطبهم بيا أيها الذين آمنوا **(يا أيها الذين امنوا أوفوا بالعقود)** المائدة/١ . **(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم)** الحجرات/١٢ إلى غير ذلك . والقرآن في قمة البلاغة ، والبلاغة هي مطابقة الخطاب لمقتضى الحال ــ ولكل مقام مقال ــ وسميت هذه السورة بسورة الحجرات ويقال في تسميتها بذلك ما قيل في تسمية سور القرآن جميعا ــ من أن اسم السورة يؤخذ من أهم ما اشتملت عليه السورة من أحكام أو أحداث أو أسماء مثل سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وسورة المائدة فكلها سميت بأحداث وأحكام ذكرت في السورة نفسها ــ وسورة الحجرات التي معنا تضمنت حدثا ذكر فيه لفظ الحجرات إذ تقول:**(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)** الحجرات/٤ فسميت بالحجرات لذلك ــ وسيأتي الكلام عن هذا الحدث عند الكلام عن هذه الآية إن شاء الله تعالى .

« ما تهدف إليه سورة الحجرات »

تهدف هذه السورة الكريمة الى تحقيق الوحدة الدينية العامة التي دعا الاسلام إليها ، وأمر بها وكلف المؤمنين جميعا بتحصيلها فيقول : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)** آل عمران/١٠٢ و١٠٣ نستطيع ان نأخذ من هذه الآية الكريمة ركيزة تعتمد عليها الوحدة العامة في قيامها ، وأساسا متينا تنهض عليه الشخصية الاسلامية في مجتمعها ــ هو العلاقات العامة والروابط الخاصة بين المسلمين .. أفرادا وجماعات وهيئات ، نأخذها من قوله تعالى : **(إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) .**

« ما تضمنته السورة من موضوعات »

من أجل هذا ولتحقيق الغاية السامية النبيلة « الوحدة الدينية العامة » تضمنت السورة حقائق ومبادئ وتعاليم ومناهج لتحسين العلاقات العامة بين المسلمين أفرادهم وجماعاتهم وهيئاتهم ، ودعم الراوبط الخاصة فيهم كذلك ومن بين هذه وتلك ، تنبثق الوحدة الدينية العامة التي تهدف السورة اليها .

نزلت سورة الحجرات بعد سورة المجادلة ــ والمجتمع آنذاك لا يزال في بداوته الجافة ــ جفوة في التخاطب

غلظة في التفاهم ، قسوة في التعامل ، لا يرقبون في العلاقات العامة ، ولا في الروابط الخاصة إلا ولا ذمة وهذه كلها أمراض نفسية اجتماعية ـ لذا ضمن الله الـرؤوف الرحيـم هذه السورة علاج هذه الأمراض ، ووجه الى بديل لها في التعامل العام ـ وبهذا أصبحت السورة على صغر حجمها ، وقلة عدد آياتها متضمنـة الكثـرة الكثيرة ، من الحقائق والمبـادئ ، ومن التوجيهات والمناهج الكفيلة بنقل المجتمـع من البـداوة الباليـة الى الحضارة الرقيقة السامية ـ ومـن الجفوة والغلظة الى الملاينة والرقة ـ والكفيلـة أيضا بمـا قالـه بعض العلماء : إن هذه السورة تكاد تستقل بوضع معالم كاملـة لعالـم رفيـع وكريم ـ وإنا لا نجد بين سور القرآن مثل هذه الظاهرة الفذة النادرة .

وأول ما تدعو اليه السورة الأدب مع الله ومع رسول الله ـ ولا يمكن أداء هذا ولا الوفاء به الا اذا أدرك المؤمن ذل عبوديته بين يدي عظمة خالقه ـ فانه لا يجرؤ اذن أن يقدم بين يدي ربه حكما في أمر أو اقتراحا في شأن قبل أن يقول الله فيه قوله ـ يدفعه الى هذا تقواه لله وخشيته منه ـ وفي هذا تقول السورة الكريمـة : **(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم)** الحجرات/١ .

وأدب آخر خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ تقول فيه السورة : **(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبـي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون)** الحجـرات/٢ ـ ٥ الى قوله **والله غفور رحيم** واذا فوجئ المؤمن بنبأ يثير العواطف ويستفـز النفس ويدعو الى الاندفاع في قول أو عمل يتنافى مع سماحة الايمان وعفو اليقين ـ وقد لا تحمد عقباه ـ هنا تدعو السورة الى ما تقتضيه رحابة الايمان من التريث والتثبت لاستجلاء حقيقة الأمر والحكم بما تقتضيه ـ وتقول في ذلك : **(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحـوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الـراشدون . فضلا من الله ونعمـة والله عليـم حكيـم)** الحجرات/٦ ـ ٨ .

ويتجلى واضحا فيما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال له صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمن: « بم تحكم »؟ قال : بكتاب الله تعالى ـ قال ـ صلى الله عليه وسلم: فأن لم تجد .. قال : بسنـة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « فأن لم تجد » قال رضى الله عنه ـ: اجتهد رأيي ـ فضرب في صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله » يعني أنه آخر

رأيه واجتهاده الى بعد الكتاب والسنة وأنه لو قدمه من قبلهما لفعل التقديم المنهى عنه في الآية — ويتجلى ايضا فيما كان منهم في عرفة يوم عرفة في حجة الوداع — ورسول الله يخطبهم ويسألهم عن اليوم الذي هم فيه ، وعن المكان الذي هم فيه — وهم يعلمونه حق العلم فيتحرجون أن يجيبوا بما يعلمون خشية أن يكون ذلك تقدم بين يدي الله وسوله — وكانوا يؤثرون الاجابة بقولهم « الله ورسوله أعلم » هذه صورة مما كان عليه المؤمنون بعد أن سمعوا هذا الأدب ينزل من السماء على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .. وما أحرانا أن نحذو حذوهم ونسلك طريقهم وفي محيط مجتمعنا ما يستدعي أن نتأدب بهذا الأدب معه

قال الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم . يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**) الحجرات/١ و٢ . بهذا القول الحكيم تبدأ سورة الحجرات بما تضمنته من آداب وأحكام ، ومن حقائق ومبادئ وتوجيهات — ونبدأ معها بالقاء نظرات على هذا الذي تضمنته ، نستوعبه ونبحثه ، ونستخلص منه ما هو غذاء للروح ، وتوعية للنفس ، ودعم للايمان ، نقدمه للناس داعيا الى الله ، وهاديا الى معالم الحق ، ومنقذا من إغواء الشيطان ، رجاء النفع والانتفاع به ، والتقرب الى الله بأدائه ، والأمل الطامع في فضل الله الواسع ، أن يمن بقبوله والمثوبة عليه ، إنه تعالى واسع الفضل كريم .

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » ابتدأ الخطاب بالنداء تنبيها للمخاطب ليستجمع مداركه وحواسه لتلقى ما في حيز الخطاب من أمر عظيم يستدعى الاهتمام به والعناية بشأنه ، ووصف المنادي بالايمان ليبعث فيه النشاط وحفظ ما يوجه اليه ، والقيام بتنفيذه ، استجابة لداعى الايمان — لا تقدموا — فيها قراءتان : القراءة الأولى : لا تقدموا : بضم التاء ، وفتح القاف ، وكسر الدال مشددة ، مأخوذ من التقديم — ولا حرف نهى — وتقدموا مجزوم بلا الناهية — والمقصود بالنهي هنا — للعلماء فيه رأيان — يرى بعضهم أن المقصود بالنهى التقديم فقط — من غير اعتبار تعلقه بأمر من الأمور — ويكون المعنى : لا تقدموا بين يدى الله ورسوله — أي لا تفعلوا التقديم — على حد كلوا واشربوا ولا تسرفوا : فهو أمر بتحصيل الأكل والشرب من غير نظر لنوع المأكول والمشروب — أي كلوا ما شئتم — ويرى بعض آخر أن المقصود بالنهي مفعول محذوف — والمقرر علميا أن حذف المعمول يؤذن بالعموم — ويرى بعض العلماء ترجيح الرأي الأول لافادته النهي عن ممارسة التقديم — وهذا يستلزم انتفاء متعلقه من غير احتياج الى

نص .

القراءة الثانية : لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال مشددة ، مع حذف إحدى التاءين من تتقدموا ــ من التقدم لا التقديم ــ أي لا تقولوا في أمر قبل قول الله ورسوله فيه ــ وقوله بين يدى الله ورسوله صريح في ان المراد استعمال هذا الأدب مع الله سبحان ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ــ وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر لفظ الجلالة في الآية تعظيما لرسول الله وإيذانا بارتفاع مكانته عند ربه ــ وايا كان هذا او ذاك فهو أدب نفسي يراعى مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم وقد تأدب به المؤمنون آنذاك فما كان أحد منهم يجرؤ أن يسبق الله ورسوله في قول او فعل وما كان أحد منهم يدلى برأي لم يطلب منه رسول الله صلوات الله عليه أن يدلى به :

(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) هذا توجيه وإرشاد للأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث له وفي التخاطب معه مع توقيرهم له في كيفية الأداء ، بالاعتدال في الصوت والاتزان في الكلم وتوخى اللين القريب من الهمس في المخاطبة شأن مخاطبة الكبراء ــ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي . « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » أي لا ترتفعوا بأصواتكم فوق الحد الذي يرتفع اليه النبي صلوات الله عليه بصوته ، ولا تجهروا الجهر المعتاد بين بعضكم لبعض بل اجعلوا صوتكم اخفض من صوته ، لذا نهى الله عن كل ما يجافي الأدب معه وعدم الاكتراث بشخصه ومركزه كنبي ورسول وعن كل ما يشعر أنه انسان عادي غير متميز في شخصيته ولا في مجلسه ولحرص الله على تعظيم رسوله ، وتوقيره من أتباعه حذرهم من مخالفة ما نهاهم عنه تحذيرا تقشعر منه الجلود إذ يقول :

(أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) وهذا التحذير للنهي ــ اي لا تجهروا له بالقول خشية أن تحبط أعمالكم أي يبطل ثوابها على غير علم منكم بسبب رفع الصوت والجهر بالقول ، حيث قد يغضبه هذا الجهر ، فيغضب الله لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري على حد قول الرسول في الحديث الصحيح « أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يكتب له بها الجنة ، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض » نزلت هذه الآية والتي قبلها فيما جرى بين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما لدى النبي صلوات الله عليه وقد قدم عليه وفد من بني تميم وطلبوا اليه أن يؤمر عليهم واحدا منهم ، هنا تقدم أبو بكر وقال:

أمر القعقاع بن معبد .

وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس ــ بهذا تقدم كل واحد منهم بين يدي رسول الله بالقول قبل ان يقول رسول

الله رأيه وهى مخالفة نزل فيها قوله تعالى « لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » ولم يقفا عند هذا الحد بل قال أبو بكر لعمر : ما أردت الا خلافي ـ وقال عمر ما اردت خلافك ، أي ما أردت مخالفتك تعنتا ولكن أردت أن الأقرع أصلح لهم فتخاصما وعلت بذلك أصواتهما ، فنزل قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم**) الآية قال ابن الزبير رضى الله عنه ـ فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه أي حتى يستفهم الرسول منه عما يريد وروى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لما نزلت هذه الآية قلت يارسول الله ـ والله لا أكلمك إلا كأخي السرار يعني كالهمس ـ هذا ويبدو ان جملة ولا تجهروا له بالقول كالمكررة مع الجملة قبلها (لا ترفعوا أصواتكم) فان مدلول الجهر بالقول كمدلول رفع الصوت ولكن بالتأمل يتضح أن مدلول جملة ولا تجهروا اكثر شمولا وأوسع نطاقا وأجمع معنى من جملة « لا ترفعوا أصواتكم » يوحى بذلك قوله كجهر بعضكم لبعض فان الجهر والحال هذه يكتنفه ـ حركات استفزازية والفاظ بدائية ، وإشعار بأن كل ذلك موجه لشخص عادي غير متميز بشيء بذا يتلاشى ما بين الجملتين من شبه التكرار ويبدو كأنه سراب .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : (**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**) الى قوله (**وانتم لا تشعرون**) وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت ـ فقال انا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم انا من اهل النار .. أنا حبط عملي وجلس في اهله حزينا تفقده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم إليه ـ فقالوا له ـ تفقدك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مالك : قال : أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول ، حبط عملي ـ وأنا من أهل النار ـ فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال ـ فدعاه فسأله ـ فقال : يارسول الله ـ لقد أنزلت هذه الآية ـ وإني رجل جهير الصوت فأخاف ان يكون عملي قد حبط ـ فقال له عليه الصلاة والسلام : لست هناك ـ إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة »ـ قال أنس رضى الله عنه فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة » . وهكذا تأدب المؤمنون في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون ـ وهكذا ارتجفت قلوبهم تحت وقع هذا التحذير الرهيب الذي يتجلى من قصة ثابت بن قيس الشماس المتقدمة ووضعت السورة رابطة بين المؤمن والمؤمن هى رابطة الايمان « **انما المؤمنون اخوة** » ومعلوم أن للاخاء حقوقا يجب ان

تراعى ، وله واجبات يجب ان تؤدي ، فيراعى المؤمن اخاه المؤمن ، يحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، كما قال الرسول صلوات الله عليه « المسلم اخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وعرضه وماله » رواه ابو داود وابن ماجه .

ولقد راعت السورة مجريات الأحداث وأنه قد يحدث بين الأخ وأخيه ما يخلخل كيان الاخاء بينهما اذا ترك دون علاج لذا رسمت السورة للعلاج طريقا منبثقا من قاعدة الأخوة بين المؤمن والمؤمن فتقول : **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)** الحجرات/ ٩ و ١٠ .

وعلاجا للأمراض النفسية والاجتماعية . نهى الله عن كثير من الاخلاق السيئة الضارة بالنفس وبالغير ، والمفككة لروابط المجتمع والقاضية على العلاقات الحسنة بين الناس فقال : **(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن)** الآيات الى قوله تعالى . **(ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)** الحجرات ١١ و ١٢ .

وقديما اعتاد الكثير من الناس ان يفخروا بما أوتوا من متاع الحياة الدنيا وزينتها ، أو بما أوتوا من نباهة الشأن وحسن السمعة ، والذكر في المجتمع ، ومثل هذا لا يفتخر به ، اذ لا دوام له ولا نفع منه ، وانما يفتخر بالنافع الدائم كتقوى الله مثلا ـ وفي هذا تقول السورة: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم)** الحجرات/ ١٣ . وسيأتي لهذا مزيد ايضاح ان شاء الله وتختتم السورة عرض ما تضمنته من حقائق ومبادئ ومن وصايا وتعليمات وتوجيهات بكلمة عن الايمان بالله وهو أس العقيدة الدينية التي تكفل النجاة من التعذيب ومن التخليد في النار يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وسيأتي له مزيد إيضاح إن شاء الله ـ وفي هذا تقول السورة : **(قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم)** الى قوله: **(يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين . إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون)** الحجرات/ ١٤ ـ ١٨ .

كلوا من طيّبات ما رزقناكم

إعداد : الشيخ احمد عبد الواحد البسيوني

بينا في مقال سابق دعوة الاسلام إلى تحري الحلال ، والبعد عن الحرام ، وأن من كسب مالا من حلال فأنفق منه ، بارك الله له فيه ، وتقبل منه ، فان الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ومن كسب مالا من حرام كغلول وغصب وربا ثم تصدق منه فصدقته مردودة عليه ، ثم يجمع الله ما أنفق في سبيل الشر ثم يقذف به في نار جهنم ..

وأعلم أن من العلماء من جعل تصرف الغاصب ونحوه في مال غيره موقوفا على إجازة مالكه ، فان أجاز تصرفه فيه جاز . وقد حكى بعض أصحابنا رواية عن أحمد أنه من أخرج زكاته من مال مغصوب ثم أجازه المالك جاز ، وسقطت عنه الزكاة . وكذلك خرج ابن أبى الدنيا رواية عن أحمد أنه إذا أعتق عبد غيره عن نفسه ، ملتزما ضمانه في ماله ثم أجازه المالك جاز ونفذ عتقه ، وهو خلاف نص أحمد . وحكى عن الحنفية أنه لو غصب شاة فذبحها لمتعته وقرانه ، ثم أجازها المالك ،

عن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ اللهَ تعالى طيبٌ لا يَقبلُ إلا طيباً ، وإنَّ الله تعالى أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ بهِ المرسَلِين ، فقال تعالى : « يا أيُّها الرسُلُ كلُوا من الطيباتِ واعْمَلوا صالحاً » الآية . وقال تعالى : « يا أيُّها الذينَ آمنوا كُلوا من طيِّباتِ ما رَزَقْناكم واشْكُروا للهِ إن كنتمْ إيّاهُ تَعْبُدون » . ثم ذكرَ الرَّجُلَ ، يُطيلُ السفرَ أشْعَثَ أغْبَرَ ، يَمدُّ يَدَيْه إلى السَّماءِ يا رَبِّ يا رَبِّ ، ومطعَمُهُ حَرامٌ ، ومَشْرَبُه حَرامٌ ، ومَلْبَسُه حَرامٌ ، وَغُذِيَ بالْحَرامِ ، فأنَّى يُسْتَجابُ لِذلك ؟) .

رواه مسلم .

أجزأت عنه . الوجه الثاني من تصرفات الغاصب في المال المغصوب ، أن يتصدق به على صاحبه إذا عجز عن رده إليه وإلى ورثته ، فهذا جائز عند أكثر العلماء : منهم مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم . قال ابن عبد البر : ذهب الزهري ومالك والثوري والأوزاعي والليث ، إلى أن الغال إذا تفرق أهل العسكر ولم يصل إليهم ، أنه يدفع إلى الامام خمسه ويتصدق بالباقي ، روى ذلك عن عبادة بن الصامت ومعاوية والحسن البصري ، وهو يشبه مذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما على جواز الصدقة بها بعد التعريف وانقطاع صاحبها ، وكذلك المغصوب انتهى .

وروى عن مالك بن دينار قال : سألت عطاء بن أبي رباح ، عمن عنده مال حرام ولا يعرف أربابه ويريد الخروج منه ؟ قال : يتصدق به ، ولا أقول إن ذلك يجزئ عنه . قال مالك كان هذا القول من عطاء أحب الى من وزنه ذهبا . وقال سفيان فيمن اشترى من قوم شيئا مغصوبا : يرده إليهم ، فان لم يقدر عليهم ، يتصدق به كله ، ولا يأخذ رأس ماله ، وكذا قال فيمن باع شيئا ممن تكره معاملته لشبهة ماله قال يتصدق بالثمن ،

وخالفه ابن المبارك وقال : يتصدق بالربح خاصة ، وقال أحمد : يتصدق بالربح ، وكذا قال فيمن ورث مالا من أبيه وكان أبوه يبيع ممن تكره معاملته : أنه يتصدق منه بمقدار الربح ويأخذ الباقي .

وقد روى عن طائفة من الصحابة نحو ذلك : منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعبد الله بن يزيد الانصاري رضي الله عنه ، والمشهور عن الشافعي رحمه الله في الأموال الحرام ، أنها تحفظ ولا يتصدق بها حتى يظهر مستحقها . وكان الفضيل ابن عياض يرى أن من عنده مال حرام لا يعرف أربابه ، أنه يتلفه ويلقيه في البحر ولا يتصدق به ، وقال : لا يتقرب إلى الله إلا بالطيب ، والصحيح الصدقة به ، لأن إتلاف المال ، وإضاعته منهي عنه ، وإرصاده أبدا ، تعريض له للاتلاف واستيلاء الظلمة عليه ، والصدقة به ليست عن مكتسبه حتى يكون تقربا منه بالخبيث ، وإنما هي صدقة عن مالكه ليكون نفعه له في الآخرة ، حيث يتعذر عليه الانتفاع به في الدنيا .

وقوله : (ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يارب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟) هذا الكلام أشار فيه صلى الله عليه وسلم إلى آداب الدعاء ، وإلى الأسباب ، التي تقتضي إجابته ، وإلى ما يمنع من إجابته ، فذكر من الأسباب التي تقتضى إجابة الدعاء أربعة : أحدها إطالة السفر ، والسفر بمجرده يقتضي إجابة الدعاء كما في حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد لولده) أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذي وعنده (دعوة الوالد على ولده) . وروي مثله عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله : ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء ، لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان ، وتحمل المشاق ، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء ـ ولا يخفى أن ذلك في سفر الطاعة كطلب العلم والتجارة المشروعة ـ والثاني حصول التبذل في اللباس والهيئة ، بالشعث والاغبار ، وهو أيضا من المقتضيات لاجابة الدعاء ، كما في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم (رب أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم للاستسقاء خرج متبذلا متواضعا متضرعا .

وكان مطرف بن عبدالله قد حبس له ابن أخ ، فلبس خلقان ثيابه ، وأخذ عكازا بيده ـ أي عصا ذات زج يتوكأ عليها ـ فقيل له ما هذا ؟ قال : أستكين لربي لعله أن يشفعني في ابن أخي .

الثالث مد يديه إلى السماء ، وهو من آداب الدعاء التي يرجى بسببها

إجابته . وفي حديث سلمان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أن الله تعالى حيي كريم ، يستحيي اذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين) خرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .. وروى نحوه من حديث أنس وجابر وغيرهما ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض أبطيه ، ورفع يديه يوم بدر يستنصر الله على المشركين ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة رفع يديه في الدعاء أنواع متعددة : فمنها أنه كان يشير بأصبعه السبابة فقط . وروى عنه أنه كان يفعل ذلك على المنبر ، وفعله لما ركب راحلته ، وذهب جماعة من العلماء إلى أن دعاء القنوت في الصلاة يشير فيه بأصبعه : منهم الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز واسحق بن راهويه . وقال ابن عباس وغيره : هذا هو الاخلاص في الدعاء . وقال أبن سيرين : إذا أثنيت على الله ، فأشر باصبع واحدة . ومنها أنه صلى الله عليه وسلم رفع يديه وجعل ظهورهما إلى جهة القبلة وهو مستقبلها ، وجعل بطونهما مما يلي وجهه . وقد رويت هذه الصفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستسقاء ، واستحب بعضهم الرفع في الاستسقاء على هذه الصفة ، منهم الجورجاني . وقال بعض السلف : الرفع على هذا الوجه تضرع ، ومنها عكس ذلك .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء أيضا ، وروى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يدعون كذلك . وقال بعضهم : الرفع على هذا الوجه استجارة بالله واستعاذة به : منهم ابن عمر وابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه كان إذا استعاذ رفع يديه على هذا الوجه ، وجعل كفيه إلى السماء وظهورهما إلى الأرض) . وقد ورد الأمر بذلك في سؤال الله عز وجل ، في غير حديث . وعن ابن عمر وأبى هريرة وابن سيرين ، أن هذا هو الدعاء والسؤال لله عز وجل . ومنها عكس ذلك ، وهو قلب كفيه وجعل ظهورهما إلى السماء وبطونهما إلى ما يلي الأرض ، وفي صحيح مسلم عن أنس (أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء) . وخرجه الامام أحمد رحمه الله ولفظه (فبسط يديه وجعل ظاهرهما مما يلي السماء) . وخرجه أبو داود . ولفظه (استسقى هكذا : يعني النبي صلى الله عليه وسلم مد يديه وجعل بطونهما مما يلي الأرض) . وخرج الامام أحمد من حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة يدعو هكذا ورفع يديه حيال ثندوته ــ والثندوة كسنبلة وبفتح أوله : لحم الثدي ــ وجعل بطون كفيه مما يلي الأرض » وهكذا وصف حماد بن سلمة رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه بعرفة . وروى عن ابن سيرين أن هذا هو الاستجارة .

وقال الحميدي : هذا هو الابتهال . والرابع الالحاح على الله عز وجل بتكرير ذكر ربوبيته وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء . وخرج البزار من حديث عائشة أم المؤمنين مرفوعا : « إذا قال العبد يا رب أربعا قال الله : لبيك عبدي سل تعطه » . وخرج الطبراني وغيره من حديث سعد ابن خارجة « أن قوما شكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قحوط المطر ، فقال : اجثوا على الركب وقولوا : يا رب يا رب ، وارفعوا السبابة إلى السماء ، فسقوا حتى أحب أن يكشف عنهم » وفي المسند وغيره عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاة مثنى مثنى ، وتشهد في كل ركعتين ، وتضرع وتخشع وتمسكن وتقنع يديك تقول ترفعهما إلى ربك مستقبلا بهما وجهك وتقول : يا رب يا رب ، فمن لم يفعل ذلك فهي خداج) ـ بكسر الخاء المعجمة أي ناقصة ـ وقال يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا (ما من عبد يقول يا رب يا رب الا قال له ربه : لبيك لبيك) . ثم روى عن أبى الدرداء وابن عباس رضي الله عنهما أنهما كانا يقولان : (اسم الله الأكبر رب ، رب) . وعن عطاء قال : ما قال عبد يا رب يا رب ثلاث مرات ، إلا نظر الله اليه ، فذكر ذلك للحسن فقال : أما تقرءون القرآن ؟ ثم تلا قوله تعالى : **(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)** آل عمران ١٩١ ـ ١٩٤ . ومن تأمل الأدعية المذكورة في القرآن وجدها غالبا تفتتح باسم الرب كقوله تعالى : **(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)** البقرة/١٠٢ ، **(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)** البقرة/٢٨٦ . وقوله : **(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)** آل عمران/٨ . ومثل هذا في القرآن كثير . وسئل مالك وسفيان عمن يقول في الدعاء يا سيدي ، فقال : ألا يقول يا رب ؟ زاد مالك : كما قالت الأنبياء في دعائهم .

وأما ما يمنع إجابة الدعاء فقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى أنه التوسع في الحرام أكلا وشربا ولبسا وتغذية . وقد سبق حديث ابن عباس في هذا المعنى أيضا ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد : (أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة) فأكل الحرام ، وشربه ، ولبسه ، والتغذي به ، سبب موجب لعدم إجابة الدعاء . وروى عكرمة بن عمار حدثنا

الأصفر قال : قيل لسعد بن أبي وقاص : تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها ومن أين خرجت . وعن وهب بن منبه قال : من سره أن يستجيب الله دعوته ، فليطيب طعمته . وعن سهل بن عبد الله قال : من أكل الحلال أربعين صباحا ، أجيبت دعوته . وعن يوسف بن أسباط قال : بلغنا أن دعاء العبد يحبس عن السموات بسوء المطعم . وقوله صلى الله عليه وسلم (فأنى يستجاب لذلك) معناه كيف يستجاب له ، فهو استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد ، وليس صريحا في استحالة الاستجابة ومنعها بالكلية ، فيؤخذ من هذا أن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الاجابة ، وقد يوجد ما يمنع هذا المانع من منعه ، وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعا من الاجابة أيضا ، وكذلك ترك الواجبات كما في الحديث (إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع استجابة دعاء الأخيار وفعل الطاعات يكون موجبا لاستجابة الدعاء) . ولهذا لما توسل الذين دخلوا الغار وانطبقت الصخرة عليهم بأعمالهم الصالحة التي أخلصوا فيها لله تعالى ودعوا الله بها أجيبت دعوتهم . وقال وهب بن منبه : مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر . وعنه قال : العمل الصالح يبلغ الدعاء ، ثم تلا قوله تعالى : **(اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)** فاطر/١٠ . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح . وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : يكفي مع البر من الدعاء مثل ما يكفي الطعام من الملح . وقال محمد بن واسع : يكفي من الدعاء مع الورع اليسير . وقيل لسفيان : لو دعوت الله ؟ قال : إن ترك الذنوب هو الدعاء . وقال الليث : رأى موسى عليه الصلاة والسلام رجلا رافعا يديه وهو يسأل الله مجتهدا ، فقال موسى عليه السلام ، أي رب عبدك دعاك حتى رحمته ، وأنت أرحم الراحمين ، فما صنعت في حاجته ؟ فقال يا موسى لو رفع يديه حتى ينقطع ما نظرت في حاجته حتى ينظر في حقي . وخرج الطبراني باسناد ضعيف عن ابن عباس مرفوعا ما معناه . وقال مالك ابن دينار : أصاب بني اسرائيل بلاء فخرجوا مخرجا ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة وترفعون إلى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام ، الآن اشتد غضبي عليكم ، ولن تزدادوا مني إلا بعدا ! وقال بعض السلف : لا تستبطئ الاجابة وقد سددت طرقها المعاصي ، وأخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال :

نحن ندعو الاله في كل كرب
ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدعاء
قد سددنا طريقها بالذنوب



للاستاذ ابراهيم النعمة

عرف الحج في امم كثيرة ، بل عرف في كل أمة ـ يقول ولي الله الدهلوي : « أصل الحج موجود في كل امة إذ لا بد لهم من موضع يتبركون به لما رأوا من ظهور آيات الله فيه ، ومن قرابين وهيئات مأثورة عن أسلافهم يلتزمونها ، لأنها تذكر المقربين وما كانوا فيه » .

وكان لهذه الأمم أمكنة مقدسة تشد اليها الرحال . وقد اكتشف ذلك علماء الآثار حين كانوا يقومون بعملية الحفر ، لكن تفصيل تلك الطقوس والمناسك صارت مجهولة في عصرنا هذا ، إذ لم يقرر علماء الآثار ما قرروا إلا على الظن والتخمين والقياسات والأخبار المبتورة !

هذه الحقيقة ـ حقيقة أن لكل أمة منسكا ـ ذكرها القرآن الحكيم قال تعالى :

(ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فالهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) الحج / ٣٤

وقال :

(لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع الى ربك إنك لعلى هدى مستقيم) الحج / ٦٧ .

ففي اليهودية عرف الحج الى بيت المقدس الذي كان يدعى بالزيارة وكان يؤدي في أعياد ثلاثة هي : عيد الحصاد ، وعيد الفصح (اليهودي) ، وعيد المظال .

أما عند النصارى فقد عرف الحج في زيارتهم لمشهد (الحياة الدنيوية لسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ في فلسطين أو مراكز زعماء الدين المقدسة في (روما) أو الأمكنة المقدسة التي تنسب إلى المقبولين من الزهاد والشهداء) .

وقد عرف الحج ـ أيضا ـ في الديانات الهندية : كالبوذية ، إذ كان البوذيون يحجون في مدينة كيا (Gaya) في ولاية (بهار) . لكن هذه الديانات كلها لم تتجه إلى مناسك حجها سهام النقد ، بل اتجهت إلى الاسلام فقط ! وليس ذلك فحسب ، بل كان كبار الساسة وعظماء القادة ينظرون إلى الكعبة ـ زادها الله تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما ـ نظرة خاصة حيث يعتبرونها سببا مهما من أسباب قوة ووحدة المسلمين ، لذلك كانت خطبهم ومقالاتهم ومؤتمراتهم واجتماعاتهم تعج بذكر الكعبة وما يمكن ان يتخذ لصد المسلمين عنها أو التهوين من شأنها ، بل لقد صرح بعض

المستعمرين بأن بريطانيا لا يمكن ان يستقر لها قرار في الشرق ما دام هناك قرآن يتلى وكعبة تزار . ويقول المبشر (وليم جيفورد بلجراف) :
« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه » .
ويكتب أحد المبشرين تقريرا عن النشاطات التي قامت بها الحركات التبشرية ، معددا فيه أسباب إخفاقهم الذريع فيقول :
« سيظل الاسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي ما دام للاسلام هذه الدعائم الأربع : القرآن والأزهر ، واجتماع الجمعة الاسبوعي ومؤتمر الحج السنوي » .
إن هذا التخويف وذلك التحذير والتحريض الذي قاله وقرره علماء وقادة غربيون عن أهمية الحج في حياة المسلمين ، جعلني أقف وقفات كثيرة أمام سر ذلك وأسائل نفسي :
لماذا الخوف من الكعبة ؟
وكيف يكون وجود مكة سببا في احتفاظ المسلمين بشخصيتهم وعدم ذوبانهم في الحضارة الغربية الحاقدة ؟
وكيف يكون الحج عاملا مهما يجعل المسلم يتمسك باسلامه ويجاهد من أجله ؟
لكن ذلك السر الذي خفي عني ، وظل يعتمل في نفسي فترة ليست بالقصيرة انكشفت غوامضه ، واتضحت بواعثه ، وظهر ما كان خافيا عني حين يسر الله لي أداء هذه الفريضة ، ورأيت في تلك الرحلة المباركة ما رأيت ، وتبين لي أن الكعبة ــ حقا ــ خطر كبير يهدد اوروبا كلها ، بل العالم أجمع ، حين يعي المسلمون حقيقة العبادة ، ويدركون سر وجود الكعبة في هذه الديار ، ولماذا أمر الله بالحج إليها ؟
وأول ما يستلفت النظر في أمر الحج أنه طاعة لله ليس إلا .. أمر بالحج ، فأقبل الناس ممتثلين يؤدون المناسك من غير نقاش أو جدال ..! وهذا لا يمنعنا أن نذكر جانبا من الحكم والفوائد التي ظهرت لنا من هذه الفريضة ، وقد يكون ما خفي عنا من حكمها أكثر مما ظهر ، لأن القرآن العظيم علل رحلة الحج بقوله تعالى :
(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) الحج/٢٧ ، ٢٨ .
فان هذا التعليل فتح آفاقا شاسعة وأبوابا واسعة أمام من يستنبط من هذه المنافع المشهودة التي هي عامة شاملة لم تقيد ولم تحدد . ومن هذه المنافع والفوائد تجمع المسلمين وتوحدهم . وهل في الوجود عقيدة أو مبدأ دعا إلى الوحدة والتوحد كما دعا الاسلام ؟ لذلك سن لنا الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة كل يوم ، وأمرنا الله ان نصلي الجمعة في جماعة ، فيجتمع على أداء هذه

الفريضة عدد كبير من الناس . وأمرنا ان نجتمع اجتماعا سنويا اوسع ، فكان الاجتماع في مكة لأداء فريضة الحج في العمر مرة واحدة على كل مستطيع . واعتبر الشارع الحكيم الاستخفاف بهذا الركن أو تركه من غير مبرر معقول كفرا بالله وخروجا من الاسلام : (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**) آل عمران/٩٦ ، ٩٧ .

ولقد كان ارتباط المسلم ــ ولا زال ــ وثيقا بالكعبة المشرفة ، اذ يتجه إليها المسلم كل يوم خمس مرات بروحه وبدنه (**فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) البقرة/١٤٤ . هذا الارتباط الروحي بهذا البيت العتيق يقوى لدى المسلم يوما بعد يوم حتى يصير الذهاب إلى هذه الديار التي شرفها الله اسمى ما يتمناه المسلم في حياته .

وفي هذه الرحلة المباركة التي تهفو إليها قلوب مئات الملايين من المسلمين يلتقي في هذه الديار الحجاج المسلمون من قاراتهم الخمس ... يلتقون فيها على اختلاف لغاتهم وأناسهم وألوانهم وأقطارهم ، فتتوثق الروابط بينهم ، ويشعر كل منهم أنه أخ لكل من يراه . وهذا الشعور يؤدي إلى ان يتحمس كل منهم لنصرة الاسلام أينما وجد .

كما أن هذا الاجتماع الكبير المبارك يقوم بشحذ هممهم وتقوية عزيمتهم ، واحياء الأمل فيهم ، وطرد اليأس من قلوبهم ، وبعث الهمة في نفوسهم ، فيعود الحاج وقد بدأ حياة جديدة ، حيث يمضي في جهاده ، متذكرا انه ما اجتمع إلا تحت لواء واحد هو لواء : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ولا يعمل إلا لله وفي سبيله وهو الذي يتولى جزاءه يوم القيامة !

على أن هذه الرحلة المباركة توسع من أفق المسلم ، حيث يطلع من أحوال المسلمين على أشياء لم يكن يعرفها من قبل . وما أحوج المسلمين اليوم الى معرفة أحوال اخوانهم المسلمين ، خاصة من كان منهم مضطهدا يتلوى تحت سياط أعداء الاسلام في بلاد جعلت حدودها أسوارا من حديد لكى لا يتسرب في شأن المضطهدين المسلمين اي شئ كان ! ففي تلك الديار ــ وهي كثيرة كثيرة ــ يعجن ترابها بدماء المسلمين الزاكي ، فيأتي هذا الموسم لتنكشف فيه المآسي وتبدو كالشمس في ضحاها ، وسرعان ما يفهمها كثير من الحجاج ، لأن سيدنا رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ قال : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه البيهقي .

لقد كانت رحلة الحج ــ ولا زالت ــ تقوم بدور اصلاحي كبير ، حيث يصحح بعض المسلمين في هذه الرحلة ما أصابهم من انحراف في عقيدتهم أو عاداتهم ، أو ما اكتنفهم من فساد بتأثير الأفكار والمناهج والمبادئ

الغريبة عن أمتنا ، التـــي تتســلل وتندس على حين غفلة من المسلمين .. وقد يصير لهذه الأفكار بريق ولمعان ، وطبول ومزامير ، فيصير لها سوق رائجة ، فيتأثر بها من يتأثر ، ولا يعتبر نلك مروقا من الاسلام ، أو زيغا في العقيدة ، أوفسادا في النهج ، فتأتي هذه الفرصة الطيبة لتقــوم الميل ، وتحســم الـداء ، وتــرأب الصدع ، بل تقوم هذه الرحلة بعمل آخر مستلزم لسابقه ، حيث تزيل عن الروح ما اصابها من ادران وما علق بها من شر وسوء ، فتعود الروح نقية صافية طاهرة ، تمتثل أمر ربها ، بل تشعر بلذة وما اعظمها لذة في نلك !

فاذا وصلت الروح إلى هذه المرتبة السنية ، فقد بلغت تمام العبودية .

يقول ابن قيم الجوزية ــ رحمه الله :

« أصل العبادة محبة الله ، بل إفراده بالمحبة ، وأن يكون الحب كله لله ، فلا يحب معه سواه ، وانما يحب لأجله وفيه » . واذا تمكن المسلم أن يروض نفسه على نلك ، فقد تمكن أن يحقق المنافع الجزيلة التي شرع الحج من أجلها ، إذ يكون عند ذاك قد تجرد من شهواته وأهوائه ، وحبس روحه ومنعها عن كل ما سوى الله ، وكأن قلبه ــ حينذاك ــ لا عمل له الا دورانه وطوافه حول قدسية رب العالمين !

ومما يعمق هذا الشعور أن الحاج يقوم بتوبة خالصة حين عزمه على أداء هذه الفريضة . فاذا ظلم أحدا أو أعتدى عليه يرد له مظلمته ، ويرجوه أن يعفو عنه ويصفح !

وهكذا تكون الروح قد زكت وتطهرت وتخلصت مما علق بها او شابها من السيئات !

إن هذه الأخلاق العالية تجعل المجتمع متماسكا مترابطا قويا . واذا كانت الجبهة الداخلية متماسكة مترابطة متعاونة متآلفة ، فقد بلغت ــ عند ذاك ــ مناها وتمتعت بحريتها ، ولا سبيل للعدو الخارجي أن يطمع فيها بعد نلك .

وفي رحلة الحج تتمثــل المســاواة الحقيقيــة ، حيــث يلبس الجميــع ملابس الاحرام ، فلا يعرف الغني من الفقير ، ولا السيد من المسود ... كما تتمثل فيها الوحدة الصادقة ، لأنهم يدعون ربا واحدا ، ويتجهون إلى قبلة واحدة ، ليس للعنصرية ولا للاقليميـة ولا للون او لجنس او لطبقة أي مكان في هذه الأماكن !

وقد أوصد الشارع الحكيم في الحج الأبواب كلها التي قد يتسلل منها الشيطان ليوقع بين الحجاج العداوة والبغضاء والشحناء وما نهى عنه ، نلك أن رحلة الحج طويلة شاقة ، يبتعد فيها المسلم عن أهله ومعارفه ، ويختلط بأصناف من الناس لا معرفة له بهم ! وقد تتنافر الطباع وتختلف الأنواق ، وتتباين الرغبات ... وقد يكون هذا السفر والحياة القاسية المرهقة التي يعايشها الحجاج ... قد يكون نلك كله سببا في ضيق الصدر ونفاد الصبر . وخشية من أن يتخلق المسلم ــ حينذاك ــ بأخلاق لا تليق به ، فقد نهى الشارع الحكيم عن الرفث والفسوق والجدال في الحج قال الله تعالى : (**الحج أشهر معلومات**

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) البقرة/١٩٧ . فيظل هذا الموسم موسم سلام ، يعيش الناس في هدوء وطأنينة واخاء ! وما أروع تربية الرسول المسلمين على ذلك بقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه البخاري ومسلم .

وبعد :

فهذه بعض من المنافع التي يشهدها الحاج حين يقوم باداء هذا الركن الركين . ولقد ظهر أن هذه الشعيرة ادت ولا تزال تؤدي دورا مهما في ايقاظ العالم الاسلامي : تمده بالايمان ، وتنفخ فيه روح الاسلام ، وتلم شعثه ، وتجمع كلمته ، وتقوم ميله وما اعوج من سلوكه . وفي ذلك ما فيه من قوة لا تضارع ولا تقاوم . وهل يخشى الغرب من شيء خشيته من يقظة العالم الاسلامي ! يقول (البر مشادور) :

« من يدري ؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين ، يهبطون اليها من السماء ، لغزو العالم مرة ثانية ، وفي الوقت المناسب !

ويتابع :

« لست متنبئا ، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة .. ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها .

« ان المسلم قد استيقظ ، وأخذ يصرخ : ها أنذا ، إنني لم أمت ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها » .

ويقول المستشرق غاردنر :

« إن القوة التي تكمن في الاسلام هي التي تخيف اوروبا » .

ويقول مورو بيرجر في كتابه (العالم العربي المعاصر) :

« إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب ، بل بسبب الاسلام . يجب محاربة الاسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي الى قوة العرب ، لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام وعزته وانتشاره .

« إن الاسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الافريقية » .

ويقول المستشرق الفرنسي (كيمون) في كتابه (باثولوجيا الاسلام) :

« أعتقد ان من الواجب ابادة خمس المسلمين ، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ... »

إن ذلك كله جعل قادة الغرب يخططون الخطط ويرسمون المناهج بغية التشكيك في الاسلام والكعبة على الخصوص وصد الناس عنها .

وما كانت تلك الشبهات التي وضعوها ، او الافتراءات التي قالوها إلا فقاعات سرعان ما تذهب كأنها لم تكن !

نقول لمن يتصدى للاسلام ويناوش حصونه ناصحين له مشفقين :

يا ناطحا جبلا يوما ليوهنه
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

الوحدة بين المسلمين على أساس من الدين

محمود ذرب

يقول الله تعالى :
« **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون** » .. آل عمران/ ١٠٧ .
يقول عكرمة رضي الله عنه في سبب نزول هذه الآية الكريمة :
إن هذه الآية نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا وأصلح النبي صلى الله عليه وسلم بينهم .ونعود الى قصة قتال الأوس والخزرج ، ويذكرها مقاتل بن حيان على ما يلي :

كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، فأصلح بينهم ، فافتخر بعد الصلح منهم رجلان : ثعلبة بن غنم من الاوس ، وأسعد بن زرارة من الخزرج ، فقال الأوسي : منا خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين ، ومنا حنظلة غسيل الملائكة ، ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضى الله بحكمه في بني قريظة .

للدكتور عبدالحليم محمود

وقال الخزرجي : منا أربعة أحكموا القرآن : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وابو زيد ، ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم ، فجري الحديث بينهما ، فغضبا وأنشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية :

« **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** »

واذا كانت الآية الكريمة نزلت بمناسبة هذا الاختلاف بين طائفتين من المؤمنين منبهة على أنه اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، وتأمر المسلمين ان يلتزموا الاسلام فلا يخرجوا عليه بقتال بعضهم بعضا ..

نقول : إذا كانت الآية نزلت بمناسبة هذا فانها عامة ، وقد تحدث كثير من اسلافنا في معناها ـ بكلمات جميلة نفيسة ـ ومن ذلك ما ذكره ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وان يشكر فلا يكفر ..

وقال مجاهد : وأن تجاهدوا في الله حق جهاده ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وآبائكم وابنائكم ..

وقيل : حق تقاته يعني واجب تقواه ، وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ..

وهنا نتساءل : وهل يستطيع الانسان ان يتقي الله حق تقاته ؟؟ عن ذلك يقول صاحب محاسن التأويل :

لا يتصور أن يكون في هذه الجملة طلب ما لا يستطاع من التقوى ، بل المراد منها دوام الانابة له تعالى وخشيته ، ، وعرفان جلاله وعظمته ، قلبا ، وهذا من المستطاع لكل منيب ..

وقوله تعالى :

« **فاتقوا الله ما استطعتم** » التغابن/ ١٦ أمر بعبادته قدر الاستطاعة بلا تكليف لما لا يطاق ، إذ « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » البقرة/ ٢٨٦ وظاهر أن من أتى بما يستطيعه من عبادته تعالى ، وأناب لجلاله ، واخلص في عمله ، وكان متقنا في طاعته ، فقد اتقى الله حق تقاته ..

وقوله تعالى :

(**فاتقوا الله ما استطعتم**) بيان لقوله تعالى : (**فاتقوا الله حق تقاته**) ..

والتقوى طريقها مرسوم . إنه طريق رسمه الله ورسوله ، وهو يبدأ بالتوبة الصادقة ، وقد بين الله تعالى انه فتح ابواب التوبة على مصاريعها ، يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم والنسائي **(ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما)** النساء/ ١١٠ .

واذا صدقت التوبة استتبعت أمرين :

إنها تستتبع رد الحقوق بقدر الاستطاعة ، وعلى حسب ما يتاح من إمكانيات في الزمان والمكان .. اذا صدقت التوبة استتبعت العمل ، فيقوم الانسان بالواجبات ، وينتهي عن المحرمات .

والتقوى لها ثمارها المحببة ..

إن الله سبحانه يقول :

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب) .. الطلاق/ ٢و٣ . وهي تستتبع معية الله تعالى :

(ان الله مع المتقين) التوبة/ ٣٦

ومن كان الله تعالى معه يسرت له الأمور في الدنيا : الفوز ، والنصر ، والسعة في الرزق ، والطمأنينة ، وهدوء البال ، والسكينة ..

أما في الآخرة فانه الفوز بمرضاة الله تعالى ..

وبعد ، فيقول الله تعالى آمرا بالاعتصام بحبله والتمسك به :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .. آل عمران/ ١٠٣ .

وحبل الله تعالى هو القرآن الكريم ، كما روى ذلك بسند صحيح عن ابن مسعود .. ويقول أبو سعيد الخدري : كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض ..

وهذا هو سيدنا علي بن أبي طالب ، يقول عن القرآن الكريم :

« عليكم بكتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ، هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به أفلح ، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم » ..

وهذا الامر بالاعتصام بالقرآن الكريم عام لجميع المسلمين ، ومن لم يعتصم بالقرآن فانه يكون مخالفا لأمر الله تعالى ..

والاعتصام به إنما يكون :

في العقيدة ، وفي الاخلاق ، وفي التشريع ، وفي نظام المجتمع .

ويأمر الله سبحانه وتعالى بعدم الفرقة : **(ولا تفرقوا)** .

ويروي الامام مسلم بسنده ، عن ابي هريرة ، ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ان الله يرضي لكم ثلاثـا ، ويسخط لكم ثلاثا : يرضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ـ ويسخط لكم ثلاثا : قيل وقال ، وكثرة السؤال . وإضاعة المال » ..

ويذكر الله تعالى المسلمين بنعمته سبحانه التي تتمثل في أن أصبحوا إخوانا بعد التفرق والعداوة ..

لقد كان العرب في جزيرة العرب في عداوة مستمرة ، وكانت الأوس والخزرج في حرب طيلة عشرين ومائة سنة ، بسبب قتيل قتل بينهم ، وكانت ـ لا محالة ـ ستفنيهم ، ولكن نعمة الله أدركتهم برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فألف بينهم .

ويقول الله تعالى لرسوله في ذلك ـ مبينا أن من وسائل النصر التآلف والتعاضد :

(هوالذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، و الف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) الأنفال/٦٢ و٦٣ .

ويبين الله تعالى لهم انهم كانوا على شفا حفرة من النار ـ أي على طرف حفرة مثل شفا البئر ـ أي حافته ليس بينهم وبين النار الا الوقوع فيها ، وذلك بمجرد الموت ـ فأنقذهم الله تعالى منها بكتابه الكريم ..

والواقع ان توفيق الله لرسوله وللمؤمنين في تحقيق مبدأ الأخوة كان توفيقا عظيما ، وقد وضع الله تعالى مبدأ الأخوة كأساس للتعامل بين افراد المجتمع ، فقال سبحانه :

(انما المؤمنون إخوة) .. الحجرات/ ١٠ .

ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يتحدث بعدة أحاديث في صلة المسلم بالمسلم ، كلها توضح معنى الأخوة في الاسلام ، وهي أخوة قائمة على المبادىء الكريمة ، والمثل العليا ، فهو يقول :

« المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

متفق عليه ..

وفي رواية الترمذي :

« المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه ، التقوى ها هنا ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

وقال ، صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الامام البخاري :

« انصر أخاك ظالما او مظلوما ، ـ فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوما ـ أرأيت إن كان ظالما ، كيف أنصره ؟

قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فان ذلك نصره » .

الذين يؤمنون بالحياة الآخرة

ما هي حقائق هذا الايمان وما آثاره؟

٣

للاستاذ / عبد الكريم الخطيب

— ١ —

التفكير في الموت وما بعد الموت ، كان ولا يزال المشكلة التي واجهت العقل الانساني ، منذ ظهور الانسان على هذه الأرض ، تلك المشكلة التي استأثرت بنظر الانسان فيها ، ودورانه حولها ، ومحاولة الاهتداء إلى مرفأ يرسى عليه سفينة افكاره ، وتصوراته ، ويلقى عنده همومه ومخاوفه ، بمنطق العقل حينا ، وبتصورات الوهم في اغلب الأحيان ؟

إن حب البقاء طبيعة في كل حي ، وهو في الانسان طبيعة وارادة معا .. طبيعة تدفعه إلى حفظ نفسه ، والفرار من كل خطر يتهدد حياته .. وارادة تخلقت في الانسان من اتصاله بالحياة ، واختلاطه بالأحياء ، وانفساح آفاق آماله بينهم ، وامتداد آثاره فيهم .

فالانسان مهما امتد عمره ، وطال اجله ، فان يده مهما طالت ، وجهده مهما عظم ، وسعيه مهما بلغ ، فان يده تقصر عن أن تنال كل ما أراد . وان الحياة لتضن عليه ان تحقق رغباته التي لا تنتهي ، وآماله التي لا تقف عند حد .. بل إنه كلما حقق رغبة تحركت في نفسه رغبة .. وهكذا إلى غير نهاية ، وانه كلما بلغ غاية ، طمحت به نفسه إلى غايات ، وغايات ، لا حصر لها .

تمـوت مع المرء حاجاته
وحاجة من عاش لا تنقضي

من أجل هذا كان هذا الحرص الشديد من الناس على حب البقاء ، ولو كشرت لهم الحياة عن أنيابها ، وسلبتهم الصحة ، والمال ، ولم تدع لهم من الدنيا شيئا إلا أنفاس الحياة اللاهثة المكروبة !!

أما اولئك القلة من الناس ، من المؤمنين بالحياة الآخرة ، الذين يرحلون عن الحياة ، راضين بما كان لهم فيها ، غير آسفين على ما فاتهم منها ، فهم الذين عرفوا من هدى دينهم ، ويقين ايمانهم ، أن وراء هذه الحياة حياة اخرى ، قد عملوا لها ، وأعدوا أنفسهم للقاء الله ، ورجاء المثوبة والرضوان منه سبحانه وتعالى ..

ولهذا كان في هؤلاء المؤمنين من ينتظر ساعة الموت ، للخلاص من هذا السجن الضيق ، إلى حياض أرحب وأهنأ وأرغد ، كما يشير إلى ذلك النبي الكريم في قوله : « من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » رواه أحمد والترمذي والنسائي .. وانه لا يحب لقاء الله ، إلا من كان جلال الله ملء كيانه ، قائما بسلطانه عليه ، فلا يعمل إلا ما فيه رضى الله ، وما يبعد عن سخطه .. وانه لا يكره لقاء الله ، إلا من غفل عن الله ، فاستخف بحرماته ، وتعدى حدوده ، وحارب ربه بالمعاصي والآثام !! وكيف يحب الورود على ساحة المحكمة ، ويقف بين يدي القاضي من يداه ملطختان بدم قتيل او قتلى ؟

ـ ٢ ـ

من أجل هذا لم يكن شئ أبغض الى الناس من الموت ، وليس شئ أكثر وسواسا لهم منه ... إنه ابدا مصدر هم وإزعاج لكل سليم وسقيم ، ولكل شاب وشيخ ، ولكل غني وفقير .. إن لم يره دانيا منه في حال ، رآه ناشبا أظفاره ، في ابن او اب ، وفي زوج او اخ ، وفي قريب او صديق .

لهذا كره الناس لقاء الموت ، وتعلقوا بالحياة ، مهما تكن هذه الحياة ، ومهما يكن ما يلقى الناس فيها من آلام ، وأحزان .

يقول أبو العلاء المعري :

نحب العيش بغضا للمنايا
ونحن بما هوينا الأشقياء

ويقول ايضا :

ودنيانا التي عشقت واشقت
كذاك العشق ـ معروفا ـ شقاء
سألناها البقاء على أذاها
فقالت عنكم حظر البقاء

وتبرز هذه الطبيعة المتأصلة في الانسان ، عند اليهود ، في ابشع صورها ، وأحط مظاهرها ، لما فيهم من مادية غليظة ، وشره قاتل ، وحسد للناس أن يشاركوهم في هذه الدنيا بأى شئ ، ولو كان مجرد الحياة .. وفي هذا يقول الله تعالى فيهم :

« **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون** » البقرة/٩٦ .

فاليهود أحرص الناس على الحياة ، بل واشد حرصا عليها من الذين اشركوا بالله ، ولا يرجون حياة آخرة ، بعد هذه الحياة .

وفي كلمة « حياة » وقد اخذت مكانها في الآية الكريمة من غير تعريف ، اشارة معجزة كاشفة عن هذه الحياة التي يتعلق بها اليهود ، أشد التعلق ، ويحرصون عليها هذا الحرص المكلوب ، هي حياة تافهة ، يعيشها أصحابها عيش الحيوان ، بلا عقل ، ولا قلب ، ولا وجدان .. إنها مجرد حياة ، يتحرك فيها الجسد ، بلا خلق أو ضمير !!

ـ ٣ ـ

وتقوم الفلسفة المادية في هذا العصر ، وفي كل عصر على أن وجود الانسان محصور في هذه الحياة الدنيا ، محدود بحدودها ، فاذا غربت شمس الانسان بالموت ، ضمها ليل دائم ، فلا تطلع أبدا !!

وقد قدم الفلاسفة الماديون لهذه الفلسفة منطقا ، يترضى الجانب الجسدي من الانسان ، ويستجيب لمطالب النفس العاجلة ، وشهواتها النهمة المسعورة . فاستجاب لهذه الفلسفة كثيرون ، وغرقوا في بحار شهواتهم ، وناموا في سكرة لا يوقظهم منها إلا طارق الموت يدق عليهم الابواب !!

وقد تأثر كثير من الذيـن يؤمنـون بالحياة الآخرة ، بهذه الفلسفة المادية المريضة ، فاهتز إيمانهم ، وزايلتهم الطمأنينة به ، فأخذ سلوكهم ينحو نحو هذه الفلسفة ، ويأخذ نفسـه بتعاليمها ، وان ظل يردد بين الحين والحين ، إيمانه بالحياة الآخـرة . وبالحساب والجزاء ، والجنة والنار ، وذلك في كلمات تجري على لسانه ، دون أن تنعقد في قلب ، أو تتحقق في عمل !

وهذا الفريق من المؤمنين بالحيـاة الآخرة ، هذا الايمان الضعيـف ، الذي يميل مع كل ريح ، إذا سمع حديثا عن الحياة الآخرة ، وما يلقى العصاة فيها من عذاب أليم ، ساءه ان يسمع هذا الحديث ، فازور عنه ، وصم اذنيه دونه ، لا لأنـه يخشى الآخرة ، ويخاف أهوالها ، فذلك إن وقع له شئ منه ، فانه سرعان ما يصرفه عنه بتعلات كثيرة ، منها : أن بينه وبين هذا الموقف أمادا بعيدة ، ويرى من الحكمة ألا يفكر في البلاء ، قبل وقوعـه ، ومنهـا : ما يزينـه الشيطان له من الطمع في رحمة الله ومغفرته ، على حين ينسيه عقاب الله وانتقامه .. ومنها ، ومنها كثير ، مما تنضـح به النفس الأمـارة بالسوء ..ولكن الذي يخافه مثل هذا الصنـف من النـاس ، ويتوقـى الاستماع اليه من الحديث عن الآخرة وأهوالها ـ هو الموت الذي يقطعه عما هو عاكف عليه من شهوات ولذات ، ذلك الموت الـذي هو الطريـق إلى الآخرة ..

وبعض هؤلاء المؤمنين ـ من ضعف إيمانهم ـ يرون الحديث عما بعـد الحياة الدنيا ، حديثا من اللغو الذي لا غناء فيه ، ولا نفع منه .. إنه ـ كما يخيل إليهم ـ بناء شامخ من أوهام وخيالات ، إذا طلع عليه العلم المادي ، اختفى كما تختفي الأشباح في ضوء النهار !!

الحياة الآخرة ؟ ما لنا ولها ؟

إنها ليست الحياة التي نحياها الآن على أية حال .. إنها هناك في عالم الموتى .. أما نحن فهنا ، في عالم الأحياء ، وشتان ما بين الأحيـاء والأموات !!

وهل فرغنا نحن من حياتنا هذه ؟ وهل قضينا على كل مشكلاتنا فيها ؟ إن مجال الحياة ما زال فسيحـا أمامنا ، في كل جانب من جوانبها .. في العلم ، وفي الفن .. في الزراعة وفي الطب .. في الهندسة وفي الكيمياء .. في الفلسفة وفي علم الاجتماع ، في السياسة وفي الاقتصاد .. في الحرب وفي السلم .. وفي كثير غير ذلك ، مما يفتح للناس مغالق الحياة ، ويبسط سلطانهم عليها ، ويضع أيديهم على اسرارها .

الناس في حاجة إلى من يطرق لهم أبواب الحياة في هذه الآفاق ، وليسوا في حاجة أبدا إلى من يثير في وجوههم غبار القبور ، ويسوق إليهم ريـح الموتى ، ويحمل إليهم الأكفان قبل ان يموتوا !! إن عند الناس من الآلام والأحزان ، ما لا يدع مجالا لجديد منها ، نستجلبه من عالم الأموات ، وننقلهم إلى هذا العالم وهم أحياء !!

هذا منطق الفلسفة المادية ، ومن يقعون تحت تأثيرها ، ممن ينتسبون إلى أهل الايمان ، ويأخذون مكانهم بينهم ، ثم لا يرون حرجا في ان يكونوا على مذهب « الوجودية » او « البرجماتية » او « الهيبيزية » أو غيرها من مذاهب العرى الجسدي ، والروحي ، ومن عالم الانسانية ، وأعرافها وأخلاقها ، ومعتقداتها !

ـ ٤ ـ

والآن أود ان استعير ـ ولو ليوم ، أو بعض يوم ـ عقلا من تلك العقول المادية ، ليكون لي بطاقة دعوة أدخل بها إلى عالم الماديين ، وأتحدث معهم باللغة التي يتعاملون بها ، لغة الحياة المادية ، التي تترجم إلى « دولارات » و « استرلينات » والى عالم يتعرى فيه الانسان من كل قيم روحية او خلقية ، ليلقى بنفسه في بحر مائج بتيارات أهوائه وشهواته !!
فلنعش مع هؤلاء الماديين لحظات ، ولنرصد بعضا مما يجري في سوقهم التي اجتمعوا فيها ، ثم لننظر إلى ما خرجوا به من تلك السوق ، وماذا ربح الرابحون ، وخسر الخاسرون ؟
وها أنذا أدق باب القوم ... وها أنذا أجد الباب يفتح ، وأصوات الترحيب تلقاني من كل من في داخل الدار ، وان كانت تلك الأصوات قد اختلطت بصيحات العربدة ، والصخب والمجون ، وبقرع الكؤوس ، وزلزلة الأرض بأقدام العابثين والعابثات !!
حتى لقد أخذني دوار كدت أفقد فيه وعيى ، ويغطي منه على بصري ، فلا أرى إلا ما يرى المخمور من أشباح ما حوله من الناس والأشياء .
وتسألني : ماذا رأيت في هذا العالم المادي ؟ وماذا أخذت او أعطيت هناك ؟
ودعني أنظر اولا ، بعد أن التقط انفاسى المبهورة ، واسترد بعض عقلي الشارد .. فأنا ـ كما تعلم ـ غريب في هذا العالم ، دهش مما أرى .
وها أنذا قد دانيت القوم ، وأخذت مكاني بينهم ، واتصلت بغير واحد منهم ، ووقفت على الكثير مما يجري في عالمهم هذا الذي جمع بينهم !!
والحق أني كدت أفتن بهذه المظاهر الخلابة البهجة .. أنوار تفضح ضوء الشمس ، ومراكب تنطلق كالشهب في كل صوب ، وحياة متدفقة من كل افق ، وأموال تسيل في الأيدي كالأنهار ، ومتع يجدها المرء عتيدة بين يديه حيث يكون .. في الدور ، وفي الحانات والمراقص والملاهي .. كل شئ يجري بحساب وبغير حساب ، ليرضى مشاعر الناس ، وليحقق لهم الرفه والراحة .. فالضحكات تنطلق من كل فم ، والبشر ينطبع على كل وجه ، حتى لكأن القوم في جنة لا يمسهم فيها نصب ، ولا يمسهم فيها لغوب !!
ولا أكتمك .. فلقد كدت أذهل عن نفسى ، بعد ان غشيني من هذه الدنيا الصاخبة ما غشيني من اضوائها ، وضوضائها ، واشيائها ، التي خيل الي منها أنها هذه هي الدنيا ، وهذه هي الحياة ، وهؤلاء هم الأحياء حقا

فيها !!
وهممت أن آذن لنفسي بالاقامة في هذا العالم الجديد ، وأن أتقلب فيما يتقلب فيه القوم من حياة ، وألا اعود الى عالمي الذي كنت فيه ... فان اكن انا الآن في حلم فهو حلم جميل مسعد ، لا اريد ان استيقظ منه .
ولكن إحساسا خفيا في كياني بعث في قلبي موجة من الرهبـة والحـذر ، وصوتا هامسا من الشك والارتياب ، فدعاني ذلك إلى ان انظر في اعقاب هذا الأمر الذي بين يدي ، والى تعمق النظر فيما وراء هذا الظاهر الجميل من هذه الحياة .. إذ انه كثيرا ما يخـدع الانسان بظاهر الأشياء ، التي قد يناقض الظاهر المكشوف منها ، ما انطوى عليه باطنها من مسـاوى ومكاره .
وقلت في نفسي : إن هذا هو صوت الروح الذي ودعته منذ قليل عند مدخل هذا الباب الذي دخلت منه الى هذا العالم الذي فتنت او كدت أفتن به !!
ولكني رددت على هذا الصوت بصوت أعلى نبرة منه قائلا : إنني الآن في صحبة العقل المادي ، وبمنطق هذا العقل ينبغي أن أزن الأمور هنا .. فمالي وللروح تريد أن تفسد علي هذه الرحلة ، وتقطـع الطريـق بي إلى غاياته ؟
لا ، إنني ممسك بعقلي المادي ، الذي أعارني القـوم إيـاه ، وكان جواز مروري اليهم ، والاجتماع بهـم .. ولن أستمع هنا لغير صوت العقل المادي هذا !!
إذن ، فعلى بركة الله !! وعفوا ، فانه لا ذكر هنا إلا للمال ، والشيطان !!
وذهبت السكرة ، وجاءت الفكرة !!
فما هي إلا ساعات حتى ولى الليل ، وخفتـت الأضـواء ، وسـكن الضجيج ، وانفض السوق ، وعاد أهل هذا السوق إلى دورهم ، لينالوا حظهم من الراحة والنوم ، بعد هذا العراك العنيف في اصطياد المتع ، وإشباع الأهواء والشهوات ؟
وهنا بدأ الوجه الآخر من هذه الحياة ينكشف شيئا فشيئا ، وقد سطرت على قسماته صفحات تحدث في بيان صريح واضح ، عن مأساة دامية لهذه الليلة الصاخبة ، التي لم تكن زغاريد الفرح فيها ، إلا عواء ذئاب ، او نباح كلاب ، او عويل باكيات على ميت عزيز لهن !
فماذا انطبع على هذا الوجه ، بعد ان علاه ضوء النهار ، وطلعت عليـه شمس الحقيقة ؟ وماذا يقـرأ على قسماته من آثار تلك المأساة التي غطى عليها ظلام الليل الذي احتوى أصحابنا ، من هؤلاء الماديين ؟
ودعني اقرأ لك ما رأته عيني ، وأنا أصحب القـوم ، بعـد أن انفض سامرهم ، وفـرغ كل ما كان على موائدهم .. فهناك عيون كثـيرة لم يزرها النوم ، ولم يطرقهـا طارق الكرى .. إنها تدور هنا وهنـاك ، ترسم الخطط ليومها الجديد ، وكيف تنصب الفخاخ والشباك لاصطيـاد المال .. وكيف تعقد هذه الصفقة أو تلك ؟ وماذا تقدر من ربح أو خسارة ؟ وماذا يكون الموقف في حالتي الربح والخسارة .. وهكذا حتى تنحل قوى

أصحابها ، فيحملوا أنفسهم حملا ، للدخول في مواقع الصراع ، او الصرع !!
وهناك عيون كثيرة ، باتت تذرف الدمع دما ، لأن الحياة قد خانتها ، فلم تجد عليها بما جادت به على الآخرين من قناطير مقنطرة من الذهب والفضة !!
وهناك عيون كثيرة كثيرة ، تغمض ، ثم لا تلبث أن تنفتح مذعورة مشدوهة ، لأن أشباح الصراع في الحياة تطاردها ، وتبعث إليها توقعات الغد صارخة مزعجة .. هذا المال الذي بين يديها سيذهب ، وهذا الشباب سيزوى ، وهذه الخليلة ستهجر ، وترتمي في أحضان من هو اكثر مالا وأنضر شبابا !!
وهنا وهناك ، عيون وعيون .. ذابلة جامدة ، يثقلها النوم ولا تنام ، لأنها نهمة لا تشبع أبدا ، ولو أنها حازت كل ما في هذه الدنيا من مال او جاه ، او سلطان !!
ما هذا ؟ أهذا كل ما تزود به القوم من هذه الحياة المعجبة الزاهية ؟ وهل هذا كل ما حصلوا من هذه السوق المليئة بكل ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ به الاعين .. أهذه هي الجنة الموعودة ، أم الجحيم المستعر ؟
وكان صباح .. وكان مساء !!
لقد استقبلت في هذا العالم الجديد ، صباح ذلك اليوم الذي شهدت في ليلته ما شهدت من مآس وفواجع ، ومن ارق وأنين ، وبكاء وعويل .. وبدا لي ان القوم في هذا اليوم غيرهم بالأمس .. وأخذت استريب في كل هذه المظاهر ، وجعلت أنظر فيما وراء هذه الصور المتحركة على مسرح الحياة .. لقد رأيتها من وراء هذه الأستار ، مجردة من الألوان والأصباغ ، عارية من الأزياء ، التي تلبس بها شخصيات غير شخصياتها .. رأيتها أجسادا عارية باردة برود الأموات .. ثم رأيتها وهي تتهيأ لتمثيل دورها على المسرح ، فاذا هي دمى متحركة ، تتكلم بلسان رقيق ، وتبتسم وتضحك ، وتجري وتمرح ، وتغضب وتثور .. ولكن لا عن شعور واحساس ، ولا عن ضمير ووجدان ، إنما هي تدور في الدور الذي عليها أن تمثله ، تماما كما يرى ذلك في مسرح العرائس ، التي تحركها الخيوط على خشبة المسرح بيد من يمسك بها !!
عندئذ بدا لي نهار القوم أشد سوادا من ليلهم الأسود ، وأن هذا البريق الذي كان يلمع على دنياهم ، ليس إلا سرابا خادعا ، وبريقا زائفا ، يخادعون به أنفسهم ، ويتعزون به على الآلام التي تنهش صدورهم !!
وحقا إن حياة هؤلاء الماديين مأساة دامية متصلة ، لا يعرف حقيقتها إلا من يعيشها .. أما من يشهدها من خارج شهود المتفرج ، فانما يرى المأساة في ثوب الملهاة التي اتقن ممثلوها ادوارهم ، وأحسنوا اداءها !!
ولا احسبك ـ إن كنت لم تدخل مع القوم ، ولم تذق طعم حياتهم ـ إلا مباعدا بينك وبين هذا العذاب الأليم ، وإلا طالبا لنفسك السلامة من

الانزلاق إلى تلك الهاوية .. أما إذا كنت قد دخلت هذا العالم المادي ، وخالطت أهله ، فلا شأن لي بك ، فانك إن لم تفر بالبقية الباقية من وجودك الانساني ، ستنتهي بك الحال ــ أعاذك الله ــ إلى ما انتهت حال هؤلاء القوم .. ضيق ، ويأس .. وانتحار !!

وقد لا يقنع بعض الناس من الشر بأنه شر ، ولا يرضون شهادة العقلاء فيه ، ولا حديث الخبراء عنه ، وانما يطلبون شهادة حسهم ، وواقع تجربتهم ، ولا بأس ، فقد قيل :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

ولكن الذي يخشى منه على هؤلاء الذين يدخلون في تلك التجربة ، هو ألا يخرجوا منها ، حتى ولو أثخنتهم الجراح ، وتمكن منهم الداء .. إذ قد يقع هذا الداء في مواقع الضعف من نفوسهم ، فيصيب منهم مقتلا .. وهيهات أن يسلم من أصيبت مقاتله !!

ــ ٥ ــ

ومع هذا فانه لا بأس من أن نعرض هنا آراء بعض الذين عاشوا هذه الحياة ، وخاضوا تلك التجربة ، وخبروا وقعها في نفوسهم ، وما احتواهم من يأس ، وضيق ، كادوا يهربون منه بالانتحار ، لولا أنه كانت عندهم بقية من عقل ، وارادة ، وضمير ، فخرجوا من هذا السجن ، كما يخرج العصفور من القفص ، ثم ابى عليهم إخلاصهم للانسانية إلا ان يحذروا من هذا الوباء أن ينتشر ، ويستشرى شره في الناس ، واذا هم في الدرك الأسفل من مخلوقات الله !

يقول الفيلسوف « فيبرنس جيافرت » كاشفا الغطاء عما تحت المادية العلمية من ويلات :

« لقد تكاتف العلماء ، والمهندسون ، والصناع ، على زيادة متاع الحياة الدنيوية زيادة عظمى .. ولكن لم يكن من نتيجة ذلك إلا نشر حب المال ، في الطبقات العظمى من البشر ..

« فأى قانون اخلاقي يكفي لكبح جماح اهوائنا ، وإدخالها إلى مجاريها الطبيعية المعتدلة ؟ لقد ذهب عنا الكمال المعنوي ، ولم يبق فينا إلا خوف مبهم من شئ غير مدرك .. لأن العقيدة في الله لا يمكن زوالها من النفس !! فترى الذين لا إحساس لهم يستفيدون من وراء ما وقعنا فيه من الظلمات .. وترى العقول المستنيرة بالعلم ، المحرومة من الدين تعذرهم في ارتكاب الجرائم .. وبهذا فقد أصبحت الشهوات غير واقفة عند حد !!..

« لذلك نرى ظلمات من الحزن والكمد ، آخذة في الاسوداد كل يوم ، ملقية أطنابها على عالمنا .. ويزعم الانسان ــ مع هذا ــ ان حرية الاثرة ، ستحصل له كل ما يتمناه ، في سرور وانشراح .. ولذلك فقد أصبح الانسان بين هذا العذاب المنصب عليه ، من الكبر والتمرد ، معترفا بأنه أمام الحياة أضعف مما كان ، في أى زمن من الازمان » .

هذه شهادة الرجل في قومه .. لم يدخل عليها هوى او تعصب مذهبي أو قومي ، بل لعل الذي اخفاه من مخازي هذه المدنية المادية ، التي قطعت صلتها بكل ما وراء المادة ـ أكثر مما أظهره !
وشاهد آخر ، ومن أهل هذه المدنية المادية ، أيضا ، هو العلامة « كاميل فلامريون » يقول :

« لا يجوز لنا ان نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط ، لأننا رضينا به ، وأصبحت عقولنا المتشبعة بالاثرة لا هم لها إلا اغراضها الذاتية .. أليس حظنا اليوم قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها ؟ والحصول على المجد بطريق الاغتيال ، لا الكسب ؟.. وان من التناقض البين ان نرى الرقي الذي حصل في العلوم ، بما لا مثيل له في التاريخ ، وان هذه الفتوحات المتوالية التي تمت للانسان في الطبيعة ـ بينما رفع هذا من عقولنا إلى الدرجات العالية ، قد أهبط إنسانيتنا إلى أخس الدركات .
« ومن المحزن حقا أن نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا المادية يوما بعد يوم ، تنطفى حرارة قوتنا الروحية ، بتأثير المطامع المادية ، والشهوات الجسدية !! » .

ـ ٦ ـ

إن القوم ، قد جربوا الحياة المادية ، التي ألقت على قلوبهم غلافا سميكا من نسيج المادة ، فحال بينهم وبين أن يروا شيئا مما وراء المادة ، من حياة بعد هذه الحياة ، هي الحياة الخالدة ، في نعيم دائم ، او في عذاب سرمدي .. وليت القوم قد حققوا في حياتهم المادية هذه شيئا من الأمن والطمأنينة ، بل هم في كرب وقلق ، وفي سعار مجنون ، تلهب ظهورهم دائما مطامع وشهوات ، لا تهدأ ولا تشبع ابدا ..
فأى شقاء هذا الذي يتقلب الماديون على جمره ، وإن كان وقوده الذهب والفضة ؟ : **(كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)** القلم / ٣٣ .
هذا ، وقد غرر بكثير من أبناء الاسلام ، بما رأوا أو سمعوا ، من مظاهر الحياة المادية في أوربا وأمريكا ، وما تزخر به الحياة هناك من صنوف الشهوات ، في الحانات ، والمراقص ، والمسارح ، وأندية العراة ، وعالم الوجوديين ، وغير ذلك كثير كثير ، فوقع كثير من أبنائنا في هذا الشرك ، وأصبحوا أسرى الحياة هناك ، وهم بين أظهرنا ، ولا زال كثير من أبنائنا تتلمظ شفاههم ، وتنطلق آمالهم ، ليكون لهم مشاركة في هذه الحياة، وهم على الأبواب ينتظرون !
فهل نحن على وعي من هذا ؟ وهل أخذنا بالوسائل التي نطلق بها أسرانا من براثن المادية ، ونحمي غيرهم من أن يقع في الأسر ؟ : **(إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير)** الانفال / ٧٣ .

فتح جديد في عالم التربية

الأنانيّة

للأستـــاذ : محمـــود مهـــدي استانبولي

تأملت في المفاسد الخلقية والجرائم الاجتماعية التي تعاني منها الأمة ، فوجدتها بعد التدقيق والتحليل والاختبار ، ترجع في أصولها وتضرب في جذورها إلى أعماق بعيدة ، وإلى داء رهيب : هو الأنانية ..

فاللص مثلا أناني يود الاستيلاء على أموال الآخرين دون مقابل ، والمقامر أناني يريد الحصول على الربح ولو باهلاك وإفقار غيره ، والزاني أناني يحب الوصول إلى شهوته بتحطيم سعادة وشرف سواه ، والجبان أناني يخاف على حياته من التهلكة ، والحسد أنانية ما دام الحسود يتمنى زوال النعمة من المحسود وانتقالها إليه ، والحقد أنانية والحقود يضمر العداء لسواه انتقاما لنفسه ، والكبر أنانية فالمتكبر يرى نفسه أعلى وأرفع من غيره ، والبخل أنانية فالبخيل يحجب خيره عن المحتاج ليبقيه لنفسه ، والمغتاب أناني ، يريد أن يتلذذ بالطعن في غيره حال غيابه ولعله يقصد من ذلك بسبب أنانيته المستحكمة الاشادة بنفسه بكونه خاليا مما وصف به من اغتابه ، والنمام أناني يريد أن يوقع العداوة بين الناس لتصفو له الحياة ويظفر بمكانه عند من نم له إن كان مغفلا ، لأن من نم لك ، نم عليك ، حتى المنتحر ، فانه زيادة على أنه جبان أمام حل مشكلاته ، فانه أناني فر من ديون أسرته وأمته وسبب لهما الحزن والألم !!..

والغضوب أناني ، يود أن يثأر لنفسه ويحطم خصمه ويؤذيه ويجرح

عواطفه ولو بغير حق . والجبان أناني يخاف على حياته من التهلكة فتدفعه أنانيته إلى الاحجام والفرار ، ولو أضر بأمته وبلاده . والراشي والمرتشي ، كل منهما أناني يود الحصول على مبتغاه ولو أضر بغيره وأفسد على المجتمع موازين العدل والحق ، ومن عجيب الأنانية أنها تحمل معها معاول هدمها والجراثيم التي تفتك بها وما أحسن ما قيل : لله در الحسد ما أعدله ـ بدأ بصاحبه فقتله !.

والحق أقول : إنه لو كان الينبوع الذي يصدر عنه سلوكنا وجميع تصرفاتنا يرتكز على الايثار وحب الغير ، لانتفى الشقاء من المجتمع ، ولعشنا في نعيم ما بعده نعيم ، إلا نعيم الجنة !!..

لذلك كانت تربية النفس على الايثار والتضحية وتصحيح مفاهيمها ، سببا رئيسيا في الاصلاح ، والنجاة من المفاسد والجرائم التي تعكر المجتمع وتجلب للناس النكبات .

وهذا الصنيع هو من قبيل المسارعة إلى معرفة الداء لاستئصاله ، والجرثوم لابادته ، والخطر للنجاة منه . وهذا خير وأفضل من معالجة كل مرض خلقي بمفرده ، شأن الطبيب القاصر الذي يعالج مريضه من الداء القريب الظاهر الذي يشكو منه ، دون دراسة أصله وسببه ، فيكون مثله مثل من يحاول إطفاء الحريق الذي وصل إليه دون أن يسارع لاطفاء مصدره .. فلا يكاد يطفىء النار من ناحية ، حتى تشب من ناحية ، فيضيع وقته ، بسبب عدم استئصال علة الحريق والاسلام ـ هذا الدين الواعي ـ هو الذي ينهج هذا النهج في الاصلاح . فيرجع إلى أصل الداء فيعالجه ، وإلى سبب الشقاء فيبيده .

وهذا هو السر العجيب في سرعة تقدم المسلمين ، فنهض بهم الاسلام وحقق لهم المجد والحضارة حتى جعلهم خير أمة أخرجت للناس بعدما كانوا قبائل متفرقة متنازعة خاضعين للروم والفرس مما أدهش علماء الغرب ومؤرخيه فراحوا يطلقون على هذه النهضة اسم « المعجزة الاسلامية » .

يا لها من ظاهرة اجتماعية وخلقية عجيبة ، جديرة بدراسة الباحثين والمصلحين . ومن دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أدرك خطر الأنانية وضرورة استئصالها في أول كل إصلاح ، فكانت وسيلته في التهذيب : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه [من الخير] » رواه البخارى وما أعظم ما أعلنه حينما قال : « ليس المؤمن بالذي يشبع ، وجاره جائع إلى جنبه » رواه البيهقي في « شعب الايمان » والبخاري في « الأدب المفرد » وهو حديث حسن .

نعود بعد هذا التمهيد والاستطراد إلى الأنانية موضوع بحثنا . وهي مصدر الداء كما ذكرنا فيما سبق ، لندرس كيف استطاع الاسلام ـ هذا الدين العظيم ـ استئصالها حتى غابت عن المجتمع الاسلامي ، فتحقق

بغيابها لأول مرة في التاريخ « المدينة الفاضلة » حلم العلماء والمفكرين ، فلعلنا بعد هذه الغربة عن الاسلام ، نعود إليه بروح غيرية وثابة . لقد تم هذا الاصلاح بمحاربة الأنانية ، وتهذيبها بطرق عديدة منها .

١ ـ تربية هذه النفس تربية غيرية تحببه بالطهر والايثار ، حتى إذا ما انحرف ، سارع لتطهير نفسه ، فعن بريدة قال : جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله طهرني فقال : « ويحك إرجع فاستغفر الله وتب إليه . قال : فرجع غير بعيد ، ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرني ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل نلك ، حتى إذا كانت الرابعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبه جنون » فأخبر أنه ليس بمجنون . فقال : « أشرب خمرا ؟ » فقام رجل فاستنكهه ، فلم يجد منه ريح خمر فقال : « أزنيت ؟ » قال نعم ، فأمر به فرجم . فلبثوا يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : استغفروا لماعز بن مالك . لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم »

ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد ، فقالت : يا رسول الله طهرني .. الحديث رواه مسلم وفعل بها كما فعل بماعز .

٢ ـ تصوير المجتمع الاسلامي بالبنيان يشد بعضه بعضا ، وبالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، والآيات والأحاديث في هذا الموضوع عديدة .

٣ ـ تربية المسلم تربية واعية جعلته يحاسب حكامه بكل جرأة إذا شعر بميلهم إلى الأنانية ، كيلا يستشري داؤها وتنتقل عدواها . قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما على المنبر « من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه » فنهض له اعرابي وقال : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا » . ومحاسبة المسلمين الأولين لحكامهم أشهر من أن تنكر .

٤ ـ ولم يقتصر الاسلام على التربية والتوجيه في محاربة الأنانية ، بل له عقوبات زاجرة شديدة كالجلد للزاني غير المحصن ، والرجم للمحصن ، وقطع اليد للسارق والجلد لشارب الخمر ، ثم قتله ، إذا لم يتب في المرة الرابعة !!..

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصف المجتمع المثالي « إن الله لا يقدس أمة لا يأخذ الضعيف حقه من القوي ، وهو غير متعتع » رواه البيهقي وسنده صحيح .

٥ ـ الوعد بالمكافأة والجزاء في الآخرة لمن يترك أنانيته ويضحي في سبيل الآخرين قال تعالى : (**والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) (الحشر : ٩) .

وقال سبحانه : (**إن الابرار يشربون من كأس كان مزاجها**

كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) الانسان : ٥ ـ ١٢ .

وجاءت الأحاديث النبوية تنهج السبيل نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فتأذوا به فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا . وان أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا » رواه البخاري .

من الأنانية الى العبودية

وكان العرب قبل هذا الايمان في فوضى من الأفعال والاخلاق والسلوك والأخذ والترك والسياسة والاجتماع ، لا يخضعون لسلطان ولا يقرون بنظام ولا ينخرطون في سلك ، يسيرون على الأهواء ويركبون العمياء ويخبطون خبط عشواء ، فأصبحوا الآن في حظيرة الايمان والعبودية لا يخرجون منها ، وإعترفوا لله بالملك والسلطان والأمر والنهي ، ولأنفسهم بالرعوية والعبودية والطاعة المطلقة ، واستسلموا للحكم الالهي استسلاما كاملا ووضعوا أوزارهم ، وتنازلوا عن أهوائهم وأنانيتهم ، وأصبحوا عبيدا لا يملكون مالا ولا نفسا ولا تصرفا في الحياة إلا ما يرضاه الله ويسمح به ، لا يحاربون ولا يصالحون إلا باذن الله ولا يرضون ولا يسخطون ولا يعطون ولا يحسنون ولا يصلون ولا يقطعون إلا باذنه ووفق أمره .

ولقد بث الايمان بالآخرة في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة وحنينا غريبا إلى الجنة واستهانة نادرة بالحياة ، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي العين ، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوي على شيء .

تقدم أنس بن النضر يوم أحد وانكشف المسلمون فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب الكعبة ، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه .

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا ، فلما توجه إلى أحد أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه :

إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد ، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ان بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك ، ووالله اني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد ، وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة ، فخرج فقتل يوم أحد شهيدا .

صدى هذا التوجيه الرائع والتربية الاسلامية بالمسلمين :

قالت عائشة رضي الله عنها : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ، حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا .

وقد ذكر مرة وهو في الصلاة : ان في بيته تبرا ، فخفف الصلاة ، وسارع الى التبر ففرقه على الفقراء كراهة أن يبيت الذهب في بيته وقالت عائشة رضي الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدم (جلد) حشوه ليف .

نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم .. ضيف ، فلم يجد عند أهله شيئا ، فدخل عليه رجل من الأنصار ، فذهب بالضيف إلى أهله ، ثم وضع بين يديه الطعام ، وأمر امرأته باطفاء السراج ، وجعل يمد يديه إلى الطعام كأنه يأكل ، ولا يأكل ، حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح قال : له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم » ونزلت (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر رواه البخاري ومسلم .

وقال عمر رضي الله عنه أهدي الى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : إن أخي كان أحوج مني إليه ، فبعث به إليه ، فلم يزل كل واحد يبعث به إلى الآخر . حتى تداوله سبعة أبيات ورجع الى الأول .

القلق وعلاقته بالأنانية

قد يبدو هذا العنوان غريبا ، فما شأن استئصال الأنانية في محاربة القلق : هذا الداء الرهيب الذي هو من أهم مظاهر الحياة في هذا العصر الذي يحلق فيه الانسان في الفضاء ويقطع المسافات الشاسعة بين القارات بساعات قليلة ، ويستمع إلى الدنيا بأجمعها بتحريك مفتاح المذياع ، ويشاهد العالم ، وهو جالس في غرفته على أريكته عن طريق المرناة (التلفزيون) ويتناول فواكه الصيف في الشتاء ، وفواكه الشتاء في الصيف ، ويستخدم مكيفات الهواء في البلاد الحارة ، فينعم بنعيم أجمل من نعيم المصايف ، ولكن لم يستطع بكل ذلك أن يصل إلى السعادة النفسية ، لأنه ليس بالمادة وحدها يسعد الانسان !!..

أجل ما شأن استئصال الأنانية في محاربة القلق . الذي هو من سمات القرن العشرين الذي سمي « بعصر القلق » وغدت العيادات النفسية تكتظ بالمرضى النفسانيين حتى ضاقت بهم ، وحوادث الانتحار في كل مكان وفي كل ثانية حتى في الولايات المتحدة الأمريكية الراقية بلاد الثروات والاختراعات المدهشة .

للاجابة عن هذا السؤال والاستغراب نقول : إن هناك صلة وثيقة بين الأنانية والقلق فمن كان يشكو من هذا الداء الرهيب ، فليسارع إلى نسيان نفسه وإنكار أنانيته بخدمة الآخرين والتضحية من أجلهم .

هذا ما أعلنه العلم الحديث . قال « ديل كارنيجي » مؤلف كتاب « دع القلق وابدأ الحياة » عندما عمدت إلى تأليف هذا الكتاب أعلنت عن جائزة قدرها مئتا دولار لأحسن قصة معنونة « كيف تحطم القلق » وجعلت ثلاث حكام للتحكيم (وهم من كبار العلماء) وقد تلقينا قصصا عديدة ، ومن جملة ما تلقيناه : قصتان تتنافسان في الروعة البيانية ، وفي التحليل للموضوع ، فقررنا قسمة الجائزة بالتساوي بين صاحبي القصتين .

وخلاصتهما كانت في وصف شخصين قتلهما القلق ، وحاولا الانتحار ، ولكنهما أخيرا فكرا في خدمة الآخرين ، فسطعت السعادة عليهما وزال قلقهما .

قال هذا المؤلف يصف بعض مرضاه النفسانيين ... ويقف المريض ليجيبني : لا أستطيع التفكير بشيء من هذا القبيل ، لأني شديد القلق ، فأقول له : لا توقف القلق الذي ينتابك ، بل فكر في تلك اللحظة باسعاد شخص .. وقد يسألني أحدهم « لماذا اهتم باسعاد الآخرين ؟ إن الآخرين لا يحاولون إسعادي .

إن إسعاد الآخرين يا صاحبي هو من أجلك أنت . ولكن كي تبرأ أنت من القلق عليك أن تهتم بالترفيه عن الآخرين ، وهؤلاء الآخرون سيهتمون بك ، فيصبح الاندماج بينكم سهلا . لا يفكر المرء في الحال هذه بنفسه ، ولا بسودائه وقلقه ، بل ينتقل اهتمامه إلى المجتمع ، ويستطيع بهذا أن يطرد القلق من أفكاره ، ويعيش سعيدا » .

وقال ايضا تحت عنوان « سبع طرائق تساعدك إلى إدخال السعادة والبشر إلى نفسك » نذكر منها الطريقة الأولى السعادة في البذل ، لا بالشكر على هذا البذل . الطريقة الثانية : لننس أنفسنا . لنحاول أن نوفر السعادة والبهجة للآخرين ..

وقال العالم النفسي كارل يونج : إن ثلث مرضاي لا يشكون من أمراض نفسية معلومة واضحة بقدر ما يشتكون من ألم الفراغ في حياتهم . نلك الذي يبعد البهجة والسعادة منها .

وكتب مدير مكتب الخدمات النفسية بنيويورك « هنري س . لنك » يقول : بانكار الذات ، ثم

برياضتها على العمل لخدمة الآخرين ، إنما تسعد نفسك ، والاهتمام بالناس لا يبعد عنك القلق والهم فقط بقدر ما يعطيك أصدقاء جددا » .

وقال زرواستر : « إن مساعدة الناس ليست واجبا محتوما ، بقدر ما هي متعة تزيدك صحة وعافية » وقال بهذا الصدد أيضا « بنيامين فرانكلين » « عندما ترفه عن الناس ترفه في الوقت نفسه عن نفسك » .

وكل ما ذكره ديل كارنيجي وزملاؤه من علاج الهموم والقلق بانكار الذات وإغاثة اللهفان سبقهم إليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، حينما قال : « الله في عون العبد ، ما دام العبد في عون اخيه » رواه أحمد .

وقد كان التابعي الجليل الحسن البصري ، كلما حزبه أمر وأصابه الهم ، وكثرت عليه الحاجات ، سارع إلى مؤازرة ذوي الحاجات ، ومشى في حاجاتهم . وقد قيل له يوما : وكيف ذلك ، وقد كان الأجدر بك البدء بمعالجة شؤونك أولا ، فكان يجيب : لقد تكفل الله تعالى لي بقضائها ألم تسمعوا قوله صلى الله عليه وسلم « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » . رواه مسلم .

هذا ـ وإن داء الأنانية الرهيب في هذا العصر ، ليس داء الأفراد فحسب ، بل داء الجماعات والدول ايضا ، فهي تتصارع من أجل أنانيتها حتى جعلت العالم جحيما لا يطاق .. فشقيت وأشقت البشرية جمعاء وغدت تترقب الهلاك والدمار في كل لحظة بسبب الأسلحة النووية المدمرة التي لا تذر شيئا أتت عليه إلا جعلته كالرميم .

كل ذلك نتيجة الأنانية ، مما جعل بعض زعماء العالم الكبار بسياستهم الخرقاء أشبه بالأطفال والمجانين .

وتسير هذه الدول نتيجة هؤلاء الساسة من سيء إلى أسوأ ومن حرب مبيدة إلى حرب مبيدة نتيجة الأنانية والتنافس والمزاحمة لالتهام خيرات الشعوب الضعيفة ، وتركها جائعة . وليس للبشرية من طريق للنجاة إلا بوسيلتين اثنتين :

الأولى : الايمان بأخوة البشر كما تقول جميع الأديان السماوية ، والتخلي عن أنانيتها تجاه الأشقاء ، والانفتاح على العالم كله والسعي من أجل سعادة ورقي الشعوب النامية ، لتكون أعضاء منتجة تساهم في إنشاء الحضارة البشرية والتعاون معها في استثمار وتبادل خيرات الأرض على قدم الأخوة والمساواة والمنفعة المتبادلة .

وقد جاء القرآن العظيم يثبت هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا ، فقال سبحانه : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات/١٣ .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على اعجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على

أحمر إلا بالتقوى) رواه أحمد بسند صحيح .

وقد طبق الاسلام هذه المبادئ الانسانية حتى مع أعدائه المحاربين له ، وذلك بسبب الأخوة البشرية ، فكانت حروبه في منتهى الرحمة والانسانية بشهادة « أعدائه من منصفي الغرب قال غوستاف لوبون : (ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب) .

وقد بدأ بعض مفكري الغرب بالدعوة إلى هذا الشعور الأخوي بين البشر ، وأنهم أسرة واحدة على هذه الأرض كما أعلن ذلك الاسلام .

قال الفيلسوف الانكليزي « رسل » : « أعتقد أن القسم الأعظم من مهمة إشاعة الخير يتوقف على نظام التعليم وطبيعته ، وأعتقد أن على النظم التعليمية أن تؤكد على أن الجنس البشري أسرة واحدة ذات مصلحة مشتركة ، وأن تزرع هذه الفكرة في عقول الناشئة ، وأن توجهها بالتالي إلى الايمان بأن التعاون أهم من التنافس ، وأن حب الجار ليس واجبا أدبيا توحي به الشرائع السماوية فحسب بل إنه سياسة لخدمة الفرد أكثر حكمة من أي سياسة أخرى . ثم قال هذا الفيلسوف بعد كلام طويل :

« بودي أن أقول لأبناء المستقبل إنكم تتسلطون بفضل معرفتكم العملية على قوى لم تتح للانسان من قبل . وستحسنون استخدامها إذا ما أدركتم ان الجنس البشري يؤلف أسرة واحدة ، وان جميع أفراده يمكن أن يكونوا سعداء أو أن يكونوا كلهم من التعساء الأشقياء .. ويجب أن تنسجموا مع حقيقة أن جاركم هو سعيد ، ويجب أن يكون سعيدا حتى تكتمل سعادتكم .

ينبغي أن يربى الناس ، وخاصة الزعماء والقادة على حب البشر والسعي لرفاهيتهم باعتبارهم أسرة واحدة ، يسعدون بسعادتها ، ويشقون بشقائها . وهذا المبدأ هو أول العوامل في صمام الأمان والسلام في العالم .

الوسيلة الثانية : إيجاد تشريع وسط بين الرأسمالية الديمقراطية وبين الشرعية الديكتاتورية ، بعد إفلاسهما معا . باعتراف فلاسفتهم ومؤرخيهم ، وهما يقودان العالم اليوم إلى حرب مدمرة تنتهي بها الحضارة .

والاسلام وحده هو النظام الوسط الذي اشتمل على مزايا كل من النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي وخلا من مساوئهما . ولا بد أن تلتقي البشرية عليه في المستقبل القريب كما أعلن ذلك الفيلسوف برنارد شو ، فيحل جميع مشاكلها وينقذها من حياة المزاحمة الوحشية والقلق المدمر كما شهد بذلك كثير من مؤرخي الغرب وعلمائه ، وقد دخل كثير منهم في الاسلام لما شاهدوه من سمو مبادئه ، وإنه حقا تشريع من السماء ، وهو دواء مجرب أنقذ الانسانية من ظلمات القرون الوسطى ، وكان أول من أضاء العالم بنور العلم والايمان .

وفي الخاتمة : إني لأدعو المسلمين

من الآباء والأمهات والمربين سواء في البيوت ، وفي المدارس وفي المعاهد ، وفي المجتمع لتربية الجيل الجديد على الايثار والتضحية ، وإنكار الـذات وذلك بمحاربـة الأنانيـة بالقـــول والعمل ، والقدوة الحسنة ، إذا كنا حريصين على النجاة من المفاســد والجرائم .. ولما كانت الأنانية من أهم أسباب نشوء الكراهية والحقد والحسد للآخرين كما سبق أن قلنا في أول هذا المقال ، فان الأناني علاوة على خطره على أمته وبلاده وعلى الناس أجمعين ، يحمل بين طيات نفســه عوامل تدميرها إذا لم يسارع لتربيتها على الايثار وحب الآخرين حســب الحديث النبوي : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » رواه مسلم ومهما كان من شأن الأنانية ، فانها ترجع في أصلها إلى سببين :

أحدهما : مرض نفساني نتيجة سوء التربية في البيت والمدرسة والمجتمع .

والثاني : اجتماعــي بسبــب خوف وفوضى وقلق على المستقبل بفقــدان الضمان الاجتماعي ولو كان هناك استقرار وتأمين على المستقبل لزالت آثار هذه الأنانية التي لا توجد غالبا إلا في المجتمعات المضطربة .

والاسلام ــ هذا الدين العظيم ــ أول من سعى لتحقيق حياة مستقرة لمواطنيه ولو من غير المسلمين وجعل الامام مسؤولا عن كل فرد من رعيته حتى قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : « لو هلكت شاة على الفرات ، لظننت أن الله سائلني عنها » فحقق الضمــان والتأمــين الاجتماعي ، فكان ما كان من وجود الجيل المثالي الذي رأينا بعض آثاره في إيثار المسلم أخاه على نفسه في أحرج الظروف والأوقات ، فالأمة التي تود النجاة من الأنانية وآثارها المدمرة ، عليهــا أن تكفــل للفـــرد حاضره ومستقبله بعد أن تؤمن له سبل العمل الشريف أما علاج سبب الأنانية الأول الناجم من مرض نفسي ، فيكون عن طريق تقوية الايمان بالله تعالى والثقة به ، فهو المتكفل بالرزق ، وكذلك عن طريق التربية الواعية كما قلنا وعن طريق ممارسة الايثار كما ذكرنا في غير هذا الموضع .

وقد اكتشف أحد العلماء المسلمين علاجا للأنانية عجيبا ، فذكر انه كان له زوجة أنانية لا تفكر إلا في نفسها ، وكانــت تكن البغض والكراهيـــة لأهله ، فكان من نتيجة ذلك أن سلطه الله تعالى عليها ، فكان يضيق لها معيشتها ويسيء معاملتها بطريقة لا شعورية . وقد ماتت هذه الزوجة بعد سنوات ، فتــزوج هذا العالــم من أخرى لا تعرف الأنانية إلى نفسها سبيلا ، تحب الايثار بصورة عجيبة فكانت تحضه دوما على الاحسان إلى أمه وأخواته فحدث في نفسه انقلاب خلقي دون أن يشعر فأحسن معاملتها فوسع الله سبحانه له في الرزق بتوفيق منه تعالى وقد تشتد الأنانية حتى تصبح جحيما ، فتنقلب إلى بخل مدمر تجعل صاحبها يسرع وراء الدنيا ليل نهار ، وهو ليس له منها إلا القوت . وما بقي فهو حمل وارث لغيره قال

النبي صلى الله عليه وسلم « ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، ولبست فأبليت وتصدقت فأبقيت » رواه الترمذي .

قال ديل كارنيجي « اذكر أنك لو امتلكت الولايات المتحدة الأمريكية بأكملها لما وسعك إلا أن تتناول ثلاث وجبات في اليوم ، وإلا أن تأوي الى فراش واحد في لحظة واحدة » وقد ذكرت هذا القول لزوجتي فقالت بل لا يتيسر له أن يأوي الى فراشه ، بسبب مشاكل المال وقلقه عليه ، كما أنه لا يستطيع أن يأكل هذه الوجبات الثلاث للسبب نفسه .

وقد وصف الاسلام هذه الأنانية الشديدة التي تنقلب الى شح هالع وبخل رهيب وصفا مخيفا فقال تعالى : **(قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الانفاق)** الاسراء/١٠٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا » رواه مسلم وأحمد .

والأناني إنسان ضعيف الايمان بالله أو عديمه ، يعيش في تمزق نفسي وخواء روحي لا يفكر بغيره ويطلق العنان لحريته بغية الاستمتاع ، جاهلا ، ان في البذل متعة بل متعا لا تعادلها متعة أخرى . إن الانسان الأناني يذكرنا بقصة الثعلب الذي مر على مبرد كبير ، فظنه قطعة لحم ، فأخذ يلحسه ، فسال الدم من لسانه ، فحسبه من قطعة الحديد هذه ، فاستمر في اللحس واللعق حتى نزف جميع دمه ، فمات على الأثر ..

وكذلك الأناني ، يؤثر نفسه على غيره ، ويحاول الوصول إلى غاياته دون تفكير ، فيهلك بجراثيم الحرص والجشع والبخل .. الفتاكة نتيجة محاسبته على السمسمة والذرة كما قال الشاعر :

لله در أبيك أي زمان
أصبحت فيه وأي أهل زمان
كل يقاسمك المودة دائبا
يعطي ويأخذ منك بالميزان
فاذا رأى رجحان حبة خردل
مالت مودته مع الميزان

ولا يقتصر الخطر على هذا الحد .. فان الأمة التي ينشأ أفرادها على الأنانية ، يكون مثلهم مثل الجسم المنحرف الذي يقول فيه الفم : لماذا أتناول الطعام وأزدرده ، وهو يذهب إلى غيري . وكذلك يقول البلعوم والمريء والمعدة .. وغيرها من أجهزة الجسم ، فيمتنع كل منها عن اداء واجبه لقصور تفكيره وشدة أنانيته ، ويتوقف عن عمله ، وفي ذلك هلاكه وهلاك الجسم كله .

ولو وسع كل عضو من أعضاء الجسم أفقه ، وعقل وتبصر ، لأدرك أن كل عمل يقوم به لغيره يعود عليه نفعه سواء في الحال أم الاستقبال ، ولكنه استعجل الفائدة فكان له هذا المصير المدمر .

وليست شعوب العالم اليوم بأرقى تفكيرا من هذا الفرد الأناني ، بل هي دونه بكثير ـ ويا للأسف فهي تسعى لتحقيق أغراضها الذاتية ، ولو باهلاك الشعوب الأخرى التي تنظر

إليها نظرة عداء فتعتدي على حقوقها وتستبد بخيراتها ، وتنافس بسبب ذلك مع الشعوب القوية الأخرى وتعلن الحروب وتهلك النفوس وتفني الحضارات .

وكل ذلك يذكرنا بقصة تروى وخلاصتها أن ثلاثة من الأصدقاء ذهبوا إلى نزهة بجبل ، وكانوا فقراء ، فعثروا على كنز ، ففرحوا فرحا عظيما وقرروا أن يأخذ كل منهم الثلث . وقد رأوا قبل ذلك أن ينعموا بنزهتهم ، فاتفقوا على أن يرسلوا أحدهم إلى البلد ليحضر لهم الطعام الشهي . وفي خلال الطريق قال هذا الشخص لو كنت وحدي لكان هذا الكنز كله من نصيبي ، ثم رأى ان يدس في الطعام السم ليأكله صديقاه فيموتا ، فيأخذ الكنز كله ، وهكذا فعل . وفي أثناء غيابه ، قال الآخران لو كنا نحن الاثنين فقط ، لاقتسمنا الكنز مناصفة ، وقررا أن يقتلا صديقهما بصخرة يلقيانها عليه ، فيموت وهكذا فعلا ثم أكلا الطعام ، فماتا بالسم وبقي الكنز على الأرض بدون صاحب ..

وهذا مصير هذا العالم بسبب أنانية الأفراد والدول ، إذا لم يرجعوا إلى الاسلام ـ هذا الدين العظيم ـ الذي يحيى روح الأخوة بين الناس ، ويقدم لهم ـ كأعظم هدية من السماء ـ أرقى تشريع وأسمى نظام يحل جميع مشكلاتهم كما اعترف بذلك كثير من مؤرخي الغرب وحكمائه وهو يعلن على الدوام يا أيها الناس (الخطاب لجميع البشر ابيضهم وأسودهم وأصفرهم) .. **(إنا خلقناكم من ذكر وانثى)** اخوة من أصل واحد فلا مجال للتباغض والتمييز العنصري **(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** لا لتتناكروا وتتقاتلوا ، بل وتتعاونوا **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** طريق التنافس لخدمة البشرية كلها مفتوح للجميع ، وكلما ازداد الانسان في هذه الخدمة ، كلما سمت مكانته عند الله تعالى فهو ليس من أكرم الناس بل أكرمهم جميعا ! ولا بد قبل ختام هذا الموضوع من الاشارة إلى أمر خطير ـ وخطير جدا ـ وهو أنه لا بد من أجل محاربة الأنانية من أمور كثيرة ذكرنا بعضها فيما سبق ولا بد هنا من ذكر أهمها وهي : ١ ـ الايمان بالله ، والخشية منه ، والتوكل عليه ، والرفق بعباده .

٢ ـ الايمان باليوم الآخر ، وما أعده الله تعالى للمحسنين الكرماء الذين يؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة : مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وما أعده للمسيئين البخلاء الأنانيين من عقوبة ..

وكل ذلك نتيجة الايمان بالخلود بعد الموت ، فانه لا أضر على الأخلاق ولا أفسد للضمائر ولا مشجع على الأنانية من إنكار اليوم الآخر ، والاعتقاد بالفناء بعد الموت ، مما يدفع الأفراد والجماعات إلى الانكباب على الشهوات والاستئثار بالخيرات والتمسك بالأنانية الضيقة .

حسن العلاقة بين الحاكم والمحكوم

للشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي

نستفتح الكلام عن حسن العلاقة بين الحكام والمحكومين بهذا الحديث النبوي الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولاه الله عز وجل شيئا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة قال : فجعل معاوية رجلا على حوائج المسلمين » رواه أبو داود .

وقد أعار الاسلام هذا الموضوع اهتمامه البالغ لاثره في حياة الأمة ودعم وحدتها ، فبحسن العلاقة بين الحاكم والمحكوم تستقر الاحوال وتنتظم الأمور ويعيش الناس في رخاء وأمن ، لا يبلبل خواطرهم القلق والخوف ، فينصرف كل الى موطن عمله مستريح النفس كادحا ساعيا في تحصيل رزقه وتحقيق هدفه . وتوفير المناخ الطيب للعمل في الحياة مسئولية الحاكم والمحكوم معا ، فبادراك كل لواجبه وتوفره على تحقيقه دون تفريط أو تعد يسير دولاب الحياة منتظما سليما دون عائق من خلاف أو خصام ، ويحسون بالمحبة والتعاون والتعاطف كأنهم اسرة يفرح بعضهم لنجاح بعض ويأسى لفشل الآخرين .

وحسن العلاقة بين الحاكم والمحكوم مطلب عزيز لدى الأمم والجماعات لتحقيق ما ذكرنا من الاغراض وكان موضع البحث في كل العصور ويضيف اليه كل عصر وكل جماعة ما يبتكر له من الوسائل .

ولأن المسئولية العظمى في تحقيق ذلك المطلب تقع على عاتق الحاكم كانت عناية الباحثين والسياسيين بشخصه وبما يتوافر فيه من المؤهلات والصفات أهم وأكثر ، وقد تحدثت الاديان اجمالا عن تلك الصفات وإحاطته بجو من الرهبة بالتهديد تارة والترغيب والترفق تارة أخرى لموضعه من القيادة والرئاسة والاقتداء فأثر الاقتداء بالفعل أقوى وأنفذ من الاقتداء بالقول ، ومن مأثور الاقوال : إذا صلح الراعي صلحت الرعية ، واذا فسد الراعي فسدت الرعية .

ولم يخل دين من الأديان ولا نظام سياسي من الكلام حول الحاكم وصفاته واختياره ومسئولياته وأسهبت الاديان السماوية في مسئوليات الحاكم والعقوبة على الاستهانه بها والتفريط فيها وأهم ما أجمعت عليه من الصفات أن يكون تقيا عالما عادلا نزيها محبا للحق عاملا على صيانته بعيدا عن الهوى والانحراف والانحياز الى الاهل والأقرباء والأصدقاء ميزانا دقيقا بين

الناس لا يحيف ولا يجور .

ومما أجمعت عليه الأديان مسئولية الحاكم وموضعه عند الله فقد أجمعت الأديان على أن موقف الحاكم أنه إذا أحسن ، أحسن الله اليه ونظر اليه نظرة الرضا والتقدير بالمثوبة الحسنة ، وإذا أساء فيما وكل اليه ونصب له غضب عليه وانصرف عنه وحرمه نظرة المثوبة والعطف وكافأه بما يستحق من العذاب ولا يظلم ربك أحدا ، ان الجزاء على قدر المسئولية ومسئولية الحاكم أعظم المسئوليات كما ذكرنا ، والجزاء على قدر العمل (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٭ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**). الزلزلة/٧ و٨ .

ولعل أشد الأديان السماوية عناية بالحديث عن الحاكم واختياره ، وما ينبغى أن يتوافر فيه من الصفات ، ورسم خطة العمل له وبيان مسئولياته في الدنيا والآخرة هو الدين الاسلامي ، ولقد تناول ذلك إجمالا وتفصيلاً في القرآن والسنة واحتل حديثه في ذلك مكانا رحيبا وقد استطاع بعض علمائنا أن يجمعوا من ذلك كتبا في السياسة ، كانت وما تزال من أحسن الأسس وأتقنها وأدقها في هذا الموضوع ، كما ألمت كتب الفقه بمجمل الحديث عنه وتناولت كتب الكلام قسما خاصا منه وهو الحديث عن الحاكم العام أو الامام العام أو الخليفة الأعظم ، وأفاضت في الكلام عنه لأهميته لدى المسلمين ، وتشعب الخلاف بينهم في شأنه .

وقد اتخذ هذا الموضوع من كتب الحديث والفقه عناوين مختلفة حسب مناسباتها في نظر أصحابها .

والموضوع ضافي الذيول لا يمكن جمع أطرافه في مقال ، كيف وقد امتلأت به مئات الصفحات من الكتب ، ولكنا نكتفي في هذا الموضوع بنموذج من الأحاديث التي تعرضت لبعض واجبات الحاكم ومسئوليته عن التقصير فيها ، وقصة هذا الحديث أن أبا مريم راويه قد زار معاوية فرحب به معاوية ، وأثنى عليه وعبر عن ذلك بما يعبر به العرب عن الترحيب بالزائر والسرور بلقائه ، فقال له : ما أنعمنا بك ، يعنى ما أشد فرحنا بزيارتك ولقائك والاجتماع بك ـ ومعاوية كما يعرف من الدهاء وعلو المنزلة ـ واغتنم أبو مريم هذه المناسبة وأراد ألا تمر دون أن يؤدى فيه واجب النصح والوعظ الذى اؤتمن عليه كما اؤتمن عليه كل مسلم قادر عليه ولم يبال بسلطان معاوية الحاكم ولا بدهائه الا أنه قدم نصيحة في لطف وأسندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا تكون محلا للجدل ، وفيها وعيد شديد لمن يهمل شأنا من شئون الرعية وخاصة ما يهم من بؤس الفاقة والحاجة .

وقد تضمنت هذه النصيحة أمرين : أولهما : **التنبيه على بعض واجبات الحاكم** والثانى : **التنبيه على مسئوليته عن التفريط فيها** وفي كلا الأمرين إجمال يغنى عن التفصيل .

أما **الأمر الأول** : فقد نبه الحاكم الى أنه مسئول عن حاجات الرعية وعن خلتهم ومعنى ذلك أنه مسئول عن كل شئ يهم الرعية أيا كان موضعها ومنزلتها ، وكل مواطن في الأمة له على الحاكم حق السؤال عنه والتفقد لأحواله ثم حق إنجاز حاجاته ومتطلباته وهذه وظيفة الوالي أو الحاكم وهو قادر عليها بحكمه ، ونشاط الدولة ممثلة في حاكمها أو واليها ومواردها كلها وقف على خدمة المحتاجين وحل مشاكلهم وإذا كان مسئولا عن جميع الحاجات فمسئوليته العظمى عن عوز الناس وفقرهم وخاصة ما يتعلق بغذائهم فهو قوام حياتهم ، ولا يمكن لهم الصبر على الحرمان منه .

والأمر الثانى : الذى أشار اليه الحديث مؤاخذة الحاكم على التفريط فيما وكل اليه ، وعقوبته عليه ، وليس هناك من العقوبات أشد مما صوره الحديث في إجمال مرعب تذهل له العقول ، وتنشق له الأكباد والسرائر ممن عرف عزة الله وسلطانه وقدرته على تنفيذ ما وعد أو أوعد .

والله عزيز ذو انتقام ، وهل أشد في العقوبة من غضب الله واحتجابه دونه ، وسواء قلنا إن معنى الاحتجاب منعه من النظر الى وجهه الكريم ، أو حرمانه من الرضا والمثوبة ، فان ذلك عذاب أليم ، والنظر الى وجه الله يوم القيامة أقصى مراتب النعيم واللذة .

هذا واجب الحاكم ومسئوليته في حسن العلاقات بينه وبين المحكومين الذي هو الركن الأعظم في بناء الصرح الاجتماعي وتحقيق أمنه وسلامته ورخائه .

أما واجب المحكومين في تحقيق حسن هذه العلاقة فقد استفاض بها الكتاب واستفاضت بها ألسنة ويمكن إجمالها في وجوب طاعة الحاكم فيما أباحه الله ، والنصح له في حدود الشريعة في وجوب السلوك الحسن مع الله ومع الناس ، في كل ما يعمله الفرد أو يذره ، السلوك الحسن الذى لا يضار منه قريب أو مجاور أو مخالط او متعامل ، ولقد حددت الشرائع كما حددت الفطر ما هو السلوك الحسن المحمود الذى تنشده البشرية فتتطلع اليه حين يعوزها الأمن والرخاء والسلام .

ولقد تناولت الدساتير والأنظمة الحديثة هذا الموضوع بصور مختلفة بحسب حال كل أمة ووضعها الاجتماعي والسياسي ، وهى عرضة للتغيير والتبديل ، أما الاسلام فقد بنى هذا النظام على أسس نفسية وخلع عليها طابع القداسة الدينية فلا مجال للتغيير فيها وما ثبت بالنصوص لا يمكن تغييره ، والتغيير الذى يمكن أن يجرى فيها هو فيما كان محلا لاجتهاد الفقهاء وهو قليل .

ولو فتحت الشعوب أعينها واستندت الى المصادر السماوية الصحيحة في سائر التشريعات لتجنبت هزات التغيير المفاجىء المتكرر ، وظفرت بتشريعات سامية تصلح لكل عصر وتبقى ما بقيت الحياة .

هذا من الحديث النبوي

نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقـدم باقـة من الأحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسـلم أكـرم زاد مـن الهـدى المحمدي .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** » .

(رواه البخاري)

وعن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم فقال : « **المرء مع من أحب** » .

(متفق عليه)

ولم يلحق بهم : أي بالصحبة أو العلم ، أو العمل ، أو بمجموعها .

عن ابى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول : « **لا تنزع الرحمة إلا من شقي** »
(رواه أحمد والترمذي)

وعن انس رضي الله عنه قال :
« تزوج أبو طلحة أم سليم ، فكان صداق ما بينهما الاسلام ، أسلمت أم سليم قبل أبى طلحة ، فخطبها فقالت : إني قد أسلمت ، فان أسلمت نكحتك ، فأسلم ، فكان صداق ما بينهما »
(رواه النسائي وهو حديث صحيح)

قالوا : فكان مهرها أغلى وأعز مهر وهذا يدل على الاعتزاز بالعقيدة والحرص على نشر الاسلام والتضحية بكل شيء في سبيل ذلك .

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« يا أنس ادن منى أعلمك مقادير الوضوء فدنوت منه فلما أن غسل يديه قال : بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله .
فلما استنجي قال : اللهم حصن فرجي ويسر لى أمرى .
فلما تمضمض واستنشق قال : اللهم لقنى حجتي ولا تحرمنى رائحة الجنة .
فلما أن غسل وجهه قال : اللهم بيض وجهى يوم تبيض الوجوه .
فلما أن غسل ذراعيه قال : اللهم اعطنى كتابى بيميني .
فلما مسح يده على راسه قال : اللهم تغشنا برحمتك وجنبنا عذابك .
فلما غسل قدميه قال : اللهم ثبت قدمي يوم تزول الأقدام .

موضوع :

قال الشوكانى في الفوائد المجموعة في إسناده عباد بن صهيب وقال عنه البخارى والنسائي إنه متروك الحديث .

وفيه أيضاً أحمد بن هاشم وقد اتهمه الدار قطنى وقال النووي : هذا الحديث باطل لا أصل له .

وقال : ابن حجر انه حديث باطل وقد روى نحوه من حديث على وفي إسناده خارجة بن مصعب وقد تركه الجمهور وكذبه ابن معين .

(من لبس نعلا صفراء قل همه) : موضوع .

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة : موضوع .

وقال العجلوني في كشف الخفاء هو رواية العقيلي والطبراني والخطيب عن ابن عباس موقوفا لكن بلفظ : **(من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور) .**

وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازي سألت أبى عنه فقال : كذب

وعزاه الزمخشري في الكشاف لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة إنه موضوع ،

حقيقة التبشير وما يتستر وراءه من أغراض

للاستاذ/عزت محمد ابراهيم

الفرق بين التبشير والاستعمار هو الفرق بين العدو الخفى والعدو الظاهر ، وهو فرق لا ينفى أن كليهما موجود ، وأن كليهما عدو لدود .

هو عدو خفى يجتهد في ستر أغراضه ، وإخفاء نواياه ، وما وسعته الحيلة ، وما أسعفه الذكاء والفطنة ، أو إن شئت ــ الخبث والدهاء ، ونجد في كتاب « طرق العمل التبشيرى بين المسلمين » مصداقا لهذا القول في تلك العبارة :

« يجب على المبشر أن يحترم في الظاهر جميع العادات الشرقية والاسلامية حتى يستطيع أن يتوصل الى بث آرائه بين من يصغى اليها» .

ويمضى كتابهم أو دستورهم في مثل هذا الكلام حتى يختم عبارته تلك بقوله : « علي المبشرين أن يظلوا برءاء كالحمامة ، حكماء كالحيات » .

وفي دستورهم هذا أو فى أهم ما فيه من مواد الكفاية للدلالة على لؤم الطبع والخبث والخديعة ، يتخذونها وسيلة الى بث الايمان في النفوس ، ولكن من المبادئ المقررة أن فاقد الشئ لا يعطيه ، وأن الذى لا يحمل ذرة من الايمان يتعذر عليه بذر الايمان في نفوس الناس .

والاستعمار يأتى الى ضحاياه بقضه

وقضيضه ، وجيشه وسلاحه ، فلا يخفى على أحد من أهل البلاد عدوانه ، ولا يتسرب الشك اليهم في ضرورة محاربته والقضاء عليه .

ولكن الأمر مختلف في حالة التبشير ، فهو يتزيا بأكثر من زى ، ويتلون بأكثر من لون ، ويتشكل حسبما يرى فيه مصلحته ، وتحقيق مأربه .

فان كان الطب والعلاج يحقق له تلك المآرب ، انشأ المستشفيات ، وأقام دور العلاج ، وهيأ الطب والتطبيب .

وان كان التعليم يحقق له مآربه ، فتح المدارس ، وانشأ الجامعات ، وانفق في سبيل ذلك كله الملايين .

وإن تيسر تحقيق ذلك كله بغير هذا وذاك ، فلا ضرورة للطب ، ولا حاجة للتعليم ، ولتذهب الأغراض الانسانية الى حيث لا رجعة .

ذلك هو حال التبشير في اقتضاب ، وفي كلمات قصار ، قد تحتاج الى بعض تفسير وبيان ، ولنبدأ هذا التفسير بالطب كوسيلة من وسائل التبشير وأداة من أداوته :

ليس هناك أضعف من إنسان يتألم ، ولا أوهن من مخلوق اجتمعت عليه العلل والاوجاع ، فهو إذ ذاك الراضى المستسلم على أمل الشفاء ، والخلاص من آلامه ، والبرء من أوجاعه .

وعرف المبشرون ذلك الضعف في النفس البشرية ، فاتخذوه وسيلة من وسائلهم في النفوذ اليها واستمالتها ، ويقول أحدهم في ذلك : « حينما تجد بشرا تجد آلاما ، وحيثما تكون الآلام تكون الحاجة الى الطبيب ، وحيثما تكون الحاجة الى الطبيب فهناك الفرصة المواتية للتبشير »

ترى كم منا خدع بالمؤسسات الطبية التى يقيمها أمثال هؤلاء في البلاد العربية ، وكم منا خدع بما يتظاهرون به من اخلاص في عملهم وفناء فيه !

كثيرون وكثيرون .

وفي إحدى مدن السودان أنشأوا مستوصفا لعلاج المرضى ، وحسنا فعلوا لوكانت النية خالصة ، والغرض برئ ، والعمل لوجه الخير والاحسان ، ولكن متى يمكن أن يكون الأمر كذلك ، وهم القائلون :

« يجب أن تعطى الأموال أولا للبعيدين عن الكنيسة ، ثم تقل تدريجيا كلما اقترب أولئك من الدخول في الكنيسة ، فاذا دخلوها منع عنهم الاحسان تماما ».

وعلى هدى هذا المذهب النفعى يكون أمرهم في مستشفى السودان ، وفي غيره من المستشفيات ، فكانوا لا يعالجون المرضى إلا بعد أن يحملوهم على الاعتراف بأن الذى يشفيهم هو المسيح .

وفي الحبشة كانوا لا يبدأون علاج مريض ، إلا اذا ركع سائلا المسيح الشفاء .

وفي نهر النيل كانت لهم مستشفيات متنقلة يعلنون عن مجيئها قبل موعدها بوقت طويل ، فينتظرها المنتظرون ممن أضناهم المرض ، وعذبتهم الآلام ، ويحضر آخر الأمر «رسل الرحمة» فلا يسرعون بانقاذ المرضى من آلامهم ، وانما يسرعون أولا الى غرضهم الرئيسي : التبشير .

وهم في كل ذلك حريصون على تعاليم دهاقنتهم وخبثائهم أمثال رشتر في قوله :

«يمكن للطبيب أن يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى ، ومن شخص غير الطبيب لامتلأوا غيظا وغضبا» وأمثال «ايراهاريس» في قولها تنصح الطبيب المبشر قائلة :

«يجب أن تتحين الفرص لتصل الى آذان المسلمين وقلوبهم ، واياك أن تضيع فرص التطبيب في المستشفيات والمستوصفات ، فانه أثمن تلك الفرص على الاطلاق» .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى أرادت الدولة العثمانية الاستعانة بالأخوات الراهبات في مستشفياتها ، فوجدنها فرصة مواتية لأداء غرضهن ، لا في الطب والتمريض المنوط بهن ، ولكن في التبشير وافساد العقائد ، وقال فيهن الكتاب المئوى اليسوعي : إنهن كن في منصبهن الجديد أخوات مبشرات يلقن التعليم المسيحي ، ويقمن الصلوات على الرغم من التحذير والتهديد الذى كان يوجه إليهن من المفتشين الأتراك .

ومثلما كان الطب وسيلة لا غاية في حد ذاتها ، كذلك كان التعليم ، فالنفوس غضة ، والقلوب بريئة ، والتأثير فيها أعظم ، والوصول إليها أقرب منالا . فنراهم يقولون :

« إن الأثر الفعال في الاسلام ، يبدأ باكرا جدا ، من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الاسلامية ».

وذلك ليس بتعليم ، ولا حتى بتبشير ، ولكن أقل ما يقال فيه أنه إجرام يستحق أن يعاقب عليه قانون العقوبات ، حين يستغل امرؤ هذه العقول الناشئة ، وتلك النفوس الغضة ، لطبعها بالطابع الذى يريد ، ويشكلها على الهيئة التى يطمح اليها .

وليس فقط تعليم الصغار هو الذى يتجهون اليه ، فهناك أيضا التعليم العالي حيث يتخرج قادة البلاد وذوو الرأى فيها ، فان لم يصلوا منهم إلى إخراجهم من دينهم وعقيدتهم جملة ، اكتفوا بزعزعة تلك العقيدة ، وطبعهم بطابع ثقافتهم الغربية ، فيصبحون وبالا على بلادهم ، وهم لا يرون فضلا إلا لحضارة الغرب ، ولا مزية إلا لثقافته .

وفي إحدى جامعات شرقنا العربى نرى مديرها لا يجد حرجا في أن يعلن أن الغرض من تأسيسها هو «نشر المذهب البروتستانتي» وقد نعجب أن يصل بهم الأمر إلى أن يكاشفوا الناس هكذا بحقيقة غرضهم جهارا نهارا علانية وعلى رؤوس الأشهاد ، ولكن لا موجب

للعجب ، فانهم أيضا لا يعدمون المنطق والحجة وإن بدا أشد غرابة ، فيقولون : إن الجامعة مسيحية ، أسست بأموال مسيحية ، ولا يمكن للجامعة أن تستمر في أداء رسالتها بغير معونـة هؤلاء ، ورسالتها هي :

إجبار المسلمين على دخول الكنيسة ، وعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ . وفي هذه الجامعة يقسم أساتذتها أن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد هو التبشير .

وكان أحد مديرى هذه الجامعة رئيسا مساعدا لجمعية الشبان المسيحيـين ، ولما أراد استاذ مسلم بها أن يرأس جمعية للشبان المسلمين ، وأن يقـوم ببعض الجهود لقضية فلسطين ، صرح له مدير الجامعة بأن جهوده في سبيل فلسطين ، وفي سبيل الشبان المسلمين لا يمكن أن ترضى عنها الجامعة ، واعتزل الاستـاذ المسلـم عملـه الجامعـى ، حتى تـرضى الجامعـة ، ويـرضى هو ضميره .

وواحد من مديري الجامعة ذاتهـا يظهر المسلمين بمظهر غير لائق في بعض كتبه حين يقول : إنه رأى مسلما مسنا في قطار كهربى يحاول أن يؤدى فريضة الصلاة فيغير اتجاهه كلما غير القطار اتجاهه ، وأن المسلم المسن استـدر عطف مدير الجامعة حين كان ينظر الى الراكبين في ذلة وانكسار كأنما يطلب العون للخروج من هذا المأزق .

وهو كلام سخيف ، وادعاء كاذب ، وباطل من الأباطيل ، وبهتان مبـين ، ولكنه يجد على أى حال من يصدقه ، ممـن لا يعرفـون شيئـا عن الفقـه الاسلامـى ، والتعاليـم الاسلاميـة ، وسماحة الاسلام ويسره الذى لا ضيق فيه ولا عسر .

ويحدث أن تتعارض أمور التبشير مع أمور السياسة ، فلا يكون للتبشير وزن ولا قيمة في ميزان المنافع والمصالح ، كما حدث في أمر كلية غوردون بالسودان حين اضطر الانجليز الى تدريس القرآن بها ، ومراعاة مشاعر المسلمين لأغراض في نفوسهم ، وليس حرصا على مصلحة المسلمين ، وهنا نجد المبشر «هنرى جب» يصرخ قائلا . ان الحكومة الانجليزية حين قررت فتح هذه الكلية جمعت لها مائة ألف جنيه من انجلترا ، ثم أغلقتها في وجه التبشير المسيحـى ، إن هذه الكلية تعلم القرآن ولا تعلم التـوراة والانجيل ، ومادام غوردون مسيحيـا فيجب أن تكون الكلية التى سميـت باسمه تبشيرية مسيحية .

كلام معقول !

ولكن السودانيين في غنـى عن أن تسمي كلية في بلادهم باسم غوردون أو غير غوردون ممن على شاكلته ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما قتلوا صاحب التسمية غوردون باشا ، إلا أن يكون ذلك من فرط حبهم له ، فمزقوه بحرابهم إربا إربا .

والتعليم التبشـيرى وسيلـة كمـا عرفنا ، ولكن لا بأس أيضا أن يصبح غاية إذا كان كلا الأمرين الوسيلـة والغاية يؤديان الغرض المطلوب ، وهذا المعنى يزيده المبشر هنرى جب وضوحا حين يقول :

إن التعليم في مدارس الارساليـات المسيحية انما هو واسطة الى غاية فقط ، هذه الغايـة هي قيـادة النـاس الى

المسيح ، وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية ، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في ذاته وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض ، وعلماء النبات وخيرة الجراحين والاطباء ، فاننا ـ في سبيل الزهو العلمي ـ لا نتردد حينئذ في أن نقول إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيرى المسيحى الى مدى علمى محض .

ولنتجه مع التبشير إلى أقصى الأرض ، لنجد أن البعثات التبشيرية في الصين طوال القرن التاسع عشر كانت مقدمة للتوسع الاستعمارى ، فضلا عما كانت تمارسه هذه البعثات نفسها من مخاز ، وما تشيعه من طغيان ، وغدت الكنائس حصونا للاستعمار يختفى وراءها من ناحية ، ويتيح لها أن تتمادى في جبروتها وطغيانها من ناحية ، وهى في مأمن من يد عقاب تنالها ، وبلغ من ذلك أن صدر مرسوم في باريس عام ١٨٩٩ يخول لرجال الدين التابعين لكنيسة روما الكاثوليكية من مختلفى الجنسيات امتيازات وسلطات على أفراد الشعب الصينى ، فلا جرم بعد ذلك أن تمتلك الكنائس المساحات الشاسعة من الأراضى الزراعية ، وأن تشتد وطأتها على الفلاحين ، ويبلغ من طغيانها أن تقرضهم بفاحش الربا ، حتى طفح الكيل ، وبلغ السيل الزبى ، فانفجر مرجل الغضب على يد جماعة «القسط والتجالس» بقيادة فلاح يدعى «يويونج تشين» ، فكانت انتفاضة من الصين ضد التبشير والاستعمار معا .

وقد كان لأسبانيا في القرن السادس عشر نشاط استعمارى يتستر خلف التبشير ، فاستولت على الفلبين وجعلت تنشر مذهبها الدينى بين أهلها بوسائل القهر والعنف ، وتطلعت الى اليابان لعلها تنال منها ما نالت من الفلبين ، فأوفدت الى حاكمها «الشوجن» وفدا يفتح لها باب التبشير والتجارة وسأل الحاكم اليابانى رئيس الوفد عن سر اهتمام أسبانيا بنشر دينها في الفلبين ولعلها كانت زلة لسان ، أو مباهاة وتفاخرا ما رد به رئيس الوفد حين قال : إن نشر الدين نريعة لضم ممتلكات جديدة الى التاج الاسبانى ، فكان أن استبانت الحقيقة لحاكم اليابان فطرد الوفد شر طرده ، واقتلع جهود التبشير ، وأقفل دونه الأبواب ، بل أقفلها دون العالم الخارجي برمته مدى ثلاثمائة عام .

هذا هو التبشير ، وتلك هى الحقيقة : وسيلة للاستعمار واداة من أدواته وكفى دليلا على ذلك أن خريجي مدارسه يعرفون عن تاريخ الغرب وثقافته أكثر مما يعرفون عن تاريخ بلادهم وثقافتها .

وكفى دليلا عليه أن يصبح هؤلاء دعاة للغرب في بلادهم ، وألسنته المعبرة ، وربما يده الباطشة ، إذا جد الجد واشتدت الحاجة الى القوة والجبروت .

وهو وسيلة تفرقة وبغضاء ، والتاريخ حافل بمآسيهم في هذا الميدان ، ولم يجف بعد دماء معارك لبنان الدامية ، ولا محيت ـ بعد ـ آثارها ، ولعلها تعيد إلى الذاكرة ما وقع فيه منذ أكثر من مائة عام أو على وجه التحديد عام ١٨٦٠ ،

وما كان ذلك إلا أثرا من آثار التبشير ونتيجة من نتائجه ، وما هى إلا واحدة من كثيرات غيرها خلقها التبشير في البلاد العربية ، فقد وسـع المبشرون شقـة الخلاف ـ حينـذاك ـ بـين الموارنـة والدروز حتى كانت المذابح التى سفكت فيها الدمـاء ، وراحـت الضحايـا ، وتناثرت الأشلاء ، ولم ير المبشرون في ذلك الا أن لبنان قد «أصبح معروفا في العالم كله فأمكن أن تجمع الاعانات باسمه والتبشير فيه» .

فكل ما يهمهم هو التبشير حتى ولو كان على أشلاء الجثث والضحايـا ، وكانت هذه الفتنة التى أشعل المبشرون نارها وسيلة للتدخل السياسى في لبنان ، فانعقد في بيروت مؤتمـر دولى حضره مفوض عن تركيا الدولة صاحبة الشأن في ذلك الحين مع وكلاء عن انجلتـرا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيـا ، وقرر أن تكون ادارة جبل لبنان في يد متصرف مسيحى ، ويجـب أن يكون نصرانيا ، أو أوربيا من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية .

وإذا كان التبشير يوجه عامة الى كافة الأديان ، الى كل الملل والنحل ، فانه لا يوجه في ضراوة واصرار لغير الاسلام من بين كل الأديان والعقائد والمذاهب ، فهو من بينها جميعا القلعة الصامدة في وجه كل المحاولات وشتى الأساليب ، وهو وحده الركن الركين الذى يلوذ به معتنقوه ويعضون على تعاليمه بالنواجذ ولا يفلح معهم في التخلى عنه وعد أو وعيد ، ولا ترهيب أو ترغيب .

هو القوة الغالبة التـى يخشاهـا الغرب ، يحسب لها ألف حساب . وهو القوة الدافعة للحـركات الاستقلاليـة والثورة في وجه كل طغيان .

هكذا كان الاسلام في الجزائر ، وفي باكستان ، وفي اندونيسيا وفي غيرها ، وبالرغم من كل ما بذله الغـرب من أموال ، وما أنفق من جهد ، لم يكتب له نجاح يذكر في هذا الميدان .

والحق أننى كنت أحسب أن التبشير قد طويت صفحته ، وأن أهله قد استبان لهم عقم محاولاتهم ، فانحسرت موجاته مع انحسار موجات الاستعمار ، كنت أحسب ، فاذا بى أقرأ منـذ قريـب استغاثة تأتى من موريتانيا على لسان فتاة مسلمة تهيب بالعرب والمسلمين أن يحولـوا بـين موريتانيـا والفرنسـة والتبشير .

نعم لقد خرج الاستعمار من المغرب وموريتانيا ، ولكن حيله وأحابيله لا تنفذ عندما يكون الناس على حذر ويكونوا مفتوحى الأعين ، منتبهى الحواس لما يدار في الخفاء ، أو لما يتستر ويتخفى من أهداف وأغراض .

لقد خرج من الباب نهارا ، ويريد أن يتسلل من النافذة في جنح الظلام .

وأقول مع ذلك :

لن يفلحوا

وهم لم يفلحوا إبان غفلة المسلمين ، وتدهور حالهم ، فأحرى بهم ألا يفلحوا إبان يقظتهم واشتداد وعيهم .

وأعود الى ماكتبته في هذه المجلـة بعنوان (دين المستقبل) لأشير الى بعض ما جاء فيـه من شأن الارساليـات التبشيرية في افريقيا ، وما أنفق عليها من مال ، وكانت النتيجة على لسان واحد منهم « لم نفلح في تنصير فرد واحد ».

صفحات

من مواقف أهل الذكر

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : تزورنا
قال أبو حازم إنا عهدنا الملوك يأتون العلماء ، ولم يكن العلماء يأتون الملوك ، فصار في ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا في زمان أصبح العلماء يأتون الملوك ، والملوك تقعد عن العلماء فصاد في ذلك فساد الفريقين .

للشيخ : محمد الدراجيلي

● أهل الذكر : تسمية الله للعلماء والعلماء : ورثة الأنبياء

هذه الكلمات الطيبات تضع العالم في مكانه ، وتمده بأسباب سلطانه ، وترسم له صورة مهيبة ما احسب أن احدا من المسلمين يضن بها عليه ، أو يستعلي بها على قدره وفضله لان المجتمعات الاسلامية عرفت عن علمائها عبر كل زمان ومكان ، الكلمة الشريفة الشجاعة والنصح الراشد البار ، والنقد الموضوعي المبرأ ، والتوجيه الممتد الأبعاد ، والنظرة الثاقبة التي تسبق الاحداث ، وتتعدى خواطر الناس ، وتتحدى بريق الكلمة ، لقد كانوا كذلك حقا ، لأنهم احتسبوا ما قالوا وما فعلوا عند الله ، وربطوا أنفسهم بحبل الله المتين ، ووصلوا جسورهم بقواعد الايمان ، فكان العطاء غدقا ، والعمل شرفا والعيش جهادا ، والحياة نضالا ، تقر عيونهم حين يتحول منها الشعاع الى سهم نافذ يقض مضجع ظالم ، أو آثم ، وتسكن قلوبهم حين يعمرها حب الحق ، وتلهج ألسنتهم بذكر الله إن هم أوذوا في سبيل مبدأ .

ولكم أثلجت صدورهم مواقف أمنت المروعين ، ورفعت ذكر الوادعين ، وأغنت حياة الناس بالآمال العظام ، والاماني العذاب ، في عوالم يقودها الفضل ، ويسوسها النبل كان ذلك يوم أن رفعوا جباههم وأكفهم يحمدون الله ، ويوم أن انحنت منهم الظهور تدفع عن ضعيف يستصرخ ، وحين استرخصوا المهج يشترون بها افضل الجهاد ، كلمات من الحق تحمي الحق ، وتزرع غراسه على أديم الأرض ، وتغرس شجره فوق هام الأفق ، دوحا باسقا ، وظلا باردا يتفيأه اللاهثون سعيا وراء الحق .

هذه الانطباعات المتألقة الواثقة وضعتها بين يدي سائل ضمني وإياه واحد من المجالس الخيرة ولسوف يسعدني أن أضعها للمرة الثانية ، أمام كل من تقف حائرة على شفاههم علامات الاستفهام ولست أتجاوز الحقيقة إذا قلت : أشهد أنه لم يكن خلف الصديق السائل ظلال من عنت أو بغض كما لم يكن المسئول معدا أو مستعدا ، انما هي كلمة الشيخ قرعت أسماع الجالسين حين نوديت بها ، في ذلك المحفل الذي عمرته أنماط متعددة ، لمستويات متنوعة من الأصدقاء ولم أكن ساعتها في ملبس الشيوخ ، رغم حرصي على ملبس

الشيخ ولقبه . ذلك اللقب الذي أفاء الله به علينا يوم أن ارتضى لنا هذا المنهج القويم ، من مناهج التعليم ، في هذا المعهد المكين ، الأزهر المعمور ، ورغم ما يجره ذلك اللقب في بعض الأحيان ، من تبعات جسام ، ومسئوليات ثقال ، اعتقد أنها كانت السبب في هروب الكثير من لباس الشيوخ ، وألقابهم .

قال : سائلي ، والحياء يجلل وجهه ، والأسى يذوب من نفسه ، لماذا شحت تلك الصور المستعلية بالله لشيوخنا الأزهريين ، ولماذا ندرت رؤية النماذج الشامخة بعزة الله من أولئك العلماء الذين أفرد لهم التاريخ صفحات وضيئات أمدت وما زالت تمد الحياة بنبراس الوفاء .

أذلك لنضوب في الروافد العذبة التي نهل منها هؤلاء الأماجد ؟ أم أن بريق الدنيا الخادع استقطب الأفئدة ، وجذب الحواس ، ولوى الأعناق ، فأعطت ظهورها لما عند الله ، « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » .

قلت ونفسي تحمل من الأسى أضعاف ما يحمل صاحبي ، بل وبعد أن استجمعت كل القدرات في إجابة على قدر العزم والحجم ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .. وكما يقال :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

قلت إياك والظن : أيها الأخ بأن كل ازهري وأنا واحد منهم ــ يعتبر ــ من علماء المسلمين ــ فمنهم الموظفون الذين تفرض عليهم قيود الوظيفة ، وقوانين العمالة ، بذل المجهودات الحياتية المتواصلة خلف الدفاتر ، والأضابير ، التي تشغل عقولهم وقلوبهم لأن ذلك همهم ، فهم وأمثالهم يكدون ويركضون طمعا في عيش هادئ رتيب .

حين تعلو بلحظ العين فانك تلمح على الطرف الآخر شوامخ العلماء العاملين من الرجال الذين « لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » ولا أكتمك أن فيهم الأزهري وغيره ممن احتسبوا أنفسهم وأموالهم لله ، وهؤلاء وإن لم يتعلموا يوما في صحن الأزهر الشريف ، فهم إنما تعلموا في معهد محمد بن عبد الله صلوات الله عليه .

هذا وذاك من أنجم هذا الدين أصحاب أصوات تزلزل أركان الباطل بصدقها ووفائها لربها ودينها ، وقد تسكت يوما فيهولك سكوتها ولكنه سكوت العاصفة ، تهب عنيفة لتقتلع جذور الشر ، وتطمس معالم الافك نسمعهم ، ولا يليق بنا أن ننكر الفضل على ذويه ، فنصب جام غضبنا على من نعرف ومن لم نعرف ، وأعيذك أيها الأخ أن تنقلب هذا المنقلب الذي يغري بعض المخدوعين ممن يستمعون لأعداء الدين .

هناك يا أخي أصوات يفرح بها الله ، وهي تقذف بالحق حمما ، تدفع الباطل وتحرقه ، من فوق أعواد المنابر وفي ساحات المساجد ، وعلى

امتداد الوطن المسلم .

وهنـاك صفحـات باركهـا الله سطرهـا كاتبوهـا بقوانـين الله وتشريعات رسول الله . ولم يبالوا على أي جنب كان في الله مصرعهم .

وعلى موجـات الأثـير من خلال الاذاعـة المسموعـة ، والمرئيـة شخصيات تقول الحق وهدفها الله ولا شيء سواه .. وتتدافع القوافل الخيرة على طريق التضحية من أجل الحق ، حـين يحسـون أن الحيـاة لهـم تستجيب ، وأن الناس من ورائهم محيطون .

ويستدرجني سائلي بلطـف منـه وذوق ليطلب مني أن أشنف سمعه وأجلي بصره ، وأحيي قلبه بعرض صورة لهذه الصور المشرقة التـي أعطت الدنيا كل ما عندها ، وتركتها ولم تأخذ منها شيئا مما في حوزتها ، ولكنها تركتها وفي حجرها ثروة ثرة من القيم الرفيعة والمثل النافعة .

ولقد قلت له ساعتها : إليك أيها الأخ هذه « الأنبوشة » وحاشاي أن أدعي أنها من أنابيشي وانمـا هي مأخوذة من كتيب للأنـابيش كان يصدر قديما ونحن في حداثة السن ونعومة الظفر ، ولكننا كنا نتسابق من أجل اقتنائـه لما له من مزيـد فضل .. يقول راويها رحمـه الله : « لما حج سليمان بن عبـد الملك ، ودخل المدينة زائرا مسجد رسول الله أقام بها ثلاثة أيام ، سأل فيها هل يوجد أحد من أهل العلم ؟ فقيل له : نعم ها هنا رجل يقال له أبو حازم فبعث إليه ، فجاءه ، وهـو أعـور أعرج ، فلما نظر إليه سليمان ازدرته عينه ، وقال : يا أبا حازم ما هذا الجفاء الذي ظهر منك ؟ فقال : أبو حازم وأي جفاء يا أمير المؤمنين ؟ فقال : سليمان إنه أتاني وجوه أهل المدينة وعلماؤها ولم تأتني فقال أبو حازم : أعيذك بالله أن تقول ذلك ، لم تسبق بيني وبينـك معرفـة آتيـك عليهـا .. قال سليمـان : صدق الشيخ ، فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم خربتـم الآخـرة ، وعمرتـم الدنيـا فأنتـم تكرهون النقلـة من العمـران إلى الخراب .

فقال بعض جلسائه بئس ما قلت يا أعور : فقال أبو حازم اسكت يا كاذب فانما أهلك فرعون هامان : إن الله أخذ على العلماء : « **ليبيننـه للناس ولا يكتمونه** » .

فقال سليمان ، تزورنا يا أبـا حازم : قال أبو حازم ، إنا عهدنا الملوك يأتون إلى العلماء ولـم يكن العلماء يأتون الملوك فصار في ذلك صلاح الفريقين ، ثم صرنا في زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصـار في ذلك فسـاد الفريقين جميعا .

فقال سليمان هات يا غلام ألف دينار فأتاه بها فقال خذها يا أبا حازم فقال لا حاجة لي بها . قال سائلي وهو يعتذر عن المبالغة في الطلب : هذا ما كان من السلـف الصالـح فهـلا أسعدتنـا بعـرض صورة أخـرى

لعلمائنا « عل نفسا تطيب بنيل المنى » .

قلت سمعا وطاعة : حين انهارت القوى العاتية أمام جيش نابليون ، بحيث استطاع أن يدخل القاهرة بغير قتال تصدت له قوة واحدة هي الأزهر بعلمائه وطلابه ، وحين أراد نابليون خداع العلماء في شخص شيخهم وهو « الشيخ الشرقاوي »اذالم تخنى الذاكرة ، وعندما أراد نابليون تكريمه ليحيط بذلك ثورة العلماء ، قام إليه وألبسه أعظم الأوسمة وهو وسام « اللجيون دونير » [جوقة الشرف] فما كان من الشيخ الا أن انتفض في غضب وخلع الوشاح المذكور ، وقذف به إلى الأرض وهو يقول : ما كان لمسلم أن يدنس نفسه بأوسمة أهل الكفر ، وظل هذا العالم يرفع لواء المقاومة ضد نابليون وجيوشه ثلاث سنوات خرجت حملة نابليون من مصر بعدها مذءومة مدحورة .

وأخرى أيها الصديق ـ تقديرا لاخلاصك في سؤالك ، وثقة في أنك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه حين كنا طلابا صغارا ، « في الأزهر الشريف » وكان فاروق على رأس الحكم في مصر ـ قرأنا في أنهار الصحف ، وبطون المجلات بكل الحب والانصات موقفا رائعا للشيخ عبد المجيد سليم ، وكان وقتها شيخا للأزهر ، وكان للعلماء حقوق يضن عليهم بها ، بينما كان الاسراف في قصور فاروق ، وخاصة على موائد القمار مضرب الأمثال ، عندها قال الشيخ قولته المشهورة والتي يتناقلها المسلمون جيلا بعد جيل ، والتي كانت من أعاصير خلع هذا الملك من عرشه قال : « تقتير هنا ، وإسراف هناك » !! ولما خوفه أهل الدنيا من مغبة هذا القول قال كلمته المأثورة : وهل في غضب الملك على « ما يحول بيني وبين المسجد » !! ثم أقيل الشيخ من منصبه راضيا محتسبا ، طامعا في ما عند الله ..

ويا أخي ، هذا قليل من كثير ، نقوله على سبيل المثال لا الحصر ، وإلا فسيرة العلماء المسلمين عامرة بالفضل والفخر ، وليس لقلم أن يكابد حتى يدونها ، ولا لسفر أن يتسع ليستوعبها ، فلهم علينا الثناء والدعاء من كان منهم من أهل البقاء أو الفناء .

ومعذرة لكل قارئ فما أردت أبدا أن أعتلي منصة الوعاظ ، أو منبر الناصحين ، إنما استجبت فقط لمقتضيات حوار ، لم أطق معه كتمان قول الحق ، لأن الله يقول : « **ومن يكتمها فانه آثم قلبه** » البقرة/ ٢٨٣ ومعذرة لله ورسوله ، عن باع قصير ، وقول قليل أتوجه به إلى كل عالم في هذه الأرض ألا يستعلى على النصح ، أو تأخذه العزة بالاثم ظنا منه « وبعض الظن إثم » أنه أكبر أو أعلم من كاتب هذه السطور ، « فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه » .

ورحم الله اعز الأمراء عمر بن الخطاب يوم أن تطامن للحق فقال أصابت امرأة وأخطأ عمر .

لغويات

يقولون

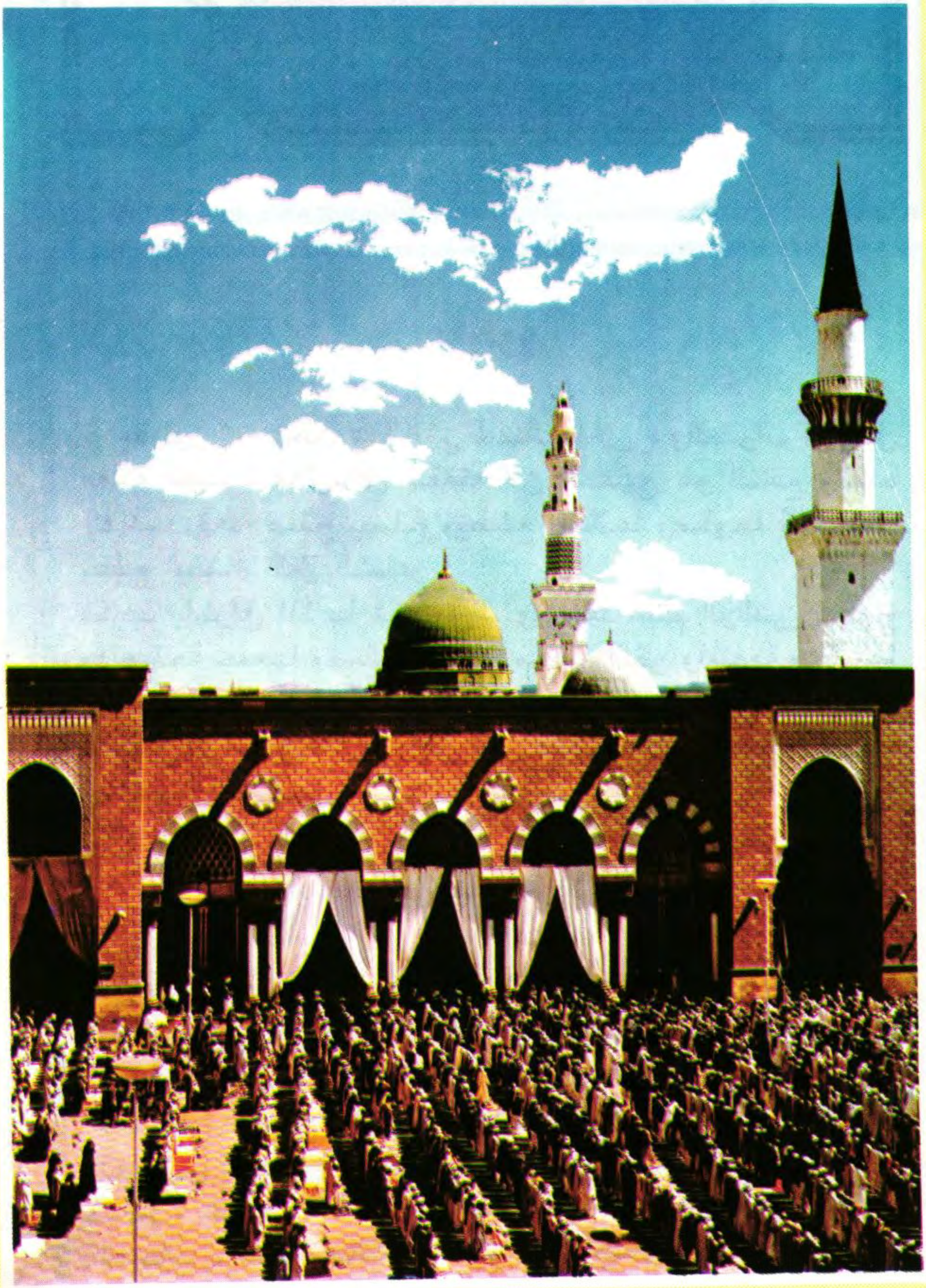
يقولون : « فعلت هذا الشئ لصالح فلان » والصواب أن يقال فعلته لمصلحة فلان أي لمنفعته لأن الصالح هو النافع وضده الفاسد وفعله صلح يصلح ويصلح صلاحا وصلوحا كما يقال صلح ايضا . قال الشاعر :

فكيف باطرافي اذا ما شتمتني   وما بعد شتم الوالدين صلوح

والمصلحة جمعها مصالح ، وهي ما فيه الخير والمنفعة وعكسها المفسدة . قال المعجم الوسيط : المصلحة هيئة فرعية من وزارة تشرف على مرفق من المرافق مثل مصلحة السكك الحديدية ، ومصلحة الضرائب .

معاني أسماء الأعلام

أبو فراس : الأسد ، الأحنف : معوج الرجل الى الداخل ، اكثم : كبير البطن ، الأهتم : من انكسرت ثناياه من أصولهما ، الجاحظ : الذي عيناه ناتئتان ضخمتان ، الصفار : صانع الأواني النحاسية ، بكر : القوى من الجمال ، سحبان : سيل يجرف كل ما مر به ، سلمى : اسم نبات ، عباس : كثير العبوس ، أسد ، غسان : حدة الشباب ، هند : مائة او أكثر من الجمال .



معك في رحلة الحج

محمد موزون

○ إذا عزمت على الحج فبادر بالتوبة الى الله ، ورد المظالم الى اصحابها ، وتخلص من الديون التي عليك ، وخذ من مالك الحلال ما تستعين به على مطالب الحج ونفقاته لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، واقصد بحجك وجه الله تعالى فالله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم .

○ لا تتجاوز ميقات بلدك إلا محرما وإن نويت باحرامك أداء الحج والعمرة معا فأنت قارن وعليك أن تؤدي أعمال العمرة أولا من الطواف والسعي ثم لا تحلق ولا تقصر بل تظل محرما لابسا ملابس الاحرام وملتزما بشروطه حتى تنتهي من أعمال الحج ، وعليك أن تذبح شاة بعد رمي جمرة العقبة الأولى يوم النحر أو تشترك أنت وستة معك في ذبيحة من الابل لا تقل عن خمس سنوات أو ذبيحة من البقر لا تقل عن سنتين .

○ وإن نويت باحرامك العمرة وحدها ، فاذا وصلت مكة فأد أعمال العمرة من الطواف والسعي ، ثم احلق أو قصر والبس ملابسك العادية وتمتع بكل ما يتمتع به غير المحرم حتى يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة ، ثم تحرم بالحج من منزلك بمكة ثم أد أعمال الحج حتى تنتهي منها ، وعليك أن تذبح .

○ وإن نويت باحرامك الحج وحده فاذا دخلت مكة فطف طواف القدوم تحية للبيت ثم اسع بين الصفا والمروة إن شئت وعليك أن تظل على إحرامك حتى تنتهي من أعمال الحج الى رمي جمرة العقبة ثم اذبح على سبيل الاستحباب واحلق أو قصر وتمتع بكل ما كان محرما عليك ما عدا الاتصال بزوجتك فانه لا يحل لك إلا بعد طواف الافاضة .

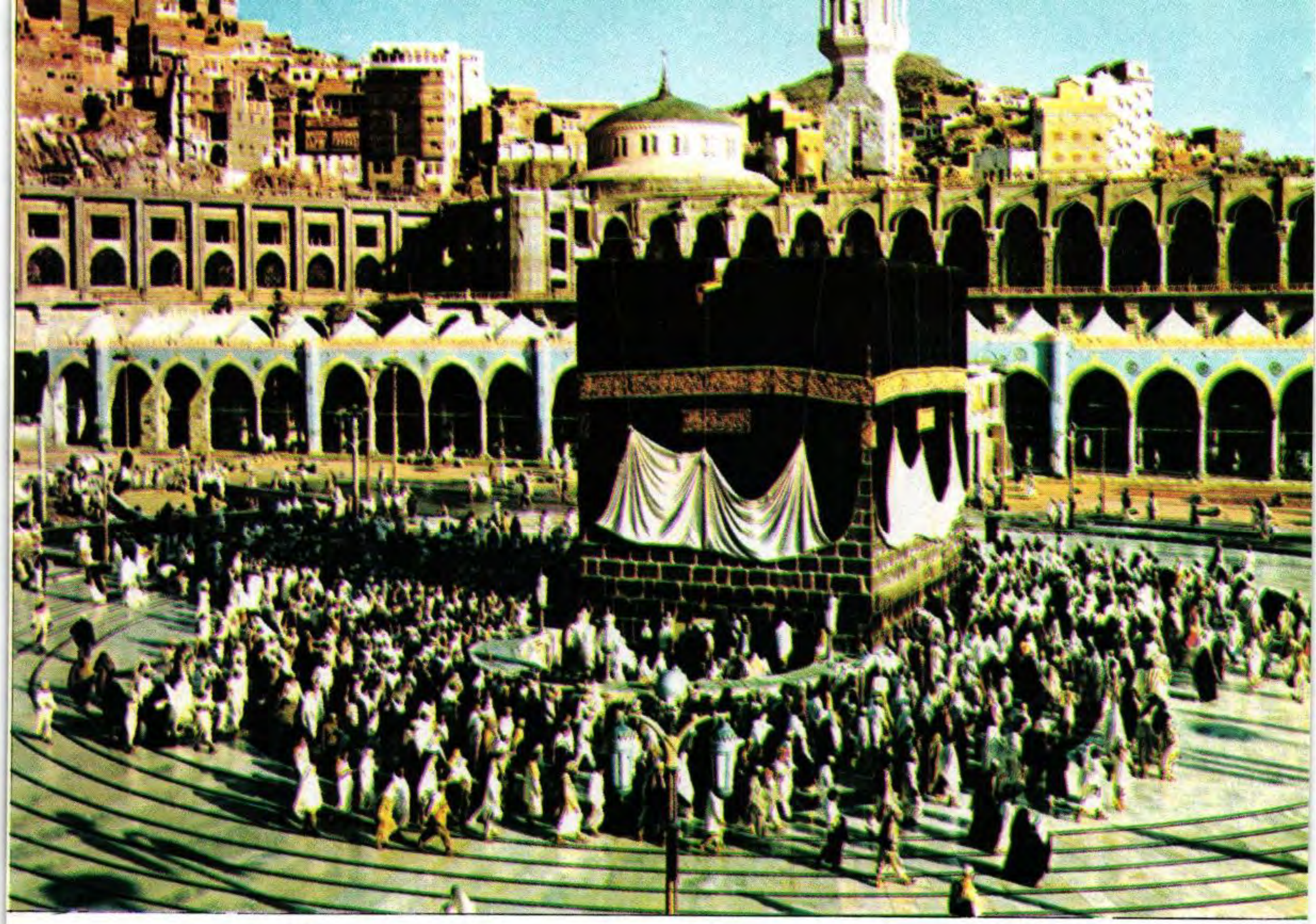
○ طواف القدوم سنة لمن نوى الحج فقط أما المعتمر فيجزئه طواف العمرة عند القدوم . ويطوف سبع دورات ، يرمل في الثلاثة الأولى منها ويمشي في الأربعة الباقية . والرمل الجري بخطوات ضيقة بحيث يهتز بدنه كله ولا رمل على المرأة بل تمشي مشيا عاديا ، ويستحب له أن يجعل وسط الرداء تحت منكبه الأيمن ، وطرفيه على عاتقه الأيسر (الاضطباع) وبعد الطواف صل ركعتين في مقام ابراهيم .

○ توجه الى منى في اليوم الثامن من ذي الحجة في طريقك الى عرفات ، ويستحب الاكثار من الدعاء والتلبية أثناء التوجه الى منى ومنها إلى عرفات ، ووقت الوقوف بعرفات من زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحجة الى فجر يوم النحر ويكفي الحضور من ذلك الوقت لحظة تمتد الى غروب شمس التاسع إن وقف نهارا ، فان جاء ليلا أجزأه .

○ ثم بعد ذلك تكون الافاضة من عرفات الى المزدلفة بعد غروب الشمس ، فاذا أسفر الصبح فعلى الحجاج ان ينصرفوا الى منى لرمي الجماروبعد رمي جمرة العقبة يحلق شعر رأسه أو يقصره و ينحر هديه وهذا هو التحلل الأول يحل له كل شيء إلا النساء .

○ وبعد رمي جمرة العقبة وحلق شعر الرأس أو تقصيره ، والذبح يلبس ملابسه المعتادة ثم ينزل الى مكة ليطوف طواف الافاضة ويسعى بعده ويتحلل التحلل الأكبر ويرجع الى حياته العادية وله أن يباشر زوجته .

○ وعند العزم على مغادرة مكة للسفر منها الى بلدك ، طف طواف الوداع أو طواف الصدر ليكون هذا الطواف آخر عهدك بالبيت ثم سافر بعد ذلك في سلامة الله فاذا رجعت الى المسجد مرة أخرى فأعد طواف الوداع والله يتقبل .



٨ (وليطوفوا بالبيت العتيق) الحج/ ٢٩

الحجر الأسود ٧



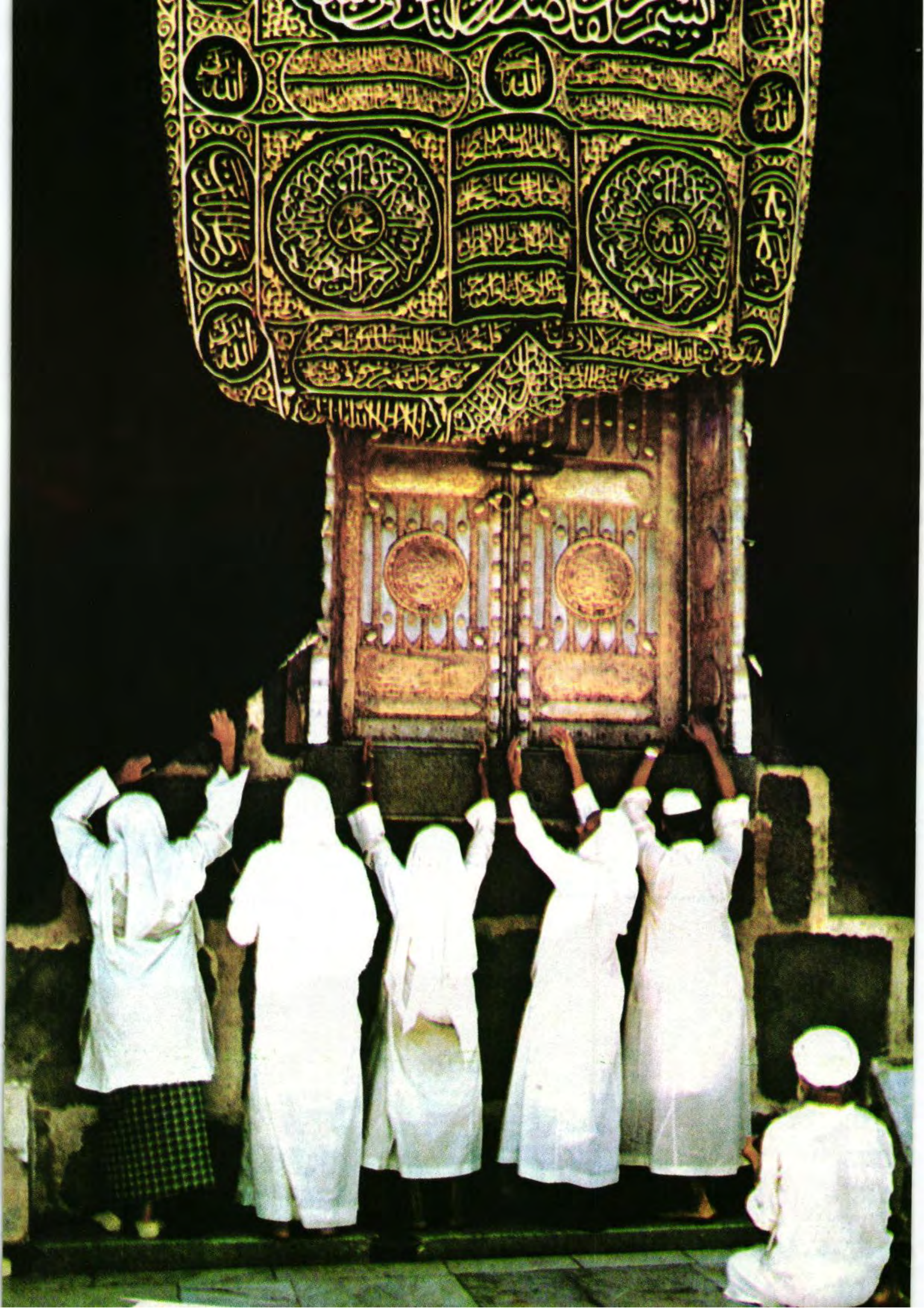


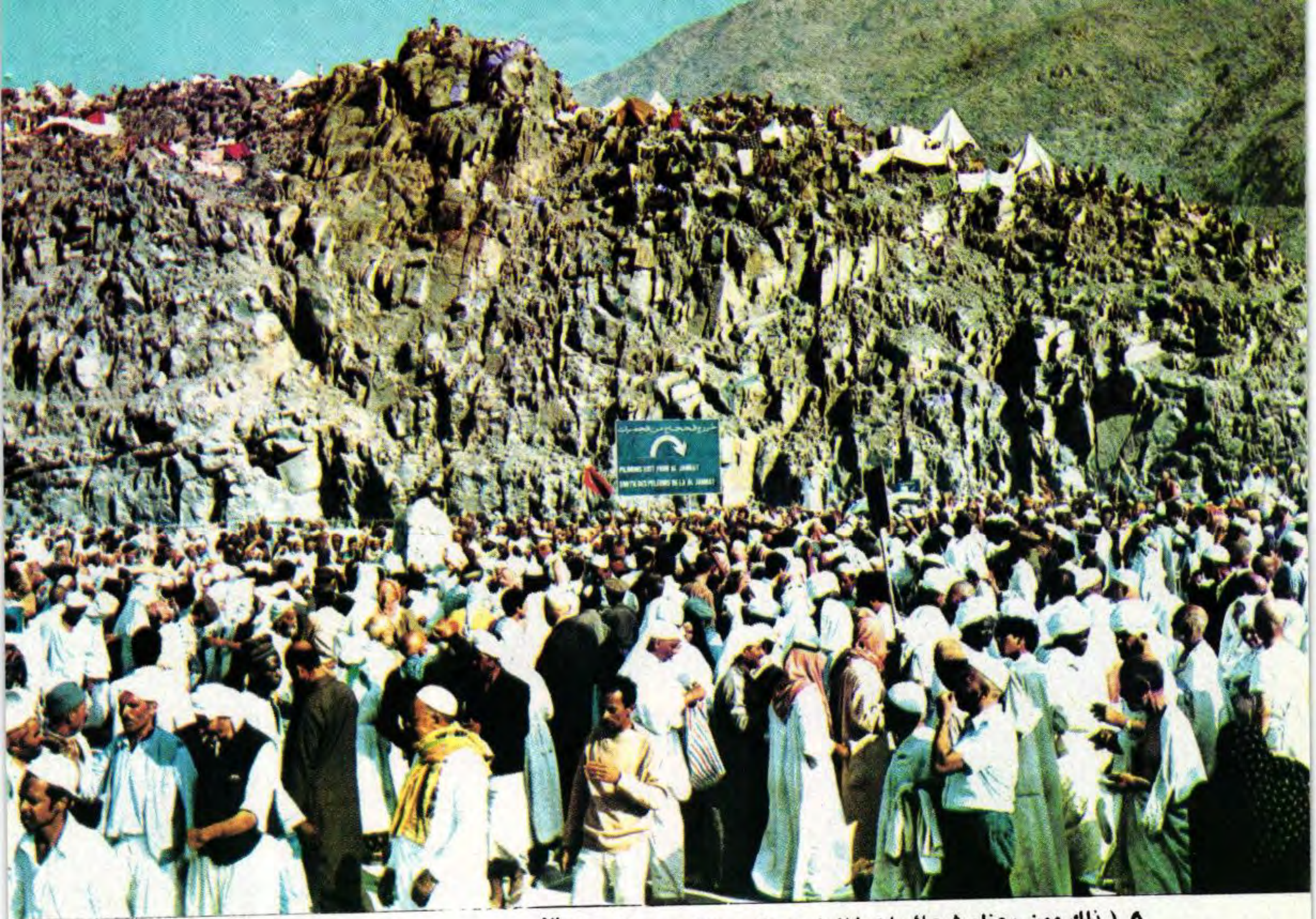
△ (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) البقرة/١٩٨ .

▽ (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) البقرة/١٢٥

(فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) البقرة /٢٠٠



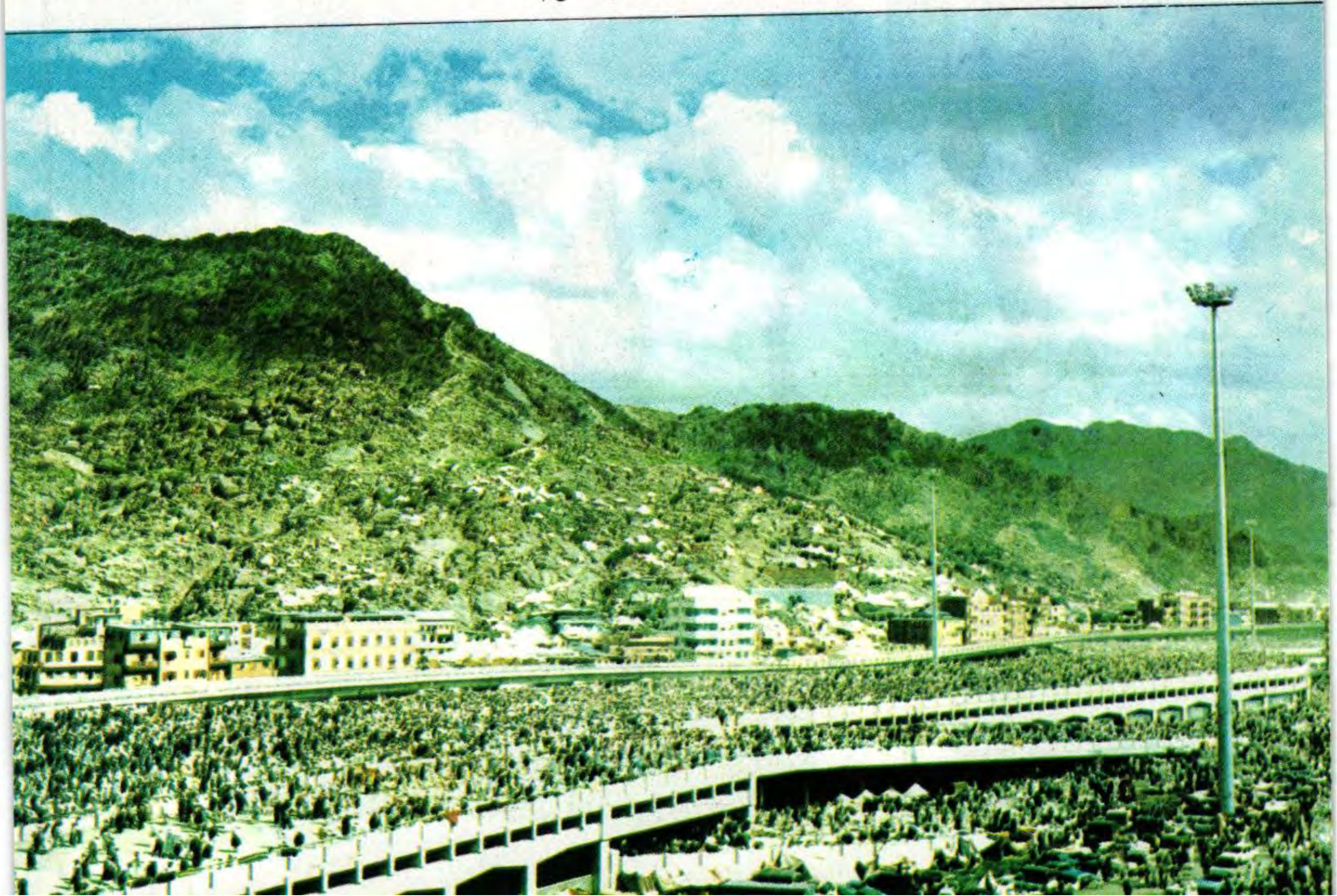




△ (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) الحج/٣٢

▽ (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) الحج/٢٨

(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) البقرة/١٢٥ . ۵،





مائدة القارئ

إلى الأمان

قال تعالى : (إنَّ أولَ بيتٍ وُضِع للنَّاسِ لَلَّذي بِبكَّةَ مباركًا وهُدًى للعالمين . فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ ابراهيم ومن دخَلِه كان آمِنا ولله على الناسِ حِجُّ البيتِ من استطاع إليهِ سبيلا ومن كَفَر فإن اللهَ غنيٌّ عن العالَمين) الآيتان ٩٦ و ٩٧ من سورة آل عمران .

يبكى.. والسبب

لاحظ حارس المقبرة أن رجلا يأتي كل يوم ، ليقف أمام قبر بالذات ، ويبكى مناجيا الميت بقوله : « آه .. لقد كان موتك أعظم كارثة حلت بي ... »

فدفع حب الاستطلاع الحارس فسأل الرجل يوما وهو يشير إلى القبر : « هل الميت أبوك ؟ »

فأجاب الرجل : « بل هو الشخص الذي كان زوجا لزوجتي قبلي ».

رجاء

قال الأصمعي رحمه الله : بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول :

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم — يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا — وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا — فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه — فمن يجود على العاصين بالكرم ؟

من أسرار العربية

يقال : خاط الثوب ، وخرز الخف ، وخصف النعل ، وكتب القربة ، وكلب المزادة ، وسرد الدرع ، وخاص عين البازى .

دعوة الى الجنة

روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ». أخرجه البخاري .

لا تبع بيتك

بنى بعض أكابر البصرة دارا ، وكان الى جواره بيت لعجوز ، يساوى عشرين دينارا ، وكان محتاجا الى بيت العجوز في توسعة داره ، فبذل لها ثمنا له مائتي دينار ، فلم تبعه ، فقيل لها : إن القاضي يحجر عليك بسفهك حيث ضيعت مائتي دينار لما يساوي عشرين دينارا .

قالت : لم لا يحجر على من يشترى بمائتين ما يساوى عشرين دينارا ؟ فأفحمت القاضي ومن معه جميعا ، وبقى لها بيتها حتى ماتت .

حاسة العودة إلى الوطن

قال أحد العلماء : إن الطيور لها غريزة العودة الى الوطن ، فعصفور الهزاز الذي يعشش ببابك يهاجر في الخريف ، ولكنه يعود الى عشه في الربيع ، والحمام الزاجل إذا تحير من جراء أصوات جديدة عليه في رحلة طويلة داخل قفص ، يحوم برهة ، ثم يقصد قدما الى موطنه دون أن يضل ، والنحلة تجد خليتها مهما طمست الريح في هبوبها على الأعشاب والأشجار .

ولكن الانسان يبقى موزعا بين هذه الحاسة ، وعقله الذي يدعوه الى الاغتراب .

دعاء

اللهم إن مغفرتك أرجى من عملى ، وإن رحمتك أوسع من ذنبي ، اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك ، فرحمتك أهل أن تبلغني لأنها وسعت كل شئ . يا أرحم الراحمين .

الطواف

للدكتور محمد الدسوقي

الطواف والطوف أصله المشي حول الشيء مطلقا ، ويقصد به في مناسك الحج الدوران حول الكعبة سبعة أشواط ، وقد يطلق الطواف على السعي بين شيئين ، ومنه الطواف بين الصفا والمروة (**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم**) البقرة/١٥٨ . فالمراد من هذا الطواف هو السعي بين الصفا والمروة ، وليس الدوران حولهما .

وقد جاء ذكر الطواف حول البيت في القرآن الكريم ثلاث مرات ، مرة في سورة البقرة ، ومرتين في سورة الحج ، ففي سورة البقرة يقول الله تعالى : (**وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود**) البقرة/١٢٥ . وفي سورة الحج ورد قوله تعالى : (**وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود**) الحج/٢٦ . وقوله تعالى : (**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**) الحج/٢٩ .

فآية البقرة وآية الحج الأولى تتحدثان عن بناء البيت وتطهيره للقاصدين إليه لعبادة الله فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة ، على حين تتحدث آية الحج الثانية عن بعض مناسك الحج من إزالة التفث والوفاء بالنذر والطواف بالبيت .

ويجدر قبل الحديث عن أنـواع الطواف وحكم كل نوع ، الاشارة إلى أهم ما يتعلق بالطواف ذاته من شروط وسنن وآداب .

وشروط الطواف التي يكاد يجمع عليها جمهور الفقهاء هي :

أولا : لما كان الطواف كالصلاة كانت الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر وكذلك ستر العورة أول شروط صحة الطواف ، وقد روى الشيخـان عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : إن أول شئ بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم ـ حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف بالبيت ..

وروى الترمذي عن ابن عبـاس رضى الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الطواف صلاة » إلا أن الله تعالى أحل فيه الكلام ، فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير » ونقل الامام الشافعي عن ابن عمر قوله : « أقلوا الكلام في الطواف فانما انتم في صلاة . (الأم جـ٢ صـ١٧٣) .

وجاء في الرسالة التي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بها إلى على كرم الله وجهه ، ليذيعها في الناس يوم الحج الأكبر عام الوفود وهو العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالمسلمين « ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريـان » (رواه الشيخان) .

فالطواف بالبيت إذن كالصـلاة يشترط لصحتـه الطهـارة وستـر العورة ، ومن ثم لا يجوز من الحائض والنفساء ، فقد روى عن السيـدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهى تبكي ، فقال : أنفسـت ـ يعنـى الحيضة ـ قالت : نعم ، قال : إن هذا شئ كتبه الله على بنات آدم ، فاقضى ما يقضى الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تغتسلى » رواه الامام مسلم .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأسماء بنت عميس وهى حائض : اصنعى ما يصنع الحاج غير أن لا تطـوفي بالبيـت » (رواه الامـام مسلم) .

ثانيا : لقد أمـر اللـه بالطـواف بالبيت ، فوجب أن يكون هذا الطواف بالبيت كما رفع قواعـده ابراهيـم واسماعيل عليهما السلام ، ولـكن قريشا حين بنت الكعبة قبل الاسلام لم تجعلها كلها على قواعد ابراهيم ، فقد ضاقت بها النفقة ، ولذلك يشترط أن يكون الطواف من وراء حجـر اسماعيل (وهو عبارة عن الأرض التي بين جدار الكعبة الشمالي وبين الحطيـم ويحوطـه سور على شكل نصف دائرة) ، لأن بعضه من البيت كما يشترط ان يكون الطواف من وراء الشاذروان ـ وهو البناء الملاصـق لأساس الكعبة الذي توضع به حلق الكسوة ، فهو من البيت ايضا ، وقد روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت الكعبة وصيرتها على قواعد ابراهيم ، فانهم تركوا منها سبعة أذرع من الحجر ضاقت بهم النفقة (سبل السلام جـ٢ صـ٢٧٣) .

ثالثا : أن يكون الحجر الأسود هو مبدأ الطواف ونهايته ، والحجر الأسود يقع في الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج ، ويرتفع عن الأرض بمقدار متر ونصف .

وإذا كان الحجر الأسود هو مبدأ الطواف فانه يشترط ان يكون البيت عن يسار الطائف ، فمن بدأ من غير الحجر أو كان البيت عن يمينه لا يصح طوافه ، وقد روى عن جابر رضى الله عنه : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى الحجر الأسود فاستلمه ، ثم مشى عن يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا (رواه الامام مسلم) .

رابعا : أن يكون الطواف سبعة أشواط كاملة ، فمن طاف دونها ولو بخطوة واحدة لم يكمل طوافه ، ومن شك في عدد الأشواط في أثناء الطواف بنى الأقل حتى يتيقن أنه طاف سبعا ، ومن شك بعد الفراغ من الطواف فلا أثر لهذا الشك في طوافه ولا يلزمه شئ ، ويذهب بعض الأئمة الى وجوب موالاة السعي بين الأشواط وإن كان لا بأس بالتفريق اليسير دون عذر أو الكثير لعذر ، على حين يرى آخرون أن موالاة السعي سنة ، وأن التفريق بين الأشواط بغير عذر يسيرا أو كثيرا لا يبطل الطواف .

هذه أهم شروط الطواف ، أما سننه فعديدة يمكن الاجتزاء منها بما يلي :

أولا : استقبال الحجر الأسود عند بدء الطواف في كل شوط واستلامه وتقبيله ، على أن يكون ذلك دون مزاحمة وإيذاء للطائفين ، فمن عجز عن الوصول الى الحجر أشار اليه بيده أو بشئ معه ، وما يفعله بعض المسلمين من تدافع ومزاحمة لأجل استلام الحجر وتقبيله أمر لا يخلق بهم في هذا المكان الطاهر ، وهم بما يفعلون يرتكبون من المعاصى والآثام أضعاف ما يعتقدون أنهم يؤجرون عليه ، فتدافعهم يؤذي الضعفاء والنساء ، ويفقد الطواف جلاله وروعته ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له : يا عمر ، إنك رجل قوي ، لا تزاحم على الحجر ، فتؤذي الضعيف ، إن وجدت خلوة فاستلمه ، وإلا فاستقبله وهلل وكبر » .

ثانيا : الاضطباع ، ومعناه ادخال الرداء تحت الضبع اليمنى (أي الابط اليمنى) ورد طرفه على الكتف اليسرى ليبقى المنكب الأيمن ظاهرا ، وهو خاص بالرجال ومستحب في طواف العمرة ، وكل طواف يعقبه سعى في الحج ، وقد روى أبو داود وابن ماجه عن يعلى بن أمية « أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعا » ورويا أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ، ثم قذ فوها على عواتقهم اليسرى » .

ثالثا : الرمل في الأشواط الثلاثة الأول والمشى في سائر الأشواط ، والرمل هو السير في سرعة بخطو متقارب من غير وثب ، وهو مطلوب من الرجال دون النساء .

وقد روى أن المشركين ـ في عمرة القضاء ـ تجمعوا على سفح جبل قعيقعان مما يلى الحجر وأخذوا ينظرون إلى المسلمين وهم يطوفون حول البيت ، ويسخرون منهم ويزعمون أن حمى يثرب قد أدهنت قواهم ، فما كان من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن اضطبع رداءه وهرول في ثلاثة الأشواط الأولى فكان المسلمون يهرولون إذا ظهروا للمشركين ، فاذا اختفوا عن أعينهم بين الركنين اليمانيين مشوا .

وجاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم اضطبع ورمل في عمرة الجعرانة وفي طوافه الأول من حجته التى علم فيها المسلمين مناسك حجهم ، وقد هم عمر رضى الله عنه أن يترك الرمل والاضطباع في الطواف وقال : ما لنا وللرمل ، انما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله ، ثم استدرك فقال : ولكنه شئ صنعه النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحب ان نتركه . (فتح البارى جـ٣ صـ٣٠٦) .

إن السنة في الاضطباع والرمل تنكر المسلمين في كل عام بجهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ومبلغ حرصهم على التمكين لكلمة الله في دنيا الناس فلا تعلو عليها كلمة الكفر والفسوق والعصيان ، وفي هذا ما يحمل المسلمين على أن يكونوا دائما جندا للحق يعتزون به ويذودون عنه ، فلا يرى الكفر منهم وهنا أو ذلة ، وإنما يرى أنفة وعزة **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** المنافقون /٨ .

رابعا : استلام الركن اليماني دون تقبيله (الاستلام معناه المسح باليد) فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم استلم الركن اليماني ولكنه لم يقبله ، ولم يستلم غير اليمانيين من الأركان ، لقول ابن عمر رضى الله عنهما : لم أر النبي صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان الا اليمانيين » وقال : ما تركت استلام هذين الركنين ـ اليمانى ، والحجر الأسود ـ منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمهما في شدة ولا في رخاء (رواهما الامام البخارى) والمعروف أن أركان الكعبة **أربعة** : الركن الأسود الذي عند الحجر في شرقها ويقابله الركن الشامى في غربها ، والركن العراقي شمالا ، واليمانى جنوبيا ، والركن الأسود والعراقي يسميان العراقيين ، والعراقي والشامى يسميان الشاميين ، والشامى واليمنى يسميان الغربيين ، واليمنى والأسود يسميان اليمنيين .

وأما آداب الطواف فهى تشمل كل ما يحفظ على هذا النسك حرمته وحكمته ، ليحقق رسالته في اظهار العبودية لله ، والتفاف القلوب

ودورانها حول قدسية رب العالمين ، صنع المحب الهائم من المحبوب ذى الجلال والجمال الذي ترى نعمه ولا تدرك ذاته .

ان المسلم وهو يدور حول البيت لا يليق به أن يشغل نفسه بغير ذكر خالقه ، ولا أن يؤذي سواه بالقول أو الفعل ، فلا مراء ولا جدال ولا مدافعة على الحجر الأسود ، كما لا يجوز ان يلزم نفسه بما يخرج عن دائرة الطاعة والعبادة ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مر في طوافه برجل يقود آخر بخزامة في أنفه ، لأنه نذر أن يطـوف كذلك ـ وكان هذا معروفا في الجاهلية ـ فقطع صلى الله عليه وسلم الخزامة وأمره أن يقوده بيده ، وقال : ان هذا ليس بنذر ، وإنما النذر ما يبتغي به وجه الله تعالى » .

ووجد آخرين مقترنـين بحبـل ، فسألهما ، فقالا : إنا نذرنا أن نقترن حتى نطوف ، فقطع الحبل ، وقال لهما : « حجا ، إن هذا من عمل الشيطان » .

وروى عن عمر رضى الله عنه انه رأى امرأة مجذومة تطوف بالبيت ، فقال لها : « يا أمة الله ، لا تؤذي عباد الله ، لو جلست في بيتك كان خيرا لك »، فلزمت بيتها ، ولما مات عمر رضى الله عنه مر بها رجل فقال لها : ان الذي نهاك عن السعي قد مات فاخرجى ، فقالت : واللـه ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا » .

وإذا انتهى المسلم من طوافه فانه يسن له ان يجئ إلى مقام ابراهيم ـ وهو يقابل الضلع الشمالي الشرقي من بناء الكعبة ـ إن استطاع ويصلى ركعتين ، فان لم يستطع صلى في أي مكان من المسجد ، فعن جابر رضى الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة طاف بالبيـت سبعا ، وأتى المقام فقرأ : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى . فصلى خلف المقام ، ثم أتى الحجر فاستلمه . (رواه الترمذي) .

كذلك يسن له أن يأتـي زمـزم ويشرب من مائها ، فقـد ثبـت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من ماء زمـزم ، ويستحب أن يكون الشرب على ثلاثة أنفاس وأن يستقبل به القبلة ويتضلع منه (تضلع : أي امتلأ شبعا أو ريا حتى بلغ الماء اضلاعه) ويحمد الله إذا فرغ ، ثم يدعو بما يشاء ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا شرب من ماء زمزم قال : اللهم إني اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .

وبعد الشرب من ماء زمزم يستحب الدعاء عند الملتزم ـ وهو ما بـين الحجر الأسود وباب الكعبة ، وسمى بالملتزم لأن الحاج يلتزم هذا المكان للدعاء فيه ، فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه ، وروى البيهقي عن ابن عباس رضي اللـه عنهما : انه كان يلزم ما بين الركن والباب ، وكان يقول : ما بين الركن والباب يدعى الملتزم ، ولا يلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئا إلا أعطاه

الله إياه .

هذا في إجمال أهم ما يتعلق بالطواف من شروط وسنن وآداب ، على أن الطواف من حيث معناه اللغوي والشرعي نوع واحد ، وإنما تتعدد أنواعه من حيث وجوبه وسنيته أو من حيث أنه ركن من أركان الحج أو ليس بركن ، ولذا كان أربعة أنواع .

١ ـ طواف القدوم ٢ ـ طواف الافاضة ٣ ـ طواف الصدر أو الوداع ٤ ـ طواف التطوع .

والثلاثة الأولى خاصة بالحج على حين كان طواف التطوع مستحبا من كل من دخل المسجد الحرام في أي وقت من العام ، فتحية هذا المسجد هى الطواف بخلاف سائر المساجد فتحيتها الصلاة ، وعلى كل مسلم أن يغتنم فرصة دخوله مكة ، فيطوف بالبيت ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ويصلى في المسجد ما كتب الله عليه من الصلوات وما لم يكتب ، فالى هذا المكان المقدس تهفو القلوب المؤمنة ، وتسارع النفوس المطمئنة ، ويطوف الطائفون ويركع الراكعون ابتغاء فضل الله ورضوانه .

وطواف التطوع لا رمل فيه ولا اضطباع .

أما طواف القدوم فهو اول ما يفعله من يدخل مكة تحية للبيت ، ويذهب المالكية الى أنه واجب ، على حين يرى غيرهم أنه مسنون للقادم من خارج مكة إذا اتسع له الوقت ، فان لم يتسع بأن كان قد دخل مكة في وقت يجب عليه فيه التوجه إلى عرفات ، وفي هذه الحالة لا يشرع في حقه هذا الطواف .

وطواف القدوم أو طواف التحية والدخول ـ على اختلاف في وجوبه أو سنيته ـ لا يطلب إلا من الحاج المفرد ، أما القارن أو المتمتع فان طواف العمرة يجزئ عن ذلك الطواف .

وطواف الافاضة ويقال له أيضا طواف الزيارة ركن من أركان الحج ومن لا يفعله يبطل حجه ، ويذهب الأحناف الى أن الأشواط الأربعة الأولى من هذا الطواف هى الركن ، والثلاثة الباقية واجبة لا يبطل الحج بتركها وإن كان على من تركها دم ، ولكن جمهور العلماء يرون أن الأشواط السبعة كلها ركن .

وهذا الطواف هو المقصود بقوله تعالى : (**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**) .

ويبدأ طواف الافاضة بعد التحلل الأول أو الأصغر ، وذلك بعد رمي جمرة العقبة والذبح والحلق او التقصير .

وإذا كان الحاج لم يسع بين الصفا والمروة بعد طواف القدوم سعى بعد طواف الافاضة ، وبهذا الطواف تنتهى اعمال الحج ويكون التحلل الأكبر إذا كان قد سبقه السعي بين الصفا والمروة .

وأما طواف الوداع ويسمى ايضا طواف الصدر فهو آخر عمل يقوم به الحاج قبل توديع مكة والخروج منها ، وهذا الطواف لا رمل فيه ، ولا

يشرع في حق المكي والحائض ، وقد روى الامام مسلم عن ابن عباس رضى اللــه عنهمــا قال : كان النــاس ينصرفون في كل وجه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت » وروى الامام مالك في الموطأ عن عمر رضى الله عنه أنه قال : آخـر النسـك الطواف بالبيت .

وقد اختلف العلماء في حكم طواف الوداع ، فالمالكية يرون أنه سنة ولا يجب بتركه شئ ، ويذهب الأحناف والحنابلة ورواية عن الشافعى انه واجب يلزم بتركه دم .

وإذا انتهى الحاج من هذا الطواف وترك المسجد كان عليه أن يسافر فورا فان آخر سفره أعاد طواف الوداع ليكون آخر عهده بالبيت .

ولأن الطواف كالصلاة شرع لذكر الله ، فقد روى أبو داود والترمذي عن السيدة عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ، ورمى الجمار لاقامة ذكر الله عز وجل ــ لأن الطواف كذلك يقطع الطائــف التلبيــة إذا ابتــدأ الطواف ، ويكثر من الدعاء بما يشاء ولم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف دعاء خاص إلا قوله وهو بين الركنين اليمانيين (**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**) البقرة ٢٠١ ويستحب أن يقول الطائف قبل هذه الآية ــ كما ورد في بعض الأحاديث ــ اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ..

وما يأخذ به الناس أنفسهم في كل شوط من أشواط الطواف بدعاء وذكر معين لا أصل له ، والمهــم في هذا الموقف أن يصدر الدعاء عن قلب سليم منيــب ، والا يشغــل المرء نفســه بالكلمات والعبارات دون أن تكون تعبيرا عن إيمان صادق وإحساس خالص بخشية الله ومراقبته ..

وهناك أدعية مأثــورة كثــيرة ، بعضها يعزى الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعضها الآخر يروى عن السلف الصالح من الصحابــة والتابعين وغيرهم ، ولا يتسع المقام هنا لايراد هذه الأدعية ، ولا بأس من الاشارة إلى طرف منها : « سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أعوذ بك من الشك والشرك ، والشقاق والنفاق ، وسوء الأخلاق ، اللهم قنعنى بما رزقتنى ، وبارك لي فيه واخلف علي كل غائبة بخير » .

وبعد فالطواف في جوهره عهد بين العبد وخالقه ، أن يظل العبد على العهد والشهادة على نفسه بافراد الله بالعبودية ، والاعتصــام بحبلــه في الشدة والرخاء واللجوء اليه في السراء والضراء ، وأن يؤمن مع هذا بأنه لبنة في بناء مرصوص يشد بعضه بعضا ، فهو مسئول عن هذا البناء ، لأنه جزء منه ، ولا حياة للجزء بدون الــكل والعكس صحيح ، وبهــذا يحقــق الطواف معنى العبوديــة في أجــل صورها ووحدة الهدف والكلمة بين أبنــاء الأمــة الواحــدة في أقــدس معانيها .

معركة النبوّة وأهل الكتاب

للأستاذ : محمد عزة دروزة

(٣)

التنكيل باليهود

(١)

إن اليهود لم يبقوا في نطاق جحود نبوة النبي والقرآن والمكايدات والمماحكات والمحاججات والدسائس الكلامية . بل تجاوزوه الى نقض العهد والغدر والخيانة والعداء العقلي الصريح منذ عهد مبكر مما يمثله آيات عديدة منها آيات البقرة ١٠٠ وآل عمران ١٢ ـ ١٣ والأنفال ٥٦ ـ ٥٧ . فكان هذا سببا مباشرا لدور التنكيل الذي بدأت فصوله في الربع الأول من العهد المدني ثم استمرت الى أن تم إجلاؤهم عن المدينة وخض شوكتهم وإجلاء بقيتهم عن القرى الأخرى في الربعين الثاني والثالث منه .

ولقد تعددت فصول هذا الدور . وكان لكل فصل أسبابه الخاصة كما كان موضوع كل فصل فريقا دون آخر . ويدل هذا على أن التنكيل إنما كان يجري بمقدار الضرورة وبقصد إزالة الضرر والخطر المحققين من الفريق الذي حق عليه التنكيل وحسب ، كما يدل على انهم لم يقدموا جميعا على الخروج من نطاق الكلام الى العداء الفعلي والغدر والخيانة في وقت واحد . وسبب نلك فيما هو المتبادر أنهم لم يكونوا مجموعي الشمل في كيان سياسي وحربي واحد ومتوافق . وانما كانوا كتلا مستقلة . كل كتلة تسكن في محلة خاصة بها . وكان بينهم

خصومات أيضا بدليل أنهم كانوا متوزعين في التحالف والولاء بين بطون قبيلتي الأوس والخزرج اللتين كانتا بينهما خصومات كذلك على ما ذكرناه في مناسبة سابقة . .

ـ ٢ ـ

ولقد كان من فصول التنكيل ما هو إفرادي وما هو جماعي . ومن الافرادي قتل شاعر اسمه ابو عنك كان يهجو النبي والمسلمين هجوا بذيئا ويحرض عليهم فذهب اليه أحد أصحاب رسول الله سالم بن عمير رضي الله عنه وقتله . وكذلك كان شأن كعب بن الأشرف الذي كان شاعرا بذيء الهجو محرضا على الاسلام والنبي متعرضا في شعره لنساء المسلمين حيث هتف النبي صلى الله عليه وسلم :(من لي بكعب فقد أذى المسلمين) فبادر أحد أصحاب رسول الله محمد بن مسلمة رضي الله عنه اليه وتمكن من قتله .
ومن ذلك قتل أبى رافع النضيري الذي ذهب الى مكة وحرض زعماءها على غزو المدينة واستئصال شأفة المسلمين وكان من نتيجة ذلك زحف الأحزاب الذي زلزل المسلمين فوجه اليه النبي صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه عبد الله بن عتيك رضي الله عنه مع نفر آخرين وقتلوه .
ومن ذلك قتل اسبر بن الآزم الذي خلف أبا رافع في تزعم يهود خيبر وتحريض قبائل غطفان على غزو المدينة فوجه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه عبد الله بن رواحه مع نفر آخرين رضي الله عنهم فقتلوه .

ـ ٣ ـ

وأولى فصول التنكيل الجماعية إجلاء كتلة بني قينقاع عن المدينة الذين كان لهم سوق تجارة وصناعة في قلب المدينة والذين هم أول من أعلنوا الغدر والنقض وأقدموا على إيقاع الأذى بالمسلمين . وكان ذلك بعد وقعة بدر . وفيهم نزلت آيات آل عمران ١٢ ـ ١٣ والأنفال ٥٦ ـ ٥٧ على ما رواه المسلمون .
ثم كان إجلاء بني النضير عن المدينة الذين أعلنوا الغدر والنقض وجرأوا على التآمر على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم في محلتهم حيث ذهب للاستعانة بهم على أداء بعض الديات حسب شروط الحلف . وكان لهم من السلاح والحصون ما جعلهم يظنون أنهم أمنع من أن يخرجهم المسلمون وجعل المسلمين يظنون أنهم أعجز من أن يخرجوهم .. فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وكان ذلك بعد وقعة أحد .
وقد حاصرهم النبي وحرضهم المنافقون من حلفائهم الخزرج على الصمود . ولكن النبي ضيق عليهم ولم ينصرهم حلفاؤهم فرضخوا وخرجوا بأثقالهم المنقولة وتخلوا عن أملاكهم ومزارعهم غير المنقولة .
وفيهم نزلت آيات سورة الحشر . ثم كان استئصال شأفة بني قريظة ثالثة الكتل في المدينة الذين ظاهروا الأحزاب التي غزت المدينة وزلزلت

غزوتهم المسلمين زلزالا شديدا على ما جاء في آيات سورة الأحزاب ٩ ـ ٢٧ حيث زحف عليهم النبي والمسلمون بعد أن رد الله الاحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال . وحاصرهم ونزلوا مضطرين على حكمه وفوض الحكم عليهم لزعيم الأوس . وهم حلفاؤهم فحكم عليهم بقتل المقاتلة وسبى النساء والأطفال والاستيلاء على أموالهم وأملاكهم بسبب ما كان من موقفهم الغادر اللئيم . وعرض النبي عليهم الاسلام فلم يسلم الا واحد فقتل مقاتلتهم وباع نساءهم وأطفالهم واشترى بالثمن سلاحا واستولى على مالهم من أموال وأملاك وجعلها فيئا للمسلمين كما جعل أملاك بني النضير كذلك .. وقد ذكرت آيات الأحزاب ٢٨ ـ ٢٩ مظاهرتهم للمشركين وما كان من استئصال شأفتهم ..

ـ ٤ ـ

وباستئصال شأفة بني قريظة تم القضاء على يهود المدينة الذين كانوا هم الأشد والأقوى والأغني والأبعد نكاية وأذى وكيدا . وكان هذا فاتحة عهد جديد للاسلام والدعوة الاسلامية . فالمنافقون الذين فقدوا محركهم القوي ومدبرهم الألمعي أو بالتعبير القرآني (شياطينهم) لم يلبثوا ان أخذ شأنهم يضؤل وصوتهم يخفت وقوتهم تهن وكثرتهم تتناقص . وانكشف عن المسلمين غم شديد كان يستنفد منهم كثيرا من الجهود ويقض مضاجعهم .

والمشركون الذين غزوا المدينة تلك الغزوة الكبرى التي زلزلت المسلمين وانضوى اليها نحو عشرة آلاف من مشركي مكة وحلفائهم القبائل المشركة والتي كانت بتحريك اليهود وتآمرهم لم يعودوا يفكرون بغزو المدينة وقتال المسلمين حتى ان هذا قد شجع النبي صلى الله عليه وسلم فاعتزم زيارة الكعبة بالهام الله ونتج عن رحلته صلح الحديبية الذي سماه القرآن فتحا مبينا بين النبي والمسلمين وزعماء مكة . والقبائل الكثيرة التي كانت تقف موقف المتربص تبدل موقفها وأخذت تتقرب الى النبي بالتعاهد والمسالمة أو الدخول في الاسلام . وفرغ بال النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل رسله وكتبه بالدعوة الى الاسلام الى الملوك والأمراء والاقبال في داخل الجزيرة وخارجها من عرب وغير عرب . ولم يمر ثلاث سنوات حتى استطاع أن يجمع جيشا قوامه عشرة آلاف ويزحف به على مكة بسبب نقض الزعماء العهد ويفتحها فيهدم السور الكثيف الذي كانت مكة تقيمه بين الاسلام وسائر العرب . ويفد عشرات الوفود الى المدينة من مختلف أنحاء الجزيرة ، ويبايعون النبي ويدخل الناس في دين الله أفواجا .

ـ ٥ ـ

ويهود المدينة وان كانوا هم الأكثر والأقوى وكان القضاء عليهم قضاء

على القوة اليهودية الكبرى فانه كان هناك جاليات عديدة من الاسرائيليين تستوطن في اماكن عديدة في طريق يثرب الشام . وقد أهملها النبي صلى الله عليه وسلم مدة قصيرة مع ما كان يبدو منها من نيات سيئة ومواقف تآمرية ولا سيما زعماء خيبر الذين حرضوا قريشا وظلوا يحرضون القبائل لأنها لم تكن من قوة الشأن ما تثير خوفا وخطرا عاجلين بعد سحق رأس الأفعى في المدينة . ولم يكد يعقد صلح الحديبية مع زعماء قريش في السنة التالية للقضاء على بني قريظة حتى بادر الى تصفية أمرها وخض شوكتها . وكان من ذلك قتل ابى رافع ثم اسير بن رازم زعيمي خيبر ثم زحف النبي صلى الله عليه وسلم على رأس جيش من المسلمين على خيبر أولا . وكانت هي الأقرب والأكثر سكانا وحصونا واستعدادا وسلاحا والأشد محاربين . وقد استغرقت المعارك نحو شهر وكانت مبارزات فردية وتلاحما جماعيا وانتهت بالنصر والفتح الاسلامي وخضوع اليهود واستسلامهم . وقد قتل منهم العشرات ومنهم الزعماء الأشداء . وسبى عدد من النساء والأطفال . واستولى المسلمون على الحصون وما كان حول كل منها من بساتين ونخل ومزارع . كما غنموا كثيرا من الأموال والسلاح . وقد عرض النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام على المستسلمين فلم يؤمن الا أفراد قلائل . وقد أجلى الخطرين منهم واتفق مع من لا خطر له على البقاء لرعاية البساتين والمزارع مقابل نصف الغلة وعلى أن يبقوا كذلك ما شاء المسلمون وما لم يظهر منهم شذوذ وفساد . ثم زحف النبي على وادي القرى التي كانت كذلك كثيفة السكان ذات حصون عديدة وفيها بساتين نخل ومزارع . وتم النصر والفتح للمسلمين وخضع اليهود واستسلموا بعد جهد ومفاوضة أقل مما كان في خيبر . واستولى المسلمون على الحصون والبساتين والمزارع وغنموا كثيرا من الأموال . وفعل النبي صلى الله عليه وسلم في المستسلمين ما فعله في مستسلمي خيبر حيث أجلى الخطرين وابقى غير الخطرين لرعاية البساتين والمزارع وللمسلمين إخراجهم حين يشاؤون وحين يبدر منهم فساد وشذوذ . وكانت مستوطنتان قريبتان نوعا ما هما فدك وتيماء فجاء زعماؤها الى النبي مستسلمين وصالحوه على نصف أملاكهم وعاهدوه على المسالمة فقبل منهم على نفس الشرط والمشروط على أهل خيبر ووادي القرى . ولقد ظلوا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلاهم بسبب ما ظهر منهم من شذوذ وفساد .

ولقد كان للاسرائيليين مستوطنات بعيدة جدا عن يثرب أقرب الى الشام وبعد تبوك سمتهم كتب السيرة بأسماء بني غاديا وبني العريض وبني جبته ومفتا . والجربا واذرح . وقد جاء رؤساؤها الى النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبة زحفه على تبوك على ما سوف نذكره بعد ، مستسلمين

باسم أهل مستوطناتهم متعهدين بالخضوع لسلطانه والمسالمة له وأداء الجزية اليه فقبل منهم . وأعطاهم عهودا بذلك .
وبذلك كله سجلت النبوة انتصارها الحاسم في معركتها مع اليهود وان كان سياسيا اكثر منه دينيا .

ثانيا : معركة النبوة مع النصارى في العهد المدني :

ـ ١ ـ

لم يكن في المدينة نصارى مقيمون الا أفراد قلائل منهم من أسلم ومنهم من سالم . وكان يأتي اليها وفود نصرانية لاستطلاع أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومناظرته . ومنهم من كان يؤمن ومنهم من كان يكابر ويعود معاهدا على المسالمة . ومن هذه الوفود وفد نصارى نجران اليمن . ولقد ترجح عندنا من تمحيص روايات السيرة وتفسير آيات القرآن ان نصارى نجران أوفدوا وفدين واحدا بعد وقعة بدر وقبل وقعة أحد . وآخر بعد فتح مكة وتسيير النبي صلى الله عليه وسلم بعض سراياه الى اليمن . ومعظم المفسرين بل كلهم يروون ان صدر سورة آل عمران السابق للآيات الواردة في السورة في صدد وقعة أحد قد نزل في مناسبة وفود وفد نصارى نجران حيث يمكن أن يكون انتصار النبي والمسلمين على مشركي قريش في وقعة بدر الكبرى مما حركهم وجعلهم يرسلون وفدهم للاستطلاع حيث كان لذلك النصر دوى عظيم في أنحاء الجزيرة .
وكان في الوفد أربعة عشر رجلا من رجال دينهم منهم الاسقف ومنهم صاحب الكلمة الحاسمة . وقد تناظروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدد عيسى عليه السلام وتلا رسول الله ما نزل عليه من القرآن في صدد ذلك فكابروا وتمسكوا بعقيدتهم في نبوة المسيح والوهيته . فدعاهم بأمر الله الى المباهلة أى أن يجتمعوا معا ويبتهلوا الى الله بلعنة الكاذب منهم . ومما ذكره ابن هشام الذي ذكر خبر وفادتهم قبل وقعة بدر ولم يذكر خبر وفادتهم الثانية أنهم استمهلوه للغد ثم اجتمعوا فيما بينهم فقالوا لاسقفهم عبد المسيح ماذا ترى فقال والله لقد عرفتم ان محمدا لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم يعني حقيقة المسيح . ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه لاستئصال لكم ان فعلتم . فان كنتم ابيتم الا الف دينكم والبقاء على قولكم في صاحبكم (عيسى عليه السلام) فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم . فاتفقوا على ذلك وجاءوا في الغد فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم (ألست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه قال بلى ، فقالوا : هذا حسبنا ولا نريد أن نتلاعن معك ونكون لك مسالمين . فندد بهم القرآن في آية سورة آل عمران السادسة التي تندد بالذين يتبعون متشابه القرآن ويتجاهلون محكمه لأن محكمات

القرآن تذكر أن عيسى بشر ومثله كمثل آدم قال الله كن فكان وأنه عبد الله ورسوله وان تلك الكلمات هي من المتشابهات التي تفيد التعبير عن المعجزة الربانية في خلق عيسى . ولم يبالوا بذلك وبقوا على موقفهم ثم طلبوا من النبي أن يرسل معهم شخصا حكيما من أصحابه ليحكم بينهم في خلافات لهم فأرسل معهم أبا عبيدة رضي الله عنه .

ومما ذكره ابن هشام أن أحد كبارهم أبا الحارث عثرت بغلته فقال أخوه تعس الأبعد يريد رسول الله فقال له بل أنت تعست . فقال ولم يا أخي فقال والله إنه النبي الذي ننتظر وان اسمه في الوقائع الرقوق التي عندهم . فقال له وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا فقال ما صنع بنا قومنا شرفونا ومولونا وأكرمونا . فلو فعلت لنزعوا منا كل ما ترى حيث تكون المنفعة المادية الدنيوية هي التي منعتهم من الاذعان . وفي هذا مصداق لما جاء في آية التوبة (٣٥) التي تذكر صد كثير من الأحبار والرهبان عن سبيل الله بسبب مطامعهم في الأموال ورغبتهم في كنز الذهب والفضة .

وما رواه ابن هشام ان الأخ واسمه كرز كبر عليه هذا الموقف ففارق الوفد وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه وبقي في المدينة ، وأنه رجز بين يدي النبي حينما وفد عليه هذا الرجز :

اليك تغدو قلقا وضينها
معترضا في بطنها جنيها
مخالفا دين النصاري دينها

والمتبادر أنه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما دار من حوار بين رجال الدين من الوفد وما قاله له أخوه فتداولته الألسن ودونه ابن اسحق ونقله عنه ابن هشام .

ولقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعد قليل من فتح مكة سرايا الى اليمن للدعوة الى الاسلام فجاء وفد كبير من نصارى نجران الى المدينة وعقدوا عهد مسالمة مع النبي وتعهدوا بأداء الجزية اليه وأمنهم على حريتهم وطقوسهم ومناصبهم وأملاكهم بشرط عدم تعاطي الربا . وخبر هذا الوفد ونص المعاهدة مذكوران في الجزء الثالث من طبقات ابن سعد وفي كتاب الخراج للامام ابى يوسف الذي هو أقدم ما وصل الينا من مدونات من القرن الثاني الهجري أو من أقدمها وعلى المعاهدة شهادة المغيرة بن شعبة وابى سفيان وهما ممن أسلم بعد فتح مكة . وقد أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما علم بنقضهم ذلك الشرط .

وهكذا لم يبق في الحجاز واليمن نصارى ويهود منذ عهد عمر . وكان من آخر ما وصى به رسول الله إخراجهم حتى لا يبقى في الجزيرة دينان .

ـ ٢ ـ

وفي سورة المائدة آيات تذكر خبر وفد آخر فيه قسيسون ورهبان واعلامهم الايمان بالقرآن والرسالة المحمدية وهي الآيات ٨٢ ـ ٨٥ وهناك

اختلاف في هوية هذا الوفد حيـث ذكرت بعض الروايات أنه من نصارى الحبشة كما ذكرت أنه من نصارى سورية . ونحن نرجح هذا لأن الآيات تذكر أثر القرآن في نفوسهم مما لا يمكن أن يكون الا اذا فهموا القرآن حينما تلى عليهم . وكان في سورية كتلة كبـيرة من نصـارى العـرب الصرحاء . وفي الآيات وصف لمشهد الايمان العظيم الذي جهروا به والتأثر الشديد الذي تأثروا به عند سماعهم القرآن حيث يتكرر في نلك شهادة عيانية إيمانية لاعلام النبوة المحمدية حينما يستطيع سامع القـرآن من الكتابيين بل ومن غيرهم مطلقا ان يتغلب على أنانيته ومنفعته الذاتيـة ويكون عنده رغبة صادقة في الحق اذا سمعه ورآه والانضواء اليه .

ـ ٣ ـ

ولقد كان في طريق يثرب ـ الشام قبائل نصرانية عديدة كما قلنا قبل وكان منها من يتعـرض للقوافـل التجارية التي تخرج من المدينة فكان نلك مما فتح باب الحرب والصدام بينهم وبين النبي والمسلمين . ولقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية رسله وكتبه الى ملوك وأمراء الجزيرة وما جاورها ومن جملتهم هرقل ملك الروم الذي كان في نلك الظرف في سورية وملك بصرى الشام الغساني . فقتل رسول رسول الله الى الملك الغساني بأمره . كما قتل عامل من عماله أعلن إسلامه . وسلمت قبيلة نصرانية في طريق الشام رسول رسول الله الى هرقل حـين عودته . فكان نلك مما أكد أسباب الحرب والصدام أيضا .

ـ ٤ ـ

ولقد سجلت كتب السيرة وقائع عديدة وقعت بين بعض هذه القبائل وبين السرايا التي كانت يرسلها النبي صلى الله عليه وسلم للانتقام من المعتدين أو للدعوة الاسلامية . كما سجلت خبر غزوات قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبيل نلك . وكانـت بعض سرايا الدعوة تنجح فينضـوى الى الاسـلام بعض القبائـل . وكان بعضها يقابل السرايا بالقوة فتقـع معارك . وكان بعضها يجنـح الى المسالمة فيعقد مع النبي صلى الله عليه وسلم معاهدة سلم وجزية . ومن أولى نلك غزوة قادها رسول الله الى دومة الجندل في آخر السنة الرابعـة من الهجرة لمواجهة تجمع نصراني نمى اليه أنه يقصد غزو المدينة . ولم يقع اشتباك لأن التجمع تفرق وهـرب وانضوى بعض الأفراد الى الاسلام في هذه الرحلة النبوية ومن السرايا سرية قادها زيد بن حارثة رضي الله عنه لتأديب القبيلة التي سلمت رسـول رسول الله وقد كان النصر حليفه . ومنها سرية قادها عمرو بن العاص رضي الله عنه . فلـم يقـع فيهـا اشتباك . ومنها سرية قادها عبـد الرحمن بن عوف رضي الله عنه للدعوة فنجحت وأسلم زعيم القبيلة وسائرها

وهي بنو كلب . وسرية قادها عمير الغفارى رضي الله عنه للدعوة فلقي رفضا ووقع اشتباك استشهد فيه عدد من المسلمين . وسرية قادها زيد بن حارثة رضي الله عنه الى مؤتة في أرض البلقاء وهي من أهم السرايا وأبعدها شوطا . وكانت للثأر لدم رسول رسول الله والعامل الغساني الذي أسلم واللذين قتلا بأمر الملك الغساني . واسم رسول رسول الله الحارث بن عمير الأزدي واسم العامل فروة بن عمرو الجذامي رضي الله عنهما . وكان عدد المجاهدين في السرية ثلاثة آلاف . وقد حسب رسول الله العواقب فسمي جعفر بن أبى طالب ثم عبد الله بن رواحة رضي الله عنهما ليتوليا القيادة واحدا بعد الآخر اذا استشهد قائدها زيد . وقد حشد الروم والغساسنة حشدا عظيما لمقابلة السرية ووقعت اشتباكات عنيفة واستشهد القواد الثلاثة رضي الله عنهم واحدا بعد الآخر ثم ندب المجاهدون خالد بن الوليد رضي الله عنه لقيادتهم واستطاع بحركة استبسالية فاجأ بها الأعداء أن ينسحب مع المجاهدين بعد أن أدهشهم وكشهم من أمامه . وسماه رسول الله سيف الله .. وبعد هذه السرية قاد عكاشة الأسدي رضي الله عنه سرية الى قبيلة عذرة النصرانية لتعرضها لقافلة تجارية وعاد منصورا غانما . ثم كانت الغزوة الكبرى التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في السنة الهجرية التاسعة والتي كان عدد المنضوين فيها نحو ثلاثين ألفا والتي نزل في أثنائها الشطر الأكبر من سورة التوبة . وكان سببها المباشر ما بلغ رسول الله من تجمع نصراني قبلي عظيم في تبوك لغزو المدينة جوابا على سرية زيد التى غزت النصرانية في عقر دارها وملكها على الأرجح . ولما وصل النبي صلى الله عليه وسلم مع جيشه الى تبوك وجد التجمع قد تفرق حينما بلغه حركة النبي وعظم جيشه . فلم يقع اشتباك . وكانت للغزوة مع ذلك مكاسب مادية وسياسية ودينية . حيث أرسل رسول الله سراياه الى أنحاء عديدة في المنطقة وجاءه رئيس مدينة ايلة يوحنا بن رؤية وعقد معه معاهدة سلام وجزية وجاءه رؤساء مستوطنات اليهود ففعلوا مثل ذلك وجاءه ملك دومة الجندل الاكيدر نتيجة لسرية قادها خالد بن الوليد فعقد معه صلحا ثم أسلم هو وجمع كبير من أتباعه . وعاد النبي صلى الله عليه وسلم بعد مكث شهر غانما منصورا .

ويظهر ان النبي لم يشعر بشفاء النفس لأن ثأر شهداء مؤتة لم يؤخذ من الملك الغساني والروم مباشرة . فجهز جيشا وأسند قيادته لأسامة بن زيد بن حارثة قائد سرية مؤتة الأولى . ولم تتحرك السرية في حياته لأنه مرض مرض الموت الذي توفاه الله فيه فتأخرت حركتها ومات رسول الله فكان أول عمل عمله خليفته أبو بكر رضي الله عنه إنفاذ عزيمة رسول الله وتحريك جيش أسامة . وذهب الجيش حتى وطئ أرض مؤتة ولم يلق

كبدا كبيرا وعاد سالما غانما .

ـ ٥ ـ

وهكذا كان النصر في معركة النبوة مع النصارى في الساحة الواسعة الممتدة من يثرب الى ما بعد تبوك للنبوة وان كان نصرا سياسيا اكثر منه دينيا كما كان الشأن في معركة النبـوة مع اليهود .

وقد أتم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم النصر في بلاد الشام والعراق العربي ومصر وشمال افريقيا فيمـا سـيّروه من جيـوش استمرارا لما كان من حالة الحرب القائمة للثأر وللدعوة معا حيث تم خلال أقل من عشرين سنة تقويض سلطان الروم والغساسنة بالتبعيـة عن بلاد الشام ثم عن مصر وشمال افريقيه وتقويض سلطان الفرس عن العراق العربي وتوطيـد السلطـان العربي الاسلامي الذي رافقه انضواء واسع للاسلام واندماج واسـع في العروبة . ولم تمض مائة سنة حتى كانت هذه البـلاد عربيـة مسلمـة باستثناءات قليلة أشاعها التسامح الاسلامي والمبادئ الاسلامية التي منحـت حريـة الديـن لمن سالـم المسلمين . وهذه الاستثناءات كانت بسبب المنافع الذاتية وحسب . فقد كان معظم النصارى في بلاد الشام ومصر والعراق على مذهب اليعقوبيين والنساطرة وهو غير مذهب الـروم أصحاب السلطان . وكان فريق من أهـل الشـام على مذهـب الـروم فحرضهم الروم على مناوأة الاسلام والسلطـان الاسلامـي وأغروهـم بالمنافع فتم التوافق ووحدة الموقف بينهم وظلوا على صلة بالروم يتلقون تعليماتهم وأموالهم منقبضـين عن الاسلام مناوئين لسلطانه . ولقد رأى اليعقوبيون والنساطرة في القرآن آيات فسروها تفسيرا متلائما مع مذهبهم مثل : (**انما المسيح عيسى ابـن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه**) فكان هذا مما جعلهـم يقبلـون على اعتنـاق الاسلام . ولقد كان منهم رهبـان يجنون من الكنائس والأديرة عائدات فبذل بعضهم جهدهم لإبقاء بعض طوائفهم على النصرانيـة لضمـان استمرار تلك العائـدات فكان هذا وذاك تلك الاستثناءات القليلة وصار النصر على كل حال سياسيا ودينيا .

ولقد كانت خطوات النصر الأولى بعد تقويض سلطان الروم والفرس دخول أهل البلاد النصارى في صلح وذمة السلطان الاسلامي . ثم كانت تلك الاستجابة الواسعة للدعـوة التـي كانت عناصر الاستجابة فيهـا قوة باهرة لا يسع من أراد الحق ورغب فيه وتغلب على أنانيته الا الانضواء اليها .

وفي هذا العرض ولما لم نورده من تفاصيل تكذيب لمزاعم المستشرقين من يهود وغير يهود في صدد دوافع حركة جيوش الفتح وانتشار الاسـلام في البلاد التي كانت مهاجر العرب منذ أقدم الأزمنة المحررة من سلطـان الروم والفـرس .

دعوة

لا تحص في دربك الأشواك والحجرا
إذا مشيت وأحص الـــزهر والثمرا
وانظر الى المـــزن في عليائها طمعا
في غيثها ـ لا ترج الآسن الكدرا
واجعـــل هداك نجوما لاعداد لها
في قبة الله يفتن الـــذي نظرا
وابعث لها الحب اشواقا مجنحة
وبالهوى ، لا تخص الشمس والقمرا
قالـــوا الـــربيع مضى في الأرض موسمه
فقلـــت : في مهجتي نيسان ما غبرا
أشدو مع البلبل الصداح روعته
فان مضى قمت وحدي اضرب الوترا
ما ضرني انني وحدي اهدهده
وأجتليه : رياضا نضرة وذرا
ان الـــربيع لمعنى في ضمائرنا
وقد نراه : وقد نعيا به بصرا
لا تشهد الصبح الا ان تعد له
قلبا الى وجهه مستبشرا نضرا
فما الـــدجى غير معنى في خواطرنا
قد يظلـــم الصبح إن لاقيته عسرا
وقد تنير المساء الجهم امنية
حتى تراه بغير البدر مبتدرا

للشاعر العوضي الوكيل

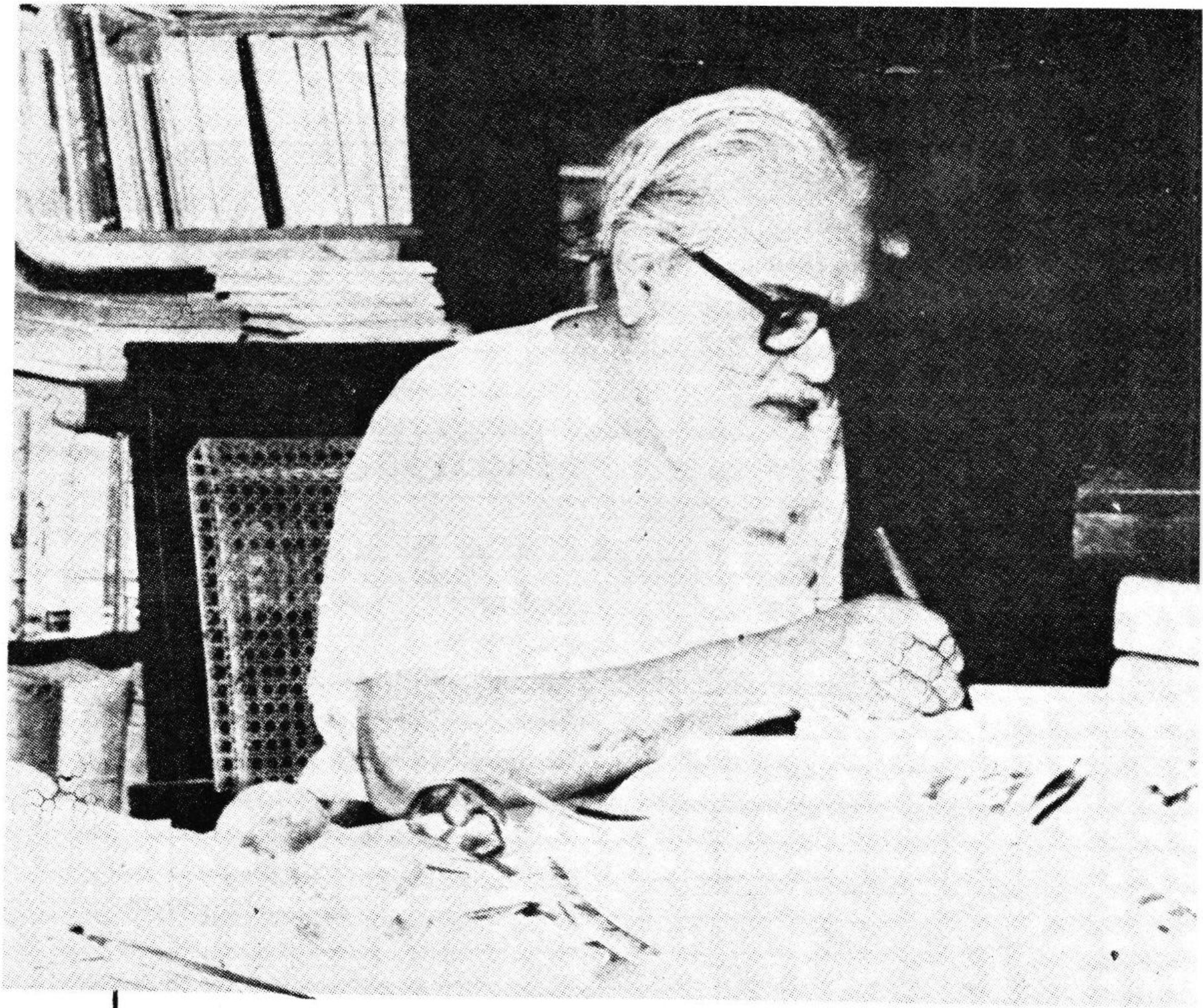
قالـــوا الجراح فقلـــت : الحب يبرؤها
لا يبرئ الجرح مثل الحب ان طهرا
ينساب من مقلتي دمع فأحبسه
كـــأنه من فجاج القلـــب ما انهمرا
أحيا الحياة كأني سامع نغما
فأنتشى وكـــأني راشف سكرا
كوبي وكـــوبك صفو لاقذى بهما
وما نريد شرابا آسنا عكرا
ديني ودينك أن الله خالقنا
بقدرة أعجزت في كنهها القدرا
إن سمتني خطة في القول جائرة
مضيت منك الى الأيام معتذرا
وما قعودي عن علـــم ومعرفة
والقوم قد وطئوا المـــريخ والقمرا
فيم الجدال على دنيا نبددها
لغوا وتغفل عما رق او سحرا
أيام عمرك أضياف وليس لها
إلا الهوى العذب والحب الطهور قرى
يلـــذني أن أرود التل مرتقيا
الى الـــذرى واورود السفح منحدرا
هما سبيلان : فاغنم من سلوكهما
أنسا لقلبك يبقى فيه مدخرا
ان يرحل المـــرء لم يغنم بسفرته
اذا ابتغى عن مغاني نفسه سفرا
سافر وأنت مقيم في جوانحها
وان غدوت عن الأبصار مستترا
ولست اطلـــب الا ان تكـــون كما
ارادك الله في أكـــوانه : بشرا

الداعية والمفكر الاسلامي الكبير..

العلّامة

أبو الأعلى المودودي

لقي ربه ليلة الأحد الثاني من شهر ذي القعدة سنة ١٣٩٩هـ الموافق الثالث والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٩ م بعد حياة حافلة بالجهاد المتواصل في سبيل الدعوة الى الله ، ونشر مباديء الاسلام والدفاع عنه . وقد ولد ابو الاعلى المودودي اعظم مفكر اسلامي في القرن العشرين في ٢٥ سبتمبر ١٩٠٣ بمدينة اورانج اباد ـ حيدر اباد ـ وكان بالهند من اسرة تنتمي الى الخواجة قطب الدين مودودي شستي مؤسس الطريقة الشستية (الصوفية) وتنسب الاسرة نفسها الى « مودود » راوى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقال بانه جاء الى الهند مع الفاتح الاسلامي محمد بن قاسم . وكان ابوه محاميا تخرج من جامعة عليكره الاسلامية وحيث انه كره الحكم البريطاني ومسانديه فقد نفر من الحضارة الغربية ، ومن ثم لم يرسل اولاده الى المدارس الانجليزية بل هيأ لهم تعليما شاملا في المنزل تلقوا فيه العربية والفارسية والاردية والانجليزية .



وعندما بلغ المودودي السادسة عشرة فقد اباه ومنذ ذلك الحين اي في عام ١٩٢٠ اخذ يعمل في الصحافة فعمل مراسلا ومحررا ثم انتقل الى دلهي حيث عمل نائبا لرئيس تحرير مجلة الجمعية الناطقة بلسان جمعية العلماء بالهند وظل كذلك حتى عام ١٩٢٧ حين عاد الى منزل الاسرة في اورانج اباد لمدة عامين ثم عاد الى دلهي وظل فيها حتى عام ١٩٣٢م حيث بدأ يصدر مجلته الشهيرة ترجمان القرآن التي لا تزال تصدر .

وفي شهر يناير من عام ١٩٣٨ انتقل الى البنجاب بدعوة من العلامة محمد اقبال للعمل على تحقيق بعث اسلامي ولما مات اقبال ذهب المودودي الى لاهور وعمل عميدا لكلية الدين فيها بدون اجر ثم استقال وفي عام ١٩٤١ اسس الجماعة الاسلامية التي ارتبط اسمه وحياته بها حتى وفاته .

كان الاستاذ المودودي رحمه الله قائدا فذا ومفكرا لامعا وخطيبا يأخذ بمجامع القلوب احبته جماهير القارة الهندية كلها من المسلمين

وعرفه العالم الاسلامي كله . كان يعرض الاسلام عرضا عصريا يستقطب اليه المثقفين وكان يؤلف باللغة الا ردية فقد نشر له اكثر من مئة كتاب بها قد ترجمت معظم كتبه الى الانجليزية والعربية كما نشرت بعض مؤلفاته الى عدة لغات حية في العالم . والجدير بالذكر ان كتابه مباديء الاسلام من اكثر الكتب انتشارا فقد طبعت منه ملايين النسخ باللغات المختلفة .

ولم يكن المودودي مفكرا اسلاميا فحسب بل كان قائدا سياسيا يهدف الى تحقيق بعث اسلامي وقد تصدى لاعداء الاسلام وتعرض للبلاء والسجن عدة مرات وكان جريئا لا يخشى في الله لومة لائم لم يكن يهاب احدا بل كان الحكام جميعا يهابونه ويجلونه لم يفكر المودودي قط في اموره الشخصية وانما كان دائم التفكير في الدعوة الاسلامية حتى اخر لحظة من حياته وعندما منحت له جائزة الملك فيصل في العام الماضي كاعظم كاتب اسلامي في العصر الحديث ومقدراها ٢٠٠,٠٠٠ ريال ارسل احد اعضاء الجماعة الاسلامية وهو الاستاذ خليل الحامدي لاستلامها ولشد ما دهش الحاضرون حين اعلن الاستاذ الحامدي ان المودودي اوصاه بان يتبرع بكامل هذا المبلغ لصالح الدعوة الاسلامية .

واهم قضية وقف فيها موقف الرجال المؤمنين الصادقين هي قضية الحركة القاديانية الخارجة عن الاسلام والتي كان لها نفوذ كبير في القارة الهندية مما افسد على المسلمين دينهم فتصدى لها المودودي وفضحها واعلن خروجها عن الله فسجن وعذب في سبيل ذلك ولكنه ظل شامخا كالطود الاشم . واخيرا اعلن العالم الاسلامي براءة الاسلام من هذه الطائفة ويعتبر كتابه عن القاديانية من خير الكتب حول هذا الموضوع .

ومن اهم ما كتب وما كتب كثير تفسيره الرائع لكتاب الله العزيز باللغة الاوردية والذي اسماه « تفهيم القرآن » والذي ترجم الى عدة لغات من العالم وكذلك كتابه في السيرة النبوية الذي كان اخر ما كتب ولعله يكون قد اكمله .

صحيح ان حياة الأستاذ المودودي رحمه الله لم تزد عن ٧٦ عاما ، إلا أنها كانت حياة حافلة فهو يستحق بحق ان يقال عنه انه رجل يعتبر امة رحم الله الاستاذ المودودي واسكنه فسيح جناته وجزاه الله عن الاسلام والمسلمين كل خير وعوض الله المسلمين بفقده من يحمل الراية من بعده وقد صدق الشاعر حين قال :

الناس صنفان موتى في حياتهم
وآخرون ببطن الارض أحياء

قصــة إسلاميـة

حامل الراية

للاستاذ حسين القباني

ذهبت السيدة زوجة حارثــه بن شراحل الكعبــى القــرشي ذات يوم لزيارة قومها من قبيلة طيء ، وكان معها ابنها الصبي الصغير زيد .. وفيما هي مع أهل الأم في الحي ، اذا بجماعة من بني القين يغيرون على نجع القبيلـة ، كمـا كان الحـال في الجاهليـة ، اغـارات بعـد اغارات ، ... وحروب صغيرة بـين القبائل والبطون في النجوع ، والقرى والمخيمات ، وانتهت الاغارة بسبى عدد من الصبية ، بينهم زيـد بن حارثة ، وكان قدره أن عرض للبيع في مكة ـ فاشتـراه حكيـم بن حزام لحساب عمته السيدة خديجة بنــت خويلد .

وظل الصبي زيد في خدمة السيدة خديجـة حتـى تزوجهـا الرسـول الكريم ، محمد صلى الله عليه وسلم ، فوهبت له زيدا .. وكان يومذاك في نحو العاشرة من عمره .. ولم يكن الرسول قد نزل عليه وحي الرسالة بعد .

وعاش الغلام في كنف أحسن خلق الله خلقا وخلقا ... وكان من الطبيعي أن يجد الأمـن والراحـة والحـب والرعاية من الذي اختاره الله سبحانه

ليكون هداية للعالمين .. ولا عجب والأمر كذلك أن يرفض الغلام العودة إلى أهله .. فقد رآه قوم من أرض أسرته فعرفوه وعرفهم فدلوا أهله على مكانه فجاء أخوه جبلة بن حارثة إلى الرسول الكريم وقال له :

ـ ابعث معي أخي زيدا ..

فأجابه الرسول الكريم بقوله :

ـ هو ذا .. فان انطلق معك لم أمنعه ..

ولكن زيدا أسرع يقول للرسول بصوت ملئ بالصدق والحزم :

ـ والله لا أختار عليك أحدا .

ولما عاد جبلة إلى قومه دون زيد .. غضب والد زيد حارثة بن شراحل الكعبى ، وصحب أخاه عم زيد ، ومضيا إلى مكة حيث كان الرسول بالمسجد فدخلا عليه وقالا له :

ـ يا ابن عبد المطلب .. يا ابن سيد قومه .. أنتم أهل حرم الله ، تفكون العاني ، وتطعمون الأسير ، جئناك في ولدنا زيد عبدك .. فامنن علينا وأحسن فداك ..

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

ـ وما ذاك ..

قال الأب :

ـ زيد بن حارثة .. نريد شراءه ..

قال عليه الصلاة والسلام :

ـ أو غير ذلك ؟ ادعوه فخيروه .. فان اختاركم فهو لكم بغير فداء .. وإ ن اختارني فو الله ما أنا بالذي اختار على من اختارني فداء ..

قال العم :

ـ لقد زدتنا على النصف ..

وأقبل زيد .. وسأل الرسول الكريم :

ـ هل تعرف هؤلاء ؟

قال الشاب :

ـ نعم .. هذا أبي .. وهذا عمي ..

قال الرسول الكريم :

ـ فأنا من علمت .. وقد رأيت صحبتي لك .. فاخترني أو اخترهما ..

فقال الشاب الوفي :

ـ ما أنا بالذي أختار عليك أحدا .. أنت مني بمكان الأب والعم ..

فقال الأب والعم لزيد :

ـ ويحك يا زيد .. اتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك .

قال زيد بصدق وحزم وثبات ..

نعم إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا ..

وهنا نهض الرسول من مجلسه وقد أعلن عتق زيد وتبنيه له ، ثم مضى به إلى مجلس قريش بالمسجد وقال :

ـ اشهدوا أن زيدا ابني .. أرثه ويرثني ..

وامتلأ قلب والد زيد وعمه بالسرور وطابت نفساهما ، وانصرفا عائدين إلى بلادهما . وظل زيد يدعى « زيد بن محمد » حتى نزلت الآية الكريمة **(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) .**

وعندئذ عاد اسم زيد مقرونا بأسم أبيه حارثة .

ولم يكن زيد بن حارثة بالرجل الذي يستهان به لأنه بدأ حياته وهو

طفل ، عبدا يباع ويشترى إن حادث سبيه طفلا ، وحياته عبدا ، لم يؤثرا فيه كرجل شجاع كريـم الأصـل والمنبت . وحسبه شرفا

أنه كان رابع أربعة في دخول دين الله .. الاسـلام .. بعـد السيـدة خديجة وابي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب رضـوان اللـه عليهـم جميعا .. واذا كانت السيدة خديجة أول سيدة في الاسلام . وأبو بكر أول رجل .. وعلي بن ابي طالـب أول شاب .. فقد كان زيد بن حارثه أول مولى من الموالى في الاسلام .. هذا فضلا عن رجاحة عقله ، وشجاعته وثبات جنانه ، وقـوة شكيمتـه في الحرب مع الايمان الصادق والهمة المثلى ، مما جعله من أحب الناس الى قلب رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا عجب ان قال الرسول الكريم له ذات يوم .

يازيد .. أنت مولاي ومني وإلي وأحب الناس إلي ..

وكانت شجاعته تؤهله لأن ينتدبه الرسول الكريـم لقيـادة السرايـا الخاصة بتأديب الكفـار والمشركين الذين يؤذون المسلمين ويقطعون عليهم الطرق ويحاربونهم في كل مكان .. فكان الرسول يعقد لزيد لواء كل سرية لتأديب هؤلاء المعتدين على الاسلام والمسلمين .. وقد روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت في هذا الشأن :

ــ ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليهم .. وكان ذلك كثيرا ، فما كان يعود من سرية حتـى يتجهـز الى الأخرى .

وكان زيد في كل حملة تأديب عند حسن ظن الرسول الكريم به ، فما عاد من حملة إلا وهو يحمل لواء النصر .. وقد ذكرت المصادر وكتب السيرة أنه حمل اللواء لست حملات قتالية انتصر فيها وضرب المثل على الشجاعة والبطولة والفداء .

ومما يذكر له بالفخر في هذا المجال أن الرسول عليه الصلاة والسلام عقد له لواء سريـة موفـدة الى « وادي القرى » لقتال جمـع من المشركين الذين أساءوا أشد الاساءة الى جماعة من المسلمـين لا لشيء إلا لأنهـم يقولون : « ربنا اللـه » وكان عدد المشركين أضعاف عدد السرية التي يحمل زيد لواءها فقتـل كثـير من المجاهدين والمؤمنين ، وأثخن زيـد بالجراح ، فأمر رجاله بالكف عن القتال ، وبقي مع سريته في مكان منعزل يعالج جراحه وجراح رجاله ، ويقسم أنه لن يغسل رأسه حتى ينتقم من هؤلاء المشركين ، فلا يعود الى الرسول حاملا لواء الهزيمة ..

والتأمت الجـراح .. ومضى مع رفاقه مستترين نهارا مسرعين ليلا ، حتى فاجأوا المشركين في معركة أخرى فشلوا حركتهم وشتتـوا شملهـم ، وانتصروا عليهم وأسروا منهم عددا كبيرا .. وكان بين الأسرى امـرأة خبيثة دأبت على سب النبي محمد عليه الصلاة والسلام وتجهيـز المشركين بالعتاد والسلاح .. ولم يستطع أحد المقاتلين المسلمين الصبر عند رؤيتها

أسيرة الا ان يقتلها وهو يتذكر أذاها للمؤمنين .

ولما عاد زيد من حملة وادي القرى منتصرا استقبله الرسول الكريم بالعناق وقبله تكريما له وتقديرا لجهاده ودعا له بالخير ..

وحدث في السنة السادسة للهجرة أن أرسل النبي صلى الله عليه وسلم « الحارث بن عمير الأزدي » بكتاب منه الى امير بصرى ـ وكان هذا الأمير من أمراء هرقل ـ يدعوه الى الاسلام .

فلما وصل الحارث الي مشارف الشام في منطقة تسمى « مؤتة » التقى به أحد ولاة قيصر الروم في تلك المنطقة ، ويسمى شرحبيل بن عمرو الغسانى ، وكان الغساسنة يدينون بالمسيحية ويتولون امارة المنطقة الواقعة بين أرض الحجاز وامبراطورية الروم .

وقال شرحبيل الغساني للحارث بن عمير الأزدي :

ـ الى أين ؟

فقال الحارث :

ـ الى أرض الشام .

فتأمله الغساني مليا ثم قال :

ـ لعلك من رسل محمد .

فأجاب الحارث بثباته :

ـ نعم اني واحد من رسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم ..

وأشار الغساني الى أحد حاشيته ، ولم يلبث أن دخل عدد من جنوده ، فقبضوا على الحارث بن عمير الأزدى ومن كان معه ، ثم أمر الغساني بقتله ، واعادة من كانوا معه الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وحزن الرسول الكريم لمقتل سفيره حزنا شديدا ، وقرر أن يؤدب الغساني وأولياءه حتى لا يجرؤوا مرة أخرى على قتل اي رسول يحمل رسالة النور الى العالم ..

ولم يتعجل الرسول الكريم الامر ... وانما انتظر حتى تهيأت الفرصة الملائمة ، فجهز جيشا صغيرا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ، لأن حروبه الدفاعية ضد أعداء الاسلام لم تكن انتهت بعد ... وكان تجهيز الجيش بعد عامين من مقتل الحارث بن عمير الأزدي ـ وقد جعل حامل لواء هذا الجيش زيد بن حارثة وأوصى بأن يحمل اللواء بعده جعفر بن ابى طالب ، ومن بعد جعفر يحمله عبد الله ابن رواحة .

وخرج الرسول الكريم يودع الجيش الزاحف إلى تأديب الروم ... حتى إذا بلغ الركب ثنية الوداع ، قال الرسول الكريم يوصي اتباعه المؤمنين المجاهدين :

« اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالا بالصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ولا شيخا فانيا ولا تهدموا بناء » .

وهنا بكى عبد الله بن رواحة وهو القائد الثالث للجيش فقيل :

ـ ما يبكيك ؟

فاجاب عبد الله :

ـ أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها مكانة الشهيد عند الله فسالت دموعي شوقا للشهادة ..

وسار الجيش المجاهد بقيادة زيد بن حارثة حتى وصلوا منطقة معان ... وهناك جاءتهم الأنباء بأن الروم قد جمعوا لملاقاتهم جيشا تعداده المائة ألف فضلا عن جيش من قبائل غسان وحلفائهم يبلغ خمسين ألفا .

وشرع المسلمون المجاهدون يتبادلون الرأي والمشورة . هل يدخلـون في معركة مع عدو يبلغ أضعاف أضعاف عددهم .. لقد كان على كل مقاتل من المسلمين ان يواجه ثلاثين مقاتلا من الروم وعشرين مقاتـلا من العـرب المتنصرين . هذا فضـلا عن بعـد المسلمين الشاسع عن المدينة ومراكز إمدادهم ... وقال بعضهم : « نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا ، فاما أن يمدنا بالرجال أو يأمر بأمر فنمضي له » .

وهنا انبرى عبد الله بن رواحة يجمع المجاهدين على القتـال ويدعـو إلى الإقدام والتضحية والبذل وقد قال فيما قال :

ـ يا قوم .. والله إن التي تكرهون لهي التي خرجتم تطلبون ... ألا وهي الشهادة ... ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم الا بهذا الديـن الـذي أكرمنـا الله به .. فانطلقـوا .. فانمـا هي إحـدى الحسنـيين إمـا ظهـور ... وإمـا شهادة .

وهدأت نفوس المجاهدين حين سمعوا كلمات ابن رواحة ، التي نزلت على قلوبهم بردا وسلامـا وملأتهـا قوة وعزما وتصميما ، وزادتهم إيمانا على إيمانهم ورغبة في إعلاء كلمة الله حتى لو ضحوا في سبيلها أنفسهم .

والتحم الجيشان في معـركة غـير متكافئة ... وقاتل زيد بن حارثة قتال الأبطال وكان في الخامسة والخمسين من عمره ... قاتل وهو يحمل اللواء الأبيض الذي عقده له الرسول الكريم وامتلأ جسده الطاهر بالجراح ولكنه لم يسقط حتى لا يسقـط من يده اللواء ... وظل يقاتل ويضرب بسيفه حتى قيل عنه بعد ذلك : « قاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم » .

وحرص قبل أن يلفظ آخر أنفاسه للقاء ربه في جنة الخلد ، على أن يسلم اللواء إلى جعفـر ، فلا يسقـط منـه إلى الأرض .

وبلغ نبأ استشهاده رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم نفسه فاطلع عليه الصحابة وعيناه تذرفان الدموع وهو يقول :

« أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا .. » ثم قال « اللهم اغفر لزيد » . وكررها ثلاثا .

واستقبل رسول الله الكريـم أسرة زيد ، فرأى بنتا له تبكي ، فبكى لبكائها ، فقال له سعد بن عبـادة رئيس الخزرج :

يا رسول الله ما هذا ؟

فقال الرسول الكريم :

ـ هذا شوق الحبيب الى الحبيب .

وإنما هي عبرات الصديـق بفقـد صديقه .

الفتاوى

للشيخ عطية صقر

شعر الغزل

السؤال ـ الشعر الذي يتغزل في النساء منهي عنه ، فكيف يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من كعب بن زهير ؟

ا.ع.م ـ دبي ـ الامارات العربية

الجواب : كان من عادة الشعراء العرب أن يبدأوا قصائدهم بالغزل ، وقد تكون القصيدة كلها قائمة عليه ، وروت كتب السيرة أن كعب بن زهير بن أبي سلمى لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم تائبا قال قصيدته التي جاء فيها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت   كأنه منهل بالراح معلول

ويقال : ان النبي صلى الله عليه وسلم أعجب بها وألبسه بردته .
وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع الشعر في المسجد من حسان بن ثابت ، ودعا أن يؤيده الله بروح القدس كما رواه البخاري ، وجاء في الأدب المفرد للبخاري أنه عليه الصلاة والسلام استنشد عمرو بن الشريد من شعر أمية بن أبى الصلت ، فأنشده مائة قافية ، وروى أنه كان يستزيده عقب كل قافية بقوله : هيه ، كما رواه مسلم ، وكاد أمية أن يسلم ، اى في شعره ، كما رواه البخاري ومسلم . وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن من الشعر حكمة » كما رواه البخاري ، وقال في شعر لبيد بن ربيعة : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : الا كل شئ ما خلا الله باطل ، كما رواه البخاري ومسلم . ومن الصحابة ، غير حسان ، قال الشعر عبد الله بن رواحة وغيره ، ولم ينكر عليهم أحد .
والى جانب هذه النصوص التي تفيد جواز قول الشعر وسماعه ، جاءت نصوص تفيد كذلك النهي عنه والتنفير منه ، فقد روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأن يمتلئ جوف رجل قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا » ومعنى

يريه يأكل جوفه ويفسده ، مأخوذ من الورى ، وهو داء يفسد الجوف . وروى البغوى من حديث مالك بن عمير السلمي أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشعر فنهاه عنه . وجاء فيه « فان رابك منه شئ فأشبب بامرأتك وامدح راحلتك » . وفي الأدب المفرد للبخاري حديث « إن أعظم الناس فرية الشاعر يهجو القبيلة بأسرها » وسنده حسن ، وأخرجه ابن ماجه من هذا الوجه بلفظ « أعظم الناس فرية رجل هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها » وصححه ابن حبان .

كذلك وردت في الشعر نصوص تفصل حكمه ، فقد أخرج أبو يعلي باسناد جيد مرفوعا « الشعر كلام ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح » وقريب من هذا الكلام جاء عن عائشة وعبد الله بن عمر كما رواه البخاري في الأدب المفرد ، واشتهر عن الامام الشافعي .

إزاء هذه المجموعات الثلاثة من النصوص لم يقل العلماء بمدح الشعر مطلقا ولا بذمه مطلقا بل حملوا المطلق على المقيد ، أو العام على الخاص ، فقالوا : ما كان منه حسنا فهو حسن ، وما كان منه قبيحا فهو قبيح ، ويحدد الحسن والقبيح من الشعر قول ابن حجر في فتح البارى « ج ١٣ ص ١٥٥ » : والذي يتحصل من كلام العلماء في حد الشعر الجائز أنه إذا لم يكثر منه في المسجد وخلا عن الهجو وعن الاغراق في المدح والكذب المحض والتغزل بمن لا يحل ، وقد نقل ابن عبد البر الاجماع على جوازه إذا كان كذلك .

وبناء على هذا يكون ما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر هو ما كان حسنا ، وشعر كعب بن زهير وان كان فيه تغزل فهو تغزل حلال . وقد تحدث العلماء في الغزل الحلال ، وخلاصة كلامهم : أن الشاعر إذا لم يقصد بالتشبيب امرأة معينة ، أى كان مرسلا أو اختلق لها اسما كسعاد وسلمى غير مقصود به معينة فهو جائز ، فان قصد به امرأة معينة وكانت على قيد الحياة فهو حرام إن كانت أجنبية عنه ، لأنه يهيج إليها ، كما يحرم وصف الخمر وصفا يغري بها ، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تنعت المرأة المرأة لزوجها ، أما غير الأجنبية كزوجته فقد اختلف العلماء في حكمه ، وأختار القول بجوازه ، على ألا يتخذ الشعر ديدنا يقصر عليه أكثر أوقاته ، فان المواظبة على اللهو جناية ، وكما أن الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة كذلك بعض المباحات كما تقدم نكره عن الامام الغزالي في حكم الغناء في الحج وغيره « عدد ذى الحجة ١٣٩٨ من هذه المجلة » .

الله

وأرسل لنا الشاب سليمان محمد سليمان ـ جمهورية مصر ـ قصيدة تدور معانيها حول التأمل في عظمة خلق الله سبحانه والتدبر في بديع صنعه .

وهى تثير في نفس المؤمن مشاعر جمة تؤكد صلته بربه عز وجل وتشده الى التفكير في خلق الله وعظمة هذا الخلق الذي يدل على عظمة الخالق سبحانه تحت عنوان « الله » وهذه بعض أبياتها :ـ

فيك كل الأفهام حارت وآبت
بعد جهد مضيع خاسئات
واطمأنت قلوب قوم ولانت
لجلى الآلاء والمعجزات
أنت في كل كائن تتجلى
للقلوب المجلوة المبصرات
قد رأيت الدليل في ذات نفسي
وقرأت الحقائق الناطقات
في شهودي وغيبتى ودعائي
في مسيري ورقدتى وسباتى
في ابتلائي وحيرتي واصطبارى
وخشوعى وذلتي في صلاتي
في ابتهالي اذا الخطوب ادلهمت
ورفعت اليدين أزجى شكاتى
في السماوات آية تتراءى
في ازدهار الكواكب النيرات
وكذا الأرض كم يرى لك فيها
من براهين غير مستترات
وطيور على الغصون تغنى
في حنان ورقة وأناة

المدينة المنورة

وحول مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثواه الكريم الذي تشرفت به .

فقد كانت مهد الأنصار ، والدعامة القوية في الدعوة الى الله ، والمنطلق الى كل أرجاء الدنيا فقد خرج الدعاة منها مزودين بنصح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوة ايمان ، وصدق يقين ، ولقد كانت المدرسة التي تخرج فيها هؤلاء النفر من المؤمنين الخلص الذين اختارهم الله ليكونوا سند الرسول في دعوته ونقلة دينه الى الناس من بعده .

والمدينة يأرز اليها الايمان ، ويحن اليها المسلمون فهى عاصمة الاسلام الأولى ، ومركز اشعاع الهدى والنور .

حول هذه المعاني جاءتنا هذه الكلمة من الأخ محمود زيدان السفاريني من الأردن :

إن السطور التي ستقرؤها تاليا تحكي قصة رحلة في الزمان والمكان .. رحلة طولها مدينة ، وعرضها زيارة .

والزيارة الى المدينة التي دخلها الرسول الكريم بنوره .. فأنيرت فسميت (المنورة) ومع نلك فان لها عدة اسماء منها طيبة ، ودار الأبرار ، ودار السلام ، ودار الفتح ، وقرية الأنصار . اما اسمها التاريخي فهو يثرب .

وأن جميع الروايات التاريخية تكاد تتفق على أن أول من أسس المدينة المنورة هم ابناء عملاق بن آرفخشد بن نوح عليه السلام .

وحين انهار سد مأرب قبل الاسلام بسبعمائة سنة زحفت قبائل اليمن إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، وكان من بينهم الأوس والخزرج الذين استقروا في المدينة ، وكانوا من أوائل أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد دخلت المدينة التاريخ بدخول الرسول اليها مهاجرا في عام ٦٢٢ ميلادي ومنذ نلك الحين أصبحت منارة الاسلام في العالم أجمع . ومنذ اليوم الأول لدخول الرسول للمدينة .. لم تعد الحياة تأبه إلا للبطولات التي تنطلق من الخير وللخير ..!

ولم يعد التاريخ يقف عند ذوي البأس والسطوة .. بل يقف مع نوي المروءة والحق ، لم تعد تبهره بطولات الفتح العسكري .. بل تبهره فتوحات الفتح الأنساني الذي يجمع الشتات ، ويقاوم التمزق والكره ، ويزرع الحب والأخاء ، ويعمل على رخاء الحياة الانسانية .

ومن هذه الأرض .. انطلقت أول بطولة من هذا النوع على يد محمد صلى الله عليه وسلم

وليس غريبا بعد نلك أن نلمس في ابن المدينة الصدق المطلق .. فهو رجل صادق من قمة الرأس إلى أخمص القدم

بأقلام القراء

جاءنا من الاستاذ معالي عبدالحميد ملخصا لقصة (أصحاب الاخدود من القرآن الكريم) ننشر منها ما يلي :

قال تعالى في القرآن المجيد :

« **قتل اصحاب الاخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شئ شهيد . ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** »

الأخدود في اللغة هو الحفيرة .. وجمعه أخاديد .. واصحاب الاخدود هم اناس من بني اسرائيل . خدوا اخدودا في الأرض .. ثم أوقدوا فيه نارا .. وقذفوا الرجال والنساء فيه .. وتعود قصتهم الى ان اليهود ـ من اصحاب الاخدود ـ وجدوا فريقا من النصارى آمنوا بالله خالقا سبحانه وتعالى وان سيدنا عيسى ابن مريم البتول رسول من عند الله .. فقد عرضوا على النصارى المؤمنين ان يرجعوا عن دينهم هذا واعتقادهم الايماني .

ويخبرنا الله تعالى في القرآن المجيد عن ايمانهم فيقول جل شأنه :

(وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود).

وحين وجد اليهود اصرارا منهم وتصميما على الايمان بالله ربا .. وعيسى رسولا مرسلا من الله العزيز الحكيم المنزه عن الصاحبة والولد . قاموا باعداد الاخدود لهم .. وألقوا فيه بعباد الله من النصارى المؤمنين .. ويروى ان ضحايا الاخدود كانوا عشرين الفا .

وكان حقا بعد ذلك ان يلعن الله اليهود لعنة دائمة .. ويدمغهم بتهمة القتل الغادرة بالحرق لعباد الله فيقول تعالى (**قتل اصحاب الاخدود**). ويمضى القرآن العظيم في توضيح ان اليهود ارتكبوا جريمة كبرى ضد البشرية والانسانية حتى صار الايمان ـ في مفهوم كفرة بني اسرائيل ـ جريمة يعاقب عليها بالحرق في الاخدود .

وبرغم خطورة الموقف الذي يرويه لنا القرآن الكريم ـ في سورة البروج ـ الا ان كرم الله يتضح جليا .. نقيا ـ رائعا فيقول تعالى : **(ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ..) (ثم لم يتوبوا ..)** منتهى الكرم الالهي .. وقمة الجود الرباني .. يؤكد لنا العلي الاكبر سبحانه وتعالى ان الذين

حرقوا المؤمنين والمؤمنات ان لم يتوبوا ...
وكما يقول الحسن البصرى : « **انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا اولياءه ويدعوهم ــ سبحانه ــ الى التوبة والمغفرة** ». فان لم يتوبوا فسوف يعاقبهم سبحانه وتعالى .
ويجب اذن ــ عدلا ــ ان يكون جزاء اليهود من جنس العمل . اليهود حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار والحريق الاخدودي .. اذن يجب ان ينال اليهود تلك النار ويتذوقوا تلك الحريق .. فيقول تعالى منبها ومشددا : (**ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**).
وتلك هى قصة اصحاب الاخدود كما يرويها لنا القرآن المجيد .

وجاءنا من الاستاذ حافظ شرف مقال تحت عنوان (هذا الدين) نقتطف منه ما يلي :

انني كلما قرأت تاريخ أسلافنا القدامى ، واستوعبت صفحاتهم الغر النواصع قفزت الى ذهني صور الماضي ، فأرى المجتمع الاسلامي الأول ، يزهو مشرقا من خلال القرون ، ويمد رواقه على العالمين أمما حية مسلمة ، ورجالا أباة عظاما . إنه الايمان الحق طهر القلوب ونقاها انه كتاب الله علم النفس ورباها ... ولئن تفتحت نفس للهدى ، وسبحت في مجالات الخير ، وغمرتها نورانية السماء ، وبللتها أنداء التوبة ، فذلك غاية الكمال الانساني ، والرعيل الأول من المسلمين لم تكن لهم هذه الحياة الهانئة الكريمة ، والمجتمع المستقر المطمئن الا يوم عرفوا الدين عن حب ويقين لا عن نفاق وتدليس ، فكل واحد موكول الى نفسه ، منوط بما يكملها ، هو المؤدب والزاجر والرقيب ، نفس لوامة ، وضمير رادع ، وخوف من الله عظيم ، ثم يهتاجني الألم ، وتعصف بي الأحزان ، والمسلمون تفرقوا أيدي سبأ .
ان الأمم العربية اليوم ليست في حاجة الى تنظيم وتجديد ، بقدر حاجة النفوس الى اصلاح وهداية وتربية ، فان تقدم الأمم ، رهن بصلاح النفوس وعمران القلوب .
ويوم توهمنا ودخل في روعنا ، أن الدين عبء ثقيل ، ومقراض جاثم على الصدور ، وأنه قديم ، يغلب عليه الجمود ، فلا يساير العصر الحديث ، ويجاري تطور الزمن ، ويتمشى مع هذه الاباحية المجرمة ، فقد ارعوينا عن خير المثل ، وأكرم الشمائل وأعرف التقاليد ، وضعنا بددا في عالم ملىء بالمفاسد ، والمباذل ، كما تضيع الفريسة بين لهوات الوحوش !!!! وحين أقنعنا أنفسنا بهذه المبررات المختلفة ، والمسوغات المزعومة ، فكان نهاية المطاف ، أن رجعنا بصفقة المغبون : فساد طوية ، وخراب ذمم ، وموت ضمير ، وضرب من العبث مباح !!
ولست أذهب بعيدا ، فهذه الأوضاع المقلوبة ، والتقاليد المسوخة ، التي نعانيها اليوم ، ونشكو من أوضاعها ، انما هي نتيجة حتمية ، لما ارتضيناه لأنفسنا من حياة اللهو والعبث والمجون .

بريد الوعي الإسلامي

كلام الله

نجد كثيرا من المحلات التجارية وغيرها تفتح مسجلات للقرآن الكريم ولا يستمعون بل تشغلهم التجارة من بيع وشراء عن الاستماع .
فهل يجوز ذلك مع أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ؟

وحيد محمد أبو القاسم عوض
الكويت ـ السالمية

تحدثت كتب التفسير عن سبب نزول هذه الآية الكريمة ، وتعددت أقوالهم فقد روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وجابر والزهرى وعبيد الله بن عمير وعطاء بن أبى رباح وسعيد بن المسيب أن المشركين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى فيقول بعضهم لبعض بمكة : **(لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه)** . فأنزل الله عز وجل جوابا لهم : **(واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)**

وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وغيرهم : إنها نزلت في الخطبة وهذا القول ضعيف لأن القرآن فيها قليل ، والانصات يجب في جميعها . وأيضا الآية مكية ، ولم يكن بمكة خطبة ولا جمعة .

وذكر الطبرى عن سعيد بن جبير أن هذا في الانصات يوم الأضحى ،! ويوم الفطر ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الامام .

والانصات على هذا يكون عاما ، وهو الصحيح لأنه يجمع جميع ما أوجبته هذه الآية وغيرها من السنة في الانصات ، وقال النقاش أجمع أهل التفسير أن هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة .

وفي اللغة : يجب أن يكون في كل شىء الا أن يدل دليل على اختصاص شىء .

وقال الزجاج : يجوز أن يكون " فاستمعوا له وأنصتوا " اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه .

والانصات هو السكوت للاستماع والاصغاء والمراعاة .

وأصح ما قيل حول الاستماع والانصات انه عام بدليل قول الله سبحانه « لعلكم ترحمون » وليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقط ، أو خاصا بشىء بعينه .

وعلى هذا فاذا قرىء القرآن في أي وقت خارج الصلاة أو فيها ، فانه يجب أن يسمع بتدبر وفهم ووعى لما يلقيه من المعانى السامية التي يحتويها هذا الكتاب العظيم ، الباقي بحفظ الله له دون تحريف أو تغيير .

وما يحدث في المحلات العامة ، أو غيرها من عدم الاستماع والانصات مخالفة يجب التنبه لها ، وعمل لا يتفق مع ما للقرآن من جلال وروعة وجمال ، وهي صفات تميز القرآن بها ، ولا يصح أن يغفل عنها المسلمون ، فهم بذلك يظلمون أنفسهم ، ويبعدونها عن الخير ، ان الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ، وخصوصا أن الأمر واضح من معنى هذه الآية الكريمة إذ يدعو صراحة الى الاستماع والانصات ألا فليتدبر ذلك أولو الألباب .

نرجو ياأخي أن نسمع وننصت ونعي القرآن الكريم ، ولا تشغلنا التجارة أو غيرها عن الاستماع لهذا الكتاب الكريم ، وتدبر آياته ، ففي ذلك الخير كل الخير

خشية اللـــه

« إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور »

ما معنى هذه الآية الكريمة ؟

محسن عبد الوهاب قطر الحنفى
كلية الهندسة ـ منوف ـ مصر

هذه الآية الكريمة تعني العلماء الذين يخافون قدرته ، فمن علم أنه عز وجل قدير أيقن بمعاقبته على المعصية .

وروى عن علي بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله عن هذه الآية الكريمة : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » أنهم الذين علموا أن الله على كل شيء قدير .

وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله تعالى فليس بعالم .

وقال مجاهد : إنما العالم من خشى الله عز وجل ، وعن ابن مسعود كفى بخشية الله تعالى علما ، وبالاغترار جهلا ، وقال مجاهد : إنما الفقيه من يخاف الله عز وجل .

ويقول علي رضى الله عنه : إن الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولا يرخص لهم في معاصي الله تعالى ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره إنه لا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا علم لافقه فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها .

من مجموع هذه الأقوال نخرج بنتيجة واضحة هي أن العلماء الذين عناهم الله في هذه الآية الكريمة هم العلماء العاملون ، العابدون ، المتدبرون لآياته وهذه صفات من يخشون الله سبحانه حق الخشية .

وعلى هذا فالمعنى أن الذين يخشون الله هم العارفون به معرفة حقيقية ، الذين يستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه ، ومن ثم يخشونه حقا ، ويتقونه حقا .

مع صحافة العالم

الأسطورة الماركسية والضرورات الخمس

من مقال للدكتور محمد المسير نشر مؤخرا في مجلة « منار الاسلام » فيه مزاعم الماركسية وأسطورة زوال الدولة ويحدد الضرورات الخمس اللازم توافرها لاقامة العدل الاجتماعي والسلام الطبقي .

يقول المقال :

إن المجتمع الشيوعي ، كما يتصوره ماركس وطبقة قرنائه ، يقوم على فلسفة مادية مسفة ، وسياسة ديكتاتورية ظالمة ، وانقلاب يدمر كل شيء ويروى من دماء البشر .

ويمر المجتمع الشيوعي بمرحلتين :

الأولى : الاشتراكية ــ والثانية : الشيوعية

والطريق الى المرحلة الاشتراكية قائم على أشكال ثلاثة من الصراع هى :

١ ــ الصراع الاقتصادي ، وهو المطالبة برفع الأجور وتقليل ساعات العمل وما إلى ذلك ، والقيام بالأحزاب والتخريب للارهاب حتى تتحقق هذه المطالب .

وتعتبر الماركسية ان الصراع الاقتصادي هو المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الشيوعيون التنظيم والتضامن .

٢ ــ الصراع العقائدي ، وهو تبني الماركسية ونشرها بين الجماهير ، والسيطرة على قنوات التوجيه الثقافي للأمة .

٣ ــ الصراع السياسي وهو السعي من أجل بلوغ السلطة في الدولة وتمكين ديكتاتورية العمال ، ويكون ذلك بالاضرابات السياسية ، والمظاهرات وحمل السلاح .

وقد اعتبر ماركس ان الارهاب الأحمر والعنف الثوري والقمع المستمر ، احد المهام الرئيسية لدولة العمال وقال : ان سلاح النقد لا يمكن بالتأكيد ان يحل محل نقد السلاح والكلمة لا تكفي لأن السلاح بتار حاسم .

وقمة المرحلة الشيوعية هى اندثار نظم الدولة ، والقضاء على الأجهزة الادارية لها ، بحيث تصبح الادارة ذاتية ، غير أن ذلك مشروط بأمرين :

١ ــ بناء مجتمع شيوعي متطور .

٢ ــ انتصار الشيوعية العالمية .

هذا ومنذ بدأ التطبيق للنظرية الماركسية بقيام الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧ ، والتجربة ناطقة بفشلها ، ولم تحقق الدول التي ترفع شعارها نجاحا في سياستها ، إلا بعد أن قلمت أظفارها وطمست معالمها الأولى ، ولم تتحد خطوات الماركسية في المعسكر الشيوعي ، وأصبحت التهمة المتبادلة بين أقطاب هذا المعسكر هي التحريف والردة .

وفي الحق : فان الشيوعيين يعاندون الفطرة ويسيرون وراء أوهام طائشة وسراب خادع ، وأسطورتهم في المجتمع لن تتحقق بالصورة التي يرونها من زوال الدولة ، ورفع العقوبات والاستجابة لكل مطالب الحياة المادية ومتاع الشهوات والرغبات ، وانما يمكن أن تتحقق في صورة العدل الاجتماعي والسلام الطبقي والتعاون البناء في ظلال الرحمة العامة ، وهذا هو ما دعا إليه الاسلام وطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدون والأئمة العادلون من حكام المسلمين .

ويتلخص ذلك في الضرورات الخمس وهى :

١ ـ الدين :

لأنه صمام الأمان في النفس البشرية يربطها بخالقها ويطوعها لرسله وأنبيائه وبدونه لا يبقى فيها إلا الشر المستطير وهو عقيدة في الله وأسمائه الحسنى وصفاته القدسية والملائكة الكرام البررة والكتب المنزلة لهداية البشر إلى الحق والصراط المستقيم ، والنبيين الذين اصطفاهم الله من خلقه واليوم الآخر يوم تلقى كل نفس جزاء ما عملت ..

٢ ـ النفس :

وحقوقها الفطرية في الحياة والحرية والعلم والكرامة ، اذ أن الفرد هو الانسانية في صورة مصغرة ، وأي مساس بحقوقه هو اعتداء على الانسانية جمعاء قال تعالى : (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) المائدة / ٣٢ .

٣ ـ المال :

الملكية الخاصة مصونة متى راعت قواعد الكسب التي تتلخص في كلمة واحدة هي « الحلال » واتجهت في مصرفها إلى مصلحة الفرد والمجتمع وأدت واجبها الشرعي الذي يعبر عنه بكلمة واحدة هي « البر » .

٤ ـ العقل :

هو مناط كرامة الانسان ، وآلة الاعتقاد الديني ، وقانون الحياة ، وملتقى الانسانية ، وقد حفظه الشرع من كل مسكر ومخدر ، وابقى يقظته تامة وزهرته يانعة ..

٥ ـ النسب :

وقد بلغ تقدير الاسلام له مبلغا عظيما فشرع الزواج وحث عليه ، وحرم الزنا والفواحش وصان العرض والشرف .

وهذه الضرورات الخمس لكل انسان قد تعهدها الاسلام داخل النفس الانسانية واصل حبها والالتزام بها ، وتعقب شواردها في المجتمع بما يسمى في الفقه الاسلامي ـ الحدود والتعزيرات ، وجعل القيم عليها اماما عادلا يجب نصبه على الأمة .

إن مجتمع الاسلام يتكافأ أبناؤه ، وهم جسد واحد تعمه الفرحة ، وتؤلمه الشوكة ، وقوامه الفرد المسلم العزيز بايمانه القوي باخوانه ، الحر بعقله وجسده ، الكريم بسلوكه وخلقه .

لكن الشيوعية لا تثق بالانسان مطلقا فالمتدين رجعي ، والغني برجوازي حتى المواطن الشيوعي نفسه لم يسلم من طعن ووصف بأنه بيروقراطي وهذا هو البلاء البروليتاري ، من تحكم طبقات الحزب ابتداء من اللجان المحلية الى اللجنة المركزية ألا ليت الناس يعلمون .

ان طواغيت الماركسية ذئاب البشرية يفترسون قيمها ومثلها العليا .. وهم قطاع طرق يسرقون ثروات الشعوب ..

وهم كهنة أصنام يخدعون ضعاف العقول ومرضى النفوس ..

« وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ..

هل يوحد المسلمون أعيادهم ؟؟

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « الهداية » البحرينية تحقيقا حول تحديد بدايات الشهور العربية ومدى إمكانية مساهمة علم الفلك في توحيد هذه البدايات في الدول الاسلامية .

في كل عام يختلف المسلمون في البلاد العربية حول تحديد موعد عيد الأضحى

المبارك .. أو تحديد موعد بدء شهر رمضان أو عيد الفطر المبارك .. ويتكرر هذا عند تحديد بداية الشهور العربية والهجرية عموما .. وهذا كله يثير الجدل والشكوك في نفوس المسلمين بأنحاء العالم الاسلامي ..

فما هو رأي رجال الفلك في تحديد أوائل الشهور العربية حسب الحسابات الفلكية .. وما هو رأي رجال الدين ؟!

أول مرصد

كان العرب قديما يعتمدون على الشمس في معرفة حساب التوقيت .. فمثلا عند غروب الشمس يكون المغرب ، أما الشروق فهو شروق الشمس والظهر هو زوال الشمس والعشاء عند الشفق الأحمر والفجر عند ظهور الشفق الأبيض .. وظلت هذه الطريقة متبعة في حساب التوقيت حتى وقعت نسخة (بطليموس القوزى) في الفلك في يد العرب وذلك في العصر العباسي فترجمت إلى العربية وعرفت صفات الآلات التي وردت فيها وعلى الفور أنشئ مرصد بغداد وسمرقند بينما لم يكن في أوربا مرصد واحد ..

نظريات العرب

وقد بنيت النظريات الرياضية التي يعتمد عليها الفلكيون في حساب التوقيت على نظريات العرب القديمة في معرفة مواعيد الصلاة مثل استعمال العصاة وحساب طول ظلها في الشمس طوال فترات اليوم المختلفة وكذلك معرفة وضع الشمس عند الشروق والغروب والزوال .. والمعروف ان العرب هم أول من اخترعوا (المزوله) كأول جهاز لقياس الزمن على مدار اليوم .. ويتقدم العلم وحتى تتوفر الدقة في الحساب الفلكي فان الاقسام المسئولة عن تحديد هذه المواعيد الآن تستخدم الحسابات الاليكترونية الدقيقة ذات البرامج المختلفة وجداول تحركات الشمس في الابراج والدرجات في جميع اجزاء الكرة الارضية وعلى ضوء هذه الجداول يتم حساب مواقيت الصلاة وتحديد اوائل الشهور العربية ..

اختلاف المسلمين

ورغم كل ذلك ففي كل عام يختلف المسلمون في البلاد العربية والاسلامية حول

تحديد مواعيد بداية الشهور العربية .. ويؤدي هذا الى صيام المسلمين في تونس مثلا بينما اخوانهم في البلاد الاسلامية ينتظرون رؤية الهلال .. ويؤدي هذا ايضا الى احتفال بعض البلاد الاسلامية بالأعياد بينما اخوانهم من المسلمين في بلاد اسلامية اخرى مازالوا ينتظرون يوم العيد .. وهذا كله يثير الجدل والشك ويبقى السؤال لماذا يحدث هذا عند تحديد بداية شهر رمضان ـ أو عيد الفطر او الاضحى ؟!

رأى الفلكيين

ان رجال الارصاد وخبراء قسم الحساب الفلكي يقولون ان الخلاف الذي يحدث يرجع لاختلاف وجهات النظر في تفسير معنى كلمة الرؤية .. وذلك لأن بداية الشهر الذي لا تثبت شرعيا الا بثبوت رؤية الهلال .. والاختلاف في .. هل هى رؤية النظر أم التحقق من ثبوت الشئ .. والاساس في الحقيقة هو الرؤية بالعين المجردة .. لأنه لم تكن الحسابات الفلكية قديما قد عرفت بعد أيام الاسلام الأولى كما ان الاختراعات المدنية المساعدة للرؤية لم تكن قد اخترعت بعد .. أما الآن فقد اختلف الوضع وتقدم العلم ولابد من الاستفادة من منجزاته .. لأن هناك طرقا دقيقة جدا كالحسابات الفلكية فهى تحسب بالثانية وباجزاء من الثانية موعد ظهور الهلال .

عوامل تعوق الرؤية

وضرورة الاعتماد على الحسابات الفلكية يرجع كما يقول خبراء الحساب الفلكي لوجود عوامل أخرى قد تعوق الرؤية بالعين مثل شدة استضاءة الافق وهى التي تحدد درجة وضوح الهلال .. وهناك ايضا وجود او انتشار الغبار في الجو او سحاب خفيف او بخار ماء كل ذلك قد يعوق الرؤية لأن حجم الهلال صغير أصلا .. والخلاف يرجع إلى أن رجال الدين يرون أنه لابد من تثبت الرؤية بالعين أما رجال الفلك فيقولون الحسابات الفلكية أولا ثم العين بعد ذلك .. ولابد أن يحدث تقارب والتقاء العلم والدين ممثلا في رجال الفلك .. ورجال الدين .. فعالم الفلك يثبت وبدقة موعد رؤية الهلال ويكون واجب رجال الدين هو التأكد .

رأي رجال الدين

ولرجال الدين رأى آخر إنهم يقولون إن الحساب الفلكي ليس قاطعا لأنه يختلف من بلد إلى آخر يزيد يوما أو ينقص يوما وعلم الفلك علم هام وله أساتذته لكن يجب أن يجتمع علماء الفلك أولا للاتفاق على القاعدة الموحدة للحساب الفلكي

ورؤية الهلال حتى يتفقوا على مبدأ واحد لثبوت الهلال والرؤية .. إذا حدث ذلك فسوف نستفيد منه لأن الحساب في هذه الحالة سيساعدنا على الرؤية بتحديد الوقت والساعة التي يمكن رؤية الهلال فيها .. ويكون حساب رؤية .. لأن الأصل هو الرؤية والحساب هو العامل المساعد .

أى رؤية

والدول الاسلامية تحاول الآن اتباع قاعدة أكد عليها جمهور الفقهاء وهى أنه لا عبرة باختلاف المطالع .. وإذا لم تر دولة إسلامية الهلال وظهر في بلد آخر فلا مانع من الأخذ برؤيته مادامت الرؤية صحيحة ووصلت بطريقة صحيحة شرعية وبشرط أن يكون البلد الاسلامي الذي رأى الهلال مشتركا ولو لجزء من الليل مع البلد الآخر .. إن رؤية الهلال في أي بلد إسلامي هى رؤية للبلاد الأخرى .. والذي كان يحدث سابقا أن وسائل الاتصال كانت رديئة فلم تكن البلاد الاسلامية تعرف شيئا عن جاراتها إن هى شاهدت الهلال .. وبهذا يمكن توحيد كل الشهور والأعياد والمناسبات في البلاد العربية .. أما ما نشاهده الآن من اختلاف فذلك يرجع إلى أن بعض الدول الاسلامية تأخذ بنظامات الحسابات الفلكية وتعتمد عليها دون نظر إلى الرؤية .. وبهذا تخرج عن الوحدة حين الصوم أو حين الافطار .. أو الوقوف بعرفات .

مرصد إسلامي

ويؤكد رجال الدين الاسلامي أن كل الدول الاسلامية تتجه الآن إلى ضرورة إقامة مرصد إسلامي يهتم بهذه الظواهر العلمية .. وكان بعض العلماء قد اختاروا مدينة مراكش موقعا للحساب الفلكي لتوحيد أوائل الشهور العربية في البلاد الاسلامية ولكن وجدوه أمرا صعبا لأن هناك اختلافا في التوقيت بينها وبين معظم البلدان الاسلامية مما يجعل له تأثيرا في تغيير تاريخ أول الشهر العربي . وقد اختارت لجنة التقويم الاسلامي التي شكلها مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية ـ مكة المكرمة ـ مركزا للحساب الفلكي لرصد تقويم فلكي موحد للعالم الاسلامي ووضعت عدة قواعد ثابتة أهمها أن يبدأ الشهر العربي في جميع البلاد الاسلامية في يوم واحد طبقا للتقويم الذي يصدر في مكة كما يتم استطلاع الهلال في الشهور العربية ذات المناسبات الاسلامية والأخذ بالحساب الفلكي إذا لم تثبت الرؤية .. كذلك الأخذ بالرؤية التي تثبت ثبوتا قطعيا حتى إذا خالفت التقويم وبالتالي إذا ظهر الهلال في أي بلد إسلامي فانه يخطر مكة بذلك حيث تقوم باخطار بقية البلاد الاسلامية رسميا ببدء الشهر العربي .. وبهذا يمكن ان تتوحد أعياد المسلمين وينتهى الخلاف بين الفلكيين ورجال الدين حول معنى (الرؤية) ..

قالوا في الأمثال

○ الكثار كحاطب ليل :

المكثار : كثير الكلام الذي لا يحفظ لسانه ولا يقدر خطر ما يتلفظ به ، والحاطب هو الذي تجمع الحطب ويضعه في حبله ويحزمه ثم يعود به ليستخدمه لنفسه أو ليبيعه .

وإذا احتطب الحاطب في النهار أبصر ما أمامه ، وتوقى ما قد يكون في الأودية من الحشرات والهوام الضارة ، وعرف ما ينفع فيضعه في حبله ، ومالا ينفع فيتركه ولا يكلف نفسه عفاء حمله ، أما إذا احتطب بالليل فلا يبصر ما أمامه فيجمع النافع وغير النافع مما تصل يده إليه ، وقد يضع يده على حشرة مؤذية أو أفعى تنهشه ، فيناله الأذى ، فوق ما يتحمل من عبء حمله ما لايفيد .

وهكذا يصنع المكثار فلا يتوقى في كلامه ، فيأتي بالفث والسمين ، وقد تند منه الكلمة فتجلب عليه الأذى ، وقد يقع في الأعراض فربما عرض لشيء فيه ضرر كبير فيجر على نفسه أبلغ الأذى ، وربما عرض لعادر فيناله بمكروه ، فينتقم منه وربما كان فيه حتفه .

○ شقشقة هدرت ثم قرت

عندما يغضب البعير يخرج من فمه شيئا مثل الرئة يتحرك ويهدر ، ويستمر في حركته ما دام البعير غاضبا ، فاذا هدأ ابتلعه وقرفي جوفه ، ويسمى هذا الشيء شقشقة ، وهذه الحالة لا تستمر كثيرا حتى تذهب .

وقد يعرض للناس ما يثيرهم ، وتظهر آثار تلك الاثارة ، ثم تهدأ العاصفة ، فيكون حالهم كحال البعير حين يغضب ثم يهدأ .

فهرس عام

مجلة الوعي الإسلامي

في

عامها الخامس عشر

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

يشتمل على الموضوعات

والكتاب والفتاوى

الفتاوى

للشيخ : عطية محمد صقر

الموضوعات

و ..

الكتب

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٨ هـ

الموضوع	الاسم	العدد/صفحة
ابن حجر العسقلاني	الاستاذ محمد كمال علي	١٧٦ ٩٠
ابو حنيفة ومالك (١)	الاستاذ محمد امام	١٧٠ ٤٦
ابو العلاء المعري (٣)	الدكتور عبد الكريم الخطيب	١٧٢ ٤٧
ابو العلاء المعري (٤)	الدكتور عبد الكريم الخطيب	١٧٣ ٨٣
الاجتهاد وقضايا الحياة المعاصرة	الدكتور وهبه الزحيلي	١٧٩ ٤٢
الاردن	الاستاذ عبد الغني محمد عبد الله	١٧٧ ٦٨
الاسراء والمعراج	الشيخ حسيني عرابي عطوه	١٧٥ ٨٨
أسس قيام الدولة الاسلامية	الدكتور محمد سلام مدكور	١٧٥ ٤٨
الاسلام انه النداء الوحيد	الشيخ طه الولي	١٧٥ ١٤
الاسلام دعوة دين وعلم	الاستاذ عبد الرزاق نوفل	١٧٦ ١١
الاسلام والتربية العسكرية	الاستاذ علي القاضي	١٧٠ ١٨
الاسلام والتربية الغذائية	الاستاذ علي القاضي	١٧٧ ٨٦
الاسلام والضوضاء	الدكتور احمد شوقي الفنجري	١٧٧ ٨٠
الاسلام وكفى (قصيدة)	الاستاذ عمر بهاء الدين الأميري	١٧٠ ٩٤
أشهر الأسماء لخاتم الانبياء	الشيخ احمد عبد الواحد البسيوني	١٧١ ١٢
اصحاب الاخدود	الاستاذ معالي عبد الحميد	١٨٠ ١٠٨
اصول البيع في القرآن والسنة	الدكتور عبد الناصر توفيق العطار	١٧٢ ٢١
افريقيا في ظل الاسلام (تعقيب)	الاستاذ عبد الله آدم	١٧٩ ١٢٢
الاقتصاد الاسلامي	الاستاذ عبد الله كنون	١٧٩ ١٦
الا ان الاسلام هو دين العلم (١)	الدكتور احمد شوقي ابراهيم	١٧٤ ٦٠
الا ان الاسلام هو دين العلم (٢)	الدكتور احمد شوقي ابراهيم	١٧٥ ٦٢
الامام الاوزاعي	الشيخ طه الولي	١٧٩ ٥٢
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	الدكتور عبد الله شحاته	١٧٨ ١٠٨
الانانية	الاستاذ محمود مهدي استانبولي	١٨٠ ٣٩
الانسان والحضارة	الدكتور عبد الحليم عويس	١٧٧ ٥٤
ايران على صفحات التاريخ (١)	الاستاذ عبد الغني محمد عبد الله	١٧٢ ٧٠
ايران على صفحات التاريخ (٢)	الاستاذ عبد الغني محمد عبد الله	١٧٣ ٧٠
بيت التمويل الكويتي	التحرير	١٧١ ٣٥
بين ايمان وكفران	الاستاذ احمد مظهر العظمة	١٧٦ ٢٦
التأمين وبديله في نظر الاسلام (١)	الدكتور شوكت عليان	١٧٣ ٤٧
التأمين وبديله في نظر الاسلام (٢)	الدكتور شوكت عليان	١٧٤ ٤٦
التأمين وبديله في نظر الاسلام (٣)	الدكتور شوكت عليان	١٧٥ ٥٥
التأمين وبديله في نظر الاسلام (٤)	الدكتور شوكت عليان	١٧٦ ٤٤
تحية لباكستان في عيدها الجديد	التحرير	١٧٤ ٤٢
التربية الاسلامية	الاستاذ عبدالرحمن النقيب	١٧٣ ٦٤
تعلموا لغة دينكم	الشيخ معوض عوض ابراهيم	١٧٠ ٨٣
التفسير السياسي للهجرة	الدكتور محمد رواس قلعه جي	١٦٩ ٩٢
التفسير العلمي للقرآن الكريم	الدكتور احمد شوقي ابراهيم	١٧٨ ٦
الجبار	الدكتور احمد الشرباصي	١٧٨ ٥٠
حامل الراية (قصة)	الاستاذ حسين القباني	١٨٠ ٥١
الحديث المشهور	الدكتور محمد محمد الشرقاوي	١٧٢ ٣٦
حديث مع وزير التخطيط الباكستاني	التحرير	١٧٤ ٩٢

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٩ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٩ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٩ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٩ هـ

الموضوع	الاسم	العدد/صفحة
من هدى الاسلام في العيد	الشيخ أحمد عبدالواحد البسيوني	١٧٨ ٤
منهج القرآن في الدعوة	الشيخ أحمد عبدالواحد البسيوني	١٧٦ ٤
من وحي الاسراء والمعراج (قصيدة)	الأستاذ محمود شاور ربيع	١٧٥ ٥٤
موعظة بليغة	الدكتور محمد محمد أبو شهبه	١٧٨ ١٠
نبي الهدى	معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية	١٧٣ ٤
نزل به الروح الأمين	الدكتور علي محمد جريشه	١٧٢ ٦
نظرات في سورة الحجرات	الشيخ عبدالحميد بلبع	١٨٠ ٦
نظرة على مقال	الدكتور محمد رواس قلعه جي	١٧٠ ٤٣
الهجرة ومعركة الأيام	الدكتور محمد لبيب البوهي	١٦٩ ١٠١
الهجرة الخالصة	الشيخ أحمد عبدالواحد البسيوني	١٦٩ ١١
الهجرة قمة الانتصار	الشيخ عبدالرحمن النجار	١٦٩ ٦٢
هل وصل العرب الى روديسيا	الدكتور نعمان عبدالرازق السامرائي	١٧٤ ١٠٦
هل يعود الاسلام لبلاد المسلمين (تعقيب)	الأستاذ محمد عزة دروزة	١٧٦ ٦٠
هؤلاء الذين لا يؤمنون	الاستاذ عبدالكريم الخطيب	١٧٩ ٢٤
هيا الى الاسلام (قصيدة)	الشيخ محمود ابراهيم طيرة	١٧٦ ٨٦
وإنك لعلى خلق عظيم	الأستاذ عبدالمحسن حمد العباد	١٧١ ٤٣
وأين العلاج	الشيخ أحمد عبدالواحد البسيوني	١٧٤ ٤
الوجود القائم للأمة الاسلامية	الدكتور محمد البهي	١٦٩ ١٨
الوحدة بين المسلمين	الدكتور عبدالحليم محمود	١٨٠ ٢٦
وضع الربا (كتاب الشهر)	الأستاذ محمد عبدالله السمان	١٧٠ ٨٨
ولد الهدى	الشيخ أحمد عبدالواحد البسيوني	١٧١ ٤
ومن الأمشاج أزواجا أزواجا (٤)	الدكتور عبدالمحسن محمد صالح	١٦٩ ٤٢
ومن الأملاح أزواجا أزواجا (٩)	الدكتور عبدالمحسن محمد صالح	١٧٤ ٢٨
ومن البروتينات أزواجا أزواجا (٨)	الدكتور عبدالمحسن محمد صالح	١٧٣ ٢٦
ومن الشرائط أزواجا أزواجا (٦)	الدكتور عبدالمحسن محمد صالح	١٧١ ٢٨
ومن شفرة الحياة أزواجا أزواجا (٧)	الدكتور عبدالمحسن محمد صالح	١٧٢ ٥٦
ومن الصفات أزواجا أزواجا (٥)	الدكتور عبدالمحسن محمد صالح	١٧٠ ٢٨
ومنها تأكلون	الدكتور غريب جمعة	١٧٢ ٩٦
ويسألونك عن ذى القرنين	الدكتور محمد رجب البيومي	١٧٧ ٦

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٩ هـ

الاسم	الموضوع	العدد/صفحة
ابراهيم سليمان عيسى	عسل النّحل (١)	١٧٧ ٩٦
ابراهيم سليمان عيسى	عسل النحل (٢)	١٧٨ ٤٥
ابراهيم سليمان عيسى	الحضارة في المجالات الزراعية	١٧٩ ٦٢
ابراهيم عبدالفتاح مجاهد	مرحبا خير مهاجر (قصيدة)	١٦٩ ١٠٦
ابراهيم النعمه	لماذا الحج	١٨٠ ٢٠
ابو الحسن على الندوى	الدعوة الى الله	١٦٩ ٨٠
ابو الوفا المراغى	حسن العلاقة	١٨٠ ٥٠
احمد جمال العمرى	حركة التنقية اللغوية	١٧٦ ٢١
احمد الحجي الكردى	حكم الاسلام في طفل الأنابيب	١٧٠ ٥٦
أحمد حسين مرواد	الصلاة في الاسلام	١٧٢ ١٠٤
احمد حمد احمد	المسئولية الجماعية	١٧١ ٢٣
احمد حمد احمد	من المسئول عن النشء	١٧٤ ٨١
أحمد حمد أحمد	من المسئول عن هذه الأجيال	١٧٥ ٣٠
أحمد الحوفي	معنى يوم التغابن	١٦٩ ٦
أحمد الحوفي	خصائص الأخلاق الاسلامية	١٧٣ ٣٧
أحمد الشرباصي	الجبار	١٧٨ ٥٠
أحمد شوقي ابراهيم	الا أن الاسلام هو دين العلم	١٧٤ ٦٠
أحمد شوقي ابراهيم	الا أن الاسلام هو دين العلم	١٧٥ ٦٢
أحمد شوقي ابراهيم	التفسير العلمي للقرآن الكريم	١٧٨ ٦
أحمد شوقي الفنجري	رفيدة الأنصارية	١٧٦ ٨٠
أحمد شوقي الفنجرى	الاسلام والضوضاء	١٧٧ ٨٠
أحمد عادل كمال	حركة الفتح الاسلامي	١٧٧ ٣٨
أحمد عبدالعزيز أبو عامر	الفلسفة التربوية (كتاب الشهر)	١٧٦ ٩٥
أحمد عبدالمحسن المنشاوي	عظمة الهجرة	١٦٩ ٣٠
أحمد عبدالواحد البسيوني	كلمة الوعي	جميع الأعداد
أحمد عبدالواحد البسيوني	من وحي النبوة	جميع الأعداد
أحمد علي المجدوب	الحياد	١٧٨ ٣٢
أحمد العناني	في الخندق حتى الموت (قصة)	١٧٥ ١٠٠
أحمد محمد عبدالهادي	أصحاب بدر (قصيدة)	١٧٧ ٩٤
أحمد مظهر العظمة	بين ايمان وكفران	١٧٦ ٢٦
أنور الجندي	الفلسفة الصهيونية المركزية	١٧٠ ٢٨
أنور الجندي	رياح السموم	١٧٥ ٢١
أنور الجندي	الرافعي ودفاعه عن الاسلام	١٧٨ ٥٥
التحرير	بيت التمويل الكويتي	١٧١ ٣٥
التحرير	لا نفرق بين أحد من رسله	١٧١ ٨٣
التحرير	تحية لباكستان في عيدها الجديد	١٧٤ ٤٢
التحرير	حديث مع وزير التخطيط الباكستاني	١٧٤ ٩٢
التحرير	مشروع هيئة الوقف الاسلامي	١٧٩ ١١٢
حسن الحفناوي	الشريعة العادلة	١٧٠ ١٠٨
حسن فتح الباب	عبر مستلهمة من غزوة حنين	١٧٨ ٣٨
حسين القباني	قائد كتيبة الأهوال (قصة)	١٧١ ٩٧
حسين القباني	الفارس الفقيه (قصة)	١٧٣ ٩٦

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٩ هـ

الاسم	الموضوع	العدد/صفحة
حسين القباني	حامل الراية (قصة)	١٨٠ ٥١
حسني عرابي عطوه	العلم بين منهج الاسلام والنبوات	١٧٣ ٥٦
حسني عرابي عطوه	الاسراء والمعراج	١٧٥ ٨٨
زكريا ابراهيم الزوكه	الرحلتان القدسيتان	١٧٥ ٣٩
سالم البهنساوي	حماية حق المرأة	١٧٠ ٦٠
سالم نجم	دورة الغذاء في الانسان	١٧١ ٨٨
سعد صادق محمد	سيد البشر	١٧١ ٥٤
سعد صادق محمد	شهر شعبان بين العبادات والتقاليد	١٧٦ ٥٣
سليمان التهامي	الفتوة	١٦٩ ١١٣
سليمان التهامي	حرية المرأة	١٧٢ ٢٦
سليمان التهامي	رجب بين التاريخ والتشريع	١٧٥ ٢٦
سليمان التهامي	ليلة القدر	١٧٧ ٦٢
سليمان التهامي	الحريات في الاسلام	١٧٨ ٩٦
الشريف مأمون أبو الوفا	محمد صلى الله عليه وسلم	١٧٣ ١٠٦
شوكت عليان	التأمين وبديله في نظر الاسلام (١)	١٧٣ ٤٧
شوكت عليان	التأمين عند فقهاء الشريعة (٢)	١٧٤ ٤٦
شوكت عليان	التأمين وبديله في نظر الاسلام (٣)	١٧٥ ٥٥
شوكت عليان	التأمين وبديله في نظر الاسلام (٤)	١٧٦ ٤٤
طه الولي	الاسلام . انه النداء الوحيد	١٧٥ ١٤
طه الولي	الامام الأوزاعي	١٧٩ ٥٢
عبدالحليم عويس	الانسان والحضارة	١٧٧ ٥٤
عبدالحليم محمود	مستقبل الاسلام	١٧١ ١٨
عبدالحليم محمود	الوحدة بين المسلمين	١٨٠ ٢٦
عبدالحميد بلبع	نظرات في سورة الحجرات	١٨٠ ٦
عبدالجليل عيسى	مجالس الذكر	١٧٠ ٩
عبدالجليل عيسى	مع آية من كتاب الله	١٧٤ ٦
عبدالرازق عبدالرحيم الخطيب	حقيقة وفضائل الدين الاسلامي	١٧٣ ٤٢
عبدالرحمن أحمد شادي	المزاد العلني	١٧١ ١٠٤
عبدالرحمن النجار	الهجرة قمة الانتصار	١٦٩ ٦٢
عبدالرحمن النجار	عادات وتقاليد من الصومال	١٧٢ ٤١
عبدالرحمن النقيب	التربية الاسلامية	١٧٣ ٦٤
عبدالرزاق نوفل	الاسلام دعوة دين وعلم	١٧٦ ١١
عبدالرزاق نوفل	محمد رسول الله	١٧٧ ١٧
عبدالسميع المصري	قد سمع الله (قصة)	١٧٠ ٩٨
عبدالعزيز المسند	الدين الاسلامي دين البشرية	١٧٩ ٣٨
عبدالغني محمد عبدالله	استطلاع ملون	جميع الأعداد
عبدالفتاح محمد سلامه	المثل الأعلى وتحرير العقل	١٧٢ ٨٤
عبدالكريم الخطيب	أبو العلاء المعرى (٣)	١٧٢ ٤٧
عبدالكريم الخطيب	أبو العلاء المعري (٤)	١٧٣ ٨٣
عبدالكريم الخطيب	الصراع بين المادية والروح	١٧٨ ١٦
عبدالكريم الخطيب	هؤلاء الذين لا يؤمنون	١٧٩ ٢٤
عبدالكريم الخطيب	هؤلاء الذين يؤمنون	١٨٠ ٣٠

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٩ هـ

الاسم	الموضوع	العدد/صفحة
عبداللطيف مشتهرى	شخصيتان متقابلتان في القرآن	١٧٠ ١٣
عبدالله آدم	افريقيا في ظل الاسلام (تعقيب)	١٧٩ ١٢٢
عبدالله الجارالله	من فضائل القرآن	١٧٨ ١٠٩
عبدالله الجارالله	من آداب قارئ القرآن	١٧٩ ١٠٨
عبدالله كنون	الاقتصاد الاسلامي	١٧٩ ١٦
عبدالله محمود شحاته	دروس من سورة البقرة	١٧٣ ٨
عبدالله محمود شحاته	مناهج في تفسير القرآن الكريم (١)	١٧٥ ٦
عبدالله محمود شحاته	مناهج في تفسير القرآن الكريم (٢)	١٧٦ ٦
عبدالله محمود شحاته	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٧٨ ١٠٨
عبدالمحسن حمد العباد	وانك لعلى خلق عظيم	١٧١ ٤٣
عبدالمحسن محمد صالح	سبحان الذي خلق	من ١٦٩ الى ١٧٤
عبدالناصر توفيق العطار	أصول البيع في القرآن والسنة	١٧٢ ٢١
عرفات العشى	رجال ونساء أسلموا	١٧٩ ٥٦
عزت محمد ابراهيم	حقيقة التبشير	١٨٠ ٥٦
علي أحمد علي	دور الشباب في غزوة بدر	١٧٧ ٤٨
علي القاضي	الاسلام والتربية العسكرية	١٧٠ ١٨
علي القاضي	خصائص التربية الاسلامية	١٧٦ ٣٠
علي القاضي	الاسلام والتربية الغذائية	١٧٧ ٨٦
علي محمد جريشه	من خصائص القرآن	١٧١ ٦
علي محمد جريشه	نزل به الروح الأمين	١٧٢ ٦
عمر بهاء الدين الأميري	الاسلام وكفى (قصيدة)	١٧٠ ٩٤
العوضى الوكيل	دعوة (قصيدة)	١٨٠ ٩٤
غريب جمعه	ومنها تأكلون	١٧٢ ٩٦
غريب جمعه	الرحلة المشئومة في جسم الانسان	١٧٣ ٩٠
غريب جمعه	حرمان ولكنه عافية	١٧٧ ٢٢
محمد الأباصيري خليفة	سرعة انتشار الاسلام	١٧٤ ٥٤
محمد ابراهيم الصيحى	المسلمون الأوائل	١٦٩ ٥٦
محمد ابراهيم الصيحى	رحلات العرب التجارية	١٧٥ ٨٠
محمد أحمد العزب	عبدالقاهر الجرجاني	١٧٢ ٣٢
محمد أحمد العزب	معركة الاسلام مع الفكر الملحد	١٧٨ ٨٨
محمد أمام	الشافعي وابن حنبل	١٧١ ٩٢
محمد امام	ابو حنيفة ومالك	١٧٠ ٤٦
محمد البهي	الوجود القائم للأمة الاسلامية	١٦٩ ١٨
محمد تيسير ظبيان	الكشف عن موقع أصحاب الكهف	١٧٥ ٩٥
محمد الدراجيلي	صفحات من مواقف اهل الذكر	١٨٠ ٦٢
محمد رجاء حنفي	الصيام في القرآن الكريم	١٧٧ ٣٠
محمد رجب البيومي	ويسألونك عن ذى القرنين	١٧٧ ٦
محمد رواس قلعه جي	التفسير السياسي للهجرة	١٦٩ ٩٢
محمد رواس قلعه جي	نظرة على مقال	١٧٠ ٤٣
محمد سلام مدكور	الاسس التي قامت عليها الدولة الاسلامية	١٧٥ ٤٨
محمد السيد مرزوق	في نور الحق	١٧٩ ٠٦
محمد عبد الحافظ	من اسرار القرآن	١٧٦ ١٠٨

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٣٩٩ هـ

الاسم	الموضوع	العدد/الصفحة
محمد عبد الله السمان	وضع الربا (كتاب الشهر)	١٧٠ ٨٨
محمد عبد الله السمان	الخراج والنظم المالية (كتاب الشهر)	١٧٤ ٩٧
محمد عبد الله قولي	حقيقة الايمان (قصيدة)	١٦٩ ١٢٣
محمد عبد الله قولي	شمس الحقيقة (قصيدة)	١٧٩ ٨٧
محمد عزة دروزة	هل يعود الاسلام لبلاد المسلمين (تعقيب	١٧٦ ٦٠
محمد عزة دروزة	معركة النبوة واهل الكتاب (١)	١٧٨ ٢٤
محمد عزة دروزة	معركة النبوة واهل الكتاب (٢)	١٧٩ ٣١
محمد عزة دروزة	معركة النبوة واهل الكتاب (٣)	١٨٠ ٨٥
محمد كمال علي	ابن حجر العسقلاني	١٧٦ ٩٠
محمد لبيب البوهي	الهجرة ومعركة الايام	١٦٩ ١٠١
محمد لبيب البوهي	الشباب وبناء المستقبل	١٧٤ ٢٠
محمد لبيب البوهي	قصة التخلف الحضاري	١٧٦ ٣٨
محمد المجذوب	الصورة الاخرى (قصة)	١٧٨ ٨٣
محمد محمد ابو شهبه	اللغة العربية هي لغة القرآن	١٧٤ ١٧
محمد محمد ابو شهبة	القرآن والسنة معا	١٧٦ ١٦
محمد محمد ابو شهبه	موعظة بليغة	١٧٨ ١٠
محمد محمد الشرقاوي	الحديث المشهور	١٧٢ ٣٦
محمد محمود عبد المجيد	دنياهم ودنيانا (قصة)	١٧٢ ٩١
محمد نعيم عكاشة	شمس الاسلام في اوروبا .. ولكن	١٧٥ ١٠٨
محمد هارون الحلو	خير البرية (قصيدة)	١٧١ ٨٦
محمود ابراهيم طيره	هيا الى الاسلام (قصيدة)	١٧٦ ٨٦
محمود شاور ربيع	من وحي الاسراء والمعراج (قصيدة)	١٧٥ ٥٤
محمود الكولي	الحياة التشريعية قبل الاسلام	١٧٧ ١٠٨
محمود مهدي استانبولي	الانانية	١٨٠ ٣٩
محيي الدين عطية	المذعورون (قصيدة)	١٧٩ ١٠٩
مسعود عامر	مقاصد العبادات في الاسلام	١٧٩ ٨٠
مصطفى محمد الحديدي الطير	المجتمع الفاضل	١٧١ ٦٣
مصطفى محمد الحديدي الطير	لماذا بنيت الكوفة	١٧٨ ٦٢
مصطفى محمد الحديدي الطير	دعائم البيت السعيد	١٧٩ ٨٨
معالي عبد الحميد	اصحاب الاخدود	١٨٠ ١٠٨
معوض عوض ابراهيم	تعلموا لغة دينكم	١٧٠ ٨٣
معوض عوض ابراهيم	رمضان شهر الاسلام	١٧٧ ٤٤
منذر شعار	الحق في الشريعة الاسلامية (كتاب الشهر	١٧٩ ١٠١
نبيل فتح الله	طفلة الأنابيب	١٧٧ ١٠٩
نعمان عبد الرازق السامرائي	هل وصل العرب الى روديسيا	١٧٤ ١٠٦
وهبه الزحيلي	الاجتهاد وقضايا الحياة المعاصرة	١٧٩ ٤٢
يوسف جاسم الحجي	في ذكرى الهجرة	١٧٠ ٠٠٤
يوسف جاسم الحجي	نبي الهدى	١٧٣ ٠٠٤
يوسف العظم	القرآن والشعر	١٧٣ ٠١٨

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامـر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجـلاء .
السودان	:	الخرطـوم ــ دار التوزيـع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيـا	:	طرابلس ــ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .
المغـرب	:	الدار البيضـاء ــ الشركة الشريفة للتوزيـع .
تونـس	:	الشركـة التونسـية للتوزيـع .
لبنـان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جـدة : مكتبـة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ــ ص.ب : (٧٦) الطائـف : مكة المكرمة : سرحة نصيف / مكتبة جـدة المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـياء .
مسـقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)
البحريـن	:	دار الهلال .
قطـر	:	دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبـي	:	مكتبة دبـي .
الكويـت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذي الحجة	أكتوبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاحد	١	٢١	٢٢ ١١	٤١ ١٢	٢١ ٦	٣٤ ٩	١٧ ١	٣٤ ٤	٥٣ ٥	٣٣ ١١	٤٦ ٢	١٢ ٥	٢٩ ٦
الاثنين	٢	٢٢	٢٣	٤٣	٢٢	٣٥	١٧	٣٤	٥٤	٣٣	٤٦	١١	٢٨
الثلاثاء	٣	٢٣	٢٥	٤٤	٢٢	٣٥	١٨	٣٥	٥٤	٣٢	٤٥	١٠	٢٨
الاربعاء	٤	٢٤	٢٦	٤٦	٢٣	٣٥	١٨	٣٥	٥٥	٣٢	٤٤	٩	٢٧
الخميس	٥	٢٥	٢٨	٤٨	٢٤	٣٦	١٨	٣٦	٥٦	٣٢	٤٤	٨	٢٦
الجمعة	٦	٢٦	٣٠	٥٠	٢٥	٣٦	١٨	٣٧	٥٧	٣٢	٤٣	٧	٢٥
السبت	٧	٢٧	٣١	٥١	٢٦	٣٦	١٨	٣٧	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٤
الاحد	٨	٢٨	٣٣	٥٢	٢٦	٣٧	١٨	٣٨	٥٨	٣٢	٤٢	٥	٢٣
الاثنين	٩	٢٩	٣٤	٥٥	٢٧	٣٧	١٨	٣٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٢
الثلاثاء	١٠	٣٠	٣٥	٥٦	٢٨	٣٧	١٨	٣٩	٥٩	٣٢	٤٠	٤	٢٢
الاربعاء	١١	٣١	٣٧	٥٧	٢٩	٣٧	١٨	٤٠	٠٠ ٦	٣٢	٤٠	٣	٢١
الخميس	١٢	نوفمبر	٣٨	٥٩	٣٠	٣٧	١٨	٤٠	١	٣٢	٣٩	٢	٢٠
الجمعة	١٣	٢	٤٠	١ ١	٣١	٣٨	١٩	٤١	٢	٣٢	٣٩	١	٢٠
السبت	١٤	٣	٤٢	٢	٣١	٣٨	١٩	٤٢	٢	٣٢	٣٨	٠٠	١٩
الاحد	١٥	٤	٤٣	٣	٣٢	٣٨	١٩	٤٢	٣	٣٢	٣٨	٠٠	١٨
الاثنين	١٦	٥	٤٤	٥	٣٣	٣٨	١٩	٤٣	٤	٣٢	٣٧	٥٩	١٨
الثلاثاء	١٧	٦	٤٦	٦	٣٣	٣٨	١٩	٤٤	٥	٣٢	٣٧	٥٨	١٧
الاربعاء	١٨	٧	٤٧	٧	٣٤	٣٨	١٩	٤٤	٦	٣٢	٣٦	٥٨	١٧
الخميس	١٩	٨	٤٨	٩	٣٥	٣٩	١٩	٤٥	٧	٣٢	٣٦	٥٧	١٦
الجمعة	٢٠	٩	٥٠	١١	٣٦	٣٩	١٩	٤٦	٨	٣٢	٣٥	٥٦	١٦
السبت	٢١	١٠	٥١	١٢	٣٦	٣٩	١٩	٤٦	٩	٣٢	٣٥	٥٥	١٥
الاحد	٢٢	١١	٥٢	١٤	٣٧	٣٩	٢٠	٤٧	٩	٣٢	٣٤	٥٥	١٥
الاثنين	٢٣	١٢	٥٣	١٥	٣٨	٣٩	٢٠	٤٨	١٠	٣٢	٣٤	٥٤	١٤
الثلاثاء	٢٤	١٣	٥٤	١٦	٣٨	٣٩	٢٠	٤٨	١٠	٣٢	٣٣	٥٤	١٤
الاربعاء	٢٥	١٤	٥٥	١٧	٣٩	٣٩	٢٠	٤٩	١١	٣٢	٣٣	٥٣	١٣
الخميس	٢٦	١٥	٥٦	١٩	٤٠	٣٩	٢٠	٥٠	١٢	٣٣	٣٣	٥٣	١٣
الجمعة	٢٧	١٦	٥٧	٢٠	٤٠	٣٩	٢٠	٥٠	١٣	٣٣	٣٢	٥٢	١٣
السبت	٢٨	١٧	٥٩	٢١	٤١	٤٠	٢٠	٥١	١٣	٣٣	٣٢	٥٢	١٢
الاحد	٢٩	١٨	٠٠ ١٢	٢٢	٤١	٤٠	٢٠	٥٢	١٤	٣٣	٣٢	٥٢	١٢
الاثنين	٣٠	١٩	١	٢٤	٤٢	٤٠	٢١	٥٢	١٥	٣٣	٣١	٥١	١٢

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ